

مجلة

جامعة الناصر

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية - تصدرها جامعة الناصر

السنة الثانية - العدد الرابع- يوليو- ديسمبر 2014 م

رقم الإيداع في دار الكتب الوطنية - صنعاء (٦٣٠) السنة ٢٠١٣م

مجلة جامعة الناصر - مجلة علمية محكمة - تهدف إلى إتاحة الفرصة للباحثين لنشر بحوثهم وإنتاجاتهم العلمية باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف العلوم الإنسانية والتطبيقية.



أولاً قواعد النشر

تقوم مجلة جامعة الناصر بنشر البحوث والدراسات باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف مجالات العلم والمعرفة وفقاً للشروط التالية:

1) أن يكون البحث المقدم أصيلاً ويعالج قضية معينة بذاتها، وتتوافر فيه الشروط العامة للبحث العلمي المعتمد على القواعد العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية، في مختلف المجالات الإنسانية والتطبيقية..
2) أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة - ومطبوعاً ببنط (12) وبخط: (AL-Mohanad Bold) بالنسبة للبحوث للغة العربية ، وبخط (Times New Roman) بالنسبة للبحوث باللغة الإنجليزية، وأن لا تزيد صفحات البحث عن(40) صفحة متضمنة المصادر والمراجع.
3) أن يتم تحويل البحث إلى صيغة PDF .
4) أن يرفق مع البحث ملخصاً باللغتين العربية والإنجليزية على أن لا يزيد عدد كلمات كل منها عن (200) كلمة.
5) أن لا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى.
6) المجلة ترحب بنشر ما يصل إليها من ملخصات لرسائل الماجستير والدكتوراه، التي تم مناقشتها وإجازتها، في كافة المعارف الإنسانية والتطبيقية، على أن يكون الملخص من قبل صاحب الرسالة.
7) أن تكون هوامش البحث في نهاية كل صفحة بالنسبة للبحوث النظرية.
8) مراجعة البحث لغويا ومطبعيا من قبل تسليمه للمجلة.

ثانياً إجراءات النشر والتحكيم :

1 – ترسل البحوث والمراسلات إلى مجلة جامعة الناصر على العنوان التالي :

الجمهورية اليمنية – صنعاء – جامعة الناصر (www.al-edu.com) مجلة جامعة الناصر.

هاتف: (536307) تليفاكس (536310) أو البريد الإلكتروني أو بريد رئيس التحرير

dr.m.shawgi5175@gmail.com

2- يسلم البحث المقدم للنشر من أصل وثلاث نسخ ورقية مطبوعة على ورق (A4) ويشترط أن تكون المادة مطبوعة بمسافات مضاعفة ومحفوظة بقرص مدمج (CD) وذلك إلى عنوان المجلة أعلاه ، بحيث يظهر في غلاف البحث إسم الباحث ولقبه العلمي، ومكان عمله، ومجال تخصصه.

3- يرفق الباحث نسخة مختصرة عن سيرته الذاتية ، متضمنة إسم الباحث وعنوانه ، وأرقام هواتف المنزل والعمل والفاكس لكي يسهل التواصل معه عند الضرورة.

4- في حالة قبول البحث مبدئياً، يتم إحالته إلى محكمين من ذوي الخبرة والاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يعرض عليهم إسم الباحث أو بياناته ، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث ، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمه.

5- يخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمه خلال ثلاثة أشهر على الأكثر من تاريخ تسليمه للبحث.

6- في حالة ورود الملاحظات من المحكمين ، ترسل تلك الملاحظات إلى الباحث بهدف إجراء التعديلات اللزمة، على أن تعاد للمجلة في مدة أقصاها شهر.

7- يمنح صاحب البحث المنشور نسخة واحدة من عدد المجلة مع ثلاث مستلات من بحثه.

<u>ثالثاً: رسوم التحكيم والنشر في المجلة :</u>

تفرض المجلة مقابل نشر البحوث والتحكيم الرسوم التالية:

- البحوث المرسلة من داخل الجمهورية اليمنية (10000) عشرة آلاف ريال
- البحوث المرسلة من خارج الجمهورية اليمنية (100$) مائة دولار أمريكي
- هذه الرسوم غير قابلة للإرجاع سواء تم قبول البحث للنشر أم لم يتم النشر.
- أعضاء هيئة التدريس والباحثون بجامعة الناصر معفيون من تسديد الرسوم.

البحوث المنشورة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن توجه الجامعة وإنما تعبر عن أراء أصحابها

رقم الإيداع (630) (28/ 10/ 2013 م)

(الهيئة العامة للكتاب والنشر والتوزيع دار الكتب)

المحتويات

الافتتاحية:

الحمد لله رب العالمين، أحمده حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على الصادق الأمين المصدوق محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين .

وبعد:

قراءنا الاعزاء يسعدنا ويشرفنا في مجلة جامعة الناصر أن نتواصل معكم من خلال هذا الإصدار الرابع من المجلة محاولين قدر الاستطاعة التواصل مع جميع قراء مجلتنا الموقرة على الرغم من الصعوبات التي يمر بها اليمن السعيد وهو يعيش هذه المرحلة الحرجة من تاريخه.

وها نحن ذا في مجلة جامعة الناصر نقدم لكم هذا الاصدار من المجلة في عامها الثاني، واضعين نصب أعيينا ما ألزمنا به أنفسنا، في خدمة نشر الأبحاث العلمية المحكمة في مختلف الدراسات النظرية والتطبيقية.

وفي هذا العدد تواصل المجلة تألقها في سماء المجلات العلمية المحكمة في الداخل والخارج ، ساعية لتكون الأفضل من مثيلاتها من حيث التنوع في البحوث ، مستفيدة من خبرات وتجارب الآخرين في هذا المجال.

ولقد تضمن هذا العدد ثلاثة عشر بحثا علميا محكما في مختلف التخصصات التطبيقية والنظرية، تقدم بها إلى المجلة كوكبة من الأكاديميين المتميزين من مختلف الجامعات اليمنية والعربية .

أولى: هذه البحوث مقدم من الأستاذ الدكتور / ابو سفيان محمد البشير كباحث أول _ الأستاذ المشارك بكلية الإقتصاد والتنمية الريفية بجامعة الجزيرة جمهورية السودان الشقيق والأخ/ صادق حمود عبدالله الجامعي كباحث ثاني ، والموسوم بـ (**علاقة التخطيط الاستراتيجي بكفاءة التسويق المصرفي و كفاءة راس المال بالمصارف الإسلامية اليمنية**) حيث هدف البحث إلي دراسة علاقة التخطيط الاستراتيجي بكفاءة التسويق المصرفي وكفاءة راس المال بالمصارف الاسلامية اليمنية . اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي . و جمع البيانات والمعلومات عن طريق الاستبيانات . واستخدام العينة الحصرية لجمع المعلومات الاولية و استخلاص بيانات ومعلومات مؤشرات كفاءة التسويق المصرفي وراس المال في المصارف الإسلامية اليمنية من القوائم المالية المنشورة للمصارف قيد الدراسة وتوصلت الدراسة الى عدم وجود علاقة للتخطيط الاستراتيجي في كفاءة التسويق المصرفي و كفاءة راس المال في المصارف الإسلامية اليمنية . تم تقديم العديد من التوصيات اهمها يجب علي المصارف الاسلامية اليمنية استخدام التخطيط الاستراتيجي لرفع كفاءة التسويق وراس المال . و ربط علاقة ممارسة التخطيط الاستراتيجي في مؤشرات كفاءة اداء المصارف الإسلامية المتمثلة في مؤشرات كفاءة التسويق المصرفي ، و مؤشرات كفاءة راس المال..

وثانيها: البحث المقدم من الأستاذ الدكتور/.السماني عبد المطلب أحمد –أستاذ الحاسوب وتقنية المعلومات بجامعة النيلين جمهورية السودان كباحث ثاني والأخ / أياد محمد مهيوب البريهي كباحث ثاني

والموسوم بـ (**استخدام تقنيات تنقيب البيانات لكشف التطفل في شبكات الحاسوب**) حيث هدفت الدراسة الي بيان أهمية أمان وسرية المعلومات في الشبكات تعتبر القضية الرئيسية المؤرقة لكثير من الشركات والمؤسسات التي تستخدم كمية كبيرة من البيانات، وبالمقابل هناك العديد من الطرق المستخدمة لحماية الشبكات في الوقت الراهن مثل التشفير والـ VPN ، وجدران الحماية، ولكن كل هذه الطرق تعتبر طرق استاتيكية جدا للحماية الفعالة ضد المهددات وعدد المهددات، وتستخدم تقنيات تنقيب البيانات لهذا الغرض حيث تطبق لكشف التطفل intrusion detection و تهدف هذه الورقة لإستخدام تقنيات تنقيب البيانات data mining)) لكشف حالات الشذوذ في الشبكات تطبيقاً على عينتين عشوائيتين من مجموعة بيانات NLS-KDD Data Set ، استخدمت الورقة تقنية التصنيف مصنف شجرة القرارdecision tree)) التي تنفذ خوارزمية C4.5، نتيجة التجربة تعرض أن مصنف C4.5 أظهر نتائج فعالة لكشف التطفل في الشبكات الحاسوبية وأظهرت النتائج انه كلما كانت كمية البيانات كبيرة تكون نسبة الخطأ أقل ودقة التنبؤ عالية.

أما ثالث هذه البحوث فهو الموسوم بـ :(**آثار إلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده -دراسة مقارنة في كل من القانون اليمني والمصري والأردني للأستاذ الدكتور/ عبد الكريم محمد عبد الرحمن الطير أستاذ قانون المرافعات المشارك - كلية الشريعة والقانون - جامعة صنعاء**) ، حيث سلط الضوء على أهمية موضوع البحث الموسوم بـ" آثار إلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده" ترجع إلى كون إلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده يعد بمثابة استثناء من قاعدة في الإثبات مفادها: "أن على المدعي البينة واليمين على من أنكر" وهو استثناء على قاعدة " لا يجبر الشخص على تقديم دليل ضد نفسه" التي تقابلها قاعدة " لا يجوز أن يصطنع الشخص دليلا لنفسه.

ونقرأ في هذا العدد إسهام الدكتور/ عبدالله علي عبدالله الطوقي أستاذ الأقتصادالمساعد□ كلية التجارة جامعةعمران في دراسته الموسومة بـ (**أساليب تمويل الاستثمارات في المصارف الإسلامية اليمنية(المخاطر والحلول المقترحة)**) والتي سلط الضوء فيها علي المصارف الإسلامية المتعددة الأغراض ولا تتعامل بالفائدة الربوية، وهذا يجعل لديها القدرة على تفعيل النشاط الاقتصادي في مختلف المجالات، كما أنها تهدف في الأساس إلى تمويل الاستثمارات التي تخدم عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

أما الأخ/ عبد الوهاب احمد عبدالله مسعود عياش المحاسب القانوني والباحث في المحاسبة والتمويل فقد تطرق موضوعه الموسوم بـ (**دور الرقابة الداخلية في رفع كفاءة الأداء المالي دراسة ميدانية على شركات الاتصالات اليمنية**) حيث هدفت دراسته الى التعرف على عناصر هيكل الرقابة الداخلية، وتقويم نظم الرقابة الداخلية في شركات الاتصالات اليمنية ومعرفة مدى وجود علاقة بين عناصر الرقابة الداخلية وكفاءة الأداء المالي في شركات الاتصالات اليمنية، وقد تم استخدام المنهج الوصفي لوضع الإطار النظري للدراسة ،كما تم إجراء دراسة ميدانية لتحقيق أهداف الدراسة واختبار فرضياتها تم خلالها جمع البيانات من خلال استبانة وزعت على شركات الاتصالات اليمنية.

ونقرأ في هذا العدد (**العنف لدى بني الإنسان**) للأخ/ / أحمد معد - باحث دكتوراه - كلية علوم التربيةالرباط جامعة محمد الخامس السويسي – المملكة المغربية ، الذي بين في بحثه أن الإنسانية تمر في عصرنا الحاضر ظروفا إنسانية عصيبة أكثر من أي وقت مضى، ولعل هذه الظروف تتبدى فيما يعتري إنسان اليوم من تخوفات وتوجسات حول نفسه وحول ما يحيط به، أزمات ومشاكل تزعزع القناعات الاجتماعية والثقافية والسياسية مما تجعل الإنسان أكثر شكا حول مصيره المهدد بالعنف،إنه إحساس يمكن وصفه بالمذهل خصوصا بعدما لعبت وسائل الإعلام المرئية على وجه الخصوص ذات الوظيفة الإيديولوجية على وجه التدقيق دورا بارزا وملفتا للنظر، بل محرضا بالمباشر فيما يتعلق بما سمي بالحركات الاحتجاجية أوالربيع العربي الذي يفترض أن يتحول إلى صيف حار وجاف عنوانه العنف والقتل والتقتيل والتدمير واللاستقرار.

وكان إسهام الأستاذ الدكتور/ أحمد عبدالله أحمد القحفة أستاذ المناهج وطرق تدريس الرياضيات المساعد – رئيس وحدة ضمان الجودة - بكلية التربية –النادرة جامعة إب بعنوان (**مدى توافر معايير الجودة في الأداء التدريسي لعضو هيئة التدريس بكلية التربية النادرة من وجهة نظر طلبة الكلية**) حيث هدفت هذه الدراسة الى قياس مدى توافر معايير الجودة في الأداء التدريسي لعضو هيئة التدريس بكلية التربية النادرة من وجهة نظر طلبة الكلية، وقد تمت الإجابة عن أسئلة هذا البحث من خلال تطبيق استبانة مكونة من ثمانية محاور مثلت الأداءات التي يمارسها عضو هيئة التدريس بالكلية، اشتملت على (١١٤) فقرة، مثلت كل فقرة أحد معايير الجودة التي تم قياس مدى توافرها لدى أعضاء هيئة التدريس، طبقت الاستبانه على عينة عددها (١٠٠) طالب وطالبة من طلبة المستوى الرابع في جميع أقسام الكلية،.

وتناول الدكتور/ عبدالوهاب أحمد محمد السعيدي أستاذأصول الفقه المساعد. ونائب عميد كلية الشريعة والقانون - جامعة الحديدة موضوع (**إثبات النسب ونفيه في الإسلام -دراسة في المرتكز الأصولي والمنجز الفقهي**) وهدف البحث إلى معرفة نظرة الشرع للنسب حيث نظرته للنسب تختلف عن نظرته لإقامة الحد فالشرع يثبت النسب لأدنى ملابسة، وهو يتشوف لذلك، أما الحد فإن الشرع يسقطه لوجود أي شبهة، وكذلك في الحقوق يجب البحث عن الإثبات، وفي الحدود يجب البحث عن الإسقاط. وما هو الأصل في ثبوت النسب في الشريعة الإسلامية.. وهو كون المولود نشأ من اتصال جنسي بين الرجل والمرأة تحت مظلة الزواج، وأي علاقة جنسية خارج هذه المظلة يترتب عليه لحوق النسب لكون المولود ولدا لصاحب الماء وولدا للمرأة شرعا؛ لأن النسب له حقيقة واحدة لا يختلف باختلاف المرأة والرجل أوالمسلم والكافر، فكل مولود يلده الإنسان فهو ابنه شرعا ولغة وطباً وهذا أصل يقاس عليه كل علاقة جنسية محرمة بين الرجل والمرأة أو أي ممارسة طبية لوسائل محرمة للإنجاب، فإذا نتج عن تلك العلاقة أو الممارسة أولادا وثبت لدينا مصدرهم فقد تحقق مناط الانتساب فيثبت لذلك نسبهم لآبائهم.

وتطرق الدكتور/ عبده محمد علي سَحلول أستاذ التفسير المساعد بقسم الدراسات الإسلامية وعميد كلية التربية – جامعة حجة في دراسته الموسومة بـ (**الوصايا العشر في سورة الأنعام - دراسة موضوعية**)

حيث هدفت هذه الدراسة إلى بيان استنباط ما اشتملت عليه تلك الوصايا من مَعانٍ وأحكام، وتوجيهات تربوية، وربط ذلك بالواقع المعاش للكشف عن بعض مظاهر الانحراف العَقَدي والاجتماعي والاقتصادي وغيرها، التي بَرَزَتْ اليوم في كثير من المجتمعات، فتلك الوصايا – على وجازتها –تشتمل على مقاصد الشريعة الإسلامية التي هي العناصر المكونة لحقوق الإنسان والتي بها تتحقق الحياة الكريمة للإنسان، وصيانة حقوقه، وفي مقدمتها الضروريات الخمس المتمثلة في حماية الدِّين، والنفس، والعِرْض، والمال، والعقل، وما يتفرَّع عنها.

أما الدكتور / محمد محمد ناصر الحداد أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد –قسم التاريخ كلية التربية و الألسن – جامعة عمران فقد كانت مساهماته بعنوان (**قراءات في تاريخ العصور الوسطى مصطلح "العصور الوسطى" ظهوره و دلالته في أوروبا و إنتقاله إلى الكتابة التاريخية العربية مع ترجمة لبحث "العصور الوسطى" للمؤرخ الفرنسي آلان بورو**) حيث هدفت الدراسة - تتبع تاريخ ظهور التقسيم التاريخي خصوصا في الكتابات الغربية و ما تلاه من ظهور مصطلحات تحمل دلالات دقيقة تشير كل منها إلى فترة دون غيرها. إن بوادر التقسيم التاريخي البسيطة قد ظهرت في الكتابات الغربية منذ القرن الثالث عشر الميلادي – مستمدا فكرته من رؤى تعود إلى القرن الثامن الميلادي - و ذلك إعتمادا على التاريخ الدينى او الكنسي و الذي اعتمد كمرجعية في فكرة التقسيم لدى هؤلاء الغربيين. و عليه فإن مصطلح "العصور الوسطى" الدال على فترة من التاريخ الغربي قد ظهر في أوروبا قبل أن يظهر في الأدب التاريخي العربي، حيث ينسب إلى جيوفاني أندريا بوسي كأول من إستعمل هذا المصطلح عام ١٤٦٩م و في نفس الوقت هناك من يرى أن فلافيو بوندي دو فورلي قد إستعمله عام ١٤٥٠م.

وكانت مساهمة الدكتور / محمد حسين النقيب –أستاذ النحو والصرف واللغة المساعد –كلية التربية و الألسن – جامعة عمران بعنوان (**الفعل الناقص - دراسة نحوية دلالية بين القدماء والمحدثين**) حيث هدفت دراسته إلى بيان دلالة مكونات هذه اللغة ودلالة مبانيها، ومن خلال إظهار هذه الدلالات نصل إلى الهدف المنشود وهو بيان روعة هذه اللغة وجمالها، والرغبة في تعلمها من غير الناطقين بها وهذا جزء مهم للاستثمار في اللغة العربية، ويتناول الفعل الناقص من حيث العمل كقاعدة نحوية مطردة، ومن حيث الدلالة والمعنى، وهو الأهم في هذا البحث.

وأخيرا نقرأ في هذا العدد بحثا للدكتور/ فرحان خالد مقبل ناجي –أستاذ التفسير المساعد قسم الدراسات الاسلامية - كلية التربية - جامعة صنعاء فقد تطرق بحثه الموسوم بـ (سنن النهضة في القرآن الكريم (عوامل النهوض) فقد تناول البحث سنن النهضة في القرآن الكريم وأنها سنن كونية تحكم نظام الكون في ليله ونهاره ، وظواهر الكون المختلفة في مجال الفلك والكيمياء والفيزياء والطب وغيرها من العلوم الطبيعية عموما، وغير ذلك من السنن الكونية ، والمتأمل في آيات القرآن يدرك بوضوح هذه السنن الإلهية التي تحكم الاستخلاف البشري، وعمارة الكون والاجتماع البشري .

وإذ تنشر أسرة التحرير هذه البحوث القيمة تتمنى من القراء الإعزاء التواصل المستمر مع المجلة، وإتحافها بالأبحاث القيمة التي تسهم بشكل إيجابي في خدمة البحث العلمي، ، وتؤكد لهم مجددا باتباع المنهجية العلمية في تحكيم ونشر الأبحاث، وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساهم أو شارك في إخراج هذه المجلة إلى حيز الوجود، وفقنا الله في خدمة البحث العلمي وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رئيس التحرير

د / محمد شوقي ناصر عبدالله

صنعاء

12 / 12 / 2014 م

علاقة التخطيط الاستراتيجي بكفاءة التسويق المصرفي و كفاءة رأس المال بالمصارف الإسلامية اليمنية

أ.د / أبو سفيأن محمد البشير _ باحث أول
أ/ صادق حمود عبد الله الجماعي – باحث ثاني
أستاذ مشارك – كلية الاقتصاد والتنمية الريفية
– جامعة الجزيرة – السودان

1

الملخص

تهدف الورقة إلى دراسة علاقة التخطيط الاستراتيجي بكفاءة التسويق المصرفي وكفاءة رأس المال بالمصارف الإسلامية اليمنية . اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي . و جمع البيانات والمعلومات عن طريق الاستبيانات ، واستخدام العينة الحصرية لجمع المعلومات الأولية و استخلاص بيانات ومعلومات مؤشرات كفاءة التسويق المصرفي ورأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية من القوائم المالية المنشورة للمصارف قيد الدراسة وتوصلت الدراسة إلى عدم وجود علاقة للتخطيط الاستراتيجي في كفاءة التسويق المصرفي و كفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية . تم تقديم العديد من التوصيات أهمها : يجب على المصارف الإسلامية اليمنية استخدام التخطيط الاستراتيجي لرفع كفاءة التسويق ورأس المال . و ربط علاقة ممارسة التخطيط الاستراتيجي في مؤشرات كفاءة أداء المصارف الإسلامية المتمثلة في مؤشرات كفاءة التسويق المصرفي ، ومؤشرات كفاءة رأس المال.

المقدمة :

التخطيط الاستراتيجي هو عملية صياغة ورسم رسالة المنظمة في ضوء رؤيتها، وبناء غايتها وأهدافها المستقبلية، وإعدادها لعمليات التحليل البيئي الخارجي والداخلي بما يمكنها من الوقوف على الفرص والتهديدات المحيطة وكذلك نقاط القوة والضعف التي تتميز بها المنظمة ويساعدها في ذلك عملية الاختيار الاستراتيجي المغربي،(2009م) وضح حنفي (2009) أن التخطيط الاستراتيجي هو خريطة طريق ونمط عمليات في إطار فلسفة وعقيدة منهجية لتحقيق وتعظيم أهداف النشاط ومواجهة متغيرات البيئة الخارجية والتنبؤ بالعمليات المستقبلية لتحديد الاتجاه طويل الأجل ومن ثم يمكن توجيه الموارد إلى الفرص المستمرة وتجنيب المخاطر والتغلب على أوجه الضعف والبناء على عناصر القوة وبالتإلى تحقيق مركز تنافسي متميز من خلال تحقيق الفعالية وفي ذات الوقت ضمأن الكفاءة في التنفيذ ويعمل التخطيط الاستراتيجي على تحقيق المنظمة للعائد الاقتصادي المرضي .المغربي، (1999م) وتقع مسئولية التخطيط الاستراتيجي على كل المستويات الإدارية في المنظمة ولكنها تقع في المقام الأول على الإدارة العليا والإدارة التنفيذية ومدراء الإدارات ورؤساء الأقسام ومنسقي التخطيط الاستراتيجي , ويمكن حصرها في ثلاث جهات أساسية هي الإدارة العليا والصف الثاني لهأو الخبراء الذين يعملون لدى المنظمة بصفة دائمة والاستشاريين الذين يمكن الاستعانة بخدماتهم خارج المنظمة .السيد، (1998) وذكر المغربي (2004) أن التغيرات العالمية والمحلية فرضت على منظمات الأعمال تبني أسلوب التخطيط الاستراتيجي في كافة مجالات الأعمال التي تزاولها تلك المنظمات , والمصارف الإسلامية هي صورة من صور المنظمات الحديثة التي تسعى دائما للتحديث والتطوير والتغيير للأفضل , فهي نظم ديناميكية حية يتناسب ويتوافق معها أسلوب العمل الاستراتيجي .وهذا يلزم صناع القرار في المصارف الإسلامية أن يعملوا جاهدين على تبني رؤى مستقبلية تقوم على الميزة التنافسية المستدامة لتحقيق أفضل أداء استراتيجي للمصارف الإسلامية التي تتصف بحداثة النشأة .وهذا يحتم عليها تحديد وجهتها لتحقيق أهدافها وفقاً لمنهجيتها كبديل منطقي وصحيح لتنمية المال وتثميره . أن تطبيق المصارف الإسلامية التخطيط الاستراتيجي يؤدي إلى وضوح الرؤية المستقبلية واتخاذ القرارات الاستراتيجية، و التفاعل البيئي على المدى البعيد ، وتدعيم المركز التنافسي وتحقيق النتائج الاقتصادية والمالية المرضية و القدرة على إحداث التغيير، و تخصيص الموارد والإمكانات بطريقة فعالة وأضاف المغربي(2004 م) والزمإلي 2009م) أن التخطيط الاستراتيجي يساعد الإدارة العليا في المصارف الإسلامية على تحقيق عدد من المزايا أهمها تحديد أهداف المصرف الإسلامي بصورة أكثر واقعية ويتيح الفرصة للمشاركة في تحديد الأهداف .و المساهمة في توجيه الاهتمام نحو الموضوعات الاستراتيجية وبيأن كيفية التعامل مع وحدات الأعمال الفعالة وغير الفعالة ويسهم في تنشيط القدرات الابتكارية والإبداعية

لأعضاء الإدارة العليا و العمل على زيادة معدل نمو المصرف وتحسين ربحيته. ويساعد على السيطرة على موارد المصرف وحسن تحقيقها وتوجيهها و توفير المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات الأفضل , والعمل على زيادة فعالية الاتصالات داخل المصرف، وتمكين المصرف من تحديد مواطن القوة والضعف مما يسهل من تقوية المركز التنافسي والإسهام في تحديد الاتجاهات الرئيسية للتغيرات البيئية وما ينتج عنها من فرص وتهديدات، و المساعدة على إحداث التوازن الفعال بين حركة القوى البيئية الخارجية التي لا تستطيع السيطرة عليها وعناصر البيئة الداخلية التي يمكن السيطرة عليها, والمساعدة على وضع التنظيم الكفء الذي يمكن من تحقيق رؤية و رسالة المصرف والتوصل لأهدافه , ويساعد على تدريب الموارد و إعداد كوادر جديدة ويساعد التخطيط الاستراتيجي على تطبيق مدخل الإدارة بالنظم ويمكن من إحكام الرقابة على العمليات وحسن تقييم الأداء

2- **مشكلة البحث** :

استحوذ موضوع التخطيط الاستراتيجي على اهتمام مختلف المؤسسات ومنها المصارف الإسلامية التي تعمل في بيئات أعمال شديدة التعقيد وهذا يجعل ممارسة التخطيط الاستراتيجي ضرورة وليس ترفاً للمصارف الإسلامية حتى تصبغ على نفسها شرعية الوجود من خلال صياغة رؤية ورسالة وقيم و أهداف واضحة لها ورسم موقفها التنافسي وإدارة العلاقات التفاعلية مع البيئة على المدى البعيد وتعتبر المصارف الإسلامية كيانات تنظيمية حديثة النشأة كونها مازالت تؤسس قواعدها وتتلمس خطاها فهي كغيرها من المؤسسات تواجه الانعكاسات الناشئة من التغيرات البيئية مثل ظهور تكتلات اقتصادية مادية، وتحالفات استراتيجية، واندماجات بين المؤسسات المالية العملاقة، وتحرير تجارة الخدمات والتقدم التكنولوجي المذهل الأمر الذي يحتم عليها مواكبة المستجدات في الصناعة المصرفية حتى تصمد أمام مثل هذه التحديات، وبالتإلى أصبحت عملية ممارسة التخطيط الاستراتيجي للمصارف الإسلامية أكثر أهمية حتى تتمكن من الحفاظ على معدلات أداء مرتفعة تتناسب مع أهمية وطبيعة عملها ونتيجة لحداثة نشأتها وما تطلبه من اهتمام بتبني الرؤية المستقبلية واعتماد التخطيط الاستراتيجي والاهتمام بالإنجاز والتميز في الأداء , فهي تمارس أنشطتها وتقدم خدماتها المتعددة في بيئة مصرفية صعبة ومتشابكة مما يلقي عليها عبئاً كبيراً في مثل هذه البيئة التي أنشئت المصارف التقليدية فيها منذ زمن بعيد وتقدم خدماتها بناء على تجارب وخبرات متعددة المغربي (2004), وتعتبر المصارف الإسلامية اليمنية حديثة النشأة بالنسبة لهيكل النظام المصرفي اليمني فقد بدأت عملها عام 1996م وينظم عملها القانون رقم (21) لسنة 1996م بشأن المصارف الإسلامية ويتكون قطاع المصارف الإسلامية اليمنية من أربعة مصارف تستحوذ على 40 من الحصة السوقية في اليمن وهي البنك الإسلامي اليمني للتمويل والاستثمار وبدأ العمل في 6- 1996م وبنك التضامن الإسلامي الدولي وبدأ العمل في 7- 1996م وبنك سبأ الغسلامي وبدأ العمل في 4- 1997م ومصرف

اليمن البحرين الشامل وبدأ العمل في 2- 2002م ويعمل في المصارف الإسلامية اليمنية (1851) موظف والطاقم الاشرافي والقيادي (354) بحسب إفادة الموارد البشرية في المصارف الإسلامية اليمنية في مارس 2013م ووضح الزماني (2009) أنه على الرغم من أهمية التخطيط الاستراتيجي وأثره على كفاءة أداء المنظمة وتحقيق الميزة التنافسية لها ومواجهة التحديات التي تواجهها فأن هناك عدم إدراك بالشكل الكافي من قبل إدارة المصارف الإسلامية اليمنية بأهمية التخطيط الاستراتيجي وتهيئة وإعداد المصارف الإسلامية اليمنية للتخطيط الاستراتيجي فالاتجاه السائد في صياغة الخطة الاستراتيجية هي إعداد الخطة الاستراتيجية من قبل فئة محدودة جداً فلا تشارك كل المستويات الإدارية في صياغة الخطة الاستراتيجية الأمر الذي يؤدي إلى صياغة بعيدة عن الواقع وعدم تجانس الفكر والممارسة للأنشطة لدى الموظفين فالأنشطة التخطيطية لا تبدو واضحة ومفهومة وغير مكتوبة أو منشورة أو معممة وانشغال إدارة المصارف الإسلامية اليمنية بالأعمال اليومية الروتينية وضعف متابعة تنفيذ الخطة الاستراتيجية يضعف الالتزام بتنفيذها ويولد شعوراً بعدم اهميتها فعملية ممارسة التخطيط الاستراتيجي في المصارف الإسلامية اليمنية لا تتصف بالاستمرارية فلا يتم مراقبة وتقويم الخطة الاستراتيجية ولا مراجعتها بشكل دوري مما يؤدي إلى تقادمها وعدم مواكبتها للمستجدات والمتغيرات التي تطرأ في بيئتها الداخلية والخارجية وتحتاج المصارف الإسلامية إلى خطة استراتيجية متغيرة ومتجددة وتطوير مستمر للإجراءات والأجهزة لتحسين مستوى الأداء وإزالة المعوقات ومواجهة التحدي الحقيقي الذي يكمن في القدرات التنافسية لهذه الصناعة وأخذ زمام المبادرة والابتكار والديناميكية والقدرة على الاتجاه بمرونة وكفاءة وسرعة لاحتياجات الأسواق .المكاوي،(2003م) وبناء على ما سبق تطرح الورقة التساؤل الآتي :

هل للتخطيط الاستراتيجي علاقة بكفاءة التسويق المصرفي وكفاءة رأس المال في المصارف الاسلامية اليمنية ؟

3- أهـداف البحث :

الغرض من هذا البحث دراسة علاقة التخطيط الاستراتيجي بكفاءة أداء المصارف الإسلامية اليمنية و ذلك من خلال دراسة الاهداف التفصيلية التالية

3- 1: دراسة علاقة التخطيط الاستراتيجي بكفاءة التسويق المصرفي في المصارف الإسلامية اليمنية.

3- 2: دراسة علاقة التخطيط الاستراتيجي بكفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية.

4-: فرضيات البحث :

4- 1: توجد علاقة بين التخطيط الاستراتيجي و كفاءة التسويق المصرفي في المصارف الإسلامية اليمنية.

4- 2: توجد علاقة بين التخطيط الاستراتيجي وكفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية .

5-: أهمية البحث :

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يبحث في أحد المواضيع الإدارية الحديثة نسبياً وهو التخطيط الاستراتيجي و من خلال تناوله لقطاع مهم وركيزة أساسية من ركائز الاقتصاد اليمني وهو قطاع المصارف الإسلامية ويعتبر أول محاولة للربط بين التخطيط الاستراتيجي وكفاءة الأداء في المصارف اليمنية، كما يعتبر حجر الاساس للقيام بدراسات مستقبلية حول التخطيط الاستراتيجي وكفاءة الأداء في اليمن. و مرجعاً أساسياً في المكتبة اليمنية والمكتبات العربية

6- الاطار النظري والدراسات السابقة

6-1: التخطيط الاستراتيجي في المصارف الإسلامية :

وضح المكاوي (2003م) بأن الأحداث الأخيرة التي شهدها العالم أفرزت عدة تطورات أدت في مجملها إلى نتائج بدأت تظهر ملامحها واضحة على الاقتصاد الدولي بصفة عامة وعلى الجهاز المصرفي بصفة خاصة وفي ضوء التطورات المصرفية المعاصرة فإنه من الطبيعي أن تتأثر المصارف الإسلامية وأن تواجه بمنافسة حادة تملي عليها ضرورة بناء استراتيجيات عمل جديدة حتي تتمكن من الحفاظ على المكتسبات التي اكتسبتها خلال المرحلة السابقة حيث التخطيط الاستراتيجي بمثابة علم وفن التعامل مع المستقبل وهي مهمة لم تعد سهلة اليوم وأضاف المكاوي أن المرحلة المقبلة تتطلب من كل مصرف اسلامي أن يضع لنفسه خطة استراتيجية فاعلة مؤثرة في السوق المحلي والإقليمي أو العالمي يسير عليها ويعمل لتنفيذها وبما يؤدي إلى التكيف مع المتغيرات من خلال حسن توظيف الموارد ونقاط القوة لاقتناص ما تهيئه البيئة من فرص وما تفرضه من تهديدات ومن ثم يمكن بلوغ الأهداف التي صممت الاستراتيجية كسبيل لبلوغها، و تحتاج المصارف الإسلامية إلى خطة استراتيجية متغيرة ومتجددة وتطوير مستمر للإجراءات والاجهزة لتحسين مستوى الأداء وإزالة المعوقات ومواجهة التحدي الحقيقي الذي يكمن في القدرات التنافسية لهذه الصناعة وأخذ زمام المبادرة والابتكار والديناميكية والقدرة على الاتجاه بمرونة وكفاءة وسرعة لاحتياجات الأسواق واهتمام المصارف الإسلامية بعملية التخطيط الاستراتيجي يؤدي إلى وضوح التوجه الاستراتيجي، والتفاعل البيئي على المدى البعيد، وتحقيق النتائج المرجوة، وتدعيم المركز التنافسي، والقدرة على إحداث التغيير، وتخصيص الموارد والإمكانات بطريقة فعالة ويساعد الإدارة العليا على تحديد أهداف المصرف الإسلامي بصورة أكثر واقعية ويتيح الفرصة للمشاركة في تحديد الأهداف والمساهمة في توجيه الاهتمام نحو الموضوعات الاستراتيجية وبناء كيفية التعامل مع وحدات الأعمال الفعالة وغير الفعالة ويسهم في تنشيط القدرات الابتكارية والإبداعية لأعضاء الإدارة العليا والعمل على زيادة معدل نمو المصرف وتحسين ربحيته كمايساعد على السيطرة على موارد المصرف وحسن تخصيصها وتوجيهها وتوفير المعلومات اللازمة لاتخاذ

القرارات الأفضل ويعمل على زيادة فعالية الاتصالات داخل المصرف وتمكينه من تحديد مواطن القوة والضعف والفرص والتهديدات ويساعد على وضع التنظيم الكفء الذي يمكن من تحقيق رؤية و رسالة المصرف والتوصل لأهدافه و يهتم بدراسة وتحليل ردود أفعال المنافسين لمواجهتها المغربي (2004م) ، ووضح المكاوي (2003) أن أهم الخطوط الرئيسية التي ينبغي أن تركز عليها الخطة الاستراتيجية في المصارف الإسلامية هي تحقيق التوازن بين الأصول والالتزامات وتنوع محفظة الاستثمارات لتحسين جانب المخاطر وتحسين الربحية وبناء علاقات عميقة لحشد الموارد والجهود لتحقيق فائدة أكثر للمصرف وربحية أكبر للمساهمين ، وبذل جهد لبناء وعي بخدمات المصارف الإسلامية وذلك لاجتذاب أكبر قطاع من المتعاملين .والتوسع والانتشار تطبيقاً لرؤية استراتيجية تعظم النصيب السوقي وذلك عن طريق تقديم مجموعة من الخدمات التي ستزيد من نصيب المصرف في السوق والاستجابة لاحتياجات الأسواق وتطوير تلك الاحتياجات وتقديم الجديد والمبتكر من صيغ وأدوات ، وزيادة القاعدة الرأسمالية لكفاية رأس المال وذلك عن طريق توسيع قاعدة المساهمين ، وأن تكون استثمارات المصارف الإسلامية في أشياء مضمونة وتحقق عائد مجزي، وذلك عن طريق التركيز على تخفيض المخاطر، والحد منها وتعظيم العائد وتعزيز كفاية رأس المال وتجنب الخسائر بتحسين نوعية الاستثمار وتخفيف مركزية الموافقات التمويلية والاستثمارية والتركيز على المشروعات الكبرى وذلك لتحسين المخاطر الخاصة بمحفظة الاستثمار والأخذ بالأساليب الحديثة وتطوير شبكاتها الالكترونية لاستخدام الانترنت والتجارة الالكترونية وأهم المقومات الأساسية في التخطيط الاستراتيجي ما ذكرها الضمور، (2008) والزماني، (2009) "وعي الإدارة العليا والإدارة التنفيذية بأهمية المصارف الإسلامية وأهمية التخطيط الاستراتيجي، ووجود الموارد البشرية الكفؤة وذات المهارة العالية ووجود منهجية واضحة في عملية التخطيط الاستراتيجي ومستوعبة من كافة المستويات الإدارية و الأنظمة الالكترونية وأنظمة المعلومات المناسبة واللوائح والدليل الإرشادي للخطة الاستراتيجية، والبيئة المحيطة بالمنظمة والمشجعة لعملية التخطيط، وتوفير الإمكانيات المادية والأجهزة والمعدات، وتوفير قاعدة معلومات وبيانات، و المشاركة الواسعة من كل المستويات الإدارية، ووجود الإرادة والقناعة الصادقة والنهج الواضح بضرورة استخدام التخطيط الاستراتيجي والابتعاد عن العشوائية والأغراض الدعّائية والمصارف الإسلامية تعتبر كيانات تنظيمية حديثة النشأة كونها ما زالت تؤسس قواعدها وتتلمس خطاها وهذا يحتم عليها دراسة العوامل المؤثرة في عملية التخطيط الاستراتيجي لأنها تساعد إلى حد كبير في إجراء التنبؤات اللازمة عن مسار الأموال في المستقبل وفي هذا الإطار ذكر المغربي(2004) العديد من العوامل التي يجب مراعاتها عند قيام المصارف الإسلامية بإعداد الخطة الاستراتيجية لتحقيق أهدافها وأداء رسالتها في المجتمع، وأهم العوامل المؤثرة في عملية التخطيط الاستراتيجي الإيمأن برسالة المصارف الإسلامية والقواعد والمبادئ والأسس الحاكمة للمصرف والاتجاه الذاتي للمسئولين في

البنك والالتزام بالأوامر الشرعية والصورة الذهنية للمصرف في المجتمع والمكانة الدينية و المالية والسوقية و البيئة المصرفية والبيئة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والوعي المجتمعي. ويحتل قياس الأداء الاستراتيجي في المنظمات بصفة عامة والمصارف بصفة خاصة مكانة متميزة في الوقت الحاضر لماله من أهمية في تحديد كفاءة الأداء المصرفي ومدى تحقيق المصرف لأهدافه وأوجز جودي(2008) ومحاو ، 2011) أهمية قياس الأداء الاستراتيجي للمصارف بأنه يوفر مقياساً لمدى نجاح المصرف من خلال سعيه لمواصلة نشاطه بغية تحقيق أهدافه فالنجاح مقياس مركب يجمع بين الفاعلية والكفاءة ومن ثم فهو أوسع من أي منهما في تعزيز أداء المصرف بمواصلة البقاء والنمو و يؤدي إلى تحسين منتجاتها وخدماتها وعملية تقديمها للعملاء ويُحسن واقع الاتصالات الداخلية بين العاملين فضلاً عن الاتصالات الخارجية بين المنظمة وعملائها ومعامليها ويوفر للمصرف معلومات لمختلف المستويات الادارية بالمصرف لأغراض التخطيط والرقابة واتخاذ القرارات المستندة إلى حقائق علمية وموضوعية فضلا عن أهمية هذه المعلومات للأطراف الخارجية و يساعد على إيجاد نوع من المنافسة بين جميع المستويات الادارية وهذا بدورة يدفع بالمصرف لتحسين مستوى ادائه و يوفر بيانات حقيقية ملموسة يمكن الاستناد عليها في اتخاذ قرارات سليمة حول عمليات المصرف و يزيد من تأثير المصرف حيث يتم التعرف من خلاله على المحاور التي تحتاج إلى الاهتمام والتركيز و التأكد من درجة كفاءة الأداء المصرفي وتوضح عملية قياس الأداء المركز الاستراتيجي للمصرف ضمن اطار البيئة القطاعية التي يعمل فيها .ومن ثم تحديد الاليات وحالات التغيير المطلوبة لتحسين المركز الاستراتيجي وتعكس درجة الموائمة والانسجام بين الاهداف والاستراتيجيات المعتمدة وعلاقتها بالبيئة التنافسية للمصرف. ووضحت أبو/عويلي (2008) أن التخطيط الاستراتيجي يحقق المزايا التنافسية للمؤسسة المصرفية وبالتإلى يعمل على تطوير الخدمات المصرفية والاهتمام بجودة الخدمات، وتحقيق رغبات العملاء وهى أحد المداخل ألرئيسية لزيادة وتطوير القدرات التنافسية للمصارف ذكرى الكردي (2010) ومعلا(بدون تاريخ أن التخطيط الاستراتيجي يساعد إدارة المصرف في توظيف وتوجيه الموارد المتاحة بكفاءة وفاعلية ووضح بن عبد الله،(2005م) بأنه يؤدى إلى تنمية الموارد ألمالية وكفاءة الاستثمارات المصرفية فتطبيق التخطيط الاستراتيجي يؤدى إلى كفاءة الأداء المصرفي مما يعنى كفاءة العنصر البشرى، و كفاءة الإدارة وجودة الاصول وكفاءة الانظمة واللوائح والرضى الوظيفي للعاملين، وجودة الأداء المؤسسي للمصارف وكفاءة الأداء التسويقي وكفاءة رأس المال ويرى جودي والصائغ(2008م) بأن التخطيط الاستراتيجي يعمل على زيادة الحصة السوقية للمصرف ويرى بيستول(2010) أن دور التخطيط الاستراتيجي في التسويق المصرفي يحدد مبدأ التخطيط الاستراتيجي، وتعتمد كفاءة التسويق المصرفي على دقة التخطيط الاستراتيجي ويعتبر التخطيط الاستراتيجي للأنشطة التسويقية جزءاً لايتجزأ من التخطيط الاستراتيجي العام للمؤسسة ويهدف تخطيط الأنشطة التسويقية بشكل

أساسي إلى تعزيز الوضع التنافسي للمصرف وترى دراسة فوكا ورا،(1999م) بأن التزايد في الصناعة المصرفية قد أنشأ أهمية التسويق كأداه مهمة من أجل مساعدة المصارف للحصول على حصة سوقية أفضل واكتشفت المؤسسات المصرفية بأن التسويق الاستراتيجي هو أفضل استجابة لتحقيق أهدافها المصرفية

2-6: كفاءة الأداء المصرفي

1-2-6: مفهوم كفاءة الأداء المصرفي :

يعد مفهوم الأداء من المفاهيم الجوهرية في منظمات الأعمال بصورة عامة والمنشأة المصرفية بصورة خاصة لأن من خلاله يمكن إعطاء صورة كاملة وشاملة عن سير أنشطة المنظمة وأعمالها على مستوى البيئة الداخلية والخارجية فهو مفهوم واسع ونشاط شمولي مستمر بالمنظمةٍ يهدف إلى استغلال مواردها المالية والبشرية والمادية وبما يتلاءم مع الظروف البيئية الداخلية والخارجية وبكفاءة وفعالية لتحقيق أهدافها الاستراتيجية .فهو مؤشر النتيجة النهائية لأي منظمة إذ إنه يمثل محوراً أساسياً في قياس كفاءة منظمات الأعمال وفاعليتها لاسيما الأداء المقاس بمؤشرات التحليل المإلى الاستراتيجي .الجبوري(2004). وتشير كلمة الأداء إلى التنفيذ الفعلي لمراحل العمل، كما تعني درجة أو مستوى المهارة والمجهود المبذول في التنفيذ عباده،(2007) ويرى محاه(2011) أن الأداء هو مدى قدرة تحقيق المنظمة لأهدافها على المدى البعيد من خلال قدرتها في استغلال وتوظيف مختلف مواردها في إطار الأخذ بعين الاعتبار تأثيرات البيئة الداخلية والخارجية لأنشطتها ويضيف عباده(2007) أن مفهوم الأداء المصرفي هو عبارة عن نشاط كامل ومستمر يسعى لتحقيق أهداف محددة وهذا يعكس قدرة المصرف على استغلال إمكانياته وقدراته على تحقيق الأهداف ويرى سلام (2004) أن الأداء المصرفي هو الوسائل اللازمة وأوجه النشاط المختلفة والجهود المبذولة لقيام المصارف بدورها، وتنفيذ وظائفها في ظل البيئة المحيطة لتقديم الخدمات المصرفية التي تحقق الأهداف ويعرف خالص (2004) كفاءة الأداء بأنه استغلال الطاقات الانتاجية على مستوى المنظمة وتوجيه الموارد الاقتصادية المتاحة نحو تحقيق أكبر قدر ممكن من العوائد بأقل قدر ممكن من الهدر، أي التحكم الناجح في إمكانيات المؤسسة المادية والمالية والبشرية وبما يضمن أداء أفضل في ظل المحيط الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي تنشط.فيه ويقصد قحف (2002) بكفاءة الأداء المصرفي مدى إنجاز إدارة المصرف لأهدافه في تنمية أصوله، وتعظيم أرباحه في الأجلين الطويل والقصير بينما يري (خالص، 2004)أن كفاءة الأداء المصرفي تعني تحديد مستوى معين يرغب المصرف تحقيقه وأن هذا المستوى يضمن إنجاز المهام والفعاليات والوظائف بصورة كفؤة ورشيدة ووضح الزبيدي(2009) أن تقييم الأداء المصرفي يتم من خلال تقييم مجموعة من المدخلات مثل الموارد الذاتية والودائع وخبرات وقدرات

العاملين في المصرف والهيكل التنظيمي وتحديد اختصاصاته والأنشطة والعمليات المصرفية ومخرجات تلك المدخلات مثل زيادة الأصول والخدمات المصرفية ، والأرباح وقد عرف الغزي (2013م) كفاءة أداء المصرف الإسلامي بأنه أداء اعمال المصرف بطريقة صحيحة مما تؤدي إلى استخدام الموارد المتاحة أفضل استخدام ممكن لتحقيق أفضل النتائج"الممكنة وذكر خالص(2004) أن اعتماد قياس وتقييم كفاءة الأداء من قبل إدارة المصرف يتيح لها إمكانية تحديد الانحرافات وتحديد أسبابها وكيفية معالجتها ورسم السياسات المناسبة للارتقاء وتحسين الأداء على العكس في حالة عدم ممارسة تقييم كفاءة الأداء من قبل المصرف في ظل الظروف السائدة في اقتصاد السوق والمتمثلة بالمنافسة وعدم الاستقرار والتقلبات والأزمات قد يؤدي إلى إفلاس هذه المؤسسة لذلك يعتبر خالص تقييم كفاءة الأداء من الأدوات التي يستند عليها في عملية صياغة واتخاذ القرارات السليمة والصائبة التي تضمن نجاح المصرف في ممارسته لنشاطه وذكر عبدالستار(2012م) أن تقويم كفاءة الأداء المصرفي يتم من خلال تحليل القوائم المالية للمصارف ومعرفة درجة التطور في الأداء وتحديد الإيجابيات والعمل بها وتشخيص السلبيات ومعالجتها

2-2-6: قياس كفاءة أداء المصارف الإسلامية :

تعتمد المصارف الإسلامية لقياس كفاءة أداءها على مجموعة من العوامل و المؤشرات كما بينها القرشي (2005م) وعمر (2005) وعباده (2007) وشحاتة(بدون تاريخ في الآتي :

اولاً كفاءة الأداء الشرعي

ويتحقق كفاءة الأداء الشرعي من خلال السلامة الشرعية في جانب الاستخدامات والسلامة الشرعية في جانب الموارد ودور الهيئة الشرعية وإدارة الرقابة الشرعية في تحقيق السلامة الشرعية ومؤشرات الأداء المتعلقة بالعامل الشرعي تتمثل بوجود هيئة شرعية ومسمياتها وعدد أعضاء الهيئة الشرعية وتخصصات أعضاء الهيئة الشرعية، والدور الذي تقوم به الهيئة، ومواعيد اجتماعات الهيئة وانتظامها ، وأيضاً وجود إدارة رقابة شرعية، و مراقبين شرعيين.

ثانياً كفاءة الأداء المصرفي :

لقد أصبحت المؤشرات المالية المستنتجة من تحليل القوائم المالية من الأدوات ألرئيسية في تقييم كفاءة الأداء المصرفي، حيث توفر هذه المؤشرات معلومات مهمة عن العلاقة بين البنود المختلفة للأنشطة المصرفية يمكن من خلالها دراسة هذه العلاقات والتغير الزمني لها، وكذلك إجراء عمليات مقارنة الأداء المصرفي مع أداء المصارف الأخرى للحكم على كفاءة الأداء المصرفي موضوع التقييم وتحليل أسباب الانحرافات في حال وجودها بالشكل الذي يعطي صورة واضحة عن الخلل وأسبابه وآلية علاجه (الكوزي، واخرون، 1997م) وتوجد كثير من المؤشرات المالية التي تقيس كفاءة أداء المصارف الإسلامية تم اختيار مجموعة منها و استخدامها في هذا البحث مؤشرات تقيس كفاءة التسويق المصرفي ، ومؤشرات تقيس كفاءة رأس المال

1 – كفاءة التسويق المصرفي : وتتحقق كفاءة التسويق المصرفي من خلال تحسين نوعية الخدمات للعملاء، وتحسين الخدمات المصرفية في ظل المنافسة وتوسيع قاعدة الخدمات المصرفية، وتنمية الودائع في المصارف، ورفع الثقة بالمصرف، والمحافظة على اموال المساهمين والمودعين، وسلوكيات العاملين، وأسلوب التعامل مع الزبائن ومحاولة إرضاءهم، وسرعة تقديم الخدمة إلى الزبائن وتقيس مؤشرات كفاءة التسويق المصرفي قدرة المصارف على تقديم خدمات مصرفية بجودة عالية وبأسعار مناسبة مع القدرة على التطوير والتحسين وإيجاد خدمات مصرفية جديدة ومبتكرة وهناك عدد من المؤشرات المالية التي تستخدم في قياس كفاءة التسويق المصرفي في المصارف الإسلامية وأهم هذه المؤشرات التي تم استخدامها في هذا البحث ما يأتي:

أ – معدل نمو الودائع :

يعكس هذا المؤشر مدى مقدرة المصرف على إرضاء الجمهور وبالتإلى تنمية الموارد من خلال تنمية الودائع وتعدد ودائع العملاء وهي أساس نشاط المصرف الإسلامي ومصدر ربحيته، فزيادة الودائع تعني رضى الجمهور عن المصرف بقدر هذه الزيادة.

ب – معدل نمو الحسابات الجارية :

يقيس هذا المؤشر مقدرة المصرف على تقديم خدمات مصرفية تحقق الرضى لعملاء الحسابات الجارية ويدل هذا المؤشر على كفاءة استراتيجيات التسويق والتي تم من خلالها تحديد احتياجات وتطلعات عملاء الحسابات الجارية وتم تلبيتها على شكل خدمات مصرفية تم تقديمها بجودة وتميز يفوق ما يقدمه المنافسون وتأتي أهمية هذا المؤشر من الأهمية التي تتمتع بها الحسابات الجارية كمورد هام من موارد المصرف والتي تعتبر عديمة الكلفة مقارنة بالموارد الاخرى ويعكس هذا المؤشر مدى إقبال الجمهور على هذا النوع من الودائع وهي حسابات غير مكلفة وتعكس مدى قدرة البنك على جذب الودائع الجارية غير المكلفة وتأتي هذه القدرة من حجم الثقة التي يتمتع بها البنك لدي فئات العملاء التي تستخدم الحسابات الجارية (قطاعي التجارة والصناعة، والقطاع الخدمي) بمعنى حجم الحسابات الجارية يعد مؤشراً على نوعية العملاء الذين يتعاملون مع البنك

ج– نسبة الودائع الجارية الى الودائع

يقيس هذا المؤشر مدى كفاءة إدارة المصرف على التسويق لجذب الودائع الجارية وينتج هذا المؤشر من الودائع الجاريةِ إجمإلى الودائع وارتفاع نسبة الودائع الجارية إلى مجموع الودائع يعني انخفاض التكاليف التي يتحملها المصرف مقابل حصوله على الموارد الخارجية لأن الودائع الجارية تعد من الموارد عديمة الكلفة الامر الذي يؤدى إلى زيادة الارباح التي يحصل عليها المساهمون .الشماع،(2002م).

ت - كفاءة رأس المال يعتبر موضوع حجم رأس المال المصرفي واتجاه المصارف إلى تدعيم مراكزها المالية احد الاتجاهات الحديثة في إدارة المصارف وفي إطار سعي الجهاز المصرفي في معظم دول العالم إلى تطور القدرات التنافسية في مجال المعاملات المالية وفي ظل التطورات المتلاحقة التي تشهدها الأسواق العالمية ومع تزايد المنافسة المحلية والعالمية أصبح أي مصرف عرضة للعديد من المخاطر التي قد تنشا من العوامل الداخلية والخارجية التي يعمل فيها المصرف وأولى الخبراء في مجال المصارف اهتماما كبيراً بحجم رأس المال نظراً لأنه خط الدفاع الأول في حالة تعرض المصارف لخسائر بسبب توظيف الأموال في عمليات مخاطر ويعتبر رأس المال مؤشراً لقياس الأمأن وقابلية المصرف على رد الودائع ومعدل حقوق الملكية للأصول الخطرة وهامش الأمأن في مقابلة مخاطر الاستثمار خالص،(2004). وتقيس مؤشرات كفاءة رأس المال كفاءة درجة استخدام المصرف للمطلوبات قياساً بحقوق الملكية ضمن مزيج الهيكل المإلى وكيفية الاستفادة من الرفع المإلى في تحسن الربحية ومدى متانة رأس المال الملاءة المصرفيّة الشماع (2002) ويوجد كثير من المؤشرات لقياس كفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية وأهم المؤشرات التي تم استخدامها في هذ البحث الآتي :

ا - معدل نمو حقوق المساهمين

يبين هذ المؤشر معدل التطور في حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية ويبين معدل تطور حقوق المساهمين سواء بسبب الزيادة في رأس المال أو بسبب العائد عليها

ب- معدل كفاية رأس المال :

يعكس هذا المؤشر مدى قدرة المصارف الإسلامية على الإيفاء بمتطلبات لجنة بازل 2 فضلاً عن متطلبات البنك المركزي في بلدانها ويمكن تعريف معيار كفاية رأس المال بانه اداة رقابية تحليلية تؤشر مدى كفاية رأس المال ومتانته وتهدف هذه النسبة إلى تقويم كفاءة رأس المال في مواجهة المخاطر المحتملة التي قد تتعرض لها أصول المصرف

3-6: **الدراسات السابقة** : نظراً لأهمية الدراسات السابقة في تحديد مسار البحث نحو تحقيق الهدف منه ، وتحقيق التكامل من الجهد المبذول تم عرض مجموعة من الدراسات السابقة والبحوث ذات الصلة بموضوع البحث

6 -3 -1: دراسة الغزي(2012) أثر التخطيط الاستراتيجي في نجاح البنوك الإسلامية اليمنية

هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في البنوك الإسلامية اليمنية والتعرف على مستوى نجاح البنوك الإسلامية اليمنية ومعرفة أثر ممارسة التخطيط الاستراتيجي في مستوى نجاح البنوك الإسلامية اليمنية اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي واستخدام SPSS في التحليل الإحصائي ومن أهم نتائج الدراسة أن البنوك الإسلامية اليمنية تمارس التخطيط الاستراتيجي

بمستوى عإلى من وجهة نظر العينة بنسبة 71.7٪ و مستوى نجاح البنوك الإسلامية اليمنية كأن عاليا بنسبة 68.3٪ هناك علاقة ارتباط إيجابية عالية بين التخطيط الاستراتيجي ونجاح البنوك الإسلامية بنسبة 72.6٪ ومن أهم التوصيات التي خرجت بها الدراسة ضرورة ممارسة أنشطة التخطيط الاستراتيجي من قبل البنوك الإسلامية بشكل أوسع من الممارسة الحالية وأن تقوم البنوك الإسلامية بنشر التوعية المستمرة بين موظفيها بأهمية ممارسة أنشطة التخطيط الاستراتيجي وبأثر ذلك في نجاحها وإنشاء إدارة أو وحدة إدارية تختص بالتخطيط الاستراتيجي في كل بنك.

6- 3- "2 دراسة الناصر (2003م) التخطيط الاستراتيجي ودوره في رفع الكفاءة الإنتاجية من وجهة نظر المستفيدين بالإدارة العامة للدوريات الأمنية هدفت الدراسة إلى التعرف على خصائص التخطيط الاستراتيجي الأمني في الإدارة العامة للدوريات الأمنية، والكشف عن معايير نجاح التخطيط الاستراتيجي لدى الإدارة العامة للدوريات الأمنية والمؤثرة على كفاءة إنتاجيتهم، وعن أثر معوقات التخطيط الاستراتيجي في الإدارة العامة للدوريات الأمنية، والتعرف على مدى مشاركة القيادات التنفيذية في الإدارة العامة للدوريات الأمنية في وضع الخطط الاستراتيجية واعتمدت الدراسة على الاستبيأن كأداة لجمع البيانات، وتعكس محاور البحث، وتم تطبيق البحث على جميع أفراد مجتمع البحث وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها فيما يتعلق بخصائص التخطيط الاستراتيجي المتوفرة في الإدارة العامة للدوريات الأمنية، تبين أن أكثر الخصائص توفراً، وجود رقابة وتقويم على مستوى الجهاز ككل وعلى مستوى القطاعات الرئيسية لنشاط الجهاز للتأكد من أن الأنشطة تسير وفق الخطط الاستراتيجية وأقل الخصائص توفراً، تتعلق بوضع خطط طويلة الأمد في الجهاز لدراسة المشكلات المستقبلية المحتمل والاستعداد لحلها أما فيما يتعلق بعبارات محور مدى مشاركة القيادات التنفيذية في الإدارة العامة للدوريات الأمنية في وضع الخطط الاستراتيجية، تبين أن الاختصاص الرئيسي لمسؤولية إعداد التخطيط الاستراتيجي مقتصرة فقط على الإدارات العليا وفيما يتعلق بمعوقات التخطيط الاستراتيجي في الإدارة العامة للدوريات تبين أن أكبر المعوقات يتمثل في المركزية الشديدة في عملية التخطيط واتخاذ القرارات، وفيما يتعلق بمتطلبات نجاح التخطيط الاستراتيجي لدى الإدارة العامة للدوريات الأمنية لرفع الكفاءة الإنتاجية، وأوصت الدراسة الاهتمام بشكل أكبر بالتخطيط الاستراتيجي في الإدارة العامة للدوريات المرورية، وتقبل دور مشاركة القيادات التنفيذية للرفع من كفاءة التخطيط الاستراتيجي في الإدارة العامة للدوريات المرورية وللحد من معوقات التخطيط الاستراتيجي أوصت الدراسة، بالحد من المركزية الشديدة في عملية التخطيط الاستراتيجي، ودعم الجهاز بالكفاءة والقيادات المتخصصة، والاهتمام بوضع المعايير المحددة لقياس الأداء في الجهاز

6- 3- :3 دراسة ميا وعلى(2007م) الإدارة الاستراتيجية وأثرها في رفع أداء منظمات الأعمال.

سعت الدراسة إلى تحقيق هدف إيضاح مفهوم الإدارة الاستراتيجية ومكوناتها وأهميتها وضرورة تطبيقها في منظمات الأعمال الصناعية العامة ، وتشخيص الممارسة الفعلية للإدارة الاستراتيجية في منظمات الأعمال الصناعية العامة في الساحل السوري، وقد أوضحت نتائج الدراسة أن عدد محدود جداً من مدراء المنظمات لديهم معلومات عن مفهوم الإدارة الاستراتيجية ومكوناتها كما أوضحت النتائج وجود قصور كبير وواضح في كيفية وضع الدعائم الاستراتيجية في المنظمات عن كيفية وضعها بالمفهوم العلمي والواجب تطبيقها أهم توصيات الدراسة السعي لتطبيق أسلوب الإدارة الاستراتيجية بجميع مكوناته بمفهوم علمي و بشكل جاد في المنظمات الصناعية العامة في القطر العربي السوري باعتباره مطلباً ملحاً وللإستفادة من مزاياه في رفع أداء المنظمة.

.6- 3- 4: دراسة عثمان(1993م) التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية أنماطه وتأثيره على كفاءة وفاعلية صناعة الغزل والنسيج هدفت الدراسة إلى رفع كفاءة وفاعلية استخدام الموارد البشرية في قطاع الغزل والنسيج بجمهورية مصر العربية وبالتإلى الكفاءة والفاعلية الكلية لشركات هذا القطاع وذلك من خلال استخدام منهج شامل ومتكامل وهو منهج التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية وأيضاً توجيه أنظار رجال الإدارة العليا في الشركات إلى ضرورة الاهتمام بمنهج التخطيط الاستراتيجي بشكل عام والتخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية بشكل خاص ومن أهم النتائج والتوصيات اتضح من الدراسة أن مشكلة الكفاءة والفاعلية أخطر من أن تناولها من خلال نظرة جزئية قصيرة المدى فهي متشعبة وتحتوي على أكثر من زاوية بعضها متعلق بالأهداف وبعضها بالبيئة الداخلية بمكوناتها المختلفة والبعض الآخر بالبيئة الخارجية بما فيها من عناصر متباينة متعددة، ومن هنا يكمن أهمية التخطيط الاستراتيجي وهو المنهج الشمولي الذي يقوم على رؤية شاملة وإجمالية وتخضع أبعاد أي موقف للتحليل البيئي الداخلي والخارجي وتبحث عن الاستراتيجيات البديلة كذلك اتضح من الدراسة أن التخطيط الاستراتيجي لا يتم على مستوى المنظمة فقط وإنما ايضاً على مستوى الإدارات الوظيفية المكونة لها وهذه الاستراتيجيات الوظيفية تعمل دائماً في ظل الاستراتيجيات الخاصة بالمنظمات واتضح أن أهم هذه الاستراتيجيات على الإطلاق هي استراتيجية الموارد البشرية فهي العنصر الرئيسي لإنجاح جميع الاستراتيجيات الوظيفية الأخرى وقد توصلت الدراسة لتطبيقية لموضوع البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات وتم تقسيم هذه النتائج والتوصيات إلى الأقسام التالية قسم متعلق بالمفاهيم التخطيطية لدى أعضاء الإدارة العليا بشركات الغزل والنسيج قسم متعلق بارتباط استراتيجية الموارد البشرية بالاستراتيجية العامة في شركات الغزل والنسيج وقسم متعلق بتحليل البيئة الخارجية المحيطة بشركات الغزل والنسيج والمؤثرة على مواردها البشرية و قسم متعلق بتحليل نظام المواردالبشرية داخل شركات الغزل والنسيج وقسم متعلق باختيار البدائل الاستراتيجية ومتابعة تنفيذها

6- 3- :5 دراسة سماحة (1994م) التخطيط الاستراتيجي للإنتاج كمدخل لرفع كفاءة وفاعلية القطاع الصناعي تسعى الدراسة إلى التعرف على مدى إتباع الشركات لمدخل التخطيط الاستراتيجي للإنتاج اعتمد الباحث في إعداد الدراسة على أسلوب المقابلات الشخصية المتعمقة مع المسئولين بقطاع الدراسة ودراسة المراجع والدوريات الأجنبية والعربية والتقارير المتاحة المتعلقة بموضوع الدراسة والتحليل المتعمق لنتائج أداء شركات هيئة القطاع العام لمواد ومستلزمات البناء وشمل مجتمع البحث جميع شركات هيئة القطاع العام لمواد ومستلزمات البناء وعددها 13 شركة ومن أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة تعدد وتكرار وتماثل أوجه القصور والضعف في تخطيط وتنفيذ مشروعات التوسع وانخفاض كفاءة استخدام كافة عناصر الإنتاج وانخفاض القدرات الإنتاجية التنافسية لنظم الإنتاج بمعظم الشركات وانحدار القدرات الإنتاجية التنافسية للقطاع ككل وفشل استراتيجية التوسع لكافة المنتجات فيما عدا الاسمنت وانخفاض فعالية القطاع ككل وعدم قدرة العديد من الشركات على تحديد نوعية نتائج الأعمال القادرة على تحقيقها، وعلى ذلك أثبتت الدراسة صحة فروض البحث .وتقديم مجموعة مؤشرات عامة يسترشد بها في التعرف على مدى حاجة المنظمة إلى اتباع نظام التخطيط الاستراتيجي وتحديد ملامحه العامة وتقديم إطار عام مقترح للعلاقة الاستراتيجية بين وظيفة الإنتاج وكل من المنظمة والوظائف الرئيسية الأخرى وتقديم إطار عام مقترح لنظام التخطيط الاستراتيجي للإنتاج واقتراح وتطبيق أسلوب لقياس القدرات التنافسية والجزئية والكلية لنظم الإنتاج للسوق وتحديد أوجه قوتها أو ضعفها.

3- :6 دراسة عسكر (2006م) التخطيط الاستراتيجي كأداة لتحسين معايير أداء البنوك التجارية في مصر تهدف الدراسة إلى محاولة صياغة منهجية للتخطيط الاستراتيجي بالبنوك التجارية "محل الدراسة" تستهدف التعرف على أوجه الخلل لعوامل التخطيط الاستراتيجي في إدارة العوائد لدى البنوك التجارية وتفعيل إدارة العوائد كهدف رئيسي لديها وتقييم استراتيجية التنويع في محفظة الإقراض والخصم لدى البنوك التجارية في مصر "قطاع عام وقطاع خاصّ خلال فترة الدراسة للكشف عن نمط كفاءة متخذ القرارات واستخدام بعض المؤشرات الرئيسية لمعيار كفاءة رأس المال كنموذج تمهيدي للحكم على مدى كفاءة البنوك التجارية محل الدراسة وقياس مدى انعكاس عملية التخطيط الاستراتيجي بأبعادها المختلفة على إدارة الموارد البشرية ومعالجة مشكلة معدل دورأن العمالة لدى البنوك التجارية في مصر. اعتمد الباحث على الدراسة النظرية والدراسة الميدانية واستخدم أساليب التحليل الإحصائيّ الوصفية والتحليليّة برنامج spss وبرنامج تحليل المخاطرة ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وجود اختلاف في كفاءة إدارة استراتيجية التنويع بمحفظة الإقراض والخصم لدى البنوك التجارية من مصر وتعد متدهورة جداً حيث تراوحت كفاءتها ما بين 0.001٪ إلى 0.0016٪ أي تقترب من الصفر وبشأن كفاءة إدارة استراتيجية كفاية رأس المال لدى البنوك التجارية في مصر فقد استخدم الباحث ثلاث مؤشرات

كنموذج للدراسة التمهيدية وانتهى إلى أن بنوك القطاع العام يمثل إلى البعد عن متطلبات معيار بازل 2 في حين أن بنوك القطاع الخاص التجارية يمثل إلى القرب من تطبيق ذلك المعيار استناداً إلى ثلاث مؤشرات هي معدل التوليد الداخلي لرأس المال مؤشر حقوق الملاك إجمإلى الأصول مؤشر حقوق الملاك إجمإلى القروض. ومن أهم التوصيات التي خرجت بها الدراسة: على مسئولي التخطيط الاستراتيجي بالإدارة العليا للبنوك التجارية في مصر سرعة التنبه إلى اكتشاف الخلل الذي يعاني منه معدل العائد على حقوق الملكية في مكونيه (العائد على الاستثمار ومضاعف حق الملكية وبذلك يوصي الباحث بتنشيط العائد على الاستثمار بزيادة تدفقات الإيرادات وتنشيط مضاعف حق الملكية بالعمل على زيادة الأصول بنسبة أكبر من زيادة حقوق الملكية مع الالتزام بمعايير كفاية رأس المال حسب متطلبات بازل (2)، أي يجعل معدل نمو الأصول يفوق معدل نمو حق الملكية ولتعظيم الاستفادة من المحددات الداخلية لمعدل العائد على الاستثمار وصى الباحث بأمرين بالنسبة لبنوك القطاع العام التجارية عليها ضرورة الاهتمام بوضع استراتيجيتين أساسيتين في اتجاهات معدل العائد علي الاستثمار هي استراتيجية نمو الأصول "داخل الميزّانية واستراتيجية نمو الالتزامات العرضيّة خارج الميزّانية بالنسبة لبنوك القطاع الخاص التجارية عليها ضرورة الاهتمام بوضع ثلاث استراتيجيات أساسية للتحكم في اتجاهات معدل العائد على الاستثمار استراتيجية نمو الأصول استراتيجية نمو الوحدات "الانتشار الجغرافي للفروع استراتيجية البحوث والتطوير لملاحقة التطورات الفكرية والتكنولوجية في الصناعة المصرفية حول العالم.

6- 3- 7: دراسة محمود (2003م) التخطيط الاستراتيجي للتسويق كمدخل لتعظيم قيمة المنشأة.

تهدف الدراسة إلى التعرف على أهم أبعاد التوجيه بالتخطيط الاستراتيجي للتسويق المؤثرة على تعظيم قيمة المنشأة في الشركات محل الدراسة والكشف عن طبيعة وجوهرية ونوع العلاقة بين أبعاد التوجه بالتخطيط الاستراتيجي للتسويق والمتغيرات التابعة، اعتمد الباحث على المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي وعلى منهج تناول الأشياء والمنهج الايجابي والمنهج المعياري ومجتمع الدراسة هي الشركة القابضة للصناعات الهندسية والتي تشرف على 24 شركة تابعة لها اعتمد الباحث الدراسة النظرية والدراسة الميدانية .ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وجود فروق معنوية عند مستوى معنوية(0.05) في التوجه بأبعاد التخطيط الاستراتيجي للتسويق بين الشركات المتعثرة والرابحة اختلفت أولوية تأثير نوع التوجه بأبعاد التخطيطي الاستراتيجي للتسويق على مؤشرات تعظيم قيمة المنشأة باختلاف نوع المؤشر المستخدم على مستوى الشركات المتعثرة والشركات الرابحة وعدم وجود فروق جوهرية عند مستوى معنوية (0.05)بين الشركات المتعثرة والرابحة على مدى إدارتهم لتأثير عناصر البيئة الخارجية ووجود فروق جوهرية عند مستوى معنوية 0.05 بين الشركات المتعثرة والرابحة في مدى استخدامها لأساليب وأدوات

التخطيط الاستراتيجي على مستوى وحدة الأعمال أو النشاط أو المنتج ومن أهم التوصيات التي خرجت بها الدراسة هي ضرورة تبني إدارة الشركات محل الدراسة التوجه بأبعاد التخطيط الاستراتيجي للتسويق

6- 3- 8: دراسة الغالبي و إدريس(2009) علاقة الاتجاه الاستراتيجي بالأداء التنظيمي دراسة تطبيقية في صناعة المصارف التجارية الاردنية .

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مكونات الاتجاه الاستراتيجي في المصارف عينة الدراسة والتعرف على العلاقة بين مكونات الاتجاه الاستراتيجي والأداء التنظيمي تم اختيار 6 بنوك اردنية وتكونت عينة الدراسة من المديرين ورؤساء الاقسام في البنوك التجارية الاردنية ومن أهم نتائج الدراسة هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مكونات الاتجاه الاستراتيجي للبنك وكل من الأداء المإلى والعملياتي وهناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين رسالة البنك وكل من الأداء المإلى والعملياتي وهناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين قيم البنك وكل من الأداء المالى والعملياتي وعلاقة ذات دلالة إحصائية بين رؤية البنك وكل من الأداء المإلى والعملياتي قدمت الدراسة العديد من التوصيات أهمها ضرورة الربط بين مكونات الاتجاه الاستراتيجي وكل من الأداء المإلى والعملياتي في البنوك الاردنية قيد الدراسة ومن الضروري أن يدرك المديرون ورؤساء الأقسام في البنوك الأردنية أهمية الاتجاه الاستراتيجي في تدعيم الموقف التنافسي للبنك من خلال الأداء المإلى والعملياتي في الوقت الحاضر والمستقبل .

7: **منهجية البحث**: تشمل منهجية البحث الاتي:

7-1: **نوع البحث** : يقوم البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بوصف ودراسة الظواهر التي يهتم بها البحث كما هي في الواقع ويعمل على شرح طبيعة العلاقات بين المتغيرات الموجودة، ويؤسس علاقة السبب والنتيجة (العريقي، 2007م) كما يهتم بمعرفة الاتجاهات الكامنة في البيانات بهدف الوصول من خلالها إلى تعميمات تمكن التنبؤ بالمستقبل ومعرفة ارتباط متغير معين بمتغير آخر ومعرفة النزعة المركزية والانحرافات في البيانات (الأديمي، 2006م)

7- 2: عينة البحث تتمثل في عينة حصرية تضم الأفراد على مستوى الإدارة العليا والإدارة التنفيذية في المصارف الإسلامية اليمينة وعددهم (354) وتتمثل بالإدارة العليا (رئيس مجلس الإدارة /نائب رئيس مجلس إدارة /عضو مجلس إدارة عضو مجلس إدارة منتدب /مدير عام ونائب مدير عام) والإدارة القطاعية (مساعد مدير عام مدير قطاع مساعد مدير قطاع) والإدارة الوظيفية (مدير إدارة /فرع-مساعد مدير إدارة/فرع-مدير مكتب) ورؤساء ومشرفي الاقسام والجدول (7- 1) يوضح توزيع عينة البحث

جدول (7-1) **توزيع عينة البحث حسب المصارف**

م	اسم المصرف	العدد	النسبة
1	البنك الاسلامي اليمني للتمويل والاستثمار	51	٪14
2	بنك التضامن الاسلامي الدولي	140	٪40
3	بنك سبأ الاسلامي	102	٪29
4	مصرف اليمن البحرين الشامل	61	٪17
	الاجمالي	**354**	**٪100**

المصدر إعداد الباحث بحسب إفادة إدارة الموارد البشرية بالمصارف (مارس 2013م)

7-3: **مصادر جمع المعلومات والبيانات**: تم جمع المعلومات والبيانات من خلال المصادر التالية:

7-3-1: **المصادر الثانوية**: تم الحصول على المعلومات والبيانات واستخلاصها من المصادر الثانوية المتمثلة في التقارير والقوائم المالية في المصارف الإسلامية اليمنية ، والاطلاع على ما نشر في الكتب العلمية والدوريات المتخصصة والدراسات السابقة ومواقع الانترنت .

7-3-2: **المصادر الاولية :** تم الحصول على المعلومات والبيانات من خلال جمعها من مجتمع البحث وعينته.

7-4: **أدوات البحث** :تم جمع بيانات البحث عن طريق أسلوب الاستبانة من المصادر الأولية وأسلوب الاستخلاص من القوائم المالية وبقية المصادر الثانوية.

.7-4-1: **الاستبيأن** :يتكون الاستبيأن من قسمين القسم الأول البيانات الشخصية وهي (المؤهل العلمي – الجنس – المستوى الوظيفي – سنوات الخبرة في البنك – مكأن الوظيفة – العمر – البنك) القسم الثاني فقرات المتغير المستقل للدراسة والمتعلق بممارسة التخطيط الاستراتيجي وفق منهجية علمية وتم توزيعها على مرحلة التهيئة والاعداد للتخطيط الاستراتيجي ومرحلة صياغة الخطة الاستراتيجية ومرحلة تنفيذ الخطة الاستراتيجية ومرحلة متابعة تنفيذ الخطة الاستراتيجية ثم مرحلة رقابة وتقويم ومراجعة الخطة الاستراتيجية

حيث بلغت عدد فقرات الاستبيأن (131) فقرة والجدول (7- 2) يوضح توزيع فقرات الاستبيأن على مراحل التخطيط الاستراتيجي

الجدول (7-2)

توزيع فقرات الاستبيأن على مراحل التخطيط الاستراتيجي وفق منهجية علمية

المرحلة	النشاط		عدد الفقرات
	الرئيسي	الفرعي	
التهيئة والاعداد للتخطيط الاستراتيجي			15 فقرة
صياغة الخطة الاستراتيجية	تحديد الاتجاه الاستراتيجي	الرؤية	15 فقرة
		الرسالة	17 فقرة
		القيم التنظيمية	6 فقرات
		الأهداف الاستراتيجية	11 فقرة
	التحليل الاستراتيجي للبيئة	التحليل الاستراتيجي للبيئة الداخلية	8 فقرات
		التحليل الاستراتيجي للبيئة الخارجية	5 فقرات
	الموقف الاستراتيجي للبنك		8 فقرات
	الخطة الاستراتيجية العامة والقطاعية والوظيفية وعلى مستوى الاقسام		7 فقرات
تنفيذ الخطة الاستراتيجية			13 فقرة
متابعة تنفيذ الخطة الاستراتيجية			7 فقرات
رقابة وتقويم ومراجعة الخطة الاستراتيجية			19 فقرة
الاجمـــــــــــــــــــــــــــــالي			131 فقرة

المصدر إعداد الباحث (2013م)

تم توزيع الاستبيأن خلال شهري (مارس وابريل) 2013م بعد أخذ الموافقة بالتوزيع من الإدارات المعنية بالمصارف الإسلامية اليمنية والجدول (7- 3) يوضح توزيع الاستبيأن على المصارف الإسلامية اليمنية والمرتجع من الاستبيان

جدول (7-3)

يوضح توزيع الاستبيأن على المصارف الإسلامية اليمنية والمرتجع من الاستبيان

م	اسم المصرف	مجتمع البحث	الموزع		المرتجع	
			عدد	النسبة	عدد	النسبة
1	البنك الاسلامي اليمني للتمويل والاستثمار	51	47	92٪	42	89٪
2	بنك التضامن الاسلامي الدولي	140	130	93٪	122	94٪
3	بنك سبأ الاسلامي	102	95	93٪	83	89٪
4	مصرف اليمن البحرين الشامل	61	57	94٪	52	91٪
	الاجمالي	354	329	93٪	299	91٪

المصدر إعداد الباحث بحسب الدراسة الميدانية (2013م)

يلاحظ من الجدول (7- 3) الخاص بتوزيع الاستبيأن على المصارف الاسلامية اليمنية والمرتجع من الاستبيأن أن مجتمع البحث (354) و الاستبيانات الموزعة (329) بنسبة 93٪ من مجتمع البحث حيث وجدت صعوبة للوصول لبعض اعضاء مجلس الإدارة .و الاستبيانات المرتجعة هي (299) بنسبة 91٪ من الاستبيانات الموزعة وأثناء إدخال البيانات تم استبعاد عدد(2) استبانة غير صالحة وبذلك يكون العدد الصحيح والسليم من الاستبيانات هو (297) بنسبة 84٪ من مجتمع الدراسة .

7-4-2: **صدق أداة البحث** :لضمأن صدق وثبات أداة القياس تم توزيع قائمة الاستبيأن على بعض المختصين في قيادات المصارف الإسلامية اليمنية بهدف التعرف على مدى وضوح الأسئلة وسهولة فهمها ودرجة شموليتها وعرض الاستبيأن على مجموعة من الأكاديميين بعد تزويدهم بمشكلة وأسئلة وأهداف وفرضية البحث وذلك لمعرفة آرائهم بفقراتها ومدى وضوحها وترابطها وملاءمتها للاستخدام من اجل الحصول على إجابات لأسئلة البحث وتحقيق أهدافه ولاختبار صدق وثبات الاستبيأن .ومدى انسجام العبارات التي تحتويها مقاييس الدراسة وتطابقها مع أسئلة وأهداف البحث وتبعاً للتغذية العكسية تم إعادة صياغة بعض العبارات وحذف بعضها واعادة ترتيب الاستبيأن والمناقشة مع الاكاديميين والمختصين في الاحصاء في جامعة الجزيرة . ولمعرفة نسبة ثبات أداة جمع البيانات ومصداقية اجابة العينة على فقرات الاستبيأن تم استخدام اختبار ألفا كرو نباخ (.cronbach،
s ALPHa) حيث أن قيمة معامل ألفا كرو نباخ تأخذ قيمًا تتراوح بين الصفر والواحد الصحيح وتعكس

مدى الارتباط بين أسئلة الاستبيأن فإذا كانت قيمة الفا صفر فأن ذلك يشير إلى حالة عدم ارتباط مطلق بين الأسئلة أما إذا كانت قيمته الواحد الصحيح فأن ذلك يشير إلى أن الاسئلة مرتبطة تماماً وتعتبر القيمة المقبولة إحصائياً لمعامل ألفا هي(0.6) فأكثر أما إذا كانت القيمة أقل من ذلك فإنها تعتبر ضعيفة

ويوضح الجدول (7- 4) نتائج اختبار ألفا كرو نباخ لجميع فقرات الاستبيأن للتأكد من نسبة ثبات الاستبيأن وصدق آراء العينة

الجدول (7-4)

نتائج اختبار ألفا كرو نباخ لجميع فقرات الاستبيان

المرحلة	النشاط: الرئيسي	النشاط: الفرعي	عدد الفقرات	درجة الثبات	درجة المصداقية
التهيئة والإعداد للتخطيط الاستراتيجي			15	0.95	0.91
صياغة الخطة الاستراتيجية	تحديد الاتجاه الاستراتيجي	الرؤية	15	0.93	0.88
		الرسالة	17	0.91	0.83
		القيم التنظيمية	6	0.90	0.81
		الأهداف الاستراتيجية	11	0.93	0.87
	الإجمالي		64	0.95	0.91
	التحليل الاستراتيجي للبيئة	التحليل الاستراتيجي للبيئة الداخلية	8	0.95	0.91
		التحليل الاستراتيجي للبيئة الخارجية	5	0.90	0.81
	الإجمالي		13	0.93	0.88
	الموقف الاستراتيجي للبنك		8	0.91	0.84
	الخطة الاستراتيجية العامة والقطاعية والوظيفية وعلى مستوى الأقسام		7	0.88	0.79
الإجمالي			92	0.92	0.85
تنفيذ الخطة الاستراتيجية			13	0.97	0.95
متابعة تنفيذ الخطة الاستراتيجية			7	0.98	0.97
رقابة وتقويم ومراجعة الخطة الاستراتيجية			19	0.96	0.93
الاجمالي			131	0.97	0.96

المصدر المحلل الاحصائي

يتضح من الجدول (7- 4) الخاص باختبار ألفا كرو نباخ لجميع فقرات الاستبيأن أن قيمة معامل الثبات لجميع فقرات الاستبيأن بلغت (0.97) وهذا يعني قوة ثبات فقرات الاستبيأن وأن المقياس صالح لقياس ما وضع لقياسه، كما يتضح أن نسبة المصداقية لإجابات العينة بلغت (0.96) وهذا يعني أن درجة مصداقية الإجابات مرتفعة جداً ايضاً مما يدل على قوة مساهمة كل فقرة من فقرات الاستبيأن في بناء الدرجة الكلية للقياس

7-5: **طريقة تحليل البيانات** : تم ترميز البيانات والمعلومات وإدخالها في الحاسب الآلي ثم تحليلها باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) و استخدام مستوى الدلالة النظرية (0.05) في اختبار دلالة الفرضيات واستخدام الادوات الإحصائية الوصفية الوسط الحسابي والانحراف المعياري واستخدام الأدوات الإحصائية الاستدلالية معامل الفا كرو نباخ ومعامل الارتباط بيرسون

7-5-1: **معامل الارتباط بيرسون**:

يعرف معامل الارتباط بأنه مقياس لدرجة قوة العلاقة الخطية واتجاهها بين متغيرين وأنه مقياس إحصائي يستخدم لبيأن نوع العلاقة بين المتغيرين (المزاح، 2013م) .و لمعرفة مدى وجود علاقة ارتباط بين المتغير المستقل مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي وفق منهجية علمية وبين المتغيرات التابعة وهي كفاءة التسويق المصرفي ورأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية وما هو اتجاه الارتباط في حالة وجود ه (قوي متوسط ضعيف .) ونوع العلاقة (طردي، عكسي) تم استخدام معامل الارتباط بيرسون (Pearson) (نسبة للعالم كارل بيرسون) ويعتبر من أشهر الطرق لقياس معامل الارتباط بين متغيرين نسبيين أو فئويين فيما بينهم ويستخدم عندما يكون كلا المتغيرين كمي ويقاس بمقياس فئوي ويعتبر الأكثر كفاءة ودقة في حالة كون قيم المتغيرين كمية وهو المقياس المناسب لدراسة العلاقة بين البيانات الكمية المزاح،(2013م) فبيانات القوائم المالية كمية والاستبيأن بياناته نوعية فتم توليد متغيرات جديدة وبصورة كمية لكل محور من محاور الاستبيأن وبعدها تم إيجاد معامل ارتباط بيرسون .

و لدراسة قوة الارتباط بين المتغيرين (x، y) بوجود ارتباط أو علاقة بين x، y وقياس لقوة العلاقة بين x، y. .يقيس مدى تغير y حال زيادة قيمة x فهل y تزداد بزيادة x (ارتباط موجب) أو تنقص بزيادتها (ارتباط سالب) أو لا تتأثر بزيادة x (لا يوجد ارتباط) .ويقاس من خلال المعادلات الاتية :

$$r = \frac{\sum_{i=1}^{n}(X_i - \bar{X})(Y_i - \bar{Y})}{(n-1)S_x S_y} \quad Or$$

$$r = \frac{n(\sum X_i Y_i) - (\sum X_i)(\sum Y_i)}{\sqrt{n(\sum X_i^2) - (\sum X_i)^2}\sqrt{n(\sum Y_i^2) - (\sum Y_i)^2}} \quad Or$$

$$r = \frac{\sum_{i=1}^{n} X_i Y_i - n\bar{X}\bar{Y}}{\sqrt{\sum X_i^2 - n\bar{X}^2}\sqrt{\sum Y_i^2 - n\bar{Y}^2}} \quad Or$$

$$r = \frac{\sum (X - \bar{X})(Y - \bar{Y})}{\sqrt{\sum (X - \bar{X})^2}\sqrt{\sum (Y - \bar{Y})^2}}$$

X المتغير المستقل

Y لمتغير التابع

r معامل ارتباط بيرسون

$\bar{X}$ الوسط الحسابي للمتغير المستقل x_1، x_2، .. x_n

$\bar{Y}$ الوسط الحسابي للمتغير التابع y_1، y_2، .. y_n

S_x الانحراف المعياري للمتغير المستقل x_1، x_2، .. x_n

S_y الانحراف المعياري للمتغير التابع y_1، y_2، .. y_n

N حجم العينة

وتقاس درجة الارتباط وفقا للجدول (7- 5)

الجدول (7-5)

درجة قوة ارتباط بيرسون

قيمة R	درجة الارتباط
من 0- 0.49	ضعيفة
من 0.50- 0.79	متوسطة
من 0.80فاكثر	قوية

المصدر الاحصاء للعلوم الاجتماعية

ويتراوح قيمة معامل الارتباط بين(1-) و(1+) وكلما اقترب معامل الارتباط من 1 كانت العلاقة قوية و من-0 إلى اقل من 0.50 علاقة ضعيفة ومن 0.50 إلى أقل من 0.80 علاقة متوسطة ومن 0.80 فأكثر العلاقة قوية وتكون العلاقة طردية عندما يكون معامل الارتباط موجب والعلاقة عكسية عندما يكون معامل الارتباط سالب.

8- كفاءة التسويق المصرفي في المصارف الإسلامية اليمنية

8-1 : مؤشرات قياس كفاءة التسويق المصرفي في المصارف الإسلامية اليمنية:

تقيس هذه المؤشرات قدرة المصارف الإسلامية اليمنية على تقديم خدمات مصرفية بجودة عالية وبأسعار مناسبة وقدرتها على التطوير والتحسين وإيجاد خدمات مصرفية جديدة ومبتكرة وتوجد عدد من المؤشرات التي تستخدم في قياس كفاءة التسويق المصرفي في المصارف الإسلامية تم استخدام بعض منها لقياس كفاءة التسويق المصرفي في المصارف الإسلامية اليمنية على النحو الآتي:

8-1-1: معدل نمو الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية :

يعكس هذا المؤشر مدى مقدرة المصارف الإسلامية اليمنية على ارضاء الجمهور وبالتالى تنمية الموارد من خلال تنمية الودائع وتعدد ودائع العملاء، فزيادة الودائع تدل على كفاءة استراتيجيات التسويق وبالتإلى رضي الجمهور عن المصارف الإسلامية اليمنية بقدر هذه الزيادة و الجدول (8- 1) والشكل (1) يبين معدل نمو الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية

الجدول (8-1)

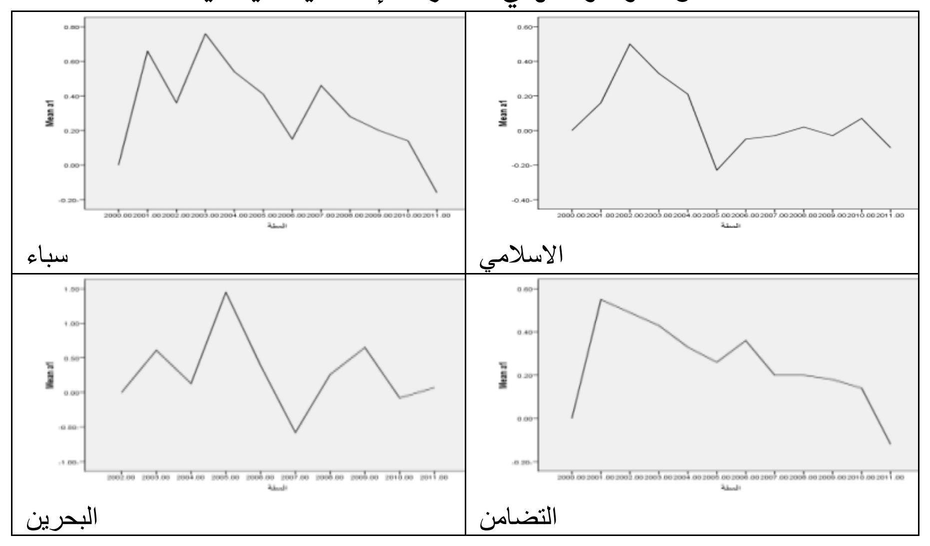
معدل نمو الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية

اسم المصرف	سنة الأساس 2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	المتوسط
الإسلامي اليمني	0%	16%	50%	33%	21%	-23%	-5%	-3%	2%	-3%	7%	-10%	7%
التضامن الإسلامي الدولي	0%	55%	49%	43%	33%	26%	36%	20%	20%	18%	14%	-12%	25%
سبأ الإسلامي	0%	66%	36%	76%	54%	41%	15%	46%	28%	20%	14%	-16%	32%
اليمن البحرين الشامل			0%	61%	13%	145%	39%	-58%	26%	65%	-8%	7%	24%

المصدر إعداد الباحث من التقارير السنوية المنشورة للمصارف الإسلامية اليمنية(2013)

الشكل (1)

معدل نمو الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية



المصدر اعداد الباحث(2013)

يلاحظ من الجدول (8- 1) والشكل (1) الخاص بمعدل نمو الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية خلال الفترة أن معدل نمو الودائع في المصارف الأربعة وفي جميع السنوات تتفاوت من عام لآخر بل إن جميع المصارف

حققت تراجعاً في معدل النمو في بعض الأعوام فقد كأن أعلى معدل نمو في الودائع في البنك الإسلامي اليمني عام 2002 بنسبة(50٪) وأدنى معدل نمو في عام 2010م بنسبة (7٪) كما أن البنك حقق تراجع في معدل النمو في بعض الأعوام كانت أعلى معدل تراجع عام 2005م بنسبة (23٪-) كما يشير الجدول إلى أن أعلى معدل نمو في الودائع في بنك التضامن الإسلامي الدولي كانت عام 2001 م بنسبة(55 ٪) وأدنى معدل نمو عام 2010م بنسبة (14٪) في حين تراجع معدل النمو عام 2011م بنسبة (12 -) .ويبين الجدول أن أعلى معدل نمو في الودائع في بنك سبأ الإسلامي كانت عام 2003م بنسبة (76٪) وأدنى معدل نمو عام 2010م بنسبة (14٪) في حين تراجع معدل النمو عام 2011م بنسبة (16 -) ويوضح الجدول أن أعلى معدل نموفي الودائع في مصرف اليمن البحرين الشامل كانت عام 2005 بنسبة (145٪) وأدنى معدل نمو عام 2011م بنسبة (7٪) كما أن المصرف حقق تراجعاً في بعض الأعوام كانت أعلى معدل تراجع عام 2007م بنسبة (58 -) ويظهر من الجدول أن بنك سبأ الاسلامي حقق اعلى متوسط معدل نمو الودائع بنسبة (32٪) وفي المرتبة الثانية بنك التضامن الإسلامي الدولي بمتوسط معدل نمو الودائع بنسبة (25٪). ثم المرتبة الثالثة مصرف اليمن البحرين الشامل بمتوسط معدل نمو الودائع بنسبة (24٪) وفي الاخير يأتي البنك الإسلامي اليمني بمتوسط معدل نمو الودائع بنسبة (7٪) . **ونستنتج من السابق أن متوسط معدل نمو الودائع في المصارف الاسلامية اليمنية مقبول ما عدى البنك الإسلامي اليمني متدني إلا أن التفاوت في معدل النمو من عام لآخر والتراجع في بعض الأعوام مؤشر بأن نمو الودائع سنوياً لم يكن وفق استراتيجية تسويقية مما يعني ضعف في الاداء التسويق في المصارف الاسلامية اليمنية**

8-1-2: **معدل نمو الحسابات الجارية في المصارف الإسلامية اليمنية** :

يقيس هذا المؤشر مقدرة المصارف الإسلامية اليمنية على تقديم خدمات مصرفية تحقق الرضى لعملاء الحسابات الجارية ويدل هذا المؤشر على كفاءة استراتيجيات التسويق التي تم من خلالها تحديد احتياجات وتطلعات عملاء الحسابات الجارية وتم تلبيتها على شكل خدمات مصرفية تم تقديمها بجودة وتميز وتأتي أهمية هذا المؤشر من الأهمية التي تتمتع بها الحسابات الجارية كمورد هام من موارد المصارف الإسلامية اليمنية التي تعتبر عديمة الكلفة مقارنة بالموارد الأخرى ويعكس هذا المؤشر مدى إقبال الجمهور على هذا النوع من الودائع وهي حسابات غير مكلفة و مدى قدرة المصارف الإسلامية اليمنية على جذب الودائع الجارية غير المكلفة وتأتي هذه القدرة من حجم الثقة التي تتمتع بها المصارف الإسلامية اليمنية لدى فئات العملاء التي تستخدم الحسابات الجارية (قطاعي التجارة والصناعة، والقطاع الخدمي) بمعني حجم الحسابات الجارية يعد مؤشراً على نوعية العملاء الذين يتعاملون مع المصارف الإسلامية اليمنية، والجدول (8- 2) والشكل (2) يبين معدل نمو الحسابات الجارية في المصارف الإسلامية اليمنية.

الجدول (2-8)

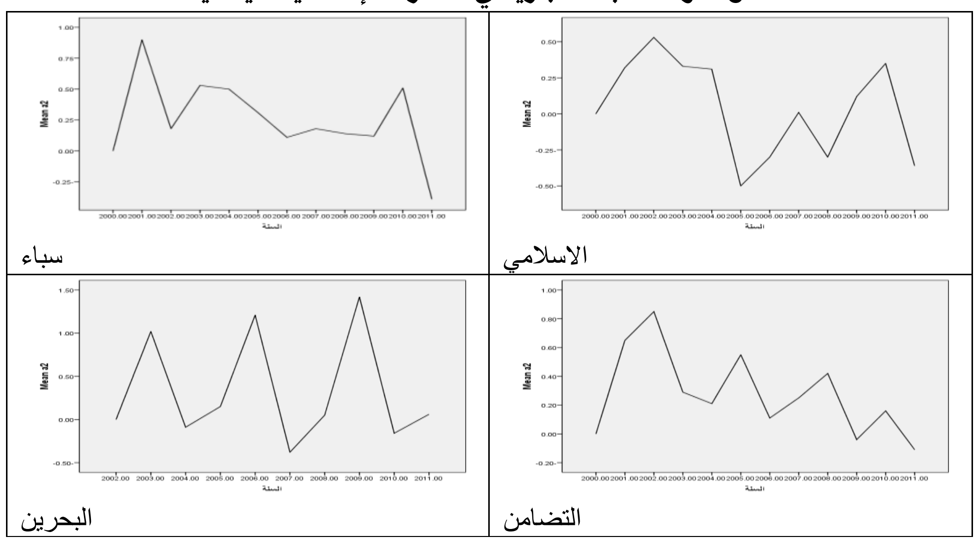
معدل نمو الحسابات الجارية في المصارف الإسلامية اليمنية

اسم المصرف	سنة الأساس 2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	المتوسط
الإسلامي اليمني	0%	32%	53%	33%	31%	-50%	-30%	1%	-30%	12%	35%	-36%	4%
التضامن الإسلامي الدولي	0%	65%	85%	29%	21%	55%	11%	25%	42%	-4%	16%	-11%	28%
سبأ الإسلامي	0%	90%	18%	53%	50%	31%	11%	18%	14%	12%	51%	-39%	26%
اليمن البحرين الشامل			0%	102%	-9%	15%	121%	-38%	5%	142%	-16%	6%	33%

المصدر إعداد الباحث من التقارير السنوية المنشورة للمصارف الإسلامية اليمنية(2013)

الشكل (2)

معدل نمو الحسابات الجارية في المصارف الإسلامية اليمنية



المصدر: اعداد الباحث(2013)

من الجدول (8- 2) و الشكل (2) الخاص بمعدل نمو الحسابات الجارية في المصارف الإسلامية اليمنية خلال الفترة يلاحظ وجود تذبذب في معدل نمو الحسابات الجارية من عام لأخر وتراجع في معدل النمو في بعض الاعوام حيث حصل البنك الاسلامي اليمني على اعلى معدل نمو في الحسابات الجارية عام

2002 بنسبة 5.3 وادني معدل نمو عام 2007م بنسبة (1٪) كما أن البنك حقق تراجعاً في بعض الاعوام كأن اعلى معدل تراجع عام 2005م بنسبة (0.5 -) ويشير الجدول إلى أن اعلى معدل نمو للحسابات الجارية في بنك التضامن الاسلامي الدولي عام 2002 بنسبة(85٪) وادنى معدل نمو عام 2006م بنسبة (11٪) في حين كأن اعلى معدل تراجع عام 2011م بنسبة (1.1 -) و يبين الجدول أن اعلى معدل نمو في الحسابات الجارية في بنك سباء الاسلامي عام 2001بنسبة(90٪) وادنى معدل نمو عام 2006م بنسبة (11٪) في حين تراجع عام 2011م بنسبة (3.9 -) ويوضح الجدول أن اعلى معدل نمو للحسابات الجارية في مصرف اليمن البحرين الشامل عام 2006م بنسبة (121٪) وادني معدل نمو عام 2008م بنسبة (5٪) في حين كأن اعلى معدل تراجع عام 2007م بنسبة (3.8 -) و يظهر من الجدول أن بنك التضامن الاسلامي الدولي حقق اعلى متوسط معدل نمو الحسابات الجارية بنسبة (28٪) ويأتي في المرتبة الثانية مصرف اليمن البحرين الشامل بمتوسط معدل نمو الحسابات الجارية بنسبة (27٪). ثم بنك سباء الاسلامي بمتوسط معدل نمو الحسابات الجارية بنسبة (26٪) ويأتي في الاخير البنك الاسلامي اليمني بمتوسط معدل نمو الحسابات الجارية بنسبة (4٪) . **ونستنتج من السابق أن متوسط معدل نمو الحسابات الجارية في المصارف الاسلامية اليمنية مقبول ما عدى البنك الاسلامي اليمني متدني الا أن التذبذب في معدل نمو الحسابات الجارية من عام لأخر والتراجع في معدل النمو في بعض الأعوام مؤشر بأن معدل النمو في الحسابات الجارية سنوّيا لم يكن وفق استراتيجية تسويقية مما يعني ضعف الاداء التسويقي في المصارف الاسلامية اليمنية.**

3-1-8. نسبة الودائع الجارية إلى الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية

ينتج هذا المؤشر من .الودائع الجارية/ مجموع الودائع ويقيس مدى كفاءة إدارة المصارف الإسلامية اليمنية على التسويق لجذب الودائع الجارية .وارتفاع نسبة الودائع الجارية إلى مجموع الودائع يعني انخفاض التكاليف التي تتحملها المصارف الإسلامية اليمنية مقابل حصولها على الموارد الخارجية لأن الودائع الجارية تعد من الموارد عديمة الكلفة الامر الذي يؤدى الى زيادة الارباح التي يحصل عليها المساهمون في حالة تم توظيفها في القطاعات الاستثمارية المختلفة والجدول(8- 3) والشكل (3) يبين نسبة الودائع الجارية إلى الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية

الجدول(3_8)

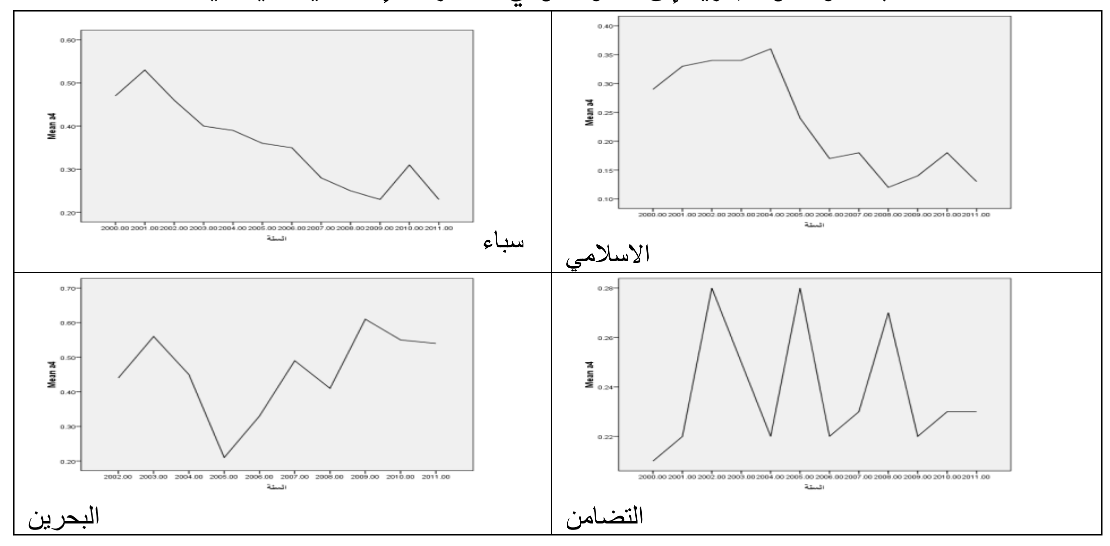
مؤشر نسبة الودائع الجارية إلى الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية

اسم المصرف	سنة الأساس 2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	المتوسط
الإسلامي اليمني	29%	33%	34%	34%	36%	24%	17%	18%	12%	14%	18%	13%	24%
التضامن الإسلامي الدولي	21%	22%	28%	25%	22%	28%	22%	23%	27%	22%	23%	23%	24%
سبأ الإسلامي	47%	53%	46%	40%	39%	36%	35%	28%	25%	23%	31%	23%	36%
اليمن البحرين الشامل			44%	56%	45%	21%	33%	49%	41%	61%	55%	54%	46%

المصدر: إعداد الباحث من التقارير السنوية المنشورة للمصارف الإسلامية اليمنية(2013)

الشكل(3)

نسبة الودائع الجارية إلى الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية



المصدر :اعداد الباحث(2013)

يلاحظ من الجدول(8- 3) والشكل (3) الخاص بنسبة الودائع الجارية إلى الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية خلال الفترة أن أعلى نسبة للودائع الجارية إلى الودائع في البنك الإسلامي اليمني عام 2004م (36٪) وأدنى نسبة عام 2008م(12٪) و أعلى نسبة للودائع الجارية إلى الودائع في بنك التضامن الإسلامي الدولي عامي 2002م 2005م (28٪) وأدنى نسبة عام 2000م (21٪) وأعلى نسبة للودائع الجارية إلى الودائع في بنك سبأ الإسلامي عام 2001م(53٪) وأدنى نسبة عامي 2009م 2011م (23٪) وأعلى نسبة للودائع الجارية إلى الودائع في مصرف اليمن البحرين الشامل عام 2009م(61٪) وادني نسبة عام 2005م (21٪) ويظهر من الجدول أن مصرف اليمن البحرين الشامل حقق أعلى متوسط لنسبة الودائع الجارية إلى الودائع (46٪) وفي المرتبة الثانية يأتي بنك سبأالإسلامي متوسط نسبة الودائع الجارية إلى الودائع (36٪) . ثم بنك التضامن الإسلامي الدولي والبنك الإسلامي اليمني متوسط نسبة الودائع الجارية إلى الودائع (24٪) **ومن السابق نستنتج أن متوسط نسبة الودائع الجارية إلى الودائع مقبولة إلا أن التفاوت في النسبة من عام لآخر هبوطاً وصعوداً مؤشر بأن نمو نسبة الودائع الجارية إلى الودائع سنوياً لم يكن وفق استراتيجية تسويقية مما يعني ضعف في الأداء التسويقي في المصارف الاسلامية اليمنية .**

ويلاحظ من الجدول (8- 1) وحتي الجدول (8- 3) الخاصة بمؤشرات قياس كفاءة التسويق المصرفي في المصارف الإسلامية اليمنية أن نسب متوسطات المؤشرات مقبولة الا أن التفاوت والتذبذب والصعود والهبوط في المؤشرات من عام لآخر والتراجع في بعض المؤشرات في بعض الأعوام مؤشر بأن معدلات النمو السنوية لم تكن وفق استراتيجية تسويقية مما يعني أن الأداء التسويقي لم يكن وفق استراتيجية تسويقية وهذا ضعف في كفاءة التسويق المصرفي في المصارف الإسلامية اليمنية.

8-2: علاقة التخطيط الاستراتيجي بكفاءة التسويق المصرفي في المصارف الإسلامية اليمنية:

لتحقيق هدف البحث بدراسة علاقة التخطيط الاستراتيجي بكفاءة التسويق المصرفي في المصارف الإسلامية اليمنية وللتأكد من مدى تحقق الفرضية الأولى وهيّ يوجد علاقة بين التخطيط الاستراتيجي وكفاءة التسويق المصرفي في المصارف الإسلامية اليمنية "

تم إجراء التحليلات الإحصائية من حيث الوسط الحسابي والانحراف المعياري لمدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي ،، والوسط الحسابي والانحراف المعياري لمؤشرات قياس كفاءة التسويق المصرفي في المصارف الإسلامية اليمنية ومعامل الارتباطَ بيرسوّن ومستوى الدلالة لمعامل الإرتباط وذلك على النحو الآتي :

8-2-1: علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل نمو الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية

يوضح الجدول (8- 4) علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل نمو الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية

الجدول (4-8)

علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل نمو الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية

المتغيرات / البنك	السلسلة الزمنية	مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي وفق منهجية علمية		معدل نمو الودائع		معامل الارتباط "بيرسون"	مستوى الدلالة الإحصائية	الدلالة اللفظية
		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري			
البنك الإسلامي اليمني	2011-2000	1 ،35	0 ،453	.07	.219	.13	.71	غير دالة
بنك التضامن الإسلامي الدولي	2011-2000	1 ،91	0 ،426	.25	.246	.42	.17	غير دالة
بنك سبأ الإسلامي	2011-2000	2 ،62	0 ،539	.32	.272	.44	.15	غير دالة
مصرف اليمن البحرين الشامل	2011-2002	1 ،45	0 ،464	.24	.442	.04	.90	غير دالة

المصدر: اعداد الباحث بمساعدة المحلل الاحصائي(2013)

يلاحظ من الجدول (8- 4) والخاص بدراسة علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل نمو الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية أن الوسط الحسابي لمد ى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في البنك الإسلامي اليمني هو (1.35) بانحراف معياري(0.453) والوسط الحسابي لمعدل نمو الودائع هو(0.07) بانحراف معياري(0.219) في حين أن معامل الارتباط "بيرسوْن" بين مد ى ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو الودائع هو (0.13) وهي علاقة طردية ضعيفة وبمستوى دلالة إحصائية هي (0.71) وهي أكبر من (0.05).

كما يشير الجدول إلى أن الوسط الحسابي لمد ى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في بنك التضامن الإسلامي الدولي هو (1.91) بانحراف معياري هو(0.426) والوسط الحسابي لمعدل نمو الودائع هو (0.25) بانحراف معياري(0.246) ومعامل الارتباط "بيرسوْن" بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو الودائع هو (0.42) وهي علاقة طردية ضعيفة وبمستوى الدلالة الإحصائية (0.17) وهي أكبر من (0.05).

ويبين الجدول أن الوسط الحسابي لمد ى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في بنك سب أ الإسلامي هو (2.62) وبانحراف معياري (0.539) والوسط الحسابي لمعدل نمو الودائع هو(0.32) بانحراف معياري (0.272) ومعامل الارتباط "بيرسوْن" بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو الودائع هو

(0.44) وهي علاقة طردية ضعيفة وبمستوى دلالة إحصائية (0.15) وهي أكبر من (0.05).

ويوضح الجدول أيضاً أن الوسط الحسابي لمدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في مصرف اليمن البحرين الشامل هو (1.45) بانحراف معياري (0.464) والوسط الحسابي لمعدل نمو الودائع هو (0.24) بانحراف معياري(0.442) ومعامل الارتباط "بيرسوّن بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو الودائع هو (0.04) وهي علاقة طردية ضعيفة وبمستوى الدلالة الإحصائية (0.90) وهي أكبر من (0.05).

ومما سبق يلاحظ عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية .حيث يلاحظ أن مستوى الدلالة الإحصائية أكبر من (0.05) والذي يعتبر أقل منها دال إحصائيا. وضعف الارتباط بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي وبين كفاءة التسويق المصرفي مقاسة بمعدل نمو الودائع يرجع إلى ضعف ممارسة التخطيط الاستراتيجي في المصارف الإسلامية اليمنية مما يعني عدم وجود دور للتخطيط الاستراتيجي في كفاءة التسويق المصرفي مقاسة في معدل نمو الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية

8-2-2: علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل نمو الحسابات الجارية في المصارف الإسلامية اليمنية

يوضح الجدول (8- 5) علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل نمو الحسابات الجارية في المصارف الإسلامية اليمنية

الجدول (8-5)

علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل نمو الحسابات الجارية في المصارف الإسلامية اليمنية

المتغيرات / البنك	السلسلة الزمنية	مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي وفق منهجية علمية		معدل نمو الحسابات الجارية		معامل الارتباط "بيرسون"	مستوى الدلالة الإحصائية	الدلالة اللفظية
		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري			
البنك الاسلامي اليمني	2011-2000	1 ،35	0 ،453	.04	.147	.01	.97	غير دالة
بنك التضامن الاسلامي الدولي	2011-2000	1 ،91	0 ،426	.28	.312	.42	.18	غير دالة
بنك سباء الاسلامي	2011-2000	2 ،62	0 ،539	.26	.299	.06	.85	غير دالة
مصرف اليمن البحرين الشامل	2011-2002	1 ،45	0 ،464	.33	.442	.22	.55	غير دالة

المصدر: اعداد الباحث بمساعدة المحلل الاحصائي(2013)

يلاحظ من الجدول (8- 5) الخاص بدراسة علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل نمو الحسابات الجارية في المصارف الإسلامية اليمنية أن الوسط الحسابي لمد ى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في البنك الاسلامي اليمني هو (1.35) بانحراف معياري(0.453) والوسط الحسابي لمعدل نمو الحسابات الجارية هو(0□04) بانحراف معياري(0.147) في حين أن معامل الارتباط "بيرسوّن بين مد ى ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو الحسابات الجارية هو (0□01) وهي علاقة طردية ضعيفة وبمستوى دلالة إحصائية هي (0□97) وهي اكبر من (0.05).

كما يشير الجدول إلى أن الوسط الحسابي لمدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في بنك التضامن الإسلامي الدولي هو (1.91) بانحراف معياري هو(0.426) والوسط الحسابي لمعدل نمو الحسابات الجارية هو (0□28) بانحراف معياري(0.312) ومعامل الارتباط "بيرسوّن بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو الحسابات الجارية هو (0.42) وهي علاقة طردية ضعيفة بمستوى الدلالة الإحصائية (0.18) وهي أكبر من (0.05).

ويوضح الجدول أن الوسط الحسابي لمدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في بنك سبأ الإسلامي هو (2.62) وبانحراف معياري (0.539) والوسط الحسابي لمعدل نمو الحسابات الجارية (0□26) وبانحراف معياري(0□299) ومعامل الارتباط "بيرسوّن بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو الحسابات الجارية هو (0□06) وهي علاقة طردية ضعيفة وبمستوى دلالة إحصائية (0□85) وهي أكبر من (0.05).

ويبين الجدول أن الوسط الحسابي لمدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في مصرف اليمن البحر ين الشامل هو (1.45) بانحراف معياري (0.464) والوسط الحسابي لمعدل نمو الحسابات الجارية هو (0□33) بانحراف معياري(0.442) ومعامل الارتباط "بيرسوّن بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو الح سابات الجارية هو (0.22) وهي علاقة طردية ضعيفة وبمستوى الدلالة الإحصائية (0.55) وهي أكبر من (0.05).

ومما سبق يلاحظ عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو الحسابات الجارية في المصارف الإسلامية اليمنية .حيث يلاحظ أن مستوى الدلالة الإحصائية اكبر من (0.05) الذي يعتبر أقل منها دال إحصائياً وضعف الارتباط بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي وبين كفاءة التسويق المصرفي مقاسة بمعدل نمو الحسابات الجارية يرجع إلى ضعف ممارسة التخطيط الاستراتيجي في المصارف الإسلامية اليمنية مما يعني عدم وجود دور للتخطيط

الاستراتيجي في كفاءة التسويق المصرفي مقاسة في معدل نمو الحسابات الجارية في المصارف الإسلامية اليمنية.

8-2-3: علاقة التخطيط الاستراتيجي في نسبة الودائع الجارية إلى الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية .

والجدول (8- 6) يوضح علاقة التخطيط الاستراتيجي في نسبة الودائع الجارية إلى الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية.

الجدول (8-6)

علاقة التخطيط الاستراتيجي في نسبة الودائع الجارية الى الودائع

في المصارف الإسلامية اليمنية

المتغيرات / البنك	السلسلة الزمنية	مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي وفق منهجية علمية		نسبة الحسابات الجارية إلى الودائع		معامل الارتباط "بيرسون"	مستوى الدلالة الاحصائية	الدلالة اللفظية
		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري			
البنك الاسلامي اليمني	2011-2000	1 ،35	0 ،453	.23	.095	.43	.19	غير دالة
بنك التضامن الاسلامي الدولي	2011-2000	1 ،91	0 ،426	.24	.025	.29	.37	غير دالة
بنك سباء الاسلامي	2011-2000	2 ،62	0 ،539	.36	.099	.46	.13	غير دالة
مصرف اليمن البحرين الشامل	2011-2002	1 ،45	0 ،464	.46	.120	.23	.53	غير دالة

المصدر: اعداد الباحث بمساعدة المحلل الاحصائي(2013)

يلاحظ من الجدول (8- 6) الخاص بدراسة علاقة التخطيط الاستراتيجي في نسبة الودائع الجارية إلى الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية أن الوسط الحسابي لمدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في البنك الإسلامي اليمني هو (1 . 35) بانحراف معياري(0 . 453) والوسط الحسابي لنسبة الودائع الجارية إلى الودائع هو(0 . 23) بانحراف معياري(0 . 095) في حين أن معامل الارتباط "بيرسوّن" بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي و نسبة ال ودائع الجارية وإلى الودائع هو (0 . 43) وهي علاقة طردية ضعيفة وبمستوى دلالة إحصائية هي (0 . 19) وهي أكبر من (0 . 05)

كما يشير الجدول إلى أن الوسط الحسابي لد ى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في بنك التضامن الإسلامي الدولي هو (1 . 91) بانحراف معياري هو(0 . 426) والوسط الحسابي لنسبة الودائع الجارية إلى

الودائع هو (0.24) بانحراف معياري(0.025) ومعامل الارتباط "بيرسوّن بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي ونسبة الودائع الجارية إلى الودائع هو (0.29) وهي علاقة طردية ضعيفة وبمستوى الدلالة الإحصائية (0.37) وهي أكبر من (0.05).

ويوضح الجدول إلى أن الوسط الحسابي لمدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في بنك سبأ الإسلامي هو (2.62) وبانحراف معياري (0.539) والوسط الحسابي لنسبة الودائع الجارية إلى الودائع (0.36) وبانحراف معياري(0.099) ومعامل الارتباط "بيرسوّن بين مد ى ممارسة التخطيط الاستراتيجي و نسبة الودائع الجارية إلى الودائع هو (0.46) وهي علاقة طردية ضعيفة وبمستوى دلالة إحصائية (0.13) وهي أكبر من (0.05)

ويبين الجدول أن الوسط الحسابي لمدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في مصرف اليمن البحرين الشامل هو (1.45) بانحراف معياري (0.464) والوسط الحسابي لنسبة الودائع الجارية إلى الودائع هو (0.46) بانحراف معياري(0.120) ومعامل الارتباط "بيرسوّن بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي و نسبة الودائع الجارية إلى الودائع هو (0.23) وهي علاقة طردية ضعيفة بمستوى الدلالة الإحصائية (0.53) وهي أكبر من (0.05).

ومما سبق يلاحظ عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي و نسبة الودائع الجارية إلى الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية .حيث يلاحظ أن مستوى الدلالة أكبر من (0.05) الذي يعتبر أقل منها دال إحصائيا. وضعف الارتباط بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي وبين كفاءة التسويق المصرفي مقاسة بنسبة الودائع الجارية إلى الودائع يرجع إلى ضعف ممارسة التخطيط الاستراتيجي في المصارف الإسلامية اليمنية مما يعني عدم وجود دور للتخطيط الاستراتيجي في كفاءة التسويق المصرفي مقاسةبنسبة الودائع الجارية إلى الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية

ومن الجدول (8- 1) وحتي الجدول (8- 3) الخاصة بمؤشرات قياس كفاءة التسويق المصرفي في المصارف الاسلامية اليمنية يلاحظ أن نسبة متوسطات القياس نسب مقبولة إلا أن التفاوت والتذبذب والصعود والهبوط في المؤشرات من عام لآخر والتراجع في المؤشرات في بعض الأعوام مؤشر بأن معدلات النمو السنوية لم تكن وفق استراتيجية تسويقية مما يعني أن الاداء التسويقي لم يكن وفق استراتيجية تسويقية وهذا ضعف في كفاءة التسويق المصرفي في المصارف الاسلامية اليمنية

ومن الجدول (8- 4) وحتي (8- 6) يلاحظ عدم وجود علاقة للتخطيط الاستراتيجي بكفاءة التسويق المصرفي في المصارف الاسلامية اليمنية وبذلك يتم رفض الفرضية وهي "يوجد علاقة بين التخطيط الاستراتيجي وكفاءة التسويق المصرفي في المصارف الاسلامية اليمنية "

9- كفاءة رأس المال في المصارف الاسلامية اليمنية

9-1: مؤشرات قياس كفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية

هي مجموعة من المؤشرات تقيس مدى اعتماد المصارف الإسلامية اليمنية على حقوق المساهمين كمصدر أساسي لتمويل استثماراته وأيضاً مدى قدرة المصارف على مواجهة التزاماته من خلال الأموال المملوكة ويوجد كثير من المؤشرات لقياس كفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية تم اخذ بعضها في .هذ ا البحث لقياس كفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية وهي على النحو التإلى :

9-1-1: معدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية

يبين هذ المؤشر معدل التطور في حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية ويبين معدل تطور حقوق المساهمين سواء بسبب الزيادة في رأس المال أو بسبب العائد عليها والجدول(9- 1) والشكل (4) يبين معدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية.

الجدول(9-1)

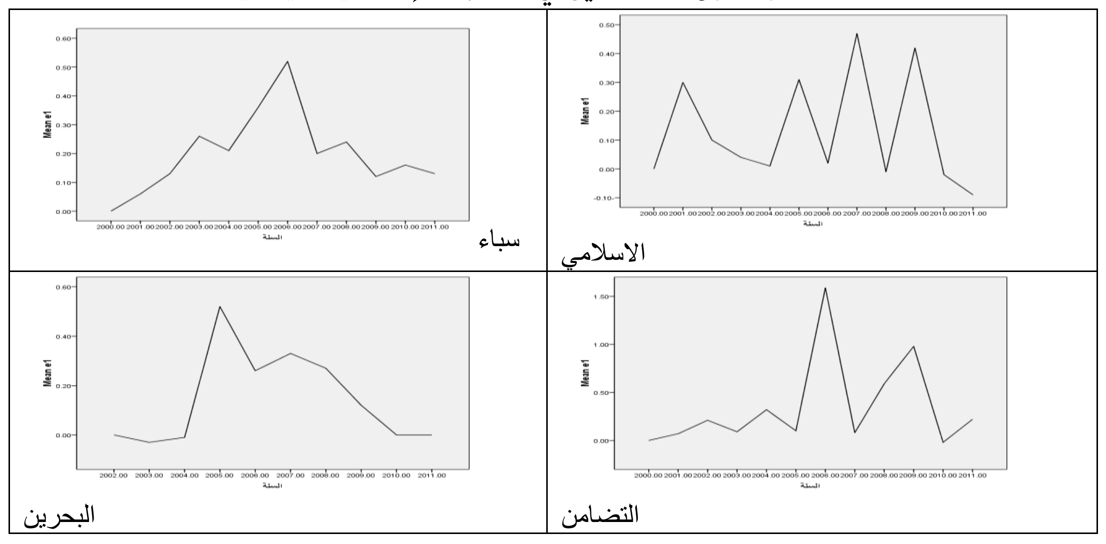
معدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية

اسم المصرف	سنة الأساس 2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	المتوسط
الإسلامي اليمني	0%	30%	10%	4%	1%	31%	2%	47%	-1%	42%	-2%	-9%	13%
التضامن الإسلامي الدولي	0%	7%	21%	9%	32%	10%	159%	8%	59%	98%	-2%	22%	35%
سبأ الإسلامي	0%	6%	13%	26%	21%	36%	52%	20%	24%	12%	16%	13%	20%
اليمن البحرين الشامل			0%	-3%	-1%	52%	26%	33%	27%	12%	0%	0%	15%

المصدر: إعداد الباحث من التقارير السنوية المنشورة للمصارف الإسلامية اليمنية(2013)

الشكل (4)

معدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية



المصدر: اعداد الباحث(2013)

يلاحظ من الجدول (9- 1) والشكل (4) الخاص بمعدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية خلال الفترة أن أعلى معدل نمو لحقوق المساهمين في البنك الإسلامي اليمني عام 2007م بنسبة (47٪) وأدنى معدل نمو عام 2004م بنسبة (1٪) في حين كأن أعلى تراجع في معدل النمو عام 2011م بنسبة (9٪ -) و يشير الجدول إلى أن أعلى معدل نمو لحقوق المساهمين في بنك التضامن الإسلامي الدولي عام 2006م بنسبة (159٪) وأدنى معدل نمو عام 2001م بنسبة (7٪) في حين تراجع معدل النمو عام 2010م بنسبة (2٪ -) و يبين الجدول أن اعلى معدل نمو لحقوق المساهمين في بنك سباء الاسلامي عام 2006م بنسبة (52٪) وادني معدل نمو عام 2001م بنسبة (6٪) ويوضح الجدول أن أعلى معدل نمو لحقوق المساهمين في مصرف اليمن البحرين الشامل عام 2005م بنسبة (52٪) وأدنى معدل نمو في ثلاث سنوات بنسبة (0٪) في حين تراجع معدل النمو عام 2003م بنسبة(3٪ -) ويظهر من الجدول أن بنك التضامن الإسلامي الدولي حقق أعلى متوسط لمعدل نمو حقوق المساهمين بنسبة (35٪) وهي وفي المرتبة الثانية بنك سبأ الإسلامي متوسط معدل نمو حقوق المساهمين بنسبة (20٪) ثم مصرف اليمن البحرين الشامل متوسط معدل نمو

حقوق المساهمين بنسبة (15٪) ويأتي في الأخير البنك الإسلامي اليمني متوسط نمو معدل حقوق المساهمين بنسبة (13٪).و **ومما سبق نستنتج أن متوسط معدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية مقبولة في بنك التضامن الإسلامي الدولي وبنك سبأ الإسلامي .ومتدنية في البنك الإسلامي اليمني ومصرف اليمن البحرين الشامل إلا أن التفاوت في معدل النمو من عام لآخر والتراجع في بعض الأعوام مؤشر بأن معدل نمو حقوق المساهمين سنوياً لم يكن وفق استراتيجية لنمو حقوق المساهمين**

9-1-2: معدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية :

يعكس هذا المؤشر مدى قدرة المصارف الإسلامية اليمنية على الإيفاء بمتطلبات لجنة بازل 2 فضلاً عن متطلبات البنك المركزي وتهدف هذه النسبة إلى تقويم كفاءة رأس المال في مواجهة المخاطر المحتملة التي قد تتعرض لها أصول المصارف الإسلامية اليمنية وتوجد نسبة معيارية لمعدل كفاية رأس المال بحسب متطلبات بازل2 (12٪) ومتطلبات البنك المركزي (8٪) والجدول(9- 2) والشكل (5) تبين معدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية

الجدول(9-2)

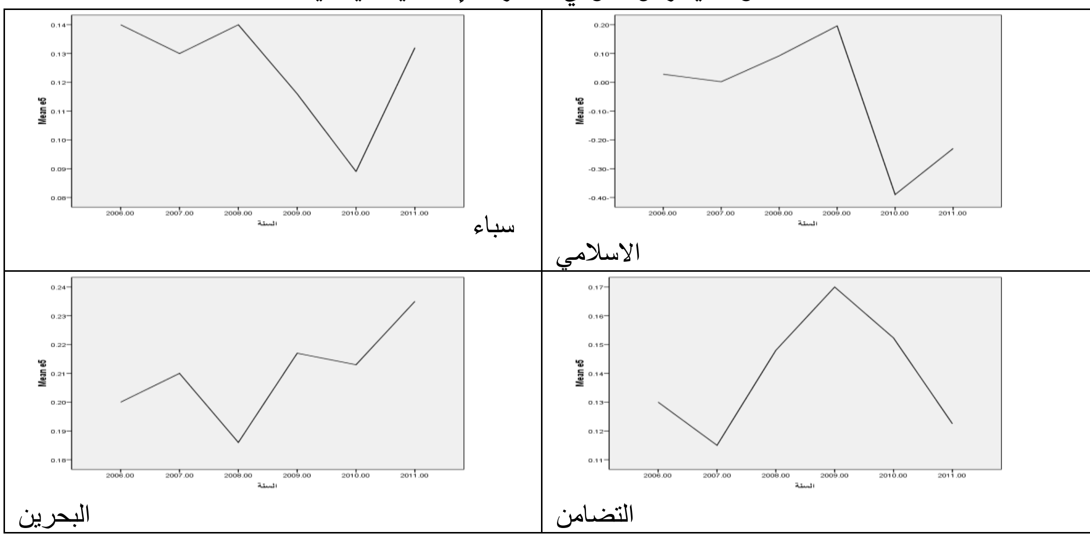
معدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية

اسم المصرف	2006	2007	2008	2009	2010	2011	المتوسط
الإسلامي اليمني	2.80%	0.20%	9.20%	19.60%	-39.30%	-22.70%	-5.03%
التضامن الإسلامي الدولي	12.50%	11.50%	14.80%	17.00%	15.23%	12.25%	13.88%
سبأ الإسلامي	14.00%	13.00%	14.00%	11.60%	8 ،9%	13 ،2%	8.77%
اليمن البحرين الشامل	20.20%	20.50%	18.60%	21.70%	21.30%	23.50%	20.97%

المصدر: إعداد الباحث من التقارير السنوية المنشورة للمصارف الإسلامية اليمنية(2013)

الشكل (5)

معدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية



المصدر: اعداد الباحث(2013)

يلاحظ من الجدول(9- 2) والشكل (5) الخاص بمعدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية خلال الفترة أن أعلى معدل كفاية رأس المال في البنك الإسلامي اليمني عام 2009م بنسبة (19.60٪) وأدنى معدل عام 2008م بنسبة (9.20٪) في حين كان أعلى تراجع عام 2010م بنسبة (39.30 -) و أعلى معدل كفاية رأس المال في بنك التضامن الاسلامي الدولي عام 2009م بنسبة (17٪) وأدنى معدل عام 2007م بنسبة (11.50٪) وأعلى معدل كفاية رأس المال في بنك سبأ الإسلامي عامي 2006م و2008م بنسبة (14٪) وأدنى معدل عام 2010م بنسبة (8.9٪) و أعلى معدل كفاية رأس المال في مصرف اليمن البحرين عام 2011م بنسبة (23.50٪) وأدنى معدل عام 2008م بنسبة (18.60٪) ويظهر من الجدول أن مصرف اليمن البحرين الشامل حقق أعلى متوسط لمعدل كفاية رأس المال بنسبة (20.97٪) وفي المرتبة الثانية بنك التضامن الإسلامي الدولي متوسط معدل كفاية رأس المال بنسبة (13.88٪) ثم بنك سبأ الإسلامي متوسط معدل كفاية رأس المال بنسبة (8.77٪) ويأتي في الاخير البنك الاسلامي اليمني متوسط معدل كفاية رأس المال بنسبة (5.03٪-).

ونستنتج من متوسط معدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية أنها تفي بمتطلبات بازل 2 ومتطلبات البنك المركزي اليمني ما عدي البنك الإسلامي اليمني .

ويلاحظ من الجدول (9- 1) وحتى الجدول (9- 2) الخاصة بمؤشرات قياس كفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية أن نسب متوسطات مؤشرات القياس نسب مقبولة إلا أن التذبذب والتفاوت في النسبة

من عام لأخر مؤشر بأن النمو لم يكن وفق استراتيجية وأن معدل كفاءة رأس المال مقبول في المصارف الإسلامية اليمنية ومتدني جدا في البنك الإسلامي اليمني .

9-2: علاقة التخطيط الاستراتيجي بكفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية :

لتحقيق هدف البحث بدراسة علاقة التخطيط الاستراتيجي في كفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية وللتأكد من مدى تحقق الفرضية الثانية وهي" يوجد علاقة بين التخطيط الاستراتيجي و كفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية" .تم اجراء التحليلات الإحصائية من حيث الوسط الحسابي والانحراف المعياري لمدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي .، والوسط الحسابي والانحراف المعياري لمؤشرات كفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية ومعامل الارتباط" بيرسون" ومستوى الدلالة لمعامل الارتباط وذلك على النحو الآتي :

9-2-1: علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية

يوضح الجدول (9- 3) علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية

الجدول (9-3)

علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية

المتغيرات / البنك	السلسلة الزمنية	مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي وفق منهجية علمية		معدل نمو حقوق المساهمين		معامل الارتباط "بيرسون"	مستوى الدلالة الإحصائية	الدلالة اللفظية
		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري			
البنك الاسلامي اليمني	2011-2000	1 ،35	0 ،453	.13	.295	.17	.60	غير دالة
بنك التضامن الاسلامي الدولي	2011-2000	1 ،91	0 ،426	.35	.500	-.17	.59	غير دالة
بنك سباء الاسلامي	2011-2000	2 ،62	0 ،539	.20	.257	.07	.83	غير دالة
مصرف اليمن البحرين الشامل	2011-2002	1 ،45	0 ،464	.15	.315	.40	.25	غير دالة

المصدر: اعداد الباحث بمساعدة المحلل الاحصائي(2013)

من الجدول (9- 3) الخاص بدراسة علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية . يلاحظ أن الوسط الحسابي لمدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في البنك

الإسلامي اليمني هو (1.35) بانحراف معياري(0.453) والوسط الحسابي لمعدل نمو حقوق المساهمين هو(0.13) بانحراف معياري(0.295) ومعامل الارتباط "بيرسوّن بين مدى ممارسةالتخطيط الاستراتيجي و معدل نمو حقوق المساهمين هو (0.17) وهي علاقة طردية ضعيفة بمستوى دلالة إحصائية هي (0.60) وهي أكبر من (0.05).

كما يشير الجدول إلى أن الوسط الحسابي لدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في بنك التضامن الإسلامي الدولي هو (1.91) بانحراف معياري هو(0.426) و الوسط الحسابي لمعدل نمو حقوق المساهمين هو (0.35) بانحراف معياري(0.500) ومعامل الارتباط "بيرسوّن بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو حقوق المساهمين هو (-0.17) وهي علاقة عكسية ضعيفة بمستوى الدلالة الإحصائية (0.59) وهي أكبر من (0.05) .

ويوضح الجدول أن الوسط الحسابي لدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في بنك سبأ الإسلامي هو (2.62) وبانحراف معياري (0.539) والوسط الحسابي لمعدل نمو حقوق المساهمين هو(0.20) بانحراف معياري (0.275) ومعامل الارتباط "بيرسوّن بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو حقوق المساهمين هو (0.07) وهي علاقة طردية ضعيفة بمستوى دلالة إحصائية (0.83) وهي أكبر من (0.05).

ويبين الجدول أن الوسط الحسابي لدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في مصرف اليمن البحرين الشامل هو (1.45) بانحراف معياري (0.464) والوسط الحسابي لمعدل نمو حقوق المساهمين هو (0.15) بانحراف معياري(0.315) ومعامل الارتباط "بيرسوّن بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي و معدل نمو حقوق المساهمين هو(0.40) وهي علاقة طردية ضعيفة بمستوى الدلالة الإحصائية (0.25) وهي أكبر من (0.05).

ويظهر من الجدول (9- 1) الخاص بدراسة معدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية أن متوسط معدل نمو حقوق المساهمين في بنك التضامن الاسلامي الدولي مرتفع رغم ضعف ممارسة التخطيط الاستراتيجي في البنك وهذا يفسر العلاقة العكسية لمعامل الارتباط .

ومما سبق يلاحظ عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي و معدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية . .حيث يلاحظ أن مستوى الدلالة اكبر من (0.05) الذي يعتبر اقل منها دال احصائيا وضعف الارتباط بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي وبين كفاءة رأس المال مقاسة بمعدل نمو حقوق المساهمين يرجع إلى ضعف التخطيط الاستراتيجي في المصارف الإسلامية اليمنية مميلعني عدم وجود دور للتخطيط الاستراتيجي في كفاءة رأس المال مقاسة بمعدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية

9-2-2: علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية

ويبين الجدول (9-4) علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية

الجدول (9-4)

علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية

المتغيرات / البنك	السلسلة الزمنية	مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي وفق منهجية علمية		نسبة كفاية رأس المال		معامل الارتباط "بيرسون"	مستوى الدلالة الإحصائية	الدلالة اللفظية
		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري			
البنك الإسلامي اليمني	2011-2006	1 ،35	0 ،453	.01	.146	.12	.83	غير دالة
بنك التضامن الإسلامي الدولي	2011-2006	1 ،91	0 ،426	.14	.021	.49	.32	غير دالة
بنك سبأ الإسلامي	2011-2006	2 ،62	0 ،539	.09	.019	.26	.61	غير دالة
مصرف اليمن البحرين الشامل	2011-2006	1 ،45	0 ،464	.21	.017	.20	.71	غير دالة

المصدر: اعداد الباحث بمساعدة المحلل الاحصائي(2013)

من الجدول (9- 4) الخاص بدراسة علاقة التخطيط الاستراتيجي بمعدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية يلاحظ أن الوسط الحسابي لمدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في البنك الإسلامي اليمني هو (1.35) بانحراف معياري(0.453) والوسط الحسابي لم عدل كفاية رأس المال هو(0.01) بانحراف معياري(0.146) في حين أن معامل الارتباط "بيرسوّن" بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي و معدل كفاية رأس المال ه و (0.12) وهي علاقة طردية ضعيفة بمستوى دلالة إحصائية هي (0.83) وهي أكبر من (0.05).

كما يشير الجدول إلى أن الوسط الحسابي لمدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في بنك التضامن الإسلامي الدولي هو (1.91) بانحراف معياري هو(0.426) والوسط الحسابي لمعدل كفاية رأس المال هو (0.14) بانحراف معياري(0.021) ومعامل الارتباط "بيرسوّن" بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل كفاية رأس المال هو (0.49) وهي علاقة طردية ضعيفة بمستوى الدلالة الإحصائية (0.32) وهي أكبر من (0.05) .

ويوضح الجدول أن الوسط الحسابي لمدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في بنك سبأ الإسلامي هو

(2.62) وبانحراف معياري (0.539) والوسط الحسابي لمعدل كفاية رأس المال هو (9 0.0) بانحراف معياري (0.019) ومعامل الارتباط "بيرسوّن بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي و معدل كفاية رأس المال هو (0.26) وهي علاقة طردية ضعيفة بمستوى دلالة إحصائية (0.61) وهي أكبر من (0.05).

ويبين الجدول أن الوسط الحسابي لمدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في مصرف اليمن البحرين الشامل هو (1.45) بانحراف معياري (0.464) والوسط الحسابي لمعدل كفاية رأس المال هو (0.21) بانحراف معياري(0.017) ومعامل الارتباط "بيرسوّن بين مدى ممارسة التخطيط الاستراتيجي و معدل كفاية رأس المال هو(0.20) وهي علاقة طردية ضعيفة بمستوى الدلالة الإحصائية (0.71) وهي أكبر من (0.05).

ومما سبق يلاحظ عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية .حيث يلاحظ أن مستوى الدلالة أكبر من (0.05) الذي يعتبر أقل منها دال إحصائيا وضعف الارتباط بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي وبين كفاءة رأس المال مقاسة بمعدل كفاية رأس المال يرجع إلى ضعف التخطيط الاستراتيجي في المصارف الإسلامية اليمنية. مما يعني عدم وجود دور للتخطيط الاستراتيجي في كفاءة رأس المال مقاسة بمعدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية

ويلاحظ من الجدول (9- 1) وحتى الجدول (9- 2) الخاص بمؤشرات كفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية أن نسب متوسطات مؤشرات قياس كفاءة رأس المال نسب مقبولة .إلا أن التذبذب والتفاوت في النسبة من عام لآخر ,مؤشر بأن نمو المؤشرات لم يكن وفق استراتيجية وأن معدل كفاءة رأس المال مقبولة في المصارف الاسلامية اليمنية وضعيفة جداً في البنك الإسلامي اليمني ومن الجدول (9- 3) وحتي الجدول (9- 4) يلاحظ عدم وجود علاقة للتخطيط الاستراتيجي بكفاءة رأس المال في المصارف الاسلامية اليمنية وهذا رفض للفرضيّة يوجد علاقة بين التخطيط الاستراتيجي وكفاءة رأس المال في المصارف الاسلامية اليمنيّة

10- : **المناقشة**:

الدراسة وضحت تفاوت وتراجع في معدل نمو الودائع وتذبذب في معدل نمو الحسابات الجارية وعدم استقرار نسبة الودائع الجارية إلى الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية وهذا مؤشر على أن الأداء التسويقي في المصارف الإسلامية اليمنية لم يتم وفقاً لاستراتيجية تسويقية وقد اثبتت الدراسة انه لا توجد علاقة ارتباطية بين التخطيط الاستراتيجي ومؤشرات قياس كفاءة التسويق المتمثلة في معدل نمو الودائع

ومعدل نمو الحسابات الجارية ونسبة الودائع الجارية إلى مجموع الودائع ، هذه النتائج تختلف مع ما ذكره عباده(2007) بأن مؤشر معدل نمو الودائع يعكس مدى مقدرة المصرف على إرضاء الجمهور وبالتإلى تنمية الودائع وتعدد العملاء وهي أساس نشاط المصرف الإسلامي ومصدر ربحيته فزيادة الودائع تعني رضى الجمهورعن المصرف بقدرهذه الزيادة وعليه نخلص إلى أن المصارف الإسلامية اليمنية لا تمارس التخطيط الاستراتيجي وفقاً لمنهجية علمية خاصة فيما يتعلق بالتحليل الاستراتيجي البيئي مما أدى إلى ضعف وتذبذب نمو الودائع

نتائج الدراسة لا تتسق مع ما أوردته أدبيات الإدارة في الكفاءة التسويقية وممارسة التخطيط الاستراتيجي في المصارف الإسلامية اليمنية فقد وضح الشماع (2002) أن نسبة الودائع الجارية إلى الودائع يقيس كفاءة إدارة المصرف على التسويق لجذب الودائع الجارية وأضاف عبادة (2007) أن كفاءة التسويق المصرفي تتحقق من خلال تحسين نوعية الخدمات للعملاء وتحسين الخدمات المصرفية في ظل المنافسة وتوسيع قاعدة الخدمات المصرفية وتنمية الودائع في المصارف ورفع الثقة بالمصرف والمحافظة على أموال المساهمين والمودعين وسلوكيات العاملين وأسلوب التعامل مع الزبائن ومحاولة إرضاءهم واستطرد عبادة أن مؤشرات كفاءة التسويق المصرفي تقيس قدرة المصارف على تقديم خدمات مصرفية بجودة عالية وبأسعار مناسبة مع القدرة على التطوير والتحسين وإيجاد خدمات مصرفية جديدة ومبتكرة وبينت الأدبيات أن التخطيط الاستراتيجي يحقق المزايا التنافسية للمصارف فقد وضح أبوعويلي (2008) أن التخطيط الاستراتيجي يعمل على تطوير الخدمات المصرفية والاهتمام بجودة الخدمات وتحقيق رغبات العملاء وهي أحد المداخل الرئيسية لزيادة وتطوير القدرات التنافسية للمصارف وعلى ذات النسق افاد الكردي (2010) ومعلا(بدون تاريخ) ,وجودي والصائغ (2008) أن التخطيط الاستراتيجي يعمل على زيادة الحصة السوقية للمصرف ويرى بيستول(2010) أن كفاءة التسويق المصرفي تعتمد على دقة التخطيط الاستراتيجي ويعتبر التخطيط الاستراتيجي للأنشطة التسويقية جزءاً لايتجزأ من التخطيط الاستراتيجي العام للمؤسسة ويهدف تخطيط الأنشطة التسويقية بشكل أساس إلى تعزيز الوضع التنافسي للمصرف وتري فوكا ورا (1999) بأن التزايد في الصناعة المصرفية قد أنشاء أهمية التسويق كأداة مهمة من أجل مساعدة المصارف للحصول على حصة سوقية أفضل وأضافت أن المؤسسات المصرفية اكتشفت أن التسويق الاستراتيجي هو أفضل استجابة لتحقيق أهدافها المصرفية وعليه نخلص إلى أن ضعف الكفاءة التسويقية للمصارف الإسلامية اليمنية نتيجة لضعف ممارسة التخطيط الاستراتيجي وفقاً لمنهجية علمية .

وضحت الدراسة ضعف كفاءة رأس المال في المصارف الاسلامية اليمنية حيث وجدت أن معدل نمو حقوق المساهمين مقبول في بعض المصارف وضعيف في مصارف اخري وانه غير مستقر كذلك وضحت أن معدل

كفاية رأس المال في المصارف الاسلامية اليمنية مقبوّلا لحدما وتتفاوت نسبته من عام لأخر أن ضعف كفاءة رأس المال في المصارف الاسلامية اليمنية يعتبر مؤشّرا بأن المصارف الاسلامية اليمنية لا تمارس عملية التخطيط الاستراتيجي واثبتت الدراسة عدم وجود علاقة ارتباطية بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية وكذلك عدم وجود علاقة بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية .

النتائج التي توصل إليها البحث تؤكد ضعف كفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية وضعف ممارسة التخطيط الاستراتيجي وفقاَ لمنهجية علمية هذه النتائج لا تتسق مع ما أوردته الأدبيات والدراسات السابقة في هذا المجال فقد ذكر عباده (2007) أن مؤشر معدل حقوق المساهمين يبين التطور في حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية ويبين معدل تطور حقوق المساهمين سواء بسبب الزيادة في رأس المال أو بسبب العائد عليها . وأضاف عباده بأن مؤشر كفاية رأس المال يعكس مدى قدرة المصارف الإسلامية علي الإيفاء بمتطلبات لجنة بازل 2 فضّلا عن متطلبات البنك المركزي ومدى كفاية رأس المال ومتانته في مواجهة المخاطر المحتملة التي قد تتعرض لها أصول المصرف وفي ذات السياق ذكر خالص (2004) بأن حجم رأس المال وقابلية المصرف على رد الودائع ومعدل حقوق الملكية للأصول يعتبر مؤشراً لقياس الأمأن مقابل مخاطر الاستثمار وقد أكد الشماع (2002) بأن مؤشرات كفاءة رأس المال تقيس كفاءة درجة استخدام المصرف للمطلوبات قياساً بحقوق الملكية ضمن مزيج الهيكل المإلى وكيفية الاستفادة من الرفع المإلى في تحسين الربحية ومدى متانة رأس المال "الملاءة المصّرفية وعليه نخلص إلى ضعف كفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية وضعف ممارسة التخطيط الاستراتيجي وفقاً لمنهجية علمية

11 - **النتائج والتوصيات**: استناداً على ما تم تغطيته في الإطار النظري والدراسات السابقة وما تم دراسته عن علاقة التخطيط الاستراتيجي بكفاءة التسويق المصرفي وكفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية توصل البحث إلى النتائج والتوصيات الآتية:

1-11: **النتائج** :

1-1-11 : عدم وجود علاقة للتخطيط الاستراتيجي بكفاءة التسويق المصرفي في المصارف الإسلامية اليمنية من خلال:

اوّلاً عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية . مما يعني عدم وجود دور للتخطيط الاستراتيجي في كفاءة التسويق المصرفي مقاسة في معدل نمو الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية.

ثانياً عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي ومعدل نمو الحسابات الجارية في المصارف الإسلامية اليمنية . مما يعني عدم وجود دور للتخطيط الاستراتيجي في كفاءة التسويق المصرفي مقاسة في معدل نمو الحسابات الجارية في المصارف الإسلامية اليمنية.

ثالثاً: عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي و نسبة ال ودائع الجارية إلى الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية مما يعني عدم وجود دور للتخطيط الاستراتيجي في كفاءة التسويق المصرفي مقاسة بنسبة الودائع الجارية إلى الودائع في المصارف الإسلامية اليمنية.

11-1-2: **عدم وجود علاقة للتخطيط الاستراتيجي بكفاءة رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية من خلال**:

اولاً عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي و معدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية مما يعني عدم وجود دور للتخطيط الاستراتيجي في كفاءة رأس المال مقاسة بمعدل نمو حقوق المساهمين في المصارف الإسلامية اليمنية.

ثانيا عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين ممارسة التخطيط الاستراتيجي و معدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية مما يعني عدم وجود دور للتخطيط الاستراتيجي في كفاءة رأس المال مقاسة بمعدل كفاية رأس المال في المصارف الإسلامية اليمنية

11-2: **التوصيات**: بناء على النتائج السابقة توصي الدراسة بالآتي

11- 2÷ 1 يجب علي المصارف الاسلامية اليمنية ممارسة التخطيط الاستراتيجي وفقاَ لمنهجية علمية لرفع كفاءة التسويق .

11- 2- 2: يجب على المصارف الإسلامية اليمنية ممارسة التخطيط الاستراتيجي وفقاَ لمنهجية علمية لرفع كفاءة رأس المال

11- 2- 3: يجب ربط ممارسة التخطيط الاستراتيجي بمؤشرا ت ت كفاءة التسويق المصرفي مقاسة في معدل نمو الودائع ومعدل نمو الحسابات الجارية ومؤشر نسبة الودائع الجارية إلى الودائع .

11- 2÷ 4 يجب ربط ممارسة التخطيط الاستراتيجي بمؤشرات كفاءة رأس المال مقاسة في معدل نمو حقوق المساهمين ومعدل كفاية رأس المال .

قائمة المصادر و المراجع

أولا/ الكتب :

1. **المغربي**، عبد الحميد عبد الفتاح (2004):- **الإدارة الاستراتيجية في البنوك الإسلامية**، البنك الإسلامي للتنمية-جدة
2. **سلام**، عماد صالح (2003):- **البنوك العربية والكفاءة الاستثمارية** اتحاد المصارف-الطبعة العربية-بيروت-لبنان
3. **المكاوي**، محمد محمود(2003م) **مستقبل البنوك الإسلامية في ظل التطورات الاقتصادية العالمية**- مصر.
4. -**المزاح**، محمد محمد (2013م) **مبادئ الإحصاء والاحتمالات للعلوم الادارية والتطبيقية**- الطبعة الثالثة - مركز جامعة العلوم والتكنولوجيا للكتاب الجامعي - صنعاء اليمن .
5. **الكوزى**، واخرون، احمد الكوزى مهدى حسن زويلف، مدحت طراونة(1997م) :**ادارة البنوك**-دار الفكر-عمأن .
6. **العريقي** منصور محمد اسماعيل (2007م):- **طرق البحث**، الطبعة الاولي -الامين للنشر والتوزيع -صنعاء اليمن .
7. **المغربي**، عبد الحميد عبد الفتاح (1999):- **الاستراتيجية** الطبعة الأولى، القاهرة- مصر.
8. **حنفي** .محمد ناظم(2009م):- **التخطيط الاستراتيجي**- مطبعة جامعة طنطا -مصر.
9. **السيد**، اسماعيل(1998م):- **الإدارة الاستراتيجية مفاهيم وحالات تطبيقية** - مركز التنمية الادارية - جامعة الاسكندرية - مصر.
10. **المغربي**، عبد الحميد عبد الفتاح (2009):- **الإدارة الاستراتيجيةبقياس الأداء المتوازن**-المنصورة. مصر.

ثانيا: الدراسات والدوريات :

1. **الناصر**، ناصر بن فهد **التخطيط الاستراتيجي ودورة في رفع الكفاءة الإنتاجية من وجهة نظر المستفيدين بالإدارة العامة للدوريات الأمنية** رسالة ماجستير غير منشورة أكاديمية نائف العربية للعلوم الأمنية. السعودية 2003م.
2. **ميا**، على زاهر، بسام سلطين، سوما **الإدارة الاستراتيجية وأثرها في رفع أداء منظمات الأعمال** دراسة ميدانية على المنظمات الصناعية العامة في الساحل السوري 2007م مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (29) العدد (1).
3. **الزماني**. أنور عبد المجيد محمد سلام **التخطيط الاستراتيجي في بنك التضامن الإسلامي الدولي**دراسة ميدانية. رسالة ماجستير غير منشورة جامعة العلوم والتكنولوجيا 2009م.
4. **دراسة الزبيدي** عبد الفتاح ناجي **التحديات التي تواجه المصارف الإسلامية اليمنية** دراسة ميدانية، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة العلوم والتكنولوجيا2009م
5. **عبادة** إبراهيم عبد الحليم **مؤشرات الأداء في البنوك الإسلامية**رسالة دكتوراه منشورة جامعة اليرموك2007م
6. **عثمان**. أماني درويش **التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية أنماطه وتأثيره على كفاءوفاعلية صناعة الغزل والنسيج**، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة عين شمس1993م

7. **سماحة،** السيد محمود **التخطيط الاستراتيجي للإنتاج كمدخل لرفع كفاءة وفاعلية القطاع الصناعي** دراسة تطبيقية على قطاع إنتاج مواد ومستلزمات البناء، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة لجامعة عين شمس 1994م
8. **عسكر**، أمين بخيت: **التخطيط الاستراتيجي كأداة لتحسين معايير أداء البنوك التجارية في مصر**. دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة قناة السويس 2006م
9. **محمود**، محمد رجب زقزوف **التخطيط الاستراتيجي للتسويق كمدخل لتعظيم قيمة المنشأة، دراسة تطبيقية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس 2003م
10. **خالص**، صالح **تقييم كفاءة الأداء في القطاع المصرفي** ورقة عمل قدمت في ملتقي المنظومة المصرفية الجزائرية والتحولات الاقتصادية – الواقع والتحديات، 2004م.
11. **محاه**، عربوة **دور بطاقة الأداء المتوازن في قياس وتقييم الأداء المستدام بالمؤسسات المتوسطة للصناعات الغذائية** دراسة مقارنة .رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة فرحأن – الجزائر 2011م.
12. **الجبوري**، مهدي عطية **الأداء المإلى الاستراتيجي للمنشأت المصرفية**دراسة تطبيقية مقارنة رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة القادسية – العراق – 2004م.
13. **الضمور**، موفق محمد **واقع التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية في القطاع العام في الاردن**، رسالة دكتوراه غير منشووة الاكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية – عمأن الاردن 2008م.
14. **جودي**، حيدر حمزة - **علاقة القرار الاستراتيجي في الأداء المصرفي دراسة تحليلية** مجلة الإدارة والاقتصاد العدد 68عام 2008م الجامعة المستنصرية كلية الإدارة والاقتصاد .
15. **الغزي**، نبيل على - **أثر التخطيط الاستراتيجي في نجاح البنوك الإسلامية اليمنية** . رسالة ماجستير غير منشورة – الاكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية – صنعاء – اليمن - 2012م.
16. **عبدالستار**، رجاء رشيد (2012م) **تقويم الأداء المإلى لمصرف الرشيد واهميتة في قياس مخاطر السيولة المصرفية** . مجلة كلية بغداد للعلوم والاقتصاد الجامعة العدد 131- 2012م.
17. **الغالبي** إدريس طاهر محسن منصور، وائل محمد(2009م) **دراسات في الاداء الاستراتيجي وبطاقة الأداء المتوازن –علاقة الاتجاه الاستراتيجي بالأداء التنظيمي**دراسة تطبيقية في المصارف الاردنية –دار زهرأن –عمأن الاردن.
18. **الكردي**، احمد(2010م) **التخطيط الاستراتيجي واهميتة للمصرف**- بحث مقدم لجامعة بنها .
19. **معلا**، ناجي ذيب(بدون تاريخ): **إدارة المعرفة ودورها في التخطيط التسويقي الاستراتيجي في القطاع المصرفي**(نموذج متكامل) جامعة الزيتونة الاردنية .
20. **بن عبدالله**، عبدالعظيم يحي(2005م) **اثر التخطيط الاستراتيجي على اداء المؤسسات المصرفية**.دراسة ماجستير غير منشورة على بنك تنمية الصادرات –جامعة السودأن للعلوم والتكنولوجيا .
21. **عمر**، عبدالحليم (2005م) **معايير تقويم الاداء في المصارف الاسلامية** – ورقة عمل مقدمة الى الملتقى العلمى السابع المصارف الاسلامية – واقع وافاق – المنعقد في جامعة الجزائر ز كلية الدراسات الاسلامية خلال الفترة من 26- 2005/4/28م.
22. **جودى، الصانع**، حيدر حمزة ونغم على (2008م) **اثر استراتيجيات استهداف السوق في الخدمات المصرفية** دراسة ميدانية على احد المصارف العراقية الاهلية مجلة الادارة والاقتصاد العدد التاسع والستون / 2008م الجامعة المستنصرية –كلية الادارة والاقتصاد –.

23. **ابوعويلي**، غادة محمود سلامة (2008م) **مدى تبني مكونات الاستراتيجية التسويقية في المصارف العاملة في فلسطين** رسالة ماجستير عير منشورة الجامعة الاسلامية غزة.

24. **شحاته**، حسين حسين (بدون تاريخ) : **الاطار العام لمعايير تقييم اداء المصرف الاسلامي** ، جامعة الازهر، قسم المحاسبة.

ثالثا الدورات

1. **الشماع**، خليل **تحليل و تقييم أداء المصرف** الأكاديمية العربية للعلوم المالية المصرفية بالتعاون مع البنك المركزي اليمني، دورة تدريبية خلال الفترة من 20/4- 2/5/2002م.

2. **القرشي** سعيد **تحليل وتقييم أداء المصرف الاسلامي** دورة تدريبية خلال الفترة من 9- 13/5/ 2005م .

رابعا: مواقع الكترونية و بحوث على الانترنت:

1. **منذر** قحف(2002م) عوامل نجاح المصارف الإسلامية WWW.KAHF.NET

2. Kenana online.com

خامساً: تقارير

1 تقارير الأداء السنوي للبنك الاسلامي اليمني للتمويل والاستثماون عام 2000م وحتي عام 2011م

2 تقارير الأداء السنوي لبنك التضامن الاسلامي الدوليمن عام 2000م وحتي عام 2011م

3 تقارير الأداء السنوي لبنك سباء الاسلامي من عام 2000م وحتي عام 2011

4 تقارير الأداء السنوي لمصرف اليمن البحرين الشاملمن عام 2002م إلى عام 2011م

سادساً مراجع اجنبية :

1-Fukaura , A (1999) On the Strategic Planning for Bank Marketing , Blanca Rosa Mou Su

2- PISTOL ,G (2010) THE ROLE AND IMPORTANCE OF THE STRATEGIC PLANNING IN BANK MARKETING, Faculty of Finance and Banks, Bucharest, Spiru Haret Universit

استخدام تقنيات تنقيب البيانات لكشف التطفل في شبكات الحاسوب

أ.د.السماني عبد المطلب أحمد-باحث ثاني
أ.إياد محمد مهيوب غالب البريهي-باحث أول
جامعة النيلين، كلية علوم الحاسوب وتقانة
المعلومات، الخرطوم، جمهورية السودان

2

الملخص

أمان وسرية المعلومات في الشبكات تعتبر القضية الرئيسية المؤرقة لكثير من الشركات والمؤسسات التي تستخدم كمية كبيرة من البيانات ، وبالمقابل هناك العديد من الطرق المستخدمة لحماية الشبكات في الوقت الراهن مثل التشفير والـ VPN، وجدران الحماية، ولكن كل هذه الطرق تعتبر طرق استاتيكية جداً للحماية الفعالة ضد المهددات وعدد المهددات ، وتستخدم تقنيات تنقيب البيانات لهذا الغرض حيث تطبق لكشف التطفل intrusion detection.

تهدف هذه الورقة لإستخدام تقنيات تنقيب البيانات (data mining) لكشف حالات الشذوذ في الشبكات تطبيقاً على عينتين عشوائيتين من مجموعة بيانات NLS-KDD Data Set، استخدمت الورقة تقنية التصنيف مصنف شجرة القرار (decision tree) التي تنفذ خوارزمية C4.5، نتيجة التجربة تعرض أن مصنف C4.5 أظهر نتائج فعالة لكشف التطفل في الشبكات الحاسوبية وأظهرت النتائج أنه كلما كانت كمية البيانات كبيرة تكون نسبة الخطأ أقل ودقة التنبؤ عالية.

الكلمات المفتاحية تنقيب البيانات، التطفل، التص نيف، شجرة القرار، اكتساب المعلومات، Gain Ratio، gini index.

1 - مقـــدمـة

أمن أنظمة الحواسيب الخاصة بنا والبيانات في خطر مستمر، ولقد أدى النمو الواسع النطاق للإنترنت وازدياد توفر أدوات وحيل التطفل ومهاجمة الشبكات للتوجه لكشف ومنع التطفل، مما أصبح عنصراً اساسياً وفعالاً في أنظمة الشبكات

يمكن تعريف التطفل (Intrusion) بأنه مجموعة من الأحداث والمهددات التي تهدد السرية والسلامة أوتوافر موارد الشبكة كحساب المستخدم، أنظمة الملفات، نواة النظام. الخ[1].

يتضمن كشف التطفل تحديد مجموعة من الأحداث الخبيثة التي تهدد سلامة وسرية، وتوافر موارد المعلومات. تستند الطرق التقليدية لكشف التسلل على المعرفة الواسعة لتوقيعات الهجمات المعروفة.

تقنيات كشف التسلل المعتمدة على تنقيب البيانات تستند عموماً على واحدة من فئتين، الكشف عن سوء الاستخدام misuse detection أو الكشف عن الشذوذ anomaly detection. في misuse detection يسمى كل instance في مجموعة البيانات إما 'normal' أو 'intrusion ' و يتم تدريب خوارزمية التعلم على بيانات التدريب ، وهذه التقنيات قادرة على إعادة تدريب نماذج كشف التسلل تلقائياً على بيانات الإدخال المختلفة التي تشمل أنواع جديدة من الهجمات ما دام قد وصفت بشكل مناسب.

الكشف عن الشذوذ anomaly detection ، من ناحية أخرى ، يبني نماذج للسلوك الطبيعي normal behavior، وبشكل تلقائي يتم الكشف عن أي انحراف عن ذلك السلوك.

انظمة كشف التطفل او أنظمة منع التطفل كليهما تعمل على مراقبة حركة مرور الشبكة ومنع الأنشطة الخبيثة، وغالبية أنظمة كشف ومنع التطفل تستخدم إما الكشف المعتمد على التوقيع signature-based detection أو الكشف المعتمد على الشذوذ anomaly-based detection.

أ0 الكشف المعتمد على التوقيع signature-based detection: هذه الطريقة تستخدم للكشف عن التوقيعات التي هي أنماط هجوم مكونة مسبقاً ومحددة سلفاً من قبل خبراء المجال، ونظام منع الاختراق المستندة إلى التوقيع تراقب حركة مرور الشبكة لمطابقتها مع هذه التوقيعات ، واذا تم العثور مرة واحدة على تطابق فإن نظام كشف التسلل سوف يبلغ عن وجود الشذوذ وسيتخذ نظام منع الاختراق إجراءات إضافية مناسبة.

ب0 الكشف المعتمد على الشذوذ Anomaly-based detection: هذه الطريقة تبني نماذج لسلوك الشبكات الطبيعية تسمى (تشكيلات profiles) تستخدم بعد ذلك للكشف عن الأنماط التي تحيد كثيراً عن هذه التشكيلات ، و مثل هذه الانحرافات قد تمثل الإختراقات الفعلية أو ببساطة السلوكيات الجديدة التي تحتاج أن تضاف إلى هذه التشكيلات . الميزة الرئيسية للكشف المعتمد على الشذوذ قدرته على

كشف الاختراقات غير المألوفة التي لم يتم ملاحظتها، وعادة يجب على المحلل فرز الانحرافات للتأكد أيا منها تمثل الاختراقات الحقيقية.

ستتناول هذه الورقة استخدام تقنية التصنيف كتقنية من تقنيات تنقيب البيانات لتصنيف بيانات الشبكة لعينتين عشوائيتين من مجموعة البيانات NLS- KDD99 data set العينة الأولى تحتوي على (5,290,866 byte) كبيانات تدريب و(946,848 byte) كبيانات اختبار وتحتوي العينة العشوائية الثانية على كمية بيانات (1,058064 byte) كبيانات تدريب و (497,700 byte) كبيانات اختبار يتم تدريب الخوارزمية C4.5 بواسطة أداة الويكا Weka Tools المصممة لتدريب واختبار خوارزميات تنقيب البيانات، يتم تقييم مصنف C4.5 بواسطة حساب دقة المصنف ونسبة الخطأ الناتجة من مصفوفة التضارب Confusion Matrix.

2 - استخدام تنقيب البيانات في كشف التطفل

لتعزيز أمن الشبكة هناك العديد من الخوارزميات المستخدمة في كشف التسلل مثل التشفير، و VPN، وجدار الحماية، .الخ ، وهذه الخوارزميات توفر الحماية بشكل ثابت عبر الشبكة، ولكن كشف التسلل عملية ديناميكية ولذلك يجب توفير حماية ديناميكية عبر الشبكة[4]. يمكن أن تساعد تقنيات تنقيب البيانات في تعزيز أداء أنظمة حماية ومنع التطفل بعدة طرق أهمها

2 1- خوارزميات تنقيب بيانات جديدة لكشف التطفل :

يمكن استخدام خوارزميات تنقيب البيانات للكشف المعتمد عن التوقيع والكشف المعتمد ع ن الشذوذ معاً

2 1- 1- في خوارزميات الكشف المعتمد على التوقيع تصنف بيانات التدريب إما "طبيعية normal او "متطفلة intrusion"، ويمكن بعد ذلك اشتقاق المصنف الذي يكتشف الاختراقات المعروفة في هذا المجال.

2 1- 2- في خوارزميات الكشف المعتمد على الشذوذ يتم بناء نماذج السلوك الطبيعي(normal behavior) للبيانات وبشكل تلقائي يتم الكشف عن الانحرافات الهامة منها.

2 -2 تحليل الربط Association، والارتباط correlation ونمط التميز

تساعد هذه الخوارزميات في اختيار وبناء المصنفات التمييزية وتطبق لإيجاد العلاقة بين خصائص النظام system attributes التي تصف بيانات الشبكة، ومثل هذه المعلومات يمكن أن توفر الرؤيا الواضحة فيما يتعلق باختيار سمات مفيدة لكشف التسلل.

2 3- تحليل البيانات المجدولة Analysis of stream data:

نظراً لطبيعة تنقل وحركة التطفلات والهجمات الخبيثة لابد من إجراء الكشف عن التطفلات في بيئة البيانات المجدولة، وبالرغم من أن الحدث قد يكون طبيعياً من تلقاء نفسه إلا إنه اعتبر ضاراً اذا نظر إليه كجزء من تسلسل الأحداث، وبالتالي فمن الضروري دراسة ماهي تسلسلات الاحداث المتصادفة معاً بشكل متكرر ولابد من إيجاد الأنماط المتسلسلة وتحديد القيم المتطرفة طرق تعدين البيانات الأخرى ضرورية أيضاً لإيجاد التجمعات المتطورة وبناء نماذج تصنيف ديناميكية في جداول البيانات في الوقت الحقيقي لكشف التسلل.

2 4- طرق تنقيب البيانات الموزعة :

التطفلات يمكن إطلاقها من عدة مواقع مختلفة لتوجه إلى عدة وجهات مختلفة، وفي هذه الحالة يمكن استخدام طرق تنقيب البيانات الموزعة لتحليل بيانات الشبكة من عدة مواقع للشبكة للكشف عن التهديدات الموزعة [3]

3 انواع مهددات التطفل Type Intrusion Attacks:

ستتناول هذه التجربة في هذه الورقة الكشف عن أربعة مهددات تهاجم الشبكات الحاسوبية، حيث سيتم الكشف عنها بواسطة تقنية التصنيف كتقنية من تقنيات تنقيب البيانات بواسطة تنفيذ خوارزمية C4.5 على قاعدة بيانات NLS-KDD99 Data Set.

3 1- مهدد إنكار الخدمة Denial of Service Attack (DoS) :

هو المهدد الذي يجعل مورد الحوسبة او الذاكرة مشغولة جداً او ممتلئة للتعامل مع أي طلبات مشروعة أو حرمان المستخدمين الشرعيين من الوصول إلى الخدمة

3 2- مهدد المستخدم الرئيسي User to Root Attack (U2R):

هو المهدد الذي يتظاهر بأنه المستخدم الشرعي للنظام دون إذن، ثم يستغل نقاط ضعف النظام للحصول على صلاحية الوصول إلى مصدر التحكم بالنظام على سبيل المثال امتلاك صلاحيات تنزيل البرامج المخفية التي قد تتسبب في فقد النظام أو تنفيذ برامج هجومية كما لو أنها جزء من برامج النظام الأصلية.

3 3- مهدد محلي عن بعد Remote To Local Attack (R2L):

هم المهددين غير المصرح لهم خلال الشبكات ويحصلون على وصول محلي للشبكة كمستخدمي الأجهزة المحلية، ويمكنهم شن الهجمات من أي مكان على الانترنت، وفي حالة ان مستخدماً ما أصبح لديه حق الوصول إلى نظام المعلومات فإنه يمكنه استغلال نقاط الضعف في الجهاز المحلي لسرقة

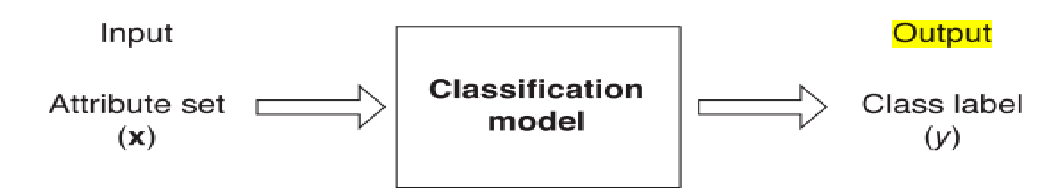
البيانات الهامة أو تدمير نظام المعلومات أي خدمة تحتاج لكلمة سر للوصول إليها تعتبر هدفاً لهذا المهدد هجمات R2L من أصعب الهجمات كشفاً لأنها تنطوي على مستوى الشبكة وميزات مستوى المضيف.

3 4- مهدد التدقيق PROBE ATTACK:

يتم الهجوم من قبل المهاجمين باستخدام برامج فحص تلقائية لعدد كبير من عناوين الـ IP Address الخاص بالشبكات من أجل العثور على نقاط ضعف يمكن استغلالها، فإذا عثر على نقاط ضعف لمرة واحدة فإنه يمكن للمهاجمين استغلالها لكسب الوصول إلى الشبكة والبدء بجمع المعلومات بدون اذن.[4]

4 - تقنية التصنيف classification

التصنيف هو مهمة تعليم دالة معينة f لربط مجموعة الخصائص (x) بفئة (class) معرفة مسبقاً تسمى y ، تعرف الدالة f أيضاً بنموذج التصنيف classification model.



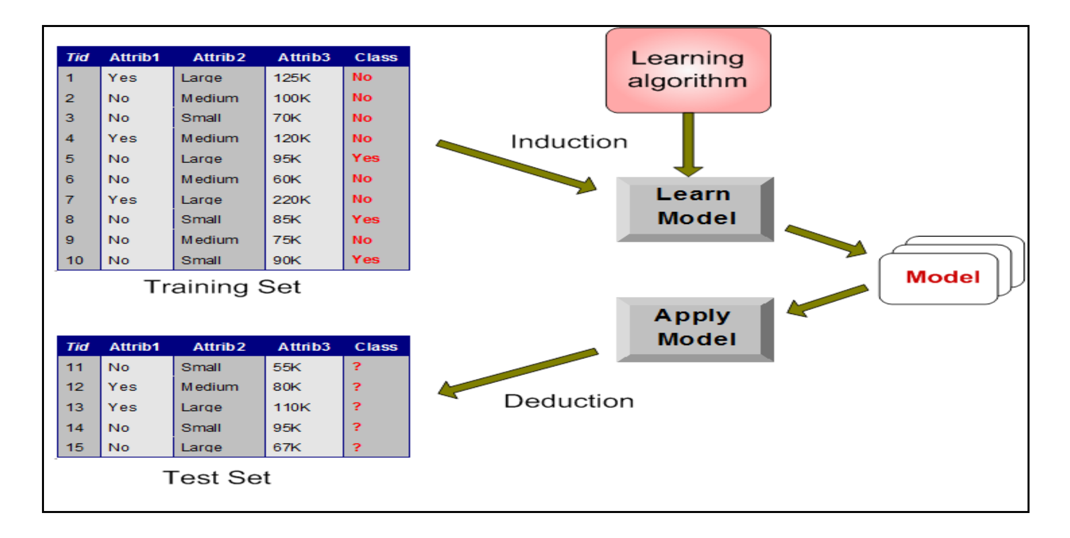
شكل (1) التصنيف

تتم عملية بناء المصنف بخطوتين رئيسيتين هما التعليم (خطوة بناء نموذج التصنيف) والتصنيف (استخدام النموذج ليتنبأ بفئات البيانات غير المعروفة).

أ. في الخطوة الأولى يتم تدرب خوارزمية التصنيف (التعلم) classifing algorithm على بيانات التدريب training data المحتوية على سجلات معروفة لبناء المصنف الذي سيستخدم لفحص بيانات الفحص data test التي تحتوي على سجلات غير معروفة

ب. الخطوة الثانية يقيم أداء المصنف بحساب عدد السجلات المتوقعة المصنفة بشكل صحيح والسجلات المصنفة بشكل خطأ فيما يسمى بمصفوفة التعارض confusion matrix. يتم

تقييم أداء نماذج المصنفات بالحصول على خوارزميات تصنيف تسعى للحصول على أعلى دقة و اقل نسبة خطأ عند تطبيقها على بيانات الاختبار data test . [5]



Tid	Attrib1	Attrib2	Attrib3	Class
1	Yes	Large	125K	No
2	No	Medium	100K	No
3	No	Small	70K	No
4	Yes	Medium	120K	No
5	No	Large	95K	Yes
6	No	Medium	60K	No
7	Yes	Large	220K	No
8	No	Small	85K	Yes
9	No	Medium	75K	No
10	No	Small	90K	Yes

Tid	Attrib1	Attrib2	Attrib3	Class
11	No	Small	55K	?
12	Yes	Medium	80K	?
13	Yes	Large	110K	?
14	No	Small	95K	?
15	No	Large	67K	?

شكل(2) خطوات بناء مصنف البيانات

4 1- حساب مصفوفة التعارض confusion matrix

يتم جدولة عدد السجلات المصنفة بشكل صحيح وعدد السجلات المصنفة بشكل خطأ على شكل مصفوفة تعرف بمصفوفة التعارض.

		Predicted class	
		Class = 1	Class = 0
Actual class	Class = 1	TP	FN
	Class = 0	FP	TN

شكل(3) مصفوفة التعارض الثنائية [1] binary confusion matrix

كل مدخل fij في مصفوفة التعارض يشير الى عدد السجلات في الـ class i المتوقع تكون في الـ class j مثلا fo1 تشير إلى عدد السجلات في الـ class 0 التي تم توقعها بشكل خطأ في الـ class 1.

اعتماداً على المصفوفة فإن

مجموع السجلات المتوقعة بشكل صحيح هي (f11 + f00) .

مجموع السجلات المتوقعة بشكل خطأ هي (f01+f10) .

تحسب الدقة Accuracy لتقييم أداء المصنفات اعتماداً على مصفوفة التعارض من المعادلة التالية

$$Accuracy = \frac{Number\ of\ correct\ predictions}{\text{Total number of predictions}} = \frac{f_{11} + f_{00}}{f_{11} + f_{10} + f_{01} + f_{00}}$$

وبشكل مكافئ يحسب معدل الخطأ من المعادلة التالية

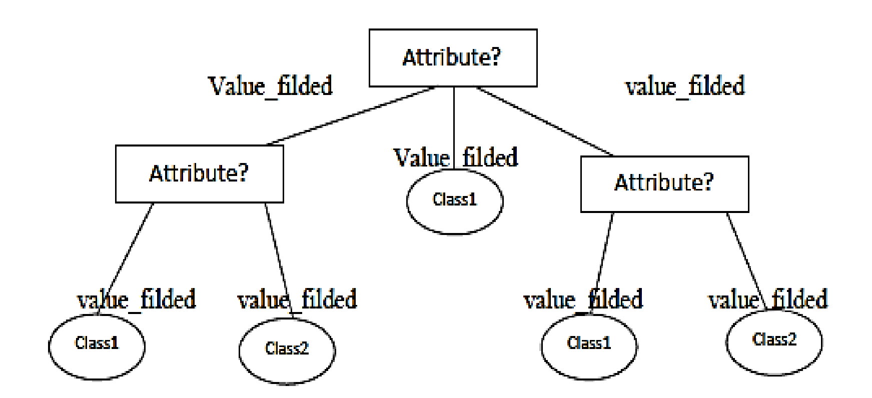
$$Arrore\ rate = \frac{Number\ of\ wrong\ predictions}{\text{Total number of predictions}} = \frac{f_{01} + f_{10}}{f_{11} + f_{10} + f_{01} + f_{00}}$$

4 -2 تقنيات التصنيف Classification Techniques

يتضمن التصنيف عدة تقنيات رئيسية ستناقش هذه الورقة أهم هذه التقنيات وهي تقنية شجرة القرار Decision Tree.

4- 2- 1 مصنف شجرة القرار Decision Tree classifier

أشجار القرار تصنف الحالات عن طريق فرزها على أساس قيم الصفة attribute. كل عقدة داخلية في شجرة القرار تمثل صفة اختبار test attribute، كل فرع يمثل قيمة العقدة، وكل عقدة طرفية (ورقة) تمثل مخرجات الاختبار (قيمة value)، أعلى عقدة في الشجرة هي جذر الشجرة، وتصنف الحالات انطلاقاً من عقدة الجذر في شجرة القرار، يتم تعيين كل عقدة ورقية كفئة class.



الشكل(1-17) شجرة قرار التصنيف[4]

الخوارزميات ID3، C4.5، CART تستخدم أسلوب فرق تسد من أعلى إلى أسفل (top-down recursive divide-and-conquer manner) لتوليد أشجار القرار التي تبدأ بالتدريب على مجموعة بيانات التدريب والفئات (class labels) المرتبطة بها.

4-2-1-1 بناء شجرة القرار How to Build a Decision Tree

من حيث المبدأ، هناك عدد من أشجار القرار يمكن بنا ؤها من مجموعة معينة من الصفات المتوفرة، بينما كثير من أشجار القرار تكون أكثر دقة من الأخرى، الحصول على الشجرة الأمثل مناسب حسابياً بسبب الكم الهائل من حجم عمليات البحث التي تقوم بها الخوارزمية، ومع ذلك فقد تم تطوير خوارزميات فعالة للحث على الدقة بشكل معقول واحدة من هذه الخوارزميات خوارزمية هانت Hunt's algorithm، التي هي أساس العديد من خوارزميات حث شجرة القرارات القائمة، بما في ذلك ID3، C4.5، CART يعرض هذا القسم مناقشة رفيعة المستوى لخوارزمية هانت.[5]

4-2-1-2 خوارزمية هانت Hunt's Algorithm

في خوارزمية هانت يتم توليد شجرة القرار باتباع أسلوب التكرار الذاتي عن طريق تقسيم سجلات التدريب إلى مجموعات فرعية بشكل تتابعي

ليكن Dt مجموعة سجلات التدريب المرتبطة بالعقدة N و y={ y1,y2,...,yn} عبارة عن أصناف التصنيف class lebeles:

1-إذا كانت كل السجلات في Dt تنتمي إلى نفس الـ class yt فإن t عقدة ورقية مرتبطة كـ class yt .

2 -اذا Dt تحتوي سجلات تنتمي إلى أكثر من class ، يتم اختيار شرط اختبار الصفة (attribute test condition) لتقسيم السجلات إلى مجموعات فرعية صغيرة .يتم توليد العقدة الابن (child node) لكل مخرج من مخرجات شرط الاختبار ويتم توزيع سجلات Dt لعقد الأبناء اعتماداً على المخرجات يتم تطبيق الخوارزمية بشكل تكرار ذاتي لكل عقد الأبناء child node [5]

4- 2- 1- 3 معايير اختيار الصفة Attribute Selection Measures

لبناء شجرة القرارات، بجانب اختيار خوارزمية البناء يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار معايير اختيار الصفة المناسب لاختيار معيار التقسيم الأفضل الذي يقسم بيانات معينة D، من المجموعات التدريبية المرتبطة بصف (class) إلى مجموعات فردية ستناقش هذه الورقة ثلاثة معايير عامة لإختيار الصفة المناسبة للتقسيم الأفضل Information Gain، Gain Ratio، Gini Index.

4- 2- 1- 3- 1 اكتساب المعلومة Information Gain

يعرف اكتساب المعلومة بالانخفاض المتوقع للمعلومات اللازمة لتصنيف الصفة A الصفة التي تكون قيمة اكتساب المعلومة لها أعلى من قيمة الصفة الأخرى يتم إختيارها كصفة تقسيم للعقدة N في مجموعة البيانات D [1].

ولحساب اكتساب المعلومة لصفة منفصلة A في مجموعة البيانات D نحسب الأتي

أ - **المعلومات المتوقعة اللازمة لتصنيف سجل في D أو ما يسمى Entropy(D) من المعادلة التالية:**

$$\text{Info}(D) = \sum_{i=1}^{m} p_i \ \log_2(p_i)_i \quad ...(1)$$

أو $$\text{Entropy}(D) = \sum_{i=1}^{m} p_i \ \log_2(p_i)_i$$

حيث p_i احتمالية انتماء السجل في D إلى الـ C_i class وتحسب من العلاقة الآتية :

$$p_i = \frac{|C_{i,D}|}{|D|}$$

حيث $C_{i,D}$ عدد السجلات في D المنتمية إلى الـ class C ، D العدد الكلي للسجلات

تستخدم دالة اللوغاريثم بالاساس 2 لان المعلومات ترمز بالـ bits .

- Info(D) هي متوسط كمية المعلومات اللازمة لتحديد فئة السجل i في D.

ب نحسب المعلومات المتوقعة للـ attribute A في D حيث A تحتوي على عدد v من القيم المنفصلة حيث v={a1,a2,...,av} من المعادلة التالية :

$$info_A(D) = \sum_{j=1}^{v} \frac{|D_j|}{|D|} \times \text{info}(D_j) \ldots \qquad \ldots\ldots\ldots \ (2)$$

أو

$$Entropy_A(D) = \sum_{j=1}^{v} \frac{|D_j|}{|D|} \times \text{Entropy}(D_j)$$

حيث : $\frac{|D_j|}{|D|}$ وزن الجزء j بالنسبة لقيم الصفة A، Dj عدد الـ tuples التي تنتمي لل class j التابعة لل attribute A في D.

ج - لحساب معادلة Information Gain(A) نحسب الفرق بين المعادلة (1) والمعادلة(2)

$$\text{Gain(A)} = \text{info}(D) - info_A(D) \qquad \ldots\ (3)$$

أو

No.	Duration	dst_host_same _src_port_rate	dst_host_srv_ diff_host_rate	Flag	src_bytes	dst_bytes	Class
1	0.0	0.17	0.0	SF	491.0	0.0	Normal
2	0.0	0.88	0.0	SF	146.0	0.0	Normal
3	0.0	0.0	0.0	S0	0.0	0.0	Anomaly
4	0.0	0.03	0.04	SF	232.0	8153.0	Normal
5	0.0	0.0	0.0	SF	199.0	420.0	Normal
6	0.0	0.0	0.0	REJ	0.0	0.0	Anomaly
7	0.0	0.0	0.0	S0	0.0	0.0	Anomaly
8	0.0	0.0	0.0	S0	0.0	0.0	Anomaly
9	0.0	0.0	0.0	S0	0.0	0.0	Anomaly
10	0.0	0.0	0.0	S0	0.0	0.0	Anomaly
11	0.0	0.0	0.0	REJ	0.0	0.0	Anomaly
12	0.0	0.0	0.0	S0	0.0	0.0	Anomaly
13	0.0	0.12	0.03	SF	287.0	2251.0	Normal
14	0.0	1.0	0.2	SF	334.0	0.0	Anomaly
15	0.0	0.0	0.0	S0	0.0	0.0	Anomaly
16	0.0	0.0	0.0	S0	0.0	0.0	Anomaly
17	0.0	0.01	0.02	SF	300.0	13788.0	Normal
18	0.0	1.0	1.0	SF	18.0	0.0	Anomaly
19	0.0	0.02	0.03	SF	233.0	616.0	Normal

$$Gain(A) = Entropy(D) - Entropy_A(D).$$

يعرض الجدول عينة عشوائية من سجلات البيانات D اخذت من مجموعة البيانات الشبكية nls-KDD99.

جدول (1) عينة عشوائية لمجموعة سجلات nls_KDD99 data set

لحساب Gain(flag) اعتمادا على الخاصية class يتم حساب المعادلات الآتية :

1 - نحسب Entropy (D) كما يلي :

Entropy (D)= $-((7/19) \log_2(7/19)+ (12/19) \log_2(12/19)) = 0.949$ bits

2 - نحسب EntropyA(D) لكل خاصية في D فمثلا A= flag

S0=8	SF=9	REJ=2	Class
0	7	0	Normal
8	2	2	Anomaly

$$Entropy_A(D) = \sum_{j=1}^{v} \frac{|D_j|}{|D|} \times Entropy(D_j)$$

$= -(8/19)((0/8)*\log(0/8) - (8/8) \log(8/8)) + (-9/19((7/9) \log (7/9)- ((2/9) \log(2/9)) + (-(2/19)$
$((0/2)\log(0/2) - (2/2)\log(2/2))).$

$= -(8/19)(\log_2 1) + (-(9/19)((7/9)*\log_2(7/9)-(2/9)*\log_2(2/9))) + (-(2/19)(-\log_2 1))$

$= 0 + 0.473(0.77*\log_2 0.77) - (0.2*\log_2 0.2)+0$

$= 0.178 + 0.464$

$=0.642$ bits

3 - نحسب الـ information gain للخاصية flag :

Gain(flag)= Entropy(D)-$Entropy_{flag}$(D)= 0.949 - 0.642 = 0.307bits

التقسيم بواسطة معيار information gain يعتمد على اختبار عدد المخرجات أي أن هذا المعيار يفضل اختيار الـ attribute ذات عدد أكبر من القيم فمثلا الصفات ذات القيم الوحيدة unique attribute (مثلاً product_id) سوف تكون محل اهتمام لهذا المعيار وبالتالي فإن التقسيمات الناتجه عنه سوف تكون كبيرة جداً و وحيدة pure (بعدد قيم الـ unique attribute) ولذلك فإن infounique_attribute(D) =0 ، وبالتالي فإن هذا المعيار غير مناسب لعملية التصنيف لأنه ينتج عدداً كبيراً جداً من التقسيمات.

4- 2- 1- 3- 2 نسبة الكسب Gain Ratio

نسبة الكسب امتداداً للكسب المعلوماتي يتخلص من نقاط ضعفه ويطبق نوعاً من التطبيع على الكسب المعلوماتي باستخدام معلومات التقسيم "split information" لقيمة معرفة بشكل قياسي كما في المعادلة الآتية[1] :

$$SplitInfo_A(D) = -\sum_{j=1}^{v} \frac{|D_j|}{|D|} \times \log_2\left(\frac{|D_j|}{|D|}\right).$$

هذا المعيار يأخذ في الاعتبار حساب عدد المخرجات الناتجة لاختبار الصفة على سبيل المثال، في خوارزمية شجرة القرارات C4.5 يتم استخدام معيار تقسيم Gain Ratio لتحديد الانقسام الأفضل ويعرف هذا المعيار بالمعادلة الآتية [4] :

$$GainRatio(A) = \frac{Gain(A)}{SplitInfo(A)}.$$

الصفة التي يكون عندها نسبة الكسب أعلى قيمة يتم اختيارها كأفضل صفة تقسيم للمجموعة D .[1]

ولتوضيح ذلك نسبة الكسب للصفة flag من الجدول (1)

$Splitinfo_{flag}(D) = -(8/19)*\log_2(8/19) - (2/19)*\log_2(2/19) - (9/19)*\log_2(9/19)$

$= 0.525+0.342+0.510$

splitinfo(flag) =1.377 bits

Gainratio(flag)= gain(flag)/splitinfo(flag)

=0.307/1.377

=0.2229 bits .

4- 2- 1- 3- 3 مؤشر جيني Gini Index

معيار مؤشر جيني يحاول تجنب مشكلة الكسب المعلوماتي Information Gain بتقييد شروط الاختبار إلى تقسيمات ثنائية فقط بمعنى يتم حساب مجموع الشوائب الموزونة لكل قسم ، ويستخدم هذا المعيار مع خوارزمية CART .

Gini index يقيس شوائب D و مجموعة سجلات التدريب أو أقسام البيانات حسب المعادلة التالية

$$Gini(D) = 1 - \sum_{i=1}^{m} P_i^2.$$

حيث $p_i = |C_{i,D}| / |D|$

– اذا الصفةA تقسم قاعدة البيانات D الى D_1 و D_2 فإن الـ gini index يقسم D الى التقسيم التالي :

$$Gini_A(D) = \frac{|D_1|}{|D|}\ Gini(D_1) + \frac{|D_2|}{|D|}\ Gini(D_2).$$

D1 تمثل مجموعة من السجلات في D تحقق الشرط A <= spilt_point

D2 تمثل مجموعة من السجلات في D تحقق الشرط A > spilt_point

تخفيض الشوائب المتوقع من الانقسام الثنائي على صفة A منفصلة أو مستمرة القيمة تحسب وفق المعادلة التالية :

$$\Delta Gini(A) = Gini(D) - Gini_A(D).$$

ولتوضيح ذلك لنفترض مجموعة التدريب D كما في الجدول (1) فإن عدد السجلات عندما الـ class =normal تساوي 7 وعندما الـ class = anomaly تساوي 12 ، لإنشاء العقدة N التي تمثل جذر الشجرة لسجلات بيانات التدريب D نحسب الآتي :

اولاً نحسب الـ gini index لـ D impurity of حسب المعادلة التالية

Gaini (D) =1 $-(7/19)^2 - (12/19)^2$

= 1- 0.1357-0.39889 == 0.46541 bits .

لإيجاد التقسيم المناسب لـ D باستخدام الخاصية flag يتم تقسيم مجموعة التدريب D إلى مجموعتين D1 و D2 كمايلي

D1={S0,SF} و D2 ={REJ} عدد السجلات في D1 = 17 و عدد السجلات في D2 = 2

$Gini_{flag}(D)$= (17/19)Gini(D1) + (2/19)Gini(D2)

$=(17/19)(1-(7/17)^2 - (9/17)^2) + (2/19)(1-(2/2)^2 - (0/2)^2)$

= 0.894(1-0.169-0.280)+0.105(1-1-0)

= 0.527 bits .

الصفة التي لها قيمة Gini index أقل من قيمة الصفات الأخرى يتم إختيارها كصفة تقسيم لمجموعة بيانات التدريب D [1].

4- 5 استخدام تقنية التصنيف لكشف التطفل في قاعدة بيانات NLS-KDD99 data set

استخدم العديد من الباحثين بيانات KDD Cup 1999 لبناء نظم كشف التطفل وأظهرت الدراسات السابقة وجود بعض المشاكل الكامنة في هذه البيانات، إنّ التحديد المهم لهذه البيانات هو العدد الهائل للسجلات الزائدة بمعنى أن 78% من سجلات التدريب و 75% من سجلات الاختبار متكررة، هذه البيانات تعاني من بعض المشاكل وقد لا تكون مثلى للشبكات الفعلية الموجودة، ويمكن أن يكون محاكاة الهجوم ضمن واحد من الأصناف الأربعة (Dos , R2L , U2R , Probe).

مجاميع البيانات المتولدة KDD Train، KDD Test شملت (125973, 22544) سجلاً على التوالي اقترحت بيانات NSL-KDD من قبل (Tavallaee et al.) حل مشاكل بيانات KDD المذكورة سابقاً تعتبر NSL-KDD التي تحوي في كل سجل اتصال TCP على 41 ميزة مع عنوان يوضح هل هذا الاتصال هو اتصال اعتيادي أو نوع من أنواع التطفل ، وهناك 38 ميزة رقمية و 3 ميزة رمزية ، يأتي فوائد NSL-KDD مقارنة بمجموعة بيانات KDD الأصلية .

- لا تشمل سجلات زائدة في مجموعة التدريب ولن تميل المصنفات باتجاه سجلات أكثر حدوثاً.
- عدد السجلات المختارة من كل مجموعة مستوى الصعوبة يتناسب عكسياً ونسبة السجلات في مجموعة KDD الأصلية، و نتيجة لذلك نسب تصنيف طرائق تعليم الآلة المتميزة تختلف بمدى واسع، مما يجعل زيادة الفعالية امتلاك تقييم دقيق لتقنيات تعليم مختلفة.
- عدد السجلات في التدريب ومجاميع الاختبار معقول مما يجعل من المحتمل إجراء تجارب على المجموعة الكاملة دون الحاجة للاختبار العشوائي لنسبة ضئيلة نتيجة لذلك سيكون تقييم نتائج البحوث المختلفة ثابتة ومشابهة
- 4-6 تدريب خوارزمية c4.5 على NLS-KDD
- استخدمت أداة Weka 3.7.9 لتدريب خوارزمية C4.5 على بيانات التدريب NLS-KDD Train لبناء مصنف البيانات وتم اختباره على بيانات الاختبار NLS-KDD Test ثم تم تقييم أداء المصنف من خلال حساب دقة التصنيف ونسبة الخطأ في التصنيف يمكن قياس دقة المصنفات بحساب الآتي:
- نسبة الضبطية (Precision) نسبة سجلات الـ class A المصنفة بشكل صحيح إلى السجلات المصنفة في الـ class A.

أ نسبة الاستدعاء Recall نسبة سجلات الـ class A المصنفة بشكل صحيح إلى عدد السجلات في الـ class A .

ب - الإيجابية الكاذبة False positive (FP) أو الإنذار الكاذب false alarm : أي يتم تصنيف السجلات على أنها attacks وهي في الحقيقة normal

ت - السلبية الكاذبة False Negative (FN): تصنيف السجلات على أنها طبيعية وهي في الحقيقة مهددات وهذه الهجمات هي الهدف من عملية الكشف

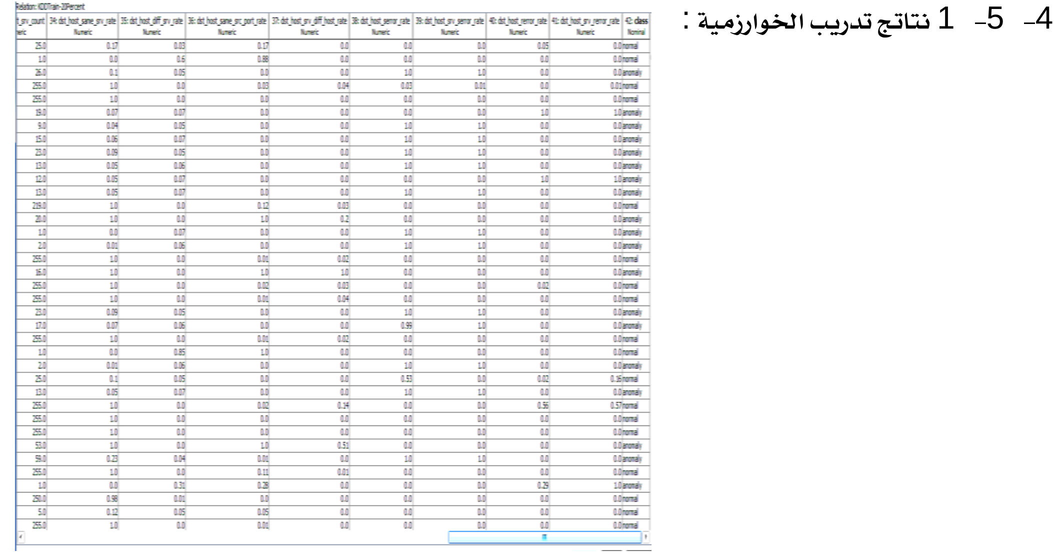
ث - الإيجابية الصادقة True Positive (TP): تصنيف السجلات على أنها normal وهي في الحقيقة normal .

ج السلبية الصادقة False Negative (FN): تصنيف السجلات على انها attacks وهي في الحقيقة attacks.

يتم حساب دقة المصنف اعتماداً على معدل الكشف Detected Rate و معدل الإنذار الكاذب False Alarm Rate.

استخدمت هذه الورقة مجموعة عشوائية من بيانات NLS-KDD وكانت نتائج التدريب كما يأتي :

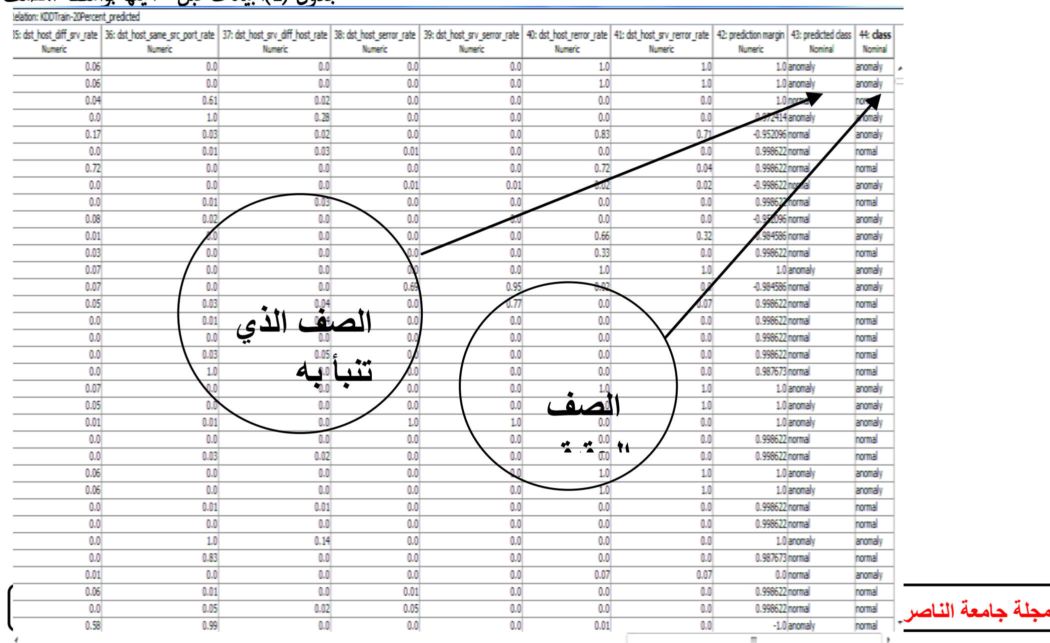
4- 5- 1 نتائج تدريب الخوارزمية :



Relation: KDDTrain-20Percent

t_srv_count Numeric	34: dst_host_same_srv_rate Numeric	35: dst_host_diff_srv_rate Numeric	36: dst_host_same_src_port_rate Numeric	37: dst_host_srv_diff_host_rate Numeric	38: dst_host_serror_rate Numeric	39: dst_host_srv_serror_rate Numeric	40: dst_host_rerror_rate Numeric	41: dst_host_srv_rerror_rate Numeric	42: class Nominal
25.0	0.17	0.03	0.17	0.0	0.0	0.0	0.05	0.0	normal
1.0	0.0	0.6	0.88	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	normal
26.0	0.1	0.05	0.0	0.0	1.0	1.0	0.0	0.0	anomaly
255.0	1.0	0.0	0.03	0.04	0.03	0.01	0.0	0.01	normal
255.0	1.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	normal
19.0	0.07	0.07	0.0	0.0	0.0	0.0	1.0	1.0	anomaly
9.0	0.04	0.05	0.0	0.0	1.0	1.0	0.0	0.0	anomaly
15.0	0.06	0.07	0.0	0.0	1.0	1.0	0.0	0.0	anomaly
23.0	0.09	0.05	0.0	0.0	1.0	1.0	0.0	0.0	anomaly
13.0	0.05	0.06	0.0	0.0	1.0	1.0	0.0	0.0	anomaly
12.0	0.05	0.07	0.0	0.0	0.0	0.0	1.0	1.0	anomaly
13.0	0.05	0.07	0.0	0.0	1.0	1.0	0.0	0.0	anomaly
219.0	1.0	0.0	0.12	0.03	0.0	0.0	0.0	0.0	normal
20.0	1.0	0.0	1.0	0.2	0.0	0.0	0.0	0.0	anomaly
1.0	0.0	0.07	0.0	0.0	1.0	1.0	0.0	0.0	anomaly
2.0	0.01	0.06	0.0	0.0	1.0	1.0	0.0	0.0	anomaly
255.0	1.0	0.0	0.01	0.02	0.0	0.0	0.0	0.0	normal
16.0	1.0	0.0	1.0	1.0	0.0	0.0	0.0	0.0	anomaly
255.0	1.0	0.0	0.02	0.03	0.0	0.0	0.02	0.0	normal
255.0	1.0	0.0	0.01	0.04	0.0	0.0	0.0	0.0	normal
23.0	0.09	0.05	0.0	0.0	1.0	1.0	0.0	0.0	anomaly
17.0	0.07	0.06	0.0	0.0	0.99	1.0	0.0	0.0	anomaly
255.0	1.0	0.0	0.01	0.02	0.0	0.0	0.0	0.0	normal
1.0	0.0	0.85	1.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	normal
2.0	0.01	0.06	0.0	0.0	1.0	1.0	0.0	0.0	anomaly
25.0	0.1	0.05	0.0	0.0	0.53	0.0	0.02	0.16	normal
13.0	0.05	0.07	0.0	0.0	1.0	1.0	0.0	0.0	anomaly
255.0	1.0	0.0	0.02	0.14	0.0	0.0	0.56	0.57	normal
255.0	1.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	normal
255.0	1.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	normal
53.0	1.0	0.0	1.0	0.51	0.0	0.0	0.0	0.0	anomaly
59.0	0.23	0.04	0.01	0.0	1.0	1.0	0.0	0.0	anomaly
255.0	1.0	0.0	0.11	0.01	0.0	0.0	0.0	0.0	normal
1.0	0.0	0.31	0.28	0.0	0.0	0.0	0.29	1.0	anomaly
250.0	0.98	0.01	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	normal
5.0	0.12	0.05	0.05	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	normal
255.0	1.0	0.0	0.01	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	normal

جدول (1)البيانات قبل تصنيفها بواسطة المصنف



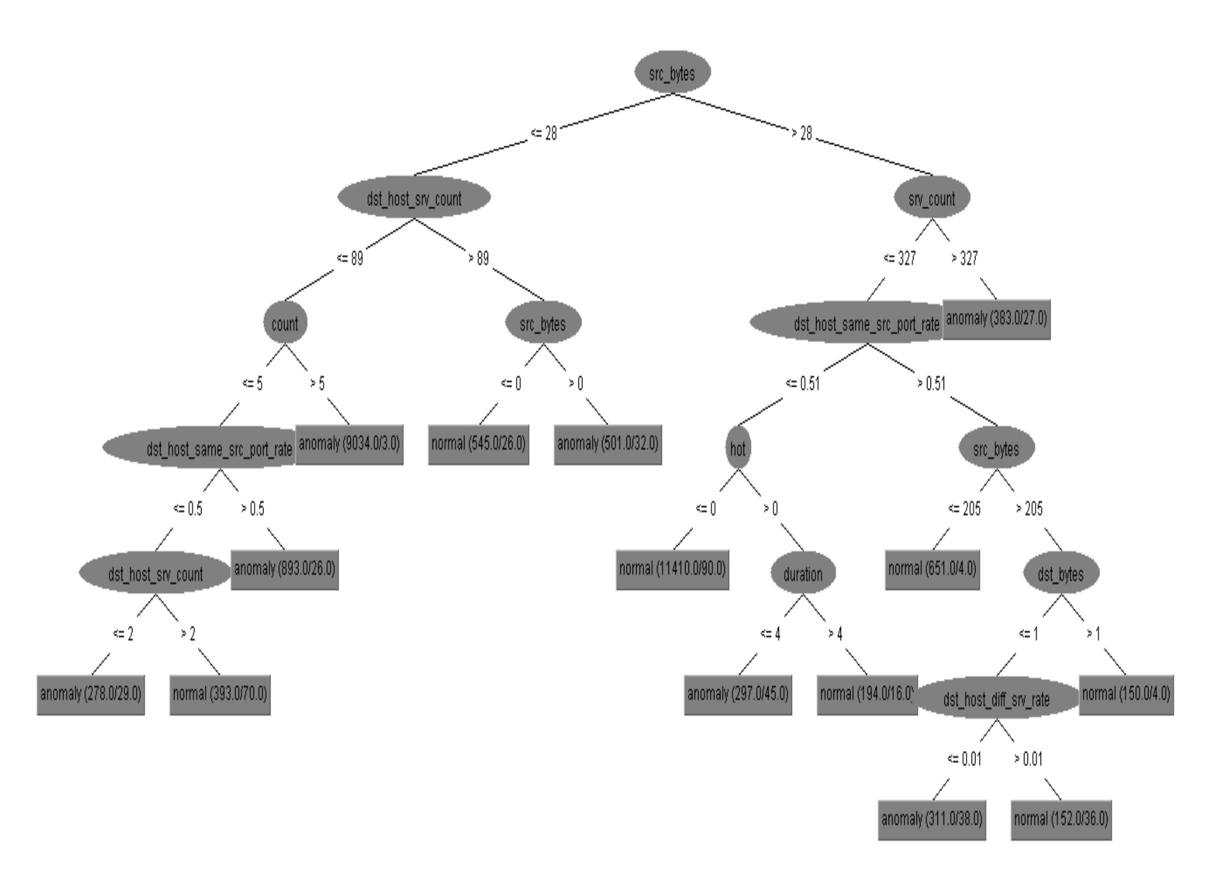
Relation: KDDTrain-20Percent_predicted

35: dst_host_diff_srv_rate Numeric	36: dst_host_same_src_port_rate Numeric	37: dst_host_srv_diff_host_rate Numeric	38: dst_host_serror_rate Numeric	39: dst_host_srv_serror_rate Numeric	40: dst_host_rerror_rate Numeric	41: dst_host_srv_rerror_rate Numeric	42: prediction margin Numeric	43: predicted class Nominal	44: class Nominal
0.06	0.0	0.0	0.0	0.0	1.0	1.0	1.0	anomaly	anomaly
0.06	0.0	0.0	0.0	0.0	1.0	1.0	1.0	anomaly	anomaly
0.04	0.61	0.02	0.0	0.0	0.0	0.0	1.0	normal	normal
0.0	1.0	0.28	0.0	0.0	0.0	0.0	0.972414	anomaly	anomaly
0.17	0.03	0.02	0.0	0.0	0.83	0.71	-0.952096	normal	anomaly
0.0	0.01	0.03	0.01	0.0	0.0	0.0	0.998622	normal	normal
0.72	0.0	0.0	0.0	0.0	0.72	0.04	0.998622	normal	normal
0.0	0.0	0.0	0.01	0.01	0.02	0.02	-0.998622	normal	anomaly
0.0	0.01	0.03	0.0	0.0	0.0	0.0	0.998622	normal	normal
0.08	0.02	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	-0.952096	normal	anomaly
0.01	0.0	0.0	0.0	0.0	0.66	0.32	0.984586	normal	anomaly
0.03	0.0	0.0	0.0	0.0	0.33	0.0	0.998622	normal	normal
0.07	0.0	0.0	0.0	0.0	1.0	1.0	1.0	anomaly	anomaly
0.07	0.0	0.0	0.69	0.95	0.02	0.0	-0.984586	normal	anomaly
0.05	0.03	0.04	0.0	0.77	0.0	0.07	0.998622	normal	normal
0.0	0.01	[illegible]	0.0	0.0	0.0	0.0	0.998622	normal	normal
0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.998622	normal	normal
0.0	0.03	0.05	0.0	0.0	0.0	0.0	0.998622	normal	normal
0.0	1.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.987673	normal	normal
0.07	0.0	0.0	0.0	0.0	1.0	1.0	1.0	anomaly	anomaly
0.05	0.0	0.0	0.0	0.0	[illegible]	1.0	1.0	anomaly	anomaly
0.01	0.01	0.0	1.0	1.0	0.0	0.0	1.0	anomaly	anomaly
0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.998622	normal	normal
0.0	0.03	0.02	0.0	0.0	0.0	0.0	0.998622	normal	normal
0.06	0.0	0.0	0.0	0.0	1.0	1.0	1.0	anomaly	anomaly
0.06	0.0	0.0	0.0	0.0	1.0	1.0	1.0	anomaly	anomaly
0.0	0.01	0.01	0.0	0.0	0.0	0.0	0.998622	normal	normal
0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.998622	normal	normal
0.0	1.0	0.14	0.0	0.0	0.0	0.0	1.0	anomaly	anomaly
0.0	0.83	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.987673	normal	normal
0.01	0.0	0.0	0.0	0.0	0.07	0.07	0.0	normal	anomaly
0.06	0.01	0.0	0.01	0.0	0.0	0.0	0.998622	normal	normal
0.0	0.05	0.02	0.05	0.0	0.0	0.0	0.998622	normal	normal
0.58	0.99	0.0	0.0	0.0	0.01	0.0	-1.0	anomaly	normal

جدول رقم (2) البيانات بعد تصنيفها بواسطة المصنف

يبين الجدول (2) نتيجة اختبار المصنف C4.5 على بيانات الاختبار حيث يوضح الجدول الصف الحقيقي (class nominal) والصف المتوقع بواسطة المصنف (predicted class nominal) الذي يستخدم كصف معتمد لتصنيف هذه السجلات ، كما يبين الشكل أن السجلات التي صنفت بالفعل على أنها طبيعية normal هي في الأصل طبيعية والسجلات التي صنفت على أنها مهددات هي في الأصل مهددات بالفعل، ولكن توجد نسبة خطأ في تصنيف بعض السجلات التي صنفت على أنها مهددات وهي بالحقيقية سجلات طبيعية وكذلك سجلات صنفت على أنها طبيعية وهي بالحقيقة مهددات

4-5-2 مصنف شجرة القرار الناتج



شكل(5) مصنف شجرة القرارالناتج لقاعدة بيانات NLS-KDD data set

4- 6 تقييم المصنف Evalution Classifier

مصفوفة التضارب الناتجة لعملية اختبار المصنف على 20% Of NLS-KDD Data Set Test

		Predicted class	
		Class = normal	Class = anomaly
Actual class	Class = normal	1879	273
	Class = anomaly	3996	5702

شكل رقم (6) مصفوفة التضارب الناتجة لإختبار المصنف C4.5 على % Of NLS-KDD Data Set Test 20

Accurcy = (1879 + 5702) / (1879 + 273 + 3996 + 5702)

= (7581) / (11850)

= 0.639 = 63.9 %

Errore rate = (3996 + 273) / (1879 +273 + 3996 + 5702)

= (4269) / (11850)

= 0.360

= 36%

true positive rate (TPR) or sensitivity= TP/(TP + FN)

= 1879 /(1879 + 273) = 87 %

true negative rate (TNR) or specificity = TN/(TN + FP).

= 5702 / (5702 + 3996) = 59%

false positive rate (FPR) = FP/(TN + FP),

= 3996 / (5702 + 3996) = 41%

false negative rate (FNR) = FN/(TP + FN).

= 273/(1879 + 273) = 13%

Precisoin = tp /(tp + fp)

= 1879 / (1879 + 3996) = 32%

Recall = tp / (tp + fn)

= 1879 / (1879 + 273) = 87%

تلخص نتائج التجربة1 في الجدول التالي :

TPR	FP	TP	FN	Precisoin	Recall	Errore rate	Accurcy
87 %	41%	58%	13%	32%	87%	36%	63.9 %

شكل رقم (7) نتائج اختبار المصنف C4.5 على بيانات 20% Of NLS-KDD Data Set Test

مصفوفة التضارب الناتجة لعملية اختبار المصنف على Full NLS- KDD 99 Data Set Test

		Predicted class	
		Class = normal	Class = anomaly
Actual class	Class = normal	9448	263
	Class = anomaly	3900	8933

شكل رقم (6) مصفوفة التضارب الناتجة لإختبار المصنف C4.5 على Full NLS-KDD 99 Data Set Test

نتائج التجربة2 :

TP	FP	TN	FN	Precisoin	Recall	Errore rate	Accurcy
97 %	59%	69.6%	2.7%	70.8%	97%	36%	81.5339%

شكل رقم (9) نتائج اختبار المصنف C4.5 على ب على Full NLS-KDD 99 Data Set Test

5 الخلاصة CONCLUSION :

إذا أردنا استخدام الشبكة فإن هناك حاجة ملحة لكشف هجوم أنظمة الشبكة وفي هذه الورقة استخدمت واحدة من أهم تقنيات استخراج البيانات وهي C4.5 للكشف عن الشذوذ في الشبكة. نتيجة التجربة المعروضة سابقاً اظهرت خوارزمية C4.5 نتيجة فعالة في كل من كشف الشذوذ ومعدل الانذار الكاذب في مجموعة البيانات المتوفرة، وأظهرت النتائج أنه كلما كانت كمية البيانات كبيرة تكون نسبة الخطأ أقل ودقة تنبؤ المصنف عالية حيث كانت دقة المصنف % 63.9 عندما كانت كمية بيانات الاختبار (946,848 byte) وعندما زادت كمية بيانات الى(497,700 byte) ارتفت دقة المصنف الى 81.5339٪، بينما كانت كمية بيانات التدريب ثابت ة، هذه النتائج تدلل قدرة المصنف العالية للتعلم كلما زاد حجم كمية البيانات.

6 - مراجع:

1. Data Mining: Concepts and Techniques Third Edition - Jiawei Han - University of Illinois at Urbana–Champaign - Micheline Kamber Jian Pei Simon Fraser University- Morgan Kaufmann is an imprint of Elsevier.-
2. Data Mining for Network Intrusion Detection Paul Dokas, Levent Ertoz, Vipin Kumar, Aleksandar Lazarevic, Jaideep Srivastava, Pang-Nig Tan ,Computer Science Department, 200 Union Street SE, 4-192, EE/CSC Building ,University of Minnesota, Minneapolis, MN 55455, USA ,aleks@cs.umn.edu ,srivasta@cs.umn.edu ,kumar@cs.umn.edu .
3. Zirkle, L., "What is host-based intrusion detection? "Virginia Tech CNS. SANS -Institute Resources, Intrusion Detection FAQ, Hyperlink ID FAQ, 2000.
4. ISSN (Print): 2279-0047 ISSN (Online): 2279-0055 - International Journal of Emerging -Technologies in Computational and Applied Sciences (IJETCAS) www.iasir.net,Differentiating Network Attacks using C4.5 Algorithm with Multiboosting,V.Balaji1, Varalakshmi.K2 # Department of Computer Science and Engineering, SRM University, SRM Nagar, Kattankulathur – 603203, Kancheepuram District, Tamil Nadu, INDIA.
5. Introduction to Data Mining- by Tan, Steinbach, Kumar – 2004

آثار إلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده

دراسة مقارنة في كل من القانون اليمني والمصري والأردني

أ.د/ عبد الكريم محمد عبد الرحمن الطير
أستاذ قانون المرافعات المشارك - كلية الشريعة والقانون - جامعة صنعاء

3

الملخص

فإن أهمية موضوع البحث الموسوم بـ" آثار إلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده" ترجع إلى كون إلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده يعد بمثابة استثناء من قاعدة في الإثبات مفادها: "أن على المدعي البينة واليمين على من أنكر" وهو استثناء على قاعدة " لا يجبر الشخص على تقديم دليل ضد نفسه" التي تقابلها قاعدة " لا يجوز أن يصطنع الشخص دليلا لنفسه[١].

والأصل أن المعني بالإثبات هم الخصوم، والمعني بالحضور أمام المحكمة هم الخصوم أيضا؛ إلا أن هذا الموضوع في جزء منه يعد استثناء على انحصار آثار الخصومة على أطرافها؛ حيث أجازت كثير من القوانين إلزام الشخص؛ وإن كان من غير أطراف الخصومة بتقديم محرر تحت يده، أو عرضه على الخصوم أو المحكمة، أو إدخاله في خصومة لمجرد تقديم محرر بحيازته.

تلك الاستثناءات -بطبيعة الحال -ترتب عليها آثار فما هي تلك الآثار؟ هذا هو محور هذا البحث؛ سواء كانت آثار تترتب على توافر شروط وحالات إلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده، أو أثار الحكم بناء على طلب الخصم أو بناء على قرار المحكمة من تلقاء نفسها، وسواء كان الشخص خصماً أو كان مدخلاً كخصم أو كحائز للمحرر(بمثابة شاهد).

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين. أما بعد

فإن أهمية موضوع البحث الموسوم بـ" آثار إلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده" ترجع إلى كون إلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده يعد بمثابة استثناء من قاعدة في الإثبات مفادها: "أن على المدعي البينة واليمين على من أنكر" وهو استثناء على قاعدة " لا يجبر الشخص على تقديم دليل ضد نفسه" التي تقابلها قاعدة " لا يجوز أن يصطنع الشخص دليلا لنفسه[1].

والأصل أن المعني بالإثبات هم الخصوم، والمعني بالحضور أمام المحكمة هم الخصوم أيضا؛ إلا أن هذا الموضوع في جزء منه يعد استثناء على انحصار آثار الخصومة على أطرافها؛ حيث أجازت كثير من القوانين إلزام الشخص؛ وإن كان من غير أطراف الخصومة بتقديم محرر تحت يده، أو عرضه على الخصوم أو المحكمة، أو إدخاله في خصومة لمجرد تقديم محرر بحيازته.

تلك الاستثناءات -بطبيعة الحال -ترتب عليها آثار فما هي تلك الآثار؟ هذا هو محور هذا البحث؛ سواء كانت آثار تترتب على توافر شروط وحالات إلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده، أو أثار الحكم بناء على طلب الخصم أو بناء على قرار المحكمة من تلقاء نفسها، وسواء كان الشخص خصما أو كان مدخلا كخصم أو كحائز للمحرر(بمثابة شاهد).

---

١ - أكدت على ذلك المحكمة العليا اليمنية حيث جاء في حكم لها: "ذلك أن البين من الاطلاع على حكم الشعبة[شعبة الاستئناف] محل الطعن بالنقض نجد أنه قد قضى في الفقرة / الثانية منه بإلزام المستأنف (الطاعن حالياً) بدفع الدين "الثابت بذمته" مبلغ وقدره (٧,٦٧٧,٩٠٥,٥٠) ريال وبحسب الاطلاع على ما جاء بحيثيات حكمها فقد استندت الشعبة في ثبوت هذا المبلغ كدين في ذمة الطاعن إلى مذكرة صادرة من البنك بتاريخ ٢٠٠٢/١٠/١٢م موجهة إلى الطاعن يطالبه فيها بدفع مبلغ (٧,٦٧٧,٩٥٠) ريال مدعياً فيها إن هذا المبلغ هو إجمالي الرصيد .. وحيث إن تلك المذكرة ليست إلا عبارة عن محرر عرفي صادر من المدعي وهو البنك المطعون ضده حالياً لا يصلح لإثبات ما يدعيه البنك نفسه ضد الطاعن إذ لا يجوز للخصم أن يستند في إثبات ما يدعيه لنفسه إلى دليل من صنع يده وبقول آخر فإن الخصم ليس له أن يحتج بعمل نفسه لنفسه كدليل في مواجهة غيره ومن ثم فإن استناد الشعبة إلى هذا المحرر " تكليف الوفاء " للقول بثبوت هذا المبلغ كدين في ذمة الطاعن يكون أمراً غير مقبول شرعاً أو قانوناً خاصة وأن هذا المحرر لا يوجد بشأنه مصادقة من الطاعن على ما جاء فيه أو إقرار منه صريح بذلك كما لا يفيد ذلك مجرد التوقيع عليه من الطاعن ، الأمر الذي يضحى معه نعي الطاعن في محله في هذا الخصوص" حكم تجاري رقم ٢٥٩٨٣؛ صادر بتاريخ:١٧/ربيع الآخر/١٤٢٧هـ الموافق:٢٠٠٦/٥/١٥م عن الدائرة التجارية هيئة (ب)، المحكمة اليمنية العليا ؛ مركز المعلومات ؛ الأرشيف الالكتروني؛ القرارات الصادرة عام ١٤٢٧هـ -الموافق ٢٠٠٦م.

سبب اختيار الموضوع:

وما دفعني لبحث هذا الموضوع هو خلو المكتبة القانونية –خاصة المكتبة اليمنية –من هذه الدراسة؛ وأملي أن يملأ هذا البحث الفراغ القائم في هذا الجانب.

كما آمل أن يكون هذا البحث عوناً للقضاة والمحامين والأكاديميين، والمستشارين القانونيين، والباحثين والطلاب، وكل المهتمين بالجوانب القانونية.

الصعوبات التي واجهت الباحث:

وتتمثل الصعوبات التي واجهت الباحث في الآتي:

ندرة المراجع الخاصة في هذا الموضوع على مستوى المكتبة العربية، فقد تم البحث والتحري، فلم نعثر على بحث مماثل في اليمن ومصر والأردن إلا ما وجدناه من مؤلفات تناولت جزءاً من الموضوع وفي نطاق ضيق، أو كتب عامة في المرافعات والإثبات.

ندرة الأحكام اليمنية حيث إنه لم يتم تصنيف أحكام المحكمة العليا في اليمن إلا لأربع سنوات (٢٠٠٦ –٢٠٠٩)، وقد أدرجنا في أثناء هذا البحث ما تمكنا من الحصول عليه وله علاقة بالموضوع.

انطفاء الكهرباء في صنعاء لساعات طويلة.

نطاق البحث والدراسة:

أما نطاق البحث من حيث القوانين موضع الدراسة فقد اقتصر الباحث على دراسة الموضوع في قوانين ثلاثة هي: القانون اليمني، والقانون المصري، والقانون الأردني؛ مع التركيز على قوانين المرافعات وأصول المحاكمات، وقوانين الإثبات والبينات، أما نطاق الدراسة من حيث الموضوع فقد تمحورت حول الآثار المترتبة على إلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده، وتم البعد عن الشروط والإجراءات خشية الإطالة التي تحول دون نشر البحث (كونه بحثا محكما)، أما نطاق البحث من حيث الأشخاص فقد تناولت الدراسة آثار إلزام الخصم وإلزام الغير؛ سواء كان هذا الغير مدخلا كخصم أو مجرد حائز للمحرر.

منهج البحث:

ومنهجية البحث المتبعة في هذه الدراسة هو الأخذ بالمنهج الوصفي المقارن؛ أي وصف ما هو قائم في القوانين موضع الدراسة ومقارنتها ببعضها بعضا، وعرض الآراء الفقهية في هذ الشأن والتعليق عليها؛ بغرض الخروج بأفضل النتائج.

تساؤلات البحث:

ومن خلال البحث نحاول الإجابة على التساؤلات التالية:

ما هي الآثار المترتبة على توفر شروط وحالات إلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده؟

ما هي الآثار المترتبة على قرار المحكمة بإلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده؟

ماهي الآثار المترتبة على إدخال الغير في الخصومة لتقديم محرر تحت يده؟

ما هي دعوى العرض وما علاقتها بالموضوع؟ وما هي الأثار المترتبة على قرار المحكمة بعرض المحرر الموجود لدى حائزه؟

ما هي الآثار المترتبة على تقديم المحرر؟ أو الامتناع عن تقديمه؟

تقسيمات البحث:

وستتم الإجابة عن التساؤلات السابقة من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول الآثار المترتبة على تقديم الطلب من الخصم لإلزام الخصم الآخر بتقديم محرر تحت يده.

المبحث الثاني الآثار المترتبة على الفصل في الطلب من الخصم لإلزام خصمه بتقديم محرر تحت يده.

المبحث الثالث إلزام الغير بتقديم محرر تحت يده .

المبحث الرابع دعوى العرض .

المبحث الخامس آثار تقديم المحرر المطلوب وآثار حلف اليمين، وتقديم صورة المحرر من طالب المحرر .

المبحث الأول

الآثار المترتبة على تقديم الطلب من الخصم لإلزام خصمه بتقديم محرر تحت يده.

تمهيد وتقسيم:

للمحكمة -إزاء طلب إلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده -أن تتخذ أحد مسلكين إما أن تستجيب له، أو أن ترفضه، فالاستجابة مرهونة بتوافر شروط الطلب ، والرفض مرتبط بانتفائها، أو عدم استكمالها. فإذا تقدم خصم إلى المحكمة بطلب إلزام خصمه أو الغير بتقديم محرر تحت يده؛ فإنه يترتب على المحكمة بادئ الأمر البت في قبول الطلب أو رده، ومعنى هذا وجوب التأكد من كون الطلب قد توافرت له الشروط المقررة قانونا، وأنه قد قدم على الوجه المعين في القانون بحيث أصبحت المحكمة مكلفة بالبت في الطلب[١].

ويجب أن يقدم الطلب إلى المحكمة في صيغة صريحة جازمة تدل على تصميم مقدم الطلب[٢]، فإن كان غير ذلك فللمحكمة ألا تلتفت إليه[٣] وفي هذا جاء في حكم لمحكمة النقض المصرية ما يأتي:

"٢ - تقرير المحكمة إلزام الخصم بتقديم ورقة معينة تكون تحت يده يعتبر من إجراءات الإثبات التى يجوز للمحكمة طبقا للمادة ١٦٥ مرافعات أن تعدل عنها بشرط أن تبين سبب هذا العدول"[٤].

وجاء في حكم آخر لها ما يأتي " الفصل في طلب إلزام الخصم بتقديم أية ورقة منتجة في الدعوى تكون تحت يده باعتباره متعلقاً بأوجه الإثبات متروك لتقدير قاضى الموضوع[٥].

فيقدم الطلب إلى المحكمة المنظورة أمامها الدعوى، أو بإثباته في محضر الجلسة، ولا مانع من أن يقدم الطلب

---

١ - جمال مدغمش؛ طلب إلزام الخصم بتقديم محرر تحت يده؛ ١٩٩٢؛ دار الإسراء؛ عمان؛ ص٩٠.

٢ - سليمان مرقس ؛الوافي في شرح القانون المدني؛ ج١؛ ط٥؛ ١٩٩١؛مطبعة السعادة؛القاهرة؛ ص٤٩٩.

٣ - نقض مدني مصري بتاريخ ١٩٨١/٥/٢٥م؛ طعن رقم ١١٧٣ . وقد جاء فيه أنه إذا كان الطاعن لم يقدم أمام محكمة النقض ما يثبت تمسكه تمسكا جازما يقرع سمع محكمة الموضوع بوجوب تقديم السندات الإذنية (موضوع الدين المنفذ به) فإن النعي على الحكم بمخالفة القانون والإخلال بحق الدفاع يكون على غير أساس؛ موسوعة النقض المدني؛ أحكام محكمة النقض المصرية، الدائرة المدنية، ١٩٣١ -٢٠١١م، إعداد: سعيد محمود الديب المحامي.

٤ -الفقرة الثانية من الطعن رقم ٢١٨ لسنة ٢٩ ق - جلسة ٢٠ -٢ -١٩٦٤، موسوعة النقض المدني؛ أحكام محكمة النقض المصرية، الدائرة المدنية، ١٩٣١ -٢٠١١م، إعداد: سعيد محمود الديب المحامي.

٥ - الفقرة الرابعة من الطعن رقم ٧٢١ لسنة ٤٢ قضائية جلسة ٣٠ - ٦ -١٩٧٧، موسوعة النقض المدني؛ أحكام محكمة النقض المصرية، الدائرة المدنية، ١٩٣١ -٢٠١١م، إعداد: سعيد محمود الديب المحامي.

بصفة أصلية (أي دون أن تكون هناك دعوى منظورة؛ شأنه في ذلك شأن دعوى تحقيق الخطوط أو دعوى التزوير الأصلية[1].

إلا أنه لا يصح تقديم الطلب إلى الخبير المنتدب؛ فهو غير معني به، وإن كان مكلفا بتقديم تقرير متعلق بالدعوى المرفوعة، وتطبيقا لذلك قررت محكمة النقض المصرية أن طلب إلزام الخصم بتقديم ورقة تحت يده يقدم إلى المحكمة التي تنظر الدعوى و لا يختص به الخبير المنتدب فيها[2].

وسيتم تناول هذا المبحث من خلال ثلاثة مطالب على النحو الآتي :

المطلب الأول

استجابة المحكمة لطلب إلزام الخصم بتقديم محرر تحت يده

تجدر الإشارة إلى أنه لا يصح قبول الطلب الذي يقدمه الخصم إلى قاضي الأمور المستعجلة لإلزام خصمه أو الغير بتقديم محرر تحت يده، لأن هذا الطلب هو طلب موضوعي؛ فينبغي أن يقدم إلى قاضي الموضوع ، ولا ينسجم مع طبيعة القضاء المستعجل؛ حيث يجب أن تراعي في الطلب الموضوعي قواعد الإثبات ، ويحتاج الأمر إلى بحث الموضوع من قبل المحكمة عند إنكار المطلوب وجود المحرر لديه، ولم يقدم الطالب دليلا كافيا، وقد يصل الأمر إلى توجيه اليمين إلى الخصم الأصلي أو المدخل، وهذا كله لا تتسع له ولاية القضاء المستعجل[3] ويقتضي الحصول على قرار المحكمة بتلبية طلب الخصم لإلزام خصمه بتقديم محرر تحت يده أن يسلك الطالب مسلكا يستوفي فيه الشروط اللازمة للطلب وبياناته المتمثلة في الآتي: ١ - أو صاف المحرر الذي يتمسك به ٢ - بيان محتوى هذا المحرر بقدر ما يمكن من التفصيل ٣ - بيان الواقعة التي يستدل بها عليه ٤ - الدلائل والظروف التي تؤيد وجود المحرر لدى خصمه أو تحت تصرفه. ٥ - وجه إلزام خصمه بتقديم المحرر والحكم بموجبه[4].

فيجب أن يذكر نوع الورقة المطلوب تقديمها، أهي ورقة عرفية أم رسمية، سندا موقعا أم خطابا أو برقية أو

---

١ - سليمان مرقس؛ مرجع سابق؛ ص٥٠٠.

٢ - حيث جاء في الحكم ما يلي: " طلب إلزام الخصم بتقديم ورقة تحت يده يقدم إلى المحكمة التي تنظر الدعوى و لا يختص به الخبير المنتدب فيها. و على تلك المحكمة إذا ما قدم إليها أن تقبله أو ترفضه حسب تقديرها لدلائله و مبرراته المنصوص عليها في المادة ٢٥٣ من قانون المرافعات فإذا كانت محكمة الاستئناف قد رفضت ذلك الطلب على أساس أنه لم يطلب من الخبير مع أنه منها و من محكمة أول درجة و حجبت نفسها بذلك عن بحث مبرراته فإنها تكون قد أخطأت فى القانون و شاب حكمها القصور" الطعن رقم ٤٤٤ لسنة ٣٤ ق، جلسة ١٩٦٨ -١١ -٢٨

٣ - محمد علي راتب، وآخرون؛ قضاء الأمور المستعجلة؛ ط٥؛ ١٩٦٨؛ القاهرة؛ ص٢٠١؛ مشار إليه في جمال مدغمش؛ مرجع سابق؛ ص٩٠.

٤ - صلاح الدين الناهي؛ الوجيز في مبادئ الإثبات والبينات؛ عمان؛ ص٢٧.

دفترا تجاريا أو خصوصيا،...إلخ،وتاريخ هذه الورقة وموضوعها أو مضمونها وبوجه خاص الحقوق والالتزامات الثابتة فيها، ومصدر هذه الحقوق والالتزامات، أي الواقعة القانونية التي يستدل عليها بالورقة المطلوب تقديمها والدلائل والظروف التي تؤيد وجود هذه الورقة تحت يد الخصم ، ووجه تعلقها بالدعوى الأصلية ، وكونها منتجة فيها ووجه المصلحة في طلب تقديم الورقة المذكورة بصفة أصلية[1]. ومن أمثلة المحررات التي يمكن أن يطلب الخصم إلزام خصمه بتقديمها مستند ملكية المشتري لتعطيله لصالح الشافع في دعوى الشفعة[2].

فعلى المحكمة أن تستجيب لطلب الخصم بإلزام خصمه بتقديم محرر تحت يده ؛ إذا استطاع أن يثبت وجود المحرر لدى الخصم الآخر، وتستجيب المحكمة أيضا حال إقرار المطلوب منه بوجود المحرر بحوزته ، كما أنها تتخذ ذات المسلك إذا سكت من طلب منه تقديم المحرر، وبالتالي عليها أن تلزمه بتقديمه في الحال أو في الموعد الذي تحدده حسب ملابسات كل قضية على حدة[3]، وهذا ما قررته المادة (١١٥) من قانون الإثبات اليمني[4] هل يشترط توفر نصاب لقيمة الالتزام الثابت بالمحرر؟

لا يشترط في المحرر المطلوب تقديمه أن يكون للالتزام الثابت به سقف معلوم أو نصاب محدد، كما هو الأمر في المحرر العرفي المعد للإثبات، بل يجوز طلب تقديم محرر مهما كان حجم الالتزام الوارد به صغيرا كان أم كبيرا، وفي هذا جاء في حكم لمحكمة النقض المصرية ما يلي:

"٢ - لم يشترط القانون نصاباً لقيمة الالتزام الثابت بالورقة التي يجيز للخصم إلزام خصمه بتقديمها"[5].

---

١ - سليمان مرقس ؛مرجع سابق؛ ص٥٠١.

٢ - جاء في حكم للمحكمة العليا في اليمن : " نقض الحكم الاستئنافي المطعون فيه وإقرار الحكم الابتدائي ؛الذي قضى بأن على المدعى عليه إيصال أصل بصيرة الشراء لتعطيلها لحساب الشافع" حكم الدائرة المدنية الهيئة (أ) رقم ٢٦١٣٧ لعام٢٠٠٦م؛ صادر بتاريخ ١٤٢٧/١١/١٢هـ الموافق ٢٠٠٦/١٢/٢م، المحكمة اليمنية العليا ؛ مركز المعلومات ؛ الأرشيف الالكتروني؛ القرارات الصادرة عام ١٤٢٧هـ -الموافق ٢٠٠٦م.

٣ - صلاح الدين الناهي؛مرجع سابق؛ ص٢٧.

٤ -تقابلها المادة (٥٤) من قانون الإثبات العراقي، والمادة (٢٢) من قانون البينات الأردني، والمادة (٢٣) إثبات مصري.

٥ - الطعن رقم ١٥٧٩ لسنة ٥٤ ق جلسة ٢٢ -١١ -١٩٨٧، موسوعة النقض المدني؛ أحكام محكمة النقض المصرية، الدائرة المدنية، ١٩٣١ -٢٠١١م، إعداد: سعيد محمود الديب المحامي.

المطلب الثاني

عدم استجابة المحكمة للطلب

إذا لم تتوفر شروط طلب إلزام الخصم بتقديم محرر تحت يده؛ فإن على المحكمة رفضه ؛ بمعنى عدم الاستجابة لهذا الطلب، طبقا لنصوص المواد (١١٢ -١١٤) من قانون الإثبات اليمني[1]؛ ولكي تتم الاستجابة لطلب الخصم لإلزام الخصم الآخر بتقديم محرر يجب أن تتوفر الشروط التالية:

أن تتوفر حالة من الحالات التي أجاز القانون طلب إلزام الخصم بتقديم محرر تحت يده طبقا لنص المادة (١١٢) إثبات يمني[2]، وهي مذكورة على سبيل الحصر.

- أن يطلب إلزام خصمه بتقديم أي محرر منتج في الدعوى.
- وأن يكون ذلك المحرر تحت يد الخصم الآخر.
- وأن يبين في هذا الطلب ما يأتي :
- أوصاف المحرر الذي يعنيه .
- فحوى المحرر بقدر ما يمكن من التفصيل.
- الواقعة التي يستدل به عليها.
- الدلائل والظروف التي تؤيد انه تحت يد الخصم.
- وجه إلزام الخصم بتقديمه .

فإذا لم تتوفر هذه الشروط فلا يقبل طلب إلزام الخصم بتقديم المحرر عملا بالمادة (١١٤) إثبات يمني[3].

وبناء على ذلك يتعين عند عرض الطلب على المحكمة أن تبت في قبوله أو رده بعد فحص ما إذا كان المحرر منتجا في الدعوى الأصلية المنظورة أم لا، وما إذا كانت الشروط الأخرى قد توفرت أم لا، وما إذا كان يصلح دليلا لإثبات حق أم لا، فعدم توفر الشروط يترتب عليه عدم قبول طلب إلزام الخصم بتقديم محرر تحت يده.

---

١ -تقابلها المواد (٢٠ -٢٢) من قانون الإثبات المصري، والمادتين (٢٠ -٢١) من قانون البينات الأردني.

٢ -تقابلها المادة (٥٣) إثبات عراقي، والمادة (٢١) بينات أردني، والمادة (٢٠) إثبات مصري.

٣ - ونصها كما يلي: "لا يقبل الطلب إذا لم تراع فيه أحكام المادتين السابقتين." تقابلها المادة (٢٢) من قانون الإثبات المصري، ولم يكن مقابل في قانون البينات الأردني.

وقد سارت على ذلك محكمة النقض المصرية[1].

وإذا تبين للمحكمة أن المحرر المطلوب تقديمه غير منتج في الدعوى فلا يعيب عليها إن هي أغفلت طلب الخصم إلزام خصمه بتقديم ذلك المحرر، وقد أكدت هذا المعنى محكمة النقض المصرية في أحكام لها[2].

١ - حيث جاء في حكم لها ما يلي: " - ما أجازته المادة (٢٠) من قانون الإثبات رقم ٢٥ لسنة ١٩٦٨ للخصم أن يطلب إلزام خصمه بتقديم أي محرر منتج في الدعوى يكون تحت يده فى الأحوال الثلاثة الواردة فى تلك المادة مشروط بما أوجبته المادة ٢١ من هذا القانون من بيان أوصاف المحرر الذي يعنيه وفحواه بقدر ما يمكن من التفصيل - والواقعة التي يستدل بها عليه والدلائل والظروف التي تفيد أنه تحت يد الخصم ووجه إلزامه بتقديمه - ونصت المادة ٢٢ من ذات القانون على أنه لا يقبل الطلب إذا لم تراع فيه أحكام المادتين السابقتين" الطعن رقم ٢١١٧ لسنة ٥٢ ق - جلسة ٢٦ -١١ -١٩٨٩، وجاء في حكم آخر لمحكمة النقض المصرية ما يلي: "١ -بين المشرع في المادة ٢١ من قانون الإثبات كيفية تقديم طلب إلزام الخصم بتقديم المحررات الموجودة تحت يده ووصف المحرر الذي يعينه وفحواه والواقعة التي يستدل عليها والدلائل والظروف التي تؤيد أنه تحت يد الخصم ووجه إلزام الخصم بتقديمه. لما كان ذلك، وكان طلب الطاعن الأول في مذكرة دفاعه قد خلت من هذه البيانات القانونية، بل لم يطلب صراحة إلزام الشركة المطعون ضدها الأولي بتقديمه، ولا يكفي في هذا الصدد مجرد الإشارة إلي المستند محل النزاع، إذ الطلب الذي يعد مطروحا علي المحكمة وتلتزم بالفصل فيه، وبيان رفضها له هو الذي يقدم إليها في صيغة صريحة جازمة تدل علي تصميم صاحبه" الطعن رقم ١١٧٣ لسنة ٤٧ ق جلسة ٢٥ -٥ -١٩٨١.

٢ - جاء في أحد الأحكام ما يلي: ٢ - إذا كان يشترط لاستجابة محكمة الموضوع لطلب الخصم إلزام بتقديم محرر تحت يده أن يكون منتجاً في الدعوى باعتبار أن ذلك يدخل في نطاق السلطة التقديرية لقاضي الموضوع ، لما كان ذلك ، وكان الثابت من صحيفة الدعوى المبتدأة أن المطعون ضده الأول قد أسس طلبه بإلزام الطاعن بالمبلغ المطالب به علي أنه يمثل رصيده للتسهيلات المصرفية الممنوحة له وفقاً لكشفي المقدمين منه إلي جانب الإنذار الرسمي الموجه للطاعن سرعة سداده وكان الأخير قد أسس صحيفة استئنافه للحكم الصادر ضده من محكمة أول درجة - وطلب إلغاءه والقضاء برفض الدعوى علي قوله بأن الدين محل النزاع يدخل ضمن مبالغ قام بسدادها خصماً من قيمة شيك صادر منه مسحوب علي بنك " ايرتنج كرست " بمبلغ ١٥٠٠٠٠ دولار أمريكي ارتد لعدم سداده ، فاستجابت محكمة الاستئناف علي أثره إلي ندب خبير أودع تقريره الذي أكد فيه أن علاقة الطاعن بالمطعون ضده قد اقتصرت علي منحه تسهيلات مصرفية لسداد قيمة الشيك السابق ذكره وآخر بمبلغ ١٠٠٠٠٠ دولار أمريكي وهو ما أقر به الطاعن في محاضر أعمال الخبير واعتد به الحكم المطعون فيه في تكييفه لحقيقة هذه العلاقة فإن تمسك الطاعن بتعييب الحكم المطعون فيه إذ لم يستجب إلي طلبه وإلزام المطعون ضده الأول بتقديم عقود التسهيلات الائتمانية قد ورد غير محل من قضاء الحكم موجباً لعدم قبوله" الطعن رقم ٦٣٨٩ لسنة ٦٥ قضائية جلسة ٢٢ -١٠ -٢٠٠٢. وجاء في حكم آخر لها ما نصه: "١ -مؤدى نص المادة ٢٠ من قانون الإثبات الصادر بالقانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٦٨ أنها تجيز للخصم أن يطلب إلزام خصمه بتقديم أي محرر منتج في الدعوى يكون تحت يده إذا توافرت إحدى الحالات الواردة فيها، كما أوجبت المادة ٢١ من ذات القانون أن يبين في الطلب الدلائل والظروف التي تؤيد وجود المحرر تحت يد الخصم، والمقرر في قضاء هذه المحكمة أن الفصل في الطلب باعتباره متعلقاً بأوجه الإثبات متروك لقاضى الموضوع فله أن يرفضه إذا تبين له عدم جديته كما أن تقدير الدلائل والمبررات التي تجيز للخصم أن يطلب إلزام خصمه بتقديم أية ورقة منتجة في الدعوى تكون تحت يده هو أمر موضوعي يتعلق بتقدير الأدلة مما يستقل به قاضى الموضوع" الطعن رقم ١٥٧٩ لسنة ٥٤ ق جلسة ٢٢ -١١ -١٩٨٧، موسوعة النقض المدني؛ أحكام محكمة النقض المصرية، الدائرة المدنية، ١٩٣١ -٢٠١١م، إعداد: سعيد محمود الديب المحامي.

المطلب الثالث

إغفال المحكمة الرد على الطلب

يجب على المحكمة أن تفصل في طلب تقديم المحرر الموجود لدى المطلوب، كون هذا الواجب أثرا إجرائيا يترتب على تقديم الطلب الفصل فيه أيا كانت النتيجة التي توصلت إليه المحكمة سواء بقبوله أو برفضه[1]، أما إذا تجاهلت المحكمة هذا الطلب فإن حكمها يكون مشوبا بالقصور، وقد أكدت ذلك المحكمة العليا اليمنية، فإن من المبادئ التي استقرت عليها المحكمة العليا أن إغفال المحكمة الدفوع الجوهرية المتعلقة بالمحرر (كشوف حساب) يعرض حكمها للنقض[2]، ويعد تجاهل المحكمة لهذا الطلب من قبيل تقاعسها عن أداء واجبها، ويعرض حكمها للنقض كونه مشوبا بالقصور في التسبيب، وتطبيقا لهذا حكمت محكمة النقض المصرية بقولها: إذا كان الطاعنان تمسكا في مذكرتهما المقدمة لمحكمة الاستئناف بأن المصعد لم يبدأ تشغيله إلا في .... وطلبا تكليف المطعون عليه تقديم إيصالات الأجرة منذ بدء الإيجار؛ إلا أن المحكمة لم تعرض لهذا الطلب مع أنه يعتبر من إجراءات الإثبات ويتعين على المحكمة إذا قدم إليها أن تقبله أو ترفضه حسب تقديرها للدلائل ومبرراته المنصوص عليها في المادة (٢٠) من قانون الإثبات فإن هي أغفلته ولم ترد عليه وانتهت بغير أن تذكر سببا لذلك بتأييد الحكم الابتدائي القاضي بإلزام الطاعن بفرق أجرة استعمال المصعد ابتداء من .... فإن حكمها يكون مشوبا بالقصور[3]. ولذلك فإن إغفال المحكمة على طلب الإلزام هذا قصور يستوجب نقض الحكم[4].

---

١ - محمد محمود إبراهيم؛ النظرية العامة للطلبات العارضة؛ ١٩٨٤؛ دار الفكر العربي؛ القاهرة؛ ص٤٦٠.

٢ - حيث جاء في حكم لها: "ذلك أن محكمة أول درجة وإن كانت قد تعرضت لكشف حساب البنك لشهر ٩/٢٠٠٠م والمقدم إليها في جلسة ٢٠٠٢/٣/٣١م من البنك بناءً على إلزام المحكمة له بتقديمه بعد أن فتحت باب المرافعة لأهمية كشف حساب هذا الشهر إلا أنها أهملت دفاعاً جوهرياً تمثل في أدلة الطاعن المتعلقة بهذا المستند كشف حساب شهر ٩/لعام ٢٠٠٠م= =والرصيد النهائي لعام ٢٠٠٠م والمبين بمستندات دفاعه رقم (٧٥٦) وهما مكملان لكشف حساب البنك سالف الذكر وإذ لم تتعرض محكمة أول درجة ومن بعدها الشعبة [التجارية الاستئنافية] لتلك المستندات مما يعيب الحكم المطعون فيه بالقصور في التسبيب مما يستوجب نقضه في هذا الخصوص". حكـــم تجاري ٢٥٧٥٢؛ صادر بتاريخ:١٨/ربيع أول/١٤٢٧هـ الموافق:١٦/٤/٢٠٠٦م؛ عن الدائرة التجارية هيئة (ب)، المحكمة اليمنية العليا؛ مركز المعلومات؛ الأرشيف الالكتروني؛ القرارات الصادرة عام ١٤٢٧هـ -الموافق ٢٠٠٦م.

٣ - نقض مدني جلسة ٨ - ٦ - ١٩٧٧ - مجموعة المكتب الفني - السنة ٢٨ج١ -الطعن رقم ٧١٥ س٤٣ق. ص١٣٩٤، موسوعة النقض المدني؛ أحكام محكمة النقض المصرية، الدائرة المدنية، ١٩٣١ -٢٠١١م، إعداد: سعيد محمود الديب المحامي.

٤ - نقض مدني جلسة ١٣ - ٥ - ١٩٧٢ - مجموعة المكتب الفني - السنة ٢٣ع٢ - الطعن رقم ١٢٩ س٣٦ق. ص٨٩٤، موسوعة النقض المدني؛ أحكام محكمة النقض المصرية، الدائرة المدنية، ١٩٣١ -٢٠١١م، إعداد: سعيد محمود الديب المحامي.

المبحث الثاني

الآثار المترتبة على الفصل في الطلب من الخصم لإلزام خصمه بتقديم محرر تحت يده

نتناول بالدراسة عدة فروض تبعا لظروف كل حالة على النحو الآتي:

المطلب الأول

الآثار المترتبة على قرار المحكمة في ضوء إقرار المطلوب بوجود المحرر لديه

لا تثور أية مشكلة لو امتثل الخصم المطالب بتقديم المحرر أمام محكمة الموضوع في الميعاد المحدد، ولكن قد لا تسير الأمور على هذا النحو؛ فقد يرفض الخصم المطالب بتقديم المحرر بعد إقراره بأنه تحت يده، فإذا أثبت الطالب طلبه، ثم أقر خصمه بأن المحرر في حيازته أمرت المحكمة بتقديم المحرر في الحال، إذا كان ذلك مناسباً لمصلحة العدالة وإظهار الحقيقة، أو في أقرب موعد تحدده إذا تبين لها أن تنفيذ هذا الطلب يحتاج إلى بعض الوقت لأسباب تراها المحكمة، وهي مسألة موضوعية تختلف وفقا لظروف كل حالة على حدة[1].

المطلب الثاني

الآثار المترتبة على قرار المحكمة في ضوء إنكار المطلوب وجود المحرر لديه

إذا أنكر الخصم وجود المحرر في حوزته ، ولم يقدم طالب المحرر إثباتا كافيا بوجوده لدى خصمه؛ فعلى المحكمة تحليف المنكر: بأن المحرر المطلوب لا وجود له، وأنه لا يعلم بوجوده، وأنه لم يخفه، ولم يهمل البحث عنه ليحرم خصمه من الاستدلال به؛ طبقا لنص المادة (١١٥) من قانون الإثبات اليمني[2].

ذلك هو الفرض الأول المتمثل في عجز طالب المحرر من إثبات وجوده لدى الخصم المطالب بتقديمه، لكن الفرض الثاني أن الخصم طالب تقديم المحرر أثبت وجوده لدى خصمه، واقتنعت المحكمة بذلك، ولم يقم المكلف بتقديمه في الوقت الذي حددته المحكمة، فالنتيجة أن للخصم الحق في إثبات مضمونه بأي طريق من طرق الإثبات، ويجوز للمحكمة أن تحمل المتنع مصروفات ذلك الإثبات، مهما كانت نتيجة الفصل في

---

١ -أحمد صدقي محمود؛ طلب إلزام الخصم بتقديم محرر تحت يده؛ ٢٠٠٥؛ دار النهضة العربية؛ القاهرة؛ ص٩٠.

٢ - حيث نصت المادة (١١٥) على الآتي: "إذا اثبت الطالب طلبه واقر الخصم بان المحرر في حيازته أو سكت أمرت المحكمة بتقديم المحرر في الحال أو في اقرب موعد تحدده وإذا أنكر الخصم ولم يقدم الطالب إثباتاً كافيا لصحة الطلب وجب أن يحلف المنكر يمينا بان المحرر لا وجود له وانه لا يعلم وجوده ولا مكانه وانه لم يخفه أو لم يهمل البحث عنه ليحرم خصمه من الاستدلال به." وتقابلها المادة (٥٤) إثبات عراقي، والمادة (٢٢) بينات أردني، والمادة (٢٣) من قانون الإثبات المصري.

الدعوى بشكل عام[١]. وهو ما نصت عليه المادة (٥٦) من قانون الإثبات العراقي، لكن القانون اليمني قرر عقوبة خيانة الأمانة على الخصم الممتنع عن تقديم المحرر، إذا كان مشتركا بين الخصمين، ولم يقدم المطلوب عذراً مقبولاً، وهو ما نصت عليه المادة (١١٦) إثبات يمني.

كذلك الحال في حال عجز طالب المحرر عن إثبات وجوده لدى خصمه، وبموجب هذا العجز يتم توجيه اليمين إلى الخصم المطالب بتقديم المحرر، وهذا الأثر متفق عليه في القوانين محل الدراسة؛ المادة (١١٥) إثبات يمني، والمواد التي تقابلها في القوانين المذكورة[٢]، فإذا نكل هذا الأخير عن حلف اليمين كان للخصم طالب المحرر أن يثبت مضمونه بأي طريق من طرق الإثبات، ويجوز للمحكمة أن تحمل الخصم الناكل عن حلف اليمين مصروفات ذلك الإثبات[٣].

إلى جانب هذه النتيجة تتجه التشريعات - موضع الدراسة - في حال عجز طالب المحرر عن الإثبات ونكول المطلوب بتقديمه: أن يتم الأخذ بمضمون صورة المحرر التي قدمها طالب المحرر واعتبار الصورة مطابقة لأصلها، وهو ما نصت عليه المادة (١١٧) إثبات يمني، التي تقابلها المادة (٢٤) إثبات مصري، والمادة (٢٣) بينات أردني.

المطلب الثالث

الآثار المترتبة على قرار المحكمة في ضوء إثبات الطالب وجود المحرر لدى المطلوب منه

إذا أثبت الطالب طلبه أو أقر الخصم بأن المحرر في حيازته أو سكت أمرت المحكمة بتقديم المحرر في الحال أو في موعد تحدده؛ وهذا ما نصت عليه المادة (١١٥) من قانون الإثبات اليمني[٤].

سار بعض الفقه[٥] بإيراد النتيجة المذكورة (أمر المحكمة للخصم المطلوب بتقديم المحرر المطلوب) التزاما بما ورد في النص المذكور والنصوص المقابلة دون إيراد شيء من التفصيل أو التعليق.

إلا أن البعض الآخر أكد على مراعاة القواعد الموضوعية في الإثبات عند السير في إجراءات الإثبات[٦]؛ عملا

---

١ - صلاح الدين الناهي؛ مرجع سابق؛ ص٢٨.

٢ - المادة (٢٢) بينات أردني، والمادة (٢٣) إثبات مصري.

٣ - صلاح الدين الناهي؛ المرجع السابق ؛ ص٢٨.

٤ - تقابلها المادة (٢٣) من قانون الإثبات المصري، والمادة (٢٢) من قانون البينات الأردني.

٥ - أنور سلطان؛ قواعد الإثبات في المواد المدنية والتجارية؛ ٢٠٠٥؛ دار الجامعة الجديدة ؛ إسكندرية؛ ص١٠٣، سيد أحمد محمود؛ إقامة الدليل أمام القضاء المدني؛ ط١؛ ٢٠٠٦؛ دار أبو المجد للطباعة؛ القاهرة؛ ص٥٧، مفلح عواد القضاة؛ البينات في المواد المدنية والتجارية؛ ١٩٩٤؛ عمان؛ ص١٠٨.

٦ - أحمد أبو الوفا؛ التعليق على نصوص قانون الإثبات؛ ط٣؛ منشأة المعارف؛ إسكندرية؛ ص١٥٨

بما ورد في المذكرة التفسيرية للقانون المصري الملغي (كونها الأصل التاريخي لهذا النص).

ولنا ملاحظة أن الإيجاز في النصوص القانونية مطلوب، بخلاف الشروح ، والآراء الفقهية؛ فلا بد من التفصيل فيها وإن كان يسيرا؛ فالنص السابق بحاجة إلى ذلك.

فالنص ورد بعبارة (إذا أثبت الطالب طلبه وأقر الخصم)، فقد أتي النص بأمرين وجود أحدهما يغني عن الآخر، فمن وجهة نظرنا أن حرف العطف (الواو) يقوم مقام حرف العطف (أو)؛ بمعنى أنه إذ أثبت الطالب طلبه أو أقر الخصم بأن المحرر في حيازته؛ فإنه يتم كذا وكذا.

حيث أن سير الطلب أمام المحكمة أن الطالب يقدم طلبه إلى المحكمة ملتزما بالشروط والضوابط التي نص عليها القانون، وأن يكون من الحالات التي أجاز فيها القانون تقديم مثل هذا الطلب[1]، والخطوة التالية يوجه الطلب إلى المطلوب وهو في هذا يسلك أحد مسلكين: إما أن يقر بوجود المحرر لديه، أو أنه ينكر وجوده لديه أو بحيازته.

فإذا أقر المطلوب بوجود المحرر لديه فقد أعفى المدعي طالب تقديم المحرر عبء إثبات وجوده لدى المطلوب.

أما إذا أنكر فيتم توجيه السؤال إلى الطالب بأن يقدم الدليل على وجود المحرر بحيازة الطرف الآخر.

فإذا حصل الإقرار من المطلوب، أو أنكر وأثبت الطالب وجود المحرر لدى المطلوب تتحقق النتيجة التي قررها النص؛ ألا وهي إلزام الخصم بتقديم المحرر في الحال أو في موعد تحدده المحكمة؛ إذا تبين لها أن تنفيذ هذا الطلب يحتاج إلى بعض الوقت لأسباب تراها المحكمة[2] وهنا يثار سؤال مفاده: إذا أثبت الطالب وجود المحرر بحيازة المطلوب منه فهل على المحكمة أن تصدر أمراً تقديم المحرر، أم أن الأمر يبقى في نطاق سلطتها التقديرية؟

يرى البعض[3] أن تقدير المحكمة للأمر يقع ضمن مجال الأمور الجوازية حسب تفسيرهم لنص المادة (٥٤) من قانون الإثبات العراقي التي تقابلها المادة (١١٥) إثبات يمني[4].

ومع تسليم أصحاب الرأي المشار إليه بأن صيغة الإلزام واضحة في هذه المادة بقولها "أمرت المحكمة" فإنا

---

١ - جمال مدغمش؛ مرجع سابق؛ ص١٠٢.

٢ -أحمد صدقي محمود؛ مرجع سابق؛ ص٨٨.

٣ - آدم وهيب النداوي؛ الموجز في قانون الإثبات؛ ١٩٩٠؛ جامعة بغداد؛ بغداد؛ ص١٢١، وما بعدها، و جمال مدغمش؛ مرجع سابق؛ ص١٠٠، وما بعدها.

٤ حيث جاء فيها:" إذا اثبت الطالب طلبه واقر الخصم بان المحرر في حيازته أو سكت أمرت المحكمة بتقديم المحرر في الحال أو في اقرب موعد تحدده" وتقابلها المادة (٢٢) من قانون البينات الأردني.

نخالفهم فيما ذهبوا إليه كي لا نحمل النص أكثر مما يحتمل؛ بمعنى أن على المحكمة أن تأمر بتقديم المحرر إذا توفر فعل الشرط بأحد الأمور المذكورة وهي: إقرار المطلوب أو سكوته أو أثبات الطالب وجود المحرر لدى المطلوب، بمعنى آخر أن الأمر إلزامي على المحكمة وليس جوازياً في أن تأمر به أو لا تأمر به.

والأمر بتقديم المحرر يعتبر من إجراءات الإثبات؛ لا يعتبر في حد ذاته حكما قطعيا ، ولا يحوز حجية الأمر المقضي، ومن ثم يجوز العدول عنه بعد إصداره، وقبل تنفيذه؛ وإذا كانت المحكمة قد أمرت بتقديم المحرر وتم تنفيذ هذا الأمر فلها ألا تتقيد بالنتيجة التي أدى إليها إذا تبين لها أن هناك من الأدلة ما هو أقوى من المحرر المطلوب ،أو تم تقديم ما ينقضه من الأدلة الأخرى[1].

المطلب الرابع

أثر امتناع الخصم عن تقديم محرر تحت يده

إذا قضت المحكمة بإلزام الخصم بتقديم المحرر المطلوب فاستجاب لذلك انتهى الأمر؛ أما إذا حكمت بذلك ولم يستجب؛ بحيث امتنع عن تقديم المحرر المطلوب فقد اخذ المشرع اليمني بحكم خالف فيه كثير من التشريعات العربية؛ بحيث يترتب على امتناع الخصم عن تقديم المحرر المحكوم بتقديمه أن يحبس الخصم الممتنع حتى يقدم ذلك المحرر، عملا بالمادة رقم (١١٧) من قانون الإثبات اليمني المعدلة بالقانون رقم (٢٠) لسنة ١٩٩٦م؛ وهذا الحكم لا يستقيم إلا إذا قد أقر الخصم بوجود المحرر لديه أو أن خصمه قد أثبت وجوده لديه.

أما القانون المصري والقوانين التي حذت حذوه فالنتيجة أو الأثر يختلف حسب ما إذا كان قد قدم طالب المحرر صورة منه - وهي الحالة الأولى - أو لم يقدم صورة منه ولكنه أدلى ببيانات تتعلق بشكل المحرر أو بمضمونه -وهي الحالة الثانية.

ففي الحالة الأولى إن كان قد قدم صورة من المحرر فالتشريعات العربية - غير القانون اليمني -قد نهجت منهجين في الأثر المترتب على هذه المسألة[2] ؛ فالقانون المصري جعل الأثر أن الصورة المقدمة تعد بمثابة أصل المحرر ويعمل بها كدليل إثبات، وهذا يعني أن الأمر وجوبي على المحكمة وهو ما يوحي به النص؛ بحيث يجب على المحكمة الأخذ بقول الطالب فيما يتعلق بحقيقة المحرر، وهو ما نصت عليه المادة (٢٤) من قانون الإثبات

١ - جمال مدغمش؛ المرجع السابق؛ ص١٠٦.

٢ - محمد حسن قاسم؛ قانون الإثبات في المواد المدنية والتجارية؛ ٢٠٠٥؛ منشورات الحلبي الحقوقية؛ القاهرة؛ ص١٢١.

المصري[١].

أما الوضع في القانون اللبناني فالأمر جوازي للمحكمة، فلها أن تعتبر الصورة المقدمة من الطالب صحيحة مطابقة لأصلها؛ بحيث تعدها دليل إثبات معتبر، أو لا تعدها كذلك، وهذا حسب حكم المادة (٢٠٦) من قانون أصول المحاكمات المدنية[٢].

أما الحالة الثانية؛ وهي أن المحكمة إذا حكمت بإلزام الخصم بتقديم محرر تحت يده بناء على إقرار المحكوم عليه أو إثبات من خصمه، ومع ذلك امتنع المحكوم عليه عن تقديم المحرر المطلوب، وأن الطالب لم يقدم صورة لذلك المحرر؛ فالأثر المترتب جواز الأخذ بقول الطالب فيما يتعلق بشكل المحرر أو بمضمونه، وهذا الأثر وارد في التشريعات العربية - عدا القانون اليمني - فللمحكمة أن تأخذ بتلك الأقوال أو لا تأخذ بها على أن تبين أسباب ذلك في حكمها، وهذا ما نصت عليه المادة (٢٤) إثبات مصري[٣].

ويلاحظ أن التشريعات العربية فرقت في الجزاء المترتب على وجود صور المحرر المطلوب من عدمه؛ فأوجبت العمل بصورة المحرر، لكنها أجازت الأخذ بقول الطالب؛ ففي الحالة الأولى الأمر وجوبي على القاضي، وفي الثانية جوازي حسب ما يقدره من ظروف كل حالة على حدة.

وقد توحي النصوص في القوانين العربية موضع الدراسة (عدا القانون اليمني) أن في الحالة الثانية تخيير المحكمة في أن تأخذ بقول الطالب فيما يتعلق بشكل المحرر أو بموضوعة، (أي بأحدهما) إلا أن حرف العطف (أو) لا يفهم منه التخيير بقدر ما يفيد التعداد، وجواز الجمع بين الأمرين.

وعليه فإنا نؤيد القول[٤] بتوصية المشرع المصري، والمشرع الأردني ومن حذا حذوهما بأن يعدل النص ويستبدل حرف العطف (و) بـ (أو) لتصبح العبارة كالآتي: " فإن لم يكن خصمه قد قدم صورة المحرر جاز الأخذ بقوله فيما يتعلق بشكله وبمضمونه"

متى يعد الخصم المطالب ممتنعا عن تقديم المحرر؟

يعد الخصم المطالب بتقديم المحرر ممتنعا عن تقديمه إذا أمرته المحكمة بتقديمه في الحال بعد إقراره بأن

---

١ -وهو ما نصت عليه -أيضا -المادة (٢٣) بينات أردني.

٢ - ونصها على النحو التالي: "إذا لم يقدم الخصم الورقة في الموعد المعين أو امتنع عن حلف اليمين جاز للمحكمة أن تأخذ بقول المستدعي وبالصورة التي أبرزها".

٣ -وتقابلها المادة (٢٠٦) من قانون أصول المحاكمات المدنية اللبناني.

٤ - جمال مدغمش؛ مرجع سابق؛ ص١١٦.

المحرر في حيازته، ولم يفعل رغم إمكانية تقديمه في ذات الجلسة؛ كما لو أبرز الخصم المحرر المطالب بتقديمه في ذات الجلسة، غير منكر لوجوده تحت يده وأنه مستعد لتقديمه في الحال؛ إلا أن هذا الفرض نادر الحدوث في الواقع، وقد يطلب الخصم منحه أجلا ليتمكن من تقديم المحرر أو لاستخراج صورة رسمية من الجهة المنوط بها ذلك، وللمحكمة - في كل الأحوال - أن تجيبه لذلك، أو ترفض طلب التأجيل متى تبين لها أنه غير جدي، ولم يقصد به إلا عرقلة سير الخصومة نكاية بخصمه[1].

ولا يعد الخصم المطلوب ممتنعا عن تقديم المحرر؛ إذا برر هذا الامتناع بسبب منطقي تقبله المحكمة، كما لو طلب إمهاله بعض الوقت لإحضار المحرر لأنه مودع لدى شخص آخر لكنه غير موجود داخل الدولة، أو أن لديه مانع مشروع من تقديم المحرر[2]؛ كأن يشتمل المحرر على أسرار عائليه.

كذلك تعد القوة القاهرة سببا لعدم تقديم الخصم للمحرر المطلوب تقديمه، كحدوث حريق، أو زلزال أو سيول، أو نهب، أو غير ذلك من الأسباب التي لا دخل لإرادة الخصم المطالب بتقديم المحرر بها.

المطلب الخامس

الآثار المترتبة على قرار المحكمة في ضوء عجز الطالب إثبات وجود المحرر لدى خصمه

نصت المادة (١١٥) من قانون الإثبات اليمني[3] في جزئها الثاني: " ...وإذا أنكر الخصم ولم يقدم الطالب إثباتاً كافيا لصحة الطلب وجب أن يحلف المنكر يمينا بان المحرر لا وجود له وانه لا يعلم وجوده ولا مكانه وانه لم يخفه أو لم يهمل البحث عنه ليحرم خصمه من الاستدلال به."

فنلاحظ أن الحاجة إلى حلف المدعى عليه تكمن عند عدم قدرة المدعي على إثبات وجود المحرر لدى المدعى عليه، بحيث يقوي عجز المدعي في الإثبات إنكار المدعى عليه.

فإذا ادعى المدعي وجود المحرر لدى المدعى عليه ولم يقدم المدعي دليلاً على دعواه فموقف المدعى عليه لا يخلو من ثلاثة فروض:

الفرض الأول : إقرار المدعى عليه بوجود المحرر بحيازته

الفرض الثاني: إنكار المدعى عليه بوجود المحرر بحيازته

---

١ -أحمد صدقي محمود؛ مرجع سابق؛ ص٨٩.

٢ -أحمد صدقي محمود؛ المرجع السابق؛ ص٨٩.

٣ -تقابلها المادة (٢٢) من قانون البينات الأردني.

الفرض الثالث: سكوت المدعى عليه ؛أي أنه لم يقر بوجود المحرر بحيازته، ولم ينكر وجود المحرر لديه.

وهذه الافتراضات الثلاثة نورد أحكامها بشيء من التفصيل على النحو التالي:

أولا: في الفرض الأول (إقرار المدعى عليه) يترتب عليه أن تلزمه المحكمة بتقديم المحرر حالا أو في موعد تحدده، فإذا لم يقدم المحرر في الموعد الذي حددته المحكمة وجب اعتبار الصورة التي قدمها المدعي مطابقة للأصل، وإذا لم يكن المدعي قد قدم صورة فموقف التشريعين اليمني والمصري اختلفت على اتجاهين:

فالمشرع اليمني قرر في حال أن الخصم طالب إلزام خصمه بتقديم المحرر لم يقدم صورة له، وعجز الطالب عن إثبات وجود المحرر لدى خصمه، وامتناع المطلوب منه عن تقديمه بعد إقراره؛ فإن للمحكمة حبسه حتى يسلم المحرر.

أما المشرع المصري فقد قرر في حال أن الخصم طالب إلزام خصمه بتقديم المحرر وعجز الطالب عن إثبات وجود المحرر وامتناع المطلوب منه تقديمه، ولم يكن المدعي (طالب المحرر) قد قدم صورة فيجوز الأخذ بقوله فيما يتعلق بشكل المحرر أو موضوعه في حال إن لم يكن قد قدم صورة للمحرر، ولا حاجة لأن توجه اليمين لمن أقر(وهو المدعى عليه).

وهنا نلاحظ في هذا الفرض أن موقف المشرع المصري في المادة (٢٤) قد عالج الموضوع تجاه المدعى عليه باتخاذه موقفا سلبيا؛ بأن امتنع عن تقديم المحرر المدعى به بعد إقراره بوجوده؛ في حال أن المدعي لم يقدم صورة للمحرر، فقد أجازت الأخذ بقوله فيما يتعلق بشكل المحرر أو موضوعه، ومقتضى هذا أن إقرار المدعى عليه منصب على شكل المحرر أو موضوعه.

أما إذا كان إقراره على وجود المحرر لديه فحسب فالحكم بموجب الصورة المقدمة من المدعي يعد من قبيل الحكم بالقرائن ، وليس الإقرار باعتبار أن المشرع جعل إقرار المدعى عليه، والصورة المقدمة من الدعي بمثابة قرائن على صحة هذه الصورة، ومطابقتها للأصل.

ولما كان المدعي لم يقدم من جانبه صورة المحرر، وكان مؤدى ذلك أنه يجوز للمحكمة أن تأخذ أو لا تأخذ بما قاله المدعي ؛ فالأمر جوازي للمحكمة في هذه الحالة وليس واجبا عليها على سبيل الإلزام[1]، وتطبقا لهذا

١ - محمد محمود إبراهيم؛ مرجع سابق؛ ص٤٦١.

حكمت محكمة النقض المصرية بذلك[1].

ثانيا: في الفرض الثاني في هذه المسألة المتمثل في إنكار المدعى عليه وجود المحرر بحوزته، ولم يكن المدعي قادرا على إثبات ذلك ، ولم يكن قد قدم صورة للمحرر؛ فالحكم هنا حسب ما قررته المادة (١١٥) إثبات يمني، والمادة (٢٣) إثبات مصري أن توجه اليمين إلى المدعى عليه المنكر، فإذا نكل المدعى عليه عن اليمين، ولم يقدم المحرر في الموعد المحدد فيطبق حكم المادة (١١٧) إثبات يمني التي تقضي بحبس المدعى عليه حتى يسلم المستند أو يحلف.

وفي هذا أخذ المشرع المصري في المادة (٢٤) من قانون الإثبات بحل آخر وهو جواز الأخذ بقول الطالب فيما يتعلق بشكل المحرر وموضوعه عند عدم تقديم المحرر من قبل المدعى عليه وامتناعه عن حلف اليمين، كونه منكرا حال عجز المدعي عن الإثبات، ولم يقدم صورة للمحرر المدعى به[2].

فسلك المشرع المصري -وغيره من التشريعات - في هذا الصدد مسلكاً يخالف المنطق القانوني؛ حسب نص المادة (٢٤) إثبات[3] عند توفر الافتراضات السابقة؛ حيث يتم الحكم على المدعى عليه بمضمون المحرر وشكله بدون دليل يقدمه المدعي ، وبدون إقرار من المدعى عليه ، وبدون قرينة يقدمها المدعي، وهذا هو وجه المخالفة للمنطق القانوني.

فإذا كان المقصود في النص المصري -والنصوص العربية المماثلة - غير ذلك فعليه تعديل نص المادة (٢٤) إثبات المذكورة آنفا.

ثالثا: في الفرض الثالث: حال ادعاء المدعي الذي يطلب إلزام خصمه تقديم محرر تحت يده، ولم يقدم دليلا على دعواه، ويكون موقف المدعى عليه سلبيا بسكوته (أي لم يقر ولم ينكر) فالتفسير الأقرب لهذا السكوت هو الإنكار؛ فيأخذ حكم السكوت حكم الإنكار في الفرض السابق، ويوجه إلى النص الانتقادات ذاتها.

وإن كان نص المادة (١١٥) إثبات يمني التي تقابلها المادة (١/٢٣) مصري قد جعلت من سكوت المطلوب قرينة على إقراره، وهذا يتنافى مع القاعدة الأصولية التي تقول: " الأصل براءة الذمة"، ويتنافى مع قاعدة أخرى

١ - نقض مدني جلسة ١٤ -٦ - ١٩٦٦م - مجموعة المكتب الفني -السنة ١٧ع٣ -الطعن رقم ٢٤٣ س٣١ق . ص١٣٦٠، موسوعة النقض أحكام محكمة النقض المصرية، الدائرة المدنية، ١٩٣١ -٢٠١١م، إعداد: سعيد محمود الديب المحامي.

٢ - محمد حسن قاسم؛ مرجع سابق ؛ ص١٢١.

٣ -تقابلها المادة (٢٣) من قانون البينات الأردني.

مضمونها: "لا ينسب لساكت قول"[١] إلا بوجود قرينة، وهو ما لم يتوفر هنا.

المطلب السادس

الآثار المترتبة على قرار المحكمة في ضوء عجز الطالب عن الإثبات وامتناع المطلوب عن الحلف

حسب نص المادة (١١٥) من قانون الإثبات اليمني[٢] في جزئها الثاني: " ... وإذا أنكر الخصم ولم يقدم الطالب إثباتاً كافيا لصحة الطلب وجب أن يحلف المنكر يمينا بان المحرر لا وجود له وانه لا يعلم وجوده ولا مكانه وانه لم يخفه أو لم يهمل البحث عنه ليحرم خصمه من الاستدلال به."

لو تأملنا مسلك المطلوب في مسألة توجيه اليمين فمسلكه أحد أمرين: إما أن يحلف اليمين المذكورة؛ فوفقا لقواعد الإثبات يتعين على المحكمة أن تصدر قرارها برفض الطلب؛ حيث ينتهي الطلب عند هذا الحد[٣].

فنلاحظ أن المشرع ألزم المنكر حلف اليمين عند عجز الطالب عن إثبات ما يدعيه، وهو بهذه اليمين يعزز صدق إنكار المدعى عليه[٤]، وقنوع المدعي بأدائها، وهو بهذا يطبق القاعدة الشرعية في الإثبات (أن اليمين على من أنكر)، التي أصلها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "شاهداك أو يمينه"[٥]

أما المسلك الثاني من قبل المطلوب وهو امتناعه عن حلف اليمين؛ فيعد ممتنعا عن حلف اليمين الموجهة إليه من المحكمة لتكملة الدليل الناقص في الخصومة إذا رفض الحلف بالصيغة التي توجهها له المحكمة، أو إذا امتنع عن الحلف دون إبداء أية أسباب، في مثل هذه الحالة فإن امتناعه عن الحلف يغني عن الحكم بإلزامه بتقديم المحرر ويعتبر بمثابة امتناع عن تقديمه؛ حسبما يري بعض الفقه[٦].

ولمحكمة الموضوع أن تفسر هذا الامتناع لمصلحة طالب تقديم المحرر، وبالتالي تطبق الجزاءات التي يقررها

---

١ - هذه عبارة الشافعي - رضي الله عنه - وعلى هذه القاعدة استثناءات. انظر: جلال الدين؛ عبد الرحمن السيوط ت (٩١١هـ).؛ الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية؛ ط١؛ ١٤١٣هـ - ١٩٨٣م؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ ص١٤٢.

٢ - تقابلها المادة (٢٢) من قانون البينات الأردني.

٣ - جمال مدغمش؛ مرجع سابق؛ ص١٠٧.

٤ - جمال مدغمش؛ المرجع السابق؛ ص١٠٧.

٥ مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث رقم (٢٠٨٣٩)، ولما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى باليمين على المدعى عليه" سنن أبي داوود ؛ج٣ ؛ كتاب الأقضية؛ ص٣١٠. حديث شريف مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٦ - أحمد صدقي محمود؛ مرجع سابق؛ ص٩٠، سليمان مرقس؛ أصول الإثبات وإجراءاته في المواد المدنية والتجارية في القانون المصري؛ ج١؛ ط٤؛ ١٩٨٦م؛ دار المعارف؛ القاهرة؛ ص٤١٣.

نص المادة (١١٧) من قانون الإثبات اليمني[١]، وفي هذا نحيل القارئ إلى أوجه الخلاف بين قانون الإثبات اليمني وقانون الإثبات المصري ومن سار على منواله في هذه المسالة[٢].

المبحث الثالث

إلزام الغير بتقديم محرر تحت يده

تمهيد وتقسيم :

قد يمتنع الغير عن تقديم المحرر الذي طلب تقديمه أحد الخصوم إليه مباشرة؛ إما لأن هذا الغير قد اؤتمن عليه من قبلهما معا لا يستطيع تسليمه إلى أحدهما دون رضا الآخر، وأما لأنه مشترك بينه وبين أحد الخصمين، فلا يقبل التخلي عنه لهذا الأخير.

هذا الامتناع يترتب عليه أثر قانوني رتبه المشرع للخصم صاحب المصلحة في أن يتقدم بطلب إلى المحكمة التي تنظر النزاع القائم بينه وبين خصمه في أن يطلب منها في أي حالة كانت عليها الدعوى، ولو أمام محكمة الاستئناف أن تأذن له في إدخال ذلك الغير لإلزامه بتقديم المحرر الموجود تحت يده[٣].

وإلزام الغير بتقديم محرر تحت يده قد يحدث بناء على اختصامه سواء بناء على طلب أحد الخصوم أو بناء على أمر المحكمة من تلقاء نفسها، وقد يتم إلزامه بتقديم محرر تحت يده أو بحيازته دون حاجة لإدخاله خصما جديدا في الدعوى، ولكن كونه شاهدا (كأمين المنطقة أو كاتب التوثيق) أو أن المحرر تحت يده على سبيل الوديعة (كوجود المحرر في خزانة بنك، أو لدى شخص على سبيل الأمانة) أو العهدة (كموظف الأرشيف في أي إدارة حكومية أو غير حكومية).

وستتم دراسة هذا المبحث من خلال ثلاثة مطالب؛ نتناول في المطلب الأول مفهوم اختصام الغير ومدى الأخذ به، وفي المطلب الثاني الآثار المترتبة على تقديم الطلب من الخصم بإلزام الغير بتقديم محرر تحت يده، وفي المطلب الثالث الآثار المترتبة على الفصل في الطلب من الخصم لإلزام الغير بتقديم محرر تحت يده؛ كل ذلك سيتم السير فيه في المطالب التالية على النحو الآتي:

---

١ -تقابلها المادة (٢٤) من قانون الإثبات المصري.

٢ -انظر المطلب الرابع من المبحث الثاني من هذا البحث.

٣ -سليمان مرقس؛ الوافي؛ مرجع سابق ؛القاهرة؛ ص٥١١.

المطلب الأول

مفهوم اختصام الغير ومدى الأخذ به

معنى اختصام الغير:

إدخال الغير في الخصومة: يقصد به إجبار شخص على الدخول في خصومة لم يكن طرفا فيها بناء على أمر المحكمة لمصلحة العدالة أو لإظهار الحقيقة، وفي كل الأحوال يلزم بتقديم المحرر الذي تحت يده (أو بحيازته).

مدى الأخذ بمبدأ اختصام الغير:

لوحظ على نظام اختصام الغير - سواء كان بناء على أمر المحكمة أو بناء على طلب الخصوم - معايب[1] منها:

العيب الأول: إن اختصام الغير يجبر الشخص على الدخول في خصومة في وقت غير مناسب له؛ فقد يري - أن من مصلحته - إرجاء تقديم دعواه حتى يستكمل أدلته.

ويرد على هذا أنه ليس بالضرورة أن يكون المدخل مدعيا، بأن يطلب شيئا لنفسه، ولكن قد يكون مدعى عليه، وبالتالي لا يستلزم الأمر البحث عن مصلحة المدخل، ولكن ما يجب البحث عنه هو توافر شروط الدعوى فيمن طلب إدخال الغير، أو البحث عن المبررات التي استلزمها القانون المتمثلة في مصلحة العدالة، أو إظهار الحقيقة.

العيب الثاني: أن إدخال الغير في خصومة بناء على أمر المحكمة - كما يرى البعض[2] - يخل بمبدأ حياد القاضي؛ إذ لا يصح أن يكون القاضي مدعيا.

ويرد على هذا أن القاضي لا يطلب - بصدد إدخال طرف ثالث (الغير) - منفعة لنفسه؛ حتى نقول أنه قد أصبح مدعيا، أو طرفا في الدعوى، فهو يستكمل النقص في أطراف الدعوى أو يستجلي الحقيقة عن طريق إلزام الغير بتقديم محرر تحت يده[3].

العيب الثالث: يخل اختصام الغير بحق الخصوم في تسيير الدعوى كيفما شاءوا، واختصام من يرون

---

١ - إبراهيم محمد الشرفي؛ الوجيز في شرح قانون المرافعات؛ ٢٠١٢؛ مركز الصادق؛ صنعاء؛ ص١٩٢.

٢ - محمد حامد فهمي؛ مشار إليه في: آدم وهيب النداوي؛ مدى سلطة المحكمة المدنية في تعديل الدعوى؛ رسالة منشورة ؛ ١٩٩٧؛ مكتبة دار الثقافة؛ بيروت؛ ص٣٧٧

٣ - آدم وهيب النداوي؛ المرجع السابق؛ ص٣٨١.

اختصامه فيها.

ويرد على هذا أن الأنظمة القضائية المعاصرة في تطورها قد جعلت مبدأ تسيير الخصومة موزعا بين القاضي والخصوم فلم يعد أمر تسييرها حكرا على الخصوم يسيرونها كيفما شاءوا، ولكن بحسب المصلحة؛ فقد تكون دفة التوجيه بيد القاضي وبما يقرره القانون[1].

غير أن هذه المعايب على هذا النظام لم تمنع من الأخذ به، فقد يكون في المنع تحقيق مصلحة الغير المراد إدخاله، لكن في المقابل هناك مصالح أخرى للأطراف المتنازعة في إدخاله هي أجدر بالرعاية، ونظرا للميزات الإيجابية التي قد يحققها[2]، والقانون قد برر إدخال الغير أما لتحقيق العدالة، وفي هذا مصلحة للمدخل، والخصوم السابقين أيضا، وإما لإظهار الحقيقة، سواء استفاد منها المدخل أم استفاد منها الخصوم الأصليين في الدعوى، كما يؤدي إلى سهولة ويسر حسم الدعوى عن طريق إلزام المختصم بأن يقدم للمحكمة محرر موجود تحت يده يكون منتجا في الدعوى المنظورة[3].

كما أن هناك فوائد أخرى تتمثل في عدم تكرار المنازعات، التي تتحد فيها عناصر الدعوى، وعدم تناقض الأحكام[4].

وقد أخذ بهذا النظام كثير من القوانين المعاصرة، ومنها القانون اليمني في كل من قانون المرافعات ، وقانون الإثبات؛ فنصت المادة (١٩٠) من قانون المرافعات اليمني على أن: "للمحكمة ولو من تلقاء نفسها أن تأمر بإدخال من ترى إدخاله لمصلحة العدالة أو لإظهار حقيقة ومن ذلك :

من كان خصماً في الدعوى في مرحلة سابقة.

من تربطه بأحد الخصوم رابطة تضامن أو التزام لا يقبل التجزئة.

الوارث مع المدعي أو المدعى عليه أو الشريك على الشيوع إذا كانت الدعوى متعلقة بالتركة قبل قسمتها أو بعدها أو بالشيوع.

شركة التأمين المسئولة عن الحق المدعى به إذا كان مصرحاً بها".

---

١ أحمد أبو الوفا؛ المرافعات المدنية والتجارية؛ ط١٠؛ ١٩٧٠م؛ دار المعارف؛ القاهرة؛ ص١٢٥، وأحمد هندي؛ سلطة الخصوم والمحكمة في اختصام الغير؛ ٢٠٠٦م؛ دار الجامعة الجديدة؛ اسكندرية؛ ص١٢٥، وما بعدها.

٢ -آدم وهيب النداوي؛ المرجع السابق؛ ص٣٣٦.

٣ -آدم وهيب النداوي؛ المرجع السابق؛ ص٣٤١.

٤ -إبراهيم محمد الشرفي؛ المرجع السابق؛ ص١٩٣.

والأمر ليس محصورا في المسائل الأربع فلم ترد على سبيل الحصر؛ بل هي مجرد أمثلة يقيس عليها القاضي، سواء بناء على طلب الخصوم أو بناء على قرار المحكمة من تلقاء نفسها، وهو ما سارت عليه المحكمة العليا[1]، كما أن الأمر جوازي للمحكمة تقدر كل حالة بحسبها، مع الالتزام بالشروط والضوابط المنصوص عليها في المواد (١٩٠) و (١٩١) من قانون المرافعات اليمني، وعلى ذلك سارت المحكمة العليا[2].

كما نصت المادة مادة (١١٩) من قانون الإثبات اليمني[3] على أنه: يجوز للمحكمة أثناء سير الدعوى ولو أمام محكمة الاستئناف أن تأذن في إدخال الغير لإلزامه بتقديم محرر تحت يده مع مراعاة الأحوال والأحكام والأوضاع المنصوص عليها في المواد السابقة.

وباستعراض الأوضاع المنصوص عليها في المواد المقصودة من المادة (١١٢) إلى المادة (١١٩) من قانون الإثبات اليمني وما يقابلها في القوانين موضع الدراسة[4] يتبين أن أحوال إلزام الخصم بتقديم محرر تحت يده تتمثل في ثلاثة أحوال هي كما حددتها المادة (١١٢) من قانون الإثبات اليمني:

إذا كان القانون يجيز مطالبته بتقديمه أو تسليمه.

إذا كان مشتركا بينه وبين خصمه ويعتبر المحرر مشتركا على الأخص إذا كان المحرر لمصلحة الخصمين أو كان مثبتا لالتزاماتهما وحقوقهما المتبادلة.

إذا استند إليه خصمه في أي مرحلة من مراحل الدعوى.

---

١ - حيث جاء في حكم لها: "مما يجعلنا نقول (أن هذا القرار قد صدر من المحكمة المذكورة استناداً إلى المادة (١٩٠) مرافعات فهو قرار صحيح وصائب ولو من تلقاء نفسها

وعليه فإن جميع أسباب الطعن قد جاءت في غير محلها ولا تؤثر على الحكم المطعون فيه" طعن بالنقض رقم (٢٦٤٩٤) لسنة ١٤٢٦هـ؛ صادر بتاريخ ٢٤ شعبان سنة ١٤٢٧هـ الموافق ١٧/ ٢٠٠٦/٩م؛ المحكمة اليمنية العليا ؛ مركز المعلومات ؛ الأرشيف الالكتروني؛ القرارات الصادرة عام ١٤٢٧هـ - الموافق ٢٠٠٦م.

٢ - حيث جاء في حكم لها" كذلك الحال فإنه تبعاً لمفهوم المخالفة لذات نص المادة (١٩١) مرافعات سالفة الذكر فإنه يجوز لأحد خصوم الاستئناف طلب إدخال من كان طرفاً في الخصومة أو الدعوى الصادر فيها الحكم المستأنف أمامها ولما كان الطاعن / كمستأنف أمام الشعبة لم يطلب إدخال مصلحة أراضي وعقارات الدولة في خصومة الاستئناف رغم أنها كانت خصماً وطرفاً في الدعوى الصادر فيها الحكم المستأنف أمامها فلا يلومن إلا نفسه سيما وأنه لم يستأنف في مواجهتها ولا تثريب على الشعبة أو النعي عليها بمخالفة القانون إن هي لم ترى ضرورة لإشراك أو إدخال مصلحة أراضي وعقارات الدولة في خصومة الاستئناف مع ما قامت به محكمة أول درجة من جهد في توضيح ظروف وملابسات إبرام المصلحة عقد إيجار مع الطاعن للعين محل النزاع." طعن تجاري رقم (٢٧٩٨٤) بتاريخ ١٣ شوال ١٤٢٧هـ الموافق ٢٠٠٦/١١/٤م، المحكمة اليمنية العليا ؛مركز المعلومات ؛ الأرشيف الالكتروني؛القرارات الصادرة عام ١٤٢٧هـ -الموافق ٢٠٠٦م.

٣ -تقابلها المادة (١١٨) من قانون المرافعات المصري.

٤ -وهي المواد من (٢٠ -٢٦) من قانون الإثبات المصري، والمواد من (٢٠ -٢٥) من قانون البينات الأردني.

وهذه الأحوال مذكورة في القانون على سبيل الحصر لا يجوز القياس عليها، فيما بين الخصم وخصمه - حسبما نرى - فلا يجوز للخصم أن يطلب من خصمه تقديم محرر لا يندرج تحت أي حالة من هذه الحالات؛ وإلا كان طلبه غير مقبول طبقا للمادة (١١٣) من قانون الإثبات اليمني.

أما عندما يتم طلب إلزام الغير بتقديم محرر تحت يده فلا يتصور إلا في حالتين هما:

إذا كان القانون يجيز مطالبة الغير بتقديم المحرر أو تسليمه.

إذا كان المحرر مشتركا بين الخصم طالب المحرر وبين الغير الحائز له.

ويعتبر المحرر مشتركا على الأخص إذا كان المحرر لمصلحة الخصم والغير أو كان مثبتا لالتزاماتهما وحقوقهما المتبادلة.

فإذا تخلف هذا الشرط فلا على المحكمة إن هي أغفلت طلب الخصم بإلزام خصمه بتقديم محرر تحت يده لم يكن مشتركا بينهما ولم تتوفر بقية الشروط، وبهذا حكمت محكمة النقض المصرية[1].

أما الحالة الثالثة فيمكن أن تحدث فيما إذا كان الغير ممثلاً في مرحلة سابقة في الخصومة بأن يكون قد استند إلى المحرر أثناء مثوله أمام محكمة أول درجة، وقد يحدث أن يتم تعديل نطاق الخصومة من حيث الأشخاص بخروجه منها لأي سبب؛ فمن حق الخصم الباقي فيها أن يطلب تقديم المحرر الذي بحيازة الغير (الخصم سابقا).

ولا يمكن تصور تقديم طلب إلزام الغير بتقديم محرر تحت يده لا يندرج تحت الحالات الثلاث المذكورة لأنه لو تم تقديمه لقررت المحكمة عدم قبوله لتعارضه مع نص المادة (١١٣) إثبات يمني.

على أن توافر إحدى هذه الحالات لا يعني إجابة الخصم لطلبه؛ وإنما يخضع هذا الطلب - باعتباره متعلقا بأوجه الإثبات - لتقدير قاضي الموضوع؛ فله أن يقبله، وله أن يرفضه إذا تبين له عدم جديته، أو إذا كون

---

١ - حيث جاء في حكم لها ما نصه في البند ٤: "..... يعتبر المحرر مشتركا في مفهوم المادة ٢٠ من قانون الإثبات إذا كان لمصلحة خصمي الدعوى كان مثبتا لالتزاماتهما وحقوقهما المتبادلة وكان الثابت أن الطاعن الأول الذي ادعى صدور عقد الوعد بالبيع المؤرخ ١٢ من يناير سنة ١٩٦٤ لصالحه من مورث المطعون ضدهم وقدم صوره ضوئية له لم يطلب من المحكمة إلزام المطعون ضده الأول بتقديم أصله الموجود تحت يده وإنما طلبه من باقي الطاعنين الذين لم يدعوا أنهم طرفا فيه ومن ثم فلم تنشأ لهم بهذه المثابة علاقة قانونية مشتركة بينهم وبين المطعون ضده الأول تولد التزامات متبادلة تخول لهم طلب إلزامه بتقديم أصل هذا المحرر ومن ثم فان الحكم المطعون فيه إذ انتهى إلى عدم توافر شروط هذا الطلب فانه يكون قد أصاب صحيح القانون ولا يعيبه القصور في أسبابه القانونية إذ لمحكمة النقض أن تستكمل هذه الأسباب دون أن تنقضه ويكون هذا النعي على غير أساس" الطعن رقم ١٧٠٣ لسنة ٥٧ ق جلسة ٢٢ -١١ -١٩٩٠.

عقيدته في الدعوى من الأدلة الأخرى التي اطمأن إليها[1].

ونصت المادة (٤٤) من قانون الإثبات اليمني[2] على أن: "للمحكمة من تلقاء نفسها أن تستدعي للشهادة من ترى لزوما لسماع شهادته إظهاراً للحقيقة. والتشريعات التي أجازت هذا الاختصام -منها التشريعات محل الدراسة - أباحته بشكلين: إما بناء على طلب الخصوم وموافقة المحكمة، أو بناء على أمر المحكمة من تلقاء نفسها.

المطلب الثاني

الآثار المترتبة على تقديم الطلب من الخصم بإلزام الغير بتقديم محرر تحت يده

في هذا الموضوع سنتناول الآثار المترتبة على إدخال الغير خصما في الدعوى لإلزامه بتقديم محرر بناء على طلب الخصم؛ وكذا الآثار المترتبة على طلب إدخال الغير لتقديم محرر تحت يده؛ في حال عدم توفر شروط الاختصام، وذلك على النحو التالي:

أولا: الآثار المترتبة على توفر شروط طلب إدخال الغير لتقديم محرر تحت يده

إذا تقدم أحد الخصوم بطلب إدخال الغير أو بطلب إلزامه بتقديم محرر فيلزم توفر الشروط المطلوبة طبقا لنص المادة (١١٢) من قانون الإثبات اليمني؛ المتمثلة في الآتي:

أولا: أن يكون المحرر المطلوب تقديمه من الغير منتجا في الدعوى.

ثانيا: أن يكون المحرر المطلوب تقديمه بحيازة ذلك الشخص، أو تحت سلطته وسيطرته.

كم يلزم أيضا أن تتوفر حالة من الحالات التي حددها القانون لجواز إلزام الشخص بتقديم محرر تحت يده وهي:

إذا كان القانون يجيز مطالبته بتقديم المحرر أو تسليمه؛ أي إذا كان القانون يجيز إلزام الغير بتقديم المحرر سواء كان طرفا ثالثا مدخلا أم كان من الغير (أي لم يكن خصما حقيقيا).

إذا كان المحرر المطلوب مشتركا بين أحد الخصوم والغير المطالب بتقديمه أو تسليمه.

إذا أدخل الغير في الخصومة وتمسك بمحرر؛ فللخصوم كلهم أو بعضهم طلب تقديم المحرر أو تسليمه إلى

---

١ - أحمد السيد صاوي؛ الوسيط في شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية؛ ١٩٩٠؛ دار النهضة العربية؛ القاهرة؛ ص٥٥٨.

٢ - تقابلها المادة (٧٠) من قانون الإثبات المصري، ولا يوجد مقابل لهذا النص في قانون البينات الأردني.

المحكمة وضمه في ملف القضية طبقا لنص المادة (١١٢/ج) من قانون الإثبات اليمني[1].

ثالثا: حتى تستجيب المحكمة لطلب أحد الخصوم بإلزام الغير بتقديم محرر تحت يده لا بد أن يتضمن الطلب جملة من البيانات التي حددتها المادة (١١٣) من قانون الإثبات اليمني[2] وهي:

أوصاف المحرر الذي بحيازة الغير؛ كأن يبين أنه عقد أو سجل أو دفتر، وهل هو محرر ورقي أم محرر إلكتروني.

أن يثبت الطالب في طلبه فحوى المحرر بقدر ما أمكن من التفصيل، هل هو عقد بيع أو عقد وكالة أو عقد إيجار أو عقد تأسيس شركة؛ إلخ.

أن يذكر الطالب في طلبه الدلائل التي تشير إلى وجود المحرر تحت يد الغير.

أن يذكر الطالب في طلبه وجه إلزام الغير بقديم المحرر الذي بحيازته. بأن تكون هناك واقعة أوردها الخصم طالب المحرر في طلبه أو دعواه، ويريد أن يستدل بذلك المحرر ليثبت تلك الواقعة؛ كأن يورد في دعواه أن أحد الخصوم مدين أو عليه واجب التزام، ولم يتم الوفاء به، ولكنه بحاجة إلى إثبات ذلك الالتزام بالمحرر الموجود بحيازة الغير سواء كان مدخلا في الخصومة أو مجرد حائز للمحرر.

وهناك شروط إجرائية أخرى خاصة بإدخال الغير في الدعوى ليكون خصما؛ هذه الشروط ما يلي:

أن يكون الشخص المراد اختصامه من الغير الذي كان يصح اختصامه عند رفع الدعوى؛ إذ لا يجوز أن يكره على الدخول في الدعوى إلا من كان بالإمكان اختصامهم عند إقامتها[3].

ألا يكون الشخص المراد اختصامه في الدعوى ممثلا فيها؛ وذلك لأنه بتمثيله فيها يكون طرفا، وبالتالي لا يعد من الغير ولا يوجد مسوغ لاختصامه.

أن تتوفر المصلحة لدى الخصم طالب تقديم المحرر، تتمثل في المنفعة الجدية، وأن تعود عليه مصلحة مشروعة، بحيث تقنع المحكمة بقبول الطلب، فإذا لم يكن هناك أية مصلحة؛ كأن يكون الحكم الذي سيصدر في الدعوى ليس من شأنه المساس مطلقا بذلك الشخص المراد اختصامه فيها[4].

أن يتوفر شرط الارتباط بين الدعوى المقامة وطلب إدخال الغير لتقديم محرر تحت يده، مما يبرر تعدد في الخصوم؛ فبناء على هذا الارتباط يمكن لأحد الخصوم في الدعوى طلب إدخال الغير.

---

١ -تقابلها المادة (٢٠/ج) من قانون الإثبات المصري، والمادة (٢/٢٠) من قانون البينات الأردني.

٢ -تقابلها المادة (٢١) من قانون الإثبات المصري، والمادة (٢١) من قانون البينات الأردني.

٣ -آدم وهيب النداوي؛ مدى سلطة المحكمة المدنية في تعديل الدعوى؛ مرجع سابق؛ ص٣٤٥.

٤ -آدم وهيب النداوي؛ المرجع سابق؛ ص٣٤٧

أن يتم تقديم الطلب بعد رفع الدعوى وقبل إقفال باب المرافعة.

أن يتم تقديم الطلب بعريضة؛ إن كان الغير غائبا، أو شفاها في الجلسة، ويثبت في محضرها ؛ إن كان حاضرا فيها.

أن يتم إعلان الغير بهذا الطلب؛ إذا لم يكن حاضرا في الجلسة.

فلا مسوغ لاختصام شخص ليبدي معلومات في الدعوى؛ لأن مثل هذا الشخص يمكن أن يستدعى كشاهد، أو تلزمه المحكمة بتقديم محرر منتج في حسم الدعوى.

فإذا ما قدم طلب إلزام الغير بالصورة المذكورة، وتوفرت الشروط المحددة آنفا فإن على المحكمة فحص هذا الطلب، وعليها التأكد من تطابق الشروط مع الواقع، فإذا ما ثبت لديها صحة الشروط المذكورة؛ فعليها تلبية طلب الخصم في إلزام الغير بتقديم محرر تحت يده، وهذا هو الأثر المترتب على توفر الشروط في الطلب؛ إلا أنه يجب التنويه إلى أن مسألة تطابق الشروط مع الحقيقة هي مسألة واقع وليست مسألة قانون؛ فلا تخضع محكمة الموضوع لرقابة المحكمة العليا (محكمة النقض)؛ فإذا ما ثبت توفر الشروط وانطباقها على الواقع؛ أصبحت المسألة مسألة قانون وعلى القاضي أن يطبق النص المناسب عليها، وتخضع فيها محكمة الموضوع لرقابة المحكمة العليا (محكمة النقض.)

ثانيا: الآثار المترتبة على عدم توفر شروط إدخال الغير لتقديم محرر تحت يده :

وبداهة إذا تخلفت شروط إدخال الغير ليصبح خصما لتقديم محرر تحت يده ومطالبته بأمور أخرى[١] فإن النتيجة الحتمية رفض طلب الطالب في ذلك، وكذلك الحال في حال عدم توفر الشروط التي استلزمها القانون من كون المحرر غير منتج في الدعوى، أو لم يثبت وجوده لدى الغير فإن النتيجة هي رفض الطلب، وبذلك حكمت محكمة النقض المصرية[٢].

---

١ - كما سنوضحه في المطلب التالي.

٢ - حيث جاء في حكم لها ما يلي: " [البند رقم] ٩ - أجازت المادة ٢٦ من قانون الإثبات [المصري] للمحكمة أن تأذن أثناء سير الدعوى في إدخال الغير لإلزامه بتقديم محرر منتج في الدعوى يكون تحت يده في الأحوال الثلاثة الواردة في المادة ٢٠ من هذا القانون، إلا أن المشرع تطلب مراعاة الأحكام و الأوضاع المنصوص عليها في المواد من ٢١ إلى ٢٥ من ذلك القانون ، و منها ما أوجبته المادة ٢١ من بيان أوصاف المحرر المطلوب إلزام الغير بتقديمه و فحواه بقدر ما يمكن من التفصيل و الواقعة التي يستدل به عليها و الدلائل و الظروف التي تؤيد أنه تحت يد هذا الخصم المدخل و وجه إلزامه بتقديمه ، و نص المشرع في المادة ٢٢ على أنه لا يقبل طلب إلزام الخصم بتقديم المحررات الموجودة تحت يده إذا لم يتضمن البيانات المشار إليها ، لما كان ذلك ، و كان الثابت من صحيفة الاستئناف أن الطاعن طلب فيها احتياطيا إلزام المطعون ضده الثاني " الخصم المدخل في الدعوى " بتقديم المستندات التي تحكم كافة بتقديمها أمام محكمة أول درجة ، و كان البين من صحيفة إدخاله بتقديم ما لديه من عقود

ذلك ما يتعلق بمسلك المحكمة أما ما يتعلق بالغير الذي وجه إليه الطلب؛ فله أن يطلب التعويض عن الضرر الذي لحق به نتيجة لخطأ الطالب في ذلك، كما له أن يطلب توقيع الجزاء على الطالب في حال التعسف في استخدام الحق الإجرائي.

المطلب الثالث

الآثار المترتبة على الفصل في الطلب من الخصم لإلزام الغير بتقديم محرر تحت يده

أولا: الآثار المترتبة على قرار المحكمة إدخال الغير لتقديم محرر تحت يده:

تنص المادة (١١٩) من قانون الإثبات اليمني على أنه: "يجوز للمحكمة أثناء سير الدعوى ولو أمام محكمة الاستئناف أن تأذن في إدخال الغير لإلزامه بتقديم محرر تحت يده مع مراعاة الأحوال والأحكام والأوضاع المنصوص عليها في المواد السابقة"[١].

وتنص المادة (١٩٠) من قانون المرافعات اليمني[٢] على أن: "للمحكمة ولو من تلقاء نفسها أن تأمر بإدخال من ترى إدخاله لمصلحة العدالة أو لإظهار حقيقة ومن ذلك"

وهذا الإدخال - المذكور في المواد السابقة - إما أن يجعل الغير طرفاً في الدعوى، وكون الغير أصبح طرفاً فيها ليس لمجرد أن الخصوم هم الذين طلبوا إدخاله - كما يرى البعض - ولكن إذا وجهت إليه طلبات من الخصوم السابقين، أو من أحدهم، أو تقدم هو بطلبات في مواجهتهم جميعا أو في مواجهة بعضهم بعد إدخاله؛ وفي هذه الحالة يعد خصما حقيقيا لا مجازا.

وإما أن يؤدي إدخال الغير في الدعوى دون أن يصبح طرفاً حقيقياً، ولكن يصبح خصماً على سبيل المجاز[٣]؛ بحيث لا يوجه إليه طلبات من قبل الخصوم، ولن تتأثر ذمته المالية بالافتقار بناء على إدخاله، ولا يتقدم بطلبات في مواجهتهم أو بعضهم بأن لا يثري بناء على اختصامه.

فإذا تم قبول إدخال الغير ووجهت إليه طلبات أو تقدم بطلبات - وليس بمجرد قبول اختصامه - فإن هناك جملة من الآثار تترتب على ذلك:

يصبح الغير (الشخص المدخل) خصما في الدعوى[٤]، ويعد طرفا فيها، ويترتب على ذلك أن عليه ما على

واتفاقات و أوراق و حسابات و مستخلصات ... و لم يفصح الطاعن في طلب الإلزام عن أوصاف تلك المحررات و فحواها و سائر البيانات التي أوجبت المادة ٢١ بيانها فإن طلبه يكون غير مقبول و لا يترتب على الحكم المطعون فيه إن التفت عنه" الطعن رقم ٢٤ لسنة ٤٤ ق - جلسة ٥ -٣ - ١٩٧٩، والطعن رقم ٩١٢ لسنة ٥١ ق جلسة ٩ -٥ -١٩٨٨.

١ - تقابلها المادة (٢٦) من قانون الإثبات المصري، والمادة (٢٥) من قانون البينات الأردني.

٢ - تقابلها المادة (١١٨) من قانون المرافعات المصري، ولم يوجد نص مقابل في قانون أصول المحاكمات المدنية الأردني.

٣ - آدم وهيب النداوي؛ مدى سلطة المحكمة المدنية في تعديل الدعوى؛ مرجع سابق؛ ص٣٣٧.

٤ - أحمد مليجي؛ اختصام الغير؛ ط٢؛ دار الفكر العربي؛ القاهرة؛ ص١٤٩، آدم وهيب النداوي؛ المرجع السابق؛ ص٣٧١.

الخصم وله ما للخصم؛ فعليه حضور جلسات المحكمة وإبداء دفوعه فيها، ومتابعة سير القضية، فإن لم يحضر طبقت المحكمة بشأنه قواعد الحضور والغياب؛ عملا بالمواد (١٠٨ -١١٦) من قانون المرافعات اليمني[١].

للغير (الشخص المدخل) أن يتمسك بالدفوع الموضوعية والشكلية، فإذا ما قد تم إبداء الدفع وتم الفصل فيه من قبل فليس لمن أدخل إثارته من جديد؛ فإذا تمسك المدعى الأول بعدم اختصاص المحكمة وفصلت وقررت اختصاصها؛ فليس للغير (المدخل) أن يقدم هذا الدفع، وإن قدمه لا ينظر فيه[٢].

لا يعتد في مواجهة الغير (الشخص المدخل) بالأدلة التي قدمها الخصوم السابقون في الدعوى سواء قدمها المدعي أو المدعى عليه فيما يضره لا فيما ينفعه، فإذا قدمت أدلة من أحد الأطراف السابقين وهي تدعم موقف المدخل فمن حقه أن يتمسك بها[٣].

إذا صدر حكم في الدعوى بعد إدخال الغير فإنه يعد حجة له وعليه، ويترتب على هذا أن له أن يطعن في هذا الحكم بكل الطرق المتاحة قانونا للخصوم الأصليين.

بصدور حكم بعد إدخال الغير فإنه يمتنع عليه أن يرفع دعوى جديدة؛ يتحد فيها عناصر الدعوى بعناصر الدعوى المفصول فيها بالحكم المذكور، فإذا ما رفعت يطبق بشأنها قواعد عدم القبول لسبق الفصل فيها.

أما إذا تم إدخال الغير لإلزامه بتقديم محرر تحت يده دون أن توجه إليه طلبات أو أن يتقدم هو بطلبات في مواجهة خصومه السابقين؛ فإنه لا يعد في هذه الحالة خصما حقيقيا ولكن يمكن أن يعد خصما جوازيا.

فمركز الغير (المدخل)، إن كان إدخاله لمجرد تقديم محرر تحت يده يعد بمثابة شاهد[٤]، أو شخص مكلف بالمحافظة على دليل من أدلة أحد الخصوم في الدعوى.

وبالتالي ليس للغير الملزم بتقديم محرر تحت يده حقوق الخصم الحقيقي؛ فليس له حضور الجلسات كطرف، إلا أن عليه الحضور إذا دعي لتقديم المحرر، ولا تطبق بشأنه قواعد الحضور والغياب التي تحكم حضور وغياب الخصوم، ولكن تطبق بشأنه قواعد حضور وغياب الشهود[٥]، حسب نص المادة (٦٣) من قانون الإثبات اليمني التي تنص على أنه: "إذا رفض الشاهد الحضور إجابة لدعوة الخصم أو المحكمة جاز للقاضي إحضاره جبرا."[٦].

---

١ -تقابلها المواد (٨٢ -٨٦) من قانون المرافعات المصري.

٢ -أحمد مليجي؛ المرجع السابق؛ ص١٥٠.

٣ -آدم وهيب النداوي؛ مدى سلطة المحكمة المدنية في تعديل الدعوى؛ مرجع سابق؛ ص٣٧٣.

٤ -أحمد مليجي؛ مرجع سابق؛ ص٩٩.

٥ -أحمد مليجي؛ المرجع السابق؛ ص١٥١.

٦ - تقابلها المادة (٧٨) من قانون الإثبات المصري التي نصت على أن: " ... وفي أحوال الاستعجال الشديد يجوز أن تصدر المحكمة أو القاضي أمرا بإحضار الشاهد"

ثانيا: الأثر المترتب على مركز الشخص المدخل بناء على قرار المحكمة من تلقاء نفسها:

إلزام الغير بتقديم محرر تحت يده بقرار من المحكمة - من تلقاء نفسها - يعد مظهرا من مظاهر تطور مبدأ تسيير الخصومة من قبل القاضي، فقد كان دور القاضي سلبيا في تسييرها، وأصبح الآن له دور إيجابي في ذلك[1].

فلا يؤدي مجرد اختصام إدخال الغير بأمر المحكمة إلى جعله طرفا في الخصومة؛ بحيث يكون الحكم حجة له أو عليه، وإنما يعتبر الغير المدخل طرفا في الخصومة إذا ما قدم فيها طلبا، أو تقدم أحد الخصوم فيها بطلب في مواجهته، أو كان الغير المدخل ممن يجوز للخصم اختصامه عند رفع الدعوى[2].

فإذا كان غرض المحكمة من إدخال الغير هو خدمة الإثبات وتنوير عقيدتها بإلزامه بتقديم محرر تحت يده؛ فإن هذا الغير لا يعد خصما ؛ لأنه لا يوجه طلبا فيها، ولا يوجه إليه طلب.

بينما إذا كان الهدف من إدخال الغير بأمر المحكمة من تلقاء نفسها هو استكمال عناصر الخصومة، كإدخال شخص تربطه بأحد الأطراف رابطة تضامن، فهذا المدخل يصبح طرفا في الخصومة له ما للخصم وعليه ما على الخصم الأصلي في الخصومة القائمة[3].

ثالثا: الآثار الإيجابية من إدخال الغير:

قد يكون المحرر المنتج في الدعوى بين الخصمين (المطلوب تقديمه) موجودا لدى شخص ثالث وبعد إثبات الطالب وجوده لدى الغير، أو إقراره بذلك، فإن قام بتقديمه تحقق المطلوب وانتهت هذه المرحلة من القضية، ويبدأ بعدها فحص الدليل، ومدى صدقه على ثبوت الواقعة التي ادعاها طالب المحرر، وبهذا تكون القضية قد تحرك خطوة نحو الفصل فيها.

رابعا: الآثار السلبية من إدخال الغير:

تنص المادة (١١٩) من قانون الإثبات اليمني[4] على أنه: "يجوز للمحكمة أثناء سير الدعوى ولو أمام محكمة الاستئناف أن تأذن في إدخال الغير لإلزامه بتقديم محرر تحت يده مع مراعاة الأحوال والأحكام والأوضاع المنصوص عليها في المواد السابقة".

وتقرر المادة (٢٠٨) من قانون أصول المحاكمات المدنية اللبناني - إلى جانب الحكم السابق - أن للمحكمة: " أن تأمر من تلقاء نفسها أو بناء على طلب الخصوم بجلب أوراق من الدائرة الرسمية إذا تعذر عليهم ذلك"[5].

---

١ -أحمد مليجي؛ مرجع سابق؛ ص١٥٣.

٢ -إبراهيم محمد الشرفي؛ مرجع سابق؛ ص١٩٥.

٣ -أحمد مليجي؛ مرجع سابق؛ ص١٨٨.

٤ -تقابلها المادة (٢٦) من قانون الإثبات المصري، والمادة (١/٢٥) من قانون البينات الأردني، والمادة (٢٠٨) من قانون أصول المحاكمات اللبناني.

٥ -تقابلها المادة (٢/٢٥) من قانون البينات السوري

وتقضي المادة (٢٠٩) من قانون أصول المحاكمات اللبناني بأن: "للمحكمة أن تحكم بغرامة من أربعين ألف إلى أربعمائة ألف ليرة على من يتخلف عن تنفيذ أمر صادر عنها بإبراز مستندات في المهلة المحددة[1].

لا يقبل هذا الحكم الطعن؛ إنما يبقى للمحكمة أن تعفي المحكوم عليه من الغرامة إذا أبدى عذرا مقبولا"

قد يكون المحرر المنتج في النزاع موجودا لدى مصلحة حكومية، وقد تمتنع هذه المصلحة عن تسليم المحرر إلى طالبه مباشرة، فقد عالجت المادة (٢٠٨) أصول محاكمات لبناني الأمر بأن للمحكمة أن تأمر بجلب ذلك المحرر سواء بناء على طلب الخصوم أو من تلقاء نفسها.

ومقتضى ذلك أنه إذا كان الأمر بناء على طلب الخصم أن يثبت وجود المحرر لدى تلك المصلحة الحكومية؛ بإعطاء البيانات الموصلة إليه؛ من رقم قيد وتاريخه، ورقم الملف، وما يدل على امتناع الجهة عن تسليم المحرر إلى الخصم مباشرة؛ كأن ترد على طلبه بالاعتذار كتابة.

فإذا قررت المحكمة جلب المحرر من تلك الجهة الحكومية تعين على الأخيرة تسليمه إلى القضاء بعد أخذ صورة طبق الأصل من المحرر وحفظه في مكان الأصل حتى يعاد إلى مكانه.

فنلاحظ على نصوص القانون اللبناني وما يقابلها من القوانين العربية قد عالجت وجود المحرر لدى الجهات الحكومية أو الرسمية، ولم تعالج حالة وجوده لدى جهات خاصة.

وفي المقابل فإنه لا يوجد في قانون المرافعات اليمني والمصري ولا في قانون الإثبات اليمني والمصري مثل تلك النصوص الواردة في القانون اللبناني وما يقابلها من القوانين، ولكن وجدت معالجات لحالة المحرر الموثق؛ فقد أوجب المشرع اليمني والمصري عدم نقل المحررات الموثقة إلا بناء على قرار سلطة قضائية؛ فقد نصت المادة (٤٣) من قانون التوثيق اليمني[2] على أن: "

١ - يحظر نقل السجلات والدفاتر أو الوثائق المحفوظة لدى أقلام التوثيق من مقر الإدارة إلا في حال إنتقال المقر إلى موقع آخر، ويجوز إذا اقتضى الحال الاطلاع عليها في مكان حفظها تحت إشراف رئيس القلم والموظف المختص وفقا للإجراءات المنصوص عليها في اللائحة •

٢ -إذا أصدرت المحكمة قراراً بضم محرر موثق محفوظ لدى قلم التوثيق إلى دعوى منظورة أمامها، وجب على قلم التوثيق عمل نسخة مطابقة للمحرر المحفوظ يدون بذيلها محضرا يوقعه قلم التوثيق وفقا للإجراءات المنصوص عليها في اللائحة وتضم النسخة إلى ملف النزاع وتقوم مقام الأصل في الاستدلال على موضوع النزاع أثناء نظر القضية فقط•

---

١ -معدلة بالمرسوم رقم ٣٨٠٠ بتاريخ ٢٠٠٠/٩/٦م.

٢ -تقابلها المادة (١٠) من قانون التوثيق المصري، والمادة (٢٠) من قانون كاتب العدل الأردني رقم (١١) لسنة ١٩٥٢م المعدل بالقانون رقم (٢) لسنة ٢٠٠٤م.

ذلك فيما يتعلق بالمحررات الموثقة، أما بالنسبة للمحررات التي توجد لدى مصالح حكومية غير الموثقة فقد جرى العمل في مصر على أن ترخص المحكمة للخصم الذي يطلب ذلك باستخراج صورة رسمية من الورقة إذا كانت الجهة الحكومية ترفض إعطاء هذه الصورة دون ترخيص.

وإذا رأت المحكمة حاجة لضم أصل المحرر فإنها تصدر قراراً بالضم، ويتعين على الجهة الحكومية في هذه الحالة أن تودع المحررات المأمور بضمها ملف الدعوى[١].

وإذا سلمنا جدلا أن العمل في المحاكم اليمنية يسير بما هو عليه الحال في المحاكم المصرية؛ فإن الأمر بحاجة تدخل تشريعي يملأ الفراغ القانوني في هذه الجزئية.

ونلاحظ أن نص المادة (١١٩) من قانون الإثبات اليمني والنصوص المقابلة لها[٢] قد أجازت للمحكمة إدخال شخص لتقديم محرر تحت يده سواء كان شخصا طبيعيا أو شخصا اعتباريا، وهذا الجواز هو القاسم المشترك بين النصوص في القوانين موضع الدراسة، ولكن أغلبها لم يحدد الجزاء المترتب على امتناع الغير(الشخص المدخل) الملزم بتقديم محرر تحت يده؛ ماعدا القانون اللبناني؛ الذي قرر عقوبة الغرامة من أربعين ألف إلى أربعمائة ألف ليرة على الشخص الذي لم يستجب لقرار المحكمة بتقديم المحرر المطلوب في الموعد الذي حددته[٣].

وقد سبق استعراض الجزاء المقرر على الخصم الممتنع عن تقديم محرر تحت يده، ولكن هذا الجزاء لا يكون مناسبا حال امتناع الغير عن تقديم المحرر المطلوب؛ فالغير لا يعنيه أن المحكمة تعتد بأصل المحرر أو أن تعتد بقول الخصم طالب المحرر فيما يتعلق بشكله، أو بمضمونه، فهو ليس طرفا في النزاع ولا يخشى أن يخسر شيئا حال امتناعه عن تقديم المحرر الذي بحيازته[٤].

لذا فإنا نلاحظ وجود جزاءات على الخصم الملزم بتقديم محرر تحت يده سواء كان خصما أصليا أو كان خصما مدخلا حال امتناعه عن تقديم المحرر المطلوب منه.

ونلاحظ في المقابل عدم وجود جزاء على الغير الذي لا يصدق عليه وصف الخصم الحقيقي.

ولذا نرى أنه ينبغي للمشرع اليمني والمصري من تلافي هذا الفراغ، وإن كان البعض يرى تطبيق نص المادة (٢١٣) من القانون المدني المصري والنصوص المقابلة لها في القوانين العربية التي تقضي بإلزام الخصم بتقديم ورقة تحت يده وبدفع غرامه تهديدية تحددها المحكمة على الغير إن امتنع عن تقديمها، وفوق ذلك للخصم المتضرر من امتناع الغير المطالبة بتعويض الأضرار الناجمة عن امتناعه؛ حسب القواعد العامة المنظمة

١ -سليمان مرقس؛ الوافي ؛مرجع سابق؛ ص٥١٣.

٢ -وهي المادة (٢٦) من قانون الإثبات المصري، والمادة (٢٥) من قانون البينات السوري.

٣ -أنور سلطان؛قواعد الإثبات في المواد المدنية والتجارية؛مرجع سابق؛ ص١٠٤.

٤ -سليمان مرقس؛ مرجع سابق؛ ص٥١٣.

للمسؤولية[1].

ويرى البعض الآخر ترك أمر هذا الامتناع لسلطة القاضي التقديرية لاستخلاص دلالة عدم قيام الشخص هذا الشخص بتقديم المحرر المطلوب تقديمه[2].

لكن هذا القول لا يعالج ما نحن بصدده وهو ما حكم امتناع الغير عن تقديم محرر تحت يده؟ مع التذكير أن الغير ليس طرفا حقيقيا في الدعوى، ولا يتأثر بالجزاء المترتب على امتناع الخصم بتقديم محرر تحت يده.

لذا فأنا نؤكد وجوب تدخل المشرع المصري واليمني والقوانين المقابلة إلى وضع جزاء لامتناع الغير عن تقديم محرر تحت يده.

مدى جواز تغريم الغير:

نصت المادة (١٦٢) من قانون المرافعات اليمني[3] على أنه : "تحكم المحكمة على من يتخلف من العاملين بها أو من الخصوم عن القيام بأي إجراء من إجراءات المرافعات في الميعاد الذي حددته بغرامة لا تقل عن ألف ريال ولا تتجاوز ستة آلاف ريال ، ويكون ذلك بقرار من المحكمة يثبت في محضر الجلسة، له ما للأحكام من قوة تنفيذية ولا يقبل الطعن فيه بأي طريق وللمحكمة أن تتجاوز عن المحكوم عليه من الغرامة كلها أو بعضها إذا أبدى عذراً مقبولاً ويكون تنفيذ أحكام الغرامات المحكوم بها بعد إعلان المحكوم عليه بذلك ، ويجوز للمحكمة بدلاً من الحكم على المدعى بالغرامة أن تحكم بوقف الدعوى مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر بعد سماع أقوال المدعى عليه في الجلسة، وإذا مضت مدة الوقف ولم ينفذ المدعى ما أمرت به المحكمة جاز الحكم باعتبار الدعوى كأن لم تكن."

عالجت هذه المادة والنصوص المقابلة في القوانين العربية جزاء تقاعس الخصوم والعاملين عن القيام بأي إجراء من إجراءات المرافعات في الميعاد الذي حددته، وأوجبت غرامة على الشخص المقصر؛ لكنها لم تشمل - حسب ظاهر النص - الغير المدخل لتقديم محرر تحت يده.

فهذا شمل الحكم بالغرامة على الموظف بالمحكمة، وعلى الخصوم بغرامة تقدرها المحكمة بين حدها الأدنى والأقصى، وهي تشمل كل صور التخلف عن القيام بأي إجراء من الإجراءات بما فيها تقديم المحررات المطلوبة[4].

ونرى أنه إذا تم تفسير هذا النص تفسيرا موسعا؛ فإن الغير سيعد من الخصوم مجازا؛ فبالإمكان إعمال النص في مواجهته إذا تقاعس عن تقديم المحرر الذي تحت يده وتوافرت الشروط والإجراءات التي نص عليها

---

١ - سليمان مرقس؛ المرجع سابق؛ ص٥١٤، سيد أحمد محمود؛ مرجع سابق؛ ص٦١، محمد حسن قاسم؛ مرجع سابق؛ ص١٢٥.

٢ - رمضان أبو السعود؛ مبادئ الإثبات في المواد المدنية والتجارية، ٢٠٠٧م دار الجامعة الجديدة، اسكندرية، ص١٢٨.

٣ - عدلت بالقانون رقم ٢ لسنة ٢٠١٠م، تقابلها المادة (٢٧) من قانون أصول المحاكمات الأردني، والمادة (٩٩) من قانون المرافعات المصري.

٤ - جمال مدغمش؛ مرجع سابق؛ ص١١٩.

القانون.

أما إذا فسرنا النص تفسيرا ضيقا فلن يتم إعماله على الغير المدخل لتقديم محرر تحت يده، ولم توقع عليه العقوبة المقررة حال تقاعسه عن تقديم المحرر المطلوب في الميعاد الذي حددته المحكمة.

المبحث الرابع

دعوى العرض

تنص المادة (١/١٢٠) من قانون الإثبات اليمني[1] على أن: "كل من حاز شيئا أو أحرزه يلتزم بعرضه على من يدعي حقا متعلقا به متى كان فحص الشيء ضروريا للبت في الحق المدعى به من حيث وجوده ومداه، فإذا كان الأمر متعلقا بسندات أو أوراق أخرى فللقاضي أن يأمر بعرضها على ذي الشان وبتقديمها عند الحاجة إلى القضاء ولو كان ذلك لمصلحة شخص لا يريد إلاّ أن يستند إليها في إثبات حق له"

وتنص المادة (٢/١٢٠) منه على أنه: "يجوز للقاضي أن يرفض إصدار الأمر بعرض الشيء إذا كان لمن أحرزه مصلحة مشروعة في الامتناع عن عرضه"

نظم القانون اليمني دعوى العرض وما يترتب عليها في المادة (١٢٠) التي تقابلها المادة (٢٧) من قانون الإثبات المصري حيث تضمنت إلزام أي شخص سواء كان خصما أو من الغير أن يعرض ما بحوزته سواء كانت محررات أو أشياء مادية أخرى، سواء كان بناء على طلب الخصم أو بقرار من المحكمة من تلقاء نفسها.

يستخلص من النصوص السابقة أمران هما:

الأمر الأول: إلزام من حاز شيئا أو أحرزه بعرضه على من يدعى حقا متعلقا به لفحصه؛ إذا كان ذلك ضروريا للبت في الحق المدعى به سواء من حيث وجوده أو مداه، ويضرب لذلك مثال: طلب وارث المهندس تمكينه من معاينة المبنى الذي تمت فيه الترميمات التي أجراها مورثه المهندس، حتى يتسنى له أن يعين مدى حقه في المطالبة بالأجرة التي آلت إليه بالميراث وأصبح صاحب الصفة بالطالبة بها.

الأمر الثاني أجازت النصوص السابقة لذي الشأن مطالبة القاضي بإصدار أمره إلى الخصم أو الغير بعرض محررات تحت يده على ذوي الشأن، ولو كان ذلك لمجرد الاستناد إليها لاستخلاص دليل في إثبات حق من الحقوق، ويضرب لذلك مثال: الموظف الذي يدعي أنه تم فصله من وظيفته فصلا تعسفيا، يطلب تقديم ملف خدمته؛ ليستخلص منه الدليل على كفاءته ونزاهته.

والملاحظ على النص السابق أنه ألزم كل من حاز شيئا أو أحرزه بعرضه على الخصم أو المحكمة أو تقديمه إليها، وهذا يستشف منه أن الأمر وجوبي على هؤلاء الأشخاص، لكن النص ما لبث حتى جعل الأمر خاضعا لتقدير القاضي إذا تعلق الأمر بمحررات؛ فجعل تقدير استجابة المحكمة لطلب عرضها جوازياً؛ تقدر كل

---

١ -تقابلها المادة (٢٧) من قانون الإثبات المصري، ولا يوجد مقابل في قانون البينات الأردني.

حالة على حدة[1].

ويعتبر واجب العرض على الغير من الواجبات العامة بهدف معاونة القضاء في أداء رسالته النبيلة، ولا يعد واجب العرض من الغير - حسب ما يرى البعض[2] - من الحالات الواردة في المادة (١١٢) إثبات يمني التي تقابلها المادة (٢٠) من قانون الإثبات المصري الخاص بإلزام الخصم أو الغير بتقديم محرر تحت يده.

وهذا الاتجاه نؤيده في جانب، ونختلف معه في جانب آخر.

فنؤيده عندما يتم إدخال الغير باعتباره خصما حقيقيا، ستوجه إليه طلبات إلى جانب طلب تقديم محرر تحت يده، أو تم إدخاله لتقديم محرر وبعدها قدم طلبات في مواجهة الخصوم الأصليين جميعهم أو في مواجهة بعضهم.

ونختلف معه من ناحية أنه إذا تم إدخاله بغرض محدد وهو تقديم محرر فحسب؛ فلو قلنا أن واجب العرض على الغير يعد من الحالات التي وردت في المادة (١١٢) لما كنا بحاجة للنص عليها على استقلال، وكما لاحظنا أن الغير قد يكون - بإدخاله خصما حقيقيا - يقدم طلبا في مواجهة الخصوم الأصليين، أو توجه إليه طلبا من قبلهم - وقد يكون خصما مجازيا؛ فإذا كان خصما حقيقيا فتسري أحكام المادة (١١٢) من قانون الإثبات اليمني وما يقابلها في القوانين موضع الدراسة، أما إذا كان خصما مجازيا فهو هنا يقدم واجبا عاما لمعاونة القضاء في أداء رسالته.

أثر توفر شروط دعوى العرض (الآثار الإيجابية):

شروط قبول المحكمة لدعوى العرض حسب ما أوردته المادة (١٢٠) من قانون الإثبات اليمني وما يقابلها من النصوص في التشريعات العربية تتمثل في الآتي:

أن توجد دعوى قائمة أمام المحكمة (دعوى أصلية) يكون أحد أطرافها المستفيد من عرض المحرر أو غيره من الأشياء

أن يدعي أحد خصوم الدعوى الأصلية - المستفيد من العرض - حقا متعلقا بالمحرر أو الشيء المطلوب عرضه.

أن يكون عرض المحرر أو الشيء ضروريا للبت في الدعوى الأصلية في إثبات المدعى به من حيث وجوده ومداه.

فإذا توفرت الشروط السابقة فالأثر الإجرائي أن للقاضي إصدار أمره بعرض المحرر المطلوب أو الشيء المتعلق بالنزاع[3]. والأمر متروك لتقديره حسب كل حالة على حدة.

---

١ - مجموعة الأعمال التحضيرية للقانون المدني المصري؛ ج٢؛ ص٤٩١؛ مشار إليها في أنور سلطان؛ قواعد الإثبات في المواد المدنية والتجارية؛ ٢٠٠٥؛ مرجع سابق؛ ص١٠٥.

٢ - أسامة أحمد شوقي المليجي؛ القواعد الإجرائية للإثبات في المواد المدنية والتجارية؛ ١٩٩٨؛ المؤسسة الفنية؛ القاهرة؛ ص٩١.

٣ - أنور سلطان؛ مرجع سابق؛ ص١٠٥.

آثار تخلف شروط دعوى العرض (الآثار السلبية):

يجوز للقاضي عدم إصدار أمره بعرض المحرر المطلوب، عند تخلف الشروط السابق ذكرها التي تتمثل في الآتي:

عدم قيام دعوى أصلية يكون طالب عرض المحرر أحد أطرافها، أو عدم وجود ارتباط بين الدعوى الأصلية وبين المحرر المطلوب عرضه، أو عدم وجود مبرر أو ضرورة لعرض المحرر؛ بأن يستشف القاضي عدم الجدوى من عرضه، ويتم ذلك بعدم قدرة الخصم طالب عرض المحرر على إقناع القاضي بذلك.

آثار إصدار أمر العرض (الآثار الإيجابية):

إذا أصدر القاضي أمره إلى الشخص بعرض المحرر أو الشيء فمسلك هذا الشخص يكون أحد أمرين:

الأول هو الاستجابة لأمر المحكمة وعليه يتحقق المطلوب، وتنتقل المحكمة إلى مسألة تالية تتمثل في فحص المحرر، وارتباطه بموضوع الدعوى ومدى قبوله دليلا لما يدعيه طالب العرض أو المستفيد من تقديمه لإثبات ما يدعيه.

أما المسلك الثاني فهو امتناع المأمور بعرض المحرر عن تقديمه أو عرضه على الخصم أو المحكمة.

وبناء على مسلك الشخص المطلوب تتقرر النتيجة والأثر القانوني لمسلكه، وسيتم عرض هذين الافتراضين على النحو التالي:

آثار إصدار أمر القاضي بالعرض (الامتناع عن العرض):

قد يكون امتناع الشخص المطلوب عن عرض المحرر أو الشيء المطلوب عرضه يستند إلى أساس مشروع، وقد لا يستند إلى ذلك، بأن يكون امتناعا تعسفيا، ومن هنا سيكون مسلك الشخص المطلوب أحد طريقين:

الطريق الأول: إذا تمسك من طلب منه عرض المحرر أو الشيء بحق مشروع في حماية العرض أو الأسرار العائلية، فإن على القاضي أن يوازن بين المصلحتين، ويرجح أحدهما، فإذا غلبت مصلحة الشخص المطلوب فللقاضي أن يمتنع عن إصدار أمره بعرض المحرر أو الشيء طبقا لنص المادة (٢/١٢٠) من قانون الإثبات اليمني التي تقابلها المادة (٢/٢٧) من قانون الإثبات المصري.

الطريق الثاني: قد يكون امتناع الشخص عن عرض المحرر لا يستند إلى سند مشروع وبالتالي يكون قد خالف أمر المحكمة بعرض المحرر أو الشيء؛ فما هو الجزاء القانوني الذي يستحقه؟

الجواب أن القانون نص على جزاء امتناع الخصم عن تقديم أو عرض محرر تحت يده، وهو ما يسري على الغير الذي أدخل في الخصومة، وأصبح خصما حقيقيا له ما للخصوم وعليه ما عليهم، ولكن القانون أغفل الجزاء على الغير الذي طلب منه تقديم محرر تحت يده أو عرضه، ولم يكن هذا خصما حقيقيا، وكان امتناعه غير مبرر، وبالتالي يبقى الجزاء غير متاح أمام القاضي إلى أن يتم تعديل القانون وينص فيه على

الجزاء المناسب.

المبحث الخامس

آثار تقديم المحرر المطلوب وآثار حلف اليمين، وتقديم صورة المحرر من طالب المحرر

تمهيد وتقسيم:

إذا استجاب الشخص المطلوب - سواء كان خصما أو من الغير - بتقديم المحرر، أو عجز الخصم طالب تقديم المحرر عن إثبات وجوده لدى الشخص المطلوب، ولم يكن للخصم طالبه صورة للمحرر المراد تقديمه، أو استجاب الخصم لأداء اليمين، بأن حلف فعلا؛ فما هي الآثار التي تترتب على هذه الخطوات؟ للإجابة على ذلك سيتم تناول هذا المبحث من خلال المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول

آثار تقديم المحرر المطلوب

حق الخصم الآخر في إثبات عكس مضمون المحرر :

تقديم المحرر المطلوب يتولد عنه أثر هو حق الخصم الآخر في دحض ذلك المحرر؛ بإثبات عكس مضمونه.

وإن تقديم أحد الخصوم دليلا معينا أو طلب إلزام خصمه أو الغير بتقديمه - بغرض إثبات ما يدعيه - يستتبع ذلك إعطاء الحق لخصمه بتقديم إثبات العكس[1].

فعلى الدائن إثبات الحق وعلى المدين إثبات التخلص منه، عملا بنص المادة رقم (٢) من قانون الإثبات اليمني[2]، فذلك النص قد أعطى للمدعي أن يدعي ما شاء من الحقوق في مواجهة خصمه ولكن لكي يحكم له بما ادعاه عليه أن يقيم الدليل على تلك الدعوى، وفي المقابل منح المدعى عليه أن يدحض أو ينكر وجود ذلك الحق المدعى به، ولكي يصل إلى نتيجة النفي عليه أن يثبت العكس بما هو أرجح من دليل خصمه.

و يجوز للخصم أن يدفع شهادة خصمه ببينة يثبت بطلانها كما يجوز له أن يأتي بشهود لجرح شهود خصمه عملا بنص المادة (٤٧) من قانون الإثبات اليمني[3].

حق الطعن في المحرر:

ومن صور أثر تقديم دليل في مواجهة الخصم الآخر له أن يطعن في المحرر الرسمي المقدم في مواجهته

---

١ - عبد الرزاق أحمد السنهوري؛ الوسيط في شرح القانون المدني؛ ج٢؛ ط٢؛ ١٩٨٢؛ دار النهضة العربية ؛ القاهرة؛ ص٥٢، حلمي محمد الحجار؛ القانون القضائي الخاص (وفقا للقانون اللبناني)؛ ج١؛ بيروت؛ ص١٢٤.

٢ - تقابلها المادة (١) من قانون الإثبات المصري، ولم يوجد ما يقابلهما في قانون البينات الأردني.

٣ - تقابلها المادة (٢٧٠) من قانون البينات اللبناني، والمادة (٦٩) من قانون الإثبات المصري.

بالتزوير - إن كان الخصم قد قدم صورة منه، أو قدمه الغير ؛ عملا بالمادة (١٠٠) من قانون الإثبات اليمني[١]، التي تقابلها المادة (٧) من قانون البينات الأردني، والمادة (١١) من قانون الإثبات المصري[٢].

وبالتأمل في نص المادة (١٠٠) من قانون الإثبات اليمني المتضمنة حجية المحررات الرسمية ما لم ينكرها الخصم فيتعين إثباتها بالطرق الشرعية، أو يتبين تزويرها، والمادة (١١) من قانون الإثبات المصري المتضمنة حجية المحررات الرسمية ما يطعن فيها بالتزوير؛ نجد أن المشرعين المصري والأردني قد جعلا للمحرر الرسمي حصانة؛ بحيث لا يجوز جحوده بالإنكار، وإنما لمن تمسك به ضده أن يدفع بتزويره، وعليه إثبات التزوير.

أما المشرع اليمني فلم يحصن المحرر الرسمي بل جعله عرضة للجحود ممن يتمسك به ضده؛ فله أن يدفع بإنكار المحرر أو إنكار جزء من محتواه، أو يدفع بتزويره، أو يدفع بالأمرين (الإنكار، والتزوير).

فإذا تقدم أحد الخصمين بدعوى واستدل على دعواه بمحرر رسمي؛ كان للخصم الآخر أن يدفع بجحود هذا المحرر، وعلى المتمسك به أن يثبت رسميته، وللطرف الآخر أن يطعن فيه بالتزوير، وعليه أن يثبت ذلك التزوير.

وخلاصة الخلاف بين القانونين (اليمني، والمصري) في هذه الجزئية أن المحرر الرسمي في القانون المصري لا يجوز الطعن فيه إلا بطريق الادعاء بتزويره، أما المحرر الرسمي في القانون اليمني فتجوز مواجهته بالإنكار أو التزوير أو هما معا.

كما أن من آثار تقديم المحرر أن ينكر الخصم المحرر العرفي؛ فيعتبر المحرر العرفي الموقع من الخصم حجة عليه وعلى وارثه أو خلفه ما لم ينكر صراحة ما هو منسوب إليه من خط أو إمضاء أو ختم أو بصمة فإذا لم يقم المدعي البرهان على الخط حلف المدعى عليه البت والقطع أما الوارث أو خلفه فانه يحلف على نفي العلم؛ وذلك طبقا لنص المادة (١٠٤) إثبات يمني.

والقانون إذ كفل للخصم الحق في الإثبات وللخصم الآخر الحق في إثبات العكس؛ لضمان قيامهما بدورهما الإيجابي في الإثبات وفي إجراءات التقاضي عموما؛ بهدف الوصول إلى الحقيقة في الدعوى المطروحة أمام القضاء، وبالتالي تحقيق العدل وضمان استقرار المعاملات[٣]، وقد استقر لدى المحكمة العليا أنه إذا تسلل

١ حيث نصت على أن: "المحررات الرسمية حجة بما جاء فيها من أمور قام بها محررها في حدود مهمته الرسمية أو وقعت من ذوي الشأن في حضوره أو صودق منه على توقيعاتهم عليها في حضورهم بعد التحقق من أشخاصهم ما لم ينكرها الخصم فيتعين إثباتها بالطرق الشرعية أو يتبين تزويرها."

٢ - نصها على النحو التالي: المحررات الرسمية حجة على الناس كافة بما دون فيها من أمور قام محررها في حدود مهمته أو وقعت من ذوي الشأن في حضوره ما لم يتبين تزويرها بالطرق المقررة قانونا."

٣ - علي صالح القعيطي؛ الإثبات بالكتابة في المواد المدنية والتجارية؛ ٢٠٠٤ ،مركز الصادق؛ صنعاء؛ ص٣٥.

الشلك إلى (الدليل) المحرر فإهماله أولى من إعماله[1].

المطلب الثاني

آثار حلف اليمين

رفض طلب الطالب بناء على حلف اليمين من قبل المطلوب:

سبق أن أشرنا إلى مسلك المطلوب في مسألة توجيه اليمين فمسلكه أحد أمرين: إما أن يحلف اليمين المذكورة؛ وبناء عليه -وفقا لقواعد الإثبات- يتعين على المحكمة أن تصدر قرارها برفض الطلب؛ حيث ينتهي الطلب عند هذا الحد[2].

فنلاحظ أن المشرع -في القوانين موضع الدراسة- ألزم المنكر حلف اليمين عند عجز الطالب عن إثبات ما يدعيه، وهو بهذه اليمين يعزز صدق إنكار المدعى عليه[3]، وقنوع المدعي بأدائها، وهو بهذا يطبق القاعدة الشرعية في الإثبات (أن اليمين على من أنكر).

هل تمنع يمين الحالف الحكم للخصم الآخر؟

إذا كان المحرر المطلوب تقديمه من الخصم هو محور القضية ولا يوجد لدى المدعي غيره من الأدلة فقد رأينا أن المحكمة ترفض طلب الطالب، وتتوقف عند هذا الحد، ولكن إذا وجدت المحكمة أدلة أخرى تمكنها من

---

١ - حيث جاء في حكم لها: " أن الشعبة قد بينت وبوضوح عدم اعتماد مبلغ مليون وستمائة ألف ريال للطاعن من قبل المحكمة الابتدائية المورد إلى الشركة بخمسة مستندات قبض وذلك لعدم تعويل المحكمة على تلك المستندات لتطرق الاحتمال إلى تلك المستندات كما بينتها المحكمة الابتدائية وأيدتها في ذلك الشعبة وإعمالاً أيضاً لتقرير المحاسب القانوني عبد القوي محسن إذ بينت المحكمة الابتدائية حول المستند الأول من المستندات الخمسة أنه ليس مختوماً بختم صندوق المدعى عليها وكذلك مستند رقم (٢) لا يحمل ختم الصندوق وكذلك رقم(١) أما المستند رقم(٤) فقد بينت أن ختم الصندوق غير واضح بالإضافة إلى أن المستند ملصق من جانبه الأيسر وممزق في نفس المكان الذي جعل المحكمة لا تطمئن إليه ولا تعول عليه وكذلك فيما يتعلق بالمستند الخامس إذن توريد رقم (٤) المؤرخ ٩٩/٣/١م فتاريخه كما جاء في الحكم الابتدائي المؤيد من الشعبة الاستئنافية غير واضح بالإضافة إلى عدم وضوح ختم الصندوق، الأمر الذي جعل الشك يتسلل إلى هذه المستندات وأعملت المحكمة القاعدة الشرعية إذا تسلل الشك إلى الدليل فإهماله أولى من إعماله... وحيث يتبين وكما سبق ذكره أن الحكم المطعون فيه قد جاء بأسباب سائغة لها أصلها الثابت في الأوراق، وحيث أن عريضة الطعن قد جاءت خالية من أي سبب صحيح يدخل ضمن الأسباب المحددة في المادة (٢٩٢) مرافعات فإن الطعن يكون جدير بالرفض. وبناءً على ما تقدم ذكره من تسبيب وعملاً بالمادتين (٢٩٢،٣٠٠) مرافعات وبعد المداولة نصدر الحكم الآتي: (١) قبول الطعن شكلاً عملاً بقرار دائرة فحص الطعون. (٢) وفي الموضوع برفض الطعن لما عللناه" حكم تجاري ٢٦٢٦٣؛ الصادر بتاريخ: غرة جمادى الأولى /١٤٢٧هـ الموافق: ٢٠٠٦/٥/٢٨م عن الدائرة التجارية هيئة (ب)، المحكمة اليمنية العليا ؛ مركز المعلومات ؛ الأرشيف الالكتروني؛ القرارات الصادرة عام ١٤٢٧هـ -الموافق ٢٠٠٦م.

٢ - جمال مدغمش؛ مرجع سابق؛ ص١٠٧.

٣ - جمال مدغمش؛ المرجع السابق؛ ص١٠٧.

الفصل في الدعوى فلا يعد حلف اليمين من الخصم الآخر نهاية المطاف، بل على المحكمة الفصل فيها بما صح لديها من الأدلة، وبهذا حكمت محكمة النقض المصرية[1].

المطلب الثالث

آثار تقديم صورة المحرر من طالبه

لاحظنا في الافتراضات السابقة أن الخصم طالب تقديم المحرر إذا أثبت وجوده لدى خصمه، واقتنعت المحكمة بذلك، ولم يقم المكلف بتقديمه في الوقت الذي حددته المحكمة، فالنتيجة أن للخصم الحق في إثبات مضمونه.

كما لاحظنا أن قانون البينات الأردني في حال عجز طالب المحرر عن الإثبات ونكول المطلوب بتقديمه؛ أجاز الأخذ بمضمون صورة المحرر التي قدمها طالب المحرر واعتبار الصورة مطابقة لأصلها.

ولاحظنا أيضا أن التشريعات العربية موضع الدراسة - غير القانون اليمني - قد نهجت منهجين في الأثر المترتب على هذه المسألة[2]؛ فالقانونان المصري والأردني جعلا الأثر أن الصورة المقدمة تعد بمثابة أصل المحرر ويعمل بها كدليل إثبات.

أما الوضع في القانون اللبناني فالأمر جوازي للمحكمة، فلها أن تعتبر الصورة المقدمة من الطالب صحيحة

---

١ - حيث جاء في حكم لها ما يلي: "١ -مفاد المواد من ٢٠ إلى ٢٤ من قانون الإثبات أن اليمين التي يحلفها الخصم - والذي سبق أن أمرته المحكمة بتسليم محرر في حوزته بناء على طلب خصمه. بأن المحرر لا وجود له ولا يعلم بوجوده ولا مكانه، وأنه لم يخفه أو لم يهمل البحث عنه ليحرم خصمه من الاستدلال به "... محلها وسائر الإجراءات المنصوص عليها في هذه المواد هو وجود المحرر في حوزة الخصم أو عدم وجوده فهي بهذه المثابة تتعلق بالدليل على التصرف، لا التصرف ذاته ومرجع الأمر فيها إلى تقدير المحكمة للدليل، فلا يمنعها أداء الخصم لليمين أن تحكم لصالح الخصم الآخر إذا ترجح لديها أنه المحق، وليس من شأن حلف الخصم بعدم وجود المحرر أن تحجب المحكمة نفسها عن بحث الأدلة الأخرى على قيام هذا التصرف متى طالعتها بها أوراق الدعوى وتمسك بها الخصوم.

٢ - لما كان الحكم المطعون فيه قد أقام قضاءه على قول أن "المستأنف ضده..........البائع للمستأنفة قد حلف اليمين بعدم وجود عقد البيع المقول بصدوره من............المالك للعقار موضوع النزاع للمستأنف ضدهما............لم يقع ولا وجود له، وترتيبا على ذلك فإن عقد البيع المؤرخ ١٩٧٦/١/٩ سند دعوى صحة التعاقد يكون صادرا من غير مالك، ومن ثم لا يمكن للبائعين للمستأنفة أن ينقلا إليها ملكية العقار المبيع وبالتالي يتعين رفض دعوى صحة التعاقد..." فاعتبر بذلك مجرد حلف أحد البائعين بالصيغة الواردة بالمادة (٢٣) من قانون الإثبات دليلا على عدم وقوع البيع ذاته. رغم انتفاء التلازم بينهما، وحجبه ذلك عن بحث وتمحيص الإقرارات الصادرة من البائعين لمورثة الطاعنة وملحق العقد المشار إليه آنفا، رغم تمسك الأخيرة بدلالتها على انعقاد البيع الصادر لبائعيها من المالك الأصلي، وهو ما كان يتغير به - إن صح - وجه الرأي في الدعوى، الأمر الذي يعيب الحكم المطعون فيه فضلا عن الخطأ في تطبيق القانون بالفساد في الاستدلال والقصور في التسبيب الطعن رقم ١٥٢٣ لسنة ٦٢ قضائية - جلسة ٣٠ - ٦ -١٩٩٩، موسوعة النقض المدني؛ أحكام محكمة النقض المصرية، الدائرة المدنية، ١٩٣١ -٢٠١١م، إعداد: سعيد محمود الديب المحامي.

٢ - محمد حسن قاسم؛ مرجع سابق؛ ص١٢١.

مطابقة لأصلها؛ بحيث تعدها دليل إثبات معتبر، أو لا تعدها كذلك، وهذا حسب حكم المادة (٢٠٦) من قانون أصول المحاكمات المدنية اللبناني[١].

ومع ذلك فإن محكمة النقض المصرية صححت مسار النص في تطبيقاتها حيث جاء في حكم لها ما يأتي:

٣ - النص في المادة (٢٤) من قانون الإثبات على أنه إذا لم يقم الخصم بتقديم المحرر فى الموعد الذي حددته المحكمة - اعتبرت صورة المحرر التي قدمها خصمه صحيحة ومطابقة لأصلها مفاده أن يكون المحرر صالحا للاحتجاج به على الخصم الممتنع فإذا لم يكن يحمل توقيعاً له فلا محل لإعمال هذا النص"[٢].

١ - ونصها على النحو التالي: "إذا لم يقدم الخصم الورقة في الموعد المعين أو امتنع عن حلف اليمين جاز للمحكمة أن تأخذ بقول المستدعي وبالصورة التي أبرزها".

٢ - الطعن رقم ١٠٧٣ لسنة ٥٢ ق - جلسة ٨ -١١ -١٩٩٠، موسوعة النقض المدني؛ أحكام محكمة النقض المصرية، الدائرة المدنية، ١٩٣١ - ٢٠١١م، إعداد: سعيد محمود الديب المحامي.

خاتمة:

تتمثل الخاتمة في النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها،ونوردها على النحو التالي:

النتائج:

تبين من خلال الدراسة أن الأثر المترتب على طلب إلزام الخصم بتقديم محرر تحت يده - كونه إجراء من إجراءات الخصومة - يختلف من حالة إلى أخرى بقدر ما يلتزم مقدم الطلب بالشروط المقررة في القانون وأن يكون الطلب منصبا على حالة من الحالات التي أجاز فيها القانون تقديم الطلب بشأنها؛ فإذا توفرت الشروط استجابت المحكمة للطلب وقبلته، وإذا تخلفت الشروط كلها أو بعضها رفضت الطلب.

وقد تناولنا أثنا الدراسة الأثر القانوني على إغفال المحكمة لطلب إلزام الخصم أو الغير تقديم محرر تحت يده، حيث يعرض حكمها للنقض كونه مشوبا بالقصور في التسبيب.

واتضح من خلال الدراسة أن نتائج الفصل في الطلب تختلف تبعا لقدرة طالب تقديم المحرر على إثبات وجوده لدى خصمه أو الغير الذي بحيازته المحرر؛ فإذا أثبت الطالب وجود المحرر لدى خصمه أو أقر المطلوب بوجوده أمرت المحكمة بتقديمه،فإذا لم ينفذ المطلوب قرار المحكمة سواء بتسليم المحرر أو لم يحلف اليمين؛ فقد اتفقت القوانين محل الدراسة جزاء يتمثل في الأخذ بقول طالب تقديم المحرر فيما يتعلق بشكله أو بمضمونه، إلا أن القانون اليمني أضاف جزاءً آخر يتمثل في عقوبة خيانة الأمانة على حائز المحرر المتعنت عندما يكون المحرر مشتركا بينه وبين خصمه،

وتبين من خلال الدراسة أنه إذا عجز طالب تقديم المحرر عن إثبات وجوده لدى الملطلوب، ولم يقر الخصم تستحلفه المحكمة فإذا لم يقدم المحرر أو لم يحلف ففي القانون اليمني –خلاف القانون المصري والقوانين التي سارت على نهجه -يحبس الخصم أو يلزم بدفع غرامة.

وتبين أيضا أن هناك نتائج تترتب على تقديم المحرر تتمثل في إتاحة الفرصة أمام من تمت مواجهته بها أن يثبت عكسها، أو يطعن بتزويرها.

ومن خلال الدراسة تبين أن القوانين موضع الدراسة عالجت موضوع دعوى العرض ، وهذا فيه شيء من التكرار فيما يتعلق بعرض المحررات كونها قد أوردت أحكامها من قبل، ومع ذلك فالقصور قائم فيها؛ حيث أنها لم تحدد جزاء امتناع الغير عن تقديم المحرر المطلوب، وخاصة عندما لم يكن الغير المدخل في الخصومة خصما حقيقا.

التوصيات: نوصي المشرع المصري والأردني - عند تعديل قانون الإثبات -أن يضع جزاء على عدم امتثال الخصم بتقديم محرر تحت يده، ولم يقدم الطالب صورة له بأن يكون توقيعه جوازي للمحكمة، وتعدل المادة (٢٤) مصري، والمادة (٢٣) من قانون البينات الأردني؛ تأسيا بما ورد في المادة (٢٠٦) من قانون البينات اللبناني.

لتصبح العبارة كالآتي: " فإن لم يكن خصمه قد قدم صورة المحرر جاز الأخذ بقوله فيما يتعلق بشكله وبمضمونه"

كما نوصي المشرعين المصري والأردني ترتيب جزاء على الخصم الممتنع عن تقديم المحرر أو الممتنع عن حلف اليمين حال ثبوت وجود المحرر بحيازته، ولم توجد صورة للمحرر لدى طالبه، تأسيا بما ورد في المادة (١١٧) إثبات يمني.

ونوصي المشرع عند تعديل قوانين الإثبات والبينات موضع الدراسة بوضع جزاء على الغير المدخل ولم يكن خصما حقيقا لعدم امتثاله بتقديم محرر تحت يده، لأن الجزاءات الواردة في تلك القوانين لم تطاله. وخاصة من لم يكن موظف توثيق - حسب القانون المصري.

قائمة المراجع

١. إبراهيم محمد الشرفي؛ الوجيز في شرح قانون المرافعات؛ ٢٠١٢؛ مركز الصادق؛ صنعاء.

٢. أحمد أبو الوفا؛ التعليق على نصوص قانون الإثبات؛ ط٣؛ منشأة المعارف؛ إسكندرية.

٣. أحمد أبو الوفا؛ المرافعات المدنية والتجارية؛ ط١٠؛ ١٩٧٠م؛ دار المعارف؛ القاهرة؛ ص١٢٥،

٤. أحمد السيد صاوي؛ الوسيط في شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية؛ ١٩٩٠؛ دار النهضة العربية؛ القاهرة.

٥. أحمد صدقي محمود؛ طلب إلزام الخصم بتقديم محرر تحت يده؛ ٢٠٠٥؛ دار النهضة العربية؛ القاهرة.

٦. أحمد مليجي؛ اختصام الغير؛ ط٢؛ دار الفكر العربي؛ القاهرة.

٧. أحمد هندي؛ سلطة الخصوم والمحكمة في اختصام الغير؛ ٢٠٠٦م؛ دار الجامعة الجديدة؛ اسكندرية؛ ص١٢٥، وما بعدها.

٨. آدم وهيب النداوي؛ الموجز في قانون الإثبات؛ ١٩٩٠؛ جامعة بغداد؛ بغداد.

٩. آدم وهيب النداوي؛ مدى سلطة المحكمة المدنية في تعديل الدعوى؛ رسالة منشورة ؛ ١٩٩٧؛ مكتبة دار الثقافة؛ بيروت.

١٠. أسامة أحمد شوقي المليجي؛ القواعد الإجرائية للإثبات في المواد المدنية والتجارية؛ ١٩٩٨؛ المؤسسة الفنية؛ القاهرة.

١١. أنور سلطان؛ قواعد الإثبات في المواد المدنية والتجارية؛ ٢٠٠٥؛ دار الجامعة الجديدة ؛ إسكندرية.

١٢. جمال مدغمش؛ طلب إلزام الخصم بتقديم محرر تحت يده؛ ١٩٩٢؛ دار الإسراء؛ عمان.

١٣. حلمي محمد الحجار؛ القانون القضائي الخاص(وفقا للقانون اللبناني)؛ ج١؛ بيروت.

١٤. رمضان أبو السعود؛ مبادئ الإثبات في المواد المدنية والتجارية، ٢٠٠٧م دار الجامعة الجديدة، اسكندرية.

١٥. سليمان مرقس؛ أصول الإثبات وإجراءاته في المواد المدنية والتجارية في القانون المصري؛ ج١؛ ط٤؛ ١٩٨٦م؛ دار المعارف؛ القاهرة

١٦. سليمان مرقس؛ الوافي في شرح القانون المدني؛ ج١؛ ط٥؛ ١٩٩١؛ مطبعة السعادة؛ القاهرة.

١٧. سيد أحمد محمود؛ إقامة الدليل أمام القضاء المدني؛ ط١؛ ٢٠٠٦؛ دار أبو المجد للطباعة؛ القاهرة؛

١٨. صلاح الدين الناهي؛ الوجيز في مبادئ الإثبات والبينات؛ عمان.

١٩. عبد الرزاق أحمد السنهوري؛الوسيط في شرح القانون المدني؛ ج٢؛ ط٢؛١٩٨٢؛ دار النهضة العربية ؛القاهرة

٢٠. علي صالح القعيطي؛ الإثبات بالكتابة في المواد المدنية والتجارية؛ ٢٠٠٤ ؛مركز الصادق؛ صنعاء.

٢١. قانون أصول المحاكمات المدنية الأردني؛ رقم 24: لسنة 1988 ، الجريدة الرسمية رقم (٣٥٤٥).

٢٢. قانون الإثبات المصري رقم ٢٥ لسنة ١٩٨٦م.

٢٣. قانون البينات الأردني؛ رقم (٣٠) لسنة ١٩٥٢م؛ الصادر بتاريخ ١٧/٥/ ١٩٥٢م؛ الجريدة الرسمية عدد (١١٠٨).

٢٤. قانون المرافعات المصري رقم ١٣ لسنة ١٩٨٦م.

٢٥. قانون المرافعات اليمني رقم (٤٠) لسنة ٢٠٠٢م بشأن المرافعات والتنفيذ المدني وتعديلاته بالقانون رقم (٢) لسنة ٢٠١٠م.

٢٦. قرار مجلس النواب اليمني رقم (٥) لسنة ١٩٩٦م؛ حول القرار الجمهوري بالقانون رقم (٢١) لسنة ١٩٩٢م بشان الإثبـــات.

٢٧. مجموعة الأعمال التحضيرية للقانون المدني المصري؛ ج٢؛ ص٤٩١؛

٢٨. المحكمة اليمنية العليا ؛ مركز المعلومات ؛ الأرشيف الالكتروني؛ القرارات الصادرة عام ١٤٢٧هـ - الموافق ٢٠٠٦م.

٢٩. محمد حسن قاسم؛ قانون الإثبات في المواد المدنية والتجارية؛ ٢٠٠٥؛ منشورات الحلبي الحقوقية؛ القاهرة

٣٠. محمد علي راتب، وآخرون؛ قضاء الأمور المستعجلة؛ ط٥؛ ١٩٦٨؛ القاهرة.

٣١. محمد محمود إبراهيم؛ النظرية العامة للطلبات العارضة؛ ١٩٨٤؛ دار الفكر العربي؛ القاهرة.

٣٢. مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث رقم (٢٠٨٣٩)،

٣٣. مفلح عواد القضاة؛ البينات في المواد المدنية والتجارية؛ ١٩٩٤؛ عمان.

٣٤. موسوعة النقض المدني؛ أحكام محكمة النقض المصرية، الدائرة المدنية، ١٩٣١ -٢٠١١م، إعداد: سعيد محمود الديب المحامي.



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

أساليب تمويل الاستثمارات في المصارف الإسلامية اليمنية
(المخاطر والحلول المقترحة)

د/ عبدالله علي عبدالله الطوقي
أستاذ الأقتصادالمساعد – كلية التجارة – جامعةعمران

4

الملخص

المصارف الإسلامية متعددة الأغراض ولا تتعامل بالفائدة الربوية، وهذا يجعل لديها القدرة على تفعيل النشاط الاقتصادي في مختلف المجالات، كما أنها تهدف في الأساس إلى تمويل الاستثمارات التي تخدم عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ونظرا لأن المخاطر التي تواجه أساليب التمويل في المصارف الإسلامية مرتفعة، انعكس ذلك سلبا على استخدم تلك الأساليب في تمويل الاستثمارات، حيث انحصر نشاطها في التمويل عن طريق المرابحة، مما أوجد خللا في استخدام بقية أساليب التمويل .

وسيتم تناول الجانب النظري في الجزء الأول من هذه الدراسة، الذي يتمثل في أساليب تمويل الاستثمارات المختلفة (المرابحة، والمضاربة، والمشاركة، والسلم، والاستصناع، والإجارة)، من حيث المفهوم والأهمية الاقتصادية والصعوبات والمعوقات التي تواجهها المصارف الإسلامية، وسنتطرق في الجزء الثاني إلى الجانب التطبيقي، من خلال المعلومات والبيانات عن نشاط المصارف الإسلامية في تمويل المشروعات، وتحليلها لمعرفة قدرتها على جذب المدخرات، وتوظيف تلك المدخرات، والمخاطر التي تواجه المصارف، لنصل في نهاية الدراسة إلى محاولة وضع الحلول اللازمة لتخفيف مخاطر التمويل عن طريق آليات التمويل المختلفة.

المقدمة:

المصارف الإسلامية متعددة الأغراض، فهي شركات مساهمة، وتمتلك أساليب متنوعة لتمويل مشاريعها الاستثمارية، مما يجعلها قادرة على تفعيل الاستثمارات في مختلف المجالات، كما أنها تهدف في الأساس إلى تمويل الاستثمارات التي تخدم عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ونظرا لأن معظم الودائع في المصارف الإسلامية قصيرة الأجل، لذا لم تتمكن من التوسع في الاستثمارات طويلة الأجل، ونحصر معظم نشاطها في مجال المرابحة. أما بقية الآليات فما يزال دورها ضعيفا جدا ، وهذا بطبيعة الحال يضعف دورها في تحقيق الأهداف التنموية التي تسعى إلى تحقيقها. إلا أنها تحاول التوسع في تنويع آليات التمويل بصورة تدريجية، ولكنها محاولات ضعيفة ينتابها الكثير من التخوف والحذر.

وسنتناول في الجزء الأول الجانب النظري، الذي يتمثل في أساليب تمويل الاستثمارات المختلفة (المرابحة، والمضاربة، والمشاركة، والسلم، والاستصناع، والإجارة)، من حيث المفهوم والأهمية الاقتصادية والصعوبات والمعوقات التي تواجهها المصارف الإسلامية، وسنتطرق في الجزء الثاني إلى الجانب التطبيقي، من خلال المعلومات والبيانات وتحليلها، لمعرفة قدرة المصارف على جذب المدخرات، وتوظيف تلك المدخرات، والمخاطر التي تواجهها، وسيتم تحليل المعلومات والبيانات التي توضح قدرة المصارف الإسلامية على الحد من استخدام المرابحة ، والتوسع في استخدام الآليات الأخرى ، لنصل في نهاية الدراسة إلى محاولة وضع الحلول اللازمة لمعالجة الخلل في استخدام آليات التمويل المختلفة

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية الدراسة كونها تعد أحد الموضوعات المهمة في نشاط المصارف الإسلامية ، والتي تتمثل في الاتي :

١. دراسة مخاطر تمويل الاستثمارات في المصارف الإسلامية.
٢. دراسة الخلل في استخدام آليات التمويل ، التي تعد أساس نشاط المصارف الإسلامية في تمويل الاستثمارات.
٣. محاولة وضع الحلول لتخفيف تلك المخاطر ، والتوسع في استخدام آليات التمويل مرتفعة المخاطر

مشكلة الدراسة :

ارتفاع مخاطر تمويل الاستثمارات في المصارف الإسلامية ، أدى إلى التركيز على المرابحة في عملية التمويل ، وضعف استخدام الآليات الأخرى في عملية التمويل للمشاريع التنموية، وتتجلى المشكلة من خلال التساؤلات الآتية :

١. لماذا الاعتماد عل أسلوب المرابحة في نشاط المصارف الإسلامية ؟ .
٢. ماهية أسباب انخفاض استخدام المضاربة والمشاركة والسلم في عملية التمويل للمشاريع التنموية
٣. هل التركيز على المرابحة يعد خللا في نشاط المصارف الإسلامية ؟
٤. هل ارتفاع مخاطر المضاربة والمشاركة والسلم والاستصناع هو السبب في ضعف استخدام هذه الآليات ؟

أهداف الدراسة :

١. يتمثل الهدف الأساسي لهذه الدراسة، في عمل دراسة وصفية وتحليلية لأساليب تمويل الاستثمارات في المصارف الإسلامية ، لمعرفة ما تم إنجازه من المشاريع التنموية.
٢. التعرف على المخاطر التي تواجه عملية التمويل في المصارف الإسلامية .
٣. العمل على تطوير آليات التمويل ، والبحث عن آليات جديدة .
٤. محاولة تقديم الحلول للتخفيف من المخاطر التي تواجه المصارف الإسلامية في عملية التمويل.

منهج الدراسة :

تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي والذي يركز على استخدام مصادر المعلومات من الكتب، والمجلات ، والرسائل العلمية ، والبيانات من الجهات الرسمية، وتحليل تلك المعلومات والبيانات ، لما تم تحقيقه في هذا الجانب.

خطة الدراسة :

تتكون هذه الدراسة ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : يناقش التمويل الاستثماري عن طريق المرابحة ، من حيث المفهوم وتطبيقها وكيفية تطويرها، والتمويل عن طريق المضاربة وإظهار عملية الضعف في استخدام هذه الآلية في عملية التمويل بسبب ارتفاع مخاطرها ، وكيف يمكن تخفيف تلك المخاطر ، والتمويل عن طريق المشاركة ، ومحدودية تطبيقها ، وتحديد مخاطر ها، والتمويل عن طريق السلم والاستصناع والتمويل التأجيري، من حيث المفهوم والأهمية الاقتصادية . وسنتطرق في المبحث الثاني إلى تطور الودائع، وتوظيف موارد المصارف، والمخاطر التي

تواجه المصارف في عملية التمويل وسنتناول في البحث الثالث، التحديات التي تواجه المصارف الإسلامية، وتطوير أساليب التمويل عن طريق المضاربة، والمشاركة، والاستصناع، والإجارة.

المبحث الأول

أساليب تمويل الاستثمارات في المصارف الاسلامية

هناك العديد من الأساليب أو الآليات التي تستخدمها المصارف الإسلامية في تمويل المشاريع التنموية، وتتمثل اهم تلك الأساليب في التمويل عن طريق المرابحة والمضاربة والمشاركة والسلم والاستصناع والإجارة، وسيتم تناولها على النحو الآتي :

المطلب الاول : التمويل عن طريق المرابحة

أولا : مفهوم المرابحة

المرابحة هي بيع الأمانة ، وتنقسم إلى قسمين بيع المساومة ، وهذا يخضع للتفاوض بين الطرفين ،أما بيع الأمانة فيتطلب فيه معرفة الثمن الأصلي للسلعة [1] .

وتعرف المرابحة بأنها " بيع السلعة بمثل الثمن الذي اشتريت بت مع زيادة ربح معلوم"[2] .

ثانيا : مزايا التعامل بالمرابحة :

المرابحة من أكثر الآليات استخداما في المصارف الإسلامية لما تتمتع بت من مزايا أهمها:

١. انخفاض المخاطرة في عملية التمويل بالمرابحة ، لان ربح المصرف محدد مسبقا ولا يرتبط بنشاط العميل .
٢. تتميز المرابحة بأنها استثمار قصير الآجل وتحقق ربحا معقولا للمصرف.
٣. صيغة التمويل بالمرابحة من أسهل الصيغ استخداما وتطبيقا ، حيث إن الربح محدد مسبقا. فضلا عن تحول العلاقة بين المصرف والعميل إلى علاقة دائن ومدين.
٤. في عملية التمويل بالمرابحة هناك مساحة يمكن أن يتحرك في نطاقها المصرف ، وذلك بتمويل المشاريع الإنتاجية ، والسلع والخدمات الاستهلاكية [3] .

ثالثا : شروط صحة بيع المرابحة :

---

[1] - جعفر عبد الله احمد، كفاءة وتطبيق صيغة المشاركة، مجلة دراسة مالية ومصرفية، العدد الثامن يوليو، ٢٠٠٣م، ص ١١

[2] - محمد محمود المكاوي، التمويل المصرفي الإسلامي، جامعة المنصورة، عام ٢٠٠٤م، ص ٢٣

[3] -فادي محمد الرفاعي ، المصارف الإسلامية ، منشورات الحلبي ، ٢٠٠٤م ، ص ١٤٢ ، ١٤٣

هناك مجموعة من الشروط لصحة بيع المرابحة تتمثل في الآتي :

أ - أن يكون ثمن السلعة الأول معلوما ، لأن المرابحة بيع بمثل الثمن الأول مع زيادة الربح ، فإذا لم يتحقق ذلك فالبيع فاسد .

ب -أن يحدد الربح ، لأنه جزء من ثمن المبيع ، سواء كان نسبة أم قدرا محددا .

ج - أن تكون السلعة في ملك البائع ، فلا يصح أن يبيع المصرف مالا يملك [1].

د - أن يكون العقد الأول صحيحا فإذا كان فاسدا فلا يجوز بيع المرابحة ، لان ما بني على باطل فهو باطل.

هـ -أن يوضح البائع للمشتري كل ما يتعلق بالسلعة من العيوب ، ويجب أن يكون صادقا في هذا البيا

رابعا : أهمية المرابحة في الحياة الاقتصادية :

المرابحة لها دور في تحقيق التنمية الاقتصادية وذلك من حلال :

أ - المساهمة في تنشيط التجارة الخارجية ، وذلك من خلال استيراد السلع والمواد الخام من الخارج وبيعها مرابحة للمواطنين .

ب - المساهمة في دعم القطاعات الإنتاجية، وذلك بتوفير مستلزمات الإنتاج من المواد الخام والسلع الوسيطة، والمعدات والآلات والأجهزة.

ج - دعم الصناعات الصغيرة ، وذلك من خلال توفير مستلزمات الإنتاج لتلك المصانع ، وتصريف منتجاتها للأفراد والمؤسسات المتوسطة والكبيرة [2].

المطلب الثاني : التمويل عن طريق المضاربة

أولا : مفهومها

المضاربة من أهم آليات التمويل في المصارف الإسلامية ، وتمثل نوعاً من المشاركة بين العميل والمصرف ، بحيث يقدم أحدهما المال للآخر ليضارب.

وتعرف المضاربة بأنها " عقد بين البنك والعميل بحيث يقدم البنك رأس المال ويسهم العميل بجهده " أي أنها عقد بين الطرفين (العميل والبنك) ويسمى البنك رب المال والعميل المضارب. ويشترك البنك بمال معلوم ، والعميل بخبرته في إنجاز مشروع تتوفر فيه شروط النجاح، ويتم توزيع الأرباح حسب الاتفاق بينهما . فالمضاربة هي اتفاق بين طرفين يقوم أحدهما بتقديم ماله للآخر ليعمل فيه ، على أن يقتسما الربح بحسب الاتفاق [3].

---

[1] - محمد صالح عبد القادر، نظريات التمويل الإسلامي، دار الفرقان، عمان -الأردن، ١٩٩٧م، ص١٢٩.

[2] -حسن علي صالح بتران ، ظوابط الاستثمار في النظام الاقتصادي الإسلامي، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، ٢٠٠٠م، ص ٢١٧ ، ٢١٩.

[3] - عبد الرحمن يسري ، قضايا إسلامية معاصرة في النقود والبنوك والتمويل ، الدار الجامعية ، عام ٢٠٠١م ، ص ٢٧٢.

وبالنظر إلى هذه التعريفات وغيرها يتضح أن دلالتها واحدة . فالمضاربة: هي عقد شركة في الربح بين اثنين أو أكثر، يقدم أحدهما مالا، ويقدم الآخر عملا. أي أن المال يكون من جهة والعمل من جهة أخرى ، ويهدف عقد المضاربة إلى استثمار المال من أجل تحقيق الربح الحلال الذي يقسم بين الطرفين حسب النسب المتفق عليها عند التعاقد .

ولأهمية ضمان رأس المال والمحافظة عليه ، فقد بين الفقهاء أنه لا يستحق أحد الطرفين شيئاً من الربح حتى يسترد صاحب رأس المال ما قدمه من مال. وتقوم المضاربة على أساس عنصرين أساسيين هما الثقة في أمانة المضارب والثقة في خبرته وكفاءته في استثمار المال وتحقيق الأرباح المناسبة ، فيقدم المصرف رأس المال ، ويقدم المضارب جهده في إدارة المشروع ، ويتم الاتفاق بين الطرفين على توزيع الأرباح ، فيقوم المصرف بدراسة المشروع دراسة دقيقة والتأكد من جدواه الاقتصادية ، وأخذ الضمانات الكافية من العميل . كما يشترك الطرفان في تحمل المخاطر ، وفي حالة الخسارة يتحمل المصرف الخسارة المادية ، والعميل يتحمل خسارة جهده فقط شريطة عدم تقصيره [1].

ثانيا : شروط صحة المضاربة :

تتعلق شروط صحة المضاربة بعنصرين أساسيين هما رأس المال والربح:

١ - شروط رأس المال :

أ - أن يكون رأس المال من النقود، وليس عيني كالسلع.

ب - أن يكون رأس المال معلوما ومحدد القدر.

ج - أن يكون المال مسلماً للمضارب ، بحيث يتمكن من استثماره بحرية تامة [2].

٢ - شروط الربح :

أ - الاتفاق على نسبة من الربح بين صاحب رأس المال والمضارب عند التعاقد.

ب - أن يكون الربح مشتركا بين المتعاقدين ، بحيث لا يختص به أحدهما دون الآخر.

ج - أن يكون نصيب كلاً من المستثمر والمضارب نسبة من الربح ، وليس مبلغا مقطوعا.

د — في حالة الخسارة ، يتحمل المستثمر الخسارة المادية ، ويتحمل المضارب خسارة جهده وماله [3].

---

[1] - محمد محمود المكاوي، التمويل المصرفي الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٠، ٢١.

[2] - سامي حسن أحمد حمود ، تطوير الأعمال المصرفية بما يتفق مع الشريعة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، مطبعة الشرق ، عمان -الأردن ، عام ١٩٨٢م ، ص ٣٦٢، ٣٦٣.

[3] - صادق احمد عبد الله عبد الغني ، الاستثمار في المصارف الإسلامية (الأسس وآليات التطبيق) ، رسالة ماجستير في الاقتصاد ، ص٣٠ جامعة القادسية ، العراق ، ١٩٩٩م، ص ١٤١ ، ١٤٢.

ثالثا : أهمية المضاربة :

المضاربة من أهم آليات التمويل في المصارف الإسلامية ، لما لها من دور كبير في تعبئة الموارد المالية ومزجها بالمهارات التنظيمية والإدارية والفنية لتفعيل وتوسيع نطاق الأعمال التجارية ، والصناعية والزراعية في مختلف المجالات الاستثمارية ، التي تقوم بها المصارف الإسلامية . كما أنها تسهم إسهاماً فاعلاً في تحريك العقول القادرة على عملية التنظيم وتنفيذ المشاريع الاستثمارية إذا ما توفر لها رأس المال ، فالمصارف الإسلامية تمد الأشخاص الذين يملكون القدرات والمهارات بالمال ليقوموا باستثمار تلك الأموال في مشاريع مربحة تعود بالفائدة على الأشخاص المضاربين والمصارف الإسلامية [1].

ونظرا للمخاطر الكبيرة التي يتضمنها مبدأ المضاربة فإن المصارف تتعامل معها بحذر شديد. ولم تخط إلا بنسبة هامشية من إجمالي الاستثمارات في المصارف الإسلامية . فالاعتماد على هذه الصيغة اعتماداً ثانوياً لا يتناسب مع أهمية الصيغة للعمل المصرفي الإسلامي. وهذا يوضح انحراف المصارف الإسلامية عن هدفها الأساسي في فتح مجالات واسعة للاستثمار . مما فتح المجال واسعا لانتقادها في الغالب بدون وجه حق [2].

المطلب الثالث : التمويل عن طريق المشاركة

أولا : مفهومها

تعرف المشاركة " بأنها خلط نصيبين فصاعدا بحيث لا يعرف أحد النصيبين عن الآخر "[3] ، وهي عقد بين اثنين يشتركان في رأس المال لممارسة نشاط تجاري ، بحيث يوزع الربح بينهما بحسب نسبة كل منهما في رأس المال ، وتكون الخسارة بحسب مساهمة كل شريك " [4] ، ويمكن تعريفها " بأنها اتفاق بين المصرف والعميل على العمل في مشروع معين بغرض تحقيق ربح، عن طريق المساهمة في رأس مال المشروع " [5]

ثانيا : شروط المشاركة

تتمثل ضوابط المشاركة في الآتي :

١- محمد أحمد حيدر ، النظام المصرفي في اليمن (الوضع الراهن وتحديات العولمة المالية) ، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية ، صنعاء ، العدد الثاني، عام ٢٠٠٠ ، ص ٣١.

٢ -فادي محمد الرفاعي ،المصارف الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ ، ١٢٧.

٣ -محمد صلاح الصاوي ، مشكلات الاستثمار في البنوك الإسلامية وكيف عالجها الإسلام ، دار الوفاء ، الطبعة الأولى ، عام ٢٠٠١م ، ص ١٤٠ .

٤- سراج الدين عثمان، صيغة التمويل الإسلامي المستخدمة في إطار التجربة السودانية، مجلة المصارف، اتحاد المصارف السوداني، العدد الثاني، ٢٠٠٢م، ص٢٠

٥- محمد محمود المكاوي، التمويل المصرفي الإسلامي، جامعة المنصورة، ٢٠٠٤م، ص١٦

١. مراعاة جانب الربح المناسب عند تمويل المشروع ، لأن الربحية مؤشر أساسي للحكم على الجدوى الاقتصادية لأي استثمار في مشروع ما · وفي حال عدم وجود ربح مناسب للمشروع فلا يصح تمويل المصرف له ، لأن الإسلام يأمرنا بحفظ المال كأحد مقاصد الشريعة الإسلامية

٢. مراعاة مجموعة من السمات والخصائص في شخصية الشريك طالب التمويل ، منها الخلق الإسلامي ، والسمعة الطيبة ، والدراية بمجال التمويل ، والحنكة والكفاءة الإدارية للمشروع ومدى الإلمام بمجال المشروع ، والخبرة الإدارية والعملية والعلمية الكفيلة بنجاح المشروع محل التمويل .

٣. توافر مجموعة من الضمانات من جانب شريك المصرف في عملية المشاركة بالتمويل ، وذلك كتعويض للمصرف في حال تقصير الشريك وعدم التزامه ببنود العقد أو إهماله · وعند ذلك يكون من حق المصرف أن يرجع على الشريك بالتعويض عن الضرر الذي وقع عليه جراء هذا الإهمال أو التقصير من جانب الشريك · وتكون هذه الضمانات متناسبة مع طبيعة المشروع ومدته ، من حيث القيمة والنوع ، وبما يتفق ومقدرة المشارك .

ثالثا : أنواع التمويل بالمشاركة

١ - المشاركة الثابتة :

وفي هذه الحالة يقوم المصرف بالمساهمة في رأس مال المشروعات الإنتاجية ،أو الخدمية بنسبة محددة، فيمتلك في المشروع بحسب مساهمته في التمويل . وبهذا يكون له الحق في المشاركة في عملية الإدارة والإشراف والتنفيذ للمشروع ، ويتم تقسيم الأرباح على حسب المساهمة في تمويل المشروع والجهود المبذولة من كلا الطرفين ، ويبقى لكل طرف حصته الثابتة في المشروع إلى حين انتهاء المشروع [١] .

٢ - المشاركة المنتهية بالتمليك :

وفي هذه الحالة تتم عملية المشاركة بين المصرف والعميل بحسب الحصص المتفق عليها ، وتتم هذه العملية بناء على عقد شراكة بين الطرفين ، بحيث يقوم العميل بعملية الإدارة وتنفيذ المشروع ، وتتناقص حصة المصرف كلما استرد جزء من تمويله للمشروع من قبل العميل ، بحيث تؤول ملكية المشروع للعميل في نهاية الأمر [٢].

رابعا : عوائق التمويل بالمشاركة :

١ - تفتقر المصارف الإسلامية إلى الأسس العلمية التي تمكن المصارف الإسلامية من تحقيق النجاحات في استخدام هذه الآلية.

[١] محمد محمود المكاوي ، التمويل المصرفي الإسلامي ، مرجع سابق ، ص١٧

[٢]- مني عيسى العيوطي ، مبادئ البنوك ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ١٤٢

٢ - عدم توفر الصدق والأمانة في معظم العملاء ، حيث أنهم يسعون إلى التحايل والتلاعب وتزوير الوثائق لإخفاء الأرباح ، وقد يصل الأمر إلى ادعاء الخسارة.

٣ - موارد المصارف الإسلامية يغلب عليها أنها موارد قصيرة الأجل ، وهذا بطبيعة الحال لا يمكن المصارف الإسلامية من التوجه نحو الاستثمارات طويلة الأجل.

٤ - افتقار المصارف الإسلامية إلى الكادر البشري الذي يمتلك القدرة والكفاءة على تطبيق أسلوب المشاركة، لان عملية التعرف على الفرص الاستثمارية الملائمة للمشاركات ، تحتاج إلى المهارات والخبرات من قبل موظفي المصارف الإسلامية [1].

خامسا : الأهمية الاقتصادية للتمويل بالمشاركة :

لقد ذكر الدكتور احمد النجار أهمية لا سيما مبدأ المشاركة الذي يتيح استخدام خبرة المصرف الفنية في البحث عن أفضل مجالات الاستثمار ، والبحث عن أفضل الأساليب في العملية الاستثمارية ، وبذلك يتم المزج بين رأس المال وخبرة العمل في التنمية الاقتصادية ، وهذا يتوافق مع التوجهات الإسلامية من حيث الحفاظ على رأس مال المجتمع وحسن استخدامه ، فالمصارف عندما تشارك بخبرتها وقدراتها وعلمها تحفظ ثروة المجتمع من التعرض لأي تبديد نتيجة عدم توافر الخبرة لدى العملاء ، فضلا من أنها تحميهم من المخاطر التي قد تحدث لهم ، وفي هذا الأسلوب الإسلامي ضمان لنجاح المشروعات التي تنفذ عن طريق المشاركة بين العملاء والبنك . فعندما يودع الفرد المسلم ماله في المصارف الإسلامية ، ويتم توظيفها على أساس المشاركة سوف يحصل على الربح العادل الذي يتكافأ مع الدور الفعلي الذي أداه في التنمية الاقتصادية، ولذلك يتطلب تحريك المال في الاستثمار لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية .آليات اتمويل

المطلب الرابع : التمويل عن طريق السلم والاستصناع والإجارة

بدأت المصارف الإسلامية في اليمن نشاطها بالتركيز على صيغة المرابحة في تطبيق التمويل عن طريق المضاربة والمشاركة. بحيث تزيد من استخدامها من فترة لأخرى.

ونظراً للتطورات المصرفية في عالم اليوم يتطلب من المصارف الإسلامية تنويع وتطوير آليات التمويل . من خلال التأجير التمويلي وبيع السلم والاستصناع والتمويل المباشر ، والسعي نحو إنشاء السوق الإسلامية للأوراق المالية . ونقدم في الفقرات التالية بعض جوانب هذه الآليات .

[1]- محمود محمود المكاوي ، مستقبل البنوك الإسلامية في ظل التطورات العالمية ، مرجع سابق ، ص ٥٧٨

أولا : التمويل عن طريق السلم :

السلم: هو " بيع آجل بعاجل " وعرفه المالكية بأنه " بيع يتقدم رأس المال ويتأخر المثمن لأجل ". أي انه عقد يتم من خلاله الاتفاق من قبل المصرف مع البائع لدفع الثمن عاجلا للبائع ، واستلام السلعة آجلا على عكس البيع الآجل الذي يدفع فيه الثمن للبائع على أقساط مؤجلة [١].

والسلم عقد بيع يؤجل فيه قبض المبيع وتعجيل دفع الثمن ، ويفيد عقد السلم المزارعين . حيث يحصل المزارع على النقود التي يحتاجها في بداية موسم الزراعة لشراء البذور والأسمدة وغيرها . ويسلم المزارع السلعة التي باعها عند موسمي الحصاد إلى المشتري. ويمكن للبنك أن يشتري السلع ويدفع الثمن مقدما، ويقبض الكمية التي تم شرائها بعد ستة أشهر أو سنة ويقوم المصرف بعد ذلك ببيعها بسعر أعلى من ثمن الشراء [٢].

١ - شروط بيع السلم :

يتطلب توفر عدد من الشروط في بيع السلم تتمثل في الأتي :

أ - يتطلب أن يكون رأس المال معلوم الجنس كالقمح أو ثمار الأشجار.

ب – يتطلب أن يحدد المقدار بالكيل أن كان مكيلا ، وبالوزن أن كان موزونا وبالعدد أن كان معدودا .

ج - أن يسلم رأس المال في المجلس الذي تم العقد فيه.

٢ - الخطوات السليمة لتطبيق بيع السلم :

من المعلوم أن بيع السلم يقوم بتمويل الإنتاج المستقبلي ، لاسيما الإنتاج الزراعي ، ويمكن إتباع الخطوات التالية في تطبيق عقد السلم :

أ - قيام المصرف بالتعاقد مع المنتجين لاسيما المزارعين لشراء منتجاتهم مقدما ، بحيث يتم تسليمها في تاريخ آجل ومحدد .

ب - تخصيص إدارة مستقلة لبيع السلم في الهيكل التنظيمي للبنك . بحيث تقوم هذه الإدارة بإبرام عقود السلم، والبحث عن فرص الاستثمار المناسبة والترويج لها ، والقيام بتسويق بضاعة السلم .

ج - قيام المصرف بإنشاء شركة لاستثمارات السلم " . بحيث تتولى عملية البيع والشراء عن طريق بيع السلم.[٣]

---

[١]- حسن علي صالح بتران ضوابط حرية الاستثمار في النظام الاقتصادي الإسلامي ، مرجع سابق ، ص٢٣٠

[٢]- محمد علي القري ، سيف الدين إبراهيم تاج الدين وآخرين ، المعايير الشرعية لصيغ التمويل المصرفي اللا ربوي ، مكتبة الملك فهد، الرياض ، ١٩٩٩م، ص١٦

١ -محمد حسن صوان ، أساسيات العمل المصرفي الإسلامي ، دار وائل ، عمان – الاردن ، الطبعة الاولى ، عام ٢٠٠١م، ص ١٧٢ .

٣ – الدور الاقتصادي لبيع السلم :

بيع السلم يوفر السيولة للمزارعين والصناعيين والمقاولين لشراء المواد الخام والأجهزة والمستلزمات اللازمة للنشاط الاقتصادي ، ويتضح ذلك من خلال :

أ – تمويل النشاط التجاري ، ولا سيما في إنتاج وتصدير السلع والمنتجات التي ترغب المصارف في شرائها عن طريق عقد السلم ، وإعادة تسويقها بأسعار مجزية ، ويكون المصرف رب السلم ، والتاجر سواء كان فردا أو شركة مسلما إليه.

ب – الإسهام في المجال الزراعي ، وذلك بتمويل المزارع مقدما لشراء مستلزمات الإنتاج ، لكي يتمكن من الزراعة . وهذا بدوره يسهم في تحقيق الاكتفاء الذاتي ، وتنمية الدخل الوطني ، من خلال تشجيع المشاريع الزراعية .

ج – الاستعانة بعقود السلم في تمويل التجارة الخارجية ، وذلك بإنفاق أصحاب رؤوس الأموال أفراد ومؤسسات ومصارف مع تجار أو شركات على شراء الملابس والحبوب والسلع وغيرها .

د – تحقيق الأمن الغذائي . وسيكون لذلك أثر كبير في تحرير القرار السياسي والاقتصادي للدولة .[١]

ثانيا : التمويل عن طريق والاستصناع :

الاستصناع هو : " طلب العمل من الصانع في شيء خاص لقاء عوض معلوم " ويمكن تعريفه بأنه: " عقد بيع بين الصانع والمشتري " . بمعنى طلب شخص من صانع أن يصنع له سلعة ما بمواد من عنده وذلك نظير ثمن معين يتفقان عليه.[٢] ويجوز في والاستصناع تعجيل الثمن عند العقد وتأجيله ، ويمكن استنادا إلى عقد مطلوب ، بحيث يقوم البنك بدور الوساطة بين شركة كبرى خاصة أو عامة أو هيئة من الهيئات الحكومية ، تطلب تسليم سلع معينة محدودة المواصفات بمقادير معينة في تاريخ آجل وبعض أصحاب الأعمال الصناعية . فتقوم بتمويل الطرف الأخير ، الذي يتعهد بتسليم السلع المتعاقد عليها كما هو مطلوب ، ويقوم المصرف بتسليمها إلى الجهة الطالبة مقابل الثمن المتفق عليه . وتتيح هذه الوساطة للمصرف الحصول على ربح نظير الثمن المنخفض الذي تم الاتفاق عليه مع الصانع عن ثمن السوق .[٣]

١ – الشروط العامة للإ ستصناع :

– أن يكون المصنوع معلوما ببيان جنسه ونوعه.

– أن يكون والاستصناع مما يجري فيه التعامل بين الناس .

– أن تحدد المدة لاستلام المصنوع

---

٢ – بكر الريحان ، دور المصارف الإسلامية في الحد من الآثار السلبية للعولمة ، مجلة صيغ التمويل ، عمان –الأردن ، العدد الممتاز ، ٢٠٠٠م ،ص ٨.

٣ –حسن على صالح بتران ، ضوابط حرية الاستثمار في النظام الاقتصادي الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٤٨٣.

٤ – عبد الرحمن يسري ، قضايا إسلامية معاصرة في النقود والبنوك والتمويل ، مرجع سابق، ص ٢٨٣.

٢ -أهمية والاستصناع :

يتضح أهمية والاستصناع من خلال :

أ - تمويل إنتاج السلع الرأسمالية المتعددة كالمعدات والآلات المختلفة ، مثل المولدات والمحركات الكهربائية ،أي أن الإستصناع يمثل عقود لإنتاج سلع جديدة مطلوبة في السوق .

ب - المساهمة في تشجيع التجارة البينية بين الدول الإسلامية .

ج - تساهم هذه الآلية في تشجيع المواهب والقدرات التكنولوجية في مجال إنتاج السلع الرأسمالية في الدول الإسلامية .[١]

ثالثا :التمويل عن طريق الإجارة :

الإجارة هي " عقد على منفعة مباحة معلومة لمدة معلومة " [٢]. ويمكن تعريفها بأنها " عقد إيجار بين طرفين، الطرف المؤجر (المصرف) الذي يحتفظ بحق الملك للأصل الرأسمالي المؤجر، والطرف الثاني المستأجر الذي يتمتع بالانتفاع بالأصل ، أو استخدامه لإنتاج السلع والخدمات. ويتم استئجار هذا الأصل خلال فترة محددة بعوض ، الإيجار المتفق عليه "[٣]. أي أن الإجارة عبارة عن عقد على المنافع بعوض ، وهي مشروعة بالإجماع لحاجة الناس إليها .

وقد أخذت المصارف الإسلامية بنظام الإجارة المنتهية بالتمليك ، حيث يقوم البنك بشراء العين التي تتمثل في آلات أو معدات أو عقار، بناء على طلب استئجار من العميل ويضعها تحت تصرفه ، بموجب العقد على أن يدفع للمصرف مبلغ من الإيجار في تواريخ معينة خلال فترة يتم الاتفاق عليها سنة أو سنتان أو أكثر ، وفي نهاية هذه الفترة يعاد تقدير قيمة الآلة بعد خصم الاستهلاك الرأسمالي منها .[٤]

١ -أركان الإجارة :

أ – المتعاقدان : وهما المؤجر والمستأجر ، ويشترط فيهما ما يشترط في المتعاقدين في البيع من الأهلية وعدم الإكراه.

ب - العوضان : وهما الأجرة من المستأجر ، والمنفعة من المؤجر ، ويشترط فيهما أن تكونا معلومتين ظاهرت ين مباحتين منتفع بهما ، مقدور على تسليمهما .

---

١ -محمود حسن صوان، أساسيات العمل المصرفي الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٧٥.

٢ -الإجارة ماهيتها وأهميتها، مجلة صيغ التمويل والعمليات المصرفية الإسلامية، العد الممتاز، عمان -الأردن،٢٠٠٢م ، ص ٤١.

٣ -محمود حسن صوان، أساسيات العمل المصرفي الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٦٦.

٤ -عبد الرحمن يسري ،قضايا إسلامية معاصرة في النقود والبنوك والتمويل ،مرجع سابق ، ص ٢٨٤.

ج – الصيغة : وهي ما يصدر من المتعاقدين مما يدل على تمليك المنفعة والعوض ، ويشترط في عقد الإجارة تحديد مدة العقد .[1]

٢ – أهمية الإجارة :

للإجارة أهمية كبيرة في العمل المصرفي الإسلامي ، فهي تمكن المصارف الإسلامية من استثمار أموالها في مختلف المجالات ، وذلك من خلال شراء العقارات والآلات والمعدات وتأجيرها إلي أصحاب المشروعات نظير عائد مناسب ، وهذا يفتح المجال أمامها لشراء الآلات والمعدات المرتفعة الأثمان والتي قد لا تتمكن الشركات، والأفراد من شرائها ، وقد أصبح هذا النوع من التمويل يمثل مصدرا من مصادر التمويل طويل الأجل الذي تلجأ إليه الكثير من الشركات التي لاتحد ضرورة لشراء بعض الآلات والمعدات التي تحتاجها لتنفيذ مشاريعها ، وذلك لمحدودية استخدامها أو لعدم توفر الموارد المالية لشرائها ، وهذا بطبيعة الحال يجعل المصارف الإسلامية تسهم بفاعلية في تحقيق التنمية الاقتصادية .[2]

المبحث الثاني

الاستثمارات في المصارف الإسلامية

تسعى المصارف الإسلامية إلى جذب المدخرات من العملاء، وتقوم بتوظيفها في تمويل الاستثمارات في مختلف المجالات، وسنتناول في هذا المبحث تطور الودائع وتوظيفها في العملية الاستثمارية، ومخاطر التمويل التي تواجهها المصارف الإسلامية .

أولا : تطور الودائع من الملاحظ أن الودائع تتنامى من سنة لأخرى كما توضح البيانات التالية :

جدول رقم (١) يوضح تطور إجمالي الودائع للمصارف الإسلامية للفترة (١٩٩٨ – ٢٠٠٨)

(مليون ريال)

	٢٠٠١	٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨
إجمالي الودائع	٥٠٦٠٦	٧٤٥١١	١٠٩٩٤٩	١٤٩٩٨٨	١٨٤٥٧٤	٢٤٢٩٩١	٢٧٩٥٧١	٣٣٦٧٥٣
معدل النمو٪	٥٠:٣	٤٧:٢	٤٧:٦	٣٦:٤	٢٣:١	٣١:٧	١٥:١	٢٠:٥
الاستثمارات للودائع ٪	٤٦	٥٢	٤٩:٥	٥٢:٩	٥٠:٦	٤٢:٤	٥٣:٨	٤٧:١
الودائع إلى إجمالي ودائع الجهاز المصرفي ٪	١٦:٢	٢٠:٣	٢٤:٣	٢٦:٣	٢٨:٩	٢٨:٥	٢٦:٥	٢٧:٣

١ – الإجارة ماهيتها ومزاياها ، الأكاديمية العربية للعلوم المالية المصرفية ، ٢٠٠٢م ص ٤١.

٢ – صادق احمد عبد الغني ، الاستثمار في المصارف الإسلامية (أسس وآليات التطبيق) ، مرجع سابق ، ص ٢٠٦

المصدر: ورقة عمل حول ، تقييم دور المصارف الإسلامية اليمنية في تعبئة وتوظيف الموارد المالية مقدمة من الدكتور ياسين الحمادي ، مقدمة لمؤتمر المصارف الإسلامية

يكشف لنا الجدول رقم (١) أن إجمالي الودائع بلغ ٥٠٦٠ مليون ريال في عام ٢٠٠١م، وارتفعت إلى ١٠٩٩٤٩ مليون ريالا في عام ٢٠٠٣م ، وزادت في عام ٢٠٠٥م إلى ١٨٤٥٧٤ مليون ريالا ، واستمرت الودائع في الارتفاع ، لتصل إلى نحو (٣٣٦٧٥٣) مليون ريال في ٢٠٠٨م ، وهذه المؤشرات توضح قدرة المصارف الإسلامية على جذب المدخرات .

ثانيا : الاستثمار للودائع

تمكنت المصارف الإسلامية من استثمار الودائع بصورة جيدة، ويتضح ذلك من خلال بيانات الجدول رقم (١) ، وذلك على النحو الآتي :

تمكنت المصارف من استثمار الودائع بما نسبته ٤٦ ٪ من إجمالي الودائع في عام ٢٠٠١م ، وارتفع الاستثمار في عام ٢٠٠٢م إلى ٥٢ ٪ من إجمالي الودائع، ونخفض في عام ٢٠٠٣ ، إلى ٤٩.٥٪ من إجمالي الودائع ، ثم عاد للارتفاع فبلغ في عام ٢٠٠٤م ما نسبته ٥٣ ٪ من إجمالي الودائع، ووصل في عام ٢٠٠٧م إلي نسبة ٥٤ ٪ من إجمالي الودائع، وعاد للانخفاض إلي ٤٧ ٪ من إجمالي الودائع، في عام ٢٠٠٨م، وهذه المؤشرات تكشف لنا التذبذب في العملية الاستثمارية ، والتراجع في عملية الاستثمار . ولذا يتطلب من المصارف الاهتمام بكوادرها وتأهيلها وتدريبها لمواكبة التطورات المصرفية الحديثة ، وتطوير آليات التمويل المختلفة ، والتوسع في تمويل الاستثمار المباشر.

ثالثا : مخاطر تمويل الاستثمار

تعاني المصارف من مخاطر تمويل الاستثمارات في مختلف المجالات ، ولا سيما في مجال المضاربة والمشاركة والمرابحة والسلم والاستصناع ، ولذا نلاحظ أن المصارف الإسلامية تستخدم هذه الآليات في تمويل استثمارات معينة ، وبحذر شديد ، ومعظم مواردها تذهب لتمويل الاستثمارات في مجال المرابحة لان مخاطرها منخفضة،وسنشير بصورة عاجلة إلى المخاطر التي تواجه المصارف الإسلامية ، وذلك بأخذ نموذجين وهما بنك سبا ، وبنك التضامن ، بحكم إنهما من أنشط المصارف الإسلامية في الجانب الاستثماري .

١ - المخاطر في بنك سبا :

يواجه تمويل عمليات الاستثمار في مجال المضاربة والمشاركة والسلم ، والاستصناع ، والتمويل التأجيري مخاطر كبيرة عند استخدام هذه الآليات في تمويل المشاريع التنموية ويتضح ذلك من خلال الجدول التالي.

جدول رقم (٢) يوضح مخاطر الائتمان لمكونات المركز المالي لبنك سبا الإسلامي لعامي ٢٠١١ ، ٢٠١٢م

(مليون ريال)

البيان	٢٠١٢م	٢٠١١م
نقدية بالصندوق	١٠١٢٢	٧٦٩١
أرصدة لدي البنوك والمصارف والمؤسسات المالية	٦٤٦٨٨	٤١٣٩٢
تمويل عمليات المرابحة والاستصناع والمقاولات	٢٤٧٠٩	٢
استثمار في عقود الشركة	٢٤٢	
المضاربة	٩ .	٢٩٣٢
استثمار في أوراق مالية	١٤٣١٩	١٢٥٨٨
استثمارات عقارية	١٢	١٢
إجارة منتهية بالتمليك	٢٣٩٩	٢٨٩٦
القرض الحسن	٧٠	٧٠
أرصدة ومدينة أخرى	١	
التزامات عرضية وارتباطات	١٤٣١٣ ٧	١٠٢
إجمالي التعرض لمخاطر الائتمان	١٧٩٧٨ ٥	١١٩٩١ ٧

المصدر / تقارير بنك سبا الإسلامي لعامي ٢٠١١ ، ٢٠١٢م .

يتضح من خلال الجدول رقم (٢) أن المخاطر التي تواجه المصرف مرتفعة إذا ما قارناها بالمصارف التقليدية، حيث بلغ إجمالي المخاطر ما قيمته ١١٩،٩ مليون ريال في عام ٢٠١١م وارتفعت قيمة المخاطر إلى ١٧٩،٧ مليون ريالا في عام ٢٠١٢م . وهذا المؤشر يعكس لنا ارتفاع المخاطر التي يوجهها بنك سبا في عملية تمويل الاستثمارات.

٢ – المخاطر في بنك التضامن الإسلامي الدولي :

يواجه المصرف مخاطر كبيرة في العملية الاستثمارية في مجال المضاربة والمشاركة والسلم ، والاستصناع ، والتمويل التأجيري. ويوضح الجدول التالي تلك المخاطر.

جدول رقم (٣) يوضح مخاطر الائتمان لمكونات المركز المالي لبنك

مليون ريال

البيان	٢٠١١	٢٠١٢
نقدية بالصندوق	٢٩٧١٦	٣٠٧٠١
أرصدة لدى البنوك والمؤسسات المالية	٥٠٢٣٠	١٠٨٨٨٥
تمويل عملية المرابحة	٣٩٩٦٨	٤٣٦٤٠
تمويل عقود والاستصناع	١١٣٠٠	٨٧٤٧
تمويل عقود المضاربة	٢٤١٨٨	٢٨٥٧٩
تمويل عقود المشاركة	١٣٦٨٧	٤٣٢٣
إجارة منتهية بالتمليك	٣٠٦	١٥٧
استثمارات عقارية	١١٥٥١٢	١٢٠١٧٦
استثمارات متاحة للبيع	٤٢٦٩٣	٣٠٣٩١
القرض الحسن	.٢٣	٣,٧
استثمارات مقيدة	٣٥٨	٧٦٢٣
أرصدة مدينة وأصول أخرى	٦٠٤٦٤	٤٩٤٦
التزامات عرضية وارتباطات	٦٦٢٧١	٤٩٥٢١
إجمالي التعرض لمخاطر الائتمان	٤٠٢٢٩٥	٤٧٨٢٧٨

ألتقرير السنوي لبنك التضامن لعامي ٢٠٠١١ ، ٢٠١٢م

يتضح من خلال الجدول رقم (٣) أن المخاطر التي تواجه المصرف مرتفعة إذا ما قارناها بالمصارف التقليدية ، حيث بلغ إجمالي المخاطر ما قيمته ٤٠٢ مليون ريال في عام ٢٠١١م وارتفعت قيمة المخاطر إلى ٤٧٨ مليون ريالا في عام ٢٠١٢م . وهذا المؤشر يعكس لنا ارتفاع المخاطر التي يوجهها بنك التضامن في عملية تمويل الاستثمارات.

رابعا : التمويل عن طريق المرابحة، والمضاربة، والمشاركة.

نظرا لوجود مخاطر مرتفعة في عملية الاستثمار في المصارف الإسلامية، تسبب في إيجاد اختلالات في استخدام آليات التمويل ، لأن المصارف الإسلامية تستخدم آلية المرابحة في استثماراتها أكثر من الآليات الأخرى ، ولهذا سنأخذ نموذجين للاستثمار في آليات التمويل في بنك التضامن الإسلامي ، وبنك سبا الإسلامي لمعرفة مدى قدرة المصرفين على التوسع في استخدام آليات التمويل المختلفة، ومعالجة الاختلالات.

١ -الاستثمار في بنك سبا الإسلامي :

لقد تمكن بنك سبا الإسلامي من تحقيق معدلات جيدة في الاستثمار، في مجال المضاربة والمشاركة والمرابحة والإجارة، ويمكن استشراف ذلك من خلال الجدول الآتي:

جدول رقم (٤) يوضح الاستثمار في آليات التمويل في بنك سبا الإسلامي للأعوام من ٢٠١٠ -٢٠١٢م

مليون ريال

ألسنه	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠١١	٢٠١٢	الإجمالي	الأهمية النسبة %
المرابحة	٢٨٧٢٣	٣٧٨٦٣	٢١٥٢٧	٢٤٧٠٩	١١٣٤٢٢	٧٧
المضاربة	٤٣٦٦	٢٤٩٢	٢٩٣٢	٩١٧	٩٧٠٧	٧
المشاركة	٢٢٥	٢١٣	٢٤٠	٢٤٢	٩٢٠	.٦
السلم	-	-	-	-	-	
والاستصناع	-		-	-	-	
الإجارة	٤٥٧٣	٣٦٣٧	٦٨٠٧	٧٧٥٦	٢٢٧٧٣	١٥.٥
الإجمالي					١٤٦٨٢٢	

المصدر / التقرير السنوي لبنك سبا الإسلامي للأعوام ٢٠٠٩ - ٢٠١٢م

يكشف لنا الجدول رقم (٤) ، تطور وتنامي الاستثمارات في بنك سبا الإسلامي وذلك كما يلي :

- الاستثمار في مجال المرابحة بلغ ٢٨٧٢٣ مليون ريالا في عام ٢٠٠٩م ، وارتفع إلى ٣٧٨٦٣ مليون ريالا، وتراجع الاستثمار في عام ٢٠١١م إلى ٢١٥٢٧ مليون ريالا ، وارتفع بعد ذلك إلى ٢٤٧٠٩ مليون ريالا في عام ٢٠١٢م ، وهذا المؤشر يعكس لنا تذبذب الاستثمار في المرابحة من سنة لأخرى ، بالرغم أن المرابحة تحتل المرتبة الأولى .
- يظهر الجدول أن الاستثمار في مجال المضاربة تأتي في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية ، فقد بلغ الاستثمار في هذا المجال ٤٣٦٦ مليون ريالا في عام ٢٠٠٩م ، وانخفض بعد ذلك إلى ٢٤٩٢ مليون ريالا في عام ٢٠١٠م، وارتفع الاستثمار في هذه الإلية إلى ٢٩٣٢ مليون ريالا في عام ٢٠١١م ، ولكن الاستثمار تراجع بصورة كبيرة إلى ٩١٧ مليون ريالا في عام ٢٠١٢م ، وهذه المؤشرات تعكس التذبذب في الاستثمار لهذه الإلية من سنة لأخرى ، فضلا عن ضعف الاستثمارات في هذه الإلية ، بسبب ارتفاع مخاطرها ، بالرغم من ارتفاع إرباحها ومساهمتها في الحد من البطالة ولفقر .
- تأتي المشاركة في المستوى الرابع من حيث الأهمية ، فقد بلغ الاستثمار في هذه الإلية ٢٢٥ مليون ريالا في عام ٢٠٠٩م ، وانخفض الاستثمار في عام ٢٠١٠م إلى ٢١٣ مليون ريالا ، ليرتفع إلى ٢٤٢ مليون ريالا في عام ٢٠١٢م. تعكس لنا المؤشرات أن آلية المشاركة لا تحظى إلا بجزء بسيط من تمويل المشاريع الاستثمارية ، نظرا لارتفاع مخاطرها ، ولذا تتعامل المصارف الإسلامية بحذر شديد .

- لم تحض آلية السلم بأي اهتمام من قبل المصرف ، حيث لم يشارك المصرف في هذا المجال ، بالرغم من أهميته في تشجيع الإنتاج الزراعي وتحفيزه .
- الاستثمار في مجال الإجارة بلغ ٤٥٧٣ مليون ريالا في عام ٢٠٠٩م ، وتراجع الاستثمار في عام ٢٠١٠م إلى ٣٦٣٧ مليون ريالا ، وارتفع الاستثمار إلى ٦٨٠٧ مليون ريالا في عام ٢٠١١م، ليصل في عام ٢٠١٢م إلى ٧٧٥٦ مليون ريالا ، ويعكس لنا هذا المؤشر زيادة الاستثمار في هذا المجال.
- تكشف لنا المؤشرات السابقة أن الاستثمار في مجال المرابحة يستحوذ على معظم الموارد المخصصة للاستثمار في آليات التمويل ، حيث بلغ إجمالي الاستثمار في هذا المجال مبلغ ١١٣٨٣٢ مليون ريالا لا غير للفترة من ٢٠٠٩ – ٢٠١٢م.
- بلغت نسبة الاستثمار في مجال المرابحة ٧٧ ٪ من إجمالي الاستثمارات ، وبلغ تمويل الاستثمار عن طريق المضاربة ما نسبته ٧ ٪ من إجمالي الاستثمارات ، أما المشاركة فان مشاركتها في العملية الاستثمارية ضعيف جدا ، حيث لم يتجوز ٠.٦ ٪ من إجمالي الاستثمارات ، وبلغت نسبة الاستثمار في مجال الإجارة ١٥,٥ ٪ من إجمالي الاستثمارات . تعكس لنا المؤشرات السابقة بان المرابحة تستحوذ على ٧٧ ٪ من إجمالي التمويل للمشروعات، وذلك لسهولة استخدامها، وضمان ربحيتها، وهذا يعد خللا في تمويل الاستثمارات ، ويتطلب من البنك التوسع في الاستثمارات في الآليات الأخرى، والتخفيف من الاستثمارات بصورة تدريجية في مجال المرابحة.

٢ – الاستثمار في بنك التضامن الإسلامي :

لقد تمكن بنك التضامن الإسلامي من تحقيق معدلات مرتفعة في العمليات الاستثمارية في مجال المضاربة والمشاركة والمرابحة ، والسلم ، والاستصناع ، والإجارة ، ويتضح ذلك من خلال الجدول التالي:

جدول رقم (٥) يوضح الاستثمار في آليات التمويل في بنك التضامن الإسلامي للأعوام من ٢٠١٠ – ٢٠١٢مبالمليون ريال

السنة	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠١١	٢٠١٢	الإجمالي	الأهمية النسبية %
المرابحة	٦٩٣١٧	٨٠٢٦٠	٣٩٩٦٨	٤٣٦٤٠	٢٣٣١٨٥	٤٦
المضاربة	١٨٠٥٤	٢٣٣٣٦	٢٤١٨٨	٢٨٥٧٩	٩٤١٦٨	١٩
المشاركة	٩٦٤٧	٣٩٧٢٦	١٣٦٨٦	٤٣٢٣	٦٧٣٨٢	١٣
الإجارة	٦٣٩	٥٣٢	٣٠٥	١٥٧	١٦٣٣	.٣
والاستصناع	٦٧٩٩	٦٨	١١٣٠٠	٨٧٤٧٠	١٠٥٦٣٧	٢١
الإجمالي					٥٠٢٠٠٥	

المصدر / التقرير السنوي لبنك التضامن للأعوام ٢٠٠٩ – ٢٠١٢م

يكشف لنا الجدول رقم (٥) ، تطور وتنامي الاستثمارات في مختلف آليات التمويل ، وذلك كما يأتي :

- تمكن المصرف من تمويل الاستثمارات في مجال المرابحة بمبلغ ٦٩٣١٧ مليون ريالا، وارتفع التمويل إلى ٨٠٢٦١ مليون ريالا في عام ٢٠١٠م ، وتراجع الاستثمار إلى ٣٩٩٦٨ مليون ريالا ، ثم عاد للارتفاع في عام ٢٠١٢م ليصل إلى ٤٣٦٤٠ مليون ريالا ، وهذا المؤشر يعكس لنا أن المرابحة تحتل المرتبة الأولى ، وان معظم الموارد تذهب للاستثمار في مجال المرابحة ، حيث استحوذت هذه الآلية على نسبة ٤٦ ٪ من إجمالي الموارد التي تم استخدامها لتمويل الاستثمارات في مختلف آليات التمويل المختلفة ، نظرا لان مخاطرها منخفضة ، والربح شبه مضمون.
- تأتي المضاربة في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية ، حيث بلغ الاستثمار في هذا المجال ٢٣٣٣٦ مليون ريالاً في عام ٢٠١٠م ، وارتفع الاستثمار في عام ٢٠١١م، إلى ٢٤١٨٨ مليون ريالا ، ليصل الاستثمار إلى ٢٨٥٧٩ مليون ريالا في عام ٢٠١٢م ، وهذا المؤشر يعكس توجه المصرف إلى الاهتمام بعملية التنمية ، لان الاستثمار في مجال المضاربة يحد من الفقر ، ويسهم في إيجاد فرص عمل لكثير من العاطلين، وتحقيق أرباحا مرتفعة بالرغم من ارتفاع مخاطر هذه الآلية.
- يتضح من خلال الجدول أن المشاركة تأتي في المستوى الرابع من حيث الأهمية ، حيث بلغ الاستثمار في هذا المجال ٩٦٤٧ مليون ريالا ، وارتفع إلى ٣٩٧٢٦ مليون ريالا في عام ٢٠١٠م ، ولكنه تراجع بصورة ملفتة في عام ٢٠١١م، حيث انخفض التمويل للاستثمار في هذا المجال إلى ١٣٦٨٦ مليون ريال ، واستمر في التراجع إلى ٤٣٢٣ مليون ريال ، وهذا المؤشر يعكس لنا الاهتمام بالمشاركة في البداية ، ثم التراجع بصورة كبيرة ، وهذا يعد خللا في نظر الباحث ، لان الأمر الطبيعي أن يتزايد الاستثمار من سنة لأخرى.
- التمويل في مجال الإجارة بلغ ٥٣٢ مليون ريالا في عام ٢٠١٠ م ، ولكنه يتراجع في عام ٢٠١١م إلى ٣٠٥ مليون ريالا ، ويستمر الانخفاض ليصل إلى ١٥٧ مليون ريال في عام ٢٠١٢م ، وهذا المؤشر يعكس لنا التذبذب في عملية التمويل من سنة لأخرى ، والتراجع في عملية لهذه الآلية ، وهذا يكشف ضعف التمويل في هذا المجال.
- بلغ الاستثمار في مجال والاستصناع ٦٧٩٩ مليون ريال في عام ٢٠٠٩ م ، وتراجع إلى ٦٨ مليون ريالا في عام ٢٠١٠م ، وارتفع بعد ذلك إلى ١١٣ مليون ريالا في عام ٢٠١١م ، ووصل إلى ٨٧٤٧٠ مليون ريالا في عام ٢٠١٢م . وهذا المؤشر يعكس لنا تنامي الاستثمار في مجال الاستصناع من سنة لأخرى ، ما عدى في عام ٢٠١٠م ، ولكنه حقق ارتفاعا كبيرا في عام ٢٠١٢م.

- تعكس لنا المؤشرات السابقة بان معظم موارد المصرف تذهب لتمويل الاستثمارات في مجال المرابحة ، حيث بلغت نسبة الاستثمار في مجال المرابحة ٤٦ ٪ من إجمالي الاستثمارات في مجال المضاربة والمشاركة ، والاستصناع والسلم والإجارة .
- المصرف يسعى إلى التقليل من استخدام آلية المرابحة والتوسع في استخدام الآليات الأخرى .
- تشير المؤشرات السابقة أن بنك سبا تمكن من تخفيض استخدام المرابحة إلى حد ما ، ولكنها ما زالت مرتفعة ، حيث بلغت نسبة المرابحة ٧٧ ٪ من إجمالي تمويل المشروعات ، بينما تمكن بنك التضامن من تخفيض استخدام المرابحة إلى حد كبير، والتوسع في استخدام الآليات الأخرى وخصوصا المضاربة ، حيث بلغت نسبة المرابحة ٤٦ ٪ ، والمضاربة ١٩ ٪ ، والمشاركة ١٣ ٪ ، والاستصناع ٢١ ٪ ، وهذا بطبيعة الحال سيؤدي إلى زيادة الاستثمار الحقيقي ، والذي سيسهم في محاربة الفقر ، وإيجاد فرص عمل للشباب، وهذا بدوره سيؤدي إلى الحد من البطالة.

المبحث الثالث

تطوير أساليب التمويل في المصارف الإسلامية

تمتلك المصارف الإسلامية العديد من الآليات التي تمكنها من تفعيل النشاط الاقتصادي ، والإسهام بصورة فاعلة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلاد ، لكنها حصرت نشاطها في آلية المرابحة ، فادى ذلك إلى إضعاف دورها في العمل المصرفي.

كما أن تعاملها مع مقتضيات العصر والواقع الاقتصادي ما زال ضعيفا ، نظرا لعدم مواكبتها للتطورات المصرفية الحديثة ، وعدم تشجيع الاجتهاد الذي يوسع من دائرة العمل المصرفي ، فضلا عن عدم وجود تجارب تطبيقية سابقة للنظام المصرفي الإسلامي يمكن أن نتعلم منها . كل هذا يدعونا إلى إعادة النظر في توسيع قاعدة الاجتهادات العلمية والفقهية لكي نتمكن من إيجاد الصيرفة الإسلامية التي تتماشى مع تطورات ومتطلبات وواقع العصر.

التحديات التي تواجه المصارف الإسلامية :

يمكن القول إن هناك العديد من الصعوبات والتحديات التي تواجه المصارف الإسلامية يمكن إجمال أهمها فيما يأتي :

١ - التطور الكبير الذي يطرأ في الخدمات المصرفية عن طريق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

٢ - تحرير وعولمة الخدمات المصرفية خاصة بعد تطبيق اتفاقية التجارة الدولية و تحرير الخدمات

٣ - عدم مراعاة البنك المركزية لخصوصية عمل المصارف الإسلامية ، ومعاملتها بموجب قانون المصارف الإسلامية ، ليتسنى لها تفعيل الاستثمارات في الأجل الطويل .

٤ - ضعف الكوادر المؤهلة والمدربة ، في العمل المصرفي الإسلامي و التي تمكنها من تحسين مستوى إدارتها وعملياتها الفنية ، لمواكبة التطورات المصرفية الحديثة.

٥ - ضعف التنسيق بين الهيئات الشرعية في المصارف الإسلامية والاقتصاديين المتخصصين في المصارف الإسلامية، بهدف تطوير آليات التمويل، والبحث عن آليات جديدة [١].

كما أن المصارف الإسلامية مقبله على فترة تغيرات جذرية سريعة في النظم وفي أداء الصيرفة العالمية، ومنافسة مصرفية حادة في ظل العولمة الاقتصادية واقتصاد السوق الحر، ولذلك لابد لهذه المصارف من العمل على مواجهة هذه التطورات عن طريق تطوير أدوات عملها واستحداث أدوات استثمارية ، وأدوات جذب ودائع ثابتة وطويلة الأجل، وتحسين مستوى الأداء والخدمات المصرفية لجذب العملاء.

---

[١]- مصطفى ناطق صالح مطلوب ، معوقات عمل المصارف الإسلامية وسبل المعالجة لتطويرها ، رسالة ماجستير ، العراق ، ٢٠٠٧م ، ص٧٠

نحو تطوير علمي للصيرفة الإسلامية :

نواجه اليوم عالماً متطوراً تطوراً متسارعاً، هذا يعني أننا في حاجة إلى اجتهادات علمية أكثر منها فقهية لتطوير العمل المصرفي الإسلامي، وإن التطوير المبني على أسس علمية في نظام الصيرفة الإسلامي عملية ديناميكية لا تنتهي بوقت محدد، وعلينا النظر إلى تجربة وتاريخ المصارف الوضعية التي مرت بعقود طويلة ولا زالت في ديمومة من التطورات والتحديث تمشياً مع تطورات الطلب العالمي والتطور في مجال الصيرفة العالمية، كما أن الطريق نحو صيرفة إسلامية متكاملة ومواكبة لمتطلبات العصر وقادرة على المنافسة ونقل التجربة إلى العالمية طريق طويل وطويل جداً، بالرغم من النجاحات التي تحققت حتى الآن .

إذا نخلص من كل ما سبق إلى متطلبات هامة لتطوير آليات التمويل تتمثل في الاتي :

أولا : متطلبات تطوير المضاربة

يمكن تطوير التمويل عن طريق المضاربة وذلك على النحو التالي:

١ – وضع أسس لانتقاء المضارب الجيد:

نظرا لأهمية الثقة في العميل وأمانته والخبرة التي لديه في الجانب الاستثماري فانه يتطلب الاتي :

(أ) جمع البيانات عن المضارب فيما يتعلق بأمانته من خلال تعامله مع المصرف، وخبرت التي تمكنه من القدرة والنجاح على إدارة المشاريع التنموية.

(ب) التأكد من أهلية المضارب القانونية للتعامل مع البنك .

(ج) مدى خبرة المضارب في الاستثمار ومعرفة السوق ، والقدرة على التعامل مع الأخرين .

(د) دراسة حاضر وماضي المضارب والتوقعات المستقبلية عن طريق دراسة مركزه المالي ، وقائمة الدخل ، وقائمة التدفقات المالية له ، وذلك لمعرفة كفاءة وقدرات المضارب .

٢ – تكوين جهاز متخصص أو إدارة عامة لمتابعة تنفيذ المشاريع التي تمول عن طريق المضاربة .

٣ – عمل الدراسات والبحوث لتطوير العمل بهذه الألية ، وهذا بدوره يسهم في انخفاض المخاطر للمضاربة ، وزيادة الأرباح . كما انه سيمكن المصارف الإسلامية من رفع كفاءة التوظيف للموارد المالية.

٤– أنشاء محافظ استثمارية تشترك فيها المصارف الإسلامية ، بحيث يتم تخصيصها للاستثمار في المضاربة ، وبهذا يتم توزيع المخاطر على اكثر من بنك .

٥ – وضع المعايير الموضوعية والشرعية. من الواجب وضع معايير موضوعية وشرعية، لكي يتم الاعتماد عليها في الثقة في العميل وأمانته وخبرته، لأن العمل وفق آلية المضاربة يتطلب التأكد من خبرة العميل وقدرته

على تنفيذ المشروع بنجاح. هذا من جانب، ومن جانب آخر أمانة العميل في تعامله مع المصرف ومدى انضباطه في الوفاء بالتزاماته، وذلك من خلال المعلومات الدقيقة عن سجل العميل وسيرته الذاتية وشهرته [١].

٦ - دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع :

القيام بالدراسة الدقيقة للجدوى الاقتصادية للمشروع. لأن دراسة الجدوى ستوضح الترتيبات اللازمة للقيام بالمشروع الاستثماري ، والتكاليف اللازمة لتنفيذ المشروع. كما تبين الإيراد الكلي المتوقع " كمية الناتج بناء على طلب السوق والأسعار المتوقعة للبيع " ، ومتى يتم تدفق إيرادات صافية للمشروع (الأرباح) ، وتحديد درجة المخاطرة . بحيث تنتهي الدراسة بتوقع أرباح معينة في إطار مخاطر معينة خلال فترة محددة من الزمن. والتأكد من وجود الجدية والخبرة والكفاءة اللازمة لدى صاحب المشروع.[٢]

٧ - إيجاد موارد تمويلية ملائمة :

لتخفيف المخاطر في عملية المضاربة يتطلب توفر موارد اكثر ملائمة للمضاربة، وذلك بإصدار شهادات أو صكوك مضاربة مخصصة لمشروعات معينة . على أن تكون قابلة لعملية التداول في سوق الأوراق المالية ، ولا يجوز استرداد قيمتها نقدا من فترة لأخرى . بل يتم تصفيتها بالزيادة أو النقص عند انتهاء عمل المشروع أو بعد خمس سنوات. [٣]

٨ – التخفيف من المخاطر :

<u>وذلك من خلال :</u>

- تنظيم عملية تدفقات التمويل إلى المشروع ، وفق جدول زمني بناء على دراسة جدوى المشروع .
- متابعة تنفيذ المشروع من خلال رفع تقارير دورية لمختلف مراحل التنفيذ للمشروع بموجب شروط استخدام الموارد التمويلية .[٤]
- الحد من النفقات الإدارية التي يمكن أن يحملها المضارب إلى تكلفة المشروع، ولهذا يتطلب الاتفاق في البداية على ما هو ضروري لتنفيذ المشروع حسب الزمان والمكان.
- تقديم حافز للمضارب في حالة تحيق أرباح مرتفعة للمشروع. فكلما حقق المشروع أرباحا عالية يحصل المضارب على نسبة أعلى في الربح يتم الاتفاق عليها . [٥]

---

[١] - محمد محمود المكاوي ، التمويل المصرفي الاسلامي ، عام ٢٠٠٤ م ، ص ١٧٠

[٢] - عبد الرحمن يسري احمد ، تطوير صيغ الاستثمار والمشكلات التي تواجهها ، ندوة البركة ، ٢٥ - ٢٧ اكتوبر ٢٠٠٣م ص ٤٤، ٤٥

[٣] - عبد الرحمن يسري احمد، قضايا معاصرة في البنوك والنقود والتمويل، مرجع سابق ص ٢٧٨ - ٢٨٠

[٤] - عبد الرحمن يسري وآخرون ، تطوير صيغ الاستثمار والمشكلات التي تواجهها ، ندوة البركة ٢٥ - ٢٧ / ٢٠٠٣م ، ص ٤٥

[٥] - صادق احمد عبد الغني ، الاستثمار في المصارف الإسلامية (الأسس وآليات التطبيق) ، مرجع سابق ، ص١٥١

ثانيا : متطلبات تطوير المشاركة

يمكن تطوير التمويل عن طريق المشاركة ، وذلك على النحو الاتي :

١ – ضرورة إرساء أعراف مصرفية جديدة قائمة على المشاركة والتوسع في أنشاء شركات جديدة ، وطرح الأسهم للاكتتاب .

٢ – أنشاء محافظ استثمارية في المصارف الإسلامية تدار لصالح العملاء.

٣ – من الأهمية بمكان أن تقوم المصارف الإسلامية ببناء جهاز استثماري قوي قادر على دراسة فرص الاستثمار وكيفية استغلالها، ودراسة السوق المحلية والدولية لمعرفة الطلب على السلع.

٤ – يتطلب من المصارف الإسلامية أن تقوم بالتعرف على الأسواق والمشروعات الهامة القائمة والمشروعات المقترحة ، والمشاركة في تمويلها وأدارتها بصورة كبيرة اذا اقتضى الأمر، لما تتمتع به المصارف من الخبرة وخصوصا في الاستثمارات طويلة الأجل [١] .

٥ – قيام المصارف الإسلامية بتمويل العملاء الذين يملكون أراضي ذات مواقع استراتيجية ، بحيث يتم بنائها واستثمارها على أساس المشاركة المتناقصة التي تنتهي بالتمليك بعد فترة إلى العميل ، بعد أن يسترد المصرف التكاليف الخاصة بالبناء وأرباح المصرف .[٢]

6 – القيام بدراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع بصورة دقيقة من الناحية القانونية والهندسية والتسويقية والمالية والاقتصادية والاجتماعية، وبعد التأكد من أهمية المشروع ونجاحه، والعائد المتوقع من المشروع يتم اتخاذ القرار الاستثماري من قبل الجهة، أو الإدارة المختصة في المصرف.

7 – اختيار العملاء الذين يتم التعامل معهم ، بحيث يتم دراسة ماضي العميل لمعرفة صدقه وأمانته وخبرته المالية والإدارية ، وأهليته القانونية ومدى وفاءه بالتزاماته .

8 – تهيئة موارد اكثر ملاءمةً للتمويل عن طريق المشاركة ، وذلك من خلال إصدار شهادات أو صكوك مشاركة مخصصة لمشروعات معينة ومقبولة للتداول في سوق الأوراق المالية ، مثل صكوك المشاركة العامة ، وصكوك الإجارة.

٩ – المتابعة الميدانية للمشروع من قبل المصرف ، للتأكد من تنفيذ المشروع بصورة سليمة حسب الخطة المرسومة لعملية التنفيذ ، وهذا بدوره سيؤدي إلى تخفيض مستوى المخاطرة .

١٠ – فتح حساب باسم المشروع في المصرف ، بحيث يتم الصرف بصورة دورية حسب مراحل التنفيذ ، وبناء على التقارير الدورية الخاصة بمتابعة عملية التنفيذ للمشروع

[١] – محمد محمود المكاوي ، التمويل المصرفي الإسلامي ، مرجع سابق ، ص١٧٠ – ١٧٧

[٢] – عبد الستار أبو غدة ، الوسائل المشروعة لتقليل مخاطر المضاربة ، مجلة الاقتصاد الإسلامي ، العدد الخامس ، ص٤٦

ثالثا : متطلبات تطوير الإجارة

يتطلب من المصارف الإسلامية تطوير التمويل عن طريق الإجارة وذلك من خلال :

أ - قيام المصارف الإسلامية بتكوين شركات متخصصة لممارسة التمويل التأجيري .

ب - قيام هذه الشركات بشراء أراضي زراعية، وعقارات سكنية ومحلات تجارية، ومكاتب للأعمال ومخازن ومعدات وآلات والقيام بتأجيرها.

ج - التوسع في عمليات الإجارة، وذلك من خلال الإجارة بالوكالة والإجارة عن طريق المضاربة، والإجارة عن طريق المشاركة.

د - قيام المصارف الإسلامية بطرح صكوك متخصصة يطلق عليها صكوك الإجارة، وذلك لتمويل الشركات المزمع إنشاؤها. على أن يكون للمصارف حصة في هذه الصكوك [1].

النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج

لقد توصل الباحث إلى العديد من النتائج أهمها :

١. اتضح من خلال الدراسة أن المصارف الإسلامية ما تزال تعتمد على آلية المرابحة في تمويل المشاريع الاستثمارية، وهذا يعد خللا في توظيف أموال المصارف. ، حيث تستحوذ هذه الألية على نسبة ٧٠ ٪ من إجمالي موارد المصارف .

٢. تبين الدراسة أن المضاربة والمشاركة والسلم والإستصناع والتمويل التأجيري من الأليات الهامة في عملية الاستثمار ، وسيكون لها دورا فاعلا في زيادة الإنتاج من السلع والخدمات ، وإيجاد فرص عمل للشباب

٣. التمويل للاستثمارات عن طريق آلية المضاربة والمشاركة ما يزال ضعيفا، بحجة أن مخاطرهما مرتفعة.

٤. التوسع في إنشاء الشركات ، بحيث تساهم المصارف في رؤوس أموالها عن طريق الأسهم، ويتطلب من البنك المركزي في هذه الحالة تشجيع المصارف الإسلامية على إنشاء الشركات ، وعدم إلزامها بالنسبة التي لا يجوز تعديها حفاظا على السيولة وحماية أموال المودعين ، لان التعامل بين المصارف الإسلامية والعملاء في العملية الاستثمارية يقوم على أساس المشاركة في الربح والخسارة .

٥. الهم الإسلامي لأسلمة الاقتصاد من خلال المصارف الإسلامية ، لا يوجد عند كثير من القياديين في المصارف الإسلامية ، وكذلك كثير من الموظفين .

---

[1]- عبد الرحمن يسري ، قضايا اسلامية معاصرة في النقود والبنوك والتمويل ، مرجع سابق ، ص٢٨٠ - ٢٨٦

٦. اتضح من خلال الدراسة أن عقد السلم من الآليات الهامة التي ستسهم في زيادة الإنتاج الزراعي، وتشجيع المزارع على الإنتاج الزراعي. ورغم ذلك لم تستخدم هذه الآلية إلى الآن في المصارف الإسلامية اليمنية.

٧. الاهتمام بعملية التخطيط ضعيف جدا عند معظم المصارف الإسلامية ، وهذا يؤثر سلبا على أداء المصارف.

٨. الاحتياطي القانوني الذي يفرضه البنك المركزي على المصارف الاسلامية، يعطل جزء من موارد المصرف من العملية الاستثمارية.

٩. هناك مبالغ كبيرة توجه للاستثمار في الخارج، وهذا يحرم اليمن من استثمارات كبيرة تسهم في الحد من الفقر والبطالة.

١٠. ضعف الوازع الديني عند كثير من العملاء الذين يسعون إلى تحقيق الأرباح، ولا يهمهم تنفيذ أهداف المصارف الإسلامية.

١١. معظم موارد المصارف الإسلامية تذهب لتمويل الاستثمارات قصيرة الأجل. وهذا لا يمكن المصارف من تحقيق هدفها الأساسي وهو تمويل المشاريع التي تخدم عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

١٢. تعاني المصارف إسلامية من قلة الكوادر البشرية المؤهلة والمدربة، القادرة على مواكبة التطورات المصرفية الحديثة.

١٣. كشفت الدراسة أن بنك التضامن الإسلامي بداء في التوسع في تمويل الاستثمارات عن طريق المضاربة والمشاركة، وهذا بدوره يعد تطورا في تمويل المشاريع في بنك التضمن الإسلامي. وهذا يسهم في محاربة الفقر والحد من البطالة.

١٤. حققت المصارف الإسلامية نجاحا في جذب المدخرات، وزيادة راس المال، الذي يمكن المصارف الإسلامية من التوسع في الاستثمارات، ومواكبة التطورات المصرفية الحديثة.

ثانيا: التوصيات:

بعد استعراض النتائج التي تم التوصل إليها تقوم الدراسة بوضع بعض التوصيات التي يمكن أن يتم الأخذ بها من اجل تفعيل أساليب التمويل عن طريق المضاربة والمشاركة والسلم والإستصناع والتميل التأجيري . ويمكن أجمال أهمها في الاتي :

١- توصي الدراسة بالتوسع التدريجي في تمويل المشاريع عن طريق المضاربة ، والمشاركة، والسلم ، والإستصناع ، والتمويل التأجيري ، والحد من استخدام آلية المرابحة .

٢- قيام المصارف الإسلامية بالتوسع في إنشاء شركات جديدة تساهم المصارف في رؤوس أموالها عن طريق الأسهم، ويتطلب من البنك المركزي في هذه الحالة تشجيع المصارف الإسلامية على إنشاء الشركات ،

وعدم إلزامها بالنسبة التي لا يجوز تعديها حفاضا على السيولة وحماية أموال المودعين ، لان التعامل بين المصارف الإسلامية والعملاء في العملية الاستثمارية يقوم على أساس المشاركة في الربح والخسارة .

٣- ضرورة مساهمة المصارف الإسلامية في تمويل المشروعات طويلة الأجل من اجل تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

٤- الاهتمام بتمويل المشاريع الصغيرة والحرفية التي تسهم في إيجاد فرص عمل للحد من البطالة.

٥- ضرورة الدفع بالمصارف الإسلامية ، وتشجيعها كونها تسهم بنسبة كبيرة في عملية تمويل المشاريع التنموية التي تسهم في محاربة الفقر والحد من البطالة.

٦- إنشاء محافظ استثمارية تشترك فيها المصارف الإسلامية لتمويل المشاريع في مجال المضاربة والمشاركة والسلم والإستصناع ، من اجل توزيع المخاطر بين المصارف ، وهذا سيشجع الاستثمار في آليات التمويل التي مخاطرها مرتفعة .

٧- العمل على تطوير آليات التمويل ، والبحث عن آليات جديدة تتلاءم مع العمل المصرفي الإسلامي

٨- التوسع في الاستثمار المباشر من خلال فتح معارض للسيارات ، ومواد البناء ، وبيعها مباشرة مرابحة للمواطنين منعا لتعدد الوسطاء ، الذي يؤدي إلى رفع الأسعار على المواطن .

٩- توصي الدراسة بفرض الاحتياطي القانوني على الودائع الجارية فقط ، بحيث تعفي الودائع الاستثمارية، لأن المصرف والعميل يشتركا في الغنم والغرم . كي تتمكن المصارف من تفعيل نشاطها الاستثماري.

١٠-الاهتمام بتدريب وتأهيل الكوادر المصرفية، حتى تتمكن من استيعاب التقنية الحديثة، ومواكبة التطورات المصرفية المتلاحقة.

١١-توصي الدراسة الاهتمام بتقديم الخدمات المصرفية بجودة وسرعة عالية، حفاظا على جهد ووقت العملاء.

١٢- قيام المصارف الإسلامية بعمل دراسات فنية لمشاريع اقتصادية ناجحة، ويتوقع أن تحقق أرباحا مرتفعة، في مجال المضاربة والمشاركة والسلم.

قائمة المراجع :

١. عبد الرحمن يسري احمد ، قضايا إسلامية معاصرة في النقود والبنوك والتمويل ، الدار الجامعية ، عام ٢٠٠١م .
٢. عبد الرحمن يسري احمد ، تطوير صيغ الاستثمار والمشكلات التي تواجهها ، ندوة البركة ، ٢٥ – ٢٧ اكتوبر عام ٢٠٠٣م
٣. إبراهيم محمد البطانة ، زينب الغريري ، النظرية الاقتصادية في الإسلام ، دار المسيرة ، ٢٠١١م .
٤. محمد محمود المكاوي ، التمويل المصرفي الإسلامي ، جامعة المنصورة ، عام ٢٠٠٤م .
٥. ناظم محمد الشميري ، النقود والمصارف ، دار زهران ،عام ٢٠٠٨م .
٦. نبيل محمد العلفي ، مشروع السوق المالية اليمنية (أهميتها الاقتصادية والتنموية) ، الأبحاث العلمية لمؤتمر الحوار الاكاديمي ، ١٤ إبريل – ١٥ أغسطس ٢٠١٣م ، جامعة الملكة اروى (مركز الدراسات الاستراتيجية) ، ٢٠١٣م .
٧. محمد زكي شافعي ، مقدمة في النقود والبنوك ، دار النهضة ، الطبعة السابعة ، عام (بدون)
٨. حسين الأمين ، المضاربة الشرعية الحديثة ، البنك الإسلامي للتنمية ، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٠م .
٩. عبدالله علي الطوقي ، المصارف الإسلامية في ضوء التطورات المحلية والدولية (دراسة تطبيقية على اليمن) ، رسالة دكتوراه ، السودان ، ٢٠٠٥م .
١٠. موسى عمر أبو محيميد، مخاطر تمويل صيغ التمويل الإسلامي وعلاقتها بعيار بازل (١١)، رسالة دكتوراه ، الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية ، عام ٢٠٠٨م.
١١. مني عيسى العيوطي ، مبادئ البنوك ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٠ م.
١٢. فؤاد السرطاوي ، التمويل الإسلامي ودور القطاع الخاص ، دار المسيرة ، عمان ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٩٩م .
١٣. محمد عمر شابرا ، ترجمة سيد محمد سكر ، نحو نظام نقدي عادل (دراسة للنقود والمصارف والسياسة النقدية في ضوء الإسلام ، دار البشير للتوزيع ، عام ١٩٨٩م .
١٤. عطية فياض، التطبيقات المصرفية لبيع المرابحة في ضوء الفقه الإسلامي، دار النشر للجامعات، مصر، ١٩٩٩م.
١٥. محمد صالح عبد القادر، نظريات التمويل الإسلامي، دار الفرقان، عمان -الأردن، ١٩٩٧م .
١٦. سامي حسن أ

١٧. حمد حمود ، تطوير الأعمال المصرفية بما يتفق مع الشريعة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، مطبعة الشرق ، عمان – الأردن ، عام ١٩٨٢م .
١٨. صادق احمد عبيد الله عبد الغني ، الاستثمار في المصارف الإسلامية (الأسس وآليات التطبيق) ، رسالة ماجستير في الاقتصاد ، جامعة القادسية ، العراق ، ١٩٩٩م .
١٩. سراج الدين عثمان، صيغة التمويل الإسلامي المستخدمة في إطار التجربة السودانية، مجلة المصارف، اتحاد المصارف السوداني، العدد الثاني، ٢٠٠٢م .
٢٠. نزيه حماد ، دور المؤسسات المصرفية الإسلامية في التنمية الاقتصادية ، بحث مقدم للمؤتمر الذي عقد بجامعة الشارقة ، حول المصارف الإسلامية ودورها في التنمية من ٧ – ٩ / ٥ / ٢٠٠٢ م.
٢١. محمد العلي القرى ، سيف الدين إبراهيم تاج الدين وآخرين ، المعايير الشرعية لصيغ التمويل المصرفي اللاربوي ، مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٩٩٩م.
٢٢. بكر الريحان ، دور المصارف الإسلامية في الحد من الآثار السلبية للعولمة ، مجلة صيغ التمويل ، عمان – الأردن ، العدد الممتاز ، ٢٠٠٠م.
٢٣. ياسين الحمادي ، تقييم دور المصارف الإسلامية اليمنية في تعبئة وتوظيف الموارد المالية ، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر المصارف الإسلامية ، خلال الفترة ٢٠ – ٢١ مارس ، عام ٢٠١٠م .
٢٤. أحمد الصديق جبريل، دور المصارف الإسلامية في تمويل الصناعات الصغيرة بالتطبيق على بنك فيصل الإسلامي السوداني، حول دور المؤسسات المصرفية الإسلامية في الاستثمار والذي عقد في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة للفترة من ٧ – ٢٠٠٢/٥/٩م.
٢٥. الإجارة ما هيتها وأهميتها ، مجلة صيغ التمويل والعمليات المصرفية الإسلامية ، العدد الممتاز ، عمان – الأردن – ٢٠٠٢م .
٢٦. الإجارة ماهيتها ومزاياها، الأكاديمية العربية للعلوم المالية المصرفية، ٢٠٠٢م.
٢٧. سعد سعيد مرطان ، مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، عام ١٩٨٢م.
٢٨. حسن يوسف داود، الاستثمار قصير الأجل في المصارف الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٦م.
٢٩. محمد عبد المنعم أبوزيد، الدر الاقتصادي للمصارف الإسلامية بين النظرية والتطبيق، ١٩٩٦م.
٣٠. سيف مهيوب العسلي ، الاقتصاد اليمني والدور التنموي المتوقع للبنوك الإسلامية، مجلة كلية التجارة ، عام ٢٠٠٨م.
٣١. الجهاز المركزي للإحصاء، كتاب الإحصاء السنوي للفترة من ٢٠٠٦ – ٢٠١٣.
٣٢. البنك المركزي ، التقارير السنوية للفترة من ٢٠٠٩ – ٢٠١٣م.

٣٣. بنك التضامن الإسلامي الدولي، التقارير السنوية للفترة من٢٠٠٩ م – ٢٠١٣م.
٣٤. بنك التضامن الإسلامي الدولي، مسيرة عشرين عاما من المنجزات ، ١٩٨٣ – ٢٠٠٢م.
٣٥. بنك سبا، التقارير السنوية للفترة من عام ٢٠٠٩ – ٢٠١٣م .
٣٦. وزارة التخطيط والتعاون الدولي، تقرير التنمية البشرية الرابع، اليمن، ٢٠١٣م.
٣٧. وزارة التخطيط والتعاون الدولي ، التقرير الاقتصادي السنوي ، ٢٠١٣م

دور الرقابة الداخلية في رفع كفاءة الأداء المالي

دراسة ميدانية على شركات الاتصالات اليمنية

أ.عبد الوهاب احمد عبدالله مسعود عياش

محاسب قانوني وباحث في المحاسبة والتمويل

5

الملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على عناصر هيكل الرقابة الداخلية، وتقويم نظم الرقابة الداخلية في شركات الاتصالات اليمنية ومعرفة مدى وجود علاقة بين عناصر الرقابة الداخلية وكفاءة الأداء المالي في شركات الاتصالات اليمنية، وقد تم استخدام المنهج الوصفي لوضع الإطار النظري للدراسة ،كما تم إجراء دراسة ميدانية لتحقيق أهداف الدراسة واختبار فرضياتها تم خلالها جمع البيانات من خلال استبانة وزعت على شركات الاتصالات اليمنية.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١ - أظهرت الدراسة تمتع شركات الاتصالات اليمنية بهياكل رقابة داخلية جيدة ومقبولة.

٢ - أكدت الدراسة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة بين عناصر الرقابة الداخلية وكفاءة الأداء المالي.

٣ - إن وجود عناصر رقابة داخلية جيدة يؤدي بالضرورة الى تحسين الخصائص النوعية للبيانات والمعلومات المالية التي تساعد الإدارة على ترشيد ودعم قراراتها.

وقدمت الدراسة مجموعة من التوصيات أبرزها:

١ - استمرار عملية التحديث والتطوير لهيكل الرقابة الداخلية في شركات الاتصالات اليمنية.

٢ - الالتزام بالسياسات والإجراءات التنظيمية في شركات الاتصالات اليمنية وتحديث تلك السياسات والإجراءات.

تمهيد:

تعد ثورة الاتصالات والمعلومات هي السمة الأبرز التي تميز هذا العصر، وليست الجمهورية اليمنية ببعيد عن تأثيرات هذه الثورة – رغم تفاوت تأثيراتها من بلد لآخر – ولذا فقد شهدت اليمن خلال السنوات الأخيرة تأسيس (٦) ست شركات تعمل في مجال الاتصالات بمختلف أنواعها – الثابتة، المتنقلة، الدولية – ولعل أهم ما يميز قطاع الخدمات عموماً والاتصالات على وجه الخصوص هي مجموعة من السمات أبرزها سرعة تقادم التقنيات المطبقة في هذا القطاع، استحالة تخزين المنتجات والخدمات، وجود منافسة شديدة، محدودية السوق المستهدفة ، تلك السمات وغيرها تمثل تحدياً أمام شركات الاتصالات يستدعي إيجاد نظم رقابة داخلية جيدة وملائمة لطبيعة أنشطتها، ومن هنا رأى الباحث ضرورة دراسة دور نظام الرقابة الداخلية وتأثيراته في رفع كفاءة الأداء المالي للشركات التي تعمل في هذا القطاع.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في التساؤلات الآتية:

١ - هل تتمتع شركات الاتصالات اليمنية بالعناصر الكافية و الملائمة لوجود هيكل رقابة داخلية جيده؟
٢ - ما مدى تأثير نظام الرقابة الداخلية في كفاءة الأداء المالي للشركة؟
٣ - هل يؤدي وجود نظام رقابة داخلية كفء إلى تحسين الخصائص النوعية للمعلومات التي تساعد في اتخاذ القرار؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١ - التعرف على عناصر هيكل الرقابة الداخلية.
٢ - التعرف على واقع نظم الرقابة الداخلية في شركات الاتصالات اليمنية.
٣ - التعرف على مدى وجود علاقة بين عناصر الرقابة الداخلية (بوصفه متغيراً مستقلاً) وكفاءة الأداء المالي (بوصفه متغيراً تابعاً).

أهميـــة الدراســـة: وتكمن أهمية هذه الدراسة في ندرة الدراسات التي تناولت مفهوم الرقابة الداخلية خصوصاً في شركات الاتصالات نظراً لحداثة هذا القطاع نسبياً وبالتالي لم يأخذ نصيبه من الدراسة والبحث

منهجية الدراسة: اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي في دراسة الأدبيات المتعلقة بكل من الرقابة الداخلية وتقويم كفاءة الأداء المالي، وذلك من خلال استعراض المراجع والمصادر المختلفة، كالكتب، والدوريات، والبحوث والدراسات، والرسائل الجامعية، والنشرات والإصدارات المهنية المختلفة ومواقع الإنترنت سواءً العربية أو الأجنبية – الانجليزية –، وعلى المنهج الاستقرائي من خلال إعداد استبانة للتعرف على آراء المعنيين في هذا المجال.

فرضيات الدراسة: تقوم الدراسة على الفرضيات الآتية:

١ - لا تتمتع شركات الاتصالات اليمنية بهيكل كفء وجيد للرقابة الداخلية.
٢ - لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين عناصر الرقابة الداخلية وكفاءة الأداء المالي.
٣ - وجود نظام رقابة داخلية كفء لا يؤدي إلى تحسين الخصائص النوعية للمعلومات التي تساعد في اتخاذ القرار.

حدود الدراسة ونطاقها: تعد الدراسة على شركات الاتصالات العاملة في الجمهورية اليمنية التي تقدم خدمات الاتصالات الثابتة أو المتنقلة أو خدمة الاتصالات الدولية، وعلى وجه الخصوص المراكز الرئيسة لتلك الشركات الواقعة في النطاق الجغرافي للعاصمة صنعاء، وتغطي الفترة من عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠١٠م

ثانياً: الدراسات السابقة:

١ - دراسة شاكر عبدالكريم هادي البلداوي (١٩٩٨)[١]

هدفت الدراسة إلى التعرف على اثر هيكل الرقابة الداخلية في أداء الوحدات الاقتصادية من خلال دراسة عينة من الشركات الصناعية العراقية، ومن أبرز ما اوصت به الدراسة ضرورة قيام الشركات بوضع سياسات وإجراءات رقابية سليمة، ضرورة تطوير فلسفة الإدارة خصوصاً فيما يتعلق بدعم إدارات الرقابة والمراجعة الداخلية والاهتمام بتدريب منتسبيها وتحديد موقع هذه الإدارات في مكان ملائم في الهيكل التنظيمي للمنشأة.

---

١ - شاكر عبد الكريم هادي البلداوي"اثر هيكل الرقابة الداخلية في فاعلية أداء الوحدات الاقتصادية – دراسة ميدانية على عينة من الشركات الصناعية العراقية" رسالة دكتوراه في المحاسبة، غير منشورة ،الجامعة المستنصرية،١٩٩٨م.

٢ - دراسة فريدة فائق مظهر (٢٠٠٠) [١]

تناولت هذه الدراسة مشكلة ضعف أنظمة الرقابة الداخلية في قطاع النقل البري في جمهورية والذي يرجع إلى ضعف الوعي الرقابي لأغلب الإدارات بأهمية دور النظم الرقابية، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات أهمها: عدم قيام الإدارة المعنية بالرقابة الداخلية برفع تقارير دورية عن نتائج أعمالها واقتراح المعالجات الملائمة

٣ - دراسة عادل محمد عشي (٢٠٠٢) [٢]

تناولت الدراسة قياس وتقويم الأداء المالي للمؤسسات الاقتصادية وقد قام الباحث بتقييم الأداء المالي لمؤسسة صناعة الكوابل ببسكرة باستخدام مجموعة من المعايير والمناهج المختلفة، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج و التوصيات مفادها ضرورة العناية عند اختيار معايير ومؤشرات تقييم الأداء المالي لكي تعكس تلك المقاييس الأداء الفعلي للمؤسسة.

٤ - دراسة حسان عبد الغني كعدان (٢٠٠٢) [٣]

تناولت الدراسة الإطار العام للرقابة الداخلية في المؤسسات المصرفية، كما استعرضت آليات وأدوات تقويم الأداء في القطاع المصرفي، وخلص الباحث إلى مجموعة من النتائج و التوصيات أبرزها ضرورة تفعيل دور البنك المركزي السوري والمؤسسات الرقابية الأخرى في رقابتها على المؤسسات المصرفية العاملة في السوق السورية.

٥ - دراسة ماجد عبد الفتاح محمد العويسي (٢٠٠٣) [٤]

تناولت هذه الدراسة منشآت القطاع الخاص في الجمهورية اليمنية، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات كان أبرزه ضرورة الاهتمام بوظيفة المراجعة الداخلية واستقلاليتها، تضمين قانون الشركات اليمني نصاً يلزم الشركات بتكوين لجنة مراجعة، تأسيس منظمة مهنية محلية للمراجعين الداخليين.

---

١ -فريدة فائق مظهر"تقويم نظام الرقابة الداخلية في الشركة العامة للنقل البري –العراق -" بحث دبلوم عالي في المحاسبة، غير منشورة، جامعة بغداد،٢٠٠٠م.

٢ -عادل محمد عشي"الأداء المالي للمؤسسات الاقتصادية: قياس وتقييم – دراسة حالة مؤسسة صناعة الكوابل ببسكرة" رسالة ماجستير في الإدارة، غير منشورة، جامعة خيضر – بسكرة، الجمهورية الجزائرية،٢٠٠٢م.

٣ -حسان عبد الغني كعدان "الرقابة وتقييم الأداء في القطاع المصرفي مع دراسة حالة تطبيقية على المصرف التجاري السوري" رسالة دكتوراه في المحاسبة،غير منشورة، جامعة دمشق ،٢٠٠٢م.

٤ -ماجد عبد الفتاح محمد العويسي"دور المراجعة الداخلية في مراقبة وتحسين الأداء في منشآت القطاع الخاص اليمنية" رسالة ماجستير في المحاسبة، غير منشورة، جامعة الملكة اروي، صنعاء،٢٠٠٣م.

٦ - **دراسة نهلة إبراهيم عبد الكريم (٢٠٠٨)** [١] تتمحور مشكلة البحث في أن الرقابة يجب أن تمارس على جميع أوجه النشاط بالمشروع، وكان من أهداف هذه الدراسة التأكد من إمكانية الحصول على بيانات مالية يمكن الاعتماد عليها، وقد اقترح الباحث عدداً من التوصيات كان أهمها رفع كفاءة العنصر البشري من العاملين عن طريق التدريب المتقدم في استخدام الحاسبات الآلية وبرمجتها، الحاجة لتقويم نظام الرقابة الداخلية بشكل دوري للتأكد من كفاءته وفاعليته، يجب علي المراجع الداخلي فحص نظم الرقابة الداخلية، وإعداد تقارير عن كفاءتها وفاعليتها.

ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة

من خلال استعراض الدراسات السابقة يمكن القول إن أبرز ما يميز هذه الدراسة عن سابقاتها يتمثل في الآتي:

١ - أن الدراسات السابقة تناولت دراسة وتقويم نظم الرقابة الداخلية في مؤسسات صناعية ومصرفية ومؤسسات تقدم خدمات النقل بينما خصص الباحث دراسته هذه لدراسة دور الرقابة الداخلية في رفع كفاءة الأداء المالي في مؤسسات تقدم خدمات حديثة نسبياً – الاتصالات - وتحكمها مجموعة من العوامل والمتغيرات التي تعطي هذه المؤسسات طابعاً خاصاً لنظمها الرقابية

٢ - أن بعض تلك الدراسات اقتصرت على جزئية معينة من مكونات الرقابة الداخلية – كالمراجعة الداخلية – بينما شملت هذه الدراسة كافة مكونات وعناصر الرقابة الداخلية.

٣ - أن كثيراً من تلك الدراسات توسعت في دراسة أثر الرقابة الداخلية على المؤسسات الاقتصادية لتشمل كافة التأثيرات على تلك المؤسسات بينما اقتصرت هذه الدراسة على دراسة الأثر على الأداء المالي.

هذا وقد استفاد الباحث من الدراسات السابقة سواءً في الإطار النظري للدراسة أو في بناء النموذج الذي اعتمده في جمع البيانات – الإستبانة - كما سعى الباحث جاهداً لتناول بعض الجوانب التي لم تتناولها الدراسات السابقة.

---

١ نهلة إبراهيم عبد الكريم، ٢٠٠٨" اثر الرقابة الداخلية في زيادة الكفاءة والفعالية بالمنشآت الصناعية دراسة حالة مصنع بوهيات المهندس "رسالة ماجستير في المحاسبة، غير منشورة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

مفهوم وأهداف وأهمية وهيكل الرقابة الداخلية

مفهوم الرقابة: الرقابة لغة: تعني الرقابة في اللغة العربية الحراسة، الرصد، الانتظار، الحذر[1]

أما في اللغة الانجليزية تشير كلمة الرقابة Controlإلى معنيين هما السلطة والفحص حسب قاموس (Harraps Standard)[2]

تعريف الرقابة الداخلية: عرفت لجنة إجراءات المراجعة التابعة لمجمع المحاسبين القانونيين الأمريكيين AICPA الرقابة الداخلية "بأنها خطة التنظيم وكل الطرق والإجراءات والأساليب التي تضعها إدارة الشركة والتي تهدف إلى المحافظة على أصول الشركة وضمان دقة وصحة المعلومات المحاسبية وزيادة درجة الاعتماد عليها وتحقيق الكفاءة التشغيلية والتحقق من التزام العاملين بالسياسات التي وضعتها الإدارة"[3]

كما عرف المعيار رقم ٤٠٠ من معايير المراجعة الدولية الرقابة الداخلية بالآتي "إن تعبير نظام الرقابة الداخلية يعني كافة السياسات والإجراءات التي تتبناها إدارة المنشأة لمساعدتها قدر الإمكان في الوصول إلى هدفها في ضمان إدارة منظمة و كفاءةٍ في العمل، والمتضمنة الالتزام بسياسات الإدارة وحماية الأصول ومنع واكتشاف الغش والخطأ ودقة واكتمال السجلات المحاسبية وتهيئة معلومات مالية موثوقة في الوقت المناسب ويشمل نظام الرقابة الداخلية على أمور ابعد من تلك المتصلة مباشرة بوظائف النظام المحاسبي " (٤)

أهمية الرقابة الداخلية وتطورها: لم يكن هناك ما يستدعي وجود نظم للرقابة الداخلية، حيث كانت المنشآت فردية وصغيرة الحجم يباشر إدارتها وتشغيلها المالك بنفسه، ونتيجة للعديد من الأسباب، لعل أبرزها ظهور المنشآت كبيرة الحجم ذات الأنشطة المختلفة والمتشعبة – حيث وضعت بعض الدول معايير يتم الاسترشاد بها لتحديد حجم المنشأة فمثلاً في بريطانيا تعد الوحدة الاقتصادية صغيرة الحجم إذا انطبق عليها شرطان من الثلاثة الشروط الآتية: (أن لا يتجاوز مبيعاتها السنوية مليوني جنية، أن لا

---

[1] -محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري "لسان العرب"مجلد١، دار صادر، بيروت، ص ٤٢٤

[2] -جورج ليسكوبيه، "رقابة الدولة على المشروعات العامة"، ترجمة بكر قباني، مجلة العلوم الإدارية، المنظمة العربية للعلوم الإدارية، العدد ٢٢، القاهرة ١٩٦٨م، ص ٨٠

[3] -د.عبد الفتاح محمد الصحن، د.محمد السيد سرايا، د.شحاته السيد شحاته "الرقابة والمراجعة الداخلية الحديثة" الدار الجامعية،الاسكندرية،٢٠٠٦ م، ص١٥

[4] -المجمع العربي للمحاسبين القانونيين – المعايير الدولية للمراجعة الصادرة عن الاتحاد الدولي للمحاسبين –ترجمة المجمع العربي للمحاسبين القانونيين، عمان ١٩٩٨م، ص١١٨

يزيد عدد العاملين فيها عن خمسين عاملاً، أن لا تزيد أصولها عن سبعة وتسعون ألفاً وخمسمائة جنيه [١]

أهداف الرقابة الداخلية: من أهداف أنظمة الرقابة الداخلية منها:

- حماية أصول المنشأة.
- ضمان دقة وصحة المعلومات المحاسبية المستخرجة من سجلات المنشأة –وأبرزها القوائم المالية – لزيادة درجة الاعتماد عليها.
- زيادة الكفاءة الإنتاجية في استغلال موارد وأصول المنشأة.
- التأكد من مدى التزام العاملين بالمنشأة بالسياسات التي وضعتها الإدارة.

مقومات أنظمة الرقابة الداخلية: يقوم نظام الرقابة الداخلية على مجموعة من الدعائم أو المقومات الأساسية [٢] تتمثل في الآتي:

١ – هيكل تنظيمي كفء
٢ – وجود سياسات وإجراءات لحماية الأصول
٣ – وجود إجراءات للتحقق من صحة ودقة البيانات والتقارير المحاسبية
٤ – وجود إجراءات لزيادة الكفاءة وتشجيع الالتزام بالسياسات الموضوعة
٥ – وجود نظام محاسبي كفء وفعال
٦ – حسن اختيار العاملين وتدريبهم و تقويم أعمالهم
٧ – وجود قسم أو إدارة للمراجعة الداخلية
٨ – الاعتماد على البرامج المحاسبية الآلية المتكاملة

هيكل الرقابة الداخلية: في التقرير رقم ٥٥ لسنة [٣] ١٩٨٨ الذي أصدره معهد المحاسبين القانونيين الأمريكيين (AICPA) ليطبق اعتباراً من بداية عام ١٩٩٠ حيث استبدل هذا التقرير ولأول مرة مصطلح نظام الرقابة الداخلية بهيكل الرقابة الداخلية على اعتبار أن هذا المفهوم أكثر شمولاً من مفهوم نظام

---

١ -ياسين احمد ألعيسي "خصوصية تدقيق المنشأة الصغيرة" مجلة المدقق، جمعية مدققي الحسابات القانونيين الأردنيين، عمان،١٩٩٧م، العدد ٣٢ ،ص.٤٠

٢ -د.احمد محمد نور "مراجعة الحسابات من الناحيتين النظرة والعلمية" مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية، ١٩٩٢م، ص ٢٦

1- SAS No.55 April، 1988، Site: www.cba.org

الرقابة الداخلية.

ووفقاً للتقرير رقم (SAS 55) فقد تم تعريف الرقابة الداخلية بأنها "السياسات والإجراءات التي يتم من خلالها تحقيق أهداف الشركة التي يجب أن يهتم بها مراقب الحسابات، حتى يستطيع الحكم على مدى قدرة الشركة محل المراجعة على تسجيل وتلخيص البيانات والأحداث المالية التي قامت بها الشركة محل المراجعة"

واعتماداً على هذا التعريف الوارد بالتقرير رقم ٥٥ يتضح أن الرقابة الداخلية تتكون من ثلاثة عناصر أساسية هي[١]:

أ - بيئة الرقابة Control Environment

ب - النظام المحاسبي Accounting System

ج - إجراءات الرقابة Control Procedure

وقد توسعت لجنة دعم المنظمات [٢](COSO) في تحديد عناصر هيكل الرقابة الداخلية من خلال تقريرها التي أصدرته في عام ١٩٩٢، وسمي ذلك التقرير: الرقابة الداخلية – إطار متكامل Internal Control – Integrated frame work و حدد ذلك التقرير عناصر هيكل الرقابة الداخلية بخمسة عناصر وهي:

١ - بيئة الرقابة Control Environment

٢ - تقدير المخاطر Risk Assessment

٣ - المعلومات والاتصال Information and Communication

٤ - أنشطة الرقابة Control Activities

٥ - المتابعة Monitoring

وفي عام ١٩٩٥ قام معهد المحاسبين القانونيين الأمريكيين (AICPA) بإصدار بيان معيار التدقيق رقم[٣] (SAS No. 78) والذي أخذ بتوصيات لجنة (COSO) خصوصاً فيما يتعلق بمعيار التدقيق رقم (SAS No.55) سالف الذكر

---

[2] -Lemkin R. & Winters A. "SAS No. 55: The Auditor's New Responsibility for Internal Control " Journal Accountancy، May 1988. P 84-88.

[2] _ COSO "Internal Control –Integrated Framework Executive Summary" site: www.coso.org

[3] - SAS 78، Site: www.cba.org

مفهوم قياس و تقويم الأداء المالي: يرى بعض الباحثين [1] أن مفهوم تقويم الأداء المالي في أي منظمة يعني التأكد من مطابقة نتائج العمل مع الأهداف المحددة.

و يرى الباحث أن تقويم الأداء المالي مفهوم يشير إلى نشاط مستمر يهدف إلى التعرف على مستويات التنفيذ التي قامت بها الوحدة ألاقتصادية – وليس بالضرورة المنشأة ككل -خلال فترة محددة ومقارنة النتائج المحققة مع الأهداف المرسومة سلفاً ومعرفة الانحرافات إن وجدت وتحديد أسبابها بغرض تعضيد أسباب الانحرافات الإيجابية وتلافي ومعالجة أسباب الانحرافات السلبية مستقبلاً.

من خلال ما تقدم يلاحظ الباحث ضرورة توافر مجموعة من العناصر الهامة في أي عملية تقييم للأداء منها:

أ – أهداف واضحة ومحددة وقابلة للقياس ومرتبطة بفترة زمنية محددة.

ب – قياس موضوعي للنتائج المحققة فعلاً.

ج – إجراء المقارنة بين ما تحقق فعلاً من نتائج مع الأهداف المرسومة مسبقاً.

د – تحديد الانحرافات المتحققة.

ه – تحليل الانحرافات -الإيجابية منها والسلبية - للتعرف على أسبابها.

و – تعضيد أسباب الانحرافات الإيجابية و تلافي أسباب الانحرافات السلبية ووضع المعالجات المناسبة لها.

نبذة عن الشركات المكونة لقطاع الاتصالات في اليمن : هناك عدد ست شركات (٦) تعمل في قطاع الاتصالات في الجمهورية اليمنية كما ذكرنا مسبقاً في النبذة التاريخية وتعمل هذه الشركات في تزويد السوق اليمنية بخدمات الاتصالات المختلفة سواءً الثابتة منها أو المتنقلة أو الدولية وخدمات الانترنت.

[1]- أمجد حسن عبد الرحمن "استخدام أساليب المراجعة الإدارية في تقييم كفاءة الأداء الإداري في قطاع النقل والمواصلات – بالتطبيق على هيئة النقل العام بالقاهرة" رسالة ماجستير في إدارة الأعمال غير منشورة، جامعة عين شمس، ١٩٩٥م، ص.٥٢

جدول رقم (1)

الشركات المكونة لقطاع الاتصالات في اليمن

الشركة	نوع الملكية	تاريخ بدء النشاط	خدماتها الرئيسية	ملاحظات
١ - المؤسسة العامة للاتصالات	حكومي (عام)	١٩٨٢	الاتصالات الثابتة	
٢ - تيليمن	مختلط	١٩٩٠	الاتصالات الدولية	
٣ -سبافون	خاص	٢٠٠١	الهاتف النقال GSM	
٤ - أم تي إن MTN يمن	خاص	٢٠٠١	الهاتف النقال GSM	تأسست تحت اسم سبيستل يمن وفي عام ٢٠٠٦ تم انضمامها الى ام تي إن العالمية
٥ - يمن موبايل	مختلط	٢٠٠٤	الهاتف النقال CDMA	كانت حكومية (عامة) وتم طرح نسبة ٤١٪ من أسهمها للاكتتاب في عام ٢٠٠٦
٦ -وآي	خاص	٢٠٠٧	الهاتف النقال GSM	

تحليل البيانات واختبار الفرضيات

١ - مجتمع وعينة الدراسة

تم توزيع عدد ١٣٠ استبانة على (٦) شركات للاتصالات العاملة في الجمهورية اليمنية وقد تم استعادة ١٠٣ استبانة وتمثل ٧٩٪من إجمالي عدد الاستبانات الموزعة وقد تم تحليل جميع الاستبانات عدا (١١) استبانة لعدم صلاحيتها، والجدول الآتي يبين مستوى توزيع الاستبيان على العينة المستهدفة للدراسة.

٢ - ثبات وصدق الاستبانة

أجرى الباحث خطوات اختبار الثبات على العينة الاستطلاعية نفسها بطريقة الفا كرونباخ لقياس ثبات الاستبانة لكل محور من محاور الاستبيان، وللمعدل الكلي للمحاور ويبين الجدول رقم (2) معاملات الفا كرونباخ والتي تدل على وجود معاملات ثبات معقولة ودالة إحصائيا حيث كانت معاملات الثبات أكبر من ٠.٦٠ وبصورة عامة فإن معاملات ثبات الاستبيان لجميع المحاور على مستوى العينة كانت أكبر من ٠.٦٠

مما يؤكد على صدق وثبات الاستبانة.

جدول رقم (2)

اختبار الثبات وفقاً لمعاملات الفاكرونباخ لكل محور من محاور الاستبيان

المحور	عدد العبارات	معاملات الفا كرونباخ
المحور الأول: تقويم نظم الرقابة الداخلية في شركات الاتصالات	٤١	.841
المحور الثاني: تأثير عناصر الرقابة الداخلية على كفاءة الأداء المالي	١٠	.929
المحور الثالث: تأثير الرقابة الداخلية على كفاءة الخصائص النوعية للمعلومات	٥	.893
لجميع المحاور	٥٦	.888

٣ - خصائص العينة

فيما يلي تحليل لخصائص عينة الدراسة:

جدول رقم (3)

توزيع أفراد العينة حسب خصائصهم الديمغرافية

الخاصية الديمغرافية	البيان	القطاع العام		القطاع المختلط		القطاع الخاص		المجموع	
		العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
المؤهل العلمي	ما قبل البكالوريوس	-	-	1	3.6	3	5.8	4	4.3
	بكالوريوس	10	83.3	23	82.1	43	82.7	76	82.6
	دبلوم عالي	2	16.7	2	7.1	1	1.9	5	5.4
	ماجستير	-	-	1	3.6	5	9.6	6	6.5
	دكتوراه	-	-	-	-	-	-	-	-

الخاصية الديمغرافية	البيان	القطاع العام		القطاع المختلط		القطاع الخاص		المجموع	
		العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
	المجموع	12	100.0	27	96.4	52	100.0	91	98.9
التخصص	محاسبة	9	75.0	24	85.7	40	76.9	73	79.3
	إدارة أعمال	2	16.7	1	3.6	7	13.5	10	10.9
	أخرى	1	8.3	2	7.1	5	9.6	8	8.7
	المجموع	12	100.0	27	96.4	52	100.0	91	98.9
الزمالة والعضوية	منظمات محلية	2	16.7	1	3.6	5	9.6	8	8.7
	منظمات عربية	-	-	-	-	-	-	-	-
	منظمات دولية	-	-	2	7.1	1	1.9	3	3.3
	المجموع	2	16.7	3	10.7	6	11.5	11	12.0
الوظيفة	محاسب	6	50.0	18	64.3	41	78.8	65	70.7
	رئيس حسابات	-	-	2	7.1	5	9.6	7	7.6
	مدير مالي	-	-	-	-	2	3.8	2	2.2
	مراجع	4	33.3	4	14.3	2	3.8	10	10.9
	مدير مراجعة	1	8.3	1	3.6	1	1.9	3	3.3
	أخرى	1	8.3	2	7.1	1	1.9	4	4.3
	المجموع	12	100.0	27	96.4	52	100.0	91	98.9
سنوات الخدمة	ثلاث سنوات فأقل	1	8.3	9	32.1	10	19.2	20	21.7
	٤ – ٦ سنوات	3	25.0	4	14.3	11	21.2	18	19.6
	٧ - ٩ سنوات	4	33.3	3	10.7	21	40.4	28	30.4
	١٠ سنوات فأكثر	4	33.3	11	39.3	8	15.4	23	25.0
	المجموع	12	100.0	27	96.4	50	96.2	89	96.7

الخاصية الديمغرافية	البيان	القطاع العام		القطاع المختلط		القطاع الخاص		المجموع	
		العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
العمر بالسنوات	٣٥ سنة فأقل	10	83.3	19	67.9	44	84.6	73	79.3
	٣٦ – ٤٥ سنة	2	16.7	4	14.3	6	11.5	12	13.0
	أكثر من ٤٥ سنة	-	-	4	14.3	2	3.8	6	6.5
	المجموع	12	100.0	27	96.4	52	100.0	91	98.9
الجنس	ذكور	10	83.3	25	89.3	44	84.6	79	85.9
	إناث	2	16.7	2	7.1	7	13.5	11	12.0
	المجموع	12	100.0	27	96.4	51	98.1	90	97.8

ملاحظة: هناك بين (٢ -٣٪)من أفراد العينة لم يدلوا بكافة خصائصهم الديمغرافية

٤ - عرض وتحليل البيانات

في المحور الأول تم إيجاد المتوسط الحسابي لكل بديل من بدائل كل العبارات بالمحور والنسب المئوية لتحليل عبارات الاستبانة، وتكون العبارة إيجابية بمعنى أن أفراد العينة يوافقون على محتواها إذا كانت قيمة الوسط الحسابي تتجه إلى الموافقة (يزيد عن الدرجة (٢))و تكون العبارة سلبية بمعنى أن أفراد العينة لا يوافقون على محتواها إذا كانت قيمة الوسط الحسابي تتجه إلى عدم الموافقة (يقل عن الدرجة (٢))، وتكون آراء العينة في العبارة محايدة إذا كان قيمة الوسط الحسابي يساوي الدرجة (٢)، والسبب في ذلك يرجع إلى اعتماد الباحث على مقياس ليكرت الثلاثي، بحيث تكون الدرجة (٢) محايدة، وهي درجة مقبولة من وجهة نظر الباحث.

أما المحوران الثاني والثالث فقد تم إيجاد المتوسط الحسابي لكل بديل من بدائل كل العبارات بالمحور والنسب المئوية لتحليل عبارات الاستبانة وتكون العبارة ايجابية بمعنى أن أفراد العينة يوافقون على محتواها إذا كانت قيمة الوسط الحسابي يتجه إلى الموافقة (يزيد عن الدرجة (٣))و تكون العبارة سلبية بمعنى أن أفراد العينة لا يوافقون على محتواها إذا كانت قيمة الوسط الحسابي تتجه إلى عدم الموافقة (يقل عن الدرجة (٣)) وتكون آراء العينة في العبارة محايدة إذا كانت قيمة الوسط الحسابي

تساوي الدرجة (٣) والسبب في ذلك هو اعتماد الباحث على مقياس ليكرت الخماسي بحيث تكون الدرجة (٣) محايدة وهي درجة مقبولة من وجهة نظر الباحث.

وقد أسفر التحليل الإحصائي للاستبيانات عن مجموعة من البيانات والنتائج يتناولها الباحث على النحو الآتي:

أولا: تقويم نظم الرقابة الداخلية في شركات الاتصالات اليمنية:

١ - تقويم مدى وجود هيكل تنظيمي حديث لدى شركات الاتصالات

يظهر جدول رقم (4) نتائج التحليل الإحصائي الوصفي لآراء العينة المستبانة فيما يتعلق بتقويم مدى وجود هيكل تنظيمي حديث لدى شركات الاتصالات العاملة باليمن، وقد بينت النتائج من خلال القراءة لها بالجدول المذكور أن آراء العينة تتجه إلى الموافقة لجميع عبارات الجدول

جدول رقم (4)

التحليل الإحصائي لمدى وجود هيكل تنظيمي حديث لدى شركات الاتصالات

رقم العبارة (في المحور الأول)	موافق	إلى حد ما	غير موافق	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه الآراء
١	٤٢,٢	٤٢,٤	١٥,٢	٢,٣	٠,٧١	موافقة
٢	٣٣,٧	٤٤,٦	٢١,٧	٢,١	٠,٧٤	موافقة
٣١	٥٢,٢	٤٣,٥	٤,٣	٢,٥	٠,٥٨	موافقة

٢ - تقويم مدى وجود سياسات وإجراءات لحماية أصول وممتلكات شركات الاتصالات

يظهر جدول رقم)٥(نتائج التحليل الإحصائي الوصفي لآراء العينة المستبانة فيما يتعلق بتقويم مدى وجود سياسات وإجراءات لحماية أصول شركات الاتصالات العاملة باليمن

جدول رقم (5)

نتائج التحليل الإحصائي تقويم مدى وجود سياسات وإجراءات لحماية الأصول

رقم العبارة (في المحور الأول)	موافق	إلى حد ما	غير موافق	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه الآراء
٣٠	٤٨,٩	٤٤,٦	٦,٥	٢,٤	.62	موافقة
١١	٥٢,٢	٣٥,٩	١٢,٠	٢,٤	.70	موافقة
١٧	٥٧,٦	٢١,٧	٢٠,٧	٢,٤	.81	موافقة
٧	٤٦,٧	٤١,٣	١٢,٠	٢,٣	.69	موافقة
١٤	٤٥,٧	٣٥,٩	١٨,٥	٢,٣	.76	موافقة
١٣	٤٤,٦	٣٥,٩	١٩,٦	٢,٣	.76	موافقة
١٠	٣٥,٩	٥١,١	١٣,٠	٢,٢	.66	موافقة
٨	٣٠,٤	٣٠,٤	٣٩,٢	١,٩	.83	عدم موافقة

٣ - تقويم مدى وجود إجراءات للتحقق من صحة ودقة البيانات والتقارير المحاسبية

يظهر جدول رقم (6) نتائج التحليل الإحصائي الوصفي لآراء العينة المستبانة فيما يتعلق بتقييم مدى وجود إجراءات للتحقق من صحة ودقة البيانات والتقارير المحاسبية في شركات الاتصالات وقد بينت النتائج من خلال القراءة والترتيب لها وفق المتوسط الحسابي والانحراف المعياري أن عينة الدراسة يتفقون على وجود إجراءات للتحقق من دقة البيانات المالية

جدول رقم (6)

نتائج التحليل الإحصائي لتقييم مدى وجود إجراءات للتحقق من صحة ودقة البيانات والتقارير المحاسبية

رقم العبارة (في المحور الأول)	موافق	إلى حد ما	غير موافق	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه الآراء
٣٨	77.2	20.7	2.2	2.8	.48	موافقة
٣	٨٢,٦	١٣,٠	٤,٤	٢,٨	.51	موافقة
٣٢	75.0	23.9	1.1	2.7	.47	موافقة
٣٥	73.9	23.9	2.2	2.7	.49	موافقة
١٩	68.5	23.9	7.6	2.6	.63	موافقة
٢٩	63.0	29.3	7.6	2.6	.64	موافقة
٢٧	44.6	37.0	18.5	2.3	.75	موافقة
١٥	32.6	41.3	26.1	2.1	.77	موافقة

٤ - تقويم مدى وجود إجراءات لزيادة الكفاءة وتشجيع الالتزام بالسياسات الموضوعية

يظهر الجدول رقم (7) نتائج التحليل الإحصائي الوصفي لآراء العينة المستبانة عن مدى وجود إجراءات لزيادة الكفاءة وتشجيع الالتزام بالسياسات الموضوعية في شركات الاتصالات

جدول رقم (7)

نتائج التحليل الإحصائي لتقييم مدى وجود إجراءات لزيادة الكفاءة وتشجيع الالتزام بالسياسات الموضوعية

رقم العبارة (في المحور الأول)	موافق	إلى حد ما	غير موافق	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه الآراء
٣٣	71.7	25.0	3.3	2.7	.53	موافقة
٢٤	77.2	18.5	4.3	2.7	.54	موافقة
٢٨	53.3	35.9	10.9	2.4	.68	موافقة
١٨	52.2	33.7	14.1	2.4	.72	موافقة
٢٦	47.8	38.1	14.1	2.3	.72	موافقة
٩	37.0	20.7	42.4	1.9	.89	عدم موافقة

٥ - تقويم مدى وجود رقابة جيدة على الأجور والمرتبات

يظهر جدول رقم (8) نتائج التحليل الإحصائي الوصفي لآراء العينة المستبانة عن مدى وجود رقابة جيدة على مرتبات وأجور العاملين في شركات الاتصالات

جدول رقم (8)

نتائج التحليل الإحصائي لتقويم مدى وجود نظام للرقابة على المرتبات والأجور

رقم العبارة (في المحور الأول)	موافق	إلى حد ما	غير موافق	المتوسط الحسابي*	الانحراف المعياري**	إتجاه الأراء
٣٧	58.7	32.6	8.7	2.5	.65	موافقة
٤٠	62.0	28.3	9.8	2.5	.67	موافقة
٣٩	50.0	39.1	10.9	2.4	.68	موافقة

٦ - تقويم مدى وجود نظام محاسبي كفء وفعال

يظهر جدول رقم (9) نتائج التحليل الإحصائي الوصفي لآراء العينة المستبانة عن مدى وجود نظام محاسبي قوي وفعال في شركات الاتصالات

جدول رقم (9)

نتائج التحليل الإحصائي لتقويم مدى وجود مدى وجود نظام محاسبي كفء وفعال

رقم العبارة (في المحور الأول)	موافق	إلى حد ما	غير موافق	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	إتجاه الأراء
٢٣	67.4	27.2	5.4	2.6	.59	موافقة
١٦	48.9	44.6	6.5	2.4	.62	موافقة
١٢	53.3	34.8	12.0	2.4	.70	موافقة
٢٥	63.0	18.5	18.5	2.4	.79	موافقة
٤١	51.1	32.6	16.3	2.3	.75	موافقة

٧ - تقويم مدى وجود قسم أو إدارة للمراجعة الداخلية

يظهر جدول رقم (10) نتائج التحليل الإحصائي الوصفي لآراء العينة المستبانة عن مدى وجود مدى وجود قسم أو إدارة للمراجعة الداخلية في شركات الاتصالات

جدول رقم (10)

رقم العبارة (في المحور الأول)	موافق	إلى حد ما	غير موافق	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه الآراء
٢١	51.1	43.5	5.4	2.5	.60	موافقة
٢٢	47.8	46.7	5.4	2.4	.60	موافقة
٣٤	37.0	58.7	4.3	2.3	.56	موافقة
٣٦	34.8	55.4	9.8	2.3	.62	
٢٠	44.6	44.6	10.9	2.3	.67	موافقة
٤	53.3	25.0	21.7	2.3	.81	موافقة
٥	45.7	26.1	28.3	2.2	.85	موافقة
٦	13.0	28.3	58.7	1.5	.72	عدم موافقة

نتائج التحليل الإحصائي لتقويم مدى وجود قسم أو إدارة للمراجعة الداخلية

ثانياً: مدى التأثير الإيجابي لعناصر الرقابة الداخلية على كفاءة الأداء المالي

الجدول رقم (11) يظهر نتائج التحليل الإحصائي حول مدى التأثير الإيجابي لعناصر الرقابة الداخلية على كفاءة الأداء المالي ومن قراءتنا للنتائج نجد أن آراء العينة الواحدة تتجه إلى الموافقة بقوة على جميع العبارات

جدول رقم (11)

نتائج التحليل الإحصائي عن مدى التأثير الإيجابي لعناصر الرقابة الداخلية على كفاءة الأداء المالي

رقم العبارة (في المحور الثاني)	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	إتجاه الأراء
٨		3.3	12.0	23.9	60.9	4.4	.83	موافقة
٩		4.3	9.8	33.7	52.2	4.3	.83	موافقة
١		5.4	8.7	37.0	48.9	4.3	.85	موافقة

٦		5.4	13.0	23.9	57.6	4.3	.91	موافقة
٢		7.6	8.7	26.1	57.6	4.3	.93	موافقة
٧		6.5	13.0	27.2	53.3	4.3	.93	موافقة
١٠		9.8	12.0	27.2	51.1	4.2	1.00	موافقة
٣	1.1	9.8	8.7	25.0	55.4	4.2	1.04	موافقة
٤		5.4	20.7	43.5	30.4	4.0	.86	موافقة
٥		7.6	18.5	38.0	35.9	4.0	.93	موافقة

ثالثاَ: مدى التأثير الإيجابي لوجود هيكل رقابة داخلية كفء على تحسين الخصائص النوعية للمعلومات

الجدول رقم **(12)** يظهر نتائج التحليل الإحصائي حول مدى التأثير الإيجابي لوجود نظام رقابة داخلية كفء على تحسين الخصائص النوعية للمعلومات والبيانات المالية

جدول رقم (12)

نتائج التحليل الإحصائي عن مدى التأثير الإيجابي لوجود نظام رقابة داخلية كفء على تحسين الخصائص النوعية للمعلومات

رقم العبارة (في المحور الثالث)	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	إتجاه الأراء
٥	-	1.1	8.7	38.0	52.2	4.4	.70	موافقة
١	-	1.1	8.7	38.0	52.2	4.4	.74	موافقة
٢	-	3.3	7.6	39.1	50.0	4.4	.76	موافقة
٤	-	2.2	15.2	34.8	47.8	4.3	.80	موافقة
٣	-	5.4	10.9	33.7	50.0	4.3	.87	موافقة

٥ - اختبار الفرضيات:

الفرضية الأولى:

تقيس مدى وجود هياكل تنظيمية كفء وجيدة للرقابة الداخلية لدى شركات الاتصالات العاملة بالجمهورية اليمنية

حيث نصت الفرضية العدمية بأنه (لا تتمتع شركات الاتصالات العاملة بالجمهورية اليمنية بهيكل كفء وجيد للرقابة الداخلية)

يمثل الجدول رقم (13) نتائج One-Sample Test للعينة الواحدة حيث تبين أن قيمة المتوسط الحسابي ٢,٣ والذي يشير إلى اتجاه موافقة آراء المبحوثين عن وجود هياكل تنظيمية كفؤة لدى شركات الاتصالات لإدارة الرقابة الداخلية كانت أكبر من الدرجة ٢ وفقا لمقياس ليكرت ذي النقاط الثلاث النقاط والذي تشير إلى الحيادية

وبما أن قيمة T المحسوبة كانت كبيرة وموجبة حيث بلغت ٥,٩٢ وأن مستوى الدلالة كانت قيمة صغيرة حيث بلغت ٠,٠٠٠ وهي أقل من مستوى الثقة ٠,٠٥ ويعني بأن (الفرق جوهري بين المتوسط الحسابي والدرجة ٢) وبناءاَ على ما سبق يتم رفض الفرضية العدمية التي تنص على أنه (لا تتمتع شركات الاتصالات العاملة بالجمهورية اليمنية بهيكل كفء وجيد للرقابة الداخلية) وقبول الفرضية البديلة المناقضة لهذه الفرضية ونستنتج بأن شركات الاتصالات العاملة بالجمهورية اليمنية تتمتع بهيكل رقابة داخلية كفء و جيد.

جدول رقم (13)

نتائج اختبار الفرضية الأولى على مستوى العينة الكلية

الفرضية الأولى	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار T	مستوى الدلالة	نتيجة الفرضية
لا تتمتع شركات الاتصالات العاملة بالجمهورية اليمنية بهيكل كفء وجيد للرقابة الداخلية	٢,٣	٠,٤٧	٥,٩٢	٠,٠٠٠	رفض الفرضية

وبحسب طبيعة ملكية هذه الشركات أظهرت نتائج الجدول رقم (14) اختبار One-Sample Test

لكل عينة على حدة للتعرف على مدى وجود هيكل رقابة داخلية كفء.

جدول رقم (14)

نتائج اختبار الفرضية الأولى على مستوى العينة الجزئية (حسب ملكية الشركة: حكومي، مختلط، خاص)

طبيعة ملكية الشركات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار T	مستوى الدلالة	نتيجة الفرضية
شركات الاتصالات التابعة للقطاع الحكومي	٢,٥	٠,٣٦	٤,٧٨	٠,٠٠١	رفض الفرضية
شركات الاتصالات التابعة للقطاع المختلط	٢,٠	٠,٥١	٠,١٢	٠,٩٠٢	قبول الفرضية
شركات الاتصالات التابعة للقطاع الخاص	٢,٤	٠,٤١	٦,٩٦	٠,٠٠	قبول الفرضية

ويلاحظ من النتائج بالجدول السابق (14) أن الفرضية العدمية قد تم رفضها لعينتي كل من شركات الاتصالات التابعة للقطاع الحكومي، الخاص بمستوى دلالة (٠,٠٥>٠,٠٠١، ٠,٠٠٠) على التوالي وقبولها لدى عينة الشركات التابعة للقطاع المختلط بمستوى دلالة (٠,٠٥٠< ٠,٩٠٢) وهذا يشير إلى أنه يوجد هيكل كفء للرقابة الداخلية لدى كل من شركات الاتصالات التابعة للقطاعين الحكومي والخاص بينما ثبت عدم وجود هيكل رقابة داخلية كفء لدى شركات الاتصالات التابعة للقطاع المختلط.

معرفة ما إذا كان اختلاف طبيعة ملكية شركات الاتصالات (حكومية – مختلطة – خاصة) لها تأثير على مدى كفاءة هياكلها الرقابية

يظهر جدول (15) تحليل التباين ANOVA الآتي نتائج اختبار F لمعرفة ما إذا كان اختلاف طبيعة ملكية هذه الشركات لها تأثير على كفاءة هياكلها الرقابية

جدول رقم (15)

تحليل التباين ANOVA لمعرفة تأثير ملكية الشركة على كفاءة هيكل الرقابة الداخلية

	Sum of Squares	df	Mean Square	F	.Sig
Between Groups	٣,٢٢٥	٢	١,٦١٣	٨,٥٣٢	٠٠٠.
Within Groups	١٦,٨٢٣	٨٩	١٨٩.		
Total	٢٠,٠٤٨	٩١			

ومن قراءة النتائج بالجدول **(15)** يتبين أن قيمة F المحتسبة كانت كبيرة حيث بلغت ٨,٥٣٢ وأن مستوى دلالة هذا الاختبار (Sig.) أقل من مستوى الثقة ٠,٠٥ وهذا يعني بوجود علاقة معنوية ذات دلالة إحصائية بين اختلاف طبيعة ملكية شركات الاتصالات وكفاءة هياكلها الرقابية.

الفرضية الثانية:

تقيس ما إذا كانت كفاءة الأداء المالي لها علاقة موجبة بعناصر الرقابة الداخلية حيث نصت الفرضية العدمية بأنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين عناصر الرقابة الداخلية وكفاءة الأداء المالي،ويمثل الجدول رقم **(16)** نتائج اختبار One-Sample Test حيث تبين أن قيمة المتوسط الحسابي ٤,٢٤ أكبر من الدرجة ٣ وفقا لمقياس ليكرت ذي النقاط الخمس.

وبما أن قيمة T المحسوبة كانت كبيرة وموجبة حيث بلغت ١٦,٧٩٢ وأن مستوى الدلالة كانت قيمة صغيرة حيث بلغت ٠,٠٠ وهي أقل من مستوى الثقة ٠,٠٥ ويعني ذلك أن (الفرق جوهري بين المتوسط الحسابي والدرجة ٣) وبناءً على ما سبق يتم رفض الفرضية العدمية التي تنص على أنه (لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين عناصر الرقابة الداخلية وكفاءة الأداء المالي) وقبول الفرضية البديلة المناقضة لهذه الفرضية وهذا يعني وجود علاقة قوية وموجبة بين عناصر الرقابة الداخلية وكفاءة الأداء المالي.

ونستنتج بأن كفاءة الأداء المالي لشركة الاتصالات يعتمد بقوة على مدى توفر عناصر الرقابة الداخلية بفاعلية لهذه المنشأة.

جدول رقم (16)

نتائج اختبار الفرضية الثانية

الفرضية الثانية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار T	مستوى الدلالة	نتيجة الفرضية
لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين عناصر الرقابة الداخلية وكفاءة الأداء المالي	٤,٢٤	٧١١.	١٦,٧٩٢	٠,٠٠٠	رفض الفرضية

الفرضية الثالثة:

تقيس معرفة ما إذا كان وجود نظام رقابة داخلية كفء يؤدي إلى تحسين الخصائص النوعية للمعلومات المالية التي تساعد على اتخاذ القرارات

حيث نصت الفرضية العدمية بأن وجود نظام رقابة داخلية كفء لا يؤدي إلى تحسين الخصائص النوعية للمعلومات التي تساعد في اتخاذ القرار

ويمثل الجدول رقم **(17)** نتائج اختبار T One-Sample Test حيث تبين أن قيمة المتوسط الحسابي ٤,٣٥ أكبر من الدرجة ٣ وفقا لمقياس ليكرت ذي النقاط الخمس والذي يشير إلى اتجاه الموافقة

وبما أن قيمة T المحسوبة كانت كبيرة وموجبة حيث بلغت ١٩,٨٦٣ وأن مستوى الدلالة كانت قيمة صغيرة حيث بلغت ٠,٠٠ وهي أقل من مستوى الثقة ٠,٠٥ ويعني ذلك أن (الفرق جوهري بين المتوسط الحسابي والدرجة ٣) وبناءً على ما سبق يتم رفض الفرضية العدمية التي تنص (بأن وجود نظام رقابة داخلية كفء لا يؤدي إلى تحسين الخصائص النوعية للمعلومات التي تساعد في اتخاذ القرار)

ويستنتج الباحث بأن تحسين الخصائص النوعية للمعلومات المساعدة في اتخاذ القرارات تعتمد بقوة على توفر نظام رقابة داخلية ذو كفاءة عالية.

جدول رقم (17)

نتائج اختبار الفرضية الثالثة

الفرضية الثالثة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار T	مستوى الدلالة	نتيجة الفرضية
بأن وجود نظام رقابة داخلية كفء لا يؤدي إلى تحسين الخصائص النوعية للمعلومات التي تساعد في اتخاذ القرار	٤,٣٥	٠,٦٥١	١٩,٨٦٣	٠,٠٠	رفض الفرضية

نتائج الدراسة

خلص الباحث بعد الدراسة النظرية والميدانية إلى مجموعة من النتائج تتمثل في الآتي:

١ - أظهرت نتائج الدراسة أن معظم شركات الاتصالات العاملة باليمن تتمتع بهيكل رقابة داخلية كفء وجيد حيث أظهرت النتائج أن شركات الاتصالات التابعة للقطاعين الحكومي والخاص تتمتع بهيكل رقابة داخلية ذات كفاءة جيدة أفضل من شركات الاتصالات التابعة للقطاع المختلط

٢ - أكدت نتائج الدراسة وجود علاقة موجبة وقوية ذات دلالة إحصائية بين عناصر الرقابة الداخلية وكفاءة الأداء المالي لشركات الاتصالات حيث أن عناصر الرقابة الداخلية في شركات الاتصالات تهدف بالدرجة الأساس لحماية أصول وموارد الشركة وتأمينها من إي مخاطر قد تتعرض لها وأن عملها يتم وفق أسس وقواعد علمية تحكمها سياسات وإجراءات معينة مبنية على معلومات دقيقة وصادقة سوف تؤدي إلى رفع كفاءة أداء الأنظمة في تلك الشركات.

٣ - أن نظام الرقابة الداخلية الكفء يساعد بدرجة قوية على تحسين الخصائص النوعية للمعلومات التي تساعد على اتخاذ القرار بدلالة إحصائية موجبة حيث أن نظام الرقابة الداخلية يعمل على تبادل البيانات والمعلومات بين مختلف مكونات الشركة وأن عملية التبادل للبيانات والمعلومات تنتج عنها معلومات مكتملة وصحيحة وواضحة وملائمة.

٤ - أن معظم شركات الاتصالات العاملة بالجمهورية اليمنية تتمتع بعناصر رقابة داخلية بين الجيدة والمعقولة حيث أظهرت النتائج:

أ - وجود هياكل تنظيمية ملائمة لدى هذه الشركات ويتم تحديثها باستمرار

ب - وجود إجراءات للتحقق من صحة ودقة البيانات والتقارير المحاسبية

ج - وجود إجراءات لزيادة الكفاءة وتشجيع الالتزام بالسياسات الموضوعية.

د - وجود نظم محاسبية كفء ة وفعالة.

ه - الثبات النسبي للعاملين في تلك الشركات وانخفاض معدل دوران العمالة.

و - وجود إدارة أو قسم للمراجعة الداخلية في معظم شركات الاتصالات ولكن مستوى أدائها متواضعاَ جداً.

ز - أن إدارة المراجعة الداخلية في جميع شركات الاتصالات العاملة لا تقوم بمراجعة تقنيات المعلومات المطبقة بهذه الشركات.

٥ - يعتمد مستوى كفاءة هيكل نظام الرقابة الداخلية في شركات الاتصالات العاملة بالجمهورية اليمنية على طبيعة ملكية هذه الشركات بدلالة إحصائية موجبة وقوية حيث يتميز هيكل الرقابة الداخلية في الشركات الحكومية والشركات الخاصة بأنه أكثر كفاءة من شركات القطاع المختلط.

٦ - أن مستوى كفاءة هيكل نظام الرقابة الداخلية في شركات الاتصالات العاملة بالجمهورية اليمنية له علاقة بعمر الشركة ومدة خبرتها.

٧ - أظهرت الدراسة أن جميع شركات الاتصالات في اليمن لا توجد بها لجنة مراجعة ولعل ذلك يعود إلى عدم إلزامية قانون الشركات لشركات المساهمة بضرورة أن يكون لديها لجنة مراجعة، وعدم وجود إجراءات وقواعد حوكمة للشركات في الجمهورية اليمنية لارتباط ذلك بوجود سوق للأوراق المالية وهو ما لم يتوفر في اليمن حتى إعداد هذه الدراسة.

التوصيات:

بناءً على النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يوصي الباحث بما يلي:

١ - استمرار عملية التحديث والتطوير لهيكل الرقابة الداخلية في شركات الاتصالات العاملة بالجمهورية اليمنية للرقي بكفاءة وأداء تلك الشركات، ولتحسين الخصائص النوعية للمعلومات التي تساعد الإدارة على اتخاذ القرارات الرشيدة.

٢ - الالتزام بالسياسات والإجراءات التنظيمية والعمل على تحديثها لضمان كفاءة نظام الرقابة الداخلية في الشركات.

٣ - تفعيل دور إدارة المراجعة الداخلية للقيام بواجبها بكفاءة عالية لضمان حماية أصول وموارد الشركات من الضياع وتحسين مستوى كفاءتها الإنتاجية.

٤ - استحداث قسم خاص مؤهلٍ تأهيلاً مناسباً ويعنى بمراجعة وتدقيق تقنيات وأمن المعلومات المستخدمة والمطبقة في الشركة وأن يكون هذا القسم تابعاً لإدارة المراجعة الداخلية.

٥ - تشكيل لجنة مراجعة في كل شركة من شركات الاتصالات اليمنية.

٦ - يوصي الباحث بإجراء الدراسات المستقبلية الآتية:

أ - دور المراجع الخارجي في تطوير أنظمة الرقابة الداخلية في المنشأة التي يقوم بمراجعتها.

ب - تقييم دور لجان المراجعة في رفع كفاءة وفعالية الرقابة الداخلية بالشركات المساهمة.

ج - أثر بعض عناصر الرقابة الداخلية على الأداء المالي للشركة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر باللغة العربية:

أ - الكتب:

١ -ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري "**لسان العرب**"المجلد١، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ نشر

٢ -د.احمد محمد نور"**مراجعة الحسابات من الناحيتين النظرة والعلمية**" مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٢م .

٣ -د.عبد الفتاح محمد الصحن ، د.محمد السيد سرايا ، د.شحاته السيد شحاته "**الرقابة والمراجعة الداخلية الحديثة**" الدار الجامعية،الإسكندرية ،٢٠٠٦ م

٤ - علي فاضل "**التحليل المالي لأغراض تحليل الأداء**" موقع الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك ،٢٠٠٦م

٥ - المجمع العربي للمحاسبين القانونيين - **المعايير الدولية للمراجعة** الصادرة عن الاتحاد الدولي للمحاسبين – ترجمة المجمع العربي للمحاسبين القانونيين، عمان، ١٩٩٨م

٦ - وليد ناجي الحيالي "**الاتجاهات المعاصرة في التحليل المالي**" عمان ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ،٢٠٠٤م

ب - الدوريات:

١ - أبو بكر مصطفى بعيره "**الرقابة الإدارية في المنظمات – مفاهيم أساسية**" ، المنظمة العربية للعلوم الإدارية ، عمان ،١٩٨١م

٢ - جورج غاوي " **نظام الرقابة الداخلية وأثره على القوائم المالية** "مجلة المدقق ، جمعية مدققي الحسابات القانونيين الأردنيين ، عمان ، الأردن ، العدد ٣١ تموز ١٩٩٧م

٣ - جورج ليسكوبيه،"**رقابة الدولة على المشروعات العامة**" ،ترجمة بكر قباني،مجلة العلوم الإدارية ،المنظمة العربية للعلوم الإدارية ،القاهرة،العدد ٢٢، ١٩٦٨م

٤ - ياسين احمد ألعيسي "**خصوصية تدقيق المنشأة الصغيرة**" ، مجلة المدقق ، جمعية مدققي الحسابات القانونيين الأردنيين ، عمان ، العدد ٣٢ ،١٩٩٧م

ج - الرسائل العلمية:

١ - أمجد حسن عبد الرحمن "**استخدام أساليب المراجعة الإدارية في تقييم كفاءة الأداء الإداري في قطاع النقل والمواصلات** – بالتطبيق على هيئة النقل العام بالقاهرة" رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس ، القاهرة،١٩٩٥م

٢ - حسان عبد الغني كعدان "**الرقابة وتقييم الأداء في القطاع المصري مع دراسة حالة تطبيقية على المصرف التجاري السوري**" رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة دمشق،٢٠٠٢م

٣ - شاكر عبد الكريم هادي البلداوي "**اثر هيكل الرقابة الداخلية في فاعلية أداء الوحدات الاقتصادية** – دراسة ميدانية على عينة من الشركات الصناعية العراقية" رسالة دكتوراه في المحاسبة ، غير منشورة، الجامعة المستنصرية ،١٩٩٨م

٤ - عادل محمد عشي"**الأداء المالي للمؤسسات الاقتصادية: قياس وتقييم** –دراسة حالة مؤسسة صناعة الكوابل ببسكرة" رسالة ماجستير في الإدارة ، غير منشورة ، جامعة خيضر – بسكرة ، الجمهورية الجزائرية،٢٠٠٢م

٥ - فريدة فائق مظهر"**تقويم نظام الرقابة الداخلية في الشركة العامة للنقل البري – العراق**" بحث دبلوم عالي في المحاسبة ، غير منشورة، جامعة بغداد،٢٠٠٠م

٦ - ماجد عبد الفتاح محمد العويسي"**دور المراجعة الداخلية في مراقبة وتحسين الأداء في منشآت القطاع الخاص اليمنية**" رسالة ماجستير في المحاسبة ، غير منشورة، جامعة الملكة أروى،٢٠٠٣م

٧ - محاسن عبد العزيز محمد "**التدقيق والرقابة الداخلية في المصارف ودورها في اكتشاف وتصحيح الأخطاء والمخالفات** " رسالة ماجستير في المحاسبة، غير منشورة ،جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، ٢٠٠٠م

٨ - محسن بابقي عبد القادر "**مدى اعتماد مراقب الحسابات على عناصر الرقابة الداخلية**" رسالة ماجستير في المحاسبة، غير منشورة ،الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٢م

٩ - نهلة إبراهيم عبد الكريم "**اثر الرقابة الداخلية في زيادة الكفاءة والفعالية بالمنشآت الصناعية دراسة حالة مصنع بوهيات المهندس**" رسالة ماجستير في المحاسبة، غير منشورة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ،٢٠٠٨م

د - المصادر الالكترونية:

١ - الموقع الرسمي للمؤسسة العامة للاتصالات السلكية واللاسلكية www.ptc.gov.ye

٢ - الموقع الرسمي لوزارة المواصلات وتقنية المعلومات اليمنية www.mtit.gov.ye

ثانياً : المصادر باللغة الانجليزية:

1- AICPA ، **SAS No.55** April ، 1988 ، site: www.cba.org

2- AICPA ، **SAS No.78**، 1996 ، site: www.cba.org

3- COSO "**Internal control –Integrated Framework Excutive Summary**" (1996) site: www.coso.org

4- IFAC، Handbook Technical Pronouncements ، ISA 400 ، 1999

5- IFAC، **ISA No. 101** (1994)

6- Lemkin R. & Winters A. "**SAS No. 55: The Auditor's New Responsibility for Internal Control**" Journal Accountancy،May 1988.

مدى تمكن طلبة الصف الثاني الثانوي من مهارات الفهم القرائي في الجمهورية اليمنية

باحث دكتوراه/ حِميَر يحيى محمد الأعور

جامعة محمد الخامس السويسي. كلية علوم التربية

الرباط. المملكة المغربية

6

الملخص

هدف البحث إلى التعرف على مهارات الفهم القرائي لدى طلبة الصف الثاني الثانوي بالجمهورية اليمنية، حيث قام الباحث ببناء اختبار يقيس مهارات الفهم القرائي عند الطلبة وقد تم التأكد من صدقه وثباته قبل تطبيقه .

استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة البحث من (٧٥٠) طالباً وطالبةً، وبعد تحليل البيانات باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة المتوسطات الحسابية، و الانحرافات المعيارية، واختبار (T–test).

خرج البحث بالنتائج الآتية:

الخروج بقائمة لمهارات الفهم القرائي اللازمة لطلبة الصف الثاني الثانوي بالجمهورية اليمنية.

- لا توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (٠،٠٥) بين متوسطات درجات طلبة الصف الثاني الثانوي (ذكور و إناث) في اختبار مهارات الفهم القرائي ككل تعزى إلى الجنس إذ بلغت قيمة (ت) (٠،١٢٧ –) ومستوى دلالة (٠،٨٩٩) وهذه القيمة غير دالة إحصائيا.
- لا توجد فروق دالة إحصائياً بين متوسطات درجات طلبة الصف الثاني الثانوي (ذكور و إناث) في اختبار مهارات الفهم القرائي ككل وكل مهارة من مهارات الفهم القرائي على حدة .

أولاً: المقدمة :

تمثل اللغة أهم الخصائص التي وهبها الله للإنسان، فهي الفكر ووعاء المعرفة، وهي وسيلة التعايش، والتفاعل بين أفراد المجتمع .

ولغتنا العربية لها مكانة كبيرة، ولاسيما في نفوس أبنائها، لأنها ترتبط بأعز ما تمتلكه الأمة .

هذا فضلاً عن أنها الرباط الذي يوحد بين أبناء الأمة العربية والإسلامية، ويوصل الماضي بالحاضر في ذاكرتهم .

وللقراءة أهمية كبيرة في مساعدة الشباب على التوافق الشخصي والاجتماعي، كما تقوم بدور بارز في معاونتهم على حل مشكلاتهم، فهي تدفع العقل ليعمل في مجال أرحب، وأوسع من خلال تلك المعلومات التي استمدها من المواد المقروءة، كما تسهم في زيادة مستوى الفهم في حل المسائل الاجتماعية، عن طريق تثقيف العقل، واكتساب المعرفة في أي ناحية من نواحي المعرفة، لذا فهي تهذب العواطف، وتثري الحياة المدرسية بالمعارف. [١]

وصارت ا لقراءة تعني سرعة الفهم ليتمكن الأفراد من الانتفاع بما تخرجه المطابع، وبما ينتج من العلوم، والمعارف، ثم اتجهت الأنظار إلى العناية (بـ الفهم القرائي) ليتمكن الأفراد من فهم ما يقرءون، والأخذ منه بما تقبله عقولهم[٢]

والفهم يعين القارئ على إدراك الصحيح، مما ينطوي عليه المقروء من معان ظاهرة، أو خفية، والقراءة بغير ذلك تفقد قيمتها، وتصبح عملية آلية لا تنقل إلى القارئ أفكار الكاتب ومعانيه، وتخلو من الدافع إلى الإقبال عليها، واتخاذها وسيلة للمتعة، والتحصيل العلمي [٣] والفهم القرائي القرائي في أغلبه عملية عقلية على الرغم من بدايته بالإدراك الحسي للرموز، والعلاقات المكتوبة، إلا أن هذا الإدراك يرافقه ويعينه تركيز، وانتباه ، وتحليل وتركيب لإدراك المعاني الصريحة والضمنية للمادة المقروءة، وهو بهذا المعنى عملية متعددة الأوجه تتأثر بقدرات لغوية، وتفكيرية عديدة. [٤]

وتكمن المشكلة في افتقار تعلم القراءة، في مدارسنا على المهارات الأساسية فتدريس مناهج القراءة الحالية، لم تأخذ حتى الآن المفهوم الحديث للقراءة ، الذي يقوم على أربعة أبعاد محددة هي: التعرف، والنطق، والفهم، والتحليل، والحكم، وكشف العلاقات والاستفادة من المقروء في الحياة

---

(١) جاسم محمود، الخليفة حسن(١٩٩٦): طرق تعليم اللغة العربية، القاهرة، دار الفكر العربي،ص٧٩ ط١.

(٢) شحاته حسن(١٩٩٢): تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ص٩٢ ط٣.

(٣) عاشور راتب، الحوامدة محمد(٢٠٠٣): أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة، ص٦٢ ط١.

(٤) طعيمة رشدي أحمد(١٩٩٨): الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة، ص١٤٩ ط١

وفقاً للخبرة السابقة، فهي، ولا سيما في المدارس الابتدائية ما تزال عند المفهوم الأول للقراءة القائم على التعرف والنطق، ولم تلتفت المدارس الإعدادية والثانوية إلى الفهم إلا في أوجه قليلة اقتصرت على الفهم العام، دون أن تمتد للفهم الضمني أو ما يسمى بالفهم القرائي، وقراءة ما تحت السطور، وإبداء الرأي المعتمد على الذوق الشخصي مثل . التمييز بين رأي الكاتب، وما يعرضه من أفكار وقضايا.[1]

ثانياً: مشكلة البحث:

تعددت البحوث والدراسات في مجال القراءة، لكنها اقتصرت على مهارات عامة في مجال القراءة، أما الاهتمام بمهارات الفهم القرائي، و الكشف عنها وتنميتها لدى الطلبة في مدارسنا، فما تزال مقتصرة على مهارات أساسية في القراءة في حين أن طبيعة الحياة الاجتماعية المعاصرة بما تشهده اليوم من ثورة معرفية، ومعلوماتية وتقدم علمي، وتكنولوجي كبير في معظم مناحي الحياة يتطلب قارئاً سريعاً فاهماً لما يحدث من حوله، وحتى يتمكن من الاتصال بالثقافات المتنوعة، ويستوعب معارفها المختلفة .

ولن يتحقق هذا لدى طلابنا إلا بتنمية هذه المهارات والكشف عنها، كما جاء هذا البحث وفقاً لمطالب بحثية قام بها مركز البحوث والتطوير التربوي، إذ احتل هذا الموضوع الترتيب العاشر بين قائمة ترتيب الاحتياجات البحثية ذات الأولوية المكونة من أربعة عشر موضوعاً [2]

من خلال ما سبق سيحاول البحث الحالي الكشف عن مهارات الفهم القرائي عن طريق السؤال الرئيس الآتي:

ما مدى تمكن طلبة الصف الثاني الثانوي من مهارات الفهم القرائي في الجمهورية اليمنية ؟

ويتفرع من السؤال السابق الأسئلة الفرعية الآتية:

١ - ما مهارات الفهم القرائي اللازمة لطلبة الصف الثاني الثانوي ؟

٢ - ما الأهمية النسبية لكل مهارة من تلك المهارات من وجهة نظر الموجهين والمدرسين ؟

٣ - ما أثر متغير الجنس (بنين – بنات) في مستوى تمكن الطلبة من مهارات الفهم القرائي ككل ، وكل مهارة على حده؟

---

(١) الناقة كامل محمود(٢٠٠٠): تعليم اللغة العربية في المراحل الابتدائية أسسه وتطبيقاته، الجزء الثاني، مصر، جامعة عين شمس، ص٢٠ .

(٢) المسوري محمد، وآخرون(٢٠٠٣):" أولويات البحث التربوي كما يراها القادة التربويون في الجمهورية اليمنية" صنعاء، مركز البحوث والتطوير التربوي ، ص٥٨ .

ثالثًا: فروض البحث:

١ - مستوى تمكن طلبة الصف الثاني الثانوي لمهارات الفهم القرائي أقل من مستوى التمكن المعتمد في البحث الحالي وهو (٨٠٪) من الدرجة العظمى في ضوء الاختبار المعد.

٢ - لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات طلبة الصف الثاني الثانوي في التمكن من مهارات الفهم القرائي تعزى إلى متغير الجنس (بنين – بنات)

رابعًا: أهمية البحث:

تتمحور أهمية البحث بالاتي:

يعد هذا البحث من البحوث النادرة والقليلة التي تناولت مهارات الفهم القرائي لطلبة الصف الثاني الثانوي في الجمهورية اليمنية، ويتوقع أن يفيد في تقديم قائمة بمهارات الفهم القرائي تستفيد منها الجهات الآتية:

١ - مدرسو اللغة العربية ليتمكنوا من تنمية مهارات الفهم القرائي لدى طلبة الصف الثاني الثانوي.

٢ - موجهو اللغة العربية لمتابعة، وتقويم مدرسي اللغة العربية في تدريسهم لمهارات الفهم القرائي .

٣ - مؤسسات إعداد معلم اللغة العربية لتزويدهم بهذه المهارات .

خامسًا: حدود البحث:

طلاب وطالبات الصف الثاني الثانوي بالمدارس الحكومية التابعة لأمانة العاصمة صنعاء .

سادسًا: مصطلحات البحث:

أولا: التمكن:

يعني القدرة والسيطرة على الشيء، والظفر به [(١)]

والتمكن: هو الكفاءة في الوصول لمستوى محدد من الأداء بمهارة معينة أو معرفة محددة. [(٢)]

التعريف النظري للباحث: قدرة الطالب على أداء مهارات الفهم القرائي من خلال اختبار تحصيلي يقيس قدرات الطلبة لهذه المهارات.

ثانيًا: المهارة:

تُعرف بأنها الحذق في الشيء والإجادة فيه [(٣)]

---

(١) ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ج١٣، دار صادر، ص٤١٢ .

(٢) العيسوي جمال مصطفى، موسى محمد محمود(٢٠٠٣):" مدى تمكن طالبات كلية التربية جامعة الإمارات العربية المتحدة بعض مهارات الاتصال اللغوي الشفهي" مجلة القراءة والمعرفة، العدد،(٢٨) ص٤٠.

(١) الفيروزأبادي مجد الدين(١٩٨٣): القاموس المحيط، ج٣، بيروت، دار الفكر العربي ، ص١٣٧ .

ويتفق كلا من (اللقاني، والجمل، وصالح، وشحاته،)[1] بأنها السلوك الذي يؤدى بدرجة عالية من الإتقان والأداء السريع أداءً سهلاً دقيقاً قائماً على ما يتعلمه الإنسان حركياً وعقلياً، مع توفير الوقت، والجهد والتكاليف.

ويقصد بالمهارة في البحث الحالي: قدرة عينة البحث في التمكن من مهارات الفهم القرائي، وتقاس مهارات الفهم القرائي في هذا البحث باختبار صادق صمم لهذه الغاية .

ثالثًا: الفهم:

يعرف علماء اللغة الفهم بأنه: معرفتك الشيء بالقلب فيقال: فَهِمه – فَهْمَا – وفَهَمَا، ويقال: فهمت الشيء – عقلته وعرفته ويقال رجل حكيم – سريع الفهم [2]

الفهم القرائي اصطلاحاً:

يقصد بالفهم القرائي اصطلاحا: عملية نشطة تتضمن تفسير القارئ للمادة المقروءة، واستنتاج أفكار، ومعاني ومبادئ منها، والتفاعل معها في ضوء خلفيته المعرفية' وقراءاته السابقة، إنه عملية تفاعل ديناميكي حيوي بين القارئ والمقروء.

تعريف الفهم القرائي إجرائيا : "بأنه عملية استخلاص المعنى من المادة المقروءة لخدمة فهم النص المقروء".

سابعًا: الإطار النظري:

أولاً: مفهوم الفهم القرائي:

يعد الفهم القرائي من أهم مهارات القراءة، فالقراءة الحقيقية هي القراءة المقترنة بالفهم، فإذا كانت القراءة عملية معقدة تتضمن عدة عمليات فرعية فإن الفهم العملية الكبرى التي تتمحور حولها كل العمليات الأخرى، فلانطلاق والبطء في القراءة يتوقف على فهم القارئ لما يقرأ، بل إن الفهم عامل أساس في السيطرة على فنون اللغة كلها [3] ويقترب هاريس وسيباي[1] حين أكدوا على أن الفهم هو القراءة بكل ما

---

(١) انظر كلاً من:

- اللقاني أحمد حسين، الجمل علي(١٩٩٦): معجم المصطلحات التربوية والمعرفية في المناهج وطرق التدريس، القاهرة ، دار الفكر العربي. ط١.
- صالح محمد سمك(١٩٩٢): فن التدريس للتربية اللغوية وانطباعاتها المسلكية وأنماطها العملية، القاهرة، دار الفكر العربي الحديث.
- شحاته حسن(١٩٨١): تطوير مهارات القراءة الجهرية في مراحل التعليم العام في مصر، رسالة دكتوراه، (غير منشورة) كلية التربية، جامعة عين شمس.

(٢) ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم: مرجع سابق، ج١٣، دار صادر، ص ١١٤١ .

(١) موسى إسماعيل مصطفى(٢٠٠١):" أثر إستراتيجية ما وراء المعرفة في تحسين أنماط الفهم القرائي والوعي بما وراء المعرفة وإنتاج الأسئلة لدى تلاميذ مرحلة التعليم الإعدادية " المؤتمر العلمي الأول للجمعية المصرية للقراءة والمعرفة ١١ -١٢ يوليو ص ص ٦٩ -١١١.

فيها من عمليات، وتفسير معاني اللغة المكتوبة بناءً على عملية تفاعلية بين تصور القارئ للرموز المكتوبة التي تمثل اللغة، وبين معرفة القارئ السابقة عن العالم الخارجي، ويؤكد هذا التعريف أنه بمجرد فهم القارئ للرموز المكتوبة، فإنه يستطيع التفكير بصورة نقدية في المعلومات المتضمنة في النص المكتوب.

ويرى مجاور[٢] أن الفهم القرائي: يعني عمليات التفكير التي تحاول فك الرموز المكتوبة، وهذه العمليات تبدأ بشرح، وتفسير الرموز المكتوبة، وإدراك وتصور المعنى، ثم استيعاب الأفكار التي يعرضها الكاتب، والانتهاء من كل ذلك إلى ما يسمى بالقراءة الناقدة والإبداعية.

وهذا يدل على أن الفهم عملية نشطة تتضمن تفسير القارئ للمادة المقروءة، واستنتاج أفكار، وتحليلها، وتنظيم المعاني المتضمنة في النص المقروء، والانتهاء من ذلك بمعرفة الفكرة العامة للموضوع المقروء.[٣]

من خلال ما سبق يتضح أن الفهم القرائي:

١ - عملية مركبة تشمل العديد من العمليات تبدأ بفك الرموز، وتنتهي بالإبداع

٢ - الفهم القرائي: يقوم على الربط بين خبرة الفرد السابقة، والمعلومات المتضمنة في موضوع القراءة.

٣ - الفهم القرائي: يشمل العديد من المهارات مثل، فهم الأفكار العامة، وفهم التفاصيل، وفهم الغرض من القراءة، ورأي القارئ في النص المقروء ، وتحليله له، وتنظيم المعاني المتضمنة في النص المقروء، وتقويم المقروء.

ثانيًا: عمليات الفهم القرائي:

يرى Berfetti.charles [٤] أن الفهم القرائي يقوم على أساس نوعين من العمليات:

١ - العمليات الموضوعية الداخلية للعقل: وتعني العمليات التي تنشئ معاني تمهيدية من النص، وتشتمل على تشفير معاني الكلمات، ودمج وتكامل المعلومات والاستدلال عليها، وهذه العمليات مرتبطة بخبرة الفرد السابقة .

٢ - عمليات نمذجة النص: وتشمل هذه العملية على تركيب النص وبنائه، وهي مرتبطة بالمعلومات الجديدة التي يريد الكاتب إكسابها للقارئ.

---

(٢)Albert harris& Edward R.sipy: how to increase reaing ability: A guide to developmental and remedial methods.8ed . London: Longman , p445 .

(٣) مجاور محمد صلاح الدين(١٩٨٣): تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية، أسسه وتطبيقاته التربوية، مصر، دار المعارف.

(٤) مصطفى محمد عبد الرحمن هدى(٢٠٠٣): "استراتيجيات الفهم القرائي لدى طلاب الجامعة وعلاقتها باهتماماتهم القرائية"، المؤتمر العلمي الثالث، للقراءة والمعرفة، القراءة وبناء الإنسان ص ١٣٢ -١٤٣.

(١) Berfetti.charles: reading ability oxford:oxford university press.(1985)pp33-35 .

ويحدث الفهم نتيجة التفاعل بين العمليات الموضوعية لعقل القارئ، وعمليات الكاتب الخاصة بنمذجة النص .

ويرى Rebecca barr وMarilyn sadow [1] أن الفهم القرائي يقوم على ثلاث عمليات هي:

١ - التكامل: ويعني ربط القارئ لأفكار النص ليكون النص أكثر تماسكاً وذا معنى، وهذه العملية تمكن القارئ من تخزين المعلومات والأفكار بصورة متكاملة.

٢ - الاستدلال: ويعني إقامة علاقات بين مكونات النص .

٣ - التنظيم : يتضمن تنظيم المعلومات في صورة جمل، وفقرات، وموضوعات متكاملة، وهذا التنظيم يبنى ويتم عن طريق ما يسمى بالأطر الداخلية للعقل والمخطط العقلي .

ثالثًا: مهارات الفهم القرائي:

حاول كثير من المتخصصين تصنيف مهارات الفهم القرائي، ومن الذين صنفوا مهارات الفهم القرائي [٢] الذي حدد مهارات الفهم القرائي على النحو الآتي:

١ - تحديد معاني الكلمات من المفردات .

٢ - تحديد معاني الكلمات من السياق.

٣ - استنتاج نظام بناء الجملة .

٤ - تحديد هدف الكاتب واتجاهه.

٥ - استنتاج دلالات المحتوى .

٦ - تحديد أساليب الكاتب الأدبية.

ويتفق (خلف وطعيمه وحبيب الله)[٣] في تحديد مهارات الفهم القرائي كالآتي:

---

(٢) Rebecca barr and Marilyn sadow: reading & diagnosis for teacher.London: Longman(1982) pp118-125 .

(٣) Fredeick B. davis psychometric of research comprehension in reading research quarterly. Vll/4(1972).

(١) أنظر كلاً من : -

- خلف حسن محمد(٢٠٠٦): " وحدة مقترحة في أدب الأطفال وأثرها في تنمية بعض مهارات الفهم القرائي لدى تلاميذ الصف الخامس بالمرحلة الابتدائية" المؤتمر العلمي السادس للجمعية المصرية للقراءة والمعرفة من حق كل طفل أن يكون قارئاً متميزاً جامعة عين شمس، ١٢ -١٣ يوليو.
- طعيمة رشدي أحمد، مناع محمد السيد(٢٠٠١): تدريس اللغة العربية في التعليم العام نظريات وتجارب، القاهرة، دار الفكر العربي.
- حبيب الله محمد(٢٠٠٠): أسس القراءة وفهم المقروء بين النظرية والتطبيق المدخل إلى تطوير مهارات الفهم والتفكير والتعلم، عمان، الأردن، دار عمار.

١ - القدرة على القراءة في وحدات فكرية .

٢ - القدرة على إعطاء الرمز معناه .

٣ - القدرة على التوصل إلى معاني الكلمات .

٤ - القدرة على تحديد الأفكار الرئيسة .

٥ - القدرة على تتبع التعليمات .

٦ - القدرة على التنبؤ بالنتائج .

٧ - القدرة على الاستنتاج .

٨ - القدرة على معرفة التفاصيل والحقائق.

٩ - القدرة على الاحتفاظ بالأفكار.

رابعاً: مستويات الفهم القرائي:

قسم(هاريس و سميث)[١] مستويات الفهم القرائي إلى أربعة مستويات هي:

١ - المستوى الحرفي: ويشير إلى قدرة القارئ على تذكر المعلومات والحوادث التفصيلية في المادة المقروءة

٢ - المستوى التفسيري: إدراك القارئ للعلاقات بين الأسباب والنتائج .

٣ - المستوى النقدي: يعني قدرة القارئ على إصدار أحكام على المادة المقروءة.

٤ - المستوى الإبداعي: قدرة القارئ على الاستفادة من الآراء الواردة في المادة المقروءة.

وقسم (بروك وكريمر Broek & Kremer)[٢] مستويات الفهم القرائي إلى ثلاثة مستويات هي:

١ - الفهم الحرفي الظاهري.

٢ - الفهم الاستنتاجي التفسيري.

٣ - الفهم النقدي التطبيقي.

---

(٢) Harries and smith : reading instructions through diagnose tic teaching new yourk: holt. Rinehart. And winiversity(1972).

(١) Broek. P.v.d & Kermer. K.E. the mind in action: what it means to comprehend during . In B.M toylor .M.E. Grves . & 8 p.v.d. borek(Eds).

ثامناً: الدراسات السابقة:

أجرى الزهراني ([1]) دراسة بعنوان "قياس مهارات الفهم في القراءة لدى تلاميذ الصف الرابع والخامس والسادس من المرحلة الابتدائية بالمملكة العربية السعودية " هدفت إلى بناء اختبار مهارات الفهم في القراءة الصامتة لدى تلاميذ الصف الرابع و الخامس والسادس، ولتحقيق أهداف الدراسة قام الباحث ببناء اختبار مهارات الفهم في القراءة الصامتة تم تطبيقه على عينة الدراسة المكونة من(٧٥٠) تلميذاً، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها.

ضعف الطلبة في مهارات الفهم في القراءة تسلسلاً من الصف الرابع، والخامس، والسادس.

وقام جاب الله (٣) بدراسة بعنوان " برنامج لتنمية بعض مهارات الفهم القرائي لدى طلاب الصف الثاني الثانوي " حيث هدفت الدراسة إلى بناء برنامج لتنمية بعض مهارات الفهم القرائي، ولتحقيق أهداف الدراسة أعد الباحث اختبار موضوعي لقياس مستوى الطلاب في مهارات الفهم القرائي، وقد تكونت عينة الدراسة من (١٢٠) طالب وطالبة .

وتوصلت الدراسة إلى أهم النتائج منها:

وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في اختبار مهارات الفهم القرائي لصالح المجموعة التجريبية.

في حين قام عبيد([2]) بدراسة هدفت إلى تقويم أسئلة كتب القراءة المقررة على تلاميذ المرحلة الإعدادية بدولة الإمارات العربية في ضوء مهارات الفهم القرائي ومستوياته .

ولتحقيق أهداف الدراسة أعد الباحث قائمة بمهارات الفهم القرائي اللازمة لتلاميذ المرحلة الإعدادية التي ينبغي أن تعالجها كتب القراءة، والأسئلة الصفية للمعلمين.

ثم خرجت الدراسة بأهم النتائج منها:

أن كتب القراءة لم تعالج مستويات الفهم الاستنتاجي، والنقدي والإبداعي بشكل يتناسب مع الأهمية التي أعطيت له في المعيار.

كما أجرى عبد السيد [2] دراسة هدفت إلى قياس أثر استخدام استراتيجيتين من استراتيجيات التعلم التعاوني في تنمية الفهم في القراءة لدى طلاب شعبة اللغة الانجليزية المستوى الأول بكلية التربية في جامعة الأزهر ولتحقيق أهداف الدراسة أعد الباحث قائمة ببعض مهارات الفهم القرائي، ثم اختبار مهارات الفهم،

---

(2) الزهراني متعب محمد(١٩٩٤): بناء اختبار مهارات الفهم في القراءة الصامتة لدى تلاميذ الصفوف الثلاثة الأخيرة من المرحلة الابتدائية بالمملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير(غير منشورة) كلية التربية، جامعة أم القرى.

[1] عبيد محمد عبيد(١٩٩٦): تقويم أسئلة تعليم القراءة في ضوء مهارات الفهم ومستوياته في المرحلة الإعدادية بدولة الإمارات العربية المتحدة، رسالة (غير منشورة) كلية التربية، جامعة عين شمس.

وبرنامجاً متضمناً مهارات الفهم القرائي، وبلغت عينة الدراسة ٢٠ طالباً اختيروا بطريقة عشوائية من طلاب السنة الأولى بشعبة اللغة الانجليزية، وتوصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الفهم القرائي بين متوسطي درجات مجموعة دوائر التعلم وطلاب مجموعة تقسيم الطلاب إلى مجموعات بحسب تحصيلهم .

وهدفت دراسة عبد الرحمن [1] إلى معرفة استراتيجيات الفهم القرائي التي يمارسها طلاب كلية التربية المستوى الثالث (علمي – أدبي) بسوهاج والاهتمامات القرائية لديهم من خلال أربع استراتيجيات للفهم هي: استراتيجية فك الرموز، واستراتيجية الاستنتاج، واستراتيجية النقد، واستراتيجية الإبداع، وقد حققت الدراسة أهدافها من خلال استبانه للكشف عن استراتيجيات الفهم القرائي، والاهتمامات القرائية لدى طلاب الجامعة، وتكونت عينة الدراسة من (٣٣٠) طالباً وطالبةً .

خرجت الدراسة ببعض النتائج أهمها:

توجد فروق دالة إحصائيا بين طلاب الشعب الأدبية وطلاب الشعب العلمية في جميع الاهتمامات القرائية التي تضمنها البحث لصالح الشعب العلمية .

في حين أجرى العليان([2]) دراسة هدفت إلى قياس الفهم في القراءة الجهرية والصامتة لدى تلاميذ الصف السادس في السعودية بمدينة الرياض.

ولتحقيق أهداف الدراسة تم إعداد اختبار من نوع الاختيار من متعدد يقيس مهارات الفهم الحرفي، ومهارات الفهم ألاستنتاجي، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات طلبة الصف الرابع في اختباري القراءة الجهرية والقراءة الصامتة لصالح القراءة الجهرية، ويؤكد هذا على أن القراءة الجهرية بالنسبة لهم كانت ذات أثر وفعالية أكبر من القراءة الصامتة في الفهم والاستيعاب.
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات طلبة الصف الرابع، ودرجات طلبة الصف السادس في اختبار القراءة الجهرية، وذلك لصالح طلبة الصف الرابع.

([3]) عبد الرحمن هدى مصطفى محمد(٢٠٠٣): "استراتيجيات الفهم القرائي لدى طلاب الجامعة وعلاقتها باهتماماتهم القرائية " المؤتمر العلمي الثالث، للقراءة والمعرفة، القراءة وبناء الإنسان، ٩ – ١٠ ص ص ٢١٨ - ٢٤١.

(١) العليان فهد بن علي(٢٠٠٦): الفهم بين القراءة الجهرية والقراءة الصامتة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، مجلة القراءة والمعرفة، كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد(٢٥) ص ص ٩٤ -١٢٨.

تاسعًا: إجراءات الدراسة الميدانية:

أولاً: منهج البحث:

استخدم هذا البحث المنهج البحث الوصفي التحليلي والذي يقصد به" دراسة وتحليل الارتباط بين المتغيرات في إطار الظاهرة أو موضوع البحث" [1] بهدف التعرف على مهارات الفهم القرائي اللازمة لطلبة الصف الثاني الثانوي، و الظواهر الجارية، عن طريق جمع المعلومات وتحليلها وتفسيرها، والوصول إلى النتائج العلمية حيث أن هذا المنهج أفضل المناهج تناسباً مع فرضيات البحث الحالي وأهدافه والإجابة على تساؤلاته.

ثانيًا: مجتمع البحث و عينته:

تكون مجتمع البحث من طلبة الصف الثاني الثانوي بقسميه (العلمي / أدبي) بالمدارس الحكومية التابعة لمكتب التربية والتعليم بأمانة العاصمة، وبعد تحديد مجتمع البحث تم اختيار عينة البحث بطريقة عشوائية طبقية، وذلك بسحب (٥) مناطق تعليمية وبنسبة ٥٠٪ من المناطق التعليمية العشر.

جدول رقم (١) يوضح المناطق التعليمية المختارة والمدارس التي مثلت عينة البحث

م	المناطق التعليمية	مدارس الذكور	مدارس الإناث
١ -	الثورة	شهداء الفرقة	فاطمة الزهراء
٢ -	شعوب	عمر المختار	سالم الفقيه
٣ -	التحرير	جمال عبد الناصر	بلقيس
٤ -	معين	هائل سعيد	الرسالة
٥	الوحدة	أبو بكر الصديق	خولة بنت الأزور
المجموع الكلي		٥	٥

بعد ذلك حدد الباحث عينه بحثه المكونة من (٧٥٠) طالباً وطالبةً موزعين على حسب التخصص (علمي/ أدبي)، وحسب الجنس (بنين / بنات) كما يوضح الجدولين التاليين.

(٢) النوح، مساعد بن عبدالله (٢٠٠٤) : مناهج البحث التربوي، الطبعة الأولى ، الرياض، ص١٦٦ -١٦٧ .

جدول (٢) يوضح أعداد الطلبة عينة البحث حسب التخصص.

التخصص	العدد	النسبة
علمي	٣٥٤	٤٧,٢٪
أدبي	٣٩٦	٥٢,٨٪
المجموع	٧٥٠	١٠٠٪

جدول (٣) يوضح أعداد الطلبة حسب الجنس (ذكور/ إناث).

الجنس	العدد	النسبة
إناث	٤٢١	٥٦,١٪
ذكور	٣٢٩	٤٣,٩٪
المجموع	٧٥٠	١٠٠٪

ثالثًا: أداة الدراسة

أعد الباحث قائمة بمهارات الفهم القرائي بعد الرجوع إلى الأدب التربوي والدراسات السابقة لمهارات الفهم القرائي كدراسة (الجرف، والكخن، و عبيد، ورياض وقاسم ، وعبد الحميد، والسليمان، وإسماعيل)[١] حيث خلص الباحث إلى قائمة بمهارات الفهم القرائي تكونت في صورتها الأولية من (٥٢) مهارة، وقد تحقق الباحث من الصدق الظاهري لأداة البحث من خلال عرضها على (٢٠) محكماً من أعضاء هيئة التدريس في كلية

[١]) انظر كلاً من: -

- الجرف ريما(١٩٨٩): " تصنيف أسئلة الفهم في كتب القراءة في المملكة العربية السعودية" مركز البحوث التربوية، جامعة الملك سعود كلية التربية، ص٧٨ –ص٩٨.
- الكخن أمين علي(١٩٨٩): "الفهم في القراءة الصامتة لدى طلبة الصف الثالث الإعدادي في الأردن"، مجلة دراسات علمية، الجامعة الأردنية، ص ص ٢٥ – ٥٠.
- عبيد محمد عبيد(١٩٩٦): تقويم أسئلة تعليم القراءة في ضوء مهارات الفهم ومستوياته في المرحلة الإعدادية بدولة الإمارات العربية المتحدة، مرجع سابق.
- رياض محمد، قاسم جابر أحمد(٢٠٠٠): تحسين مهارة التعرف وأثره على الفهم القرائي لدى التلاميذ منخفضي التحصيل في القراءة، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط.
- عبد الحميد عبدالله عبد الحميد(٢٠٠٠): فعالية استراتيجيات معرفية معينة في تنمية بعض المهارات العليا للفهم في القراءة لدى طلبة الصف الأول الثانوي، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، مجلة القراءة والمعرفة، كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد(٢)ص ص ١١١ –١٣٧.

التربية جامعة صنعاء، وطلب منهم تحكيم فقرات القائمة من حيث سلامة الصياغة اللغوية مناسبتها لطلبة الصف الثاني الثانوي ارتباط تلك المهارات بالفهم القرائي، وقد أخذ الباحث بملاحظات المحكمين، ثم تم إجراء التعديلات المناسبة على المهارات لتتخذ شكلها النهائي بـ (٤١) مهارة للفهم القرائي بعد ذلك تم تحويل القائمة إلى استبانه، وتم تطبيقها على عينة من معلمي اللغة العربية وموجهيها بالمرحلة الثانوية ممن لا تقل خبرتهم عن عشر سنوات بأمانة العاصمة صنعاء، حيث بلغ عددهم (٦٠) معلماً وموجهاً (٣٠) معلم، و(٣٠) موجه لتحديد الوزن النسبي لكل مهارة، ونظراً لصعوبة قياس جميع مهارات الفهم القرائي البالغ عددها (٤١) مهارة اكتفت الدراسة بالمهارات التي حصلت على وزن نسبي (٣٪) فأكثر وبذلك خرج البحث بخمس عشرة مهارة، وبناءً على ضوء المهارات أعد الباحث اختبار مهارات الفهم القرائي، وللتحقق من الصدق الظاهري للاختبار، تم عرض الاختبار على عدد من المحكمين لغرض الاطمئنان إلى أن الاختبار يقيس ما وضع لقياسه، وفي ضوء ملاحظات ومقترحات السادة المحكمين، تم إجراء التعديلات اللازمة للاختبار، وبذلك تم التأكد من الصدق الظاهري للاختبار، وبعد الصدق الظاهري للاختبار قام الباحث بحساب صدق مفردات الاختبار عن طريق حساب معامل ارتباط المفردة مع الدرجة الكلية، وذلك بتطبيق الاختبار على عينة استطلاعية من طلبة الصف الثاني الثانوي بمدرسة خالد بن الوليد للبنين بأمانة العاصمة صنعاء بلغ عددهم (٥٠) طالباً، وبعد مضي أسبوعين تم إعادة الاختبار على نفس أفراد العينة الاستطلاعية، وتم استخراج معامل الثبات باستخدام معادلة سبيرمان براون حيث بلغ معامل الثبات الكلي للاختبار(٠,٩٣) وهو معامل ثبات مرتفع، ومناسب لأغراض الدراسة الحالية .

رابعًا: الأساليب الإحصائية المستخدمة:

استخدم البحث الأساليب الإحصائية المتمثلة في:

المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والنسب المئوية، واختبار (T- test)

خامسًا: نتائج الدراسة ومناقشتها:

تضمنت هذه الجزئية عرضاً شاملاً للنتائج التي أسفر عنها البحث مع عرض لأهم الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث، ومن ثم التوصيات والمقترحات التي خرجت بها الدراسة الحالية، وسيتم عرض النتائج بناءً على أسئلة الدراسة.

للإجابة على السؤال الأول من أسئلة الدراسة والذي ينص على. (ما مهارات الفهم القرائي اللازمة لطلبة الصف الثاني الثانوي؟)

تم استخلاص قائمة أولية بمهارات الفهم القرائي مكونة من (٥٢) مهارة، وقد قام الباحث بعرضها على مجموعة من المحكمين للتأكد من صدقها، ومناسبتها لطلبة الصف الثاني الثانوي، وبناء على أراء المحكمين تم تعديل القائمة وإخراجها في صورتها النهائية متضمنة (٤١) مهارة.

وذلك كما هو موضح في الجدول الآتي:

جدول رقم (٤) مهارات الفهم القرائي اللازمة لطلبه الصف الثاني الثانوي :-

مهارات الفهم القرائي اللازمة لطلبة الصف الثاني الثانوي
يذكر حقيقة محددة وردت في النص المقروء.
يذكر الأعداد الواردة في النص المقروء .
يذكر الشخصيات الواردة في النص المقروء.
يذكر الأماكن الواردة في النص المقروء.
يكتب مرادف بعض الألفاظ الواردة في النص المقروء.
يحدد أضداد بعض الألفاظ الواردة في النص المقروء.
يحدد الجمل الافتتاحية في النص المقروء.
يميز بين المفرد والمثنى والجمع في النص المقروء.
يضبط المفردة ضبطاً صحيحاً يساعد على فهم معناها.
يضع عنواناً جديداً للنص المقروء.
يرتب الأفكار حسب ظهورها في النص المقروء.
يحدد الفكرة العامة في النص المقروء.
يحدد الفكرة الفرعية في النص المقروء.
يصنف الأفكار والأحداث في مجموعات متجانسة
يستخلص المعنى الضمني الذي لم يصرح به الكاتب.
يحدد التنظيم الذي اتبعه الكاتب في بناء النص المقروء.
يستدل على قضية معينة بما يدل عليها من كلمات في النص المقروء.
يفسر معنى كلمة وردت في القطعة باستخدام السياق.
يستنبط العبر أو الدروس المتضمنة في النص المقروء.
يحدد الأسباب لموقف ورد في النص المقروء.
يفرق بين التعبيرات الدالة على الزمن.
يستنتج الصفات المميزة للشخصيات الواردة في النص المقروء
يفسر دلالة بعض علامات الترقيم.
يستنتج مما يقرأ تعميماً يمكن تطبيقه على ظاهرة جديدة.
يستنتج دروساً جديدةً تتصل بحياته المستقبلية مما قرأ.
يقترح حلاً لتحسين ظاهرة وردت في النص المقروء.
يحل مشكلة عامة أو خاصة باستخدام النص المقروء.
يحدد سبباً جوهرياً لحدوث قضية جديدة لم ترد في النص المقروء.

يحدد وجهة نظر الكاتب.
يميز بين الحقيقة والرأي في النص المقروء.
يحدد موقفه بإبداء رأيه في النص المقروء.
يحدد الصواب أو الخطأ لموقف الكاتب من النص المقروء.
يصدر حكماً على موقف ورد في النص المقروء.
يستخلص الحالة الشعورية المتضمنة في النص المقروء.
يدرك مظاهر الموسيقى الداخلية في النص المقروء.
يبيّن صدق العاطفة في النص المقروء.
يمسرح النص المقروء ويمثله.
ينتقي من النص المقروء الشخصيات التي يميل إليها القارئ.
يرتب الأفكار في النص المقروء ترتيباً جديداً.
يتنبأ بالأحداث وحبكة الموضوع في النص المقروء.
يدعم القضية التي عالجها الكاتب بالشواهد أو الأدلة.

وبذلك تمت الإجابة على السؤال الأول بتحديد مهارات الفهم القرائي اللازمة لطلبه الصف الثاني الثانوي .

بالنسبة للإجابة عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة والذي نصه. (ما الأهمية النسبية لكل مهارة من تلك المهارات من وجهة نظر الموجهين والمدرسين؟)

فقد تمت الإجابة من خلال تحويل القائمة إلى استبانه وتم تطبيقها على (٣٠) معلم و (٣٠) موجه لمادة اللغة العربية للمرحلة الثانوية، وذلك لإيجاد الوزن النسبي والأهمية النسبية لكل مهارة من مهارات الفهم القرائي.

والجدول رقم (٥) يوضح ذلك.

المهارات	أراء العاملين في ميدان التعليم في المدارس من المعلمين والموجهين (٦٠) محكما								
	التكرار بدرجة كبيرة	النسبة	التكرار بدرجة متوسطة	النسبة	التكرار بدرجة قليلة	النسبة	التكرار بدرجة غير مهمة	النسبة	الوزن النسبي للأهمية
يذكر حقيقة محددة وردت في النص المقروء	٤٤	٪٧٤	١٢	٪٢٠	٢	٪٣	٢	٪٣	٣,٦٣
يذكر	١٢	٪٢٠	٢٤	٪٤٠	٢٠	٪٣٣	٤	٪٧	٢,٧٣

المهارات	أراء العاملين في ميدان التعليم في المدارس من المعلمين والموجهين (٦٠) محكما								
	التكرار بدرجة كبيرة	النسبة	التكرار بدرجة متوسطة	النسبة	التكرار بدرجة قليلة	النسبة	التكرار بدرجة غير مهمة	النسبة	الوزن النسبي للأهمية
الأعداد الواردة في النص المقروء									
يذكر الشخصيات الواردة في النص المقروء	١٤	٪٢٣	٢٢	٪٣٧	١٩	٪٣٢	٥	٪٨	٢,٧٥
يحدد الأماكن الواردة في النص المقروء	١٦	٪٢٧	١٣	٪٢٢	٢٦	٪٤٣	٥	٪٨	٢,٦٦
يكتب مرادف بعض الألفاظ الواردة في النص المقروء	٤٠	٪٦٦	١٣	٪٢٢	٦	٪١٠	١	٪٢	٣,٥٣
يحدد أضداد بعض الألفاظ الواردة في النص المقروء	١٥	٪٢٥	١٦	٪٢٧	١٩	٪٣١	١٠	٪١٧	٢,٦
يحدد الجمل الافتتاحية في النص المقروء	٢٠	٪٣٣	٨	٪١٣	١٨	٪٣٠	١٤	٪٢٣	٢,٥٦
يميز بين المفرد والمثنى و الجمع في النص المقروء	١٦	٪٢٧	٢٠	٪٣٣	١٣	٪٢٢	١١	٪١٨	٢,٦٨
يضبط المفردة ضبطا	١٨	٪٣٠	١٥	٪٢٥	١٣	٪٢٢	١٤	٪٢٣	٢,٥٨

المهارات	أراء العاملين في ميدان التعليم في المدارس من المعلمين والموجهين (٦٠) محكما								
	التكرار بدرجة كبيرة	النسبة	التكرار بدرجة متوسطة	النسبة	التكرار بدرجة قليلة	النسبة	التكرار بدرجة غير مهمة	النسبة	الوزن النسبي للأهمية
صحيحا يساعد على فهم معناها									
يضع عنواناً جديداً للنص المقروء	٤٢	٧٠٪	١٠	١٧٪	٥	٨٪	٣	٥٪	٣,٥١
يرتب الأفكار حسب ظهورها في النص المقروء	٣٠	٥٠٪	٢٤	٤٠٪	٣	٥٪	٣	٥٪	٣,٣٥
يحدد الفكرة العامة في النص المقروء	٣٨	٦٣٪	١٠	١٧٪	١١	١٨٪	١	٢٪	٣,٤١
يحدد الفكرة الفرعية في النص المقروء	٣٦	٦٠٪	١٤	٢٣٪	٧	١٢٪	٣	٥٪	٣,٣٨
يصنف الأفكار والأحداث في مجموعات متجانسة .	١٠	١٧٪	١٤	٢٣٪	١٨	٣٠٪	١٨	٣٠٪	٢,٢٦
يستخلص المعنى الضمني الذي لم يصرح به الكاتب .	٣٨	٦٣٪	١٥	٢٥٪	٤	٧٪	٣	٥٪	٣,٤٦
يحدد التنظيم الذي اتبعه الكاتب في بناء النص المقروء.	١٨	٣٠٪	١٩	٣٢٪	٨	١٣٪	١٥	٢٥٪	٢,٦
يستدل على قضية معينة	١٦	٢٧٪	١١	١٨٪	٢٢	٣٧٪	١١	١٨٪	٢,٥١

المهارات	أراء العاملين في ميدان التعليم في المدارس من المعلمين والموجهين (٦٠) محكما								
	التكرار بدرجة كبيرة	النسبة	التكرار بدرجة متوسطة	النسبة	التكرار بدرجة قليلة	النسبة	التكرار بدرجة غير مهمة	النسبة	الوزن النسبي للأهمية
بما يدل عليها من كلمات في النص المقروء.									
يفسر معنى كلمة وردت في القطعة باستخدام السياق.	٣٥	٥٨٪	١٣	٢٢٪	١١	١٨٪	١	٢٪	٣,٣٦
يستنبط العبر أو الدروس المتضمنة في النص المقروء.	٢٥	٤٢٪	٢٢	٣٧٪	٩	١٥٪	٤	٧٪	٣,١٣
يحدد الأسباب لموقف ورد في النص المقروء.	١١	١٨٪	١٩	٣٢٪	٢٢	٢٧٪	٨	١٣٪	٢,٥٥
يفرق بين التعبيرات الدالة على الزمن.	٢٢	٣٧٪	٩	١٥٪	١٥	٢٥٪	١٤	٢٣٪	٢,٦٥
يستنتج الصفات المميزة للشخصيات الواردة في النص المقروء.	١٤	٢٣٪	٢٧	٤٥٪	٧	١٢٪	١٢	٢٠٪	٢,٧١
يفسر دلالة بعض علامات الترقيم.	٢٠	٣٣٪	٨	١٣٪	١٤	٢٣٪	١٨	٣٠٪	٢,٥
يستنتج مما	٣٣	٥٥٪	١٠	١٧٪	٩	١٥٪	٨	١٣٪	٣,١٣

المهارات	أراء العاملين في ميدان التعليم في المدارس من المعلمين والموجهين (٦٠) محكما								
	التكرار بدرجة كبيرة	النسبة	التكرار بدرجة متوسطة	النسبة	التكرار بدرجة قليلة	النسبة	التكرار بدرجة غير مهمة	النسبة	الوزن النسبي للأهمية
يقرأ تعميما يمكن تطبيقه على ظاهرة جديدة.									
يستنتج دروساً جديدة تتصل بحياته المستقبلية مما قرأ.	٢٣	٣٨٪	٥	٨٪	١٠	١٧٪	٢٢	٣٧٪	٢,٨١
يقترح حلا لتحسين ظاهرة وردت في النص المقروء.	١٧	٢٨٪	١٩	٣٢٪	١٦	٢٧٪	٨	١٣٪	٢,٧٥
يحل مشكلة عامة أو خاصة باستخدام النص المقروء.	١٧	٢٨٪	١٩	٣٢٪	١٤	٢٣٪	١٠	١٧٪	٢,٧١
يحدد سبباً جوهرياً لحدوث قضية جديدة لم ترد في النص المقروء.	١٨	٣٠٪	١٨	٣٠٪	١٩	٣٢٪	٥	٨٪	٢,٨١
يحدد وجهة نظر الكاتب.	١٩	٣١٪	١٣	٢٢٪	١٤	٢٣٪	١٤	٢٣٪	٢,٦١
يميز بين الحقيقة والرأي في النص المقروء.	٣٩	٦٥٪	١٢	٢٠٪	٥	٨٪	٤	٧٪	٣,٤٣

المهارات	أراء العاملين في ميدان التعليم في المدارس من المعلمين والموجهين (٦٠) محكما								
	التكرار بدرجة كبيرة	النسبة	التكرار بدرجة متوسطة	النسبة	التكرار بدرجة قليلة	النسبة	التكرار بدرجة غير مهمة	النسبة	الوزن النسبي للأهمية
يحدد موقفه بإبداء رأيه في النص المقروء.	٤٢	٧٠٪	١٢	٢٠٪	٤	٧٪	٢	٣٪	٣,٥٦
يحدد الصواب أو الخطأ لموقف الكاتب في النص المقروء.	٣٠	٥٠٪	١٨	٣٠٪	٧	١٢٪	٥	٨٪	٣,٢٢
يصدر حكما على موقف ورد في النص المقروء.	١٥	٢٥٪	١٧	٢٨٪	٩	١٥٪	١٩	٣٢٪	٢,٦٣
يستخلص الحالة الشعورية في النص المقروء.	١٨	٣٠٪	١٩	٣١٪	١٦	٢٧٪	٧	١٢٪	٢,٨
يدرك مظاهر الموسيقى الداخلية في النص المقروء.	١٤	٢٣٪	١٨	٣٠٪	١٨	٣٠٪	١٠	١٧٪	٢,٦
يبين صدق العاطفة في النص المقروء.	٢٠	٣٣٪	١٠	١٧٪	٨	١٣٪	٢٢	٣٧٪	٢,٥
يمسرح النص المقروء ويمثله.	١٠	١٧٪	٩	١٥٪	٢٣	٣٨٪	١٨	٣٠٪	٢,١٨

المهارات	أراء العاملين في ميدان التعليم في المدارس من المعلمين والموجهين (٦٠) محكما								
	التكرار بدرجة كبيرة	النسبة	التكرار بدرجة متوسطة	النسبة	التكرار بدرجة قليلة	النسبة	التكرار بدرجة غير مهمة	النسبة	الوزن النسبي للأهمية
ينتقي من النص المقروء الشخصيات التي يميل إليها.	١٠	٪١٧	١٤	٪٢٣	١٨	٪٣٠	١٨	٪٣٠	٢,٢٧
يرتب الأفكار في النص المقروء ترتيباً جديداً	١٦	٪٢٦	١١	٪١٨	٢٢	٪٣٧	١١	٪١٨	٢,٥٣
يتنبأ بالأحداث وحبكة الموضوع في النص المقروء.	١٨	٪٣٠	١٣	٪٢٢	١٥	٪٢٥	١٤	٪٢٣	٢,٥٨
يدعم القضية التي عالجها الكاتب بالشواهد أو الأدلة.	٣٢	٪٥٣	١٤	٪٢٣	٧	٪١٢	٧	٪١٢	٣,١٨

في ضوء التحليلات الإحصائية تم أخذ المهارات التي حصلت على وزن نسبي (٣٪) فأكثر وهي كالتالي:

١ - يذكر حقيقة محددة وردت في النص المقروء.

٢ - يحدد موقفه بإبداء رأيه في النص المقروء .

٣ - يكتب مرادف بعض الألفاظ الواردة في النص المقروء.

٤ - يضع عنواناً جديداً للنص المقروء.

٥ - يحدد الفكرة العامة في النص المقروء.

٦ - يستخلص المعني الضمني الذي يصرح به الكاتب.

٧ - يميز بين الحقيقة والرأي في النص المقروء.

٨ - يفسر معنى كلمة وردت في القطعة باستخدام السياق.

٩ - يحدد الصواب أو الخطأ لموقف الكاتب من النص المقروء.

١٠ - يحدد الفكرة العامة في النص المقروء.

١١ -يدعم القطعة التي عالجها الكاتب بالشواهد أو الأدلة.

١٢ -يستنج مما يقرأ تعميماً يمكن تطبيقه على ظاهرة جديدة.

١٣ -يستنبط العبر أو الدروس المتضمنة في النص المقروء.

١٤ -يقترح حلاً لتحسين ظاهرة وردت في النص المقروء.

١٥ -يرتب الأفكار حسب ظهورها في النص المقروء.

وبهذا تمت الإجابة عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة.

للإجابة عن السؤال الثالث من أسئلة الدراسة والذي ينص على. (ما أثر متغير الجنس ذكور إناث في التمكن من مهارات الفهم القرائي ككل وكل مهارة على حدة؟

تمت الإجابة عن هذا السؤال من خلال التحقق من صحة الفرض الذي ينص على:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات طلبة الصف الثاني الثانوي في التمكن من مهارات الفهم القرائي ككل وكل ومهارة على حدة تعزى إلى متغير الجنس (ذكور – إناث).

ولاختبار صحة هذا الفرض تم حساب المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) ودرجة الحرية ومستوى الدلالة لنتائج الاختبار لدى عينة البحث (ذكور – إناث)

كما يوضح ذلك الجدول رقم (٦):

م	البيانات مهارات الفهم القرائي	الجنس	العدد (ن)	المتوسط (م)	الانحراف المعياري (ع)	درجة الحرية (fd)	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
١	يذكر حقيقة محددة وردت في النص المقروء.	ذكور	٣٢٩	٠,٩٨	٠,٨١	٧٤٨	٠,٣٨٠	٠,٧٠٤
		إناث	٤٢١	٠,٩٦	٠,٨٢	٧٤٨		غير دالة
٢	يحدد موقفه بإبداء رأيه في النص المقروء.	ذكور	٣٢٩	١,١٥	٠,٦٨	٧٤٨	– ٠,١٢٣	٠,٩٠٢
		إناث	٤٢١	١,١٥	٠,٦٧	٧٤٨		غير دالة
٣	يكتب مرادف بعض الألفاظ الواردة في النص المقروء.	ذكور	٣٢٩	١,٤٦	٠,٦٣	٧٤٨	– ٠,٦٩٤	٠,٤٨٨
		إناث	٤٢١	١,٤٩	٠,٦٣	٧٤٨		غير دالة
٤	يضع عنوانا جديدا للنص المقروء.	ذكور	٣٢٩	٠,٦١	٠,٦٥	٧٤٨	– ٠,٦٧٩	٠,٤٩٨
		إناث	٤٢١	٠,٦٤	٠,٦٨	٧٤٨		غير دالة
٥	يستخلص المعنى الضمني الذي لم يصرح به الكاتب.	ذكور	٣٢٩	٠,٧١	٠,٧١	٧٤٨	– ٠,٢٥٠	٠,٨٠٣
		إناث	٤٢١	٠,٧٢	٠,٧٢	٧٤٨		غير دالة
٦	يميز بين الحقيقة والرأي في النص المقروء.	ذكور	٣٢٩	١,٥٨	٠,٥٩	٧٤٨	٠,٦١٥	٠,٥٣٩
		إناث	٤٢١	١,٥٥	٠,٥١	٧٤٨		غير دالة
٧	يحدد الفكرة العامة في النص المقروء.	ذكور	٣٢٩	١,٠٧	٠,٧٤	٧٤٨	– ٠,٣٨٩	٠,٦٧٩
		إناث	٤٢١	١,٠٩	٠,٧٣	٧٤٨		غير دالة
٨	يحدد الفكرة الفرعية في	ذكور	٣٢٩	٠,٨٥	٠,٧٤	٧٤٨	– ٠,١٠٥	٠,٩١٦

م	البيانات مهارات الفهم القرائي	الجنس	العدد (ن)	المتوسط (م)	الانحراف المعياري (ع)	درجة الحرية (fd)	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
	النص المقروء.	إناث	٤٢١	٠,٨٦	٠,٧٤	٧٤٨		غير دالة
٩	يفسر معنى كلمة وردت في القطعة باستخدام السياق.	ذكور	٣٢٩	٠,٨٩	٠,٦٠	٧٤٨	٠,٠٩٧ –	٠,٩٢٣ غير دالة
		إناث	٤٢١	٠,٩٠	٠,٥٩	٧٤٨		
١٠	يحدد الصواب أو الخطأ لموقف الكاتب في النص المقروء.	ذكور	٣٢٩	٠,٨٧	٠,٧٦	٧٤٨	٠,٠٤٤ –	٠,٩٦٥ غير دالة
		إناث	٤٢١	٠,٨٧	٠,٧٥	٧٤٨		
١١	يدعم القضية التي عالجها الكاتب بالشواهد أو الأدلة.	ذكور	٣٢٩	٠,٧٢	٠,٧٢	٧٤٨	٠,٠٩٠ –	٠,٩٢٩ غير دالة
		إناث	٤٢١	٠,٧٢	٠,٧٢	٧٤٨		
١٢	يستنتج مما يقرأ تعميماً يمكن تطبيقه على ظاهرة جديدة.	ذكور	٣٢٩	٠,١٨	٠,٤٢	٧٤٨	١,٢٦٦	٠,٢٠٦ غير دالة
		إناث	٤٢١	٠,١٤	٠,٣٧	٧٤٨		
١٣	يستنبط العبر أو الدروس المتضمنة في النص المقروء.	ذكور	٣٢٩	٠,٤٢	٠,٦٠	٧٤٨	٠,٠٧١	٠,٩٤٣ غير دالة

م	البيانات مهارات الفهم القرائي	الجنس	العدد (ن)	المتوسط (م)	الانحراف المعياري (ع)	درجة الحرية (fd)	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
		إناث	٤٢١	٠,٤١	٠,٥٨	٧٤٨		
١٤	يقترح حلاً لتحسين ظاهرة وردت في النص المقروء.	ذكور	٣٢٩	٠,١٧	٠,٤٠	٧٤٨	٠,١٣٤	٠,٨٩٣ غير دالة
		إناث	٤٢١	٠,١٧	٠,٤٠	٧٤٨		
١٥	يرتب الأفكار حسب ظهورها في النص المقروء.	ذكور	٣٢٩	١,٠١	٠,٧٨	٧٤٨	٠,٠١٨ –	٠,٩٨٥ غير دالة
		إناث	٤٢١	١,٠١	٠,٧٨	٧٤٨		
	مهارات الفهم القرائي ككل	ذكور	٣٢٩	١٢,٦٧	٣,١٢	٧٤٨	٠,١٢٧ –	٠,٨٩٩ غير دالة

يتضح من الجدول السابق ما يأتي:

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسطات درجات طلبة الصف الثاني الثانوي (ذكور و إناث) في اختبار مهارات الفهم القرائي ككل تعزى إلى الجنس إذ بلغت قيمة (ت) (٠,١٢٧ –) ومستوى دلالة (٠,٨٩٩) وهذه القيمة غير دالة إحصائيا.

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات طلبة الصف الثاني الثانوي (ذكور و إناث) في اختبار مهارات الفهم القرائي لكل مهارة من مهارات الفهم القرائي على حدة وبذلك نقبل الفرض الصفري .

يتضح من الجدول السابق ما يأتي:

- أن هذه النتيجة تتفق مع نتائج الدراسات السابقة في عدم وجود تأثير للجنس في التمكن من مهارات الفهم القرائي ككل لكل من : القيسي[1] ، وجاب الله [2]

- تختلف هذه النتيجة عن دراسة الكخن [3] التي توصلت إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين الطلاب والطالبات في المرحلة الإعدادية لصالح الطالبات بالنسبة للتمكن من مهارات الفهم القرائي.

- تختلف هذه النتيجة مع دراسة عبد الرحمن [4] التي توصلت إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث على المستوى الجامعي في التمكن من مهارات الفهم القرائي وذلك لصالح الذكور .

ويلاحظ أن الدراسات التي أثبتت نتائجها وجود فروق في تمكن الطلبة من مهارات الفهم القرائي قد اختلفت فيما بينها فكانت هذه الفروق دالة إحصائيا لصالح الطالبات في دراسة الكخن [5] ودالة إحصائيا لصالح الذكور في دراسة عبد الرحمن [6]

وتختلف هذه النتائج عن نتائج البحث الحالي الذي أثبت عدم وجود فروق بين الطلاب والطالبات في التمكن من مهارات الفهم القرائي وقد يعزى هذا الاختلاف إلى الآتي :

- ❖ - اختلاف عينات البحث في كل الدراسات ، حيث كانت دراسة الكخن[1] على طلبة المرحلة الإعدادية، وتحديداً على طلبة الصف الثالث الإعدادي .

---

[1] القيسي رؤوف محمود(١٩٨٤):قياس سرعة القراءة والفهم في مرحلة الدراسة المتوسطة، مجلة المعلم الجديد، العدد(٢) ص ص ١٠٥ -١٠٦.

[2] جاب الله علي سعد(١٩٩٥): "تنمية بعض مهارات الفهم القرائي لدى طلاب الصف الثاني الثانوي" مؤتمر تربية الغد في العالم العربي(رؤى وتطلعات) كلية التربية، جامعة الإمارات،ص١٢٢ –ص١٣٢.

[3] الكخن أمين علي(١٩٨٩): "الفهم في القراءة الصامتة لدى طلبة الصف الثالث الإعدادي في الأردن"، مجلة دراسات علمية، الجامعة الأردنية، ص ص ٢٥ -٥٠.

[1] عبد الرحمن هدى مصطفى محمد(٢٠٠٣): "استراتيجيات الفهم القرائي لدى طلاب الجامعة وعلاقتها باهتماماتهم القرائية " المؤتمر العلمي الثالث، للقراءة والمعرفة، القراءة وبناء الإنسان، ٩ – ١٠ ص ص ٢١٨ -٢٤١.

(٢) الكخن أمين علي(١٩٨٩): "الفهم في القراءة الصامتة لدى طلبة الصف الثالث الإعدادي في الأردن"، مرجع سابق، ص ص ٢٥ -٥٠.

(٣)عبد الرحمن هدى مصطفى محمد(٢٠٠٣): "استراتيجيات الفهم القرائي لدى طلاب الجامعة وعلاقتها باهتماماتهم القرائية " مرجع سابق، ص ص ٢١٨ -٢٤١.

❖ - في حين كانت عينة دراسة عبد الرحمن[2] على طلبة المرحلة الجامعية ،وتحديداً طلبة المستوى الثالث (القسم العلمي والقسم الأدبي) .

❖ - بينما عينة البحث الحالي تمت على طلبة المرحلة الثانوية وتحديداً طلبة الصف الثاني الثانوي وفي هذه المرحلة تؤكد الدراسات أن الفروق بين الطلاب والطالبات في الكفاءة اللغوية تقل وتظهر جلية في المرحلة الإعدادية.

سادساً: التوصيات: بناء على النتائج السابقة يمكن وضع التوصيات الآتية:

١ - ضرورة تحديد قوائم بمهارات الفهم القرائي اللازمة لكل مرحلة تعليمية، ولكل صف دراسي على حده حتى يتمكن مخططو المناهج، ومؤلفوها، والمدرسون من الاستفادة من تلك المهارات.

٢ - إعادة النظر في أسئلة كتب القراءة المقررة على طلبة الصف الثاني الثانوي بحيث تشمل على أسئلة تركز على مهارات الفهم القرائي.

٣ - عقد دورات تأهيلية لمدرسي اللغة العربية في مرحلة التعليم الثانوي للوصول بهم إلى مستوى التمكن من مهارات الفهم القرائي، وأساليب تدريسها حتى يكون ذلك معيناً لهم على إكساب طلابهم تلك المهارات.

٤ - أن تتوجه مناهج تعليم القراءة للمرحلة الثانوية الى تحقيق أهداف سلوكية تتعلق بمهارات الفهم القرائي، لان الأهداف الحالية تتصف بالعمومية، كما يجب أن يخصص لكل درس من دروس القراءة بعض مهارات الفهم القرائي كسلوك متوقع يعمل المعلم على إكسابه للمتعلمين.

٥ - إعداد دليل لمدرس اللغة العربية يتضمن مهارات الفهم القرائي لكل صف دراسي، ولكل مرحلة تعليمية.

٦ - أن يستثمر مدرسو اللغة العربية كل ما تخرجه الصحافة والمطابع في بلادنا والتي تتميز بحرية الرأي والتعبير في مناقشة القضايا المختلفة وقضايا العصر مع الطلبة للوصول بهم إلى مرحلة إبداء الرأي لمواجهة المشكلات التي قد تواجههم في حياتهم المستقبلية.

---

(١) الكخن أمين علي(١٩٨٩): "الفهم في القراءة الصامتة لدى طلبة الصف الثالث الإعدادي في الأردن"، مجلة دراسات علمية، الجامعة الأردنية، ص ص ٢٥ -٥٠.

(٢) عبد الرحمن هدى مصطفى محمد(٢٠٠٣): "استراتيجيات الفهم القرائي لدى طلاب الجامعة وعلاقتها باهتماماتهم القرائية" مرجع سابق، ص ص ٢١٨ -٢٤١.

سابعًا: المقترحات بناء على النتائج والتوصيات السابقة يمكن وضع المقترحات الآتية:

١ - بناء برنامج يهدف إلى تنمية مهارات الفهم القرائي المقاسة لدى طلبة الصف الثاني الثانوي.

٢ - القيام بدراسة تحليلية لأسئلة كتب القراءة للمرحلة الثانوية في ضوء مهارات الفهم القرائي اللازمة لهؤلاء الطلبة.

٣ - القيام بدراسة لمعرفة أثر استخدام استراتيجيات ما وراء المعرفة في تنمية مهارات الفهم القرائي.

٤ - إعداد برامج لتدريب المعلمين أثناء الخدمة لرفع كفاياتهم وتزويدهم بمهارات الفهم القرائي لتعينهم عند تدريس الموضوعات القرائية، وإكسابهم تلك المهارات للطلبة.

٥ - إجراء دراسات لقياس مدى تمكن طلبة كليات التربية من مهارات الفهم القرائي والتي سيقومون بتدريسها.

عاشراً: قائمة المصادر والمراجع

أولا: المراجع العربية:

١ - ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ج١٣، دار صادر.

٢ - إسماعيل مصطفى موسى(٢٠٠١): أثر إستراتيجية ما وراء المعرفة في تحسين أنماط الفهم القرائي والوعي بما وراء المعرفة، وإنتاج الأسئلة لدى تلاميذ مرحلة التعليم الإعدادية المؤتمر العلمي الأول للجمعية المصرية للقراءة والمعرفة ١١ -١٢.

٣ - التل شادية (١٩٩٢): "أثر الصورة القرائية ومستوى المقروئية والجنس في الاستيعاب القرائي أداء طلبة الصف الثامن" مجلة اليرموك، العدد، (٤).

٤ - جاسم محمود، الخليفة حسن(١٩٩٦): طرق تعليم اللغة العربية، القاهرة، دار الفكر العربي،ط١.

٥ - جاب الله علي سعد(١٩٩٥): "تنمية بعض مهارات الفهم القرائي لدى طلاب الصف الثاني الثانوي" مؤتمر تربية الغد في العالم العربي(رؤى وتطلعات) كلية التربية، جامعة الإمارات،ص١٢٢ — ص١٣٢.

٦ - الجرف ريما(١٩٨٩): " تصنيف أسئلة الفهم في كتب القراءة في المملكة العربية السعودية" مركز البحوث التربوية، جامعة الملك سعود كلية التربية، ص٧٨ -ص٩٨.

٧ - حبيب الله محمد(٢٠٠٠): أسس القراءة وفهم المقروء بين النظرية والتطبيق المدخل إلى تطوير مهارات الفهم والتفكير والتعلم، عمان، الأردن، دار عمار.

٨ - خلف حسن محمد(٢٠٠٦): " وحدة مقترحة في أدب الأطفال وأثرها في تنمية بعض مهارات الفهم القرائي لدى تلاميذ الصف الخامس بالمرحلة الابتدائية" المؤتمر العلمي السادس للجمعية المصرية للقراءة والمعرفة من حق كل طفل أن يكون قارئاً متميزاً جامعة عين شمس، ١٢ -١٣ يوليو.

٩ - رياض محمد، قاسم جابر أحمد(٢٠٠٠): تحسين مهارة التعرف وأثره على الفهم القرائي لدى التلاميذ منخفضي التحصيل في القراءة، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط.

١٠ -الزهراني متعب محمد(١٩٩٤): بناء اختبار مهارات الفهم في القراءة الصامتة لدى تلاميذ الصفوف الثلاثة الأخيرة من المرحلة الابتدائية بالمملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير(غير منشورة) كلية التربية، جامعة أم القرى.

١١ -السليمان مها عبدالله(٢٠٠١): أثر برنامج قائم على استخدام استراتيجيات ما وراء المعرفة في تنمية مهارة الفهم القرائي لدى تلميذات صعوبات القراءة في الصف السادس الابتدائي، مجلة الدراسات التربوية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليج العربي.

١٢ -شحاته حسن(١٩٩٢): تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط٣.

١٣ -شحاته حسن(١٩٨١): تطوير مهارات القراءة الجهرية في مراحل التعليم العام في مصر، رسالة دكتوراه، (غير منشورة) كلية التربية، جامعة عين شمس.

١٤ -صالح محمد سمك(١٩٩٢): فن التدريس للتربية اللغوية وانطباعاتها المسلكية وأنماطها العملية، القاهرة، دار الفكر العربي الحديث.

١٥ -طعيمة رشدي أحمد(١٩٩٨): الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة، ط١.

١٦ -طعيمة رشدي أحمد، مناع محمد السيد(٢٠٠١): تدريس اللغة العربية في التعليم العام نظريات وتجارب، القاهرة، دار الفكر العربي.

١٧ -عاشور راتب، الحوامدة محمد(٢٠٠٣): أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة، ط١.

١٨ -عبد الحميد عبدالله عبد الحميد(٢٠٠٠): فعالية استراتيجيات معرفية معينة في تنمية بعض المهارات العليا للفهم في القراءة لدى طلبة الصف الأول الثانوي، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، مجلة القراءة والمعرفة، كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد(٢)ص ص ١١١ -١٣٧.

١٩ -عبد الرحمن هدى مصطفى محمد(٢٠٠٣): "استراتيجيات الفهم القرائي لدى طلاب الجامعة وعلاقتها باهتماماتهم القرائية " المؤتمر العلمي الثالث، للقراءة والمعرفة، القراءة وبناء الإنسان، ٩ — ١٠ ص ص ٢١٨ - ٢٤١.

٢٠ -عبد السيد محمد سليمان(١٩٩٩): أثر إستراتيجيتين من استراتيجيات التعلم التعاوني في تنمية القراءة للفهم لدى طلبة شعبة اللغة الانجليزية، رسالة ماجستير،(غير منشورة) كلية التربية، جامعة الأزهر.

٢١ -عبيد محمد عبيد(١٩٩٦): تقويم أسئلة تعليم القراءة في ضوء مهارات الفهم ومستوياته في المرحلة الإعدادية بدولة الإمارات العربية المتحدة، رسالة (غير منشورة) كلية التربية، جامعة عين شمس.

٢٢ -العليان فهد بن علي(٢٠٠٦): الفهم بين القراءة الجهرية والقراءة الصامتة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، مجلة القراءة والمعرفة، كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد(٢٥) ص ص ٩٤ -١٢٨.

٢٣ -العيسوي جمال مصطفى، موسى محمد محمود(٢٠٠٣):" مدى تمكن طالبات كلية التربية جامعة الإمارات العربية المتحدة بعض مهارات الاتصال اللغوي الشفهي" مجلة القراءة والمعرفة، العدد،(٢٨) ص٤٠.

٢٤ -عبيد محمد عبيد(١٩٩٩): تقويم أسئلة تعليم القراءة في ضوء مهارات الفهم ومستوياته في المرحلة الإعدادية بدولة الإمارات العربية المتحدة، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية، جامعة عين شمس

٢٥ -الفيروز أبادي مجد الدين(١٩٨٣): القاموس المحيط، ج٣، بيروت، دار الفكر العربي .

٢٦ -القيسي رؤوف محمود(١٩٨٤): قياس سرعة القراءة والفهم في مرحلة الدراسة المتوسطة، مجلة المعلم الجديد، العدد(٢) ص ص ١٠٥ -١٠٦.

٢٧ -الكخن أمين علي(١٩٨٩): "الفهم في القراءة الصامتة لدى طلبة الصف الثالث الإعدادي في الأردن"، مجلة دراسات علمية، الجامعة الأردنية، ص ص ٢٥ -٥٠.

٢٨ -اللقاني أحمد حسين، الجمل علي(١٩٩٦): معجم المصطلحات التربوية والمعرفية في المناهج وطرق التدريس، القاهرة ، دار الفكر العربي. ط١.

٢٩ -مجاور محمد صلاح الدين(١٩٨٣): تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية، أسسه وتطبيقاته التربوية، مصر، دار المعارف.

٣٠ -المسوري محمد، وآخرون(٢٠٠٣):" أولويات البحث التربوي كما يراها القادة التربويون في الجمهورية اليمنية" صنعاء، مركز البحوث والتطوير التربوي.

٣١ -مصطفى محمد عبد الرحمن هدى(٢٠٠٣): " استراتيجيات الفهم القرائي لدى طلاب الجامعة وعلاقتها باهتماماتهم القرائية"، المؤتمر العلمي الثالث، للقراءة والمعرفة، القراءة وبناء الإنسان ص ص ١٣٢ -١٤٣.

٣٢ -موسى إسماعيل مصطفى(٢٠٠١):" أثر استراتيجية ما وراء المعرفة في تحسين أنماط الفهم القرائي والوعي بما وراء المعرفة وإنتاج الأسئلة لدى تلاميذ مرحلة التعليم الإعدادية " المؤتمر العلمي الأول للجمعية المصرية للقراءة والمعرفة ١١ -١٢ يوليو ص ص ٦٩ -١١١.

٣٣ -النوح ، مساعد بن عبدالله (٢٠٠٤) : مناهج البحث التربوي ، الطبعة الأولى ، الرياض

٣٤ -الناقة كامل محمود(٢٠٠٠): تعليم اللغة العربية في المراحل الابتدائية أسسه وتطبيقاته، الجزء الثاني، مصر، جامعة عين شمس.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

35- Albert harris& Edward R.sipy: how to increase reaing ability: A guide to developmental and remedial methods.8ed . London: Longman.
36- Broek. P.v.d & Kermer. K.E. the mind in action: what it means to comprehend during . In B.M toylor .M.E. Grves . & 8 p.v.d. borek(Eds)
37- Berfetti.charles: reading ability oxford:oxford university press.(1985).
38- Devid &. Pearson & r0bber tierny: on becominga thoughtful reader: learning to read like writer in purves. Alan & Niles olives (ad) becoming readers in complex society. Eight- third year book or the NSSE U.S.A Unrversity of chicego press.(1989).
39- Fredeick B. davis psychometric of research comprehension in reading research quarterly. Vll/4(1972).
40- Harries and smith : reading instructions through diagnose tic teaching new yourk: holt. Rinehart. And winiversity(1972).
41- Rebecca barr and Marilyn sadow: reading & diagnosis for teacher. London: Longman(1982).

العنف لدى بني الإنسان

أ. أحمد معد

باحث دكتوراه - كلية علوم التربيةالرباط جامعة

محمد الخامس السويسي – المملكة المغربية

7

الملخص

تمر الإنسانية في عصرنا الحالي ظروفا إنسانية عصيبة أكثر من أي وقت مضى، ولعل هذه الظروف تتبدى فيما يعتري إنسان اليوم من تخوفات وتوجسات حول نفسه وحول ما يحيط به، أزمات ومشاكل تزعزع القناعات الاجتماعية والثقافية والسياسية مما تجعل الإنسان أكثر شكا حول مصيره المهدد بالعنف،إنه إحساس يمكن وصفه بالمذهل خصوصا بعدما لعبت وسائل الإعلام المرئية على وجه الخصوص ذات الوظيفة الإيديولوجية على وجه التدقيق دورا بارزا وملفتا للنظر، بل محرضا بالمباشر فيما يتعلق بما سمي بالحركات الاحتجاجية أوالربيع العربي الذي يفترض أن يتحول إلى صيف حار وجاف عنوانه العنف والقتل والتقتيل والتدمير واللاستقرار.

فالعنف يشكل أحد الانشغالات الكبرى الإنسانية في وقتنا الحاضر ويعود ذلك إلى الانتشار المتزايد للعنف في مختلف مجالا ت الحياة، وعلى جميع الأصعدة في الأسرة والمدرسة والشارع ومكان الشغل...الخ. هذا زيادة على العنف غير المسبوق الذي بات يطبع العلاقات بين الأنظمة الحاكمة وشعوبها فيما يسمى بالربيع العربي.

و حين نتحدث عن إشكالية العنف فإننا نستحضر بالضرورة تقاطعات مفاهيمية وحدودا ابستمولوجية للعنف كظاهرة اجتماعية وكحالة نفسية، كما يمكن النظر إليه كقضية إنسانية أو أخلاقية تمس الإنسان في خصوصياته الإنسية والقيمية، فنجد جملة من التصورات والمقاربات العلمية و الفلسفية . وأحيانا يتعرض حتى لتفسيرات غيبية أو أسطورية؛ لما يستعصى فهم الظاهرة بشكل دقيق أو عندما يفشل الباحث في تعيين أسبابها علميا . وهكذا نضع الإشكالية في الأسئلة التالية :

بأي معنى يمكن اعتبار الإنسان كائنا عنيفا؟ وهل العنف طبيعي فطري يوجد حيثما يوجد الإنسان؟ أم أنه نتاج شروط ثقافية واجتماعية يكتسبها الإنسان؟ وما هو المدخل أو المسار الأفضل لدراسته؟ هل باعتباره قضية إنسانية تستوجب الدراسة الفكرية والتأمل الفلسفي الإنساني ؟ أم باعتباره ظاهرة اجتماعية تحمل في ذاتها شروط بدايتها وشروط تكونها؟ أم باعتباره حالة نفسية سلوكية تتطلب الدراسة النفسية العلمية والتقنية بعيدا عن الخطابات المجردة؟

على هذا المنوال سنتناول مسألة العنف في هذا البحث وفق ثلاثة منطلقات :

المنطلق الأول: مفهوم العنف

المنطلق الثاني: أشكاله ومظاهره

المنطلق الثالث: الاتجاهات المفسرة له

أولا : **مفهوم العنف**:

تشير كلمة عنف إلى كل سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم.. وعلى هذا الأساس فإن العنف قد يكون سلوكا فعليا أو قوليا، أما في اللغة الإنجليزية فإن الأصل اللاتيني للكلمة Violence هوViolentia ومعناها الاستخدام غير المشروع للقوة المادية بأساليب متعددة لإلحاق الأذى بالأشخاص والإضرار بالممتلكات، ويتضمن ذلك معاني العقاب والاغتصاب والتدخل في حريات الآخرين[1]، كما تعني أيضا العمل بالخشونة والعنف والتدنيس والانتهاك والمخالفة، وكل هذه الكلمات ترتبط بكلمة " فيس (Vis) التي تعني القوة والبأس والقدرة والعنف ، أو القوة الفاعلة والمؤثرة[2].

إذا عدنا لمعجم روبير[3] فإن الدلالة الغالبة على مفهوم العنف نجد استعمال القوة، كما نجد أيضا أنه يقسم إلى عنف جسدي وآخر أخلاقي .

وبتأملنا لهذه التحديدات سنجد أنها تشترك جميعا في أن العنف عبارة عن سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة واللوم، ويظهر أن أوضحها يكمن في الدلالة اللاتينية للمفهوم، إذ حدد العنف من خلالها كاستخدام غير مشروع للقوة المادية، بأساليب متعددة من عقاب واغتصاب وإضرار بالآخرين، وبالممتلكات، لكن هذا القصد الدلالي للمفهوم سيجعلنا نفكر في قيمة الاستخدام المشروع للقوة المادية للإضرار بالآخرين وبممتلكاتهم، هل ذلك لا يعتبر عنفا؟

ترى في هذا الصدد "Hannah Arendt" في كتابها " من الكذب إلى العنف" أن القوة لا تتحول إلى عنف إلا عندما تستخدم كأداة للسيطرة والهيمنة، ولعل هذا الطابع الغائي الذي يتسم به العنف البشري، وما ينطوي عليه من عناصر القصد والإرادة والتخطيط هو ما يميزه عن باقي أشكال العنف التي نعاينها في العالم الطبيعي، ولدى باقي الكائنات الحية[4].

إن هذا التحديد للعنف يثير البعد الغائي في العنف، إذ يكون مقصودا ومخططا له، وهذا ما يجعله يختلف عن العنف لدى باقي الكائنات الحية، مما يجعل العنف يشير إلى مدى واسع من السلوكات التي تعبر عن حالة انفعالية تنتهي بإيقاع الأذى أو الضرر بالآخر، سواء أكان هذا الآخر فردا أو شيئا.

إذا كان العنف هنا كسلوك يعبر عن حالة انفعالية تنتهي بإيذاء الآخر كيف ما كان فردا أو شيئا فإن المكان والمجال الطبيعي لدراسته تستوجب تجاوز البعد الدلالي للمفهوم وصولا إلى البعد الانفعالي النفسي والبعد السلوكي وما يرتبط به من مفاهيم . فإيذاء الآخر يعتبر في حد ذاته عدوانا، لكن العدوان يختلف عن العنف من حيث كون هذا الأخير يمثل أقصى درجة في السلوك العدواني، فالعنف يصدر عن العدوان ولا يوجد عنف بدون شعور

---

[1] -أحمد مصطفى جابر « ضد العنف والتمييز» دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ ص: ٦٩.

[2] -العنف الأسري، سيكولوجية الرجل العنيف والمرأة المعنفة، منير كرادشة، عالم الكتب الحديث إربد -الأردن ٢٠٠٩ ص: ٣١.

[3] - Petit Robert par Paul Robert, Dictionnaire de la langue Française.- rédaction dirigée par A.Rey et REY-Debove.107 avenue Parmentier, Paris- XI, p : 2097

[4] -العنف، مقاربات فلسفية، حماني أقفلي، وليلي، العدد ١٤، أبريل ٢٠٠٩، مطبعة مرجان مكناس، ص :٨٠

مسبق بالعدوان، إنه بالإضافة إلى هذا يعتبر أحد الوسائل للتعبير عن العدوان، كما يمكنه اتخاذ عدة أنماط سلوكية أبرزها أعمال القوة. فهو سلوك لا يمكن التنبؤ ببدايته ونهايته، ودوافعه متعددة على حد تعبير الباحث النفسي والاجتماعي "المصطفى حدية" [1].

إن ما يمكن استنباطه من هذا التحديد هو أن العنف يتجاوز العدوانية من حيث الدرجة، هذه الأخيرة التي وصفها "مصطفى حجازي" [2] بأنها تنخر في الوجود الإنساني لاسيما المقهور منه، وهي عبئ وتهديد للتوازن النفسي، ودافع للإقدام على بعض تصرفات تدمير الذات، وكدفاع وانتفاضة ضد التهديدات التي من الخارج [3].

يدفعنا استحضار البعد النفسي لمفهوم العنف إلى مفهوم آخر وهو الغضب. يعرف "الفقيه الرازي" [4] الغضب بأنه هوى النفس مركب في طبع الآدمي لدفع شيء مؤذ عن نفسه ويطلب فيه التوسط، لأن الإفراط فيه يضر بالغاضب أكثر مما يضر بالمغضوب عليه، وهو وسيلة للتعامل مع البيئة المهددة، ويتضمن استجابات طارئة وسلوكا مضادا لمثيرات التهديد، كما تصاحبه تغيرات فسيولوجية، لإعداد الفرد لسلوك يناسب الموقف المهدد، وهو نوعان: غضب محمود وغضب مذموم، فأما الأول فهو ضد الظلم والطغيان، وأما الثاني فإنه يكون لأجل المصالح الشخصية والبواعث الأنانية.

وقياسا على مفهوم الغضب كما تناوله" الرازي" ، وقسمه إلى غضب محمود وآخر مذموم، قد انقسم العنف هو الآخر إلى محمود وآخر مذموم، وهذا سيفتح لنا آفاق التفكير في تصنيفات العنف، إذ يشير العنف المحمود إلى العنف المشروع ويشير العنف المذموم إلى العنف غير المشروع، وهذا هو التصنيف السائد للعنف في معظم الدراسات الاجتماعية والسياسية.

تميز الدراسات الاجتماعية والسياسية بين العنف المشروع والعنف غير المشروع؛ أي العنف الضروري لتفادي عنف أكبر، وكثيرا ما يستمد مشروعيته من الوظائف الاجتماعية والاقتصادية التي يقوم بها باعتباره شرطا من شروط الاجتماع البشري، ويعد كل عنف يخرج عن هذا الإطار عنفا غير مشروع ، وقبل التوسع في الحديث عن مشروعية العنف والذي قد يجرنا إلى الحديث عن العنف عبر التاريخ، يمكن أن نخلص بعد هذا التحليل المفاهيمي للعنف إلى تعريف عام يمكن اختصاره كما يلي:

---

[1] -المصطفى حدية: قضايا في علم النفس الاجتماعي، الطبعة ١ -٢٠٠٥ ربانيت، الرباط، ص: ١٧٤

[2] - مصطفى حجازي ٢٠٠١ : : التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء الطبعة ٨ - ص: ١٦٧.

[3] -يقدم حجازي تفسيرا للعدوانية كدافع نفسي يهدف تدمير الذات كما تحدث أيضا الباحث المغربي مصطفى حدية عن العدوانية واعتبرها تبقى مجرد استعداد كامن وغير جلي لدى الكائن الاجتماعي.

[4] - عبدالرحمان مصلح الشرادي "انحراف الأحداث في التشريع المغربي والقانون المقارن"، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ ص:

"العنف هو كل استعمال للقوة يضر بالغير نفسيا أو جسميا أو رمزيا، فهو سلوك أو فعل مدمر يوجه إلى الآخر شيئا أو فردا للسيطرة عليه أو حرمانه من حقوقه أو القضاء عليه، لإشباع رغبات أو أهداف مادية أو معنوية، وقد يكون موجها للذات بنفس الكيفية التي يوجه بها ضد الآخر".

أشكال العنف ومظاهره :

جاء في تقرير منظمة الصحة العالمية لعام ١٢٠٠٠ أن العنف يقسم إلى ثلاثة أنواع:

١- العنف الموجه نحو الذات:

يتجسد هذا النوع في إلحاق الأذى بالذات ويتضمن السلوك الانتحاري وذلك منذ مجرد التفكير بالانتحار مرورا بالتخطيط لارتكابه حتى تنفيذ الفعل.

٢ - العنف بين الأشخاص:

يتمثل في العنف بين شخصين، وإذا كان بين أفراد الأسرة الواحدة فإنه يدخل في إطار العنف الأسري أما إذا وقع بين أشخاص ليس من أفراد نفس الأسرة ولا تجمعهم صلة قرابة ولا يعرفون بعضهم فإن ذلك يدخل في إطار العنف المجتمعي.

٣ - العنف الجماعي:

٤ - يتمثل في سلوك جماعي يقوم به أشخاص باعتبارهم أعضاء ينتمون إلى جماعة معينة ضد جماعة أخرى، ويتأسس هذا العنف على الصراع حيث العنف والعنف المضاد وذلك لتحقيق أغراض اجتماعية.

٥ - صور العنف : أمراض اجتماعية ٢

١ - الاعتداءات الجسدية:

٢- تتمثل في الأذى المباشر والمادي على الجسد، كالضرب والصفع واللكم والرفس، التي قد تنتج عنها جروح أو كسور أو إعاقة أو قتل. وذلك حسب الطريقة المستخدمة في ممارسة العنف والتي تتراوح بين عنف باليد أو الرجل إلى استخدام أدوات وآلات حادة كالسكين أو العصا، أو قطعة حديد أو سلاح قاتل .

٣ - الاعتداءات النفسية والمعنوية:

يقول المثل الشعبي في ثقافتنا " اللهم ضربة بدمها أو كلمة بسمها" كذلك تنظر ثقافتنا إلى أن الكلام المسموم أكثر خطورة من الضرب المفدي إلى الجرح. ولعل هذا الموقف الذي تزعمه الثقافة الشعبية نجده يتناغم ومنظري الجوانب النفسية في الإنسان،فالسب والشتم و الإهانة والحط من قيمة الشخص المعنف ورميه بألفاظ

---

[١] - كاظم الشيب " العنف الأسري" قراءة في الظاهرة من أجل مجتمع سليم، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٧، المغرب ص ٢٩.

[٢] -العنف الأسري: " كاظم الشيب " مرجع سابق، ص ٣٠.

دنيئة قد تؤثر عليه وتسقطه في دوامه من المشاكل والاضطرابات النفسية والمعنوية ، وقد ينهج سلوكا عنيفا مضادا .

٤ - الاعتداءات وسوء المعاملة المادية والاقتصادية :

يكمن ذلك في الضغوطات المادية أو العقوبات الاقتصادية التي قد يمارسها الكبار أو من يتحكم في مورد الرزق للضغط على المعتدى عليه أو عقابه أو تأنيبه وكمثال على ذلك في الأسر كأن يحرم الزوج زوجته من نفقتها، أو من بعض حاجاتها الضرورية كمصاريف البيت أو عدم شراء الملابس حتى في المناسبات ولو كانت قد تعودت على ذلك من قبل، وقد نجد مثالا على ذلك في حالة ضغط الآباء على أبنائهم وبناتهم بحرمانهم من اقتناء الملابس التي يعشقونها ولو كانت في استطاعتهم لشراء ذلك، وقد يصل الضغط إلى متطلبات الدراسة أحيانا.

٥ - الاعتداءات الجنسية:

٦- تتمثل الاعتداءات الجنسية بشكل عام حالات العنف الجنسي والقيام بأعمال جنسية فاضحة، ويعتبر الاغتصاب أحد أخطر أنواع هذه الممارسات الجنسية العنيفة، بحيث تصاحبها اعتداءات جسدية مادية مباشرة، كما قد تصاحبها أعراض نفسية أو نفس جسدية.

استنتاج

إن ما يمكن الخروج به في مسألة العنف هو أنه يظهر على شكل اعتداءات من أصناف شتى فالعنف من جهة يقسم إلى ثلاثة أنواع: أ -عنف موجه نحو الذات -ب -عنف بين الأشخاص -ج -عنف جماعي .

ومن جهة أخرى يعتبر العنف مرضا اجتماعيا يتخذ صورا متعددة يمكن تصنيفها في خمس صور من الاعتداءات وهي :

١ - الاعتداءات الجسدية

2 - الاعتداءات النفسية والمعنوية

3 - الاعتداءات وسوء المعاملة المادية والاقتصادية

4 - الاعتداءات الجنسية

الاتجاهات المفسرة للعنف :

أولا :التناول الفلسفي للعنف

يؤسس التناول الفلسفي ثلاث مفارقات حول العنف؛ فهو أولا مفهوم لا بد من تحديد ماهيته، وهو ثانيا قضية إنسانية تهدد أمن ووجود الإنسان، كما أنه ثالثا إشكالية فلسفية تنطوي على عدة ألغاز ترتبط بأشكال العنف، وبدوره في التاريخ، وبمشروعيته، وبماهيته في الوجود الإنساني ، فما هي أشكال العنف؟ وما دوره في التاريخ؟ وكيف يمكن القول بعنف مشروع وآخر غير مشروع؟

ممالا شك فيه أن العنف من صميم الوجود الإنساني إنه مرتبط بالتجربة الإنسانية الفردية والجماعية، مما يتطلب تحديد علاقته بالتاريخ البشري، وفي هذا الصدد يضعنا التناول الفلسفي أمام مفارقة تفتحنا على مقاربتين يمكن لمسهما من خلال الإشكال الموالي:

بأي معنى يمكن الحديث عن دور العنف في التاريخ؟ هل العنف ظاهرة عابرة أم أنه مؤسس ومدشن للتاريخ الإنسانية؟

المقاربة الأولى: العنف مؤسس ومدشن للتاريخ

تؤكد هذه المقاربة أن بفضل العنف وجد المجتمع، وتكونت الحضارة وقد اتفق في ذلك فلاسفة العقد الاجتماعي[١]، على أن الإنسانية عاشت حالة الطبيعة ثم انتقلت إلى حالة المدنية، وفي هذا السياق يقول: " ج ج روسو" في كتابه العقد الاجتماعي [٢] " إن الانتقال من حال الطبيعة إلى الحال المدنية أوجد في الإنسان تبدلا ملحوظا، إذ أحل في سلوكه العدل محل الوهم الفطري، وأكسب أفعاله أدبا كان يعوزه من قبل، عند ذاك فقط إذ حل صوت الواجب محل الباعث المحرك الجسماني، والحق محل الشهوة ".

إن ما يشير هنا إلى أن العنف في التاريخ البشري هو حالة الطبيعة المتميزة بالوهم الفطري والباعث المحرك الجسماني والشهوة، وذلك في مقابل حالة المدنية أو الثقافة التي انتقل إليها بعد نوع من التعاقد بين أعضاء المجتمع حيث يتنازل الناس عن قسط من حقوقهم وحرياتهم لصالح المصلحة العامة، ولعل ذلك واضحا من خلال قول روسو: " إن ما يفقده الإنسان بالعقد الاجتماعي هو حريته الطبيعية، والحق غير المحدود الذي كان له كل ما يستهويه ويجنيه ويمكنه الوصول إليه، وأما ما يكتسبه فالحرية المدنية "[٣].

إن العنف هنا هو سر الانتقال من حالة حرب الكل ضد الكل على حد تعبير" توماس هوبز" وهي حالة عنف معمم، تحول الحياة الإنسانية من حياة حيوانية عنيفة[٤] ليس فيها أمن إلى حالة مدنية وهي حالة النظام والقانون المتعاقد عليه لذلك يؤكد روسو على ضرورة عقد اتفاقات وسن قوانين توحد بين الحقوق والواجبات بهدف إقرار العدالة[٥]. وهكذا فكل امرئ إنما يلتزم بتعاقده مع الآخرين على تأليف هيئة سياسية واحدة - بالخضوع لقرارات الأكثرية والتقيد بها [٦].

---

[١] - فلاسفة العقد الاجتماعي: يقصد بهم الفلاسفة الغربيين الذين يروا أن أصل الاجتماع الإنساني نتاج تعاقد وميثاق انتقل الإنسان من خلاله من حالة الفوضى والحرب وهي حالة الطبيعة إلى حالة الثقافة والنظام وهي حالة المدنية أبرزهم ج.ج. روسو، وطوماس هوبز.

[٢] - ج. جاك رسو: العقد الاجتماعي، ترجمة بولس غانم، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، ١٩٧٢ ص ٣١.

[٣] - نفس المرجع ص 31

[٤] - Thomas Hobbes, le Léviathan, traité da la matière et la forme et du pouvoir de la république ecclésiastique et civile, chap. XIV trad. Fr.traicand, Sirey 1971 pp120.

[٥] -JJ. Rousseau, le contrat Social, PUF, France 2000 deuxième Livre, chap. VI

[٦] - ج.لوك، في الحكم المدني، ترجمة ماجد فخري، عن محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، حقوق الإنسان، دارتوبقال للنشر ط ٢ -٢٠٠٤ ص ٢٦.

إذا كان التعاقد على اتفاقات وقوانين يشكل بداية قيام الدولة وقيام الحضارة فبهذا المعنى يعتبر العنف مؤسسا للتاريخ البشري، إذ جاءت الحضارة والثقافة في نظر" سجموند فرويد" لتخفف من حدة الدوافع العدوانية من خلال غرس القيم الأخلاقية والاجتماعية في النفوس وجعل العلاقات بين الناس تقوم على التعاون والحب، بالرغم من أن" فرويد" ينتقد الدولة بقوله: لئن كانت الدولة تمنع الفرد من اللجوء إلى الجور والظلم، فليس ذلك لأنها تريد تحقيق العدالة والقضاء على الظلم، بل لأنها تريد احتكار استعماله[1].

المقاربة ٢ : العنف مرتبط بالتطور التاريخي والاقتصادي والاجتماعي

يرتبط العنف في هذا المنظور بالتطور التاريخي، وهذا التطور وليد الصراع الطبقي، ويمكن التمييز بين نوعين من العنف، العنف الرجعي، وهو مذموم وغير مقبول، والعنف الثوري الذي يخدم القضاء على الاستغلال، وهو المدخل لتحقيق القضاء على الرأسمالية، فالعنف هنا نتاج لصراع المصالح، إنه إفراز تاريخي ناتج عن تعارض المصالح عند ظهور الملكية الخاصة.

ويمكن إضافة نوع آخر من العنف، وهو العنف السياسي، والذي يرتبط ببروز المجتمع الطبقي القائم على الإقصاء الاجتماعي لمن لا يملك وسائل الإنتاج، إذ يصير كل نمط إنتاج اقتصادي معين يخفي تناقض بين قوى وعلاقات الإنتاج، مما يتفجر في صراع طبيعي عنيف يتفاقم حتى يصير إلى عنف ثوري، ودور العنف في التاريخ هنا هو دور ثوري مرتبط بنمط وبطبيعة الانتظام للتطور الاقتصادي للقضاء على الأشكال السياسية الجامدة التي تخدم جهة أو طبقة على حساب أخرى.

إن العنف الثوري هنا هو عنف جماهيري يشكل ضرورة تاريخية تلجأ إليها الطبقة غير المستفيدة من الإنتاج وهي الطبقة العمالية حسب التصور الماركسي للانتقال من النظام الرأسمالي حيث العنف السياسي والفقر والاغتراب والاستلاب إلى نظام اشتراكي.

لكن إذا تأملنا هذا التحليل الذي يقترح نفسه كتحليل علمي بالرغم من أنه وصف بالإيديولوجي، فإنه في غياب التفاوت ومحاولة إفراز المساواة لن يغيب القهر والاغتراب بقدر ما يمكن أن نسقط في المساواة الجائرة ،والتي تصدر حسب صاحب كتاب " الإنسان الحاقد" [2] عن الكراهية والحقد، كما أنها تقضي على الاختلاف في المؤهلات فتجعل الأشخاص ذو المستوى العالي في مرتبة من دونهم، وهنا قد نسقط من جديد في عنف جديد مصدره الحقد والكراهية. لكن بالرغم من كل ذلك وحتى لا تبدد الأطراف المتصارعة نفسها ويضيع المجتمع في صراع عقيم، فإنه تفرض الحاجة إلى سلطة عليها [3]، مما يجعلنا نرى أن العنف له امتدادات ذات بعد تاريخي مرتبط بالتطور وفق هذا التصور.

---

[1] - freud, Essais de psychanalyse , ed Payoy, p 240

[2] -ماكس شيلر، الإنسان الحاقد، وراد عن غايات بيكون،آفاق الفكر المعاصر، الترجمة العربية، منشورات عويدات، بيروت ص: ٨٧٠ -٨٦٨.

[3] - F.Engles, L'origine de la famille, tard. J. stern, ed. Sociales, Paris, p 281-286.

هكذا يمكن أن نفهم بأن التناول الفلسفي للعنف في بعده التاريخي يتلخص في : " إن ظاهرة العنف ملازمة للتاريخ البشري كضرورة محركة للاقتصاد، وكسر وراء قيام المجتمع وتأسيس الدولة، وصناعة الحضارة والثقافة".

في مشروعية العنف:

إن تأملا أوليا في عبارة :"مشروعية العنف" سيظهر أن العنف والمشروعية يوجدان على طرفي نقيض، فإذا كان العنف كما حددناه قبلا باعتباره فعلا مدمرا يضر بالآخر ولذلك يكون مرفوضا من طرف المجتمع، فإنه بالمقابل نجد المشروعية تستند على الحق وعلى القانون، وعلى العدالة . في هذا الصدد يمكن رصد تصورين، الأول يرفض العنف ويسحب منه صفة المشروعية، والثاني يقول بمشروعية استعمال العنف.

الاتجاه الأول: استعمال العنف غير مشروع:

يذهب هذا الاتجاه إلى رفض أن يكون العنف مشروعا، فالفيلسوف الألماني" كانط" مثلا يرفض كل أشكال العنف، الأمر الذي جعله ينتقد ما اتصفت به الثورة الفرنسية من مجازر، ويؤكد على ضرورة تجنب حرب الإبادة والتنديد بأي حرب تقوم بها دولة أو جماعة ضد أخرى سواء أكانت بهدف التصفية العرقية أو لاعتبارات سياسية أو اقتصادية أو إستراتيجية، إذ يقول كانط " لا يمكن تصور حرب تأديبية بين الدول... فينتج عن هذا أن حرب الإبادة التي يمكن أن تؤدي إلى تدمير الطرفين ومعهما كل نوع من الحقوق، لن تدع مجالا للسلام الدائم إلا في المقبرة الكبرى للجنس البشري، ولهذا يجب أن نمنع مثل هذه الحرب منعا باتا" ١.

يتناغم هذا الموقف مع موقف صاحب كتاب " منطق الفلسفة ٢ " الذي يقف ضد أي تبرير سياسي للعنف بحجة تنظيم وتدبير المجتمع ؛ فالعنف لا يمكنه أن يبرر من طرف العقل، أو أن يكون عقلانيا، لأنه يتعارض ويتناقض مع الفكر الذي يقتضي الحوار والاختلاف والاعتراف بالآخر.

إن سحب صفة المشروعية عن العنف نجدها أكثر وضوحا مع " غاندي" الذي انتهج طريق" اللاعنف" لمقاومة الاستعمار البريطاني للهند، وهكذا فإذا كان العنف حسب "غاندي" يعبر عن رغبة حاقدة وسيئة في إلحاق الأذى بالآخرين فإن " اللاعنف " يعبر عن الإرادة والرغبة الطبيعية ولا يعني " اللاعنف " الاستسلام والخضوع بل هو نضال ذهني وأخلاقي ومقاومة روحية، وشكل من أشكال القوة الإيجابية.

الاتجاه الثاني: مشروعية استعمال العنف

يعتبر أصحاب هذا الاتجاه أن العنف يعتبر شرطا ضروريا لتفادي عنف أكبر، وكثيرا ما يستمد مشروعيته من الوظائف الاجتماعية والاقتصادية التي يقوم بها باعتباره شرطا من شروط الاجتماع البشري ٣ ؛ فهو ضرورة أخلاقية للحفاظ على الأخلاق.و مشروعية العنف ترتبط حسب عالم الاجتماع " ماكس فيبر" بوجود الدولة في معالمها

---

١ - إيمانويل كانط، نحو سلام دائم، ترجمة عبد الرحمين بدوي، وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٩ ص: ٢٢٨ -٢٢٩.

٢ - " أريك فايل" ١٩٠٤ -١٩٧٧) فيلسوف فرنسي من أصل ألماني، اهتم بتاريخ الفلسفة وبالقضايا السياسية والأخلاقية.

٣ - حناتي أقفلي: مرجع سابق، ص ١٠

العقلانية والمؤسسية، لأن الارتقاء بالسلطة إلى مستوى الفاعلية العقلانية المتحررة من الاعتبارات الوراثية والتقليدية، وتكييفها وفق أسلوب يمنح للنواميس والأنظمة الكفيلة بتقوية التنظيمات وتطويرها، كل هذا يجعل العنف مشروعا مادام نظام الدولة هو الذي استوجبه وأقر تنظيمه [1] . و للدولة حسب " ماكس فيبر" ثلاثة أسس للمشروعية منها سلطة الأمس الأزلي أي سلطة العادات والتقاليد وهي سلطة تقليدية والسلطة الكاريزمية، والسلطة الشرعية [2] وهذه الشرعية التي تتأسس عليها الدولة هي التي تضفي الشرعية على سلوكاتها وإن كانت عنيفة، مما يجعل إمكانية مشروعية العنف مقبولة.

يتجلى ذلك بوضوح تام في كتاب الأمير " لميكيافلي" حين ينصح الأمير بأن يكون ثعلبا وأسدا في الآن نفسه ، فالأسد لا يستطيع أن يحمي نفسه من الفخاخ كما أن الثعلب غير قادر على مواجهة الذئاب، لذلك كان على المرء أن يكون ثعلبا ليواجه الفخاخ ويكون أسدا ليخيف الذئاب... وفي كافة أعمال البشر - وخاصة الأمراء. فإن الغاية تبرر الوسيلة، وهذا حكم لا يمكن نقضه[3] .

وهكذا يظهر أنه يجوز للأمير استعمال كل ما من شأنه تحقيق غايته، ولو استخدم القوة والعنف والإرهاب بل ولو تصرف كالحيوان لإرهاب الخصوم وفرض الاحترام؛ وهذا نموذج للعنف المشروع.

خطاب العلوم الإنسانية

أولا : الاتجاه النفسي في تفسير العنف

يرجع هذا الاتجاه بشكل عام إلى محددات وأسباب نفسية، فالفرد الذي يرتكب سلوكا عنيفا، إنما يتصرف بفعل أسباب نفسية ، وتكثر النظريات والآراء في هذا الصدد، فإذا كان البعض يرده إلى استعداد نفسي داخلي يفقد الفرد السيطرة عندما تتم استشارته أو تهييجه، فإن البعض الآخر، يرد العنف إلى قلق عاطفي وأن مرتكب السلوك العنيف يكون أكثر استجابة للغرائز المختلفة نتيجة لتكوينه النفسي، ونظرا لضعف قوة التحكم لديه.

ويعتبر العالم والطبيب والمحلل النفسي النمساوي "سيجموند فرويد" السباق إلى إحداث زعزعة كبيرة في نظرة الإنسان من خلال اكتشافه لما يعرف باللاشعور، بحيث يعتبره البعض وكأنما اكتشف قارة جديدة في مجال سيكولوجية الإنسان. يقول " فرويد " في كتابه قلق الحضارة «ليس الإنسان قطعاً ذلك الكائن الطيب، ذو القلب المتعطش للحب، والذي يُقال عنه إنه يدافع عن نفسه عندما يهاجم، بل إن الإنسان على العكس ن ذلك، فإنه يتحتم عليه أن يضع في حسابه معطياته الغريزية، وهي الحصول على قدر كبير من العدوانية[4]».

---

[1] - محمد ياسين: " ثقافة العنف: الأسس والفاعلية"، مجلة وليلي عدد ١٤، مطبعة مرجان ٢٠٠٩.ص ص: 43 44

[2] - ماكس فيبر "رجل العلم ورجل السياسة، ترجمة نادر ذكرى، بيروت، دار الحقيقة ١٩٨٢ ص ص: ٤٧ -٤٨

[3] - مكيافيللي: " كتاب الأمير"، ترجمة أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا، القاهرة ٢٠٠٤ ص ص: ٨٩ -٩٠ -٩١

[4] - جرائم العنف وسبل المواجهة: عبد الله عبد الغني غانم، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص: ٩٠.

في هذا الصدد يفترض معنا "فرويد" بوجود غريزتين أساسيتين في الإنسان، الأولى تسمى "أيروس" أو إله الحب في الأساطير اليونانية وتسمى أيضا غريزة الحياة تتضمن مجموعة من القوى والدوافع الغريزية وتهدف دائما وأبداً إلى اللذة الجنسية والحفاظ على النوع البشري، أما الثانية، فهي غريزة الموت أو الهدم كمؤسس للدوافع التدميرية وترتبط بالعدوانية والعنف ولها عدة تجليات كالإقصاء والاعتداء ومحاولات التدمير والقضاء على الآخر أو ممتلكاته أو حتى القضاء على الذات.

وتشتغل الذات الإنسانية من خلال صراع مستمر بين غريزة الحياة من جهة وغريزة الموت من جهة ثانية .والسلوك العدواني والعنيف هنا هو اندفاع مرتبط باندفاعات جنسية. و"مبدأ اللذة"هنا، يستهدف أمرين: الأول يحشد طاقاتنا للحياة بأسباب البقاء. الصراع من أجل البقاء. والأمر الثاني يدفعنا إلى الرغبة في الموت من خلال ازدواجية عاطفية تلازم النفس البشرية تتصارع أثناءها إرادة الحياة مع إرادة الموت[1]، ويشير "فرويد" إلى أن الاضطرابات العائلية التي يخبرها الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة والعلاقات غير السليمة تنعكس سلبا على حياته مستقبلا، وتبقى رواسب هذه الخبرات عالقة في شخصية الفرد على شكل تراكمات تصبح دافعا لاشعوريا لانحرافه[2]. ومع تطور التحليل النفسي وإدخال تغييرات جدية على مستوى تفسيره للذات الإنسانية ظهرت تأويلات وتصنيفات أخرى للسلوك العدواني أو ما يسمى لدى الحس المشترك بالجنون أو فقدان العقل، يكون العنف والعدوان خلالها نتاجا لتوهمات وهلوسات، إذ يخلق الذهان توترات وصراعات اجتماعية وجنسية، كما يمكن تصنيفه ضن الحالات السايكوباتية أو الشخصية المضادة للمجتمع.

ويمكن فهم ذلك أكثر من خلال ما يشبه عصرا جديداً للتحليل النفسي بدأ بظهور كتاب فرويد "الأنا والهي" سنة ١٩٢٣، قسم من خلاله العقل إلى ثلاثة مجالات رئيسية، الأنا (الشعوري)، و"الهو" (المستودع اللاشعوري للقوى الدافعة الغريزية) و"الأنا الأعلى" (العناصر الأخلاقية)، ويمثل الأنا الأعلى أكثر المفاهيم أهمية لكونه يتشكل نتيجة عمليات متميزة حيث استدماج السلطات الأخلاقية المهيمنة في الحياة المبكرة، وتوجيه نسبة معينة من الليبيدو[3] النرجسي إلى تلك الأخلاقيات المستدمجة و المستدخلة بحيث لا يصبح الفرد محبا لذاته كما هو فحسب ولكن كما "يجب" أن يكون ارتداد دفعات الكراهية والعدوان التي لا يمكن التعبير عنها خارجيا إلى ذات الشخص[4]، وتختلف الآراء حول الدافع المباشر للعنف فهناك من يرجعه إلى ضعف الأنا الأعلى أو غيابه أو قسوته، فكثير ما تكون مطالب

---

[1] - جرائم العنف وسبل المواجهة: عبد الله عبد الغني غانم، مرجع سابق، ص: ٩١.

[2] - واقع الجريمة واتجاهاتها في الوطن العربي، د أكرم عبد الرزاق المشهداني، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الطبعة الأولى الرياض 1426-2005، ص: ١٣٦.

[3] - الليبيدو: libido كلمة لاتينية ومعناها: التلذّذ استناداً إلى شهوة حسية. وفي ضوء التحليل النفسي هي الطاقة النفسية الأساسية للكائن الحي، وقد ارتبطت في البداية بالطاقة الجنسية، ولكن بعد اكتشاف غرائز الموت، وغرائز الحياة، أصبحت تعني طاقة الحياة النفسية للكائن الحي.

[4] - علم النفس في مائة عام، ج.ل.فلووجل، ترجمة: لطفي فطي، دار الطليعة، بيروت، ط: ٤، ١٩٨٨، ص: ٢٠٠.

الأنا الأعلى أكثر صرامة وقسوة حتى من السلطات الخارجية وهنا تدخل القاعدة العامة القائلة بأن الغرائز التي لا تستطيع أن تجد إشباعا خارجيا تتجه إلى استنفاذ طاقتها داخل الكائن نفسه، والغريزة في هذه الحالة هي العدوان، ويُثار العدوان بالإحباط الذي تعرض له الكائن منذ طفولته، وإذا كانت السلطات الخارجية لطيفة ومتسامحة فإن توجيه هذه العدوانية نحوها يصبح أكثر صعوبة مما لو كانت عنيفة "لأنها تبدو في هذه الحالة لا تسحق العدوان"[1]، لذلك تتجه إلى جهة أخرى لإيجاد مخرج بديل عبر عمليات لاشعورية، يُطلق عليها اسم الميكانيزمات الدفاعية[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لا ينبغي اختزال التحليل النفسي في شخص فرويد، ولكنه توسع مع "أدلر" و"يونج" فقد قدم "أدلر" الكثير من الإضافات القيمة إلى دراسة الذات والعدوان، تجاوزت مفهوم الجنس والصراع النفسي والكبت والتكثيف والإزاحة وحتى فكرة اللاشعور، بل امتد اللاشعور مع ثورة "يونج" ليشمل طبقة أعمق تشترك فيها كل السلالة، هي "اللاشعور الجمعي"، الذي يحتوي على "الأنماط القديمة" التي تعبر عن المفاهيم والحاجات والطموحات البدائية للبشرية، وكذلك "اللاشعور الشخصي"، الذي يتضمن المواد المكبوتة من خبرة الفرد نفسه[3].

وقد زعم بعض علماء النفس أن تجارب الإحباط الشديد في مرحلة الطفولة والمراهقة تؤدي إلى مخزن من الغضب نحو الآخرين، قد ينتهي بالقيام بسلوك عنيف معهم بما في ذلك قتلهم، وقد انتهى "بالمر" من دراسة له عن القتلة إلى أنهم قد مرّوا بصدمات وإيذاء يعادل ضعف ما تعرض له غير القتلة، وذلك خلال مرحلة طفولتهم ومراهقتهم، وتتمثل هذه الخبرات المرضية في معاناة الميلاد، والعمليات الجراحية الخطيرة والأمراض والحوادث الخطيرة، والضرب والإيذاء البدني من غير الوالدين والعيوب الخلقية، والتعرض لنظام صارم، وأم مهملة، والتبول الليلي والتأتأة ومصاعب الدراسة، مع أعراض تثير المعاناة من إحباط كبير ينجم عنه إحباط أكبر[4].

والخلاصة مما سبق ذكره هو أن المدخل النفسي للعنف سواء من جهة التحليل النفسي أو مختلف الاتجاهات النفسية والأبحاث المستحدثة ترتكز على أهمية البعد النفسي للعنف، وبالرغم من وجود انتقادات لاسيما للتحليل النفسي يبقى هذاالبعد النفسي والجانب التحليلي للشخصية الإنسانية غاية في الأهمية، لكن السؤال الذي يجب وضعه في هذا السياق، هو هل الجانب النفسي هو البُعد الوحيد لتحديد العنف في شموليته وحقيقته؟

---

[1] -المرجع السابق، ص: ٢٠٠.

[2] - الميكانيزمات الدفاعية: يعود هذا المصطلح في نشأته إلى"سيجموند فرويد" ويعنى بها الحيل الدفاعية هي عبارة عن أنواع من السلوك أو التصرفات التي ترمي إلى تخفيف حدة التوتر النفسي المؤلم والقلق وحالات الضيق التي تنشأ من استمرار حالة الإحباط مدة طويلة بسبب عجز الإنسان عن التغلب على العوائق التي تعترض إشباع دوافعه وهدفها وقاية الذات والدفاع عنها وتحقيق والاحتفاظ بالثقة في النفس واحترام الذات وتحقيق الراحة النفسية والأمن النفسي

[3] -المرجع نفسه، ص: ٢٠٦.

[4] - عبد الله عبد الغني غانم جرائم العنف وسبل مواجهته، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الطبعة الأولى الرياض2004-1425.ص ص 95-96.

وجهة نظر علم نفس الحيوان[1]:

عمد "كونراد لورنز" إلى دراسة العدوانية لدى الحيوانات فبين أن شراسة الحيوان المفترس ودمويته ليست سوى أسطورة، والعلاقات الدموية والعدوانية المُفرطة لا تلاحظ إلا بين الحشرات، وللعدوانية وظيفة تحدد في أربع نقط:

- الدفاع عن المجال الحيوي عن الطريدة أو منطقة الصيد
- البحث عن الغذاء
- المكانة المرتبية ضمن الجماعة بُغية تحقيق توازن وظيفي وأعلى مكانة هي حماية الجماعة من الأعداء وحراستها
- التزاوج إذ تبرز أشكال القتال ضراوة بين أفراد الجنس نفسه، وتكتب الغلبة للأقوى مما يؤدي إلى تطور الجنس.
- وقد استخلص "لورنز" من دراساته على سلوك الحيوان في القتال عدة أشياء أهمها أن كل سلوك عدواني لدى الحيوان أو كل ميل عدواني يقابله ويضبطه ميل كابح يمارس عمله من خلال سلوك طقسي conduite mutuelle يقوم به الحيوان الأضعف، وتزداد قوة الكابح كلما ازدادت الميول العدوانية والسلاح العدواني، ومن هذا المنطلق يرى "لورنز" أن مأساة الإنسان بعدوانيته التي تتفجر عنفا وشراسة وحقداً تعود إلى فقدانه التكيف النزوي، أي فقدان الكوابح الغريزية لعدوانيته التي حلت حلها الكوابح الخلقية والحضارية، كما يؤكد على وجود ما يسمى بالحماس المناضل Enthousiasme militant، وهو نوع من العدوان المشترك يرتبط بالانتماء إلى جماعة ما، يظهر عند الإنسان والحيوان ويستند إلى غريزة تنطلق في ظروف خاصة للدفاع عن الجماعة، والحماس المناضل استجابة انفعالية لا تخضع لمنطق أو إقناع عقلاني، ومن شروطه الأساسية :
- الإحساس بتهديد فعلي للجماعة التي ينتمي إليها
- وجود عدو خارجي محدد هو مصدر التهديد
- ازدياد عدد أفراد الجماعة التي تلتف حول الزعيم البطل

ثانيا : الاتجاه البيولوجي :

ارتبط الاتجاه البيولوجي في تفسير السلوك العنيف تاريخيا بالطبيب الإيطالي "لومبروز Lombroso" فهو صاحب مفهوم " المجرم بالميلاد" وهو الإنسان الذي تتوفر فيه مجموعة من الصفات من بينها عدم تناسق شكل الجمجمة وضخامة الفكين وبروز عظام الخد ورقة الشفة العليا عن السفلى وكبر الأذنين وكثافة الشعر، ثم يتبعها

---

[1] - مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، المركز الثقافي العربي، ط: ٨، ٢٠٠١، بيروت. لبنان، ص: ١٨٤ -١٨٥.

بعض الصفات النفسية التابعة منها ضعف الإحساس بالألم والميل إلى العدوان وانعدام الشعور الخلق وقصر النظر والغرور.

يستنتج Lombroso وكما هو معلوم من خلال بحوثه أثناء عمله في الجيش الإيطالي أن المجرمين الحقيقيين هم المتخلفون في تطورهم أو العائدون إلى صفات الإنسان الأول، وهنا يمكن تشخيصهم من خلال ملامحهم البدنية من أشكال أبدانهم ووجوههم وأيديهم، ومنه فإن هؤلاء الأشخاص المتخلفون غير قادرين وراثيا على السلوك القانوني والسوي [١].

وفي نفس الاتجاه يذهب دي توليو Detullio الذي وضع نظرية التكوين الإجرامي أو الاستعداد السابق للإجرام عام ١٩٤٥ تبين وجود أفراد لديهم استعداد أو ميل إلى الجريمة لا يتوفر لدى الآخرين معتبرا أن الظروف البيئية لا تثير النزعة العدوانية لدى الجميع فهي تشكل مثيرات كاشفة لنزعات المفطورين (المجبولين) على السلوك العدواني والإجرام، إذ يوجد عيوب في إفرازات الغدد الداخلية.

وبشكل عام يفسر العنف بيولوجيا بكونه شذوذ في التركيب الجيني أو التركيبة الوراثية، إذ تركز الأبحاث في هذا الجانب على التكوين الجيني أو تكوين الكروموزمات لدى الإنسان هي ٤٦ وحدة صبغية. كروموزوم. منها ٢٢ زوجا متشابها تشابها كليا وكل صبغ أو كرموزوم يحتوي على آلاف المولدات الكهربائية في حين أن الزوج الثالث والعشرين وهو زوج الصبغيات أو الكروموزمات الجنسية يختلف حسب الجنسية للمرأة صبغيين متشابهين (××) أما الرجل فله صبغيين مختلفين (yx).

في هذا السياق الذي ننظر فيه إلى الإنسان نظرة بيولوجية تتجه الدراسات إلى أن الأفراد العدوانية والعنيفين لدى أغلبهم حالات من الشذوذ في صبغتهم الجنسية بحيث قد تؤدي زيادة (x) واحد أو اثنين إلى تخلف عقلي، كما أن زيادة (y) واحدة قد يكون لها تأثير في الغرائز العدوانية. وقد تحدث "ميشيل كورناتون" في كتابه جذور العنف الحيوية النفسية والنفسية الاجتماعية[٢]، على أنه قد لوحظ بالفعل وجود نسبة كبيرة من صبغية (XYY) وهي غير طبيعية بين المجرين العنيفين.

لذلك حاول بعض الباحثين الربط بين حالات الشذوذ في الصبغيات وبين الميولات إلى العنف والعدوان لدى الإنسان.

إن هذا التفسير البيولوجي للعنف وصل إلى حد أن بعض علماء الأعصاب قام بوضع خريطة للنزاعات الدماغية الشاذة التي تتعلق بالسلوك العدواني والعنيف، كما حاول آخرون إبراز العلاقة بين السلوك العنيف من جهة وكيميائية الدماغ من جهة أخرى[٣].

---

[١] - واقع الجريمة واتجاهاتها في الوطن العربي، د أكرم عبد الرزاق المشهداني، مرجع سابق ص ١٣١.

[٢] -المرجع: جرائم العنف وسبل الواجهة، عبد الله عبد الغني غانم، مرجع سابق ، ص: ٦٩.

[٣] -المرجع السابق، ص: ٧٠.

ويعود التفسير البيولوجي للعنف حديثا إلى ما توصل إليه فريق هولندي بالتعاون مع علماء من الولايات المتحدة لما اكتشف فريق البحث صدفة أن الرجال في إحدى العائلات الهولندية قد ارتكبوا على مدى خمسة أجيال أعلى عنف واغتصاب وإحراق ممتلكات، كما تبين أن أولئك الرجال يعانون خللاً جينيا جعل الأنزيم المسؤول عن تنظيم السيروتوتين الذي تفرزه المراسلات العصبية عاجزاً عن العمل&.

وإذا كانت الدقة والصرامة العلمية تفيد بعدم تعميم نتائج مثل هذه الأبحاث وهو الأمر الذي ينتصر إليه "هان برونر" عالم الوراثة الهولندي، وعضو فريق البحث السالف الذكر، فإن بعض الدراسات والأبحاث الحديثة تفسر العنف بوجود مورثات جينية تسبب إنتاج هرمونات معينة أو تغير الإفرازات الهرمونية في الجسم قبل الولادة أو بعدها مباشرة[١] .ويمكن النظر إلى تجليات التفسير البيولوجي للعنف كما يلي:

١) وراثة الحماقة:

يعتبر هذا الموقف امتداداً لما قام به علماء الفراسة في منتصف القرن التاسع عشر، فبعدما درسوا شخصية الفرد من خلال مواضع ونتوءات في الرأس، ووضعوا خريطة لجمجمة الإنسان وحددوا المنطقة رقم ٦ "من بين ٣٥ منطقة" على أنها هي المسؤولة عن العنف والنزعات التدميرية في الإنسان، جاء بعض البيولوجيين ليفسروا العنف وارتباطاته من إدمان للكحول وجرائم بسبب سمة واحدة وهي "الحماقة" باعتبارها حالة موروثة تنقل من جيل لآخر شأنها في ذلك شأن وراثة لون الشعر أو العيون.

في هذا الصدد يفسر أحد رواد هذه الدراسات في الولايات المتحدة الأمريكية "هنري جودراد"، حالة الحمقى بكونهم عبارة عن أشكال إنسانية غير متطورة، بل مجرد كائنات حيوانية ذات ذكاء ضعيف ويتمعون بجسد قوي، إلا أن هذا الزعم يمكن وصفه بالتفسير الإيديولوجي السائد في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعلل ذلك بقول "تشارلز ديفنون" مدير معهد كارنيجي في نيويورك وأحد علماء تحسين النسل المشهورين «إن التدفق الكبير للهجرة من شرق وجنوب أوروبا سوف يجعل الأميركي أكثر سمرة وأقل منزلة وأكثر مكراً وميلاً لارتكاب جرائم السرقة والخطف والاعتداء والاغتصاب» وكأنما المهاجرين يحملون في تكويناتهم الجينية موروثات العنف.

٢) النقص العقلي:

يفسر البيولوجيون في هذا الصدد العنف بكونه يرتبط بعيوب ونقائص تصيب العقل البشري، وقد أجريت أول دراسة من هذا النوع على أدمغة المجرمين عام ١٩٨٠ توصل من خلالها الباحثون إلى أن لمرتكبي جرائم العنف أدمغة

---

[١١] - المرجع نفسه، ص: وفي هذا الصدد تؤكد البيولوجية الأميركية "كيت ماكبرنيت" الأستاذة بجامعة شيكاغو الأمريكية أن البداية المبكرة للسلوك العدواني واستمراريته مرتبط بوجود مستويات منخفضة من هرمون التوتر المسمى "كورتيزول" في اللعاب.

فوجود مستويات منخفضة من هرمون التوتر "كورتيزول" تشجع السلوك العدواني لدى الفرد في سن ٧ -١٢ سنة، وإن الأطفال الذين يرتكبون سلوكات عنيفة وعدوانية ويتورطون في جرائم أحيانا ليس لأن هناك خطأ في التربية، ولكن الأمر يتعلق بوجود مورثات جينية تسبب إنتاج هرمونات معينة أو تغير الإفراز الهرموني بشكل طبيعي.

تحتوي على مناطق غير نشطة تتعلق بمراكز السيطرة ويرجع أنهم تعرضوا في صغرهم (طفولتهم) للضرب على الرأس.

وما يزيد من أهمية هذا التفسير هو اكتشاف أحد العلماء النفسيين عام ١٩٩٧ من ولاية تكساس أن نزعات العنف والعدوان تعود إلى تلف في الفصين الأمامي والخلفي بأدمغتهم بسبب ما يلحق بالدماغ من أضرار. وهنا لا يستطيع الأشخاص الذين يُعانون من أضرار أو تخلف في نمو الفصوص أن يتحكموا بدوافعهم، وهكذا تم الربط بين النقص العقلي والعنف بالرغم من ما أبداه الكثيرون من تحفظ.

٣) انحرافات وظائف الدماغ:

يرتبط العنف بانحرافات وظائف الدماغ، ويستند رواد هذا التفسير وهم علماء الأعصاب إلى معطيات التشخيص بواسطة آلة قراءة الدماغ أو ما يسمى بجهاز رسم المخ وهي آلة تستخدم التصوير الرنيني المغناطيسي الوظيفي والتصوير الطبقي بانبعاث البيزترون للكشف عن الأخطار. وتعتبر حالة الفتاة المراهقة "جولي" التي أوردها "كولين بلاكمور" من جامعة أوكسفورد من أمثلة العلاقة بين العنف والخلل الوظيفي للدماغ، إذ لم تكن هذه الفتاة تستطيع التحكم بجسمها فطعنت امرأة في قلبها، ليكتشف الأطباء فيما بعد أنها كانت تُعاني من نوبات صرعية صغيرة تتركز في بقعة من الدماغ تسمى "اللوزة" تقوم بدور جهاز الإنذار في الدماغ لذلك يرى "كولين" أنه من العبث معاقبة مرتكبي أعمال العنف، بل يجب علاج أدمغتهم.

وقد نشرت دراسة عام ١٩٩٩ من طرف مجلة Natur Norscience في نفس الموضوع تكشف أن حدوث إصابات في سن مبكرة جداً في القسم الأمامي من الدماغ يمكن أن تحول الطفل إلى شخص بالغ غير مسؤول ومهمل وجامح.

ثالثا : الاتجاه الاجتماعي للعنف:

إذا كان الاتجاه النفسي يرجع العنف إلى محددات وأسباب نفسية، بحيث يتصرف الفرد بشكل عنيف بفعل أسباب نفسية فإن ما يؤخذ على هذا الاتجاه هو المبالغة والمغالاة في الانحياز لأهمية العوامل النفسية، ولعل تغييب الجانب الاجتماعي يشكل تغيباً وإقصاء لجانب مهم من حياة الإنسان . إن مشكلة العنف في هذا السياق يصعب فصلها على هو اجتماعي، إذ كيف يمكن أن نتحدث عن الفرد في غياب المجتمع ؟ . يؤكد عالم الاجتماع الفرنسي "إميل دوركايم" في كتابه "في تقسيم العمل الاجتماعي" بأنه "تنمحي فرديتنا (بالضرورة) عندما يشتغل التضامن الآلي[1]، فلا يكون الفرد فرداً بل كائنا منصهراً في "الجماعة"، وفي نفس المعنى يذهب الفيلسوف وعالم الاقتصاد الألماني كارل ماركس ليؤكد على أن الفرد ظهر ككائن مرتبط بمجموعة أوسع، يرتبط أولا ارتباطاً طبيعيا بالعائلة والعشيرة كعائلة ممتدة، ثم يرتبط بعد ذلك بالمجتمع في صورته الشمولية، لذلك لا يمكن إنكار البُعد الاجتماعي، ومن تم فالعنف باعتباره سلوكاً صادراً عن فرد لا يمكن هو الآخر فصله على ما هو اجتماعي.

---

[1] - التضامن الالي: يُقصد به تضامن أفراد المجتمع الواحد، بحيث يتجاوز إرادتهم ومصالحهم الخاصة، ولذلك ينشأ عن علاقات اجتماعية ناضجة تغلب فيها الهوية والمصلحة الجماعية والمشتركة.

وبالرغم من تداخل ما هو ثقافي مع ما هو اجتماعي في تفسير العنف فإنه يمكن تصنيف الاتجاهات الاجتماعية المفسرة للعنف حسب السمة الغالبة عليها إلى:

١: تفسير ثقافي

٢: تفسيراجتماعي

٣: التغير في المجتمع ونظمه

٤: اتجاهات تفسيرية أخرى

١) - التفسير الثقافي للعنف:

يتعلق العنف من حيث هو عنفاً أي من حيث معاييره والحكم عليه أنه كذلك بالثقافة السائدة، والتي تختلف من بلد لآخر، فالعنف قد يكون عنفاً في بلد ما وقد يكون سلوكاً عاديا في بلد آخر وذلك حسب الثقافات.

ولما كانت الثقافة تنشئ وحدة مشتركة رهن مرتكزات الأخلاق والمعرفة والعمل، ولما كان رفض الانتماء لثقافة ما والتكلم بلغتها وقبول نظامها ومعاييرها يعني رفض ثقافة هذه الجماعة فإن ذلك الرفض يعبر عن عدوانية ثقافية من جهة ويعبر عن مظاهر العنف من خلال آلية الصراع، لكن هنا نتجاوز المفهوم البسيط لمفهوم العنف إلى مفهوم أكثر أهمية وهو العنف الرمزي، وذلك من خلال لعبة العنف والعنف المضاد على المستوى الثقافي الرمزي، فعنف الزنوج مثلاً[1] في أميركا وهي الفئة التي تجمع الإحصاءات الأميركية على أنها الأعلى ارتكاباً لجرائم العنف، مرجعه ثقافي وهو أن شعار الثقافة الأميركية يرفع من قيمة الثراء وجعله غاية الغايات، وعدم فتح سبل مشروعة لكسب وبلوغ ذلك مثل تلك الفرص المتاحة للبيض. فكان من الطبيعي اللجوء للعنف خاصة وأن العنصرية والتحيز والتعصب القائم على العرق والسلالة تشكل في حد ذاتها عنفاً مما يؤدي إلى عنف مضاد ويؤجج الصراع كنتاج لتصادم ثقافتين.

وقد ذهب "هنتغتون في كتابه صدام الحضارات إلى أن العنف نتاج لصراع الثقافات، وهذا الصراع ينقسم إلى صراع داخلي وصراع خارجي. فالصراع الداخلي يختلف باختلاف الاتجاهات والقيم الاجتماعية داخل المجتمع الواحد تبعاً لاختلاف العادات والتقاليد والأنماط الثقافية. أما الصراع الخارجي فانه يمثل في التصادم بين اتجاهات ثقافية مختلفة، وأساليب السلوك الداخلية المرتبطة بثقافتها الخاصة، ويكون التصادم بين الثقافتين بشتى الوسائل كالاستعمار، الحدود، الهجرة.

وما ينبغي التنبيه إليه هو أن الاستعمار له دلالة ثقافية ورمزية أكثر مما لديه دلالة مادية عسكرية، ويمكن أن ندخل حالات العنف لدى الزنوج في أميركا مظهراً من مظاهر الصراع الداخلي، لكن لها امتدادات ثقافية وتاريخية

[1] - محمد الأزهر، مبادئ علم الإجرام، ط: ٤، دار النشر المغربية، البيضاء (٢٠٠٠)، ص: ٥٩ . ٦٠.

وعرقية أيضا.لذلك يؤكد هنتغتون على أن المبادئ الفلسفية والقيم الإنسانية والعلاقات الاجتماعية والأعراف وطريقة النظر إلى الحياة بشكل عام تختلف واقعياً من حضارة لأخرى[1].

ليس العنف أحياناً مجرد مظهر من مظاهر الثقافة أو نتاجاً لها، بل يشكل ضرورة وواجباً ثقافيا، وذلك حسب ما يعرف بنظرية الثقافة الفرعية التي أوضح "بيتر تاونسند" بأنها تتكون من أنساق متميزة للقيم والعادات، بحيث تتكون منظومة ثقافية تختلف عن تلك السائدة في المجتمع ويتم انتقال قيمها ومعتقداتها من جيل لآخر، وكمثال على ذلك نجد قبائل "موريياس Morias" بالهند تتخذ من ممارسة العنف والقتل والسلب والنهب مهنة لها، ويتم توريث الأبناء العنف وتنشئتهم عليه باعتباره أسلوباً مقبولا .

II. التفسير الاجتماعي:

في الحقيقة غالبا ما يصعب الفصل التام بين ما هو نفسي وما اجتماعي إذ يشتغلان في تفاعل مستمر وعلى نفس المنوال يتداخل الثقافي مع الاجتماعي فتكون حدودهما نسبية، لكن مع ذلك نركز على البُعد الاجتماعي للعنف في صورة امبريقية وواقعية، وذلك من خلال فهمه كظاهرة متشابكة الخيوط داخل النسيج الاجتماعي لعلاقات متعددة ومختلفة ولمؤسسات اجتماعية وتربوية تنشئوية. من هذا المنطلق سنتناول التأصيل السوسيولوجي للعنف من خلال محاولات جادة في تفسير العنف كظاهرة اجتماعية لها أسبابها ومظاهرها وتجلياتها ومشاكلها، وعليه فجذور العنف مصدرها الإطار الاجتماعي الذي يضم الأسرة والمدرسة وباقي المؤسسات التربوية وغيرها، وتختزل هذه المؤسسات الاجتماعية معايير وقيم تكون هي المحرك لكل فرد نشأ وتربى فيها. يتعلق الأمر هنا بالتنشئة الاجتماعية، باعتبارها عملية إكساب الفرد أدواراً اجتماعية لكي يشغل مكانات موقعية في الجماعات التي يعيش في وسطها، واكتساب الفرد للأدوار يتحقق من ناحية اجتماعية عملية، في أسرته ،وجماعته الرفقية ، ومدرسته ،ومكان عمله ،وباقي الجماعات الاجتماعية التي ينخرط بها على مكانة اجتماعية[2].

وفي حالة وجود العنف في هذه الأوساط الاجتماعية فإنه من الطبيعي أن يلجأ الفرد لممارسة العنف، ويعتبر عدم لجوئه للعنف مجرد استثناء. بل أكثر من ذلك هو قد يصبح مرتكب سلوك العنف شخصية بطلة وقوية وقادرة على تجاوز الصعاب في ما يمكن تسميته سوسيولوجيا ب:"الرجولة" أو "السوبرمان"، كما هو الشأن بالنسبة لبعض الأوساط الاجتماعية في البوادي في المغرب مثلا، ويتحول الملتزم والخاضع للمعايير إلى خائف وخانع تنعدم فيه ما يسمى ب"الرجولة" في الأوساط الشعبية أحيانا، ولعل هذه القراءة تذكرنا بما رأيناه سلفا في التفسير بالثقافة الفرعية، لكن الأمر هنا يتعلق بمعيار اجتماعي وليس ثقافي.

---

[1] E Samuel. P. Himtingtion, 2000, « Lechoc des civilisations », Odile Jacob, Paris, p : 24.

[2] - التنشئة الاجتماعية، د.معن خليل العمر، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط: ١، ٢٠٠٤، عمان، الأردن، ص: ٢٠.

أ. اللامعيارية (إيميل دوركايم):

سنجد إذن من المفاهيم التي تشكل المدخل الاجتماعي للعنف "اللامعيارية أو الأنوميا" والضبط الاجتماعي والضغوط الاجتماعية، ويُعد السوسيولوجي الفرنسي "دوركايم" من رواد هذا الاتجاه فقد فسر الظاهرة الاجتماعية بكونها ظاهرة طبيعية تتصل بتكوين المجتمع وطبيعة الحياة الاجتماعية، والعنف هنا نتاج اجتماعي ينتجه المجتمع نفسه من خلال إدانته وتحديده لبعض الأنماط السلوكية بوصفها أفعالاً مخلة بالمعايير والقواعد الاجتماعية[1]، وقد عهد" دوركايم " على محاولة تحديد الظاهرة الاجتماعية وتشخيصها، فاعتبرها تلقائية بمعنى أن الفرد ليس بصانعها لأنها موجودة قبل أن يوجد الأفراد، فنحن نولد ونجد أمامنا مجتمعاً كاملا معداً من قبل لا نستطيع أن نغيره إذا أردنا وما علينا إلا الخضوع لكن بالمقابل نجد هذا المجتمع قد وضع الجزاء لكل من ينحرف ولم يتبع النظام الاجتماعي[2].

وإذا كانت الظاهرة الاجتماعية خارجية بمعنى أن لها خواص سابقة عن الأفراد ومستقلة عنهم كما يحدد "دوركايم"، فإن المسألة هنا تجعلنا نشكك في مسؤولية الأفراد، لأنه مادام المجتمع تشكل خارج الأفراد ومادام الفرد مستقل عن ظواهر المجتمع، فالعنف كظاهرة من بين ظواهر أخرى مسؤولية اجتماعية بامتياز، لكن ما ينبغي التأكيد عليه هنا هو أنه حتى علماء الاجتماع اختلفوا في الإجابة عن سؤال من المسؤول عن من؟ أو من يصنع من؟ هل المجتمع هو صانع لأفراده أم الأفراد صانعوا مجتمعهم؟أم أن الإنسان أصلا لا يكون إنساناً إلا بالجماعة التي يحقق فيها إنسانية، وكذلك الجماعة ليست سوى الغاية الطبيعية للإنسان بصفته مواطناً له القدرة على المشاركة في تدبير الشأن العام؟

إن قراءة سوسيولوجية عفوية تنطلق من قبول الافتراض الأخير الذي يحدد علاقة الفرد بمجتمعه في عبارة "الفرد والمجتمع وجهان لعملة واحدة" وربما هو ما اهتدى السوسيولوجي الألماني "نوربرت الياس" تجعلنا نفسر أن العنف يرتبط بخلل في الجماعة التي يحقق فيها الإنسان إنسانيته أو خلل في طريق المشاركة التي قد تعطينا حالة الانصهار والاندماج في المجتمع أو حالة "اللاتكيف" واللاتوافق الاجتماعيين.

وقد أشار دوركاييم إلى أن حتمية الظروف الطبيعية على المجتمع تولد ما اصطلح بـ"الأنوميا"[3]، وهو مفهوم طوره "ميرتون Merton" فاعتبره حالة اجتماعية تتصف بالتناقض والصراع بين الأهداف التي يحددها المجتمع والطرائق التي يقررها في تحقيق هذه الأهداف كما يشير "الأنومي" إلى ضعف المعايير الاجتماعية الضابطة لسلوك الأفراد أو

---

[1] – واقع الجريمة واتجاهاتها في الوطن العربي، مرجع سابق، ص: ١٤٠.

[2] – اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، د. عبد الباسط عبد المعطي، عالم المعرفة، غشت ١٩٨١، الكويت، العدد: ٤٤، ص: ١١٥.

غيابها أو عدم وضوحها١. وإذا كان الانحراف وفق رؤية ميرتون نتاجاً لغياب التوازن بين الأهداف ووسائل تحقيقها فإن العنف هنا سيجد تربة خصبة إذا رفض المجتمع الوسائل غير المشروعة.

خلاصــة:

إن ما يمكن استخلاصه من وراء مسألة العنف هو أنها متشابكة الخيوط ،فالعنف ليس مفهوما وحسب ولكنه سلوك وممارسة صادرة عن الذات الإنسانية ، وبالرغم من اشتراك الإنسان مع الحيوان في هذا النمط السلوكي ، فإنه لا يمكن أن نغامر بالقول : إنه صفة إنسانية أو أنه سلوك فطري . وما دام نفي صفة الفطرية واعتباره نتاجا لما دون ذلك هو الأخر مجازفة في دراسة المسألة، فإنها تبقى أسيرة تفسيرات لمجموعة من الخطابات الأدبية و العلمية. إن مسألة العنف إشكالية فلسفية وهي أيضا ظاهرة ثقافية واجتماعية كما لها ارتباطات نفسية وفسيولوجية وهو ما يجعلها مجال الاختلاف في المبحث الأقرب لفهمها ودراستها .

وبالنظر إلى أشكاله المتعددة والمختلفة التي تنخر في الوجود البشري نفسيا، ومعنويا ،وجسديا ،فإن مجال مقاربته يجب أن ترتبط بمظاهره وتأثيراته ، فأثار العنف ونتائجه متعددة ومختلفة على الفرد والجماعة الإنسانية لاسيما في حالة الاعتداءات الجسدية والنفسية . ولعل هذه الحالة الإنسانية هي التي تجعل منه مسؤولية اجتماعية وأخلاقية يجب أن يتحملها الإنسان ، كل الإنسان ،لاسيما المفكر والعالم ومن أوكلت إليه مهمة التربية .

يظهر لنا بوضوح تام أنه لكي يعيش الناس في أمان وسلام على نحو أفضل ممكن يستوجب عليهم تخليق الحياة المدنية والاجتماعية وإعادة النظر في أنماط التفكير المشجعة على العنف أو المشجعة على محاربة العنف بالعنف، كما يستوجب محاصرة أسبابه ومعالجتها. وبناء على ذلك يجب أن ينزل المجتمع المدني والإعلام والجامعة والمدرسة وكل المنابر العلمية والأدبية بكامل ثقلهم ، وحتى جهاز الدولة بمختلف مؤسساتها السياسية للاضطلاع بمسؤوليتهم التاريخية والأخلاقية لمعالجة مسألة العنف وفهم خيوطها .

المراجع :

المراجع العربية :

- أحمد مصطفى جابر « ضد العنف والتمييز» دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ .

- أكرم عبد الرزاق المشهداني ،واقع الجريمة واتجاهاتها في الوطن العربي ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الطبعة الأولى الرياض

- إيمانويل كانط، نحو سلام دائم، ترجمة عبد الرحمين بدوي، وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٩ .

- المصطفى حدية: قضايا في علم النفس الاجتماعي، الطبعة ١ -٢٠٠٥ ربانيت، الرباط، .

ج.ل، فلووجل ، علم النفس في مائة عام، ، ترجمة: لطفي فطي، دار الطليعة، بيروت، ط: ٤، ١٩٨٨ .

- حماني أقفلي ،العنف، مقاربات فلسفية، ، وليلي، العدد ١٤، ، مطبعة مرجان مكناس، أبريل ٢٠٠٩ .
- منير كرادشة، العنف الأسري، سيكولوجية الرجل العنيف والمرأة المعنفة، ، عالم الكتب الحديث إربد –الأردن ٢٠٠٩ .
- مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء الطبعة ٨ –٢٠٠١ .
-عبدالرحمان مصلح الشرادي "انحراف الأحداث في التشريع المغربي والقانون المقارن"، مطبعة الأمنية، ٢٠٠٢ ، الطبعة الأولى .
- عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، ، عالم المعرفة، الكويت، العدد: ٤٤، غشت ١٩٨١
- عبد الله عبد الغني غانم ،جرائم العنف وسبل المواجهة ، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ م .
- كاظم الشيب " العنف الأسري" قراءة في الظاهرة من أجل مجتمع سليم، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٧، المغرب .
- ج. جاك رسو: العقد الاجتماعي، ترجمة بولس غانم، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، ١٩٧٢ .
- ج.لوك، في الحكم المدني، ترجمة ماجد فخري، عن محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، حقوق الإنسان، دار توبقال للنشر ط ٢ –٢٠٠٤.
- ماكس شيلر، الإنسان الحاقد، وراد عن غايات بيكون، آفاق الفكر المعاصر، الترجمة العربية، منشورات عويدات، بيروت .
- محمد ياسين: " ثقافة العنف: الأسس والفاعلية"، مجلة وليلي عدد ١٤، مطبعة مرجان ٢٠٠٩.
- ماكس فيبر " رجل العلم ورجل السياسة، ترجمة نادر ذكرى، بيروت، دار الحقيقة ١٩٨٢ .
- مكيافيللي: " كتاب الأمير"، ترجمة أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا، القاهرة ٢٠٠٤ .
- محمد الأزهر، مبادئ علم الإجرام، دار النشر المغربية، ط: ٤، البيضاء ٢٠٠٠ .
- معن خليل العمر ،التنشئة الاجتماعية، ، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط: ١، ٢٠٠٤، عمان، الأردن .

-المراجع الأجنبية :

- E Samuel. P. Himtingtion, 2000, « Lechoc des civilisations », Odile Jacob, Paris, p : 24.
- freud, Essais de psychanalyse , ed Payoy, p 240
- F.Engles, L’origine de la famille, tard. J. stern, ed. Sociales, Paris, p 281-286.

- **Petit Robert par Paul Robert, Dictionnaire de la langue Française.- rédaction dirigée par A.Rey et REY- Debove.107 avenue Parmentier, Paris- XI, p : 2097**
- **Thomas Hobbes, le Léviathan, traité da la matière et la forme et du pouvoir de la république ecclésiastique et civile, chap. XIV trad. Fr.traicand, Sirey 1971 pp120.**
- **JJ. Rousseau, le contrat Social, PUF, France، 2000 deuxième Livre, chap. VI**


جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY
جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY

مدى توافر معايير الجودة في الأداء التدريسي لعضو هيئة التدريس بكلية التربية النادرة من وجهة نظر طلبة الكلية

د/ أحمد عبدالله أحمد القحفة

أستاذ المناهج وطرق تدريس الرياضيات المساعد – رئيس وحدة

ضمان الجودة - بكلية التربية –النادرة جامعة إب

8

الملخص

يهدف البحث إلى قياس مدى توافر معايير الجودة في الأداء التدريسي لعضو هيئة التدريس بكلية التربية النادرة من وجهة نظر طلبة الكلية، وقد تمت الإجابة عن أسئلة هذا البحث من خلال تطبيق استبانة مكونة من ثمانية محاور مثلت الأداءات التي يمارسها عضو هيئة التدريس بالكلية، اشتملت على (١١٤) فقرة، مثلت كل فقرة أحد معايير الجودة التي تم قياس مدى توافرها لدى أعضاء هيئة التدريس، طبقت الاستبانه على عينة عددها (١٠٠) طالب وطالبة من طلبة المستوى الرابع في جميع أقسام الكلية، وبينت النتائج أن مستوى الأداء التدريسي العام لأعضاء هيئة التدريس بالكلية متوسط في جميع المحاور، ولم يحقق مستوى الأداء المقبول المحدد بنسبة (٦٦٪) إلا محوري أداء عضو هيئة التدريس في أول محاضرة يدرسها، وأداءه أثناء تفاعله واتصاله بالطلبة وبنسبة (٦٨٪) و(٦٦٪)، انتهى البحث بتقديم بعض التوصيات منها ضرورة تنفيذ دورات تدريبية متنوعة لرفع مستوى الأداء وفقاً لمعايير الجودة المعتمدة، وتحسين إمكانيات الكلية لتتمكن من تحقيق الجودة الشاملة في تخريج أفراد قادرين على المساهمة في البناء والتنمية داخل المجتمع.

مقدمة:

١ - يشهد العصر الحالي تطوراً سريعاً ومتلاحقاً في شتى مجالات الحياة نتيجة للثورة المعلوماتية والتقنية وسهولة الاتصال والتواصل، كما يشهد الميدان التربوي تطوراً كمياً ونوعياً متسارعاً في مجال التعليم العالي، حيث تمثل الجامعة القيادة الفكرية والعلمية في المجتمع، ورائدة التطور والإبداع، ويُعد الاهتمام بها أحد عوامل نهضة الأمم، و خدمة الفرد والمجتمع والبحث العلمي، ونقل المعرفة والحفاظ عليها وإنتاجها باعتبارها أساساً لتقدم المجتمعات المعاصرة.

٢ - وأهمية التعليم اليوم "لم تعد محل جدل في أي منطقة من العالم فالتجارب الدولية المعاصرة أثبتت أن بداية التقدم الحقيقية هي التعليم، وأن جوهر الصراع العالمي هو سباق في تطوير وتحسين جودته". (هند احمد البربري،١٤٢٨هـ،ص١). لذلك حازت عمليات تطوير التعليم الجامعي على الاهتمام الكبير في جميع أنحاء العالم، لاستنادها إلى دعائم أساسية هي:"التعلم للمعرفة، والتعلم للعمل، والتعلم للعيش مع الآخرين، وتعلم كيف نعيش".(يحيى بشر،٢٠١٢،ص٣٣٤)، وتقوم هذه الدعائم على مبادئ حديثة ظهرت لمواجهة الجمود في نظم التعليم وهي: "التفاوض على المعرفة، وبناء المعرفة، وموقع المعرفة".(حلمي فراج،٢٠٠٣،ص٢١٩ -٢٢٠) وهذا "يدعو إلى عملية تطوير جميع عناصر منظومة التعليم الجامعي وتحديثها وتجويدها حتى تستجيب لمقتضى تلك التغيرات".(منى السبيعي،١٤٣٠هـ)، وقد حظيت الجودة باهتمام كبير في معظم دول العالم باعتبارها إحدى الدعامات الأساسية لتطوير أنظمة التعليم التي ينبغي عليها مواكبة التغيرات العالمية والتكيف معها، ونقطة انطلاق الكوادر البشرية المؤهلة علمياً للمشاركة في تحقيق التنمية بأبعادها المختلفة، "الأمر الذي جعل الباحثين يسمون هذا العصر عصر الجودة .. والتحدي الحقيقي الذي ستواجهه الأمم في العقود القادمة".(أحمد كنعان،٩،٢٠٠٣). ومفهوم الجودة قديم وأصيل في ديننا الإسلامي الحنيف، يتكون من الدقة والإتقان، وهذان المفهومان نجدهما في نصوص كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، منها قوله تعالى : (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) (البقرة١٩٥) وقول الرسول ﷺ (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) (محمد الألباني، ١٩٧٩ ،ص ١٠٦).

ومفهوم الجودة يعد إحدى السمات الأساسية للعصر الحاضر، وذلك لاتساع استخدامه، وازدياد الطلب عليه في كثير من جوانب الحياة المعاصرة، فالعالم اليوم يعتنق مبدأ الجودة الشاملة، وليس أمام الدول إلا تحقيق الجودة الشاملة الذي يتطلب أن ينجح نظام التعليم في تعظيم قدرة الإنسان المشارك في عملية التنمية. (خالد الزواوي، ٢٠٠٣، ص٤٢).

فلم تعد الجودة حلماً تسعى إليه المؤسسات التعليمية، أو ترفاً فكرياً يحق لها أخذه أو تركه، بل أصبحت ضرورة ملحة تمليها التغيرات المتسارعة التي يشهدها قطاع التعليم العالي في جميع أنحاء العالم ومتطلبات الحياة المعاصرة، وتعد الجودة في التعليم العالي إحدى وسائل تحسين وتطوير نوعية التعليم والنهوض

بمستواه في عصر العولمة، وهذا ما أكده سامي، "بأن جودة التعليم بصفة عامة والتعليم العالي بصفة خاصة تعتبر مطلباً أساسياً يجب أن يتحقق في عصر يسوده التعقيد والتغيير والمنافسة"(سامي نصّار،٢٠٠٥،ص٩٣). وتمثل جودة التعليم الجامعي اليوم أهم التحديات التي تواجه نظم التعليم في جميع دول العالم الثالث ومن بينها بلادنا اليمن، لا سيما أن تقارير المنظمات العالمية تؤكد على ضرورة إعادة النظر في فلسفة التعليم الجامعي، مع التركيز على أهمية وضع معايير أفضل تحقق جودة مخرجات التعليم التي يتوقع أن تؤدي إلى تنمية شخصية الإنسان لخدمة مجتمعه، ودعم ثقافته الوطنية، وتتمثل إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي في المجالات الأتية: تهيئة متطلبات الجودة في التعليم العالي، ومتابعة عمليات التعليم والتعلم وتطويرها، وتطوير القوى البشرية، واتخاذ القرار، وخدمة المجتمع.(نعمان الموسوي،٢٠٠٣،ص٩٨)، كما تعنى رسالة الجودة بالإشراف والمتابعة لنظام الجودة الشاملة في الجامعات التي تطبق النظام عن طريق دراسة الوضع التعليمي والتربوي لتلك المؤسسات التعليمية ووضع الخطط المناسبة والشاملة لتطويره لاستيفاء متطلبات الاعتماد وضمان الجودة، وهذا ما أكدته دراسة (Lewis, 1997) من وضع الخطط والإستراتيجيات، والأساليب التدريسية للتغلب على مشكلات نظام التعليم العالي، في حين يرى كثير من التربويين والخبراء أن نجاح العملية التعليمية يعتمد في تطورها وتحقيق أهدافها بشكل أساسٍ على المعلم ومدى كفاءته في أداء الأدوار الحديثة المطلوبة منه، وعلى تمكنه من المهارات التدريسية المتنوعة في ضوء أدواره الجديدة، ويجدر بالقيادة المسؤولة في التعليم الجامعي أن تولي هذا الجانب المرتبط بالمعلم والتدريس جل اهتمامها، باعتباره أحد عناصر المنظومة التعليمية والعوامل المهمة للوصول بالتعليم الجامعي إلى مستوى الجودة الشاملة (اخليف الطراونة،٢٠١٠م).، "كما أن إعداد جيل قوي من الشباب يعتمد على كفاءة مهارة وقدرات وسلوك أعضاء هيئة التدريس بها". (محمد بن فاطمة،٢٠٠٠،ص٣)، ومن هذا المنطلق "وجب على إدارات الجامعات اليمنية أن توفر لعضو هيئة التدريس المناخ الحر والنقي لكي يقوم بواجباته،واتباع إجراءات كفيلة بالمحافظة عليه، وتوفير كافة المستلزمات الضرورية لتأمين حياة كريمة، وتطوير النظم التي تنظم دوره وتضمن بقاءه".(علي محافظة،٢٠٠٠،ص٣٢)، ومن أهمها تنمية قدراته وفقاً للجودة الشاملة، وقد أكدت دراسة محمد الجوفي ومحمد فائز، على وضع مجموعة من المعايير والشروط التي تساعد على تطبيق عناصر نظام الجودة الشاملة في النظم التعليمية الجامعية.(محمد الجوفي، ومحمد فائز،٢٠٠٩،ص١٧٣). كما ركزت ورشة تطوير استراتيجية جامعة إب على عملية تجويد التعليم الجامعي(ورشة تطوير استراتيجية جامعة إب ١ - ٢٠١٤/٣/٥م).

وهذا يفرض على المهتمين بالتعليم في اليمن، دراسة واقع التعليم الجامعي، وتحديد جوانب القصور فيه، وتعتبر الدارسة الحالية إحدى المحاولات لمعرفة مدى تحقق معايير الجودة في أداء أعضاء هيئة التدريس من وجهة نظر طلبة كلية التربية بجامعة إب.

مشكلة الدارسة :

تتمثل المشكلة في تدني مستوى المتخرجين وضعف قدرتهم على المنافسة في سوق العمل المحلي والإقليمي في الواقع المعاصر الذي نعيشه، وقد لاحظ الباحث طلبة الكلية وهم يشكون نقص عدد أعضاء هيئة التدريس المتخصصين، وعدم مراعاة المقررات الدراسية لمستوياتهم، وتغيب المحاضر -أحياناً - دون إخبارهم، مما يظهر جلياً في ضعف مستوى نتائج الطلبة، وهذا ما أكدته نتائج الدراسات المتوالية لمخرجات التعليم الجامعي، وقد يرجع ذلك إلى عدة أسباب: أهمها في الغالب تدني مستوى أداء عضو هيئة التدريس، والذي أصبح من الواجب أن يطور في أدائه بما يتلاءم مع معايير الجودة الشاملة، وهذا ما سعى إليه هذا البحث من محاولة للكشف عن مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس بكلية التربية، وذلك من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس "**ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس بكلية التربية من وجهة نظر طلبة الكلية؟** والذي يتفرع منه الأسئلة الآتية:

١- ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المتعلقة بمرحلة التخطيط لتدريس المحاضرة؟

٢- ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المتعلقة بأول محاضرة يدرسها؟

٣- ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المتعلقة بعملية تنفيذ المحاضرة داخل القاعة المتمثلة في: (عرضه لمحتوى المحاضرة في القاعة، وتوجيهه للأسئلة المناسبة أثناء سير المحاضرة، واستخدامه طرق واستراتيجيات تدريس مناسبة، واستخدامه الوسائل التعليمية والتقنيات الحديثة في التدريس؟

٤- ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المرتبطة بتفاعله واتصاله بالطلبة؟

٥- ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المرتبطة بعملية التقويم ؟

٦- ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس خارج القاعة الدراسية؟

٧- ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المتعلقة بمجاله الشخصي؟

٨- ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المتعلقة بمجال خدمة المجتمع؟

أهداف البحث : يهدف البحث الحالي إلى:

١ -بناء قائمة بمعايير جودة الأداء التدريسي اللازمة لعضو هيئة التدريس بكلية التربية -النادرة -جامعة إب.

٢ -قياس مستوى جودة أداء عضو هيئة التدريس بكلية التربية في المحاور: (التخطيط لتدريس المحاضرة - عمله بأول محاضرة يدرسها - تنفيذ المحاضرة داخل القاعة - تفاعله واتصاله بالطلبة - عملية التقويم – عمله خارج القاعة - مجاله الشخصي – خدمة المجتمع).

أهمية البحث:

١- يأتي هذا البحث تأكيداً على ضرورة تطبيق مفهوم جودة التعليم الجامعي على أساس أنه مطلب وطني عربي إسلامي عالمي.

٢- الاستجابة للاتجاهات الحديثة المطالبة بارتقاء الأداء الأكاديمي لعضو هيئة التدريس إلى مستوى معايير الجودة المهنية.

٣- تقويم الجوانب التطبيقية في الأداء التدريسي لعضو هيئة التدريس بكلية التربية - جامعة إب.

٤- قياس مدى تحقق معايير الجودة في الأداء التدريسي لعضو هيئة التدريس بكلية التربية جامعة إب.

٥- قد يسهم هذا البحث في تنمية وتطوير الأداء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات اليمنية.

٦- تقديم توصيات ومقترحات علمية للدراسات اليمنية المرتبطة بجودة التدريس الجامعي.

حدود البحث:

المكانية: تم تطبيق البحث في كلية التربية النادرة - جامعة إب.

الزمانية: تم تطبيق البحث في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ٢٠١٣ -٢٠١٤م.

البشرية: تم تنفيذ البحث على طلبة الكلية المسجلين بالمستوى الرابع بالأقسام الأكاديمية (القرآن الكريم وعلومه – اللغة العربية – الرياضيات – الفيزياء – اللغة الانجليزية – معلم حاسوب).

مصطلحات البحث:

١ -<u>معايير الجودة الشاملة</u> **Total Quality Standards**

أ - **المعايير(Standards):** تعد المعايير مؤشرات لأداء يجريه عضو هيئة التدريس بمستوى معين، والمعايير تعرف بأنها " محددات للعمل داخل حجرة البحث وتتكون من مجموعة من المستويات التي يجب أن يصل إليها أداء المعلم " (Gail ، ١٩٩٨، ٥٨٣).

ويعرف الباحث معايير الأداء التدريسي بأنها: مجموعة من المحكات التي تم اقتراحها في ضوء متطلبات الجودة لقياس مستوى الأداء التدريسي لدى عضو هيئة التدريس بكلية التربية جامعة إب، للتأكد من مدى تحقق معايير الجودة في التعليم الجامعي اليمني.

ب - **الجودة الشاملة (Total Quality):** عرفتها المنظمة الدولية للتوحيد القياسي (الآيزو -ISO) " بأنها تكامل الملامح والخصائص لمنتج أو خدمة ما بصورة تمكن من تلبية احتياجات ومتطلبات

محددة".(سهيل دياب، ٢٠٠٦،ص٥)، وتُعرف الجودة في التربية بأنها "العملية التي تهدف إلى توعية المتعلم وزيادة اهتمامه بالجودة من حيث معارفها وميادينها ونظرياتها وأساليب تطبيقها، وتزويده بالمعلومات والمهارات وتكوين الاتجاهات والدوافع والقيم التي تساعده على تطبيق مبادئ الجودة ومفاهيمها في حياته العملية وفي علاقته مع ذاته ومع الآخرين (محمدالبندري، ورشدي طعيمة،٢٠٠٢، ص٥)، وعرفها (حسن شحاتة، ٢٠٠٥،ص٥٤) بأنها "تحقيق ضمان الدقة والإتقان من خلال التحسن المستمر للمؤسسة." ، وعرفها (عامرالشهراني،٢٠٠٥) بأنها "أداء العمل بطريقة صحيحة وفق مجموعة من المعايير والمواصفات التربوية اللازمة لرفع مستوى جودة وحدة المنتج التعليمي بأقل جهد وتكلفة".

ويعرف الباحث جودة الأداء التدريسي إجرائياً في إطار التدريس الجامعي بأنها: وصول مستوى الأداء التدريسي لعضو هيئة التدريس بكلية التربية –النادرة –جامعة إب إلى درجة عالية من تحقيق معايير الجودة المقترحة في مجالات الأداء التدريسي (التخطيط للتدريس، والتنفيذ، والتواصل، والأداء الشخصي، وخدمة المجتمع) من وجهة نظر طلبة الكلية.

٢ –**<u>الأداء التدريسي</u>**: وهي " مجموعة السلوكيات التدريسية الفعالة التي يظهرها المعلم في نشاطه التعليمي داخل حجرة البحث وخارجها لتحقيق أهداف محددة تصدر من المعلم دائماً في شكل استجابات حركية أو لفظية ، وتظهر في تلك الاستجابات عناصر الدقة والسرعة في الأداء والتكيف مع ظروف الموقف التدريسي ". (علي راشد، ومنى سعودي،١٩٩٨،ص٤٦٨)،

والأداء التدريسي إجرائياً: كل الإجراءات التي يؤديها عضو هيئة التدريس بكلية التربية النادرة أثناء إعداده للمحاضرة وعند تنفيذها وتواصله مع الطلبة داخل القاعة الدراسية وخارجها، وعمله الشخصي، وخدمته للمجتمع.

٣ –**<u>عضو هيئة التدريس</u>**: هو الأستاذ الذي يقوم بتدريس مقررات دراسية بكلية التربية النادرة من حملة درجة الأستاذية وحتى المعيد المعين بأحد أقسام الكلية الأكاديمية.

٤ –**<u>كلية التربية</u>**: هي كلية التربية بالنادرة –جامعة إب، التي تضم الطلبة من حملة الشهادة الثانوية وتمنحهم شهادة البكالوريوس في التربية وعلم النفس، في التخصصات الأكاديمية الستة المتوفرة بها.

٥ – **<u>طلبة الكلية</u>**: هم طلبة المستوى الرابع المستجدين المسجلين بالأقسام الأكاديمية الستة بكلية التربية النادرة في العام الجامعي ٢٠١٣ –٢٠١٤م.

الإطار النظري:

أولاً : مفهوم المعايير Concept of the Standards:

أ -**تعريف المعايير:** تعرف المعايير بأنها "المستويات أو المعايير المقننة التي اصطلح عليها عالمياً، والتي ينبغي توفيرها لقياس مدى أداء المعلم كماً وكيفاً وإجراءً، كما تعبر عما يتوقع حدوثه في أداء المعلم استهدافاً لتحقيق الجودة الشاملة ".(لمياء أبو زيد، ٢٠٠٧،ص١٥٩٥)، وهي" البعد الأساسي لتقويم أداء المعلم والتي يمكن في ضوئها تحديد مدى قدرته للتعليم وتحديد مستواه بحيث يمكن بناء برنامج لتطوير هذا الأداء".(جون John، ٢٠٠٠،ص٣)، والتي يمكن قياسها بالممارسة التي تُعرف بأنها" عبارات تشير إلى الحد الأدنى من الأداءات الواجب توافرها لدى المؤسسة، لكي تؤدى وظيفتها بما يحقق مخرجات التعليم والتعلم المرغوبة".(الأكاديمية المهنية للمعلمين،٢٠١١م،ص٤) ويعتقد كثير من المفكرين أن نشر تقرير أمة في خطر A Nation at Risk عام ١٩٨٣ هو الحدث الذي تولدت عنه حركة المعايير في أمريكا.

ب -**أهمية وضع معايير جودة الأداء التدريسي:** تعود للأسباب الآتية:

١- وضع مستويات معيارية متوقعة ومرغوبة للأداء التربوي بكل جوانبه.
٢- تعتبر المعايير مداخل للحكم على الجودة في مجال معرفي معين.
٣- المتعلمون يتعلمون أفضل في بيئة تقوم على أساس المعايير.
٤- تعد مؤشرات الأداء موجهات جيدة للمعلمين تفيد في التخطيط للتدريس.
٥- تضمن المعايير استمرارية الخبرة، بتضافر الجهود لتحقيقها باستمرار.
٦- المعايير تقدم إطاراً للربط بين المعرفة واستخدامها. (محمد جمال الدين ومحمد رجب، ٢٠٠٥)،(حسن البيبلاوي،١٩٩٦) ومع اهتمام العديد من الجمعيات والهيئات العلمية المتخصصة بوضع معايير للتخصصات المختلفة في مجال التربية، فقد تنوعت مجالات معايير الجودة في التجارب العربية والأجنبية في اعتماد معايير الجودة الشاملة مع التركيز على معايير أداء عضو هيئة التدريس.

ج -**خطوات صياغة المعايير:**

يمر إعداد معايير أداء عضو هيئة التدريس بتحديد خصائص المستوى، ويجوز للمؤسسة تحديد قائمة مختصرة لمؤشرات الأداء الرئيسة التي تعتبرها ذات أهمية خاصة في مجال تقويم الأداء، وتحتاج إلى دليل على تلك المؤشرات من عدد من أقسام المؤسسة، بالإضافة إلى مؤشرات أخرى تختارها كل مجموعة أو قسم في المؤسسة لأغراضها الخاصة، وكلها تقيس المخرجات التعليمية وتطابقها بمعايير أداء وظيفة التدريس من خلال المؤشرات المعدة لذلك. (مسودة الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي، مارس ٢٠٠٨، ص٣٨)

وقد سعى البحث الحالي للتحقق من توفر مستوى الأداء التدريسي لدى عضو هيئة التدريس وفقاً لمعايير جودة الأداء التدريسي المعدة لذلك.

د -معايير التدريس المهنية:

إن معايير جودة التعليم العالي تبدأ بجودة أعضاء هيئة التدريس في الكثير من النماذج المعتمدة في الجامعات العالمية والعربية، وذكر كوجي " أن جودة النوعية لا يمكن أن تعزز من خلال الأنظمة والقوانين ولكن من خلال الالتزام المهني". (Naidoo.2002.13)، لذا لابد أن تقوم المعايير على رؤية أن المعلمين يجب أن يكونوا أشخاصاً مفكرين ومبدعين، وهذه المعايير تتضمن الآتي:

١- المعرفة حول الناس والتنظيمات الاجتماعية والثقافات ونظرية المعرفة والفروع المعرفية المحددة والنمو والتطور الإنساني والاتصال واللغة والبحث العلمي والبحوث حول التعلم والتدريس الفعال.

٢- المهارات اللازمة للتقييم والتخطيط والتدريس والتقويم وإدارة السلوك الاجتماعي ونمذجة الأدوار.

٣- الميول نحو الذات ونحو المتعلم ونحو التدريس ونحو المهنة. (برهامي زغلول، وحمدي عبد العزيز، ٢٠٠٧،١٢١٦)

ومن معايير جودة التعليم الجامعي "الإنتاج العلمي لأعضاء هيئة التدريس، وطبيعة الدراسات والأبحاث التي يقومون بها لخدمة الجامعة والمجتمع المحلي".(يوسف أبوفارة،٢٠٠٣،ص١٠)

وقد ركز البحث الحالي على معظم هذه المعايير.

ثانياً:مفهوم الجودة الشاملة Concept of the Total Quality:

يرى كثير من المفكرين أن مفهوم الجودة وليد اللحظة وأنه أحدث مطلب للأمم الحديثة، في حين يرجع الاهتمام بهذا المفهوم إلى الحضارة البابلية، حيث سطر الملك البابلي حمورابي في مسلته الشهيرة أولى القوانين التي أولت الجودة والإتقان في العمل أهمية خاصة، كما جاء الدين الإسلامي الحنيف مؤكداً قيمة العمل وضرورة إتقانه لقول النبي محمد ﷺ (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.)(محمد الالباني ،١٩٧٩،ص١٠٦)، وقول الله تعالى: "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"النحل (١٢٨)، وهذا خير دليل على أن دين الإسلام دعا إلى اعتماد الجودة وأثاب فاعلها لما لها من أثر في كشف الأخطاء وتصحيحها، ويعتبر العالم الإحصائي شيوارت W.Shewart أول من وضع برنامج للرقابة على الجودة في بداية العشرينيات من القرن الماضي البداية العلمية الحقيقية لمرحلة الجودة بمفهومها الحديث.(محمد العزاوي،٢٠٠٥،ص٧ -٨)، و مفهوم الجودة بدأ في أمريكا على يد المفكر "ديمنج" وعند رفض فكرته غادر إلى اليابان حيث رحبوا به ومنحوه الفرصة لشرح فكرته ووفروا المناخ التنظيمي لتجربة أفكاره. (عبد الرحمن الجويبر ، ٢٠٠٦، ص ٣٣ -٣٤)، حتى أن الجودة أصبحت مطلباً في كل عمل تعليمي، وعلى جميع المستويات التعليمية حتى التعليم الإلكتروني، والتعلم عن بعد، حيث أصبحت فيه الجودة بكل معاييرها ومتطلباتها معياراً لنجاح واعتماد هذا النوع من التعليم.(كمال إمام كامل، ٢٠٠٥، ص ١٧٥ -١٨٥).

أ -تعريف الجودة الشاملة: (Total Quality):

الجودة في اللغة: عرف ابن منظور في معجمه لسان العرب كلمة الجودة" أصلها " جود " ، والجيد نقيض الرديء، وجاد الشيء جودة، وجوداً أي صار جيداً، وأجاد أي أتى بالجيد من القول والفعل". (ابن منظور ، ١٩٨٤، ٧٢) وهي من جاد، وتعني كون الشيء جيداً، ويقال جاد المتاع، وجاد العمل فهو جيد، وجاد الشيء، أي صار جيداً. (إسماعيل بن حماد الجوهري،١٩٨٤، ص٤١٦).

الجودة في الاصطلاح: نتيجة للتغيرات العالمية المعاصرة حدث تباين حول معنى الجودة؛ فالبعض يرى أن الجودة تعني الكفاءة Efficiency لأنها تعبر عن الفعالية Effectiveness، والبعض الآخر عرفها على أنها تحقيق رغبات وتوقعات العميل وذلك من خلال تعاون الأفراد في جوانب العمل بالمؤسسة. (صالح ناصر عليمات ،٢٠٠٤، ص ١٦)، أو أنها "مقابلة توقعات الزبون وتجاوزها إلى أحسن منها".(جميل نشوان ، ٢٠٠٤، ص ٤)، وهي "إستراتيجية عمل أساسية تسهم في تقديم منتجات ترضي وبشكل كبير العملاء في الداخل والخارج، وذلك من خلال تلبية توقعاتهم الضمنية والصريحة". (احمد درباس، ١٩٩٤ ، ص٢٥)، ومن منظور العملية التعليمية، فالجودة تعني: الوصول إلى مستوى الأداء الجيد، وهي تمثل عبارات سلوكية تصف أداء المتعلم عقب مروره بخبرات منهج معين، ويتوقع أن يستوي في مستوى تمكن محدد مسبقاً٠(هند احمد البربري،١٤٢٨هـ) متاح على النت

٣ - ويرجع هذا التعدد والتباين في المفهوم إلى اختلاف الأفراد الذين يقومون بتحديده في مجال(الصناعة،والإدارة، والتعليم العام، والجامعي، والتعليم الإلكتروني...) لذلك ليس من السهل الإجماع على مفهوم واحد يحدد العناصر المكونة للجودة، وما يهمنا هنا هو التركيز على الجودة في التعليم، كما عرفها الراشد "بأنها فعالية تحقيق أفضل خدمات تعليمية بحثية واستشارية بأكفأ أساليب وأقل تكاليف وأعلى جودة ممكنة"٠(عبد الرحمن الراشد، ٢٠٠٤م)

وجودة التعليم العالي تعني قدرة المنتج التعليمي على تلبية متطلبات الطالب، وسوق العمل والمجتمع وكافة الجهات الداخلية والخارجية المنتفعة، وإن تحقيق جودة التعليم يتطلب توجيه كل الموارد البشرية والسياسات والنظم والمناهج والعمليات والبنية التحتية من أجل خلق ظروف مواتية للابتكار والإبداع في ضمان تلبية المنتج التعليمي للمتطلبات التي تهيئ الطالب لبلوغ المستوى الذي نسعى جميعاً لبلوغه.(عليان الحولي،٢٠٠٤،ص٥)

و تعني الجودة في الإسلام " بأنها المواصفات والخصائص المتوقعة في المنتج وفي العمليات والأنشطة التي من خلالها يتحقق رضا رب العالمين أولاً، ثم تتحقق تلك المواصفات التي تساهم في إشباع رغبات المستفيدين وتتضمن السعر، والأمان، والتوفر، والموثوقية، والاعتمادية، وقابلية الاستعمال" (مأمون الدرادكة، وطارق الشلبي،٢٠٠٢،ص١٦).

<u>أما جودة الأداء فتعني</u> :القيام بالأعمال وفق معايير محددة، وجودة المخرج التي تعني الحصول على منتج أو خدمة وفق المواصفات والخصائص المتوقعة.(صبرية اليحيوي ،٢٠٠١ ، ص٢٠)، وقد أكدت التجارب العالمية والعربية أهمية اعتماد الجودة الشاملة في التربية، وكان لتطبيقها في المجال التربوي عواقب محمودة.

<u>ب - أهمية الجودة في التعليم:</u> تكمن أهمية إدارة الجودة في النقاط التالية:

١ - تؤدي إلى زيادة إنتاجية المتعلمين.

٢ - تعمل على تحسين أداء القائمين بالتدريس من خلال إدارة الجودة.

٣ - تعمل علي تقليل الأخطاء في العمل العلمي والإداري والمالي.

٤ - تعمل على توفير الإمكانات والتسهيلات اللازمة لإنجاز العمل.

٥ - تعمل علي أساس ربط العملية التعليمية باحتياجات سوق العمل.

٦ - ترابط الأداء والرؤية المشتركة مع القيادة يؤدى إلي جودة المنتج التعليمي.

٧ - تساعد في توفير قاعدة بيانات علمية وإدارية متكاملة.

٨ -اكتشاف حلقات الهدر وأنواعه المختلفة، وكيفية الاستفادة منه.

٩ -زيادة الكفاءة التعليمية ورفع مستوى الأداء للعاملين بالمؤسسة.

١٠ - تطوير التعليم من خلال تقويم النظام التعليمي وتشخيص القصور في المدخلات والعمليات والمخرجات وتطوير فعلي لجودة الخدمة التعليمية.

١١ - الوفاء بمتطلبات الطلاب وأولياء أمورهم والمجتمع وفق النظام العام للمؤسسة التعليمية.(مصطفى السايح ،٢٠٠٠) متاح على النت.

١٢ - تطبيق نظام الجودة الشاملة يمنح المؤسسة المزيد من الاحترام والتقدير المحلي والاعتراف العالمي.(جميل نشوان،٢٠٠٤، ص٧)

<u>ج -ولتحقيق متطلبات جودة التعليم الجامعي لابد من الاهتمام بالآتي:</u>

<u>أولاً: الاهتمام بالمدخلات والمخرجات وعلى رأسهم الطالب الجامعي:</u> حيث ينبغي أن يتحول الطالب في المنهاج الجامعي من مجرد وسيلة استقبال إلى عنصر فعال في تشكيل المنهاج ومحاورة المادة العلمية، وإبداء وجهة النظر، وتشكيل شخصية علمية مستقلة، قادرة على إبداء الرأي ومحاورة الآخرين.

<u>ثانيا: الاهتمام بعضو هيئة التدريس:</u> يجمع عدد كبير من المهتمين بالجودة في التربية والتعليم على أن نجاح العملية التعليمية أو تطويرها يعتمد أساسا على المعلم، وعلى مدى سيطرته على مهارات التدريس التي تمكنه من تحقيق الأهداف التعليمية. (فتحي على،١٦٧،٢٠٠٦)، لذا فعملية الجودة في عضو هيئة التدريس مترابطة ومتكاملة، تبدأ من مرحلة قبوله في الجامعة، وتنتهي بتقييم عطائه، ومدى قدرته على التطوير،

وتتم مراعاة معدلاته في مراحل البحث المختلفة، وسنوات الخبرة، والأبحاث المنشورة، إلى غير ذلك من الأمور التي يستحق من خلالها العمل في الجامعة.

وبعد عمله في الجامعة: ينبغي أن يواكب المتغيرات العلمية المتسارعة، ويطور من أدائه على المستويين الأكاديمي والتقني، وبهذا يأتي دور الجامعة في تقييم أداء أعضاء هيئة التدريس، وتصنيفهم حسب ما يلي:

١ - تطوير عضو هيئة التدريس في أدائه الأكاديمي.

٢ - خدمة المؤسسة والانتماء لها.

٣ - النشاط العلمي بنشر أبحاث علمية محكمة، وكتب متخصصة.

٤ - المشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية، وورش العمل.

٥ - قدرته على العمل ضمن فريق مشترك.

٦ - الالتزام بأخلاقيات المهنة، وخدمة المجتمع.

٧ - استخدامه وسائل حديثة في عملية التدريس.

وفي حال عدم توافق عضو هيئة التدريس مع هذه المواصفات، تقوم الجامعة بعقد دورات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس المعنيين، بهدف توجيههم وتطوير أدائهم العلمي والمعرفي، وتتم مراجعة أداء أعضاء هيئة التدريس في كافة جوانبه المهنية كل عام أكاديمي. (خليل عوده، متاح على النت)، وهذا كله يعتبر من ضمن أهداف هذا البحث مع التركيز على الأدوار التي يمكن ملاحظتها من قبل الطلبة.

د: الأدوار الحديثة للمعلم في ضوء معايير الجودة الشاملة:

إن دور المعلم في الوقت الحالي لم يعد دور الملقن للمعلومات،والشارح للنظريات، بل أصبح له أدوار لم تكن معروفة من قبل، تحتم على المعلم الإلمام بها، ومن بين الأدوار المتوقعة للمعلم مستقبلياً ما يلي:

١ -أدوار مجتمعية: Societal Roles: تتمثل في:

مواصلة الإسهام في نقل ثقافة المجتمع إلى الأجيال الجديدة، والمشاركة مع مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني في تقديم حلول لمشكلاته، وتبني موقف سياسي مرتكز على رؤية واضحة للقضايا المرتبطة بالسياسة الداخلية والخارجية للمجتمع، وتبني توجه ثقافي قائم على الوعي بقضايا العالم، ودعمه تأييده لحق التعليم للجميع، ومشاركته في التنمية البشرية.

٢ -أدوار مهنية: Professional Roles: تتمثل في:

الانتماء إلى مهنة التعليم من خلال العضوية العاملة، وتحمل المسؤولية الشخصية عن نموه المهني المستمر، واحترام الأخلاقيات المهنية، وتبني موقف أو توجه واضح من المشكلات التعليمية في المجتمع.

٣ -أدوار أكاديمية: Academic Roles: وتتمثل في:

بناء قاعدة معلومات تتسم بالعمق والشمول والحداثة في تخصصه، ومتابعة التطور المستحدث في محتوى مادة تخصصه، وتوظيفه في حل المشكلات الاجتماعية، وإسهامه في إنتاج المعرفة المعاصرة.

٤ - الأدوار التعليمية: Instructional Roles: وتتمثل في:

المشاركة في صياغة الخطط التعليمية، وتسهيل تعلم الطلبة بطريقة مرنة وإبداعية، وتشجيع المتعلم على التنظيم الذاتي لتعلمه،ودمج واستغلال تقنية المعلومات والاتصال في التعليم، وتحمل المسؤولية الذاتية في الدعم المستمر لمهاراته في تطبيق أدوات تقنية المعلومات والاتصال في التعلم.(مصطفى كامل،٢٠٠٧، ١١٥٥ – ١١٥٧)، وتشجيع المتعلمين على حب المعرفة، والتعلم الذاتي باستخدام مصادر التعلم وتقنية المعلومات الحديثة، والتطلع لكل جديد.

ولكي يسهم المعلم بتطوير التعليم ويصل إلى مستوى الجودة لابد أن يمتلك مهارات استخدام تقنية المعلومات والاتصال (ICT).(رمضان سليمان، ٢٠٠٧،ص ١٤٩٨)، ومن الدراسات التي ترى أن المعلمين بحاجة إلى تغيير طرق تدريسهم واكتساب نماذج جديدة في التدريس، دراسة (.Vacc & Bright 1994.p7)، وهند٢٠٠٠، والترتوري٢٠٠٦).

هـ - التحديات التي تواجه تحقيق الجودة في مؤسسات التعليم العالي:

هناك تحديات متنوعة وتتمثل التحديات المتصلة بأعضاء الهيئة التدريسية في مؤسسات التعليم العالي بالآتي:

١- الخلل المستمر في نسبة عدد الطلبة إلى عضو هيئة التدريس.
٢- صعوبة توفير أعضاء هيئة تدريس بالتخصصات والخبرات المطلوبة.
٣- غياب سياسة واضحة لبناء قدرات الموارد البشرية، مثل تدريب أعضاء الهيئة التدريسية، ودعم الأعضاء الجدد، وغياب نظام تقييم شفاف وعادل.
٤- هجرة العقول، حيث يتم انتقال العديد من العقول العاملة في الجامعة -للعمل في دول الخليج برواتب وحوافز أعلى -.
٥- انخفاض نسبة الاستثمار في الجامعات الخاصة فيما يتعلق بابتعاث الطلاب إلى جامعات متميزة وإعادة توظيفهم كأعضاء هيئة تدريسية. (اخليف الطراونة، ٢٠١٠م).

و : معوقات الجودة الشاملة في التعليم:

تواجه الجودة الشاملة عدداً كبيراً من المعوقات التي تحول دون تطبيق معاييرها ومؤشراتها، وقد تباينت تلك المعوقات ما بين معوقات اقتصادية، أو شخصية، أو اجتماعية، أو أدائية مهنية، أو بحثية، أو إدارية، أو ثقافية، أو بيئية، وقد تم تلخيص أبرزها من خلال مراجعة مصادر ودراسات كل من: (دراسة عبد الحميد،٢٠٠٣)، و(ميادة الباسل،٢٠٠١، ٢٥)، و(فتحي عبيشة،١٩٩٩،٧٥)، و(عبد اللطيف العارفة،٢٠٠٧، ٥٠٥ –

٥٠٦)، ودراسة (احمد طبلان،٢٠٠٧، ٥٣)، (هند البربري،١٤٢٨هـ) ومن هذه المعوقات العامة لتطبيق إدارة الجودة الشاملة ما يلي:

١- مقاومة التغيير سواء من العاملين أو من الإدارات وخاصة الوسطى.

٢- عدم وجود رؤية مشتركة عن الجودة، وعناصرها، وتحسينها لدى الموظفين.

٣- ضعف الإعداد العلمي السابق للطلاب.

٤- كثرة عدد الطلاب الأمر الذي يتسبب في خفض المستوى العام.

٥- عدم تجهيز قاعات الدرس بالإمكانات والوسائل التقنية الحديثة.

٦- اعتماد تدريس المقرر على المذكرة أو الكتاب الجامعي.

٧- عدم استخدام المعلمين لطرق وأساليب تدريسية حديثة.

٨- عدم حصول مشاركة جميع العاملين في تطبيق إدارة الجودة الشاملة.

٩- تعجل المؤسسة التعليمية في تحقيق نتائج سريعة يدفعها لتطبيق الجودة الشاملة دون إعداد البيئة الملائمة لتقبلها.

١٠- عدم التزام الإدارات العليا بمبدأ الجودة.

١١- التركيز على أساليب معينة في إدارة الجودة وليس على النظام ككل.

١٢- تبني طرق وأساليب لإدارة الجودة لا تتوافق مع خصوصية المؤسسة.

١٣- عدم توافر بيانات واقعية بالجامعة عن النظام التعليمي، والإنجازات المحققة.

١٤- عدم إمكانية التحكم الكامل في مدخلات العملية التعليمية من أجل إعداد المنتج التعليمي المتميز.

١٥- عدم إدراك رؤساء الأقسام لمفهوم الجودة الشاملة داخل مؤسسات التعليم.

ز -متطلبات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم: والتي من أهمها:

١ -دعم وتأييد الإدارة العليا لنظام إدارة الجودة الشاملة.

٢ -ترسيخ ثقافة الجودة الشاملة بين جميع الأفراد.

٣ -تنمية الموارد البشرية (موظفين وأكاديميين)، وتطوير المناهج وتحديثها.

٤ -مشاركة جميع العاملين في الجهود المبذولة لتحسين مستوى الأداء.

٥ -التعليم والتدريب المستمر لكافة الأفراد.

٦ -معرفة احتياجات الطلاب والعاملين، وعناصر المجتمع المحلي، وإخضاع هذه الاحتياجات لمعايير قياس الأداء والجودة.

٧ -ممارسة التقويم الذاتي للأداء في المؤسسة التربوية بصورة فاعلة.

٨ -منح الصلاحيات يعد من الجوانب المهمة في إدارة الجودة الشاملة.

٩ -المشاركة الحقيقية لجميع المعنيين بالمؤسسة في صياغة الخطط والأهداف اللازمة لجودة عمل المؤسسة.

١٠ - استخدام أساليب كمية في اتخاذ القرارات وذلك لزيادة الموضوعية بعيداً عن الذاتية. (جميل نشوان ، ٢٠٠٤ ، ص٧)

وقد سعت الكثير من الدول نحو اعتماد آلية للحفاظ على النوعية، ومن أجل ذلك أنشئت هيئات سمي بعضها هيئة اعتماد، والبعض الآخر هيئة تقييم، والاعتماد الجامعي هو شهادة (Status) تمنح لمؤسسة تعليمية عالية تؤمن معايير محددة لجودة التعليم، وقد تختلف معايير الاعتماد من بلد إلى بلد أو من مؤسسة إلى مؤسسة. (عليان الحولي، ٢٠٠٤ ، ص٨)، ومن بين النماذج التي يمكن تقويم أداء المعلم من خلالها أنموذج(TEAC) ويعتمد هذا النموذج على ثلاثة معايير هي: (الدليل على حدوث التعلم، والقياس الدقيق لتعلم الطلاب، والبحث عن تفضيلات البرامج لضبط الجودة).(Marry.2003.80)، وكذلك أنموذج (NCATE) وهي مؤسسة غير حكومية وغير ربحية تهدف إلى تحسين جودة التدريس وإعداد المعلم وتهدف إلى: (تحسين برامج إعداد المعلم عن طريق الاعتماد المهني والأكاديمي، ووضع وتطبيق برامج إعداد قوية، ومطالبة المؤسسات التربوية لتقديم ميزانية لازمة لتحسين برامج إعداد المعلم). (Rodney.E.2000.53)، وقد ركز البحث الحالي على عملية تقويم الأداء التدريسي لدى عضو هيئة التدريس بالكلية.

الدراسات السابقة المتعلقة بنظم إدارة الجودة و تطبيقاتها في مجال التعليم:

١ -**دراسة (هند الخثيلة، ٢٠٠٠)**: هدفت إلى تحديد بعض المهارات التدريسية الفعلية التي يمارسها الأستاذ الجامعي والمثالية التي ينبغي أن يمارسها، تم تنفيذ التجربة على عينة من طالبات جامعة الملك سعود، بينت النتائج أن الأستاذ الجامعي لا يصل في مستوى أدائه إلى درجة الكفاية المتوقعة منه، بسبب حاجة الأساليب الأكاديمية إلى تطوير كثير من المهارات التي تؤدي إلى تحسين العطاء الأكاديمي، وزيادة درجة التحصيل العلمي في سبيل رفع مستوى الأداء .

٢ -**دراسة (بن هويشل الشعيلة، وعبدالله خطايبة، ٢٠٠٢)**: هدفت إلى التعرف على مدى ممارسة أعضاء هيئة التدريس للمهارات التدريسية الأساسية، وحاجتهم لتطويرها من وجهة نظر طلبة الدراسات العليا في تخصصات الماجستير والدبلوم العام ودبلوم الإدارة والإشراف، أظهرت نتائج الدراسة ضعف ممارسات أعضاء هيئة التدريس التدريسية وجاءت أقل من(٨٠ ٪) حسب تقدير طلبة الدراسات العليا، وذلك بشكل ملحوظ في جميع المجالات دون استثناء، وقد جاء مجال الاتصال مع المعلمين في المرتبة الأولى، تلاه عرض المادة التعليمية، ثم تنظيم المادة التعليمية، ثم التخطيط، وأخيراً مجال التقويم.

٣ -**دراسة (أحمد كنعان، ٢٠٠٣)**: هدفت إلى الوقوف عند مفهوم الجودة ومسوغات تطبيقها في الميدان التربوي، وتحديد أهم معايير ومؤشرات الجودة في التعليم العالي، ورصد معوقات تطبيق الجودة في مجال

التعليم الجامعي، ورصد أهم الإجراءات الواجب إنجازها لضمان وصول كليات التربية إلى الجودة الشاملة والمحافظة عليها، وانتهت بمقترحات إعادة النظر بلوائح الكليات الجامعية وتطويرها بما يتلاءم مع الجودة، -وضع نظام شامل لتقييم الأداء الجامعي وإنشاء هيئة اعتماد أكاديمي عربية تابعة لاتحاد الجامعات العربية تتولى مهمة منح شهادة الجودة للكليات وفق معايير الجودة الشاملة العالمية، وإعداد قائمة بيانات شاملة وموحدة لكليات التربية في الوطن العربي، للاسترشاد بها عند الحكم على واقع هذه الكليات وفق معايير الجودة الشاملة.

٤ -دراسة (**محمد خير أحمد الفوال، ٢٠٠٣**): هدفت إلى بيان أهم معايير الجودة المعتمدة بالنسبة إلى الكليات الجامعية وكليات التربية وقد توصل الباحث إلى مجموعة معايير الجودة في كليات التربية وهي مشتقة من المعايير التي وصفتها وكالة تأمين الجودة في التعليم العالي في المملكة المتحدة QAAHE وقد قسمتها الدراسات التربوية في محاور مواصفات التقويم ومعاييره، بنية دليل تقويمها، طبيعة موضوعاتها، وتحديد مبادئها.

٥ -دراسة (**نعمان الموسوي، ٢٠٠٣**): هدفت إلى تطوير أداة موضوعية لقياس درجة استيفاء مبادئ إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي، حيث غطى المقياس أربعة مجالات أساسية وقد توصل الباحث إلى أن بنود المقياس تمثل مجالات إدارة الجودة الشاملة مما يجعله سهل التطبيق ويوفر مجالاً رحباً لصانعي القرار كي يكرسوا جهودهم لتحسين ممارسات أعضاء هيئة التدريس في مجال التدريس والتقويم، وتهيئة المناخ الأكاديمي المناسب لعمل الأستاذ الجامعي، والبيئة التعليمية المواتية لتطلعات الطالب الجامعي وطموحاته.

٦ -دراسة (**ناصر القرني، ٢٠٠٥**): هدفت إلى تقويم الأداء التدريسي لمعلمي العلوم في المرحلة الثانوية من وجهة نظر الطلبة وأولياء الأمور، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن متوسط تقديرات الطلبة للأداء العام لمعلمي العلوم في المرحلة الثانوية يقل عن معيار الأداء الذي نسبته (٧٠ ٪) بفرق ذي دلاله إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥)، كما أن عملية التقويم واستخدام الوسائل التعليمية أخذا المراتب الأخيرة من وجهة نظر الطلبة.

٧ -دراسة (**علي ناصر الشتيوي،٢٠٠٥**): سعت لتحديد القدرات المطلوبة لتجويد الأداء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس لمواجهة عصر العولمة، وتوصلت إلى أن هناك حاجة ماسة لتضافر جهود القيادات والمؤسسات المعنية في الاستفادة من العصر الحديث وتنوع برامج التدريب وتناول جودة الأداء بجدية، وإجراء بحوث علمية واتباع أنشطة والاستفادة من التقنية الحديثة وتطوير نظم وبرامج وتقويم الأداء لرفع مستوى قدرات أعضاء هيئة التدريس.

٨ -دراسة (**محمد عوض الترتوري،٢٠٠٦**): سعت إلى تطوير أداء أعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية بما يتناسب مع مبادئ الجودة الشاملة، استخدم مؤشرات لكشف نقاط الضعف في العملية التعليمية وأين

يستخدم برامج تطوير أداء عضو هيئة التدريس ووسائل تحسينها في مجالات البحث والإشراف وجودة الأداء التدريسي وخدمة المجتمع.

٩ -**دراسة (راشد،٢٠٠٧)**: هدفت إلى وضع معايير جودة الأداء التدريسي للمعلمين وللأدوات التدريسية التي تساعد المعلم في نقل صورة واقعية عن العلم باعتباره متعدد الأبعاد، بينت النتائج تدنياً عاماً في الممارسات والأداءات التدريسية للمعلمين وفقاً لمعايير التدريس المقترحة في ضوء أبعاد العلم.

١٠ -**دراسة (منى بنت حميد السبيعي،١٤٣٠هـ)**: هدفت إلى التعرف على واقع ممارسة عضوات هيئة التدريس لمهارات التدريس في ضوء معايير الجودة الشاملة من وجهة نظر الطالبات، قامت الباحثة بتصميم استبانه اشتملت على أربعة محاور تتناول (٣٧) معياراً للجودة في تدريس العلوم، تم تطبيقها على عينة بلغت (١٨٩) طالبة، وأسفرت النتائج عن ضعف مستوى أداء عضوات هيئة التدريس في أقسام العلوم في المهارات التدريسية، لم يبلغ المستوى المقبول، كما وجد اختلاف في درجة ممارسة مهارات تدريس العلوم كانت جميعها لصالح عضوات هيئة التدريس في قسم الأحياء، وأوصت الباحثة بنشر ثقافة الجودة بين عضوات هيئة التدريس، وتوعيتهن بأهمية الدورات التدريبية في صقل مهاراتهن التدريسية بالجامعة.

١١ -**دراسة (محمد الجوفي، ومحمد فائز،٢٠٠٩)**: هدفت إلى إيجاد معايير الجودة الشاملة لدى عضو هيئة التدريس في كليات جامعة إب، وقد تم بناء قائمة بهذه المعايير تكونت من (٥٥) فقرة موزعة على(٦) مجالات، تم توزيعها على عينة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة عددهم(٩٨) عضواً في ثمان كليات، وتوصلت النتائج إلى اتفاق في عدم توفر معايير الجودة لدى أعضاء هيئة التدريس بالجامعة بشكل عام، وأوصت بإعداد برامج ودورات تدريب وإنشاء مركز جودة داخل الجامعة، وإجراء دراسات في مجال الجودة.

التعليق على الدراسات السابقة: من خلال العرض السابق تبين الآتي:

١ - أكدت معظم الدراسات على أن هنالك تدنياً في أداء المعلمين التدريسية سواءً ارتبطت الدراسات بمعايير الجودة، راشد (٢٠٠٧)و القرني (٢٠٠٥) أم تمت بدونها، أو كان تطبيقها في التعليم العام أو العالي.

٢ - كما ركزت دراسة راشد (٢٠٠٧)، والجوفي، ومحمد فائز(٢٠٠٩)على إيجاد معايير جودة التدريس.

٣ - وبينت دراسة القرني (٢٠٠٥) ودراسة الشعيلة وخطايبة (٢٠٠٢) ودراسة منى السبيعي(١٤٣٠هـ) من خلال عملية التقويم وجود تدني في أداء عضو هيئة التدريس.

٤ - وسعت بعضها إلى تطوير أداء وقدرات أعضاء هيئة التدريس وفقا لمعايير الجودة محمد الترتوري(٢٠٠٦)وعلي الشتيوي(٢٠٠٥م).

٥ - اتضح ندرة الدراسات العربية واليمنية التي تناولت مدى تطبيق معايير الجودة الشاملة في مجال التدريس الجامعي.

٦- كما تبين من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة لا سيما العربية منها التي ناقشت مدى توافر معايير الأداء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس، ودراسة هند الخثيلة، ودراسة بن هويشل وخطايبة، ركز بعضها على أجزاء محددة من مهارات الأداء التدريسي بينما سعى البحث الحالي إلى التركيز على معظم الأداءات التي يمارسها عضو هيئة التدريس في الجامعة، وخدمة المجتمع والمجال الشخصي، كما هو مطلوب وفقاً للتوجهات التربوية الحديثة ومعايير الجودة الشاملة، وما أكدت علية الدراسات السابقة.

٧- استفاد البحث الحالي من الدراسات السابقة في بناء أداة البحث، وتفرد بتقديم مقياس مقترح يمكن اعتماده في كليات التربية لتقويم واقع أداء أعضاء هيئة التدريس وفقاً لمعايير الجودة في الأداء التدريسي الشامل.

٨- من العرض السابق تبين زيادة الاهتمام بموضوع جودة التعليم الجامعي عالمياً وعربياً، وضرورة تبني موضوع إدارة الجودة الشاملة في التعليم اليمني بالفعل وليس بالقول، وأن تطوير التعليم الجامعي اليمني في ظل ظروف المجتمع الحالية يحتاج إلى تضافر جهود الجامعات ووزارتي التربية والتعليم العالي ومؤسسات المجتمع المدني وصولاً إلى مستقبل أفضل للجامعات.

إجراءات البحث:

أ -منهج البحث :

اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي بهدف وصف الظاهرة المدروسة وتحليل نتائج دراستها وقياس مدى توافرها لدى أعضاء هيئة التدريس.

ب - مجتمع البحث:

تكون مجتمع البحث من جميع الطلبة المسجلين في المستوى الرابع بجميع التخصصات بكلية التربية النادرة – جامعة إب، والبالغ عددهم كما في الجدول التالي:

جدول (١) يوضح

عدد أفراد مجتمع البحث حسب التخصص ومجموعه الكلي

التخصص	قرآن كريم	لغة عربية	انجليزي	رياضيات	فيزياء	معلم حاسوب	المجموع
العدد	٣٥	٣٠	٥٥	١٥	٢٠	٥٦	٢١١

ج -عينة البحث :

تم اختيار عينة بطريقة عشوائية طبقية تكونت من(١٢٢) طالب وطالبة من الطلبة المستجدين المسجلين في المستوى الرابع بجميع التخصصات بكلية التربية النادرة – جامعة إب، حسب الجدول التالي:

جدول (٢) يوضح

عدد أفراد عينة البحث حسب التخصص ومجموعها الكلي

التخصص	قرآن كريم	لغة عربية	انجليزي	رياضيات	فيزياء	معلم حاسوب	المجموع الكلي
العدد	٢٠	١٥	٣٠	١٢	١٥	٣٠	١٢٢

د . أدوات البحث :

لتحقيق هدف البحث قام الباحث ببناء قائمة بمعايير الجودة في الأداء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس في ضوء معايير الجودة الشاملة المشتملة على ثمانية محاور، وذلك من خلال الخطوات الآتية:

١ - الاطلاع على الأدب التربوي والدراسات السابقة ذات العلاقة.

٢ – تم إعداد قائمة بمعايير الأداءات التدريسية لعضو هيئة التدريس بالكلية.

٣ - تم تنظيم معايير الأداءات التدريسية في استبانه تكونت من ستة محاور أساسية تدور حول أداء عضو هيئة التدريس بكلية التربية.

٤ - تم عرض الاستبانه في صورتها الأولية على مجموعة من المحكمين الذين لديهم الخبرة والكفاءة في مجال التربية والجودة بجامعات إب، وذمار، وصنعاء للتحقق من مدى انتماء المعيار للمحور، ومدى سلامة ودقة الصياغة اللغوية، وإبداء ملاحظاتهم بالحذف والإضافة إن وجدت.

٥ - بعد العمل بملاحظات المحكمين من تعديل بعض الصياغات وحذف بعض المعايير وإدراج مجالين آخرين، تكونت الاستبانه في شكلها النهائي من (١١٤) معياراً موزعة على المحاور الثمانية: (**أداء عضو هيئة التدريس في مرحلة التخطيط لتدريس المحاضرة، وأداؤه في أول محاضرة يدرسها، وأداؤه أثناء تنفيذ المحاضرة داخل القاعة الدراسية:** (عرض المحاضرة – وتوجيه الأسئلة – واستخدام طرق التدريس المناسبة - والوسائل التعليمية الحديثة)، **وأداؤه أثناء تفاعله واتصاله بالطلبة، وأداؤه في عملية التقويم، وأداؤه خارج القاعة الدراسية، وأداؤه في مجاله الشخصي، وأداؤه في خدمة المجتمع**)،وقد تدرج مقياس درجة توافر المعيار ما بين (كبيرة، متوسطة، ضعيفة) بقيمة (٣ -و ٢ -و١) على التوالي، بنسبة قبول قدرها(٦٦٪) انظر الملحق رقم (١) الاستبانه في صورتها النهائية.

٦ - لحساب ثبات الاستبانه قام الباحث بتطبيقها على عينة في مجتمع البحث من غير عينة البحث بعدد (٢٤) طالب وطالبة مستوى رابع بواقع أربعة طلاب من كل قسم، وتم استخدام معادلة كرونباخ ألفا لحساب معامل الثبات الكلي الذي بلغ (٠,٨٨٥) وهي تمثل نسبة عالية من الثبات.

٧ - بعد التأكد من صدق وثبات الاستبانه تم تطبيقها على عينة البحث خلال ستة أيام في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ٢٠١٣ -٢٠١٤م، وقد بلغ إجمالي ما تم توزيعه من الاستبانه (١٢٢) نسخة، وما تم استرجاعه (١٠٩) نسخه، استخدمت (١٠٠) نسخة مكتملة، موزعة على التخصصات المختلفة من عينة البحث كما يوضحها الجدول التالي:

جدول رقم (٣) يوضح

عدد الاستبانات المسترجعة بشكل مكتمل من كل تخصص

التخصص	قرآن كريم	لغة عربية	انجليزي	رياضيات	فيزياء	معلم حاسوب	المجموع
عدد المسترجع	٢٠	١٠	٢٥	١٠	١٠	٢٥	١٠٠

هـ - الأساليب الإحصائية المستخدمة في معالجة بيانات البحث :

- مجموع التكرارات لكل فقرة ومستوى درجة توافرالمعيار.
- المتوسط المرجح لكل فقرة، ومحور، معادلة كرومباخ الفا .
- النسب المئوية لدرجة توافر المعايير لكل فقرة ومحور.
- استخدام الرزم الإحصائية المعروفة باسم برنامج SPSS الآلي.

نتائج البحث:

للإجابة عن أسئلة البحث، قام الباحث بتجميع تكرار استجابات أفراد العينة لكل فقرة وكل محور حسب الهدف، كما قام بحسا ب المتوسط الحسابي المرجح لنتائج المقياس الثلاثي، والنسب المئوية لكل فقرة وكل محور، لتمثل درجة توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس، وقد تراوحت درجة متوسط التوافر الكبيرة مابين (٢,٤ -٣) وبنسبة (٧٧٪ -١٠٠٪)، وتراوحت درجت التوافر المتوسطة مابين (١,٧ -٢,٣) وبنسبة (٥٤٪ -٧٦٪)، وأما درجة التوافر الضعيفة فقد تراوحت مابين (١ -١,٦) وبنسبة (٥٣٪ فأقل)، وحدد الباحث مستوى قياس مدى توافر المعيار بشكل مقبول في أداء عضو هيئة التدريس طبقاً للإجراءات المتبعة في القياس بنسبة (٦٦٪).

وقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

١ - **للإجابة عن السؤال الأول:** ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المتعلقة بمرحلة التخطيط لتدريس المحاضرة؟ قام الباحث بجمع النتائج المطلوبة في الجدول الآتي:

جدول (٤) يوضح

نتائج قياس مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس في التخطيط لتدريس المحاضرة بكلية التربية النادرة جامعة إب

م	المعيار ومدى درجة توافره	كبيرة	متوسطة	ضعيفة	المتوسط المرجح	النسبة	ترتيب الفقرة	درجة توافر المعيار
	أولاً: أداء عضو هيئة التدريس في مرحلة التخطيط لتدريس المحاضرة	التكرار	التكرار	التكرار				
١	يقوم بتجهيز خطة شاملة للمقرر الدراسي قبل تدريسه.	٤	٦٦	٣٠	1.74	٪٥٨	4	متوسطة
٢	يحدد المراجع والكتب المقررة التي تناسب المادة العلمية.	٢٥	٤٠	٣٥	1.90	٪٦٣	3	متوسطة
٣	يوفر محتوى المقرر للطلبة من أول محاضرة.	١٠	٣٠	٦٠	1.50	٪٥٠	7	ضعيفة
٤	يوفر دليل للمقرر يبين تفاصيل مواده وأنشطته ومراجعة.	١٥	٣٥	٥٠	1.65	٪٥٥	5	متوسطة
٥	يرفق بخطة المساق جدول زمني للأنشطة والاختبارات اللازمة للمقرر.	٧	٣٨	٥٥	1.52	٪٥١	6	ضعيفة
٦	يقوم بتحضير الأنشطة لكل محاضرة مسبقاً.	٥	٤٠	٥٥	1.50	٪٥٠	8	ضعيفة
٧	يضع بعين الاعتبار الإمكانات المادية للطلبة عند وضع متطلبات المقرر.	١٤	٦٦	٢٠	1.94	٪٦٥	2	متوسطة
٨	يقوم بتطوير المحتوى العلمي للمحاضرات من فصل إلى آخر.	١٧	١٠	٧٣	1.44	٪٤٨	9	ضعيفة
٩	يقوم بتجهيز القاعة الدراسية بكافة الوسائل والتجهيزات اللازمة لتنفيذ المحاضرة.	١٨	٧٥	٧	2.11	٪٧٠	1	متوسطة
	المجموع	115	400	385	1.7	٪٥٧		متوسطة

يتبين من الجدول السابق رقم (٤) أن درجة توافر معايير الجودة في تخطيط عضو هيئة التدريس لتدريس المحاضرات قد تباينت مابين متوسطة وضعيفة، ولم تظهر درجة توافر كبيرة، وأما الفقرات التي حصلت على درجة توافر ضعيفة هي الفقرات (٣، ٥، ٦، ٨) حيث تراوحت متوسطاتها المرجحة مابين (١,٤٤ – ١,٥٢)، وكان متوسط الفقرة (٨) هو أقل متوسط، مما يدل على أن تحديث المقررات الدراسية يعد ضرورة لا بد من تنفيذها، في حين حصلت الفقرة (٥) على أعلى متوسط من بين الفقرات الضعيفة، كما مثلت متوسطات الفقرات (١، ٢، ٤، ٧، ٩) درجات التوافر المتوسطة، وقد تراوحت متوسطاتها المرجحة مابين (١,٦٥ – ٢,١١) واحتلت الفقرة (٩) أعلى متوسط في حين أخذت الفقرة (٤) أقل متوسط من بين فقرات هذا المستوى، أما

درجات التوافر العالية فلم تظهر مما يدل على تدني مستوى أداء عضو هيئة التدريس في ما يخص فقرات هذا المحور وقد يرجع ذلك إلى اللامبالاة، لذا فمن الواجب الإعداد والتحضير الجيد للمحاضرة قبل تنفيذها.

٢ - **للإجابة عن السؤال الثاني**: ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المتعلقة بأول محاضرة يدرسها؟

قام الباحث بجمع النتائج وفقاً للجدول التالي:

جدول (٥) يوضح

نتائج قياس مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس في أول محاضرة يدرسها بكلية التربية النادرة جامعة إب

م	المعيار ومدى درجة توافره	كبيرة	متوسطة	ضعيفة	المتوسط المرجح	النسبة	ترتيب الفقرة	درجة توافر المعيار
	ثانياً: أداء عضو هيئة التدريس في أول محاضرة يدرسها:	التكرار	التكرار	التكرار				
١	يُعرف بنفسه للطلبة بكل سرور.	٨٠	٨	١٢	2.68	٨٩٪	١	
٢	يعرض مساق وأهداف تدريس المقرر الدراسي.	٢٠	٣٥	٤٥	1.75	٥٨٪	٩	متوسطة
٣	يعرض على الطلبة مقدمة عن طبيعة المقرر الذي يقوم بتدريسه.	٣٥	٥٢	١٣	2.22	٧٤٪	٢	متوسطة
٤	يوزع خطة المقرر الدراسي على طلابه أول يوم.	٢٥	٤٠	٣٥	1.90	٦٣٪	٧	متوسطة
٥	يستشير الطلبة عن مناسبة موعد محاضرات المقرر.	١٥	٦٠	٢٥	1.90	٦٣٪	٨	متوسطة
٦	يخبر طلبته عن ما يتطلبه المقرر من أنشطة وأساليب تقويم.	٣٢	٤٨	٢٠	2.12	٧١٪	٥	متوسطة
٧	يطلب من الطلبة إخباره بملاحظاتهم وخلفياتهم عن المقرر ليعتمد عليها في تحديثه للمعارف العلمية.	٤٠	٤١	١٩	2.21	٧٤٪	٣	متوسطة
٨	يؤكد للطلبة أن الكتاب (الملزمة) ليس المصدر الوحيد للمعرفة العلمية التي يدرسونها.	١٤	١٠	٧٦	1.38	٤٦٪	١٠	ضعيفة
٩	يبلغ الطلبة عن فترة تواجده بمكتبه خلال الأسبوع.	٣٥	٥٠	١٥	2.20	٧٣٪	٤	متوسطة
١٠	يحدد زمن بدء المحاضرة ومتى تنتهي بالضبط.	٣٠	٥٠	٢٠	2.10	٧٠٪	٦	متوسطة
	المجموع	326	394	280	2.04	٦٨٪		متوسطة

يتبين من الجدول السابق رقم (٥) أن درجة توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس بأول محاضرة قد تباينت مابين عالية ومتوسطة وضعيفة، وتعتبر الفقرة (١) التعريف بالنفس هي الوحيدة التي

حصلت على مستوى عال حيث كان متوسطها المرجح (٢,٧) وبنسبة (٨٩٪)، كما مثلت متوسطات الفقرات (٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٩، ١٠) درجات التوافر المتوسطة، وقد تراوحت متوسطاتها المرجحة مابين (١,٧٥ -٢,٢٢) واحتلت الفقرة (٣) أعلى متوسط في حين أخذت الفقرة (٢) أقل متوسط من بين فقرات هذا المستوى، وأما الفقرات التي حصلت على درجة توافر ضعيفة فهي الفقرة (٨) الوحيدة حيث كان متوسطها المرجح (١,٣٨)، وهو أقل متوسط، مما يدل على تدني مستوى أداء عضو هيئة التدريس في ما يخص أول محاضرة وقد يرجع ذلك إلى الاعتماد على الملازم الجاهزة، وتأخرهم عن مواصلة العمل بداية الدوام الرسمي، وانشغالهم عن طلابهم بأعمال أخرى.

٣ - **للإجابة عن السؤال الثالث:** ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المتعلقة بعملية تنفيذ المحاضرة المتمثلة بـ :

(عرض عضو هيئة التدريس لمحتوى المحاضرة، وتوجيهه للأسئلة، واستخدامه طرق واستراتيجيات تدريس مناسبة، ووسائل تعليمية وتقنيات حديثة في التدريس داخل القاعة)؟ قام الباحث بجمع النتائج وفقاً للجدول:

جدول (٦) يوضح

نتائج قياس مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس أثناء تنفيذه للمحاضرة داخل القاعة الدراسية بكلية التربية النادرة جامعة إب

م	المعيار ومدى درجة توافره	كبيرة	متوسطة	ضعيفة	المتوسط المرجح	النسبة	ترتيب الفقرة	درجة توافر المعيار
	ثالثاً: أداء عضو هيئة التدريس أثناء تنفيذه للمحاضرة داخل القاعة الدراسية: أ - عرض محتوى المحاضرة في القاعة.	التكرار	التكرار	التكرار				
١	يستثمر وقت المحاضرة منذ دخول القاعة الدراسية وحتى الخروج منها دون هدر.	٢٨	٥٢	٢٠	2.08	٦٩٪	٢	متوسطة
٢	يسمح بدخول الطلبة المتأخرين ويهتم بتحضير الغياب ويثيب الحاضرين.	١٥	٧٨	٧	2.08	٦٩٪	٣	متوسطة
٣	يستخدم أساليب تهيئة تستثير دافعية الطلبة لتلقي المحاضرة بتشوق.	٥	٣٠	٦٥	1.40	٤٧٪	١٤	ضعيفة
٤	إلمامة بمفاهيم المقرر وتمكنه من تدريسها بفاعلية.	٣٠	٣٣	٣٧	1.93	٦٤٪	٨	متوسطة
٥	يربط أفكار المحاضرة الجديدة بخبرات الطلبة السابقة.	٣١	٤٦	٢٣	2.08	٦٩٪	٤	متوسطة
٦	يوضح العلاقة بين المقرر الحالي بمجالات المعرفة والمقررات الأخرى.	١٥	٤٣	٤٢	1.73	٥٨٪	١١	متوسطة
٧	يعرض أهم الشخصيات المؤثرة في تطور مقرره الدراسي.	١٠	٣٥	٥٥	1.55	٥٢٪	١٣	ضعيفة
٨	يوازن في الشرح بين الجوانب النظرية والتطبيقية للمقرر.	١٢	٣٨	٥٠	1.62	٥٤٪	١٢	ضعيفة

م	المعيار ودرجة توافره	كبيرة التكرار	متوسطة التكرار	ضعيفة التكرار	المتوسط المرجح	النسبة	ترتيب الفقرة	درجة توافر المعيار
٩	يعرض أمثلة وتشبيهات لازمة لشرح المحاضرة.	٢٢	٥٠	٢٨	1.94	٪٦٥	٧	متوسطة
١٠	يوجه الطلبة للاستفادة من مكتبة الكلية ومكتبات اخرى.	٣٤	٤٦	٢٠	2.14	٪٧١	١	متوسطة
١١	يكلف الطلبة بتلخيص أفكار الدرس من خلال شبكات علمية ترتبط بالدرس.	٢٠	٣٥	٤٥	1.75	٪٥٨	١٠	متوسطة
١٢	يسهم في بناء ثقة الطالب بنفسه بتنمية الاتجاهات الإيجابية لديهم.	٣١	٤٠	٢٩	2.02	٪٦٧	٥	متوسطة
١٣	يوفر للطلبة فرص البحث والبحث.	١٠	٦٥	٢٥	1.85	٪٦٢	٩	متوسطة
١٤	يساعد الطلبة على اكتساب مهارات (حل المشكلات، التفكير الإبداعي ، البحث العلمي، الإتقان في العمل، التعلم الذاتي، البحث عن مصادر المعرفة،... الخ	٣٠	٣٥	٣٥	1.95	٪٦٥	٦	متوسطة
	المجموع	٢٩٣	٦٢٦	٤٨١	1.87	٪٦٢		متوسطة
م	المعيار ومدى درجة توافره ب - توجيه الأسئلة المناسبة أثناء سير المحاضرة.	كبيرة التكرار	متوسطة التكرار	ضعيفة التكرار	المتوسط المرجح	النسبة	ترتيب الفقرة	درجة توافر المعيار
١	يوجه أسئلة تثير اهتمام الطلبة وتزيد من دافعيتهم وتحافظ على استمراريتها.	٢١	٤٠	٣٩	1.82	٪٦١	٣	متوسطة
٢	يوجه الأسئلة إلى جميع الطلبة دون تحيز.	١٧	٥٠	٣٣	1.84	٪٦١	٢	متوسطة
٣	يطرح أسئلة متنوعة تحفز الطلبة على التفكير والبحث والاستقصاء.	١٧	٤٠	٤٣	1.74	٪٥٨	٦	متوسطة
٤	يشجع الطلبة على الاستفسار وإبداء آرائهم ومقترحاتهم وتبادلها مع زملائهم.	١٥	٥٠	٣٥	1.80	٪٦٠	٤	متوسطة
٥	يشجع الطلبة على جمع المعلومات المناسبة حول المشكلة المطروحة بأنفسهم.	٢٦	٥٤	٢٠	2.06	٪٦٩	١	متوسطة
٦	يحرص على تقديم تغذية راجعة لإجابات الطلبة.	١٩	٤٠	٤١	1.78	٪٥٩	٥	متوسطة
	المجموع	١١٥	٢٧٤	٢١١	1.84	٪٦١		متوسطة
م	المعيار ودرجة توافره ج - استخدام طرق وإستراتيجيات التدريس.	كبيرة التكرار	متوسطة التكرار	ضعيفة التكرار	المتوسط المرجح	النسبة	ترتيب الفقرة	درجة توافر المعيار
١	يستخدم طرق وإستراتيجيات تدريسية متنوعة ومناسبة لطبيعة المقرر.	١٢	٣٨	٥٠	1.62	٪٥٤	٣	متوسطة
٢	يستخدم استراتيجيات تراعي الفروق الفردية بين الطلبة تضمن مشاركتهم أثناء شرح المحاضرة.	١٤	٤٣	٤٣	1.71	٪٥٧	٢	متوسطة
٣	يـوفر مصـادر تعلـم متنوعـة مـــن(كتب،واذترنـــت، ومشاريع،ومعامل،ومكتبات.. الخ).	٨	٢٨	٦٤	1.44	٪٤٨	٧	ضعيفة
٤	يستخدم طرق تدريس تعزز التعلم الذاتي لدى الطلبة.	٤	٤٠	٥٦	1.48	٪٤٩	٦	ضعيفة

م	المعيار ومدى درجة توافره	كبيرة	متوسطة	ضعيفة	المتوسط المرجح	النسبة	ترتيب الفقرة	درجة توافر المعيار
٥	يوفر أنشطة التعلم المناسبة للموقف التعليمي من مناقشات ورحلات ،وتقارير...	١٣	٣٥	٥٢	1.58	٥٣٪	٤	ضعيفة
٦	يمارس أساليب تستخدم تقنيات التعليم الحديثة كلما أمكن.	٣	٤٨	٤٩	1.54	٥١٪	٥	ضعيفة
٧	يتمكن من إكساب طلبته مهارات التدريس من خلال دروس التربية العملية.	٤٤	٥٢	٤	2.40	٨٠٪	١	كبيرة
٨	يلخص عناصر المحاضرة تلخيصاً جيداً بعد الانتهاء من الشرح.	١٢	١٣	٧٥	1.37	٤٦٪	٨	ضعيفة
	المجموع	١١٠	٢٩٧	٣٩٣	1.64	٥٥٪		متوسطة

م	المعيار ومدى درجة توافره	كبيرة	متوسطة	ضعيفة	المتوسط المرجح	النسبة	ترتيب الفقرة	درجة توافر المعيار
	د - استخدام الوسائل التعليمية والتقنيات الحديثة في تدريس المحاضرة.	التكرار	التكرار	التكرار				
١	يستخدم السبورة مع وسائل وتقنيات تعليمية متنوعة بما يحقق أهداف المحاضرة.	٢٨	٤٢	٣٠	1.98	٦٦٪	١	متوسطة
٢	يسخر إمكانيات البيئة المحلية المتاحة بالكلية في إعداد وتوفير الوسائل المناسبة.	٩	٤٥	٤٦	1.63	٥٤٪	٢	متوسطة
٣	يمتلك مهارات استخدام المصادر الرقمية للمعومات في عملية التدريس بكفاءة.	٦	١٣	٨١	1.25	٤٢٪	٥	ضعيفة
٤	يوظف التكنولوجيا الحديثة في التدريس (الداتا شو، والحاسب الآلي(بوربوينت،إيميل، وسائط. .).	٨	١٨	٧٤	1.34	٤٥٪	٤	ضعيفة
٥	يشجع الطلبة على الاستفادة من تقنيات التعليم والاتصال في عملية التعلم وحل الواجبات والبحث العلمي والتواصل مع الطلبة أنفسهم.	٧	٣٢	٦١	1.46	٤٩٪	٣	ضعيفة
٦	يدرب الطلبة على استخدام الإنترنت للحصول على المعلومات والمعارف المرتبطة بالمادة العلمية.	١	٧	٩٢	1.09	٣٦٪	٦	ضعيفة
	المجموع	59	157	384	1.46	٤٩٪		ضعيفة

يتبين من الجدول رقم (٦) أن درجة توافر معايير الجودة في تنفيذ عضو هيئة التدريس المحاضرة داخل القاعة التي تمثله فقرات هذا المحور حيث تنوعت درجة الأداء بشكل محدود مابين متوسطة وضعيفة، ولم تظهر درجة توافر كبيرة في أي جانب من جوانب تنفيذ المحاضرة، وكما يظهر في الجدول (٦) أن الفقرات التي تختص بعرض الدرس قد انقسمت إلى فقرات أخذت متوسطات متدنية تمثلت بالفقرات(٣، ٧، ٨) والتي تراوح متوسطها ما بين (١,٤) للفقرة (٣) كأدنى متوسط و(١,٦) كأعلى متوسط للفقرة (٨)، وأما بقية الفقرات فقد كانت درجة توافر معايير الجودة فيها متوسطة، حيث تراوحت متوسطاتها المرجحة مابين (١,٦٢) للفقرة (٦) كحد أدنى، و(٢,١٤) كحد أعلى للفقرة (١٠)، ولم تظهر درجات التوافر العالية مما يدل على تدني مستوى أداء عضو هيئة التدريس في عرض المحاضرة، وقد يرجع ذلك إلى الاعتماد على عرض

المحاضرة بطرق غير مشوقة ودون التنوع في الأساليب مع إهمال الجانب التطبيقي والاكتفاء بالجانب النظري المتمثل بما في الملزمة، وعدم المشاركة في زيارة المكتبة والاطلاع لغرض الفهم والتنوع في الأفكار.

أما الفقرات التي تختص بتوجيه الأسئلة فقد تبين أن جميع درجات الأداء الست فيها كانت متوسطة وقد تراوحت متوسطاتها ما بين (١,٧٤) كأدنى متوسط للفقر (٣) ، و(٢,٠٦) كأعلى متوسط للفقرة (٥)، وقد يرجع ذلك إلى اكتفاء عضو هيئة التدريس بالمناقشة العابرة أثناء الشرح وعدم توجيه أسئلة مثيرة ومتنوعة وإهمال التغذية الراجعة.

وفيما يخص فقرات استخدام طرق تدريس حديثة ومتنوعة فقد انفردت الفقرة(٧) بمستوى توافر كبيرة وبأعلى متوسط(٢,٤٠)مما يدل على الاهتمام بالتربية العملية، والفقرتين (١ -٢) بدرجة توافر متوسطة حيث كان متوسطهما (١,٦٢) و(١,٧١)مما يدل على السماح للطلبة بالمناقشة أثناء سير المحاضرة، وأما بقية الفقرات الست فقد كانت درجة توافرها ضعيفة حيث تراوحت متوسطاتها مابين (١,٥٨)و(١,٣٧) كأدنى متوسط للفقرة (٨)، وقد يرجع ذلك إلى عدم تنوع أساليب التدريس، والتدريس بالإلقاء فقط.

وأما الفقرات الخاصة باستخدام الوسائل التعليمية والأنشطة فقد كانت الفقرة الوحيدة التي درجة توافرها متوسطة هي الفقرة (١) الخاصة باستخدام السبورة حيث كان متوسط الأداء فيها (١,٩٨)، أما بقة الفقرات الخمس الخاصة باستخدام التكنولوجيا في التدريس والاستعانة بالنت فقد كان متوسط درجات جميع الفقرات في المستوى الضعيف حيث تراوحت المتوسطات ما بين (١,٠٩) كأدنى متوسط للفقرة (٦)، و(١,٦٣) كحد أعلى لمتوسط الفقرة (٢)، ولم تظهر متوسطات في المستوى الأعلى، وقد يرجع ذلك إلى عدم توفر هذه المواد ، أو لعدم قدرة المعلم على استخدامها، وقد تبين أن هناك ضعفاً في مستوى تحقيق معايير الجودة في تدريس المحاضرات بشكل عام، حيث لم يوجد أداء حقق معايير الجودة بدرجة عالية في أي فرع من فروع تنفيذ المحاضرة في القاعة الدراسية، وقد احتل الدرجة المتوسطة في تحقيق المعايير بشكل أفضل فرعي عرض المحاضرة وكذلك توجيه الأسئلة، في حين كان أغلب معايير الدرجة الضعيفة من نصيب فرعي استخدام طرق وأساليب التدريس وكذلك استخدام وسائل وتكنولوجيا حديثة في التدريس.

٤ - **للإجابة عن السؤال** الرابع: ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المرتبطة بتفاعله واتصاله بالطلبة؟ قام الباحث بجمع النتائج وفقاً للجدول التالي:

جدول (٧) يوضح

نتائج قياس مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس أثناء تفاعله واتصاله بالطلبة بكلية التربية النادرة جامعة إب

م	المعيار ومدى درجة توافره	كبيرة	متوسطة	ضعيفة	المتوسط المرجح	النسبة	ترتيب الفقرة	درجة توافر المعيار
	رابعاً: أداء عضو هيئة التدريس أثناء تفاعله واتصاله بالطلبة	التكرار	التكرار	التكرار				
١	يتعرف على أسماء الطلبة وينياديهم بأسمائهم أثناء المناقشة.	١٣	٤٥	٤	1.71	٥٧٪	١٤	متوسطة
٢	يتحدث بصوت واضح مسموع ومتنوع النبرات وبلغة سليمة.	٢٨	٦١	١١	2.17	٧٢٪	٧	متوسطة
٣	يدير الحوار والمناقشة بنجاح داخل القاعة الدراسية وخارجها.	٣٢	٥٤	١٤	2.18	٧٣٪	٦	متوسطة
٤	يوفر حوافز وتعزيزات كافية لتشجيع الطلبة في الوقت المناسب.	١٨	٤٢	٤٠	1.78	٥٩٪	١٣	متوسطة
٥	يبلغ الطلبة مسبقاً عن تغيير موعد ومكان المحاضرة.	٣	٢٧	٧٠	1.33	٤٤٪	١٦	ضعيفة
٦	يحترم آراء طلبته وإن اختلف معهم في الرأي.	٢٣	٤٣	٣٤	1.89	٦٣٪	١١	متوسطة
٧	يتيح الفرصة للطلبة لإبداء آرائهم العلمية وانتقاداتهم بحرية تامة.	٣١	٤٦	٢٣	2.08	٦٩٪	٨	متوسطة
٨	يشجع الطلبة على التعاون والعمل كفريق واحد.	٢٣	٣٩	٣٨	1.85	٦٢٪	١٢	متوسطة
٩	يقوم بمعالجة المواقف الصعبة الطارئة أو المحرجة بأسلوب تربوي مناسب.	٣٢	٥٦	١٢	2.20	٧٣٪	٤	متوسطة
١٠	يهتم بتنمية الوازع الديني والأخلاقي لدى الطلبة.	٣٩	٤٨	١٣	2.26	٧٥٪	٢	متوسطة
١١	يغرس الثقة في نفوس الطلبة من خلال المناقشة الحرة بموضوعية وتكافؤ الفرص.	٢٩	٣٨	٣٣	1.96	٦٥٪	١٠	متوسطة
١٢	يقوم بالتوجيه والإرشاد أثناء الإشراف على التدريبات العملية.	٣٣	٦١	٦	2.27	٧٦٪	١	متوسطة
١٣	يشجع الطلبة على التعبير عن مشاعرهم الشخصية بحرية والتواصل الإيجابي بينهم.	١٣	٤٥	٤٢	1.71	٥٧٪	١٥	متوسطة
١٤	لا يستخدم العبارات المحبطة للطلبة أو السخرية منهم.	٥٤	١٨	٢٨	2.26	٧٥٪	٣	متوسطة
١٥	ينوع في استخدام لغة الجسد بشكل مناسب أثناء شرح المحاضرة.	٣٦	٤٨	١٦	2.20	٧٣٪	٥	متوسطة
١٦	يوضح مشاعره الإيجابية نحو طلبته.	٣١	٤٣	٢٦	2.05	٦٨٪	٩	متوسطة
	المجموع	438	714	410	1.99	٦٦٪		متوسطة

يتبين من الجدول رقم (٧) أن درجة توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس أثناء تفاعله واتصاله بالطلبة قد حققت درجة متوسطة وضعيفة، ولم تظهر درجة توافر كبيرة، وأن الفقرة (٥) هي

الوحيدة التي حصلت على درجة توافر ضعيفة حيث كان متوسط درجة توافرها (١,٣٣)، وكان متوسط درجات توافر معايير الجودة متوسطة في بقية الفقرات الخمس عشرة ، ويتراوح بين(١,٧١) كأدنى متوسط لكلا الفقرتين(١، ١٣)، و(٢,٢٧) كأعلى متوسط للفقرة (١٢)، كما حلت الفقرتان (١٠ ، ١٤) على نفس المتوسط(٢,٢٦)، أما درجات التوافر العالية فلم تظهر، مما يدل على تدني مستوى أداء عضو هيئة التدريس في ما يخص فقرات هذا المحور التي تمثل تفاعله وتواصله مع الطلبة، وقد يرجع ذلك إلى عدم متابعة الغياب، وعدم تلمس مشاكل الطلبة، وتركيز المعلم على شرح الدروس دون الاهتمام بالنواحي الإنسانية، وقد يرجع ذلك لسفر معظم الأعضاء بعد إلانتها من المحاضرة، أو بسبب عدم القدرة على التواصل عبر النت، أو بسبب الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد.

٥ - **للإجابة عن السؤال الخامس**: ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المرتبطة بعملية التقويم ؟ قام الباحث بجمع النتائج وفقاً للجدول التالي:

جدول (٨) يوضح

نتائج قياس مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المرتبطة بعملية التقويم بكلية التربية النادرة جامعة إب

م	المعيار ومدى درجة توافره	كبيرة	متوسطة	ضعيفة	المتوسط المرجح	النسبة	ترتيب الفقرة	درجة توافر المعيار
	خامساً: أداء عضو هيئة التدريس لعملية التقويم :	التكرار	التكرار	التكرار				
١	يوضح أساليب التقويم التي سوف يستخدمها في المقرر بأول محاضرة.	٣١	٣٥	٣٤	1.97	٦٦٪	٦	متوسطة
٢	يلتزم بمواعيد الاختبارات المحددة في تقويم الجامعة.	٢١	٣٠	٤٩	1.72	٥٧٪	١١	متوسطة
٣	يحرص في التقويم على قياس الجانب المهاري والوجداني مع الجانب المعرفي.	١٣	٢٣	٦٤	1.49	٥٠٪	١٣	ضعيفة
٤	يعد تقويماً شاملاً لجميع المحاضرات دون حذف أي جزء من المقرر.	٤٢	٤٣	١٥	2.27	٧٦٪	١	متوسطة
٥	يســـتخدم أنـــواع التقـــويم (القبلي،البنائي،النهائي)، وأساليب مثل:(المشاريع،والتقارير،والاختبارات، وبطاقات الملاحظة ... الخ).	٣٦	٥٢	١٢	2.24	٧٥٪	٢	متوسطة
٦	يضع أسئلة متدرجة في الصعوبة مع التركيز على قياس المستويات العليا:التركيب،التقويم، الإبداع.	١٦	٤٧	٣٧	1.79	٦٠٪	٨	متوسطة
٧	يسجل التعليمات عن كيفية الإجابة وأسس التصحيح.	٧	٢١	٧٢	1.35	٤٥٪	١٥	ضعيفة
٨	يكتب نموذجاً للإجابة عن جميع أسئلة الاختبار.	١٢	١٥	٧٣	1.39	٤٦٪	١٤	ضعيفة
٩	يضع الدرجات وفق معايير واضحة	١٦	٤٣	٤١	1.75	٥٨٪	١٠	متوسطة

	تحدد مستوى الأداء الجيد لجميع الطلبة على حد سوى.							
١٠	يضع درجة الطالب حسب أدائه الأكاديمي دون تحيز للعلاقات الشخصية أو أي شيء آخر.	٢٧	٤٠	٣٣	1.94	٦٥٪	٧	متوسطة
١١	يكتب ملاحظات على أوراق الإجابة ليستفيد منها الطلبة.	٢٢	٣٥	٤٣	1.79	٦٠٪	٩	متوسطة
١٢	يمكن الطلبة من مراجعة نتائجهم التحصيلية ومناقشته حول إجابتهم عنها.	٣٣	٤٠	٢٧	2.06	٦٩٪	٤	متوسطة
١٣	يعيد الوجبات والتكاليف للطلبة بعد تصحيحها.	٣٥	٤٦	١٩	2.16	٧٢٪	٣	متوسطة
١٤	يحتفظ بسجلات نتائج عمليات التقويم.	٢٠	٦٠	٢٠	2.00	٦٧٪	٥	متوسطة
١٥	يوظف نتائج التقويم في تحسين برامج إعداد الطلبة وتدريبهم.	١٠	٥٢	٣٨	1.72	٥٧٪	١٢	متوسطة
	المجموع	341	582	577	1.84	٦١٪		متوسطة

يتبين من الجدول رقم (٨) أن درجة توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس لعملية التقويم كانت مابين متوسطة وضعيفة، ولم تظهر درجة توافر كبيرة، وأن الفقرات التي حصلت على درجة توافر ضعيفة هي الفقرات (٣، ٧، ٨) حيث تراوحت متوسطاتها المرجحة مابين (١,٣٥ – ١,٤٩)، وكان متوسط الفقرة (٧) الخاصة بتسجيل تعليمات الإجابات والتصحيح هو أقل متوسط حيث كان(١,٣٥)، في حين حصلت الفقرة (٣) على (١,٤٩) كأعلى متوسط من بين الفقرات الضعيفة، كما مثلت درجات بقية الفقرات الثلاثة عشر درجات التوافر المتوسطة، وقد تراوحت متوسطاتها المرجحة مابين (١,٧٢ -٢,٢٧) واحتلت الفقرة (٤) أعلى متوسط في حين أخذت الفقرتين (٢،و ١٥) أقل متوسط من بين فقرات هذا المستوى، ولم تظهر درجات توافر عالية في مستوى الأداء لعملية التقويم، مما يدل على تدني مستوى أداء عضو هيئة التدريس في ما يخص فقرات هذا المحور وقد يرجع ذلك إلى وضع الأسئلة بشكل عشوائي دون الاهتمام بنوع السؤال والإجابة، وعدم وضوح التعليمات عن كيفية الإجابة، وعدم اعتماد نموذج موحد للإجابة مما يؤثر سلباً في عملية التصحيح، لذا يتوجب إعادة النظر في عملية التقويم كي تتناسب مع جودة التعليم الجامعي.

٦ - **للإجابة عن السؤال** السادس: ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس خارج القاعة الدراسية؟ قام الباحث بجمع النتائج وفقاً للجدول التالي:

جدول (٩) يوضح

نتائج قياس مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس خارج القاعة الدراسية بكلية التربية النادرة جامعة إب

م	المعيار ومدى درجة توافره	كبيرة	متوسطة	ضعيفة	المتوسط المرجح	النسبة	ترتيب الفقرة	درجة توافر المعيار
	سادساً: أداء عضو هيئة التدريس خارج القاعة الدراسية:	التكرار	التكرار	التكرار				
١	يمنح طلابه فرصة مراجعته خارج قاعة المحاضرة.	٣٠	٦٢	٨	2.22	٧٤٪	٢	متوسطة
٢	يقدم النصائح التربوية والأكاديمية بأي وقت.	٣١	٥٧	١٢	2.19	٧٣٪	٣	متوسطة
٣	يشارك طلابه في تنفيذ الأنشطة الثقافية والرياضية.	٨	١٢	٨٠	1.28	٤٣٪	٨	ضعيفة
٤	يعقد لقاءات وندوات وورش عمل يدرب فيها طلبته على مهارات يحتاجون إليها.	٩	١٤	٧٧	1.32	٤٤٪	٧	ضعيفة
٥	يتجنب انتقاد أداء الطالب أمام زميل آخر.	٨	٣٨	٥٤	1.54	٥١٪	٦	ضعيفة
٦	يتابع أعمال طلابه أولاً بأول مع توجيههم للصواب.	٢٨	٤٠	٣٢	1.96	٦٥٪	٤	متوسطة
٧	يلتزم بجلوسه بمكتبه في الساعات المكتبية.	٤٢	٤٠	١٨	2.24	٧٥٪	١	متوسطة
٨	يمنح الطلبة رسائل توصية إلى جهات أخرى.	١٣	٣٧	٦٠	1.73	٥٨٪	٥	متوسطة
	المجموع	169	300	341	1.81	٦٠٪		متوسطة

يتبين من الجدول رقم (٩) أن درجة توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس خارج القاعة قد انقسمت مابين متوسطة وضعيفة، ولم تظهر درجة توافر كبيرة، حيث حصلت الفقرات (٣، ٤، ٥) على درجة توافر ضعيفة تراوحت متوسطاتها المرجحة مابين (١,٢٨ – ١,٥٤)، وكان متوسط الفقرة (٣) الخاصة بمشاركة الطلبة تنفيذ الأنشطة المختلفة هو أقل متوسط، في حين كان متوسط الفقرة (٥) الخاصة بتجنب النقد للطلبة أمام الآخرين هو أعلى متوسط من بين الفقرات الضعيفة، أما درجات بقية الفقرات (١، ٢،٦،٧،٨) فقد كانت درجات التوافر متوسطة، وقد تراوحت متوسطاتها المرجحة مابين (١,٧٣ -٢,٢٤) واحتلت الفقرة (٧) أعلى متوسط في حين أخذت الفقرة (٨) أقل متوسط من بين فقرات هذا المستوى، أما درجات التوافر العالية فلم تظهر مما يدل على تدني مستوى أداء عضو هيئة التدريس في ما يخص فقرات هذا المحور الخاص بأدائه خارج القاعة، وقد يرجع ذلك إلى عدم مشاركة الطلبة في تنفيذ الأنشطة وعدم المساهمة في عقد الندوات وورش العمل، والتقصير في جانب التطبيق العملي نتيجة التركيز على الجوانب النظرية.

٧ - **للإجابة عن السؤال** السابع: ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المتعلقة بمجاله الشخصي؟ قام الباحث بجمع النتائج وفقاً للجدول التالي:

جدول (١٠) يوضح

نتائج قياس مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس في مجاله الشخصي بكلية التربية النادرة جامعة إب

م	المعيار ومدى درجة توافره	كبيرة	متوسطة	ضعيفة	المتوسط المرجح	النسبة	ترتيب الفقرة	درجة توافر المعيار
	سابعاً: أداء عضو هيئة التدريس في مجاله الشخصي:	التكرار	التكرار	التكرار				
١	يتمتع بشخصية قوية متوازنة تتحلى بالأخلاق الفاضلة والإخلاص والدعابة.	٦٢	٢٨	١٠	2.52	٪٨٤	١	كبيرة
٢	يعتز بمهنة التدريس وبرسالته كمعلم.	٥٢	٣٤	١٤	2.38	٪٧٩	٢	كبيرة
٣	يحافظ على الظهور الشخصي بمظهر لائق.	٢١	٦٠	١٩	2.02	٪٦٧	٦	متوسطة
٤	يلتزم بآداب مهنة التدريس وأخلاقياتها.	٢٢	٧٠	٨	2.14	٪٧١	٥	متوسطة
٥	يمتلك مهارات البحث العلمي.	٣١	٦٤	٥	2.26	٪٧٥	٣	متوسطة
٦	يتقن إحدى اللغات الأجنبية.	٢	٥٠	٤٨	1.54	٪٥١	٩	ضعيفة
٧	يشارك في المعارض والمؤتمرات العلمية داخل الجامعة وخارجها.	٣	٢٢	٧٥	1.28	٪٤٣	١١	ضعيفة
٨	يتبنى جمعيات وصناديق لمساعدة الطلبة المحتاجين.	٣	١٧	٨٠	1.23	٪٤١	١٢	ضعيفة
٩	يُعوض ما فاته من محاضرات بالوقت المناسب للطلبة.	٤	٤٤	٥٢	1.52	٪٥١	١٠	ضعيفة
١٠	يهتم بنموه المهني من خلال متابعته أحدث التطورات في مجال عمله وتخصصه.	٢٢	٥٠	٢٨	1.94	٪٦٥	٧	متوسطة
١١	لديه معرفة باللوائح والأنظمة وحقوق الإنسان والمذاهب الفكرية المعاصرة .	٣٥	٤٨	١٧	2.18	٪٧٣	٤	متوسطة
١٢	يقدم تقارير للجهات المعنية توضح مستوى أداء الطلبة.	١١	٣٥	٥٤	1.57	٪٥٢	٨	ضعيفة
	المجموع	268	522	410	1.88	٪٦٣		متوسطة

يتبين من الجدول رقم (١٠) أن درجة توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس في مجاله الشخصي قد تباينت مابين ضعيفة ومتوسطة وكبيرة، حيث حصلت الفقرات (٦، ٧، ٨، ٩، ١٢) على مستوى توافر ضعيفة تراوحت متوسطاتها المرجحة مابين (١,٢٣ – ١,٥٧)، وكان متوسط الفقرة (٨) الخاصة بتبني جمعيات وصناديق خيرية لمساعدة الطلبة هو أقل متوسط، في حين حصلت الفقرة (١٢) المتعلقة برفع تقارير

عن مستوى الطلبة على أعلى متوسط من بين الفقرات الضعيفة، في حين حصلت الفقرات (٢، ١٠،٥،٤،٣، ١١) على مستوى درجات توافر متوسطة تراوحت متوسطاتها المرجحة مابين (١.٩٤ -٢.٣٨) احتلت الفقرة (١٠) المتعلقة بالنمو المهني على أدنى متوسط، في حين أخذت الفقرة (٢) المتعلقة باعتزاز المعلم بمهنة التدريس على أكبر متوسط من بين فقرات مستوى التوافر المتوسطة، أما درجات التوافر العالية فكان من نصيب الفقرة (١٠) المتعلقة بشخصية المعلم وأخلاقه وسلوكه، وهي الفقرة الوحيدة التي وصلت درجة توافرها إلى كبيرة حيث كان متوسطها (٢.٥٢)، وبشكل عام دلت النتائج على تدني مستوى أداء عضو هيئة التدريس في مجاله الشخصي وقد يرجع ذلك إلى عدم الاهتمام بتنمية مهنته بمتابعة كل جديد، وإهمال تعويض ما فات من محاضرات عند غيابة للعمل في مكان آخر أو لأسباب أخرى، مع التركيز فقط بالدرجة الأولى على الاهتمام بتوازن شخصيته وكسب ثقة طلابه، واعتزازه بمنصبه، وهذا يفرض على عضو هيئة التدريس اهتمامه بتنميته المهنية وحاجته للتدريب والتأهيل المستمر في جميع جوانب الشخصية حتى يتمكن من مسايرة معايير الجودة الشاملة في الجامعة.

٩- **للإجابة عن السؤال الثامن:** ما مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المتعلقة بمجال خدمة المجتمع؟ قام الباحث بجمع النتائج وفقاً للجدول التالي:

جدول (١١) يوضح

نتائج قياس مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس في خدمة المجتمع بكلية التربية النادرة جامعة إب

م	المعيار ومدى درجة توافره	كبيرة	متوسطة	ضعيفة	المتوسط المرجح	النسبة	ترتيب الفقرة	درجة توافر المعيار
	ثامناً: أداء عضو هيئة التدريس في خدمة المجتمع.	التكرار	التكرار	التكرار				
١	يشجع الحس الوطني وتحمل المسؤولية لدى الطلبة.	٣٢	٤٣	٢٥	2.07	٪٦٩	1	متوسطة
٢	يوجه الطلبة لطرح مشكلات ذات صلة بواقعهم تتطلب المناقشة واقتراح الحلول.	١٨	٣٩	٤٣	1.75	٪٥٨	7	متوسطة
٣	يرسخ القيم الدينية والاجتماعية والمهنية في نفوس المتعلمين.	٢٨	٤١	٣١	1.97	٪٦٦	3	متوسطة
٤	يسهم في تنمية مجتمعه من خلال صقل مواهب طلابه في تصميم مشروعات عمل مفيدة وتنفيذها وتقويمها.	٢٧	٢٧	٤٦	1.81	٪٦٠	5	متوسطة
٥	يوجه طلابه بشكل إيجابي للمحافظة على البيئة.	٣٠	٢٥	٤٥	1.85	٪٦٢	4	متوسطة
٦	يبرز أهمية مقرره في حياة الفرد والمجتمع من خلال عرضه لمشكلات	٢٩	٤٦	٢٥	2.04	٪٦٨	2	متوسطة

	محلية وعالمية وكيفية حلها.							
٧	يوظف العلاقة بين الكلية والمجتمع المحلي.	١٧	٢١	٦٢	1.55	٥٢٪	8	ضعيفة
٨	يوجه الطلبة لإعداد وسائل تعليمية تستفيد منها المدارس المحلية.	٨	٣٩	٥٣	1.55	٥٢٪	9	ضعيفة
٩	يساعد الطلبة في إعداد بحوث علمية تسهم في حل مشكلات واقعية.	١٨	٤٢	٤٠	1.78	٥٩٪	6	متوسطة
١٠	ينفذ مع الطلبة حملات توعوية وخدمية تخدم المجتمع في النظافة والصحة .....الخ	٤	١٦	٨٠	1.24	٤١٪	10	ضعيفة
	المجموع	211	339	450	1.76	٥٩٪		متوسطة

يتبين من الجدول السابق رقم (١١) أن درجة توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس المتعلقة بخدمته للمجتمع قد انقسمت مابين متوسطة وضعيفة، ولم تظهر درجة توافر كبيرة، وأن الفقرات التي حصلت على درجة توافر ضعيفة هي الفقرات (٧، ٨، ١٠) حيث تراوحت متوسطاتها المرجحة مابين (١,٢٤ – ١,٥٥)، حيث حصلت الفقرة (١٠) المتعلقة بتنفيذ حملات توعوية وخدمية على أقل متوسط، في حين حصلت الفقرتين (٧، ٨) على المتوسط الأعلى نفسه من بين الفقرات الضعيفة، كما حصلت الفقرات (١، ٢،٣،٤،٥، ٦، ٩) على درجات توافر متوسطة، حيث تراوحت متوسطاتها المرجحة مابين (١,٧٥ –٢,٠٧) احتلت الفقرة (١) المتعلقة بتشجيع الحس الوطني لدى الطلبة على أعلى متوسط، في حين أخذت الفقرة (٢) المتعلقة بتوجيه الطلبة نحو حل المشكلات الواقعية على أقل متوسط من بين فقرات المستوى المتوسط، أما درجات التوافر العالية فلم تظهر مما يدل على تدني مستوى أداء عضو هيئة التدريس في ما يخص فقرات محور خدمة المجتمع، وقد يرجع ذلك عدم فهم رسالة الكلية وعلاقتها بالمجتمع المحلي، وكذلك انشغال أعضاء هيئة التدريس بأمورهم الشخصية.

هذا وقد كانت أدنى درجة توافر في المعايير: تدريب الطلبة على الإنترنت ، وتبني جمعيات وصناديق خيرية لمساعدة الطلبة، والمشاركة في مؤتمرات علمية، وعقد ندوات وورش عمل لتدريب الطلبة على تطبيق المهارات العملية، حيث كانت نسبة درجة توافرها على الترتيب (٣٦٪ –٤١٪ –٤٣٪ –٤٤٪)،وهذا يرجع إلى وضع المعلم والظروف المعيشية الصعبة وعدم توفر الإمكانات لدية وكذلك منطقة الكلية مغلقة لم يستطع المنافسة على الإنتاج العلمي والإبداع، ويحتاج إلى استقرار وتنمية في هذه الجوانب. وكانت أعلى درجة توافر في المعايير: يعرف نفسه بسرور، يتمتع بشخصية قوية ومخلصه، ويكسبهم مهارات التدريس بالتربية العملية، يعتز بمهنة التدريس،يقوم بالتوجيه والإرشاد عند حل تدريبات ويعد تقويماً شاملاً دون حذف جزء من المقرر،ويجلس بمكتبة ويمتلك مهارات البحث العلمي. حيث كانت نسبة درجة التوافر حسب الترتيب (٨٩٪

-٨٤٪ – ٨٠٪ -٧٩٪ -٧٦٪ -٧٥٪)، وهذه النسب لم تبلغ مستوى الأداء العالي ولكنها مقبولة بدرجة متوسطة.

كما تم تحليل النتائج النهائية وتفسيرها بشكل عام من خلال الجدول التالي:

جدول (١٢) يوضح

نتائج قياس مدى توافر معايير الجودة في أداء عضو هيئة التدريس بشكل عام في جميع المحاور بكلية التربية النادرة جامعة إب

م	المحاور ومستوى قياس مدى توافرها		كبيرة	متوسطة	ضعيفة	المتوسط المرجح	النسبة	ترتيب الفقرة	درجة توافر المعيار
			التكرار	التكرار	التكرار				
١	أداء عضو هيئة التدريس في مرحلة التخطيط لتدريس المحاضرة.		115	400	385	1.7	٪٥٧	8	متوسطة
٢	أداء عضو هيئة التدريس في أول محاضرة يدرسها		326	394	280	2.04	٪٦٨	1	متوسطة
٣	تنفيذ عضو هيئة التدريس للمحاضرة داخل القاعة:	أ – عرض محتوى المحاضرة في القاعة.	٢٩٣	٦٢٦	٤٨١	1.87	٪٥٨	7	متوسطة
		ب – توجيه الأسئلة المناسبة بالمحاضرة.	١١٥	٢٧٤	٢١١	1.84			
		ج – استخدام طرق وإستراتيجيات التدريس.	١١٠	٢٩٧	٣٩٣	1.64			
		د – استخدام الوسائل والتقنيات الحديثة.	59	157	384	1.46			
		المجموع	577	1354	1469	1.74			
٤	أداء عضو هيئة التدريس أثناء تفاعله واتصاله بالطلبة.		438	714	410	1.99	٪٦٦	2	متوسطة
٥	أداء عضو هيئة التدريس لعملية التقويم.		341	582	577	1.84	٪٦١	4	متوسطة
٦	أداء عضو هيئة التدريس خارج القاعة الدراسية.		169	300	341	1.81	٪٦٠	5	متوسطة
٧	أداء عضو هيئة التدريس في مجاله الشخصي.		268	522	410	1.88	٪٦٣	3	متوسطة
٨	أداء عضو هيئة التدريس في خدمة المجتمع.		211	339	450	1.76	٪٥٩	6	متوسطة
	المجموع		2330	4205	3937	1.85	٪٦٢		متوسطة

يتبين من الجدول (١٢) أن معايير الجودة في الأداء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس بكلية التربية –النادرة جامعة إب، لم تتوافر بمستوى عال حيث كانت درجات جميع محاور الأداء التدريسي في الجدول بنسبة توافر متوسطة، حصل محور الأداء بأول محاضرة على المرتبة الأولى بمتوسط (2.04) ونسبة (٦٨٪) وهي أعلى نسبة من بين كافة المحاور، يليه محور أداء عضو هيئة التدريس أثناء تفاعله واتصاله بالطلبة بمتوسط (1.99) ونسبة (٦٦٪)، وفي المرتبة الثالثة جاء محور أداء عضو هيئة التدريس في مجاله الشخصي بمتوسط

(1.88) ونسبة (٦٣٪)، والمحور الرابع هو المتعلق بأداء عضو هيئة التدريس في عملية التقويم بمتوسط (1.84) ونسبة (٦١٪)، واحتل المرتبة الخامسة محور أداء عضو هيئة التدريس خارج القاعة الدراسية بمتوسط (1.81) ونسبة (٦٠٪)، والمرتبة السادسة احتلها محور أداء عضو هيئة التدريس في خدمة المجتمع بمتوسط (1.76) ونسبة (٥٩٪)، واحتل المرتبة السابعة المحور المتعلق بأداء عضو هيئة التدريس في أول محاضرة يدرسها بفروعه الأربعة وبمتوسط (1.74) ونسبة (٥٨٪)، وجاء في المرتبة الثامنة والأخيرة محور أداء عضو هيئة التدريس في مرحلة التخطيط لتدريس المحاضرة بمتوسط (1.7) ونسبة (٥٧٪)، وبهذه النتائج يتبين أن درجة أداء أعضاء هيئة التدريس بالكلية متوسطة.

جميع المحاور حققت درجة توافر متوسطة، ولم يحقق أي محور درجة توافر عاليه أو ضعيفة، لم تتحقق النسبة (٦٦٪) المحددة للقبول إلا في محورين من بين ثمانية محاور هما: مجال أداء عضو هيئة التدريس في أول محاضرة وبنسبة (٦٨٪)، يليه مجال أداء عضو هيئة التدريس أثناء تفاعله وتواصله بالطلبة وبنسبة (٦٦٪)، وهي نسبة توافر متوسطة لم تصل إلى الحد الأعلى، وقد يرجع ذلك لعدة أسباب منها: عدم استقرار المدرسين بسبب بعد الكلية عن أماكن سكنهم، وكذلك عدم توفر الإمكانات المادية اللازمة للتدريس الحديث، وشحة تجهيز القاعات الدراسية، حضور معظم الطلبة من الريف، عدم توفر خدمات الكادر الجامعي كون الكلية بمنطقة نائية، وحتى يصل مستوى الأداء إلى تحقيق معايير الجودة المطلوبة بمستوى عال، فلابد من تحليل بيئي للكلية، وتوفير برامج تدريب لتأهيل أداء المعلم في جوانب متعددة، ولا بد من توفير كافة الوسائل التعليمية والتكنولوجية، وتوفير مصادر المعرفة من كتب وشبكة نت وغيرها، كذلك ضرورة تواجد عضو هيئة التدريس بشكل دائم ومتواصل مع الطلبة، ومتابعة الإشراف والتوجيه لهم، ورفع التقارير اللازمة إلى جهة الاختصاص عن جميع نقاط القوة والضعف لمعرف ما يتطلبه مستقبل الكلية والعملية التعليمية، وبما يتناسب مع معايير الجودة المعتمدة في الجامعة والتعليم العالي.

التوصيات:

١- عقد دورات تدريبية وورش عمل لتطوير الأداء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس بالكلية.

٢- التزام التعيين ومناهج الكلية بمعايير الجودة والاعتماد الأكاديمي.

٣- توفير الموارد المالية اللازمة لتطوير استراتيجيات التدريس والوسائل التعليمية والمعامل وغيرها.

٤- نظيم بيئة تعلم حديثة بتزويد قاعات التدريس بالتجهيزات والأدوات والمواد المناسبة.

٥- ضرورة تدريب أعضاء هيئة التدريس على استخدام وسائل تعليمية وتكنولوجية حديثة في التدريس و التنوع في أساليب التدريس وفقاً للجودة.

٦- طوير عضو هيئة التدريس في أدائه الأكاديمي، واستخدامه وسائل حديثة في عملية التدريس، ونشره أبحاث علمية محكمة، ومشاركته في ندوات ومؤتمرات علمية.

المقترحات:

١- إجراء دراسات لتطوير معايير خاصة بمدخلات وجودة العملية التعليمية ومخرجاتها في الكلية.

٢- تنفيذ دراسات لنشر ثقافة المشاركة التابع لنظام وبرامج الجودة.

٣- تنفيذ أبحاث علمية على واقع الكلية بتقويم برامجها وفقاً لمعايير الجودة (من منشئات، ومناهج وطلبة وموظفين ومعلمين، وتربية عملية، ودراسات عليا).

المراجع :

١ - ابن منظور (١٩٨٤): "**لسان العرب**" ، الجزء الثاني ، القاهرة : دار المعارف .

٢ - أحمد راجح طبلان (٢٠٠٧): "صعوبات تطبيق معايير ضمان الجودة الشاملة"، **مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس**، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس ، كلية التربية ، جامعة عين شمس، القاهرة، العدد (١٢٩) .

٣ - أحمد سعيد درباس (١٩٩٤): "إدارة الجودة الكلية -مفهومها وتطبيقاتها وإمكانية الإفادة منها في القطاع التعليمي السعودي، **رسالة الخليج العربي**، العدد٥٠ ، السنة ١٤.

٤ - أحمد علي كنعان (٢٠٠٣): "آفاق تطوير كليات التربية وفق مؤشرات الجودة وتطبيقاته في ميدان التعليم العالي" ، **كلية التربية**، جامعة دمشق.

٥ - اخليف الطراونة (٢٠١٠): "ضبط الجودة في التعليم العالي وعلاقته بالتنمية، **ورقة عمل في البرنامج الأكاديمي للأسبوع العلمي الأردني الخامس عشر**: (العلوم والتكنولوجيا، محركان للتغيير)، مدينة الحسن العلمية، ١٠ -٢٠١٠/٥/١٢م.

٦ - إسماعيل بن حماد الجوهري (١٩٨٤): "**معجم الصحاح للجوهري**" ،ط٢،تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، بيروت:دار العلم للملايين،ج٢، ص٤١٦.

٧ - الأكاديمية المهنية للمعلمين (٢٠١١):"**وثيقة المستويات المعيارية لضمان جودة واعتماد مؤسسات التعليم قبل الجامعي**، مرحلة التعليم الأساسي،مصر.

٨ - برهامي عبد الحميد زغلول، وحمدي عبد العزيز (٢٠٠٧): "نموذج مقترح لتكوين معلم العلوم التجارية في مصر في ضوء معايير ضبط الجودة"، **المؤتمر العلمي التاسع عشر** (تطوير مناهج التعليم في ضوء معايير الجودة)، ٢٥ – ٢٦ يوليو، دار الضيافة، جامعة عين شمس، المجلد الثالث.

٩ - بن هويشل الشعيل، وعبد الله خطابية (٢٠٠٢): "المهارات التدريسية لأعضاء هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة السلطان قابوس وحاجتهم للتدرب عليها من وجهة نظر طلبة الدراسات العليا" ، **مجلة العلوم الإنسانية**، العدد (١٨)، الجزائر .

١٠ - جميل نشوان (٢٠٠٤): " في ضوء مفهوم إدارة الجودة الشاملة في فلسطين، **ورقة علمية أعدت لمؤتمر التوعية في التعليم الجامعي الفلسطيني** الذي عقده برنامج التربية ودائرة ضبط التوعية في جامعة القدس المفتوحة في مدينة رام الله في الفترة الواقعة ٣ -٢٠٠٤/٧/٥ .

١١ - حسن البيبلاوي (١٩٩٦): "إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي بمصر" ، **مؤتمر التعليم العالي في مصر وتحديات القرن الحادي والعشرين**، جامعة المنوفية ، ٢٠ – ٢١ مايو .

١٢ - حسن سيد شحاتة (٢٠٠٥): "ثقافة المعايير والتعليم الجامعي"، **المؤتمر العلمي السابع عشر**، مناهج التعليم والمستويات المعيارية، ٢٦–٢٧ يوليو، مجلد (١)، جامعة عين شمس، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس.

١٣ - حلمي محمد فراج (٢٠٠٣): "تحسين أداء المدرسة الثانوية العامة في مصر باستخدام مدخل إعادة الهندسة"، الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، **مجلة التربية** ،العدد الثامن، يناير، مصر.

١٤ - خالد محمد الزواوي (٢٠٠٣): " **الجودة الشاملة في التعليم وأسواق العمل في الوطن العربي** ، القاهرة ، مجموعة النيل العربية،.

١٥ - خليل عوده ( ) : نموذج في ضبط معايير الجودة في التعليم الأكاديمي، **متاح على النت**.

١٦ - راشد محمد راشد (٢٠٠٧): "معايير جودة الأداء التدريسي لمعلمي العلوم ، بالتعليم العام في ضوء أبعاد التعلم" ، **المؤتمر العلمي التاسع عشر**: تطوير مناهج التعليم في ضوء معايير الجودة ، ٢٥ – ٢٦ يوليو، جامعة عين شمس، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، المجلد (٢).

١٧ - رمضان رفعت سليمان (٢٠٠٧): "برنامج مقترح لتطوير أداء معلمي الرياضيات في ضوء معايير الجودة الشاملة" ، **المؤتمر العلمي التاسع عشر**: تطوير مناهج التعليم في ضوء معايير الجودة، ٢٥ – ٢٦ يوليو، جامعة عين شمس، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، المجلد الرابع.

١٨ - سامي محمد نصار (٢٠٠٥): "**قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة، سلسلة آفاق تربوية متجددة**" ، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.

١٩ - سهيل رزق دياب (٢٠٠٦): "مؤشرات الجودة في التعليم الجامعي الفلسطيني"، **مجلة الجودة**، الجامعة الإسلامية بغزة.

٢٠ - صالح ناصر عليمات (٢٠٠٤): "**إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية** (التطبيق ومقترحات التطوير)"، دار الشروق، عمان.

٢١ - صبرية بنت مسلم يسلم اليحيوي (٢٠٠١): "تطبيق إدارة الجودة الشاملة لتطوير التعليم العام للبنات في المملكة العربية السعودية "، **رسالة دكتوراه، كلية التربية** ، جامعة طيبة، المدينة المنورة.

٢٢ - عامر عبد الله الشهراني (٢٠٠٥): "الجودة في التعليم"، **صحيفة الوطن**، العدد ١٨١٤، السنة الخامسة، المملكة العربية السعودية.

٢٣ - عبد الحميد ، مؤمن عبد العزيز (٢٠٠٣): "بعض معوقات الجودة في أداء أعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم بجامعة أسيوط"، **مجلة الثقافة والتنمية**، السنة (٤) ، العدد (٧).

٢٤ - عبد الرحمن الراشد(٢٠٠٤): "جودة التعليم الجامعي"، **جريدة الشرق الأوسط** ، العدد٩٤١٠ ، سبتمبر.

٢٥ - عبد الرحمن بن إبراهيم الجويبر (٢٠٠٦): " **إدارة الجودة الشاملة الإتقان في الفكر الإسلامي المعاصر**"، ط٢،مطابع الرشيد ، المدينة المنورة.

٢٦ - عبد اللطيف العارفة (٢٠٠٧): "معوقات تطبيق الجودة في التعليم العام"، **الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، كلية التربية**، جامعة الملك سعود، المجلد الرابع.

٢٧ - علي محافظة (٢٠٠٠): "ملاحظات على واقع التعليم العالي في الأردن، **ورقة مقدمة لمؤتمر التعليم العالي في الأردن**، بين الواقع والطموح"،جامعة الزرقاء الأهلية،الأردن،١٦ -١٨أيار -٢٠٠٠م.

٢٨ - علي محيي الدين راشد ،ومنى عبد الهادي سعودي (١٩٩٨): "برنامج مقترح لتحسين الأداء التدريسي لمعلمي العلوم في المرحلة الإعدادية"، **المؤتمر الثاني لإعداد معلم العلوم للقرن الحادي والعشرين**، مجلة الجمعية المصرية للتربية العلمية، جامعة عين شمس القاهرة.

٢٩ - علي ناصر الشتيوي (٢٠٠٥): "القدرات المطلوبة لتطوير جودة الأداء الأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس لمؤسسات التعلم العالي لمواجهة تحديات العولمة"،**بحث بورشة عمل** "طرق تفعيل وثيقة الآراء الأمير عبدالله عبدالعزيزحول التعليم العالي"، ١٩ -٢٠ ذيالحجة٢٠٠٥/١/٣٠.

٣٠ - فتحي حسانين محمد علي (٢٠٠٦): "تقويم المهارات التدريسية اللازمة لطلاب اللغة العربية بكليات التربية سلطنة عمان"، **مجلة دارسات في المناهج وطرق التدريس**، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس.

٣١ - فتحي درويش محمد عبيشة (١٩٩٩): "الجودة الشاملة وإمكانية تطبيقها في التعليم الجامعي المصري (دراسة تحليلية)"، **المؤتمر العلمي السنوي**، كلية التربية، جامعة حلوان.

٣٢ - كمال إمام كامل (٢٠٠٥): "معايير الاعتماد الأكاديمي لبرامج التعلم عن بعد " "معايير الجودة والاعتماد الأكاديمي في التعليم المفتوح "، في زاهر ،ضياء الدين (تحرير)، **مؤتمر المعلوماتية والقدرة التنافسية للتعليم المفتوح**، رؤى عربية تنموية، القاهرة، جامعة عين شمس، مركز التعليم المفتوح.

٣٣ - لمياء شعبان أبو زيد (٢٠٠٧): "مدى تحقق معايير الجودة في برنامج التربية الميدانية القائم وانعكاس ذلك على الأداء التدريسي والاتجاه نحو المهنة لدى الطالبات المعلمات بمنطقة القصيم"، **الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، المؤتمر العلمي التاسع عشر**، تطوير مناهج التعليم في ضوء معايير الجودة ، جامعة عين شمس، المجلد الرابع، ٢٥ – ٢٦ يوليو.

٣٤ - مأمون الدرادكة، وطارق الشلبي (٢٠٠٢): "**الجودة في المنظمات الحديثة**"، دار صفاء ،عمان ،الأردن.

٣٥ - محمد احمد لطف الجوفي،ومحمدفائزعادل (٢٠٠٩): "معايير تحقيق الجودة الشاملة لدى عضو هيئة التدريس في كليات جامعة إب"، **مجلة الباحث الجامعي**، العدد٢٣، جامعة إب.

٣٦ - محمد بن سليمان البندري، ورشدي أحمد طعيمة (٢٠٠٢): " **تطوير كليات التربية بين معايير الاعتماد ومؤشرات الجودة**"، وزارة التعليم العالي، سلطنة عمان.

٣٧ - محمد بن فاطمة (٢٠٠٠): "توجهات عامة لإصلاح التعليم الجامعي في ضوء العولمة" **ورقة مقدمة لندوة التعليم العالي والبحث العلمي** في ضوء العولمة،جامعة العلوم والتقنيات، تونس، نوفمبر ،٢٠٠٠م.

٣٨ - محمد جمال الدين ،ومحمد رجب (٢٠٠٥): "المعايير وتقييم الأداء" ، **ورقة عمل**، دورة تقييم الأداء لأعضاء الهيئة التعليمية بمدرسة التميز النموذجية، العين.

٣٩ - محمد حسنين عبده العجمي (٢٠٠٣): "متطلبات تحقيق الجودة الشاملة في مدارس التعليم الثانوي العام بجمهورية مصر العربية" ، **مجلة الثقافة والتنمية**، السنة (٤) ، العدد (٧) .

٤٠ - محمد خير أحمد الفوال (٢٠٠٣): "أنظمة الجودة واعتماد المعايير بالنسبة للكليات الجامعية ولكليات التربية"، بحث معد للاجتماع الخامس لجمعية كليات التربية ومعاهدها في الجامعات العربية، **كلية التربية**، جامعة دمشق٢٨ -٢٩ نيسان ٢٠٠٣.

٤١ - محمد عبد الرازق إبراهيم ويح (١٩٩٩): "معايير الجودة الشاملة لتطوير نظام تكوين معلم التعليم الثانوي العام بكليات التربية، **رسالة دكتوراه**،"جامعة الزقازيق ، فرع بنها، كلية التربية ، قسم أصول التربية.

٤٢ - محمد عبدالوهاب العزاوي (٢٠٠٥): " **إدارة الجودة الشاملة**"، ط١، دار اليازوري العملية للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن.

٤٣ - محمد عوض الترتوري (٢٠٠٦): "تطوير أداء أعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية بما يتلاءم مع مبادئ إدارة الجودة الشاملة"، **مجلة المعلم**، مجلة تربوية ثقافية جامعة.

٤٤ - محمد ناصر الألباني (١٩٧٩): **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، الكويت ، الدار السلفية، م٣،ح١١١٣.

٤٥ - مسودة الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي (٢٠٠٨): الرياض – المملكة العربية السعودية، **دليل ضمان الجودة والاعتماد الأكاديمي**، في المملكة العربية السعودية الجزء الأول: نظام ضمان الجودة والاعتماد الأكاديمي ،في المملكة العربية السعودية، مارس.

٤٦ - مصطفى السايح محمد (٢٠٠٠): الجودة - جودة التعليم – إدارة الجودة الشاملة [رؤية حول المفهوم والأهمية] **متاح على النت**.

٤٧ – مصطفى محمد كامل (٢٠٠٧): "تصور مستقبلي لأدوار المعلم في ضوء التغيرات المتوقعة في المجتمع ومنظومة التعليم والمعايير القومية للتعليم" ، **المؤتمر العلمي التاسع عشر** : تطوير مناهج التعليم في ضوء معايير الجودة ، ٢٥ – ٢٦ يوليو ، جامعة عين شمس ، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس ، المجلد الثالث.

٤٨ – منى بنت حميد السبيعي (١٤٣٠هـ): "واقع المهارات التدريسية لعضوات هيئة التدريس بكلية العلوم التطبيقية في ضوء معايير الجودة الشاملة من وجهة نظر طالبات جامعة أم القرى جامعة أم القرى".**متاح على النت**.

٤٩ – ميادة محمد فوزي الباسل (٢٠٠١): "متطلبات تطبيق إدارة الجودة الشاملة ISO 9000 برياض الأطفال ومدارس التعليم العام بمصر"، دراسة ميدانية"، **مجلة كلية التربية**، المنصورة، العدد (٤٧).

٥٠ – ناصر صالح القرني (٢٠٠٥): "تقويم الأداء التدريسي لمعلمي العلوم في المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية"، **رسالة دكتوراه غير منشورة**، الجامعة الأمريكية بلندن.

٥١ – نعمان صالح الموسوي (٢٠٠٣): "تطوير أداة لقياس إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي"، **المجلة التربوية**، ع(٦٧)، مجلد ١٧، الكويت مجلس النشر العلمي.

٥٢ – هند احمد البربري(١٤٢٨هـ): " الجودة في مدارس التعليم العام"، بحث مقدم للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية(جستن) **متاح على النت**.

٥٣ – هند ماجد الخثيلة (٢٠٠٠): " المهارات التدريسية الفعلية والمثالية كما تراها الطالبة في جامعة الملك سعود"، **مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية**، مكة المكرمة، العدد (٢)، المجلد (١٢).

٥٤ – يحيى منصور بشر (٢٠١٢): "أنموذج لتطوير نظام تقاعد أعضاء هيئة التدريس بالجامعات اليمنية في ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة"، **مجلة الباحث الجامعي**، جامعة إب، مجلة العلوم والإنسانيات، العدد ٢٨ ،مارس٢٠١٢م.

٥٥- يوسف أبو فارة (٢٠٠٣): " تقويم جودة الخدمات التعليمية لكليات الاقتصاد والعلوم الإدارية بالجامعات لفلسطينية"، **دراسة مقدمة لمؤتمر ضمان الجودة المنعقد بجامعة الزرقاء الأهلية** ٢١ -٢٣/١٠/٢٠٠٣م، الزرقاء.

56- Earle,Rodney(2000): "AECT and NCATE: A **partnership for Quality Teaching Through Accreditation, Teach Trends** ",Vol.44,No.3.

57- Gail، B. (1998): "**Changes in your classroom from the past** .To the present to the future،" ***J.R.M.E*** ، v.29، N.5.

58- John، K. (2000): "Standards in the classroom، how teachers and students negotiate learning،" ***Teachers college press، New york ، copyright by teachers college ،Colombia university***.

59- Lewis، R. G. and Smith، D.H. (1997): "Why Quality Improved in Higher Education? " ***International Journal***، V. (1) N. (2).

60- Marry Field &Linda Munnia(2003): "Accreditation Standards and Implication for Business Faculty", **Journal** of Education for Business, Vol.80,No.1.

61- Naidoo kogi(2002): "**Staff Development: Alener for alityzssurance"**. Newzeland, Massy

University.

62- Sherman، J.R. (2004). "Implementation of Aspects of the National Science Education Standards by Beginning Science Teachers during Their Participation in a Statewide Teachers Support and Assessment Program". ***Doctoral Diss. The University of Connecticut، U.S.A.***

63- Vacc، N. & Bright G. (1994): "Changing Pre-service Teacher Edu. Programs"، ***NCTM، Year Book***.

64- http://scienceeducator.jeeran.com/nafeza/archive/2006/9/99862.html

65- http://www.almualem.net/maga/jawda003.html

66- http://www.almualem.net/jawda.html

67- http://www.almualem.net/maga/gawdah12.html

إثبات النسب ونفيه في الإسلام - دراسة في المرتكز الأصولي والمنجز الفقهي

د/ عبدالوهاب أحمد محمد السعيدي

أستاذأصول الفقه المساعد - ونائب عميد كلية

الشريعة والقانون - جامعة الحديدة

9

الملخص

هدف البحث إلى بيان :

١ - نظرة الشرع للنسب حيث نظرته للنسب تختلف عن نظرته لإقامة الحد فالشرع يثبت النسب لأدنى ملابسة، وهو يتشوف لذلك، أما الحد فإن الشرع يسقطه لوجود أي شبهة، وكذلك في الحقوق يجب البحث عن الإثبات، وفي الحدود يجب البحث عن الإسقاط.

٢ - ما هو الأصل في ثبوت النسب في الشريعة الإسلامية.. وهو كون المولود نشأ من اتصال جنسي بين الرجل والمرأة تحت مظلة الزواج، وأي علاقة جنسية خارج هذه المظلة يترتب عليه لحوق النسب لكون المولود ولدا لصاحب الماء وولدا للمرأة شرعا؛ لأن النسب له حقيقة واحدة لا يختلف باختلاف المرأة والرجل أوالمسلم والكافر، فكل مولود يلده الإنسان فهو ابنه شرعا ولغة وطباّ وهذا أصل يقاس عليه كل علاقة جنسية محرمة بين الرجل والمرأة أو أي ممارسة طبية لوسائل محرمة للإنجاب، فإذا نتج عن تلك العلاقة أو الممارسة أولادا وثبت لدينا مصدرهم فقد تحقق مناط الانتساب فيثبت لذلك نسبهم لآبائهم.

٣ - بيان أنواع الوطء بشبهة النكاح على اختلاف أنواع الشبهات التي ذكرها الفقهاء وهو يعود في جملته إلى اختلال شرط من شروط صحة النكاح وهذا يجعله من قبيل النكاح الفاسد.

٤ - هل يمكن أن ينسب ولد الزنا إلى أبيه الزاني مالم ينازعه فيه صاحب فراش صحيح؟ وهل نسبته لأبيه الزاني يعارض النصوص الشرعية فضلا عن توافقه مع القواعد والمبادئ الأصولية.

٥ - هل أدلة إثبات النسب أدلة معللة وليست تعبدية؟ وهل يمكن استفادتنا من الوسائل العلمية والطبية في مجال إثبات النسب، وفي حال الاستفادة منها يعد خروجا عن النصوص أم دائراً في فلك تلك النصوص ومستنداً لها.

٦ - هل البصمة الوراثية بعد ثبوت حقيقتها العلمية تعد دليلا قاطعا على تحديد الأبوة؟.

بيان المصدرية والمرجعية التي استند عليها هذا المنجز الفقه الاجتهادي الاسلامي، ثم منهجية قواعد التأصيل والتأويل لهذه المصدرية والمرجعية وهي نصوص الوحي (قرآنا وسنة). وبالله التوفيق

المقدمة:

يامن كل أحكامه بعز الحكمة معقودة، وجميع أفعاله بالأغراض الصحيحة موجودة، كلّت الألسنة عن الوفاء لك بالشكر ما منحت من الإنعام، وقهرت الأفهام عن الإحاطة بما شرعت من الأحكام بحسب مصالح عبادك تنزيلا، وأشرت إلى عللها تصريحاً وتأويلاً، فتألقت أنوارها للطالبين، وتيسر إخراج مجهولاتها للراغبين، وصلواتك على من خصصته بتحمل أثقالها إلى الثقلين، وأهلته للتوسط بينك وبين عبدك بالعلاقتين، وعلى الذين طهرتهم بإذهاب الأرجاس، وفضلتهم باستحقاق المودة جميع الناس[1]. وبعد:

فقد أثبتت الدراسات الاجتماعية أن الإنسان الذي يعيش جاهلاً أباه يعيش حاضراً ومصيراً مجهولاً، يعيش في مجتمع لا تربطه به صلة، فيشعر بعزلة وقلق وحيرة وحقد على المجتمع، وكلما ازداد إحساس الإنسان بالنقص ازداد شعوره بالألم، فيتولد من الألم انفعال ملائم له، ومن هنا فإن حرمان الفرد من النسب حرمانه من أهم حقوقه وإلحاق الظلم به، والمس بهويته، مما قد يؤدي به كل ذلك إلى الضياع بوجه أو بآخر، رغم أن المبدأ والواقع أنه مولود من شخصين أب وأم، والإسلام ينظر إلى المؤسسة العائلية باعتبارها نقطة استقرار لعالم متحرك، تنتقل من خلالها ممتلكات الجيل السابق إلى الجيل اللاحق عن طريق الإرث والوصية الشرعية، ومؤسسة اجتماعية لتعويض الخسائر البشرية الحاصلة نتيجة موت الأفراد، ومحطة فحص وتثبيت انساب الأفراد عن طريق الزواج والإقرار بالنسب، ومركز حماية الأفراد فيما يتعلق بالحب والحنان والدفء والمطعم والملجأ، ومكاناً لتهذيب السلوك الجنسي، ومسرحاً لتعلم المعارف قبل الخروج للساحة الاجتماعية، وموضعاً عظيماً لتعلم وممارسة النشاطات الروحية والدينية. وقد قدّم الإسلام في نظريته الفقهية الاجتماعية عرضاً مفصلاً لحقوق الزوجة المالية والمدنية، وحقوق الأبوين والأجداد والأحفاد ، وحق إلحاق المولود على أساس قاعدة (إمكان الإلحاق) التي تسالم عليها الفقهاء وغيرها من الحقوق، وهذا يعني أن النظرية الإسلامية تطرح للعالم المعاصر قاعدة عائلية تمنح الأفراد كل مواطن الاستقرار النفسي والحاجات العاطفية ولهذا فإن نظرة الإسلام الرحيمة تجاه العلاقة الشهوية بين الذكر والأنثى وربطها بإصلاح المشاكل الاجتماعية، تضع الإسلام على قمة المؤسسات العلاجية الهادفة لمعالجة الأمراض التي تنشئها الدوافع الغريزية البشرية[2]، هذا وقد حظي موضوع النسب باهتمام لدى فقهاء المسلمين قديما في مدوناتهم الفقهية وناقشوا كثيرا من مسائله وقضاياه بيد أنه على أهميته لم يحظ بباب خاص في حيز الكتابات الفقهية وإنما جرى الحديث عنه ضمن كتب فقهية متفرقة ككتاب النكاح والطلاق واللعان والظهار والرضاع والقضاء. لذا فإن الجهد في هذا البحث انصب لدراسة بعض جوانب موضوع النسب وذلك بوصف

---

[1] مقتبس من كتاب أغوار الأفهام في الكشف عن مناسبات الأحكام تأليف الفقيه العلامة المحقق عبدالله بن محمد النجري اليمني مخطوط ق١.

[2] انظر: النظام العائلى ودور الأسرة في البناء الاجتماعي الاسلامى الدكتور زهير الأعرجي ص ١٨،٩، ٧٧، ١٨٤، ١٨٥.

وتحليل وتقعيد المنجز في الفقه الإسلامي ومناقشة الوسائل المستحدثة ومدى ملاءمتها لإثبات النسب ونفيه والمرتكز الأصولي المستند عليه هذا الإنجار ما يشكل في نظري رادفا ودافعا لتسديد الثغرات وتحديد العثرات في مجال النسب وقضاياه لضمان كل طفل حقه في النسب بما يتلاءم مع مقاصد الشريعة الإسلامية[1] وحقوق الإنسان دون خرق النظام العام والأخلاق الحميدة. على أن هذه المحاولة لا تدعي الشمول والإحاطة لما تم البحث فيه مع القصد والعزم لذلك؛ إذ أسوار النقص والضعف حائطة بكل إنسان ومنه سبحانه يُستمد العون والتوفيق والسداد وقد دار البحث على ثلاثة مباحث الأول: مدخل مفاهيمي الثاني: المرتكز الأصولي الثالث: المنجز الفقهي

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي

أولا: النسب المفهوم والمضمون

النَّسب من حيث الأصل يدل على معنى الاتصال والاشتراك بين شيئين[2] وقد استخدم للدلالة على واحد من المعاني الآتية: القرابة يقال: بينهما نسب أي قرابة[3] كما يطلق على الرفع في نسب الشخص بذكر أحد آبائه:يقال نسبت فلانا إلى أبيه إذا رفعت في نسبه إلى جده الأكبر[4]، ويطلق على المصاهرة ومنه قولهم: ناسب الرجل بني فلان تزوج منهم وصاهرهم[5]. أما النسب في اصطلاح أهل الفقه فقد عُرف بأنه: اشتراك من جهة الأبوين"[6]، وبأنه:"علاقة قربى تقوم بين أشخاص على أساس من صله ناتجة عن رابطه الدم"[7]وذكر مثله ابن

---

[1] إنَّ من أهمِّ مقاصد الاسلام حفظَ الإنسان في دينِه ونفسه وعقله ونسله وماله، فقد أحاطت الشريعةُ الإسلامية الإنسانَ بعناية فائقة، وحفظت له حقوقَه وضمنتها له، إذ جعلت من تلك الحقوق حقُّ الإنسان بالحفاظِ على نسبه؛ لذا فإنَّ من أجْلَى مظاهر العناية بالنَّسب في الإسلام أنَّ الله -تعالى- امتنَّ على عباده بأن جعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، فقال -عزَّ وجلَّ-: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [الحجرات: ١٣]، ولا يتحقَّقُ معرفة الشعوب والقبائل، وما يترتب على ذلك من تعارف وتآلف إلا بمعرفةِ الأنساب وحفظها عن الاشتباه والاختلاط. ومن أجلِ ذلك عُنِيَ الإسلامُ أيما عناية بتنظيمِ العَلاقة بين الرَّجل والمرأة؛ ضمانًا لسلامةِ الأنساب، فحرَّم كلَّ اتصال جنسي لا يتم على أصول شرعية، ولا يحفظُ لكلٍّ من الرَّجلِ والمرأة ما يترتب على هذا الاتصال من آثار، وما ينتج عنه من أولاد، وأبطل جميعَ أنواع العلاقات التي تعارفت عليها بعضُ الأمم والشعوب التي انحرفت عن شرائع الله السوية، ولم يُبِح الإسلامُ سوى العلاقة القائمة على النكاح الشرعي بشروطِه المعتبرة، أو بملك اليمين الثابت؛ ولذا قال -عزَّ وجلَّ-: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ❖ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ❖ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) [المؤمنون: ٥ -٧]، وعليه ومِن أجل الحفاظ على النَّسب جاء هذا البحثُ ذاكرًا أهمَّ الطرقِ التي من شأنها يتم حفظُ النوع الإنساني بحفظه للأنساب، فبحفظ الأنساب تماسكٌ للمجتمعِ، وتماسك للأسرِ من الانحلالِ؛ لذا تبرزُ أهمية معرفة الأنساب من خلالِ معرفة طرقِ إثبات النَّسب، سائلاً المولى أن يجعلَ في هذا البحثِ الفائدة، وأن يتمَّ معرفة فضائل هذا الدين؛ الدين الإسلامي عند جميع الأمم.

[22] مادة نسب معجم مقاييس اللغة أبو الحسين أحمد بن فارس تح عبدالسلام هارون بيروت دار الجيل ط١ ١٩٩١م ج٥ ص ٢٨٨.

[3] أحمد بن محمد الفيومي المصباح المنير بيروت دار لبنان ط١ ١٩٩٢م ص ٢٣٠.

[4] انظر: لسان العرب جمال الدين محمد بن مكرم المصري بيروت دار صادر ط١ ١٩٩٠م ج١ ص ٧٥٥.

[5] انظر: الهادي إلى لغة العرب حسن بن سعيد الكرمي بيروت دار لبنان ط١ ١٩٩٢م ص٢٨٨.

[6] انظر: حاشية الطحطاوي على الدر المختار، احمد الطحطاوي الحنفي ت(١٢٣١ه) -دار المعرفه للطباعه -بيروت -لبنان ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م ج٢ص٢٣٢.

[7] انظر:الأحوال الشخصية في القانون الدولي الخاص عبد الواحد كرم ط١مطبعة المعارف بغداد ١٩٧٩ ص٤٢.

عطية[1] والزمخشري[2]، وعلى كل فإن الفقهاء لم يهتموا بوضع تعريف خاص له وذلك لوضوح معناه واشتهار دلالته من جهة اللغة[3]، فغالبيتهم تجاوز التعريف إلى الحديث عن المسألة واكتفى بعض منهم بالإشارة إلى معناه العام في اللغة وهو القرابة[4]، كما هو في القرآن بمعنى"القرابة والصلة"[5]، ومنه قوله تعالى: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا} [الصافات: ١٥٨] وقوله: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِفَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون:١٠١][6]. ومن هذا السرد يتبين لنا ما يلي:

١ -ان هذه الأقوال لا تخرج النسب في الاصطلاح عن نطاقه في اللغة، فتشترك في اعتبار النسب هو القرابة التي أساسها الاشتراك في ولادة قريبة أو بعيدة هذا الاشتراك يكون من جهة الأب أو من جهة الأم مما يعني أن النسب يكون من جهة الأبوين[7].ومع هذا الايجاز في تحديد مفهوم النسب بصورة عامة تبقى الأهمية قائمة والحاجة ماسة لتحديد مضمونه بدقة وتعديد جهاته المعتبرة شرعا لترتُّبِ كثير من الحقوق والواجبات الشرعية وانبنائها على ذلك[8]ومن خلال جمع كثير من النصوص الشرعية المتناولة الحديث عن النسب ونظر التأمل في دلالاتها لاح ما يمكن تعداده وتقسيمه -أي النسب شرعا - إلى ثلاثة أنواع:

١ - **أحادية الجهة** وهو جهة الآباء فقط ويسمى: نسب الانتماء أو الدعوة والتعريف، (علاقة الفرع بأصله بأصله من جهة الأب) ويراد بهذا النوع النسب من جهة العشيرة أو الأسرة التي ينتمي إليها فيصير فردا منها ويلحق اسم العشيرة باسمه وهذا يشمل أصول الشخص -رجلا أو امرأة - من جهة الأب فقط كقولهم: هو فلان بن فلان بنسبته إلى أبيه أو عشيرة أبيه[9]، فهذا النوع مما

---

[1] النسب هو:أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم قَرُب ذلك أو بعُد. المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية تح عبدالله بن ابراهيم الأنصاري القاهرة دار الفكر العربي ط٢ د ت ج١١ ص ٥٣.

[2] قال: النسب ما رجع إلى ولادة قريبة. الفائق في غريب الحديث محمود بن عمر الزمخشري تح علي البجاوي القاهرة دار إحياء الكتب العربية ط١ ١٩٤٥م ج٢ ص ٢٢٣.

[3] أخرج عبد بن حميد عن عبد الله بن المغيرة قال: سئل عمر بن الخطاب عن «نسبا وصهرا» فقال: ما أراكم إلا وقد عرفتم النسب، وأما الصهر: فالأختان كما في الشوكاني فتح القدير دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ط١ - ١٤١٤ هـ ج٤ ٩٦.

[4] ينظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته سفيان بن عمر بورقعة دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع ط١ ٢٠٠٧م ص ٣٣.

[5] انظر معجم الالفاظ القرانيه -محمد اسماعيل ابراهيم -ط٢ -دار الفكر العربي -القاهره ٢٢٨/٢

[6] ويذكر صاحب المغرب انه: ويقال تسبي فلان فانتسب له أي سألني عن النسب وحملني على الانتساب ففعلت ومنه حديث ابن انيس: فجاء فسلم ثم نسبني. انظر المغرب في ترتيب المعرب تاليف الامام ابي الفتح ناصر الدين المطرزي ت٦١٠هـ حققه محمود فاخوري وعبد الحميد مختار -مكتبة اسامه -سوريه -ج٢٩٩/٢.

[7] ينظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته سفيان بن عمر بورقعة مرجع سابق ص٣٤.

[8] هناك أحكام فقهية متعلقة بالنسب ناقشها الفقهاء في مدوناتهم الفقهية اتفقوا في بعضها واختلفوا في جوانب منها كالكفاءة في النكاح، والنفقة والوصية وأحكام الحدود والجنايات والإمامة وغيرها.

[9] ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه:« أنا ابن عبد المطلب» وعبد المطلب جده من أبيه أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد باب من قال: خذها وأنا ابن فلان حديث ٣٠٤٢ ج٤/ ٦٧ تح محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)ط١، ١٤٢٢هـ شرح

اختص به الآباء دون الأمهات[1] ولذا يقول العلماء: الولد يتبع أباه في النسب وأمه في الرق والحرية[2]، ونسب الانتماء هو المعبر عنه بعمود النسب[3] ولذا فيمكن **صياغة قاعدة هذا النوع على النحو الآتي: النسب والحسب يختص بالأب دون الأم.** قاله الكاساني في بدائعه[4] وابن القيم في إعلامه حاكيا اتفاق المسلمين على ذلك[5]، **والتأسيس النظري لهذا المسلك التقعيدي مجموعة من نصوص الوحي (كتاب وسنة)**[6].

٢ - **ثنائية الجهة أي جهة الأبوين ويسمى علاقة البنوة أي علاقة الأبوين بمن يولد لهما من بنين وبنيهم مهما سفل،** وحقيقتها النسبة للأبوين المباشرين لأن الولد للوالدين بالحس والواقع وهما الأبوان المباشران[7]، وعليه يقال في نسب الشخص تحت هذا المعنى فلان بن فلان أو فلان بن فلانة التي هي أمه وللإنسان الشرف بالنسب لأبيه أو لأمه لكن لايُدعى المرء مضافا إلى اسم أمه

وتعليق مصطفى البغا. وقال في حديث آخر«نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ لَا نَنْتَفِي مِنْ أَبِينَا وَلَا نَقْفُو أُمَّنَا» أخرجه أبوداود في مسنده حديث ١١٤٥، ج٢ ٣٧٧، انظر: مسند أبي داود الطيالسي أبو داود سليمان بن داود الطيالسي، تح الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي دار هجر مصر ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩م.

[1] ومن هنا اعتبر ابراهيم ابن رسول الله قرشيًا لا قبطياً إذ أمه هي مارية كانت قبطية. المبسوط محمد بن أحمد السرخسي بيروت دار المعرفة ط١ ١٤٠٦هـ ج١٧ ص ١٥٩.

[2] الأشباه والنظائر عبدالرحمن السيوطي بيروت دار الكتب العلمية ط١ ١٤٠٦هـ ص ٢٦٧.

[3] ينظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته مرجع سابق ص ٣٦ -٣٩.

[4] بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني علاء الدين بيروت دار الكتاب العربي ط٢ ١٩٨٢ ج٧ص ٣٥٠.

[5] إعلام الموقعين عن رب العالمين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية بيروت داار الجبل ط ١٩٧٣م ج٢ ص٦٦.

[6] فمن ذلك قول الله تعالى: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ} [الأحزاب:٥] فرفع الله حكم التبني ومنع من إطلاق لفظه وأرشد بقوله إلى أن الأولى والأعدل أن ينسب الرجل إلى أبيه نسبا. انظر: الجامع لأحكام القرآن القرطبي ج١٤ ص١١٩. تح أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية –القاهرة ط٢ ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م. ويمكن الاستدال بجزء الآية كذلك وهو قوله: فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ على أن الولد لاينسب إلى أمه ولو مع حال الجهل بأبيه والعلم بأمه، قال ابن العربي في تفسير الآية: دَلِيلٌ قَوِيٌّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَا أَبَ لَهُ مِنْ وَلَدِ دَعِيٍّ أَوْ لِعَانٍ لَا يَنْتَسِبُ إلَى أُمِّهِ، وَلَكِنَّهُ يُقَالُ أَخُو مُعْتِقِهِ وَوَلَدُهُ إنْ كَانَ حُرًّا، أَوْ عَبْدُهُ إنْ كَانَ رِقًّا. انظر: أحكام القرآن القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (المتوفى: ٥٤٣هـ) تعليق: محمد عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان ط٣ ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م ج٣ ص ٥٣٩. وقوله تعالى: {وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: ٢٣٣] وهو ما يدل إشارة والتزاما -كما في أصول الحنفية حيث يسمونها إشارة النص ويعبر عنها الجمهور بدلالة الالتزام وهو ما ثبت بنظم الكلام لغة لكنه غير مقصود ولا سيق له النص -في ذكره المولود له دون ذكر الوالد إلى أن النسب إلى الأب بإضافة الولد إليه بحرف الاختصاص ليدل أنه المختص بالنسبة إليه. وقوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) [سورة الأعراف: ٣١] حيث نسب الله جميع الناس إلى آدم وليس إلى حواء، ونسب ابنيه المباشرين إليه فقال: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ} [المائدة: ٢٧]. انظر: أصول البزدوي مع شرحه كشف الأسرار لفخر الاسلام البزدوي القاهرة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ط٢ ١٩٩٥م ج١ص ٦٨، ينظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته مرجع سابق ص ٤٢. وأما السنة فحديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ لَا نَنْتَفِي مِنْ أَبِينَا وَلَا نَقْفُو أُمَّنَا» فاعتبر بآبائه من جهة أبيه ونسب العرب كلهم إلى اسماعيل عليه السلام فقال: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا» أخرجه البخاري في الجهاد والسير باب التحريض على الرمي حديث ٢٨٩٩ ج٤ ص ٣٨. وكذلك حديث: يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان" حيث الناس يدعون بآبائهم لا بأمهاتهم. أخرجه مسلم في الجهاد باب تحريم الغدر حديث ١٧٣٥، انظر: المسند الصحيح المختصر مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تح: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي –بيروت ج٣ ص ١٣٩٥.

[7] أما النسبة إلى أحد الأجداد من جهتهما فمجازاً فابن الابن وابن البنت يسميان ابنا مجازا بدليل قوله تعالى: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ} حَتَّى بَلَغَ: {وَيَحْيَى وَعِيسَى} [الأنعام: ٨٥] فجعل عيسى من ذريته وهو ابن ابنته. وكذلك الاجماع على تحريم نكاح بنت البنت لقوله: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ} [النساء: ٢٣] فدل على أن بنت البنت تسمى بنتا.

وإنما يُدعى مضافا إلى اسم أبيه **فالنسبة هنا نسبة بنوة لا نسبة انتماء** الذي لا تشاركه الأم في خصوصية هذا النسب[١].

٣ - **تعددية الجهة وهي ما يمكن تسميتها بالقرابة النسبية وتشمل قرابة الأصول كالأب والفروع كالإبن والحواشي كالإخوة والرحم كالخال**، وهي علاقة اجتماعية تجمع من يشتركون في ولادة واحدة قريبة أو بعيدة، ولا يدخل في هذا المعنى القرابة من جهة المصاهرة (كأهل الزوجة والزوج بالنسبة لأحدهما) ولا القرابة الحكمية[٢] (كقرابة الرضاع والولاء) لعدم تحقق علة الاشتراك في ولادة في المصاهرة والحكمية وتحققها في النسبية[٣]. **والتأسيس النظري لهذا الاختيار** نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية[٤].

ثانياً: النسب المبنى والمغزى:

مبنى النسب في الشريعة الإسلامية يقوم على القرابة التي أساسها الولادة وهو نظام يقوم على نوعين نوعين من الأقارب لكل فرد، وهم أقاربه من جهة أبيه ومن جهة أمه فهو ثنائي الجهة ويأخذ بعين الاعتبار الاعتبار الجهتين في وقت واحد ومع هذا الاعتبار فليست الجهتين على مرتبة واحدة بل الفروق الشرعية الشرعية بينهما في أحكام كثيرة[٥]..**أما مغزى النسب فهو**: التحام أصحاب النسب الواحد في عصبة واحدة يقوم بينها التضامن والتعاون والتناصر لبعض في السلم والحرب، فهو علاقة صلة وتلاحم وتناصر وتقارب بين الأفراد الذين تجمعهم هذه العلاقة ومن هنا يُفهم معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي أهْلِهِ، مَثْرَاةٌ فِي مَالِه، مَنْسَأَةٌ فِي أَثَرِهِ»[٦]،صلة حقيقية لا وهمية لا قيمة لها ولهذا قال الشاعر[٧]:

وإن القريب من يقرب نفسه   لعمرو أبيك الخير لا من تنسَّبا

---

[١] ينظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته مرجع سابق ص ٤٩.

[٢] أي التي حكمت بها وقررتها الشريعة الاسلامية ويطلق عليها علماء الاجتماع القرابة الافتراضية أو الاجتماعية أو الطقوسية أو المتوهمة أو المتخيلة. انظر: القرابة والميراث في المجتمع بين القواعد الشرعية والتصرفات الواقعية عبدالرحيم محمد القاهرة مكتبة الثقافة الدينية د ط ١٤١٣هـ ص ٩٥.

[٣] ذكر ذلك صاحب نيل المآرب وابن السكيت والمناوي. نيل المآرب بشرح دليل الطالب عبدالقادر بن عمر ابن أبي تغلب تح محمد سليمان الأشقر الكويت مكتبة ط١ ج٢ ص ٥٥. تاج العروس الزبيدي ج١ ص ٤٨٣. يقول المناوي النسب الاشتراك من جهة أحد الأبوين التوقف على مهمات التعاريف ص ٦٩٦.

[٤] قول الله تعالى: {وَأُوْلُواْ الأرحام بَعْضُهُمْ أولى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّه} [الأنفال: ٧٥] فالأرحام القرابات من جهة الآباء والأمهات والذرية من الذكور والأناث ومن منهم بصرف النظر عن درجة القرابة أو قوتها. انظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته مرجع سابق ص ٥١. أما السنة فحديث "يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب" وفي رواية «إن الرضاعة تحرم ما يحرم من الولادة». أخرجه البخاري في الشهادات باب الشهادات على الأنساب والرضاع حديث ٢٦٤٥ج٣ ١٧٠. فالنسب في الرواية الأولى المراد به مطلق القرابة وهو المعنى المفهوم من الرواية الأخرى. انظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته مرجع سابق ص٥٢.

[٥] ومنها ترجيح قرابة جهة الأبوة على قرابة جهة الأم لاحتساب الولد من عشيرة الأب لا من عشيرة أمه مع ثبوت قرابته وصلته بعشيرة أمه لأن حق النسب الانتماء حق أبوي تختص به عشيرة الأب فكان من أثر ذلك أن أُلحق باسم الولد اسم عائلة الأب أو اسم العشيرة التي ينتمي إليها الأب

[٦] أخرجه أحمد في مسنده حديث ٨٨٦٨ج١٤ص ٤٥٦.

[٧] انظر: الجوهري الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج١ ص ٢٢٤،

أي أن القريب حقا من تقرب بالمودة وبذل المعروف والخير وإن لم يكن قريبا بالنسب وقريب النسب لا يدل على قربه إذا كان مقصرا في مودته وصلته لأهل قرابته[1].

ثالثاً: النسب الموقع والأهمية.

يعدُ النسب من أكثر المباحث الفقهية والقانونية أهمية لما يترتب عليه من حقوق والتزامات ترتبط في أحكامها بجملة من القواعد الشرعية والآثار الفقهية، **فمن حيث القواعد** فإن النسب يحتكم في تأصيله إلى عدد من المبادئ التي تقوم عليها النظم التشريعية كالبينة والإقرار، **ومن حيث الآثار** فإن النسب كما هو معلوم ثمرة العلاقة الزوجية الرابطة الاجتماعية التي تؤسس للمجتمع وتحدد معالم ازدهاره و ترابطه، وهو السبب الأول في اكتساب الحقوق المعنوية[2] أو المالية[3]، كما أنه يحقق الهوية للأفراد ويعطي لهم الشعور بالانتماء، و يقوي الروابط الاجتماعية ويؤسس من ثم لدولة قوية، وكل ذلك في إطار ما حدده الشارع ورأى أنه يحقق المقصد من عمارة الأرض. وقد اهتمت الشريعة الإسلامية بالنسب أيما اهتمام وذلك من جانبين **من جانب الوجود**[4]، **ومن جانب العدم**[5]، وأقر الإسلام بعد حثه على الزواج أحقية كل فرد في الاسم والانتساب إلى أبوين وعائلة، اسما ودما وصلة؛ فأثبته بالزوجية القائمة حقيقة[6] وحكما[7] وشبهة[8]، وأرست قواعد

---

[1] ينظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته مرجع سابق ص ٥٤

[2] كالاسم والحرمة.

[3] كالنفقة والميراث.

[4] حيث خطت الشريعة الإسلامية منهجاً مستقيماً وثيق العرى للمحافظة على النسب ليبقى شامخاً عزيزاً في ظل تعاليم الإسلام الحنيف من أجل ذلك صاغت الشريعة الإسلامية الغراء جملة من الأمور التي تحفظ النسب من جهة الوجود ومنها: مشروعية الزواج والحث عليه وضبط تشريعاته كالإشهاد والولاية والإعلان والإشهار، إذ به تعرف العلاقة الزوجية بشيوعها بين الناس، ويعرف بالتالي أن النسل المتأتي من هذا الزواج إنما هو منتسب إلى الزوجين، ولكن لو كان الزواج سراً غير معروف عند الناس فإن ذلك يؤدي إلى إنكار نسب النسل من الزوجين وإن كان النسب في ذاته صحيحاً، إذ لا تعلم بينهما علاقة زوجية، وهو ما يكون له الأثر السلبي على النسل من الناحية الاجتماعية والنفسية، دون أن ينفع فيه صحة النسب في ذاته، فالإسرار بالنكاح يقربه من الزنا ، ويحول بينه وبين الذب عنه واحترامه ، ويعرض النسل إلى اشتباه أمره والشك في صحة نسبه ، كما أنه ينقص من حصانة المرأة ويوقعها في دائرة الشك والاتهام؛ ول ذلك فإن في إعلان الزواج درأً للمفاسد المترتبة على إسراره وحفظاً للنسل من صحة انتسابه إلى أصله وكذلك التوثيق بوثيقة رسمية من الدولة لصيانة الحقوق الزوجية ، وهو أمر تدعوا إليه الشريعة ولهذا التوثيق منافع عدة منها١ -إمكانية حفظ العقد المكتوب مدة طويلة وغير محدودة.٢ -سهولة الرجوع إليه عند التنازع٣ -معرفة الأمة لتاريخها وتسلسل أجيالها، وحفظ أنسابها انظر: مقاصد الشريعة ابن عاشور ص ٤٣٠، مقاصد الشريعة عبد المجيد النجار ص ٤٩، مستجدات فقهية محمد سليمان الأشقر ص١٣٥، ١٣٦.

[5] وذلك بتحريم جملة من الأمور، كتحريم الزنا وإيجاب العقوبة على فاعله كما في سورة النور: آية٢، وكذلك تحريم التبني كما في سورة الأحزاب آية ٤، ٥، وأبطلت كل عادات الجاهلية التي لا تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية ونَقت النسب من جميع الشوائب حتى أصبحت أحكامه مترابطة منسجمة مع مقاصد الشريعة الإسلامية، و شدد الشارع على الآباء الذين ينكرون نسب أولادهم لقوله عليه الصلاة والسلام حين نزلت آية المتلاعنين :"أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته، وأي ما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين " . أخرجه أبو داود في الطلاق باب التغليظ في الانتفاء حديث ٢٢٦٣ ج٢ ص٢٧٩ . انظر : سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت. وقوله أيضا :"من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام ." أخرجه البخاري باب من ادعى إلى غير أبيه حديث ٦٧٦٦ ج ٨ ص ١٥٦ .

[6] في ظل عقد صحيح

[7] أثناء العدة .

[8] سيأتي الحديث عنها في ثنايا البحث بتفصيل.

قواعد وأسس لحمايته وتصفيته من الفساد والرذيلة وأحاطته بسياج منيع[1] حفاظا على النوع الإنساني، وإيجادا للجو المناسب لتنشئة الأولاد تنشئة صحيحة وتربيتهم على التآلف والمودة والتراحم[2]، وحماية للمجتمع الإسلامي وتماسكه والحفاظ على قوته؛ لأنَّ الأسرةَ هي اللبنة الأولى في بناءِ المجتمع؛ حيث إذا صَلَحت صلح المجتمعُ وإذا فسدت فسد المجتمعُ، وعلى كل فقد بلغ اهتمام الشريعة الإسلامية بالنسب أن عدته مقصداً شرعياً يفضي إلى حفظ المجتمع ليكون هذا المجتمع المنبت الصالح الذي يحتضن أبنائه ويرعاهم رعاية تمتد من لدن الولادة بل مما قبلها، ليشمل كل مراحل حياة الإنسان لتصل به إلى النمو السوي والتربية النفسية والفكرية والأخلاقية التي يكون بها الفرد صالحاً و مصلحاً وهذه الرعاية بأبعادها المختلفة تدخل تحت مسمى حفظ النسل[3].

المبحث الثاني: المرتكزات الأصولية لمسائل النسب. وهما قسمان: أصول نظرية، وأصول إجرائية.

أولاً: الأصول النظرية:

١ - القرآن الكريم

القرآن الكريم دستور الأمة وقانونها المنظم لشؤون حياتها فهو كلام الباري الحكيم الذي يعلم ما ينفع البشرية وما يضرها ففيه سبيل سعادتها والدواء لكل داء وفيه شفاء الأمم من جميع أسقامها[4] وهو من تنزيل حكيم خبير عليم يستحيل عليه النقص في حكم أو أمر أو خطأ في توجيه[5]، حتى حوى هذا السفر العظيم قانون كل شيء ببلاغة خارقة طوت بحار كلام بين دفتيه[6]، وهو أم الدلائل وقيم البيان لجميع الأحكام[7]، تتكشف معانيه عبر العصور ليأخذ أهل كل عصر من معاني القرآن والوعي به ما هم محتاجون إليه[8]،فالنص ومقرراته هو الدليل والمرجع وما الجهود الفقهية في مجموعها إلا شروح وتفاسير للنصوص واجتهاد في

---

[1] انظر: الرملي: نهاية المحتاج ج١ ص٢٣.

[2] المحمدي: مدى ثبوت النسب من الصغير ومن في حكمه ، حولية كلية الشريعة والدراسات(الإسلامية(عدد ٥)، (ص ٣.

[3] انظر:: مقاصد الشريعة عبد المجيد النجارص١٤٧.

[4] كما قال تعالى:{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا} [الإسراء: ٨٢]

[5] كما قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ}[النمل: ٦].

[6] كما قال تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} [الإسراء: ٨٩]

[7] كما قال تعالى:{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ٨٩] وقوله تعالى:{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} [الأنعام: ٣٨]

[8] انظر: ابن رشد الحفيد الفيلسوف الفقيه د. طه جابر العلواني دار السلام للطباعة والنشر ط١ ٢٠١٠م ص٥٨.

فهمهما وتطبيق لمقرراتهما حسب الفهم والوسع[1]، ومرام التجديد لا يمكن تحقيقه إلا بالرجوع إلى القرآن المجيد باعتباره مصدر الاجتهاد والتنظير والتجديد المنشئ والكاشف إضافة إلى كونه مصدر العقيدة والشريعة وبناء العمران والحضارة بجهود إنسان التزكية وتوفيق الله وهداية القرآن للتي هي أقوم[2]، والخطاب القرآني يوجهنا إلى مصدر هذا الخطاب على النحو الذي يوجهنا إلى خصائص هذا المصدر وفي الوقت نفسه يضفي عليه حيوية فوق حيوية مضمون الخطاب ذاته وهكذا تخبرنا البينات: {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ} [الصافات: ٧٦]، فكتاب الله هو أصل الأصول والغاية التي تنتهي إليها أنظار النظار ومدارك أهل الاجتهاد وليس وراءه مرمى لأنه كلام الله القديم[3].

٢ -السنة النبوية

شرفُ الرسول صلى الله عليه وسلم من مسمَّى وظيفته ومرسِله فهو مبلغ؛ فقيمته لا من بشريته بل بمن يبلغ عنه[4]، فإن بلغ رسالته انتهى دوره فعلى المبلَّغ أن يهتم بالرسالة لأن العبرة بالمقصد لا بالوسيلة[5]، وقد خصه الله تعالى بصفات عظيمة لم يحزها بشر غير الرسل فقد قرن الله تعالى طاعة الرسول بطاعته فكفاه شرفا وكفانا ذلة أمامه وقد قرن ذو الجلال اسمه باسمه[6]، ثم أمرنا بطاعته[7] وجعل الله من علائم الإيمان قبول حكمه صلى الله عليه وسلم لأنه لا يحكم من قبل نفسه وإنما من قبل الحكيم العليم[8]، فمن اتبعه فله أجر عظيم[9]، ومن يعصه يندم[10] ندما بالغا[11].

---

[1] انظر: دراسات في الأحوال الشخصية بحوث فقهية مؤصلة د. محمد بلتاجي دار السلام القاهرة ط١ ٢٠٠٦م ص٤، ٢٠٩

[2] انظر: نحو إعادة بناء علوم الأمة الاجتماعية والشرعية د. منى أبو الفضل ود. طه جابر العلواني دار السلام القاهرة ط١ ٢٠٠٩م ص١٨.

[33] انظر: الموافقات الشاطبي ج٣ ص٤٣.

[4] قال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ} [آل عمران: ١٤٤]

[5] {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٤].

[6] {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} [آل عمران: ٣٢] {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [آل عمران: ١٣٢].

[7] {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} [النساء: ٦٤] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩]

[8] {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥] {رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: ٥٣]

[9] {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ} [آل عمران:١٧٢].

[10] {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: ٤٢].

[11] انظر: نظرية التقعيد الأصولي د. أيمن عبد الحميد البدارين دار ابن حزم ط١ ٢٠٠٦م ص ٧٥.

٣ - العقل.

لاتثبت شريعة دون عقل، حيث النسق الثلاثي (الله القرآن النبوة) وجودا واعتقادا واستسلاما وتكليفا قائم على العقل فهو محور ارتكاز الإجابة وموطن الإثبات[١]، و مناط التكليف[٢]، ووسيلة لمعرفة حكم الله من خلال الأدلة السمعية[٣]؛ إذ هو آلة المعارف[٤]و أداة الفهم والإدراك والنظر والتلقي والموازنة، والموجه للإنسان ودوافعه وغرائزه المختلفة، وهو الذي يميِّز بين الخير الصحيح والصادق، وبين الخرافة والدجل، وزخرف القول، وهو أداة التطور وطريق الحضارة، ودون العقل لا يوجد إنسان، ولا يوجد إدراك ولا تفكير، ولا معرفة ولا خطاب، لأن القدرة على ممارسة عملياته المختلفة من تفكير وتدبر وتذكر وتحليل واستنباط وغيرها نعمة وهبها الله الإنسان، ومع درجة أهميته ورفعة مكانته لا يمكن أن ينظر في آماد الكون، وحقائق الواقع نظرة تحليلية فاحصة توافق الفطرة، وتقنع النفس من غير نسمات الوحي ودلالاته، التي حوت الخير والرشاد للإنسان، ودلت على تكريمه وتشريفه ليقوم بواجبه على أبهى صورة وأكمل حال[٥]، شريطة أن يفهم العقل النصوص من زاوية التصور القرآني للكون والحياة والإنسان،وقد توسع الأصوليون في استخدام دليل العقل حتى أدخلوه في مسائل لا تحصى وجعلوه مخصصا لعمومات الشرع وفق ضوابط معروفة[٦].

٤ - مقاصد التشريع الجوهرية العدل والمصلحة.

أ -**أصل العدل** ينبثق مفهوم العدل من معنى إعطاء الحق لأهله بما يحقق لهم المصالح المشروعة على وجه يرفع الظلم عنهم في ضوء التوازن المعنوي والمادي، ويعتبر هذا المفهوم عنصرا تكوينيا في بنية سائر المقررات الشرعية العقدية والفرعية وروحا منبثة في منظومة الأحكام الشرعية كلها؛ لتأسسه على الشمول والإطلاق، وقيامه على النظرة الكلية والموضوعية للحقوق العامة والخاصة[٧] وقد كان العدل معيارا مرجعيا لفقهاء الصحابة يكشفون به عن مدى وجاهة الاجتهاد بالرأي في ذلك العهد؛ كما كانوا يحتكمون إليه حين يجدون أن العمومات الظاهرة تناقض المعاني المؤسِّسة لها والعلل التي كونتها؛ مما جعلهم يتخذون من العدل وسيلة لضمان الاتساق بين أشكال الأحكام وعللها القريبة والعليا حتى لا يقعوا في مناقضة قصد الشارع

---

[١] فما الدليل على وجود الله أصلا ؟ فإن قيل القرآن! فما الدليل على كون القرآن من عند الله تعالى! فإن قيل الإعجاز فما الدليل على إعجازه؟ وعلى التسليم بإعجازه فما الدليل على كون الإعجاز دليلا أنه من عنده ؟ وهكذا ... فلا بد من العقل لإثبات الشريعة.

[٢] فكيف يكلف من لا يدرك معنى التكليف أصلا!.

[٣] بمعنى أن الحاكم هو الله والعقل موصل إلى معرفة هذا الحكم لا مستقل بالحكم.

[٤] انظر: نظرية التقعيد الأصولي د. أيمن عبدالحميد البدارين ص٨٣.

[٥] قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) [الإسراء:٧٠]، وقال تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة:٣٠].

[٦] انظر: الإحكام في أصول الأحكام سيف الدين علي بن محمد الآمدي ٢/٣٤١.

[٧] وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: ١٣٥] وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨].

بسبب طردهم إجراء الأحكام على صورة واحدة دون ملاحظة التغير الطارئ على بنية عللها التكوينية وغاياتها الباعثة على وضعها ابتداء[1]. والآثار الواردة عن الصحابة كثيرة في أن الاجتهاد بسائر أنواعه يفتقر إلى مباني العدل وأصوله وأنه مهما بلغ المجتهد من إحاطة بأدوات الاجتهاد فليس يسعه أن يتجاوز استخدام أصول العدل ومقتضياته اكتفاء بغيره عنه[2].

ب -**أصل المصلحة:** يرجع مضمون المصلحة إلى غاية التسخير الإلهي لكل ما في الأرض من منافع كي يستخدمها الناس في سبيل حفظ حياتهم وما يتصل بها من متطلبات لاستقامة أمرهم في الدنيا والآخرة[3]، ومن هنا أكّد علماء الشريعة ونظارها أنها ما جاءت إلا لمصلحة العباد في المعاش والمعاد ضبطا للسلوك، توجيها إلى المنافع كسبا وإلى المفاسد هجراً، وهذا ما فعله الصحابة الكرام، حيث قاموا بتطبيقات المصلحة في عهدهم شاملة لسائر أنواع المسائل والقضايا، إلا أن أظهر مجالاتها في تلك الفترة ميدان السياسة وإدارة شؤون الدولة ومرافقها العامة ثم يليها مجال المعاملات الجارية بين الناس تكييفا للأحكام الشرعية في ضوء عللها وأهدافها وإن لم تكن على عهد رسول الله؛ لأن موافقة أحكام سياسة التشريع لنصوصه ومقاصده وقواعده لا تعني أن تكون الموافقة بشواهد نصية خاصة؛ وإنما مبناها على عدم مناقضة المقاصد الأساسية وروحه العامة وأصوله الكلية ولو لم يرد بها نص خاص بعينه[4].

ثانيا: الأصول الإجرائية:

١ -**الاجتهاد والتحري**

الاجتهاد والتحري لفظان متقاربان في المعنى[5] عموما، أما تفصيلا فالاجتهاد بذل الوسع والطاقة في الوصول إلى الظن الغالب في القضية المراد إزالة الاشتباه والشك فيها بما يحقق مقصد الاسلام في النظام الأسري، وأما التحري فهو تغليب الظن على أمر عند تعذر الوقوف على الحقيقة[6] مما يعني طلب الصواب والتفتيش عن المقصود، وذلك بترجيح أحد الاحتمالين بدليل يتوصل به إلى طرف العلم وإن كان لا يتوصل به إلى ما يوجب حقيقة العلم واليقين[7].

---

[1] انظر: نظرية التقعيد الأصولي د. أيمن عبد الحميد البدارين ص٢٦٥ -٢٦٦.

[2] المرجع السابق ص٢٦٨.

[3] يراجع مفهوم المصلحة في: المستصفى للغزالي ج١ ص٢٨٦، والبحر المحيط الزركشي ج٦ ص٧٦.

[4] انظر: بحوث مقارنة في الفقه الاسلامي وأصوله فتحي الدريني مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٤م ج١ ص٤٨ -٤٩، والاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة د. عبدالرحمن السنوسي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت ط١ ٢٠١١م ص٢٧٠ وما بعدها.

[5] انظر: الموسوعة الفهية وزارة الأوقاف ج١٠ ص١٨٧.

[6] انظر: معجم لغة الفقهاء د. محمد رواس قلعة جي دار النفائس بيروت ط١ ١٩٨٥م ص١٢٢.

[7] انظر: كشاف اصطلاحات الفنون محمد أعلى التهانوي شركة خياط للكتب والنشر بيروت ج٢ ص٣٩٧.

٢ - **الاستصلاح:**

تعتبر المصالح المرسلة أظهر قواعد الاجتهاد عندما تضيق وجوه الاستنباط من النصوص التشريعية لما فيها من الخصوبة التشريعية وما يميزها من خصائص القدرة على التحليق في آفاق التشريع واستيعاب كل ما يفرزه تطور الحياة من مستجدات المصالح والحاجات؛ لذا يعتبر الاستصلاح أوسع أبواب الاجتهاد بالرأي فيما لا نص فيه. ولئن سبق الحديث عن المصلحة من حيث هي مقصد جوهري يمثل أساسا مرجعيا للاجتهاد؛ لقيامه على الكليات التي قررتها قواطع الشريعة؛ فإن المصلحة المرسلة تعتبر أثرا مباشرا لاعتبار المصلحة مقصدا جوهريا في التشريع؛ وذلك لقيامها على معنى المماثلة للمصالح المقررة شرعا في جنسها[1]. ومن المبادئ المتفق عليها أن أحكام الشريعة المنظمة للحياة العامة للمجتمع ولعلاقات الأفراد بعضهم ببعض إنما شرعت لتحقيق المصالح العامة للمجتمع أو الخاصة للأفراد، والحكم الخاص بكل علاقة اجتماعية يدرك ما فيه من مصلحة أو مفسدة بالعقل الذي يعتمد في حكمه على ملابسات الواقعة المعينة والآثار الفعلية لتطبيق الحكم عليها كما قرر ذلك العز بن عبدالسلام، والشاطبي[2]، وكما تقوم المصلحة المعتبرة على معنى المعقولية فإن المصالح المرسلة كذلك يشترط في قبولها أن تكون معقولة في ذاتها بحيث يسلم العقلاء بأن الأخذ بها جلبا للنفع ودفعا للحرج[3]. وإذا كان هذا هو مفهوم المصلحة المرسلة؛ فالاستصلاح هو البناء عليها في الاجتهاد، ويلاحظ في استصلاحات الصحابة أنهم لم يكونوا يلجأون إلى مقتضياتها لاستنباط الأحكام لأن الاستنباط من الشيء فرع عن كونه مصدرا منقولا معتبرا ومصادر التشريع محصورة في نصوص الكتاب والسنة وإنما يلجأون إلى الاستصلاح باعتباره وسيلة للإلحاق بمعنى أن الاستصلاح هو الأمر المستنبط من المصادر الأصلية ولما ثبتت مشروعيته بشهادتها الجملية له -: اتخذه الصحابة ساعتئذ أمرا مسلما، وراحوا ينظرون في القضايا والحوادث هل هي مصلحة مرسلة أم لا؟. وهذا ليس استنباطا عند التحقيق والتأمل، وإنما هو من باب تحقيق المناط؛ فكأنهم يقفون عند كل حادث ليتساءلوا: هل يعتبر هذا مصلحة أم لا؟ فإن تحققوا من كونه مصلحة؛ فإنهم يسلمون له المشروعية تلقائيا دون استدلال؛ لاستغنائهم بالاستدلال على أصل اعتبار المصالح المرسلة عن إعادة التماس الحجج والأدلة على مشروعية ذلك الشيء المستحدث؛ وكل ما كانوا يتكلفونه في إثبات تلك المشروعية أن ينفروا إلى تجاربهم وتقديرات عقلائهم لتقرر لهم أن الشيء نافع وصالح ؛ وأن ذلك الشيء فاسد وضار : - وكل ذلك مما قرره نظار العلماء فيما بعد. ومما يستخلص من مناهج الصحابة في العمل بالمصالح المرسلة أنهم ما كانوا يلجأون إليها ابتداء وإنما كانوا يستسعفونها

---

[1] انظر: الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة د.عبدالرحمن السنوسي ص٤٠٥.

[2] انظر: قواعد الأحكام ج١ ص٤، الموافقات ج٣ ص٤٦.

[3] الاعتصام الشاطبي ج٢ ص٣٠٧.

تحت إلحاح الحاجة الطارئة التي تستوجبها البيئة أو يقتضيها تغير الظروف والأحوال أو يتطلبها واقع النفوس من حيث ضعف الوازع والخياسة بالذمم والمواثيق[1].

٣ -**الاحتياط.**

الاجتهاد بالرأي حركة في نطاق الظن ودوران في مجال الاحتمال –فإن من الطبيعي أن تكون ثمرة الاجتهاد متفاوتة في مراتب القوة والظهور مما يؤسس للأخذ بالأحوط استبراء للدين وفرارا من التوحل في الحرام[2]. ولئن كان الاحتياط يرتبط بمجال التطبيق والعمل بالدرجة الأولى؛ فإن له في مجال البيان عرقا ضارب الجذور ، حيث يتوقف النظر في المسألة على بيان الحكم أولاً قبل الحاجة إلى معرفة طريق تنزيله وتكييفه؛ لكن اجتهادهم في استبانة تلك الأحكام قد لا يحقق موقفا جازما ورأيا قارا يصدرون عنه، وفي مثل هذه الأحوال كانوا غالبا ما يلجاون إلى الاحتياط والحذر في شأن الحل والحرمة[3]، ومجال العمل بالاحتياط غالبا غالبا إنما هو العبادات والحقوق[4]؛ أما العبادات فخوفا من بقاء عهدتها في ذمة المكلف وقيام مطالبته بإعادتها أو قضائها، وأما الحقوق فتحرزا من إضاعتها والتلاعب بها لمجرد شبهة قد لا تنتهض متمسكا لتجاوزها وإهدارها[5]. وقد سار الفقهاء في النسب وثبوته على مبدأ الاحتياط لخطورته وتعلق الأحكام به، حتى إذا ظهر ما يؤيد هذا المبدأ ويرسي دعائمه نجدهم يتلقونه بالقبول، فيطرح في ميزان الشرع فما وافقه وحقق مقاصده كان العمل وفقه وما كان غير ذلك لم يلتفت إليه.

٤ -**رفع الخلاف:**

رفع الخلاف أو مراعاة الخلاف بمعنى ملاحظة مصيره وعاقبته، وهو يعني العمل بدليل المخالف في المسألة من المذاهب الفقهية المعتبرة، بما لا يبطل دليل المستدل بالكلية، وذلك لرجحان الدليل المراعى وقوته، وهذا يقرب بين المذاهب، ويمنع التعصب المذهبي، وقد يكون دليل المخالف أقوى فيعمل بالأرجح، وهو ما قرره الشافعية في قواعدهم بقولهم:"الخروج من الخلاف مستحب"، والأدلة متكاثرة في الإعتصام وعدم التفرق والاتفاق على كلمة واحدة فهي دالة على استحباب الخروج من الخلاف، بل اتفق العلماء على الحث على الخروج من

---

[1] انظر: الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة د.عبدالرحمن السنوسي ص٤٠٩ -٤١٠.

[2] انظر: مراعاة الخلاف د.عبدالرحمن السنوسي ص٩٥.

[3] ومنشأ الاحتياط هو التردد في حمل المسألة على أحد الاحتمالات القائمة بمحل الحكم مما يجعل الشك ملازما للتصرف وفق الحكم الذي أنتجه الاجتهاد الأول أو الوقوف مع الأصل، ولا يرتفع أثر الشك إلا بعد أن يتجاوز العمل باجتهاده إلى مقتضى الاحتياط. انظر: الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة د.عبدالرحمن السنوسي ص٤١٨، ٤٢٢.

[4] وللإحتياط مجالات أخرى؛ لكنها أضيق من مجال العبادات والحقوق.

[5] انظر: الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة د.عبدالرحمن السنوسي ص٤١٨، ٤٢٢ -٤٢٣.

الخلاف، إذا لم يلزم منه إخلال بسنة، أو أوقع في خلاف آخر[1]، ومستند العلماء في قاعدة رفع الخلاف نصوص السنة[2] وفعل الصحابة الكرام[3].

٥ -العذر بالجهل:

تعد هذه المسألة من المسائل الكبرى والتي صنفت فيها مصنفات كثيرة تأصيلا لحالها وتفصيلا لإجرائها، ومستند العلماء في تقعيدها نصوص القرآن[4] إجمالا، والسنة على تفصيل فيها، وهي من العوارض التي تطرأ على الفروع دون الأصول،كما هي أمر نسبي إضافي ليس على إطلاقه يتفاوت باختلاف الأشخاص وباختلاف المكان والزمان، وباختلاف الواجب والمحرم[5]، بمعنى المأمورات والمحظورات[6]، والفرق بينهما من جهة المعنى أن المقصود من المأمورات إقامة مصالحها وذلك لا يحصل إلا بفعلها، والمنهيات مزجور عنها بسبب مفاسدها امتحانا للمكلف بالانفكاك عنها وذلك إنما يكون بالتعمد لارتكابها ومع النسيان والجهالة لم يقصد المكلف ارتكاب المنهي فعذر بالجهل فيه ...[7]، على تفصيل في المنهيات كونها أسباب[8]. وعذر الإنسان بالجهل لا يعذره في

---

[1] انظر: من أصول الفقه على منهج أهل الحديث: زكريا بن غلام قادر الباكستاني، دار الخرازط١، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م ص١٨٢.

[2] والأصل فيه عند مالك قوله -صلى الله عليه وسلم -في قصة ولد زمعة الذي اختصم فيه سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة كل منهما يدعيه، فراعى رسول الله -صلى الله عليه وسلم -الحكمين أي حكم الفراش فألحق الولد بصاحبه الذي هو زمعة وحكم الشبه فأمر بنت صاحب الفراش التي هي سودة بنت زمعة بالاحتجاب من الولد .انظر: إيصال السالك في أصول الإمام مالك، الشيخ سيدي محمد يحيى الولاتي الشنقيطي (ت ١٣٣٠هـ/١٩١٢م) وهو شرح على منظومةأحمد بن أبي كف. رحمه الله. في أصول الفقه المالكي نقله ورتبه: الشاطبي الوهراني في ٢٠٠٥/٠٨م ج١ص٣١.

[3] كفعل ابن مسعود رضي الله عنه في إتمامه الصلاة مع عثمان مع ميله للقصر قائلاً الخلاف شر كله. انظر: القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه، محمد حسن عبد الغفار، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية١٤/٥.

[4] كقوله تعالى: {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} [الملك:٨]، وقوله تعالى:{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء:١٦٥] ، وقوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:١٥].

[5] فالجهل بالمحرم لا يؤاخذ به الإنسان ولا يترتب عليه شيء من أحكامه مهما كان هذا الشيء المحرم، أما الجهل بالواجب فلا يؤاخذ به الإنسان من حيث الإثم؛ لأنه جاهل لكن من حيث القضاء فهذا فيه تفصيل: فإن كان حصل منه تفريط فإنه لا يمكن أن يتساهل معه، وإن لم يحصل منه تفريط فإن كان جاهلا بالحكم يعذر به ويرفع عنه القضاء، لحديث المسيء في صلاته، وحديث المستحاضة التي لم يأمرها النبي بالقضاء لأنها بانية على أصل يعني لها عذر ومنها: حديث أهل قباء حيث صلوا بعض الصلوات إلى غير القبلة.

[6] قاعدة التفريق بين المأمورات والمحظورات في العذر فيها بالجهل تكلم بها كثير من العلماء فمنهم من أطردها، ومنهم من قيدها بأن تكون في حقوق الله دون حقوق العباد لأنه مبني على العفو والرحمة أما في حقوق المخلوقين فلا تمنع من ضمان ما يجب ضمانه إذا لم يرض صاحب الحق بسقوطه) و(الجهل والنسيان يعذر بهما في حق الله تعالى المنهيات دون المأمورات والأصل فيه حديث معاوية بن الحكم لما تكلم في الصلاة ولم يؤمر بالإعادة لجهله بالنهي وحديث يعلى بن أمية حيث أمره النبي صلى الله عليه وسلم بنزع الجبة عن المحرم ولم يأمره بالفدية لجهله، واحتج به الإمام الشافعي رضي الله عنه على أن من وطئ في الإحرام جاهلا، أو ناسيا فلا فدية عليه.

[7] انظر: إحكام الأحكام لابن دقيق العيد ج٢ص١٢٧، والمنثور في القواعد الفقهية أبو عبد الله بدر الدين بن بهادر الزركشي وزارة الأوقاف الكويتية ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ج٢ ص١٩.

[8] إن كان الفعل المنهي عنه ليس من باب الإتلاف وجب تركه والإقلاع عنه حال العلم بحكمه كمحرم لبس مخيطا ولا يلزمه دم، وإن كان المنهي عنه من باب الإتلاف فلا يعذر الجاهل بجهله عند ترتب أثره، إذ الإتلاف سبب، وهو من الحكم الوضعي الذي لا يشترط فيه علم المكلف للقاعدة المتفق عليها بين الأئمة (لا فرق في ضمان المتلف بين العلم والجهل)، وفي حال ترتب عقوبة على الفعل تسقط لكون الجهل شبهة عند المذاهب الأربعة، والظاهرية والقاعدة في هذا: أن من جهل حرمة شيء مما يجب فيه الحد أو العقوبة وفعله لم يحد)، وهذه القاعدة التي ذكرناها بعض فروعها فيه خلاف، وقد يخرج عنها بعض الفروع، وهذا لا يخرجها عن كونها كلية. قال الشاطبي(الأمر الكلي إذا ثبت فتخلف بعض الجزئيات عن مقتضى الكلي لا يخرجه عن كونه كليا وأيضا فإن الغالب الأكثري معتبر في الشريعة

تقصيره في طلب الحق، والمهم أنه لا بد من التحقق من دعوى الجهل في المسألة من حيث الصحة فليس كل جهل يدعيه صاحبه يعتبر عذرا يعفى صاحبه من المسؤولية ولهذا يقول الفقهاء :" لا يقبل في دار الاسلام العذر بالجهل"[1].

المبحث الثالث: المنجز الفقهي

<u>الفوائد والقواعد.</u> هذه القواعد لم تكن مصاغة ضمن مدونات القواعد الفقهية الضابطة لباب النسب بل هي ضوابط صيغة من أقوال الأئمة المستقرأة من مدوناتهم الفقهية وبالخصوص جمهور الفقهاء. وقصد الباحث من خلال هذا المبحث بيان القواعد التي تمثل ضوابط وقوانين فكل باب من أبواب الفقه فيه ضوابط وقواعد وأصول، دون النظر إلى الفروق الاصطلاحية بين كل من لفظ القاعدة والضابط، فالفقهاء كثيراً ما يستعملون لفظ (القاعدة) ويعنون بها الضابط، ويستعملون لفظ (الضابط) ويعنون به القاعدة، والقاعدة: بمعنى الضابط في الأصل والتفريق بين القاعدة والضابط عند معظم العلماء ليس تفريقاً حتماً جازماً، فقد يذكر كثير من العلماء قواعد فقهية، وهي في حقيقتها مجرد ضابط[2]، فالقاعدة والضابط يجتمعان في أنّ كلّ واحد منهما قضية كلية فقهية، ينطبق على عدد من الجزئيات والفروع الفقهية وهذا ما سيجري بيانه في المبحث إن شاء الله تعالى.

<u>قاعدة</u>: إذا النسب بعد ثبوته بإحدى طرق الثبوت الشرعية فلا يقبل النقض ولا النقل ولا التحويل بعوض أو بغير عوض.

المعهود للتركيب الصحيح للنسب هو ذكر لفظ الابن بين علمين كمحمد بن أحمد وإسقاط لفظ الابن وانتساب الزوجة إلى زوجها بدلا من أبيها خلاف المعهود في التأريخ الإسلامي، **والقاعدة المعتبرة** أن حقوق النسب شيء واحد لا يدخلها النقض ولا تقبل التغيير دون دليل شرعي ومن هذه الحقوق حق الأب في الاحتفاظ باسمه ولقبه بجانب أسماء أولاده وبناته، والشارع اعتبر جانب المباني والمعاني في باب الأسماء ونهى عن كثير من الأسماء من التسمي بها أو إجرائها في الحديث وإن لم يقصد بها معانيها المخالفة للشريعة وذلك صيانة للعرض والشرف[3]، ورعاية الشرع لسلامة المباني والمعاني أو لسلامة أحدهما دائرة كما يقول

اعتبار العام القطعي لأن المتخلفات الجزئية لا ينتظم منها كلي يعارض هذا الكلي الثابت). انظر: الموافقات ج٢ص٥٣٩، الشرح الكبير لمختصر الأصول من علم الأصول أبو المنذر محمود بن محمد المنياوي، المكتبة الشاملة، مصرط١، ١٤٣٢ هـ -٢٠١١م ص٢٢٦ وما بعدها.

[1] انظر: ما قاله ابن عابدين في هذا الصدد حاشية ابن عابدين ج٤ ص٦ والمغني ابن قدامة ج٩ ص٥٥.

[2] القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة د. محمد مصطفى الزحيلي.عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، دار الفكر – دمشق الطبعة١، ١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦ م ١/ ٢٣

[3] وقد جاء النهي للمؤمنين في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [١٠٤]، وقد كان اليهود يقولون ذلك للنبي بقصد الرعونة وهي الحمق والجهل. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تح أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة ط١٤٢٠١ هـ - ٢٠٠٠ م ج٢ص ٤٦٦. فنهي المؤمنين عن قولها مع اختلاف قصدهم عن قصد اليهود وأبدلهم بـ(انظرنا) ونظير ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " لا تقولوا: الكرم، ولكن قولوا الحبلة " يعني العنب. أخرجه مسلم في صحيحه باب كراهة تسمية العنب كرما حديث ٢٢٤٨ ج٤ ص ١٧٦٤. وقوله: " لا يقل

الشيخ بكر أبوزيد في ميزان الصدق والعدل[1]، والنبي يقول: "الْوَلَاءُ لُحْمَةٌ كَلُحْمَةِ النَّسَبِ، لَا يباع ولا يوهب"[2] وحسبنا زوجات النبي أمهات المؤمنين مثلا يحتذى في عدم تغيير ألقابهن[3]. وقد جاء الوعيد من الله تعالى لمن يخالف أمر النبي ويتنكب سنته وهداه[4]». وما يعرف من نسب بعض الأسماء إلى أمهاتهم نتيجة اشتهار الأم بموقف أو منزلة فيدعى الشخص منسوبا إلى أمه أمر جرى العادة به في تأريخنا الإسلامي حيث مقصود النسب التعريف والشهرة[5]، وهذا لا يعني انقطاع نسب هذا المدعو من أبيه أو أنه لا أب له،والنسب إلى الأم لا يتعارض مع كون الولد ينسب إلى أبيه أو إلى قوم أبيه فهما أمران متباينان لأن صفة البنوة التي تضاف إلى الأم عند ذكر نسب الولد حق ثابت لها وللأب معاً، إذ ثبوته للأم باعتبار الولادة وللأب باعتبار تخلقه من مائه، فكان حق الانتساب راجع إليهما ونسبته إلى أمه لا غضاضة فيه ولا مخالفة لحكم الشرع لأنه ابنها حسا وواقعا وشرعا[6].

قاعدة : لا ينسب أولاد البنات إلى آباء الأمهات.

اعتبر الفقهاء أن النسب إلى الأمهات مهجور عادة[7] ولذا عملا بهذه القاعدة لا يصح الاعتماد على حديث: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[8] في نسب ابن البنت إلى أب الأم للآتي: ١ – لأن الحديث وارد على خلاف القياس للنص[9]. ٢ – نص العلماء أن من جملة خصائصه عليه الصلاة والسلام أن أولاد بناته الذكور والإناث ينسبون إليه صلى الله عليه وسلم ٣ – قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لِكُلِّ

أحدكم: أطعم ربك وضئ ربك، اسق ربك، وليقل: سيدي مولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي أمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي. أخرجه البخاري باب كراهية التطاول على الرقيق، وقوله: عبدي أو أمتي حديث ٢٥٥٢ ج٣ ص ١٥٠. وحديث: «لا يقولنّ أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل لقست نفسي» أخرجه البخاري باب لا يقل: خبثت نفسي حديث ٦١٧٩ ج٨ص ٤١. واللفظان معناهما واحد، وهو غثيان النفس، وتهيّؤها للقيء، ولكن النبيّ صلوات الله وسلامه عليه -يأخذ المسلمين بأدب الكلمة، ويحمى ألسنتهم من أن تعلق بها هذه الكلمات السيئة، فتتخلّق منها مشاعر خبيثة. انظر: التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)دار الفكر العربي –القاهرة ج٧ ص ١٧٦.

[1] معجم المناهي اللفظية بكر أبو زيد ص٧.

[2] انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان محمد بن حبان أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) تح شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت ط١ ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨م حديث ٤٩٥٠ ج ١١ ص٣٢٦.

[3] فقد كانت عائشة تنسب إلى بني تيم عشيرة أبيها فيقال في نسبها عائشة التيمية وحفصة بنت الخطاب تنسب إلى بني عُدَي عشيرة أبيها عمر.

[4] بقوله: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣]، وحديث البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «من ادعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام. أخرجه البخاري باب من ادعى إلى غير أبيه حديث ٦٧٦٦ ج ٨ ص ١٥٦. وحرمانه من الجنة دليل حرمة الفعل الذي ارتكبه وهو الاعتزاء إلى غير أبيه والانتفاء من نسبه المعروف.

[5] وممن عُرف بنسبه إلى أمه من الصحابة شرحبيل بن حسنة وعبدالرحمن بن حسنة وأبوهما عبدالله بن المطاع ابن عمرو الكندي، وكسهيل بن البيضاء الذي صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وأبوه وهب بن ربيعة بن هلال القرشي. انظر: نجم الدين النسفي طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية بلوجستان : دائرة المعارف الاسلامية د ط د ت ص ١٢.

[6] ينظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته مرجع سابق ص ٦٧، وبدائع الصنائع مرجع سابق ج٧ ص ٣٤٥، والمفصل في أحكام المرأة د. عبدالكريم زيدان بيروت مؤسسة الرسالة ط١ ١٩٩٣م ج٩ ص٣١٦.

[7] بدائع الصنائع مرجع سابق ج٧ ص ٣٤٥

[8] أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ج٩ ص ٣١٦.

[9] أشار إلى هذا السيوطي في الحاوي ج٢ ص ٣٢ والشيخ الجمل في حاشيته على المنهاج ج٤ ص ٨٨.

بَنِي أُمٍّ عَصَبَةٌ يَنْتَمُونَ إِلَيْهِمْ إِلَّا ابْنَيْ فَاطِمَةَ، فَأَنَا وَلِيُّهُمَا وَعَصَبَتُهُمَا»[1]. ٤- قال العلماء أن الخصوصية للطبقة العليا فقط فأولاد فاطمة الأربعة (الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب)ينسبون إليه وأولاد الحسن والحسين ينسبون إليهما فينسبون إليه وأولاد زينب وأم كلثوم ينسبون إلى أبيهم عمر وعبد الله لا إلى الأم ولا إلى أبيها لأنهم أولاد بنت بنته لا أولاد بنتيه فجرى الأمر فيهم على قاعدة الشرع في أن الولد يتبع أباه في النسب لا أمه[2]. ٥ - أن هذه النسبة إليه على جهة المجاز لأن ابن البنت يسمى ابناً مجازاً كما أن أب الأم يسمى أباً مجازاً ؛ لأن الولد مشتق من التولد وهم متولدون عن أبي أمهم والتولد من جهة الأم كالتولد من جهة الأب[3]. ٦ - أن هناك فرقا بين أن يقول هذا ولدي أو ابني وبين أن ينسبه إلى نفسه فلو قال وقفت على أولادي دخل ولد البنت ولوقال وقفت على من ينسب إليّ لم يدخل ولد البنت نص على ذلك الفقهاء[4]. ٧ -أن أن علاقة البنوة في قول:"ابني" لا يلزم منها ثبوت نسب الانتماء لقائلها واستحضار أنواع النسب التي سبق الحديث عنها يزيل الإشكال[5].

قاعدة : أساس ثبوت النسب هو الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة.

أي النسب في حقيقته مبناه على المخالطة الجنسية بين الرجل والمرأة. لأن حديث الولد للفراش يتجه إلى تقرير ثبوت النسب إليهما لوجود علاقة الزواج على وجه الاشتراك بينهما، وإسناد النسب في الحديث إلى قيام حالة الزوجية إنما هو لدفع التهم والنزاعات الواردة عليه، وبهذا تكون قاعدة الانتساب واحدة لا فرق فيها بين الرجل والمرأة لأن سببها واحدة وهو الاتصال الجنسي بينهما فيكون حكم انتساب المولود إليهما لا يحكم فيه بالنظر إلى حل الاتصال أو حرمته وإنما يدور بالاتصال نفسه وجودا وعدما٦، وقيام النسب على هذا الأساس أمر يدرك بالفطرة والواقع حيث جعل الله هذا الميل في الكائنات الحية لبقاء النسل واستمراره ولأن الإنسان بمشيئة الله لا يخلد في الدنيا فقد عوضه ببقاء نسله من بعده، وحيث أن الاتصال هو سبب النسب فإن الولادة

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك في معرفة الصحابة باب ومن مناقب الحسن والحسين ابني بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث ٤٧٧٠ ج ٣ ص ١٧٩ . انظر: المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري ا (المتوفى: ٤٠٥هـ) تح مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية –بيروت ط١٤١١ – ١٩٩٠م

[2] انظر: عبدالرحمن السيوطي الحاوي للفتاوى بيروت دار الكتب العلمية د ط ١٩٨٨م ج٢ ص ٣٢ والشيخ سليمان بن منصور الجمل في فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب والمعروف بحاشية الجمل على المنهاج القاهرة دار الفكر د ط دت ج٤ ص٨٨.

[3] وقد دل القرآن على ذلك كقوله تعالى: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ} حَتَّى بَلَغَ: {وَيَحْيَى وَعِيسَى} [الأنعام: ٨٥] فجعل عيسى من ذريته وهو ابن ابنته. انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مرجع سابق ج٧ ص٣٢.

[4] انظر: الحاوي للفتاوى السيوطي مرجع سابق ج٢ ص ٣٢.

[5] ينظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته مرجع سابق ص ٦٩.

[6] المرجع السابق ص٢٥٦ -٢٥٧.

تعتبر معرفة بذلك الاتصال أو علامة عليه[1] وقد حدد الإسلام الإطار الشرعي الذي تتم فيه المخالطة بين الجنسين لإعفاف النفس وتحصيل النسل وهي محصورة في النكاح وملك اليمين٢، وبناء على ذلك صاغ الفقهاء قاعدتهم المعروفة:" الأصل في الأبضاع[3] أو الفروج الحرمة" لا يحل منها إلا ما ورد بطريق شرعي صحيح، فالقاعدة مستمرة أن علاقة الرجل بالنساء مبناها على التحريم والحظر لما في ذلك من كشف العورات وهتك الأستار واختلاط الأنساب فلا يحل منها إلا ما أحله الشرع[4].

<u>قاعدة</u> : العقد الصحيح هو السبب في ثبوت النكاح[5].

وخلاف العلماء في حقيقة النكاح هل هو العقد أم الوطء[6] فرع عن أصل متفق عليه وهو: **أن العقد الصحيح[7] سبب ثبوت النسب**، غير أنه لا يكون صالحاً لثبوت النسب إلا إذا توافرت فيه شروط. **قاعدة :" ينسب الولد لأبيه متى كان الزواج شرعيا و أمكن الاتصال[8] ولم ينفه بالطرق المشروعة[9]"**، **والأساس الذي هو حاضر في نظر الفقهاء من حيث الجملة بصرف النظر عن اختلافهم في بعض المسائل أن النسب لا يثبت إلا بعد علاقة جنسية بين الرجل والمرأة في إطارها المحدد شرعا** .فشيخ الإسلام ومن وافقه اعتبر ثبوت النسب بالمخالطة المحققة لا لمجرد الظن واكتفى الجمهور بمجرد ظن المخالطة وهو الخلوة التي تنبئ بحصول مخالطة مع أن المظنة قد لا تصدق وهذا احتمال مرجوح لا يقطع النسب مراعاة لاستقراره ودفع الضرر الحاصل على الولد والأم، وأما الحنفية فقد ارتكزوا على المصلحة في ثبوت الولد بمجرد العقد ولو لم يتصل الرجل بزوجته؛ لكن

---

[1] ذكر ذلك محمد بن أحمد السرخسي ونقل عن أبي حنيفة قوله الولادة بمنزلة المعرف. انظر: أصول السرخسي تح أبوالوفاء الأفغاني بيروت دار المعرفة د ط ١٣٧٢هـ ج٢ ص ٣٣٠، وليست هي السبب كما ذكره الأستاذ محمد الأشقر حيث قال:" مدخل النسب الولادة فإن قصد العلامة والمعرف فصحيح وإن أردا السبب حيث يسمى السبب مدخلاً وباباً وطريقاً فلا .انظر: أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي محمد سليمان الأشقر بيروت مؤسسة الرسالة ط١ ٢٠٠١م ص ٢٥٥.

[2] انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد محمد بن أحمد بن رشد القاهرة مكتبة مصطفى البابي الحلبي ط٥ ١٩٨١م ج٢ ص٣١.

[3] وعبر بالبضع وهو جزء من كل لأن المقصود الأعظم من النساء هو الجماع بابتغاء النسل

[4] انظر: موسوعة القواعد الفقهية محمد صدقي البورنو الرياض مكتبة التوبة ط٢ ١٩٩٧م ج٢ ص١١٧ والمنثور في القواعد بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي تح د تيسير فائق أحمد الكويت وزارة الأوقاف ط٢ ١٤٠٥هـ ج١ ص٧٧ والأشباه والنظائر للسيوطي ص٦١.

[5] النكاح هو عقد يفيد شرعاً حل استمتاع كل من الزوجين بالآخر على الوجه الشرعي انظر: المفصل في أحكام المرأة زيدان ج٦ ص١١.

[6] حيث قال بعضهم أنه حقيقة شرعية في العقد مجاز في الوطء ولغة على العكس من ذلك، وهو ما رجحه الشوكاني بقوله وهو الصحيح لقوله تعالى" {فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ }[النساء: ٢٥] والوطء لا يجوز بالإذن، وقيل أنه مجاز في العقد والوطء معاً بدليل أنهما لا يفهما إلا بقرينة نحو نكح في بني فلان للعقد ونكح زوجته للوطء وذلك من علامات المجاز أو أنه يترجح الاشتراك بينهما. انظر: بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك القاهرة مطبعة مصطفى البابي د ط ١٣٧٢هـ ج١ ص٣٧٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار محمد بن علي الشوكاني بيروت دار الجيل د ط ١٩٧٣ ج١ ص٢٧٧، المصباح المنير للفيومي ص٢٣٩.

[7] العقد الصحيح المعتبر في نظر الشارع هو صلاحيته لترتب الآثار عليه.

[8] اعتبر جمهور الفقهاء الدخول الحقيقي الممكن هو دليل الزوجية، بينما اعتبر الحنفية بالعقد فقط دون التلاقي، واشترط ابن تيمية وابن القيم والصنعاني الدخول المحقق، وفائدة الخلاف أن عقد الزواج يثبت به النسب ولا ينتفي الولد إلا باللعان في رأي الحنفية وعند الجمهور وابن تيمية ومن تابعه ينتفي دون لعان لعدم إمكان التلاقي بين الزوجين وعدم الدخول المحقق. انظر: بدائع الصنائع للكاساني ج٢ ص ٣٣١،٣٣٢، وبداية المجتهد ج٢ ص١١٨، ٣٥٨، الشرح الصغير لأحمد بن محمد الدردير القاهرة مطبعة مصطفى البابي د ط ١٣٧٢هـ ج١ ص٤٩٣. ومغني المحتاج للشربيني ج٣ ص ٣٣٨، والمغني لابن قدامة ج٧ ص٤٢٩، الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية على بن محمد البعلي بيروت دار المعرفة د ط د ت ص ٢٧٨، وزاد المعاد لابن القيم ج٥ ص٤١٥، وسبل السلام للصنعاني ج٣ ص٢١٠.

[9] المقصود به اللعان، كما يشترط أن يأتي في المدة المحددة التي يتصور منها مجيء الولد فلا يكون لأقل من ستة أشهر ولا أكثر من عشرة أشهر.

مع حرص الشريعة على حفظ الأنساب واتصالها واستقرارها لا بد أن يكون النسب مبنيا على طريق ظاهر الثبوت لا ما ثبت زيفه بالحس والواقع كما أن الشريعة حريصة على قطع الأنساب الظاهر بطلانها كالتبني فاتصال النسب غير الصحيح لا يقل خطورة عن قطع النسب الثابت الصحيح والعدل والتوسط أولى كما رأي الجمهور[1] إذ الوقوف على الوطء الحقيقي أمر متعذر فأقاموا ما يدل عليه أو يفضي وهو إمكان الدخول والقاعدة الفقهية:" **دليل الشيء في الأمور الباطنية يقوم مقامها**"[2] وإمكان تلاقي الزوجين بعد العقد شرط متفق عليه والخلاف في أهو الإمكان والتصور العقلي أم هو الإمكان الفعلي الحسي، وأن الشريعة قد علقت أحكاما كثيرة على مجرد الظن[3].

قاعدة: إذا وقع النكاح الباطل أو الفاسد[4] وجب فسخه إجماعاً[5].

وعلة وجوب الفسخ أنه ليس بنكاح حقيقة لعدم استيفاء شروط الصحة وخروجا عن المعصية الناشئة عن مخالفة واجب شرعي، ويترتب على عقده في حالة العلم منهما الإثم للعمدية إلا أن يدعيا الجهل فلا إثم ويفسخا كل واحد منهما ولو بغير محضر عن صاحبه دخل بها أو لا بل يجب على القاضي التفريق بينهما[6].

وإذا كانت القاعدة: هي أن الزوجية الصحيحة فراش يثبت بها النسب، فإن المصلحة قد اقتضت أن يثبت النسب في النكاح الفاسد والباطل وفي النكاح بشبهة، وذلك حماية للنسب من الضياع وحماية للأعراض،ولذا فإن الزواج الفاسد كالزواج الصحيح في مسألة ثبوت النسب حيث يشترط فيه ما يشترط في الزواج الصحيح من حيث إمكانية الحمل من الزوج والدخول بالمرأة دخولا حقيقيا، وأن تحمل المرأة بعد مضي اقل مدة الحمل.

قاعدة: يثبت نسب المولود من النكاح الفاسد المختلف في فساده[7] سواء علم العاقدان فساده أو جهلاه.

فهذا النوع من النكاح يسقط الحد ويثبت به النسب دون خلاف بين الفقهاء **والتأسيس النظري لهذا التقعيد هو الآتي:** ١ -أنه نكاح من حيث الجملة وليس بزنا لحديث عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ

---

[1] انظر: السب ومدى تأثير المستجدات العلمية في تأثيره ص١١٣.

[2] الموافقات الشاطبي ج١ ص٢٦٥، والقواعد الفقهية علي أحمد الندوي دار القلم دمشق ط١ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ص٣٧.

[3] انظر: شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال عزالدين بن عبدالسلام تح خالد الطباع د م ط١ ١٩٨٩م ص ٤١١ -٤٢٣ .وقد سرد أمثلة كثيرة تتعلق بالنكاح وتوابعه مبنية على مجرد الظن.

[4] نظرية فساد العقود حنفية المنشأ والاجتهاد الحنفي هو الذي قررها وانفرد بها من بين سائر الاجتهادات الأخرى التي لا تجعل بين الصحة والبطلان مرتبة ثالثة، أما عند باقي الفقهاء وعلى شتى مدارسهم واختلافهم فالنكاح الفاسد فيه والباطل مترادفان ولا يترتب عليه أي أثر قبل الدخول، والعلة في إطلاق الفقهاء صفة الفساد على هذا هو ثبوت بعض آثار العقد في العقد الفاسد إذا أعقبه دخول تمييزا له عن الباطل الذي لا يثبت فيه أثر من الآثار بل يعتبر الدخول فيه زنا محضا.

انظر: المدخل العام الفقهي مصطفى الزرقاء دار الفكر م٣ج٢ ٢/٦٧٤، والفقه الاسلامي ج٧ ص٩٧، والمغني ابن قدامة ج٧ ص٣٤٥، والمحلى ج٩ ص٨٦.

[5] وهذا عند جميع الفقهاء بالنسبة للمتفق على فساده وعند القائلين بالفساد بالنسبة للمختلف فيه إلا إذا حكم حاكم بصحته فلا ينقض حكمه.

[6] انظر: بدائع الصنائع للكاساني ج٢ ص٣٣٥، والدر المختار شرح تنوير الأبصار محمد علاء الدين الحصكفي بيروت دار الفكر ط٢ ١٣٨٦هـ ج٣ ص١٣٢ -١٣٣.

[7] من أمثلة هذا النكاح: النكاح بلا ولي أو بلا شهود ونكاح الشغار والمحرم بالحج ونكاح المتعة وغيرها.

بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا[1]". قال الشاطبي: وهذا تصحيح للمنهي عنه من وجه ولذلك يقع فيه الميراث ويثبت النسب للولد[2]. ٢ - لأنه وطئها معتقداً أنها زوجته فهي فراش له وقد جاء في الحديث «الولد للفراش وللعاهر الحجر»[3]. ٣ - النسب يحتاط في إثباته إحياءً للولد وهذا النكاح تولد عنه هذا المولود فيثبت به النسب[4]. ٤ - **القاعدة عند الفقهاء" كل نكاح يُدرأُ عنه الحد فالولد لا حق بالواطئ[5]**"، والنكاح المختلف في فساده لا حد فيه اتفاقا لتمكن الشبهة الحاصلة من اختلاف العلماء في حل صورة النكاح بين مبيح ومحرم وهي عين الشبهة[6]. فمن قال أن هذا النكاح أو مثله يكون الولد فيه ولد زنا لا يلحقه نسبه ولا يتوارث هو وأبوه الواطئ فإنه مخالف لإجماع المسلمين[7].

قاعدة: الوطء جهلاً في النكاح المجمع على فساده[8] يسقط الحد إجماعاً ويثبت النسب عند الجمهور. وذلك لوجود شبهة الجهل، فاعتبر الوطء حلالاً في حقه وإن كان حراماً في الأمر نفسه **ومستند هذا التقعيد هو:** ١ - أنه وطئها معتقدا أنها زوجته والنسب يتبع اعتقاد الواطئ الحل وإن كان مخطئاً في اعتقاده[9] وفارق وطء الزنا لعدم اعتقاد حله[10]. ٢ - للقاعدة المعتبرة عند الفقهاء" **كل نكاح يُدرأُ عنه الحد فالولد لا حق بالواطئ[11]**.لانتفائه بوجوده وثبوته بعدمه[12]. ٣ - ثبوت النسب لا يفتقر إلى صحة النكاح في نفس الأمر بل الولد للفراش كما قال النبي صلى الله عليه وسلم[13]. أما الحنفية فاعتبروا الجهل شبهة مسقطة للحد ولكن لايثبت به النسب لأن الفعل في حقيقته زناً، والزنا لا يثبت به النسب ومستندهم أن النسب لكي يثبت يجب أن يكون هناك ملك أو حق في المحل إذ هو لا يثبت بغير الفراش[14].

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه بَابُ مَا جَاءَ لاَ نِكَاحَ إِلاَّ بِوَلِيٍّ حديث ١١٠١ دار الغرب الإسلامي -بيروت ١٩٩٨ م ج٢ ص٣٩٨.

[2] الموافقات في أصول الشريعة ابراهيم بن موسى الشاطبي بيروت دار المعرفة د ط د ت ج٤ ص٢٠٤.

[3] أخرجه البخاري في مواضع متفرقة منها في الرضاع باب الولد للفراش حرة كانت أو أمة حديث ٦٧٤٩،ج٨ ص١٥٣.

[4] انظر: الهداية شرح البداية علي بن أبي بكر المرغيناني بيروت المكتبة الاسلامية د ط دت ج١ ص٢١١.

[5] انظر: قوانين الأحكام الشرعية محمد بن أحمد بن جزي د م د ط د ت ص ١٤٠.

[6] وهذا النوع من الشبهة يسمى شبهة الخلاف ويسميه المالكية شبهة الطريق والشافعية شبهة الجهة. انظر: الفروق لأحمد بن ادريس القرافي تح مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية بالقاهرة القاهرة دار السلام ط١ ٢٠٠١م ج٤ ص١٣٠٧. والمغني لابن قدامة ج٩ ص٥٥، وتبيين الحقائق وشرح كنز الدقائق عثمان بن علي الزيلعي بيروت دار الكتب العلمية ط١ ٢٠٠٠م ج٢ ص٥٧٠.

[7] انظر: الفتاوى الكبرى أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية تح حسنين محمد مخلوف بيروت دار المعرفة ١٣٨٦هـ ج٢ ص ١١٤ -١١٥.

[8] من أمثلته: نكاح المعتدة، وزوجة الغير، والمطلقة ثلاثا، ونكاح المحارم وهن المحرمات على التأبيد

[9] انظر: مجموع الفتاوى أحمد عبدالحليم بن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم النجدي وابنه عبدالرحمن مكة مكتبة النهضة الحديثة د ط د ت ج٣٢ ص٦٧.

[10] انظر: المغني ابن قدامة المقدسي ج٨ ص٦٦.

[11] انظر: قوانين الأحكام الشرعية بن جزي ص ١٤٠.

[12] انظر: أقول الفقهاء في ذلك في: قوانين الأحكام لابن جزي ص٢٣٢، والمدونة الكبرى مالك بن أنس ج١٦ ص٢٠٢، وتحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج الهيتمي ج٨ ص٢٤٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ج٤ ص١٤٦، وكشاف القناع للبهوتي ج٥ ص٤٢٧.

[13] انظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته ص ١٢٩.

[14] انظر: بدائع الصنائع ج٧ ص٣٦، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ج٣ ص١٧٨، وشرح فتح القدير ابن الهمام ج٤ ص١٥٦.

<u>قاعدة</u>: الواطئ عالماً في النكاح الفاسد المجمع على فساده يوجب الحد وينفي النسب عند الجمهور[1].

ومستند هذا التقعيد ١ - الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم[2]. ٢ - قولهم: حيث يجب الحد لا يلحق الولد بالنسب[3]. ٣ - الوطء حصل في فرج مجمع على تحريمه من غير ملك ولا شبهة ملك والواطئ أهل للحد عالم بالتحريم فيجب الحد كما لو لم يوجد العقد[4]. أما أبو حنيفة وسفيان الثوري وزفر فقالوا أن النسب يثبت ولو كان النكاح مجمعا على تحريمه كنكاح الأم أو الأخت وسواء علم بالحرمة أولا، ويدرأ الحد عن الفاعل لشبهة العقد ولكن يبالغ في تعزيره لجسامة جرمه[5]. **ومستندهم** أن العقد صادف محله لأن محل التصرف ما يقبل مقصوده والأنثى من بنات آدم قابلة للتوالد وهو المقصود فكان ينبغي أن ينعقد في جميع الأحكام إلا أنه تقاعد عن إفادة حقيقة الحل فيورث شبهة لأن الشبهة ما يشبه الثابت لا نفس الثابت وقد ارتكب جريمة وليس فيها حد مقدر فيعزر[6].

<u>قاعدة</u>: الوطء بشبهة[7] النكاح سبب يثبت به النسب.

- وللوطء بشبهة صور ثلاث وهي شبهة في الحكم وشبهة في الخلاف وشبهة في الفعل وزاد أبو حنيفة وسفيان الثوري وزفر رابعا وهو شبهة العقد وتفصيلها على النحو الآتي:
- **<u>قاعدة</u>: يسقط الحد عن الفاعل في شبهة الفعل[8] لتحقق الجهل بالحكم إجماعا[1].**

---

[1] من أقوال الفقهاء في ذلك قول ابن حزم: " والولد يلحق في النكاح الصحيح والعقد الفاسد الجاهل بفساده ولا يلحق العالم بفساده". المحلى علي بن حزم بيروت دار الآفاق الجديدة د ط دت ج١٠ ص٣٢٢، وكذلك انظر: قول المالكية والشافعية والحنابلة وما عليه الفتوى عند الحنفية وغيرهم في: المدونة الكبرى ابن أنس ج١٦ ص٢٠٢، وتحفة المحتاج الهيتمي ج٨ ص ٢٤٤، المغني لابن قدامة ج٦ ص٤٥٦، وبدائع الصنائع الكاساني ج٧ ص٣٥، ومختصر اختلاف العلماء احمد بن محمد الطحاوي تح عبدالله نذير أحمد بيروت دار البشائر الاسلامية ط٢ ١٤١٧هـ ج٣ ص٢٩٦.

[2] حديث البراء بن عازب قال: بعثني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى رجل نكح امرأة أبيه، فأمرني أن أضرب عنقه وآخذ ماله. أخرجه أحمد في مسنده ج٤ ص٤٦١. وحديث ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ وَقَعَ عَلَى ذَاتِ مَحْرَمٍ فَاقْتُلُوهُ». أخرجه بن ماجة في سننه بَابُ مَنْ أَتَى ذَاتَ مَحْرَمٍ وَمَنْ أَتَى بَهِيمَةً حديث ٢٥٦٤ ج ٢ ص٨٥٦. انظر: سنن ابن ماجه أبو عبد الله محمد ابن ماجة (المتوفى: ٢٧٣هـ) تح محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية.

[3] انظر: قوانين الأحكام ابن جزي ص٢٣٤.

[4] شرح فتح القدير ابن الهمام ج٥ ص٢٦١

[5] انظر: شرح فتح القدير ابن الهمام ج٥ ص٢٦١، وبدائع الصنائع ج٧ ص٣٥.

[6] الهداية شرح البداية المرغيناني ج٢ ص١٠٢، وشرح فتح القدير ابن الهمام ج٥ ص٢٦١.

[7] الشبهة لغة: الالتباس والاختلاط وفي الاصطلاح كما جاء في اصطلاحات الفنون ان الشبهه هي (ما به يشتبه ويلتبس امر بامر وما لم يتعين كونه حراما اوحلالا، لا خطأ او صوابا) وقال الجرجاني مالم يتيقن كونه حراما أو حلالا .انظر: لسان العرب لابن منظور ج١٣ ص٥٠٤، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون – المرجع السابق –ج١٩٦/٢ ، والتعريفات علي بن محمد الجرجاني تح ابراهيم الأبياري بيروت دار الكتاب العربي ط١ ١٤٠٥هـ ص ١٦٥. اما الوطء بشبهه فيعرف انه ((كل معاشرة بين رجل وامرأة تشبه الزواج الصحيح وليست كذلك و ليست بزنا حتى توجب الحد ويثبت بها النسب)) ومشابهته الزواج الصحيح في ظن العاقدين وعدم صحته لاختلال شرط من شروط صحة النكاح فهو وطء في نكاح فاسد والوطء في النكاح الفاسد لا يكون زنا بالإجماع.ولذا يعتبر من أنواع النكاح غير الصحيح لأنه بزواج صحيح في حقيقته. مثال الوطء بشبهة المرأة المزفوفة إلى بيت زوجها دون رؤية سابقة فقيل له إنها زوجتك وليست زوجته، أو أخوان تزوجا أختين فأدخلت كل واحد منهما على أخيه فوطئها، ومثل وطء المطلقة ثلاثا أثناء العدة، ومثل الدخول بجارية الابن. انظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته مرجع سابق ص١٤٢.

[8] شبهة الفعل : -هي الشبهة التي تحدث في نفس الشخص فيظن الحرام حلالا من غير دليل من الشارع قوي أو ضعيف أو خبر من الناس ، اعتبر الشارع الأخذ به جائزا، و علة تسمية هذه الشبهة بشبهه الفعل أنها اقترنت بنفس الفعل ولم تقم بالمحل، فالمحل لا شبهة في تحريمه ولكن مظنة الحلال قامت في ذهن الفاعل بسبب

- أي لابد من الاشتباه وقد عبر المالكية بقولهم: اعتقاد المقْدِم مقارنة السبب المبيح وإن أخطأ في حصول السبب[2]، فإذا لم يدع الاشتباه وجب عليه الحد عند الجمهور خلافا لأبي حنيفة[3].
- **<u>قاعدة</u>: يسقط الحد عن الفاعل في شبهة المحل[4] سواء علم الحرمة أو جهلها إجماعا.**

كما أنها ماحية لوصف الزنا والمؤثر في إيراث الشبهة الدليل الشرعي بدون توقف على ظن الجاني أو اعتقاده[5].

- **<u>قاعدة</u>: يثبت النسب في وطء شبهة المحل إجماعا.**
- وذلك لثبوت الملك من وجه[6].
- **<u>قاعدة</u>: شبهة الخلاف[1] تسقط الحد ويثبت بها النسب سواء اعتقد الواطئ الحل أو التحريم إجماعا[2].**

جهله بالشرع، وأساس تلك الشبهة مردّه إلى الاعتقاد بالاباحة الذي يقتضي عدم الحد وعدم المطابقة في اعتقاده يقتضي الحد فحصل الاشتباه وهو عين الشبهة. ومن أمثلة هذه الشبهة أن يطأ الرجل المرأة عن مظنة ثبتت في نفسه وهي اباحة وطئها، كأن تكون زوجته على حسب ما يعتقد كمن يجد امرأة نائمة في فراشه فيدخل بها على هذا الاساس ثم يتبين بعد ذلك أنها ليست زوجته وكالذي يدخل على امرأة زفت اليه وقيل له انها زوجته وليست هي زوجته في الواقع، ويلاحظ في شبهة الفعل أن العقد كان قائما في المحل لكن حصل ما يوجب عدم بقائه فحصل الاشتباه في بقاء حقه بسبب جهله كما لو وطئ الرجل زوجته المطلقة ثلاثا في العدة أو يتزوج أخته من الرضاع وهو يعلم العلاقة التي تربطه بها لكنه يجهل التحريم لقرب عهده بالإسلام أو أنه نشأ بين قوم لا يعلمون. انظر: الأحوال الشخصية محمد أبوزهرة ص ١٥٠، الاحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية فقها وقضاء د. عبد العزيز عامر ط٢ ،١٣٩٦هـ -١٩٧٦م ص٨١، الفروق القرافي ج٤ ص١٣٠٧، بدائع الصنائع مرجع سابق -ج٧ ص٣٧، البحر الرائق مرجع سابق ج٤ ص١٧٢.

[1] والخلاف المترتب على هذه القاعدة في ثبوت النسب بعد سقوط الحد أولا وهل الشبهة تمحو وصف الزنا أم لا؟ قولان للفقهاء الجمهور يثبت النسب والأحناف عدم الثبوت، وقد مر معنا سابقا

[2] الفروق القرافي ج٤ ص١٣٠٨.

[3] إذا لم يدع الاشتباه صارت شبهة عقد عند أبي حنيفة ومتابعيه أما بقية الأئمة فلا يقولون بشبهة العقد.

[4] شبهة الحكم وتسمى شبهة المحل أو شبهة الملك، والرجل هنا يقع في الخلط بين دليلين متعاضدين أحدهما دليل خفي مرجوح والآخر جلي راجح فيستند الفاعل على مقتضى الدليل الخفي فيقع في الفعل المحرم؛ لكن مع وجود الدليل المرجوح يجعل الفعل قائما على وجه حق فتتولد لذلك الشبهة، كمباح ومحرم فيشتبه عليه الدليل الشرعي ويتصور إباحة الوقاع بينما هو عليه حرام، و(هي شبهه ناشئه عن وجود دليل ينفي دات الحرمه في المحل) كمن يطلق زوجته طلاقا بائنا فالمجمع عليه بين الفقهاء هو عدم جواز مراجعتها وهي في العدة ومع ذلك قد يقوم دليل آخر مرجوح يدفع في نفس المطلق مظنة الحلال فيقدم على مراجعة مطلقته وهي في العدة استنادا إلى الدليل المرجوح وهو قول عمر بن الخطاب:"الكنايات رواجع"، بمعنى طلق امرأته بلفظ الكنايات، كقوله: أنت بائن، أو بتة أو خالصة، أو نحو ذلك، فبانت منه ثم وطئها وهي في العدة فإنه لا يحد بذلك، ووجب عليه الصداق، وذلك لشبهة الدليل وهو قول عمر رضي الله عنه ، وكالدخول بجارية الابن ودليل التحريم فيها قوي لعدم ملكه لها بل ملك لابنه ويوجد شبهة في المحل وهو قوله صلى الله عليه وسلم" أنت ومالك لأبيك" وهذه الإضافة للأب تفيد نوع ملكية للأب وإن لم يرد حقيقة الملك بالإجماع فتثبت شبهته فوجود الدليل الشرعي هنا يدرأ الحد. فشبهة الحكم تقوم إذاً لقيام دليل آخر مرجوح يوقع في نفس الواطئ مظنة حلية الفعل أو شبهة الحلال فهذه الشبهة تدرأ الحد عن الفاعل لقوله صلى الله عليه وسلم:" ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم٠٠٠".انظر: انظر جامع العلوم في اصطلاحات الفنون -المرجع السابق -ج١٩٦/٢ ومحمد الحسيني حنفي -المرجع السابق -ص٥٣، الفقه على المذاهب الاربعه -عبد الرحمن الجزيري -دار الكتب العلميه -بيروت -لبنان -١٩٨٨ -ج١٢٣/٤ وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع -المرجع السابق -ج٣٦/٧ ومحمد يوسف موسى -المرجع السابق ص٨، مجمع الأنهر داما أفندي ج٢ ص٣٤٦، والأحوال الشخصية أبو زهرة ص ١٤٩، المسند الجامع لاحاديث الكتب السته ومؤلفات أصحابها الأخرى وموطأ مالك وحاشية الحميدي وأحمد بن حنبل وعبد بن حميد وسنن الدارمي وصحيح ابن خزيمه لابن كثير الدمشقي (ت:٥٧٤١) دار الجبل بيروت -لبنان -رقم الحديث ١٦٧٩٩ ج٢٠.

[5] انظر: كشف الأسرار البزدوي ج٤ ص٣٤٥، وتبيين الحقائق الزيلعي ج٣ ص٥٦٧.

[6] انظر: النسب ومدى تأثير المستجدات المعاصرة في إثباته ص ١٥١.

- **<u>قاعدة</u>: النسب يتبع اعتقاد الواطئ[3] للحل وإن كان مخطئا في اعتقاده.**
- وقد حصل الاشتباه بين قول المحرم المقتضي الحد وبين المبيح المقتضي عدم الحد، والحدود تدرأبالشبهات. والذي يلفت الانتباه أن الحنفية لم يفردوا شبهة الخلاف بقسم مستقل لاندراجها تحت شبهة المحل حيث شبهة المحل تقوم على أساس تعارض دليلين محرم راجح ومبيح مرجوع وشبهة الخلاف تقوم على تعارض قولين لمجتهدين أحدهما دليله المحرم قوي والثاني مبيح ضعيف.

<u>قاعدة</u>: كل زواج بالمحرمات يفسخ قبل الدخول وبعده ويثبت به النسب والاستبراء".ومن ثم فهو زواج باطل أثبت به المشرع النسب؛ لكن ذلك يدفعنا إلى التساؤل عن نية الزوجين هنا هل يعلمان بالحرمة أم لا؟ فإن لم يكونا عالمين، فثبوت النسب لا يثير أي إشكال وهو من قبيل الوطء بشبهة بل هو أسلم، أما وأن يكونا عالمين بالحرمة فلا أرى عنهم اختلافا عن جريمة الزنا، ومن ثم فعموم النص هنا يحتاج إلى توضيح وضبط حتى لا نفتح بابا للتذرع بالعقد الباطل ونحل ما كان حراما ونثبت ما نفاه الشرع.

- **<u>قاعدة</u>: النسب في التسري يثبت بنفس الوطء دون حاجة إلى دعوة.**
- لأن الأصل أن ينسب الولد إلى من خلق من مائه وقد ثبت أن الأمة في التسري مستفرشة لسيدها فيلحقه نسب ولدها دون دعوة ويكون الإقرار مسبقا بالولد مالم يقم الدعوة على كونه ليس منه، وقد كان الصحابة يطؤون السراري ولم ينقل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلزمهم بدعوة مواليدهم منهن لثبوت أنسابهم وفي هذا رعاية لمصالح الولد والأمة[4].

---

[1] وتسمى شبهة في الجهة أو الطريق وهو تقسيم انفرد به المالكية والشافعية على اختلاف فيما بينهم في المصطلحات، والمعتمد عند الحنفية أن القسمة نوعين فقط شبهة في الفعل وشبهة في المحل، وانفرد أبوحنيفة داخل المذهب الحنفي وزاد نوعا ثالثا وهو شبهة العقد .للشافعية والمقصود به: أي شبهة الخلاف كل نكاح اختلف فيه الفقهاء ، فرأى بعض منهم صحته، واعتبر البعض الآخر غير صحيح نظرا لاختلافهم فيما يعتبر شرطا لصحة النكاح وما لا يعتبر . ومن أمثلتها: الوطء في النكاح بلا ولي وبلا شهود ونكاح المتعة ونكاح الشغار ونكاح الخامسة في عدة الرابعة البائن ونكاح المجوسية وغيرها من الأنكحة المختلف فيها. انظر: النسب ومدى تأثير المستجدات المعاصرة في إثباته ص ١٥٢، والموسوعة الكويتية ج٢٥ ص ٣٤١.

[2] انظر: الفروق القرافي ج٤ ص ١٣٠٧.

[3] شبهه العقد: وهذه الصوره من الوطء بشبهة تحصل في نكاح المحارم سواء كانت الحرمة بنسب أو رضاع أو مصاهرة (وهن المحرمات على التأبيد) وكذلك المحرمات على التأقيت الثابت حرمتهن بطريق قطعي أما بقية المحرمات فالشبهة قائمة قولا واحدا وتكون من قبيل شبهة المحل. وتقوم شبهة العقد على أساس وجود العقد صورة لا حقيقة لأن الشبهة ما يشبه الثابت وليس بثابت فخرج ما وجد فيه العقد حقيقة، وهذه الحرمة تدرأ الحد عن الفاعل لدى الحنفية حتى ولو كانت مؤبدة وكان على علم بها أما مالك والصاحبان أبا يوسف ومحمد فعندهم أن الحد لا يدرأ إلا إذا ثبت عدم علم الفاعل بالحرمة، ويظهر أن الشبهة القائمة في حال الجهل بالحكم هي شبهة فعل وهنا يظهر تداخل الشبهتان ففي حال الجهل تحتوي شبهة الفعل شبهة العقد دون أن تلتغي شبهة العقد لأن الشبهة تكون راجعة إلى الفعل لا إلى العقد عند الجميع، أما في حال العلم فعند الجمهور تلتغي شبهة الفعل ولا عبرة بشبهة العقد عندهم لعلم العاقد بتحريم العقد والعقد لو وجد يكون في حكم المعدوم وعليه تنتفي الشبهة، أما أبوحنيفة ومن معه فإن شبهة العقد تبقى في حال التغاء شبهة الفعل لأن صورة العقد معتبرة عنده وإن لم يثبت حكمه وهو الاباحة لبطلانه لكنها كافية لدرء الحد عن الفاعل وحجة الحنفية أن محل العقد ما يكون قابلا لمقصوده وهو كون المعقود عليه أنثى وأما الجمهور فمحل العقد الحلية وليس القصدية. انظر: شرح فتح القدير ابن الهمام ج٥ ص٢٦٠، والأحوال الشخصية أبوزهرة ص١٥١ -١٥٣، حاشية ابن عابدين ابن عابدين ج٤ ص٢٥، المبسوط - للسرخسي – المرجع السابق ج٩/ ٨٥ وفتح القدير المرجع السابق ج٤/١٤٢ وتبيين الحقا ئق شرح كنز الدقائق – المرجع السابق – ج٣/ ١٧٩، انظر بتصرف: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته ص ١٥٧ -١٥٨.

[4] المرجع السابق ص ١٧٨

- **نسب المتولد من الزنا**

المراد بالتنسيب في المسألة هو نسب البنوة وهذا بالضرورة يستلزم تنسيبه إلى أبيه على جهة الانتماء لأنه مما اختص به الأب دون الأم ولا خلاف بين الفقهاء أن المعنى المؤثر في النسب كون الولد مخلوقا من مائه وهو أمر يدرك بالطبيعة البشرية وإن كان أمرا باطنا لكنه يثبت باعتبار أمور ظاهرة تدل عليه[1].

قاعدة: ولد الزنا يثبت نسبه من أمه الزانية باعتبار الولادة.

ولا يشترط في تولده منها أن يكون ذلك علة وجه الشرع بل منسوب إليها سواءاً كان بالنكاح أو السفاح[2].

قاعدة: كل ولد يولد على فراش لرجل في الإسلام فإنه يلحق به ولا ينتفي عنه بدعوى الزاني إلا أن ينفيه صاحب الفراش بلعان.

وهذا ما لا خلاف فيه بين الفقهاء[3] لحديث " الولد للفراش وللعاهر الحجر". **وقاعدة: لا يثبت النسب بالزنا في الاسلام**. وهذا قول أكثر الفقهاء[4]. وعمدة الاستناد في هذا الرأي حديث:" الولد للفراش وللعاهر الحجر" بمعنى قصر النسب على الفراش فلا ولد لمن لا فراش له والزاني لا فراش له. **لكن يمكن القول** إن الحديث جاء للفصل في قضية متنازع فيها ولم يأت لتقرير حكم تنسيب ولد الزنا من الزاني في ظرف مجرد عن النزاع أي في ظرف لا تكون فيه المرأة مفترشة لزوجها وهذا المعنى يؤيده سياق الحديث أو سبب وروده[5]، كما أنه لا معارضة بين إلاطة أولاد الزنا بآبائهم كما فعل عمر وبين حكم النبي ﷺ في قوله وللعاهر الحجر فالأول محمول على أنه لا فراش يمكن كونه منه والثاني في حال وجود الفراش وعليه يحمل الحديث، وماء الزنا موجب للحد ولكنه مع ذلك يصلح أن يكون سببا لثبوت النسب باعتبار أنه محلوقا من مائه، والزنا بالنظر للفعل محرم وجناية يستحق فاعلها العقاب لكنه يحصل منه إنسان له حرمة ولا هدر لحرمته لجناية أبيه، والثبوت باعتبار الولد لا باعتبار الفعل[6]،كما أن الزجر بالعقوبة أعظم من الزجر بقطع النسب، وبالاثبات يتحقق معنى العقوبة أكثر من تحققه بالنفي للترتب لما يترتب على الوالد بعد التنسيب من واجبات كثيرة كالنفقة والرعاية والتربية وغيرها، إلى جانب انحصار وتضييق للفاحشة، وقطع النسب ليس نعمة بل في تنسيبه نقمة لأنه بالقطع تخلَى ذمته عن جميع الواجبات والنقمة تلحق الولد لا الوالد من جهة القطع،

---

[1] انظر: أصول السرخسي محمد بن أحمد السرخس يتح أبو الوفاء الأفغاني بيروت دار المعرفة د ط ١٣٧٢هـ ج٢ ص٣١٩.

[2] انظر: بدائع الصنائع ج٦ ص٢٤٣.

[3] انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد يوسف بن عبدالبر تح محمد الفلاح المغرب وزارة الأوقاف ط٢ ١٩٨٠م ج٨ ص١٨٣.

[4] قول أكثر الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية انظر: حاشية ابن عابدين ج٣ ص٥٥٥، وبداية المجتهد ابن رشد ج٢ ص٣٥، ٢٥٨، قوانين الأحكام الشرعية ابن جزي ص٢١٩، حواشي الشرواني على تحفة المنهاج الشرواني ج٥ ص٤٠٢، المغني ابن قدامة ج٦ ص٢٢٨، ٢٦٦، المحلى ابن حزم ج٩ ص٤٩١.

[5] انظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته ص ٢٢٠.

[6] المرجع السابق ص ٢٢٥.

والقاعدة: أن قطع نعمة تكون سببا لجلب نقمة أشدّ منها لا تقر به الشريعة. كما هو مقرر في باب الموازنات بين المصالح والمفاسد[1].

<u>قاعدة</u>: النسب يتبع الطبيعة. ولذا ألحق عمر ابن الزنا بأبيه الزاني لكونه منه[2] بادعائه ذلك وإن ثبت حل الزنا عندهم قبل الاسلام فليس العبرة بكونه حلالا في الجاهلية حراما في الاسلام فيحكم بنسبه وفقا لاعتقادهم إذا هم دخلوا الاسلام، وإذا لحق بأمه ونسب لها ويرثها ويثبت النسب بينه وأقارب أمه الزانية والولد وجد من ماء الزانيين فما المانع من لحوقه بالأب إذا لم يدع غيره وهذا محظ القياس[3]، وفي تنسيب الولد من أبيه الزاني إحياءً للولد ودفعا للهلاك عنه بسبب قطعه عنه وحرمانه من الحقوق التي تعجز الأم عن توفيرها له فكان القطع بمنزلة الإهلاك حكما وهذه المصالح داخلة في نطاق حفظ النفس وهي من المصالح الضرورية التي اعتبرتها الشريعة ودعت إلى المحافظة عليها[4] .ويترتب على تنسيبه آثار معنوية ونفسية مهمة في حياة الولد يوفر له حياة مستقرة ولا يعيش عقدة الحرمان فيصير نشازا في المجتمع تناله الألسنة بالتعيير ويعرض أسرته للقيل والقال وتتعكر عليهم صفو الحياة مما قد يعرضه للجنوح للفساد ومقارفة الجريمة وهذه مفاسد تربو على مفسدة تنسيبه، **<u>والقاعدة</u>: "يُتحمل أخف المفسدتين في سبيل دفع أشدهما"**. ومن القواعد: استواء العقاب بين أهل الجريمة إذا كانت المقارفة للمعصية على حد سواء والشريعة عدل كلها ومن مقتضى العدل أن ينسب الولد إلى ابيه الزاني كما ينسب إلى أمه الزانية وأن يحمل تبعة النسب وما يستتبعه من أحكام ولا يناط بالأم وحدها لأنه كان طرفا مشاركاومساويا في مقارفة الجريمة فلا يمكن أن يعفى من المسؤولية ويحمل غيره جريرة فعله[5].

<u>قاعدة</u>: الأمومة ثابتة للمرأة بمجرد الولادة. ومستند القاعدة قول الله تعالى:﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ [المجادلة:٢]، وقوله: " ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، والمولود بعد أن تلده أمه ينسب إليها بالحس والواقع والشرع٦، والنسب يلزمها ولا يحتمل النفي٧ ولزومه في كل حالات الولادة شرعية أو غير شرعية لأن الفقهاء اعتبروا بالطبيعة في إلحاق الولد بأمه٨.

---

[1] انظر: نفس المرجع ص ٢٢٦ -٢٢٩.

[2] حديث كان يليط أولاد الجاهلية بمن ادعاهم في الاسلام مالك في كتاب الأقضية: باب القضاء بإلحاق الولد بأبيه رقم ١٤٢٠ ج٢ ص٧٤٠.

[3] زاد المعاد ابن القيم ج٥ ص٤٢٦.

[4] انظر: شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل أبوحامد الغزالي تح حمد الكبيسي بغداد مطبعة الإرشاد ط١ ١٩٧١م ص ١٦٥ -١٦٦، والنسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته ص٢٣٨.

[5] انظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته ص٢٤٢ -٢٤٣.

[6] انظر: أصول السرخسي ج٢ ص٣٣٠، والمبسوط ج٣٠ ص٧٠.

[7] انظر: بدائع الصنائع الكاساني ج٦ ص٢٥٥.

[8] انظر: المحلى ابن حزم ج١٠ ص٣٢٣.

<u>النسب بين أسباب منشئة وأدلة مظهره.</u>

أولاً : <u>الأسباب المنشئة:</u>

أسباب النسب شيء واحد اتفاقا وهو العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة بشرط أن يكون عن طريق مشروع بالنكاح أو التسري، والفراش كناية على قيام الزوجية حقيقة(في ظل عقد صحيح) أو حكما(أثناء العدة) عند مجيء الولد، وأصلها حديث الولد للفراش، إذ جعل قيام الزوجية دلالة على ثبوت النسب، فكونه ولد والزوجية قائمة فإنه لا يحتاج إلى إقرار ولا إلى بينة

<u>قاعدة</u>: يثبت النسب بالفراش إجماعاً[1]**. وهو أقوى الأدلة ومستند هذا الأصل** القرآن[2] والسنة القولية[3] والفعلية والتقريرية، والسنة الفعلية والتقريرية من حياة النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه أقوى الأدلة، إذ ما كان من ولد يولد إلا وكان ينسب لأبيه بناء على عقد الزواج وحديث الولد للفراش جاء متأخرا في عام الفتح، ومفهوم دليل الفراش عند الجمهور٤ يقصد به تعين المرأة لزوجها، وعند أبي حنيفة٥ اسم للزوج ونقل عن الإمام ابن أبي جمرة المالكي أن الفراش في الحديث كناية عن الجماع٦ بمعنى كناية عن ذلك الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة الذي أقيم الزواج الشرعي دليلا عليها يؤيد هذا قوله تعالى: هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ} [البقرة: ١٨٧] وقول عبد ابن زمعة هذا أخي ولد على فراش أبي ولم يقل من فراش أبي لتكون الزوجة، أو قوله ولد من أبي ليكون الزوج وباستعمال حرف "على" على الفراش المعروف٧.

ثانياً: <u>الأدلة المظهرة</u> وهي الشهادة والاقرار والاستفاضة والقيافة والقرعة وما يقوم مقامها من الحقائق العلمية.

١ - <u>البينة والقاعدة</u> فيها:"النسب يثبت لمدعيه بالشهادة إجماعاً[8]**.**

والخلاف بين الفقهاء كان في نصاب الشهادة أنه ولده ونصاب الشهادة على الولادة، وتكون البينة عند التنازع بين المقرين بالنسب و حال إنكار المقر عليه بالنسب.

---

[1] انظر: زاد المعاد ابن القيم ج٥ ص٤١٠.

[2] قوله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً } [النحل: ٧٢] ووجه الدلالة الامتنان بجعل البنين من الزوجات التي هن فراش.

[3] قول الرسول صلى الله عليه وسلم :" الولد للفراش وللعاهر الحجر. وقد مر تخريجه .

[4] انظر: تبيين الحقائق الزيلعي ج٣ ص٢٨٤.

[5] انظر: سبل السلام الصنعاني ج٣ ص٢١٠، ونيل الأوطار الشوكاني ج٦ ص٧٦.

[6] انظر: فتح الباري ابن حجر ج٩ ص٢٠٤.

[7] انظر: نظرية التقريب والتغليب ص ٣٧٤ -٣٧٥.

[8] انظر: بداية المجتهد ابن رشد ج٢ ص٣٥٧، وزاد المعاد ابن القيم ج٥ ص٤١٧.

<u>الإقرار والقاعدة</u> فيه: الإقرار من أقوى وسائل إثبات الحقوق[1].

والإقرار[2] بالنسب يعبر عنه فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة بالاستلحاق[3] ويعبر عنه الحنفية بالدعوى، وقد وقد اتفق الفقهاء على أن حكم الاستلحاق عند الصدق واجب ونفيه حرام ويعد من الكبائر لأنه كفران النعمة وفيه تضييع للأنساب وإخلال للأحكام التي علقها الله عزوجل بها[4]. والإقرار بالنسب على ضربين: الأول: الإقرار بأصل النسب وهو حمل النسب على النفس ويكون بأبوة أو ببنوة وفي هذا الضرب يثبت النسب بشرط أن يكون المقَرُّ له مجهول النسب، وأن يصدقه الحس، ويصدقه المقر له في إقراره لأن الإقرار حجة قاصرة عليه، وأن لا يذكر المقر بأن هذا الولد من الزنا. والثاني: إقرار فيه تحميل النسب على الغير وهو الإقرار بالقرابة غير المباشرة كالإقرار بالأخوة، والعمومة وهذا الضرب من الدعوى بالنسب لاتقبل لأنها دعوى نسب مجرد فيه تحميل النسب على الغير وهو ليس في الدعوى إلا إن صدقه من حمل النسب عليه أو أقام المقر بينة على دعواه فعندئذٍ يثبت النسب بالبينة والتصديق ولذا اشترط المالكية[5] لصحة هذا النوع من الإقرار أن يبين المقر وجه النسب ببينة تدل على صدقه ولم يشترط الجمهور هذه البينة، هذا وإن كان لقول الجمهور ما يبرره في القديم إلا أن الإقرار بالنسب في ظل الظروف الراهنة دون بينة مثير لكثير من الشكوك والرِّيب ويفتح بابا لاستلحاق أولاد لقطاء غير معروفي الآباء لاستشراء المنكر وإقبال المسلمين على الغرب الذي قنن التبني وعمل به، فكان الأحوط للأنساب والأعراض الأخذ بمذهب مالك سدا للفساد وذريعة التبني، والشارع يتشوف لإثبات الأنساب الثابتة بوجه من الوجوه الشرعية المعتبرة، أما إذا لم يستند إلى أي وجه فيكون إثبات لنسب غير صحيح تترتب عليه استباحة الأموال والإطلاع على الحرمات وإثبات النسب المزيف لا يقل خطورة عن إنكار النسب الصحيح[6]، وتعتبر البينة أقوى دلالة من الإقرار ذلك أن الإقرار يحتاج إلى تصديق المقر له بينما

---

[1] دل على ذلك قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ} [النساء: ١٣٥]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"أغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها". أخرجه مسلم في الحدود حديث ١٦٩٧ ج٣ ص١٣٢٤، عن أبي هريرة وزيد بن حالد الجهني.

[2] ومعنى الإقرار شرعاً الاعتراف بحق ثابت، سواء كان لله كالإقرار بما يوجب الحدود والتعزيرات، أو للناس كالعين أو المنفعة أو القصاص. والأصل في شرعية الإقرار بعد الإجماع من المسلمين، أو الضرورة، السنة المقطوع بها لقوله تعالى: { قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: ٨١].

[3] والاستلحاق لغة الادعاء واصطلاحا كما قال ابن عرفة هو: ادعاء المدعي أنه أب لغيره. انظر: مواهب الجليل الحطاب ج٥ ص٢٣٨.

[4] قال تعالى:" {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ} [النحل: ٧٢]، وحديث: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَدْخَلَتْ عَلَى قَوْمٍ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ، فَلَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللَّهُ جَنَّتَهُ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْهُ، وَفَضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ». أخرجه أبو داود في الطلاق باب التغليظ في الانتفاء حديث ٢٢٦٣ ج٢ ص٢٧٩. انظر: سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. وانظر ما قال: الشاطبي في الموافقات ج٤ ص٥٤، وحجة الله البالغة الدهلوي ج٢ ص٧٢٦ –٧٢٧.

[5] انظر: النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني تح عبدالفتاح الحلو بيروت دار الغرب الاسلامي ط١ ١٩٩٩م ج١٣ ص١٨٧، المدونة الكبرى مالك ج٨ ص٣٣٥.

[6] وقد ورد التحذير عن الأمرين معا قال صلى الله عليه وسلم: «من ادعى أبا في الإسلام غير أبيه، يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام» مسلم كتاب الإيمان حديث ٦٣ ج١ ص٨٠، وقال أيضا «... وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْهُ، وَفَضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» أبوداود باب التغليظ في الإنتفاء حديث

الشهادة تثبت الواقعة لقوة حجيتها دون أن يحتاج إلى تصديق المدعى عليه ، وقد حصر الفقهاء البينة في شهادة عدول وهي في النسب شهادة عدلين .

قاعدة: الاستفاضة[1] أو الشهادة بالسماع أو التسامع دليل من أدلة إثبات النسب.

وتسمى الشهادة بالسماع والأصل شهادة الشهود على ما عاينوه أو وقفوا على حقيقته وهذا متعذر في باب النسب فكانت الضرورة قاضية على الاعتماد على ما هو شائع ومتداول بين الناس ولهذا يقول الحنفية بأن قبولها من باب الاستحسان لأنها واردة على خلاف القياس[2]، وحكى ابن المنذر في حجية الشهادة بالسماع أنه لم يعلم أحدا منع منه[3].

قاعدة: يثبت النسب بالقيافة[4] عند جمهور العلماء.

وحكم إثبات النسب بها والاعتماد عليها تفاوتت أراء الفقهاء فيها على ضربين: ضرب معتمد لها وهم جمهور الفقهاء منهم الشافعية[5] والحنابلة[6] والظاهرية[7] والمالكية في أولاد الإماء[8] وهو مروي عن جمع من الصحابة[9] - وضرب غير معتمد لها وهم الحنفية[10]. ومستند الجمهور في هذا الاعتماد هو سرور النبي بالقائف بين زيد بن حارثة وأسامة بن زيد[11]، وسروره تقرير بالمشروعية لأنه لا يسر بباطل[12] والتقرير منه صلى الله عليه وسلم حجة[13]، وما أُثر كذلك عن عمر أنه عمل بالقيافةِ في محضرٍ من الصَّحابةِ من غير إنكارٍ واحدٍ منهم، فكان إجماعًا[14]. وهذه دلالة سنة صريحة وعمل الصحابة ترجح اعتبار القيافة طريقا شرعيا في إثبات النسب والأخذ

٢٢٦٣ ج٢ ص٢٧٩ ، فالحديث الأول وعيد في إثبات النسب المزيف والثاني وعيد في إنكار النسب الصحيح والقاعدة الفقهية أن الشارع يتشوف إلى إثبات الأنساب ليست على إطلاقها بل هي مقيدة بالشروط الشرعية التي نص عليها الفقهاء . والفرق بين الإقرار بالنسب والتبني أن الأول:اعتراف بنسب حقيقي لشخص مجهول النسب، والثاني استلحاق شخص ولدا معروف النسب لغيره أو مجهول النسب كاللقيط . انظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته ص٢٨٥ -٢٨٦ .

[1] والاستفاضة اشتهار الخبر بين الناس ويصير مشاعا متداولا بأن فلانا ابن فلان ثم يشهد الشهود بناء على ما هو شائع

[2] انظر: المبسوط السرخسي ج١٦ ص١٤٩، والشرح الكبير الدرديري ج٤ ص١٩٦

[3] انظر: المغني ابن قدامة ج١٠ ص١٦٤ .

[4] تطلق القيافة في اللغة على أمرين الأول: تتبع الآثار لمعرفة أصحابها والثاني معرفة الشبه لإلحاق نسب الولد بأبيه أو الأخ بأخيه . انظر: لسان العرب ابن منظور ج٩ ص٢٣٩ .

[5] انظر: مغني المحتاج الشربيني ج٤ ص٤٨٨ .

[6] انظر: المغني ابن قدامة ج٦ ص٤٥ .

[7] انظر: المحلى ابن حزم ج٩ ص٤٣٥ .

[8] انظر: بداية المجتهد ابن رشد ج٢ ص٣٥٩.

[9] انظر: زاد المعاد ج٥ ص٤١٩ -٤٢٠ .

[10] انظر: المبسوط السرخسي ج١٧ ص٧٠.

[11] أخرجه البخاري باب القائف حديث ٦٧٧٠ ج٨ ص١٥٧ .

[12] انظر: شرح عمدة الأحكام ابن دقيق العيد ج٤ ص٧٢.

[13] انظر: الفروق القرافي ج٤ ص١٢٥٦ .

[14] انظر: سبل السلام الصنعاني ج٤ ص١٣٧، زاد المعاد ج٥ ص٤٢٠، بداية المجتهد ج٢ ص٣٥٩.

بالقيافة حيث لا يوجد دليل لإثبات النسب وهو أولى من عدم الأخذ بها[1]. واحتجَّ الحنفيةُ لهذا بحديث:" الولد للفراش"؛ أي: إنه يدلُّ على أنَّ طريقَ ثبوت النَّسب هو الفراشُ لا غير[2].

قاعدة: القرعة مع ضعف دلالتها يثبت بها النسب عند الجمهور.

والقرعة أضعف الطرق في اعتماد الفقهاء عليها في إثبات النسب ؛ إنما يلجأ إليها إذا انعدم المرجح بين الأدلة السابقة كالفراش والبينة والإقرار والقيافة ومع أنها من أضعف الأدلة لكن الأخذ بها أولى حفاظا للنسب عن الضياع وقطعا للنزاع والخصومة.وقد ذهب إلى القول بها الظاهرية[3] والمالكية في أولاد الإماء[4]وهو قول الشافعي في القديم[5] وقال بها أحمد في رواية[6] .

وابن أبي ليلى وإسحاق[7]، **ومستند جمهور الفقهاء في هذا الأخذ** القواعد العامة القاضية بالاحتياط في إثبات النسب ودفع المفسدة المترتبة على ضياع الأنساب على الولد وقرابته والمجتمع، وكذلك ما أُثر عن علي أَنَّهُ أُتِيَ فِي ثَلَاثَةٍ اشْتَرَكُوا فِي طُهْرِ امْرَأَةٍ فَأَقْرَعَ بَيْنَهُمْ وَقَالَ: «أَنْتُمْ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ فَجَعَلَ الْوَلَدَ لِلَّذِي أَقْرَعَ، وَجَعَلَ لَهُمَا ثُلُثَا الدِّيَةِ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»[8].قال العز بن عبدالسلام إنما شرعت القرعة عند تساوي الحقوق دفعا للضغائن والأحقاد والرضا بما جرت به الأقدار[9].

قاعدة: ميل الطبع مع ضعف دلالته صار إليه الفقهاء في إثبات النسب.

وهو يعني ميل الطبع عند الولد إلى أحد الرجلين بحكم الجبلة فإذا لم تقم بينة لدى أحد المتنازعين ترجح جانبه اعتبر ميلان الطبع لدى الطفل إلى أحدهما مرجحا يلزم لحوق النسب به دون منازعة، **وهذا يبرز مدى أولوية الحفاظ على النسب** ولو من وجه ضعيف وأن ذلك أفضل من ضياعه[10].ومستند الفقهاء الأثر المروي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَضَى فِي رَجُلَيْنِ ادَّعَيَا رَجُلًا لَا يَدْرِي أَيُّهُمَا أَبُوهُ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِلرَّجُلِ: " اتَّبِعْ أَيَّهُمَا شِئْتَ"[11]. **ومما ينبغي التأكيد عليه عقب تقرير أدلة إثبات النسب** أن أخذ الفقهاء بدليل القرعة أو ميلان الطبع أو حكم القاضي عند من يستأنس به لإثبات النسب لعدم وجود دليل أو تعارض الأدلة

---

[1] انظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته ص ٢٩٩.

[2] انظر: بدائع الصنائع الكاساني ج٦ ص٢٤٢.

[3] انظر: المحلى ابن حزم ج١٠ ص١٥٠.

[4] انظر: المدونة الكبرى ابن أنس ج٨ ص٤٧ وما بعدها.

[5] انظر: زاد المعاد ابن القيم ج٥ ص٤٣٠.

[6] انظر: الإنصاف المرداوي ج٦ ص٤٥٨.

[7] انظر: زاد المعاد ابن القيم ج٥ ص٤٣٠.

[8] أخرجه أبوداود في اللعان باب من قال بالقرعة إذا تنازعوا في الولد حديث ٢٢٦٩ ج٢ ص٢٨١.

[9] قواعد الأحكام ابن عبدالسلام ج١ ص٧٧.

[10] انظر: قواعد الأحكام العز بن عبد السلام ج٢ ص١١٧، ومغني المحتاج الشربيني ج٢ ص٤٢٨، والمغني ابن قدامة ج٦ ص٤٩٥٠، والنسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته ص٣٠٣.

[11] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى باب القافة ودعوى الولد حديث ٢١٢٦٢ ج١٠ ص ٤٤٤. وقال هذا إسناد صحيح موصول.

حول إثبات النسب مع ضعف هذه الأدلة يوحي بالآتي: ١ -أن الأخذ بهذه الأدلة على ضعفها أولى من عدم الأخذ بها حرصا على اتصال النسب. ٢ -أن في التنسيب بها رعاية للولد وقيام بمصالحه وشؤونه. ٣ -أن هذه الأدلة كانت الوسائل المكنة للترجيح في زمان الفقهاء السابقين. ٤ -أننا في هذا العصر وبعد اكتشاف الوسائل العلمية التي يمكن من خلالها معرفة الأبوة عند التنازع على وجه الدقة فالحاجة غير داعية إلى الاحتكام إلى الوسائل السابقة. ٥ -أن القصد من سرد الوسائل القديمة هو بيان حرص الاسلام على اتصال النسب بكل وسيلة وللدلالة على أن إثبات الأنساب ليس أمرا توقيفيا[1].ومما سبق يتبين أن طرق ثبوت النسب وإن تعددت إلا أنها تعود كلها إلى قاعدة الاحتياط فيه وأن أقوى طريق هو ما كان راجعا إلى الفراش أو شبه الفراش أما ما يأتي بعدها من طرق إنما يبني على الطريق الأول فكل من البينة والإقرار وحتى القيافة أو القرعة لا تثبت النسب إذا عدم الفراش أو ما يلحق به.

قوادح النسب

وقد تكلم الفقهاء عن قوادح النسب على النحو الآتي:

بواسطة مدة الحمل : خلاف الفقهاء السابق حول أقصى مدة الحمل لا يمكن اعتباره في ظل وجود العلم وتطورالطب وذلك للأسباب التالية١ - أن الفقهاء لم يعتمدوا في تقدير أقصى مدة الحمل على نص شرعي من كتاب أو سنة ، مما جعل آراءهم تتضارب وتختلف اختلافاً كبيراً. ٢ -اعتماد الفقهاء على أقوال من وثقوا بهم من الناس وعلى الشواهد التي روتها النساء ، وكل هذه أخبار مكذوبة راجعة إلى من لا يصدق ولا يعرف من هو ، ولا يجوز الحكم في دين الله تعالى بمثل هذا[2].٣ -أن السبب في ادعاء هذا التقدير عند كثير من النساء إنما هو في الحقيقة ما يطلق عليه في الطب الحمل الكاذب والذي هو عبارة عن حالة تصيب النساء اللاتي يبحثن عن الإنجاب دون أن ينجبن فينتفخ البطن بالغازات وينقطع الحيض ، وهو ما أكده الطب في العصر الحديث[3]،وبناء على ما سبق يظهر لي أن أقصى مدة الحمل التي تُبنى عليها الأحكام الشرعية هي المدة المعهودة تسعة أشهر والتي قد تزيد أسبوعين أو ثلاثة أسابيع فقط ، لأن الجنين يعتمد في غذائه على المشيم ، فإذا بلغ الحمل نهايته المعتادة ضعفت المشيمة ولم تعد قادرة على إمداد الجنين بالغذاء الذي يحتاجه لاستمرار حياته ، فإن لم تحصل الولادة عانى الجنين من المجاعة فإذا طالت المدة ولم

[1] انظر: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته ص ٣٠٤.

[2] انظر: المحلى ابن حزم ج١٠ ص٣١٧.

[3] انظر: حلق الانسان بين الطب والقرآن محمد على البار الدار السعودية ط٥ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ص٤٥٣ .

تحصل الولادة قضى نحبه داخل الرحم[1]. التقنيات العلمية والطبية اليوم صارت قادرة على حسم الخلاف فيما إذا ادعت امرأة حمل تجاوز المدة المعهودة في تحديد عمر الجنين بدقة[2]، وتترتب على نفي النسب بواسطة مدة الحمل آثار ذكرها الفقهاء[3].

<u>بواسطة اللعان. وترتب على هذا القادح عدة قواعد هي:</u>

<u>قاعدة</u>: إذا ولدت المرأة للزوج ولدا يمكن كونه منه فإنه يلحق به[4].

<u>قاعدة</u>: ينقطع نسب الولد باللعان من جهة الأب ويلحق بأمه عند جمهور العلماء[5].

<u>قاعدة</u>: الولد للفراش عام دخله التخصيص. بمعنى الولد للفراش مالم ينفه صاحب الفراش ولا تعارض بين العام والخاص.

<u>قاعدة</u>: النسب الذي يُلحق به الولد بأمه هو نسب الانتماء لا نسب البنوة[6].

<u>قاعدة</u>: يبنى النفي على أصل الاحتياط في أحظ الشروط. لأن الاقرار بالولد الذي ليس منه حرام كالسكوت لاستلحاق نسب من ليس منه[7] وازنت الشريعة بين الاثبات والنفي فلم تراعي جانب الاثبات وحده على حساب النفي. لأن الاثبات قد يكون لأمر غير ثابت ففتحت النفي بشروطه وأعطت الزوج الحق في نفي نسبه إذا غمره اليقين أو الظن الغالب بعدم نسبته إليه حفاظا على نقاء نسبه وطردا للفساد الداخل عليه، واعتبرت مفسدة الاقرار به أعظم من مفسدة القذف ولهذا سقط الحد باللعان٨، لأن شهادته تقوم مقام البينة المبرئة له من الحد والنفي المجرد لا يقبل لتأييده باللعان وإنما يتعين أن يستند إلى رؤية الزنى أو إلى عدم اتصال بين الزوجين مدة تفوق الفترة القصوى للحمل مما يتعذر معها تحققه إن لم نقل مستحيل كغيبة الزوج

---

[1] الموسوعة الفقهية الطبية أحمد محمد كنعان ط١ ١٤٢٠هـ ٢٠٠م دار النفائس ص ٣٧٦،٣٧٥.

[2] انظر: قوادح النسب في ضوء علم الوراثة المعاصر سهير سلامة حافظ رسالة ماجستير من كلية الشريعة والقانون الجامعة الاسلامية غزة ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ص٤٣.

[3] ملخص هذه الآثار ما يلي: أن الزوجة إذا جاءت بولد لستة أشهر فأكثر من وقت الزواج ثبت نسبه من الزوج، وإن جاءت به لأقل من ستة أشهر من وقت الزواج لم يثبت نسبه من الزوج؛ لأن العلوق بالزوجة قد حصل قبل قيام النكاح على وجه اليقين، فلا يمكن إثبات نسبه منه، وهذاما أشار إليه الفقهاء عند حديثهم عن اللعان ربطوا بين نسب الحمل وأقل مدة الحمل فجعلوا الستة أشهر علامة فاصلة في نسب المولود، إذا ولدت الزوجة لأقل من ستة أشهر من وقت الزواج فإن نسب هذا الولد ينتفي عن الزوج دون حاجة إلى لعان باتفاق الفقهاء، وإذا جاءت الزوجة بولد لأكثر من الحد الأقصى لمدة الحمل أي لأكثر من تسعة أشهر وثلاثة أسابيع بعد عدة الوفاة أو الطلاق أو إذا تزوجها وبينهما مسافة لا يصل إليها في المدة التي ولدت فيها، وادعت نسب الولد للزوج فلا تقبل دعواها، وإذا جاءت الزوجة بولد لأكثر من الحد الأقصى لمدة الحمل فإن نسب هذا الولد ينتفي عن الزوج دون حاجة إلى لعان. انظر: البحر الرائق ابن نجيم ج٣ص١٨٤، شرح فتح القدير ابن الهمام ج٤ص٣٥٨، الدخيرة القرافي ج٤ص٢٨٥، بداية المجتهد ابن رشد ج٢ص ٣٥٨، مغني المحتاج ا لشربيني ج٣ص٣٣٨، البحر الزخار أحمد بن يحي المرتضى ج٤ص١٤٣، المغني ابن قدامة ج١١ص١٦٧، النسب وأحكامه في الشريعة الاسلامية والقانون الكويتي محمود محمد حسين ط١ ١٩٩٩م مجلس النشر الأعلى الكويت ص١٩٦.

[4] لقول الرسول: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

[5] انظر: المغني ابن قدامة ج٧ ص٤٣٥، وزاد المعاد ابن القيم ج٥ ص٣٩٩.

[6] انظر: أحكام القرآن لابن عربي ج٣ ص٤٥٩.

[7] انظر: البحر الرائق ابن نجيم ج٤ ص١٣٢.

[8] انظر: زاد المعاد ج٥ ص٤٠٢.

أو اعتقاله مثلا١، والهدف من إكثار الفقه الإسلامي من شروط اللعان هو حماية الأنساب من الإنكار الكيدي وحماية مركز الأولاد، وهو وسيلة يقدم عليه الزوج إذا كان متيقنا بسببه في الواقع نظرا للوازع الديني[٢]، أما اليوم حيث تراجع الوازع الديني وتأكد فساد كثير من الذمم فيلجؤون لهذه المسطرة (اللعان) السريعة والسهلة[٣].!

فهل من وسيلة لحماية أفضل لنسب الطفل ضمن مسطرة اللعان. اللعان للانتصاف أو الانتقام يقوم على الشك لا اليقين، لاحتمال أن يكون الحمل قد حدث منه، ولذا كانت قيود وشروط اللعان للحد من الشك، ويمنع الزوج من اللعان، إذا وجدت قرائن بسيطة تدل على عدم الجدية في إنكاره، كعدم استبراء المرأة قبل ظهور الحمل والسكوت بعد العلم بالحمل ولو يوما أو يومين، **الاستنتاج البديهي من هذا الاجتهاد الذي طبق به الفقه آية اللعان هو أنه**: متى توفرت وسيلة قادرة على كشف الحقيقة يكون لكل من الزوجين الحق في المطالبة بها لتبرئة ساحته من تهمة الكذب التي لا يبعدها عنه أداء أيمان اللعان[٤]. ومن المعلوم أن اللعان حكم شرعي وردت بشأنه نصوص قطعية، في القرآن والسنة النبوية، ولكن المؤيد أيضا أن الأمر يتعلق بنوع الأحكام المعبر عنها بالوسيلة الصرفة، وهي أحكام تتميز بكونها ليست مقصودة لذاتها نهائيا ومن ثم فهي قابلة للتطوير في قيمتها ووظيفتها متى تبين أن زماننا يتيح لنا تنظيم هذه الوسيلة وتنفيذ هذه التدابير التوسلية الصرفة، ببدائل أكثر نجاعة وفاعلية ومصداقية وأكثر تحقيقا للمقصود فلا شك في أن الأخذ بها وإقرار أحكامها عمل مشروع، وتعبير غير ممنوع، لأن ما طوَّرناه لم يكن تعبديا ولم يكن هو مصلحة ومقصودا في ذاته وإنما مصلحته فيما يفضي إليه، مما يعني السماح بضرورة الاستعانة اليوم بالتقنيات الطبية الحديثة مع الإبقاء على اللعان للوصول لنتائج يقينية تبدد الشك تطبيقا لقاعدة(الشك يزول باليقين) فإذا علم بالنتائج الطبية أن الولد ليس منه يُمَكَن من إجراء اللعان لنفي الولد؛ لأنه ثبت يقينا أن الولد ليس منه، أما إذا علم من تلك النتائج أن الولد منه، فلا يمكن من إجراء اللعان لأجل نفي الولد، وإنما يمكن من اللعان كإجراء شرعي لدرء الحد عنهما والتفريق بينهما؛ لأن الزوج قد يكون متأكدا من صلة زوجته غير المشروعة بغيره، وهنا يكون من حقه إجراء اللعان دون نفي الولد، ومن تم فإن الركون للنتائج الطبية قد يحقق غايتين إحداهما: إمكانية تراجع الملاعن قبل الفحص وثانيهما: إمكانية إثبات الفحص عكس مزاعم الملاعن، وبهذا الإجراء تتحقق الغاية من مقاصد الشريعة الإسلامية التي تتشوف للحوق النسب، و نكون قد فهمنا

---

[١] انظر: التعليق على قانون الأحوال الشخصية، الجزء الثاني، آثار الولادة والأهلية والنيابة القانونية الدكتور: أحمد الخمليشي ط١ ١٩٩٦م،ص ٥٠.

[٢] انظر بحث : الولد للفراش، أحمد الغازي الحسيني مقال منشور بمجلة القضاء والقانون، العدد ١٣٠، ص ١٣٢ وما بعدها.

[٣] انظر بحث : حق الطفل في النسب، رشيدي مغنية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة جامعة سيدي محمد بن عبدالله ، كلية الحقوق ـ فاس، ٢٠٠٢م – ٢٠٠٣م، ص ٨٠

[٤] انظر: التعليق على قانون الأحوال الشخصية، الجزء الثاني، آثار الولادة والأهلية والنيابة القانونية أحمد الخمليشي ص٧١ -٧٢.

النص على أساس ضرورات التطور الاجتماعي والعلمي دون أن يعني ذلك إهماله أو تجاوزه وإنما هو النفاذ إلى جوهره وما وراءه[1].د

بالاعتماد على الخبرة الطبية.

و قيام ثبوت النسب أو نفيه على قواعد محددة سار عليها الفقه والقضاء ، لم يخل من كثرة النوازل فيه والقضايا ، ناهيك عن التطور التكنولوجي التي عرفته البشرية في هذا العصر والذي أظهر للوجود وسائل علمية دقيقة تؤكد أو تنفي علاقة البنوة أو الأبوة ، و بالتحديد ما اصطلح عليه بالبصمة الوراثية ؛ و إذا علمنا أنها من مستجدات العصر أن نسبة دقة نتائجها تكاد تكون قطعية ، فما مدى حجيتها على القواعد الشرعية الثابتة التي سار عليها الفقهاء منذ عهد النبوة ، وهل تقوم قاعدة مع تلك القواعد ؟ أم الأمر غير ذلك ؟ وقد أثارت مسألة اعتماد الخبرة الطبية كوسيلة شرعية لإثبات أو نفي النسب جدلا واسعا بين الفقهاء،إذ يعتبرها المؤيدون وسيلة مهمة لمواكبة التشريع لمستجدات هذا العصر وتقنياته الحديثة في مجال الطب الشرعي، وبالخصوص علم الهندسة الوراثية وتطوراته، وكونها وسيلة إيجابية تقينا مرارة نسبة الولد لغير أبيه واختلاط الأنساب، وتحسم في معرفة الأب والأم البيولوجيين للولد المزداد بصفة يقينية. فهل يمكن نفي النسب عن طريق إثبات العقم بواسطة الشهادة الطبية وما هو أثر النتائج العلمية لفحص الأم على إثبات النسب ونفيه.

عن طريق إثبات العقم بواسطة الشهادة الطبية.

فالخبرة قد قررت من أجل الاستئناس بها فقط، ومبادئ الفقه الإسلامي مع أخذه بها في مجال العيوب والجراحات، وعذره في ذلك تدني مكانة الطب وضعفها خصوصا المجال الذي نبحث فيه مما لم يكن له أثر ضمن مصادر الفقه الإسلامي، أما اليوم، وقد أصبح الطب في العديد من أموره مبنيا على اليقين، للتقدم الذي أحرزه في أغلب مجالاته. والخبرة في ميدان النسب إثباتا ونفيا،هي مسألة مبنية على اليقين أو على مجرد الاحتمال بحيث نأخذ بالأولى ونستبعد الثانية. ووظيفة القاضي حل النزاعات بين الخصوم بكيفية عادلة، شريطة الوقوف على حقيقة الدعوى لكل خصم، ومتى ظهرت وسيلة جديدة تعيننا على الوصول إلى الحقيقة - وهي مناط العدالة - وجب الأخذ بها ولو لم يسبق للفقه الإسلامي أن أخذ بها،والفقه الإسلامي أخذ بالقيافة وهي مجرد فراسة، والخبرة الطبية المتخصصة قائمة على اليقين لا الحدس والتخمين[2].وقد جاء في مدونة الإمام مالك:« سئل مالك عن الخصي هل يلزمه الولد، قال: قال مالك أرى أن يسأل أهل المعرفة بذلك، فإن كان يولد لمثله لزمه الولد، وإلا لم يلزمه»[3]، ألحق فقهاء المذهب المالكي بالخصي العاهات

---

[1] حق الطفل في النسب رشيدي مغنية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الحقوق فاس سنة: ٢٠٠٢ /٢٠٠٣ ص ٨٢.

[2] الوسيط في قانون الأحوال الشخصية محمد الكشبور، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء ٢٠٠٦م ص٤٥٦.

[3] انظر: المدونة مالك ج٥ ص٤٤٥.

والعيوب الخلقية الأخرى في الجهاز التناسلي التي يشكك في تأثيرها على القدرة الإنجابية لدى الرجل، والعيوب الظاهرة للجهاز التناسلي هي التي كان يمكن أن يثار الجدل بشأنها، أما العيوب الداخلية فلم يكن في الإمكان التعرف عليها. وأهل المعرفة كما رأى بعض فقهاء المذهب النساء كما رأى البعض أنهم حذاق الأطباء وإذا كان هذا هو موقف الفقه في اعتماد الخبرة القائمة على مجرد التجربة الظاهرية والمحدودة بطبيعتها، يكون من الصعب القول بأن التحليل الطبي في وقتنا الحاضر ليس من الوسائل (الشرعية) لنفي النسب، والحال أن هذا التحليل . عكس خبرة أهل المعرفة المتحدث عنها في الفقه. يقوم على وسائل علمية يقينية[1] ، شريطة اقتناع القاضي واطمئنانه إلى صحة ما ورد فيها تحليلا واستنتاجا، ولذلك لا تقبل الشهادة الطبية بالعقم دون بيان أسبابه والوسائل المستعملة للتعرف على هذه الأسباب، وما يؤكد وجود العقم وقت نشوء الحمل موضوع النزاع.

بواسطة عدم أهلية الانجاب

يمكن للحقائق العلمية الطبية المعاصرة أن تقول كلمة الفصل في أهلية الانجاب وعدمه في كل من الصغير[2]والممسوح[3]، والخصي[4]، والمجبوب[5]، والعنين[6].

بواسطة البصمات الوراثية.les empreintes génétiques

هو الذي يثبت بصفة يقينية وجود أو عدم وجود العلاقة البيولوجية بين الشخصين اللذين يجرى عليهما، وتسمى الخبرة الجينية ونتائجها حتمية[7].

أثر النتائج العلمية لفحص الدم على إثبات النسب أو نفيه

عرفت النتائج العلمية لفحص الدم تطوراً كبيراً، أصبح معه معرفة نسب الولد أمراً لا مجال فيه للشك بل اليقين انتقل فيه الوضع من مرحلة كانت فيها نتائج فحص الدم دليلاً للنفي فقط إلى مرحلة حاسمة ويقينية، وذلك بأن أصبحت نتائج فحص الدم دليلاً مؤكداً للنفي والإثبات معاً. **نتائج فحص الدم دليل**

---

[1] التعليق على قانون الأحوال الشخصية، الجزء الثاني، آثار الولادة والأهلية والنيابة القانونية أحمد الخمليشي، ص ٦٨.

[2] اتفق الفقهاء على نفي نسب الصغير الذي لا يولد لمثله، واختلفوا في سن الصغير الذي يلحقه النسب. انظر: المدونة مالك ج٥ ص٤٤٤، والدخيرة القرافي ج٤ ص٢٨٦، الشرح الكبير ابن قدامة ج٢٣ ص٤٦٥، الاقناع الحجاوي ج٤ ص١٠٥.

[3] **وهولغةً**: مقطوع الذكر والأنثيين، واستعمله معظم الفقهاء بهذا المعنى ، غير أن الحنفية أطلقوا على مقطوع الذكر والأنثيين أو مقطوع الذكر فقط لفظ ال مجبوب، والمالكية أطلقوا على مقطوع الذكر والأنثيين لفظ المجبوب. انظر الخلاف في: تاج العروس الزبيدي ج٧ ص١٣١، لسان العرب ابن منظور ج٢ص٧٠، رد المحتار ابن عابدين ج٥ ص١٦٦، الدخيرة القرافي ج٤ ص٤٢٨.

[4] وهو الذي نزع خصيتاه وبقي ذكره. انظر: البحر الرائق ابن نجيم ج٤ص١٣٤، الدخيرة القرافي ج٤ص٤٢٩، معجم لغة الفقهاء قلعة جي ص١٧٤.

[5] الجب القطع، والمجبوب عند معظم الفقهاء مقطوع الذكر فقط باقي الأنثيين، سوى المالكية فهو عندهم مقطوع الذكر والأنثيين.انظر: الصحاح الجوهريج١ ص٩٦، ورد المحتار ابن عابدين ج٥ص١٦٦، المبدع ابن مفلح ج٦ص١٦٥، والدخيرة القرافي ج٤ص٤٢٨.

[6] هو العجز عن الوطء مع قيام الآلة لاسترخائه. انظر: شرح فتح القدير ابن الهمام ج٤ص٢٩٧، الدحيرة القرافي ج٤ص٤٢٩، مغني المحتاج الشربيني ج٣ص٤٥، الانصاف المرداوي ج٢٠ص٤٨٣.

[7]

للنفي فقط لقد أثبت الأبحاث العلمية ومنذ مدة ليست بالقصيرة أن دم أفراد بني البشر يتنوع إلى عدة فصائل، وأن لكل فصيلة دموية خصائصها المحددة علميا[1]، والتي لا تتغير منذ الولادة إلى الوفاة، وهذا النعت يشكل دعامة وإسهاما كبيرا في التعرف على الأشخاص، كما أن الفصائل الدموية تلائم تقسيمات تمكن من تمحيص التحاليل، منذ اكتشاف هذه الفصائل الدموية عام ١٩٠٠ . وعرف أنها تتوارث تبعا لقوانين ثابتة أصبحت بذلك هي السبيل العلمي الوحيد المعول عليه في نفي الأبوة والأمومة، كما قرر الأطباء عام ١٩٠٨ بصفة قاطعة لا يخالطها أدنى شك بأن فصيلة دم الابن تتأثر بنوع فصيلة دم أبيه وأمه، سواء كان دمهم من فصيلة واحدة أو من فصيلتين مختلفتين، حيث إن كل إنسان يرث صفاته من أبيه وأمه مناصفة تماما، إذ أن الحيوان المنوي عبارة عن خلية منصفة أي أنها تحمل نصف عدد المورثات الموجودة في الخلية العادية وكذلك بويضة الأنثى فإذا اتحد الحيوان المنوي بالبويضة، تكونت خلية كاملة فيها عدد المورثات الموجودة في أي خلية إنسانية عادية نصفها مأخوذ من الأب ونصفها الآخر مأخوذ من الأم، وبطريق فحص الفصيلة التي ينتسب إليها دم الزوجة والزوج والولد . كما قرر الأطباء . أمكن التوصل علميا إلى إحدى الفرضيتين: أولها ظهور فصيلة دم الولد مخالفة لمقتضيات تناسل فصيلتي الزوجين، وهذا يفيد بالتأكيد أن الزوج ليس هو الأب الحقيقي لذلك الولد، وثانيهما ظهور فصيلة دم الولد موافقة لمقتضيات تناسل فصيلتي دم الزوجين معا، وهذا معناه أن الزوج قد يكون الأب الحقيقي للولد، وقد لا يكون أباه، لإمكان اشتراك وتوافق الفصيلة الدموية بين عدة أشخاص يكون الزوج المدعى عليه من بينهم، ولذا لا تفيد مطلقا في الحصول على دليل إثبات مؤكد، بل إنها مجرد قرينة بسيطة تقبل إثبات العكس[2].

نتائج فحص الدم مؤكدا للنفي وللإثبات على إثر اكتشاف حمض معين في جسم الإنسان يحمل الصفات الوراثية الخاصة بكل إنسان والتي تظل ملازمة له مدى الحياة، وقد سميت هذه الصفات بالبصمة الوراثية.

أولا: <u>ماهية البصمة الوراثية</u>

عرفها أحد الباحثين بأنها: "تعيين هوية الإنسان عن طريق تحليل جزء أو أجزاء من حامض الدنا المتمركز في نواة أي خلية من خلايا جسمه"[3]. بمعنى أنها الصفات الوراثية التي تنتقل من الأصول إلى الفروع. البحث في العناصر المكونة للخلية، فتوصل العلماء إلى أن البويضة تحمل ٢٣صبغيا والحيوان المنوي ٢٣ صبغيا، ومن اتحادهما عن طريق الإخصاب فإن البويضة الملقحة تستكمل ٤٦ صبغيا، مما يعني احتواءها على المعلومات الوراثية التي تأتي من الأب والأم معا المبرمجة في الجينات. هذه الخلية عبارة عن منظومة معقدة مضبوطة العدد في جزئياتها وتفاعلاتها ووظائفها. هذه الجينات عبارة عن جزيئات عملاقة تكون ما يشبه الخيوط

---

[1] مركز الخبرة الطبية في مادة الأحوال الشخصية محمد الكشبور ، مجلة المحاكم المغربية، العدد ١٩٩٧،٨٧،٧٧م ص٣٦.

[2] دور التقدم البيولوجي في إثبات النسب، محمد محمد أبو زيد بحث منشور في مجلة الحقوق الكويت، العدد الأول ص ٢٢٣ وما بعدها .

[3] البصمة الوراثية وعلائقها الشرعية دراسة فقهية مقارنة سعد الين هلالي جامعة الكويت ط١ ص٣٥.

الرفيعة المجدولة، تسمى هذه الجزئيات بالحامض النووي الديوكسي الريبوزي، والمختزل في حدروف ADN[1]، لكل إنسان على وجود الأرض بصماته الوراثية الخاصة، باستثناء التوائم المتطابقة[2].

إمكانية البصمة الوراثية في إثبات النسب ونفيه.

دلت الأبحاث الطبية التجريبية على أن نسبة النجاح في إثبات النسب أو نفيه عن طريق معرفة البصمات الوراثية يصل في حالة النفي إلى حد القطع أي بنسبة ٪ ١٠٠ أما في حالة الإثبات فإنه يصل إلى قريب من القطع وذلك بنسبة ٪ ٩٩ تقريباً . فإذا أثبتت التجارب الطبية والفحوصات المخبرية التشابه في الجينات بين الابن وأبويه، ثبت طبياً بنوته لهما، وقد تثبت بنوته لأحد والديه بناءً على التشابه الحاصل بينهما في المورثات الجينية، بينما ينفي عن الآخر منهما، بناء على انتفاء التشابه بينهما في شتى المورثات الجينية، ومجال العمل بالبصمة الوراثية واسع ولا ينحصر في النسب بل يستخدم في المجالات الجنائية. **وهذا في نظرنا** لا يعود إلى النقل الحرفي لمعالجة هذا الفقه لموضوع النسب، بل إلى الإعمال العقلي والمنطقي لهذا الفقه، واكتشاف أن معالجته للنسب هي صالحة لكل زمان ومكان، وتأخذ في اعتبارها بالدرجة الأولى مصلحة الولد المزداد أو الذي سيزداد، وذلك بلحوق نسب الولد إلى أبيه أولا، ثم ثانيا صيانة هذا النسب طوال حياة الولد، وبدرجة موازية رعى الفقه الإسلامي المالكي أيضا مصلحة المرأة الحامل سواء أكانت متزوجة أو مخطوبة، وذلك حفظا لشرفها، وتجنب لحوق عار ابن الزنا لوليدها .والفقه الإسلامي لم يقف عند مصلحة المرأة والولد، بل من خلال مصلحة هذين الأخيرين، سيتمكن الرجل من حفظ شرفه ونسب أجداده في ولده، وذلك في إطار نظام شرعي اسمه الزواج، غايته حفظ الأنساب من الضياع.**ومن الأدلة على حجية العمل بالبصمة الوراثية**

١ – الأصل في الأشياء النافعة الإباحة وفي البصمة نفع في المجالات الطبية والاجتماعية، والنافع من التصرفات التي لم يرد فيه من الشارع حكم مباح، مع مبدأ سلطان الإرادة للشخص في أحقية إنشاء وإبرام ما يره من عقود وتصرفات ما لم يصادف ضررا بالنفس أو بالغير.٢ – الإجماع العملي للأمة وذلك في إثبات الهوية الشخصية وفحص بصمة الأصابع والتوقيع الخطي وغيرها ولم ينكر هذا فقهاء الأمة فكان هذا الاجماع نظيراً للاستصناع الذي ثبت بالإجماع العملي من الأمة كما قال الحنفية والبصمة وسيلة تقبل في مجال إثبات الهوية والنسب والجناية. ٣ – الاستصلاح حكم بمقتضى المصلحة والبصمة تتعلق بالنظام التضامني والحقوق الخاصة ومصالح المجتمع[3].٤ – قياس الأولى وذلك في اعتماد القيافة في النسب مع كونها قائمة على الخبرة والمعرفة في إدراك الشبه وورود الخطأ فيها، وهذه أولى لاعتمادها الأساليب العلمية

---

[1] وهو اختصار للمصطلح (Acide Désoyuribo Nucléique)، وصاحب هذا الاكتشاف هو البر وفسور (Alex Seffeyo) أستاذ بجامعة (Leisctr) بانجلترا وهو رئيس معمل الجينات الوراثية بنفس الجامعة ومدير الأبحاث بمعمل الشرطة القضائية.

[2] ، دور التقدم البيولوجي في إثبات النسب محمد محمد أبو زيد ، ص ٢٧٩ .

[3] يراجع: البصمة الوراثية وحكم استخدامها في مجال الطب الشرعي والنسب ناصر عبد الله الميمان، أبحاث مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون جامعة الإمارات ٢٠٠٢م ج٢/ص٦١٤.

الدقيقة.٥ - مقاصد الشريعة الإسلامية التي جاءت لحفظ ضروريات ومنها النسب وإثباته بالبصمة حفظ لأركانه وتثبيت لقواعده والحكم الشرعي المتماهي مع مقاصد الشريعة وأصولها هو الحكم الأقرب إلى الصواب إن شاء الله تعالى[1].٦ - قواعد الشرع حيث الشارع متشوف إلى إثبات الأنساب ووصلها بأصولها ويكتفي في إثباتها بأدنى الأدلة ولا يحكم بانقطاعها إلا حيث تعذر إثباتها وقصده من وراء ذلك استقرار الأسر وصيانة الأعراض وحماية المجتمع والبصمة وسيلة علمية موثوقة يمكن الاستفادة منها في تحقيق تشوف الشارع إلى إثبات الأنساب[2].

موقف العلماء من البصمة الوراثية. نستجلي موقف العلماء المعاصرين من البصمة الوراثية في ثبوت النسب وشروط اعتبارها؛ لأن النسب له خطورته على الفرد والمجتمع فإنه يثبت كما سبقت الإشارة إليه بمجرد قيام الزوجية المعتبرة شرعا وما يقوم في حكمها، لذا نجد الفقهاء قديما وحديثا لا يجيزون سماع دعوى ثبوت النسب إلا في حال التنازع على مجهولي النسب ،أما ما أثبته فراش الزوجية فلا يحتاج إلى إثبات ولا ينتفي إلا بالطرق المشروعة ونعني به اللعان. ومن ثم فظهور البصمة الوراثية كأداة يتحقق بها من علاقة الولادة بين الأبناء والآباء بنسبة أقرب لليقين **جعل الفقهاء المعاصرون يختلفون في تصنيفها كدليل يقوم بذاته أو قرينة تؤيد المعلوم من القواعد المعروفة** شرعا. **والخلاف** هو في اعتمادها في ثبوت النسب،أما اعتمادها في الأبحاث الجنائية فقد كان محل اتفاق بين الفقهاء كما اتفقوا على شروطها، لكن في ثبوت النسب لوحظ تباين في آرائهم واجتهاداتهم لا سيما فيما يتعلق بتكييف البصمة الوراثية مع قيام القواعد التي سار عليها الاجتهاد قديما وحديثا ،بين من اعتبرها قاعدة مستقلة ومن اكتفى بجعلها قرينة ،ومن قاسها على القيافة و ضيق بالتالي من مجال الأخذ بها في ثبوت النسب، فالمؤيدون لاستعمال البصمة في إثبات النسب مطلقا وذلك لإثبات العلم دقة صحتها وانتفاء الخطأ عنها، اللهم إلا ما كان سببه بشري يسهل الاحتياط فيه، ثم اتفاق الفقهاء على ثبوت النسب بالفراش مع استحالة القطع بإثباته لإحاطة العلاقة بالستر والخصوصية ولكن الفقهاء أقاموا المظنة مقام المئنة لقيام حالة الزوجية بالعقد كما ذهب الحنفية، أو بالدخول كما ذهب الجمهور. والبصمة الوراثية قطعية في إثبات الصفات الوراثية ومن ثم صحة البنوة والأبوة دون ما إخلال بسمة الستر التي تميز العلاقة الزوجية التي يأتي على إثرها الولد و دون ما تشكّك في ذمم الشهود أو المقرين أو القافة لأن الأمر يرجع إلى كشف آلي مطبوع مسجل عليه صورة واقعية حقيقية للصفات الوراثية للإنسان، والتي تتطابق في نصفها مع الأم الحقيقية، ونصفها الآخر مع الأب الطبيعي،و اعتبر هذا الرأي أن هذه أدلة ظنية وليست تعبدية حتى يتحرج من استعمالها في مقابل قطعية البصمة الوراثية في ثبوت النسب، إذ أن استعمالها ضرورة لا غنى عنه إلا إذا لم تتيسر الإمكانات لتعميم البصمة الوراثية فليس أمامنا بدّ من

---

[1] المرجع السابق ص ٦١٣ -٦١٤.

[2] يراجع هذه الأدلة بتفصيل في: النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته مرجع سابق ص ٣٣٦ -٣٤٢.

الاستمرار في تلك الوسائل الشرعية المعروفة. وصدق الله -تعالى - حيث يقول: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاء رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ" [سورة فصلت: الآيتان ٥٣، ٥٤]. وبناء عليه ذهب علماء من الأزهر نذكر منهم: الدكتور محمد رأفت عثمان عضو مجمع البحوث الإسلامية و الدكتور عبد المعطي بيومي عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر إلى أنها تيسر التحقق من نسب ولد الزنا و أن القول بأن: ماء الزنا هدر -أي ما ينتج عنه غير معترف به - فيه تجاهل لمصالح المسلمين، وما قام الشرع إلا لتحقيق هذه المصالح. وأكد الدكتور بيومي أن إثبات النسب بالبصمة الوراثية، لا سيما لولد الزنا سيؤدي إلى التقليل من جرائم الزنا؛ لأن الزاني إذا أدرك أنه سيتحمل عاقبة جريمته فسيفكر ألف مرة قبل ارتكاب الفاحشة، وكذلك الحال بالنسبة للمرأة. واتفق الدكتور محمد رأفت عثمان عضو المجمع البحوث الإسلامية. أيضا على ضرورة الأخذ بتحليل البصمة الوراثية لإثبات ولد الزنا لأبيه، إلا أنه يفرق بين حالة المرأة المتزوجة التي زنت، والمرأة غير المتزوجة.وأوضح أن طريقة إثبات الشرع للنسب تختلف عن نظرته لإقامة حد الزنا، ففي الأولى يتم إثباتها بأدنى دليل، أما في الحالة الثانية فيسقط الحد بوجود أي شبهة. وقال: إنه يجوز أن ينسب ولد الزنا من المرأة غير المتزوجة إلى الزاني، حيث قال بذلك مجموعة من كبار الفقهاء منهم ابن تيمية وابن القيم، أما إذا كان ولد الزنا من امرأة متزوجة فلا يجوز بإجماع العلماء أن يدعيه الزاني، ويطالب بإلحاق نسبه به للقاعدة التي بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي قوله الشريف: "الولد للفراش وللعاهر الحجر". وإعادة النظر في تنسيب ابن الزنا للفاعل بناء على تفسير حديث "الولد للفراش" على حقيقته وليس على مظنته، وقياسا على وطء ا لشبهة ، وعملا بتكملة الحديث "واحتجبي منه يا سودة" لما رأى الشبه بينا بعتبة بن أبى وقاص، ولعدم وجود دليل شرعي يمنع من هذا التنسيب الذى ذهب إليه بعض المالكية وبه قال الحسن وابن سيرين والنخعى وإسحاق وعروة وسليمان بن يسار كما ذهب إليه الحنفية بشرط الزواج منها إن كانت خلية (بدون زوج). ولأن أكثر الفقهاء يرخصون فى استلحاق مجهول النسب دون استفصال طالب الإلحاق شريطة أن يكون ذلك ممكنا عقلا. وأخذا بروح النص فى قوله تعالى :[ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيماً] الأحزاب الآية ٥ . حيث نفى الله الإثم لمصلحة الأطفال عند عدم تعمد الخطأ فى تنسيبهم، وإذا ما أخذنا بهذا التوجه نكون قد حققنا فوائد كثيرة[1]. وقد أحاطها الفقهاء بشروط زيادة في تمتين حقائقها وضبط نتائجها.

---

[1] منها :١ .الإستفادة بنعمة الله تعالى فى ظهور البصمة الوراثية كآية من آيات الله فى الإنسان ، التى تحقق الهوية الشخصية بصفاتها الذاتية والمرجعية.٢ .إنقاذ المتشردين من أطفال المسلمين وتقليل ظاهرة إلقاء المولودين على أعتاب المساجد أو بجوار صناديق القمامة.٣ .تحميل المتسبب مسئولية التربية والإنفاق إعمالا للقاعدة الشرعية " الغرم بالغنم ". وبناءا عليه فلا مانع من الأخذ بالبصمة الوراثية بدلا من "اللعان" لإثبات جريمة الزنا أو نفيها عن الزوجة لدى اتهام الزوج لها

الخاتمة:

وفي الأخير وبعد مقاربتنا للمصالح الثلاث (الولد والأبوين)التي يحرص الفقه الإسلامي على حفظها وصيانتها من خلال ثبوت الأنساب، لن نجد من خلال هذا الحرص والصيانة والتشوف للحوقها، إلا حرصه على ثبوت المبادئ والقيم والأخلاق الإسلامية السامية في نفوس أفراد المجتمع، وضمان الإستقرار لهذه النفوس في داخلها وفيما بينها، وتجنيبها التشرذم النفسي الذي ستعيشه إن عاشت جاهلة لأصلها ونسبها مما يؤكد أن النسب من المسائل المهمة التي حرصت أحكام الشريعة الإسلامية و الفقهاء في اجتهادهم على صونها وحمايتها فأثبتته بكل دليل وتشددت في نفيه فلا ينتفي إلا بأقواها وهواللعان وما يقوم مقامه كالبصمة الوراثية، ولأن الإسلام شريعة صالح لكل زمان ومكان كانت الاستفادة من كل ما تجد به التطورات العلمية في حفظ مقصد النسب ثبوتا ونفيا له دلالته على ريادة الفقه الإسلامي والعاملين عليه في رعاية النسب والمبادرة بالأخذ بالاكتشافات العلمية، شريطة التزام الضوابط والمعايير الموافقة لمقاصد الشريعة في الأحكام التي وضعها الفقهاء المعاصرون عبر مجامعهم الفقهية وروابطهم العلمية أو الكتاب والباحثون عبر إنتاجاهم المعرفي، ومن هنا فقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

١ – أن نظرة الشرع للنسب تختلف عن نظرته لإقامة الحد فالشرع يثبت النسب لأدنى ملابسة، وهو يتشوف لذلك، أما الحد فإن الشرع يسقطه لوجود أي شبهة، وكذلك في الحقوق يجب البحث عن الإثبات، وفي الحدود يجب البحث عن الإسقاط. هذا والله نسأل لهذا المؤتمر النجاح والسداد والتوفيق إلى الرشاد.

٢ –الأصل في ثبوت النسب في الشريعة الإسلامية هو كون المولود نشأ من اتصال جنسي بين الرجل والمرأة تحت مظلة الزواج، وأي علاقة جنسية خارج هذه المظلة يترتب عليه لحوق النسب لكون المولود ولدا لصاحب الماء وولدا للمرأة شرعا؛ لأن النسب له حقيقة واحدة لا يختلف باختلاف المرأة والرجل أوالمسلم والكافر، فكل مولود يلده الإنسان فهو ابنه شرعا ولغة وطباً وهذا أصل يقاس عليه كل علاقة جنسية محرمة بين الرجل والمرأة أو أي ممارسة طبية لوسائل محرمة للإنجاب، فإذا نتج عن تلك العلاقة أو الممارسة أولادا وثبت لدينا مصدرهم فقد تحقق مناط الانتساب فيثبت لذلك نسبهم لآبائهم.

٣ –الوطء بشبهة النكاح على اختلاف أنواع الشبهات التي ذكرها الفقهاء يعود في جملته إلى اختلال شرط من شروط صحة النكاح وهذا يجعله من قبيل النكاح الفاسد

وعدم اعترافه بالأبناء .يقول د .بيومي في : "إن الأخذ بالوسائل العلمية –خاصة تحليل الـDNA بوصفها شهادة –قاطع للنزاع ومنصف للأبناء، ومحقق لمصلحتهم، وواضع للعدالة موضعها الصحيح –حيث يردع المتطاولين على الشرف –وحفظ الأنساب"، مؤكدا أن الأخذ بهذا التحليل أمر ضروري لأن "الأيمان التي يحلف بها الزوجان في اللعان كانت رادعة للناس في عصور كان الخوف فيها من الله يردع الناس عن ارتكاب المظالم وظلم النساء والأولاد، أما اليوم أصبح لا يعبأ الكثيرون بحدود الله ولا بالأيمان الغموس".

٤ - ينسب ولد الزنا إلى أبيه الزاني ما لم ينازعه فيه صاحب فراش صحيح لعدم معارضة القول بهذا للنصوص الشرعية فضلا عن انطوائه على مصالح حفظ النفس والنسب وحفظا له من الضياع والانحراف والنقمة على المجتمع.

٥ - أن أدلة إثبات النسب أدلة معللة وليست تعبدية واستفادتنا من الوسائل العلمية والطبية في مجال إثبات النسب لا يعد خروجا عن النصوص بل دائر في فلك تلك النصوص ومستنداً لها.

٦ - البصمة الوراثية بعد ثبوت حقيقتها العلمية تعد دليلا قاطعا على تحديد الأبوة.

والله الهادي إلى سواء السبيل ...

الوصايا العشر في سورة الأنعام - دراسة موضوعية

د. عبده محمد علي سَحلول

أستاذ التفسير المساعد بقسم الدراسات

الإسلامية وعميد كلية التربية – جامعة حجة

10

الملخص

لقد هدف البحث إلى استنباط ما اشتملت عليه تلك الوصايا من مَعانٍ وأحكام، وتوجيهات تربوية، وربط ذلك بالواقع المعاش للكشف عن بعض مظاهر الانحراف العَقَدي والاجتماعي والاقتصادي وغيرها، التي بَرَزَتْ اليوم في كثير من المجتمعات، فتلك الوصايا – على وجازتها – تشتمل على مقاصد الشريعة الإسلامية التي هي العناصر المكونة لحقوق الإنسان والتي بها تتحقق الحياة الكريمة للإنسان، وصيانة حقوقه، وفي مقدمتها الضروريات الخمس المتمثلة في حماية الدِّين، والنفس، والعِرْض، والمال، والعقل، وما يتفرَّع عنها، مع ما احتوت عليه تلك الوصايا الخالدة من ضمانات ومُحَفِّزَات تُرَغِّب في التزامها، كَوْنها وصِيَّة الله ومنهجه القويم وصراطه المستقيم. وقد اعتمد الباحث المنهج العلميّ القائم على الاستقراء والتّحليل والاستنتاج.

وخلص البحث إلى العديد من النتائج والتوصيات، ومنها:

- أن هذه الوصايا تشتمل على مقاصد الشريعة الإسلامية التي هي العناصر المكونة لحقوق الإنسان، وهذه الحقوق التي جاء بها الإسلام تتصف بالثبات والشمول، ولا إفراط فيها ولا تفريط.
- الإحسان يُمَثِّلُ مع العدل جوهر العلاقة السليمة بين الأفراد والمجتمعات والدول وبهما تستقيم الحياة، وتُحفَظ الحقوق، وتُصَان الأعراض، ويسود الأمن، وذلك لا يكون إلا إذا صلحت العقيدة.
- حكمة وعظمة التشريع الاسلامي وواقعيته وملائمته للفطرة، في نهيه عن اقتراب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وذلك حفاظا على الفرد من الأمراض الفتاكة، وإحاطة الأسرة والمجتمع بسياج منيع من العفة والطهارة.
- الوحدة الإسلامية واجب شرعي وضرورة مصيرية، ولن تقوم للمسلمين قائمة إلا إذا اتحدوا، وواقع المسلمين اليوم يشهد بذلك.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،،، أما بعد:

فإن القرآن الكريم دستور الوجود، ومنهاج الحياة، معجز في بلاغة أسلوبه، وسمو معانيه، وجوامع كلمه، وفيما تضمّن من تشريعات حكيمة، ومثُل وقيم عليا تتفق مع الطبائع السوية للبشر في كل زمان ومكان تكميلا لفطرتهم، وصلاحا لأحوالهم، وضمانا لأمنهم وسعادتهم، ولقد جاءت بعض آيات القرآن مجسدة لذلك المنهج الشامل، حيث اشتملت على المقاصد العامة التي عليها مدار التشريع في الإسلام، ومنها الآيات الثلاث من آخر سورة الأنعام المتضمنة للوصايا العشر موضوع البحث، ونظيراتها في سورة الإسراء.

أهداف البحث:

لقد هدف البحث في الوصايا العشر في سورة الأنعام إلى:

- بيان عظمة التشريع الإسلامي وواقعيته واعتداله، وملاءمته للفطرة السليمة، وشموله لكل مناحي الحياة، في المحافظة على حقوق الإنسان، وعلاج بعض مظاهر الانحراف العقدي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيرها، التي برزت اليوم في كثير من المجتمعات، نتيجة لمخالفة أوامر الله ونواهيه.
- بيان أثر إهمال الجانب الأخلاقي في التشريعات الوضعية في العجز عن الحد من الجريمة، وانتهاك حقوق الإنسان.
- اثبات حاجة البشرية إلى منهج رباني قويم يضبط العلاقات الإنسانية، ويصون الحقوق والحريات، ويحقق الأمن والاستقرار.

أهمية البحث وسبب اختياره:

تنبع أهمية البحث من ارتباطه بكتاب الله تعالى، ومن اشتمال الآيات موضوع البحث على علاج رباني قويم لأهم القضايا والمشاكل التي يعاني منها العالم اليوم، بما رسمته من منهج متكامل يحدد طبيعة العلاقات الإنسانية، ويحمي الحقوق والحريات، ويحقق الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة، ويمكن إجمال أهم أسباب اختيار هذا البحث فيما يأتي:

- ما يعانيه العالم اليوم من صراعات وأزمات سياسية واجتماعية واقتصادية وتربوية، وما يشهده من حروب وفتن أهلكت الحرث والنسل، وعم الخراب والدمار، وانعدم الأمن والاستقرار.
- واقع الأمة الإسلامية اليوم وما تعانيه من ضعف وهوان وتمزق وانقسام، وجهل وتبعية، وتناحر واقتتال، وعصبية مذهبية وطائفية وحزبية مقيتة.

– انتشار الفواحش بكل أشكالها وصورها، واشاعتها والترويج لها، والسعي الحثيث إلى سن القوانين والتشريعات الوضعية الكفيلة بعولمة الرذيلة وحماية مرتكبيها.

–انتشار عقوق الوالدين، والمتاجرة بالأطفال، وغلاء المهور، والقتل والثأر، والظلم وغياب العدل، ونقض العهود والمواثيق، وغيرها من القضايا نتيجة لتهاون المسلمين وفي مقدمتهم العلماء والمرَبِّين والدعاة في القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الوجه المطلوب.

– الحملة العدائية للإسلام وأهله التي تزداد ضراوة يوما بعد يوم، حيث أخذ أعداء الإسلام اليوم يكيدون للإسلام وأهله في السر والعلن، ويحاربون المسلمين – بكل الوسائل – في عقيدتهم وثقافتهم وأخلاقهم وأنماط حياتهم، وفي وحدتهم وأمنهم واستقرارهم.

– حاجة المسلين بل البشرية جمعاء إلى منهج قويم يضبط العلاقات الإنسانية على أساس العدل والوفاء، ويحمي الحقوق والحريات وفي مقدمتها حق الحياة والعيش الكريم في وطن آمن مستقر. ولن تجد البشرية أفضل ولا أكمل ولا أعدل من منهج القرآن ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

ولقد استوقفتني كثيرا هذه الوصايا العشر التي تضمَّنَتها الآيات الثلاث من سورة الأنعام والمذكورة في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥١ –١٥٣] ونظيراتها في سورة الإسراء[1]

حيث وجدت فيها علاجا لكثير من المشاكل التي يعاني منها العالم الإسلامي اليوم، بل التي يعاني منها العالم أجمع، فقد اشتملَتْ هذه الوصايا العشر على المقاصد العامة التي عليها مدار التشريع في الإسلام، والتي أَجْمَعَتْ عليها كلُّ الشرائع السماوية، والمتمثلة في حفظ الضروريات الخمس ؛ (الدِّين، والنفس، والعقل، والعِرْض، والمال) وما يتفرع عنها من حقوق، والتي تُعَد العناصر الأساسية المكونة لحقوق الإنسان التي بها تتحقق الحياة الكريمة في الدنيا والنجاة في الآخرة، قال الشاطبي: (إن تكاليف الشريعة وُضعت لتحقيق مقاصد الشارع في قيام مصالح الناس في الدين والدنيا معا، ورُوعي في كل حُكم منها: إما حفظ شيء من الضروريات الخمس؛ "الدِّينُ، والنفس،

(١) إشارة إلى ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً﴾ [الآيات من ٢٣ ألى ٣٩]

والعقل، والنسل، والمال"، التي هي أسس العمران المَرعيّة في كل مِلَّة، والتي لولاها لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، ولفاتت النجاة في الآخرة..) [1] .

منهجية البحث:

لقد اعتمدت في دراسة هذه الوصايا على المنهج العلمي القائم على الاستقراء والتحليل والاستنتاج، وذلك باستقراء معاني هذه الوصايا من كتب التفسير وغيرها من الكتب ذات العلاقة، ثم تحليلها وبيان واستنتاج ما اشتملت عليه كل وصية من دلالات وأحكام وتوجيهات تربوية، مستشهدا على تلك المعاني والدلالات بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة حول الموضوع، مع عَزْو الأقوال إلى قائليها، والنصوص المقتبَسة إلى مَصادرها، وذاكرًا البيانات المتعلقة بكل مصدر عند أول ورود له في الهامش، مع تخريج الأحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة والتابعين، مكتفيا بإيجاز ما قاله العلماء القدامى أو المحدثين في بيان درجة تلك الأحاديث والآثار إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما، واجتهدت -ما أمكن- في ربط موضوع هذه الوصايا بالواقع المعاش للكشف عن لبيان منهج الله القائم على الهدى والقِسْط في علاج كثير من المشاكل والأدواء العقدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية التي يعاني منها العالَم اليوم .

خطة البحث:

لقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه بعد المقدمة إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة: وفي التمهيد عرفت بسورة الأنعام وأشرت إلى بعض خصائصها، كما بينت معنى الوصايا لغة واصطلاحا، وأهمية هذه الوصايا ومناسبتها مع موضوع السورة وأهدافها، وجاء المبحث الأول بعنوان: الوصايا التي بها إصلاح الحالة العقائدية والاجتماعية العامة بين الناس، واشتمل على الوصايا الخمس الأولى، المتمثلة في: النهي عن الشرك، والأمر بالإحسان إلى الوالدين، والنهي عن: قتل الأولاد من إملاق، وعن الاقتراب من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وعن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق. وجاء المبحث الثاني بعنوان: الوصايا التي بها حفظ نظام التعامل بين الناس، واشتمل على الوصايا الخمس الأخيرة، المتمثلة في: النهي عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، والأمر بـ: ايفاء الكيل والوزن بالقسط، والعدل في الأقوال والأفعال، وإيفاء العهد، واتِّباع صراط الله المستقيم. وفي الخاتمة سطرت أهم النتائج والتوصيات والفوائد.

فإن أصبت فبتوفيق الله وفضله، وإن قصّرت أو أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(1) الموافقات في أصول الشريعة، ٥/١، "بتصرف يسير" ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

تمهيد:

أ – تعريف موجز بسورة الأنعام:

سورة الأنعام إحدى السُّوَر السبع الطوال[1] ، وآياتها مائة وخمس وستون آية، وهي مكية في قول الأكثرين، عدا آيات قلائل منها نزلت بالمدينة، قيل: ثلاث آيات، وقيل: غير ذلك[2].

وقد سُمِّيَتْ سورة الأنعام بهذا الاسم لورود ذِكر الأنعام وتفصيل أحوالها، وجهالات المشركين فيها[3].

وهذه السورة هي أَجْمَع سُوَر القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، وأَشَدَّها مُقارَعة لهم واحتجاجا على سفاهة أحوالهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إذا سَرَّك أنْ تَعلَم جَهْل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام:١٤٠])[4] وقد نزلت سورة الأنعام جملة واحدة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((نزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة يُشيّعها سبعون ألف مَلَك، لهم زجل (صوت رفيع عال) بالتسبيح والتحميد)) [5] ومع طول هذه السورة إلا أنَّ وحدتها الموضوعية – المتمثلة في بيان وتقرير عقيدة التوحيد – تَبْرُز بوضوح لكل من تَدَبَّر معانيها، حيث حَظِيَتْ قضايا العقيدة بالنصيب الأوفر من آياتها، وتنوعت الأساليب في عرضها وتقريرها.

– معنى الوصايا العشر:

– الوصايا لغة: جمع وَصِيَّة، و(وَصَّى) و(أوصى) بمعنى، والاسم: "الوِصَايَةُ" بفتح الواو وكسرها. والوصي: من يوصى له، ومن يقوم على شؤون الصغير. وتَوَاصَى القوم: أوصى بعضهم بعضا. والوصية: العهد أو الأمر المؤكد، ولفظ الوصيّة مشترك بين التذكير والاستعطاف وبين الأمر، فيتعين حمله على الأمر، ويقوم مقامه كل لفظ فيه معنى الأمر.

---

(١) السُّوَر السبع الطوال: هن في قول ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وغيرهم: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع براءة لأنهما في حكم سورة ، ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية. أنظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي ٣/ ٣٧٠، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: (سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة فهي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة ﴿قل تعالوا أتل ...﴾ إلى تمام الآيات الثلاث). الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي١/٣٦، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م . وانظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي ١/ ١٩٩ – ٢٠٠ ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ.

(٣) اقرأ الآيات من ١٣٦ إلى ١٤٦.

(٤) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري: كتاب المناقب، باب قصة زمزم وجهل العرب٣/١٢٩٧ رقم ٣٣٣٤، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٥) مجمع الزوائد، للهيثمي ٧/٨٦ ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير، وفيه يوسف بن عطية الصفار، وهو ضعيف. وأخرجه ابن المنذر والطبراني وابن مردويه موقوفا على ابن عباس. أنظر الدر المنثور، للسيوطي ٣/٢٤٣ – ٢٤٤، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م .

- والوصية شرعا: العهد، أو الأمر المؤكد المقرَّر، ومنه قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ .. ﴾ [النساء:١١] أي: يأمركم ويفْرض عليكم، لأن الوصية من الله فرض، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام:١٥١] [1] . وقد أطلق العلماء على هذه الآيات الكريمة اسم " الوصايا العشر " نظرا لتذييل آياتها الثلاث بقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾، وحددت الوصايا بـ (العَشْر) لأن الآيات الثلاث تضمنت عشر قضايا كلّية (وصايا) مأمور بها أو منهي عنها، تمثل المقاصد العامة التي عليها مدار التشريع في الإسلام، والتي تعد أساس حقوق الإنسان، ولعل هذا هو السبب الذي جعل بعضهم يطلق عليها وعلى نظيراتها من سورة الإسراء بآيات الحقوق.

أهمية هذه الوصايا وفضلها:

إن المتأمل في هذه الآيات الثلاث وما اشتملت عليه من وصايا يجدها قد بينت للإنسان علاقته بربه القائمة على التوحيد والعبودية الخالصة، وعلاقته بأسرته القائمة على البر والإحسان والعطف والحنان، وعلاقته بمجتمعه القائمة على حفظ الأنفس والأموال والأعراض، مع تحري العدل والوفاء بالعهود والمواثيق، واتباع شرع الله القويم وصراطه المستقيم، وقد وردت روايات وآثار تبين أهمية وفضل هذه الآيات الثلاث وما تضمّنته من وصايا، ومن ذلك: قول النبي ﷺ لأصحابه: ((أيكم يبايعني على ثلاث؟ ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾ حتى فَرَغ من الآيات، ثم قال: فمَن وَفَّى فأَجْره على الله، ومن انتقص منهن شيئا فأدركه الله به في الدنيا كانت عقوبته، ومَن أخَّرَه إلى الآخرة فأمْرُه إلى الله إنْ شاء عذَّبه وإن شاء عَفَا عنه)) [2].

وقال ابن مسعود ﵁: (مَن سَرَّه أنْ ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم محمد ﷺ فليقرأ هؤلاء الآيات ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾)[3] فقوله: "التي عليها خاتم..." يعني: التي كانت من آخر ما وصّى به، وهذا من ابن مسعود للدّلالة على عِظم شأن هذه الآيات.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (هذه الآيات هي المُحْكَمات المذكورة في آل عمران اجْتَمَعَتْ عليها شرائع الخَلْق، ولم تُنْسَخ قَطّ في مِلَّة)[4].

---

(١) أنظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (وصى)، دار صادر، بيروت، ط١، والمحرر الوجيز ٤٩٣/٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم ٣٤٨/٢ رقم ٣١٩٨، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٣) سنن الترمذي: كتاب التفسير ٢٦٤/٥ رقم ٣٠٧٠ ، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن الثعالبي ٥٦٧/١، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٤٧/٢ رقم ٣٢٣٨، بلفظ (إن في الأنعام آيات محكمات هن أم الكتاب ثم قرأ ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم...﴾ الآية، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وأورد الواحدي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧] ثم قال: (وهن الثلاث الآيات في آخر سورة الأنعام ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ...﴾ إلى آخر الآيات الثلاث، هُنَّ أُمُّ كُلّ كتاب أنزله الله تعالى على كلّ نبي، فيهن كُلُّ ما أَحَلَّ وحَرَّم، ومعناه: أنَّهُنَّ أصل الكتاب الذي يُعْمَل عليه)[1].

وروى الطبري أنَّ كعب الأحبار سَمِعَ رَجُلا يقرأ ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾ فقال: والذي نفس كَعْب بيَدِه إنها لأوَّل شيء في التوراة، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾ [2]. وأورد الشوكاني نحوه من رواية أبي الشيخ عن كعب، ثم قال الشوكاني: هي الوصايا العشر التي في التوراة ...، -وذَكَر تلك الوصايا - ثم قال: ولِلْيَهودِ بهذه الوصايا عناية عظيمة، وقد كَتَبَها أَهْلُ الزَّبور في آخِر زبورهم، وأَهْلُ الإنجيل في أَوَّل إنجيلهم، وهى مكتوبة في لَوحَيْن، وقد تركنا منها ما يتعلق بالسبت[3].

مناسبة الآيات لأهداف السورة وموضوعاتها:

بعد أنْ بَيَّن الله تعالى المُحَرَّمات من المطعومات رَدًّا على المشركين الذين حَرَّموا على أنفسهم ما لم يُحَرِّمه الله عليهم، اتباعاً لأهوائهم، وواجههم قبل هذه الآيات بقوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٠]، أَرْدَفه ببيان أصول المحرَّمات المعنوية (الأدبية) والمادية قولاً وفعلاً، فقال سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ...﴾ والمناسبة لهذا الانتقال ظاهرة فالمقام مقام تعليم وإرشاد، أيْ: قل يا محمد لِكلِّ الناس - ومنهم هؤلاء المشركون الذين عبَدوا غير الله، وحَرَّموا ما رزقهم الله، وقَتَلوا أولادهم، وحرَّموا وحلَّلوا لأنفُسهم بأهوائهم ووسوسة الشيطان لهم -: هَلُمُّوا وأَقْبِلوا أقرأ وأَقُصُّ عليكم وأخبركم بما حَرَّم ربكم حقاً وفعلاً ووَحْياً وأمراً من عنده، لا تَخَرُّصاً وظَنًّا، فَلِلَّه وحْدَه حَقُّ التشريع والتحريم، وأنا رسوله المُبَلِّغ عنه ما أَنْزَل[4] .ولقد تضمنت هذه الآيات المُحْكَمات وجوها من الإعجاز المتمثل في بديع النَّظم، وبلاغة الأسلوب، وسُمُو المعاني، ما حَيَّر أرباب الفصاحة وفرسان البيان من اللغويين والنحويين والمفسرين، فتباينت أقوالهم، وتعددت

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي١/١٩٩، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق. بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) جامع البيان، لابن جرير الطبري١٢/٢٢٧، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. وقال شاكر: هذا خبر إسناده صحيح إلى كعب الأحبار.

(٣) فتح القدير، للشوكاني ٢ /١٧٨ – ١٧٩ (باختصار)، تحقيق: علي محمد عمر، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٦هـ. وانظر: الأساس في التفسير، لسعيد حوى ٣/١٧٩٥، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

(٤) التفسير المنير، للدكتور وهبه الزحيلي٧/٩٣ -٩٤، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م؛ وانظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور١/١٤٥٧ نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة.

تأويلاتهم بتقدير الحذف والإضافة، والتقديم والتأخير بغَرَض توجيه الآيات الكريمة توجيها يستقيم على فِهْم يُوَفِّق بين أُمُور تبدو في ظاهر النَّظم متعارضة إنْ هِيَ جَرَتْ على قواعد اللغة والنحو، ومنها:

أولاً: الجمع بين التحريم وبين النهي عن الشرك في قوله تعالى: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ثم وقوع هذا التحريم على النهي عن الشِّرْك ﴿أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾ وإذا أخذنا بظاهر النظم فإن المعنى المتبادَر أنَّ الذي حرَّمَه ربكم عليكم هو أنْ تتركوا الشِّرْك؛ وكلام الله تعالى مُنَزَّهٌ عن هذا المعنى، وكذلك الحال بالنسبة لبقية الوصايا الواردة هنا بصيغة النهي.

ثانياً: مما وَقَعَ تحت حُكم التحريم أُمُور واجبة شرعاً، يُرَغِّبُ الإسلام فيها، ويدعو إليها، وقد جاءت بصيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ﴾ وهذه الأشياء المأمورُ بها في آيات كثيرة من كتاب الله، تبدو هنا في ظاهر النَّظْم كأنها دعوة إلى ترك هذه الواجبات وإلْباسِها لِباسُ المُحَرَّمات، وهذا المعنى لا يستقيم أَبَدًا مع مراد الله سبحانه وتعالى، وقد اكتفيت بذكر أهم المصادر التي فَصَّلَتْ في توجيه الآيات في الحاشية خشية الإطالة[1].

المبحث الأول: الوصايا التي بها إصلاح الحالة العقائدية والاجتماعية العامة بين الناس

ويتضمن الوصايا الخمس الأولى المتمثلة في: النهي عن الشرك، والأمر بالإحسان إلى الوالدين، والنهي عن: قتل الأولاد من إملاق، وعن الاقتراب من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وعن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

الوصية الأولى: ﴿أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾

بدأ سبحانه وتعالى هذه الوصايا الجامعة بالنهي عن أكبر المُحَرَّمات وأَفْظَعها وأَشَدّها إفسادا للعقل والفطرة، ولِلقِيَم والمبادئ، وللمجتمَع والحياة، وهو الشرك[2] بالله تعالى بكل أشكاله وصوره، ﴿أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾

---

(١) أنظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب ٣٤١/٢ – ٣٤٢، دار الفكر العربي. وحول هذا الموضوع ينظر: تفسير الطبري ٢١٥/١٢ – ٢١٦، وزاد المسير، لابن الجوزي ١٤٧/٣، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود العمادي ١٩٨/٣، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨ه، والدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي ١٨٠١/١ وما بعدها، نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

(٢) الشرك في اللغة يأتي على معان عدة، منها: الاقتران والمماثلة، وتسوية الشيء بغيره، والكفر.أما في الاصطلاح فينقسم الشرك إلى قسمين؛ شرك أكبر، وشرك أصغر، فالشرك الأكبر: هو أن يُجعَل لله نِدًّا أو شريكاً في ربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته، بحيث يُصرَف لغيره ما هو من خصوصياته – سبحانه – على وجه الاشتراك أو التَّفَرُّد؛ وهذا النوع من الشرك يخرج صاحبه من المِلَّة، ويوجب له النار إن كان عالِمًا به، ومات مُصِرًّا عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]وأما الشرك الأصغر: فهو ما يتنافى مع كمال التوحيد، ويشمل: كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه، سواء كان في الأدوات، أو الأقوال، أو الأفعال، ولكنه لا يخرج من المِلَّة، وإنَّما يُحبِط الأعمال، ويُبْطِل ثوابها، لذا فإنَّ صاحِبَه على خَطَر عظيم إنْ لَم يُخْلِص نِيَّتَه، ويحاسِب نفسه، ويُقَيِّم أفعاله وأقواله واعتقاداته. أنظر: (الشرك بالله تعالى أنواعه وأحكامه، لماجد محمد علي شباله "رسالة ماجستير غير منشورة" ص:١٤ –١٥وص: ٥٩١، جامعة صنعاء، كلية الآداب، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) . أما أسباب

وذلك لأنه يقود إلى كل منكَر ومُحرّم، ومن لوازم النهي عن الشرك إفرادُه تعالى بالتوحيد والعبودية الخالصة، بما شَرَعه على لسان رسوله ﷺ، لا بأهواء البشر، وهذه هي الغاية التي خلق اللهُ الجن والإنس لأجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وهي القضية الكبرى لهذا الدين، والقاعدة الأساس التي يرتبط على أساسها الفرد بالله على بصيرة، وتُستَمَدُّ منها الحقوق والواجبات، ولذا فقد شاءت حكمة الله تعالى أن تتصدر دعوة جميع الأنبياء والرسل – عليهم السلام – قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وأن يبقى النبي ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاما يدعو إلى تقرير هذه القضية الكبرى (لا إله إلا الله، ولا معبود بحق سواه) التي جاءت السور المكية – ومنها سورة الأنعام – لبيانها وترسيخها، فلما استوفت حقها من الإيضاح والبيان، واستقرت في القلوب والأذهان، نزلت الفرائض والأحكام، لأن الإقرار والتصديق بهذه الكلمة سيبنى عليه القيام بحقوقها من امتثال الأوامر والنواهي الإلهية والقيام بتطبيق شرائع الإسلام في مختلف مناحي الحياة، قال ابن القيم: (والتصديق بلا إله إلا الله يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها وهي شرائع الإسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة، والتصديق بجميع أخباره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.. فالمصدق بها على الحقيقة هو الذي يأتي بذلك كله، وكذلك لم تحصل عصمة المال والدم على الإطلاق إلا بها وبالقيام بحقها، وكذلك النجاة من العذاب على الإطلاق لم تحصل إلا بها وبحقها) (١) والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن قضية التوحيد قد شغلت حيزا واسعا منه، وأنه اهتم بتوحيد الإلوهية أكثر من اهتمامه بتوحيد الربوبية، لأن الاعتراف بربوبيته تعالى أمر فطري في الإنسان العاقل السالم من هوى أو شبهة، وشهادة الحق قائمة بذلك من لَدُن الخَلْق الأول، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، إلا أن المؤثرات البيئية المحيطة بالإنسان – ولا سيما في مراحل حياته الأولى – تؤثر على تلك الفطرة السليمة وتحدد مسارها، يؤيد هذا قوله ﷺ: ((كُلُّ إِنْسَانٍ تَلِدُهُ أُمُّهُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَأَبَوَاهُ بَعْدُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، فَإِنْ كَانَا مُسْلِمَيْنِ فَمُسْلِمٌ))[٢] وفي الحديث القدسي يقول النبي ﷺ: ((أَلاَ إِنَّ رَبِّى أَمَرَنِى أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِى يَوْمِى هَذَا..)) إلى قوله حاكيا عن الله تعالى: ((وَإِنِّى خَلَقْتُ عِبَادِى حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ

الشرك فكثيرة ومتنوعة، منها: الجهل، والكِبْر، واتباع الهوى، وتزيين الشيطان، وطاعة السادة والزعماء، وتقليد الآباء، والجمود على الإِلْف والعُرْف، وغيرها.

(١) التبيان في أقسام القرآن، لمحمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ص: ٣٦ ، دار الفكر .

(٢) صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج، كتاب البر والصلة والآداب، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٥٣/٨ رقم ٦٩٣٢ ، دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة، بيروت .

يُشْرِكُوا بِى مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا)) [1] فكل إنسان يولد على الفطرة التي تهديه إلى الإقرار بأن الله هو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير والتصرف في الكون، وهذا هو توحيد الربوبيَّة الذي يستلزم توحيد الإلوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ولهذا خاطب الله العباد بذلك خطاب من استقر في عقولهم وفِطَرهم حُسْنُ التوحيد ووجوبه، وقُبْحُ الشّرك وذمِّه، فقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم:٣٠] وتنوعت أساليب القرآن العظيم في الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته – جلَّ وعلا – على وجوب توحيده في عبادته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ. أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ. أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ. أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٠ – ٦٤] ففي كلِّ آية من هذه الآيات الخمس يقول عقب تقرير توحيد الربوبيَّة: (أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ) والمعنى أنَّ مَن تفرَّد بالخَلْق والإيجاد وغيرها من أفعال الله يَجب أن يُخصَّ بالعبادة وحده [2].

وإذا أَمْعَنَّا النظر في هذه السورة وَجَدنا أنَّ مناسَبة هذه الوصية وارتباطها بأهداف السورة ومَحاورها وموضوعاتِها واضحة جَلِيَّة، فقد بيَّن الله تعالى أحوال المشركين وطوائفهم في هذه السورة أحسن بيان؛ فطائفة مِنهم عبدوا الأصنام، وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية:٧٤].

والطائفة الثانية مِن المُشركين عبدوا الكواكب والشمس والقمر، فحاجَّهم إبراهيم عليه السلام، ﴿.. فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآيات:٧٦–٨١]

والطائفة الثالثة مِنهم الذين حكى الله عنهم أنهم ﴿جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ﴾ [الآية:١٠٠]

والطائفة الرابعة مِنهم الذين جعلوا لله بَنِين وبنات – تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا – وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الآية: ١٠٠]

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب الصِّفَاتِ الَّتِى يُعْرَفُ بِهَا فِى الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّار ١٥٨/٨ رقم ٧٣٨٦ .

(٢) أنظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي ٢٧/١٨ -٣١ (بتصرف يسير)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، وشرح تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، لعبد المحسن بن حمد البدر ص: ٧ -١١ (نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني).

والطائفة الخامسة مِنهم الذين زعموا أنَّ شِركَهم وتحريمَهم لِمَا حَرَّموا إنَّما وَقَع بمشيئة الله، لأنه راضٍ عنه، وقد ذَكَر الله تعالى مقالتهم، وبَيَّن بطلان زعمهم بقوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم...﴾ [الآية: ١٤٨].

فلمَّا بَيَّن بالدليل فساد معتقدات تلك الطوائف وزَيْف ادعاءاتهم وبُطْلان حُجَجهم الواهية، أَعْقَبَه ههنا بالنهي عن الشرك بكل أنواعه وأشكاله وصوَرِه فقال: ﴿أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾ (١).

وإن المتأمل في واقع الناس اليوم يجد أن بعض المظاهر الشركية قد انتشرت؛ كالسحر والتنجيم، وما عند كثير من العوام من معتقدٍ فاسد في نفع وضر أصحاب القبور، بحيث لا تجدُ بلدةً من بلاد الإسلام إلاَّ وفيها قبور ومشاهد، يعظِّمونها، ويقدمون النذور والقرابين لها، ويحلفون بأسماء أصحابها، ويتوسلون بهم، ويستغيثون بهم عند الشدائد، وقد أجاد ابن الأمير الصنعاني في وصف من هذا حالهم بقوله:

عادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وود، بئس ذلك من وُدّ

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصَّمد الفرد

وهذه الأفعال ونحوها هي التي بعث اللهُ الرسلَ لإزالتها ومَحوِها والنهي عنها (٢) .

وقد ساعد على انتشار هذه المظاهر عوامل كثيرة منها: الجهل بأحكام الشرع، وتخصيص قنوات لتعليم السحر، وكذا وسائل وأساليب التغريب والغزو الفكري التي استحدثها أعداء الإسلام، لتشويه عقيدة المسلمين، يؤيد هذا ما قاله القس "زويمر" في مؤتمر المبشرين الذي عُقِد في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر في القدس: (إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً ما أراد له الاستعمار..) (٣).

لذا يجب على العلماء والمربين والدعاة أن يعملوا على كشف أَبعاد مؤامرات أعداء الإسلام وأساليبهم في الكيد للإسلام وأهله، وأن يكثفوا الجهود في توعية وتحصين الأمة – ولا سيما الشباب عماد الأمة ودرعها الواقي – بترسيخ مفهوم العقيدة الصحيحة، والعلم النافع، مستفيدين من وسائل الاتصال والتواصل والتوجيه والاعلام، وجعلها أداة بناء بدلا من أن يجعلها أعداء الإسلام أداة هدم.

وفي افتتاح هذه الوصايا بالتوحيد في صريح البراءة من الشرك إشارة إلى أَنَّ التَّخَلِّي عن الرذائل قَبْل التَّحَلِّي بالفضائل، وهذا منهج تربوي فريد يجب على الآباء والمُرَبين والدعاة الاستفادة منه في التربية والتعليم والدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) أنظر: التفسير الكبير، للرازي ١٣/١٧٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

(٢) أنظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، لمحمد بن الأمير الصنعاني، تقديم وتخريج وتعليق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر ص: ٦٢ (نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني).

(٣) المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى، لعلي بن نايف الشحود ١٣/١٧، نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة.

الوصية الثانية: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ أي: وأحسنوا بالوالدين إحسانا، وهذا أمر صريح للأبناء بوجوب الإحسان إلى الوالدين إحسانا مطلقا يشمل كل أنواع البر من الأقوال والأفعال، إحسانا لا يشوبه تقصير أو تثاقل، ولا يخالطه غلظة أو تضجر. وذلك ببذل الجهد في رعايتهما والعناية بهما، وإدخالُ السرورِ عليهما، وطاعتُهما في كل ما يأمران به أو ينهيان عنه، مما ليس فيه معصية لله تعالى، مع الرفق والرحمة، ولقد ضرب لنا إسماعيل عليه السلام أروع الأمثلة في الطاعة والإحسان، حيث وَصَلَ بِرَّه لأَبِيْه إلى حَدِّ التضحية بالنفس، والإقبال على الموت بنفس مُطْمَئِنَّة، وذلك حينما ذكر إبراهيم عليه السلام لابنه رؤياه فقال: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ فماذا قال إسماعيل عليه السلام البار بأبيه، الممتثل لأَمْرِ رَبِّه؟ ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢] [١].

وإنه لأمر عظيم أن تأتي هذه الوصية عَقِبَ النهي عن الشرك به تعالى، وفي هذا ما فيه من تعظيم حق الوالدَين وسمو منزلتهما، والتأكيد على أنَّ أَوَّلَ الحقوق وآكَدَها بعد توحيد الله تعالى هو حق الوالدين في البر والإحسان الذي جاء مقرونا بعبادة الله وتوحيده وشكره في الكثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [النساء:٣٦] وقوله عز وجل: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً..﴾ [الإسراء:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، وقرن الحبيب المصطفى ﷺ رضاهما برضا الله وسخطهما بسخطه فقال: ((رضا الله في رضا الوالدين، وسَخَط الله في سَخَط الوالدين)) [٢].

بر الوالدين مقدم على الفروض الكفائية:

ولعظم حق الوالدين فقد جعل الله برّهما مُقدَّما على الفروض الكفائية؛ كالجهاد، والهجرة، كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أيُّ العمل أَحَبّ إلى الله تعالى؟ فقال: ((الصلاة على وقْتِها. قلت: ثُمَّ أيّ؟ قال: بِرِّ الوالدين. فقلت: ثُمَّ أيّ؟ قال: الجهاد في سبيل الله)) [٣] لاحظ كيف وضع بر الوالدين بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام، وقبل الجهاد في سبيل الله. وكذا قوله ﷺ للرجل الذي جاء يستأذنه في الجهاد: ((أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ)) [٤]، أي: إن أردتَ الأجر فابذل جهدك في بر والديك والإحسان إليهما، وبناء على ذلك قال العلماء: أنه لا يجوز الخروج للجهاد إلا بإذن الأبوين، بشرط أن يكونا مسلِمَين؛ لأن بِرَّهما فرض عين، والجهاد فرض كفاية، فإن تعيَّن الجهاد وكان فرض عين فلا إذن.

بر الوالدين سبب في زيادة العمر وبسط الرزق وإجابة الدعاء:

---

(١) أنظر: من وصايا القرآن الكريم، لمحمد الأنور البلتاجي ص: ١٢٢، دار التراث العربي، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

(٢) المستدرك ١٦٨/٤ رقم٧٢٤٩، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب البر والصلة ٢٢٢٧/٥ رقم ٥٦٢٥ .

(٤) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وأنهما أحق ٣/٨ رقم ٦٦٦٨.

لقد مَنَّ الله على عباده بأن جعل بر الوالدين سببا في زيادة العمر، وبسط الرزق، وإجابة الدعوات وتفريج الكربات،وسببا عظيما لدخول الجنة، وقد حفلت السنة النبوية ببيان هذا، كقوله ﷺ: ((مَن سرَّه أن يُبسَط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره، فليصل رحمه)) [١] ، وإخبار النبي ﷺ عن أفضل التابعين، وأنه لو أقسم على الله لأَبَرَّه، والسبب أن له والدة هو بها بَرٌّ[٢]. وكذا حديث الثلاثة الذين انحدرت عليهم صخرة عظيمة فأغلقت عليهم باب الغار؛ فتوسَّل كل منهم بعمل صالح، وكان منهم رجل كان برًا بوالديه، فتوسَّل بذلك العمل الصالح، فاستجاب الله دعاءهم وانفرجت الصخرة[٣]. وقول النبي ﷺ: ((رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ. قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ)) [٤]. فإياك أن تُضَيِّعَ هذا الخير يا مَنْ مَنَّ الله عليك بنعمة وجود والديك اليوم! فأنت لا تدرك قدر هذه النعمة، ولن تشعر بها إلا إذا فَقَدْتَهما.

الأم مُقَدَّمَة في البر على الأب:

وبر الوالدين وإن كان فرضًا فإنه يتفاوت في الأَحقيَّة، فالأم مقدمة في البر والإحسان على الأب، وذلك لما لاقته من تعب الحَمْل، وما كابدته من مشقة الوضع، وعناء الإرضاع والتربية والتنشئة، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً ﴾ [الأحقاف:١٥] ولذلك استحقت مزيدا من العناية والبر، فعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: ((يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك))[٥].

وجوب بر الوالدين وحسن صحبتهما ولو كانا كافرين:

وبر الوالدين لا يختص بأن يكونا مُسلِمَين، بل يجب برهما وحسن صحبتهما ولو كانا كافرين، قال تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ [لقمان١٥]

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم ٢٢٣٢/٥ رقم ٥٦٣٩ ، وبر الوالدين من أعظم صلة الرحم، وقد اختلف في المراد بالزيادة هنا، فقيل: الزيادة على حقيقتها بطول العمر، وسعة الرزق. وقيل: أن ذلك كناية عن البركة في الأوقات والأرزاق، والتوفيق للطاعات، لأن رزق الإنسان وأجله مكتوب منذ أن كان جنينا في بطن أمه. أنظر: سبل السلام، لابن الأمير الصنعاني ١٦٠/٤، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٤، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

(٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أويس القرني ﷺ ١٨٨/٧ -١٨٩ رقم ٦٦٥٥و٦٦٥٦.

(٣) الحديث في: صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال ٢٠٩٩/٤ رقم ٢٧٤٣.

(٤) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة ٥/٨ رقم ٦٦٧٥، ومعنى رَغِم أنفه: أي لصق أنفه بالتراب، كناية عن حصول الذل والهوان والخيبة والخذلان.

(٥) صحيح البخاري: كتاب البر، باب من أحق الناس بحسن الصحبة ٢٢٢٧/٥ رقم ٥٦٢٦.

ومن أعظم البر بهما في هذه الحال دعوتهما إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وتعليمهما ما ينفعهما؛ لأنهما أحق الناس بالدعوة والتعليم والتوجيه، مع الرفق والرحمة، وفي حوار رائع أخاذ يضرب القرآن الكريم مثلا من أروع الأمثلة لبر الوالدين ومصاحبتهما بالمعروف رغم كفرهما، ذلك حين يقص علينا دعوة إبراهيم – عليه السلام – أباه إلى الإيمان بالله، ونهيه إياه عن عبادة الأصنام، بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً . يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً ...﴾ [مريم، الآيات: ٤٣ –٤٥] تأمل أسلوب الخطاب، وتأمل تكرار لفظة (يا أبت) في مطلع كل آية، التي توحي بالعطف والحنان والرفق والرحمة! لكن أباه أصم أذنيه عن سماع داعي الإيمان، وأغلقهما دون الهدى والرشاد، ولم يكتف بالإعراض عن ابنه، بل انتهره وهدده بالرجم والطرد والإبعاد ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾ [مريم:٤٦]، فماذا قال الابن البار لأبيه؟ هل قابل الإساءة بالإساءة، والصد بالصد، والهجران بالهجران؟ وهل يليق ذلك بمكانة أبي الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – ؟!. حاشا وكلا. ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً . وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيّاً﴾ [مريم: ٤٧ –٤٨][1]

الإحسان إلى الوالدين في حال الكبَر والعجز:

لقد خص الله حالة الكبر للوالدين بمزيد من البر والإحسان؛ لأنهما في هذه الحالة أحوج ما يكونان إلى الرعاية والاهتمام، لذا يجب على الأبناء زيادة العناية بهما، والإنفاق عليهما، وتوفير كل ما يحتاجان إليه حسب الاستطاعة، ولا سيما إذا كانا في حالة فقر وعجز[2]، ومداومة التحمُّل لهما مع الشفقة والرحمة، وعدم التضجّر من صحبتهما، ومخاطبتهما بأحسن العبارات وأكرم الألفاظ وأحبها إلى قلبيهما، والدعاء لهما امتثالا لأمر الله تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء:٢٣ –٢٤] وقد دعا رسول الله ﷺ على من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ولم يبرهما ويحسن إليهما فيكونان سبب دخوله الجنة، كما تقدم.

وبر الوالدين سَلَفٌ ودَين، فكما تبر أبويك يبرّك أبناؤك، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((بروا آباءكم تبرّكم أبناؤكم)) [3].

---

(١) من وصايا القرآن، للبلتاجي ص: ١٣٠ وما بعدها.

(٢) أنظر تفصيل قضية النفقة على الوالدين في: الفقه على المذاهب الأربعة، لعبد الرحمن الجزيري ٢٨٦/٤ وما بعدها، نسخة الكترونية، والفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ ١٤٤/١٠ وما بعدها، دار الفكر –سوريَّة – دمشق، ط٤.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب البر والصلة ١٧١/٤ رقم ٧٢٥٩، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: بل سويد ضعيف.

وليعلم الولد البار بوالديه أن فضلهما عليه كبير، وأنه مهما بذل من وجوه البر والإحسان فلن يستطيع أن يجزيهما على إحسانهما إليه وعنايتهما به إلا أن يجدهما أو أحدهما مملوكا فيشتريه ويعتقه، كما في الحديث الصحيح ((لا يجزي ولد والدًا إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه))[1]

الإحسان إلى الوالدين بعد وفاتهما:

ومما يبرز مكانة الوالدين في الإسلام أنه لم يجعل حقهما في البر والإحسان مقصورا على حياتهما، بل أرشد إلى بعض وجوه البر والإحسان التي يوصَلا بها بعد وفاتهما، فعن أبي أُسَيْد ﷺ قال: ((أتى رسولَ الله ﷺ رجلٌ من بني سلمه وأنا عنده فقال: يا رسول الله إنَّ أَبَوَيَّ قد هَلَكا، فهل بقي لي بعد موتهما مِن بِرِّهما شيء؟ قال رسول الله ﷺ: نعم. الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهودهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصِلَة رحمهما التي لا رَحِم لَكَ إلا مِن قِبَلِهما. قال الرَّجُلُ: ما أكثَر هذا يا رسول الله وأَطْيَبَه! قال: فاعمَل به))[2]. وقال ﷺ: ((إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ؛ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)) [3].

عقوق الوالدين من أكبر الكبائر:

وإذا كان بر الوالدين من أفضل الأعمال وأحبَّها إلى الله، فإن عقوقهما من أكبر الكبائر، كما أخبر بذلك النبي ﷺ حيث قال: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ...)) [4]. وقال ﷺ: ((إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟! قال: يسب الرَّجلُ أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه)) [5].

وإذا كان هذا الوعيد في حق من يعق والديه بالتقصير في طاعتهما، أو التسبب في لعنهما، فكيف بنا اليوم ونحن نسمع ونشاهد بعض الأبناء وقد استبدلوا البر والإحسان بكل أصناف العقوق والعصيان، فمنهم من يلعن والديه، ومنهم من يضربهما، ومنهم من يفضّل زوجته وأولاده عليهما،.. إلى غير ذلك، وللإمام الذهبي موعظة بليغة في هذا الشأن حيث قال: (أَيُّها المُضَيِّع لآكَدِ الحقوق، المُعتاض مِن بِرِّ الوالدين العُقُوق، الناسي لِمَا يجب عليه، الغافل عَمَّا بين يَدَيه، بِرّ الوالدَين عليك دَين، وأنت تتعاطاه بإتِّبَاع الشَّين، تَطلُبُ الجَنَّة بِزَعْمِك، وهي تَحْتَ أقدام أُمِّك. حَمَلَتْك في بطنها تسعة أشهُر كأنها تسع حُجَج، وكابَدَتْ عند الوضع ما يُذِيب المُهَج،...

---

(١) صحيح مسلم: كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد ٢ / ١١٤٨، رقم ١٥١٠.

(٢) أخرجه ابن حِبَّان في صحيحه؛ ذكر وصف بر الوالدين لمن توفي أبواه في حياته ١٦٢/٢ رقم ٤١٨، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، وقال الأرنؤوط: علي بن عبيد مجهول لم يوثقه غير المؤلف، وباقي رجاله ثقات.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ١٢٥٥/٣ رقم ١٦٣١ .

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر ٢٢٢٩/٥ رقم ٥٦٣١ ، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها ٩١/١ رقم ٨٧و٨٨.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه ٢٢٢٨/٥ رقم ٥٦٢٨.

فلَمَّا احتاجت عند الكِبَر إليك، جعَلْتَها مِن أَهْوَنِ الأشياء عليك، فشبعْتَ وهي جائعة، ورَوِيْتَ وهي قانعة، وقدَّمْتَ عليها أَهْلَك وأولادك بالإحسان، وقابَلْتَ أياديها بالنسيان، وصَعُبَ لَدَيْك أَمْرُها وهو يسير، وطال عليك عُمْرُها وهو قصير، هَجَرْتَها وما لها سواك نصير، هذا ومولاك قد نهاك عن التأفُّفِ، وعاتبك في حقِّها بعتاب لطيف، ستعاقَبُ في دنياك بعقوق البنين، وفي أُخراك بالبُعْدِ عن رَبِّ العالَمِين)[1] . بل لقد وصل العقوق اليوم ببعض الأبناء الذين أعمى الله بصائرهم إلى أبلغ مداه، فقتل أباه أو أمّه اللذين كانا سبب وجوده بعد الله تعالى.

لذا يجب على المربّين والدعاة القيام بواجبهم في الحث على بر الوالدين، والتحذير من العقوق والعصيان، كما يجب على الآباء أن يكونوا قدوة لأبنائهم في برهم بوالديهم، حتى ينشأ الأبناء الصغار على هذه المعاني النبيلة، وصدق القائل:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

وفي ختام هذه الوصية نقول لمن يتشدقون برعاية حقوق الإنسان وهم لا يرون للوالدين حقا سوى إيداعهما في دار العجزة! أو بطاقة تهنئة يبعث بها أحدهم لوالديه في عيد ميلادهما، أو عيد الأم! نقول لهم: هذه هي المكانة الرفيعة التي أولاها الإسلام للوالدين، وهذه أخلاق الإسلام وتوجيهاته وآدابه، فهل تجدون هذه المكانة وتلك الأخلاق والآداب قد روعيت في أي نظام من الأنظمة الوضعية قديمها وحديثها؟!

الوصية الثالثة: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾

الإملاق: شدة الفقر والحاجة. أيْ: ومِمَّا وَصَّاكم به رَبُّكم ألا تقتلوا أولادكم – من ذكور وإناث – مِن فَقْرٍ وضيق حاصل بكم، أو خشية فقر يحل بكم، فإن الله يرزقكم وإيَّاهم، فالرزق بيده سبحانه، وقد تكفّل برزق العباد، فقال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦] وهذا السبب غير مُعتَبَر إذْ لا يَجُوز قَتْل الأولاد بِحَالٍ من الأحوال، وإنما ذُكِرَ لأنَّ المشركين كانوا يقتلون أطفالهم لأَجْلِه، كما سَوَّلَتْ لهم الشياطين ذلك، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام:١٣٧] وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام:١٤٠] إذْ كان بعضهم يفعل ذلك بالبنات خاصة خشية العار، وبعضهم يفعله بالذكور والإناث خوف الفقر – وهو السبب الغالِب – فبيَّن سبحانه وتعالى فساد هذه العِلَّة بقوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وليُشْعِرَ الآباء بأنَّ الله مُتَكَفِّلٌ برزقهم ورزق أبنائهم معًا، وقدَّم رزق الآباء على رزق الأبناء، لأن الآباء هنا في فَقْرٍ واقِعٍ بِهِم، وفي ضِيْقٍ استولى عليهم، فقَتَل فيهم مشاعر الإنسانية، حتى طَوَّعَتْ لهم أَنْفُسُهم قتل أولادهم شَفَقَةً عليهم، وإراحة لهم من آلام الجوع، وقسوة المَسْغَبَةِ، بينما قَدَّم رزق الأبناء على رزق آبائهم في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم﴾ [الآية:٣١] لأن الآباء في تلك الحال

---

(١) كتاب الكبائر، لشمس الدين الذهبي ص: ٣٧ –٣٨، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

لَيْسُوا في حال ضيق وفَقْر واقِع، وإنَّما لِخَشْيَة الفقر المُتَوَقَّع الذي قد يكون وجود الأولاد سَبَباً في حصوله، أو خشية أن يلم الفقر بالأولاد ولا سيما الإناث، إذ كانوا في جاهليتهم لا يُوَرِّثون البنات، كما عبر عن ذلك إسحاق بن خَلَف وهو شاعر إسلامي قديم، فقال:

إذا تَذَكَّرْتُ بِنْتِي حِيْن تَنْدُبني	فاضَتْ لِعَبْرَة بِنْتِي عَبْرَتي بِدَمِ

أُحاذِرُ الفَقْرَ يَوْما أنْ يُلِمَّ بها	فَيَهْتِك السِّتْرَ عن لَحْمٍ عَلى وَضَمِ

تَهْوَى حَيَاتِي وأَهْوَى مَوْتَها شَفَقًا	والمَوْتُ أَكْرَم نَزَّال على الحُرَمِ

فلتحذير المسلمين من آثار هذه الخواطر ذُكِروا بتحريم الوَأْدِ وما في معناه[1].

والنهي عن قتل النفس التي حَرَّم الله إلا بالحق - المذكور في الوصية الخامسة - يَشْمَل الأولاد أيضا، ولَكِنَّه خَصَّ قتل الأولاد بالنهي لأنَّه قَتْل وقطيعة رَحِم، فالعناية بالنهي عنه آكَد، كما أنه من أعظم الذنوب بَعْد الشرك بالله، فعن ابن مسعود ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ أيُّ الذَّنْبِ أَعْظَم؟ قال: ((أنْ تَجعَلَ لله نِدًّا وهو خَلَقَك. قال: قلتُ: ثُمَّ أيّ؟ قال: أنْ تَقْتُل وَلَدَك خشية أنْ يُطْعَم مَعَك. قال: قلتُ: ثُمَّ أيّ؟ قال: أنْ تُزاني حَلِيْلَة جارك، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ [الفرقان: ٦٨])) [2].

وَقَد جَمَع التعبير القرآني في هذه الوصية، بَيْن دِقَّة الألفاظ، وسُمُوِّ المعاني، فقال: (أولادكم) ولم يقل (أبناءكم) ليشمل كُلَّ وَلَدٍ كان موجوداً، أو جَنِيناً في بَطْن أُمِّه، فالجَنِين وَلَدٌ، لأنه قد تَوَلَّد، وقَلَّما يقال في مِثْلِه ابن فلان حتى يُوْلَد فيُنسَبُ إلى الأب، لأن لفظ البُنُوَّة موضوع لِلنَّسَب والتعريف، وإذا نَسَبْتَ فقد تَنْسِبُ إلى والد وغير والد؛ كابن السبيل، كما أن لفظ الولد يقع على الذَّكَر والأنثى بخلاف الابن[3].

وعلى هذا فالآية الكريمة وما يشبهها من آيات، تتضمن النهي عن قتل الأولاد قبل وبعد ولادتهم، وتوبخ المشركين الذين كانوا يفعلون ذلك نتيجة لأعراف بغيضة، وقيم اجتماعية جائرة ورثوها من المجتمع الجاهلي الذي عاشوا فيه، ومن ذلك قوله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل، الآيتان:٥٨ -٥٩] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير، الآيتان:٨ و٩]

لذا فيدخل في النهي المذكور في الآية قتل الجنين في بطن أمه، أو تعمّد إنزاله بأي وسيلة كانت، وهو ما يسمى بـ (الإجهاض) أو (السقط) فذلك حرام، وغير جائز شرعا إلا في حالة الضرورة المحققة التي يكون فيها استمرار

(١) التحرير والتنوير ١/٢٤٥٢ بتصرف.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب كون الشرك أعظم الذنوب وبيان أعظمها بعده ١/٩١ رقم ٨٦.

(٣) أنظر: الفرائض وشرح آيات الوصية، لعبد الرحمن السهيلي ص: ٣٦ -٣٨ (بتصرف يسير)، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٠٥هـ.

الحمل خطرا على حياة الأم، لأن في الإجهاض اعتداء على حياة الأم، وعلى حياة الجنين، يؤيد هذا حديث الغامدية التي قد استحقت إقامة الحد عليها بالرجم لإقرارها بالزنا وهي محصنة، ولكن لمّا علِم رسول الله ﷺ أنها حبلى أجَّل إقامة الحد إلى ما بعد الولادة حفظاً للجنين الذي لا ذنب له[١]، كما أن في إباحة الإجهاض تيسير لارتكاب الفواحش، وتجدر الإشارة إلى أن هناك ما يزيد عن ثلاثين مليون حالة إجهاض جنائي في العالم سنويا، ففي بريطانيا مثلا وصل عدد حالات الإجهاض في عام ٢٠٠٠م إلى أكثر من مليون حالة،وهذا الرقم يزيد عن عدد المواليد، وهذا على سبيل المثال لا الحصر[٢].

ومن المفيد هنا الإشارة إلى ما يسمى اليوم بتنظيم النسل وتحديده؛ والذي كثرت الدعوات إليهما في الدول العربية والإسلامية وغيرها من الدول النامية بحجة الانفجار السكاني وعجز اقتصاد تلك الدول ومواردها الطبيعية عن تلبية حاجات السكان المتزايدة، وقد أعدت برامج كثيرة لترويج تلك الدعوات، وحث الحكومات على إلزام شعوبها بذلك.

وتنظيم النسل يعني: تنظيم عملية الإنجاب، وذلك بأن يتخذ الزوجان – برضاهما واختيارهما -أي وسيلة من الوسائل الحديثة المباحة والمأمونة التي يريانها كفيلة بتأجيل الحمل أو تعجيله. وهو جائز إذا كان له ما يبرره ويسوّغه قياسا بالعزل الذي كان الوسيلة المعروفة لمنع الحمل منذ عهد الصحابة ﷺ، فعَن جَابِرٍ بن عبدالله ﷺ قَالَ: ((كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبَلَغَ ذَلِكَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَنْهَنَا)) وفي رواية أخرى ((كُنَّا نَعْزِلُ وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ)) [٣]، أما إذا تبنته الدولة وفرضته على الناس بشكل إجباري فهو مُحَرَّم. مع ملاحظة أنه قد يطلق تنظيم النسل ويراد به تحديد النسل.

أما تحديد النسل فيعني: الوقوف بالنسل عند حد معين، أو الاكتفاء بعدد محدد من الأولاد، وذلك باستعمال وسائل علاجية لقطع النسل نهائيا. ومثله التعقيم الذي هو بمعنى القضاء على أسباب النسل نهائيًا، وهو محرم شرعا، إلا للضرورة المحققة التي يقررها الأطباء الثقات[٤].

---

(١) الحديث في صحيح مسلم: كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى ٥/١١٩ رقم ٤٥٢٧.

(٢) أنظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة ٥/٤١٢ وما بعدها، نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، وفيها تحديد مفهوم الإجهاض المتفق عليه في المؤتمر بأنه: "خروج الجنين أو إخراجه أو سقوطه أو إسقاطه بصورة غير طبيعية، ويشمل ذلك الإجهاض العفوي والإجهاض العمد".

وأنظر: المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، للدكتور يحيى بن محمد زمزمي ص: ٤٩ وما بعدها، وإحصاءات حتى ١ -٦ -١٤٢٣هـ (١ / ٦٠) نسخة الكترونية، ضمن المكتبة الشاملة.

(٣) صحيح مسلم: كتاب النكاح، باب حكم العزل ٤/١٦٠ رقم ٣٦٣٤.

(٤) أنظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي ٥/٨٦ .

وقد تنبه كثير من علماء المسلمين ومفكريهم لأهداف تلك الدعوات الهدامة، فدعوا إلى عقد المؤتمرات والندوات العلمية التي قدمت فيها العديد من الدراسات والأبحاث المتعلقة بهذه القضايا، وحذروا منها، وبينوا بطلانها ومخالفتها للشرع وللواقع المعاش، وأنها دعوات كيدية هدفها تقليل عدد المسلمين وإضعاف قوتهم[1].

وقبل الإنتقال إلى الوصية التالية تجدر الإشارة إلى أن الإسلام قد عالج جريمة قتل الأولاد التي كانت سائدة في الجاهلية من ناحيتها الأخلاقية التي تهدف إلى هدم القيم الاجتماعية الجائرة التي سوّغت هذا المنكر، وإلى توجيه الارادة وجهة صالحة لتحريم الفعل وتجريمه، وبهذا المنهج التربوي الرَّبَّاني القويم المبني على خشية الله تعالى والثقة بوَعْدِه، تقوى الصِّلات بين الآباء والأبناء، القائمة على البِرِّ والإحسان والعطف والحنان فيسعدوا جميعاً وتقَرُّ أَعْيُنُهم، ويفلحوا بامتثال أَمْرِ ربهم.

<u>الوصية الرابعة:</u> ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾

لما وَصَّى الله سبحانه بالأُسْرَة، وَصَّى بالقاعدة التي تقوم عليها الأُسْرَة، بَلِ المجتمع كُلُّه، وهي قاعدة الطهارة والعِفَّة، فنهى عن الفواحش ظاهرها وخافيها، وهو نهي مرتبط تماماً بالوصية السابقة عليها، وبالوصية الأولى التي تقوم عليها كافة الوصايا، إذْ لا يمكن قيام أُسْرَة، ولا استقامة مُجتَمَع في وَحَلِ الفواحش ما ظهر منها وما بطن[2].

والفواحش هي: كل ما عَظُمَ قُبْحَه من الأقوال والأفعال، وأكثر ما تُطْلَق على فاحشة الزنا خاصة.

والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن لفظ (فاحشة) ومشتقاتها قد ورد في خمسة وعشرين موضعا من كتاب الله تعالى؛ منها سبعة مَوَاضِع قُصِدَ بها الزِّنا خاصة، كقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء:٣٢] وثلاثة مَوَاضِع قُصِدَ بها عَمَلُ قوم لُوط، منها قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت:٢٨] ومَوْضِع آخَر قُصِدَ بها نكاح زوجات الآباء، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاء سَبِيلاً﴾ [النساء:٢٢] وفي آخَر قُصِدَ بها الشرك، أو التَّعَرِّي أثناء الطواف بالبيت الحرام، كما قال بعض المفسرين، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨].

وعليه فقد تباينت أقوال المفسرين في المقصود بـ(الفواحش) هنا، فذهب بعضهم إلى أنها عامة في كل فاحشة نظرا لعموم اللفظ والمعنى، وذهب آخرون إلى أن تخصيص (الفواحش) هنا بفاحشة الزِّنا أَوْلَى بطبيعة السياق، لأنَّ المَجَال مَجَال تعديد مُحَرَّمات بذاتها، فتكون هذه واحدة منها بِعَيْنِها، وإلا فَقَتْلُ النَّفْس المُحَرَّمة بغير حَقٍّ فاحشة، وأَكْلُ مال اليتيم فاحشة، والظُّلْمُ فاحشة، وعُقُوقُ الوالِدَين فاحشة، والشِّرْكُ بالله

(١) أنظر: المصدر السابق ٣١/٥ -٤٢.

(٢) أنظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب ١٢٣٠/٣ -١٢٣١ (بتصرف)، دار الشروق، بيروت، ط:١٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

فاحشة الفواحش. وصيغة الجَمْع لأنَّ هذه الجريمة ذات مُقَدِّمات وملابَسات كُلُّها فاحشة مِثْلها؛ فالتَّبَرُّج، والاختلاط المثير، والإغراء، والتَّزَيُّن والاستثارة كُلُّها فواحش تُحِيْط بالفاحشة الأخيرة، وكُلّها فواحش منها الظاهر ومنها الباطن، وكُلّها مما يُحَطِّم قوام الأُسْرَة، ويَنْخَر في جِسْم الجماعة[1]. ولعل الرأي الثاني هو الأنسب لطبيعة السياق والله أعلم.

ومما يدل على بشاعة فاحشة الزنا أن تحدث القرآن عنها وكأنها نوع من أنواع القتل، فقد توسط النهي عنها - هنا وفي سورة الإسراء - بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن القتل مُطْلَقا، كما جاء مقترنا بالنهي عن الشرك والقتل في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ [الفرقان:٦٨]

ولأن هذه الفواحش ذات إغراء وجاذبية، كان التعبير بـ ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ﴾ وفي ذلك زيادة في التحذير من الدِّنُوِّ منها فضلا عن مباشرتها؛ لأنَّ النفسَ البشرية قد تضعُف عن مقاومة الإغراء بعد التمكُّن من مقدِّماتِ وأسباب المعصية، فهذا الدِّين هو دِين وقاية، قبل أنْ يُقِيْم الحدود ويُوْقِع العقوبات، وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ الحلال بَيِّنٌ وإنَّ الحرَامَ بَيِّنٌ وبينهما أُمُورٌ مشتبهات لا يَعْلَمُهُن كثير من الناس، فمَن اتَّقَى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرْضِه، ومَن وَقَعَ في الشبهات وَقَعَ في الحرام كالراعي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوْشِك أنْ يَرْتَع فيه...))[2].

والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أنَّ صيغة النهي عن المُحَرَّمات التي لا تميل إليها النفوس تأتي بالنهي عن مباشرتها، أمّا المحرمات التي قد تَمِيْل إليها النفوس وتشتهيها الطِّبَاع تأتي بالنهي عن قُرْبَانِها، وقد تكرر ذلك في سبعة مَواضِع، منها ما جاء في هذه الوصِيَّة، وما جاء في الوصية السادسة في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام:١٥٢، والإسراء:٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء:٣٢]، وقوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة:٣٥، والأعراف:١٩].

وما ظهر من الفواحش: هو المُعَالَنُ به منها، وهو فاحشة إلى فاحشة، وما بطن من الفواحش: هو ما كان في سِتْرٍ وخَفَاء، فإذْ كان الزنا في أَصْلِه فاحشة، فإن المجاهرة به فاحشة أخرى، لِمَا في ذلك من إذاعة الفاحشة والتحريض عليها، لذا فقد تَوَعَّد الله تعالى مَن يُرَوِّجُون لِنَشْر الفاحشة - بأيِّ وسيلة كانت - بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩] لأنَّ الذين يُحِبُّون أنْ تَشِيعَ الفاحشة هم الذين يُحِبُّون أنْ تتزعزع قوائم الأُسْرَة، وأن ينهار المجتَمَع، وهذا ما يعمله اليهود والنصارى وغيرهم، حيث يسعَون جاهدِين إلى تدمير المبادئ والقِيَم والأخلاق

(١) المصدر السابق ٣/١٢٣١ بتصرف واختصار.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ١/٢٨ رقم ٥٢ ، وصحيح مسلم: كتاب المساقاة، باب أَخْذ الحلال وتَرْك الشبهات ٣/١٢١٩ رقم ١٥٩٩.

الإسلامية، وتدمير الأُسْرَة والمجتمع من خِلال إشاعة الفاحشة وعَولَمة الرذيلة، وتعميم سلوكياتهم المنحرفة وثقافاتهم الهَدَّامة – عَبْرَ وسائل التوجيه والاتصال والإعلام المختلفة – على بقيَّة دُوَل العالَم، وإكسابها صفة قانونية دولية، فقد أقيمت – وتحت شعار الأمم المتحدة – سبعة مؤتمرات عالمية حول السكان والأسرة، وذلك من عام ١٩٧٥م وحتى عام ١٩٩٦م، وكلها تهدف إلى تدمير الأسرة في العالم الإسلامي، كما دُمّرت في الغرب، كما عقدت الأمم المتحدة مؤتَمَرا عام ٢٠٠٠م في نيويورك تَحْتَ شعار (المساواة النوعية بين الذكر والأنثى والتنمية والسلام في القرن الحادي والعشرين) ويَهْدِف هذا المؤتَمَر التوصُّل إلى صيغة نهائية لتوصيات ومُقَرَّرات المؤتمرات السابقة الهادفة جميعها إلى هَدْمِ الأُسْرَة وعَولَمَة الرَّذِيلة، والانحِلال الخُلُقي؛ بحيث تكون التوصيات الأخيرة مرجعية دولية واجبة الاحترام، وتَجريم الخروج عليها، بِغَضِّ النظر عن الاعتبارات الدينية[1].

ولمزيد من الإذلال والترويض رُبطت المساعدات التي تقدَّم للدول النامية بمقدار التجاوب مع توصيات وقرارات تلك المؤتمرات، بل أَخَذَت المنظمات الدولية تمارس الضغوط على دول العالم الثالث وفي مقدمتها الدول العربية والإسلامية لتغيير قوانينها الاجتماعية وأحوالها الشخصية، ومناهجها التربوية والتعليمية، وتطالبها بإزالة كل العوائق التي قد تؤثر على جدية التطبيق، وما صدر عن منظمة العفو الدولية في تقريرها الخاص باليمن الصادر في سبتمبر ٢٠١٢م برقم MDE٣١/٠١٢/٢٠١٢ بعنوان (اليمن .. أجندة لتغيير واقع حقوق الإنسان) خير شاهد على ذلك، حيث نص على: (تدعو منظمة العفو الدولية الحكومة اليمنية إلى: إلغاء المواد ٢٦٣ و٢٦٤ و٢٦٧ و٢٦٨ من قانون الجرائم والعقوبات التي تُجرِّم العلاقات الجنسية المثلية التي تتم بالتراضي، فضلا عن العلاقات الجنسية التي تتم بالتراضي خارج كَنَف الزوجيّة) كل ذلك وغيره ما هو إلا تدعيم لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، المعروفة اختصاراً بـ (اتفاقية السيداو)، ووثيقة حقوق الطفل، وملحق مؤتمر بكين، ونحوها من المؤتمرات والمواثيق الدولية التي جاءت جميعها ترجمة لما ورد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان١٩٤٨م المتضمن للعديد من المخالفات الواضحة لديننا وأخلاقنا وقيمنا [2].

هكذا يتعامل الغرب مع شعوب العالم بهذه العقلية التي تجعل من إشاعة الفواحش والشذوذ الجنسي، والانحراف الأخلاقي، وإلغاء مؤسسة الأسرة والزواج، ... وغيرها، تجعل من ذلك كله قيماً إنسانية نبيلة تستحق أن تكون ثقافة أممية مشتركة تسود العالم!

وإن ما يجري اليوم في أمريكا وغيرها من دول الكفر والإلحاد في الشرق والغرب من ممارسة الفواحش بكل أنواعها، أو الترويج لإشاعتها عَبْر وسائل الإعلام المختلفة، ما هو إلا استجابة للدعوات الهَدَّامة الهادفة إلى

---

(١) أنظر: آيات الهلاك في القرآن، لفرحان خالد مقبل ص: ٢٣٢ – ٢٣٤ (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة صدام للعلوم الإسلامية، بغداد، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٢) منشور بعنوان (بيان علماء اليمن حول مؤتمر النوع الاجتماعي "الجندرا" الذي انعقد مؤخرا في صنعاء وتأييدا لبيان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين) بتاريخ ٢ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٢/٣/١٤م.

تدمير المجتمعات وتقويض بنيانها، والتي نادى بها اليهود وعلى رأسهم فرويد، حيث قال: (إن الإنسان لا يُحَقِّق ذاته بغير الإشباع الجنسي... وكُلّ قَيْد مِن دِين أو أخلاق أو تقليد هو قَيْد باطل... ومُدَمِّر لطاقة الإنسان، وهو كَبْتٌ غير مشروع!) [1] . ومن أَجْل ذلك استَحْدَثوا فُنُون التَّعَرِّي وكَشْفَ السَّوءات في البِلاجات والمَسابِح والأفلام والمسلسلات والحفلات الماجنة وعروض الأزياء، وخَصَّصُوا عشرات القنوات الفضائية، والمواقع الكترونية لتعليم الفُجُور ونَشْرِه، بقصد عَوْلَمة الرَّذِيلة، وتعميم سلوكياتهم المنحرفة وثقافاتهم الهَدَّامَة، كما سَنُّوا من القوانين والتشريعات المُخَالِفة لشرع الله ما يَنْدَى له الجَبِين؛ وسأكتفي بذكر نماذج من تلك القوانين والتشريعات، ففي بريطانيا مثلا: وافق مجلس الكنائس الانكليزية على قوانين مجلس العموم واللوردات المنعقد في عام ١٩٦٥م على جَعْل الشذوذ الجنسي والزواج المِثلِي عَمَلا مَشْرُوعا لا يُعاقِب عليه القانون[2] .

وفي السُّوَيد يوجَد الاتحاد الدولي للشواذ والشاذات، كما أنَّ أكثر من ٥٠٪ من المواليد، يولَدون خارج إطار الزواج، وفي عام ١٩٧٤م وافق البرلمان السويدي على زواج الأشقاء من بعضهم، وباركت الكنيسة هذا العمل. كما أباحت الدانمرك الزواج المِثلِي رسميا، وفي العاصمة (كوبنهاجن) تم زفاف رَجُلَيْن بصورة عَلَنِيَّة تطبيقا للزواج المِثلِي بين الرِّجال (اللواط). وفي هولندا تَمَّ زفاف امرأتين بصورة عَلَنِيَّة أيضاً تطبيقا للزواج المِثلِي بين النساء (السِّحاق) [3]

وفي ألمانيا الغربية وافق البرلمان بتاريخ ١٩٧٣/٦/٩م بأغلبية ٢٥٤ صوتا ضد ٢٠٣ أصوات على مشروع قانون بإجراء تعديلات خطيرة في القوانين المتعلقة بالجنس، وفي مقدمتها: رفع الحضر عن تبادل الزوجات، وإباحة ممارسة الشذوذ الجنسي بين الرجال بموافقة الطرفين من سن ٢١ سنة.

أما أمريكا زعيمة الانحلال في الغرب، فتأتي في طليعة الأمم المتقدمة في هذا المضمار، وصاحبة الحظ الأوفر من أنواع الفساد الأخلاقي، والانحراف السلوكي، الذي يصعب حصر أنواعه فضلاً عن عد أرقامه وإحصاءاته التي تزداد كل يوم، بل كل ساعة، حتى تصدرت الجريمة عناوين كثير من الكتب، مثل (الجريمة على الطريقة الأمريكية) و (يوم اعترفت أمريكا) وغيرها [4] وهذا غَيْضٌ من فَيْضِ انحرافاتهم، وما خَفِي كان أعظم.

لذا يجب على المسلمين – شعوبا وحكومات وفي مقدمتهم العلماء – الوقوف صفا واحدا في وجه تلك الموجة العاتية من_الإباحية والدعوات الهدامة التي يروّج لها أعداء الإسلام بهدف تدمير المعتقدات والأخلاق

(١) آيات الهلاك في القرآن ص: ٨٦ .

(٢) أنظر: المصدر السابق .

(٣) أنظر: المصدر نفسه ص: ٢٢٧ – ٢٢٩.

(٤) الوسطية في القرآن الكريم، للدكتور علي محمد الصلابي ص: ٣٨٧، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. وأنظر: آيات الهلاك في القرآن ص: ٢٣٢ – ٢٣٤، والمنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم ص: ٤٨ وما بعدها.

والقيم. مع إيلاء فئة الشباب عناية خاصة، وذلك بتوفير الإمكانات اللازمة لتعليمهم، وتنمية مواهبهم والعناية بهم في مختلف الجوانب، وتوفير فرص عمل لهم، وحث الحكومات وأولياء الأمور على تيسير أسباب الزواج للشباب، وبيان الآثار السلبية على الفرد والمجتمع الناجمة عن المغالاة في المهور، مع الاهتمام بالبرامج التوعوية والتثقيفية التي تبثها وسائل الإعلام والتوجيه المختلفة.

جزاء المتمردين على الفطرة:

ونتيجة لِوُلُوغ تلك المجتمعات وانغماسها في بَراثن الفواحش بكل أنواعها، والمُجَاهَرَة بها، مخالفة بذلك شرع الله، ومبارزة له سبحانه بالمعاصي فقد ابتلاهم الله بالأمراض والأوجاع الفَتَّاكَة التي لم تكن معروفة في أسلافهم؛ وصَدَقَ فيهم قول النبي ﷺ: ((لَم تَظْهَر الفاحشة في قوم قَطّ، حتى يُعْلِنوا بها، إلا فَشَا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مَضَتْ في أسلافهم ...))[1] وواقع الحال يشهد بصدق ما أخبر به النبي ﷺ، فما أن شاعت الفاحشة بكل أنواعها في بلاد الغرب، ومنها إلى كثير من بلدان العالم حتى أصبح ملايين البشر يتجرعون غُصص الأوجاع والأمراض الفتاكة والتي من أخطرها وأَشَدّها فَتْكا بالإنسان ما يسمى بطاعون القرنين العشرين والواحد والعشرين (الإيدز)[2] ذلك الوباء الذي أودى – حسب تقديرات منظمة الصحة العالمية – منذ أن تم مُعرَفة الحالات الأولى منه عام ١٩٨١م وحتى عام ٢٠٠٠م. بحياة أكثر من ٢٢ مليون شخص، منهم أكثر من ٤ ملايين طفل، وما يزال يُهَدِّد حياة أكثر من ٤٠ مليون شخص مِمَّن أصيبوا به – غالبا – نتيجة الممارسات الجنسية خارج إطارها الشرعي، والتي تُعَدُّ خروجاً عن سُنَنِ الفِطرة التي فَطَرَ اللهُ الناسَ عليها في شأن التزاوج والتناسل[3]. وعلى الرغم من الأموال الطائلة التي أُنفِقت، والجهود الكبيرة التي بُذِلت إلا أن الأطباء لم يفلحوا في التوصل إلى علاج ناجع يخلّص العالم من مآسي وآلام ذلك الوباء.

وبهذا يتضح لكل ذي عقل الحكمة من تحريم الإسلام للفواحش ما ظهر منها وما بطن، والمتمثلة في حفظ العقول والأبدان من الأوبئة والأمراض الفتاكة، وإحاطة الأسرة والمجتمع بسياج منيع من العفة والطهارة والأخلاق الرفيعة.

---

(١) المستدرك ٥٨٣/٤ رقم ٨٦٢٣، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) كلمة الإيدز أو السيدا هي تعبير أجنبي مختصر لمصطلح طبي معناه: (متلازمة العوز المناعي المكتسب)، أي أنه عبارة عن مجموعة من الأعراض المرضية التي تصيب أجهزة الجسم المختلفة نتيجة للنقص الشديد في المناعة الناجم عن إصابة الشخص بفيروس (إتش. آي. في)، المختص بمهاجمة خلايا الإنسان اللمفاوية المسؤولة عن نظام المناعة، ويعد الزنا واللواط أهم عوامل الإصابة بهذا المرض. وحَوْل خطورة مرض الإيدز وآثاره، أنظر: (آيات الهلاك في القرآن ص: ٢٢٩ – ٢٣٢، والعدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية، للدكتور فؤاد بن عبدالكريم العبدالكريم ص: ٢٧٣ وما بعدها، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ومجلة مجمع الفقه الإسلامي ١٩٦٥/٤ وما بعدها، و١٢٨٨/٨وما بعدها، و٢١١٠/٩ وما بعدها).

(٣) أنظر: إحصاءات حتى ١ – ٦ – ١٤٢٣هـ (١ / ٦٠)، والمنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم ص: ٤٩،

ومن المناسب هنا أن نشير بإيجاز إلى الحلول الوقائية والعلاجية التي شرعها الإسلام للحد من انتشار الفواحش، ومنها: حث الإسلام على الزواج والترغيب فيه، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢] والأيم: هو من لا زوج له من الرجال والنساء. وقال النبي ﷺ: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)) [١] .

وأمر الإسلام من لم يجد مؤونة الزواج بالاستعفاف حتى ييسر الله عليه، قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

وأرشد إلى ما يعين على العفاف، ويسد الذرائع إلى فاحشة الزنا؛ فأمر بالصوم، وغض البصر، وحفظ الفروج، وستر العورات، ونهى عن التبرج والخلوة بالأجنبيات، ودخول بيوت الآخرين دون استئذان أهلها، وأباح تعدد الزوجات وفق شروط وضوابط.

كما شرع الحدود والعقوبات الكفيلة بردع وزجر كل من لم ينهه وازع الإيمان والخُلُق عن اقتراف تلك الفواحش، فجعل عقوبة الزاني غير المحصن مائة جلدة، والرجم حتى الموت للزاني المحصن، .. وحد القذف للمفتري على أعراض الناس ثمانين جلدة، كما هو مفصل في كتب الفقه.

وبهذا يتبين عظمة التشريع الإسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان بما يقدمه من حلول وقائية وعلاجية واقعية وملائمته للفطرة السليمة، فهو لا يُغفل أمر الغرائز في الإنسان أو يكبتها، ولا يطلق لها العنان، بل يهذبها ويضع لها الضوابط التي تكفل لصاحبها السلامة في الدنيا، والنجاة في الآخرة، فهل غير الإسلام – بتشريعاته الحكيمة، وأخلاقه وقيمه النبيلة – يمكن أن يصون الإنسان في حصن من العافية والفضيلة والطهر والعفاف والحياة الآمنة المستقرة؟!

<u>الوصية الخامسة:</u> ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾

يَكْثُر في السياق القرآني مجيء النهي عن هذه المُنْكَرات الثلاث متتابعة؛ الشرك، والزنا، وقتل النفس، ذلك أنها كُلّها جرائم قَتْل في الحقيقة! فالأولى: جريمة قتل للفطرة، والثانية: جريمة قتل للجماعة، والثالثة: جريمة قتل للنفس المُفْرَدة؛ لأن الفطرة التي لا تعيش على التوحيد فِطرة مَيِّتَة، والجماعة التي تَشِيع فيها الفاحشة جماعة مَيِّتَة منتَهية حَتما إلى الدَّمار، والمجتمَع الذي ينتشر فيه القتل والثأرات مجتمَع مُهَدَّد بالدمار، ومن ثَمَّ يجعل الإسلام عقوبة هذه الجرائم هي أقسى العقوبات، لأنه يريد حماية المجتمع المسلم من عوامل الانهيار والدمار[٢].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم ٥/ ١٩٥٠ رقم ٤٧٧٩.

(٢) أنظر: في ظلال القرآن ٣/ ١٢٣١ – ١٢٣٢.

وقتل النفس التي حرم الله داخل في النهي عن الفواحش، بل هو من أعظم الفواحش والكبائر، ولكنه تعالى أَفْرَدَه بالذِّكْر، وخَصَّه بالنهي تأكيداً لأمره، وتعظيمًا لجُرْمِه في حَقِّ الإنسانية، كما أنه تعالى أراد أنْ يستثني منه، ولا يَتَأَتَّى هذا الاستثناء في جُمْلة الفواحش[1].

ولقد سَبَقَ النهي عن قتل الأولاد من إمْلاق، وهنا ينهى عن قَتْل النفس عامَّة، وَوُصِفَتْ بـ (الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ) تأكيدا للتحريم بأنَّه تحريم قديم، يؤيد هذا قوله ﷺ: ((لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا لأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ)) [2] والنفس البشرية ترجع إلى أصل واحد، وقتل الجزء بمثابة قتل الكل، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ [المائدة: ٣٢]، فالاعتداء إنما يقع على حَقِّ الحياة ذاتها، وعلى النفس البشرية في عمومها، وعلى هذه القاعدة كَفِلَ اللهُ حُرْمَةَ النفس المُحَرَّمَة ابتداء، بأن عَصَمَهَا بالإسلام، أو بالعَهْدِ بين المسلمين وغيرهم ممن يقيمون في دار الإسلام بعَهْدٍ[3] وأَمَان (إِلاَّ بِالْحَقِّ) أيْ: إلا بمَا يُوْجِبُه الحَقُّ، وهو إذن الشرع، فقتل النفس المُحَرَّمَة قد يكون حَقًّا لِجُرْمٍ يَصْدُر منها، وقد بيّن النبي ﷺ الحق الذي يحل بِهِ دم الْمُسْلِم بقوله: ((لا يَحِلُّ دَمُ امرئ مُسْلِم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثَّيِّب الزاني، والتارك لِدِينِه المفارق للجماعة)) [4]. ومن الحَقِّ أيضا قَتْل المُحارب[5]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ ..﴾ [المائدة: ٣٣]

ولكن الذي يستوفي هذا الحق بتنفيذ العقوبة هو وَلِيُّ الأَمْرِ، وليس للأفراد أنْ يستوفوه بأَنْفُسِهم، فيَجْعَل كُلّ فَرْدٍ مِن نَفْسِه قاضيا ومُنَفِّذًا، لأن ذلك سيؤدي إلى غياب العدل بالإسراف في القتل، وانتشار مسلسل الثأر كما هو حاصل اليوم في يمن الإيمان والحكمة وغيرها من البلدان، وكأنهم يتحدثون بلسان الشميذر الحارثي في قوله:

فلسنا كمن كنتم تصيبون سَلّة .. فنقبَلَ ضيماً أو نُحكّم قاضيا

ولكن حكم السيف فينا مُسلَّط .. فنرضَى إذا ما أصبح السيف راضيا[6]

---

(١) تفسير الرازي ١٧٩/٥ (بتصرف).

(٢) صحيح مسلم: كتاب القسامة، باب بيان إثم من سن القتل ١٠٦/٥ رقم ٤٤٧٣.

(٣) المعاهد: هو من له عهد مع المسلمين، وأكثر ما يُطلَق على أهل الذمة، وقد يُطلَق على غيرهم من الكفار إذا صولحوا على ترك الحرب مُدّة. أنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري٣/٣٢٥، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٤) صحيح مسلم: كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم ١٣٠٢/٣ رقم ١٦٧٦.

(٥) المحارب: هو الخارج عن طاعة السلطان المسلم، والذي يقوم بترويع الآمنين، والاعتداء على أرواحهم ونهب أموالهم، وانتهاك حرماتهم، سواء كان الخارج فردا أو جماعة، وسواء كان ذلك داخل البلد أو خارجه.

(٦) أنظر: التحرير والتنوير ١٥/ ٩٣.

وتلك عادة جاهلية نهى عنها الإسلام، وبين العدل في ذلك، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ [الإسراء: ٣٣] والمراد بالسلطان الذي جعل لولي القتيل هو: طلب القصاص أو العفو أوْ أخذ الدية، فلا يسرف الولي في قتل القاتل بأن يُمَثِّل به، أو يَقْتَصَّ من غير القاتل، كما كان واقعا في الجاهلية، وكما هو حاصل اليوم، لأن ذلك خروج عَنْ سَنَنِ الْعَدْلِ، وفي الحديث يقول الرسول ﷺ: ((إِنَّ أَعْتَى النَّاسِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ قَتَلَ فِي حَرَمِ اللَّهِ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، أَوْ قَتَلَ بِذُحُولِ الْجَاهِلِيَّةِ)) [1]

والقتل جريمة عظيمة ترتجف لها القلوب، وتتصدع لها الأفئدة، وما كانت لتصدر من مؤمن على مؤمن عمدا، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ ...﴾ [النساء: ٩٢]، فإذا وقعت فقد جعل الله عقوبتها أشد أنواع العقوبات في الدنيا والآخرة، كما جاء في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهذه العقوبات يمكن تسميتها بـ (وسائل حفظ النفس) وهي: القصاص[2]، أو الدية إن أرادها ولي الدم - مع الترغيب في العفو - ، وغيرها من العقوبات كما هو مفصل في كتب الفقه الإسلامي. وسأشير بإيجاز إلى وسائل حفظ النفس لبيان حكمة وعظمة التشريع الإسلامي، فالعقوبات الدنيوية تتمثل في الآتي:

أولا القصاص: فالجريمة اعتداء متعمد على النفس، والعدالة أن يؤخذ الجاني بمثل فعله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ...﴾ [البقرة:١٧٨] وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] ففي القصاص حياة حين يكفُّ من يَهمُّ بالجريمة عن الإجرام، وبذا يحافظ على حياة الجاني والمجني عليه، وفي القصاص حياة حين تشفى صدور أولياء القتيل من الغضب وطلب الثأر الذي لم يكن يقف عند حدٍّ لا في القديم ولا في الحديث. ثأرٌ يتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيلٍ، لا تكفُّ معه الدماء عن المسيل، والذي غالبا ما يكون قتلا للنفس بغير حق، كما هو حاصل اليوم في كثير من البلدان العربية والإسلامية ومنها يمن الإيمان والحكمة من سفك لدماء الأبرياء، وغياب العدل في تنفيذ القصاص، وثأر يتزايد يوما بعد

---

(١) أنظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ٦/١٥ -٨، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار السلاسل، الكويت، ط٢، والقصاص (دراسة في الفقه الجنائي المقارن)، للدكتور. هاني السباعي: ص: ٤١ -٤٢، مركز المقريزي للدراسات التاريخية، لندن، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، والحديث في مسند الإمام أحمد، ٢/١٨٧ رقم ٦٧٥٧، مؤسسة قرطبة، القاهرة، والأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها. قال شعيب الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٢) يعرف القصاص في الفقه الجنائي الإسلامي بأنه: "عقوبة مقدرة شرعاً، ويتم بإعدام الجاني في جريمة القتل العمد الموجبة للقصاص، ومعاقبة الجاني بمثل ما ألحقه بالمجني عليه في جرائم الاعتداء على ما دون النفس الموجبة للقصاص". أنظر: القصاص، للسباعي ص:٣٠.

يوم، وفوضى أمنية تكاد تعصف بالأمة ووحدتها، وأمنها واستقرارها، نتيجة أطماع سياسية، أو تعصبات حزبية، وطائفية، ومذهبية، واستهانة بالقوانين والأعراف.

ثانيا: الدية، والعفو: فشرعُ الله يلحظ الفطرة حتى إذا ضمن لها القصاص المريح، راح يناشد فيها وجدان السماحة والعفو - عفو القادر على القصاص - ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥] من تصدق بالقصاص متطوعاً، سواء كان هو ولي الدم في حالة القتل، والصدقة تكون بأخذ الدية مكان القصاص، أو بالتنازل عن الدم والدية معاً، أو كان هو صاحب الحق في حالة الجروح كلها، فتنازل عن القصاص .. من تصدق فصدقته هذه كفارة لذنوبه؛ يحط بها الله عنه[١]

أما العقوبة الأخروية: فتتمثل بالعذاب الشديد الذي توعد الله به قاتل النفس بغير حق، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [النساء: ٩٣]، فأي وعيد أبلغ من هذا الوعيد؟ وقوله ﷺ: ((كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلاَّ رَجُل يموتُ مُشْرِكًا أَوْ يَقْتُل مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا))[٢] ، وقوله ﷺ: ((لا يزال المؤمن في فُسْحَة من دِيْنِه ما لم يُصِب دما حراما)) [٣] وكذلك الحال بالنسبة لغير المسلمين من المعاهِدِين والمُستأمَنِين، فقد قال رسول الله ﷺ في حقهم: ((مَن قَتَل نَفْسا مُعاهِدا له ذِمَّة الله وذِمَّة رسوله، فقد أَخْفَرَ بِذِمَّة الله، فلا يَرُح رائحة الجَنَّةِ، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خَريفا)) [٤]، وهذه العقوبة الأخروية لا توجد في أي قانون وضعي.

وبهذا التشريع الحكيم، بما فيه من وسائل التربية والتهذيب، والردع والزجر، والسماحة والعفو، حد الإسلام من قتل النفس بدون حق. في حين عجزت المدنيات الحديثة بتقدمها وتقنية وسائلها أن توقف سيل الجرائم، وإزهاق النفوس، حين ألغت عقوبة القصاص، واكتفت بحبس المجرمين بزعم استصلاحهم، وما زاد المجرمين ذلك إلا عتواً واستكباراً في الأرض، فمتى يعي من يتسابقون في تقليد الغرب؟!

وإن العين لتقطر دما، وإن القلب ليتفطر كمدا وحزنا حين نسمع ونشاهد ما يجري في العالم اليوم من سفك للدماء وانتهاك للأعراض، حيث أصبحت حياة الإنسان –وخاصة المسلم –رخيصة لا يقام لها وزن، بل تزهق روحه ويستباح دمه لأدنى شبهة، وباتت المجازر الوحشية والإبادات البشرية تقام للمسلمين اليوم في كل مكان، تحت مبررات واهية وشعارات براقة، فتارة باسم تحقيق الديموقراطية، وتارة باسم حماية حقوق الإنسان، وأخرى باسم محاربة الإرهاب، .. إضافة إلى قتال المسلمين لبعضهم بعضا نتيجة أطماع سياسية، أو اختلافات مذهبية، .. وهكذا لا يكاد يمر يوم بل ولا ساعة إلا ونسمع ونشاهد هول المأساة التي يعيشها المسلمون .

---

(١) أنظر: المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى ٢٢٦/١.

(٢) المستدرك: كتاب الحدود ٣٩١/٤ رقم ٨٠٣٢، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الديات ٢٥١٧/٦ رقم ٦٤٦٩.

(٤) سنن الترمذي: كتاب الديات، باب ما جاء فيمن يقتل نفسا معاهدة ٢٠/٤ رقم ١٤٠٣. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وتجدر الإشارة هنا إلى بعض المجازر الوحشية وحملات الإبادة الجماعية بحق الملايين التي ارْتُكِبَتْ إبان الحربين العالميتين الأولى والثانية، وما جرى بحق ملايين الأبرياء من الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين، وما جرى للملايين في فيتنام، والصين، وكوريا الشمالية، والفلبين، واليابان وكمبوديا، وغواتيمالا، وما جرى ويجري في فلسطين وأفغانستان والعراق والصومال وغيرها، والتي تبرز أمريكا كنموذج حي مارست وما زالت تمارس أبشع الجرائم المنافية لحقوق الإنسان، واستخدمت أحدث أسلحة التدمير الفتاكة، فأهلكت الحرث والنسل، فهل هناك إرهاب أفظع وأبشع من ذلك؟!

ولما كانت الأمور المنهي عنها في هذه الآية كلها عظام جسَام، تقتضي بديهة العقول السليمة قبحها، ختم الله الآية بما في الإنسان من أشرف السجايا، وهو العقل الذي به يدرك عاقبة الأمور، فقال: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أيْ: لِتَعقِلوا عِظَمِها عند الله تعالى، فلا تقدموا عليها. فإن من يُشْرِكُ بربه صَنَمًا، أو يسئُ إلى أَبَوَيْه، أو يَقْتُلُ أولاده، أو يَفْجُرُ بِنِساء الناس، أو يَقْتُلُهم، لا يعتبر عاقلا أَبَدًا، إذْ لو كان له عَقْلٌ ما أَقْدَمَ على هذه العظائم من الذِّنوب والآثام[1].

المبحث الثاني: الوصايا التي بها حفظ نظام التعامل بين الناس

ويشمل الخمس الوصايا الأخيرة وهي: النهي عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، والأمر بـ: ايفاء الكيل والوزن بالقسط، والعدل في الأقوال والأفعال، وإيفاء العهد، واتِّباع صراط الله المستقيم .

الوصية السادسة: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

اليتيم في الناس: هو من فَقَد أبويه أو أحدهما قبل البُلُوغ، وأَصْلُ اليُتْمِ: الغفلة، وبه سُمِّي اليتيم لأنه يُتَغَافَل عن بِرِّه، وقيل: اليُتْمُ: الإبطاء، ومنه أُخِذَ اليتيم لأنَّ البِرَّ يُبْطِئ عنه[2].

واليتيم ضعيف في الجماعة، بفَقْدِه الوالد الحامي والمُرَبِّي، ومن ثَمَّ يقع ضعفه على الجماعة المسلمة على أساس التكافل الاجتماعي الذي يجعله الإسلام قاعدة نظامه الاجتماعي، وكَثُرَتُ التوجيهات الواردة في ثلاثة وعشرين موضعا من القرآن الكريم وتَنَوُّعها وعُنْفها أحيانا تَشِي بما كان فاشيا في ذلك المجتمع العربي في الجاهلية من ضَيْعَةِ اليتيم فيه وامتهانه وأَكْل حقوقه، حتى انتدب الله يتيما كريما فيه، فعَهِد إليه بأشرف مُهِمَّة في الوجود حين عهد إليه بالرسالة إلى الناس كافة، وجَعَلَ من آداب هذا الدين الذي بَعَثَه به رعاية اليتيم وكفالته، وحفظ أمواله وتنميتها، على النحو الذي نرى منه هذا التوجيه[3].

---

(1) أنظر: تفسير الرازي ١٧٩/٥ .

(2) أنظر: لسان العرب (يتم) ٦٤٥/١٢ وما بعدها، وتحفة اليتيم واللقيط، لمحمود بن أحمد أبو مسلم ٢/١ -٣.

(3) في ظلال القرآن ١٢٣٢/٣ (بتصرف يسير).

حَسْبُ اليتيم سعادةً أنّ الذي ... نشرَ الهُدَى في الناسِ عاشَ يَتيما

وخص مال اليتيم بالذكر -وإن كان غيره مُحَرَّما- لوقوع الطمع فيه، ولا سيما من أقرب الناس له وهم الأولياء والأوصياء، فنهاهم عن الاقتراب من مال اليتيم إلا بما فيه مَصْلَحَة ونفع له، وذلك بحفظ أصوله، وحسن استثماره وتنميته، والإنفاق من عائده عليه حسب الحاجة ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ فإذا بلغَ اليتيم أشُدَّهُ، دُفع إليه ماله، وأُشْهِد عليه، والمقصود ببلوغ الأشد: بلوغ الحلم مع الرّشد وحسنِ التَّصَرُّف في ماله، سالكا مَسْلَكَ العقلاء لا مَسْلَكَ أَهْل السَّفَه والتبذير، إذ لو مُكِّنَ اليتيم من ماله قبل حصول المعرفة باكتمال المَلَكات والمدارك العقلية، وبعد حصول القوة البَدَنيَّة، لأَذْهَبَه في شهواته، وبقي صعلوكا لا مال له، كما جاء بيانه في قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيباً﴾ [النساء:٦] حيث جَمَعَت الآية بين القُوّة البَدَنية: وهي بلوغ النكاح، وبَيْنَ القوّة العقلية: وهي إيناس الرُّشْد[١]. وفي هذا إشارة إلى ضرورة تربية اليتيم والعناية به وتعليمه ما ينفعه، وتدريبه على إدارة أمواله قبل دفعها إليه.

وليس بلوغ الأشد مما يبيح أكل مال اليتيم بغير التي هي أحسن، وإنما ذكر لأنه إلى تلك الحال يكون في يد الوصي أو الولي، فقرب مال اليتيم للطمع فيه والتعدي عليه وأكله ظلما في أي وقت حرام، ومن كبائر الذنوب ومن أعظم أسباب العقوبات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠]، وقال الرسول ﷺ: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ))[٢].

وهذا ما جعل مَن كان عنده يتيم من الصحابة ﷺ يتَحَرَّج عن مخالطته مخافة أن يأكل شيئا من أمواله، حتى جاءت الرخصة بمخالطتهم، بقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٠] فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم[٣].

الترغيب في كفالة الأيتام ورعايتهم

كفالة اليتيم: تعني تربيته ورعايته والعناية به، وتعليمه فرائض الدين وآداب الشرع وأحكامه، ليكون قادرا على حسن التصرف في ماله إن كان له مال، وليصبحَ لبِنةً صالحة في بناءِ المجتمع. ونصوص القرآن والسنة

---

(١) أنظر: التحرير والتنوير١/ ١٤٦٠ .

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها ١/ ٦٤رقم ٢٧٢.

(٣) أنظر: سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني: كتاب الوصايا، باب مخالطة اليتيم في الطعام ٣/ ٧٣رقم ٢٨٧٣، ، دار الكتاب العربي، بيروت، وفي التعليق حكم الألباني، قال الألباني: حسن.

كثيرة في ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى . فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: الآيات ٦ -٩] وقوله ﷺ: ((كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ)). وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[١] وكفى بذلك شرفا وفخرا. ويدخل في هذا الأجر كفالة اللقيط (المجهول النسب) والإحسان إليه، فهو أشد حاجة للرعاية والتربية والتعليم من اليتيم لفقدانه أبواه أو من يليَه [٢]

ورعاية المسلمين للأيتام ومن في حكمهم تقوم على تلك التوجيهات الربانية والنبوية التي جعلت من المجتمع الإسلامي كله أبا وأما لليتيم، والتي تمثلها المجتمع المسلم عملياً بدءاً من عصر الصحابة ﷺ حتى وقتنا الحاضر، فلقد ثبت أن العديد من الصحابة كفلوا أيتاماً وضمّوهم إلى بيوتهم، وكذلك عمل التابعون، واستمر الإقبال على كفالة الأيتام ورعايتهم بين أحضان أسر المسلمين حتى اليوم[٣]

أهمية وجود جمعيات ومؤسسات خاصة لإيواء ورعاية الأيتام واللاجئين

نتيجة لكثرة الحروب والفتن التي يمر بها العالم العربي والإسلامي اليوم، فقد زاد عدد الأيتام أضعافا مضاعفة، إضافة إلى ازدياد عدد المهجّرين واللاجئين -ولا سيما من النساء والشيوخ والأطفال -مما جعل وجود الجمعيات والمؤسسات الخيرية الخاصة بإيوائهم ورعايتهم وتعليمهم وتوفير احتياجاتهم ضرورة ملحة أكثر من أي وقت مضى، حفظا لهم من الضياع، وحمايتهم ممن يتسابقون لاستغلالهم والمتاجرة بهم.

وهذا العمل يتطلب تكاتف وتكامل الجهود الرسمية والشعبية، لتوفير الإمكانات البشرية والمادية اللازمة، وهنا يأتي دور العلماء والدعاة في الدعوة إلى تبني مثل هذه الأعمال والترغيب فيها، وبيان فوائد رعاية وكفالة الأيتام على الفرد والمجتمع، والتي من أهمها: المساهمة في بناء مجتمع متماسك، تسود فيه المودة والرحمة، كما أنها سبب مصاحبة الرسول ﷺ في الجنة، وكفى بذلك شرفاً وفخراً.

الوصية السابعة: ﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾.

هذه الوصية تتحدث عن آفة اقتصادية واجتماعية خطيرة أثرت على دين الناس ودنياهم ألا وهي نقص الميزان والمكيال، ولذا أمر الله بإيفائها، ونهى عن نقصها، والكيل والميزان هما: الآلة التي يُكَال بها ويُوزَن، وهذا أَمْرٌ بتوفية الكَيْل والوزن، والأمر بالشيء نهي عن ضِدِّه، وبذا حَرَّم بَخْس الكيل والوَزْن والتطفيف فيهما. والقِسْطُ: العدْل، وإيفاء الكيل والميزان هو عين القِسْطِ، ولكنه سبحانه ذَكَر (بالقسط) تأكيدا، أيْ: أوفوا مُتَلَبِّسِين بالعدل، لا بَخْس ولا نقصان في البيع والشراء والقَرْض والإيفاء والاستيفاء، ولو لم يكن مكيل أو موزون، فالناس مأمورون بالوفاء والعدل في جميع شؤون حياتهم الخاصة والعامة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ٨/٢٢١ رقم ٧٦٦٠.

(٢) أنظر: تحفة اليتيم واللقيط ص: ١٠٧ .

(٣) فضل كفالة اليتيم، لعبد الله بن ناصر السدحان ص: ٩ -١١ (بتصرف) نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة.

[الأعراف:٢٩] لأن العدل أساس صيانة الحقوق، والتطفيف بالكيل والوزن هَضْم للحقوق وضياع للأموال، وعاقبته وخيمة جدا ومنذر بعقاب أليم، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين:١–٣] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأصحاب الكيل والميزان: ((إنكم وُلِّيتم أمرا هَلَكَتْ فيه الأمم السالفة قَبْلكم)) [١]، ولعل ذلك إشارة إلى قوم شعيب الذين كان من أسباب هلاكهم نقص المكيال والميزان، فقد حكى الله تعالى عن شعيب قوله لقومه: ﴿وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود:٨٤]، لذا فحري بالتجار اليوم أن يتقوا الله ويراقبوه، وأن يحرصوا على الوفاء في الأخذ والعطاء، وأن يتجنبوا الغش والتدليس والتطفيف والاحتكار.

وهكذا يربط الاسلام بين العقيدة وبين قواعد التعامل بالمال في البيع والشراء، للدلالة على طبيعة هذا الدِّين وشموله لكل جوانب الحياة، فالعقيدة والشريعة والعبادة والمعاملة كلها من مقومات هذا الدِّين، ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] وفي هذا تعريض بدعاة العلمانية في الجاهلية الحديثة الذين يدعون إلى الفصل بين الدين والدولة، أو بين العبادات والمعاملات، كما كانت عليه الجاهليات القديمة التي ذكر القرآن الكريم نماذجا منها، فقد حكى عن قوم شعيب قولهم: ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء﴾ !؟ [هود:٨٧]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((يا معشر المهاجرين خصال خَمْس إذا ابتليتم بهِنَّ، وأعوذ بالله أن تدرِكوهن: ...، ولَمْ ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين، وشِدة المؤونة، وجَور السلطان عليهم...)) [٢].

وواقع الناس اليوم يَشهد بصِدْقِ ما أَخْبَر به النبي ﷺ، فبَعْد أنْ أُنقِصَتِ الأوزان، وطُفِّفَتِ المكاييل، وانتشر الربا والغِشّ في كثير من المعاملات التجارية، أَخَذَ اللهُ الناسَ بالسنين؛ فأجدبت الأرض، وهلكت الزروع والثمار، وارتفعت الأسعار، وحلت الشدة بدل الرخاء، وأصبح كثير من الناس يعيشون تحت خط الفقر، وما الأزمات الاقتصادية التي يشهدها العالم اليوم، والأوضاع المأساوية المترتبة عليها إلا نتيجة لعدم امتثال أوامر الله ونواهيه، وتحكيم شرعه في كل جوانب الحياة.

ولما أمر تعالى بإيفاء الكيل والوزن بالقسط، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان بميزان دقيق كميزان الذهب، وفي ذلك حرج كبير، رَخَّص فيما خَرَج عن الطاقة والوِسْع مما لا يمكن الاحتراز عنه، فقال: ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ

---

(١) سنن الترمذي: كتاب البيوع، باب ما جاء في المكيال والميزان٣/٥٢١ رقم ١٢١٧، وقد ضَعَّفَه الترمذي وقال: وقد رُوي بإسناد صحيح عن ابن عباس موقوفا.

(٢) المستدرك ٤/٥٨٣ رقم ٨٦٢٣ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وُسْعَهَا﴾ وفائدة هذا الترخيص رفع الحرَج والمشقَّة حتى لا يَتْرك الناس التعامل بينهم خشية الغلط أو الغفلة فيُفْضِي ذلك إلى تعطيل منافع جَمَّة [1].

وبهذا تكون هذه الوصية قد جمعتْ بين الدِّقة والسماحة والضبط ورفع الحرج، وهنا تتجلى روعة التشريع الإسلامي وعدله ووسطيَّتِه واعتداله، وواقعيته وصلاحيته لكل زمان ومكان.

<u>الوصية الثامنة:</u> ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾

بَيْنَ هذه الوصية والتي قَبْلها ارتباط وثيق، فبعد أن تحدثت الوصية السابقة عن وجوب العدل في الأفعال، جاءت هذه الوصية لتأكيد وجوب العدل في الأقوال؛ عند التقاضي وإصدار الأحكام، والشهادة والوصايا والأيمان والفتاوى ونقل الأخبار، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها. والعَدْل في ذلك أن لا يكون في القول شيء من الاعتداء على الحقوق بإبطالها أو إخفائها مثل: كتمان عيوب المبيع وادّعاء العيوب في الأشياء السليمة، والكذب في الأثمان، والظلم في الوصية، وأما الشهادة والقضاء فأمر العدل فيهما ظاهر [2]، ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾[النساء:٥٨]

وفي التعليق بأداة الشرط (إذا) في قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ إشارة إلى أن المرء في سِعَةٍ من السكوت إذا خشي قول العدل، وخص حالة القرابة بالذكر ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ لأنها قد تَحْمِل القائل على أن يقول غير العدل لِنَفْع قَريبِه، أو مُصَانَعَتِه، أو تبرئته مما صدر منه على غَيْرِه، فَنُبِّهوا على وجوب التزام العدل في القول في تلك الحالة[3].

وبهذا تتجلى روعة وعظمة المنهج التربوي الإسلامي وشموله لكل مناحي الحياة، فالعدل أساس المُلْك، وميزان الحقوق، إذْ تصلح به شؤون الأفراد والجماعات والأمم. والإسلام يبني عزائم المؤمنين لإقامة العدل مع النفس ومع الغَيْر، مع القريب والبعيد، والغني والفقير، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [النساء:١٣٥]، وتبلغ درجة العدل في الإسلام ذروتها حين أَمَرَ الله المؤمنين بالتزامه حتى مع الأعداء ومَنْهم على غير دِين الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨].

---

(١) أنظر: روح المعاني، للآلوسي ٥٦/٨ ، دار احياء التراث العربي، بيروت، والتحرير والتنوير١٤٦١/١.

(٢) التحرير والتنوير ١٤٦١/١ بتصرف.

(٣) المصدر نفسه ١٤٦١/١ -١٤٦٢ بتصرف .

ومما يعين الحاكم أو المصلح بين الناس على تحقيق العدل: التثبت من صحة الأخبار، وعدالة الشهود، وتحري الدقة في ملابسات القضايا حتى يستبين الحق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦]

فأين هذه التوجيهات مع ما يحدِث اليوم من جَور وظلم في الشهادات والأحكام في المحاكم؟!، ومع ما نَسْمَع ونُشَاهِد ونقرأ عبر وسائل الإعلام المختلفة من كذب إعلامي، وكيد سياسي، وتزوير للحقائق وترويج للأباطيل، محاباة، أو تعصبا واتباعا لهوى، أو عداوة وانتقاما؟ كل ذلك أدى تضليل العدالة، وضياع الحقوق، وازدياد الشحناء والبغضاء، ووجد المجرمون من يؤيد جرائمهم ويتستر عليها، وأُلبس الحق بالباطل، متناسين نهى الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢].

وأين هذه التوجيهات ما يحدث اليوم من ظلم وجَور في الأحكام والقرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن والمحاكم والمنظمات الدولية بحق الأفراد والدول؟، وازدواجية المعايير التي يتعامل بها القائمون على تلك المؤسسات إزاء قضايا العرب والمسلمين وغيرهم؟! وقضية فلسطين شاهد حي على ذلك!.

<u>الوصية التاسعة:</u> ﴿وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُواْ﴾

الوفاء صفة حميدة وخُلُق نبيل، حثَّ الإسلام عليه ورغَّبَ فيه وأَمَرَ به في كثير من الآيات، ومنها ما جاء في هذه الوصايا الخالدة، فبعد أن أمر الله المؤمنين – في الوصية السابعة – بإيفاء الكيل والوزن في المعاملات المالية، وتَحَرِّي العدل والحق في ذلك، وهو وفاء حسي، ثم أتبعه الأمر في الوصية الثامنة بالتزام الحق والعدل بالقول في الشهادات والأحكام والوصايا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... عَقَّبَ على ذلك الأمر –وعلى الوصايا التي قَبْلَه – مُذَكِّرا بعهد الله وآمِرًا لهم بالوفاء به فقال: ﴿وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ﴾ وهو إيفاء معنوي. والإيفاء بالعهد والوفاء به: هو القيام بمقتضاه، والمحافظة عليه، ولا يكاد يُسْتَعمَل إلا بالباء فَرْقا بَيْنَه وبين الإيفاء الحسي كإيفاء الكيل والوزن[1].

وعهدُ الله أمرُه ونهيُه وتشريعه الذي عَهِده إلى الناس وأوصاهم به على ألسنة الرسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ [الأحزاب:٧] إنّه عهد الإيمان بالله تعالى وتوحيده، والاعتراف بإلوهيته وربوبيته وقِوَامته، ومقتضيات هذا الاعتراف من العبودية الكاملة والالتزام الشامل، والطاعة المُطْلَقة، هذا هو العهد الأكبر المأخوذ على فِطرة البَشَر بِحُكْم خِلْقَتها متصلة بمبْدِعها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس:٦٠ –٦١]، وعلى هذا العهد تقوم سائر العهود، سواء ما يتعلق منها بِكُلِّ أَمْر وكل نهي في شريعة الله، أو ما عاهَده الناسُ عليه مِن نَذْرٍ أو يمين،

---

(١) أنظر: تفسير أبي السعود ٥/ ١٧١ .

وما يوجِبه العبدُ على نفسه من القُرَبِ والطاعات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [الفتح:١٠]، أو ما تعاهد عليه الناس مع بعضهم بعضا فيما يَجُوز فيه العَهْد أو يَلْزَم، كالعهود التي يَعْقِدونها بالموالاة والصُّلْح، أو نحو ذلك، فعلى الإنسان الوفاء بها، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء:٣٤] وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل:٩١] وقد كان العرب يتحالفون عند التعاقد ولذلك يُسَمُّون العهد حِلْفًا، وكانوا يتمادحون بالوفاء بالعهود، كما في قول الحارث بن حلزة:

واذكروا حلف ذي المجاز وما ... قدم فيه العهود والكفلا

وقول عمرو بن كلثوم: ونوجد نحن أمنعهم ذمارا ... وأوفاهم إذا عقدوا يمينا

ومن العهود المقرَّرة بينهم: حِلْف الفضول، وحِلْف المُطَيِّبين، وكلاهما كان في الجاهلية على نفي الظلم والجور عن القاطنين بمكة، ولكن منهم مَن غَلَبَ عليه الهوى وغَشاوة الشرك فأنساه تلك المحامد، ووَقَع في تلك المُحَرَّمات، من الغدر ونقض العهد، بل وافتخر بعضهم بذلك، كما قال الشاعر النجاشي مستضعِفا قبيلة مَهْجُوِّه: قبيلته لا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ ... ولا يَظْلِمون الناس حَبَّة خَرْدَلِ

لذلك جاءت هذه الآية آمِرَة لهم بالوفاء[1].

والوفاء بالعهود والمواثيق أمر يوجبه شُكْرُ المُنْعِم الخالق، وتُقِرُّه الأعراف والفِطَر السليمة، وتقتضيه المدنية، وبه يتحقق النظام، ويَسُود الأمن والاستقرار، وهو من علامات الإيمان، وأوَّل صفات أُوْلِي الألباب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد:١٩ -٢٠]، وبالمقابل فإن الغدر والخيانة ونقض العهود من علامات الفسق والنفاق، قال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ. الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [البقرة:٢٦ -٢٧] وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: ((أربع مَن كُنَّ فيه كان منافقا خالِصا، ومَن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يَدَعْها؛ إذا أؤتمن خان، وإذا حَدَّث كَذَب، وإذا عَاهَدَ غَدَر، وإذا خاصَم فَجَر))[2].

كما أن نقض العهود سبب لغضب الله تعالى ونقمته، والآيات والأحاديث كثيرة في ذلك، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥]، وفي الحديث: ((... وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِم))[3] وواقع حال المسلمين اليوم يشهد بصدق ما أخبر به النبي ﷺ، حيث سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فاستحلّ بلدانهم، وأخذ ما في أيديهم من ثروات .

---

(١) التحرير والتنوير ١٤٦٢/١ (بتصرف).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ٢١/١ رقم ٣٤ ، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق ٧٨/١ رقم ٥٨.

(٣) المستدرك ٥٨٣/٤ رقم ٨٦٢٣ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

ونقض العهود والمواثيق صفة متأصلة في اليهود توارثوها كابرا عن كابر شيمتهم الغدر والخيانة، وديدنهم الكذب والتحريف، قال تعالى عنهم: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:١٠٠]، ولذلك استحقوا اللعن من الله تعالى والعذاب الأليم كما جاء في مواضع عديدة من كتاب الله، منها وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ﴾ [المائدة:١٣]. ومعاهدات السلام بين الفلسطينيين وبين اليهود المحتلين خير شاهد على تلك الصفة المتأصلة، وكذا النصارى نقضوا العهود والمواثيق فاستحقوا العقوبة من الله تعالى، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة، وللأسف الشديد مازال كثير من العرب والمسلمين يؤملون من اليهود والنصارى الوفاء فيما يبرمونه معهم من اتفاقيات ومعاهدات سلام، متناسين قوله تعالى عنهم: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة:١٠]

وفي الوقت الذي يُشَدِّد الإسلام فيه على الوفاء بالعهود والمواثيق والتعاون على البر والتقوى، نراه ينهى عن قيام تعاهد وتعاون على الإثم والعدوان، وأَكْلِ حقوق الناس، واستغلال الدول والشعوب كما يحصل اليوم في كثير من المعاهدات والتحالفات الدولية[1] قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]

وفي ختام هذا الآية تتكرر الوصية من الله تعالى تجديدا للعهد، وتأكيدا لإيجاب المحافظة على تلك الوصايا ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتذكرون نعمته عليكم في تشريع ما يحفظ أموالكم، ويحقق الأمن والاستقرار لكم، ويزيل العداوات والأحقاد فيما بينكم حينما يسود العدل في الأقوال والأفعال، وتتحقق الثقة والطمأنينة بين الأفراد والمجتمعات والدول حين يلتزمون بالوفاء بالعهود والمواثيق .

<u>الوصية العاشرة:</u> ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

هذه آية عظيمة خَتَم الله تعالى بها هذه الوصايا التي أمر النبي الكريم ﷺ أن يتلوها على الناس، والإشارة بقوله: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ..﴾ إلى ما تقدم من الوصايا، أو إلى عموم شريعة الإسلام التي جاء بها نبينا محمد ﷺ، ويلائمه النهي الآتي ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ أي: إنْ اتبعتم تلك السُّبُل المُحْدَثة فإنها ستَميل بكم وتشتتكم عن سبيل الله المستقيم، وقد تضمنت هذه الآية – على وجازتها – الأمر بالتزام الإسلام عقائدا وعبادات وأحكاما وأخلاقا وآدابا، كما تضمنت النهي عن إتِّبَاع غَيْرِه من سائر الأديان والمِلَل والنِّحَل والأهواء والبِدَع، وهذا هو جوهر الإسلام، فمَن اتَّبَعَه وُفِّقَ ورُشِد، ومن أعرض عنه ضَلَّ وغوى، وحاد عن سبيل الهداية وطريق الله المستقيم الذي أمر الله المؤمنين أن يسألوه إياه في صلاتهم قائلين: ﴿اهدِنَــا

---

(١) السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم (أصول وضوابط) د. مجدي محمد عاشور ص: ٣٠٦ (بتصرف) دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧][1]، وهَدى إليه جميع الأنبياء والرسل وَوَصَّاهم به، فقال تعالى – بعد أن ذكر ثمانية عشر نبيا –: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧] [2]، وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٦١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى، الآيتان: ٥٢ – ٥٣] والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن الصراط قد وُصِفَ بالاستقامة في أكثر من ثلاثين موضع منه، خمسة منها في سورة الأنعام.

وبعد أن جاءت الوصية السابقة آمرة بالوفاء بالعهود والمواثيق، وهذا يمثّل قاعدة الثقة التي ينفرط دونها عِقْد الأمة ويتهدم، أتبَعه هنا بالوصية الداعية إلى وحدة الصف وعدم التَّفَرُّق والاختلاف، ونصوص القرآن والسنة كثيرة في هذا، ومنها قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢] وقوله تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦] وقوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥] وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣] ولا ريب في أن طريق الحق واحدة، وهي الطريق التي تنير بهديها السالك حتى يصل إلى شاطئ الأمان، وأن ما عداها طرق ضلال يَسْلُكها الراكب فيتخبط ويتعثر ويَضِلّ، وقد شرح النبي ﷺ هذه الآيات شرحًا بينًا مفصلاً بقوله ﷺ: ((ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعن جَنْبَي الصراط سُوران فيهما أبواب مُفَتَّحَة، وعلى الأبواب سُتُور مُرْخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تتعوّجوا، وداعٍ يدعو مِن جوف الصراط، فإذا أراد الإنسان أنْ يَفْتَح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إنْ فَتَحْتَه تَلِجه، فالصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي مِن فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم)) [3].

---

(١) أنظر: التفسير القرآني للقرآن ٢/٣٤٧ – ٣٤٨ .

(٢) أنظر: الآيات من (٨٣ – ٨٧) من هذه السورة .

(٣) المسند، لابن حنبل ٤/١٨٢ رقم ١٧٦٧١، قال الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: ((خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ خَطًّا فقَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: وهَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ تَلَا ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ إلى آخر الآية)) [1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (قوله: ﴿فاتبعوه ولا تتبعوا ...﴾ وقوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣]، ونحو هذا في القرآن، قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة، وأخبرهم أنَّه إنَّما هلك من كان قَبْلَهم بالمِرَاء والخصومات في دِين الله) [2].

وما أحوجنا نحن المسلمين اليوم إلى فقه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وامتثالهما، وتحكيمهما في سائر شئون حياتنا، وفيهما الدعوة إلى الوحدة والائتلاف، والنهي عن التفرق والاختلاف. وما أحوجنا إلى الاحتكام إليهما عند الاختلاف، والرضا بحكمهما امتثالا لقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣] وقوله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [النساء:٦٥]

وكيف لا نتحد وعندنا كل مقومات الوحدة والائتلاف؛ فديننا واحد، وكتابنا واحد، ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة، وغايتنا واحدة؟! وليس المقصود الإعلان السياسي عن وحدة صورية، وإنما الوحدة الحقيقية المبنية على هدى شريعة الإسلام التي تجعل المسلمين كالجسد الواحد تراحما وتلاحما وتكاملا .

ولنعتبر بغيرنا من الدول الغربية التي أخذت في لملمة الجراح، وتناسي المآسي والمجازر الوحشية والإبادات البشرية التي خلفتها الحروب الطاحنة التي دارت بينهم وعلى رأسها الحربين العالميتين (الأولى والثانية)، وعملت على تكوين تجمع قوي (الاتحاد الأوربي) وأسواق أوروبية مشتركة، مع عدم وجود مقومات الوحدة عندهم؛ حيث تختلف كثير من تلك الدول في الدين، واللغة، والفكر والثقافة، والعادات والتقاليد، وغيرها من مقومات الوحدة.

ولعل واقعنا اليوم – ونحن نعيش فِرَقا وأحزاباً ومذاهب وطوائف شتىً – يجعلنا نتصور معنى هذه الآية تصوراً كاملاً، ويفرض علينا التَّنبُّه لِمَا يخطط له أعداء الإسلام والمسلمين من يهود ونصارى وغيرهم، من إضعاف المسلمين وتفريق وحدتهم؛ بإحياء النزعات الجاهلية، وإذكاء الخلافات المذهبية والحزبية، وإثارة النَّعَرات الطائفية والقومية، وتجزيء الدول العربية والإسلامية إلى دويلات صغيرة متناحرة، وفق ما سمّوه بـ(الشرق

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١/١٨٠ برقم ٦، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، والحاكم في المستدرك ٢/٢٦١ رقم ٢٩٣٨، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح..

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٣٦٥ ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

الأوسط الجديد) أو ما يسميه البعض بـ (اتفاقية سايس بيكو جديدة) التي تهدف إلى إعادة الاستعمار، والتمهيد لقيام دولة إسرائيل الكبرى، يقول اليهود: (لا بد من إشعال نار الخصومة الحاقدة بين كل القوى لتتصارع، وجعل السلطة هدفاً مقدساً تتنافس كل القوى للوصول إليه، ولابد من إشعال نار الحرب بين الدول، بل داخل كل دولة، عند ذلك تضمحلّ القوى وتسقط الحكومات، وتقوم حكومتنا العالمية على أنقاضها)[1].

وكما بدأ الله تعالى هذه الوصايا بالدعوة إلى التوحيد الخالص في صورة النهي عن الشرك بكل أشكاله وصوره، فقد ختمها بالدعوة إلى الوحدة باتباع الصراط المستقيم الجامع للتكاليف والشرائع، وربط ذلك بالتقوى التي هي جماع الأمر، ومعيار قبول الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]، وبهذا المنهج التربوي الرباني القويم يتربى المسلم على مراقبة الله تعالى وخشيته في أقوله وأفعاله، وعلى الثقة به والتوكل عليه، فيعيش سعيدا مُعْتَزا بِدِينِه، آمنا على نَفْسِه وعِرْضِه ورِزقِه، فيعمل وينتج، ليكون خليفة الله في أرضه.

الخاتمـــة:

بعد الطواف في رحاب هذه الوصايا العشر التي تُمَثِّل أصول هذا الدِّين وكلّياته، ومنهج الله القويم وصراطه المستقيم، خَلُصَ البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات من أهمها:

❖ أنَّ التوحيد هو القاعدة الأساس التي تُبْنَى عليها كل العلاقات والمعاملات في الإسلام، ولهذا بدأ الله تعالى هذه الوصايا بالنهي عن الشرك بكل أشكاله وصوره، ليتربى المسلم على مراقبة الله وخشيته في كل قول أو عمل يصدر عنه.

❖ لقد رسمت هذه الوصايا العشر منهجا شاملا لكل مناحي الحياة؛ فبينت للإنسان علاقته بِرَبِّه القائمة على التوحيد والإخلاص والامتثال، وعلاقته بأُسْرَته القائمة على العطف والحنان والبر والإحسان، وعلاقته بمُجْتَمَعِه المبنية على العِفَّة والطهارة، والتكافل والتراحم، والعدل والوفاء والاستقامة، وبذا تستقيم الحياة ويسود الأمن والاستقرار فيعيش الفرد سعيدا آمنا على نفسه وماله وعرضه، فيعمل وينتج، لِيَكَون خليفة الله في أرضه.

❖ الإحسان يُمَثِّلُ مع العدل جوهر العلاقة السليمة بين الأفراد والمجتمعات والدول، وبهما تستقيم الحياة، وتدوم الحضارات، وتُحْفَظ الحقوق، وتُصَان الأعراض، وشَرْعُ الله كله قِسْطٌ وعَدْل، وبذا يَسُود الأمن والاستقرار والسلام.

❖ تبين من خلال الدراسة أن هذه الوصايا تشتمل على مقاصد الشريعة الإسلامية التي هي العناصر المكونة لحقوق الإنسان، وهذه الحقوق التي جاء بها الإسلام تتصف بالثبات والشمول والإلزام، ولا تقبل التجزئة ولا التبديل، ولا إفراط فيها ولا تفريط، ويترتب عليها الثواب والعقاب.

❖ تبين من خلال هذه الوصايا حكمة وعظمة التشريع الاسلامي وواقعيته وملائمته للفطرة، في نهيه عن الاقتراب من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وذلك حفاظا على الفرد من الأمراض الفتاكة، وإحاطة الأسرة والمجتمع بسياج منيع من العفة والطهارة.

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، عند الحديث عن الصهيونية، نسخة الكترونية .

❖ يوصي الباحث بضرورة تكامل جهود المسلمين الرسمية والشعبية في انشاء الكثير من المؤسسات والجمعيات الخيرية لرعاية وإيواء الملايين من الأيتام والمُهَجَّرين من الأطفال والنساء والشيوخ الذين يزدادون يوما بعد يوم نتيجة الصراعات والحروب.

❖ في هذه الوصايا الدعوة إلى الوحدة والاتفاق، والتحذير من الفرقة والاختلاف، وواقع الناس اليوم يشهد بأن العرب والمسلمين لن تقوم لهم قائمة، ولن يكون لهم وزن إلا إذا اتحدوا، وعندهم كل مقومات الوحدة، وعليهم أن يتنبهوا إلى ما يخطط له أعداء الإسلام لإضعاف المسلمين وتفريق وحدتهم.

وفي الختام لا أَدَّعِي أنني قد أَوفَيْتُ هذه الوصايا حَقَّها من البيان والإيضاح، فكل وصية منها تتضمن الكثير من المعاني والدلالات والحِكَم التي لا يَسَع المقام لِبَسْطها، لذا يوصي الباحث بدراسة كل وصية في بحث مستقل.

نسأل الله أن يرزقنا عِلما نافعا، وعملا مُتَقَبَّلا، وهدى ليس بعده ضلال، وأنْ يُجَنِّبنا الفتن ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ، وأنْ يَمُنَّ علينا بالأمن والاستقرار والسلام، وله الحمد في كل ابتداء وختام.

قائمة المصادر والمراجع:

١ -الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٢ -إحصاءات حتى١ -٦ -١٤٢٣هـ، نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة.

٣ -إرشاد العقل السليم، لأبي السعود العمادي، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨ه.

٤ -الأساس في التفسير، لسعيد حوى، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

٥ -أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٥ه/١٩٩٥م،

٦ -آيات الهلاك في القرآن، لفرحان خالد مقبل (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة صدام للعلوم الإسلامية، بغداد، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٧ -البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ.

٨ -التبيان في أقسام القرآن، لمحمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية ص: ٣٦ ، دار الفكر

٩ -التحرير والتنوير، لابن عاشور، نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة.

١٠ -تحفة اليتيم واللقيط، لمحمود بن أحمد أبو مسلم، نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة.

١١ -تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، لمحمد بن الأمير الصنعاني، تقديم وتخريج وتعليق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر (نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني).

١٢ -تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

١٣ -التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي.

١٤ -التفسير الكبير، للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

١٥ -التفسير المنير، للدكتور وهبه الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١٦ -جامع البيان، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٧ -الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٨ -الدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

١٩ -الدر المنثور، لجلال الدين السيوطي ، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م .

٢٠ -روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢١ -زاد المسير، لابن الجوزي، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٢٢ -سبل السلام، لابن الأمير الصنعاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٤، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

٢٣ -سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٤ -السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم (أصول وضوابط) د. مجدي محمد عاشور، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

٢٥ -سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦ -شرح تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، لعبد المحسن بن حمد البدر، (نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني).

٢٧ -الشرك بالله تعالى أنواعه وأحكامه، لماجد محمد علي شباله (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة صنعاء، كلية الآداب، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٨ -صحيح ابن حِبَّان، لأبي حاتم محمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م،

٢٩ -صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣٠ -صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج، دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة، بيروت .

٣١ -العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية، للدكتور فؤاد بن عبدالكريم العبدالكريم، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣٢ -فتح القدير، للشوكاني، تحقيق: علي محمد عمر، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٦هـ.

٣٣ -الفرائض وشرح آيات الوصية، لعبد الرحمن السهيلي، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٣٤ -فضل كفالة اليتيم، لعبد الله بن ناصر السدحان، نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة.

٣٥ -الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ، دار الفكر - سوريَّة – دمشق، ط٤

٣٦ -الفقه على المذاهب الأربعة، لعبد الرحمن الجزيري، نسخة الكترونية،

٣٧ -في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط:١٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٣٨ -القصاص (دراسة في الفقه الجنائي المقارن)، للدكتور. هاني السباعي، مركز المقريزي للدراسات التاريخية، لندن، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٣٩ -كتاب الكبائر، لشمس الدين الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت،١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٤٠ -لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١

٤١ -مجلة مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٤٢ -مجمع الزوائد، للهيثمي ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

٤٣ -المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م.

٤٤ -المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١١هـ /١٩٩٠م..

٤٥ -المسند، للإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

٤٦ -المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى، لعلي بن نايف الشحود، نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة.

٤٧ -من وصايا القرآن الكريم، لمحمد الأنور البلتاجي، دار التراث العربي، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

٤٨ -منشور بعنوان (بيان علماء اليمن حول مؤتمر النوع الاجتماعي "الجندرا" الذي انعقد مؤخرا في صنعاء، وتأييدا لبيان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين) بتاريخ ٢ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ الموافق ١٤/٣/٢٠١٢م.

٤٩ -المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، للدكتور يحيى بن محمد زمزمي.

٥٠ -الموافقات في أصول الشريعة، لإبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)

٥١ -الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار السلاسل، الكويت، ط٢

٥٢ -الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، نسخة الكترونية .

٥٣ -النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥٤ -الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق . بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٥٥ -الوسطية في القرآن الكريم، للدكتور علي محمد الصلابي، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

قراءات في تاريخ العصور الوسطى

مصطلح "العصور الوسطى" ظهوره و دلالته في أوروبا و إنتقاله إلى الكتابة التاريخية العربية مع ترجمة لبحث "العصور الوسطى" للمؤرخ الفرنسي آلان بورو

د/ محمد محمد ناصر الحداد
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد -قسم التاريخ
كلية التربية و الألسن – جامعة عمران

11

الملخص

تتعدد الآراء في موضوع تقسيم التاريخ إلى حقب مختلفة ، فكل فريق من المؤرخين و المحللين له مبرراته و مرجعياته التي يبني عليها ذلك التقسيم و التي تتناسب في كثير من الأحيان مع تاريخه و تعد جزءا من تكوينه و هويته ، و كما تعددت الآراء في موضوع التحقيب عامة فقد كثرت فيما يخص تعريف و تحديد حقبة العصور الوسطى أو المتوسطة خاصة عند الحديث عن هذه الفترة من تاريخ أوروبا. و مما لا شك فيه أن ظهور فكرة التقسيم التاريخي قد سبقت ظهور المصطلحات التي تشير إلى الحقب المعينة المتفق عليها بين المؤرخين و المؤسسات التعليمية. و إننا نحاول -في هذا البحث - تتبع تاريخ ظهور التقسيم التاريخي خصوصا في الكتابات الغربية و ما تلاه من ظهور مصطلحات تحمل دلالات دقيقة تشير كل منها إلى فترة دون غيرها. إن بوادر التقسيم التاريخي البسيطة قد ظهرت في الكتابات الغربية منذ القرن الثالث عشر الميلادي – مستمدا فكرته من رؤى تعود إلى القرن الثامن الميلادي - و ذلك إعتمادا على التاريخ الدينى او الكنسي و الذي اعتمد كمرجعية في فكرة التقسيم لدى هؤلاء الغربيين. و عليه فإن مصطلح "العصور الوسطى" الدال على فترة من التاريخ الغربي قد ظهر في أوروبا قبل أن يظهر في الأدب التاريخي العربي، حيث ينسب إلى جيوفاني أندريا بوسي كأول من إستعمل هذا المصطلح عام ١٤٦٩م و في نفس الوقت هناك من يرى أن فلافيو بوندي دو فورلي قد إستعمله عام ١٤٥٠م ، لكن ذلك لم يكن سوى البداية لظهور فكرة العصور الوسطى كفترة متميزة عن التاريخ القديم و بدايات المولد الجديد لأوروبا. و قد توجب على هذا المصطلح الإنتظار حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حتي يصبح متداولا و متعارفا عليه في أوساط المؤسسات التعليمية الأوروبية و قد إنتقل سريعا إلى الكتابة العربية بفضل التراجم. كما اننا قمنا بترجمة لبحث على درجة كبيرة من الأهمية هو بحث العصور الوسطى للمؤرخ الفرنسي آلان بورو و الذي امدنا بالكثير من المعلومات لهذا البحث و الذي افردنا له جزءا خاصا في هذا العمل.

المقدمة :

الحمد لله والصلاة و السلام على خير خلق الله – محمد بن عبدالله – الصادق الأمين ، الذي بعثه الله معلما و رحمة للعالمين و على آله و صحبه أجمعين. و بعـــــــــــــــد :

فإنه و بعد ما يقرب من سبع سنوات من العمل كمحاضر ألقيت خلالها العديد من المحاضرات في مختلف الأقسام و في مختلف الجامعات اليمنية لا سيما أقسام التاريخ و في مختلف المواد التاريخية (تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، تاريخ العرب الحديث، تاريخ العرب المعاصر، تاريخ اليمن الحديث، تاريخ المغرب و الأندلس، التاريخ و الحضارة الاوروبية، اللغة الفرنسية و الترجمة...) فقد أدركت أن طلابنا الأعزاء بحاجة إلى من يوجه تفكيرهم التاريخي و قدراتهم كمؤرخين جديرين بأن يكونوا محللين أيضا. فالكثير من هؤلاء الطلاب لا يستطيع أن يكون جملة صحيحة توحي بأن قائلها طالب جامعي أو حتى مثقف متواضع فضلا عن أن يستخدم هؤلاء الطلاب تفكيرهم في تحليل حدث تاريخي معين. و لكم كنت مستغربا كلما طرحت سؤالا حول معنى التاريخ و التقسيم التاريخي و دلالاته و أسبابه و أهدافه و دلالة العصور الوسطى كغيرها من الحقب التاريخية على طلاب السنة الثالثة والرابعة و لا أجد جوابا شافيا أو على الأقل جوابا يعكس نظرة أو ثقافة تاريخية. فمعظم الإجابات لا تتعدى بعض الكلمات العقيمة التي لا تحمل أي معنى و من هذه الإجابات التي حصلت عليها من بعض من يفترض أن يكونوا من مؤرخي المستقبل أن ،،التاريخ،، هو ،،التاريخ،، أو أن التاريخ يعني الأحداث التي مرت فقط. أما فيما يتعلق بالتقسيم التاريخي فإن الكثير من الجامعيين يشير إلى أن ،، التاريخ ينقسم إلى تاريخ قديم و معاصر،، ، علما أن قائل هذه الإجابة يجهل أسباب ومبررات و دواعي هذا التقسيم و كذلك حدوده الزمنية والجغرافية المفترضة في نظر المؤرخين ، كما أن هؤلاء الطلاب يجهلون و جود فترة وسيطة و فترة حديثة يمكن دراستهما كحقب مستقلة عن غيرهما. هذا و لم يقف الحد عند الإستغراب بل تعداه إلى الحزن عندما فاجأني بعض هؤلاء الطلاب بالقول إن " المغرب يقع في قارة آسيا حيث يحده مصر من الشمال و الجنوب و اليمن من الشرق ، أما من الغرب فالله أعلم و من الشرق مصر و يضيف هؤلاء أن الاتحاد المغاربي يتكون من الاندلس و موريتانيا الملكية و تونس و المغرب الفيدرالية". و قد تحول الحزن إلى أسى حين يتحدث هؤلاء الطلاب بجهل تام لأبسط قواعد اللغة العربية ، تلك اللغة التي استوعبت كل العلوم في مرحلة ما من التاريخ لا سيما خلال ما يعرف بالتاريخ الوسيط و الذي يصادف تاريخ صدر الإسلام و على وجه الخصوص ابتداء من عصر الخلافة العباسية و ما بعده حينما كانت أوروبا تغط في ظلام و جهل دامس، حينها كان ملوك أوروبا لا سيما ملوك أسبانيا يتسابقون إلى تعلم اللغة العربية و الحديث بها ، حيث أصبحت اللغة العربية لديهم ما يشبه المؤهل لتولي العروش أو على الأقل إحدى النقاط المهمة في السيرة الذاتية للأمراء و الملوك ، كما أن العالم الإسلامي بمراكزه العلمية و جامعاته كان محطة ينهل

منها الطلاب القادمون من أصقاع أوروبا المعرفة في مختلف المجالات و يترجم علماء أوروبا المؤلفات التي حولت أوروبا إلى دور الريادة فيما بعد و التي كان للعرب و المسلمين السبق في وضع أسسها كالطب و الفلسفة والفلك و الرياضيات و غيرها. و تجدر الإشارة هنا إلى أن اللغة العربية قد " انتشرت في الأندلس منذ استقرار العرب في شبه الجزيرة الأيبيرية. وكان السكان الأصليون قد اتخذوا لغة القرآن للتفاهم والتعامل فيما بينهم، بل فضلها بعضهم على لغته الأصلية. لقد قام هؤلاء المستعربة الذين كانوا يتقنون لغة العرب، بدور الوسيط في نقل الكثير من بذور الحضارة العربية الإسلامية إلى الممالك الشمالية"[1]. "وكانوا يتنقلون بين الأندلس والمناطق الشمالية المسيحية"[2]. "كما كان بعضهم ينظم الشعر باللغة العربية"[3]. "ولم تنحصر اللغة العربية في المناطق الأندلسية ذات السيادة الإسلامية، بل انتشرت كذلك في ليون (Léon) وقشتالة (Castilla) ونفارا (Navarra) وغيرها من المناطق الإسبانية، وتحدث بها النصارى"[4].

أما الأمر الثاني الذي دعاني لإعداد هذا البحث فمتعلق بالمثقفين لا سيما الذين يكتفون بظاهر النصوص و لا يحللون ما وراءها من ظرفيات و مؤثرات و نتائج. وهؤلاء هم أنفسهم من يهتم بدراسة التاريخ السياسي و الأحداث فقط دون الوقوف عند هذه الأحداث و تحليلها و الوقوف على المداس التاريخية التي تدرس الأحداث و تحللها ، و أعني بذلك أنهم يسلسلون الأحداث و الوقائع و تناسوا منطق ابن الأثير و منهجه في كتابة التاريخ العالمي في كتابه المسمى الكامل في التاريخ و الذي نهج فيه أسلوب النقد و التحليل و التدقيق و الإلمام بمختلف الروايات و إيرادها جميعا في كثير من الأحيان تاركا للقارئ مهمة الأخذ بأي منها ، كما تناسوا تعريف إبن خلدون للتاريخ عن أنه رصد و تحليل ، إشارة إلى ضرورة فهم الحدث و ضرورة وضعه تحت المنطق الإنساني، لفهم الحقائق و استبعاد ما يتنافى مع المنطق و الحقيقة ، يقول إبن خلدون و اصفا فن التاريخ : (إذ هو في **ظاهره** لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفي **باطنه** نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق. وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها أو ابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها. وأدوها إلينا

---

[1] H.- R. Gibb: Literature, in The Legacy of Islam, Oxford University Press 1965, p. 188.

[2] أحمد هيكل: دراسات أدبية، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠، ص ٦٣.

[3] أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٥، ص ٤٨٦ – ٤٨٧.

[4] S.- M. Imamuddine: Some Aspects of Socio – Economic and Cultural History of Muslim Spain, Leiden 1965, p. 187.

أنظر: محمد عباسة، العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٤، سنة ٢٠٠٠، جامعة منتوري ، قسنطينة، الجزائر.

كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل، والتطفل على الفنون عريض وطويل، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل. والحق لا يقاوم سلطانه، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه، والناقل إنما هو يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل، والعلم يجلو لها صفحات الصواب و يصقل)[1]. و إنني هنا أريد أن أسجل أنني مع نظرة العالم الجليل إبن خلدون للتاريخ وأعني بذلك أنني كمؤرخ لا أهتم كثيرا بطرح سؤال عن متى كان الحدث الفلاني بقدر ما يهمني معرفة الأسباب التي تقف وراء هذا الحدث و طبيعته و نتائجه و الظرفية التاريخية لحدوثه و ما ورد فيه من آراء و ما يمكن أن يكون حقيقة و ما هو مضاف أو مزيف. و هنا لا بد أن أسجل أن المؤرخ و حسب قناعتي الشخصية هو أيضا صحفي و رجل سياسة و محلل و ناقد و مفكر و جغرافي و إعلامي ... إلخ. و كم كنت أتمنى أن نؤسس أقساما في جامعاتنا العربية لدراسة النصوص و تواريخها و تحليلها على غرار ما هو موجود في أوروبا و المساهمة في إبراز آراء المدرسة أو المدارس التاريخية العربية في دراسة مختلف الظواهر التاريخية . و من ضمن هذه المراكز الرائعة في أوروبا المعهد الوطني لدراسة تاريخ النصوص في باريس و هو المعهد الذي كان له الكثير من الفضل في مساعدتي في جمع مادة هذا البحث و الذي لم توصد أبوابه أمامي قط و لا امام كل الباحثين كلما واتتني الفرصة لأكون في باريس . كما اتمنى أن يتمكن المؤرخون و المهتمون بعقد الندوات و اللقاءات التاريخية لمتابعة ما هو مستجد من أبحاث و لتبادل الأفكار التي ستساعد في إثراء المدرسة التاريخية العربية المعاصرة.

يتناول هذا البحث مجالا تندر فيه الكتابة العربية و هو مجال التحليل و التأريخ للمصطلحات. و مما لا شك فيه أن دراسة ما يعرف بعلم المصطلحات La terminologie لا تيرمينولوجي هو شيء في غاية الأهمية ، وبقدر هذه الأهمية تكمن الخطورة حيث إن الدارس لهذا العلم قد يدخل في متاهاتٍ جمةٍ و يقابل الكثير من التعقيدات و المفاجئات مما يفقده الفكرة و الهدف الاساسي لأي دراسة يقوم بها . فما يعرف بعلم المصطلحات هو علم يخدم العلوم الأخرى و ليس غاية في حد ذاته . و إنني هنا بصدد الخوض في هذا المجال و لكن في حدود معروفة و على طريق أرى نهايته قبل ان أبدأه، و أعني بذلك أنني سأتناول في هذه الدراسة مصطلحاً واحدا بهدف معرفة بدايات ظهوره في الأدبيات التاريخية العربية . إن هذا المصطلح هو مصطلح " العصور الوسطى" أو ما يعرف في اللغة الفرنسية

لو موين آج Le Moyen Âge

[1] إبن خلدون ، العبر و ديون المبتدأ و الخبر، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢، ١، ص١.

و في اللغة الإنجليزية The Middel Ages ذا ميدل آيجز وهو مصطلح يشير في كثير من الأحيان إلى حقبة من التاريخ الأوروبي على وجه الخصوص كما يرى بعض المؤرخين و هو ما لا نتفق معه ، حيث سنناقش هذه الرؤية لاحقا في هذا البحث الذي سنقسمه إلى أربعة محاور :

- المحور الأول : آراء في تقسيم التاريخ إلى حقب تاريخية مختلفة
- المحور الثاني : آراء في تعريف العصور الوسطى
- المحور الثاني : ترجمة بحث العصور الوسطى للمؤرخ الفرنسي آلان بورو
- المحور الثالث : ظهور مصطلح العصور الوسطى في أوروبا و إنتقاله إلى الكتابة التاريخية العربية

و تكمن أهمية هذا البحث في كونه –كما أحسب – من أوائل الأبحاث التي تسعى لدراسة ظهور تسمية "العصور الوسطى" في الأدب التاريخي العربي. أما منهجية بحثنا فهي تقوم على أساس طرح كل المعطيات و تحليلها مع الإشارة إلى ما نميل إليه من أفكار دون إلزام القارئ بالتوقف عند ما نراه بل نترك له ترجيح ما يمكن ان يستخلصه بنفسه. فالهدف الأساسي هو محاولة تحريك الركود الفكري لدى أبنائنا الطلاب على وجه الخصوص .

❖**المحور الأول : : آراء في تقسيم التاريخ إلى حقب تاريخية مختلفة:**

لا شك أن علم التاريخ هو من أجل العلوم و أعظمها ، و هو العلم الذي حاز على اهتمام الكثير من العلماء و المفكرين في مختلف الحضارات و الأمم. و من الجدير بالذكر أن علماء و مؤرخي المسلمين حين يتحدثون عن التاريخ يصفونه بالفن و العلم الجليل[1]. فعلم التاريخ هو العلم الجليل الذي يُعنى فيه المؤرخون بدراسة الماضي الإنساني و يدرسون الحوادث الماضية و الوثائق و يبحثون و يحللون كل ما ترك القدماء من آثار. و من تلك الآثار بالإضافة إلى الوثائق و الكتب نورد التقاليد والقصص الشعبية و الأعمال الفنية و المخلفات الاثرية و المدونات الاخرى بمختلف اشكالها و ذلك بهدف المعرفة و من ثم إعداد وثائق جديدة تسمى أيضًا، تاريخًا. كما أن المؤرخين يدرسون كافة مظاهر الحياة الإنسانية الماضية، الاجتماعية والثقافية، تمامًا مثل الحوادث السياسية والاقتصادية. كما يدرس بعض المؤرخين الماضي بهدف الوصول لفهم آلية تفكير وعمل الناس في الأزمنة المختلفة على نحو أفضل ، بينما يبحث الآخرون عن العبَر المستفادة من تلك الأعمال والأفكار، لتكون موجهًا للقرارات والسياسات المعاصرة. و من البديهي القول إن المؤرخين يختلفون فيما بينهم في الرأي حول عبَر التاريخ و الدروس المستفادة منه كل حسب قناعاته و أولوياته المبنية على إنتماء عقائدي أو سياسي أو فكري ...الخ. وهكذا، فإن هناك العديد من التفسيرات المختلفة للماضي. كما أن المؤرخين و

[1] أنظر : القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، المطبعة العامرية، ١٩١٣، ص .
- ابن خلدون، مصدر سابق ، ١، ص ١.
- إبن الأثير ، الكامل في التاريخ، بيروت، دار بيروت للطباعة و النشر، ١٩٨٢، ص ١ .

خلال القرون الماضية قد اهتموا في المقام الأول بالأحداث السياسية، وكانت كتاباتهم مقصورة على الدبلوماسية والحروب، وشؤون الدولة و ملوكها و قصورها ، حيث رتبوا هذا الأحداث و أوردوها حسب السنين. أما الآن ولا سيما منذ بدايات القرن العشرين، فقد وجه المؤرخون إهتماماتهم نحو العديد من الموضوعات الأخرى، فينظر بعضهم في الأحوال الاقتصادية و الاجتماعية و يتقصى أخرون تطور الحضارات و الفنون أو العناصر الأخرى للحضارات ، أما البعض الآخر فقد اتجه نحو النصوص و انشغل بتحليلها و التأريخ لها محللا نصوصها و مفرداتها و أوراقها .. إلخ. إننا عند ما نتحدث عن تقسيم التاريخ أو تحقيب التاريخ فيجب أن يكون ذلك الحديث مبنيا على المنطق في التفكير، و نعني بذلك أنه يتوجب علينا عند التقسيم أو التحقيب مراعاة الأحداث المهمة التي أدت إلى تحولات هامة في التاريخ الإنساني، وقادت إلى أحداث مفصلية جعلت الإنسان يتحول من مرحلة إلى مرحلة أخرى، ومن نمط حياة إلى نمط أكثر تطوراً أو على ألأقل مختلف إذا قارناه بما قبله ، لكننا يجب ألا ننسى أنه لا يمكن فصل أحداث التاريخ التي تسير كالنهر الجار و إنما يجب أن نفهم العلاقات بينها حتى و إن درسناها و تخصصنا فيها كلا على حده.

و بطبيعة الحال فإن هذا التحقيب هو شيء مهم جدا يساعد المؤرخ في فهم الأحداث في حياة البشرية التي تشبه حياة الفرد. حيث إن الفرد يجعل له محطات بارزة في حياته كزواجه أو ارتزاقه بأول مولود أو موت أحد و الديه و هكذا فيؤرخ لحدث ما بالرجوع إلى هذه العلامات البارزة و يعتبر مرحلة ما قبل زواجه متميزة عما بعد و كذلك مرحلة تحوله إلى أب تختلف عن غيرها من مراحل حياته و هكذا . والقصد هنا ليس فصل هذه الفترات و إنما تحديد ما تمتاز به فيما بينها. و تجدر الإشارة إلى أن فلاسفة التاريخ وكتّابه – لا سيما من الأوروبيين او المهتمين بتاريخ أوروبا – قد دأبوا على تقسيم التاريخ في الغالب إلى أربع حقب تاريخية هي كما يلي : - التاريخ القديم - التاريخ الوسيط - التاريخ الحديث - التاريخ المعاصر.

ونعود لنؤكد هنا أن هذا التقسيم التاريخي كما في العلوم الإنسانية ليس تقسيما واقعيا يضع الحدود و الفواصل التي لا يمكن التنازل عنها بين الحقب التاريخية التي توجب فصل كل مرحلة عما قبلها و عما بعدها ، فهذا التقسيم هو تقسيم افتراضي خاضع للرأي و المناقشة . و من الطبيعي أن تضع كل أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات لهذه الفترات حدودا زمنية بحيث تتنامط وتتناسق مع هويتها و مع الأحداث المهمة والفاصلة في المسيرة التاريخية الخاصة بها ، و نعني بذلك أن ما يحدد التقسيم التاريخي ليس عدد الفترات و إنما تلك الأحداث المعتمدة لدى كل أمة و حضارة بعينها . وقد وضع مؤرخو أوروبا هذا التقسيم انطلاقاً من طبييعة تاريخهم التي ناسبها هذا التقسيم، وقد سيطرت هذه الرؤية على تقسيم التاريخ في مختلف حضارات العالم أيضاً ، مع العلم أن الحضارات الأخرى حاولت التوفيق و المقاربة بين هذه النظرية الأوروبية في تقسيم التاريخ و بين الأحداث الهامة و المفصلية في تاريخها .

و من هذا المنطلق نقول إن من الجدير بالمؤرخ و المحلل و الناقد أن يطرح سؤالا حول وجوب أو إمكانية القبول بهذه النظرية أو محاولة توحيدها أو الوقوف في حدود مرجعياتها في التحقيب التاريخي كإطار لتقسيم تاريخ العالم ، و ذلك من منطلق أن تاريخ أي أمة أو حضارة هو جزء من تاريخ البشرية أو من التاريخ لعالمي و أن أي تقسيم لتاريخ أمة بعينها يسري أو لا يسري على بقية الأمم، و هو أمر يتفق و يختلف عليه الكثير من المؤرخين. و نعني بذلك أنه و على الرغم من شيوع هذه النظرية في تقسيم تاريخ البشرية لتاريخ قديم ثم وسيط فحديث فمعاصر ، إلا أنها تدخل ضمن آراء أخرى و نظريات تخضع للنقاش و الموافقة و المعارضة ليس من الضروري ان يكون حول الحقب في حد ذاتها فقط و إنما يتعدى ذلك ليكون فيما يجب أو ما يمكن إعتماده من أحداث هامة كأساس لهذا التقسيم. و نعني بذلك أننا لو طرحنا سؤالا بين المؤرخين حول تقسيم التاريخ إلى حقب تاريخية و ما يمكن أن نعتمده من أحداث في هذا التقسيم فإننا و دون شك لن نحصل على إجابة واحدة بل إن إي مؤرخ سيبرر إجابته برأي ما أو بحدث يعد جزأ من هويته. و من تلك الإجابات من يرى أن التقسيم الواقعي للتاريخ يكون بتقسيمه فقط إلى فترتين هما ما قبل التاريخ[1] و ما بعد التاريخ ، مبررا هذه الرؤية باختراع الكتابة كأحد أهم الأسس التي حولت حياة الإنسان في كل المجالات ووفرت له ذاكرة لم يستغن عنها عبر العصور، لتكون الكتابة محورا فاصلا بين مرحلتين دون سواهما و لا ثالث لهما[2].

في حين يرى آخرون أن التاريخ ينقسم إلى أربعة عصور هي :

- عصر ما قبل الميلاد (ميلاد المسيح عليه السلام).
- العصر النصراني (ظهور المسيح عليه السلام – ٦٢٢م).
- العصر الإسلامي (٦٢٢م – ١٧٦٩م).
- عصر الآلة (١٧٦٩م – نهاية الحياة على الكرة الأرضية).

و لا شك في أن اصحاب هذا الرأي لهم ايضا ما يبرر رأيهم في أن لكل مرحلة الكثير من الاسس التي لا يمكن تجاهلها في حياة الحضارة التي ينتمون اليها أو الإنسانية عموما. فحقبة ما قبل المسيح هي فترة طويلة جداً تمتد من بداية الخلق حتى ظهور المسيح عليه السلام، والسبب في عدم تقسيم هذه الفترة الطويلة حسب أصحاب هذا الرأي هو تراكم الأحداث فيها أولاً، ثم وصول الأحداث دون تفصيل، ناهيك عن الكثير من الانقطاعات في خضم الأحداث، ثم ما يلفها من غموض يجعل من الصعب الوصول إلى تحليل و تفسير و نتائج منطقية. أما الحقبة النصرانية فتمتد من ظهور المسيح عليه السلام (المؤرخ له بـ ١ م)، و حتى العام ٦٢٢م، وهو ظهور الإسلام و هجرة المصطفى –صلى الله عليه و سلم –، والسبب في اختيار النصرانية لتسمية

---

[1] تبتدئ عصور ماقبل التاريخ بظهور الإنسان، و تنتهي باختراع الكتابة و يمكن تقسيمهه إلى : العصر الحجري القديم و العصر الحجري الحديث و عصر المعادن.

[2] تبتدئ عصور التاريخ باختراع الكتابة و تنتهي بوقتنا الحاضر.

هذه الفترة هو أنها كانت ذات تغيير مفصلي في تاريخ العالم، فانتشارها كان انتشاراً سريعا جاب مختلف جهات العالم، حيث نجحت الحملات التبشيرية في نشر الديانة ، حتى أصبح من يعتنقها في عصرنا الحاضر يزيد عن ملياري إنسان، ومن هنا أصبحت ذات تأثير مباشر في سياق حياة العالم، فاستحقت بحسب أصحاب هذا الرأي أن يكون لها قسم خاص بها في تحقيب التاريخ العالمي. و هو نفس المنطق فيما يخص الحقبة التي تليها و التي يرى أصحاب هذا الرأي أن أهميتها لا تقل عما قبلها، فالإسلام قد وصل إلى كل أنحاء العالم شرقا و غربا كما أنه قد غير وجه العالم خصوصا حين استوعب أعظم امبراطوريتين في العالم (الفارسية و الرومانية) ووصل إلى أقصى بلاد الهند و السند ، و إلى قلب فرنسا، كما أن العلماء المسلمين قد و ضعوا الأسس لمختلف العلوم التي خدمت الإنسانية. كل هذه المبررات هي المرتكز الذي يبني عليه هؤلاء رأيهم في وضع حقبة من تاريخ البشرية تحت مسمى الحقبة الإسلامية. كما يرى أصحاب هذا الرأي أن أهم مرتكز لتسمية حقبة جديدة تلي الحقبة السابقة هو ابتكار الآلة عام ١٧٦٩م، حينها اخترع جيمس وات المحرك البخاري، مؤذناً باستعمال الإنسان للآلة، والتي بدأت تتعدد أشكالها وطرازاتها فيما بعد، حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسان، وما زال عصر الآلة مستمراً حتى الآن ، بل وسيستمر هذا العصر إلى نهاية حياة البشرية نظرا لازدياد ارتباط الآلة بالانسان و حياته يوما بعد يوم، و هناك من يرى أن عصر الآلة يمكن أن يعرف أيضا في و قتنا الحاضر بعصر الاقتصاد و الاستهلاك معتمدا في ذلك على التعاملات الاقتصادية و اهميتها و مدي سيطرتها على رسم مجرى التاريخ المعاصر و أحداثة و علاقات الأمم ببعضها و التي تضع الإقتصاد كأهم عامل في التعامل البشري. و على الرغم من تنوع المرجعيات لدى أصحاب هذا الرأي بين دينية و اقتصادية، إلا أنها تمثل علامات بارزة في حياة البشرية، حسب ما يرون و بالتالي لا نستطيع أن ننكر أهميتها مما يجعلنا نسلم بجزء منها.

أما الفريق الآخر فيرى أن أي تقسيم للتاريخ يجب أن يكون على أساس الشعوب التي تتمتع بهويات مختلفة و متميزة تميز أيضا تاريخها وحضارتها و بالتالي فتاريخ العرب يختلف و يتميز عن تاريخ الهنود الذي بدوره لا يشبه تاريخ الصينيين ، والأوروبيين أو البريطانيين، و الفرنسيين وهكذا. حيث لا يرى هذا الفريق أي جدوى في تقسيم تاريخ الأمم إلى حقب تاريخية، و إنما تكون الجدوى في دراسة تاريخ كل أمة على حدة، و هو ما نخالفه الرأي نظرا لكون العلاقات بين الشعوب عبر العصور المختلفة هو أمر مسلم به و بالتالي فدراسة التاريخ يجب أن تأخذ في الاعتبارعلاقات الشرق بالغرب و الشمال و بالجنوب و هكذا أما الفريق الذي يليه فيرى مرتكزا آخرا لتحقيب التاريخ، هذا التحقيب يقوم على تقسيم التاريخ حسب الموضوعات المدروسة ،حيث يرى المؤرخون هنا أن التعامل مع مظاهر خاصة من النشاط البشري في العصور الماضية هو ما يجب أن يحدد أي تحقيب أو تقسيم، فقد يدرس العديد من المؤرخين الاقتصاد والاجتماع والتاريخ الفكري، بالإضافة إلى دراسة التاريخ السياسي التقليدي. ويركِّز بعض المؤرخين على مواضيع متخصصة مثل تاريخ العلم، تاريخ

الطب ، تاريخ الفلسفة ، و تاريخ الهندسة أو تاريخ مجموعة عرقية، أو تاريخ مدينة بعينها[1]، و هي نظرية لا تقل أهمية عن غيرها من الآراء.

و بعد عرض هذه الآراء و النظريات في التقسيم التاريخي فإننا كمؤرخين لا نرى ضيرا في أن نأخذ بها مجتمعة لنفهم فلسفة التحليل التاريخي و نعطي كل حدث من عمر البشرية ما يستحقه، فكل حدث و كل جانب من الحضارة يحمل من الأهمية ما لا يحمله غيره و بالتالي نرى في هذه الآراء قاعدة و محطات تشبه محطات القطار التي تساعد المؤرخ في التزود بالوقود و المؤن كلما توقف في محطة لينطلق مجددا في دراساته شريطة أن يسلك طريقا يستطيع أن يقطعه و يصل إلى مبتغاه و نعني بذلك استحالة أن يسلك المؤرخ كل الطرقات التاريخية المتشعبة و ضرورة التخصص في مجال أو حقبة أو أمة بعينها. كما أن التقسيم أو التحقيب لا يعدو ان يكون نظريات تهدف إلى تسهيل التخصص في مرحلة أو مسار دون غيره ، فلولا هذا التقسيم لصعب على المؤرخ الإلمام التام بتاريخ البشرية و أحداثه و فهمها و تحليلها كما هو حاصل اليوم بفضل الاقسام و التخصصات الدقيقة في علم و فن التاريخ الجليل. كما أننا نستخلص أن ما يحدد أختلاف المؤرخين و إتفاقهم هي الأحداث و المرجعيات التي يعتمدون عليها في هذا التقسيم التاريخي و ليس عدد الفترات المراد وضعها.

❖ **- المحور الثاني : آراء في تعريف العصور الوسطى :**

قد يقول القارئ إن من المنهجية التي قد يمليها التسلسل المنطقي للأفكار أن نقوم بدراسة ظهور مصطلح " العصور الوسطى" في الكتابة العربية قبل أن نقوم بتحليل دلالته و معناه ، إلا أننا رأينا أن من المفيد أن نقوم أولا بدراسة مدلول هذا المصطلح و خصوصا فيما يخص التاريخ الأوروبي ، و ذلك نظرا لكثرة الآراء و اختلافها ، بالإضافة إلى أن هذا الجزء من البحث يأخذ حيزا كبيرا منه ، كما أننا ندرك أنه و بعد معرفة الآراء حول التقسيم التاريخي إلى حقب مختلفة (قديمة ، وسيطة، حديثة و معاصرة) و اختلاف الآراء فيما يعتمده المؤرخون في نظرياتهم و مبررات ذلك التقسيم و أسبابه و فوائده سيكون هذا المحور الذي يناقش دلالة المصطلح بمثابة المقدمة أو المدخل للقارئ لتأتي بعد ذلك الخطوة التالية و هي مناقشة ظهور المصطلح في أوروبا قبل أن ينتقل إلى الكتابة العربية، و بذلك تكتمل الصورة من وجهة نظرنا و هو الأمر الذي شعرنا به بعد قراءة مجموعة هذه المحاور لأكثر من مرة .

إن من الأهمية بمكان أن نشير مرة أخرى إلى أن المقصود من الدراسة في هذا البحث إجمالا و في هذا الجزء على وجه الخصوص هو مصطلح " العصور الوسطى" الأوروبية. كما تجدر الإشارة إلى أن الآراء قد تعددت و تشعبت في تعريف هذه الحقبة التاريخية كما تعددت في تعريف و تحديد غيرها من الفترات التاريخية ، سواء

[1] برز هذا النوع من الكتابة بشكل ملفت للنظر في التأريخ الإسلامي حيث انصرف العديد من المؤرخين العرب الإسلاميين لوضع تواريخ خاصة بالعديد من المدن مثل: تاريخ مكة المكرمة، دمشق، بغداد، القاهرة ... الخ.

من حيث امتدادها الزمني أو من حيث الأحداث التي اعتمد عليها المؤرخون للتأريخ لبدايتها و نهايتها وكذلك من حيث الدلالة الجغرافية لها ، بل يجب التذكير أن المؤرخين قد اختلفوا على مبدأ تقسيم التاريخ الى حقب مميزة عن بعضها البعض ، ففي الوقت الذي يرى فيه البعض أن تقسيم التاريخ إلى حقب مختلفة هو أمر لا يعدو – من ناحية - أن يكون تعسفيا و من ناحية أخرى فهو يعد وسيلة ممتازة للحفظ والتذكر[١] ، يرى آخرون أن هذا التقسيم ممكن ولكن على أساس أنه لا يمكن اختيار سنة بعينها أو حدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ أو بداية عصر آخر و يرى في ذلك نوعا من المبالغة التاريخية[٢]. وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين إلا أن الأغلب يأخذ بهذا التقسيم كوسيلة لتسهيل التخصصات و المنهجيات ، ولا يرى ضيرا في ذلك و نحن من هؤلاء .

و كما يتضح هذا الاختلاف بين المؤرخين حول مبدأ التقسيم من أساسه يتضح - كذلك - هذا الاختلاف جليا فيما يخص العصور الوسطى : تعريفها ، امتدادها، دلالتها الجغرافية و الزمنية ...الخ ، كما أسلفنا، فهناك من يعرف العصور الوسطى على أنها " الفترة الممتدة بين العصور القديمة التي يرى المؤرخون أن أغلب ظواهرها و معظم معالمها انتهت عند قريب من نهاية القرن الرابع الميلادي ، و برزت ظواهر أخرى واشتدت و غلبت على الناس و الزمان حتى أصبحت طابعا و اضحا لهما ، و لها صفاتها و مميزاتها التي أجمع المؤرخون على تسميتها باسم ،، العصور الوسطى،، . و ظلت تلك الظواهر و المميزات حية قوية ما لا يقل عن عشرة قرون إلى أن انبثقت أحوال أخرى في فكر الناس و طريقة عيشهم و أسلوب تصرفاتهم في الحياة ومعالجاتهم لشؤن الفنون و الأدب و التجارة و الاقتصاد و المعايش و الاجتماع ، بحيث أصبح واضحا ظهور عصر جديد في تاريخ الإنسانية ، عصر ثقافة و حضارة من نوع جديد هو الذي اصطلح الناس على تسميته باسم عصر النهضة "[٣]، و على هذا الأساس و اعتمادا على هذا الرأي فإن العصور الوسطى الأوروبية تمتد ما بين بداية القرن الخامس الميلادي و القرن الخامس عشر الميلادي . حيث يرى أصحاب هذا الرأي تميز هذه الفترة - الممتدة على مدى عشرة قرون - عما قبلها و عما بعدها ليس فقط على مستوى الأحداث بل أيضا على مستوى أسلوب حياة الناس و طريقة عيشهم بل و تفكيرهم ، ونعني بذلك ظهور الاقطاع و ظهور البابوية و سيطرة الكنيسة على معظم مناحي الحياة في أوروبا.

---

١ H. ST. L. B. MOSS, THE BIRTH OF THE MIDDLE AGES,
مترجم إلى اللغة العربية تحت عنوان: ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ، مراجعة د. السيد الباز العريني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ ، ص ١٠.

٢ سعيد عبدالفتاح عاشور ، أوروبا العصورالوسطى ، مكتبة الأنجلومصرية ،١٩٨٦، ١، ص٣ -٤.

٣ MOSS، مصدر سابق
، ترجمة ، ص ٦ -٧.

و في نفس السياق نلاحظ اتفاقا من فريق آخر على مبدأ امتداد ،، العصور الوسطى،، طوال عشرة قرون في تاريخ أوروبا كما تقدم في الفقرة السابقة إلا أن هذا الفريق يبني رأيه على أسس و اهتمامات أخرى، فمن وجهة نظره هذه يمكن القول إن "مصطلح العصور الوسطى" قد ظل " حتى زمن قريب يطلق على القرون العشرة الواقعة بين سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب في النصف الثاني من القرن الخامس و ظهور حركة النهضة الإيطالية في القرن الخامس عشر " الميلادي بطبيعة الحال ، و يضيف هؤلاء بحسب ما يذكره العالم الجليل المرحوم سعيد عبدالفتاح عاشور أن " ازدياد الاهتمام بالتقدم الحضاري الذي أصابته أوروبا منذ القرن الحادي عشر الميلادي ، أدى إلى الاعتراف حديثا بأن ثمة حضارة جديدة قوية شهدتها اوروبا في الجزء الأخير من العصور الوسطى ، مما ساعد في ظهور إتجاه بين الباحثين يرمي إلى قصر اسم ،،العصور الوسطى،، على القرون الأربعة التي سبقت النهضة الإيطالية مباشرة[1] ، أو التي تمخضت عن مولد هذه النهضة ، على أن تعتبر الفترة الواقعة بين القرنين الخامس و الحادي عشر (الميلاديين) بمثابة دور انتقال طويل بين العصور القديمة الى العصور الوسطى"[2]. و بناء على هذه الرؤية الأخيرة فإننا يمكن أن ننظر إلى العصور الوسطى على انها مسمى يقتصر على الفترة بين القرنين الحادي عشر و الخامس عشر الميلاديين. أما الفترة التي سبقت القرن الحادي عشر الميلادى وما حدث فيها من تغيرات فلم تكن - في نظر هؤلاء - سوى مرحلة تغير و انتقال من العصر القديم الى العصر الوسيط . و بناء على هذه النظرة فيمكن أن نقسم الفترة بين القرن الخامس الميلادي و القرن الخامس عشر الميلادي الى ثلاث مراحل هي كالتالي :

- الفترة من القرن الخامس و حتى القرن العاشر الميلاديين : تعد هذه المرحلة مرحلة انتقالية بين العصر القديم و العصر الوسيط . و ذلك اعتمادا على مبدأ أن اي مرحلة من التاريخ لا تبدأ في سنة بعينها و أن الانتقال من حقبة إلى أخرى تسبقه مرحلة من التغيرات في عموم مناحي الحياة السياسية و الفكرية و الأدبية و كذلك الاجتماعية ، و قد تستغرق هذه التغيرات عقودا أو قرونا .

---

[1] عاشور ، مصدر سابق ، ١، ص ٣.

* عصر النهضة قد بدأ في إيطاليا في حدود القرن الرابع عشر الميلادي قبل أن تتحول هذه النهضة لتكون أوروبية حيث بلغت أوج ازدهارها في القرنين ١٥ و ١٦، و بما أنها قد بدأت في إيطاليا فقد انتشرت النهضة إلى فرنسا و أسبانيا و ألمانيا و هولندا و إنجلترا وإلى سائر أوروبا . ازدهر شأن النهضة الإيطالية إذ وجدت لها أنصاراً يصرفون عليها المال الوفير، مثل أسرة ميديشي في فلورنسا وسوفرزا في ميلانو و البندقية و البابوات في روما. ويطلق عموما مصطلح عصر النهضة على فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة وهي القرون ١٤ – ١٦، حيث ظهرت تيارات ثقافية وفكرية متميزة عما سبق و قد بدأت في البلاد الإيطالية في القرن ١٤ ويؤرخ لعصر النهضة بفتح (سقوط حسب التعبير المستعمل في أوروبا) القسطنطينية عام ١٤٥٣م حيث نزح العلماء إلى إيطاليا حاملين معهم تراث اليونان و الرومان . من أعظم شخصيات النهضة في المجال الفني ليوناردو فينشي و مايكل أنجلو و ميكافيلي ، وغيرهم. و يمكن القول أن هذه الحقبة أثرت في الفن و االعمارة وتكوين العقل الحديث بل أنها لعبت دورا في عودة واعية للمثل العليا والأنماط الكلاسيكية. في هذه الفترة تم اكتشاف أراضي وشعوب جديدة حيث أتسمت هذه الفترة بظهور طائفة كبيرة من الرحالة و المكتشفين منهم الأمير هنري الملاح و كريستوفر كولومبوس و فاسكو ديجاما.

[2] عاشور ، مصدر سابق، ١، ص ٣.

- الفترة من القرن الحادي عشر و حتى الرابع عشر الميلادي : هي فترة العصور الوسطى . حيث يرى أصحاب هذا الرأي تميز هذه الفترة عما قبلها و عما بعدها ، بل و يجزمون بوجود حضارة ما هي ما يعتمدونه في رأيهم للبدء في التأريخ للعصور السطى في هذه المرحلة بالتحديد. و من مظاهر ذلك التطور الحضاري لأوروبا في القرن الحادي عشر الميلادي : إزدهار المدارس الكتدرائية و ظهور أولى الجامعات الأوروبية في سالرنو و بولونيا و باريس و مونتبلييه و اكسفورد[١].

- من القرن الخامس عشر و السادس عشر الميلادي فصاعدا : عصر النهضة.

كما يشير العالم الجليل سعيد عاشور إلى أن " أبناء المدرسة القديمة من المؤرخين قد أصروا دائما على إتخاذ سنة ٤٧٦ م – و هي السنة التي سقطت فبها الإمبراطورية في الغرب - حدا فاصلا بين العصور القديمة و الوسطى ، و سنة ١٤٥٣ م - و هي السنة التي سقطت فيها القسطنطينية في ايدي العثمانيين و انتهت فيها حرب المائة سنة بين إنجلترا و فرنسا[٢] – حدا فاصلا بين العصور الوسطى و الحديثة"[٣].

أما الفريق الثالث فيتمسك بنظرة عامة مبنية على الأحداث الكبرى كبداية و كنهاية لحقبة العصور الوسطى ، دون الاهتمام بالتفاصيل أو بما جرى من أحداث أخرى تقل في نظر هؤلاء عن أن تكون بنفس الأهمية التي احتلها سقوط روما في أيدي القوط[٤] و إنهيار الإمبراطورية الغربية عام ٤٧٦ م أو إكتشاف العالم الجديد عام ١٤٩٢ م ، حيث يرى هذا الفريق في سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية على أيدي القوط نقطة البداية لهذه العصور نظرا لما يمثله سقوط روما -في أعين العامة المعاصرين لهذا الحدث - من دلالات كانت في معظمها دليل شؤم ليس على الجزء الغربي من الامبراطورية الرومانية فحسب بل على العالم و البشرية جمعاء ويرى هذا الفريق من الباحثين في الكشوف الجغرافية و خصوصا وصول كريستوفر كولومبوس[٥] الى اميركا نهاية لهذة الحقبة التاريخية ، كون هذه الكشوفات تعد خطوة مهمة في حياة

---

[١] عاشور ، مصدر سابق ، ١، ص ٩١.

[٢] حرب المائة عام عبارة عن صراع طويل بين فرنسا وإنجلترا، وقد دام ١١٦ سنةً منْ ١٣٣٧ إلى ١٤٥٣م.

[٣] عاشور ، مصدر سابق ، ١، ص ٣.

[٤] القوط قبائل جرمانية شرقية أرجح الآراء أنهم قدموا من إسكندنافيا إلى وسط وجنوب شرق القارة الأوروبية ، لكن يبقى الخلاف على أصولهم والبلاد التي قدموا منها قائماً إلى اليوم. كان للقوط تأثير قوي في تاريخ أوروبا السياسي والثقافي. في القرن الأول الميلادي هاجرت قبائل القوط جنوباً إلى فيستولا(إحدى مدن بولندا حاليا)، واستقروا في سيكثيا (إحدى مدن كرواتيا حاليا) التي اطلقوا عليها اسم "اوم" وتعني مدينة الماء، وفي القرن الميلادي الثاني اتخذوا من مدينة ارهيمار عاصمة لملكتهم الناشئة، انضم إليهم العديد من القبائل الرعوية المقاتلة، وكان لهم هيبة ورهبة بين القبائل ربما لأنهم كانوا يقدّمون أسرى المعارك أضاحي لآلهم "تايز". في القرن الثالث انقسم القوط الي فرعين أساسيين : القوط الشرقيين و القوط الغربيين و في القرن الرابع اعتنق بعض من القوط المسيحية واتخذوا الأريوسية مذهباً لهم.

* لمزيد من المعلومات أنظر : عاشور، مصدر سابق،١، ص ٨٣ و١٠١.

[٥] كريستوفر كولومبوس (١٤٥١ -١٥٠٦) رحالة إيطالي مشهور، ينسب إليه اكتشاف العالم الجديد (أمريكا). ولد في مدينة جنوة في إيطاليا ودرس في جامعة بافيا الرياضيات والعلوم الطبيعية وربما الفلك أيضاً. عبر المحيط الأطلسي ووصل الجزر الكاريبية في ١٢ أكتوبر ١٤٩٢ م لكن اكتشافه لأرض القارة الأمريكية الشمالية كان في رحلته الثانية عام ١٤٩٨ م . بعض الآثار تدل على وجود اتصال بين القارة الأوروبية و الأمريكية حتى قبل اكتشاف كولومبوس لتلك الأرض بوقت طويل. من شخصيته جاء اسم بلد : كولومبيا .

البشرية و كونها أنهت مرحلة من الجمود الحضاري و الثقافي ساد حياة الشعوب الأوروبية معظم فترة العصر الوسيط ، بل إن أصحاب هذا الرأي يرون أن هذا الإنجاز قد وضع الشعوب الأوروبية في الواجهة مقارنة بشعوب العالم على الرغم من أننا نرى و من منظور تاريخي أن تلك الكشوفات و برغم أهميتها قد تحولت إلى وبال على بعض الشعوب الأصلية كالهنود الحمر في أمريكا أو السكان الأصليين لامريكا اللاتينية أو أستراليا.

أما الفريق الرابع فمتشعب خصوصا فيما يخص بداية العصور الوسطى حيث أخذ كل مؤرخ من هذا الفريق بعهد امبراطور أو معركة من المعارك الفاصلة ، أو صراع بين الوثنية و المسيحية كنقطة يعتمد عليها في رأيه ، فمنهم من يرى في عهد الإمبراطور دقلديانوس ٢٨٤ – ٣٠٥ م[1] بداية للتاريخ الأوروبي الوسيط و ذلك لما قدمه من إصلاحات في مجالات عديدة و كذلك موقفه العدائي من المسيحية، فقد جعل من نفسه في حمى جوبيتير كبير الآلهة و سمى نفسه Jovius أي المنتمي إلى جوبيتير و جعل شريكه ماكسيميان تحت حماية هيراكليوس بن جوبيتير و أطلق عليه Heraclius أي المنتمي لهيراكليوس ، و نتيجة لاضطهاده الشديد للمسيحيين فقد أطلق عليه سفاح المسيحيين[2] ، و عليه فلا بد من النظر إلى حكم هذا الإمبراطور على أنه يمثل فترة حاسمة في تاريخ أوروبا بل يجب اعتماده كمرحلة انتقال من التاريخ القديم إلى الوسيط. في حين يرى فريق آخر أن عهد قسطنطين الكبير ٣٠٥ -٣٣٧ م[3] بداية لهذه الحقبة الوسيطة

---

[1] دقلديانوس (بالإنجليزية : Diocletian) إمبراطور روماني حكم في الفترة من ٢٨٤ م حتى ٣٠٥ م : ولد عام ٢٤٥ م في مدينة سالونا بولاية دالماشيا بإقليم ايلليريا المطل على البحر الادرياتى غرب كرواتيا حاليا وكان أبواه فقيرين، انضم إلى طبقة الفرسان ووصل إلى رتبة دوق (اى قائد الفرسان) في ولاية ميسيا، ثم أصبح قائد قوات الحرس الامبراطورى الخاص وهى من الوظائف الخطيرة، وتجلت كفاءته العسكرية في حرب فارس . بعد موت الامبراطور نوريانوس (٢٨٣ – ٢٨٤ م) اعترف به بانه اجدر شخص بعرش الامبراطورية. كان اسم دقلديانوس الحقيقى (ديوقليز) وقد اختار اسم دقلديانوس بعد ان اعتلى العرش واتخذ دقلديانوس لنفسه تاجا (عصابة عريضة مرصعة باللآلئ) واثوابا من الحرير والذهب، واحذية مرصعة بالحجارة الكريمة. وابتعد عن اعين الناس في قصره، وحتى على زائره ان يمروا بين صفين من الخصيان والحجاب وامناء القصر ذوى الالقاب والرتب، وان يركعوا ويقبلوا اطراف ثيابه. عندما أعتلى " دقلديانوس " عرش الإمبراطورية الرومانية في سنة ٢٨٤ ميلادية حاول إدخال بعض الأصلاحات بإدماج ولايات وتقسيم ولايات أخرى. وكان مكسيميانوس شريكا لدقلديانوس في حكم الغرب.

❖ لمزيد من المعلومات أنظر : – عاشور، مصدر سابق،١، ص ٣٥. – معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، أ. د. أبراهيم خميس ابراهيم ، أ. د. حسن عبدالوهاب حسين ، د. سهير ابراهيم نعينع ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٣.

[2] معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، مصدر سابق ، ص ٣٣.

[3] قسطنطين الأول (٢٧ فبراير ٢٧٢ – ٢٢ مايو٣٣٧م) (باللاتينية Flavius Valerius Aurelius Constantinus Gaius) هو إمبراطور روماني يعرف أيضا باسم قسطنطين العظيم بن قسطانس وأمه القديسة هيلانة. لقد كان حكم قسطنطين نقطة تحول في تاريخ المسيحية، فهو أول امبراطور روماني اعتنق المسيحية، وعن طريقه تأثرت أوروبا بهذه الديانة حتى أصبحت وعاء لثقافة أوروبا إلى عصرنا الحاضر . في عام ٣١٣م أصدر مرسوم ميلانو الذي أعلن فيه إلغاء العقوبات المفروضة على من يعتنق المسيحية وبذلك أنهى فترة اضطهاد المسيحيين. كما قام بإعادة أملاك الكنيسة المصادرة. يوجد خلاف بين الباحثين إذا ما كان قسطنطين قد اعتنق المسيحية في شبابه تحت تأثير أمه هيلانة أو إنه تبنى المسيحية تدريجياً خلال حياته. بالإضافة إلى ذلك كان قسطنطين قد دعى إلى عقد مجمع نيقية المعروف باسم المجمع المسكوني الأول عام ٣٢٥م. اسس مدينة القسطنطينية و قام بإعلانها عاصمة رسمية للإمبراطورية الرومانية عام ٣٣٠م. وقد تم تغيير اسم المدينة إلى القسطنطينية – على اسمه – بعد موت قسطنطين عام ٣٣٧م. كانت اروبا تقريبا كلها خاضعة لقسطنطين ناصر الديانة المسيحية واقتلع الديانات الوثنية القديمة كما اسس كنيسة القيامة في الاراضي المقدسة، وكان الراعي لمجمع نيقية المسيحي وهو أول قانون تم فيه بلورة المسيحية بشكلها الحالي قبل الانقسامات في العصور التالية. توفي سنة ٣٣٧م أثناء معاركه مع الفرس ودفن في عاصمته القسطنطينية بعد ان تم تعميده وفق التقليد المسيحي. كانت القسطنطينية أول مدينة مسيحية في العالم ، وقد بقيت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية حتى عام ١٤٥٣ حين فتحها العثمانيون وتم تغيير اسمها إلى إسلام بول عام ١٩٣٠.

❖ لمزيد من المعلومات أنظر : – عاشور، مصدر سابق،١، ص ٤٠ -٥٩.

وذلك لأمرين الأول الاعتراف بالمسيحية كإحدى الديانات الرسمية في الإمبراطورية لتنهار بذلك إحدى الأسس التي كانت تقوم عليها الإمبراطورية ألا وهي عبادة الإمبراطور، أما الأمر الثاني الذي قام به الإمبراطور قسطنطين فهو بناء القسطنطينية أو روما الجديدة و اعتمادها عاصمة جديدة لإمبراطوريته . وهما حدثان لا يمكن لأحد أن ينكر أهميتهما في التاريخ الأوروبي عامة. أما الفريق الثالث فيرى في عهد جوليان المرتد ٣٦١ -٣٦٣ م[١] نقطة يقف عندها للحديث عن بداية التاريخ الوسيط و ذلك لموقفه من الوثنية ضد المسيحية، ففي الوقت الذي كانت فيه المسيحية تسير نحو التفوق و السيادة بعد تحوله إلى الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، حاول هذا الإمبراطور وقف ذلك. و في بداية حكمه أصدر مرسوما للتسامح ، و لكنه منع رجال الدين المسيحيين من إلحاق الأذى بالوثنيين . ثم سرعان ما بدأ في إضطهاد المسيحيين ثم منعهم من العمل في التعليم ، و إبعادهم عن وظائف الجيش و الإدارة . و أخذ يصرف ببذخ لإعادة المعابد الوثنية إلى سابق عهدها ، و كذلك إجبار المسيحيين على دفع تعويضات عن الاراضي التي أخذوها من الوثنيين[٢] ، ثم سرعان ما بدأ سياسة التنكيل بالمسيحيين ، وهو أمر يرى بعض المؤرخين أنه يستحق الوقوف كونه يمثل مرحلة جديدة و فاصلة بين التاريخ القديم و الوسيط. أما الفريق الرابع فيرى في اعتناق القوط الغربيين للمسيحية[٣] بعد سقوط روما في أيديهم حدثا يعتمد عليه في القول ببداية حقبة جديدة من التاريخ هى ،، العصور الوسطى،، خصوصا و أن هؤلاء قد صبغوا مناحي حياتهم بصبغة مسيحية على الرغم من إحتفاظهم ببعض الخصوصيات[٤] ، و تكمن أهمية اعتناق القوط للمسيحية أولا في دخولهم هذه الديانة على المذهب الأريوسي المخالف لمذهب الإمبراطورية و ثانيا في حذو قبائل الوندال و البرجنديين و اللمبارديين حذوهم بخلاف الفرنجة مما سيؤثر في علاقة هذه الشعوب الجرمانية بالشعوب الأوروبية، و نعني بذلك أن هؤلاء القوط قد أصبحوا إلى حد ما "روماني الثقافة و مسيحي الدين " و بالتالي فقد أصبحوا كذلك "اوروبي الانتماء كبقية الشعوب" ، و بطبيعة الحال فإن تحول تلك الشعوب البربرية إلى شعوب حضارية هو

- معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، مصدر سابق ، ص ٣٣ -٣٤.

[١] يوليانوس (يوليان المرتد - يوليانوس الجاحد) (٣٣١– ٣٦٣م) (Julian) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية (٣٦١–٣٦٣م) حاول يوليانوس المرتد أن يعيد احياء الوثنية في الإمبراطورية الروما نية في عام ٣٦١ لكنه فشل، قبل أن تصبح المسيحية ديانة رسمية ووحيدة للإمبراطورية على يد الإمبراطورثيودسيوس الأول (٣٧٨ - ٣٩٥م).

❖ لمزيد من المعلومات أنظر : عاشور، مصدر سابق، ١، ص ٦٠.

- معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، مصدر سابق ، ص ٣٤.

[٢] معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، مصدر سابق ، ص ٣٤ -٣٥.

[٣] معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، مصدر سابق ، ص ٣٥.

[٤] FOSSIER R., Le Moyen Âge, Paris, Armand Colin, 1982-1983, I, p. 77.

- يرى عاشور أن القبائل البرابرة قد تأثرا بغيرهم من الشعوب و الحضارات و خصوصا الحضارة الرومانية على عكس المسلمين الذين اثروا في الشعوب الأخري التي أخذت قيم و نظم الحياة الاسلامية. أنظر: عاشور ،مصدر سابق، ١، ص ١٤٤.

شئ في غاية الأهمية . أما الفريق الذي يليه فيرى في معركة أدرنة ٣٧٨م[1] بين القوط و الإمبراطورية الرومانية و التي انتهت بمقتل الإمبراطور و هزيمة الرومان تحولا تاريخيا لا يمكن المرور دون النظر إليه كتحول مهم فحسب بل يتوجب كذلك - بناء على رأي هؤلاء - اعتبار ذلك بداية لمرحلة جديدة هي ما نسميها بالعصور الوسطى وذلك لا لشيء إلا لأن بعض الشعوب الجرمانية قد استطاعت أن تهزم جيش الامبراطورية الرومانية العظيمة التي كانت تعد رمزا للقوة و الحضارة ، و قد أظهرت هذه المعركة أنه بمقدور أي قبيلة جرمانية أن تهزم جيشا رومانيا. و كانت هذه الحقيقة بمثابة إنذار لقرب انهيار الامبراطورية الرومانية . و يرى فريق آخر في حكم ثيودسيوس الكبير ٣٧٩ -٣٩٥ م[2] مبررا يعتمد عليه في رأيه و يقول هذا الفريق إن هذا الإمبراطور هو من كسب ود القوط ، ذلك الشعب الذي لم يعرف سوي الصدامات و الحروب كغيره من الشعوب الجرمانية طوال فترة البحث عن موطن خصوصا مع الإمبراطورية الرومانية ، كما أن ثيودسيوس قد استطاع القضاء على المذهب الأريوسي ، و على هذا الأساس فلا بد من اعتبار هذه الخطوة الذي قام بها ثيودسيوس الكبير كإحدى التحولات التاريخية التي يجب الوقوف عندها بل و التأريخ لمرحلة جديدة تنتهي بها العصور القديمة و يبدأ معها عصر جديد هو ،،العصور الوسطى،،. و يرى فريق آخر في تقسيم الامبراطورية إلى قسمين شرقي و غربي عام ٣٩٦ م[3] حدثا وقفوا عنده و اعتمدوا عليه في رأيهم ، آما آخرون فيرون في اغتيال ستيلكو و السقوط الأول لروما عام ٤٠٦ -٤١٠ م[4] في أيدي القوط

[1] في التاسع من أغسطس من عام ٣٧٨م ، دارت رحى معركة إدرنة، أو معركة «أدريانوبل» كما تعرف في الغرب، بين قوات الإمبراطورية الرومانية وقبائل القوط، بالقرب من مدينة إدرنة التركية حالياً، أو أدريانوبل كما كانت تسمى سابقاً، وهي كلمة تعني مدينة إدريان، نسبة إلى اسم الإمبراطور الروماني، الذي شيدها، وتعد المعركة في نظر العدد الأكبر من المؤرخين، بداية النهاية بالنسبة للإمبراطورية الرومانية.

❖ لمزيد من المعلومات ، أنظر: معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، مصدر سابق ، ص ٣٥ -٣٦.

[2] قسم الامبراطورية الرومانية الى جزئين شرقي تحت و لده أركاديوس و غربي ناله ولده هونريوس. حول ثيودسيوس الكبير

❖ أنظر :

- معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، مصدر سابق ، ص ٣٦ -٣٧.
- عاشور، مصدر سابق، ص ١١١.
- MOSS، مصدر سابق

، ترجمة ،ص٣٧.

[3] انظر :

- MOSS، مصدر سابق

، ترجمة ،ص٣٧.

[4] ستيلكو قائد هونوريوس.

❖ أنظر : - معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، مصدر سابق، ص ٣٧.

- MOSS، مصدر سابق

، ترجمة ،ص٣٨.

حدثا مهماً يبرر ما يرونه ، في حين يرى آخرون في عزل رومولس اوجسطولس ٤٧٦ م[1] بعد سقوط روما في أيدي القوط ثانية حدثا أهم مما سواه في رأيهم للتأريخ لمرحلة مميزة عما قبلها ، في حين يرى آخرون أن العصور الوسطى تبدأ ما بعد جستنيان ٥٦٥م[2] حين عادت سلطة الإمبراطور بعد الإهتزازات التي عمت الإمبراطورية الغربية منذ سقوط روما ، و يرى آخرون في تتويج شارلمان عام ٨٠٠ م[3] نقطة تستحق اعتبارها بداية للعصور الوسطى، و ذلك نظرا لأهمية هذه الخطوة في إعادة الإمبراطورية في الغرب الأوروبي بعد غياب دام أربعة قرون تقريبا و الذي بدأ بعد سقوط روما في أيدي القوط عام ٤٧٦م.

ومن خلال هذه الاجتهادات يتضح أن آراء المؤرخين قد تعددت حول بداية التاريخ الاوروبي الوسيط إلا أن مجمل هذه الآراء ترتبط ،،بضعف و سقوط الامبراطورية الرومانية بصفة عامة،،[4]. كما أن الكثير من هذه التحليلات تشير إلى بعض التطورات العظيمة التي حدثت في حدود القرنين الرابع و الخامس الميلاديين و التي كان لها أثر كبير في تغير وجه التاريخ القديم ، و هو ما يؤكده العالم سعيد عاشور ، لا سيما فيما يخص القرن الرابع الميلادي كبداية لهذه الحقبة التاريخية و القرن الخامس عشر الميلادي كنهاية لها : " و كل ما هنالك أننا نلمس في القرن الرابع حدوث بعض التطورات العظيمة التي كان لها أثرا في تغيير وجه التاريخ القديم ، و إن ظلت معالم هذا التاريخ القديم باقية في أوروبا إلى ما بعد القرن الرابع بكثير . من ذلك ما شهده ذلك القرن من اعتراف الامبراطورية بالديانة المسيحية سنة ٣١٣م، ونقل عاصمة الإمبراطورية إلى القسطنطينية سنة ٣٣٠م ، و ازدياد خطر الجرمان على كيان الامبراطورية الرومانية عقب موقعة أدرنة سنة

---

[1] من الأمور الشائعة قولهم إن الامبراطورية الغربية سقطت في ٤٧٦ عندما خلع أودواكر زعيم القوط الامبراطور رومولوس أوغسطولوس لكننا ننوه أن رومولوس كان مغتصبا للعرش. إذ أن الامبراطور الشرعي للاجزاء الغربية الذي لجأ إلى دالماشيا قبل ذلك ببضع سنوات، قد مات في ٤٨٠. و كان معنى ذلك من الناحية الدستورية أن زينون أصبح يحكم آنئذ الامبراطورية كاملة غير مقسمة من بيزنطة.

❖ أنظر :

- MOSS، مصدر سابق

، ترجمة ،ص٣٨.

- معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، مصدر سابق ، ص ٣٧ -٣٨.

[2] جستنيان الأول (فلافيوس بتروس ساباتيوس يوستيانوس) كان أمبراطورا رومانيا شرقيا (بيزنطيا) حكم منذ أغسطس عام ٥٢٧ م حتى وفاته في نوفمبر ٥٦٥. يشتهر بإصلاحه الرمز القانوني خلال لجنة تريبونيان والتوسع العسكري للأرض الإمبراطورية أثناء عهده، وزواجه وشراكته مع الإمبراطورة تيودورا . يعرف أيضاً باسم "الإمبراطور الروماني الأخير". يعتبر قديساً في الكنيسة الارثوذكسية ويحيى في الرابع عشر من نوفمبر . وقد تولي الحكم بعد وفاة عمه الامبراطور جستن الأول.

❖ لمزيد من المعلومات أنظر : - معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، مصدر سابق ، ص٣٨.

عاشور، مصدر سابق،١، ص ١١٢.

[3] لمزيد من المعلومات حول هذه الآراء أنظر : - معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، مصدر سابق ، ص ٣٩.

❖ شارلمان (٧٤٢ - ٨١٤) هو ملك الفرنجة حاكم إمبراطوريتهم بين عامي (٧٦٨ - ٨٠٠) وإمبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة بين عامي (٨٠٠ - ٨١٤). الابن الأكبر للملك ببين الثالث من سلالة الكارولنجيين . ويعتبر ببين القصير (حكم من عام ٧٥١ إلى عام ٧٦٨) مؤسس حكم أسرة الكارولنجيين في حين يعتبر ابنه شارلمان (حكم من عام ٧٦٨ إلى عام ٨١٤) أعظم ملوكها. حول شارلمان أنظر : عاشور ، مصدر سابق ، ١، ص ٢٠٠ -٢١٧.

[4] معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، مصدر سابق ، ص ٣٩.

٣٧٨م ، و إتخاذ المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية سنة ٣٩٢ م ، ثم تقسيم الإمبراطورية الرومانية الكبرى إلى قسمين شرقي و غربي سنة ٣٩٥م ، فالقرن الرابع إذا يمثل العصر الذي اجتمعت و تفاعلت فيه مختلف العناصر الاساسية التي كيفت تاريخ أوروبا في العصور الوسطى و هي الكنيسة و الجرمان و الإمبراطورية ، ... كذلك يلمس الباحث في تاريخ القرن الخامس عشر أن ثمة تطورات هامة اخذت تلم بالمجتمع الأوروبي - و لا سيما في النصف الثاني من ذلك القرن – لتغير المألوف و تنقل بذلك المجتمع –تدريجيا - نحو أوضاع أخرى جديدة . ففي سنة ١٤٥٣م سقطت القسطنطينية – عاصمة الإمبراطورية العتيدة – في أيدي العثمانيين ، مما ترتب عليه حدوث انقلاب خطير في شرق أوروبا نتيجة لاتساع نفوذ العثمانيين . حقيقة أن هذه لم تكن المرة الأولى التي تسقط فيها عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في أيدي الأعداء ، فقد سبق أن سقطت في أيدي رجال الحملة الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤ م ، و عندئذ تعرضت الامبراطورية البيزنطية و عاصمتها لأشد أنواع العبث على أيدي الصليبيين . و لكن على الرغم من العداء المذهبي الشديد بين الصليبيين الكاثوليك و البيزنطيين الأرثوذكس ، إلا أننا يجب أن نذكر أن هؤلاء الصليبيين كانوا مسيحيين غربيين . أما العثمانيون الذين استولوا على القسطنطينية ١٤٥٣م ، فلم يكونوا مسيحيين أو غربيين و إنما كانوا مسلمين شرقيين ، مما يوضح خطورة الانقلاب الذي تعرضت له أوروبا و حضارتها نتيجة ذلك الحدث . و إذا كانت سنة ١٤٥٣ تمثل نقطة تحول خطيرة في تاريخ ذلك الجزء الشرقي من أوروبا فإن هذه السنة ذاتها قد تكون عديمة الأهمية بالنسبة لكثير من بقية بلاد أوروبا . حقيقة انها شهدت أيضا هزيمة الانجليز في موقعة شاتيلون و بذلك وضعت نهاية فعلية لحرب المائة عام ، و لكننا لو دققنا النظر في تاريخ أنجلترا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وجدنا أن سنة ١٤٨٥ –التي شهدت قيام اسرة ثيودور في الحكم - أكثر بروزا و أهمية بالنسبة للتاريخ الإنجليزي بالذات.

ومثل ذلك يقال عن سنة ١٤٦٦ بالنسبة لبولندا لان فيها خضع الفرسان التيتون[١] و أنضمت بروسيا إلى بولندا و سنة ١٤٨٠ بالنسبة لروسيا لتحررها وقتئذ من نفوذ المغول ، و سنة ١٤٩١ -١٤٩٢ بالنسبة لاسبانيا لسقوط دولة غرناطة الإسلامية . هذا كله عدا ما شهده النصف الآخر من القرن الخامس عشر من حركة إفاقة شاملة سرت في المجتمع الأوروبي ليترتب عليها ما يعرف باسم حركة النهضة ، و هي الحركة التي كان أهم مظاهرها إحياء الآداب و العلوم و الفنون و تحرير العقل البشري من كثير من القيود القديمة ،

[١] تعتبر طائفة الفرسان التيتون إحدى الطوائف التي نشأت في العصور الوسطى مثلها مثل طائفة الداوية والاسبتارية التي نشأت زمن الحروب الصليبيه ، اما طائفة الفرسان التيتون فقد نشأت سنة ١١٨٩م بعد وفاة امبراطور المانيا فردريك بربروسا زمن الحملة الصليبية الثانية وطائفة فرسان التيتون من العنصر الالماني وكانت هذه الطائفة قد نقلت جهودها من بلاد الشام الى شمال اوروبا بعد خروج الصليبيين من الشام سنة ١٢٩٢م. .

وقد تمكنت هذه الطائفة من نشر المسيحية بين الشعوب السلافية شمال أوروبا وعلى الرغم من جهود التيتون في نشر المسيحية بشمال اوروبا فقد وقفت البابوية الى جانب البولنديين في حربهم ضد التيتون في القرن الرابع عشر ميلادي.

والتي جاءت مصحوبة باختراع الطباعة من جهة ، و اكتشاف الطرق البحرية إلى أمريكا و الهند من جهة ثانية ، ثم الثورة على الكنيسة و أوضاعها من جهة ثالثة. "[1].

أما نحن فنوافق هذه الأفكار مجتمعة في إعطاء أهمية كبرى لكل الأحداث التي حدثت كبناء القسطنطينية و نقل عاصمة الإمبراطورية و تقسيمها ...إلخ ، إلا أننا نعطي سقوط روما في نهاية القرن الخامس الميلادي في أيدي القوط الغربيين أهمية لا سيما لما كان لهذا الحدث من أهمية - ليس لدى الطبقات المسيطرة فقط و إنما لدى العامة أيضا -فسقوط روما – المدينة التي كانت تعد رمزا للقوة و التمدن و التحضر طوال التاريخ القديم - لم يقتصر في كونه حدثا مهما عابرا قد يعني بداية مرحلة جديدة فحسب بل إن البعض و لا سيما من العامة قد فسره على أنه بداية لنهاية العالم ، و على هذا الأساس فإننا نرى أن حدثا مثل هذا و ما له من رؤية تميزه عن غيره من الأحداث ، يستحق أن يقدم عما سواه في التأريخ لبداية العصور الوسطى. أما بداية عصر النهضة الاوروبية ، فنرى أنه لا يمكن المرور دون النظر إلى التحولات التي ظهرت منذ نهاية القرن الخامس عشر و بداية القرن السادس عشر الميلادي و ربما قبل ذلك ، لتؤثر على تاريخ العالم و بالتالي فإنه يمكننا الحديث و بثقة عن مرحلة مميزة عما قبلها، إلا أننا نرى أن بالإمكان إضافة فكرة إمكانية اعتبار البعثة النبوية و ظهور الإسلام علامة لنهاية العصور القديمة على مستوى العالم خصوصا و أن هذا الدين قد وصل شرقا و غربا و أن أوروبا لم تكن في معزل عنه بل إن هذا الدين الجديد قد وصل سريعا إلى عمق القارة المذكورة بل و كان له اثر عظيم في مصيرها ، و لا نرى ضيرا في أن نعتبر فتح القسطنطينية أو سقوط غرناطة نهاية لهذه الحقبة التاريخية . علماء أن ما طرحناه يتزامن مع مختلف الآراء المؤرخة لبداية و نهاية حقبة العصور الوسطي إلا أننا نريد أن نربط كل هذه الآراء بمرجعيات لا تمثل جزاء من هويتنا فحسب بل إن تلك المرجعيات التاريخية قد أثرت على تاريخ العالم.

و أيا كان التعريف فإن كل المؤرخين يجمعون على الفكرة القائلة بان حقبة العصور الوسطى هي حقبة طويلة جدا تميزت بعدم و جود أي قيمة للفرد دون الجماعة أو القبيلة و هي فترة سادتها الحروب والصراعات و تفشي الكثير من الأمراض و الأوبئة في أوروبا ، في حين أن العالم الإسلامي كان مصدر العلوم و المعرفة للعالم . فتلك العصور الوسطى المظلمة في أوروبا كانت متزامنة مع فترة ظهور الاسلام و بناء الدولة الاسلامية ثم الخلافة الراشدة ، فالدولة الاموية ، فالعباسية ، فالفاطمية ، فدولة الايوبيين ، فالمماليك ، فالإمبراطورية العثمانية . و لا شك أن فكرة العصور المظلمة التي يطرحها بعض المؤرخين العرب هي أيضا واضحة و مطروحة في أوروبا و الدليل علي ذلك هو استخدام الأوربيين أنفسهم لمصطلح عصر النهضة La Renaissance للفترة من القرن السادس عشر فصاعدا ، و التي تترجم ،،بالمولد الجديد،، مما يعني أن

[1] عاشور، مصدر سابق، ١،ص ٤ -٦.

المرحلة التي سبقتها هي مرحلة مظلمة و عقيمة مقارنة - في نظر هؤلاء - بما تلتها من فترات و كذلك مقارنة - في نظرنا و نظر المنصفين منهم - بحال العالم الإسلامي الذي كان في أوج حضارته . ومما لا شك فيه أن هذه الفكرة معروفة و لا يجهلها أحد. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المرحلة من التاريخ تشكل رحلة المجتمع الأوربي مع النظام الإقطاعي الذي ساد أوربا خلال الفترة من القرن التاسع وحتى القرن الرابع عشر و الذي سحق العامة من الشعوب الأوروبية ، حيث كانت القواعد العامة لهذا النظام الإقطاعي تكاد تكون واحدة قائمة علي الفردية و نعني بذلك في " التملك" ، فالملوك و النبلاء و الفرسان كانت لهم مصالح مشتركة قائمة على الأرض و العبيد و المال أما الفرد من العامة فلم يكن ذا قيمة تذكر و قد سعى هؤلاء الأغنياء الى البحث عن المزيد من الغني لمن هم أغنياء و المزيد من السحق لطبقة العامة ، لكن التأثير و النتائج لهذا النظام لم تكن واحدة في دول أوربا المختلفة، حيث أن العصور الوسطى بنظامها الإقطاعي قد أفرزت في النهاية أنظمة تختلف عن بعضها كل الاختلاف. فقد خرجت فرنسا من النظام الإقطاعي ملكية قوية، تمثلت في تعبير لويس الرابع عشر "أنا الدولة" ، بينما خرجت إنجلترا "ملكية مقيدة"، الملك فيها يملك ولا يحكم، على حين خرجت ألمانيا من هذا النظام الإقطاعي دولة ممزقة بكل ما تعنيه الكلمة. تجدر الاشارة الى ان المورخين الاوروبيين يقسمون –بدورهم - العصور الوسطى إلى ثلاث حقب تاريخية :

الأولى : هي العصور الوسطى البعيدة (العليا) ، و التي تمتد بحسب هؤلاء بين القرن السادس و العاشر الميلادي.

أما الثانية : فهي العصور الوسطى المتوسطة و تشير إلى الفترة بين القرن الحادي عشر و الثالث عشرالميلاديين.

أما الفترة الثالثة و الأخيرة : فهي العصور الوسطى القريبة (السفلى)، و تمتد بين القرنين الرابع عشر و الخامس عشر الميلاديين[١].

وينبغي أن نشير إلى أن العصور الوسطى أو القرون لوسطى في أوربا لم تكن دامسة في ظلامها تماما كما يمكن أن نتصوره من العقم فتلك المرحلة الأولى التي تلت سقوط روما في ايدي القوط الغربيين عام ٤٧٦م و التي امتدت لحوالي خمسة قرون (بين الخامس و العاشر الميلاديين) شهدت حضارة خاصة بها ممزوجة بين الحضارة الرومانية و الجرمانية، كما ان أوروبا لم تخل من مدنية لها شخصيتها واتجاهاتها وطبيعتها الخاصة وإن كانت لا تعتبر بطبيعة الحال في مرتبة المدنية الرومانية التي سبقتها في العصور القديمة أو مرتبة المدنية في العصور الأوربية الحديثة؛ وذلك لاختلاف مظاهر الحياة في تلك العصور ، كما أن هذه الحقبة شهدت إحياءً للأمبراطورية لا سيما بعد تتويج شارلمان (في القرن الثامن الميلادي). أما المرحلة الثانية

[١] FOSSIER R., op. cit, I, p. 77.

التي امتدت بين القرن الحادي عشر و الثالث عشر فقد شهدت نهضة اقتصادية و ثقافية مهمتين، و بالنسبة للمرحلة الثالثة التي امتدت من القرن الربع عشر فقد شهدت نهضة عمرانية هامة، كما تجدر الإشارة إلى أن "من أبرز خصائص العصور الوسطى : ظاهرة العالمية الممثلة في خضوع أوربا لحكم إمبراطوريتين كبيرتين هما الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية البيزنطية. أما الظاهرة الثانية فتمثلت في ظهور البابوية كسلطة دينية وهيبة مسيطرة بينما تمثلت الظاهرة الثالثة في ظهور نظام الإقطاع بجوانبه الإيجابية والسلبية.

كما شكلت الحروب الصليبية الظاهرة الرابعة التي كان لها أبلغ الأثر في تغيير الأوضاع الأوربية نتيجة لتعرف الأوربيين على جوانب كثيرة من الحضارة العربية الإسلامية التي احتكوا بها ونبهتهم إلى واقعهم المتردي آنذاك"[١].

- المحور الثالث : ترجمة بحث العصور الوسطى " Le Moyen Âge " للمؤرخ الفرنسي آلان بورو Alain BOUREAU[٢]

إن مصطلح العصور الوسطى (لو موين آج) " Le Moyen Âge " يحمل معنى عام ومتناقض في نفس الوقت، ففي الوقت الذي يشير فيه إلى فترة تاريخية والى نموذج لمجتمع معين في جهة معينة من العالم فهو يشير كذلك إلى نظامٍ تاريخيٍ يحمل دلالةً عالميةً.

إن أي تقسيم منهجي للتاريخ هو تقسيم (مجازي) conventionnel متفقٌ عليه ، حيث يظهر هذا الاتفاق حين يتم بناء تقسيم التاريخ على كمية صافية (فترة محددة) من الزمن كالقرن. إن من الأهمية بمكان القول : أن الجانب الفني (التصنعي) يتلاشى بالتدريج فيما نقدمه (نحن من أراء)[٣] سواء العلماء أو العامة حيث تأخذ هذه الآراء لون الحقيقة المميزة (بمعنى أن الآراء التي يطرحها المفكرون او الناس البسطاء تتحول

---

[١] أباظة (فاروق عثمان)، دراسات في تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية١٩٩٥، ص ١٧ -١٨.

[٢] 

- Dictionnaire du Moyen Âge, sous la direction de GAUVARD Cl., DE LIBERA A. et ZINK M., Paris, Quadrige, PUF, 2002, p. 950 –953.

[٣] نود التنويه إلى أن الكلمات أو العبارت التي تحتها خط في متن الترجمة هي من إضافة المترجم و ذلك للحاجة لربط النص و الأفكار و تسلسلها و ذلك تسهيلا لفهم الترجمة ككل.

تدريجيا و مع مرور السنوات لتأخذ لون الحقيقة و لكن فهم الآراء و الأحداث التاريخية يتطلب فهما شاملا للظرفية التاريخية العامة لهذا الحدث و ربطه بالأحداث الأخرى : فمثلاً لا يمكن تمييز (فهم) القرن السابع عشر الميلادي في أي حال من الأحوال ، دون النظر إلى سلسلة الأحداث ذات الطبيعة الخاصة التي حدثت خلاله ، مؤسسات ، اتجاهات ، وأخذها ضمن استمرارية زمنية (كونتينيوم) continuum وإدخالها ضمن الظرف الزمني ١٦٠١ –١٧٠٠م ، و التي تزداد صلابتها (أي فهم الصورة العامة للقرن السابع عشر) من خلال صور عامة ل (فرساي Versailles ، لويس ١٤ XIV Louis)[1] وكذلك من خلال (فهم) ممارسات فئوية (صحف ، جمعيات ، قضاة) (يمعنى أنه يتوجب علينا جمع كل تلك الجزئيات و ترتيبها كي نصنع الموزاييك المراد فهمه حيث ان كل جزئية تمثل قطعة و الكل يشكل الصورة العامة للقرن السابع عشر كمثال) . كما أن الجانب الفني (التصنعي) في التقسيم التاريخي يمكن أن يتلاشى حين يتعلق بناؤه بفترات طويلة كالعصور الوسطى[2] (وهذا يشير إلى صعوبة تجزئة الأحداث و عزلها ضمن فترات قصيرة و منطقية الحاجة للتحقيب ضمن فترات طويلة)، فنظراً للحاجة للإلمام العام بالمسار الزمني للتاريخ ظهرت الحاجة الماسة للتقسيم التاريخي منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ضمن البرامج الدراسية وبهذا تم الأخذ بالتقسيم العام لفلسفة التاريخ ضمن المؤسسة التعليمية ، ففي فرنسا يستمر التقسيم التاريخي إلى ٤ مراحل : التاريخ القديم (انتيكيتيه) Antiquité ، العصور الوسطى(لو موين آج) Le Moyen Âge، التاريخ الحديث (تم موديرن) Temps Modernes ، التاريخ المعاصر (إيستوار كونتمبوران) Histoire contemporaine . حيث يتقبل المؤرخون بشكل عام منطقية فكرة ألفية العصور الوسطى (أو فكرة ١٢ قرنا تمثل القرون الوسطى) : و التي تمتد منذ القرن الرابع أو الخامس الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي . وبالتأكيد فان النقاش كان قليلاً جداً في موضوع بدايات ونهايات التاريخ الوسيط ، بالإضافة إلى أن الحلول المقترحة هي قليلة و بشكل ملفت للنظر: فالعصور الوسطى تبدأ مثلا مع تتويج قسطنطين الأول[3] Constantin (٣١٣ م) الذي صبغ الدولة الرومانية بالمسيحية أو مع خلع روميليوس أوغسطس Romulus Augustule(٤٧٦م)[4] ، والذي كان علامة لسقوط الإمبراطورية الرومانية، وتنتهي العصور الوسطى مع

---

[1] لويس الرابع عشر، (ولد في ٥ سبتمبر، ١٦٣٨ وتوفي في ١ سبتمبر، ١٧١٥م)، حكم في ١٤ مايو، ١٦٤٣ قبل أشهر قليلة من يوم ميلاده الخامس. لكنه لم يكن يحمل السيطرة الفعلية حتى توفي رئيس الوزراء الكاردينال مازارين في ١٦٦١ م ، بقي على العرش حتى وفاته الذي حدث قبل يوم ميلاده السابع والسبعين بأيام قليلة. كان يلقب بالملك الشمس وذلك لاهتمامه ورعايته الأدب والفن. وهو الذي قام ببناء قصر فرساي في فرنسا. لويس الرابع عشر، صاحب ثاني أطول فترة حكم عرفت منذ القدم التي استمرت اثنتين وسبعين سنة وثلاثة أشهر بعد سوبهوزا الثاني ملك سوازيلند (١٨٩٩ – ١٩٨٢م).

[2] أي أن ذلك يصبح قريبا من المنطق.

[3] حول قسطنطين الأول أنظر الملاحظة رقم ٢٢.

[4] رومولوس أوغسطس (475-476 م) هو آخر ملوك الإمبراطورية الغربية فقد الملك مع سقوط روما في أيدي القوط الغربيين بقيادة أدواكر عام ٤٧٦ م.

سقوط بيزنطة la chute de Byzance (١٤٥٤م)[1] أو مع اكتشاف أمريكا(١٤٩٢م). هذا التقسيم يعد موضوع اتفاق رسمي عالمي ، يشهد على ذلك وجود جمعية عالمية لمؤرخي العصور الوسطى (ميديفيست médiévistes). (على عكس قلة الآراء و النقاشات في موضوع بدايات و نهايات فترة العصور الوسطى كدليل على الأتفاق على تميز هذه الفترة و حتمية وجودها) فإن الآراء تتعدد في موضوع تجزئة العصور الوسطى (نفسها) أو في موضوع إعطاء أهمية -غير متفق عليها - لحدث أو لظاهرة ما خلال هذه الفترة ، أما التجاوزات النادرة والتي تظهر كافتراضات بحثية فهي تؤكد صلابة الإتفاق (على وجود فترة وسيطة) :

فمثلاً حين يذكر جاك لوجوف[2] Jacques Le Gofe عصور وسطى طويلة (لونج موين آج) Long Moyen Âge تمتد حتى القرن ١٨م ونعني بذلك إلى بداية الثورة الصناعية ، أو حينما يمد جاي بوا Guy Bois التاريخ القديم حتى القرن ١٠م معتمداً على نمط الإنتاج العبيدي (لا برودوكسيون إسكلافاجيست la production esclavagiste ، حينها يمكن القول أننا أمام تحطيم لنظرية التحقيب التاريخي وأننا أقرب إلى مقترحات لتفسير النمط الاجتماعي السائد في المرحلة (و هنا يدل المعنى العام على ان هذه الآراء البحثية لبعض المؤرخين مثل لو جوف و بوا ليست سوى تجاوزات فردية مرتبطة بتحليل فردي و إعطاء أهمية كبرى للنمط و للظرفية الإجتماعية السائدة في فترة ما و صبغها بتلك الظاهرة و لكن هذه الآراء الفردية تؤكد الإجماع المتفق عليه بين معظم المؤرخين على وجود حقبة تاريخية وسيطة)، أما العلامة الأخرى التي تدل على صلابة نظرية التحقيب التاريخي فيما يخص (العصور الوسطى) فهي تكمن في ظهور المقاومة لمحاولات إعادة البناء التاريخي (تنتاتيف دو لا ريكومبوزيسيون tentative de la recomposition :

فمنذ بضعة عشرات من السنين ظهرت بعض الأعمال لهنري إيرينيه مارو Henri Irénée Marrou ثم لبيتر براون Peter Brown وغيرها لتبني مرحلة جديدة غير قابلة للتغيير هي " التاريخ القديم المتأخر" (لانتيكيتيه تارديف L'Antiquité tardive ، إلا أن المؤسسة الجامعية أدخلتها ضمن التاريخ القديم ، و أعتبرت العصور الوسطى موجودة و متميزة و هذا يعني فشل محاولة إلغائها و فشل فكرة إدخالها ضمن التاريخ القديم و التأكيد على وجودها رغم إختلاف الحدود الزمنية المعتمدة من المؤرخين)، (و هو نفس المنطق و المصير) فيما يخص العصور الوسطى والإعتبارات القديمة للنهضة الايطالية المبكرة ، و ما ظهر في المقابل في الولايات المتحدة من آراء للجمع بين العصور الوسطى المتأخرة و عصر النهضة (إن هذه الآراء تتعلق بالرغبة في ربط الماضي الوطني والعصور الوسطى الأوروبية) ، لكن ذلك لم يزعزع الألفية المتمثلة في العصور الوسطى (ليمثل ذلك فشلا آخر في الغاء هذه الفترة).

---

[1] عادة ما يشير المؤرخون إلى فتح القسطنطينية بعام ١٤٥٣ بينما يستخدم آلان بورو ١٤٥٤م كما انه يستخدم مصطلح سقوط القسطنطينية la chute de Byzance ولكننا بدورنا نعتبر ذلك فتحا و على هذا الاساس نستخدم في كتاباتنا مصطلح فتح القسطنطينية la conquête de Constantinople.

[2] LE GOFF J., La civilisation de l'Occident médiéval, Paris, Arthaud, 1977, 704 p. (première édition 1964).

إن هذا الثبات (الإتفاق) فيما يخص التقسيم التاريخي لا يمثل أي مشكلة حين يكون الموضوع هو (العصور الوسطى) والذي يحظى بإتفاق مؤسسي ، إلا أن إمتداده الجغرافي يفتح الباب أمام أسئلة كبيرة، بمعنى أن موضوع التحقيب التاريخي هو موضوع متفق عليه بين المؤرخين و المؤسسات التعليمية و خصوصا الجامعات و التي لا تختلف في وجود فترة العصور الوسطى المتميزة بالكثير من الخصوصية والتي تجعل من الضروري دراستها و التعمق فيها بل و الدفاع عنها، إلا ان هذا الإتفاق بين المؤسسات حول الفضاء الزمني للفترة المذكورة ليس بنفس المستوى حينما نتحدث عن الفضاء الجغرافي. ففي إطار ضيق ليس للعصور الوسطى دلالة منطقية سوى في أوروبا الغربية. فمن البديهي أن ننظر إلى فكرة وجود عصور وسطى مالينيزية mélanisienأو هندية amérindien على إنها فكرة منافية للمنطق (آبسورد) absurde ؛ كما أن الحديث عن اليابان في العصور الوسطى يمكن أن يأخذنا إلى مقارنة مغرية ، غير مجدية وخطيرة. بالإضافة إلى ذلك وعلى الرغم من القرب من الغرب الوسيط فإننا نتردد في الحديث عن عصور وسطى بيزنطية أو إسلامية . إن الدراسات التحليلية التاريخية المعاصرة ترى هذه الحصرية في دلالة مصطلح (العصور الوسطى) مبررة بأهلية التوجهات التي تعتبر مهيمنة (دومينانت) dominantes في الفضاء المعتبر (محل الدراسة و المقصود به الغرب الأوروبي)[1].

إن المناطقية " الانحصار في منطقة" في التقسيم التاريخي يقودنا إذاً إلى السؤال عن العصور الوسطى كظرفية تاريخية طويلة matricielle في إطار تاريخي كبير : فالعصور الوسطى تعرف على أنها فترة تكوين وبناء أوروبا المنافسة ، مهد الإنتاج الصناعي والمعاملات العامة (التبادلات). فمع استثناء بعض النجاحات المتفرقة لبعض الثقافات الأخرى[2] لا يوجد أي فضاء زمني آخر (غير العصور الوسطى) متميز بهذا الدور المادي الموسوم بالتطور التدريجي لسلسلة من العوامل المختلفة والتي ساهمت في الاقتصاد العالمي : تسخير (استغلال) الطاقة الحيوانية ، الآلية ، الأجور ، استقلال الوحدة العائلية، المدنية. إن هذه المؤهلات (العوامل) التي ظهرت خلال هذا الفضاء الزمني الوسيط أعطت الإشارة لنهاية الفترة المتوسطة (و الدخول في فترة جديدة هي عصر النهضة أو المولد الجديد) : أما نهاية الإمبراطورية الرومانية فهي تفتح مرحلة انحلال نظام الإنتاج الرقيقي (العبودية) ، وافتتاح عالم جديد يحضر لعالمية " النموذج الأوروبي" (لا مونديااليزاسيون دو مودل اوروبيان la mondialisation du modèle européen). كل ذلك يضاف إلى حساب

[1] تجدر الإشارة كما أوردنا في متن النص إلى أن المؤرخين ينظرون إلى مرحلة العصور الوسطى كمرحلة هي أقل في شأنها من المراحل التاريخية الأخرى و الدليل هو إطلاق مصطلح عصر النهضة او المولد الجديد la Renaissance على المرحلة التي تليها. إلا أن بعض المؤرخين يعتبرون هذه المرحلة في التاريخ الأوروبي ظاهرة و مشهورة بل و مسيطرة على تاريخ الأمم الأخرى و بالتالي فهذا هو المبرر لقصر مصطلح العصور الوسطى على مرحلة من التاريخ الأوروبي فقط و هو ما لا نتفق معه.

[2] غير تلك التي تنتمي إلى العصور الوسطى وإلى غرب أوروبا بالتحديد.

العصور الوسطى كفترة غنية و متميزة في المسيرة التاريخية لأوروبا على و جه الخصوص حيث تعود جذور التقدم الأوروبي إلى الحقبة الوسيطة بحسب ما يرى المؤرخ آلان بورو).

إن غنى هذه المسار الخاص بأوربا المركزية يعتمد في جزء منه على أنها تتقبل مختلف التجارب الإيديولوجية للتاريخ، والتي تكون أحيانا غير ملائمة (صعبة التأقلم). كما أن الفضاء الزمني للتقدم الاقتصادي يتماشى مع مصير المسيحية اللاتينية ؛ حيث أن الاقتصاد الكاثوليكي للسلام وجد نفسه يجتمع مع فلسفات التاريخ الروحية كهردر Herder[1] و هيجل Hegel[2] أو مع الماركسيين (حيث أن مبدأ التراكم الأصلي للثروة يمكن أن يسجل بشكل كامل في بناء الإقطاع كما كان معمولا به أساساً في العصور الوسطى) بمعنى أن هذا التوجه و هذه الظاهرة اخذت اصولها من العصور الوسطى و هذا يعكس تأثير هذه الفترة على ما بعدها في الكثير من مناحي الحياة التي أخذت أساسياتها من تلك الفترة ، حيث امتزجت الكثير من العوامل و المتناقضات لتكون اوروبا الحديثة. و هذه الدلالة الايجابية للعصور الوسطى المرفوعة خصوصاً بواسطة مؤرخي العصور الوسطى تطرح –بطبيعة الحال - على أساس أنها جواب على الفكرة القائلة بعدم الأهلية (الإنتقاص من شأن هذه الفترة) والتي هي أساس المصطلح (العصور الوسطى) منذ القرن الـ ١٥ م والـ ١٦م والتي تنتشر أو تظهر في رأي العامة ، حيث إن مصطلح " الوسطى" أو " الوسيط" يتضمن فكرة البربرية وعدم النظام.

هذه الخطة المهيمنة في الوسط الجامعي المعاصر (و التي تعطي أهمية بالغة لفترة العصور الوسطى خصوصا في المسار التاريخي لأوروبا) تظهر مهمة وضعيفة في آن واحد : فهي مهمة من حيث الواقعية التي تحملها : فالكثير من أدوات الفتح لأوروبا المنافسة والمنتجة تم ظهورها في العصور الوسطى. إلا أن النسبية في خصوصية العصور الوسطى يمكن أن تخفي الخصوصية لهذا الفضاء الزمني الوسيط : (و المتميز) بوجود نظام إنتاجي بدون شك فريد في التاريخ العالمي مميز بفلاحة " حرة" (ليبر) libre أو " نصف حرة" (سومي ليبر) semi- libre محكومة بطبقة من الاستقراطية الحربية والتي تستقطع " أجرة"، أو بكنيسة متورطة

---

[1] هردر، يوهان جوتفريد فون (1744)م -1803 هو أحد الكتاب والنقاد والفلاسفة الألمان الأكثر أصالة وتنوعًا. ويمكن أن يلمس تأثيره العميق على العلوم الإنسانية حاليًا. وقد ألهم جوته وكُتَّاب حركة العاصفة والجهد الألمانية الآخرين بأفكار جديدة في الشعر والفن واللغة والدين النصراني والتاريخ. واصل هردر جهود جوتهولد ليسينج في محاولة تحرير الكتاب الألمان من تقليد الكلاسيكية الفرنسية، اعتمادًا على اليونانيين القدامى. وكان يرى أن أعمال شكسبير وأوسيان والشعراء العبريين والأغاني الشعبية تتساوى مع أعمال الإغريق .وكونت ترجماته لشكسبير وأغاني العديد من الأمم نماذج لترجمات الرومانسيين الألمان الذين تبعوه. وقد أسهم عمله أفكار لفلسفة التاريخ (1784-1791م) بنظريات مهمة عن تطور الحضارة. وقد أوضح أن التطور الثقافي جزء من تطور الطبيعة، أكثر من كونه تعبيرًا عن الرغبة الحرة العقلانية للبشر .وُلِدَ هردر في مورونجن، شرقي بروسيا، ابنًا لمدرس فقير. وفي جامعة كونيجسبرج، درس اللاهوت والفلسفة. وقد كان إيمانويل كانط أحد مدرسيه هناك. وبعد أربع سنوات ناجحة عمل فيها واعظًا ومدرسًا في ريجا وروسيا، رحل هردر عبر أوروبا. وفي ستراسبورج، قابل جوته، وأصبحا صديقين. ومن خلال تأثير جوته، اختير هردر مديرًا عامًا للكنائس وواعظ محكمة في فيمار ١٧٧٦م.

[2] جورج ويلهلم فريدريك هيغل (بالإنجليزية Georg Wilhelm Friedrich Hegel) (٢٧ أغسطس ١٧٧٠ — ١٤ نوفمبر ١٨٣١م) هو فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت فورتيمبيرغ، في المنطقة الجنوبية الغربيةِ من ألمانيا. يعتبر هيغل أحد أهم الفلاسفة الألمان حيث يعتبر أهم مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

كذلك في السيطرة الثقافية على الشعوب وكذلك في البناء المالي. أضف إلى ذلك أن بناء (أو تطور) الدستور إلى ما يسمى بالدولة الحديثة يأخذ أصوله بدون شك من النظام الذي نفضل تسميته بـ " الاماري" عن " الإقطاعي". (كما تجدر الإشارة) إلى إن من المهم وضع خط تحت فكرة أن عصر النهضة هو بمثابة الحد الفاصل أو بمثابة العودة إلى بناء أسطورة بهدف ايدولوجي (مما أعاق بشكل كبير أي تقدم لأي تاريخ للعلوم في العصور الوسطى) و الذي يعني أن غياب الإنتاج الفكري في العصور الوسطى شكل شللا أو ركودا فكريا و علميا في أوروبا مما كون حاجة في تحفيز العقل الأوروبي و ذلك بظهور النظريات و الأفكار و المدارس الفنية بل و الأساطير و غيرها و التي تحكي الماضي و ضرورة العودة إليه للخروج من فترة العصور الوسطى.

كما أنه من المهم التمييز بين العمل والقيمة : (حيث) يمكن أن نحكم أن عالمية الإنتاج (الثورة الصناعية في العالم) كانت كارثية أو غير إنسانية (كونها قامت مقابل حياة الفرد) بدون رفض الأسس التي قامت عليها والتي تعود إلى العصور الوسطى (و التي يمكن أن نربطها ثانية بالعبودية و الإستغلال للفرد و الإقطاع) وذلك دون التقليل من أهمية خصوصية تاريخ العصور الوسطى.

إن سؤال الرفض الإيديولوجي المتعلق بالإنحصار في التحليل على وجهة النظر الأوروبية (أوروبيوسنتريزم) européocentrisme (ونعني بذلك قلة الدراسات المتعلقة بالعصور الوسطى في غير الجامعات الأوروبية) و بالتالي رفض حقبة العصور الوسطى هو موضوع يطرح بشكل جاد في الجامعات الأمريكية ، حيث إن التراجع في الدراسات الخاصة بالعصور الوسطى منذ عشرين عاماً واضح ومقلق. ففي خضم تعدد العلوم ونعني بذلك هذه الحركة التي يمكن تسميتها بسياسة الهوية حيث تتولى الأبحاث و الدراسات تحديد الأصول المفترضة الثقافية أو العرقية للشعوب الحالية ، نجد أن الغرب الوسيط لا يمثل سوى جزءاً بسيطاً محكوماً عليه (مدان) بسبب قرابته مع زعماء أمريكا الاستعمارية والمستعمرات (مما يستوجب عدم إعطائه أهمية في البحث و الدراسة و الإلتفات لدراسة الهوية الأمريكية و جذورها، وهو عكس التوجه السائد في أوروبا المهتمة بالعصر الوسيط).

علاوة على هذا الضعف المؤسسي (في فرض فكرة العصور الوسطى على عموم مراكز الأبحاث و ظهور مثل هذه الإتجاهات التي ترى فيها عدم الأهلية للدراسة خصوصا في أمريكا) تظهر مشكلة أخرى تتمثل في فكرة حصر العصور الوسطى على الغرب اللاتيني ، اعتماداً على تفرد دوره في التاريخ العالمي ، (كون مثل هذا التوجه) يحمل بعض الموانع والإعوجاجات : فلو أخذنا مثلاً تاريخ الفلسفة في العصور الوسطى ، سيكون من الواضح أن إخراج الفكر العربي ، اليهودي ، البيزنطي سيقودنا إلى تناقض ، وذلك لأن التداخل في هذا المجال بين هذه الثقافات كان حقيقة ؛ إلا أن هذا التداخل كان مجهولاً خلال عدد من القرون. إلا أن المجتمعات الإسلامية لا تملك شيئاً " وسيطاً " لا في بنائها(لور ستروكتور) leur structure ولا في ما آلت إليه (لور

دوفينير) leur devenir[1]. فيتوجب إذا الوصول إلى فكرة أن " العصور الوسطى" كذات هي فضاء جغرافي – زمني spatio-temporelle محمل بأحداث مختلفة ؛ بالإضافة إلى ذلك فان خطة التطور(التاريخي) تسهل وبشكل كبير(مهني) outrageusement الحقيقة وذلك بوصفها في إطار الحاجة في التدرج في أي تطور : وعليه فان الفترة الطويلة الواقعة بين سقوط روماً وبداية النظام الإماري هي الفترة التي شهدت ظهورالإقطاعية ، و هو تطور تاريخي ملئ بالتناقضات و التعقيدات و الغموض كما يدل على ذلك الصراع الأخير الذي حدث بين معارضي النظام الإقطاعي ومؤيديه (و على الرغم من أن تخصيص فترة العصر الوسيط على التاريخ الأوروبي يحمل بعض الأخطاء حسب آلان بورو فنفس المؤرخ يجزم بهذا التوجه) .

و بالعودة إلى ظهور المصطلح فإن هذه الإرادة في خلق خطوات أو نقاط واضحة هي التي أعطت مكاناً بين القرن السادس عشر والثامن عشر الميلاديين لمصطلح العصور الوسطى مبررا بظهور تغيرات عصر النهضة (رينيسانس) Renaissance. (كما) إن علماء اللغة قد حددوا منذ زمن طويل أزمنة ظهور المصطلحات مثل "media tempestas, medium aevum, media antiquitas" إلخ ،ميديا تمبيستاس – ميديوم آيفيوم - ميديا انتيكيتاس، وعادة ما ينسب إلى جيوفاني أندريا بوسي[2] Giovanni Andrea Bussi ، قس اليريا Aleria كأول من استعمل التعبير media tempestas ميديا تمبستاس منذ ١٤٦٩م وذلك في مدح لـ نيكولاس دو كويس[3] Nicolas de Cues وضعه في مقدمته ل Apulée[4] آبوليه. ولكن في الحقيقة أن هذا التعبير لا يشير إلى أي شيء سوى ماضٍ قريبٍ مقارنة بماضٍ أكثر بعداً. إن الخلق الحقيقي المتعلق بالمصطلحات " التصورات" لا يمكن أن يحدد بالكلمات وإذا أردنا التاريخ لها فلا يجب علينا الذهاب ابعد من ١٥٥٠م : في هذا التاريخ يستعمل فساريVasari[5] في حياة أروع الرسامين (في دي بلوس اكسلان بانتر) Vies des plus excellents Peintres مصطلح rinas cita ريناس سيتا (renaissance) للدلالة على إتجاه مسيرة للعودة إلى جمال العصور القديمة اليونانية و اللاتينية و التي يصعد بها إلى جيوتو

[1] نود الإشارة هنا إلى أننا لا نتفق مع المؤرخ Alain BOUREAU كون مصطلح العصور الوسطى لا يدل على ذات و لا يقتصر على أمة بعينها و إنما يدل على فترة من عمر البشرية و بالتاي يمكن ان نطلقه على تاريخ كل الأمم دون إستثناء. وتجدر الإشارة كذلك إلى أننا قد أفردنا محورا في هذا البحث يناقش دلالة المصطلح و ظهوره في الكتابة العربية.

[2] اندريا يوسي (١٤١٧- ١٤٧٥) اسقف أليريا من ١٤٦٩ وكان المحرر الرئيسي للكثير من النصوص الكلاسيكية و بفضله ظهرت الطبعات الأولى للكثير من الكتب القديمة prefacebully pulpit حيث شغل العديد من الاعمال التي ساعدته على نشر الكتب فقد كان من ١٤٥٨ حتي ١٤٦٤ سكرتيرا في روما حيث ساعد سيده في تحرير مخطوطة من القرن التاسع للOpuscula وغيرها من اعمال أبوليوس . من ١٤٦٨ بوسي كان رئيس تحرير لدار الطباعة للprototypographers. كما أنه يعزى إليه كأول من نحت مصطلح media tempestats مشيرا إلى العصور الوسطى.

[3] نيكولاس دو كويس (١٤٠١ - ١٤٦٤) مفكر الماني و احد رجال الكنيسة من اواخر العصور الوسطى. و قد عمل جيوفاني اندريا بوسي في مكتبة الفاتيكان حيث كان سكرتيرا ل نيكولاس دو كويس.

[4] نشر في البندقية عام ١٤٨٣ م.

[5] جورجيو فساري ١٥١١ -١٥٧٤ م كان كاتبا و رساما و مؤرخا و مهندسا معماريا حيث يعتبر ليوم الأساس الأيديولوجي لفنون تاريخية الكتابة.

و سيمابو Giotto et Cimabue[1]. إننا هنا لم نجد كذلك تقسيم أو تحقيب تاريخي نسبي وإنما نجد طريقة محددة للتطور: يقيم الحاضر على أساس أنه عودة إلى العصر القديم المجيد، وذلك بعد ماضٍ مظلم وبربري يعرف ببساطة على انه حاجز أو فترة انتقالية (و هذا ما يحمله مسمى عصر النهضة او المولد الجديد). إن التطور الأدبي الرجعي " المنعكس" لفكرة عصر النهضة يأتي إذا من إرادة لتبرير ذاتي من دائرة من الرسامين والأدباء في القرن ١٦م. بعد ذلك بقليل قام فرانسيس باكون Francis Bacon[2] والذي بنى مسيرته في تحقيرالفلسفة الدينية vilipendant scolastique قام بوضع نظرية لتعاقب عودة العلوم التي تتخللها فترات طويلة من الجهل media mundi tempora ميديا موندي تمبورا وبالتالي فالعصور الوسطى لم تكن سوى المرحلة الأخيرة من تلك الفترات الانتقالية المظلمة.

أما الشيء الأخر في هذه المسيرة الزمنية والمتعلقة بالتطور التلقائي الالهي فهو يوجد تقريباً في نفس الفترة التاريخية وذلك في تكوين التاريخ البروتستاني بنفس طريقة تطوره حول فلاكيوس اليريكوس Flaccius Illyricus[3] (Mathias Vlacie) et des centuriateurs de Magdebourg مؤلف التاريخ الكنسي Histoire ecclésiatique هيستوار اكليسياتك والمنشور في Bâle بين ١٥٥٩ و ١٥٧٤م. ومن الأشياء الجديدة التي جاء بها هذا العمل هو تقسيم مادة التاريخ المسيحي إلى مئات من السنين او قرون (سنتوريس) "centuries" وهو تقسيم لم يكن معروفاً من قبل. تسرد الأخبار حتى حوالي عام ١٣٠٠ فقط ، ولكنها تعتمد على تقسيم "مثالثة" tripartition (أي أن أزمنة المسيحية مقسمة بين) : " التاريخ الكنسي القديم Antiquité de l'Eglise و ، حتى نهاية القرن ٧م ، تاريخ متوسط âge intermédiaire أو Intermedia aetas ، مستمراً من القرن ٨ إلى ١٥١٧م، ثم فترة معاصرة "contemporanéité" غير محددة. كما أنه من الواضح جداً أن لدينا تقسيمات وموضوعات أخرى لمسيرة نهضة أسسها إصلاحات لوثر[4] dissidence de Luther : الفترة المتوسطة تطابق مرحلة ضلالة الكنيسة (خروجها) " fourvoiement de l'église "

---

[1] كان جيوتو قائد المصورين الايطالين في القرن الرابع عشر الميلادي اضافة لكونه مهندسا..فقد بنى برج الاجراس في فلورنسا..ومن اشهر اعماله صورة العذراء اذ رسمها بالوان الفريسكو في احد كنائس فلورنسا..كانت صورة العذراء تنبض بالروح والحركة وجعلها ذات نزعة واقعية انسانية بدل من النزعة الرمزية. وجمع بين حسن الرواية وقوة التأليف وكمال الاداء..وهو اول من ابتدع المشاهد الخلفية بلوحات التصوير. كان يختار شخصياته من افراد الشعب البسطاء الذين لايعرفون تصنع الوقار والنبل. ولم يكن يمتلك خبرة بقواعد المنظور الاانه كان متحررا من الجمود نحو الحركة في لوحاته. وقد عني بأثارة الاحساس الملمسي لدى المشاهد وبأظهار الحركة في لوحاته.والاهتمام بالظل والضوء.ويعتبر مؤسس الواقعية في الفن..وهو مؤسس مدرسة فلورنسا لتصوير.

[2] فرانسيس بيكون Francis Bacon (لندن ، ٢٢ يناير ١٥٦١ – هايجيت ، شمال لندن ، ٩ ابريل ١٦٢٦) ، فيلسوف و اديب انجليزى. مؤسس النزعه التجريبيه الحديثه فى العلم و الفلسفه. ألف أكثر من كتاب منها كتاب " نوفوم اورجانوم " (الوسيله الجديده) Novum Organum ، و عارض فيه منطق اريسطو و منهجه فى القياس. اسس دعائم المنهج الاستقرائى الحديث و نادى بالرجوع للحقايق الطبيعيه من غير محاولة استباقها بالعقل او الخيال.

[3] Flaccius Illyricus (1520-1575) مصلح بروستانتي هو مؤلف Histoire ecclésiastique باللاتينية و المعروف ب Centuries de Magdebourg

[4] مارتن لوثر (1546 -1483) (Martin Luther م) مصلح ديني مسيحي ألماني شهير، يعد الأب الروحي للإصلاح البروتستانتي.

مع نظام الملكية الكارولنجية ، المتميزة بصناعة الهبات الكاذبة لقسطنطين الأول la fausse donation de[1] Constantin وذلك بحسب معطيات لورنزو فالا Lorenzo Valla[2] في القرن الماضي. هذا التقسيم المتغير للتاريخ périodisation palinodique الذي يعود إلى الوراء عرف بريقاً قوياً في القرن ١٦م بسبب ترابط الرؤى الثقافية و الدينية و لكنه كان مبنيا على فترة طويلة ، فهو يأخذ جذوره من بناء التاريخ الديني théologie de l'histoire في القرن ٨ م. كما أنه من الأهمية بمكان الإشارة إلى نقطتين في التطور الذي حصل في موضوع ظهور فكرة التقسيم التاريخ أيا كان مبتغاها و هدفها حتي ظهور تواريخ العصور الوسطى، فمن جهة و منذ القرن الثالث عشر الميلادي أخذت بعض الجماعات الفرانسيكانية franciscains - وهي الجماعات التي ظهر فيها المؤلف المؤثر للقديس بونافنتيور saint Bonaventure[3] - على عاتقها تركة ميراث جزشيو دو فلور Joachim de Flore[4] وتقسم تاريخ العالم إلى عصور âges ، تحتوي على فترات تحمل معانٍ في إطار تاريخ السلام أو التاريخ الديني histoire de salut. فالزمن الحاضر كان ينظر إليه أصلا كفرصة ممكنة للعودة السعيدة إلى الكمال السابق ، وهو زمن التاريخ الرسولي temps apostoliques. و لكن ذلك لم يكن سوى بداية النظر إلى التاريخ كمراحل مختلفة و لكنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتاريخ الديني فأي مرحلة من التاريخ سواء كانت إنتكاسة أو تقدما ما هي سوى ترجمة للقرب أو البعد من الكمال المطلوب و الذي كان في العصور السابقة. أما الجهة الأخرى لهذا التغيير (فكانت متأخرة و لكنها تتمثل في الظهور الحقيقي للتواريخ الأولى الخاصة بالعصور الوسطى و التي ظهرت في نهاية القرن ١٧م و (ما يميزها هو كونها) أخذت في بمتابعة أسرار النهضة الدينية والثقافية ؛ وهي حالة المجلد الثاني من التاريخ العالمي للوثرية لكريستوف كيلر histoire universelle du luthérien Christophe Keler المسمى ليستوريا ميدي آيفي آ تمبوري كونستانتين ماجني آد كونستانتينوبليم آ تورسيس كابتام : l'Historia Meddi Aevi a tempore Constantin Magni ad Constantinopolim a Turcis captam ، والذي ظهر عام ١٦٨٨م .حيث أن التقسيم التاريخي إلى فترات – في هذا المؤلف - يطابق تماماً ما يسمى اليوم (ميديفيسم) medievisme و يعني التخصص في دراسة العصور الوسطى ، إلا أن مبررات هذا التقسيم مأخوذة من مرجعيات القرن ١٦م (و نعني بذلك التاريخ الكنسي أو الديني).

متزامناً مع ذلك ظهرت تشكيلة أخرى للتحقيب الإيديولوجي حيث توجد فكرة العودة دون الإندثار (بمعنى أننا يمكن أن نفسر مسار التاريخ بما يشبه الموجة في صعود الحضارات و هبوطها لكنها لا تندثر) حيث

---

[1] هبات قسطنطين (في اللاتينية Donatio Constantini) هي كذبة تقول أن قسطنطين الأول أعطى بموجبها البابا سلفستر Sylvestre السلطة على الكنائس الشرقية primauté sur les Églises d'Orient بينما يحتفظ الأمبراطور l'imperium بالسلطة عل الجزء الغربي .

[2] لورنزو فالا الايطالي الذي فند ادعاء الكنيسة بأنها تملك كل أراضي ايطاليا هبة من الأمبراطور.

[3] JEAN FIDANZA مشهور تحت إسم SAINT BONAVENTURE يعرف أيضا بدكتور الكنيسة عاش بين ١٢٢١ -١٢٧٤م ، عمل كمدرس للاهوت في باريس.

[4] Joachim de Flore لاهوتي كاثوليكي ولد في كالابر في إيطاليا في حدود ١١٣٠ م و مات في ١٢٠٢ .

ساعدت في الإتجاه نحو تطور اكثر تاريخية و قد بنيت على حلقات أخرى . كما تجدر الإشارة إلى أنه و خلال القرن ١٦ و١٧م ظهر في وسط القضاة ورجال القانون في فرنسا، ايطاليا و انجلترا الاهتمام بالإقطاع féodalité ، (مما يشكل إهتماما بإحدى أهم سمات العصر الوسيط) لكن هذا الاهتمام كان له اهتمامات سياسية مباشرة، -هنا - حيث حاول المدافعون عن هذا النظام تشريع الحق الإقطاعي le droit féodal ، و في نفس الوقت فقد اخذ بعض المؤلفين المقربين من النظام الملكي أو الإمارات المركزية واجب توضيح أن النظام الإقطاعي يمثل فساد للقانون الروماني كما أنه كان واقعاً بربرياً امتد بدون وجه حق خلال العصر الحديث. ولكن الإهتمام المعطى لآليات منح الأرض والإنتاج والإيجار كان بإمكانه المساهمة في خلق اهتمام في نهاية الأمر إيجابي للفترة الانتقالية (المتوسطة) intermédiaire.

إن النواة الحقيقية للتقسيم التاريخي تعود الي القرنين ١٧م و ١٨م و ذلك على هامش المسيرة التاريخية العامة والتي تركزت حول سؤال النظام الإقطاعي أو حول الأصل الغالي أو الجرماني للأمة الفرنسية، حيث بدأت في إعطاء النواه لتقسيم تاريخي مبني على الترتيب الزمني ديكوباج كرونولوجيك découpage chronologique ، حيث جاءت الكثير من النصوص و العلوم عن العصور الوسطى بواسطة معارف رجال الكنيسة ، سواء من جهة اليسوعيين[1] Jésuites bollandistes المرتبطين بفكرة إعادة بناء النصوص الدينية restitution des textes hagiographiques أو لدى البينيدكتيين les[2] Bénédictins (داشري d'Achery ، مابيلون Mabillon ، مارتين Martène ، بوكيت Bouquet و الذين يجب أن نضيف إليهم العلماني لو نين دو تيلمونت Le Nain de Tillemont).

في بداية القرن ١٩م وفي كل أوربا ، كان بالإمكان الحديث عن تميز العصور الوسطى، حيث إن الحركات الفكرية و الفنية التي تطورت بإتجاه إخضاع القرون الماضية لما يتقبله العقل و القوانين[3] le romantisme عكست هذه الحركات مؤهلات العصور الوسطى و بالتالى أصبحت فكرتها أكثر نضجا، و مما يمكن ذكره من تلك المميزات أسلوب شاعر الربابة troubadour حيث كانت كلمة قوطي gothique المشيرة للبربرية حتى الآن، بدأت في الإشارة إلى إتمام الفن آكومبليسمو دو لار accomplissement de l'art. ولكن الفكرة تذهب بعيداً عن مجرد تلك التغيرات في النمط : ففي ألمانيا كان عالم العصور الوسطى مليء بالتوجهات القديمة و الأصلية لأمة بنت نفسها ضد تأثيرات عصر الأنوار ،

[1] اليسوعيون (و باللاتينية Societas Iesu جماعة يسوع) هي رهبنة كاثوليكية أسسها إغناطيوس دي لويولا عام ١٥٤٠م يعرف عضو هذه الجماعة باليسوعي نسبة ليسوع المسيح.

[2] تشير هذه التسمية إلى طائفة من المسيحية المرتبطة ب سان بونوا saint Benoît الذي حدد اسلوب الحياة الكنسية منذ القرن السادس الميلادي . يقضون أوقاتهم بين الصلاة و قراءة كلام الرب كما يقولون و يعيشون في ظل أب داخل الكبيسة.

[3] مجموعة من الحركات الفكرية و الفنية التي تطورت خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر و تهدف إلى إخضاع المعارف للعقل على عكس القرون السابقة التي ساد فيها التقليد.

حيث ظهرت الثقافة الجيرمانية العميقة كولتور Kultur ، والمتناقض مع سطحية الحضارة سوبيرفيسياليتي دو لا سيفيليزاسيو la superficialité de civilization ، أما في فرنسا وبعد اهتزازات الثورة والإمبراطورية، فإن العصور الوسطى تمثل حتى ١٨٤٨م أرضية تراضٍ بين مناصري الأحرار والملكية libéraux et monarchists : إن مرحلة التجديد وضعت على عاتقها توضيح الاستمرارية التي جمعت منذ القرن ١٢م بعض المسلمات أو الأسس العامة des Communes ، النظام الملكي و الدولة الثالثة le régime monarchique et le tiers état. فمنذ ١٧٨٩م لم تعد تظهر كما لو كانت قطيعة ولكن كمرحلةٍ انتهت عام ١٧٩٣م . ليس من المصادفة أن لويس الثامن عشرLouis XVIII[1] يطلق اسم " القانون" لو شارت le charte على النص القانوني le texte constitutionnel عام ١٨١٤م والذي جدد الملكية.

أما القاعدة المؤسسية و القوية لدراسات العصور الوسطى فكانت مع الانطلاقة الحقيقة لمدرسة القوانين إيكول دي شارت école des chartes في ١٨٢٩م[2]. إلا أنه من المهم القول إن هذا الاختلاف الايديولجي والتناقض لم يدم ؛ فبعد ثورة عام ١٨٤٨م، ولد إشتداد الصراعات بين الجمهوريين والمحافظين عودة الخطط المعارضة schémas mutationnistes. و بالتالي فإن العصور الوسطى أدخلت بواسطة التقدميين progressistes ضمن الزمن الطويل للنظام القديم l'ancien régime[3] المنتهي عام ١٧٨٩م (و نعني به النظام الملكي). و مع هذا التطور فقد شهدت أوروبا تكوين تحالفات عديدة تحت أشكال مختلفة بين التاج والكنسية، حيث كان الكاثوليكية الرومانية تعيد تجذير نفسها في فضاءات كانت لفترات طويلة خارجة عن المسيحية ديكريستيانيزيه déchristianisées ، في الوقت الذي كان فيه معارضو الكهنوت السياسي (سلطة الكنيسة) l'anticléricalisme يدينون الظلامية l'obscurantisme وعدم تسامح المسيحية في العصور الوسطى l'intolérance du christianisme médiéval . هذا الخلط المبالغ فيه (الوصمة) فيما يخص العصور الوسطى لوحظ كذلك في الولايات المتحدة : فكتاب لا سوم La somme للمؤلف هنري شارل ليا Henry Charles Lea حول محاكم التفتيش (١٨٨٦) و الذي ترجم إلى الفرنسية، قد ساهم بشكل كبير في الأسطورة المظلمة للعصور الوسطى حتى يومنا هذا. في حين أن روما من جهتها حاولت الانتهاء من

---

[1] لويس الثامن عشر (١٧ نوفمبر ١٧٥٥ – ١٦ سبتمبر ١٨٢٤) ملك فرنسا ونافار. واخ لويس السادس عشر، وعم لويس السابع عشر، حكم المملكة من ١٨١٤حتى موته في عام ١٨٢٤.

[2] المدرسة الملكية لدراسة القوانين هي مدرسة عريقة متخصصة في دراسة القوانين تأسست عام ١٨٢١ بأمر من لويس الرابع عشر، لدراسة العلوم المرتبطة بالتاريخ حيث سعت لتكوين متخصصين في تاريخ العصور الوسطى.

[3] النظام القديم Ancien Régime يشير أساسا إلى الأرستقراطية التي تميز بها نظام المجتمع الفرنسي ، والسياسة التي أنشئت في فرنسا تحت فالوا و بوربون سلالات من القرن ١٤ الى القرن ١٨م. وكان أطيح به من قبل الثورة الفرنسية . النظام القديم يعتمد على ثلاث ركائز هي : النظام الملكي (الملك المطلق و الحق الإلهي) ، ورجال الدين ، والطبقة الأرستقراطية. Society was divided into three Estates of the realm : the First Estate , Catholic clergy; the Second Estate , the nobility; and the Third Estate , the rest of the population including what we know today as the middle class and the pesants. [2

الاستهزاء بالفلسفة الدينية la scolastique منذ العصر الإنساني ومنذ بداية الإصلاح ، بعنى أنها حاولت تجميل سياسة الكنيسة و ممارساتها خلال العصر الوسيط من خلال دراسة هذه الحقبة و ابراز ما فيها من اهمية.

و مع نهاية القرن التاسع عشرو بداية العشرين ظهرت أولى المدارس التاريخية ، ففي عام ١٨٧٩م نشر البابا ليون الثالث عشر[1] Léon XIII منشورا انسيكليك encyclique بعنوان Aeterni Patris[2] آترني باتريس والذي كان من المنتظر أن يعطي مساهمة عملية في إعادة البناء الديني لأوربا بالدعوة إلى العودة إلى الفلسفة المسيحية la philosophie thomiste. هذه الدعوة الدينية التي أعلنت المسيحية الجديدة لو نيو -ثوميست le néo-thomiste في القرن العشرين أظهرت العديد من المدارس التاريخية entreprises historiennes. كما أن وضع النظام الحديث للجامعات والمعاهد البحثية (انظر مثلا لي مونومينتا جيرماناي les Monumenta Germaniae[3]) قد انتج معرفة تزيد الصورة العامة للمنشئآت العلمية بعداً (بمعنى تأصيل النظرة العميقة في دراسة الأحداث التاريخية و منها العصور الوسطى و بالتالي ف) : ليس من المصادفة أن يوجد في اللغة الفرنسية مصطلحات moyenâgeux مويان آجو بمعنى (يعود أو يأتي من العصور الوسطى) للدلالة على أسطورة مظلمة و médiéviste ميديفيست بمعنى (متخصص في العصر الوسيط) ، للدلالة على التخصص العلمي، فكلاهما قد ظهرت في التاريخ المعاصر بين ١٨٦٥ و١٨٦٧م. (و أخيرا نشير إلى أنه) في بداية الألفية الثالثة، و على الرغم من التقدم الكبير في دراسة العصور الوسطى، فإنها مازالت أكثر من أي مجال تاريخي أخر محل وجهة نظر.

❖ -المحور الرابع : ظهور مصطلح العصور الوسطى في أوروبا و إنتقاله إلى الكتابة التاريخية العربية :

مما لا شك فيه أن ظهور فكرة التقسيم التاريخي قد سبقت ظهور المصطلحات التي تشير إلى الحقب المعينة المتفق عليها بين المؤرخين و المؤسسات التعليمية و منها حقبة العصور الوسطى. و كما جاء في مقال المؤرخ آلان بورو فإن فكرة التحقيب أو التقسيم قد بدأت بشكل بسيط جدا و تطورت خلال قرون حتي ظهرت المؤلفات الخاصة بهذه الحقبة و اصبحت معروفة و محددة من قبل المؤسسات العلمية. و قد بدأت بوادرها البسيطة منذ القرن الثالث عشر الميلادي و ذلك إعتمادا على التاريخ الدينى المرتبط بروؤي تعود إلى القرن الثامن الميلادي، علما أن هذه البدايات لم تكن تحمل فكرة التحقيب بقدر ما كانت تحتوي عل فكرة فهم الحاضر و مقارنته بالماضي واعتبار الحاضر فرصة للعودة إلى ذلك الماضي المثالي ، حيث ظهرت خلال القرن

[1] البابا ليون الثالث عشر تولى البابوية بين (١٨٧٨م -١٩٠٣م).

[2] هي عبارة عن منشور او رسالة كتبها الباب ليون الثالث عشر حول فلسفة المسيحية عام ١٨٧٩م الهدف منها دراسة فلسفة القديس Thomas d'Aquin (توماس داكوين ولد فى ١٢٢٤/١٢٢٥ في إيطاليا ، توفي في ٧ مارس ١٢٧٤ .) و كانت البداية لما يسمى néo-thomisme. و تعني فلسفة القديس توماس الجديدة.

[3] هو معهد ابحاث الماني متخصص في دراسة العصور الوسطى، تم تأسيسه عام ١٨١٩ بواسطة البارون (البارون لقب نبيل ارستقراطي) فم أشتاين le baron vom Stein و مقره ميونخ منذ ١٩٤٩.

الثالث عشر الميلادي بعض الجماعات الفرانسيكانية التي اخذت على عاتقها ميراث القديس بونافنتيور Bonaventure[1] و الذي يحمل فكرة تقسيم تاريخ العالم إلى فترات تحمل معان و لكن في إطار التاريخ المسيحي ، فالزمن الحاضر كان ينظر إليه أصلا كفرصة ممكنة للعودة السعيدة إلى الكمال المرتبط بالدين المسيحي و بالتالي فإن المسيرة التاريخية شبيهة بمراحل الصعود و الهبوط أو القرب و البعد عن الدين و الكمال الروحي، و ما يهمنا هنا هو بداية تبلور فكرة وجود فترات مختلفة في مسيرة التاريخ العالمي أو التاريخ الإنساني. بعد ذلك بما يقرب من قرنين ظهر تطور آخر في النظر للتاريخ و من الملاحظ أنه كان أيضا في إطار الكنيسة حيث ينسب إلى جيوفاني أندريا بوسي قس أليريا و الذي كان سكرتيرا كنسيا كأول من إستخدم تعبير العصر الوسيط : ميديا ايفيوم - ميديا انتيكيتاس - ميديا تمبيستاس media tempestas و medium aevum, media antiquitas و ذلك عام ١٤٦٩م في كتابه Apulée[2] آبوليه، و الذي قدمه لسيده نيكولاس دو كويس Nicolas de Cues. و لكن ذلك لم يكن سوى و صفا لماض قريب مقارنة بماض أكثر بعدا، لتظل بذلك فكرة العصر الوسيط كما نتصورها غائبة و كذلك فكرة التحقيب بشكل عام و هذا بحسب ما ورد في بحث آلان بورو في قاموس العصور الوسطى[3] المترجم في المحور السابق من هذا البحث. في حين تذكر الموسوعة الرقمية أنكارتا أن فلافيو بيوندو دو فورلي Flavio Biondo de Forli الذي كان سكرتيرا كنسيا في روما ايضا قد إستعمل هذا المصطلح لأول مرة عام ١٤٥٠م في كتابه باللغة الإيطالية (هيستوريوم آب انكليناسيونى رومانوروم آمبيري ديكاديس)

---

[1] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950 –953.

[2] نيكولاس دو كويس (١٤٠١ - ١٤٦٤) مفكر الماني و احد رجال الكنيسة من اواخر العصور الوسطى. و قد عمل جيوفاني اندريا بوسي في مكتبة الفاتيكان حيث كان سكرتيرا ل نيكولاس دو كويس.

[3] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950 –953

Historium ab inclinatione romanorum imperii décades والذي يترجم باللغة العربية "حقب تاريخية منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية" و الذي نشر عام ١٤٨٣م في البندقية، حيث يذكر المؤلف فكرة وجود مرحلة تمثل توقف التقدم وتمثل الركود الثقافي في أوروبا وهذه المرحلة وضعها بين التاريخ القديم وبدايات النهضة الأوربية الحديثة و هي إشارة إلى العصور الوسطى[1]. و بالتالي فإنه و بناء على معطيات الموسوعة فيمكننا القول إن فكرة وجود فترات تاريخية هي اكثر وضوحا لدى فورلى و الذي سبق زميله جيوفاني.

بعد ذلك بما يقرب من قرن و خلال القرن السادس عشر أستخدم الفنان فساري[2]عام ١٥٥٠ م و صفا جديدا هو rinas - cita[3] (ريناس - سيتا) و هي مفردة لاتينية تعتبر مرادفا لعصر النهضة أو المولد الجديد و الذي يحمل فكرة الخروج من مرحلة و الدخول في أخرى واصفا المسيرة التاريخية حينها بالعودة إلى جمال العصور القديمة اليونانية و اللاتينية و التي يصعد بها إلى Giotto et Cimabue[4] جيوتو و سيمابو[5] و بالتالي فمما فمما لا شك فيه أن ذلك يشبه المولد الجديد بعد فترة من الظلام و الركود. و لكننا هنا أيضا لم نجد تقسيما أو تحقيبا تاريخيا نسبيا وإنما نجد و صفا لطريقة التطور في مسار التاريخ و نمط الحياة في أوروبا : يقيم الحاضر على أساس انه عودة إلى العصر القديم المجيد، وذلك بعد ماضٍ مظلم وبربري يعرف ببساطة على انه حاجز أو فترة انتقالية. لنستخلص من ذلك أن المفكرين كانوا يدركون ما يحدث من تغيرات في مسيرة مجتمعاتهم الأوروبية و تاريخها و كانوا يحاولون تشخيص ما يجري و تسميته إلا أن ذلك أخذ وقتا طويلا، و يمكن أن نشبه التغيرات بمراحل نمو الإنسان التي تظهر على جسمه فيحاول هو و غيره تفسيرها و تحديد الاختلاف فيما بينها و تسمية كل مرحلة و اسبابها... الخ. و في مسيرة مصطلح "العصور الوسطى" و خلال القرن السادس عشر الميلادي قام فرانسيس باكونFrancis Bacon[6] بوضع نظرية لتعاقب عودة العلوم التي تتخللها فترات طويلة من الجهل، و بالتالي فالعصور الوسطى -التي لم تنضج فكرتها و التي حاول المفكرون تفسيرها - لم تكن سوى المرحلة الأخيرة من تلك الفترات الانتقالية المظلمة. غير أن ما ظهر

---

[1] Encyclopédie Encarta 2002-«Moyen Age »

[2] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950 –953

[3] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950 –953

[4] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit.,p. 950 –953

[5] كان جيوتو قائد المصورين الايطاليين في القرن الرابع عشر الميلادي اضافة لكونه مهندسا ، فقد بنى برج الاجراس في فلورنسا، ومن اشهر اعماله صورة العذراء اذ رسمها بالوان الفريسكو في احد كنائس فلورنسا. كانت صورة العذراء تنبض بالروح والحركة وجعلها ذات نزعة واقعية انسانية بدل من النزعة الرمزية. وجمع بين حسن الرواية وقوة التأليف وروعة الاداء. وهو اول من ابتدع المشاهد الخلفية بلوحات التصوير. كان يختار شخصياته من افراد الشعب البسطاء الذين لا يعرفون تصنع الوقار والنبل. ولم يكن يمتلك خبرة بقواعد المنظور الا انه كان متحررا من الجمود نحو الحركة في لوحاته. وقد عني بأثارة الاحساس الملمسي لدى المشاهد وبإظهار الحركة في لوحاته، والاهتمام بالظل والضوء و يعتبر مؤسس الواقعية في الفن، وهو مؤسس مدرسة فلورنسا لتصوير.

[6] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950 –953

خلال القرن السادس عشر لم يكن سوى إرادة لتبرير ذاتي -لما يروه من تغيرات في نمط حياة الشعوب الأوروبية - من دائرة بعض الرسامين والأدباء خلال هذا القرن ، حيث حاول هؤلاء فهم مرحلة وصفوها بالمولد الجديد جاءت بعد مرحلة يمكن أن تكون شبيهة بالموت السريري لأوروبا و هو ما جاء قبل ذلك في تصور فلافيو بيوندو دو فورلي Flavio Biondo de Forli و الذي اورد فكرة الركود خلال مرحلة واقعة بين التاريخ القديم و عصر النهضة.

أما الشيء الأخر في هذه المسيرة الزمنية والمتعلقة بالتطور التلقائي الالهي للتاريخ فهو يوجد تقريباً في نفس الفترة التاريخية وذلك في تكوين التاريخ البروتستانتي حيث ألف المصلح البروتستانتي فلاكيوس اليريكوس Flaccius Illyricus [1] التاريخ الكنسي Histoire ecclésiatique والذي نشر في Bâle بين ١٥٥٩ و ١٥٧٤م. ومن الأشياء الجديدة التي جاء بها هذا العمل هو تقسيم مادة التاريخ المسيحي إلى مئات من السنين (قرون) "centuries" وهو تقسيم لم يكن معروفاً من قبل. حيث قام المصلح فلاكيوس اليريكوس بسرد الأخبار حتى حوالي عام ١٣٠٠ فقط ، لكن هذا التقسيم يعتمد على تقسيم التاريخ الكنسي القديم و الذي يقسم مثالثة tripartition (أي أن أزمنة المسيحية مقسمة بين) : " التاريخ الكنسي القديم Antiquité de l'Eglise ، و الذي يمتد حتى نهاية القرن ٧م، تأتي بعده مرحلة تسمى بالتاريخ المتوسط âge intermédiaire أو Intermedia aetas، ويستمرً من القرن ٨ إلى ١٥١٧م ثم تأتي بعد ذلك فترة معاصرة " contemporanéité" غير محددة[2]. و بطبيعة الحال إننا هنا لم نجد ظهورا لفكرة و مصطلح العصور الوسطى لكننا نجد فكرة تقسيم التاريخ إلى فترات مرجعيتها التاريخ الديني و إهتمامه فقط بالتاريخ المسيحي كمرجعية. كما أنه من الواضح جداً أن لدينا تقسيمات وموضوعات أخرى لمسيرة نهضة أسستها إصلاحات لوثر[3] dissidence de Luther : و التي تنظر إلى الفترة المتوسطة كمرحلة تطابق مرحلة ضلالة الكنيسة و خروجها مع نظام الملكية الكارولنجية " fourvoiement de l'église" ، المتميزة بصناعة الهبات الكاذبة لقسطنطين الأول la fausse donation de Constantin[4] وذلك بحسب معطيات لورنزو فالا Lorenzo Valla[5] في القرن الماضي و الذي قام بدراسة و تفنيد هذه المرحلة و خصوصا الهبات التي زعم البعض بأن قسطنطين أعطاها للكنيسة و للبابا. و نعني بذلك أن الفكر اللوثري قد ميز الفترة الوسيطة كمرحلة مظلمة في تاريخ الكنيسة الفاسدة، و مرحلة فساد الكنيسة بالنسبة لهذا الفكر هي مرحلة العصور

---

[1] (١٥٢٠ -١٥٧٥) Flaccius Illyricusفلاكيوس اليريكوس مصلح بروستانتي هو مؤلف Histoire ecclésiastique باللاتينية و المعروف ب Centuries de Magdebourg .

[2] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950 –953

[3] مارتن لوثر (1546 -1483م Martin Luther) مصلح ديني مسيحي ألماني شهير، يعد الأب الروحي للإصلاح البروتستانتي.

[4] حول الهبات الكاذبة لقسطنطين الأول انظر الملاحظة رقم ٦٠.

[5] حول لورنزو فالا أنظر الملاحظة ٦١.

الوسطى التي اعتبرها مرحلة متميزة عن القرون التي ستأتي ابتداء من السادس عشر و الذي ظهرت خلاله تلك الإصلاحات. و من الملاحظ أن معظم ما يجري خلال هذه الفترة من حركة فكرية هو في إطار الكنيسة و تاريخها عدا ما يجري لدى بعض الرسامين و الفنانين. كما أن هذا التقسيم المتغير للتاريخ الذي يأخذ جذوره من التاريخ الكنسي (من القرن الثامن الميلادي) قد عرف بريقاً قوياً في القرن ١٦م بسبب ترابط الرؤى الثقافية و الدينية في هذه الفترة كما أنه كان مبنيا على فترة طويلة مرجعيتها تاريخ الدين المسيحي .

إن التطور الحقيقي للتحقيب التاريخي قد جاء متأخرا ، حيث أن هذا التطور يتمثل في الظهور الحقيقي للتواريخ الأولى الخاصة بالعصور الوسطى و التي ظهرت في نهاية القرن ١٧م و ما يميزها هو كونها أخذت في بمتابعة أسرار النهضة الدينية والثقافية ؛ وهي حالة المجلد الثاني من التاريخ العالمي للوثرية لمؤلفه كريستوف كيلر[١]، الذي ظهر عام ١٦٨٨م .حيث إن التقسيم التاريخي إلى فترات يطابق تماماً ما يسمى اليوم ميديفيسم Médiévisme و يعني التخصص في دراسة العصور الوسطى ، إلا أن مبررات هذا التقسيم مأخوذة من مرجعيات القرن ١٦م و التي كان محور إهتمامها هو التاريخ الديني و تاريخ الكنيسة و بدايات عصر النهضة. متزامناً مع ذلك ظهرت تشكيلة أخرى للتحقيب الإيديولوجي حيث وجدت فكرة تحمل معنى تجدد الحضارات و عدم اندثارها على الرغم من الانتكاسات التي تتعرض لهاو هو ما يمكن ان نسميه بالعودة دون الإندثار ، و هو ما حدث بحسب هذه النظرية في أوروبا من عودة أو إنبعاث بعد فترة الركود الوسيطة. و ما يهمنا هنا هو النظر للتاريخ كمراحل و كفترات يمكن ان تتميز عن بعضها مرتبطة بحال الحضارة المعنية . كما تجدر الإشارة إلى أنه و خلال القرن ١٦ و١٧م ظهر في وسط القضاة ورجال القانون في فرنسا، ايطاليا و انجلترا الاهتمام بالإقطاع و الذي يعد اهتماما بإحدى أهم سمات العصر الوسيط و على الرغم من أن هذا الاهتمام بالإقطاع كان له اهتمامات سياسية مباشرة تخدم أغراضا محددة، ففي حين حاول المدافعون عن هذا النظام تشريع الحق الإقطاعي لمصالح معينة كانوا يرونها، أخذ بعض المؤلفين المقربين من النظام الملكي أو الإمارات المركزية واجب توضيح أن النظام الإقطاعي يمثل فسادا للقانون الروماني كما أنه كان واقعاً بربرياً إمتد بدون وجه حق خلال العصر الحديث ، إلا أن هذا الإهتمام المعطى لدراسة آليات منح الأرض والإنتاج والإيجار كان بإمكانه المساهمة في خلق اهتمام في نهاية الأمر إيجابي للفترة الانتقالية (المتوسطة) كون النظام الإقطاعي هو من أهم مميزات العصور الوسطى. و بالتالي فإن القرنين ال١٦ و ١٧ الميلاديين يمثلان نقطة مهمة في التقدم نحو دراسة حقيقية لفترة العصور الوسطى.غير أن النواة الحقيقية للتقسيم التاريخي تعود إلي القرنين ١٧م و ١٨م ، حيث ظهر التوجه نحو تقسيم مبني على الترتيب الزمني بمعنى أن الفترات التاريخية اصبحت اكثر وضوحا و يعود ذلك إلى النصوص و العلوم الكثيرة الخاصة بالعصور

[١] أنظر ترجمة بحث آلان بورو في المحور السابق من هذا البحث.

الوسطى و التي جاءت بواسطة معارف رجال الكنيسة ، سواء من جهة اليسوعيين[1] أو البينيدكتيين[2] . أما في بداية القرن ١٩م فقد كان الأمر محسوما في كل أوربا فيما يتعلق بتميز العصور الوسطى، و التي اخضعت قرونها كغيرها من القرون الماضية للدراسة و البحث و بالتالي لما يتقبله العقل و القوانين ، مما شكل فرصة لفهم مؤهلات هذه الحقبة الوسيطة. بل بدأ الباحثون ينظرون إليها على انها فترة غنية و رائعة تستحق الدراسة و الإحترام ، حيث تطور النظر إلى كلمة قوطي gothique المشيرة للبربرية حتى الآن، لتشير إلى إتمام الفن ، بل ظهر الإعتزاز بهذه الفترة كجزء من تاريخ الهوية في الثقافة الاوروبية خصوصا في ألمانيا حيث ظهرت المعاهد المتخصصة في هذه الحقبة. أما في فرنسا وبعد اهتزازات الثورة والإمبراطورية، فإن العصور الوسطى تمثل حتى ١٨٤٨م أرضية تراضٍ بين مناصري الأحرار والملكية بمعني أن هذه المرحلة هي مرحلة متفقا عليها و على وجودها و تميزها و لكن دون تعصب أو انحياز . و تجدر الإشارة إلى أن عام ١٨٢٩م يمثل القاعدة المؤسسية و القوية لدراسات العصور الوسطى في فرنسا و ذلك مع الإنطلاقة الحقيقة لمدرسة القوانين école des chartes[3] و التي كانت مهمتها ارشفة المؤلفات و تسهيل مهمة الباحثين و المهتمين بالفترة السابقة و تكوين متخصصين في دراسة حقبة العصور الوسطى. و على الرغم من تقدم فكرة العصور الوسطى و اتضاحها في فرنسا و النظر إليها بحيادية إلا أن ذلك لم يمنع ظهور بعض الآراء خصوصا بعد ثورة عام ١٨٤٨م، و التي رأت وضع هذه الحقبة ضمن الزمن الطويل للنظام القديم l' ancien régime[4] المنتهي عام ١٨٧٩م ، و نعني به النظام الملكي الذي إنتهي بالثورة الفرنسية.

على عكس هذا التقدم فى أوروبا و المتعلق بالنظر إلى العصور الوسطى كفترة متميزة غنية بالحضارة و تستحق الدراسة و البحث، ظهرت في أمريكا آراء تخلط تاريخ العصور الوسطى بظلاميتها و بسطوة الكنيسة و محاكم التفتيش و غيرها : فكتاب La somme للمؤلف هنري شارل ليا Henry Charles Lea حول محاكم التفتيش (١٨٨٦) و الذي ترجم إلى الفرنسية، قد ساهم بشكل كبير في الأسطورة المظلمة للعصور الوسطى حتى يومنا هذا. بينما في إيطاليا و خلال القرن السابع عشر و الثامن عشر و التاسع عشر فقد كان الهدف هو تحسين صورة الكنيسة و تاريخها المرتبط بسطوتها خلال القرون الوسطى و مع نهاية القرن التاسع عشرو بداية العشرين ظهرت أولى المدارس التاريخية في أوروبا و ذلك بفضل منشورات البابا ليون الثالث عشر[5] Léon XIII[6] عام ١٨٧٩م و المتعلقة بتجديد دراسة المسيحية، لتظهر بعد ذلك العديد من المدارس التاريخية

---

[1] حول اليسوعيين انظر الملاحظة ٦٤ .

[2] حول البينيدكتيين انظر ٦٥.

[3] حول مدرسة القوانين انظر الملاحظة ٦٨.

[4] حول النظام القديم انظر الملاحظة ٦٩.

[5] البابا ليون الثالث عشر تولى البابوية بين (١٨٧٨م -١٩٠٣م).

[6] أنظر المحور السابق من هذا البحث.

و يلي ذلك وضع النظام الحديث للجامعات والمعاهد البحثية كمعهد لي مونومينتا جيرماناي les Monumenta Germaniae في ألمانيا ، ثم ليظهر التخصص في دراسة العصور الوسطى و الذي أثمر معرفة كبيرة عن هذة الفترة من التاريخ الأوروبي. و بفضل هذه المؤسسات العلمية ترسخت و تعمقت دراسة العصور الوسطى، و كما يقول آلان بورو فليس من المصادفة أن يوجد في اللغة الفرنسية مصطلحات moyenâgeux موياں آجو بمعنى (يعود أو يأتي من العصور الوسطى) للدلالة على أسطورة مظلمة و ميديفست بمعنى médiéviste المتخصص في العصور الوسطى فكلاهما قد ظهرت في التاريخ المعاصر ١٨٦٥ و١٨٦٧م. و لكن ظهورهما على هذا الشكل يعني وضوح فكرتيهما و تميزهما عن بعضهما و بترجمة هذا المصطلح "لو موين آج" حرفيا إلى العربية نحصل على معنى يقول أننا نتحدث عن حقبة وسط بين حقبتين أخريين و هو ما تتضمنه المفردات العربية : الوسطى ، الوسيط ، المتوسطة ... إلخ إلا أن البعض قد يستخدمها كمرادف لمرحلة ناقصة في أداء الأمم الأوروبية تاريخيا، و كما رأينا فإن هذا فكرة التقسيم التاريخي قد سبقت ظهور هذا المصطلح بعدة قرون و على الرغم من ظهور فكرة التحقيب و تقسيم التاريخ إلى فترات و ملاحظة بعض المفكرين تميز الفترات و إختلاف انماط الحياة التي سادت أوروبا ، و على الرغم من ظهور مصطلح عصر النهضة أو المولد الجديد و الذي يشير إلى نهاية حقبة و بداية أخرى أو على الأقل إلى حدوث تغيرات تاريخية تميز ما مضى عما هو آت، إلا انه كان لزاما على المؤرخين إنتظار منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ليصبح مصطلح العصور الوسطى متفق عليه ، يقول المؤرخ الفرنسي روبير فوسييه :

« L’expression « Moyen Âge » aurait apparu en Occident au milieu du XIXe siècle de l’ère chrétienne."[١] و معنى هذه الفقرة : (بالإمكان تحديد ظهور تعبير العصور الوسطى في الغرب بمنتصف القرن التاسع عشر الميلادي) و هو ما حدده آلان بورو في الفقرة السابقة ب ١٨٦٥م. وعلى الرغم من تبلور هذا المصطلح و فكرته و مولده كان في أوروبا فإنه من الصعب حصره في دلالته على التاريخ الأوروبي، حيث يرى آلان بورو عدم امكانية الحديث عن عصور وسطى يابانية أو صينية أو عربية او إسلامية[٢]، و لكن بكل بداهة نتحدث عن عصور وسطى غربية :

« Dans un sens strict, le Moyen Âge n’a de pertinence qu’en Europe occidentale »[٣]. Donc nous ne parlons pas de « Moyen Âge » chinois ou japonais ou arabe ou islamique, mais en toute évidence nous parlons de « Moyen Âge occidental »[٤]. وبترجمة هذه الفقرة يقول بورو : (ففي إطار ضيق ليس للعصور الوسطى دلالة منطقية

---

[١] FOSSIER R., L’Occident médiéval Ve-XIIIe siècle, Paris, Hachette, 1995-2001, p. 7.

[٢] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950-953

[٣] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950-953

[٤] Dictionnaire du Moyen Âge, op. cit., p. 950-953

سوى في أوروبا الغربية... إذا لا يمكننا ان نتحدث عن عصور وسطى صينية أو يابانية أو عربية أو إسلامية ، لكننا بكل منطقية نتحدث عن عصور وسطى غربية) و نحن بدورنا نذكر أن هذا التقسيم التاريخي لا غرض له إلا تسهيل البحث و المنهجية كما أسلفنا في بداية هذا البحث ، فكل حقبة تاريخية تشير إلى فترة زمنية من عمر البشرية و لا يعبر عن ذات مميزة و بالتالي يمكن أن نتحدث عن عصور وسطى لكل أمة من الأمم و بالتالي فإن مصطلح العصور الوسطى هو مسمى يمكن أن نطلقه على تاريخ كل الأمم ، بمعنى أن هناك تاريخ عصور وسطى يابانية و صينية و كذلك أوروبية، إلا أننا لا ننكر أن شهرة المصطلح و في معظم الأوقات تشير إلى جزء من التاريخ الأوروبي و ذلك لا لشيء إلا لتكاسلنا عن الاستعمال و ترك الساحة لبعض المؤرخين الذين يحاولون احتكار حتى المسميات ، و على الرغم من كون مرجعيات التحقيب خاصة بكل أمة إلا ان بالإمكان الأخذ بأشهر الحوادث كأساس لهذا التحقيب. و في هذا الإطار نشير إلى أحد الكتب التي تستعمل هذا المصطلح للتدليل على فترة من عمر البشرية و هو من إعداد مجموعة من الأساتذة الكبار و يحتوي مجموعة من الأبحاث المهداة إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين من عمره و هو من تحرير الدكتور حاتم عبدالرحمن الطحاوي . يحمل هذا الكتاب عنوان : دراسات في تاريخ العصور الوسطى . و يتناول موضوعات كثيرة ، خلال حقبة التاريخ الوسيط ، في تاريخ العالم الاسلامي شرقا و غربا و كذلك في تاريخ أوروبا[١].

أما فيما يخص ظهور هذا المصطلح في الكتابات التاريخية العربية فيمكن القول ان مصطلح "العصور الوسطى" لم يتأخر عن ظهوره في أوروبا حيث أن بالإمكان الحديث عن ظهوره في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة في حدود النصف الثاني من القرن التاسع عشر و ذلك على شكل ،،العصور الوسطى،، أو ،،القرون الوسطى،، أو ،،العصور المتوسطة،، و كذلك ،،العصور الوسيطة،، ، حيث نجد ظهور مجموعة من المؤرخين الذين وجهوا إهتمامهم نحو دراسة أوروبا و تاريخها خلال العصور الوسطى ويبدو أن هذا المصطلح قد ظهر بفضل الترجمة لبعض الأعمال من اللغات الأوروبية . و يمكن القول أن ظهوره في هذه الفترة وبتلك السرعة مقارنة بظهوره في أوروبا يشير الى ان الادب التاريخي العربي الحديث و المعاصر لم يكن في معزل عما يدور من حركة علمية في الثقافات الأخرى ليس الأوروبية فحسب بل كل الشعوب و الثقافات الاخرى . فلو وقفنا قليلا حول الإنتاج التاريخي العربي بين ١٨٥٠م و ١٩٠٠م[٢]، سنلاحظ ظهور العديد من الأعمال المؤلفة و

---

[١] دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، مجموعة أبحاث ، تحرير د. حاتم عبدالرحمن الطحاوي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ ، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ، ص ٣٤٥.

[٢] جورج حداد، مؤلفات المؤرخين العرب في غير التاريخ العربي خلال المائة سنة الأخيرة ، منشور ضمن مجموعة أبحاث مقتبسة من مجلة الأبحاث، العدد الأول و الثاني، تحت عنوان : ما ساهم به المؤرخون العرب في المائة سنة الأخيرة في دراسة التاريخ العربي و غيره ، اشراف الهيئة العربية في الجامعة الأمريكية ، ١٩٥٩، ص ١ -٢٤.

أنظر أيضا :

المترجمة الى العربية والتي تتناول تاريخ الأمم الأخري غير العربية ، سواء التاريخ السياسي أو الإجتماعي أو الحضاري بالإضافة إلى بعض السير و التراجم[١] و سنجد أنه و خلال هذه الفترة نفسها ١٨٥٠ –١٩٠٠ م ظهر الكثير من الأعمال المخصصة للتارخ الأوروبي في مختلف الفترات و منها فترة العصور الوسطى ، حيث بالإمكان ملاحظة ظهور ما يقرب من ثلاثة كتب تحتوي في عناوينها على مصطلح العصور الوسطى أو ما يدل على هذا المعنى ، وهذه الكتب هي كالتالي : الأول للبطريرك أفرم الريحاني ١٢٩٤ –١٨٧٧م مؤلف كتاب ،، مختصر تواريخ القرون المتوسطة،،[٢]ما الكتاب الثاني فهو عبارة عن ترجمة قام بها مصطفى الزرابي لأحد الكتب في مجلدين ، و هذه الترجمة تحت عنوان ،، قرة النفوس و العيون بسير ما توسط من القرون،،[٣]ما الكتاب الثالث و الأخير فهو ترجمة أيضا لكتاب ميكافل ، الذي يحمل عنوان " Le Prince " حيث ظهر هذا الكتاب في اللغة العربية تحت عنوان ،،الأمير، تاريخ الإمارات الغربية في القرون الوسطى،،[٤]و لا ننسى أن نشير إلى ظهور كتب أخرى كهذا الذي يخصصه خليفة محمود المصري لشارلمان[٥].

أما فيما يخص دلالة هذا المصطلح في الكتابة التاريخية العربية، فإننا و رغم تعسرالاطلاع على ما أشير إليه من كتب نقول و بناء على المعطيات في الوقت الراهن و كذلك بناء على واقع البحث التاريخي في الجامعات و مراكز البحث العربية بل وإعتمادا على ما نستعمله اليوم في الغالب في دراساتنا من مصطلحات فيمكن القول أن هذا المصطلح منذ ظهوره في الأدب التاريخي العربي فإنه يحمل تلك الدلالة الدقيقة خصوصا فيما يخص الجانب الزمني أو التاريخي و نعني بالقول إننا حين نتحدث عن العصور الوسطى - في الأدب التاريخي العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر – فإننا نشير الى فضاء زمني محدد و هو الفترة الزمنية الممتدة بين التاريخ القديم و التاريخ الحديث ، و لكن هذه الدلالة قد لا تكون بالضرورة بنفس الدقة التي نراها اليوم و لكنها بالتأكيد فترة محصورة و قد لا تبتعد كثيرا عن حدود القرنين الخامس و الخامس عشر الميلاديين أو على الأقل فإننا نشير إلى مرحلة مميزة عن التاريخ القديم و كذلك عن ا لتاريخ الحديث أما فيما يخص الدلالة الجغرافية فإن المصطلح – منذ ظهوره في الكتابة العربية و نظرا لكونه جاء من الأعمال المترجمة من اللغات الغربية - يشير كذلك و لو بشكل ضمني إلى فضاء جغرافي و الذي هو أوروبا ، و هذا ما تعارف عليه المؤرخون إلا أننا نعود لنذكر بشيئين الأول أن من المنطقي الفهم أن هذا التعبير لا

AL HADDAD Mohamed, L'Occident chrétien médiéval vu par les historiens arabes d'hier et d' aujourd'hui, -
Thèse de doctorat nouveau régime, UNIVERSITÉ PARIS I – PANTHÉON – SORBONNE, Présentée et soutenue .publiquement le 25 janvier 2007, pp. 388-403

[١] جورج حداد، مصدر سابق، ص ١ -٢٤.

[٢] جورج حداد، نفس المصدر.

[٣] جورج حداد، نفس المصدر.

[٤] جورج حداد، مصدر سابق، ص ١ -٢٤.

[٥] جورج حداد، نفس المصدر.

يمكن أن يقتصر على أوروبا فهو لا يدل على ذات و بالتالي يمكن الحديث عن عصور وسطى لكل أمة و عن عصور وسطى في التاريخ البشري كما هو الحال في أحد الكتب المشار إليها سابقا. ثانيهما أننا نستعمل ببداهة تامة مصطلح تاريخ اليمن الوسيط و تاريخ الجزائر الوسيط و غير ذلك إلا اننا في كثير من الأحيان نتحدث عن تاريخ اليمن في صدر الإسلام أو تاريخ الجزائر الإسلامي للحديث عن الفترة المتزامنة مع التاريخ الوسيط. غير أن إمكانية أخذ المصطلح كمرادف لانحطاط حال أمة بعينها يمكن أن يجعلنا نتفق مع آلان بورو في أن التاريخ الإسلامي لا يحمل شيئا و سيطا كونه يمثل مرحلة من الإزدهار في كل الميادين، غير أن ما تعيشه الأمتان العربية و الإسلامية اليوم لا يمكن ان يكون تاريخا حديثا أو معاصرا و إنما تاريخا و سيطا بإمتياز.

❖ – **خلاصة البحث :** و يمكن أن نلخص البحث في النقاط التالية :

أولا : إن الآراء قد تعددت في موضوع التحقيب التاريخي، فكل فريق له مبرراته و مرجعياته التي تتناسب في كثير من الأحيان مع تاريخه و تعد جزءا من هويته، كما أن إختلاف المؤرخين و إتفاقهم يكون –متعلقا في كثير من الأحيان – بالأحداث و المرجعيات التي يعتمدون عليها في هذا التقسيم التاريخي و ليس متعلقا بعدد الفترات المراد وضعها ، و إننا كمؤرخين لا نرى ضيرا في ان نأخذ بكل الأراء مجتمعة لنفهم فلسفة التحليل التاريخي و نعطي كل حدث من عمر البشرية ما يستحقه، فكل حدث و كل جانب من الحضارة يحمل من الأهمية ما لا يحمله غيره. كما أن التقسيم أو التحقيب لا يتعد ان يكون نظريات تهدف إلى تسهيل التخصص في مرحلة او مسار دون غيره و ليس إلى فصل الأحداث التاريخية، فالتاريخ في مساره يشبه النهر الجاري المتواصل ، فلولا هذا التقسيم لصعب على المؤرخ الإلمام التام بتاريخ البشرية و أحداثه و فهمها و تحليلها كما هو حاصل اليوم بفضل الاقسام و التخصصات الدقيقة في علم و فن التاريخ الجليل.

ثانيا : و كما تعددت الآراء في موضوع التحقيب فقد كثرت فيما يخص تعريف و تحديد العصور الوسطى ، فكل مؤرخ أو كل فريق من المؤرخين يرى في الأحداث ما لا يراه غيره من الأهمية ، وبالتالي فرأي كل فريق بالإعتماد على حدث أو أحداث للبدء في التأريخ لمرحلة جديدة و مميزة عما قبلها و عما بعدها هو شئ مبرر في نظره ، لكن هذا الاختلاف يغني التحليل التاريخي و لا يعيبه.

ثالثا : مما لا شك فيه أن ظهور فكرة التقسيم التاريخي قد سبقت ظهور المصطلحات التي تشير إلى الحقب المعينة المتفق عليها بين المؤرخين و المؤسسات التعليمية و منها حقبة العصور الوسطى. و كما جاء في مقال المؤرخ آلان بورو فإن فكرة التحقيب أو التقسيم قد بدأت بشكل بسيط جدا و تطورت خلال قرون حتي ظهرت المؤلفات الخاصة بهذه الحقبة و اصبحت حقبة معروفة و محددة من قبل المؤسسات العلمية. و قد بدأت بوادر التقسيم التاريخي البسيطة منذ القرن الثالث عشر الميلادي –مستمدة من رؤى تعود إلى القرن الثامن الميلادي – و ذلك إعتمادا على التاريخ الدينى، علما أن هذه البدايات لم تكن تحمل فكرة التحقيب بقدر ما

كانت تحتوي عل فكرة فهم الحاضر و مقارنته بالماضي وإعتبار الحاضر فرصة للعودة إلى ذلك الماضي المثالي المرتبط بالقرب من الدين، حيث ظهرت خلال القرن الثالث عشر الميلادي بعض الجماعات الفرانسيسكانية التي اخذت على عاتقها ميراث القديس بونافنتيو Bonaventure و الذي يحمل فكرة تقسيم تاريخ العالم إلى فترات تحمل معان في إطار التاريخ المسيحي ، فالزمن الحاضر كان ينظر إليه أصلا كفرصة ممكنة للعودة السعيدة إلى الكمال و بالتالي فإن المسيرة التاريخية شبيهة بمراحل الصعود و الهبوط أو القرب و البعد عن الدين و الكمال الروحي.

رابعا : إن مصطلح العصور الوسطى قد ظهر في أوروبا قبل أن يظهر في الادب التاريخي العربي ، و مما لا شك فيه أن فكرة التحقيب قد سبقت فكرة ظهور مصطلح العصور الوسطى، حيث ينسب إلى جيوفاني أندريا بوسي كأول من إستعمل هذا المصطلح عام ١٤٦٩م و في نفس الوقت هناك من يرى أن فلافيو بوندي دو فورلي قد إستعمله عام ١٤٥٠م ، و كلاهما كان سكرتيرا كنسيا في روما، لكن ذلك لم يكن سوى البداية لظهور فكرة العصور الوسطى كفترة متميزة عن التاريخ القديم و بدايات المولد الجديد لأوروبا.

خامسا : من الطبيعي القول أن موضوع التحقيب التاريخي لم يكن هم العامة بل أنه من الملاحظ أن ما حدث من تطور لفكرة التحقيب و لمصطلح العصور الوسطى كان في بداية الأمر في إطار الكنيسة كونها كانت المسيطرة و المكان الوحيد للعلوم ، لتظهر الرغبة لدى بعض الفنانين و الرسامين لفهم تطور نمط الحياة للمجتمع الاوروبي و تفسيره. ففي القرن السادس عشر الميلادي ظهرت مجموعة من الفنانين و الرسامين و منهم فساري ١٥٥٠م ، الذين أخذوا في وصف حقبة العصور الوسطى كمرحلة ركود و بالتالي بدؤا يتحدثون عما يسمى ب rinas-cita (ريناس - سيتا) مرادف عصر النهضة أو المولد الجديد و الذي يحمل فكر الخروج من مرحلة و الدخول في أخرى واصفا المسيرة التاريخية حينها بالعودة إلى جمال العصور القديمة اليونانية و اللاتينية . كما ظهر في نفس الفترة تقسيما آخر مرتبطا بالتاريخ البروتستاني و هو مؤلف التاريخ الكنسي Histoire ecclésiatique والمنشور في Bâle بين ١٥٥٩ و ١٥٧٤م. ومن الأشياء الجديدة التي جاء بها هذا العمل هو تقسيم مادة التاريخ المسيحي إلى مئات من السنين (قرون) "centuries " وهو تقسيم لم يكن معروفاً من قبل. تسرد الأخبار حتى حوالي عام ١٣٠٠ فقط ، ولكنها تعتمد على تقسيم التاريخ الكنسي القديم مثالثة tripartition (أي أن أزمنة المسيحية مقسمة بين) : " التاريخ الكنسي القديم Antiquité de l'Eglise ، حتى نهاية القرن ٧م ، و تاريخ متوسط âge intermédiaire أو Intermedia aetas، مستمراً من القرن ٨ إلى ١٥١٧م ثم فترة معاصرة " غير محددة.

سادسا : إن النواة الحقيقية للتقسيم التاريخي تعود إلي القرنين ١٧م و ١٨م و ذلك على هامش المسيرة التاريخية العامة والتي تركزت حول سؤال النظام الإقطاعي أو حول الأصل الغالي أو الجرماني للأمة الفرنسية، حيث بدأت في إعطاء النواه لتقسيم تاريخي مبني على الترتيب الزمني ديكوباج كرونولوجيك

decoupage chronologique ، أما التطور الحقيقي للتحقيب التاريخي فقد جاء متأخرا ، حيث أن هذا التطور يتمثل في الظهور الحقيقي للتواريخ الأولى الخاصة بالعصور الوسطى و التي ظهرت في نهاية القرن ١٧م و ما يميزها هو كونها أخذت في بمتابعة أسرار النهضة الدينية والثقافية ؛ وهي حالة المجلد الثاني من التاريخ العالمي للوثرية لكريستوف كيلر Histoire du luthérien de Christophe Keler universelle، الذي ظهر عام ١٦٨٨م . حيث أن التقسيم التاريخي الذي ظهر فيه إلى فترات يطابق تماماً ما يسمى اليوم ميديفيسم Médiévisme و يعني التخصص في دراسة العصور الوسطى ومع بداية القرن ١٨ م ظهر الاهتمام بدراسة الإقطاع و كذلك الإهتمام بالكثير من النصوص التي جاءت من العصور الوسطى، حيث شكل القرنان السابع عشر و الثامن عشر التطور الحقيقي في موضوع التحقيب التاريخي.

سابعا : في القرن التاسع عشر بدأ الحديث عن تميز العصور الوسطى خصوصا مع إخضاع القرون الماضية للدراسة ولما يتقبله العقل و القوانين. و قد تمثلت القاعدة المؤسسية و القوية لدراسات العصور الوسطى مع الإنطلاقة الحقيقة لمدرسة القوانين في فرنسا école des chartes في ١٨٢٩م التي تأسست في عهد لويس الرابع عشر و التي كانت مهمتها هي ارشفة المؤلفات و تسهيل دراستها للباحثين و كذلك تخريج متخصصين في دراسة العصور الوسطى.

ثامنا : مع نهاية القرن التاسع عشرو بداية العشرين ظهرت أولى المدارس التاريخية و كذلك ظهر النظام الحديث للجامعات والمعاهد البحثية كمعهد ليمونيمونتا جيرمانيا les Monumenta Germania في ألمانيا و هو معهد ابحاث متخصص في دراسة العصور الوسطى، كل ذلك ساعد في إنتاج معرفة عميقة في دراسة الأحداث التاريخية و منها فترة العصور الوسطى.

تاسعا : يمكن التأريخ لظهور مصطلح "العصور الوسطى" بالمعني المتعارف عليه اليوم في اوروبا بمنتصف القرن التاسع عشر الميلادي و بالتحديد ١٨٦٥م ١٨٦٨م.

عاشرا : لم يتأخر كثيرا هذا المصطلح في الظهور في الأدب التاريخي العربي حيث يمكن أن نؤرخ له كذلك بالنصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادى مشيرا إلى حقبة من التاريخ الأوروبي و ذلك نظرا لتأثره بالترجمات التى حملت المصطلح بمعناه التاريخي و الجغرافي من الكتابات الأوروبية إلى الكتابة العربية، و يمكن تفسير ظهوره في الكتابة التاريخية العربية بأن المؤرخين العرب لم يكونوا في معزل عما يدور من حركة علمية في أوروبا في العصر الحديث.

إحدى عشر : على الرغم من التقدم الايجابي في النظر للعصور الوسطى في أوروبا و الذي ساد القرنين التاسع عشر و العشرين الميلاديين إلا ان إتجاها معاكسا ظهر في المؤسسات التعليمية الامريكية يهدف إلى الخلط بين العصور الوسطى و ظلاميتها و بين سطوة الكنيسة و فسادها و بالتالي التقليل من أهلية هذه الفترة.

اثنى عشر : أن هذا المسمى كغيره من المصطلحات يمكن أن يطلق على تاريخ كل الأمم و لا يمكن حصره على أمة بعينها و من البديهي الحديث عن تاريخ اليمن الوسيط و تاريخ المغرب في العصور الوسطى و تاريخ الصين في العصور الوسطى و كذلك تاريخ اليابان الوسيط و هكذا. وفي هذا الإطار نشير إلى أن المؤسسات التعليمية تستخدم هذا المصطلح للتعبير عن جزء من تاريخ الامم و الشعوب المختلفة فوزارة التربية و التعليم اليمنية (الجمهورية العربية اليمنية قبل الوحدة ١٩٩٠ : الشطر الشمالي سابقا) و حتي عام ١٩٩٠ كانت تدرس كتابا تحت مسمى تاريخ اليمن الوسيط لطلاب السنة السادسة من المرحلة الابتدائية، يحتوي على تاريخ الدويلات التي ظهر في اليمن كالدولة الزيادية و اليعفرية و الأيوبية والزراعية و الرسولية و الطاهرية، الخ.

ثلاثة عشر : . إن إمكانية أخذ مصطلح "العصور الوسطى" كمرادف لانحطاط حال أمة بعينها و هو ما يمكن أن نفهمه من بعض المنظرين لحال أوروبا و من خلال ما أطلقه هؤلاء من مصطلحات كعصر النهضة وعصر المولد الجديد على مرحلة ما بعد العصور الوسطى فيمكن أن يجعلنا ذلك نتفق مع المؤرخ الفرنسي آلان بورو في أن التاريخ الإسلامي لا يحمل شيئا و سيطا خلال تلك القرون، و نعني بذلك أن التاريخ الإسلامي يمثل مرحلة من الإزدهار في كل الميادين في نفس فترة الموت السريري لأوروبا، و بالتالي فإن ما تعيشه الأمتان العربية و الإسلامية اليوم لا يمكن أن يكون تاريخا حديثا أو معاصرا و إنما تاريخا و سيطا بإمتياز. و عليه وبما أن اللغة ليست سوى رموز متفق عليها فإنه بالإمكان أن نقسم تاريخ الأمة العربية و الإسلامية إلى : تاريخ قديم يشير إلى ما قبل البعثة و الدولة الإسلامية ثم تاريخ حديث أو معاصر أو ما شاء المؤرخون أن يسموه كمرادف لتاريخ صدر الإسلام و حتى سقوط الامبراطورية العثمانية و أخيرا تاريخ العصور الوسطى و هو ما تعيشه الأمة اليوم ابتداءً من مرحلة الإستعمار.

قائمة المصادر و المراجع

أولا المصادر و المراجع العربية :

المصادر :

١ - إبن الأثير ابو الحسن علي (ت ٦٣٠ ه /١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، بيروت، دار بيروت للطباعة و النشر، ١٩٨٢، (١٢ مجلد).

٢ - إبن خلدون ولي الدين عبدالرحمن (ت ٨٠٨ ه/١٤٠٦م)، العبر و ديون المبتدأ و الخبر، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢ (١٤ مجلد).

٣ - القلقشندي ابو العباس أحمد (ت ٨٢١ ه / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، المطبعة العامرية، ١٩١٣، (١٤ مجلد)

المراجع:

٤ - أباظة(فاروق عثمان)، دراسات في تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية١٩٩٥.

٥ - أحمد هيكل: دراسات أدبية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.

٦ - أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٥.

٧ - جورج حداد، مؤلفات المؤرخين العرب في غير التاريخ العربي خلال المائة سنة الأخيرة ، منشور ضمن مجموعة أبحاث مقتبسة من مجلة الأبحاث، العدد الأول و الثاني، تحت عنوان : ما ساهم به المؤرخون العرب في المائة سنة الأخيرة في دراسة التاريخ العربي و غيره ، اشراف الهيئة العربية في الجامعة الأمريكية ، ١٩٥٩.

٨ - دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، مجموعة أبحاث ، تحرير د. حاتم عبدالرحمن الطحاوي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ ، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ، ٣٤٥ص.

٩ - سعيد عبدالفتاح عاشور ، أوروبا العصورالوسطى ، مكتبة الأنجلومصرية ، ١٩٨٦، ٣ اجزاء.

١٠ - محمد عباسة، العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٤، سنة ٢٠٠٧،جامعة منتوري ، قسنطينة، الجزائر.

١١ - معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، أ. د. أبراهيم خميس ابراهيم ، أ. د. حسن عبدالوهاب حسين ، د. سهير ابراهيم نعينع ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٣، ٣٧٣ ص.

ثانيا المراجع الاجنبية :

1- AL HADDAD Mohamed, L'Occident chrétien médiéval vu par les historiens arabes d'hier et d' aujourd'hui, Thèse de doctorat nouveau régime, UNIVERSITÉ PARIS I – PANTHÉON – SORBONNE, Présentée et soutenue publiquement le 25 janvier 2007, 466 pp

2- Dictionnaire du Moyen Âge, sous la direction de GAUVARD Cl., DE LIBERA A. et - ZINK M., Paris, Quadrige, PUF, 2002, 1548 p

3-FOSSIER R., Le Moyen Âge, Paris, Armand Colin, 1982-1983, 3 vols

4- Encyclopédie Encarta 2002-"Moyen Age"

5- GATTO L., Viaggio interno al conentto di Medioevo, Rome, Bulzoni, 1992

6- H.- R. Gibb: Literature, in The Legacy of Islam, Oxford University Press 1965

7-H. ST. L. B. MOSS, THE BIRTH OF THE MIDDLE AGES

مترجم إلى اللغة العربية تحت عنوان: ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ، مراجعة د. السيد الباز العريني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨.

8- LE GOFF J., La civilisation de l'Occident médiéval, Paris, Arthaud, 1977, 704 p. (première édition 1964).

9- KAHL H.-D., Was bedeutet: "Mittelater" ?, 1989, Serculum, n° 40, 1989

10- MITRI Elias, Dictionnaire moderne, français-arabe, Dar al-Jil, Beyrouth, 868 p

11- S.- M. Imamuddine: Some Aspects of Socio – Economic and Cultural History of Muslim Spain, Leiden 1965

12- VOSS J. , Das Mittelater in histrischen Denken Frankreichs, Munich, Fink, 1972

كذلك تمت الإستفادة من العديد من المواقع على الإنترنت منها :

١- www.alwaraq.net/e404.htm الوراق.نت

٢- www.wikipedia.org فيكيبيديا.اورج



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

الفعل الناقص - دراسة نحوية دلالية بين القدماء والمحدثين

د/ محمد حسين النقيب
أستاذ النحو والصرف واللغة المساعد –كلية التربية و الألسن – جامعة عمران

12

الملخص

يهدف هذا البحث الوقوف على :

- دلالة مكونات هذه اللغة ودلالة مبانيها، ومن خلال إظهار هذه الدلالات نصل إلى الهدف المنشود وهو بيان روعة هذه اللغة وجمالها، والرغبة في تعلمها من غير الناطقين بها وهذا جزء مهم للاستثمار في اللغة العربية.
- ويتناول الفعل الناقص من حيث العمل كقاعدة نحوية مطردة، ومن حيث الدلالة والمعنى، وهو الأهم في هذا البحث.
- كما يتناول البحث الأفعال الناقصة من حيث العمل ومعانيها ودلالاتها وآراء العلماء من القدماء والمحدثين، ثم يفصل القول في أهم دلالات الفعل الناقص التي تظهر جماليات لغتنا وترغب الناطقين بغيرها في تعلمها واستلهام معانيها.

تقديم:

اللغة العربية لغة حية متطورة ، ولعلها من أكثر اللغات تطوراً وتجدداً ؛ لأنها لغة المعاني المتعددة والدلالات المتنوعة ، وبالوقوف على تنوع هذه الدلالات نصل إلى إظهار جماليات هذه اللغة ، ونطمئن أن الاستثمار في هذه اللغة من الميادين الرحبة التي تنتظر فرسان هذه اللغة لنقدم هذه اللغة لمريديها من العرب،وللناطقين بغيرها في ثوبٍ قشيب ، ونغرس من خلال استلهام معانيها حبها وشغف تعلمها من غير الناطقين بها .

ولعل هذا البحث يقدم أنموذجاً لتناول اللغة من خلال المعاني والدلالات، والوصول للقاعدة النحوية كنتيجة من نتائج جماليات ودلالات الكلمة ، أو النص.

ودراسة الفعل الناقص كقاعدة نحوية مطردة يشوبها كثير من الجمود، وكأن هذه اللغة قوالب جامدة لا حياة فيها، بينما لو ناقشنا معاني هذه الأفعال ودلالاتها لاقتنصنا فوائد جمَّة وأزلنا بعضاً من الجمود الذي ساد في دراستنا لهذه الأفعال.

وقد قسمت بحثي هذا على مبحثين:

- **المبحث الأول:** تناولت فيه أبرز تعاريف الفعل الناقص، وأنواع الأفعال الناقصة .
- **المبحث الثاني:** تناولت فيه عمل الفعل الناقص ودلالته الظاهرة والدلالة الكامنة ، وهي المعنى المراد الوقوف عليه وصولاً إلى جماليات هذه الدلالات والمعاني محاولاً الوقوف على آراء بعض النحاة قديماً وحديثاً.

ثم ختمت البحث بخاتمة وتوصيات ركزت فيها على أهم نتائج البحث مشيراً إلى ضرورة فهم المعنى الثاني للفعل الناقص لإبراز جماليات اللغة ، وترغيب الناطقين بغيرها في تعلمها واستلهام معانيها.

المبحث الأول

الفعل الناقص : تعريفه وأنواعه

الفعل الناقص من المصطلحات التي تعددت آراء النحاة في تسميته، ذاكرين في تعريفهم للفعل الناقص سبب التسمية بهذا الاسم، وسأورد أهم التعاريف خلوصاً إلى تعريف جامعٍ لما ذهب إليه النحاة.

يقول ابن هشام: (سمي ناقصاً لكونه لم يكتف بالمرفوع، وعلى قول الأكثرين لأنه سُلِب الدلالة على الحدث وتجرد للدلالة على الزمان، والصحيح الأول)[1].

وسار معظم الباحثين في فلك هذا التعريف، فالبعض يجعل سبب تسمية الفعل بالناقص لأنه لا يتم به مع مرفوعه كلام تام ؛ بل يحتاج مع المرفوع إلى منصوب، بخلاف الفعل التام فإنه مع مرفوعه تتم الفائدة بهما ولعل في هذا خلط بين هذه الأفعال وبين حد الفعل اللازم .

وذهب آخرون إلى أن سبب التسمية بالناقص لكون الفعل سلب الدلالة على المصدر مؤكدين أن الفعل التام يدل على الحدث والزمن، بينما الفعل الناقص يتضمن الزمن ولا يتضمن الحدث ، وهو بهذا لا يشبه المصدر ولا المشتقات العاملة في دلالتها على الحدث دون الزمن.

ولعل رأي سيبويه فيه جمع لما أشرنا ، حيث علل تسمية الأفعال الناقصة لكونها سلبت الدلالة على الحدث وكونها لم تكتف بمرفوعها فقط ولا تفيد فائدة تامة ما لم يؤت بالخبر، يقول سيبويه: "وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغني عن الخبر، تقول كان عبدالله أخاك، فإنما أردت أن تخبر عن الأخوة وأدخلت كان لتجعل ذلك في المضي"[2].

ويرى الباحث أن هذه التعاريف قد لا تصدق على جميع الأفعال الناقصة، لأن الفعل الناقص في اللغة على ضربين:

- من جهة الإعراب أوالعمل النحوي ومن جهة المعنى أوالدلالة وهذه الأفعال تصدق عليها التعريفات السابقة وهي : (الأفعال الناقصة الناسخة)
- من جهة الصرف ، الفعل المعتل الناقص يختلف عن ما ذهبنا إليه، ومثاله (دعا) (رمى)،فالحرف الأخير يحذف من مضارعه أثناء جزمه "لم يدعُ" ويحذف من أمره إذا اسند للمفرد المذكر "ادع" وبهذا نفرق بين الفعل الناقص الناسخ، والفعل الناقص الذي هو من أقسام الفعل المعتل.

---

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام الأنصاري – ت محمد محيى الدين عبدالحميد ، ط١١، دار الفكر بيروت، ص١٣٧.

(٢) الكتاب، سيبويه، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية ٤/١ – وينظر في كان وأخواتها لمنى خليل عبدالمهدي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤ ص٣١ – وينظر في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي دار الرائد بيروت، ط٢، ص١٧٧ – والتطبيق النحوي لعبده الراجحي، دار النهضة، لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٩، ص١٢٨، ١٢٩ .

ومن خلال التحليل للأفعال الناقصة يرى الباحث أنَّ الفعل الناقص يجب أن يدرس في إطار المعنى الدلالي بحسب سياق الجملة وهو الأصح ؛ لأن الفعل بدخوله على الجمله يحدث تغييراً نحوياً، وفي المقابل يحدث تغييراً دلالياً وهو المعنى الخفي والكامن الذي نبحث عنه في معاني هذه الأفعال.

ومثال ذلك : الطفلُ باسمٌ، جملة اسمية تدل على الثبوت والاستمرار.

فعندما نقول: كان الطفلُ باسماً، حصل في الجملة:

- تغيير نحوي عما كانت عليه.
- وتغيير دلالي ؛ كون ابتسامة الطفل تحولت من الديمومة أو الإثبات إلى النقيض .

ولذلك من المهم الوقوف على الفعل الناقص من خلال المعاني الإضافية لهذه الأفعال، أما كون الفعل يدل على الزمن ويتجرد من الحدث فقد نستدل على دلالة الفعل الناقص على الأمرين من خلال المعنى الكامن في كل فعل في الجمل الآتية :

١ - صار الطين حجراً

٢ - كان الجو بارداً

٣ - أصبح القائد منتصراً

ومن المهم أيضاً أن نستخدم الفعل الناقص المناسب للسياق في الجملة[١] فليس الأفصح قولنا: أصبح زيد ثملاً، بل الأفصح القول: صار زيد ثملاً؛ لأن لكل فعل دلالة خاصة تحتم علينا توضيح المعنى الكامن خلف مصطلح دلالة البنية عن طريق الموازنة بين النصوص في استعمال الصيغ[٢].

أنواع الأفعال الناقصة:

نعني هنا أنواع الأفعال الناقصة الناسخة التي تؤثر فيما دخلت عليه إعراباً، وهي على نوعين كان وأخواتها، وكاد وأخواتها.

النوع الأول: كان وأخواتها وهي ثلاثة عشر فعلاً :

ذكر السيوطي أن : "كان" أم الأفعال الناقصة لأن كل شيء داخل تحت الكون لا ينفك من معناها، ومن ثم صرفوها تصرفاً ليس لغيرها، "وأصبح وأمسى" أختان لأنهما طرفا الزمان و(ظل وأضحى) أختان لأنهما صدر

(١) انظر، دلالات الأفعال الناقصة، محمد أبو الفتوح غنيم، الاتحاد المدونين العرب.

(٢) معاني الأبنية في العربية، د. فاضل السامرائي، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٩٨١م، بتصرف.

النهار (وبات وصار) أختان لاعتلال عينهما، (وزال وفتئ وانفك وبرح ودام)أخوات للزوم أولهما " ما " (وليس) منفردة لأنها لا تنصرف "[1].

والمشهورعن عمل هذه الأفعال أنها تدخل على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ اسماً لها وتنصب الخبر خبراً لها نحو : ليس محمدٌ مسافراً

ويرى الباحث أن ليس كل ما تدخل عليه كان وأخواتها يصح أن يكون مبتدأ وخبرا ، وإذا صح ذلك من حيث المبنى فلا يصح من حيث المعنى كالفعل "صار" مثلاً فإنه في الغالب الأعم لا يدخل على المبتدأ والخبر مع أنه يرفع اسماً وينصب آخر، وهذه من المسلمات في دراسة النحو العربي[2].

صار الطينُ حجراً

وقد ذكر النحاة الأوائل ثلاثة أقسام للفعل "كان":

١ – كان الناقصة، وهي التي تحتاج إلى مرفوع ومنصوب ، كقوله تعالى " وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُوراً "[3].

٢ – كان التامة، وهي التي تكتفي بالمرفوع نحو قوله تعالى "وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ "[4].

٣ – كان الزائدة، ولا تتطلب مرفوعاً أو منصوباً، وإنما ترد في مثل هذا السياق لتوكيد مضمون الكلام نحو: – ما – كان – أحسن زيداً[5]

النوع الثاني: كاد وأخواتها:

وهي ثلاثة عشر فعلاً على الأشهر: وهي "كاد، كرب، وأوشك لدنو الخبر، وعسى وأخلولق وحرى – لترجيه ، وطفق وعلق، وأنشأ وأخذ وجعل، وهب، وهلهل للشروع فيه ، ويكون خبرها مضارعا "[6].

وهي تعمل عمل كان فيما تدخل عليه فترفع المبتدأ وتنصب الخبر الذي هو جملة فعلية فعلها مضارع : ومنه قوله تعالى :

– " يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ...."[7].

---

(١) الأشباه والنظائر، للسيوطي، دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٩٨٤م، ٧١/٢ – وأنظر شرح ملحة الاعراب لأبي محمد القاسم الحريري، تحقيق : يوسف هود، المكتبة العصرية ، بيروت، ص٢١١ – شرح ابن عقيل، المكتبة العصرية بيروت ٢٤٥/١ .

(٢) أنظر شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق. محمد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥، ص٢١١.

(٣) النساء الآية (٩٩).

(٤) البقرة الآية (٢٨٠).

(٥) انظر شرح ابن عقيل ٢٦٧/١، أوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالك ، تحقيق : محمد محيى الدين عبدالحميد، دار الطلائع، مصر ٢٠٠٤ ص٢١٤، ص٢١٥ – في النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور/ مهدي المخزومي، دار الرائد العربي بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م، ص١٧٧ –١٧٨ .

(٦) شذور الذهب ص٢١٥.

(٧) سورة النور الآية (٣٥).

- و قوله "عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ..."[١].
- وقوله "وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ....."[٢].

وقد يكون الخبر المصدر النائب عن الفعل المضارع كما في قوله تعالى "فَطَفِقَ مَسْحاً..."[٣]، أي شرع يمسح بالسيف سوقها وأعناقها مسحاً.

المبحث الثاني

الفعل الناقص : عمله ودلالته

في هذا المبحث سنحاول أن نقف على دلالة كل فعلٍ من الأفعال الناقصة من خلال الاستعمال اللغوي، وكذا البحث عن المعنى الخفي لكل فعل وجمالية اللغة بظهور هذه المعاني.

كان: تدل على الزمن المجرد من الحدث، وهي في الواقع تفيد اتصاف اسمها بمعنى خبرها في زمنٍ يناسب صيغتها.

وتأتي "كان" بمعنى الماضي المحض، وتأتي للماضي المنقطع وتكون بمعنى الحال كقوله تعالى " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"[٤].

وتأتي كان بمعنى الاستقبال كقوله تعالى "يَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً"[٥].

وتأتي كان بمعنى الأزل والأبد والاستمرار كقوله تعالى "وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً"[٦].

وتكون بمعنى صار كقوله تعالى "وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"[٧]. أي صار[٨].

ومعنى "ظل" اتصاف المخبر عنه بالخبر نهاراً، ومعنى "بات" اتصف به ليلاً، "وأضحى" اتصف به في الضحى، و"أصبح" اتصف به في الصباح، و"أمسى" اتصف به في المساء، ومعنى "صار" تحول من صفةٍ إلى أخرى، ومعنى "ليس" مطلق النفي للحال نحو: ليس زيد قائماً، وعند التقييد بزمن على حسبه نحو: ليس زيد قائماً غداً،

---

(١) سورة الإسراء الآية (٨).
(٢) سورة الأعراف الآية (٢٢).
(٣) سورة ص الآية (٣٣).
(٤) سورة آل عمران الآية (١١٠).
(٥) سورة الإنسان الآية (٧).
(٦) سورة النساء الآية (٩٦).
(٧) سورة البقرة الآية (٣٤).
(٨) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت، ١٢/١٩١ – وأنظر كان وأخواتها لمنى خليل ص٣٢: ٣٤.

ومعنى "ما زال" وأخواتها ملازمة الخبر للمخبر عنه على حسب ما يقتضيه الحال نحو: ما زال زيد ضاحكاً، ومعنى "ما دام" بقى واستمر[١]، ومثاله قوله تعالى "........مَا دُمْتُ حَيّاً"[٢].

عمل الفعل الناقص لدى القدماء والمحدثين:

يرى القدماء من النحاة أن الفعل الناقص يدخل على المبتدأ فيرفعه ويسمى اسمه حقيقةً وفاعله مجازاً وينصب الخبر ويسمى خبره حقيقةً ومفعوله مجازاً.[٣]

وجميع هذه الأفعال لدى القدماء أفعالاً اتفاقاً، إلا ليس فذهب الجمهور إلى أنها فعل، وذهب الفارسي في أحد قوليه أنها حرف.[٤]

أما المحدثون فلهم نظرات في دراستهم لهذه الأفعال، وهذا النظرات مرتبطة بعلم اللغة الحديث ودراسة الدلالة والمعنى وسأذكر رأيين للمحدثين:

الأول للدكتور/ مهدي المخزومي:

يرى الدكتور المخزومي أن هذه الأفعال ليست سواء في الدلالة والاستعمال، وليس من الطبيعي أن تجمع في بابٍ واحد، وينبغي فصل "صار" من هذه المجموعة لأنَّ المنصوب بعدها ليس خبراً ولا مفعولاً وإنما هو تمييز.

وكذلك "ليس" يرى أن تفصل من هذه المجموعة لأنها تدل على نفي أن يكون الخبر بعدها وصفاً للمبتدأ في المعنى أو يكون عين المبتدأ، ونصب الخبر بعدها على الخلاف.

وبعد إخراج "صار، وليس" ينبغي تصنيف هذه الأفعال بحسب دلالتها على معانيها إلى ثلاثة أقسام:

١ -قسم يدل على الكينونة العامة، وهو الفعل كان، وينبغي أن يلحق بها: استقر، وحصل، ووجد، وحدث.

٢ -القسم الثاني: يدل على الكينونة الخاصة، وهي: أصبح، وأمسى، وأضحى، وظل، وبات، لأن أصبح تدل على الوجود في الصباح، وأمسى في المساء، وأضحى في الضحى، "وظل" في النهار و"بات" في الليل وينبغي أن يلحق بهذه الأفعال الدالة على الكينونة الخاصة الفعل "غدا" فهو يدل على الوجود في الغداة ولا يكتفي بالمرفوع نحو: غدا النهار جميلاً.

---

(١) شرح ابن عقيل ٢٥٠/١، وانظر: اللغة العربية، دراسات في اللغة والنحو والأدب، مجموعة مؤلفين دار المناهج، عمان الأردن، الطبعة الثالثة ٢٠٠٤، ص١٤٦.

(٢) سورة مريم الآية (٣١).

(٣) شرح شذور الذهب لابن هشام الأنصاري صـ ٢١١ وانظر الخلاصة في علم النحو، حمدي محمود عبدالمطلب، مكتبة ابن سيناء القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣، ص٢٤ وغيرها.

(٤) شرح ابن عقيل، ٢٤٤/١.

٣ -القسم الثالث: يدل على الكينونة المستمرة، وهو: ما زال، ما انفك، ما برح، ما فتى، وما دام وينبغي أن تلحق بها الأفعال ما وجد، وما استقر.

كما يؤيد المخزومي رأي الكوفيين في تسمية المنصوب بعد هذه الأفعال بعد اخراج "صار وليس" حالاً لا خبراً كما زعم البصريون.[١]

وفي كاد وأخواتها ذهب المخزومي إلى أن دلالة هذه الأفعال المقاربة في حدوث الفعل، والتوقع في حدوثه، أو أن الفعل قد بدأ إحداثه ولا علاقة لهذه الدلالات بما تدل عليه كان وأخواتها.

ويرى أن الجمل التي تليها جمل فعلية تتألف من فعل وفاعل، يتأخر فيها عن الفعل في موضع، ويتقدم على الفعل في موضعٍ آخر نحو: كاد زيد يقوم ، كاد يقوم زيد[٢]

الثاني: الدكتور شوقي ضيف: يرى أن "كان وأخواتها" وفقاً لرأي البصريين فيه خللٌ كبير لأن الفعل فيها وحدها فعل ناقص لا فاعل له، ويرى أن الخروج من هذا الخلل هو اعتماد رأي مدرسة الكوفة، ويرى بأن يحذف هذا الباب من دراسة النحو على هذا الأمر.[٣]

ويرى الباحث أنه لا بأس من دراسة النحو في هذا الباب على رأي البصريين في المراحل الأولى من التعليم كما ذهب مجمع اللغة العربية في القاهرة، وفي المراحل المتخصصة أرى أن الدرس الكوفي حري بالنظر والوقوف على ما ذهب إليه الكوفيون فيه إثراء اللغة وبيان للمعاني والدلالات المختلفة للفعل الواحد.

وفى كاد وأخواتها يرى الدكتور شوقي ضيف أن باب "كاد" هو ثالث الأبواب الخمسة التي ينبغي حذفها وفقاً لدراسة البصريين.

ويرى أن تدرس في باب الجملة الفعلية، كما يرى أن لهذه الأفعال مفعولا به واحدا [٤] وقد رد مجمع اللغة العربية في القاهرة هذا المقترح[٥].

الدلالة الكامنة في الفعل الناقص:

يخطئ البعض في استخدام وفهم الأفعال الناقصة "كان وأخواتها" عندما يقف على الاستخدام الشائع لها دون تمييز لما تعنيه.

ولو أردنا أن لا نقع في هذا الخلط يتوجب علينا إدراك دلالتها الصحيحة قبل استخدامها.

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه، للمخزومي ص١٧٦ : ١٨٢.

(٢) في النحو العربي ص١٨٥ وما بعدها، وانظر: دراسات نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، للدكتور: صاحب أبو جناح، دار الفكر الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٨، ص٤٨ : ٥١.

(٣) تجديد النحو، د/ شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة ص١١ : ١٤، وانظر ص١٨٤ : ١٨٦.

(٤) تجديد النحو ص١٥، ١٦، ١٦٥.

(٥) مظاهر التجديد النحوي لدى مجمع اللغة العربية في القاهرة للدكتور ياسين أبو الهيجاء، عالم الكتب الحديث الأردن، ٢٠٠٢، ص٢٧١، ٢٧٣.

فالفعل الناقص له دلالة زمنية ظاهرة من حيث هو فعل ماضٍ أو مضارع.

وله دلالة زمنية ضمنية مرتبطة بذات الأفعال وليس بكونها ماضية أو مضارعة وحتى نتبين هذا علينا أن ندرك كنه كل فعلٍ منها.

الفعل "كان" دال على كينونة الشيء من صفة أو فعل دال عليه كأن تقول:

كان محمد شجاعاً، أو كان محمد يلعب

فقد دل على كونه شجاعاً ، ويلعب ، والفعل إن دل على إيجاب فإنه لا يقتضي نفي الصفة أو الفعل في الزمن الآخر، فإن كان مضارعاً فهو لا ينفي وقوع الفعل أو الصفة في الماضي والعكس.

وكذلك فهو لا يدل على الانتقال من حالٍ إلى أخرى كما نرى في "صار" الذي له دلالة على تغير الحالة قبله وبعده، وقد يكون الحال قبله مثبتاً كأن نقول:

كان محمد جباناً وصار شجاعاً، أو صار محمد شجاعاً

محمد لم يكن شجاعاً قبل أن يصير، بينما نجد في الفعل "ظل" أن الفعل أو الصفة يبقيان على حالهما ولا دلالة له غير ذلك.

وكذلك الأفعال: "أمسى، أصبح، بات، أضحى" نجدها ذات دلالة زمنية من حيث هي أفعال دالة على زمن بعينه كالصباح والمساء والضحى والمبيت، لكن في المقابل لا تقتضي بالضرورة انتفاء الفعل قبلها، ومن هنا ندرك الخطأ الشائع في استخدام الفعل "أصبح" بدلاً من الفعل "صار" فأصبح له دلالة أخص من "صار" فلا يمكن استخدامه إلا وفقاً لدلالته الزمنية المختصة.

فلو قلت: أصبح زيد ثملاً

أو قلت: صار زيد ثملاً؛ لاختار الفصيح المثال الأخير سيراً على دلالته.

وهنا قد نصل إلى أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض والدلالات كامنة فيها[(١)].

---

(١) انظر الفعل زمانه وأبنيته، ابراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٩٨٣، ودلالات الأفعال الناقصة، محمد أبو الفتوح غنيم، اتحاد المدونين العرب.

الخاتمة والتوصيات :

يرى الباحث أن دراسة الفعل الناقص وفقاً للدلالات المتعددة يزيد اللغة الثرة ثراءً وجمالاً، كما أن الدارس وفقاً لهذا المنظور يصل إلى جماليات اللغة منطلقاً إلى الترغيب في تعلمها ودراستها ولا سيما من الناطقين بغيرها.

ويوصي الباحث بضرورة إدراك المعاني الكامنة في ألفاظ لغتنا، وأن الوقوف على الدلالات المتنوعة تفتح لنا آفاقاً رحبة في تحليل مفردات اللغة وفهم مقاصدها.

كما يرى الباحث ضرورة إنشاء مدرسة نحوية جديدة تأخذ على عاتقها دراسة اللغة وتعليمها تعليماً وظيفياً يتجاوز القاعدة النحوية المجردة إلى الدلالات الخفية ، وسيصل الدارس إلى إدراك القاعدة النحوية بكل سهولة ويسر.

كما أن من نتائج هذا البحث ضرورة دراسة الفعل الناقص وفقاً للمعاني المتعددة وصولاً إلى أفضل المعاني وأشمل الدلالات من خلال السياق النصي، وهذا ما يوصي به الباحث مجامع اللغة العربية لتضطلع بالدور التجديدي في لغتنا الجميلة.

قائمة المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري مع كتاب عدة السالك لمحمد محيى الدين عبدالحميد، دار الطلائع، مصر.

٣ - الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العربي، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٤ - تجديد النحو، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.

٥ - التطبيق النحوي، عبده الراجحي، دار النهضة لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٦ - الخلاصة في علم النحو، حمدي محمود عبدالمطلب، مكتبة ابن سيناء، القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م.

٧ - دراسات نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، صاحب أبو جناح، دار الفكر الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٨ - دلالات الأفعال الناقصة، محمد أبو الفتوح غنيم، إتحاد المدونين العرب.

٩ - شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله بن عقيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط ١٦، ١٩٧٩م

١٠ -شرح شذور المذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق.محمد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

١١ -شرح ملحة الإعراب، أبو محمد القاسم الحريري، ت. يوسف هبود، المكتبة العصرية، بيروت.

١٢ -شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، ت. محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر بيروت، الطبعة الحادية عشرة.

١٣ -الفعل زمانه وأبنيته، د. إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

١٤ -في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

١٥ -كان وأخواتها، منى خليل عبدالمهدي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م.

١٦ -الكتاب، سيبويه، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية.

١٧ -لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور، دار صادر بيروت ، ١٩٨٨م

١٨ -اللغة العربية، دراسات في اللغة والنحو والأدب، مجموعة مؤلفين، دار المناهج عمان الأردن، الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م.

١٩ -معاني الأبنية في العربية، فاضل السامرائي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٨١م.

٢٠ -مظاهر التجديد النحوي لدى مجمع اللغة العربية في القاهرة، ياسين أبو الهيجاء، عالم الكتب الحديث، الأردن ٢٠٠٢م.



جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY

سنن النهضة في القرآن الكريم

(عوامل النهوض)

د / فرحان خالد مقبل ناجي

أستاذ التفسير المساعد - قسم الدراسات

الاسلامية - كلية التربية - جامعة صنعاء

13

الملخص

إن الله سبحانه وتعالى وضع في هذا الكون سننا إلهية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، ولا تحابي أحدا ، فجميع البشر أمامها سواء ، فمن أخذ بها وصل إلى نتائجها ، ومن تخلف عنها تركته وراء ظهرها ، والمتأمل في آيات القرآن يدرك بوضوح هذه السنن الإلهية التي تحكم الاستخلاف البشري، وعمارة الكون ، والاجتماع البشري . وهذا البحث محاولة من الباحث لتلمس عوامل النهوض ، لفتح طريق نحو دراسات أوسع وأعمق .

إن بناء الإنسان هو المنطلق الرئيس في تحقيق أي نهضة منشودة، ويعد شرطا لإحداث التغيير المطلوب ، وكذا الانطلاق من الوحي الى العصر ، وامتلاك أسباب القوة ، والتخلص من عوامل الضعف ، والنهوض بتوازن ، وتكامل وشمول مع الاعتزاز بالذات والثقة بالنفس، والتركيز على القواسم المشتركة ، ومعرفة الآخر على حقيقته ، والتعامل معه وفق المنهج القرآني الرشيد.

وتم تناول البحث من خلال المباحث الآتية: المبحث الأول : مفهوم مصطلحات البحث والمبحث الثاني : عوامل النهوض ثم عرض نتائج البحث وختمته بسرد المصادر والمراجع .

المقدمة :

إن الله سبحانه وتعالى وضع في هذا الكون سننا إلهية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ولا تحابي أحدا ، فجميع البشر أمامها سواء ، فمن أخذ بها وصل إلى نتائجها ، ومن تخلف عنها تركته وراء ظهرها، فهناك سنن للقوة والنهوض، وسنن للضعف والسقوط، وسنن للاستخلاف، وسنن للنصر والتمكين،وسنن للاجتماع البشري،وسنن للأسباب والمسببات ، كما أن هناك سنناً كونية تحكم نظام الكون في ليله ونهاره ، وظواهر الكون المختلفة في مجال الفلك والكيمياء والفيزياء والطب وغيرها من العلوم الطبيعية عموما، وغير ذلك من السنن الكونية .

والمتأمل في آيات القرآن يدرك بوضوح هذه السنن الإلهية التي تحكم الاستخلاف البشري، وعمارة الكون والاجتماع البشري .

وسيكون منطلق الحديث في هذا البحث هو القرآن الكريم، منه استمداد الهداية والرشد، ففيه القول الفصل ، وهو كلام الخالق العالم بما يصلح الإنسان والكون ، وصدق الله القائل : ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [1] ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [2]ويقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [3] وإنها لحقيقة تلقي على البشر تبعة ثقيلة؛ فقد قضت مشيئة الله وجرت بها سنته ، أن تترتب مشيئة الله بالبشر على تصرف هؤلاء البشر، وأن تنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم "[4] و"قد اقتضت سنته ، أنه – سبحانه – لا يغير ما بقوم من نعمة وعافية وخير بضده ، حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة إلى معصية؛ ومن جميل إلى قبيح ، ومن صلاح إلى فساد " [5] . فمنطلق النهوض الحضاري يقوم على توفر إرادة التغيير ابتداءً من المنحنى النفسي ، فإذا توافرت الإرادة والإدارة التواقة للنهوض ضمن سنن الله التي تحكم عملية النهضة وصلت الأمة إلى تحقيق وظيفة الاستخلاف والتمكين في الأرض.

وهذا الموضوع يحتاج لبحث تحليلي عميق لما له من أثر على النهضة الحضارية لمن أراد صعود سلم النهضة ، ويؤكد ضرورة العناية به العلامة محمد رشيد رضا بقوله :" لم يُقَصِّرْ المُصنفون من المتقدمين والمتأخرين في شئ من علم الكتاب والسنة كما قصروا في بيان ما هدى إليه القرآن والحديث من سنن الله تعالى في الأمم. والجمع بين النصوص التي وردت في ذلك، والحث على الاعتبار بها،ولو عُنُوا بذلك بعض عنايتهم بفروع

---

[1] ـ سورة الملك ،الآية : ١٤ .

٢ ـ سورة الإسراء من الآية : ١٧

٣ ـ سورة الرعد من الآية : ١١

٤ ـ في ظلال القرآن سيد قطب : ٤ / ٣٥٦

٥ ـ التفسير الوسيط محمد سيد طنطاوي :١ / ٢٣٦٧

الأحكام، وقواعد الكلام لأفادوا الأمة بما يُحْفَظُ به دينُها ودنياها، وهو ما لا يغني عنه التوسع في دقائق مسائل النجاسة والطهارة ، والسَّلم والإجارة، فإن العلم بسنن الله تعالى في عباده لا يعلوه إلا العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله، بل هو منه، أو من طُرقه ووسائله"١.

إن الانسان العاقل ينبغي أن يضع نفسه في سياق الموقع التسخيري لما أودعه الله في الأنفس والآفاق ومن الغبن والظلم ألا يرى العلاقة التسخيرية بين الإنسان والكون والآفاق والمجتمع.

وهذا البحث محاولة من الباحث لتلمس عوامل النهوض ، لفتح طريق نحو دراسات أوسع وأعمق .

وسيتم تناول البحث من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول : مفهوم مصطلحات البحث

مفهوم السنن :

السنن : جمع سنة وقد تعددت تعريفات علماء اللغة للسنة يمكن إجمالها في الآتي :

اتفقوا على أن معناها : الطريقة والسيرة ٢، والتوالي والتتابع والاطراد٣ .

والسنن هي : القانون العام الذي تجري بموجبه أحداث ووقائع البشر أو هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى البشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة ٤ .

وذكر بعض العلماء تعريفات أخرى منها :

- سنة الله : شريعته وطريقته وما جرى من نظامه في خلقه [٥] .
- مجموعة القوانين التي سنها الله عز وجل لهذا الوجود وأخضع لها مخلوقاته جميعا ، على اختلاف أنواعها وأجناسها [٦] .
- هي القوانين المطردة الثابتة التي تحكم حركة الحياة والأحياء ، وتحكم حركة التاريخ وتتحكم بالدورات الحضارية [١].

---

[١] ـ تفسير المنار ـ تفسير القرآن الحكيم ـ محمد رشيد بن علي رضا : ٧ / ٤١٦ .وينظر: سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي ص : ١٠ .

[٢] ـ ينظر : الصحاح فى اللغة ، الجوهري :١ / ٣٣٤ ، معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٣ / ٦٠ ، لسان العرب ، ابن منظور : ٦ / ٣٩٩ سنن ، تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي : ١٨ / ٣٠٠ مادة سنن ، أساس البلاغة ، الزمخشري : ٢٢١ ، القاموس المحيط ، الفيروز آبادي : ٤ / ٢٣٧ مادة سنن ، مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني: ٤٢٩.

[٣] ـ ينظر : الصحاح فى اللغة ، الجوهري :١ / ٣٣٥ ، معجم مقاييس اللغة : ٣ / ٦٠ ، لسان العرب : ٦ / ٤٠١ ، أساس البلاغة : ٢٢٢ ، القاموس المحيط : ٤ / ٢٣٧ .

[٤] ـ السنن الالهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الاسلامية، د عبد الكريم زيدان : ١٣ ، ١٥ .

[٥] ـ معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، محمد اسماعيل ابراهيم : ٢٨١ .

[٦] ـ أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق ، أحمد محمد كنعان : ٥٢

- النظم المتعلقة بتغيير أحوال الأمم وتبدلها تعلقا بما تفعله هذه الأم من خير أو شر [2] .

مما سبق يمكن تعريف السنن بأنها : قوانين الله تعالى المطردة الثابتة التي تجري بموجبها أحداث ووقائع الحياة البشرية، وتحكم حركة التاريخ، وتتحكم بالدورات الحضارية نهوضا وسقوطا، وترتبط فيها المقدمات بالنتائج بمقتضى عدل الله تعالى.

وقد ورد ذكر لفظ (سنة) و (سنن) (سنتنا) في عشر سور من القرآن الكريم في ستة عشر موضعا[3] منها أربع سور مكية وهي قوله تعالى : ﴿وما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ .كَذلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ .لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾[4]، وقوله : ﴿ وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَإِذاً لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إلاَّ قَلِيلاً . سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً ﴾[5]، وقوله : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾[6] ،وقوله : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا .اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[7] ،وقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾[8]، وست سور مدنية وهي قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[9]، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [10] ،وقوله : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [11] ،وقوله : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي

---

[1] ـ مراجعات في الفكر والدعوة والحركة . عمر عبيد حسنة : ١٩

[2] ـ سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم ، عبد السلام بن نصر الله الشريف : ١٣ .

[3] ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي : ٤٦٦ .

[4] ـ سورة الحجر ، الآيات : ١١ ـ ١٣

[5] ـ سورة الاسراء ، الآيتان : ٧٦ ـ ٧٧ .

[6] ـ سورة الكهف ، الآية : ٥٥ .

[7] ـ سورة فاطر ، الآيتان : ٤٢ ـ ٤٣ .

[8] ـ سورة غافر ، الآيات : ٨٢ ـ ٨٥ .

[9] ـ سورة آل عمران ، الآية : ١٣٧ .

[10] ـ سورة النساء ، الآية : ٢٦ .

[11] ـ سورة الأنفال ، الآية : ٣٨ .

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً . مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً . سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾[1]، وقوله : ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً . سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾[2].

والسنة هي : "العادة في الأشياء المتماثلة ... ولفظ السنة يدل على التماثل فإنه سبحانه إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم فإن ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول بل هو سبحانه لا يفوت بين المتماثلين وإذا وقع تغيير فذلك لعدم التماثل ... وأنه سبحانه يسوي بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين كما دل القرآن على هذا في مواضع[3] كقوله تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [4] وقوله :﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ [5]

يتضح من خلال الآيات السابقة أن السنن الواردة في الآيات تتسم بالآتي :

١. شمولها للسور المكية والمدنية وفي ذلك دلالة على اهتمام القرآن الكريم بالوعي السنني وأهمية دراسته والنظر فيه .
٢. ربط الأسباب بمسبباتها .
٣. الثبات والاطراد وعدم التخلف أو التبدل والتحول.
٤. تتناول السنن الاجتماعية .
٥. الشمول لكل البشر ولا تحابي أحدا .
٦. ربانية السنن.

مفهوم النهضة :

ذكر علماء اللغة معاني النهضة يمكن عرضها لتوضيح المفهوم " نَهَضَ يَنْهَضُ نَهْضاً ونُهوضاً، أي: قام . وأَنْهَضْتُهُ أنا فانْتَهَضَ، واسْتَنْهَضْتُهُ لأمر كذا، إذا أمرته بالنُهوضِ له، وتَناهَضَ القومُ في الحرب، إذا نَهَضَ كلُّ فريقٍ إلى صاحبه "[6] و " نهض النُّهوضُ : البَراحُ من الموضع والقيامُ عنه، نهَضَ يَنْهَضُ نَهْضاً ونُهوضاً وانْتَهَضَ أَي: قامَ ..وأَنْهَضَه: حَرَّكه للنُّهوض واسْتَنْهَضْته لأَمر كذا: إِذا أَمرته بالنُّهوض له .. والنَّهْضةُ: الطَّاقةُ والقوَّةُ ،

[1] ـ سورة الأحزاب ، الآيات : ٦٠ ـ ٦٢ .
[2] ـ سورة الفتح ،الآيتان : ٢٢ ـ ٢٣ .
[3] ـ جامع الرسائل ابن تيمية : ١ / ٥٥ .
[4] ـ سورة القلم الآية : ٣٥ .
[5] ـ سورة السجدة الآية : ١٨ .
[6] ـ الصحاح في اللغة باب نهك : ٢ / ٢٥٥

وناهضته أي قاومته ، وأَنهضه بالشيء: قوَّاه على النُّهوضِ به "[1]و " نهض النون والهاء والضاد أصلٌ يدلُّ على حركةٍ في عُلُو، ونَهَض من مكانه: قام، وما له ناهِضَةٌ، أي قومٌ ينهضون في أمره ويقومون به" [2] ومن معانيها:قام يقظًا نشيطًا[3]

النهضة : "الطاقة والقوة، والوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره، ويقال: كان من فلان نهضة إلى كذا: حركةٌ وهو كثير النهضات، والنهَّاض: الدءوب على أن يسلك سبيل التقدم، والكثير النهوض، ويقال:مكان نهاض:مرتفع "[4] .

وهي :حركة فكرية عامة حية منتشرة تتقدم باستمرار في فضاء القرن وتطرح الجديد دون قطيعة مع الماضي[5].

ويمكن تعريف النهضة بأنها : السعي الجاد لتفعيل الطاقات والقدرات ، والعمل الدءوب في سبيل التقدم بالأمة في كل مجالات الحياة ، وامتلاك أسباب القوة ، ومغادرة مربع الضعف، وتقديم الجديد النافع، مع الاستفادة من الماضي.

مصطلح النهضة لم يرد ذكره في القرآن الكريم بلفظه وإنما ورد ذكر مصطلحات متقاربة معه في المعنى والمدلول ومنها:

❖ الاستخلاف قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [6] " إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً أَيْ: قَوْمًا يَخْلُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ وَجِيلًا بَعْدَ جيل[7] كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ﴾[8] وقال :﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ [9] وَقَالَ:﴿ وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [10] فقد حدد النص القرآني مهمة الإنسان بأنه "سيتولى قيادة هذا

---

١ ـ لسان العرب : ١٤/ ٣٠٧ باب نهض ، وينظر : تاج العروس من جواهر القاموس : ١٠ / ١٧٣ مادة : نهض

٢ ـ معجم مقاييس اللغة : ٥ / ٥٦٣

٣ ـ العامي الفصيح من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة باب النون : ١٥

٤ ـ المعجم الوسيط باب النون : ٢/ ٩٥٩

٥ ـ من الصحوة الى اليقظة ، جاسم السلطان : ١٧

٦ ـ سورة البقرة من الآية : ٣٠ .

٧ ـ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ١ / ١٢٤

٨ ـ سورة الأنعام من الآية : ١٦٥ .

٩ ـ سورة النمل من الآية : ٦٢ .

١٠ ـ سورة الزخرف من الآية : ٦٠ .

الكوكب، ويكون خليفة الله فيه"[1] وتلك الخلافة "فما قام الإنسان خليفة لله على هذه الأرض، إلا ليعمرها، ويفتح مغالقها، ويستخرج الطيب الكريم منها"[2] .

وقد "ظهرت آثار الإنسان في هذه الخلافة على الأرض، ونحن نشاهد عجائب صنعه في المعدن والنبات، وفي البر والبحر والهواء، فهو يتفنن ويبتدع ويكتشف ويخترع ويجد ويعمل، حتى غير شكل الأرض فجعل الحزن سهلا، والماحل خصبا، والخراب عمرانا، والبراري بحارا أو خلجانا، ... أليس من حكمة الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، أن جعل الإنسان بهذه المواهب خليفته في الأرض، يقيم سننه، ويظهر عجائب صنعه، وأسرار خليقته، وبدائع حكمه، ومنافع أحكامه"[3] .

وقد أعطى الله الإنسان القدرة "وإذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود، زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحوير والتبديل وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله - بإذن الله - في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه"[4] قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ ﴾[5] لتحقيق وعد الله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[6] .

وهذا "الاستخلاف في الأرض إنما هو لعباد الله الصالحين ؛ لأن الاستخلاف قائم على تعمير الأرض وإصلاحها ، ونشر الخير فيها ، وإحسان استخراج كنوزها وبركاتها ، ولن يتحقق إلا بالإيمان والعمل الصالح ، والسير في الأرض على أساس شرع الله ومنهاجه "[7]

❖ التسخير قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّموات وَما فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ﴾[8] ، وقال : ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّموات وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[9] .

---

[1] - التفسير القرآني للقرآن ،عبد الكريم الخطيب : ١ / ٤٩ .
[2] - التفسير القرآني للقرآن : ٤ / ١١ .
[3] - تفسير المنار : ١ / ٢١٧ .
[4] - في ظلال القرآن : ١ / ٥٦ .
[5] - سورة الأنعام من الآية : ١٦٥ .
[6] - سورة النور من الآية : ٥٥ .
[7] - وعود القرآن الكريم بالتمكين للإسلام د صلاح الخالدي : ١٩٦.
[8] - سورة لقمان الآية: ٢٢ .
[9] - سورة الجاثية الآيتان : ١٢ و ١٣ .

فمن مظاهر التسخير الإلهي للكون أن "أتاح لهم الانتفاع به فى كل وجه من وجوه الانتفاع، حسب استعدادهم وقدرتهم على التصرف فيه، ففى السماء النجوم ، والكواكب.. وهى مسخرة بأمر الله سبحانه وتعالى، فى دورانها فى أفلاكها، على ما يرى الناس منها، فى جميع الأوقات..وهى قائمة على ما أقامها الله عليه، من إرسال أضوائها، وأنوارها على الأرض، دون أن يكون للناس شأن، أو حول، فى تحويل مداراتها، أو تغيير نظامها..ثم إن للناس مع هذا أن ينتفعوا بكل ما أمكنهم الانتفاع به منها.. فإذا كشف لهم العلم عن إمكان اختزان الطاقة الحرارية للشمس، واستخدام هذه الطاقة فى إدارة المحركات، وتسيير البواخر، والقاطرات، والسيارات، وغيرها - فذلك مما سخر الله للناس، ويسر لهم الانتفاع به.. وقل مثل هذا فى كل ما يمكن أن يحصل عليه الإنسان من عالم السماء.. وفى الأرض.. ما لا يحصى من قوى الطبيعة المختزنة فيها، والتي جعل الله مفاتحها فى يد الإنسان، بما يكشف له العلم من أسرار.. فهذا البناء الشامخ للمدنية، وما تزخر به الحياة فى هذا العصر من ألوان لا حصر لها - هو مما أودعه الله سبحانه وتعالى فى هذه الأرض، وهو ما استطاعت يد الإنسان أن تطوله"[1] .

فقد خلق الله الأرض وأودعها من الطاقات والإمكانات على ظهرها وفي باطنها ما يجعل الإنسان سيدا عليها كاشفا عما أودعه الله فيها،ومنتفعا به ، ومستدلا بها على قدرة الخالق ووحدانيته، منتفعا بها في دنياه ،ومستعينا بها على طاعته ،فإذا لم يحسن هذا ويطلق الطاقات في الأنفس والأرض والكون من حوله، فإنه يعد بذلك عاصيا لله، معطلا لسننه قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾[2] يقول الإمام الشوكاني :" قال ابن كيسان: خلق لكم أي من أجلكم، وفيه دليل على أن الأصل في الأشياء المخلوقة الإباحة حتى يقوم دليل يدل على النقل عن هذا الأصل"[3]مكنه الله تعالى من أسباب الحياة والنهوض والسيادة على هذه الأرض في ظل عبودية لله خالصة، وشكر نعم الله ومننه، ملتزما بمنهج الله القويم.

- ❖ الإعمار قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[4] أي : وجعلكم عمارا فيها[5] فكل حركة في الحياة تؤدي إلى عمارة الأرض فهي من العبادة[6] ، وقد مكن الله لقوم صالح وأعطاهم من

---

[1] ـ التفسير القرآني للقرآن : ١٣ / ٢٣١ .

[2] ـ سورة البقرة من الآية : ٢٩ .

[3] ـ فتح القدير محمد بن علي الشوكاني : ١ / ٧١ .

[4] ـ سورة هود من الآية : ٦١ . واستعمل الاستعمار في عصرنا بمعنى استيلاء الدول القوية على بلاد المستضعفين واستثمارها واستعباد أهلها لمصالحهم " تفسير المنار : ١٢ / ١٠١ .

[5] ـ تفسير المنار : ١٢ / ١٠١ .

[6] ـ تفسير الشعراوي : ٢ / ١٠٨٩ .

أدوات العمارة للأرض ومقومات الحياة كما قال تعالى على لسان نبي الله صالح عليه السلام معددا نعم الله عليهم مما يستوجب عبادته وحده :﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِها قُصُوراً، وَتَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً.﴾ .[1] وخلافة الإنسان على الأرض تقتضي أن يعمرها ويوظف جميع الطاقات والمواهب المتعددة والجهود المتساندة للقيام بهذه المهمة.

- التمكين قال تعالى : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً ﴾ [2] " لقد مكن الله له في الأرض، فأعطاه سلطانا وطيد الدعائم، ويسر له أسباب الحكم والفتح، وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع.. وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة"[3] : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [4] .
- التغيير قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[5] إرادة الله مطلقة شاملة وجميع الإرادات تستمد عملها من إرادة الله سبحانه، "وفى تعليق تغيير أحوال الناس بتغيّر ما بأنفسهم، إشارة إلى أن النفس الإنسانية هى جهاز التفكير، والتقدير، ومركز الإرادة والتوجيه، وأنها هى السلطان الآمر للإنسان، والموجّه لكل أعماله وأقواله، فإذا غيّرت النفس اتجاه مسيرها، تغيّر تبعا لذلك سير الإنسان فى الحياة"[6] يقول محمد سيد طنطاوي : "إن الله – تعالى – قد اقتضت سنته، سنته، أنه – سبحانه – لا يغير ما بقوم من نعمة وعافية وخير بضده، حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة إلى معصية ومن جميل إلى قبيح، ومن صلاح إلى فساد"[7] .
- الإصلاح قال تعالى : ﴿ وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى مَا أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[8] ، "الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه"[9] وقال : ﴿ فَلَوْلا كانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ

---

[1] ـ سورة الأعراف الآية : ٧٤ .

[2] ـ سورة الكهف الآيتان :٨٣ و ٨٤ .

[3] ـ في ظلال القرآن : ٤ / ٢٢٩٠ .

[4] ـ سورة الحج الآية : ٤١ .

[5] ـ سورة الرعد من الآية : ١١

[6] ـ التفسير القرآني للقرآن : ٧ / ٨٢ .

[7] ـ التفسير الوسيط : ٧ / ٤٥٠ ، وينظر : فتح القدير: ٣ / ٨٤ ، في ظلال القرآن : ٤ / ٤٠٤٩ ـ ٤٠٥٠ ، تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي: ١٣ / ٧٨، صفوة التفاسير الصابوني : ٢ / ٧٦ ، التفسير الحديث محمد عزت دروزة :٥ / ٥٢٥ ـ ٥٢٦ ، أضواء القرآن في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي : ٢ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

[8] ـ سورة هود من الآية : ٨٨ .

[9] ـ في ظلال القرآن : ٤ / ١٩٢١ .

يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكانُوا مُجْرِمِينَ . وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُها مُصْلِحُونَ ﴾[1]

وهذه المعاني وثيقة الصلة بمفهوم النهضة ومتطلباتها ،ومن خلالها سيتم تحديد نقاط البحث.

المبحث الثاني : عوامل النهوض :

١. بناء الإنسان الصالح

إن بناء الإنسان هو المنطلق الرئيس في تحقيق أي نهضة منشودة، ويعد شرطا لإحداث التغيير المطلوب " الإنسان هو هدف الحضارة ووسيلتها، وهو محل الثقة وحاملها، لذلك لا يتخيل وجود حضارة لا تركز على الإنسان: اهتماماً بواقعه، وتحسيناً لأحواله الصحية والتعليمية والمعيشية، وحلاً لمشكلاته واحتراماً لحقوقه الأساسية حتى ينشط للحركة ويتطلع للريادة،إن المعيار الذي يمكن أن تقاس به الحضارات هو موقع الإنسان فيها، وتصورها عنه، وطبيعة القيم التي يلتزم بها ومدى احترامها لإنسانيته ومقوماته"[2]

أساس بناء الإنسان: الإيمان الصادق المؤثر ، والعمل الصالح الذي يستوعب الحياة بكل جوانبها لتحقيق مقتضى العبودية لله تعالى ،وقد حدد القرآن الكريم بوضوح هذا الأمر فقال الله تعالى:﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ .وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [3] أشارت الآيتان إلى شروط من يستحق النهوض والتمكين وهي: (الإيمان بكل معانيه وبكافة أركانه، وممارسة العمل الصالح ، بكل أنواعه ، والحرص على كل أنواع الخير وصنوف البر ، وتحقيق العبودية الشاملة ، ومحاربة الشرك بكل أشكاله وأنواعه وخفاياه ، وأما لوازم استمرار التمكين فهي : إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم)[4]فإذا تحقق الإنسان بهذه الشروط تحققت فيه صفة الصلاح التي بها يستحق وراثة الأرض بعد استكمال حقيقة الإيمان التي بها يتحقق وعد الله .

(إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد اللّه حقيقة ضخمة تستغرق النشاط الإنساني كله وتوجه النشاط الإنساني كله، فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط وبناء وإنشاء موجه كله إلى اللّه لا يبتغي به صاحبه إلا وجه اللّه ،وهي طاعة للّه واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة ، لا يبقى معها

---

[1] ـ سورة هود الآتيان : ١١٦ ـ ١١٧ .

٢ - سنن الله في الحضارات عصام أحمد البشير

٣ ـ سورة النور الآيتان : ٥٥ ـ ٥٦

[4] ـ فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم ، علي الصلابي: ١٤٠

هوى في النفس ، ولا شهوة في القلب ، ولا ميل في الفطرة إلا وهو تبع لما جاء به رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم – من عند اللّه،فهو الإيمان الذي يستغرق الإنسان كله ، بخواطر نفسه ، وخلجات قلبه، وأشواق روحه ، وميول فطرته ، وحركات جسمه ، ولفتات جوارحه ، وسلوكه مع ربه في أهله ومع الناس جميعا، ويتوجه بهذا كله إلى اللّه ..يتمثل هذا في قول اللّه سبحانه في الآية نفسها تعليلا للاستخلاف والتمكين والأمن : «يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً» . والشرك مداخل وألوان ، والتوجه إلى غير اللّه بعمل أو شعور هو لون من ألوان الشرك باللّه)[1].

فالإنسان الصالح هو عنصر الارتكاز في أي نهضة تطلق طاقاته وقدراته ف (الإسلام يضع النظام الذي يضمن الفرص العادلة لكل فرد ، ثم يدع النشاط الإنساني المتنوع اللازم للخلافة في الأرض يجري مجراه النظيف)[2] ولتحقيق وظيفة الاستخلاف كان الإنسان الصالح الموحد أول أهداف التربية في الإسلام ، ومن أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لكي يسير في الحياة على بصيرة من أمره يرتكز على عقيدة راسخة تقوم على الحجة والبرهان وترفض التقليد الأعمى قال تعالى : ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا ﴾[3].

فالمسلم شخص إيجابي جاد يسعى للبناء وليقدم للبشرية شيئا ويقابلها السلبية التي تعني الموت المعنوي ؛لأن الايجابية حياة وهي دعوة القرآن في قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[4] والايجابية فطرة حتى في الطيور[5] ،وقصة الهدهد كانت مثالا واضحا للمبادرة الإيجابية حول وجود شعب عابد لغير الله، مما أثار لديه تحمل قطع المسافات الكبيرة في سبيل تخليص شعب من العبودية لغير الله وكان له ذلك فدخل شعب اليمن في الإسلام قال تعالى :﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ . فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[6]وكانت النتيجة ما سجله القرآن: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[7]

---

[1] ـ في ظلال القرآن : ٤ / ٢٥٢٨

[2] ـ المصدر السابق : ٥ / ٢٩٧١

[3] ـ سورة الإسراء الآية : ٣٦

[4] ـ سورة الأنفال الآية : ٢٤

[5] ـ الإسلام والتحدي الحضاري ، د حمدي والي : ١٠٢

[6] ـ سورة النمل الآيات : ٢٠ ـ ٢٦

[7] ـ سورة النمل الآية : ٤٤

من هذه القصة يتعلم الإنسان الصالح أن يكون إيجابيا منتجا ، ومن مظاهر ذلك : انطلاقه آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مقتديا في ذلك بأنبياء الله الذين أثنى عليهم القرآن فقال الله تعالى :﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1] .

والمتأمل في القرآن يجد نماذج كثيرة منها على سبيل المثال : الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، قال تعالى : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ . يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ . وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ . مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ . وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ . يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[2] حركه الإيمان لإعلان هذا الموقف على الرغم من المخاطر التي يمكن أن تعترضه ، ولكن إيجابيته المنتجة جعلته ينصح قومه ويدفع عن نبي من أنبياء الله .

وهذا رجل إيجابي آخر قال الله عنه :﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢٠)[3] ويظهر أنه مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه ، وأنموذج آخر:﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ . وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[4] "ووصف الرجل بالسعي يفيد أنه جاء مسرعا، وأنه بلغه همُّ أهل المدينة برجم الرسل أو تعذيبهم، فأراد أن ينصحهم خشية عليهم وعلى الرسل،وهذا ثناء على هذا الرجل يفيد أنه ممن يقتدى به في الإسراع إلى تغيير المنكر"[5].

وفي تنكير الرجل مع أنه كان معروفا معلوما عند الله فائدتان :

الأولى: أن يكون تعظيما لشأنه أي رجل كامل في الرجولية.

الثانية: أن يكون مفيدا لظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال إنهم تواطؤا، قوله: يسعى تبصرة للمؤمنين وهداية لهم، ليكونوا في النصح باذلين جهدهم[6] ودلالة "التعبير بقوله : يسعى : يدل على صفاء نفسه ، وسلامه قلبه ، وعلو همته ، ومضاء عزيمته ، حيث أسرع بالحضور إلى

---

[1] ـ سورة الأنبياء الآية : ٩٠

[2] ـ سورة غافر الآيات : ٢٨ ـ ٣٣

[3] ـ سورة القصص الآية : ٢٠ .

[4] ـ سورة يس الآيات : ٢٠ ـ ٢٢

[5] ـ التحرير والتنوير ابن عاشور : ٢٢ / ٣٦٦ .

[6] ـ ينظر : مفاتيح الغيب الرازي : ٢٦ / ٢٦٣ .

الرسل وإلى قومه ، ليعلن أمام الجميع كلمة الحق ، ولم يرتض أن يقبع فى بيته - كما يفعل الكثيرون - بل هرول نحو قومه ، ليقوم بواجبه فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر "[1]

وقد ضرب القرآن الكريم أمثلة متعددة للإنسان الصالح، فهذا العبد الصالح الذي شد موسى عليه السلام إليه الرحال ليتعلم منه أول صفة من صفاته :﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا. قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا . قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا . قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا . قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾[2] كان عبدا موحدا لله، متفوقا علميا ، يبني ولا يهدم ، ويصلح ولا يفسد، ويحفظ ولا يضيع .

فالأنبياء عليهم السلام كانوا قدوة الناس الصالحين ،وكان من دعائهم أن يكونوا من الصالحين فيقول سبحانه عن نبي الله لوط عليه السلام :﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[3] وقال عن نوح وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذا الكفل عليهم السلام:﴿ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[4] وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾[5] ، وقال عن يونس عليه السلام : ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[6] وقال عن المؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾[7] وكان من دعاء الأنبياء: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [8] ، وكان أيضا من طلب طلب من آمن من أهل الكتاب: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾[9] وهو ما يتمنى الإنسان عند الموت التأخير حتى يكون من أهل الصلاح قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[10] .

[1] - التفسير الوسيط : ١ / ٣٥٣١ .
[2] - سورة الكهف الآيات من ٦٥ : ٧٠
[3] - سورة الأنبياء الآية : ٧٥
[4] - سورة الأنبياء الآية : ٨٦
[5] - سورة النمل الآية : ١٩
[6] - سورة القلم الآية : ٥٠
[7] - سورة العنكبوت الآية : ٩
[8] - سورة الصافات الآية : ١٠٠
[9] - سورة المائدة الآية : ٨٤
[10] - سورة المنافقون الآية : ١٠ .

فالتربية في الإسلام تسعى لتربية الإنسان الصالح وليس المواطن الصالح فحسب كما في التربية الوضعية ، الصالح في عقيدته وسلوكه ، الذي يصلح ولا يفسد، ويبني ولا يهدم، وينفع ولا يضر،النافع لنفسه ومجتمعه ، الإنسان الذي يعيش إنسانيته بكل عمقها ونبلها، المصلح ذو البناء التربوي المتكامل ،المستقل في تفكيره ، المحقق لشروط الاستخلاف، الذي يعمل لبناء الأسرة المسلمة ، ثم لإقامة المجتمع المسلم الصالح، ويسعى ليكون سيد العالم فيستغل موارد الكون لتحقيق العيش الكريم اللائق بكرامة الإنسان "إننا نريد إنسان النهضة الذي لديه خمس صفات :الرباني، العامل، المفكر ،الجريء، المنتج " ١ .

وهذا هو الذي تتسابق في بنائه الأمم الحية "إن قوة الأمم ونهضاتها إنما تقاس بخصوبتها في إنتاج الرجال الذين تتوافر فيهم شرائط الرجولة الصحيحة "٢ فبناء الطاقات الكافية القادرة على القيام بفريضة النهوض بالأمة مهمة عظيمة لبناء إنسان إيمان وعقيدة ونسك ، وعبادة وخلق وفضيلة ، وشريعة ومنهج ، ودعوة وجهاد ، وعقل وعلم ،وعمارة وانتاج ٣.

إنسان إيمان وعمل ،رباني نسبه الإسلام، يدعو ولا يفتر ، قوي لا يضعف ، يعمل ويبني بروح الجماعة ،يسلك في الحياة بتوازن واعتدال، يتطلع إلى المستقبل ولا يُغْفِل امتداده الحضاري، يبني ولا يهدم ، يُوَحِّد ولا يُفرِّق، يبدع ويبتكر، يتقدم ولا يتقادم ، يتحمل مسؤولياته بجدارة ، بصلاحه تصلح الحياة ، يَسْعَد ويُسْعِد .

وهذا يتطلب إيجاد بيئة صالحة لتربية وإعداد القادة الربانيين ، وبناء جيل قادر على تحمل المسؤوليات ، والتقدم بالأمة نو صروح المجد والعز .

٢. الانطلاق من الوحي إلى العصر.

إن المنهج الذي استطاع بناء أمة فريدة سادت الأرض بقيم العدل والحرية لا تعرف التمييز بين الناس بسبب لون أو جنس أو لغة ، يستطيع اليوم وبكل جدارة أن يعيد للأمة مجدها وعزها ، ويزيل التشوهات التي لحقت بالفكر الإسلامي ، فقد قدم المسلمون في كل عصر ما يناسب العصر الذي يعيشون فيه ، وتركوا لنا تراثا يعد أحد مصادر الاعتزاز ، ولكن لا يصح أن يصبح مانعا من النظر في النص الذي من خلاله نهل الأوائل فننهل منه كما نهلوا لنعيد للمسيرة الإسلامية صفاءها ونقاءها ، يقول محمد الغزالي : " إن ما ترون في شؤوننا ليس ما أنزل الله من كتاب ، ولا ما قدم رسوله من أسوة، إن ما ترون هو عوج أمة نسيت ما لديها ومضت مع هواها "[٤] .

[١] ـ قوانين النهضة : ١٢٥

[٢] ـ المصدر نفسه : ١٠٣

[٣] ـ ينظر : مدخل لمعرفة الاسلام ، يوسف القرضاوي : ١٨٩ ـ ٢٠٧ .

[٤] ـ سر تأخر العرب والمسلمين : ٤ .

فالوحي بشقيه القرآن والسنة جاء ليبني أمة وينشئ حضارة ونهضة ، فأوجد من رعاة الغنم قادة أمم ، ومن الشتات أمة ذات بأس وقوة ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الضيق إلى السعة ، فأول ما خاطب القرآن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى:﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ .الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [1] .

ويمثل الوحي الروح لهذه الأمة تحيا به وتنهض (إن للأمم روحا تحيا به ، كما للفرد روح ، فإذا فقدت الأمة روحها أصبحت أفرادا بغير رباط أو بناء بغير أساس)[2] فالقرآن روح: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[3] وبالوحي حياة ، فالإيمان حياة ، والكفر والضلال موت قال تعالى : ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾[4] .

يقول سيد قطب : " كذلك كان المسلمون قبل هذا الدين. قبل أن ينفخ الإيمان في أرواحهم فيحييها، ويطلق فيها هذه الطاقة الضخمة من الحيوية والحركة والتطلع والاستشراف .. كانت قلوبهم مواتا. وكانت أرواحهم ظلاما .. ثم إذا قلوبهم ينضح عليها الإيمان فتهتز ، وإذا أرواحهم يشرق فيها النور فتضيء ، ويفيض منها النور فتمشي به في الناس تهدي الضال ، وتلتقط الشارد ، وتطمئن الخائف ، وتحرر المستعبد ، وتكشف معالم الطريق للبشر وتعلن في الأرض ميلاد الإنسان الجديد. الإنسان المتحرر المستنير الذي خرج بعبوديته للّه وحده من عبودية العبيد! أفمن نفخ اللّه في روحه الحياة ، وأفاض على قلبه النور كمن حاله أنه في الظلمات ، لا مخرج له منها ؟ "[5].

نعلم أن منهج القرآن في غرس الإيمان كان سهلا ميسورا لا غموض فيه ولا تعقيد كما حصل فيما بعد من جدل وفلسفات كدرت صفو الإيمان ، وهكذا في مجال الحكم والجهاد ، ولا يعني هذا إهمال ما أنتجه الفكر الإسلامي من ثروة علمية والذي يمثل ذاتيتنا الحضارية ، وإبداع رائع لسلفنا ،وعبقرية أمتنا، وبيان الخصائص التي تميز حضارتنا عن غيرها من الحضارات والذي يمثل طاقة مبدعة وخلاقة، وروح متكنة في عقل الأمة ووجدانها فننتقي منه ما يلائم عصرنا فالفتوى تتغير زمانا ومكانا وشخصا وبيئة ،ولا يعني أيضا الجمود وإنما الانطلاق الواعي الحر القادر على التمييز على وفق رؤية واضحة تجعل من الوحي أساسا للنهوض الحضاري والتجديد .

[1] ـ سورة العلق الآيات : ١ :٥

[2] ـ جيل النصر المنشود د يوسف القرضاوي : ٥

[3] ـ سورة الشورى الآية : ٥٢

[4] ـ سورة الأنعام الآية : ١٢٢

٥ ـ في ظلال القرآن : ٣ / ١٢٠١

إن الحضارة ليست سلعة تشترى ولا تقنية تنتقل، وإنما هي انبعاث روح التحضر في الأمة الناهضة فتحشد قواها المذخورة وتفجر طاقاتها الكامنة ، وتوقظ قواها الخفية ، وتواكب روح التطور الحاصل اليوم متخلية عن الواقع المتخلف تاركة سلبيات الماضي ، متصلة مباشرة بالوحي كما نزل حاكما على الذاتيات البشرية، بلا هوى، وبلا تأثير الخرافات أو فقه الحوادث الماضية التي لا تتصل بالحاضر ، متطلعة نحو مستقبل تكون لها الريادة فيه ممتثلة قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1] اختار الله سبحانه هذه الأمة لتصحيح مسار البشرية ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾[2] .

إن التعبير بكلمة «أُخْرِجَتْ» المبني لغير الفاعل ، يدل على أن هناك من أخرج هذه الأمة وهو الله تعالى وهذا يعني أنها :" أمة ذات دور خاص، لها مقام خاص ... : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ .. وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة لتعرف حقيقتها وقيمتها ، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة ، ولتكون لها القيادة ، بما أنها هي خير أمة، واللّه يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض، ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية، إنما ينبغي دائماً أن تعطي هذه الأمم مما لديها، وأن يكون لديها دائماً ما تعطيه، ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح ، والتصور الصحيح ، والنظام الصحيح ، والخلق الصحيح ، والمعرفة الصحيحة ، والعلم الصحيح ... واجبها أن تكون في الطليعة دائما ، وفي مركز القيادة دائما، ولهذا المركز تبعاته ، فهو لا يؤخذ ادعاء ، ولا يسلم لها به إلا أن تكون هي أهلا له ... وهي بتصورها الاعتقادي ، وبنظامها الاجتماعي أهل له. فيبقى عليها أن تكون بتقدمها العلمي ، وبعمارتها للأرض - قياما بحق الخلافة - أهلا له كذلك ..

ومن هذا يتبين أن المنهج الذي تقوم عليه هذه الأمة يطالبها بالشيء الكثير ويدفعها إلى السبق في كل مجال .. لو أنها تتبعه وتلتزم به ، وتدرك مقتضياته وتكاليفه، وفي أول مقتضيات هذا المكان ، أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد .. وأن تكون لها القوة التي تمكنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي خير أمة أخرجت للناس. لا عن مجاملة أو محاباة ، ولا عن مصادفة أو جزاف - تعالى اللّه عن ذلك كله علوا كبيرا - وليس توزيع الاختصاصات والكرامات كما كان أهل الكتاب يقولون : ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ .. كلا! إنما هو العمل الإيجابي لحفظ الحياة البشرية من المنكر ، وإقامتها على المعروف ، مع الإيمان الذي يحدد المعروف والمنكر : ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ .. فهو النهوض بتكاليف الأمة الخيرة ، بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب ، وبكل ما في طريقها من أشواك .. إنه التعرض

١ ـ سورة البقرة من الآية : ١٤٣

٢ ـ سورة آل عمران من الآية : ١١٠

للشر والتحريض على الخير ، وصيانة المجتمع من عوامل الفساد .. وكل هذا متعب شاق ، ولكنه كذلك ضروري لإقامة المجتمع الصالح وصيانته ، ولتحقيق الصورة التي يحب الله أن تكون عليها الحياة "[1].

كل هذا يطلب العودة إلى ينابيع الإسلام الصافية ، وفهمه فهما صحيحا متكاملا، خاليا من الحشو والشوائب، بعيدا عن فهوم عصور التخلف وسلبيتها، ونبذ الجمود والتقليد والعصبية المذهبية والسلالية والمناطقية .

٣. تصحيح الفهوم الخطأ :

إن تصحيح الفهوم الخاطئة منهج قرآني قال تعالى : ﴿ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَقَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللَّهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾[2] وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها أي ابتدعتها أمة النصارى ما كتبناها عليهم أي ما شرعناها لهم وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم."[3] فقد شرعوا لأنفسهم مالم يأذن به الله "فالراهب يمتنع من التزوج خيفة أن تشغله زوجه عن عبادته، ويمتنع من مخالطة الأصحاب خشية أن يلهوه عن العبادة، ويترك لذائذ المآكل والملابس خشية أن يقع في اكتساب المال الحرام، ولأنهم أرادوا التشبه بعيسى عليه السلام في الزهد في الدنيا وترك التزوج، فلذلك قال الله تعالى: ابتدعوها، أي أحدثوها فإن الابتداع الإتيان بالبدعة والبدع وهو ما لم يكن معروفا، أي أحدثوها بعد رسولهم فإن البدعة ما كان محدثا بعد صاحب الشريعة."[4] ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[5] .

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فر إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخته وأعطاها، فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم عدي إلى المدينة وكان رئيسا في قومه طيئ وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم فقال: «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم» "[6] .

---

[1] - في ظلال القرآن : ١ / ٨٧٦ - ٨٧٧

[2] - سورة الحديد ، الآية : ٢٧ .

[3] - تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٨ / ٦١ .

[4] - التحرير والتنوير : ٢٧ / ٤٢٢

[5] - سورة التوبة ، الآية : ٣١ .

[6] - تفسير القرآن العظيم : ٤ / ١١٩

وفي ضبط الألفاظ يقول تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] " كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين: ﴿رَاعِنَا﴾ أي: راع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحا، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسدا، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة، سدا لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائز، إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب، واستعمال الألفاظ، التي لا تحتمل إلا الحسن، وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن فقال: ﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور"[2] " ومن ثم جاء النهي للمؤمنين عن اللفظ الذي يتخذه اليهود ذريعة، وأمروا أن يستبدلوا به مرادفه في المعنى، الذي لا يملك السفهاء تحريفه وإمالته. كي يفوتوا على اليهود غرضهم الصغير السفيه! "[3] .

وفي تصحيح السلوكيات يقول سبحانه : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾[4] وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [5] .

روى الامام البخاري بسنده عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: " كاد الخَيِّرَان أن يَهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر - قال نافع لا أحفظ اسمه - فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم﴾ " الآية، قال ابن الزبير: «فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر»[6]، يقول الإمام ابن كثير: " هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول صلى الله عليه وسلم من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام "[1] .

---

[1] ـ سورة البقرة ، الآية : ١٠٤ .

[2] ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي : ٥٤

[3] ـ في ظلال القرآن : ١ / ١٠١ .

[4] ـ سورة النور ، من الآية : ٦٣ .

[5] ـ سورة الحجرات الآيتان : ١ ، ٢.

[6] ـ صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب {لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} : ٨٨٤ حديث رقم : ٤٨٤٥ .وروى أيضا عن موسى بن أنس عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ مُوسَى: فَرَجَعَ إِلَيْهِ المَرَّةَ الآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: " اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ " ٨٨٤ رقم ٤٨٤٦ وروى أيضا عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ

إن كثيرا من الفهوم الخطأ انتشرت عبر التاريخ الإسلامي فشوهت الصورة الصحيحة الناصعة البانية الإيجابية ، وكانت من الأسباب التي أعاقت الفعل الحضاري الإسلامي نتيجة للفهم السقيم الذي دخل على بعض الفهوم الإسلامية ، ومن تلك الفهوم القاصرة :

١ ـ مفهوم العبادة فقد تم حصر العبادة في الشعائر خالية المضمون[٢] بما يخالف قوله تعالى ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٣) مما أدى إلى تخلي الإنسان المسلم عن دوره الإيجابي في عمارة الكون والنهوض الحضاري اللائق بكرامة الانسان على الله ، والنظر إلى الدنيا مقابل الآخرة فإما الدنيا أو الآخرة ، مما جعل الحياة السلبية تورث تخلفا ونكوصا حضاريا جعل الأمة تتحول من صدارة الأمم إلى هامش الحياة ، هزيمة روحية عند البعض فصار فريسة للأفكار الغريبة والغزو الفكري المدمر ، وتخلفا ماديا، فأسباب القوة امتلكها الآخرون وتخلت عنها أمتنا.

إن النظرة الإسلامية للحضارة هي العبادة بمفهومها الشامل فالعبادة التي يريد الله للعباد أن يعيشوا بها هي العبادة التي تجعل من الفرد عابدا قلبه وجوارحه وحياته ومماته قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)﴾ [٤] فهي عبادة حية تطلق طاقات الفرد في مجالات الحياة إبداعا وبناءً ونهضة ، فهي تعني: التذلل والخضوع بفعل ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه على وفق ما جاء به الشرع، وترك ما نهى عنه من أجل تحقيق غاية الوجود الإنساني، فهو وجود هادف يقول ابن تيمية رحمه الله في بيان مفهوم العبادة : " هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة ؛ وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة . وكذلك حب الله ورسوله ... وإخلاص الدين له ...والتوكل عليه ...؛ وذلك أن

الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُمْ: أَنَّهُ " قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِّرِ القَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدٍ، وَقَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمِّرِ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتَ إِلَى، أَوْ إِلَّا خِلاَفِي، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ، فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا "، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحجرات: ١] حَتَّى انْقَضَتْ الآيَةُ : ٨٨٤ برقم : ٤٨٤٧ .

[١] ـ تفسير القرآن العظيم : ٧ / ٣٤٠ .

[٢] ـ ينظر : مجتمعنا المعاصر أسباب ضعفه ووسائل علاجه د عبد الله سليمان المشوخي : ١٤١ وما بعدها .

[٣] ـ سورة الذاريات ، الآية : ٥٦

[٤] ـ سورة الأنعام ، الآيتان : ١٦٢ / ١٦٣.

العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى : {﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] وبها أرسل جميع الرسل "[2] .

فالنهوض الحضاري الصحيح هو الذي يحقق غاية الوجود الإنساني، فهي تشمل كل نشاط هادف يقوم به الإنسان بحثا، وتنقيبا ،وإعمارا ، وإطلاقا وتوظيفا للطاقات، وإعمالا لسنن التسخير التي أودعها الله في الأنفس والآفاق، في ظل المنهج الرباني الذي يجعل الإنسان يعمل في الحياة بما يلبي الحاجة الطينية في التكوين البشري والنفخة العلوية، فهو يمشي على الأرض بمنهج السماء، ويقوم بمهمة الاستخلاف قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[3] وقال : ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[4] والعمارة تتطلب علما وتقانة وتوظيفا للطاقات والإمكانات، وحفزا للهمم والعزائم، ومعرفة بسنن التسخير.

فالعبادة تشمل الحياة جميعا ،فهي إضافة إلى الشعائر تشمل نشاطات الإنسان من آداب الأكل والشرب إلى بناء الدولة، وسياسة الحكم ،وسياسة المال وشؤون المعاملات ، وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب ، وهي انقياد لمنهج الله وشرعه، وكل من يتبع غير منهج الله فقد أشرك في عبادته قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً)[5] .

والأعمال الاجتماعية النافعة عبادة وعمل الإنسان في معاشه إذا كان العمل مشروعا وتصحبه النية الصالحة ويؤدى باتقان ويلتزم فيه بحدود الله ، ولا يشغل عن الواجبات الشرعية[6] قال تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[7] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[8] وهذا يجعل حركة المسلم في الحياة وأخذه بالأسباب ضمن المفهوم

---

[1] ـ سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

[2] ـ مجموع الفتاوى تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ١٠ / ١٤٩ ـ ١٥٠ .

[3] ـ سورة البقرة ، من الآية : ٣٠ .

[4] ـ سورة هود من الآية : ٦١ .

[5] ـ سورة الأحزاب ،الآية : ٣٦ ،

[6] ـ ينظر : في الثقافة الإسلامية د أحمد نوفل وآخرون : ٨٤ ـ ٨٦

[7] ـ سورة القصص ، الآية : ٧٧

[8] ـ سورة الجمعة ، الآيتان : ٩ ـ ١٠.

المفهوم الصحيح لتوكله على الله فهو يعمل الأسباب المادية وفق ماشرع الله سبحانه مستمدا العون والتوفيق من الله ،أي : يمشي على الأرض متوكلا على الله وقلبه معلق بالسماء ،مبرهنا على صدق إيمانه قال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[1]

٢ ـ مفهوم العمل العمل المطلوب هو: بذل الجهد الواعي لتحقيق مقاصد الشرع من الإنسان فوق هذه الأرض [2] ،ويعد العمل ثمرة الإيمان الحق ، وذلك لتحقيق ثلاثة مقاصد[3] :

الأول : العبادة ، قال تعالى : (﴿ وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون ﴾ ([4]).

الثاني : الخلافة ،قال تعالى:(وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ ([5]) .

الثالث : العمارة ، قال تعالى : (﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ ([6]) .

لقد شاب مفهوم العمل عند بعض المسلمين ما شاب مفهوم العبادة ،بل هو انعكاس له فأسيئ مفهوم التوكل والقضاء والقدر فحلت السلبية والفوضى والاتكالية ،وتم لدى البعض الفصل بين الإيمان والعمل ،وحتى مفهوم الموت تحول إلى سلبية ، بمعنى أنه لا داعي للعمل ما دام أن الموت آت ، إضافة إلى تعطيل نصف المجتمع ـ المرأة ـ عن القيام بوظيفتها الملائمة لها ،والإسلام ينظر إلى المرأة باعتبارها شقيقة الرجل ، وشريكته وعونه في أداء الرسالة والقيام بوظيفتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى :﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[7] ،فهم يتعاضدون فيما بينهم للقيام بهذه الرسالة والله سبحانه لا يضيع جزاء أعمالهم في الدنيا والآخرة فقال :﴿ مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [8].

وضاق مفهوم العمل الصالح بقصره على الشعائر ، علما أن الإيمان قول وعمل ونية ،فالقول والعمل ركنان في مسمى الإيمان ، قال الإمام الشافعي رحمه الله: " كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومَن

[1] ـ سورة المائدة من الآية : ٢٣ .

[2] ـ ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده ، د يوسف القرضاوي : ١٢٦ ـ ١٢٧

[3] ـ ينظر : الذريعة الى مكارم الشريعة ، الراغب الأصفهاني : ٩٠

[4] ـ سورة الذاريات ، الآية :٥٦ .

[5] ـ سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

[6] ـ سورة هود ، من الآية : ٦١ .

[7] ـ سورة التوبة الآية : ٧١ .

[8] ـ سورة النحل الآية : ٩٧ .

أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر" [١] وقال ابن القيم رحمه الله: " من جعل الإيمان مجرد التصديق وإن لم يقارنه فعل واجب ولا ترك محرم ،وهذا من أمحل المحال أن يقوم بقلب العبد إيمان جازم لا يتقاضاه فعل طاعة ولا ترك معصية " [٢] .القرآن الكريم يذكر الإيمان مقرونا بالعمل ،ويكفي ما ذكره الله في سورة العصر: ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر الا اللذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾[٤] ..

إن " الإيمان لا يكون حتى ينبثق منه العمل الصالح، فأما الذين يقولون: إنهم مسلمون ثم يفسدون في الأرض، ويحاربون الصلاح في حقيقته الأولى وهي إقرار منهج الله في الأرض، وشريعته في الحياة، وأخلاقه في المجتمع، فهؤلاء ليس لهم من الإيمان شيء، وليس لهم من ثواب الله شيء" [٥] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ، وَإِنَّا لَهُ كاتِبُونَ﴾[٦] ..فالجزاء يترتب على العمل الصالح والإيمان .

و"هذا هو قانون العمل والجزاء.. لا جحود ولا كفران للعمل الصالح متى قام على قاعدة الإيمان.. وهو مكتوب عند الله لا يضيع منه شيء ولا يغيب،ولا بد من الإيمان لتكون للعمل الصالح قيمته، بل ليثبت للعمل الصالح وجوده، ولا بد من العمل الصالح لتكون للإيمان ثمرته، بل لتثبت للإيمان حقيقته، إن الإيمان هو قاعدة الحياة، لأنه الصلة الحقيقية بين الإنسان وهذا الوجود، والرابطة التي تشد الوجود بما فيه ومن فيه إلى خالقه الواحد ... ولا بد من القاعدة ليقوم البناء. والعمل الصالح هو هذا البناء. فهو منهار من أساسه ما لم يقم على قاعدته، والعمل الصالح هو ثمرة الإيمان التي تثبت وجوده وحيويته في الضمير. والإسلام بالذات عقيدة متحركة ... ومن ثم يقرن القرآن دائما بين الإيمان والعمل الصالح كلما ذكر العمل والجزاء. فلا جزاء على إيمان عاطل خامد لا يعمل ولا يثمر. ولا على عمل منقطع لا يقوم على الإيمان."[٧] ومما يؤهل الأمة المسلمة للنهوض الحضاري الشامل العمل الجاد الباني الذي يبرهن على صدق الإيمان .

ومن المعلوم أنه"حيثما اجتمع إيمان القلب ونشاط العمل في أمة فهي الوارثة للأرض في أية فترة من فترات التاريخ. ولكن حين يفترق هذان العنصران فالميزان يتأرجح ... وما على أصحاب الإيمان إلا أن يحققوا مدلول إيمانهم، وهو العمل الصالح، والنهوض بتبعات الخلافة ليتحقق وعد الله، وتجري سنته: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها

---

[١] ـ الإيمان: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني : ٢٤١ .

[٢] ـ الصلاة وحكم تاركها محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية : ٦١

[٣] ـ سورة العصر

[٤] ـ سورة البقرة ، الآية : ٨٢ .

[٥] ـ في ظلال القرآن ١ / ٨٦

[٦] ـ سورة الأنبياء ، الآية : ٩٤ .

[٧] ـ في ظلال القرآن ٤ / ٢٣٩٧

عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1] .. فالمؤمنون العاملون هم العباد الصالحون.."[2] والعمل بمفهومه الواسع الذي يشمل الدنيا والآخرة .

٣. مفهوم الجهاد

الجهاد :مصدر جاهد يجاهد جهادا ومجاهدة والجهاد والمجاهدة : استفراغ الوسع في مدافعة العدو[3] .

وهو :بَذْلِ الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ بِالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عز وجل بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَاللِّسَانِ أو غَيْرِ ذلك أو الْمُبَالَغَةِ في ذلك .

وقد تكرر ذكر الجهاد باشتقاقاته في القرآن الكريم (٣٤) مرة .

فإن مفهوم الجهاد عند بعض المسلمين تعرض للتشويه فهناك فئة تريد أن تلغي الجهاد من حياة الأمة بدعاوى مختلفة منها : الدعوة إلى اسلام والتسامح مع المخالفين، ومنها تجفيف المنابع التي يستقى منها الإسلام الحق الذي يغرس العزة والكرامة في نفس المسلم ، والشجاعة في الحق ، والمقارعة للباطل ، والاستعداد للبذل والعطاء والتضحية .

وهناك فئة أخرى تريد أن تجعل من الجهاد حربا على العالم كله ، من سالم منهم ومن حارب[4] .

ومفهوم الجهاد أوسع من ذلك : فقد يكون باللسان وبالقلم، كما يكون بالسيف والسنان، ويكون أيضا فكريا ،أو تربويا وتعليميا،أو اجتماعيا، أو اقتصاديا ،أو سياسيا، وآيات القرآن الكريم توضح ذلك بجلاء ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَجاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبِيراً ﴾[5] وقوله : ﴿ انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[6] وقوله :﴿ وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[7] .

٣. مفهوم الشورى

الشورى تعني : تقليب الآراء ووجهات النظر المختلفة المطروحة في قضية من القضايا من أصحاب العقول حتى يتوصل إلى الصواب أو أصوبها ليعمل به للوصول إلى أحسن النتائج[8] وتعد الشورى خصيصة من خصائص

---

[1] ـ سورة الأنبياء ، من الآية : ١٠٥ .

[2] ـ في ظلال القرآن ٤ / ٢٤٠٠

[3] ـ مفردات القرآن الراغب : ٢٧١

[4] ـ ينظر : فقه الجهاد د يوسف القرضاوي : ١ / ١٢٩ .

[5] ـ سورة الفرقان من الآية : ٥٢ .

[6] ـ سورة التوبة الآية : ٤١ .

[7] ـ سورة العنكبوت الآية : ٦٩ .

[8] ـ ينظر : النظام السياسي في الاسلام د محمد أبو فارس : ٧٩ ، السنن الالهية في الحياة الانسانية د شريف الشيخ صالح الخطيب : ٢ / ٢٠٤ .

المؤمنين قال تعالى :﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾[١] جعل الإسلام الشورى أساس الحكم حتى لاينفرد الانسان بالرأي فيضيف الى عقله عقول الآخرين والى علمه علوم الآخرين على المستوى الفردي والأسري وحياة المجتمع والدولة [٢] قال تعالى :﴿ وشاورهم في الأمر﴾ [٣] وقال: ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾[٤]

وقد تعرض مفهوم الشورى للتشوه حيث كان أول أمر صودر في حياة الأمة الشورى وحل محله التوريث والملك العضوض والملك الجبري وغيبت الشورى ، وتعرضت أيضا إلى تقزيم في الأداء بحصرها في فئة محدودة أو إبقائها صورة وتفريغها من مضمونها من خلال تضليل الأمة أو مصادرة رأيها ،واختل مفهوم الأمانة في الحياة العملية حيث تم حصرها في أداء الودائع، والقرآن الكريم ذكر الأمر بوضوح لا يقبل اللبس قال تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها﴾[٥] يقول الامام ابن كثير : "حَكَمُهَا عَامٌّ " [٦]
والنهوض يتطلب حشد طاقات وقدرات الأمة وإشراكها في كل مجالات النهوض .

٨. العلاقة مع الآخر

يمتاز الاسلام بأنه قدم منهجا للحياة والأحياء تنتظم فيه البشرية بمختلف أجناسها وألوانها ولغاتها ، فرسالة محمد عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين ، ورسالته للناس كافة ، وقد فهم بعض المسلمين أن العلاقة هي علاقة حرب ، وإن المتأمل في المنهج القرآني والنبوي يجد بوضوح منهجا واضحاً، فالناس أمام الإسلام :

- مؤمن به
- مسالم له آمن
- محارب له .

وقد سجل القرآن الكريم الأحكام المتعلقة بكل صنف من أصناف الناس ومن ذلك : فهو لا يكره أحدا على الدخول في الاسلام بل على القناعة قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[٧] " لَا تُكْرِهُوا أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ بَيِّنٌ وَاضِحٌ، جَلِيٌّ " [٨] "وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان واحترام

---

[١] ـ سورة الشورى الآية : ٣٨
[٢] ـ ينظر : ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده : ١٣٥ ـ ١٣٨ .
[٣] ـ سورة آل عمران من الآية : ١٥٩ .
[٤] ـ سورة البقرة من الآية : ٢٣٢ .
[٥] ـ سورة النساء من الآية : ٥٨ .
[٦] ـ تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٣٠٠ .
[٧] ـ سورة البقرة ، من الآية : ٢٥٦ .
[٨] ـ تفسير القرآن العظيم : ١ / ٥٢١ .

إرادته وفكره ومشاعره وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه"[1] والعلاقة تقوم على أساس الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ "﴾ [2] قال تعالى:﴿ وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [3] وقال : ﴿اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى . فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى ﴾[4] وقال: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [5] .

وبين القرآن الكريم الذي يمثل دستور العلاقة مع غير المسلمين[6] أن تبادل المنافع والمصالح منهج أصيل في التعامل مع الآخرقال تعالى:﴿ " الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[7] ،وقال:﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ "﴾ [8] ، وقد حددت أول وثيقة نبوية مكتوبة العلاقات والواجبات بوضوح في حال السلم والحرب[9] .

ولقد شُرع القتال في الاسلام لتحرير الناس ولمنع الفتنة عنهم قال تعالى :﴿ وَما لَكُمْ لَا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ﴾" [10] ،وقال :﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ

---

[1] ـ في ظلال القرآن : ١ / ٢٩١ .

[2] ـ سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

[3] ـ سورة العنكبوت ، من الآية : ٤٦ .

[4] ـ سورة طه ، الآيتان : ٤٣ ، ٤٤ .

[5] ـ سورة آل عمران ، الآية : ٦٤ .

[6] ـ ينظر : المسلم والآخر محمد سليم العوا : ٤٥ .

[7] ـ سورة المائدة ، الآية : ٥ .

[8] ـ سورة الممتحنة ، الآيتان : ٨ ، ٩ .

[9] ـ ينظر : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة د محمد حميد الله : ١٧ فما بعدها ، وثيقة المدينة المضمون والدلالة د أحمد قائد الشعيبي : ١١ ـ ١٦ .

[10] ـ سورة النساء ، الآية : ٧٥ .

مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [1].

٤. المعدة الهاضمة وأخذ النافع

الإسلام يربي معتنقيه على يقينيات ورؤية واضحة للإنسان والكون والحياة ، يخوضون غمار الحياة بكل تفاصيلها ، فقد انطلقوا في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها، وتعاملوا مع حضارات وثقافات متنوعة ، وكانوا يتعاملون مع كل ذلك بمعدة هاضمة استطاعوا صهرها جمعا في بوتقة الإسلام فاستفادوا من النافع والمفيد ،والتراث البشري تجربة بشرية ،منه النافع ومنه غير ذلك، والحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها [2]والشخصية المسلمة شخصية متميزة منفتحة على الآخر قال تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ٣ ،وقد استطاعت الحضارة الإسلامية أن تنفتح على سائر الحضارات والثقافات برشد ووعي، فأخذت بالنافع المفيد من منطلق الواثق بنفسه ، المتمكن مما عنده من إمكانات وطاقات ،فيجد الباحث أن القرآن الكريم عرض في مواضع عدة التجارب البشرية من خلال القصص القرآني حتى يتم أخذ النافع وتجنب الضار ، التقى المسلمون مع الحضارة الرومانية والفارسية والهندية وغير ذلك فتعاملوا معها بأسلوب المعدة الهاضمة فصهرت تلك الحضارات في الحضارة الإسلامية وتحولت شعوب وأمم إلى الحضارة الإسلامية ، بل وتخلى البعض عن لغته طواعية دون أدنى إكراه حبا في لغة القرآن الكريم ، والدارس لأصول الفقه يعرف أن من الأدلة الشرعية : شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ [4] ، فالوعي بالذات فرع عن الوعي بالآخر والوعي بالآخر فرع عن الوعي بالذات [5](إنه يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك سواء أكان مشاركا لنا في الملة أو غير مشارك ، طالما كان صوابا)[6] إن طبيعة

---

[1] ـ سورة البقرة ، الآية : ١٩٠ ـ ١٩٣.

[2] ـ الجامع الصحيح سنن الترمذي ، كتاب : العلم ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ : ٥ / ٥١ رقم : ٢٦٨٧ وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه و إبراهيم بن الفضل المدني المخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه قال الشيخ الألباني : ضعيف جدا :

٣ ـ سورة آل عمران الآية : ٦٤

[4] ـ اختلف فيه الأصوليون فما ورد في شرعنا ما يؤيده أخذنا به وما ورد الإجماع عليه عند علمائنا أخذنا وما صح عنهم ولم يرد في شرعنا ما يؤيده ولا ما يعارضه فيه الخلاف. ينظر : الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي تاليف: علي بن عبد الكافي السبكي : ٣/ ٤٠٧ ، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول محمد بن علي بن محمد الشوكاني : ١٧٧ . ١٨١

[5] ـ ينظر : هي.. هكذا كيف نفهم الأشياء من حولنا عبد الكريم بكار : ١٨٩.

[6] ـ من أقوال ابن رشد نقلا عن :الاستقلال الحضاري د محمد عمارة : ٢١٤

الإسلام التي تساير العصور والأمم ، لا تأبى أبدا الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعد الإسلام الكلية وأصوله العامة يقول حسن البنا: "وإذا كان الإسلام يدعو إلى أن نأخذ من كل شيء أحسنه ، وينادي بأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ، ولا يمنع من أن تقتبس الأمة الإسلامية الخير من أي مكان ، فليس هناك ما يمنع من أن ننقل كل ما هو نافع مفيد عن غيرنا ونطبقه وفق قواعد ديننا ونظام حياتنا وحاجات شعبنا "[1] كل ذلك بتميز فريد (وقد اتصلت هذه الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم ونقلت كثيرا من الحضارات، ولكنها تغلبت بقوة إيمانها ومتانة نظامها عليها جميعا ، فعربتها أو كادت، واستطاعت أن تصبغها وأن تحملها على لغتها ودينها بما فيها من روعة وحيوية وجمال، ولم يمنعها أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعا من غير أن يؤثر ذلك في وحدتها الاجتماعية أو السياسية)[2] (إن لكل أمة عظيمة هويتها وخصوصيتها الثقافية، ولن يكون لأمة نهضة وهويتها غائمة أو مضطربة، وفلكها الثقافي ممزق) [3] .

فالعلوم المختلفة منها ما يأخذه المسلم من مصادر الإسلام والبيئة الإسلامية ، ومنها العلوم الطبيعية والصناعية وعلوم التقانة فهذه تعد تراثا إنسانيا يمكن الاستفادة منه من المسلمين ومن غيرهم ، وكل علم ومعرفة يوضع في ميزان الإسلام، فما كان نافعا أخذنا به، وما كان ضارا وجب رده[4] ، وهذا يتطلب الجمع بين التقانة والتقوى؛ لأن الجمع بين التقانة والتقوى مما يقدم للبشرية اليوم صورة فريدة خالية من الفساد والانحراف ، تسعى لسعادة البشرية ، وإبعاد أسباب الشقاء ، تكون فيها التقانة خادمة للتقوى ، حارسة لها ، ومن أدلة التقوى العملية إعمار الكون واكتشاف كل جديد ونافع للبشر لتحقيق مقتضيات الاستخلاف في الأرض.

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن التقوى تتصل بجميع جوانب الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها ، والمتأمل في آيات القرآن يجد ذلك بارزا في كل شأن من شؤون الحياة

٥. الاعتزاز بالذات والثقة بالنفس ومعرفة الآخر على حقيقته

الاعتزاز بالذات والثقة بالنفس واليقين بالقدرة على المشاركة الحضارية شرط أساس للنهوض الحضاري، والذات المسلمة تمتلك " منهجا متكاملا ربانيا نتمكن من خلاله أن نعطي صورة فريدة في التعامل مع الذات ومع الآخر تمنح الحياة حيوية ومصداقية ورؤية تعتمد على قواعد وأسس علمية بعيدا عن الإملاء أو الاستعلاء سوى استعلاء الإيمان من غير تكبر ولا مذلة، نحفظ لذاتنا وهجها ونقاءها، وقوتها وصلابتها في الحق، واعتزازها بدينها، وكرامتها بين الأمم، واستمرار عطائها

[1] ـ مجموعة الرسائل حسن البنا: ١٣٩

[2] ـ مجموعة الرسائل : ١٤٨

[3] ـ مقدمات في سبيل مشروعنا الحضاري جمال سلطان : ٣٢

[4] ـ ينظر : حوار الحضارات د موسى إبراهيم الإبراهيم : ١٣٨

الحضاري للبشرية، واستعصائها على الذوبان في ظل التحولات المتسارعة على الساحة العالمية، وشخصيتها المميزة المستقلة، وتحترم الآخر وتعمل على التعاون معه بما يحقق المصالح ويزيل المفاسد ،كل ذلك في إطار من الصدق والموضوعية، ويعد الخلاف بين البشر جزءا من طبيعة هذه الحياة الدنيا وطبيعة أهلها، وهو سنة ربانية وهذا الخلاف يثري الحياة "[1] قاعدة ذلك كله :

- إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف .
- ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر .
- وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل .
- ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره[2] .

إن ما يعتقده المسلم وما يحمله من منهج وقيم تجعله يعتز بذاته ، ويعترف بوجود الآخر القريب والبعيد ، والصديق والعدو، وأن لديه شيئا ما يمكن أن نستفيد منه، وهذا يتطلب معرفة ما لدى الآخر من خير وشر وانجاز وقصور ، وما أسرار تقدمه لكي نكتشف أسباب تخلفنا في المجال الصناعي والتنظيمي والاداري ،وما لديه من مشكلات يعاني منها وكيف يعالجها هو لأن العولمة تعمم المعرفة والتقانة والمشكلات مما يجعلنا نتعامل بوعي وفق منهج القرآن، فالبشر ليسوا كتلة واحدة[3] قال تعالى :﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[4] وقال :﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ وهذا يدعو النظر إلى

[1] ـ الذات والآخر في القصص القرآني : :للباحث قدم إلى المؤتمر الدولي السادس الذات والآخر في الثقافة العربية والإسلامية ج1 :529ـ 530

٢ ـ مجموعة الرسائل : ٥٤

٣ ـ ينظر : هي .. هكذا بكار : ١٩٢ ـ ١٩٤ .

٤ ـ سورة آل عمران الآيات : ٧١ ـ ٧٥ .

٥ ـ سورة المائدة الآيات : ٨٢ ـ ٨٤ .

السلبيات والإيجابيات بإنصاف وهو الحق الذي لاينبغي أن نحيد عنه حتى نستفيد من النافع من التجارب البشرية وإقامة العلاقات على أسس واضحة قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [1] وقال :﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [2] "ولا تنقصوا الناس شيئا من حقوقهم، في بيع أو شراء أو حق مادى أو معنوي، وقد أمرهم شعيب بالوفاء في الكيل والوزن، ونهاهم عن نقص الناس شيئا من حقوقهم بعد الأمر بعبادة الله مباشرة وذلك لأن هذه الخصلة كانت فاشية فيهم "[3] كي تستقيم الحياة على منهج الله ، قال الشوكاني: وَظَاهِرُ قَوْلِهِ: أَشْيَاءَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَبْخَسُونَ النَّاسَ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ، وَقِيلَ: كَانُوا مَكَّاسِينَ[4] .

ويدخل في ذلك بخس الإنسان ـ فردا أو جماعة أو أمة ـ حقه من العلوم ، ومن حسن المعاملة والتوقير اللائق به وبيان فضله على ما هو عليه للسائل عنه[5].

٦. الانطلاق من القواسم المشتركة ووضوح الرؤية في التعامل مع الخلافات الفكرية والفقهية

القواسم المشتركة نقطة ارتكاز في التعامل البشري ومن تلك المشتركات : "حرية الإنسان في الكلمة والرأي العاقل والتعبير الباني ، واستبعاد الأهواء والشهوات التي تحط من قدر الإنسان ،وتجعله عبدا لها ، وحرية التدين ، وحرية الانتقال والعمل ، وحرية اختيار من تراه الأمة أهلا لتولي شؤونها ، وحرية الانتظام في المنظمات والهيئات والنقابات وهكذا .. ، ومنها أيضا العدل والمساواة وهذا مما تتوق له النفس الإنسانية الحرة فالناس أصل خلقتهم واحد "[6] قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾[7] وقال : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ [8] ، وان امتلاك الرؤية في كيفية التعامل مع الخلافات الفكرية والفقهية شرط للنهضة المنشودة لإزالة كل أسباب النزاع وذهاب الريح لتكون أداة للإثراء والتكامل .

---

[1] ـ سورة المائدة الآية : ٨ .

[2] ـ سورة الأعراف من الآية : ٨٥ .

[3] ـ التفسير الواضح محمد محمود حجاز :١ / ٧٣٧ .

[4] ـ فتح القدير : ٢ / ٢٥٥ ، وروح المعاني الآلوسي : ٦ / ٢٥٩ والمكس : الميم والكاف والسين كلمةٌ تدلُّ على جَبْيِ مالٍ وانتقاصٍ من الشيء. ومَكَس، إذا جَبَى. والمَكْسُ: الجباية معجم مقاييس اللغة : ٥ / ٣٤٥ .مكس

[5] ـ ينظر : التفسير الوسيط : ٥ / ٣٢٠ ، التفسير المنير في العقيد ة والشريعة والمنهج د وهبة الزحيلي : ٨ / ٢٩٢ ..

[6] ـ الذات والآخر في القصص القرآني للباحث ضمن بحوث المؤتمر الدولي السادس الذات والآخر في الثقافة العربية والاسلامية ج١ : ٥٥٧

[7] . سورة النساء الآية: ١

[8] . سورة السجدة الآية : ٧

١٠. الشمول والتوازن والتكامل في حركة النهوض

ان النهوض الحضاري السليم يتطلب حركة نهضوية تتسم بالشمول والتوازن والتكامل ، وهذه إحدى خصائص الإسلام لأنه دين الله الذي أحاط بكل شيئ علما ، فهو يشمل الحياة والأحياء، فهو دين ودولة ، يتناول مظاهر الحياة جميعها، وعملية النهوض يجب أن تكون كذلك ، مما يتطلب أن تكون حركة النهوض توازن بين متطلبات الدنيا والآخرة ، وعالم الغيب والشهادة، والروح والبدن، والعلم والعمل ،والدعوة والسلوك ، والقيم والفردية والجماعية .

إن نظام الدين لا يكتمل إلا بنظام الدنيا، وإن نظام الدنيا شرط لنظام الدين[1]. قال تعالى :﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾[2] وقال: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[3] "فالبشرية اليوم بحاجة الى حضارة جديدة تعطيها الدين ولا تفقدها العلم ، تعطيها الإيمان ولا تسلبها العقل، تعطيها الروح ولا تحرمها المادة ، تعطيها الآخرة ولا تُحرِّم عليها الدنيا، تعطيها الحق ولا تمنعها القوة ، تعطيها الأخلاق ولا تسلبها الحرية ... في حاجة إلى حضارة تتصل فيها الأرض بالسماء، وتتعانق فيها المعاني الربانية والمصالح الإنسانية ... وليست هذه الحضارة الا حضارة الاسلام "[4] .

١١ .امتلاك أسباب القوة

إن امتلاك أسباب القوة بمفهومها الشامل من أهم شروط النهوض الحضاري ومن ذلك :

❖ إعمال سنن الاجتماع البشري

لقد سجل القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرا من سنن الاجتماع البشري التي يجب على الأمة الأخذ بها وإعمالها في واقع الحياة فأصل البشر واحد قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[5] وأن تعدد أجناسهم وشعوبهم ولغاتهم للتعرف لا التعالي، وأن ميزان التفاضل بين الناس هو الأتقى لله قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[6] فلا يسخر شعب من شعب ،ولا جماعة من أخرى ، ولا فرد من آخر، قال تعالى

---

[1] ـ ينظر :الاقتصاد في الاعتقاد الامام الغزالي :١٢٧ ـ ١٢٨ .

[2] ـ سورة الملك الآية :٣

[3] ـ سورة القصص الآية : ٧٧

[4] ـ الاسلام حضارة الغد د القرضاوي : ١٤٩ .

[5] ـ سورة النساء من الآية : ١ .

[6] ـ سورة الحجرات الآية : ١٣ .

تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [1] .

إن المسلمين أمة واحدة قال تعالى : ﴿وَإِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون . فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[2] وعلى الأمة أن تجتمع كلمتها وتوحد صفها إنطلاقا من قوله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [3] والتغلب على أسباب الفرقة كي يبقى الصف قويا ومتماسكا قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [4]

- ❖ إنشاء المراكز البحثية العلمية

النهوض الحضاري الجاد يطلب عملا علميا يتناول جميع مجالات الحياة(إن الزعامة في ميدان العلم والعمل اليوم لا ريب مكفولة لمن يتقدم بالدنيا إلى الأمام لا لمن يجذبها إلى الوراء ، فإذا كان الإسلام يريد أن يعود إلى مكانته من سيادة العالم فلا سبيل إليه إلا أن ينبغ في المسلمين رجال من أصحاب الفكر والتحقيق ... ثم يمارسون مشاهدة الآثار والفحص عن الحقائق على هدى الأسلوب القرآني للفكر والنظر) [5] ففي مجال البحث العلمي يقول تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [6] ويقول :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ

---

[1] ـ سورة الحجرات الآية : ١١ .

[2] ـ سورة المؤمنون الآيتان : ٥٢ ، ٥٣ .

[3] ـ سورة آل عمران الآية : ١٠٣ .

[4] ـ سورة الأنفال الآية : ٤٦ .

[5] ـ نحن والحضارة الغربية أبو الأعلى المودودي : ٢٦

[6] ـ سورة العنكبوت الآيتان : ١٩ ، ٢٠ .

فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [1] ويقول :﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [2] وغير ذلك من الآيات ،

وفي مجال البحث السنني يقول تعالى :﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [3] فالمجتمعات الراشدة تركز اهتمامها بعالم المعرفة وتسهم بفاعلية في انتاج المعرفة وامتلاك ناصيتها ؛كي تصل إلى الرشد العلمي، ومغادرة مربع التخلف العلمي، وهذا يفرض على الأمة إنشاء **مراكز الأبحاث العلمية التخصصية** ، وتوفير الكفاءات العلمية المبدعة اللازمة للقيام بالدراسات العلمية الاسترتيجية، وفق أدق معيير البحث العلمي ومن ذلك :

- مركز الدراسات الاقتصادية.
- مركز الدراسات السياسية .
- مركز الدراسات النفسية والاجتماعية .
- مركز الدراسات العسكرية والأمنية .
- مركز الدراسات الاعلامية .
- مركز الدراسات التربوية .
- مركزالدراسات التاريخية والحضارية .
- مركز الدراسات المائية
- مركز الدراسات البيئية .
- مركز الدراسات النسوية والشبابية .
- مركز الدراسات الطبية .
- مركز الدراسات الفضائية .
- مركز الدراسات التقنية والتكنولوجية .
- مركز الدراسات التطبيقية .
- مركز الدراسات الزراعية .
- مركز الدراسات الاحصائية والتخطيطية .

[1] ـ سورة المؤمنون الآيات : ١٢ ـ ١٤

[2] ـ سورة الأنبياء الآية : ٣٠ .

[3] ـ سورة آل عمران الآية : ١٣٧ .

- مركز الدراسات القيمية .
- مركز رعاية وتأهيل المبدعين.

❖ استثمار خيرات الأرض وحسن توظيفها من خلال إعمال سنن التسخير

خلق الله سبحانه الإنسان وجعله حلفة في الأرض وسخر له مافيها وما عليها وأوكل اليه مهمة عمارة الأرض واستثمار خيراتها قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [1] فالواجب على المسلمين أن يكونوا سباقين إلى استغلال هذه المنافع والخيرات وإحسان توظيفها ، قال سبحانه :﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ . وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ . وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [2] ولن يتم ذلك إلامن خلال اكتشاف سنن التسخير وإعمالها في الواقع ، فالأرض تزخر بكثير من الخيرات في مجال المعادن والطاقة ،والزراعة ،والثروة الحيوانية ،والثروة البحرية ، والثروة المتعلقة بجمال الكون للسير والنظر ، والثروة البشرية ، وغير ذلك، وإن مما يساعد على ذلك إنشاء مراكز أبحاث علمية تعمل على أدق قواعد البحث العلمي وتوفير المال اللازم والكفاءات الكافية والظروف الملائمة .

❖ حسن توظيف الإمكانات وتنسيق الجهود وتكاملها من خلال توظيف سنن التدبير بحيث نتقن فن العلاقة مع خالقنا ، ومع الكون من حولنا ، ومع الإنسان المتفق والمغاير ، وقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلا حيا في سورة الكهف من خلال قصة ذي القرنين وكيف وظف طاقات الأمة، واستخدم العلم الصناعي في خدمة البشرية، وأنجز عملا عظيما خلد الله ذكره إلى قيام الساعة فقال تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا .قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا .قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا .آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا . فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ [3] فهو قائد " جمع بين الإيمان والعمل الصالح ، والقوة الفائقة ، وتسخير القوى والطاقات المهيأة للإنسان، واستخدم الوسائل الموجودة في عصره ، فاستخدم كل ذلك ... في صالح الإنسان ، وفي خدمة البشرية" [4] .

---

[1] ـ سورة البقرة من الآية ٢٦ .
[2] ـ سزرة ابراهيم الآيات ٣٢ ـ ٣٤ .
[3] ـ سورة الكهف الآيات : ٩٣ ـ ٩٧ .
[4] ـ دراسات قرآنية أبو الحسن الندوي : ٢٠٨ .

وتقتضي سنن التدبير حسن التخطيط وإدارة الموارد لكل مجال من مجالات الحياة ،وقد سجل القرآن صورة ناصعة من حياة يوسف عليه السلام في رسم الخطط وحسن التدبير لمواجهة الأزمة الاقتصادية فقال تعالى:﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [1] .

❖ ممارسة الحرية لإطلاق الطاقات والقدرات الكامنة في الأمة

الحرية في المفهوم الإسلامي هي : القدرة على عمل كل شيئ يحقق مصلحة في العاجل أو الآجل أو فيهما معا دون إضرار بالآخرين [2] وإن ماتملكه الأمة من طاقات وقدرات تحتاج إلى تحويل قيمة الحرية إلى سلوك عملي ؛كي تنهض الأمة بجميع أبنائها.وفضاء الحرية المكفولة في هذا الدين كفيلة بإطلاق طاقات الإبداع والابتكار والتنافس بحيث لاتبقى طاقة معطلة فتتوجه نحو الكشف والتطوير ، وتسخيرهما في تجارب الحياة والدفع بها في مسار النهوض الحضاري .

فهذا نبي الله سليمان عليه السلام في جو حر يصغي لرأي الهدهد ويعلن فتح باب التنافس في الأسرع اتيانا بعرش ملكة سبأ باليمن وأحسن توظيف القدرات قال تعالى : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ . فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ .أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ .اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ .اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [3] وقال :﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [4] وهذا شأن القيادة الراشدة .

---

[1] ـ سورة يوسف الآيات : ٤٧ ـ ٤٩ .

[2] ـ ينظر : الحرية في القرآن الكريم د علي الصلابي : ١٥ .

[3] ـ سورة النمل الآيات : ٢٠ ـ ٢٨ .

[4] ـ سورة النمل الآيات : ٣٨ ـ ٤٠ .

وقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم النموذج العملي الذي اطلق للأمة الحرية لتبدي رأيها في أخطر القضايا ، فما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى معركة بدر من طلب المشورة بقوله: "أشيروا علي أيها الناس" [1] وهذا الخبير العسكري الحباب بن المنذر يتقدم بأدب جم إلى القيادة قائلا : " يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال يا رسول الله :فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم تغور ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أشرت بالرأي . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه" [2] .

فثناء الرسول صلى الله عليه وسلم على رأي الحباب دعم وتشجيع للاستفادة من خبرة الخبراء، وتجارب المجربين، فلم يضق رسول الله برأي .

فكم من طاقات في الأمة معطلة بسبب الاستبداد ومصادرة الحريات ، فالحرية ليست شعاراً يرفع أو دعوى تدعى، بل هي ممارسة حياتية وفق ضوابط الشرع تفجر الطاقات والإبداع لكل فرد في الأمة ؛بحيث توظف جميع الطاقات لتحقيق نهوض شامل .

❖ القدرة الدفاعية للأمة لحماية إنجازاتها واستمرار النهضة.قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [3] " ولا قوةَ إلَّا بالعلْمِ وَالمَالِ " [4] فلا بد من بناء قوة دفاعية قادرة على ردع كل من يسعى لتهديد إنجازات الأمة، وتوفير أمن واستقرار، تنطلق في ظله عملية البناء الشامل، والنهوض المتوازن في حدود استطاعة الأمة ، تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ معناه: " أعدوا لهم ما استطعتم من القوة الحربية الشاملة لجميع عتاد القتال وما يحتاج إليه الجند، ومن الفرسان المرابطين في ثغوركم وأطراف بلادكم حالة كونكم ترهبون بهذا الإعداد – أو المستطاع من القوة والرباط – عدو الله الكافرين به، وبما أنزله على رسوله، وعدوكم الذين يتربصون بكم الدوائر ويناجزونكم الحرب عند الإمكان. والإرهاب: الإيقاع في الرهبة ... وهذا التقييد لإعداد المستطاع من القوة ومن رباط الخيل بقصد إرهاب الأعداء المجاهرين والأعداء المستخفين وغير

---

[1] ـ السيرة النبوية ابن هشام : ٣ / ١٦٢ .
[2] ـ السيرة النبوية ابن هشام : ٣ / ١٦٧ ـ ١٦٨ .
[3] ـ سورة الأنفال ، الآية : ٦٠
[4] ـ تفسير المنار: ٤ / ٩٩

المعروفين - ومن سيظهر من الأعداء للمؤمنين ...دليل على تفضيل جعله سببا لمنع الحرب على جعله سببا لإيقاذ نارها، فهو يقول: استعدوا لها ليرهبكم الأعداء عسى أن يمتنعوا عن الإقدام على قتالكم، وهذا عين ما يسمى في عرف دول هذه الأيام بالسلام المسلح، بناء على أن الضعف يغري الأقوياء بالتعدي على الضعفاء "[1] والقوة المطلوبة شاملة لكل صور القوة عقدية ،وعلمية، وأخلاقية، واقتصادية، وقوة الساعد والسلاح، وقوة الوحدة والتلاحم.

١٢. إزالة أسباب الضعف

❖ الفرقة والاختلاف

الفرقة والاختلاف سبب رئيس من أسباب الضعف التي منية به الأمة، فتحولت قوتها إلى ضعف ، ووحدتها إلى فرقة ،واجتماع كلمتها إلى شتات، وهذا خلاف لقوله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾٢ وقوله : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾٣ " ولا قوة مع الخلاف والنزاع والتفرق والانقسام"[4] .

ولا تتحقق النهضة المنشودة في ظل فرقة وتنازع ؛ "فإن الاختلاف والتنازع مدعاة الفشل، وهو الخيبة والنكول عن إمضاء الأمر، وأكثر أسبابه الضعف والجبن... فإن كل واحد من المتنازعين في الأمر يميل إلى غير ما يميل إليه الآخر، وهذا أظهر هنا. وأما قوله تعالى: وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ فمعناه : تذهب قوتكم، وترتخي أعصاب شدتكم فيظهر عدوكم عليكم... وتستعار للقوة والغلبة " ٥ .

وقد ذكر الرازي أن التنازع يوجب أمرين : أحدهما : أنه يوجب حصول الفشل والضعف.

والثاني : ذهاب الريح ٦

---

[1] ـ المصدر نفسه: ١٠ / ٥٥ و ٥٧ ، وينظر : مفاتيح الغيب : ١٥ / ٤٩٩ ، والتفسير القرآني للقرآن :٥ / ٦٤٩ و ١٣ / ٣٨٤ ، في ظلال القرآن : ٣/ ١٥٤٣التفسير الوسيط : ٦ / ١٤١ وما بعدها.

[2] ـ سورة آل عمران الآية : ١٠٣

[3] ـ سورة الأنفال الآية : ٤٦

[4] ـ تفسير المنار : ٢ / ٢٢٠

[5] ـ تفسير المنار : ١٠ / ٢٣

[6] ـ ينظر: مفاتيح الغيب : ١٥ / ٤٨٩ ،التحرير والتنوير : ٩ / ١٢١

وحذر من ذلك فقال: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [1] وقال:﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[2]
.

فالتنازع (مهدر للطاقات، ومقوّض لبنية الجماعات، وسبيل لإذهاب الحماسة، وتبديد القوة، والعصف بوجود الدولة، وإزالة روح الإقبال والإقدام، فلقد هلكت الأمم باختلافها وكثرة آرائها واعتراضاتها)[3] وينبغي أن يعلم أن سبب الاختلاف هو الهوى والتعصب والجهل (فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر ، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها! وإنما هو وضع «الذات» في كفة ، والحق في كفة وترجيح الذات على الحق ابتداء)[4] ، ويجب على قادة الأمة وعقلائها الالتقاء على كلمة سواء حتى تتمكن الأمة من النهوض بقوة.

ومن الحكم المأثورة لأب ينصح أبناءه قائلا لهم :

كونوا جميعا يا بني إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت أفرادا[5]

وما أضعف الأمة اليوم بسبب التفرق التنازع، ولا بد من مغادرة هذا المريع .

❖ الجهل والتخلف العلمي والتربوي

الجهل آفة الأفراد والمجتمعات والأمم، فأي أمة يفشو فيها الجهل تصبح في ذيل الأمم، مما يؤدي الى اندراس معالم الشريعة ،وظهور البدع، وشيوع الفرقة والخرافة ،والجهل بقواعد جلب المصالح ودرء المفاسد ، والجهل بما يسع فيه الخلاف وبما لا يسع، والجهل بأصول الافتراق ، والجهل بقواعد الشرع العامة .

إن أمتنا تعلم أن أول آية نزلت على قلب محمد صلى الله عليه وسلم هي قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [6] ، ولا يستقيم واقعها اليوم مع ذلك العلم .

---

[1] ـ سورة آل عمران الآية : ١٠٥

[2] ـ سورة الأنعام الآية : ١٥٩

[3] ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج :١٠ / ٢٥

[4] ـ في ظلال القرآن : ٣ / ١٥٢٩

[5] ـ مجمع الحكم والأمثال أحمد قبش دمشق ١٩٧٩م : الباب الثامن والعشرون ،

[6] ـ سورة العلق الآيات : ١ ـ ٥ .

إن الجهل والتخلف أثرا على حياة الأمة مما جعل الأمة في آخر الركب بين الأمم ، إن الأمم اليوم تتنافس بمقدار ما تقدم للبشرية من إنتاج علمي وهنا تتبوأ مراتب الصدارة، وآن الأوان اليوم لكي تزيل هذا التخلف والجهل من حياتها كي تنهض بين الأمم .

❖ العشوائية

إن سوء التخطيط والارتجالية والعبثية تؤدي إلى السقوط الحضاري، ولا مكان للعشوائية في ديننا قال تعالى :﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [1] ، والملحوظ في واقع أمتنا اليوم تفشي العشوائية والارتجالية ، وسوء التخطيط، وهذا يتنافى مع سنن الله في نهضة الأمم ، والدارس لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم يدرك بوضوح النموذج العملي في محاربة العشوائية إذ حياته كلها قامت على التخطيط الدقيق .

❖ الاستبداد والفساد والتبعية

الاستبداد يعني الانفراد بالأمر وفرضه على الآخرين بالقوة ، فهو يعطل الطاقات ، ويجمد الابدع ، ويفسد الحياة ، سواء تمثل في فرد أوجماعة أو طائفة أو حزب أو قبيلة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء فيما رواه حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنها ستكون عليكم أمراء يَظلمون ويَكذبون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني، ولست منه، ولن يَردَ على الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيرد على الحوض)[2] .

(تقضي مبادئ الإسلام بأن يشعر كل فرد أن له دورا في حياة المجتمع والجماعة، والشورى تتيح الفرصة أمام كل فرد لكي يقدم ما يستطيع من جهود وأفكار وآراء ومهارات لخير المجتمع، كما تتيح الفرصة أمام كل فرد ليعبر عن رأيه في الشئون العامة.)[3] .

فالمستبد يستخف بعقول الناس ويصادر حرياتهم، وقد صور القرآن الكريم شخصية المستبد على حقيقتها الكالحة الفجة فقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾[5] "فأصبح ليس هناك رأي، ولا مشورة، ولا تفكير، إلا بما يقوله فرعون نفسه، وما يمليه على مَن حولَه، وكان يتهدد كلَّ مَن

[1] ـ سورة المؤمنون الآية : ١١٥ .

[2] ـ مسند البزار في مسند حذيفة رضي الله عنه ج ١ ص ٤٣٣ رقم ٢٨٣٤

[3] ـ فقه النصر والتمكين : ٤١٠

[4] ـ سورة القصص الآية :٣٨

[5] ـ سورة غافر الآية :٢٩

يخالفه بالرأي، ويأتي برأي غير رأيه، أو مذهب غير مذهبه، أو يجتهد في أمر بخلاف ما يريده فرعون؛ بالقتل والسجن، ولذلك قال لموسى"[1] وقال : ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾[2] .

وقد قدمت سورة القصص صورة جلية تضمنت خلاصة لعاقبة الإستبداد والطغيان السياسي والاقتصادي قال تعالى :﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3].

فالفساد قرين الاستبداد، فساد النفس والعقل، والحياة بشعبها المتعددة، وهو خلل وسوء استغلال ، وقد ذكر القرآن الكريم أنموذجا فقال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[4] ..ينتشر الفساد تارة باسم الحرية، وهو فساد شامل للعقائد والأخلاق، والادارة والحكم والاقتصاد، والتعليم والإعلام والبيئة، فلا بد من تطهير الحياة من الفساد حتى تستحق الأمة المجد والنهوض من جديد، قال تعالى ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[5] .

ومن صور الفساد أيضا التبعية الفكرية والسياسية والإقتصادية ... الخ التي تعد أحد أهم دعائم الضعف في الأمة؛ كونها تعد سببا رئيسا للتفرقة والتنازع الذي حل بأمتنا.ونكل فيه بأبنائها ، وقد رسم القرآن الكريم قانونا بين فيه أن عاقبة الفساد إلى زوال فقال تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ . وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [6] ،والأمر يحتاج إلى صبر قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [7] ، وكل ذلك خبيث وزبد سيذهب بمجيئ الحق قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [8] ، وقال : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ

---

[1] ـ الاستبداد: شريط صوتي مسجل سلمان العودة

[2] ـ سورة الشعراء الآية :٢٩

[3] ـ سورة القصص الآية : ٨٣ .

[4] ـ سورة البقرة ، الآيتان : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

[5] ـ سورة هود الآية : ١١٦ ـ ١١٧

[6] ـ سورة يونس الآيتان : ٨١ و ٨٢ .

[7] ـ سورة السجدة الآية : ٢٤ .

[8] ـ سورة المائدة الآية : ١٠٠ .

وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [1] ، وقال :﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [2] .

نتائج البحث

يمكن إجمال أهم النتائج على النحو الآتي:

١ - سنن النهضة تتعلق بمجموع الأمة .

٢ - للنهضة الإسلامية عوامل إذا توافرت مجتمعة تحققت النهضة المنشودة فإذا تحققت العوامل وانتفت الموانع تحقق المطلوب .

٣ - الانطلاق من الوحي إلى العصر هو مفتاح الانطلاق نحو المستقبل المنشود .

٤ - تحقيق النهوض الحضاري فريضة شرعية وضرورة حياتية .

٥ - النهضة لا تقوم على الأمنيات وإنما تقوم على العمل الجاد والمستمر .

٦ - امتلاك أسباب القوة والاستعداد شرط للنهضة الشاملة .

٧ - مغادرة مربع الضعف شرط للنهوض الحضاري المنشود.

٨ - لا بد من تظافر الجهود من كافة القوى الحية في الأمة حكاما ومحكومين وقوى سياسية من أجل تكامل الجهود لتحقيق ما تنشده الأمة .

٩ - النهضة لن تتحقق أهدافها المنشودة إلا إذا كانت شاملة ومتوازنة تعتمد العلم أساسا لها ، والحرية شعارا وسلوكا لها، والحوار أسلوبا لها في التعامل مع الذات والآخر .

١٠ - سنن الله لاتتبدل فهي ثابتة.

١١ - اعتماد البحث العلمي طريقا للنهوض السوي والمتوازن .

١٢ -اليقين الجازم بأن المستقبل للإسلام .

[1] ـ سورة الإسراء الآية : ٨١ .

[2] ـ سورة الرعد الآية : ١٧ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي علي بن عبد الكافي السبكي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ.

٢. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول محمد بن علي بن محمد الشوكاني. تحقيق : الشيخ أحمد عزو عناية ، دار الكتاب العربي الطبعة : الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٣. أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق أحمد محمد كنعان كتاب الأمة رقم ٥٢ .

٤. أساس البلاغة ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري تحقيق عبد الرحيم محمود دار المعرفة بيروت ب ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٥. الاستبداد سلمان العودة شريط صوتي مسجل .

٦. الاستقلال الحضاري د محمد عمارة نهضة مصر الجيزة الطبعة الثانية ٢٠٠٨م.

٧. الإسلام حضارة الغد د يوسف القرضاوي مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٨. الإسلام والتحدي الحضاري د حمدي والي شروق للتشر والتوزيع مصر الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م .

٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ .

١٠. الاقتصاد في الاعتقاد أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي وضع حواشيه:عبد الله محمد الخليلي

١١. الإيمان: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ،المكتب الإسلامي، عمان، الأرد ن ،الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م : .

١٢. تاج العروس من جواهر القاموس ،محمّد بن محمّد بن مرتضى، الزَّبيدي ، دراسة وتحقيق : علي شيري، المطبعة المحمدية ، القاهرة .

١٣. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ هـ .

١٤. التعريفات ،علي بن محمد بن علي الجرجاني تحقيق : إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

١٥. التفسير الحديث، محمد عزت دروزة ،دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ،١٣٨٣ هـ .

١٦. تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي مطابع أخبار اليوم (نشر عام ١٩٩٧ م) .

١٧. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ،دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ط١ ، ١٤١٩ هـ .

١٨. التفسير القرآني للقرآن ،عبد الكريم يونس الخطيب ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

١٩. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر ، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .

٢٠. تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م .

٢١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق، ط٢ ، ١٤١٨ هـ.

٢٢. التفسير الواضح ، محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد – بيروت ، ط١٠ ، ١٤١٣ هـ .

٢٣. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر ، الفجالة – القاهرة ، ١٩٩٧ م و ١٩٩٨ م .

٢٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي،تحقيق:عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام، الرياض

٢٥. جامع الرسائل، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم دار العطاء ، الرياض، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٦. الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي تحقيق : أحمد محمد شاكر مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م.

٢٧. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

٢٨. جيل النصر المنشود ، يوسف القرضاوي ، د ط و ت .

٢٩. الحرية في القرآن الكريم ، علي محمد محمد الصلابي ،دار التوزيع والنشر، القاهرة، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠١٢م .

٣٠. حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل، موسى إبراهيم الإبراهيم ، دار الاعلام ، عمان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

٣١. دراسات قرآنية، أبو الحسن علي الحسني الندوي، إعداد سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير ،دمشق، ط٢ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

٣٢. الذات والآخر في الثقافة العربية والإسلامية، المؤتمر الدولي السادس ، بحوث علمية محكمة ، جامعة المنيا، ٢٠٠٩م.

٣٣. الذريعة الى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني ،تحقيق: أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء، المنصورة ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٣٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي .
٣٥. سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي ، دار نهضة مصر ، ط٧ ، ٢٠٠٥م .
٣٦. سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم ، عبدد السلام بن نصر الله الشريف ، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض ،ط١، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م.
٣٧. السنن الالهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط ،مجدي محمد محمد عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترحمة ،القاهرة ، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
٣٨. السنن الالهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الاسلامية، عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط٣ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٣٩. السنن الالهية في الحياة الانسانية وأثرها في العقيدة والسلوك ،شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب نمكتبة الرشد، الرياض والدار العثمانية عمان، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
٤٠. سنن الله في الحضارات، عصام أحمد البشير، الأحد، ٠٨ نوفمبر ٢٠٠٩ ،متاح على موقع إسلام اون لاين .
٤١. سنن الله في حياة الأمم في ضوء الكتاب والسنة، حسين شرفة، مؤسسة الرسالة، بيروت - دمشق ، ط١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
٤٢. السيرة النبوية ،عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ،تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، ب ط ، ١٤١١هـ .
٤٣. الصحاح في اللغة الجوهري .
٤٤. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، دار احياء العربي، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٤٥. صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم – بيروت، ط٤ ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م .
٤٦. الصلاة وحكم تاركها ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابيف ، دار ابن حزم ، قبرص – بيروت، ط١ ، ١٤١٦ – ١٩٩٦م.
٤٧. العامي الفصيح من إصدارات مجمع اللغة العربية القاهرة .
٤٨. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب ، دمشق - بيروت ط١ ، ١٤١٤ هـ .
٤٩. فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء الكتاب والسنة ، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة ،ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٩م.

٥٠. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، دار ابن الجوزي، القاهرة ، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .

٥١. في الثقافة الإسلامية ، أحمد نوفل ومحمد عبد الغني المصري ومحمود أحمد عويضة، دار عمار ،عمان ط١ ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٥٢. في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، دار الشروق ، بيروت – القاهرة، ط٩ ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م .

٥٣. القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

٥٤. القرآن الكريم ومقومات النهضة ،مجموعة من الباحثين، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان ، ط١ ، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م .

٥٥. قوانين النهضة القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري، جاسم محمد السلطان ، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، ط٣ ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧م.

٥٦. لسان العرب، ابن منظور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

٥٧. مجتمعنا المعاصر أسباب ضعفه ووسائل علاجه، عبد الله سليمان المشوخي، مكتبة المنار ،الزرقاء، ط١ ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٥٨. مجمع الحكم والأمثال أحمد قبش دمشق ١٩٧٩م.

٥٩. مجموع الفتاوى أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق : أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء ،ط٣ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

٦٠. مجموعة الرسائل، حسن البنا ،دار الدعوة، الاسكندرية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٦١. مجموعة الوثائق النبوية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ،جمع وتحقيق : محمد حميد الله ، القاهرة، ١٩٥٦م .

٦٢. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود ندار الكتب العلميه، بيروت ط١ ١٤١٨ هـ .

٦٣. مدخل لمعرفة الاسلام مقوماته .. خصائصه.. أهدافه .. مصادره، يوسف القرضاوي ،مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط١ ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .

٦٤. مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ،عمر عبيد حسنة ، دار الهدى ، الجزائر ، د ط وت .

٦٥. المسلم والآخر ،محمد سليم العوا ،مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م .

٦٦. مسند البزار ،أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار ،تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد ،وصبري عبد الخالق الشافعي ،مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ط ١ ١٩٨٨م، و ٢٠٠٩م).

٦٧. معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، محمد اسماعيل ابراهيم ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢ .

٦٨. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الجديث، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٦٩. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية قام بإخراجه ابراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخران، دار الدعوة ،استانبول ، ط٢ ، ١٩٨٩م .

٧٠. معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٧١. مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠ هـ .

٧٢. مفردات الفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق: صفوان عدنان داودي ، دار القلم، دمشق ، الدار الشامية ،بيروت، ط٢ ، ١٤١٨هـ - ١٩٧٢م .

٧٣. مقدمات في سبيل مشروعنا الحضاري ، جمال سلطان د ط و ت.

٧٤. ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده ، يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٧٥. من الصحوة الى اليقظة إستراتيجية الإدراك للحراك ، جاسم محمد السلطان، أم القرى ط٣ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٧٦. نحن والآخر تعارف وحوار أم صدام ودمار، محمد بن علي الهرفي ،مكتبة دار المعالم الثقافية، الاحسا ، ط١ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

٧٧. نحن والحضارة الغربية، أبو الأعلى المودودي، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٧٨. النظام السياسي في الاسلام محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان ، عمان ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م .

٧٩. هي .. هكذا كيف نفهم الأشياء من حولنا ، عبد الكريم بكار ،مؤسسة الاسلام اليوم ، الرياض، ط٢ ، ١٤٣٠ هـ .

٨٠. وثيقة المدينة المضمون والدلالة ، أحمد قائد الأسودي، مكتبة الوسطية ،صنعاء ،ط٢، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٨١. وعود القرآن الكريم بالتمكين للإسلام ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ،دار القلم ،دمشق ، ط٢ ،١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م .


بسم الله الرحمن الرحيم





مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة الناصر
العدد الأول: يناير - يونيو 2013م

مجلة جامعة الناصر: مجلة علمية محكمة
تهدف إلى إتاحة الفرصة للباحثين والأكاديميين لنشر أبحاثهم وإنتاجاتهم العلمية باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف المجالات العلمية.

تقوم مجلة جامعة الناصر بنشر البحوث والدراسات باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف مجالات العلم والمعرفة وفقاً للشروط التالية:

١) أن يكون البحث المقدم أصيلاً ويعالج قضية معينة بذاتها، وتتوافر فيه الشروط العامة للبحث العلمي المعتمد على القواعد العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية، في مختلف المجالات الإنسانية والتطبيقية..

٢) أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة، ومطبوعاً ببنط (١٤) وبخط : Typesetting (Arabic) بالنسبة للبحوث باللغة العربية ، وبخط (Times New Roman) بالنسبة للبحوث باللغة الإنجليزية، وأن لا تزيد صفحات البحث عن(٤٠) صفحة متضمنة المصادر والمراجع.

٣) أن يتم تحويل البحث إلى صيغة PDF .

٤) أن يرفق مع البحث ملخصاً باللغتين العربية والإنجليزية.

٥) أن لا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى.

٦) المجلة ترحب بنشر ما يصل إليها من ملخصات لرسائل الماجستير والدكتوراه، التي تم مناقشتها وإجازتها، في كافة المعارف الإنسانية والتطبيقية، على أن يكون الملخص من قبل صاحب الرسالة.

إجراءات النشر والتحكيم :

١ – ترسل البحوث المراسلات إلى مجلة جامعة الناصر على العنوان التالي :

الجمهورية اليمنية – صنعاء – مجلة جامعة الناصر

هاتف: (٥٣٦٣٠٧) تليفاكس (٥٣٦٣١٠)البريد الإكتروني : (www.alnasseru.net) أو بريد رئيس التحرير m5sh5n55@gmail.com

٢- يسلم البحث المقدم للنشر من أصل وثلاث نسخ ورقية مطبوعة على ورق (A4) ويشترط أن تكون المادة مطبوعة بمسافات مضاعفة ومحفوظة بقرص مدمج (CD) وذلك إلى عنوان المجلة أعلاه ، بحيث يظهر في غلاف البحث إسم الباحث ولقبه العلمي، ومكان عمله، ومجال تخصصه.

٣ – يرفق بالبحث ملخصان بالغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد عدد كلمات كل منها عن (٢٠٠) كلمة.

٤- يرفق الباحث نسخة مختصرة عن سيرته الذاتية ، متضمنة إسم الباحث وعنوانه ، وأرقام هواتف المنزل والعمل والفاكس لكي يسهل التواصل معه عند الضرورة.

٥- في حالة قبول البحث مبدئياً، يتم إحالته إلى محكمين من ذوي الخبرة والاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يعرض عليهم إسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث ، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمه.

٦- يخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمه خلال ثلاثة أشهر على الأكثر من تاريخ تسليمه للبحث.

٧- في حالة ورود ملاحظات من المحكمين ، ترسل تلك الملاحظات إلى الباحث بهدف إجراء التعديلات اللزمة، على أن تعاد للمجلة في مدة أقصاها شهر.

٨- يمنح صاحب البحث المنشور نسخة واحدة من عدد المجلة مع ثلاث مستلات من بحثه.

ثالثاً: رسوم التحكيم والنشر في المجلة :

تفرض المجلة مقابل نشر البحوث والتحكيم الرسوم التالية:

- البحوث المرسلة من داخل الجمهورية اليمنية (١٥٠٠٠) خمسة عشر ألف ريال
- البحوث المرسلة من خارج الجمهورية اليمنية (١٠٠ $) مائة دولار أمريكي
- هذه الرسوم غير قابلة للإرجاع سواء تم قبول البحث للنشر أم لم يتم النشر.
- أعضاء هيئة التدريس والباحثون بجامعة الناصر يعفون من تسديد الرسوم.

البحوث المنشورة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن توجه الجامعة وإنما تعبر عن أراء أصحابها

المحتويات

الافتتاحية:

إن الحمد لله نحمده حمداً، والشكر لله نشكره شكراً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد ﷺ القائل : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) وعلى أله وصحبه أجمعين.

بادىء ذي بدء فإن مما يسعدنا ويشرفنا أن نقدم بين أيدي قراءنا الأعزاء من مثقفين وباحثين وأكاديميين العدد الأول من هذه المجلة – مجلة جامعة الناصر – كمجلة علمية محكمة تهدف إلى إتاحة الفرصة للباحثين والمهتمين بنشر أبحاثهم وإنتاجاتهم العلمية باللغتين العربية والإنجليزية، وفق الضوابط والمعايير الأكاديمية ليتسنى لهم الترقي في سلم العلم والمعرفة في مختلف المجالات العلمية التخصصية، وإسهاماً منا في خدمة المجتمع والنهوض به وحل بعض مشكلاته.

وقد إرتأت جامعة الناصر لنفسها منذ تأسيسها عام ٢٠٠٧ م بأول كلية وهي كلية العلوم الطبية أن تكون جامعة رائدة ومتميزة في مجالها التخصصي ، مواكبة لمعايير الجودة الشاملة والعمل النوعي في مجالاتها الأكاديمية، ومن تميزها فها هي الآن تقوم بإ صدارالعدد الأول من هذه المجلة متضمناً مواضيع متنوعة في كافة المجالات العلمية.

الجدير بالذكر أن المواضيع التي نشرت في هذا العدد من داخل اليمن وخارجه، قد خضعت للتحكيم العلمي، للحكم على منهجيتها ومحتواها من قبل نخبة متخصصة في كافة التخصصات ومن ذوي الكفاءة والمستوى والتميز.

ومن حسن الطالع أن يصدر هذا العدد في بداية عام ميلادي جديد ٢٠١٣ م، واليمن الميمون، يعيش تجربة من الحوار بين أبنائه، حالماً لغدٍ مشرق، ومستقبل واعد،متمنين لأمتنا الإسلامية والعربية مزيداً من التقدم والرقي، والأمن والإزدهار، ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نقدم جزيل الشكر والإمتنان لمن كان له الباع الكبيرفي تبني هذا المشروع وإخراجه إلى حيز الوجود، كما أخص بالشكر كل من ساهم وشارك .

والله الهادي إلى سواء السبيل،،

رئاسة التحرير

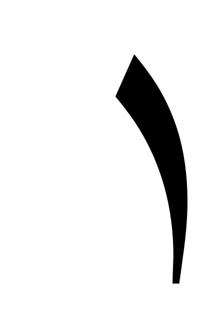
استخدام نماذج المحاكاة للتنبؤ بالموازنة التقديرية للأعمال

أ. د/ السماني عبدالمطلب

عميد كلية الحاسوب وتقنية المعلومات –

جامعة النيلين-السودان

أ/ منير عبدالله سيف



الملخص

تعتبر المحاكاة أداة لتحليل وتصميم الأنظمة المعقدة، وتستخدم نماذج المحاكاة لتفادي أي مشكلة قد تواجه الباحث عند إجراء التجارب على أي نظام حقيقي، ونماذج المحاكاة هي نماذج رياضية تمثل وتعكس جميع خصائص وسلوك النظام الحقيقي، للتعرف على الآثارالمحتملة للقرارات خاصة القرارات المتعلقة بالمستقبل. إن المحاكاة تعني تقليد شئ ما، وايجاد شبيه أو مثيل لذلك الشئ، أما النمذجة فتعني نموذج مصغر من الاصل، ودراسة النمذجة والمحاكاة تُمكن من ملاحظة أثر التغيرات في سلوك الأنظمة، حيث يمكن من خلال هذه الدراسة تحسين النظام، او اكتشاف مظاهر القوى أو الضعف فيه. ولا تزال المحاكاة هي الطريقة الأساسية التي تستخدم للحصول على المعلومات حول الأنظمة التصادفية (الإحتمالية) المعقدة. يعتبرالتنبؤ من أهم الموضوعات التي تشغل كل إنسان بصفة عامة، ومتخذي القرارات بصفة خاصة، فالجميع يعمل في ظل متغيرات وأرقام دائمة التغير، وفي ظل ظروف عدم التأكد تنشأ الحاجة للتنبؤ الذي يعتبر أساسا للتخطيط والرقابة على التغيرات الممكن حدوثها في المستقبل. وتعتبر المحاكاة من الأدوات الناجحة لتحليل ومعالجة البيانات، للتنبؤ والوصول إلى مؤشرات شبه مؤكدة لما يمكن أن يكون عليه الموقف مستقبلا، وإيجاد البدائل، والإختيار ما بين البدائل المتاحة للوصول للبديل الأمثل في عملية إتخاذ القرارات.

تهدف الورقة إلى وصف نظام آلى يستخدم نماذج المحاكاة كوسيلة للتنبؤ بالموازنة التقديرية للأعمال، حيث يقوم النظام بعمل محاكاة للمتغيرات المراد دراستها بالإعتماد على البيانات التأريخية والتوزيعات الإحتمالية، ومن ثم التنبؤ ببنود الموازنة التقديرية محل الدراسة.

الكلمات الجوهرية:

محاكاة، التنبؤ، الرقم العشوائي، المتغير العشوائي، التوزيع الإحتمالي، النموذج، خطأ التنبؤ.

١- مقدمة

تقوم معظم المؤسسات الحكومية والخاصة على حدٍ سواء بعمل موازنة تقديرية لأي بند من بنود أنشطتها بما تراه مناسبا مع طبيعة عملها، حتى يتسنى لها المضي قدماً وفق هذه الموازنة.

ربما يتم عمل الموازنة التقديرية بناءً على رؤى شخصية لمتخذ القرار، معتمداً في ذلك على الخبرة والتقدير الشخصي، أو إستخدام البيانات التاريخية، أو من خلال التعرف على رأي ذوي الشأن والخبرة وتوقعاتهم في بعض الأنشطة الاقتصادية، وربما يتم التوصل إلى استخلاص بعض العلاقات النظرية والاحصائية للوصول إلى قرار سليم في عملية حساب الموازنة التقديرية، كاستخدام السلاسل الزمنية، أوالانحدار الخطي، أوالمتوسطات الثابتة والمتحركة. وتعتبر المحاكاة من الوسائل الهامة للتنبؤ والتقدير والحصول على تصور بشأن المستقبل، خاصة في ظل ظروف عدم التأكد، وفي الأنظمة التصادفية (الإحتمالية)، حيث يمكن صياغة نموذج المحاكاة حسب تحديد الهدف من عملية التقدير والتنبؤ.

٢- الموازنة التقديرية

هي عبارة عن وثيقة تلخص كل العمليات والأنشطة التي تنوي المؤسسة القيام بها لمدة زمنية محددة، وتصبح هذه الوثيقة برنامج عمل للمؤسسة خلال هذه الفترة. وهي ترجمة واضحة للتخطيط والسياسات المستقبلية الموضوعة للمؤسسة، بناءً على خبرة الماضي، والطاقة الاستيعابية للمؤسسة، والموارد المتوفرة لها، وعلى التنبؤات المستقبلية فيما يتعلق بكل الظروف الداخلية للمؤسسة والخارجية المحيطة بها.

في الوقت نفسه تعتبر الموازنة التقديرية أداة رقابة، تحاول مقارنة ما أنجز فعلياً بما تهدف إليه المؤسسة وما هو متوقع، ويجب أن تقوم الإدارة بتحليل أي إنحرافات هامة واتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع الإنحرافات الضارة وتشجيع النواحي الإيجابية.

فالموازنة التخطيطية ما هي الا أداة تستخدم للتعبيرعن هدف معين تسعي إلى تحقيقه ادارة المؤسسة. [الامام،١٩٨٣]

والميزانيات التقديرية تضم مجمل نشاط المؤسسة المستقبلي على شكل تنبؤات، وعلى ضوء هذه التنبؤات يقوم متخذو القرار بإعداد برنامج عمل يتمثل في تقسيم الهدف الرئيسي إلى عدد من الأهداف الفرعية في شكل خطط تعرف بالميزانيات لفترة زمنية محددة، وعمل مقارنة مستمرة بين الميزانيات التقديرية والنشاط الحقيقي ومتابعة الإنحرافات بينهما.

كما يستخدم البعض مصطلح الموازنة التخطيطية كبديل عن الموازنة التقديرية، فالمصطلحان مترادفان، وكلاهما يخدمان هدفين لهما نفس الوزن والأهمية وهما التخطيط والرقابة. وتختلف الموازنة التقديرية من مؤسسة إلى أخرى، فهنالك موازنة تقديرية للمبيعات واخرى للإيرادات وثالثة للمصروفات وأخرى للإنتاج وهكذا.[الامام،١٩٨٣]

٣- تعريف المحاكاة

معنى أنك تحاكي هو أنك تحاول ان تنسخ أو تضاهي خصائص ومظهر وملامح النظام الحالي، من خلال بناء النموذج الرياضي الذي يمكن أن يمثل حقيقة ذلك النظام بقدر الامكان، والمحاكاة هي محاولة للتقليد بصنع نموذج تقريبي لما نريد فهمه بصورة أكبر.

وتعرف المحاكاة بأنها عملية تصميم نموذج لنظام سواء كان حقيقياً أو تخيلياً، والقيام بتجارب على هذا النظام لفهم سلوكه أو تقييم الإستراتيجيات اللازمة لتشغيله، أي أن المحاكاة هي محاولة لتقليد عملية في العالم الحقيقي لمدة من الزمن.

اذن فالمحاكاة هي تقليد أو مضاهاة خصائص وسمات وملامح النظام الحقيقي، وتنبي فكرتها الاساسية على تقليد الموقف في عالم الواقع باستخدام النموذج الرياضي الذي لا يؤثر على الاداء. [رندر و من معه، ٢٠٠٧]

ان الفكرة من وراء المحاكاة هي تقليد الوضع الحالي في عالم الواقع ولكن بطريقة رياضية، ثم دراسة خواص النموذج وخصائصه التشغيلية، وأخيرا القيام برسم النتائج وإتخاذ القرارات التي تنبني على نتائج المحاكاة، وبهذه الطريقة فإن النظام الواقعي لا يمس حتى تتبين من خلاله المميزات والعيوب للقرارات المتعلقة بالسياسة الرئيسية التي يجب قياسها أولا على النموذج.

في تعريف المحاكاة استخدمت كلمة نموذج، والنموذج هو تجسيد للنظام الحقيقي لكن بصورة تقريبية، فهو يتخلص من التفاصيل ويحافظ في الوقت نفسه على تجسيد الواقع.

وتستخدم المحاكاة لإجراء دراسات للإجابة على أسئلة من نوع "ماذا – إذا" على النظام الحقيقي، نظراً لكون نموذج المحاكاة نموذج وصفي تجريبي.[حسام بن محمد، ٢٠٠٧]

وهذا النوع من الأسئلة يدرس نتيجة إحداث أي تغيير على النظام، فبإحداث هذا التغيير على النموذج نستطيع معرفة تأثير التغيير على النظام محل الدراسة، وبالتالي فان نموذج المحاكاة هو عبارة عن تمثيل لمكونات النظام الثابتة والعلاقات التى تربط مكونات النظام بعضها البعض، بالاضافة إلى تمثيل منطقي لسلوكيات وخصائص النظام الديناميكية على مدى فترة مراقبة زمنية محددة، وتحت فرضيات معينة تتعلق بعمل النظام ومكوناته.[عبد المطلب، ٢٠٠٧]

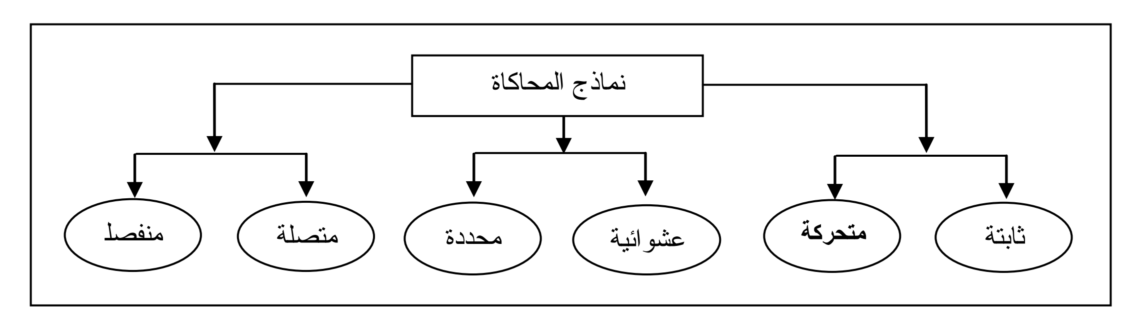
ويُمكن نموذج المحاكاة الدارس من إجراء تجارب فرضية على النموذج بدلاً من اجرائها على النظام الحقيقي، من أجل اختبار نظريات معينة حول النظام، أو إجابة تساؤلات حول رد فعل النظام نتيجة لتحقق شروط أو

حدوث أحداث معينة في هذا النظام، وعادة ما يكون استخدام نماذج المحاكاة هو الخيار الوحيد بعد استنفاذ الخيارات الأخرى الممكنة من النماذج المختلفة، وذلك لصعوبة (او إستحالة) تطبيق تلك النماذج، وهو ما قد يحدث عادة في حالة النماذج الرياضية للأنظمة بالغة التعقيد، وفي تلك الحالات تأتي المحاكاة كبديل قوي ومتاح لتمثيل تلك الأنظمة المعقدة وكيفية عملها على الحاسب الآلي، حيث تتيح إجراء مجموعة تجارب مصممة جيدا للإجابة على التساؤلات المطروحة حول تلك الانظمة والتي قد تتعلق بتفاعلات النظام المدروس مع بيئته أو ربما بمدى تأثر مخرجات النظام بتغييرعدد معين من المدخلات.[الضلعان، رمضان ٢٠٠٣]

٤- أنواع نماذج المحاكاة

تنقسم نماذج المحاكاة إلى عدة أنواع معروفة منها النماذج المادية مثل المجسمات، والنماذج الرياضية مثل المعادلات والخوارزميات، والنماذج المنطقية مثل نماذج المحاكاة الحاسوبية. وتستخدم نماذج المحاكاة الحاسوبية بشكل واسع باعتبارها وسيلة لدراسة وفهم الأنظمة المعقدة والكبيرة الحجم في شتى التخصصات من أجل حل مشكلات معينة، أو من أجل إختبار مدى تأثير فرضيات جديدة وإضافات معينة نريد أن ندرسها وندرس تأثيرها على النموذج قبل الشروع في تطبيقها فعلياً على أرض الواقع. [عبد المطلب، ٢٠٠٧]

وتعتبر نماذج المحاكاة أحد أنواع النماذج الرياضية، ويمكن ان تصنف نماذج المحاكاة إلى تصنيفات مختلفة، كما يمكن تقسيم نماذج المحاكاة كما يوضح الشكل (١) إلى نماذج ثابتة ونماذج متحركة، أو نماذج عشوائية ونماذج محددة، أو نماذج متصلة ونماذج منفصلة.



شكل(١) نماذج المحاكاة

٤-١ نماذج المحاكاة الثابتة والمتحركة

نماذج المحاكاة الثابتة (تسمى أحياناً مونت كارلو) وهي تمثل النظام المراد دراسته عند نقطة محددة من الوقت، بينما نماذج المحاكاة المتحركة تُمثل حالة النظام مع تغير الوقت مثل محاكاة النظام البنكي من الساعة التاسعة صباحاً حتى الرابعة مساءً.

٤-٢ عشوائية ومحددة

نماذج المحاكاة العشوائية هي تلك النماذج التي تحتوي على متغير عشوائي على الأقل كمدخلات، والنماذج العشوائية تكون مُخرجاتها أيضاً عشوائية، مثل أوقات وصول الزبائن للبنك لا يمكن تحديده مسبقاً، وبالتالي نستخدم متغيرات عشوائية لتمثيل ذلك. أما نماذج المحاكاة المحددة هي التي لا تحتوي على تلك المتغيرات العشوائية كمدخلات، فالمدخلات تكون معروفة ومحددة مسبقاً، مثال ذلك وصول المرضى لموعد الكشف في العيادة حسب الموعد المحدد لكل منهم مسبقا.

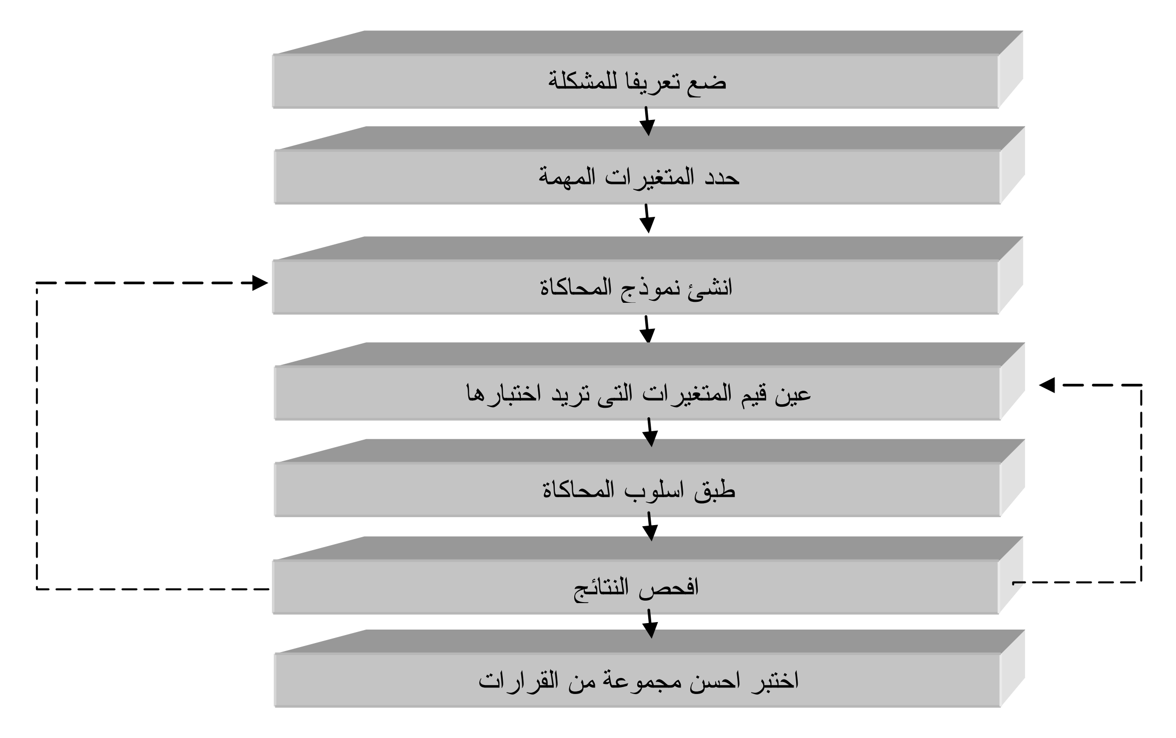
٤-٣ متصلة و منفصلة

نماذج المحاكاة المتصلة وفيها تكون حالة المتغيرات متغيرة بشكل مستمر من حالة إلى أخرى (عدد لا حصر له من الحالات)، مثال ذلك دراسة تدفق سائل عبر أحد الأنابيب، أما نماذج المحاكاة المنفصلة فلا تتغير حالة المتغيرات إلا في أوقات محددة، وفي هذه الأوقات تتم فيها الأحداث.

٥- خطوات انشاء نموذج محاكاة

ولكي تستخدم المحاكاة يجب أن نتبع الخطوات التالية:[رندر و من معه، ٢٠٠٧]

١- التعرف على المشكلة.
٢- تحديد المتغيرات المتعلقة بالمشكلة.
٣- انشاء نموذج عددي (محاكاة).
٤- وضع المجموعات الممكنة من القرارات بقصد الاختيار.
٥- إجراء التجربة.
٦- دراسة النتائج (امكانية تطوير النموذج او تطوير البيانات الداخلة).
٧- تحديد مجموعة القرارات التي يمكن ان تتخذ.



شكل (٢) خطوات إنشاء نموذج محاكاة [رندر ومن معه، ٢٠٠٧]

وتتراوح المشكلات التي تعالجها المحاكاة من أبسطها إلى أكثرها تعقيدا، من الصفوف التى تقف امام صراف في بنك إلى تحليل الاقتصاد.

٦- مميزات المحاكاة

هنالك العديد من المزايا والفوائد لنماذج المحاكاة تتلخص فيما يلي: [رندر ومن معه، ٢٠٠٧]

١. **تعتبر المحاكاة أسلوبا مباشرا ومرنا إذا تم تطبيقه جيدا، فإن نموذج المحاكاة يمكن أن يكون من المرونة بحيث يتسع لأخذ العديد من التغيرات في الأعتبار ضمن حوار المشكلة.**
٢. **يمكن استخدام المحاكاة في تحليل الأوضاع المعقدة في عالم الواقع التي يستعصي حلها بواسطة نماذج القرار التقليدية.**
٣. **ان المحاكاة تسمح باسئلة من نوعية (ماذا – اذا)، وإجابة مثل هذه الاسئلة يُمكن من وضع سياسات وقرارات متعددة خلال دقائق من الزمن.**

٤. تسمح لنا المحاكاة بدراسة الآثار المتفاعلة للمتغيرات لتحديد أياً من هذه المتغيرات أكثر أهمية من الاخرى، إذ أنه في أي حوار لأي مشكلة لا تكون المدخلات على نفس القدر من التساوي في الأهمية، ولهذا فإننا نستخدم المحاكاة في إجراء تغييرات في مدخلات معينة يتم اختيارها (او مجموعة من المتغيرات) للتعرف على مدى التأثير الذي يحدث نتيجة لهذا التغيير.

٥. يمكن بواسطة المحاكاة اختصار الوقت، فمثلا عندما نريد التعرف على تأثير شئ معين يلزمنا شهور عديدة أو سنوات، الا أن المحاكاة يمكنها تحقيق ذلك في وقت قصير.

٦. تسمح المحاكاة بادخال التعقيدات الواقعية التي لا يمكن لمعظم نماذج القرارات الأخرى السماح بها، فنماذج المحاكاة تستخدم التوزيع الإحتمالي الذي يحدده المستخدم.

٧. قد تكون المحاكاة هي الطريقة الوحيدة لدراسة بعض العمليات الخطيرة، مثل التفاعلات النووية والتجارب الخطيرة.

٨. عند إضافة عنصر جديد للنظام، فإن نموذج المحاكاة يمكن أن يساعد في التكهن بمعرفة خصائص النظام مستقبلا، واكتشاف الآثار التي تنجم من إضافة هذا العنصر. [عبد النبي، عبدالله، ٢٠١٠]

٧- عيوب المحاكاة

كما أن هنالك العديد من العيوب والمساوئ لنماذج المحاكاة تتلخص فيما يلي: [رندر ومن معه، ٢٠٠٧]

١. إن النتائج التي يتم التوصل إليها في نماذج المحاكاة هي نماذج تقريبية وليست قاطعة على شكل يقيني.

٢. إن نماذج المحاكاة يمكن أن تكون مكلفة جدا، كما أنها طويلة ومعقدة من حيث تنمية النموذج.

٣. لا يمكن للمحاكاة أن تنتج حلا أمثلا للمشكلات، مثلما الحال في طرق النمذجة كالبرمجة الخطية أو البرمجة العددية الصحيحة، أما المحاكاة فهي تعتمد على المحاولة والخطأ التي يمكن أن تنتج حلولا مختلفة في كل دورة تكرار للمحاولة والخطأ.

٤. يجب أن يقوم المدير بتخليق الظروف والقيود اللازمة للحلول التي يريد إختبارها، إذ أن نموذج المحاكاة لا ينتج نتائج من تلقاء نفسه.

٥. كل نموذج محاكاة يعتبر فريدا ووحيدا، وبالتالي فإن نتائج كل نموذج قد لا يمكن نقلها إلى المشكلات الأخرى.

٦. هناك الكثير من المشاكل المتعددة الجوانب والمتشابكة الاطراف التي يصعب محاكاتها، إذ أن الإلمام بتفصيلاتها وعواملها وصور الترابط والتشابك بينها كافة يصعب من عملية محاكاتها.[عبد المطلب، ٢٠٠٧]

٧. الحاجة إلى خبرات الكترونية وعلمية وفنية عالية لكل أفراد فريق العمل القائم بإعداد نماذج المحاكاة، وهذا الأمر قد لا يتحقق في كثير من الاحيان. [عبد المطلب، ٢٠٠٧]
٨. نتائج المحاكاة دائما متغيرة لانها تحتوي على متغيرات عشوائية.[عبد النبي، عبدالله، ٢٠١٠]
٩. صعوبة تطوير واختبار تطبيقات المحاكاة عموما، وارتفاع تكلفة تطويرها من الناحية الزمنية والمادية في بعض الاحيان، بالاضافة الى كونها وسيلة تقديرية تعطي حلولا تقريبية للمشكلات المطلوب دراستها، وليست أداة دقيقة كالنماذج الرياضية والتي لها القدرة (غالباً) على ايجاد الحلول المثلى للمشكلات. [الضلعان، رمضان، ٢٠٠٣]

٨- طريقة محاكاة مونت كارلو

يمكن تطبيق طريقة مونت كارلو للمحاكاة في حالة وجود نظام يحتوي على العناصر التي تظهر سلوكيات معينة (يمكن استخدام طريقة مونت كارلو مع المتغيرات التي تكون ذات طبيعة احتمالية)، والأساس التي قامت عليه هذه الطريقة هو اختبار لعناصر الفرصة المتاحة (او للإحتمالية) من خلال أخذ عينات عشوائية. ويمكن تفصيل هذه الطريقة إلى عدد من الخطوات البسيطة: [رندر و من معه، ٢٠٠٧]

١. وضع التوزيع الإحتمالي لكل متغير في النموذج الذي يراد إختباره.
٢. إستخدام أرقام عشوائية لمحاكاة قيم التوزيع الإحتمالي لكل متغير في الخطوة السابقة.
٣. تكرار العملية لمجموعة من المحاولات.

الخطوة الاولى:

إنشاء توزيع إحتمالي لكل متغير، والفكرة الأساسية لمحاكاة مونت كارلو هي محاولة إنتاج قيم لمتغيرات النموذج موضوع الدراسة، وتوجد في عالم الواقع نظم ذات طبيعة إحتمالية، وهي التي يمكن محاكاتها ومن امثلتها:

١. الطلب على المنتج.
٢. الزمن السابق على وصول أوامر الطلب (المهلة الزمنية بين الطلبات).
٣. الزمن الذي يفصل بين وصول القادمين إلى مكان تلقي خدمة.
٤. زمن الخدمة.
٥. الزمن اللازم لاتمام أنشطة المشروع.
٦. عدد الموظفين الغائبين عن العمل كل يوم.

وتوجد طرق عديدة يمكن بواسطتها بناء نموذج إحتمالي لأي متغير، وتعتبر طريقة تجريب النتائج التاريخية لهذا المتغير إحدى الطرق الشائعة. إن الإحتمالية أو التردد النسبي لكل ناتج محتمل للمتغير يمكن إيجاده

بقسمة تردد الظاهرة على العدد الكلي للظواهر. وعلي سبيل المثال يوضح الجدول رقم (١) الإيرادات الشهرية على مدى ٥٠ شهراً الماضية:

جدول (١) قيم ايرادات

الإيرادات	التردد	الإحتمالية
200	4	4/50= 0.08
220	5	5/50=0.10
240	8	8/50= 0.16
260	15	15/50=0.30
280	12	12/50=0.24
300	6	6/50=0.12
الاجمالي	50	50/50=1.00

وبالإضافة إلى إستخدام البيانات المتاحة لحساب الإحتمالات، هنالك تقديرات إدارية مبنية على الخبرة، حيث يمكن إستخدامها في بناء إحتمالات المتغيرات. فمثلا استخدام عينة من المبيعات، أو أعطال الآلات، أو معدلات الخدمة، يمكن أن تستخدم في بناء توزيعات الإحتمالات لهذه المتغيرات، كما أن التوزيعات نفسها يمكن أن تكون تجريبية أو مبنية على أساس شائع ومعروف مثل التوزيع الطبيعي العادي أو توزيع ذي الحدين أو توزيع بواسون أو التوزيع الأسي ...الخ.

الخطوة الثانية:

إيجاد قيم محاكاة من التوزيع الإحتمالي، فبعد التعرف على التوزيع الإحتمالي للإيرادات، نستطيع محاكاة الإيرادات لشهور معينة، ولكي نقوم بمحاكاة الإيرادات لشهور معينة يلزمنا أن نتأكد مما يلي:

١. قيم الإيرادات الحقيقية هي 200،220،240،260،280،300.

٢. توجد فرصة %٨ ان تكون الإيرادات الشهرية 200، وفرصة %10 أن تكون الإيرادات الشهرية 220، وفرصة %16 أن تكون الإيرادات الشهرية 240، و%30 أن تكون الإيرادات الشهرية 360، و %24 أن تكون 280، وفرصة %12 أن تكون الإيرادات 300. وتعكس قيم التوقعات فقط السلوك الطويل المدى، أي اننا اذا قمنا بمحاكاة الإيرادات لعدد من الشهور(مئات أو آلاف) فإن الإيرادات ستكون 200 لنسبة %8 من الشهور بالضبط، و 220 لنسبة %10 من الشهور بالضبط ... الخ. وبناء على معرفتنا للتوزيع الإحتمالي يمكننا أيضا إستخدام هذه القيم الإحتمالية في حساب القيمة المتوقعة او المتوسطة للإيرادات كما يلي :

الإيرادات الشهرية المتوقعة = (الإيرادات × الإحتمال)$\sum$

$= (200)(0.08)+(220)(0.10)+(240)(0.16)+(260)(0.30)+(280)(0.24)+(300)(0.12) = 258$

أما في المدى القصير فإن الإيرادات قد تكون مختلفة بعض الشئ عن هذه القيم، فمثلا إذا قمنا بمحاكاة خمسة أشهرفقط، فإنه من الممكن ومن المنطقي أن تكون الإيرادات ٢٥٢ شهريا، وهو مختلف تماما عن القيمة 258 التي قمنا بحسابها من قبل، وبالتالي نحتاج إلى أن نتبع الخطوات التالية:

١. توليد القيم العشوائية التي لا تظهر نمطا محددا وذلك بالنسبة للمدى القصير.
٢. توليد القيم العشوائية التي تنطبق تماما على التوزيع المحتمل المطلوب وذلك على المدى البعيد، وبالتالي فان القيمة المتوقعة للإيرادات الشهرية تساوي 258.

الخطوة الثالثة:

كرر العملية لسلسلة من المحاولات حيث لا يمكن التسرع بوضع نتيجة محددة بالنسبة لإي نموذج محاكاة بعد عدد قليل من المحاولات، فمثلا بالرغم من أن الإيرادات الشهرية التي مقدارها ٢٥٨ فانه يبدو أننا سنحصل على قيم مختلفة للمتوسط الناتج عن المحاكاة القصيرة (اي لمدة زمنية قصيرة تتكون من شهور محددة)، وبالتالي فاننا نحتاج إلى إجراء آلاف المحاولات لنموذج المحاكاة (والذي يعرف باسم إعادة او تكرار التجربة) من أجل التوصل إلى نتائج ذات معنى مفيد.

٩- الدور الذي تلعبه الحاسبات في المحاكاة

بالرغم من أنه من الممكن إجراء عملية المحاكاة لمثال صغير بسيط يدويا، فإنه من الأنفع إلى حد كبير استخدام الحاسوب في عمليات المحاكاة لسهولة عملية توليد أرقام عشوائية، وباستخدام مولدات الأرقام العشوائية يمكن بسهولة الحصول على قيم محاكاة من توزيعات إحتمالية كثيرة باستخدام حزم برامج الحاسوب المستخدمة للتوزيعات، مثل توزيع بواسون أوالتوزيع الطبيعى اوتوزيع ذي الحدين اوالتوزيع الأسي، وتوجد دوال جاهزة في معظم برامج المحاكاة لمثل هذا الغرض.

ولكى نحصل على نتائج صحيحة ومفيدة لعملية المحاكاة، فإنه من المهم تكرار العملية مئات المرات (أو قد تكون آلاف المرات)، وهذا ما تلعبه الحاسبات فإنه من الممكن إجراء الآلاف من عمليات المحاكاة لمحاولة التوصل إلى النموذج في وقت لا يتجاوزعددا من الثواني في معظم حالات البرامج المستخدمة في الحاسوب لهذا الغرض.

وخلال عملية المحاكاة وبناءً على مدى تعقيد النموذج وطبيعته، قد نحتاج إلى أن نتتبع العديد من براميترات الإدخال وكذلك المخرجات الإحصائية، ومرة ثانية فإن عمل ذلك يدويا يعتبر شاقا ومملا ومضيعا للوقت، وعلى النقيض من ذلك فإنه من الممكن إجراء الآلاف من محاولات المحاكاة، وتتبع العديد من القياسات اللازمة بسهوله بالغة من خلال برامج الحاسوب.

١٠- انواع حزم برامج الحاسوب المستخدمة في المحاكاة:

توجد انواع من البرامج التي تستخدم في المساعدة على إنشاء وتشغيل نماذج المحاكاة بإستخدام الحاسب الآلي:

١. لغات البرمجة متعددة الاغراض مثل Visual Basic و ++C.
٢. لغات وبرامج المحاكاة ذات الأعرض الخاصة وتتضمن اللغات مثل GPSS/H وSimscrip II5 و SLAM II والبرامج مثل Extend و MicroSaint وBuildSim و Awe Sim و ProModel وXcell وبرنامج الكرة الكرستالية.
٣. نماذج صفحات الانتشار، فالقابلية الضمنية لتوليد الأرقام العشوائية واستخدامها لاختبار القيم من التوزيعيات الإحتمالية العديدة، يجعل صفحات الانتشار أداة ممتازة لتطبيقات المحاكاة، حيث تستخدم دالة RAND() لتوليد رقم عشوائي بين الصفر والواحد الصحيح (0.9999,0.0000).

١١- الارقام العشوائية

الرقم العشوائي هو الرقم الذي تم اختياره بواسطة عملية عشوائية كلية وتستخدم الأرقام العشوائية لتوليد قيم محاكاة من توزيعات إحتمالية كثيرة. وهنالك العديد من الطرق لتوليد الارقام العشوائية كطريقة التطابق الخطي، واستخدام جدوال الارقام العشوائية، أو استخدام دوال جاهزة لمثل هذا الغرض مثل الدالة Rand المستخدمة في كثير من لغات البرمجة.

١٢- التوزيع الإحتمالي

هو إعطاء كل مجال من الأعداد الحقيقية احتمالا معينا بحيث تتحقق فرضيات الاحتمال، ويعتبر التوزيع الاحتمالي حالة خاصة من مصطلح أكثر عمومية هو القياس الاحتمالي، وهوعبارة عن دالة تربط قيم الإحتمالات بمجموعات مقيسة من الفضاء المقاس، وكل متغير عشوائي ينشأ عنه توزيع إحتمالي يحتوي معظم المعلومات المهمة عن هذا المتغير. فاذا كان المتغير x متغيرا عشوائيا، فإن التوزيع الإحتمالي الموافق له ينسب للمجال [a,b] احتمالا، بمعنى أن احتمال أن يأخذ المتغير x قيمة ضمن المجال هي $\Pr[a \le x \le b]$.

١٢- ١ التوزيع المنتظم

نفرض اننا نريد نمذجة المتغير الذي يتبع توزيعا منتظما فيما بين a و b وأن جميع القيم بين العددين a، b متساوية تقريبا، فاذا كان المتغير يسمح بأخذ قيم كسرية بين a، b فيسمي التوزيع توزيعا مستمر، وعلى النقيض من ذلك اذا كانت القيم صحيحة فإننا نسمي هذا التوزيع توزيعا متقطع الانتظام. وللتوزيع المستمرنستخدم المعادلة التالية a + (b-a)*Rand() فمثلا اذا كانت a=3،b=9 فإن الدالة (9-3)Rand()

تولد أرقام عشوائية بين ٠.٠٠٠٠ و 5.9999 فإذا أضفنا الرقم 3 نحصل على قيمة عشوائية بين 3 و 8.9999، أما بالنسبة للتوزيع متقطع الانتظام فنستخدم المعادلة التالية (Int (a + (b-a)*Rand ()) ويمكن استخدام دالة أخرى (Randbetween (a,b حيث ان معظم لغات البرمجة توفر ميزة توليد الأرقام العشوائية، ونستطيع بواسطتها عمل دوال تقوم بمثل هذه المهام.

١٢- ٢ التوزيع الطبيعي او المعتاد

يعتبر التوزيع الطبيعي أحد التوزيعات الإحتمالية الأكثر إستخداما في نماذج المحاكاة، ويعرف التوزيع الطبيعي باثنين من البرامترات او المعلمات، المتوسط μ والتفاوت القياسي δ (او التباين δ^2)، ولمحاكاة القيم العشوائية من التوزيع الطبيعي بقيمة متوسطة μ وتفاوت قياسي (انحراف معياري) δ نستخدم معادلة برنامج الكرة الكريستالية التالية:

= CB.Normal(μ,δ)
= CB.Normal(30,5)

وسوف تقوم بتوليد قيم عشوائية من التوزيع الطبيعي بمتوسط 30 وتفاوت قياسي مقداره 5. فاذا كررنا هذه العملية عدة آلاف من المرات فان 50% من القيم ستكون اقل من 30 و 50%من القيم ستكون اكبر من 30 ونسبة 68.26% ستقع بين 25 و 35. كما يمكن استخدام دالة برنامج اكسل التالية للقيام بمثل هذا الغرض

$$= \text{NORMINV}(\text{RAND}(), \mu, \delta)$$

١٢- ٣ التوزيع الاسي

يعتبر التوزيع الأسي واسع الانتشار في تحليل ومحاكاة أنظمة الصفوف، ولمحاكاة قيمة عشوائية من توزيع أسي بمتوسط μ، أي ان متوسط الزمن بين حدثين متتاليين هو μ يمكن استخدام المعادلة التالية للقيام بذلك:

* LN (Rand ())μ - =

١٢- ٤ توزيع عام متقطع ذو نتيجتين(توزيع برنولي)

التوزيع العام المتقطع ذو النتيجتين أو قد يطلق عليه البعض توزيع برنولي ويستخدم في التجربة من النوع البسيط جداً وهي واحدة من التجارب التي تكون فيها فقط نتيجتان ممكنتا الحدوث، مثل ظهور الكتابة أَو الصورة، النجاح أَو الفشل، أَو قطع معيبة أَو غير معيبة. وهو مناسب لتحديد امكانية حدوث نتيجتين في مثل هذه التجارب، لنفرض ان عدد الاناث من السكان يمثل 45% فان هذا يشير إلى اننا اذا اخترنا شخصا بطريقة عشوائية فان هذا الشخص تكون نسبة كونه أنثى 45% وبالتالي فان احتمال ان يكون الشخص ذكرا هي 55% ولمحاكاة هذا الاختيار فيمكن استخدام هذه المعادلة

=IF (Rand () <0.45,"Famale","Male")

ويمكن استخدام الرقم 1 للانثى والرقم 2 للذكروسوف تصبح المعادلة كالتالي

= IF (Rand () < 0.45, 1, 2)

فاذا كررنا المحاكاة لعدد كاف من المرات فان الفاصل بين الذكر والانثى سوف يكون هو نفسه بغض النظرعن كيفية بناء الدالة IF، أي ان النتيجة طويلة المدى ستكون 45% أنثى و 55% ذكر.

١٢– ٥ توزيع عام متقطع له أكثر من نتيجتتن

يعتبر هذا التوزيع من التوزيعات المهمة في الحياة العملية وكمثال لهذا التوزيع الإيرادات المتوقعة للقيم 300،320،340،360،380،400 والواردة في الجدول رقم (١)

وبعكس التوزيع المنتظم المتقطع، فان نسب احتمالات الطلب ليست واحدة من حيث القيمة، ولهذا يسمى هذا النوع من التوزيعات (بالتوزيعات العامة المتقطعة)، ويمكن استخدام دوال Nested IF اي الدوال IF المتداخلة لنمذجة هذا التوزيع.

جدول (٢) محاكاة القيم العشوائية للتوزيع العام المتقطع الذي له اكثر من نتيجتين

الحد الادني	الحد الاعلى	الايرادات	الحد الاعلى	الحد الادني	الاحتمالية
0.00	0.05	300	0.05	0.00	0.05
0.05	0.15	320	0.15	0.05	0.10
0.15	0.35	340	0.35	0.15	0.20
0.35	0.65	360	0.65	0.35	0.30
0.65	0.90	380	0.90	0.65	0.25
0.90	1.00	400	1.00	0.90	0.10
العدد العشوائي		0.715			
محاكاة الايرادات		380			

وفكرة عمل دالة البحث للتوزيع الذي له أكثر من نتيجتين هي كالتالي: نرتب قيم الإيرادات بترتيب تصاعدي في حقل(عمود) من الجدول، ونضع قيم الإحتمالات لكل قيمة ايرادات في عمود اخر، ونستخدم الدالة Rand() لتوليد أرقام عشوائية مستمرة بين القيمة 0.00٠٠ والقيمة 0.9999 وتقوم الدالة بالبحث عن قيمة الإيرادات المناظرة للقيمة المولدة بواسطة الدالة العشوائية، وهي القيمة التي يراد محاكاتها للإيرادات. يوضح الجدول (٣) تلخيص للدوال المستخدمة لتوليد قيم من التوزيعات الإحتمالية بإستخدام برنامج

Crystal Ball او برنامج الكرة الكرستالية، كما يمكن عمل دوال لمثل هذا الغرض في معظم لغات البرمجة [رندر و من معه، ٢٠٠٧]

١٢- ٦ توزيع عام متقطع ذو نتيجتن(توزيع برنولي)

التوزيع العام المتقطع ذو النتيجتين أو قد يطلق عليه البعض توزيع برنولي ويستخدم في التجربة من النوع البسيط جداً وهي واحدة من التجارب التي تكون فيها فقط نتيجتان ممكنتا الحدوث، مثل ظهور الكتابة أَو الصورة، النجاح أَو الفشل، أَو قطع معيبة أَو غير معيبة. وهو مناسب لتحديد امكانية حدوث نتيجتين في مثل هذه التجارب، لنفرض ان عدد الاناث من السكان يمثل 45% فان هذا يشير إلى اننا اذا اخترنا شخصا بطريقة عشوائية فان هذا الشخص تكون نسبة كونه أنثى 45% وبالتالي فان احتمال ان يكون الشخص ذكرا هي 55% ولمحاكاة هذا الاختيار فيمكن استخدام هذه المعادلة

=IF (Rand () <0.45,"Famale","Male")

ويمكن استخدام الرقم 1 للانثى والرقم 2 للذكروسوف تصبح المعادلة كالتالي

= IF (Rand () < 0.45, 1, 2)

فاذا كررنا المحاكاة لعدد كاف من المرات فان الفاصل بين الذكر والانثى سوف يكون هو نفسه بغض النظرعن كيفية بناء الدالة IF، أي ان النتيجة طويلة المدى ستكون 45% أنثى و 55% ذكر.

١٢- ٧ توزيع عام متقطع له أكثر من نتيجتن

يعتبر هذا التوزيع من التوزيعات المهمة في الحياة العملية وكمثال لهذا التوزيع الإيرادات المتوقعة للقيم 300،320،340،360،380،400 والواردة في الجدول رقم (١)

وبعكس التوزيع المنتظم المتقطع، فان نسب احتمالات الطلب ليست واحدة من حيث القيمة، ولهذا يسمى هذا النوع من التوزيعات (بالتوزيعات العامة المتقطعة)، ويمكن استخدام دوال Nested IF اي الدوال IF المتداخلة لنمذجة هذا التوزيع.

جدول (٢) محاكاة القيم العشوائية للتوزيع العام المتقطع الذي له اكثر من نتيجتين

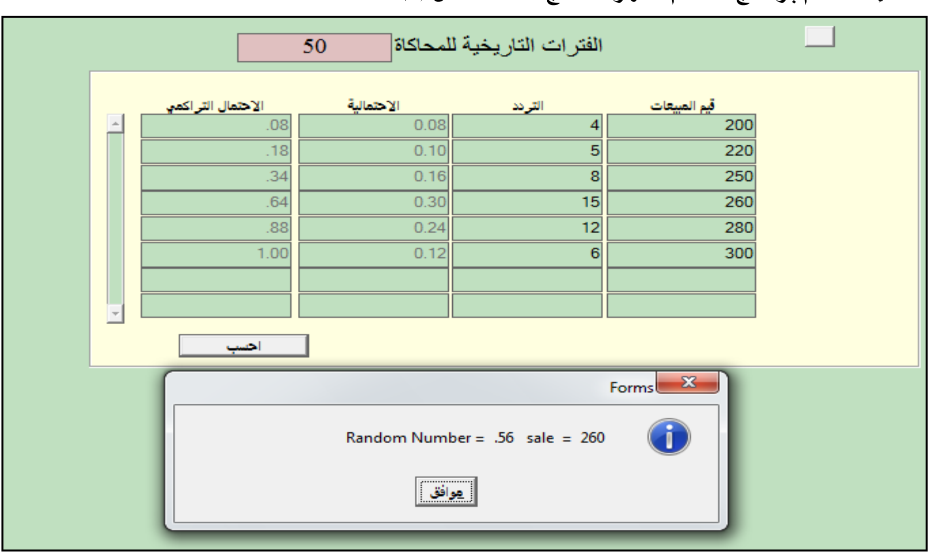
الحد الادني	الحد الاعلى	الايرادات	الحد الاعلى	الحد الادني	الاحتمالية
0.00	0.05	300	0.05	0.00	0.05
0.05	0.15	320	0.15	0.05	0.10
0.15	0.35	340	0.35	0.15	0.20
0.35	0.65	360	0.65	0.35	0.30
0.65	0.90	380	0.90	0.65	0.25
0.90	1.00	400	1.00	0.90	0.10
العدد العشوائي		0.715			
محاكاة الايرادات		380			

وفكرة عمل دالة البحث للتوزيع الذي له أكثر من نتيجتين هي كالتالي: نرتب قيم الإيرادات بترتيب تصاعدي في حقل(عمود) من الجدول، ونضع قيم الإحتمالات لكل قيمة ايرادات في عمود اخر، ونستخدم الدالة Rand() لتوليد أرقام عشوائية مستمرة بين القيمة ٠٠.0.00 والقيمة 0.9999 وتقوم الدالة بالبحث عن قيمة الإيرادات المناظرة للقيمة المولدة بواسطة الدالة العشوائية، وهي القيمة التي يراد محاكاتها للإيرادات. يوضح الجدول (٣) تلخيص للدوال المستخدمة لتوليد قيم من التوزيعات الإحتمالية بإستخدام برنامج Crystal Ball او برنامج الكرة الكرستالية، كما يمكن عمل دوال لمثل هذا الغرض في معظم لغات البرمجة [رندر و من معه، ٢٠٠٧]

جدول (٣) دوال برنامج الكرة الكرستالية لتوليد قيم عشوائية من التوزيعات الاحتمالية المختلفة

توزيع منتظم مستمر بين a,b	=CB.Uniform(a,b)
توزيع طبيعي بمتوسط μ وانحراف δ	=CB.Normal(μ,δ)
توزيع ذو حدين احتمالية النجاح p وعدد المحاولات n	=CB.Binomal(p,n)
توزيع اسي بمتوسط μ	=CB.Exponential(μ)
توزيع بواسون بمتوسط ƛ	=CB.Poisson(ƛ)
التوزيع المثلثي القيم الدنيا a والقيم المعتدلة b والقيم العطمى c	=CB.Triangular(a,b,c)

وفي حالة إستخدام برنامج النظام تظهر النتائج كما الشكل (٣):



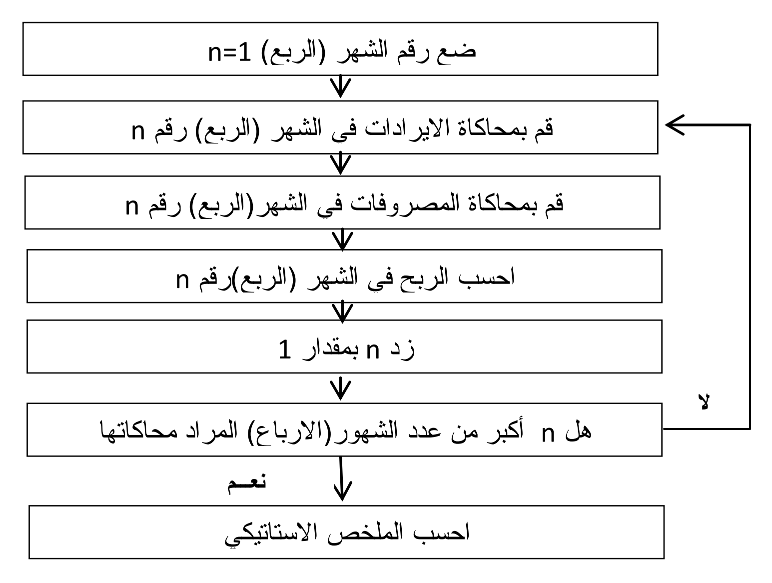
شكل (٣) شاشة تقدير المبيعات باستخدام البيانات التاريخية

١- إستخدام نماذج المحاكاة في تقدير الربح المتوقع لمبيعات النظام المحاسبي لشركة يمن سوفت

تعتبر كل من قيمة المبيعات للنظام المحاسبي المتكامل لشركة يمن سوفت كلها قيم احتمالية تعتمد على عوامل مختلفة (حجم منشأة العميل، وطبيعة السوق، والعديد من العوامل الاخرى التي ترافق عملية البيع)، بالمقابل هنالك مصروفات تأخذ قيم احتمالية تتحملها الشركة حتى تتم عملية البيع (مواصلات، ومرتبات

لموظفين قسم التسويق والمبيعات، وكذلك الاعلانات ومصروفات التدريب والتنفيذ للنظام ...الخ)، وبالمجمل تعتبر ادارة الشركة أن المبيعات لهذا النظام حسب البيانات التاريخية تتبع توزيع منتظم يتراوح بين 69330،4250 في الأرباع العشرة السابقة وان تكلفة بيع هذا النظام في نفس الفترة تتبع توزيع منتظم كذلك بين ٢٥٠٠٠،٢٠٠٠٠. تم التقدير بالاعتماد على الارباع السنوية بدلا من الشهور نسبة لرؤية الادارة في ان عملية البيع والاتصال والتسويق للعميل تاخذ فترة زمنية متوسطها ثلاثة أشهر في الغالب.

والان دعنا نجري المحاكاة باستخدام هذه المعلومات ونحسب متوسط الربح الشهري. نستطيع صياغة نموذج المحاكاة لحساب الربح بناء على المعطيات السابقة من خلال الشكل (٤).



شكل (٤) نموذج المحاكاة لحساب الربح للنظام

يمثل العمود الاول قيمة المبيعات الفعلية للنظام المحاسبي للشركة في الارباع السنوية، ويمثل العمود الثاني من الجدول التكلفة الفعلية التي تتحملها الشركة في كل ربع من ارباع السنة، بينما يمثل العمود الثالث محاكاة المبيعات باستخدام الدالة التالية (Randbetween (4250, 69330 بمعني تتبع المبيعات توزيع منتظم يتراوح بين 69330،4250، ويمثل العمود الرابع محاكاة التكلفة باستخدام دالة مماثلة (Randbetween (20000, 25000، اما العمود الاخير في الجدول فيمثل قيمة الربح او الخسارة للنظام المباع.

جدول (٤) قيم المحاكاة لنموذج حساب الربح المتوقع من مبيعات النظام المحاسبي لشركة يمن سوفت

الربع	قيمة المبيعات الفعلية	تكلفة المبيعات	التنبؤ بالمبيعات	التنبؤ بالتكلفة	الربح/ الخسارة
1	11900	22000	56042	20882	35160
2	22220	23000	26816	20521	6295
3	12113	22500	68756	24290	44466
4	4250	20150	18610	21276	-2666
5	14750	24600	31161	20359	10802
6	69330	24950	63008	20621	42387
7	56270	20158	20604	21486	-882
8	15305	22870	31757	20163	11594
9	10625	24780	56068	22885	33183
10	20400	20510	59938	23154	36784

وعند استخدام النظام وتكرار نموذج المحاكاة لعدد ١٠٠ مرة تظهر البيانات كما في الشكل(٥) حيث تم اخفاء بعض الصفوف بسبب طول التقرير.

شكل(٥) تقرير النظام لنموذج المحاكاة لحساب الربح المتوقع

Ser	Sales	Cost	Diff	Description
1	57,289.00	21,292.00	35,997.00	Profit
2	29,331.00	22,817.00	6,514.00	Profit
3	52,007.00	24,842.00	27,165.00	Profit
4	37,227.00	24,635.00	12,592.00	Profit
5	48,108.00	21,899.00	26,209.00	Profit
6	42,297.00	22,491.00	19,806.00	Profit
7	54,732.00	24,047.00	30,685.00	Profit
8	50,868.00	22,924.00	27,944.00	Profit
9	62,577.00	21,861.00	40,716.00	Profit
10	46,759.00	24,486.00	22,273.00	Profit
11	68,980.00	24,283.00	44,697.00	Profit
12	64,174.00	24,441.00	39,733.00	Profit
13	17,536.00	23,034.00	-5,498.00	Loss
14	11,467.00	23,427.00	-11,960.00	Loss
15	18,625.00	23,054.00	-4,429.00	Loss
16	7,065.00	23,953.00	-16,888.00	Loss
90	30,713.00	21,513.00	9,200.00	Profit
91	55,199.00	24,224.00	30,975.00	Profit
92	17,298.00	21,479.00	-4,181.00	Loss
93	25,131.00	24,566.00	565.00	Profit
94	39,054.00	21,378.00	17,676.00	Profit
95	34,783.00	22,306.00	12,477.00	Profit
96	27,206.00	21,699.00	5,507.00	Profit
97	29,938.00	24,688.00	5,250.00	Profit
98	18,131.00	23,760.00	-5,629.00	Loss
99	47,115.00	23,556.00	23,559.00	Profit
100	65,996.00	24,407.00	41,589.00	Profit

Sum : 1518246   Avg :   15182.46   Variance : 357,687,399.62 Std :   18,912.

Probability that Profit :   71%

١٣- ١ تكرار نموذج المحاكاة

لكي نحسب متوسط الربح نحتاج إلى تكرار نموذج المحاكاة عدة آلاف من المرات، فعند تكرار النموذج السابق لعدد ١٠٠ مرة فقط، كان متوسط الربح ١٥١٨٢.٤٦ وكان الانحراف عن المتوسط لقيم الربح الشهري . ١٨٩١٢.٦٣

١٣- ٢ تحليل نتائج نموذج المحاكاة

ان القيم الناتجة من نموذج المحاكاة يمكن ان نستخلص منها الإحصائيات التالية:

متوسط الربح لعدد مرات التكرار، والانحراف المعياري لهذه القيم عن المتوسط، والعديد من المقاييس الاخرى للأداء. فمثلا يمكن ان نفرض ان الشركة لكي تستمر في نشاطها لبيع هذا المنتج فإنها تحتاج إلى الحصول على ربح شهري أو ربعي يقدر بمبلغ محدد لا يقل عن هذا المبلغ فما هي نسبة احتمال الحصول على هذا الربح؟ ويستطيع نماذج المحاكاة الإجابة على مثل هذا التساؤل، حيث يتم اولا حساب عدد مرات المحاكاة التي تزيد فيها القيمة عن العدد المحدد، بواسطة داله معدة لذلك، وبعد ذلك يتم قسمة هذا العدد على العدد الكلي لكي نحصل على فرصة الحصول على ربح يتعدى هذا المبلغ، وبنفس الطريقة أيضا يمكن حساب إحتمال الخطر والذي عنده تضطر الموسسة لكي تتوقف عن ممارسة هذا النشاط، وهو عدد الشهور(الارباع) التي قيمتها اقل من مستوى الخطر، مما يعطي مؤشر عن مدى استمرار الشركة في نشاطها ام لا.

Average(Diff)	Average Profit =
Stdev(Diff)	Standard Deviation Of Profit =
Countif (Diff; 4000)	Number Of Months With Profit >= 4000
SUM(Diff)/ COUNTIF(Diff; 4000)	Percent of months with Profit >= 4000

ويمكن من خلال البرنامج تحديد عدد المتغيرات الداخلة في النموذج، وتحديد التوزيع الإحتمالي لهذه المتغيرات، ومن ثم دراسة العلاقة بين هذه المتغيرات وصياغة النموذج بشكل يتناسب مع رؤية متخذي القرار، وتصدير مخرجات برنامج المحاكاة إلى الاكسل لدراسة تلك العلاقة كما يظهر ذلك في الشكل (٦):



شكل (٦) شاشة النظام لتحديد عدد المتغيرات الداخلة في النموذج وتحديد التوزيع الاحتمالي المناسب لها

١٣- دراسة تطبيقية

تم تقدير الإيرادات والمصروفات لشركة يمن سوفت للأنظمة والإستشارات المحدودة من خلال البرنامج، ووجد على سبيل المثال القيمة المتوقعة لمبيعات أحد الأنظمة ١١٧٠٠٠، خلال الستين شهرا الماضية، وان محاكاة مبلغ المبيعات للشهر القادم ١١٦٠٠ وهي قريبة من البيانات الفعلية، كما تم تقدير أحد بنود المصروفات (المرتبات والاجور) خلال نفس الفترة وكانت القيمة المتوقعة لهذا البند ١٧٦١٧ وكانت قيمة المحاكاة للشهر القادم ١٧٠٩٠ وكلها نتائج قريبة من الواقع، وقد تم التحقق من صحة البيانات في الاشهر القادمة بما يؤكد توافق وتقارب مخرجات النظام مع البيانات الفعلية، مما يؤكد اهمية استخدام هذا البرنامج للمؤسسات العامة والخاصة على حدٍ سواء، خاصة إذا تمت صياغة النموذج بشكل جيد، واستبعاد القيم الشاذة من البيانات التاريخية. تم ببناء نموذج محاكاة لتقدير بند مصروفات الضيافة لشركة يمن سوفت باستخدام التوزيع الطبيعي والتوزيع المنتظم ومقارنة نتائجهما مع نتائج تقدير نماذج السلاسل الزمنية لمدة عشرين شهرا، وتم حساب خطأ التقدير لنماذج المحاكاة باستخدام التوزيع الطبيعي او التوزيع المنتظم وخطا التقدير بواسطة السلاسل الزمنية لمدة عشرين شهرا.

اولا باستخدام السلاسل الزمنية فان معادلة السلسلة الزمنية تحسب كالتالي بعد ايجاد معادلة السلسلة الزمنية

$$y = 351.32 + (1.26 * x)$$

حيث تم حساب معاملات السلسلة الزمنية باستخدام طريقة المربعات الصغرى كالتالي:

$$b_0 = \bar{y} - b_1 \bar{x}, \quad b_1 = \frac{\sum \frac{xy}{n} - \bar{x} \times \bar{y}}{s^2_x}$$

ويمكن محاكاة التوزيع الطبيعي لبند الضيافة باستخدام معادلة برنامج اكسل التالية:

(NORMINV(RAND(),364.5, 27.39 حيث ان (NORMINV(RAND(),364.5, 27.39 تقوم بتوليد قيم لبند الضيافة تتبع التوزيع الطبيعي بالمتوسط ٣٦٤.٤ وانحراف معياري ٢٧.٣٩

جدول(٦) التنبؤ بمصروف الضيافة للشركة باستخدام نماذج المحاكاة للتوزيع الطبيعي والسلاسل الزمنية

خطا التقدير لنموج المحاكاة	خطأ التقدير للسلسلة الزمنية	مربع الانحراف المحاكاة	مربع نحراف السلسلة	التقديرىمحا كاة التوزيع الطبيعى	التقدير بالسلاسل الزمنية	مصروف الضيافة
22.35	17.53	9,889.72	2,764.66	367.06	352.58	300.00
97.84	96.58	26,396.28	30,220.35	356.11	353.84	180.00
32.40	38.78	30,629.01	50,580.01	392.07	355.10	580.00
5.32	3.69	355.28	186.05	350.31	356.36	370.00
28.18	22.26	10,826.93	10,481.66	330.35	357.62	460.00
19.68	20.25	5,228.37	8,302.85	361.44	358.88	450.00
3.70	2.90	1,111.22	102.82	362.96	360.14	350.00
9.28	3.26	5.33	129.96	382.47	361.40	350.00
12.41	19.41	1,709.08	7,628.28	394.16	362.66	450.00
29.88	27.22	12,460.87	18,517.77	350.58	363.92	500.00
63.56	82.59	42,720.75	27,284.43	327.13	365.18	200.00
70.67	83.22	24,553.49	27,702.27	341.34	366.44	200.00
84.80	83.85	19,582.21	28,123.29	369.60	367.70	200.00
84.10	84.48	33,405.09	28,547.48	368.19	368.96	200.00
22.19	23.41	5,934.18	4,930.85	366.58	370.22	300.00
4.74	7.13	4,165.64	813.39	381.06	371.48	400.00
12.78	6.82	2,947.26	743.11	348.88	372.74	400.00
32.71	32.00	35,740.76	30,976.00	370.07	374.00	550.00
5.89	6.19	298.98	612.07	376.43	375.26	400.00
23.72	25.51	78.21	5,855.31	371.17	376.52	300.00
666.23	687.03	268,038.66	284,502.60	Total		
33.31	34.35			MSE		

نلاحظ في جدول (٦) أن خطأ التقدير باستخدام نموذج المحاكاة في أحد دورات المحاكاة ٣٣.٣١ وهو اقل من خطا التقدير بواسطة السلاسل الزمنية والذي يساوي ٣٤.٣٥ حيث MSE(Mean Square Error) متوسط مربع الخطأ يحسب كالتالي: $MSE = \frac{1}{n}\sum_{t=1}^{n} e_t^2$ ،

$$MSE = \sum_{t=1}^{T} \left| ForcatError \right|^2 / T = \sum_{t=1}^{T} | A_t - F_t |^2 / T$$

و متوسط نسبة الخطا المطلق يحسب وفق المعادلة التالية:

$$MAPE = \frac{1}{n}\sum_{t=1}^{n} \left| \frac{X_t - \hat{X}_t}{X_t} * (100) \right|$$

وفي الحالتين يعتبر تقدير الخطأ بالنسبة لنموذج المحاكاة في هذه الدورة من المحاكاة (لان نتائج المحاكاة تتغير في كل دورة محاكاة لانها تعتمد على متغيرات عشوائية)، أقل من خطأ التنبؤ بالنسبة لمعادلة السلسلة الزمنية. وبالمثل تم تقدير مبيعات النظام المحاسبي المتكامل لشركة يمن سوفت خلال اربع الخمس السنوات السابقة كما في جدول (٧).

جدول(٧) مبيعات النظام المحاسبي الربع سنوية للشركة خلال ٥ سنوات

مبيعات النظام	الارباع	التوقع بالسلاسل الزمنية	المحاكاة بالتوزيع المنتظم	المحاكاة التوزيع الطبيعي	MAPE	MAPE3	MAPE3
78840	1	57832.8	48141	30,167.655	0.266	0.617	0.389
58620	2	55688.9	50105	31,599.355	0.050	0.461	0.145
83000	3	53545	51912	39,377.134	0.355	0.526	0.375
33290	4	51401.1	14674	37,322.758	0.544	0.121	0.559
24400	5	49257.2	14128	43,025.174	1.019	0.763	0.421
37145	6	47113.3	67660	46,859.594	0.268	0.262	0.822
90705	7	44969.4	62346	43,265.107	0.504	0.523	0.313
23694	8	42825.5	45976	33,206.605	0.807	0.401	0.940
19890	9	40681.6	23100	44,160.244	1.045	1.220	0.161
36860	10	38537.7	26300	36,219.214	0.046	0.017	0.286
11900	11	36393.8	36666	51,839.220	2.058	3.356	2.081
22220	12	34249.9	31187	31,032.973	0.541	0.397	0.404
12113	13	32106	27306	29,411.958	1.651	1.428	1.254
14750	15	27818.2	26358	30,022.954	0.886	1.035	0.787
69330	16	25674.3	44249	34,096.418	0.630	0.508	0.362
56270	17	23530.4	37432	39,903.899	0.582	0.291	0.335
15305	18	21386.5	25276	41,894.990	0.397	1.737	0.651
10625	19	19242.6	28080	29,438.322	0.811	1.771	1.643
20400	20	17098.7	20070	37,238.801	0.162	0.825	0.016
				Total	12.622	16.260	11.944

وبالمثل تقدم نموذج المحاكاة في احد دورات تكرار النموذج باستخدام التوزيع المنتظم وذلك لان نسبة خطأ التقدير اقل من خطأ التقدير في نموذج السلسلة الزمنية في حين كانت قيمة الخطأ بالنسبة لمعادلة السلسلة

الزمنية اقل من نموذج المحاكاة باستخدام التوزيع الطبيعي، حيث ان MAPE بالنسبة لنموذج المحاكاة باستخدام التوزيع المنتظم كانت ١١.٩٤، بينما كانت نسبة خطأ التقدير لنموذج المحاكاة باستخدام التوزيع الطبيعي ١٦.٣ في حين كانت قيمة نسبة الخطأ لنموذج السلسلة الزمنية ١٢.٦ كما يظهر في الجدول (٧).

١٤- مميزات النظام

١- إستخدام نماذج المحاكاة في التنبؤ والتقدير يعطي نتائج مفيدة وسريعة عن المستقبل.

٢- يستطيع متخذ القرار أن يحدد سنوات المحاكاة بما يراه مناسبا حسب طبيعة وظروف المؤسسة (المزج بين البيانات المتاحة والرؤية الشخصية لمتخذ القرار).

٣- يمكن أن يكون التقدير والتنبؤ سنوي حسب السنوات، أو شهري حسب الشهور(من شهر إلى شهر) إذا كان تقديرالبنود حسب الشهور افضل.

٤- يمكن تحديد التوزيع الإحتمالي المناسب لمحاكاة المتغيرات حسب رؤية متخذ القرار.

٥- يستطيع التنبؤ ببند واحد أو اكثر من بنود الموازنة التقديرية وايجاد العلاقة فيما بينها، فمثلا يمكن محاكاة المبيعات فقط، او محاكاة الإيرادات والمصرفات، وايجاد مؤشر الربح أوالخسارة.

٦- سهولة بناء النموذج الإحتمالي والمقارنة بين التوزيعات الإحتمالي لمعرفة اي من التوزيعات اكثر ملائمة من الاخر.

٧- يستطيع النظام ان يقدم بعض مؤشرات الأداء للمؤسسات ويساعد في ايجاد دلالة عن مدى استمرار المؤسسة في نشاطها ام لا.

٨- فى الواقع أن هنالك الكثير من المشكلات التنظيمية التى لا تجد الدعم الكامل من النظام، بل إن الحل الناجح لها يتطلب استخدام تقنيات أخرى مساعدة مثل برامج الجداول الالكترونية والحزم الاحصائية، وقد تم عمل تصدير لكل تقارير النظام إلى برنامج الاكسل مباشرة للاستفادة من الخدمات التي تقدمها تلك البرامج.

١٥- خاتمة

اوضحت الورقة أن استخدام نماذج المحاكاة يعتبر من الطرق الهامة في التقديرلأي بند من بنود الموازنة التقديرية، وتكون هذه التقديرات مبنية على أُسس علمية تكون اكثر منطقية وقبولا، والتي تساعد في اتخاذ القرارت إلى جانب عمل التنبؤات. التنبؤ باستخدام نماذج المحاكاة يعطي تقديرا مناسباً ومنطقيا، فهو ان لم يوصل إلى الحقيقة بعينها فهو موفق إلى حد كبير للتوصل إلى مؤشرات ذات دلالة لما سيكون عليه الوضع في المستقبل، خاصة اذا تم تحديد وصياغة نموذج المحاكاة للمشكلة بشكل دقيق، بالاضافة إلى ان استخدام النظام يمكننا من مطاوعة نموذج المحاكاة من خلال الاجابة على الاسئلة من نوعية (ماذا – اذا)، للوصول إلى شكل شبه حقيقي لما سيكون عليه الحال مستقبلا، ووضع سياسات وقرارت متعددة خلال دقائق من الزمن.

١٦- المراجع

١- امين بابكر عبد النبي، احمد صلاح الدين عبدالله، النمذجة والمحاكاة، منشورات جامعة السودان المفتوحة،٢٠١٠م، الطبعة الاولى.
٢- باري رندر، رالف ستير، ناجراج بالاكريشان، نمذجة القرارات وبحوث العمليات باستخدام صفحات الانتشار الالكترونية، تعريب مصطفى مصطفى موسى، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية ٢٠٠٧م.
٣- حسام بن محمد، أساسىات المحاكاة الحاسوبىة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٧م.
٤- حسام بن محمد رمضان، عبدالله بن محمد الضلعان، تطبيقات المحاكاة المحاسوبية في التخطيط والتدريب على ادارة الكوارث والازمات، ٢٠٠٣م، مجلة البحوث الامنية العدد ٢٢.
٥- صلاح الدين عبد الحميد عبد المطلب، كيفية الاستفادة من المحاكاة الحاسوبية في اعمال البحث والتحقيق الجنائي ٢٠٠٧م، مجلة البحوث الامنية العدد ٢٨.
٦- عبد العزيز محمود الامام، موازنة التخطيط كأداة للرقابة على الشركات العامة، دار المريخ للنشر، الرياض١٩٨٣م.
٧- يوسف الاسدي، الميزانيات التقديرية، الاكاديمية العربية المفتوحة الدنمارك ٢٠٠٨م.
٨- http://www.arab-api.org/course7/c7_4.htm date 20/06/20١٢
٩- http://vb1.alwazer.com/t37135.html date 23/10/2011

Title : Using Simulation Models to predict the budget for Business

Abstract

The simulation is a tool for analysis and design of complex systems, and using simulation models to avoid any problem that may face researcher at the testing of any real system, and simulation models are mathematical models represent and reflect all the characteristics and behavior of the real system to identify the potential impacts of special resolutions expected for the future. The simulation means mimic something, and finding similar or instance of thing, but modeling it means miniature model of the original, and the study of modeling and simulation enables Note the effect of changes in the behavior of systems, where it can be through this study to improve the system, or discover the point of power, or weaknesses. Simulation is still the primary method used to obtain information about the probabilistic systems. The prediction is the most important topics of concern to every human and decision makers, everyone works under conditions of uncertainty, and the need to predict which is the basis for the planning and control of changes could occur in the future. The simulation tools for the analysis and data processing, to predict and to reach almost certain indicators of what would be the situation in the future, and find alternatives, and the choice between the alternatives available to reach the optimal alternative in the decision-making process.

The paper aims to describe the system used simulation models as a means to predict the estimated budget for the business, where the system will predict and simulate of the variables to be studied based on historical data and probability distribution models, then predict the estimated budget item.

Keywords : Simulation, Forecasting, Random Number, Random Variable, Probability Distribution ,Model, Forecast Error.

١٧- جدول الالفاظ

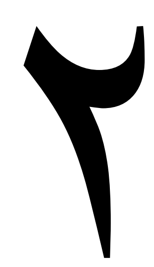
Budget	ميزانية
Simulation	محاكاة
Random Variable	المتغير العشوائي
Probability Distribution	التوزيع الاحتمالي
Static Model	النماذج الثابتة
Dynamic Model	النماذج المتحركة
Stochastic Model	النماذج العشوائية
Deterministic Model	النماذج المحددة
Continuous Model	النماذج المستمرة
Discrete Model	النماذج المتقطعة
Forecasting	التنبؤ
Model	نموذج
Monte Carlo Simulation	محاكاة مونت كارلو
Uniform distribution	التوزيع المنتظم
Normal Distribution	التوزيع الطبيعي
Exponential Distribution	التوزيع الاسي
General Discrete Distribution With Two Outcomes	توزيع عام متقطع ذو نتيجتين
General Discrete Distribution With More Than Two Outcomes	توزيع عام متقطع له اكثر من نتيجة
General Discrete Distribution	التوزيعات العامة المتقطعة
Forecast Error	خطأ التقدير والتنبؤ

البعد البلاغي في شعر جرير الهجائي (دراسة بلاغية نقدية)

د/ عبدالكريم حسين رعدان

نائب عميد كلية التربية-سقطرة

جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا



الملخص

تفرد هجاء جرير عن غيره بميزتين عامة وخاصة: أما العامة فهي الرعاية الرسمية من قبل الخلفاء والأمراء لفن الهجاء المعروف بفن النقائض عموماً، وأما الخاصة فإن جريرا كان يقف لوحده أمام جيش كبير من الشعراء الخصوم المهاجمين وهو في موقف الدفاع والرد.

ولقد حار النقاد في الحكم على شعر جرير وتفضيله، فبعضهم يرى أن شعر جرير هو ذلك الشعر السهل في ألفاظه الميسور في معانيه ودلالاته وهو ما جعله سائراً متمكناً في وجدان العامة، لكن هذا الرأي إذا سلمنا بصوابه لا يمنع اهتمام الخاصة به ومتابعتهم له تماما كما هو حظ غيره من الشعراء الأقران.

والقارئ لشعر جرير والذي غلب عليه موضوع الهجاء والمهاجاة يجده ذا لغة متينة وقوية بعيدة عن الإغراب إلى حد كبير، وتميز أسلوب جرير بتوجيهالخطاب مباشرة نحو المخاطب المهجو وحفل شعره بصور بلاغية قائمة على التشبيهات والاستعارات وبعض الكنايات، كماعتمد على مصطلحات ومسميات مكروهة وظفها في هجائه تجاه الخصوم، حتى إنه وصل في بعض الأحيان إلى حالة الفحش والإقذاع والإيلام.

ورغم ذلك يبقى الهجاء في تلك الفترة ومنه هجاء جرير نوعاً من العمل الفني المحترف لا يثير الخصومات كتلك التي كان يثيرها الهجاء في العصر الجاهلي.

مقدمة

الهجاء مصطلح مخيف -كان -بالنسبة لمن عاشوا في أزمان الأدب العربي القديم، أما نحن اليوم فهو - لدينا -غرض من أغراض الشعر التقليدية، ندرسه ضمن فنيات وأطر بحثية نقدية وتأريخية وغيرها.

فقد كان الهجاء -في وعي من أنتجه وتلقاه -واحداً من أدوات الصراع الفتاكة في المجتمعات العربية وخاصة في العصر الجاهلي، وامتد إلى العصر الإسلامي واُستخدم في المواجهات الدائرة بين المسلمين والمشركين إبان إنطلاق الدعوة الإسلامية من قبل الطرفين، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله لحسان بن ثابت في غزوة أحد: "أهجهم فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام، في غلس الظلام، أهجهم ومعك جبريل روح القدس، والفَ أبا بكر يعلمك تلك الهنَّات"[1]. والهنَّات هي العيوب والمثالب التي كان يعرفها أبو بكر في أنساب قريش وأخبارهم.

ولعل شعر الهجاء أقدر من غيره من موضوعات وأغراض الشعر الأخرى في امتلاكه مقومات حفظه وروايته ومن ثم تدوينه، إذ يمتلك عنصر السخرية والتندر فيجعل المتلقي مشدوداً ومنجذباً لمتابعة ما يحويه من النقد الفردي أو الاجتماعي اللاذع.

وهذه الدراسة تقف -بصورة معمقة – على جزئية ربما غابت عن الكثير وهي البعد البلاغي في مهاجاة جرير، وبيان الأثر الذي جعل جرير يتفوق على أقرانه في فن الهجاء، وما أحدثه من دوي وفاعليه في التأثير النفسي والاجتماعي فاق كل تصور.

فيذكر النقاد القدماء أن شعر جرير كان ذا سيرورة وانتشار بين العامة أكثر منه بين الخاصة، وهو ما جعلهم يفضلون الفرزدق لسيرورة شعره بين الخاصة، إلا أن هذا الحكم غير دقيق، فالواقع يؤكد أن أشعار جرير والفرزدق ومعهما الأخطل -وخاصة في تلك النقائض التي دارت رحاها بينهم -كان الخلفاء وعلْيَة القوم وخاصتهم يتلقونها لحظة بلحظة، ولم يغب عنهم منها شيء، وما يفتأون يسألون عن كل بيت قاله كل من هؤلاء الشعراء الثلاثة، ويبدون عليه ملاحظاتهم، حتى إنه"لما بلغ عبد الملك بن مروان قول جرير:

هــذا ابــن عمِّــي في دِمَشْــق خليفــةً ... لــو شــئتُ ســاقكُم إلــيّ قَطينــا

قال ما زاد ابن المراغة على أن جعلني شرطيا أما إنه لو قال:

(لو شاء ساقكم إليّ قطينا) لسقتهم إليه كما قال"[2]. وأخبار كثيرة مماثلة في هذا الصدد.

---

(١) سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ج٨، ص٦٣. وسنن أبي داود، رقم الحديث(٥٠١٥).

(٢) الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت،ج٨، ص٦٤، ٦٥.

بيد أن جريراً - في تقديري - كان أكثر حظوة من صاحبيه في اهتمام العامة بشعره وتناقله وحفظه أكثر من اهتمامهم بشعر صاحبيه، ويتضح بذلك قولهم[٣] بأن أهجى بيت قالته العرب في الإسلام من غير فحش هو قول جرير:

فَغُضَّ الطَّرفَ إِنَّكَ مِن نُمَيرٍ فَلا كَعباً بَلَغتَ وَلا كِلابا

ثم إن سيرورة شعر جرير بين العامة تأكيد على قوته الهجائية، فتراهم يحفظونه ويتشافهون به تندراً بالمهجو، وإعجابا بما فيه من تشنيع ومعايب.

وعلى أية حال سيناقش هذا البحث في البداية على جرير وحياته الشعرية والظروف التي دفعت به إلى زمن أفناه في الصراع والمهاجاة، ثم يمر الحديث على المفهوم الأدبي للهجاء بصورة عجلى، ليتوقف النقاش بشيء من التأمل في لغة الهجاء لدى جرير وأسلوبه البلاغي، وأثر الهجاء وفاعليته، والتوقف مع نصين طويلين من نقائض الهجاء بالتحليل السريع.

وقد اعتمدت في إيراد معظم النصوص والاستشهادات الشعرية وضبطها على ديوان جرير الصادر عن دار صادر دون الإشارة إليها في الهامش نظراً لوفرتها وما عدا ذلك تمت الإشارة إليه في موضعه.

المفهوم الأدبي للهجاء

ينصرف الهجاء في مبناه اللفظي إلى السب والشتم والذم، وقد جاء في اللسان: "هَجاه يَهْجُوه هَجْواً وهِجاء وتَهْجاء، مدود: شتمه بالشِّعر، وهو خلاف المَدْح. قال الليث: هو الوَقِيعةُ في الأَشْعار"[٤].

والهجاء واحد من الأغراض والموضوعات الشعرية الأكثر جذباً للمتلقي بالمقارنة مع الأغراض الأخرى، ويأتي الهجاء مصاحباً للفخر، وقد يأتي مستقلاً عنه في القصائد والمقطوعات القصيرة. والهجاء هو "فصل المرء عن مجموع الخلق الحي الذي يؤلف قومية الجماعة، وتركه عضواً ميتاً يتواصفون ازدراءه"[٥]. فهو يُبنى -أي الهجاء- على ذكر المعايب والقبائح للأفراد أو القبيلة، بالطعن في الأنساب وإلصاق تهمة الجبن والبخل والتشنيع بالمهجو. وقد يكون ذلك اختلاقاً وأكاذيب.

وتوليد معاني الهجاء واختيار مفرداته قد لا تكون مستعصية على الشعراء "وقد قيل لشاعر: أنت لا تحسن الهجاء، فقال: بلى والله أتراني لا أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله"[٦].

---

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. للذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان -بيروت،الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م. ج٧، ص٤١.

(٤) لسان العرب،لابن منظور، دار صادر ، بيروت، الطبعة الأولى. مادة (هجا).

(٥) تاريخ آداب العرب، للرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م. ج ٣، ص٨١.

(٦) الأغاني، ج١، ص٣٣٠.

وفي كل العصور الأدبية وإلى اليوم مارس الشعراء فن الهجاء. فالعصر الجاهلي هو الفترة الذهبية للهجاء، حيث فاعليته النافذة وأثره الاجتماعي والنفسي، ويمكن أن نطلق عليه في تلك الفترة "بالهجاء المبكي". فأعراف المجتمع الجاهلي القائمة على الصرامة في العادات والصفات اللصيقة بالشخصية، لا تقبل الجرح أو التعرض والمس خاصة في جانب العرض والنسب والشجاعة والكرم، ولذلك كان للهجاء أثره البالغ المؤلم "ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء، وهذا من أول كرمها، كما بكى مخارق بن شهاب، وكما بكى علقمة بن علاثة، وكما بكى عبد الله بن جدعان" [٧].

ونرى قيس بن الحدادية يقول واصفاً اندفاع القوم في الحرب خوف مسبة الهجاء:

يُلَبّونَ في الحَربِ خَوفَ الهِجاءِ وَيَبرونَ أَعداءَهُم بِالحَرَب [٨].

وللهجاء طقوس خاصة، في النظم والأداء "فالشاعر كان إذا أراد الهجاء لبس حلة خاصة، ولعلها كحلل الكهان، وحلق رأسه وترك له ذؤابتين ودهن أحد شقي رأسه، وانتعل نعلًا واحدة، ونحن نعرف أن حلق الرأس كان من سننهم في الحج، وكأن شاعر الهجاء كان يتخذ نفس الشعائر التي يصنعها في حجه وأثناء دعائه لربه أو لأربابه، حتى تصيب لعناتُ هجائه خصومه بكل ما يمكن من ألوان الأذى وضروب النحس المستمر"[٩].

وقصائد الهجاء تمتاز عن غيرها بسرعة الذيوع والسيرورة، يلقيها الشاعر شفاهية فيتلقفها الرواة ومنهم إلى الناس، ولا يمكن أن يُحال بينها وبين الانتشار، حيث يتحول المتلقي إلى ملقٍ من جديد، وقد روي: أن عمير بن جعبل حين هجا قومه ندم على هجائه لهم ولكن بعد فوات الأوان، فقد انتشرت القصيدة في الآفاق وسمع بها القاصي والداني، يقول[١٠]:

ندمت على شتم العشيرة بعدما مضت واستتبت للرواة مذاهبه
فأصبحت لا أستطع دفعاً لما مضى كما لا يرد الدرّ في الضرع حالبه

ونتيجة لسرعة انتشار الهجاء " تجنَّب الأشراف مُمَازحة الشاعر، خوف لفظة تُسْمع منه مزحاً فتعود جداً"[١١].

يقول شوقي ضيف: "فالهجاء في الجاهلية كان لا يزال يُقْرَن بما كانت تقرن به لعناتهم الدينية الأولى من شعائر، ولعلهم من أجل ذلك كانوا يتطيرون منه ويتشاءمون ويحاولون التخلص من أذاه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا. ونحن نعرف أن الغزو والنهب كان دائرًا بينهم؛ غير أن المغيرين إن أغاروا ونهبوا إبلًا بينها إبل لشاعر، وتعرض لهم يتوعدهم بالهجاء اضطروا اضطرارًا إلى ردها أو على الأقل يردون ماله هو وإبله. يروي

(٧) الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ١٤١٦-بيروت لبنان،هـ -١٩٩٦م. ج١، ص٢٠٠.

(٨) الأغاني، ج١٤، ص١٤٨.

(٩) العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثامنة ص ١٩٧.

(١٠) الشعر والشعراء، لابن قتيبة، دار إحياء العلوم بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ص٤٣٨.

(١١) العمدة لابن رشيق، تحقيق: د. محمد قرقزان، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ج١، ص١٧٤.

الرواة أن الحارث بن ورقاء الأسدي أغار على عشيرة زهير، واستاق فيما استاق إبلًا له وغلامًا، فنظم زهير أبياتًا يتوعده بالهجاء المقذع، يقول فيها:

ليأتينــــك مـــــني منطـــق قـــذع   باق كما دنس القبطية الودك فَ

ففزع الحارث ورد عليه ما سلبه منه"[١٢].

وفي العصر الأسلامي تواصل الهجاء وإن كان بقدر أقل مما كان عليه في الجاهلية، وقد ورد على لسان حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم في معرض حديثه عن دفاعه عن الدعوة الإسلامية:

لنـــا في كُـــل يــــوم مــــن مَعـــدٌ   سِـــــباب أو قِتـــــال أو هِجَـــــاء

لســــاني صـــــارمٌ لا عيــــبَ فيـــه   ويَحْــــري لا تُكــــدِّره الــــدِّلاء[١٣]

أما الهجاء بمفهومه العام السابق فقد خَفَتَ صوته في صدر الإسلام، وخفَّت لهجته لنهي الإسلام عن التعرض للأعراض والقدح والإفتراء بغير الحق، فقد نقل عن الرسول الله صلى الله عليه و سلم قوله: "إن أعظم الناس جرما إنسان شاعر يهجو القبيلة من أسرها ورجل تنفى من أبيه"[١٤].

ولهذا رأينا عمر بن الخطاب يلزم الشعراء بعدم التعرض للمسلمين بالهجاء والتشبيب، وقد سجن الحطيئة رائد الهجاء أنذاك، واشترى منه أعراض المسلمين، وفي ذلك يقول الحطيئة يشكو عدم فاعلية هجائه للقيود المفروضه عليه[١٥]:

وَأَخَــذتَ أَطــرارَ الكَــلامِ فَلَــم تَــدَع   شَــتماً يَضُــرُّ وَلا مَــديحاً يَنفَــعُ

وَمَنَعــتَني شَــتمَ البَخيــلِ فَلَــم يَخَــف   شَــتمي فَأَصــبَحَ آمِنــاً لا يَفــزَعُ

وفي العصر الأموي عادت العصبيات السياسية والقبلية كما كانت في العصر الجاهلي أو أشد، ونما مع هذه العصبيات الهجاء الشعري.

وتطور إلى مفاخرات منظمة كانت تجري بين الشعراء الثلاثة جرير والفرزدق والأخطل في المربد حتى اصطلح على تلك المفاخرات بفن النقائض فيما بعد.

فالنقائض هي تحول الهجاء من غايته الجادة إلى غاية المتعة، وسد حاجات الجماعة، وإضفاء المرح على مجالس الأمراء وما إلى ذلك، حيث يقوم شاعر قبيلة بنظم قصيدة يفخر فيها بأمجاد قومه، ويتعرض

---

(١٢) العصر الجاهلي، شوقي ضيف. ص١٩٧

(١٣) ديوان حسان بن ثابت، شرح وضبط د.عمر فاروق الطباع، دار القلم. بيروت لبنان. ص١٣.

(١٤) الأدب المفرد، للبخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ، دار البشائر الإسلامية -بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م. ص٣٠٢.

(١٥) ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، وإميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م. ج٣، ص٢٧٨.

لخصومها من القبائل الأخرى بالهجاء، فينبري له شاعر من شعراء تلك القبائل يرد عليه بقصيدة مماثلة في الوزن والقافية[16].

وكان لهذه النقائض عوامل تعين على نموها وانتشارها، منها عوامل اجتماعية، تتمثل في إشغال فراغ الناس بضرب من الملاهي إلى جانب الدرس العلمي الجاد في البصرة وغيرها من المدن.

فإذا صاغ الفرزدق قصيدة يفخر فيها بأمجاد قومه ومآثرهم، رد عليه جرير ينفي عليه ادعاءه بقصيدة على وزن وروي القصيدة الأولى، وهكذا يفعل جرير مع الأخطل وغيره من الشعراء الذين يتعرضون له، فينبري لهم جرير مظهراً البراعة الأدبية والتفوق عليهم.

ومما زاد من قوة شعر النقائض أن شعراءها لم يسعوا إليها بدافع نيل العطاء من قبل المهجو أو من له مصلحة في تلك المهاجاة، كما هو الغالب على كثير من شعراء الهجاء مثل الحطيئة وغيره، فأدى إلى استقلال قصيدة الهجاء عن التصنع وجعل الدافع العاطفي منها قوياً.

ومما شجَّع على نمو هذا النوع الشعري تفتح العقل العربي على علوم أخرى تسربت من غير العرب وقادت إلى معترك من الجدل والمناظرة، فانعكست على شعر النقائض.

ويأتي عامل آخر وهو دور الخلفاء في تأجيج نار العداوة بين الشعراء بتشجيعهم وتفضيل شاعر على آخر، بغرض الترفيه والتسلية أحياناً، ولصرف الشعراء والقبائل عن السلطة وإشغالهم بأنفسهم أحياناً. كما كان الناس يشجعون هذه المفاخرات الشعرية، ويجتمعون ويهتفون ويصفقون تعصباً لهذا أو لذاك، واستمرت هذه النقائض دائرة بين هولاء الشعراء قرابة نصف قرن من الزمن[17]، تغذيها تلك العوامل، حتى أصبحت النقائض ضرباً من اللهو لأنها لا تجرُّ إلى الحروب والمنازعات كما كانت في الزمن الجاهلي.

ولا بد من الإشارة إلى أن تلك النقائض لم تكن مقصورة على قصائد طوال، فهي تدور أحياناً على مساجلات شعرية ببيت أو بيتين، ومن ذلك ما رواه الأصفهاني "أن جريرا والفرزدق اجتمعا عند بشر بن مروان فقال لهما بشر: إنكما قد تقارضتما الأشعار وتطالبتما الآثار وتقاولتما الفخر وتهاجيتما فأما الهجاء فليست بي إليه حاجة فجددا بين يدي فخرا ودعاني مما مضى فقال الفرزدق

نحن السَّنَامُ والمَنَاسِمُ غيرُنا   فمَنْ ذا يُساوِي بالسَّنَامِ المناسمَا

فقال جرير

على موضع الأَسْتاهِ أنتم زعمتُمُ   وكلُّ سَنَامٍ تابعٌ للغَلَاصِمِ

فقال الفرزدق

---

(16) ينظر: العصر الإسلامي شوقي ضيف، ص241، 242.

(17) ينظر: طبقات فحول الشعراء . لابن سلاّم الجمحي، تحقيق: محمود محمّد شاكر . دار المدني . جدة، ج2، ص 389.

علــى مَحْــرَثٍ للفَــرْث أنتــم زعمــتُمُ ... ألاَ إنَّ فـوق الغَلْصَـمات الجَمَاجِمَـا

فقال جرير

وأنبأتُمونــا أنكــم هــامُ قومِــــكم ... ولا هـــــامَ إلا تابــــعٌ للخَــرَاطم

فقال الفرزدق

فــنحن الزِّمــامُ القائــدُ المقتــدَى بــه ... مــن النــاس مــا زِلنـا ولسـنا لَهَازِمَـا

فقال جرير

فــنحن بَنِــي زيــد قطعنــا زِمامِــها ... فتاهـت كسـارٍ طـائِش الـرأسِ عـارِمِ

فقال بشر غلبته يا جرير بقطعك الزمام وذهابك بالناقة وأحسن الجائزة لهما وفضل جريرا"[١٨].

جرير حياته وثقافته الهجائية

جرير بن عطية بن الخَطَفي اليربوعي التميمي، ولقبه أبو حرزة من كبار شعراء العصر الأموي، ولد ومات باليمامة، وكان شاعراً هجاء، وأحد رواد شعر النقائض الذي شغل الناس قديما وحديثاً.

نشأ جرير فقيراً يرعى إبل قومه، وبدأ نظم الشعر في مطلع حياته رجزاً منذ المهاجاة بين غسّان السليطي وبين الخطفي جده في أيام معاوية، ثم إن جريراً مدح يزيد بن معاوية وأخذ منه جائزة هي أول جائزة من خليفة[١٩].

ولما أشتد النزاع بين بني أمية وبين عبد الله بن الزبير وقف جرير في صفوف القيسيين من أنصار ابن الزبير يُهاجي القحطانية أنصار بين أمية.

انحدر جرير من اليمامة إلى البصرة مركز الحركة السياسية، وميدان شعراء المناقضات، واتصل بالحكم بن أيوب ابن عم الحجاج وعامله على البصرة حوالي سنة ٧٥هـ، فوجهه الحكم إلى الحجاج فمدحه ونال جوائزه، ولكن الحجاج أراد أن يحبو الخليفة عبد الملك بهذا الشاعر الموهوب، فوجهه إليه، ومع أن عبد الملك لا يحب الاستماع إلى شعراء القيسية لكن توصية الحجاج بجرير أقنعت الخليفة بالاستماع إليه، فمدحه بالقصيدة المشهورة ومطلعها:

أَتَصــحو أمْ فُــؤادُكَ غَــيرُ صــاحِ ... عَشِــيَّةَ هَــمَّ صَحــبُكَ بِالــرَواحِ

ولا يكاد التاريخ يذكر جرير إلا ويقترن معه الفرزدق وهما شاعران كبيران يلتقيان في قبيلة تميم، الأول من عشيرة كليب اليربوعية، والثاني من عشيرة مجاشع الدارمية.

---

(١٨) الأغاني، ج٨، ص٤٠.

(١٩) ينظر في ترجمته: الأغاني،ج٨، ص٥. والشعر والشعراء، ص٩٦.

يكاد الاجماع بين النقاد قديما يتم على أن جرير في مقدمة الشعراء العرب، بل قال بعضهم: "جرير أشعر العرب كلها"[٢٠].

بل وصل الأعجاب بجرير وشاعريته لدى بعضهم إلى التنبؤ بقيادة جرير لموكب الشعراء والفصل بينهم يوم القيامة حيث قال: "لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جرير فيحكم بينهم"[٢١].

ثم إن الرواة ينظرون إلى شعر جرير بعين أوثق من شعر الفرزدق في حقيقة نسبته، وبعده عن السرقات الشعرية، وقد روي أن الأصمعي قال: " تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة، وكان يكابر. وأمّا جرير فما علمته سرق إلا نصف بيت؛ قال: ولا أدري؛ ولعّله وافق شيء شيئاً. قلت: وما هو؟ فقال: هجاء، ولم يخبرنا به"[٢٢].

لم يكن هجاء جرير بالقدر اليسير بالنسبة إلى جملة شعره بل يجد القارئ لديوانه الشعري أن الهجاء قد امتد على مساحة واسعة وخاصة في قصائده الطوال.

ويرد العلماء السر في تفوق جرير ونبوغه في فن الهجاء إلى معرفته أعراف وأنساب القبائل وما فيها من مثالب، حيث ورث ذلك عن جده الخطفي[٢٣].

ونستطيع أن نتبين قدرة جرير الهجائية حيث تمكن من هجاء ثلاثة شعراء في بيت شعري واحد، فقال:

لَمَّـا وَضَـعْتُ عَلَـى الْفَـرَزْدَقِ مِيسَـمِي وَعَلَى الْبَعِيثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ

وذكروا[٢٤] أن جريراً قال بيتا هجا فيه أربعة

إن الفـــرزدق والبَعيـــث وأمَّـــه وأبـــا البَعيــث لشَــرٌ مـــا إسْــتارِ

وقال جرير: لقد هجوت التيم في ثلاث كلمات ما هجا فيهن شاعر شاعرا قبلي قلت

مـــن الأصـــلاب يَنْـــزِل لـــؤمُ تَـــيْمٍ وفي الأرحـــام يُخلـــق والمَشـــيمِ

والمتتبع لديوان جرير الشعري وحياته يجد أن الهجاء قد امتزج بفكره وثقافته، ولا تكاد تجد موقفاً شعرياً يخلو من الهجاء، فيروى أن: "عطية بن جعال الغداني كان صديقا ونديما للفرزدق فبلغ الفرزدق أن رجلا من بني غدانة هجاه وعاون جريرا عليه وأنه أراد أن يهجو بني غدانة فأتاه عطية بن جعال فسأله أن يصفح له عن قومه ويهب له أعراضهم ففعل ثم قال:

أبـــني غُدانـــة إنـــني حَـــرّرتكم فـــوهبتكم لعطيـــةَ بـــنِ جُعـــال

---

(٢٠) الأغاني، ج٨، ص٧٨.

(٢١) نفسه، ج٨، ص٧٨.

(٢٢) الموشح للمرزباني، ص٣٤.

(٢٣) ينظر: البيان والتبيين: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : المحامي فوزي عطوي، دار صعب – بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٨م.، ص١٩٢.

(٢٤) الأغاني ج٨، ص٨.

لـــولا عطيـــةُ لاجتَـــدعْتُ أنـــوفكم مـــن بـــين ألأم أعـــين وســـبال

فبلغ ذلك عطية فقال ما أسرع ما ارتجع أخي هبته قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة"[٢٥].

ولا بد من الإشارة إلى أن جرير أظهر مقدرة شعرية في الأغراض الشعرية الأخرى غير الهجاء، وقد تحدث هو نفسه عن إنشغاله بمهاجاة أقرانه عن النسيب فقال: " لولا ما شغلني من هذه الكلاب لشببت تشبيبا تحن منه العجوز إلى شبابها حنين الناقة إلى سقبها"[٢٦].

ولعلنا ننقل الملاحظة النقدية التي شاعت بين العامة خاصة والتي تعزز من حيازة جرير للتفوق في أغراض الشعر الرئيسة، فيروى :أن أعرابياً من بني عذرة دخل على عبد الملك بن مروان يمتدحه بقصيدة وعنده الشعراء الثلاثة، جرير والفرزدق والاخطل، فلم يعرفهم الاعرابي، فقال عبد الملك للاعرابي: هل تعرف اهجى بيت قالته العرب في الاسلام ؟ قال: نعم ! قول جرير:

فَغُــضَّ الطَــرفَ إِنَّــكَ مِــن نُمَــيرٍ فَـــلا كَعبــاً بَلَغــتَ وَلا كِـــلابا

فقال: أحسنت، فهل تعرف أمدح بيت قيل في الاسلام ؟ قال نعم ! قول جرير:

أَلَســـتُم خَــيرَ مَــن رَكِــبَ المَطايــا وَأَنـــدى العـــالَمينَ بُطـــونَ راحِ

فقال: أصبت واحسنت، فهل تعرف أرق بيت قيل في الاسلام ؟ قال: نعم ! قول جرير:

إِنَّ العُيــونَ الَّــتي في طَرفِهــا حَــوَرٌ قَتَلنَنــا ثُــمَّ لَــم يُحيــِينَ قَتــلانا

يَصــرَعنَ ذا اللُــبَّ حَتّــى لا حِــراكَ بِــهِ وَهُــنَّ أَضــعَفُ خَلــقِ اللَــهِ أَركانــا

فقال: أحسنت، فهل تعرف جريرا ؟ قال: لا والله، وإني إلى رؤيته لمشتاق، قال: فهذا جرير وهذا الفرزدق وهذا الاخطل"[٢٧].

ونرى الفرزدق نفسه يرى في شعر جرير الرقة ويشهد له بذلك، فعندما سمع قول جرير:

ألاَ حـــيِّ الـــديار بسَعْـــدَ إنّـــي أحِـــبُّ لحـــبِّ فـــاطمةَ الـــديارا

أرادَ الظـــــاعنون ليحزنُـــــوني فهـــاجُوا صَـــدْعَ قلـــبيَ فاســـتطارا

"فقال الفرزدق ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز وأملحها، قال: أو ما تدري لمن هذا الشعر؟ فقال لا والله، قال هو لجرير يهجوك به، فقال: ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعري وأحوجني مع شهواتي

(٢٥) نفسه، ج٢١، ص٤٠٣.

(٢٦) خزانة الأدب. ج١، ص٩٢.

(٢٧) البداية والنهاية، لابن كثير، ج٩، ص٢٨٨.

إلى رقة شعره"[٢٨] ، ويعجب المرء حين يسمع بأن النوار زوجة الفرزدق عندما ماتت قاموا ينوحون عليها بشعر جرير[٢٩] ويقصدون قصيدته التي يقول في مطلعها:

لَــولا الحَيَــاءُ لَعَــادَني اِســتِعبارُ　　وَلَــزُرتُ قَــبرَكِ وَالحَبيــبُ يُــزارُ

ويتواتر الرأي النقدي لدى القدماء على تقدم جرير وتفضيله على أقرانه حتى في جملة شعره، يقول بن الأثير: "ولقد تأملت كتاب النقائض فوجدت جريرا رب تغزل ومديح وهجاء وافتخار وقد كسا كل معنى من هذه المعاني ألفاظا لائقة به ويكفيه من ذلك قوله

وَعَــاوٍ عَــوَى مِــنْ غَيْــرِ شَــيْءٍ رَمَيْتُــهُ　　بِقافِــــيَةٍ أَنْفَاذُهَــا تَقْطُــرُ الــدَّمَا

وإنِّــي لَقَــوَّالٌ لِكُـــلِّ غَـرِيبَـــةٍ　　وَرُودٍ إذا السَّــارِي بِلَيْــلٍ تَرَنَّمَــا

خَــرُوجٌ بِــأَفْوَاهِ الــرُّوَاةِ كَــأنَّها　　شَــبَا هُنْــدُوانيٍّ إذَا هُــزَّ صَمَّــمَا

غَــرَائِبُ آلافُ إذَا حَــانَ وِرْدُهَــا　　أخَــذْنَ طَرِيقــاً لِلْقَصــائِدِ مُعْلَــمَا

ولو لم يكن لجرير سوى هذه الأبيات لتقدم بها الشعراء"[٣٠].

وجملة ما قيل في شاعرية جرير وشعره عموماً بأنه شاعر وجداني مطبوع، يجمع في شعره وضوح المعاني مع سهولة الألفاظ، ومتانة التركيب، وعذوبة السبك، وشعره كثير التداول على الألسن، شديد العلوق بالذاكرة، وهو ما دعى النقاد إلى القول: "جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر"[٣١].

ومن النقاد من يرى أن شعر جرير دون شعر الفرزدق، في نواح، فقد نقل أن "المبرد كان يفضّل الفرزدق على جرير ويقول: الفرزدق يجيء بالبيت واخيه وجرير يأتي بالبيت وابن عمه"[٣٢]. وهذه الرؤية النقدية تشير إلى الترابط الدلالي وقوة العلاقة المعنوية في صياغة الشعر عند الفرزدق، وضعف في العلاقة المعنوية والترابط في أبيات القصيدة لدى جرير. غير أن هذه الرؤية لا تنطبق على جملة شعر الشاعرين.

ورؤية نقدية أخرى للقدماء ترى سعة دلالية وتنوعاً في هجاء الفرزق أكثر من هجاء جرير، فقد "سئل أبو عبيدة عن جرير والفرزدق: أيّهما أشعر؟ فقال ويحك هل قال جرير للفرزدق إلا في ثلاثة أنواع: الزبّير، وجعثن والقين؛ وللفرزدق فيه مائة نوع"[٣٣]. ويعني ذلك التكرار في هجاء جرير حول القضايا تلك نفسها. وهذا

---

(٢٨) الأغاني، ج١٥، ص١٣٢.

(٢٩) ينظر: الأغاني، ج٨، ص١٢.

(٣٠) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد المكتبة العصرية -بيروت ، ١٩٩٥م. ج٢، ص٣٧٩.

(٣١) الأغاني، ج٨، ص٨٦.

(٣٢) الموشح للمرزباني، ص٤٠.

(٣٣) الموشح للمرزباني، ص٤٠.

صحيح، غير أن جرير أستطاع أن يشغل الدنيا بتلك القضايا في قصائده، واستخدمها جرير من خلال سياقات مختلفة، وكانت مؤلمة في وقعها على الفرزق رغم تكرارها.

لقد اعتد جرير بشعره وفخر بقصائده التي قالها بالأخص في الهجاء، وذكر فاعليتها ومسيرها في الأفاق، كما في قوله:

إنَّ القَصائِدَ قَد جازَت غَرائِبُها ما بَينَ مِصرَ إلى الأَجزاعِ مِن عَدَنِ

ويقول مصوراً لقصائده بالرحال يجهزها فتنطلق في الآفاق:

وَلَمّا رَأَيتُ الناسَ هَرَّت كِلابُهُم تَشَيَّعتُ إذ لَم يَحمِ إلّا المُشايِعُ
وَجَهَّزتُ في الآفاقِ كُلَّ قَصيدَةٍ شَرودٍ وَرودٍ كُلَّ رَكبٍ تُنازِعُ
يَجُزنَ إلى نَجرانَ مَن كانَ دونَهُ وَيَظهَرنَ في نَجدٍ وَهُنَّ صَوادِعُ
تَعَرَّضَ أَمثالُ القَوافِي كَأَنَّها نَجائِبُ تَعلو مِربَداً فَتُطالِعُ

ويبالغ في إعجابه بقصائده حتى أنه يفاخر الشعراء الأقدمين ومن جاء بعده بشعره، فيقول:

وَأَدرَكتُ مَن قَد كانَ قَبلي وَلَم أَدَع لِمَن كانَ بَعدي في القَصائِدِ مَصنَعا
تَفَجَّعَ بِسطامٌ وَخَبَّرَهُ الصَدى وَما يَمنَعُ الأَصداءَ أَلّا تَفَجَّعا

ويبالغ في تصوير قوة قوافيه حتى جعلها مثل لهيب النار:

ستَطْلُعُ مِن ذُرَا شُعَبَي قَوافٍ على الكِنْديِّ تلتهبُ التهابا

وقبل أن نختم الحديث عن هذا الشاعر نقول بأن جريراً امتلك إلى جانب الموهبة الشعرية الفطنة والذكاء وسرعة البديهة، كما عرف بالعفة والتقوى التي تفوّق بها عن صاحبه الفرزدق، فقد "حدث أبو عبيدة قال: التقى جرير والفرزدق منى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير:

فإنك لاق بالمنازل من منى فخارا فخبرني بمن أنت فاخر

قال له جرير: لبيك اللهم لبيك. قال: فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويتعجبون منه"[٣٤].

وتشير الروايات أن الخليفة عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة وفد إليه الشعراء فردهم عدا جرير[٣٥]، وهذ يؤكد ما ذكر من تقوى جرير والتزامه وعفته.

(٣٤) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧هـ ١٩٤٧م.ج٢، ص٢٦٦.

(٣٥) ينظر: الأغاني، ج٨، ص٥١.

لغة الهجاء في شعر جرير

استخدم جرير في الهجاء لغة في غاية القوة والمتانة والجزالة، إذ اختار ألفاظاً ذات بنية صارمة في أصواتها وصفاتها ومخارجها، واعتمد على المسميات الحيوانية والدواب والمهن المنبوذة ومسميات القبح والرذيلة وحشد مفردات المكروهات في الدين وعرف المجتمع والقبيلة والنسب وما شاكلها، ومن ذلك: وصفه للفرزدق بأنه قينٌ أي حداد، والصناعة كانت من مثالب القوم، فيقول:

هُوَ القَيْنُ وابْنُ القَينِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ		لفَطْحِ المَسَاحِى أَو لجَدْلِ الأَدَاهم

ويصفه بالقرد في قصائد كثيرة، مثل قوله:

وَهَل كانَ الفَرَزدَقُ غَيرَ قِردٍ		أَصابَتهُ الصَواعِقُ فَاِستَدارا

وقال:

أَمسى الفَرَزدَقُ يا نَوارُ كَأَنَّهُ		قِردٌ يَحُثُّ عَلى الزِناءِ قُرودا

ويقول في نقيضة أخرى:

فَإِنَّكَ لَو تُعطي الفَرَزدَقَ دِرهَماً		عَلى دينِ نَصرانِيَّةٍ لَتَنَصَّرا

وقوله يلمزه في دينه وعلاقته باليهود:

تُحبُّكَ يَومَ عيدِهِمُ النَصارى		وَيَومَ السَبتِ شيعَتُكَ اليَهودُ

ويعرض بأبي الفرزدق ولهوه عن المكارم واشتغاله بسفاسف الأمور:

أَلْهَى أَبَاكَ عَنِ المَكَارِمِ والعُلا		لَيُّ الكتائِفِ وارْتِفَاعُ المِرْجَلِ

ويرد جرير متهكما وساخرا على الفرزدق وقد ذكر فحشاً:

تدليت تزني من ثمانين قامة		وقصرت عن باع العلا والمكارم

ولقد كثرت المفردات في هجاء جرير حول موضوع الأعراض، كوصف النساء بالفاحشة والخبث وتكلم عن أعضاء المرأة والرجل وذكر أفعال الفاحشة والزنا وما يتعلق بذلك من ممارسات. فتراه يقول:

أَبلِغ بَني وَقبانَ أَنَّ نِساؤُهُم		خورٌ بَناتُ مُوَقَّعٍ خَوّارِ

إِنَّ اللِئامَ بَني اللِئامِ مُجاشِعٌ		وَالأَخبَثونَ مَحَلَّ كُلِّ إِزارِ

ونراه يصف نساء بني عقال بالخبث ويشبههن بالحمير:

وَجَدنا نِسوَةً لِبَني عِقالٍ		بِدارِ الذُلِّ أَغراضَ الرُماةِ

غَـوانٍ هُـنَّ أَخبَـثُ مِـن حَمـيرٍ وَأَمجَـنُ مِـن نِسـاءٍ مُشـرِكاتِ

ويقول:

وَالتَغلِبِـيُّ إِذا تَنَحـنَحَ لِلقِـرى حَـكَّ اِسـتَهُ وَتَمَثَّـلَ الأَمثـالا

ويقول:

أَخِلّـاءَ الفَـرَزدَقِ فَانصُـروهُ أَخِلّـاءَ الفَواسِـقِ وَالزَوانـي

ونرى في لغة هجاء جرير استخداماً للمفردات الفاضحة المكشوفة، وكان بإمكان جرير أن يتخذ من الكناية اللفظية بديلاً لتلك المفردات، لكن لعل الغرض منها الإضحاك والسخرية، وهذا ما نراه في قوله للفرزدق يعير مقاتل بن طلبة وقد زوج ابنته خولة لشاعر وضيع[٣٦]:

رأيـت مقاتـل الطلبـات حلّـى فـروج بناتـه كـمر المـوالي

لقـد أنكحـتم عبـداً لعبـدٍ مـن الصّـهب المشـوّهة السـبال

فـلا تفخـر بقـيسٍ إنّ قيسـاً خـرئتم فـوق أعظميـه البـوالي

ويبدو أن مفردات الفحش كانت فاعلة أكثر من غيرها، وهذا ما دفع جرير إلى توظيفها في هجائه، وقد قال: "هجوت بني طهية أنواع الهجاء فلم يحفلوا بقولي حتى قلت في قصيدة الراعي:

كـأنّ بـني طُهَيَّـةَ رهـطَ سَـلْمَى حجـارةُ خـارىءٍ يَرمِـي كلابَـا

فجزعوا حينئذ ولاذوا بي"[٣٧].

ويمكن القول إن لغة الهجاء لدى جرير لم تكن كلها بتلك القوة فقد داخلها الضعف في بعض مهاجاته، وشابتها ركاكة ليست بخافية على المنطق الشعري، ولا ترقى إلى اللغة الشعرية التي رأينها في الأمثلة السابقة. ومن ذلك قوله:

لَقَـدْ ولَـدَتْ أُمُّ الفَـرَزْدَقِ فاجِـراً فجـاءَت بـوزْوَازٍ قَصـيرِ القَوَائِـم

ومـا كـان جـارٌ للفَـرَزْدقَ مُسْـلمٌ ليَـأْمَنَ قِـرْداً لَيْلُـهُ غَيْـرُ نائـمِ

أَتَيْـتَ حُدـُودَ الله مُـذْ أنـتَ يافـعٌ وشـبْتَ فمـا يَنْهـاكَ شَـيْبُ اللّـهازِمِ

لقـدْ كنـتَ فيهـا يـا فـرزدقُ تابعـاً وريـشُ الذُّنابـيّ تابـعٌ للقـوادِمِ

بسـيفِ أبـي رغـوانَ سـيفِ مجاشـعٍ ضـربتَ ولم تضـربْ بسـيفِ ابـن ظـالمِ

(٣٦) ينظر: الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ -١٩٩٧ م. ج٢، ص٥٧.

(٣٧) الأغاني، ج٨، ص٧٨، ٧٩.

ضــربتَ بــه عنــدَ الإمــامِ فأرعشَــتْ يــداكَ وقــالوا محــدَثٌ غــيرُ صــارمِ

وكما في قوله يعير الفرزدق بحرفته التي ورثها عن جده:

فَرَقِّــــع لِجَــــدِّكَ أَكيـــــارَهُ وَأَصلِــــح مَتاعَــــكَ لا تُفسِــــد

وَأَدنِ العَــــــلاةَ وَأَدنِ القَــــــدومَ وَوَسِّــــــع لِكــــيرِكَ فِي المَقعَــــدِ

الأسلوب البلاغي لدى جرير

سار جرير في هجائه على أساليب متنوعة، منها أسلوب الوصف السردي وتعداد صفات المهجو، ويتناول أعمق الخفايا.

ويستخدم أحيانا كثيرة أسلوب الحوار والمساءلة للمهجو، فتراه يسوق الحوادث بطريق الإستفهام المتوالي بغرض التعجب أحياناً من المهجو، وبغرض الاستنكار والتوبيخ للمهجو الذي لا يستطيع الرد أو النفي لما جاء في صيغة السؤال كما في قوله:

أَلَــم نُعتِــق نِســاءَ بَنــي نُمَــيرٍ فَــلا شُــكراً جَــزَينَ وَلا ثَوابــا

أَلَــم تَرَنــي صُــبِبتُ عَلــى عُبَيــدٍ وَقَــد فــارَت أَباجِلُــهُ وَشــابا

أُعِــدَّ لَــهُ مَواسِــمَ حامِيــاتٍ فَيَشــفي حَــرُّ شُــعلَتِها الجِــرابا

فَغُــضَّ الطَــرفَ إِنَّــكَ مِــن نُمَــيرٍ فَــلا كَعبــاً بَلَــغــتَ وَلا كِــلابا

أَتَعــدِلُ دِمنَــةً خَبُثَــت وَقَــلَّــت إِلى فَــرعَينِ قَــد كَثُــرا وَطــابا

ويكاد شعره يتوزع بين الأسلوب الخبري والإنشائي ولربما نجد ميلاً في القصائد الطوال إلى الأسلوب الخبري فقد كان جرير يعدد صات المهجو وقبائحه، كما كان جرير يوجه الخطاب مباشرة إلى المخاطب ويسمي الأشخاص والقبائل دون حرج.

وقد يبدأ جرير أحيانا بالتحذير للمهجو، كما في تحذيره لبني حنيفة، وكان ميلهم مع الفرزدق عليه[٣٨]:

أبــني حنيفــة أحكمــوا ســفهاءكم إنــي أخــاف علــيكم أن أغضــبا

أبــني حنيــفة إنــني إن أهجــكم أدع اليمامــة لا تــواري أرنبــا

وقد وصل الهجاء لدى جرير إلى درجة الفحش وهتك الأعراض حيث يصف جعثن اخت الفرزدق بأوصاف مقذعة، فيقول:

بــات الفــرزدقُ يســتجير لنفســه وعِجــانُ جعــثنَ كــالطريق المعمــلِ

(٣٨) العمدة في محاسن الشعر، لابن رشيق، ج١،ص١٦٨.

أســـلمتَ جعـــثنَ إذ يجـــرّ برجلـــها والمنقـــريُّ يدوســـــها بالمنـــشل

وخاصية أخرى تميز بها أسلوب جرير في هجائه ومناقضاته، وهي أنه كان يبني شعره على ماجاء في هجوم الشعراء الذين تعرضوا له، ويقف موقف الدفاع المفند لما جاء في شعر الخصم، وهذا ما ذكره جرير عندما دخل على الحجاج، "فقال له: إيه يا عدو الله علام تشتم الناس وتظلمهم فقلت جعلني الله فداء الأمير والله إني ما أظلمهم ولكنهم يظلمونني فأنتصر"(٣٩).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الأصفهاني(٤٠)، في حوار جرير مع الحجاج بقوله: أما غسان بن ذهيل فإنه رجل من قومي هجاني وهجا عشيرتي بقوله:

لعَمْـرِي لـئن كانـت بَجيـلةُ زانَــها جَريـرٌ لقـد أَخْـزَى كُلَيْبـاً جَـريرُها
رميـتَ نِضَـالاً عـن كُلَيـبٍ فقَصَّـرتْ مَرَامِيـكَ حتـى عـاد صِـفْراً جَفِيرُهـا
ولا يَذْبَحـــون الشـــاةَ إلا بمَيْســـرٍ طـــويلٌ تَنَاجِيهـــا صِغـــارٌ قُـــدُورُها

قال الحجاج لجرير: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

ألاَ ليت شِعْري عن سليطٍ ألم تَجِـدْ سَـليطٌ سِـوَى غَسَّـانَ جـاراً يُجِيرُهـا
فقد ضمَّنوا الأحسابَ صاحبَ سَوْءة يُناجِـي بهـا نفسـاً خبيثـاً ضمـيرُها
كأنَّ سَلِيطاً فـي حَـواشِنِها الخُصَى إذا حَـلّ بـين الأَمْلَحَـيْن وَقِيـرُها
أَضِجّـوا الرَّوَايَـا بالمَـزَادِ فإنَّكـم ستُكْفَوْنَ رَكْضَ الخيلِ تَدْمَى نحورُها
كـأن السَّليطِيَّاتِ مَجْنَـاةُ كَمْـأَةٍ لأَوَّلِ جـانٍ بالعَصـا يَسْتـثيرهـا
غَضَارِيطُ يَشْوُون الفَرَاسِنَ بالضُّحَى إذا مـا السَّرَايا حَثَّ رَكْضاً مُغِيرهـا
فمـا في سَلِيـطٍ فـارسٌ ذو حَفيظـةٍ ومَعْقِلُهـا يـومَ الهيـاجِ جُعُـورهـا
عجِبتُ مـن الدَّاعِي جُحَيشاً وصائداً وعَيْسـاءُ يسـعَى بالعِـلاَب نَفِيرُهـا

غير أن موقف جرير في الدفاع والرد لا يبدو أنه متكئ على شعر المهاجم، أو أنه يتنصص على نص الخصم، فتراه يترك الخصم جانباً، ويخترع شعره جديداً تبرز فيه قدرته التي تظهره متفوقاً في معانيه وصوغ أفكاره، متضمناً الرد والتفنيد لما يحتاجه متجاهلاً ما قاله الخصم.

ويسعى جرير إلى توظيف الفخر في قصائده لدعم الهجاء وقهر خصمه في إطار المقارنة بين مكارم وموروث أبائه وانحطاط المهجو وقبح ماضيه وأمجاده، فيقول يفخر بقومه على الفرزدق:

---

(٣٩) الأغاني، ج٨، ص١٩.

(٤٠) نفسه، ج٨، ص١٩، ٢٠.

لَقَــد عَلِــمَ الفَــرَزدَقُ أَنَّ قَــومي   يُعِـــدّونَ المَكـــارِمَ لِلسِـــبابِ
إِذا أَباؤنـــا وَأَبـــوكَ عُـــدّوا   أَبـــانَ المُقرِفـــاتُ مِـــنَ العِـــرابِ
فَأَورَثَـــكَ العَـــلاةَ وَأَورَثونـــا   رِبـــاطَ الخَيـــلِ أَفنِيَـــةَ القِـــبابِ

ويستند جرير في فخره على تقصي أيام كانت لقيس ووقائع أخزي فيها الفرزق ورهطه، فيقول[٤١]:

تُحَضِّضُ يا اِبنَ القَينِ قَيساً لِيَجعَلوا   لِقَومِـكَ يَومـاً مِثـلَ يَـومِ الأَراقِـمِ
كَأَنَّكَ لَم تَشهَد لَقيطاً وَحاجِـباً   وَعَمـرَوَ بـنَ عَمـروٍ إِذ دَعَـوا يـا لَـدارِمِ
وَلَم تَشهَدِ الجَونَينِ وَالشِعبَ ذا الصَفا   وَشَـدّاتِ قَيـسٍ يَـومَ دَيـرِ الجَمـاجِمِ
وَيَـومَ الصَـفا كُنـتُم عَبـيداً لِعامِـرٍ   وَبِـالحَزنِ أَصبَحـتُم عَبـيدَ اللَهـازِمِ
إِذا عُـدَّتِ الأَيّـامُ أَخـزَيتَ دارِمـاً   وَتُخـزيكَ يـا اِبـنَ القَـينِ أَيّـامُ دارِمِ

ويعتد جرير بذاته ويصل إلى أعلى درجات المبالغة، في فخره على خصمه، فيشبه نفسه بالدهر الذي لا يطاوله شيء ليلغي خصمه ولا يبقي له ما يفخر به، فيقول في عنفوان وغضب:

أَنا الدَهرُ يُفني المَوتَ وَالدَهرُ خالِدٌ   فَجِـئني بِمِثـلِ الـدَهرِ شَـيئاً يُطاوِلُـه

أما الصور الشعرية فقد ابتكر جرير صوراً شعرية موحية في مهاجاته، وهذا الصور تجعل خيال القارئ واسعاً يجول في أعماق النص يتأمل لوقت غير قصير، وتسعى تلك الصور لتحقق غايتين هما: الإضحاك والسخرية، كما أن معظم الصور الشعرية في مهاجاة جرير تأتي مستندة على الوصف والتعداد للسوءات، ومستندة كذلك على حشد من التشبيهات بالحيوانات كالقرود والخنازير والحمير وغيرها، ومن تلك الأوصاف قول جرير في قصيدة يصف فيها أخت الفرزدق "جعثن" بأقبح الصفات، فيقول:

نَسـيتُم عُقـرَ جِعـثِنَ وَاِحتَبَيـتُم   أَلا تَبّـاً لِفَخـرِكَ بِالحُبـاتِ
وَقَـد دَمِيَـت مَواقِـعُ رُكبَتَـيها   مِـنَ التِـبراكِ لَـيسَ مِـنَ الصَـلاةِ
تبيـتُ الليـلَ تسـلقُ إسكـتاها   كـدأبِ الـتركِ تلعـبُ باكـراتِ
وحـطّ المنقـريُّ بهـا فخـرَّتْ   علـى أمِّ القفـا والليـلُ عـاتِ
تنـادي غالبـاً وبنـي عقـالٍ   لقـدْ أخزيـتَ قومـكَ في النَّـداتِ

وقد تضمن النص أيضاً كنايات واستعارات وتشبيهات قوية تصور هذه الفتاة غارقة في الفاحشة، وتبيت الليل تمارس المجون في هيئة قبيحة.

---

(٤١) الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، ج٢، ص٦٠.

وفي هذه الأوصاف مبالغات تصل إلى حد القذف والإسفاف، وخروج بالهجاء إلى الفحش الذي كان عليه في الشعر الجاهلي.

وأما التشبيهات فتأتي في صور ساخرة مضحكة وهو يصور من يهجوهم مرة بالحشرات وأخرى بالقرود، وثالثة بالخنازير، يقول في بني وقبان:

أَزرى بِحِلمِكُــمُ الفِيــاشُ فَــأَنتُمُ ... مِثلُ الفَـراشِ غَشـِينَ نـارَ المُصـطَلي

ويقول في آخرين مشبها الرجال بالجعلان والنساء بالقنافذ:

أَمّــا الرِجــالُ فَجِعــلانٌ وَنِســوَتُهُم ... مِثـلُ القَنافِـذِ لا حُسـنٌ وَلا طيـبُ

وشبه الشعراء الذين تعرضوا له بالثعالب العاوية التي أصابها فزع وقد كر عليها أسد هصور:

عَـوى الشُـعَراءُ بَعضُـهُمُ لِـبَعضٍ ... عَلَـيَّ فَقَـد أَصـابَهُمُ اِنتِقـامُ

كَـأَنَّهُمُ الثَعالِـبُ حيـنَ تَلـقى ... هِزَبـراً في العَـرينِ لَـهُ اِنتِحـامُ

والتشبيهات في هجاء جرير لم تكن جامدة بل تراها تجسد هيئة مزرية نتيجة حسن الصياغة التي تدار فيها المفردات، فلم يقتصر جرير بتشبيه الفرزدق بالقرد الذي يمارس الفاحشة بل تراه يبذل أقصى جهد في حث غيره من القرود لفعل الزناء:

أَمسـى الفَـرَزدَقُ يـا نَـوارُ كَأَنَّـهُ ... قِـردٌ يَحُـثُّ عَلـى الزِنـاءِ قُـرودا

وتراه يتخذ من الخنزير رمزاً لنصرانية الأخطل التغلبي إذ يحلو للفرزدق أن يجعل الخنزير له مثلاً:

إِنَّ الأُخَيطِـلَ خِنزيـرٌ أَطـافَ بِـهِ ... إِحدى الدَواهي الَّتي تُخشى وَتُنتَظَرُ

ونرى لجرير ابتكارات تصويرية في هجائه يتسع فيها الخيال إلى ماضي بعيد وهو يتحدث عن لؤم بني تيم، فيقول:

مـن الأصـلاب يَنْـزِل لـؤمُ تَـيْمٍ ... وفي الأرحـام يُخلـق والمَشـيمِ

وهذه صورة عجيبة فعلاً لها تأثير مؤلم في نفس المهجو، وهو يصور رسوخ اللؤم في الأصل الإنساني لهؤلاء جميعا واستقراره في الإرحام.

وفي صورة أخرى للؤم بني نمير يصور جرير هذا اللؤم اللصيق بكبار القوم وفقهائهم لكنهم يحاولون تغطيته بمظهرهم الزائف، فهم يلبسون العمائم ليظهروا بمظهر الوقار والرفعة بينما هم يخفون اللؤم تحتها، فيقول على طريقة الاستعارة المكنية:

تُغَطّـــي نُمَـــيرٌ بالعَمَـــائِمِ لُؤمَهَـــا   وَكَيـفَ يُغَطّـي اللُـؤمَ طَـيُّ العَمَـائِمِ

إن هذه الألفاظ التي ترسم تلك الصور جعلت لشعر جرير أثراً بالغاً وهذا ما أدركه جرير ليؤكد أن شعره كأس مرة يسيقها الشعراء، ويذيقهم مرارتها على طريق الاستعارة التصريحية فيقول:

أَعــــدَدتُ لِلشُـــعَراءِ كَأسـاً مُـــرَّةً   عِنــدي مُخالِطُهـا السِـمامُ المُنقَـعُ

ومن الصور البديعة والابتكارات المعنوية التي يخص فيها الخيال قول جرير في بني نمير:

فلـــو وضـــعت فِقَـــاحُ بـــني نُمـــير   علـــــى خَبَـــثِ الحديـــد إذاً لَـــذَابَا

والحديد لا يذوب إلا بنار مستعرة، فهذه صورة قبيحة وكأن فقاحهم أكيار تنفخ ناراً تذيب خبث الحديد، والتركيب يحمل كناية تعريض تشير إلى امتلاء بطونهم بالهواء، ومن ثم إخراج الروائح النتنة.

فاعلية هجاء جرير

يرى بعض النقاد أن الهجاء الذي عرف به جرير في شعره لم يكن ذلك الهجاء الفاحش ويجعلونه هجاء مشوباً بالعفة وأقرب إلى الهزل. وهذه الرؤية قد تكون صائبة من حيث نتائج الهجاء الاجتماعية فهو لا يؤدي إلى حروب ومنازعات وصراعات، لكن من حيث الآثار النفسية يعتبر هجاءً فاحشاً وفيه تهكم وسخرية بالمهجو. ورغم أن هناك بعض الأخبار تنقل أن قبائل تركت مرابضها نتيجة لهجاء جرير إلا أن مثل هذه الروايات لربما خالطها شيء من المبالغة وتبقى في دائرة الممكن ولا تقلل من شأن هجاء جرير.

ومن تلك الروايات أنه: "لما هجا جرير بني نمير بقوله:

فغـــضِّ الطَّـــرْفَ إنـــك مـــن نمـــير   فـــلا كعبًـــا بلغـــتَ ولا كِلابـــا

أخذ بنو نمير ينتسبون إلى عامر بن صَعْصَعَة، ويتجاوزون أباهم نميرًا إلى أبيه، هربًا من ذكر نمير وفرارًا مما وسم به من الفضيحة والوصمة. مع أنهم كانوا قبل ذلك إذا سئل أحدهم ممن الرجل فخم لفظه ومد صوته وقال: من بني نمير، وكانوا جمرة من جمرات العرب. وكان أحدهم إذا رأى نميريًّا وأراد نبزه والإساءة إليه قال له: غمِّض وإلا جاءك ما تكره، وهو إنشاد هذا البيت، وصار الرجل من بني نمير إذا قيل له: ممن الرجل؟ قال: من بني عامر"[٤٢].

قال الجاحظ: "وفي نمير شرف كثير. وهل أهلك عنْزَة، وجرمًا، وعُكلا، وسلولَ، وباهلة وغنيًا، إلا الهجاء؟! وهذه قبائل فيها فضل كثير وبعض النقص، فمحق ذلك الفضل كله هجاء الشعراء. وهل فضح الحبطات، مع شرف حسكة بن عتاب، وعبَّاد بن الحصين وولده، إلا قول الشاعر:

---

(٤٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار الساقي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ج١٧، ص٦٨.

رأيـــت الحمـــر مـــن شـــر المطايـــا كمـــا الحبطـــات شـــر بـــني تمـــيم"[43]

ويبدو لنا ذلك الأثر النفسي الذي أحدثه هجاء جرير في ما أورده الأصفهاني بقوله: "وقف الفرزدق على أبي بمربد البصرة وهو ينشد قصيدته التي هجا بها الراعي فلما بلغ إلى قوله

فغُـضَّ الطَّـرْفَ إنـك مـن نُمَـير فـلا كَعْبـاً بلغـت ولا كِلابـا

أقبل الفرزدق على روايته فقال غضه والله فلا يجيبه أبدا ولا يفلح بعدها فلما بلغ إلى قوله

بها بَرَصٌ بجانبِ إسْكَتَيْها ...

وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقته فقال أبي:

كَعَنْفَقَةِ الفرزدقِ حين شابَا

فانصرف الفرزدق وهو يقول: اللهم أخزه والله لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ولكن طمعت ألا يأبه فغطيت وجهي فما أغناني ذلك شيئا[44].

وإذا كان الهجاء في تلك الفترة الأموية لم يعد بتلك الجدية التي كان عليها في العصر الجاهلي وتحوله إلى نوع من المرح والتسلية بين الخاصة والعامة، وبالأخص فن النقائض، إلا أن الهجاء مهما يكن فيه مرارة وفيه إذلال وانتقاص وإهانة حتى "قال عبد الملك بن مروان: يا بني أمية، أحسابكم أنسابكم لا تعرّضوها للهجاء، وإياكم وما سار به الشعر، فإنّه باقٍ ما بقي الدهر؛ واللّه ما يسرّني أني هُجيت بهذا البيت وأن لي ما طلعت عليه الشمس:

يبيتـون في المشـتى مـلاءً بطـونهم وجـاراتهم غرثـى يـبتن خمائصـا[45]

وكذلك كان هجاء جرير مؤلماً وموجعاً وبقيت آثاره فاعلة في المهجو، فجرير كان يتوخى نزع الفضائل والقيم عن المهجوين "وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض"[46] حتى إن الرواة -وفق المعتقد الأسطوري-أطلقوا على الشيطان الذي يلقي الشعر إلى جرير "إبليس الأباليس"[47]، وهذه التسمية تأخذ بعداً نقدياً وتوحي بتفوق شعر جرير ووضعه في قمة الشعر المؤثر.

(٤٣) البيان والتبيين. ص٥٧٦.

(٤٤) الأغاني، ج٨، ص٣٧،٣٨.

(٤٥) الأمالي في لغة العرب، لأبي علي القالي دار الكتب العلمية – بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.ج٢، ص١٦٠. والبيت للأعشى.

(٤٦) العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق، ص١٧٠.

(٤٧) ينظر: المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، ج١٧، ص١٢٠.

وقالوا بأن جرير أسقط ثمانين شاعراً[٤٨]، في مقدمتهم الفرزدق والأخطل والراعي النميري والبعيث بن بشير والبلتع وسراقة البارقي والقريد، وقد أشار جرير إلى معاركه تلك في شعره وتحدث عن غلبته لهم، كمثل قوله:

أَعـدَدتُ لِلشُعَـراءِ كَأسـاً مُـرَّةً عِنـدي مُخالِطُهـا السِمامُ المُنقَـعُ

هَلّـا نَهـاهُم تِسعَـةٌ قَتَّـلتُهُم أَو أَربَعـونَ حَـدَوتُهُم فَاِستَجمَعوا

كـانوا كَمُشتَـرِكينَ لَمّـا بـايَعوا خَسِـروا وَشُـفَّ عَلَـيهِمُ فَاِستوضِـعوا

أَفَيَنتَهـونَ وَقَـد قَضَـيتُ قَضـاءَهُم أَم يَصطَـلونَ حَـريقَ نـارٍ تَسفَـعُ

ذاقَ الفَـرَزدَقُ وَالأُخَيطِـلُ حَـرَّها وَالبارِقِـيُّ وَذاقَ مِنـها البَلتَـعُ

وَلَقَـد قَسَـمتُ لِـذي الرِقـاعِ هَدِيَّـةً وَتَرَكـتُ فيـهِ وَهِيَّـةً لا تُرقَـعُ

وَلَقَـد صَكَكتُ بَـني الفَـدَوكَسِ صَكَّةً فَلَقَـوا كَمـا لَقِـيَ القُـرَيدُ الأَصلَـعُ

وفي الراعي النميري واسمه عبيد بن حصين، يقول جرير:

قَرَنـتُ العَبـدَ عَبـدَ بَـني نُمَـيرٍ مَـعَ القَيـنَينِ إِذ غُلِبـا وَخابـا

والبعيث وقد قال فيه:

وَلَقَـد وَسَـمتُكَ يـا بَعيـثُ بِمَيسَـمي وَضَـغا الفَـرَزدَقُ تَحـتَ حَـدِّ الكَلكَـلِ

وعرادة وفيه يقول:

أَتـاني عَـن عَـرادَةَ قَـولُ سـوءٍ فَـلا وَأَبـي عَـرادَةَ مـا أَصـابا

وابن هندابة وفيه يقول جرير:

ظَـلَّ اِبـنُ هِندابَـةَ الثَـرّاءَ مُبتَرِكـاً يَـروي لِقَـينٍ وَلَـم يُنـدَب لِإِسـعادِ

غير أنا لا نستطيع حصرهم كلهم، وهل كان إسقاطهم بالتغلب عليهم أو كفهم عن قول الشعر أو عدم التعرض لجرير بالهجاء؟

ويتحدث جرير عن فاعلية قصائده في القوم وتأثيرها الموجع، مشبهاً لها بالسيوف تارة تجدع الأنوف، وتطأ بأقدامها الهامات، وتارة أخرى بأنها عذاب سقط على القوم، كما في قوله:

إِنَّ القَصـائِدَ قَـد جَدَعـنَ مُجـاشِعاً بِالسُـمِّ يُلحَـمُ نَسجُـها وَيُنـارُ

---

(٤٨) ينظر: خزانة الأدب للبغدادي، ج١، ص٩١.

وَلَقــوا عَواصِــيَ قَــد عَيِيــتَ بِنَقضِــها وَلَقَــد نُقِضــتَ فَمــا بِــكَ إِســتِمرارُ

ويقول:

إِنَّ القَصــائِدَ قَــد وَطِــئنَ مُجاشِــعاً وَوَطِــئنَ تَغلِــبَ مــا لَهــا مِــن زاجِــرِ

ويقول:

إِنَّ القَـــوافِيَ قَـــد أُمِـــرَّ مَريرُهـــا لِــبَني فَــدَوكَسَ إِذ جَــدَعنَ عِقــالا

ويمكن أن نضيف عاملاً آخر ساعد في فاعلية الهجاء وأثره النفسي، تمثل في فنية الأداء الشعري الذي كان لا يزال في العصر الأموي امتداداً للعصر ىالجاهلي، حيث يلقى فيه الشعر مشافهة، وتعمل فيه مدرسة الرواية الشفهية، ويتناقله الناس سماعاً.

فجرير مثل غيره من شعراء عصره كان ينشد الشعر في سوق المربد، حيث المنتدى الرسمي لتلك المهاجاة، فيحرص علية القوم وعامتهم على سماع كل جديد من أشعار الشعراء الثلاثة وغيرهم، فجرير يتحدث عن ذلك ويقول:

ســارَ القَصــائِدُ وَإِســتَبَحنَ مُجاشِــعاً مــا بَــينَ مِصــرَ إِلى جَنــوبِ وَبــارِ
إِنَّ القَصــائِدَ لَــن يَزَلــنَ سَوائِحــاً بِحَــديثِ جِعــثِنَ مــا تَــرَنَّمَ ســاري

وتجد من لم يتاح له الحضور وسماع الشعر مباشرة في تلك الجلسات، يسال من حضر، وبالذات عن ما حملته من هجاء. فقيل[٤٩]: أن رجلاً دخل مجلساً وفيه الفرزدق، فقال: وردت اليوم المربد قصيدة لجرير، تناشدها الناس، فامتقع لون الفرزدق، فقال له الرجل: ليست فيك يا أبا فراس قال: ففيمن؟ قال: في ابن لجأ التيمي، قال: أحفظت منها شيئاً؟ قال: نعم، علقت منها ببيتين، قال: ما هما؟ فأنشده:

لــئِنْ عُمِّــرَتْ تَــيْمٌ زمانــاً بِعِــزَّةٍ لقَــد حُــدِيَتْ تــيمٌ حُــدَاءً عَصَبْصَــبا
فــلا يَضْــغَمَنَّ الليــثُ عُكْــلاً بِعِــرَّةٍ وعُكْــلٌ يَشَــمُّونَ الفَــرِيسَ المُنَيَّبَــا

هذه العوامل جعلت من هجاء جرير بالغ التأثير حتى في أولئك الذين يمتلكون ناصية الشعر من أقرانه. "قال بعض رواة قيس وعلمائهم كان الراعي فحل مضر حتى ضغمه الليث يعني جريرا

وقال أبو البيداء مر راكب يتغنى

---

(٤٩) طبقات فحول الشعراء. ج٢، ص٣٧٦.

وعـاو عـوى مـن غـير شـيء رميتـه بقاقـية أسـبابها تقـطر الـدما
خـروج بأفـواه الـرواة كأنـها قـرا هنـدوانى إذا هـز صـمما

فسمعه الراعي فأتبعه رسولا فقال: لمن البيتان؟ قال: جرير، قال: والله لو اجتمعت الجن والإنس على صاحب هذين البيتين ما أغنوا فيه شيئا، ثم قال لمن حضر: ويحكم ألامُ على أن يغلبني مثل هذا. وإنما يعني جرير"(٥٠).

ونجد عدداً من أبيات الشعر لدى جرير تسير مسار المثل والحكمة، يحكيها الناس وتشيع في مناسبات مشابهة، كما في البيت الشعري الذي قاله جرير رداً على الفرزدق الذي توعد مربعاً بالقتل عندما وجده يحفظ شعر جرير، فقال جرير متهكماً:

زَعَـمَ الفَـرَزدَقُ أَن سَـيَقتُلُ مَربَعـاً أَبشِـر بِطـولِ سَـلامَةٍ يـا مَربَـعُ(٥١)

وقد تضمن البيت تهكماً شديداً وتمثل به كثير من الخلفاء والأمراء لما يحمله من ظرافة وسخرية بالمخاطب.

وقد تحدثت كتب الأدب أن هجاء جرير أثر على الأفراد وعلى القبائل بمجموع أفرادها، حتى قالت بنو مشاجع(٥٢) ما هجينا بشعر أشد علينا من قول جرير:

وبرحرحـانَ غـداةَ كبِّـلَ معبـد نكحـتْ نسـاؤهمُ بغـيرِ مهـورِ

وهكذا أعلن جرير حربه وشن هجومه على كل من وقف مع الفرزدق أو ساند خصومه من الشعراء، سواء أكانوا أفراداً أم قبائل، فيروى أن(٥٣) قبيلة بنو الهجيم لما سمحوا للفرزدق أن ينشدهم شعراً في مسجدهم، وبلغ ذلك جريرا فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق فقال له شيخ منهم: يا هذا اتق الله فإن هذا المسجد إنما بني لذكر الله والصلاة، فقال جرير: أقررتم للفرزدق ومنعتموني وخرج مغضبا وهو يقول:

إنّ الهُجَيْـمَ قبيلـةٌ ملعونـةٌ حُـصٌ اللِّحَـى متشـابهو الألـوانِ
لـو يَسـمَعون بأكلـةٍ أو شَـرْبةٍ بعُمَـانَ أضـحى جمْعُهـم بعُمَـانِ
متـأبِّطـين بنيهـمُ وبناتِهـمْ صُـعرَ الخـدودِ لـريحِ كـلِّ دُخـانِ

ونتيجة لهذا الهجاء الذي ضرب به جرير كل حدب وصوب لقي العديد من التهديدات وربما المحاولات لقتله، ومن ذلك قوله لعطية الحنيفي:

---

(٥٠) نفسه، ج٢، ص٤٣٧.

(٥١) خاص الخاص، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق : حسن الأمين، دار مكتبة الحياة – بيروت. ص١٠٥.

(٥٢) ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، ص٧٢.

(٥٣) ينظر: الأغاني، ج٨، ص٥٧.

إن اليمامــة أضــحت لا أنــيس بهــا　　　　إلا حنيفـــة تفســـو في مناحيهـــا

فلقيه عطية بن دعبل الحنفي فقال: يا جرير إنك قد عرفت نصرة الفخم وإن لي سيفاً يختصم الجزور فوالله لئن عدت لهجاء قومي لأسيلنه منك بشرطين. فقال: لا أنطق بعد هذا، فأعف هذه المرة"[٥٤].

وقد عمل جرير على استغلال عدد من الحوادث والقضايا تجاه خصومه في الهجاء، وأخذت حيزاً واسعاً في شعره، وهي:

- حادثة غدر قبيلة مجاشع بالزبير بن العوام.
- حادثة نبو سيف الفرزدق عند ضرب أسير رومي.
- مجون الفرزدق وفسقه.
- حادثة جعثن أخت الفرزدق مع ابن مرة.
- مهنة الفرزدق وأبيه.
- نصرانية الأخطل وأكله لحم الخنزير وشربه الخمر.
- انتصار قيس على تغلب.

إذ تكررت هذه القضايا في قصائد جرير، ولم يترك مناسبة إلا وذكرها تصريحا أو وتلميحاً.

---

(٥٤) محاضرات الأدباء، الراغب الأصفهاني، ص١٧٧.

تحليل نصين هجائيين لجرير

بعد الإستعراض والنقاش لقضيا عديدة في هجاء جرير يجدر أن نقف على نصين مطولين من نقائض جرير بالتحليل العام لنرى كيف أدار جرير مهاجاته الصاخبة، ونتعرف على أسلوبه الفني، والبناء العام لقصائد المناقضات، وموقع الهجاء فيها.

النص الأول[55]

قُل لِلدِيارِ سَقى أَطلالَكِ المَطَرُ ... قَد هِجتِ شَوقاً وَماذا تَنفَعُ الذِكَرُ

أُسقيتِ مُحتَفِلاً يَستَنُّ وابِلُهُ ... أَو هاطِلاً مُرثَعِناً صَوبُهُ دِرَرُ

إِذِ الزَمانُ زَمانٌ لا يُقارِبُهُ ... هَذا الزَمانُ وَإِذ فِي وَحشِهِ غِرَرُ

إِنَّ الفُؤادَ مَعَ الظُعنِ الَّتي بَكَرَت ... مِن ذي طُلوحٍ وَحالَت دونَها البُصَرُ

قالوا لَعَلَّكَ مَحزونٌ فَقُلتُ لَهُم ... خَلّوا المَلامَةَ لا شَكوى وَلا عِذَرُ

إِنَّ الخَليطَ أَجَدَّ البَينَ يَومَ غَدَوا ... مِن دارَةِ الجَأبِ إِذ أَحداجُهُم زُمَرُ

لَمّا تَرَفَّعَ مِن هَيجِ الجَنوبِ لَهُم ... رَدّوا الجِمالَ لِإِصعادٍ وَما اِنحَدَروا

مِن كُلِّ أَصهَبَ أَسرى في عَقيقَتِهِ ... نَسقٌ مِنَ الرَوضِ حَتّى طُيِّرَ الوَبَرُ

بُزلٌ كَأَنَّ الكُحَيلَ الصِرفَ ضَرَّجَها ... حَيثُ المَناكِبُ يَلقى رَجعَها القَصَرُ

أَبصَرنَ أَنَّ ظُهورَ الأَرضِ هائِجَةٌ ... وَقَلَّصَ الرَطبُ إِلّا أَن يُرى سِرَرُ

هَل تُبصِرانِ حُمولَ الحَيِّ إِذ رُفِعَت ... حَيٌّ بِغَيرِ عَباءِ المَوصِلِ اِختَدَروا

قالوا نَرى الآلَ يَزهى الدَومَ أَو ظُعُناً ... يا بُعدَ مَنظَرِهِم ذاكَ الَّذي نَظَروا

ماذا يَهيجُكَ مِن دارٍ وَمَنزِلَةٍ ... أَم ما بُكاؤُكَ إِذ جيرانُكَ اِبتَكَروا

نادى المُنادي بِبَينِ الحَيِّ فَاِبتَكَروا ... مِنّا بُكوراً فَما اِرتابوا وَما اِنتَظَروا

حاذَرتُ بَينَهُمُ بِالأَمسِ إِذ بَكَروا ... مِنّا وَما يَنفَعُ الإِشفاقُ وَالحَذَرُ

كَم دونَهُم مِن ذُرى تيهٍ مُخَفِّقَةٍ ... يَكادُ يَنشَقُّ عَن مَجهولِها البَصَرُ

إِنّا بِطِخفَةَ أَو أَيّامِ ذي نَجَبٍ ... نِعمَ الفَوارِسُ لَمّا اِلتَفَّتِ العُذَرُ

لَم يُخزِ أَوَّلَ يَربوعٍ فَوارِسُهُم ... وَلا يُقالُ لَهُم كَلّا إِذا اِفتَخَروا

سائِل تَميماً وَبَكراً عَن فَوارِسِنا ... حينَ اِلتَقى بِإِيادِ القُلَّةِ الكَدَرُ

(٥٥) ديوان جرير. ص١٩٦.

لَـولا فَـوارِسُ يَربـوعٍ بِـذي نَجَـبٍ ... ضـاقَ الطَريـقُ وَعَـيَّ الـوِردُ وَالصَـدَرُ
إِن طارَدوا الخَيلَ لَم يُشوُوا فَوارِسَها ... أَو واقَفوا عانَقوا الأَبطالَ فَاِهتُصِروا
نَحنُ اِجتَبَينا حِياضَ المَجدِ مُترَعَةً ... مِن حَومَةٍ لَم يُخالِط صَفوَها كَدَرُ
إِنّا وَأُمُّكَ ما تُرجى ظُلامَتُنا ... عِندَ الحِفاظِ وَما في عَظمِنا خَوَرُ
تَلقى تَميماً إِذا خاضَت قُرومُهُمُ ... حَومَ البُحورِ وَكانَت غَمرَةً جُسِروا
هَل تَعرِفونَ بِذي بَهدى فَوارِسَنا ... يَومَ الهُذَيلِ بِأَيدي القَومِ مُقتَسَرُ
الضارِبينَ إِذا ما الخَيلُ ضَرَّجَها ... وَقعُ القَنا وَاِلتَقى مِن فَوقِها الغَبَرُ
إِنَّ الهُذَيلَ بِذي بَهدى تَدارَكَهُ ... لَيثٌ إِذا شَدَّ مِن نَجداتِهِ الظَفَرُ
أَرجو لِتَغلِبَ إِذ غَبَّت أُمورُهُمُ ... أَلّا يُبارِكَ في الأَمرِ الَّذي اِئتَمَروا
خابَت بَنو تَغلِبٍ إِذ ضَلَّ فارِطُهُم ... حَوضَ المَكارِمِ إِنَّ المَجدَ مُبتَدَرُ
الظاعِنونَ عَلى العَمياءِ إِن ظَعَنوا ... وَالسائِلونَ بِظَهرِ الغَيبِ ما الخَبَرُ
وَما رَضيتُم لِأَجسادٍ تُحَرِّقُهُم ... في النارِ إِذ حَرَّقَت أَرواحَهُم سَقَرُ
الآكِلونَ خَبيثَ الزادِ وَحدَهُمُ ... وَالنازِلونَ إِذا واراهُمُ الخَمَرُ
يَحمي الَّذينَ بِبَطحاوَي مِنىً حَسَبي ... تِلكَ الوُجوهُ الَّتي يُسقى بِها المَطَرُ
أَعطوا خُزَيمَةَ وَالأَنصارَ حُكمَهُمُ ... وَاللَهُ عَزَّزَ بِالأَنصارِ مَن نَصَروا
إِنّي رَئيتُكُمُ وَالحَقُّ مَغضَبَةٌ ... تَخزَونَ أَن يَذكَرَ الجَحّافُ أَو زُفَرُ
قَوماً يُرَدّونَ سَرحَ القَومِ عادِيَةً ... شُعثَ النَواصي إِذا ما يُطرَدُ العَكَرُ
إِنَّ الأُخَيطِلَ خِنزيرٌ أَطافَ بِهِ ... إِحدى الدَواهي الَّتي تُخشى وَتُنتَظَرُ
قادوا إِلَيكُم صُدورَ الخَيلِ مُعلِمَةً ... تَغشى الطِعانَ وَفي أَعطافِها زَوَرُ
كانَت وَقائِعُ قُلنا لَن تُرى أَبَداً ... مِن تَغلِبٍ بَعدَها عَينٌ وَلا أَثَرُ
حَتّى سَمِعتُ بِخِنزيرٍ ضَغا جَزَعاً ... مِنهُم فَقُلتُ أَرى الأَمواتَ قَد نُشِروا

أَحياؤُهُم شَرُّ أَحياءٍ وَأَلأَمُهُ ... وَالأَرضُ تَلفُظُ مَوتاهُم إِذا قُبِروا
رِجسٌ يَكونُ إِذا صَلّوا أَذانُهُمُ ... قَرعُ النَواقيسِ لا يَدرونَ ما السُوَرُ
فَما مَنَعتُم غَداةَ البِشرِ نِسوَتَكُم ... وَلا صَبَرتُم لِقَيسٍ مِثلَ ما صَبَروا

أَسلَمتُمُ كُلَّ مُجتابٍ عَباءَتَهُ ... وَكُلَّ مُخضَرَةِ القُريَينِ تُبتَقَرُ

هَلّا سَكَنتُم فَيُخفي بَعضَ سَوأَتِكُم   إِذ لا يُغَرُّ في قَتلاكُمُ غِيَرُ
يا اِبنَ الخَبيثَةِ ريحاً مَن عَدَلتَ بِنا   أَم مَن جَعَلتَ إِلى قَيسٍ إِذا ذَخَروا
قَيسٌ وَخِندِفُ أَهلُ المَجدِ قَبلَكُمُ   لَستُم إِلَيهِم وَلا أَنتُم لَهُم خَطَرُ
موتوا مِنَ الغَيظِ غَمّاً في جَزيرَتِكُم   لَم يَقطَعوا بَطنَ وادٍ دونَهُ مُضَرُ
ما عُدَّ قَومٌ وَإِن عَزّوا وَإِن كَرُموا   إِلّا اِفتَخَرنا بِحَقٍّ فَوقَ ما اِفتَخَروا
نَرضى عَنِ اللَهِ أَنَّ الناسَ قَد عَلِموا   أَن لَن يُفاخِرَنا مِن خَلقِهِ بَشَرُ
وَما لِتَغلِبَ إِن عَدَّت مَساعيها   نَجمٌ يُضيءُ وَلا شَمسٌ وَلا قَمَرُ
كانَت بَنو تَغلِبٍ لا يَعلُ جَدُّهُمُ   كَالمُهلَكينَ بِذي الأَحقافِ إِذ دَمَروا
صُبَّت عَلَيهِم عَقيمٌ ما تُناظِرُهُم   حَتّى أَصابَهُمُ بِالحاصِبِ القَدَرُ
تَهجونَ قَيساً وَقَد جَذّوا دَوابِرَكُم   حَتّى أَعَزَّ حَصاكَ الأَوسُ وَالنَمِرُ
إِنّي نَفَيتُكَ عَن نَجدٍ فَما لَكُمُ   نَجدٌ وَما لَكَ مِن غورِيِّهِ حَجَرُ
تَلقى الأُخَيطِلَ في رَكبٍ مَطارِفُهُم   بَرقُ العَباءِ وَما حَجّوا وَما إِعتَمَروا
الضاحِكينَ إِلى الخِنزيرِ شَهوَتَهُ   يا قُبِّحَت تِلكَ أَفواهاً إِذا إِكتَشَروا
وَالمُقرِعينَ عَلى الخِنزيرِ مَيسِرَهُم   بِئسَ الجَزورُ وَبِئسَ القَومُ إِذ يَسَروا
وَالتَغلِبِيُّ لَئيمٌ حينَ تَجهَرُهُ   وَالتَغلِبِيُّ لَئيمٌ حينَ يُختَبَرُ
وَالتَغلَبِيُّ إِذا تَمَّت مُروأَتُهُ   عَبدٌ يَسوقُ رِكابَ القَومِ مُؤتَجَرُ
نِسوانُ تَغلِبَ لا حِلمٌ وَلا حَسَبٌ   وَلا جَمالٌ وَلا دينٌ وَلا خَفَرُ
ما كانَ يَرضى رَسولُ اللَهِ دينَهُمُ   وَالطَيِّبانِ أَبو بَكرٍ وَلا عُمَرُ
جاءَ الرَسولُ بِدينِ الحَقِّ فَاِنتَكَثوا   وَهَل يَضيرُ رَسولَ اللَهِ أَن كَفَروا
يا خُزرَ تَغلِبَ إِنَّ اللُؤمَ حالَفَكُم   ما دامَ في ماردينَ الزَيتُ يُعتَصَرُ
تَسَربَلوا اللُؤمَ خَلقاً مِن جُلودِهِمُ   ثُمَّ اِرتَدوا بِثِيابِ اللُؤمِ وَاِتَّزَروا
الشاتِمينَ بَني بَكرٍ إِذا بَطِنوا   وَالجانِحينَ إِلى بَكرٍ إِذا اِفتَقَروا

هذه القصيدة في الأساس هي إحدى نقائض جرير جاءت رداً على نقيضة الأخطل الرائية التي هجاء فيها جرير بشدة ومطلعها:

خَفَّ القَطينُ فَراحوا مِنكَ أَو بَكَروا   وَأَزعَجَتهُم نَوىً في صَرفِها غِيَرُ

ومما ذكره الأخطل في هجائه لقبيلة غدانة بن يربوع، إخوة كليب،يصفهم بالأغنام ويصف الرجال بالفاحشة والخبث والجشع والبخل، ، ويلصق بنسائهم الرذائل والفحش، فيقول:

أَمّا كُلَيبُ بنُ يَربوعٍ فَلَيسَ لَهُم عِندَ المَكارِمِ لا وِردٌ وَلا صَدَرُ
مُخَلَّفونَ وَيَقضي الناسُ أَمرَهُمُ وَهُم بِغَيبٍ وَفي عَمياءَ ما شَعَروا
مُلَطَّمونَ بِأَعقارِ الحِياضِ فَما يَنفَكُّ مِن دارِمِيٍّ فيهِمِ أَثَرُ
بِئسَ الصُحاةُ وَبِئسَ الشَربُ شُربُهُمُ إِذا جَرى فيهِمِ المُزّاءُ وَالسَكَرُ
قَومٌ تَناهَت إِلَيهِم كُلُّ فاحِشَةٍ وَكُلُّ مُخزِيَةٍ سُبَّت بِها مُضَرُ
الآكِلونَ خَبيثَ الزادِ وَحدَهُمُ وَالسائِلونَ بِظَهرِ الغَيبِ ما الخَبَرُ
وَاِذكُر غُدانَةَ عِدّاناً مُزَنَّمَةً مِنَ الحَبَلَّقِ تُبنى حَولَها الصِيَرُ
تَمذي إِذا سَخُنَت في قُبلِ أَدرُعِها وَتَزرَئِمُّ إِذا ما بَلَّها المَطَرُ
وَما غُدانَةُ في شَيءٍ مَكانَهُمُ أَلحابِسو الشاءِ حَتّى تَفضُلَ السُؤَرُ
صُفرُ اللِحى مِن وَقودِ الأَدخِناتِ إِذا رَدَّ الرِفادَ وَكَفَّ الحالِبِ القَرِرُ
ثُمَّ الإِيابُ إِلى سودٍ مُدَنَّسَةٍ ما تَستَحِمُّ إِذا ما اِحتَكَّتِ النُقَرُ
قَد أَقسَمَ المَجدُ حَقّاً لا يُحالِفُهُم حَتّى يُحالِفَ بَطنَ الراحَةِ الشَعَرُ

وقصيدة جرير سارت في أسلوبها الفني وبنيتها العامة وفق تقليد القصيدة الجاهلية، في وقوفها على الديار والطلل، ووصف الرحلة وغير ذلك من عناصر المقدمة المعروفة. غير أن جرير يبدو في هذه المقدمة رقيق اللفظ، ذا عاطفة حزينة تجهش بذكريات الزمان، مع خطوات الظعن وتمايل الركب السائر ببطء، وكل ما حوله يهيج الأشجان، وهو يرى البعد الزماني والبعد المكاني المجهول الذي يغيب الحبيب أو المفقود.

ويستمر بهذا الوصف العاطفي الجياش مصحوباً بالغزل الطروب، وكأن هذه المقدمة أغنية لحنها يجري دون مغنٍ يغنيها لعذوبة ألفاظها.

ثم نراه ينتقل انتقالاً هادئاً بكل إنسياب إلى الافتخار بيربوع، ويتحدث عن البطولات والفوارس والمآثر والأمجاد التي لا يرى لها مثيلاً. ومن هنا يبدأ الهجاء بنفي أمجاد الآخر في سياق الفخر وما أثبته لذاته:

إِنّا وَأُمُّكَ ما تُرجى ظُلامَتُنا عِندَ الحِفاظِ وَما في عَظمِنا خَوَرُ
تَلقى تَميماً إِذا خاضَت قُرومُهُمُ حَومَ البُحورِ وَكانَت غَمرَةً جَسَروا

ويستمر في هجومه اللاذع على قبيلة تغلب ويسوق حشدا من المعايب والصفات القبيحة يصم القبيلة بها ويذكر شاعرها الأخطل ويصفه بالخنزير في إشارة إلى عقيدته النصرانية التي لا تحرم هذا الحيوان.كما تعرض لعقيدته الفاسدة وضرب النواقيس وعدم احترام هذه القبيلة وشاعرها للقيم والمثل الفاضلة وخاصة

التي جاء بها الإسلام، ويتواصل بهذا الأسلوب الهجائي القوي إلى آخر القصيدة موجها حديثه عن قبيلة تغلب والأخطل دون أن يشير إلى آخرين يقصدهم بالهجاء كالفرزدق مثلاً، فالقصيدة أعدت في الأساس رداً على الأخطل وقصيدته.

لقد اختار جرير لقصيدته لغة رصينة ومتينة ذات أبعاد دلالية جدية، مستخدماً أسلوب الوصف والمقارنة أحياناً، واعتمد في معظمها على الجملة الخبرية بقصد إعطاء المخاطب قدراً كبيراً من أخبار قبيلة تغلب وشاعرها الأخطل وما تنطوي عليه حالتها من سوء، ولم تأت الأساليب الإنشائية إلا لماما.

إيقاع القصيدة قام على بحر البسيط ذي التفعيلة المزدوجة "مستفعلن فعلن" وهو يمثل الوقع الصارم وقد تناسب تماما مع موضوع القصيدة ومع دلالاتها القوية، فالبسيط من الأوزان العروضية التي تلائم موضوعات الفخر والهجاء وكذا المديح، وهي معاني فخمة يؤطرها هذا الوزن ويستوعبها فتجري فيه بكل سهولة ويسر.وتأتي القافية بروي الراء المرفوعة المطلقة، لتشكل ثنائياً إيقاعيا رائعا مع وزن البسيط، وحرف الراء كثر استخدامه روياً في الشعر القديم والحديث لما يحدثه من رنة ساحرة تستعذبها الأذن، وتهتز لوقعها المشاعر، وهي بوقعها القوي تحدث تنبيها دلالياً، ليستوعب الذهن المعنى بكل وضوح كما في أبيات هذه القصيدة، فنرى في القافية مفردات متنوعة ما بين أسم وفعل مثل: الذكر البصر، بشر، القمر، انحدروا، كفروا ...

فكان بذلك إيقاع القصيدة إيقاعاً متلاحماً مع لغة القصيدة ودلالتها.

النص الثاني(٥٦)

أَقِلِّي اللَومَ عاذِلَ وَالعِتابا ... وَقولي إِن أَصَبتُ لَقَد أَصابا

أَجَدَّكَ ما تَذَكَّرُ أَهلَ نَجدٍ ... وَحَيّاً طالَ ما اِنتَظَروا الإِيابا

بَلى فَارفَضَّ دَمعُكَ غَيرَ نَزرٍ ... كَما عَيَّنتَ بِالسَرَبِ الطِبابا

وَهاجَ البَرقُ لَيلَةَ أَذرِعاتٍ ... هَوىً ما تَستَطيعُ لَهُ طِلابَ

فَقُلتُ بِحاجَةٍ وَطَوَيتُ أُخرى ... فَهاجَ عَلَيَّ بَينَهُما اِكتِئابا

وَوَجدٍ قَد طَوَيتُ يَكادُ مِنهُ ... ضَميرُ القَلبِ يَلتَهِبُ اِلتِهابا

سَأَلناها الشِفاءَ فَما شَفَتنا ... وَمَنَّتنا المَواعِدَ وَالخِلابا

لَشَتّانَ المُجاوِرُ دَيرَ أَروى ... وَمَن سَكَنَ السَليلَةَ وَالجِنابا

أَسيلَةُ مَعقِدِ السِمطَينِ مِنها ... وَرَيّا حَيثُ تَعتَقِدُ الحِقابا

وَلا تَمشي اللِئامُ لَها بِسِرٍّ ... وَلا تُهدي لِجارَتِها السِبابا

---

(٥٦) نفسه ص٥٨.

أَباحَت أُمُّ حَزرَةَ مِن فُؤادي ... شِعابَ الحُبِّ إِنَّ لَهُ شِعابا

مَتى أُذكَر بِخورِ بَني عِقالٍ ... تَبَيَّنَ في وُجوهِهِمِ اِكتِئابا

إِذا لاقى بَنو وَقبانَ غَمّاً ... شَدَدتُ عَلى أُنوفِهِمِ العِصابا

أَبى لي ما مَضى لي في تَميمٍ ... وَفي فَرعَي خُزَيمَةَ أَن أُعابا

سَتَعلَمُ مَن يَصيرُ أَبوهُ قَيناً ... وَمَن عُرِفَت قَصائِدُهُ اِجتِلابا

أَثَعلَبَةَ الفَوارِسِ أَو رِياحاً ... عَدَلتَ بِهِم طُهَيَّةَ وَالخِشابا

كَأَنَّ بَني طُهَيَّةَ رَهطَ سَلمى ... حِجارَةُ خارِئٍ يَرمي كِلابا

فَلا وَأَبيكَ ما لاقَيتُ حَيّاً ... كَيَربوعٍ إِذا رَفَعوا العُقابا

وَما وَجَدَ المُلوكُ أَعَزَّ مِنّا ... وَأَسرَعَ مِن فَوارِسِنا اِستِلابا

وَنَحنُ الحاكِمونَ عَلى قُلاخٍ ... كَفَينا ذا الجَريرَةِ وَالمُصابا

حَمَينا يَومَ ذي نَجَبٍ حِمانا ... وَأَحرَزنا الصَنائِعَ وَالنِهابا

لَنا تَحتَ المَحامِلِ سابِغاتٌ ... كَنَسجِ الريحِ تَطَّرِدُ الحَبابا

وَذي تاجٍ لَهُ خَرَزاتُ مُلكٍ ... سَلَبناهُ السُرادِقَ وَالحِجابَ

أَلا قَبَحَ الإِلَهُ بَني عِقالٍ ... وَزادَهُمُ بِغَدرِهِمِ اِرتِيابا

أَجيرانَ الزُبَيرِ بَرِئتُ مِنكُم ... فَأَلقوا السَيفَ وَاِتَّخِذوا العِيابا

لَقَد غَرَّ القُيونُ دَماً كَريماً ... وَرَحلاً ضاعَ فَاِنتُهِبَ اِنتِهابا

وَقَد قَعِسَت ظُهورُهُمُ بِخَيلٍ ... تُجاذِبُهُم أَعِنَّتَها جِذابا

عَلامَ تَقاعَسونَ وَقَد دَعاكُم ... أَهانَكُمُ الَّذي وَضَعَ الكِتابا

تَعَشّوا مِن خَزيرِهِمُ فَناموا ... وَلَم تَهجَع قَرائِبُهُ اِنتِحابا

أَتَنسَونَ الزُبَيرَ وَرَهطَ عَوفٍ ... وَجِعثِنَ بَعدَ أَعيَنَ وَالرَبابا

وَخورُ مُجاشِعٍ تَرَكوا لَقيطاً ... وَقالوا حِنوَ عَينِكَ وَالغُرابَ

وَأَضبُعُ ذي مَعارِكَ قَد عَلِمتُم ... لَقينَ بِجَنبِهِ العَجَبَ العُجابا

وَلا وَأَبيكَ ما لَهُمُ عُقولٌ ... وَلا وُجِدَت مَكاسِرُهُم صِلابا

وَلَيلَةَ رَحرَحانِ تَرَكتَ شَيباً ... وَشُعثاً في بُيوتِكُمُ سِغابا

رَضِعتُم ثُمَّ سالَ عَلى لِحاكُم ... ثُعالَةَ حَيثُ لَم تَجِدوا شَرابا

تَرَكتُم بِالوَقيطِ عُضارِطاتٍ ... تُرَدِّفُ عِندَ رِحلَتِها الرِكابا

لَقَد خَزِيَ الفَرَزدَقُ في مَعَدٍّ ... فَأَمسى جَهدُ نُصرَتِهِ اِغتِيابا

وَلاقى القَينُ وَالنَخَباتُ غَمّاً ... تَرى لِوُكوفِ عَبرَتِهِ اِنصِبابا

فَما هِبتُ الفَرَزدَقَ قَد عَلِمتُم ... وَما حَقُّ اِبنِ بَروَعَ أَن يُهابا

أَعَدَّ اللَهُ لِلشُعَراءِ مِنّي ... صَواعِقَ يَخضَعونَ لَها الرِقابا
قَرَنتُ العَبدَ عَبدَ بَني نُمَيرٍ ... مَعَ القَينَينِ إِذ غُلِبا وَخابا
أَتاني عَن عَرادَةَ قَولُ سوءٍ ... فَلا وَأَبي عَرادَةَ ما أَصابا
لَبِئسَ الكَسبُ تَكسِبُهُ نُمَيرٌ ... إِذا اِستَأنَوكَ وَاِنتَظَروا الإِيابا
أَتَلتَمِسُ السِبابَ بَنو نُمَيرٍ ... فَقَد وَأَبيهِمُ لاقَوا سِبابا
أَنا البازي المُدِلُّ عَلى نُمَيرٍ ... أُتِحتُ مِنَ السَماءِ لَها اِنصِبابا
إِذا عَلِقَت مَخالِبُهُ بِقِرنٍ ... أَصابَ القَلبَ أَو هَتَكَ الحِجابا
تَرى الطَيرَ العِتاقَ تَظَلُّ مِنهُ ... جَوانِحَ لِلكَلاكِلِ أَن تُصابا
فَلا صَلّى الإِلَهُ عَلى نُمَيرٍ ... وَلا سُقِيَت قُبورُهُمُ السَحابا
وَخَضراءِ المَغابِنِ مِن نُمَيرٍ ... يَشينُ سَوادُ مَحجِرِها النِقابا
إِذا قامَت لِغَيرِ صَلاةِ وِترٍ ... بُعَيدَ النَومِ أَنبَحَتِ الكِلابا
وَقَد جَلَّت نِساءُ بَني نُمَيرٍ ... وَما عَرَفَت أَنامِلُها الخِضابَ
إِذا حَلَّت نِساءُ بَني نُمَيرٍ ... عَلى تِبراكَ خَبَّثَتِ التُرابا
وَلَو وُزِنَت حُلومُ بَني نُمَيرٍ ... عَلى الميزانِ ما وَزَنَت ذُبابا
فَصَبراً يا تُيوسَ بَني نُمَيرٍ ... فَإِنَّ الحَربَ موقِدَةٌ شِهابا
لَعَمرُ أَبي نِساءِ بَني نُمَيرٍ ... لَساءَ لَها بِمَقصَبَتي سِبابا
سَتَهدِمُ حائِطَي قَرماءَ مِنّي ... قَوافٍ لا أُريدُ بِها عِتابا
دَخَلنَ قُصورَ يَثرِبَ مُعلِماتٍ ... وَلَم يَترُكنَ مِن صَنعاءَ بابا
تَطولُكُمُ حِبالُ بَني تَميمٍ ... وَيَحمي زَأرُها أَجَماً وَغابا
أَلَم نُعتِق نِساءَ بَني نُمَيرٍ ... فَلا شُكراً جَزَينَ وَلا ثَوابا

أَلَم تَرَني صُبِبتُ عَلى عُبَيدٍ ... وَقَد فارَت أَباجِلُهُ وَشابا
أُعِدَّ لَهُ مَواسِمَ حامِياتٍ ... فَيَشفي حَرُّ شُعلَتِها الجِرابا
فَغُضَّ الطَرفَ إِنَّكَ مِن نُمَيرٍ ... فَلا كَعباً بَلَغتَ وَلا كِلابا
أَتَعدِلُ دِمنَةً خَبُثَت وَقَلَّت ... إِلى فَرعَينِ قَد كَثُرا وَطابا
وَحُقَّ لِمَن تَكَنَّفَهُ نُمَيرٌ ... وَضَبَّةُ لا أَبالَكَ أَن يُعابا

فَلَولا الغُرُّ مِن سَلَفي كِلابٍ ... وَكَعبٍ لَاغتَصَبتُكُمُ اِغتِصابا
فَإِنَّكُمُ قَطينُ بَني سُلَيمٍ ... تُرى بُرقُ العَباءِ لَكُم ثِيابا
إِذاً لَنَفَيتُ عَبدَ بَني نُمَيرٍ ... وَعَلَيَّ أَن أَزيدَهُمُ اِرتِيابا
فَيا عَجَبي أَتوعِدُني نُمَيرٌ ... بِراعي الإِبلِ يَحتَرِشُ الضِبابا
لَعَلَّكَ يا عُبَيدُ حَسِبتَ حَربي ... تَقَلُّدَكَ الأَصِرَّةَ وَالعِلابا
إِذا نَهَضَ الكِرامُ إِلى المَعالي ... نَهَضتَ بِعُلبَةٍ وَأَثَرتَ نابا
يَحِنُّ لَهُ العِفاسُ إِذا أَفاقَت ... وَتَعرِفُهُ الفِصالُ إِذا أَهابا
فَأَولِع بِالعِفاسِ بَني نُمَيرٍ ... كَما أَولَعتَ بِالدَبَرِ الغُرابا
وَبِئسَ القَرضُ قَرضُكَ عِندَ قَيسٍ ... تُهَيِّجُهُم وَتَمتَدِحُ الوِطابا
وَتَدعو خَمشَ أُمِّكَ أَن تَرانا ... نُجوماً لا تَرومُ لَها طِلابا
فَلَن تَسطيعَ حَنظَلَتى وَسُعدى ... وَلا عَمرى بَلَغتَ وَلا الرِبابا
قُرومٌ تَحمِلُ الأَعباءَ عَنكُم ... إِذا ما الأَمرُ فِي الحَدَثانِ نابا
هُمُ مَلَكوا المُلوكَ بِذاتِ كَهفٍ ... وَهُم مَنَعوا مِنَ اليَمَنِ الكُلابا
يَرى المُتَعَيِّدونَ عَلَيَّ دوني ... أُسودَ خَفِيَّةِ الغُلبِ الرِقابا
إِذا غَضِبَت عَلَيكَ بَنو تَميمٍ ... حَسِبتَ الناسَ كُلُّهُمُ غِضابا
أَلَسنا أَكثَرَ الثَقَلَينِ رَجلاً ... بِبَطنِ مِنىً وَأَعظَمُهُ قِبابا
وَأَجدَرَ إِن تَجاسَرَ ثُمَّ نادى ... بِدَعوى يالَ خِندِفَ أَن يُجابا
لَنا البَطحاءُ تُفعِمُها السَواقي ... وَلَم يَكُ سَيلُ أَودِيَتي شِعابا
فَما أَنتُم إِذا عَدَلَت قُرومي ... شَقاشِقَها وَهافَتَتِ اللُعابا
تَنَحَّ فَإِنَّ بَحري خِندِفِيٌّ ... تَرى فِي مَوجِ جِريَتِهِ عُبابا

بِمَوجٍ كَالجِبالِ فَإِن تَرُمهُ ... تُغَرَّق ثُمَّ يَرمِ بِكَ الجَنابا
فَما تَلقى مَحَلِّيَ فِي تَميمٍ ... بِذي زَلَلٍ وَلا نَسَبي اِئتِشابا
عَلَوتُ عَلَيكَ ذِروَةَ خِندِفِيٍّ ... تَرى مِن دونِها رُتَباً صِعابا
لَهُ حَوضُ النَبِيِّ وَساقِياهُ ... وَمَن وَرِثَ النُبُوَّةَ وَالكِتابا
وَمِنّا مَن يُجيزُ حَجيجَ جَمعٍ ... وَإِن خاطَبتَ عَزَّكُمُ خِطابا
سَتَعلَمُ مَن أَعِزُّ حِمىً بِنَجدٍ ... وَأَعظَمُنا بِغائِرَةٍ هِضابا
أُعُزُّكَ بِالحِجازِ وَإِن تَسَهَّل ... بِغَورِ الأَرضِ تُنتَهَبُ اِنتِهابا

أَتَيعَـرُ يـا إبـنَ بَـروَعَ مِـن بَعيـدٍ فَقَـد أَسمَعـتَ فَاِسـتَمِعِ الجَـوابا
فَـلا تَجـزَع فَـإِنَّ بَنـي نُمَـيرٍ كَـأَقوامٍ نَفَحـتَ لَهُـم ذِنابـا
شَـياطينُ الـبِلادِ يَخَفـنَ زَأري وَحَيَّـةُ أَريَحـاءَ لـي اِستَجـابا
تَرَكـتُ مُجاشِـعاً وَبَنـي نُمَـيرٍ كَـدارِ السـوءِ أَسـرَعَتِ الخَـرابا
أَلَـم تَرَنـي وَسَـمتُ بَنـي نُمَـيرٍ وَزِدتُ عَلـى أُنـوفِهِمُ العِـلابا
إِلَيـكَ إِلَيـكَ عَبـدَ بَـني نُمَـيرٍ وَلَمّـا تَقتَـدِح مِنّـي شِهـابا

ذاع صيت هذه القصيدة وحظيت بشهرة واسعة، ولعلها أشهر قصائد جرير سيرورة وتمثلاً وذلك لما صاحبها من حدث ومرويات، فقد ارتبطت بملابسات تاريخية تتعلق بالصراع بين جرير والشعراء الذين وقفوا له في إطار المهاجاة الطويلة.

وقد انهالت على هذه القصيدة المقولات النقدية والتسميات من قبل القدما، فسموها بالفاضحة، والدامغة وغيرها.

وقبل أن ينظم جرير هذه القصيدة أصابته حالة من الغضب والتوتر النفسي لما لحقه من خصومه، فعاش ليلة كاملة من الانفعال ولم يطعم جفنه النوم حتى أتى على آخر بيت في القصيدة تقول الرواية: " فجعل جرير – وهو ينظم القصيدة -يهمهم فسمعت صوته عجوز في الدار فاطلعت في الدرجة حتى نظرت إليه فإذا هو يحبو على الفراش عريانا لما هو فيه، فانحدرت فقالت: ضيفكم مجنون رأيت منه كذا وكذا، فقالوا لها: اذهبي لطيتك نحن أعلم به وبما يمارس، فما زال كذلك حتى كان السحر ثم إذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتاً في بني نمير، فلما ختمها بقوله:

فغُـضِّ الطَّـرْفَ إنَّـكَ مـن نُمَـيرٍ فـلا كَعْبـاً بلغـتَ وَلا كِلاَبَـا

كبر، ثم قال: أخزيتُه ورب الكعبة"[٥٧].

وقد جاء في سبب نظم القصيدة خبراً مطولاً في كتب الأدب يقول:

" أن عرادة النميري كان نديما للفرزدق فقدم الراعي البصرة فقدم عرادة طعاما وشرابا فدعا الراعي، فلما أخذت الكاس منهما قال عراده للراعي: يا أبا جندل قل شعرا تفضل الفرزدق على جرير فلم يزل يزين له ذلك حتى قال:

يـا صـاحبي دنـا الأصـيل فسـيرا غلـب الفـرزدق في الهجـاء جريـرا

(٥٧) الأغاني، ج٨، ص٣٤.

فغدا به عرادة على الفرزدق فأنشده إياه، وكان عبيد الراعي شاعر مضر وذا سنها، فحسب جرير أنه مغلب الفرزدق عليه، فلقيه يوم الجمعة، فقال: يا أبا جندل إني أتيتك بخبر أتاني إني وابن عمي هذا -يعني الفرزدق- نستب صباحا ومساء وما عليك غلبة المغلوب ولا عليك غلبة الغالب، فإما أن تدعني وصاحبي وإما أن تغلبني عليه لانقطاعي إلى قيس وحطي في حبلهم، فقال له الراعي: صدقت لا أبعدك من خير ميعادك المربد فصحبه جرير، فبينما هما يستخرج كل منهما مقالة صاحبه رآهما جندل بن عبيد فأقبل يركض على فرس له فضرب بغلة أبيه الراعي، وقال: مالك يراك الناس واقفا على كلب بني كليب؟ فصرفه عنه، فقال جرير: أما والله لأثقلن رواحلك، ثم أقبل إلى منزلة فقال للحسين روايته: زد في دهن سراجك الليلة وأعدد لوحا ودواة، ثم أقبل على هجاء بني نمير، فلم يزل يملي حتى ورد عليه قوله:

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فقال: حسبك أطفئ سراجك ونم فرغت منه، ثم إن جريرا أتم هذه بعد وكان يسميها الدامغة أو الدماغة، وكان يسمى هذه القافية المنصورة، لأنه قال قصائد فيها كلهن أجاد فيها، وبعد أن أتمها أدخل طرف ثوبه

بين رجليه، ثم هدر فقال: أخزيت ابن يربوع، حتى إذا أصبح غدا ورأى الراعي في سوق الإبل، فأتاه وأنشده إياها حتى وصل إلى قوله:

أجندل ما تقول بنو نمير ... إذا ما الأير في است أبيك غابا

فقال الراعي: شرا والله تقول:

علوت عليك ذروة خندفي ... ترى من دونها رتبا صعابا

لنا حوض النبي وساقياه ... ومن ورث النبوة والكتابا

إذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضابا

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فقال الراعي وهو يريد نقضها:

أتاني أن جحش بني كليب ... تعرض حول دجلة ثم هابا

فأولى أن يظل البحر يطفو ... بحيث ينازع الماء السحابا

أتاك البحر يضرب جانبيه ... أغر ترى لجريته حبابا

ثم كفّ ورأى أن لا يجيبه، فأجاب عنه الفرزدق على روي قوله:

أنا ابن العاصمين بني تميم ... إذا ما أعظم الحدثان نابا

ثم إن الراعي قال لابنه: يا غلام بئسما كسبنا قومنا، ثم قام من ساعته وقال لأصحابه: ركابكم فليس لكم ها هنا مقام فضحكم جرير، فقال له بعض القوم: ذلك بشؤمك وشؤم ابنك. وسار إلى أهله فلما وصل إليهم سمع عند القدوم "فغض الطرف إنك من نمير .." وأقسم بالله ما بلغها إنسي وإن لجرير لأشياعا من الجن، فتشاءمت به بنو نمير وسبوه وسبوه ابنه وهم يتشاءمون به إلى الآن[٥٨].

وقد نسجت روايات عديدة حول أثر هذه القصيدة، ومسيرها مثلاً بين الناس، ويسلط الضوء بالذات على بيت واحد في القصيدة حول بني نمير، فقد روى الجاحظ[٥٩]: "ان امرأة مرت بمجلس من مجالس بني نمير فتأملها ناس منهم فقالت: يا بني نمير لا قول الله سمعتم، ولا قول الشاعر أطعتم؛ قال الله تعالى: " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم"، وقال الشاعر:

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ويروي الجاحظ[٦٠] مشيرا في موضع آخر -إلى فعل هذه القصيدة في بني نمير: "وإذا كان بيت واحد يربطه الشاعر في قوم لهم النباهة والعَدد والفَعال مثل نُمير يصير أهلُه إلى ما صارت إليه نُمير وغير نمير فما ظنُّكَ بالظُّلَيم وبمناف وبالحَبِطات وقد بلغ مضرَّةُ جرير عليهم حيثُ قال:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

إلى أن قال شاعر آخر وهو يهجو قَوْماً آخَرين:

وسَوفَ يزيدُكم ضَعةً هِجَائِي كما وضعَ الهجاءُ بَنِي نُميْرِ

وحتّى قال أبو الرُّدَيْنيّ :

أَتُوعِدُنِي لِتَقْتُلَنِي نُميْرٌ مَتى قَتَلَتْ نُميْر مَنْ هَجَاهَا

وقد ابتنت القصيدة على غير مبنى القصائد الأخرى في مقدمتها، فلم تلتزم بالطلل والديار، بل بدأت بالغزل الرقيق، ثم الأفتخار وبعد ذلك يأتي الهجاء الذي صال وجال فيه جرير، حتى روّع الخصوم وأفزعهم.

والقارئ للقصيدة يجد فيها عنفوناً ولغة غاضبة وأسلوباً ساخراً يظهر الشاعر في هياج وانتقام، حتى في بداية القصيدة الغزلية يظهر انفعال الشاعر وسخطه في إقلال اللوم، وهياج البرق والتهاب القلب لهابا، وسوء العلاقة مع المحبوب.

---

(٥٨) خزانة الأدب، للبغدادي، ج١، ص٨٧ -٩٠.

(٥٩) البيان والتبيين، للجاحظ، ص٥٧٦.

(٦٠) الحيوان، للجاحظ،ج١، ص٣٦٤.

أما الهجاء فشغل معظم القصيدة، وتناول الشاعر عدداً من الشخصيات وقبائلهم، وصب عليهم وابلاً من العيوب وألصق بهم المخازي، ومن تلك الشخصيات الفرزدق والراعي النميري وغيرهم.

ومما زاد في قوة القصيدة إيقاعها الراقص الذي وفق الشاعر وأجاد في اختياره وزناً وقافية بتمازج وانسجام زاد في حسن المبنى، وعمق المعنى.

فوزن الوافر من الأوزان السريعة التي لا يتلكأ فيها المعنى ، ولا تتأرجح فيها المفردات، وإنما تنساب وتتوالى تأخذ برقاب بعضها وهذا ما فعله الشاعر بصياغته واختياره لمفرداته يساعده هذا الوزن الإيقاعي. فالوافر بحر عروضي ينتمي إلى المجموعة الأولى التي تتكرر في شطريها تفعلية واحدة ، وتفعلية الوافر هي "مفاعلتن" تتكرر ست مرات" وهي تفعلية يتسم إيقاعها بالتموج الحركي والتفخيم، فيحدث جلجلة تتناسب مع القضايا الجدية.

وتأتي القافية بحرف الروي الباء المطلقة بحرف الخروج الألف لتعطي البيت الشعري انطلاقاً غير محدود في نهايته، فيما الإيقاع مع ألف الإطلاق بعد أن يحدث روي الباء الصامت وقفة تهز المشاعر. فالباء من حروف الذلاقة التي تتصف بالطلاقة والوضوح، ومن ثم تحدث إيقاعاً فخماً قوياً في قوافي الشعر سواء جاءت مطلقة أو مقيدة.

خلاصة البحث:

تفرد هجاء جرير عن غيره بميزتين عامة وخاصة: أما العامة فهي الرعاية الرسمية من قبل الخلفاء والأمراء لفن الهجاء المعروف بفن النقائض عموماً، وأما الخاصة فإن جريرا كان يقف لوحده أمام جيش كبير من الشعراء الخصوم المهاجمين وهو في موقف الدفاع والرد.

ولقد حار النقاد في الحكم على شعر جرير وتفضيله، فبعضهم يرى أن شعر جرير هو ذلك الشعر السهل في ألفاظه الميسور في معانيه ودلالاته وهو ما جعله سائراً متمكناً في وجدان العامة، لكن هذا الرأي إذا سلمنا بصوابه لا يمنع اهتمام الخاصة به ومتابعتهم له تماما كما هو حظ غيره من الشعراء الأقران.

والقارئ لشعر جرير والذي غلب عليه موضوع الهجاء والمهاجاة يجده ذا لغة متينة وقوية بعيدة عن الإغراب إلى حد كبير، وتميز أسلوب جرير بتوجيهالخطاب مباشرة نحو المخاطب المهجو وحفل شعره بصور بلاغية قائمة على التشبيهات والاستعارات وبعض الكنايات، كماعتمد على مصطلحات ومسميات مكروهة وظفها في هجائه تجاه الخصوم، حتى إنه وصل في بعض الأحيان إلى حالة الفحش والإقذاع والإيلام.

ورغم ذلك يبقى الهجاء في تلك الفترة ومنه هجاء جرير نوعاً من العمل الفني المحترف لا يثير الخصومات كتلك التي كان يثيرها الهجاء في العصر الجاهلي.

المصادر والمراجع

١- الأدب المفرد، للبخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ، دار البشائر الإسلامية -بيروتالطبعة الثالثة ، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م.

٢- الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت.

٣- الأمالي في لغة العرب، لأبي علي القالي دار الكتب العلمية – بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٤- البيان والتبيين: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : المحامي فوزي عطوي، دار صعب – بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

٥- البداية والنهاية، لابن كثير

٦- تاريخ آداب العرب، للرافعي،

٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. للذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت،الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٨- الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ١٤١٦-بيروت لبنان،هـ -١٩٩٦م.

٩- خاص الخاص، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق : حسن الأمين، دار مكتبة الحياة – بيروت.

١٠- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، وإميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت،

١١- ديوان جرير، دار صادر بيروت لبنان.

١٢- ديوان حسان بن ثابت، شرحه وضبطه: د.عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر بيروت لبنان.

١٣- ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري.

١٤- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥- سنن أبي داود، تعليق: عزت الدعاس، دار الحديث حمص، الطبعة الأولى ١٩٦٩م.

١٦- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، دار إحياء العلوم بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

١٧- طبقات فحول الشعراء, لابن سلاّم الجمحي، تحقيق: محمود محمّد شاكر , دار المدني , جدة،

١٨- العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف الطبعة الثامنة.

١٩- العمدة لابن رشيق، تحقيق: د. محمد قرقزان، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

٢٠- لسان العرب،لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٢١- الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٢- محاضرات الأدباء، الراغب الأصفهاني.

٢٣- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الرابعة ١٩٩١م ،

٢٤- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧هـ ١٩٤٧م.

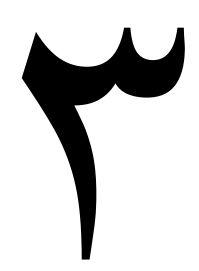
٢٥- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار الساقي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢٦- الموشح للمرزباني

الخصائص المناخية ودورها في تلوث هواء مدينة صنعاء

د/ عبدالله حيدر سالم علي

أستاذ مساعد-كلية التربيةجامعة حجة



الملخص

يسهم الموقع الفلكي والجغرافي (التضرس) في إكساب مدينة صنعاء خصوصية مناخية قلَّ أن تجد لها نظيراً في باقي المدن اليمنية، إذ تسهم الأحوال المناخية المميزة لهذه المدينة في التأثير على كثافة ملوثات الهواء ذات المصدر البشري في الدرجة الأولى والطبيعي في الدرجة الثانية .

تَّم في هذا البحث تحديد الخصائص المناخية لمدينة صنعاء، وأهم مصادر تلوث الهواء والممثلة في السيارات ومحطات توليد الطاقة الكهربائية، ومصانع الطوب والكسارات والمحاجر والعواصف الغبارية التي تسهم في تلوث هواء هذه المدينة بالجزيئات العالقة والغبار والغازات الضارة بالإضافة لدراسة وتحليل أثر العناصر المناخية خصوصاً عنصري درجة الحرارة واتجاه الرياح وسرعتها في ملوثات الهواء .

المقدمة:

يعدُّ تلوث الهواء أحد أهم القضايا التي يعاني منها عالمنا المعاصر، كون هذا التلوث لا يقف عند حدود معينة، بل يتعدَّى ذلك إلى مسافات كبيرة تبعد عن مصدره الرئيسي عندما تندمج كتلة الهواء الملوث مع حركة الجو العامة .

هناك مجموعة من العوامل التي تتفاعل مع بعضها لتحدد كمية الملوثات وكثافتها وتؤثر على عملية نقل الملوثات وتركيزها وتشتيتها ومن هذه العوامل وأكثرها أهمية الأحوال المناخية السائدة، إذ تسهم العناصر المناخية لا سيما درجة الحرارة والرياح والأمطار والرطوبة، في التأثير على نسب الملوثات التي تبُث بالهواء ، من خلال النقل والتخفيف والتحول والإزالة(واجنر ، ١٩٩٧، ص ١١٤) .

وعلى الرغم من أن لكل عنصر من عناصر المناخ تأثيره في ملوثات الهواء إلا أنه ليس لكل منها التأثير نفسه في عملية التركيز والإزالة إذ " تعدُّ درجة الحرارة واتجاه الرياح وسرعتها من أهم العوامل المؤثرة على شدَّة تركز الملوثات في الجو، كما أنَّ التهطال يقوم بدور المنظف للجو من بعض ملوثاته" (موسى ، ١٩٩٦ ، ص٧٥)

١-١- هدف البحث :

التعرف والكشف عن دور العناصر المناخية في التأثير على ملوثات الهواء في مدينة صنعاء من خلال الإجابة على الأسئلة الآتية : ١. ما لخصائص المناخية لمدينة صنعاء ؟ ٢ـ ما مصادر التلوث الهوائي في مدينة صنعاء ؟ ٣. ما تأثير عناصر المناخ على ملوثات الهواء في مدينة صنعاء؟ .

١-٢- منهجية البحث :

اعتمد البحث في استقصاء بياناته على التقارير والإحصاءات المناخية الصادرة من الجهات الرسمية في اليمن، وكذلك الرجوع للبحوث والدراسات والمراجع التي تناولت مواضيع المناخ والتلوث الهوائي .

١-٣- موقع منطقة الدراسة وحدودها :

تقع مدينة صنعاء في النصف الغربي من الجمهورية اليمنية جنوبي حوض صنعاء، منتصف الهضبة اليمنية وتشغل المنطقة المحصورة بين دائرتي عرض ٠٨ ١٥ و ٣٥ ١٥ شمالاً وخطي طول ٠٥ ٤٤ و ٢٠ ٤٤ شرقاً ، بمساحة تقدر بـ ٦٦٠كم٢، ويطلق عليها أمانة العاصمة ،أتبع هذا الموقع الفلكي مدينة صنعاء لنطاق المناخ المداري لنصف الكرة الشمالي، غير أن ارتفاع مدينة صنعاء الذي يزيد عن ٢٢٠٠م فوق مستوى سطح البحر أكسبها خصائص مناخية خاصة بها مقارنة بغيرها من المدن الواقعة على خط العرض نفسه شرقاً أم غرباً لا سيما الاعتدال الحراري حيث غابت الفصلية الواضحة وحل مكانها ما يمكن وصفه بالربيع الدائم .وتقع مدينة صنعاء في أعلى حوض صنعاء المتكون من ثنية مقعرة يتوزع فيها عدد من المظاهر التضاريسية أهمها :

١- سلسلة جبال عيبان وبني مطر " غرب المدينة " التي تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الغربي للمدينة.

٢- سلسلة جبال شتر وظفر واللحد الصغير في جنوب المدينة وانحدارها نحو الشمال مما جعل المدينة تقع في قلب شبه مغلق إذ لا يوجد متسع لها إلا في الشمال .

تتميز مدينة صنعاء بكونها المدينة الأولى وعاصمة اليمن من حيث عدد سكانها وكبر مساحتها مقارنة بالمدن اليمنيه الأخرى، إذ تجاوز عدد سكانها المليون والثمانمائة ألف نسمة ١.٨٣٤.٢٩٣ نسمة بحلول عام ٢٠٠٤م ،(الجهاز المركزي للإحصاء ، ٢٠٠٤م،ص ٣١١) وبلغ معدل النمو السكاني فيها ١٤.٦ ٪ مقارنة بمعدل ٣.٢ ٪ كمعدل نمو لعموم اليمن ، ويتوزع سكان المدينة في تسعة قطاعات تخطيطية تنقسم هذه القطاعات على ٤٧ حياً سكنياً و ٢٩٤ حارة ويوجد فيها أكثر من ١٦٢.٠٠٠ مسكناً تنتشر على مساحة مخططة تقدر بـ ١٢٥كم٢، وتقدر الكثافة السكانية وسط المدينة بـ ٣٠٠ نسمة / هكتار (أمانة العاصمة ، ١٩٩٨م) وهذه الكثافة في تنام مستمر سنوياً

٢- الخصائص المناخية لمدينة صنعاء :

٢-١- الإشعاع الشمسي :

تدخل اليمن ضمن المناطق المدارية المشمسة والدافئة حيث تتعامد الشمس عليها مرتين في العام أثناء نصف السنة الصيفي، وتبعاً لذلك تردها الأشعة الشمسية قريبة من الوضع العمودي ، ويتقارب طول الليل والنهار ، لذا تعد المحصلة الإشعاعية في هذه العروض موجبة ، إذ تصلها قدرة حرارية ضخمة من الأشعة الشمسية طوال العام ، وتبعاً لذلك يتصف هواء هذه العروض بالدفء طوال العام (الشاعر ، ٢٠٠٤م،ص١١٩) وتدخل مدينة صنعاء بموقعها – كما ذكرنا سلفاً-ضمن هذا النطاق، وعموماً يظهر الجدول (١،٢) توزيع الإشعاع الشمسي في مدينة صنعاء .

جدول (١) التوزيع الشهري للإشعاع الشمسي في مدينة صنعاء كيلو /كالوري/سم٢ /يوم للمدة من ١٩٨٠-١٩٩٧م

الأشهر	ك/ثاني	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين١	تشرين٢	ك/أول
الإشعاع الشمسي	٣٤١	٣٧٨	٤١١	٣٨٩	٤٧٨	٤٥٣	٤٠١	٣٩٤	٤٤٥	٤٣١	٣٤٣	٣٣٤

المصدر: الهيئة العامة للأرصاد الجوية صنعاء إدارة المناخ بيانات غير منشورة.

جدول (٢) التوزيع الفصلي للإشعاع الشمسي في مدينة صنعاء كيلو كالوري /سم٢/ يوم

الشتاء	الربيع	الصيف	الخريف	المعدل السنوي
٣٥١	٤٢٦	٤١٦	٤٠٦	٣٩٩.٨

المصدر : الجدول (١)

وكما يلاحظ من جدولي التوزيع الشهري والفصلي أن أشهر الشتاء تعد أقل أشهر السنة تلقياً للإشعاع الشمسي لصغر زاوية ا لورود وتناقص عدد ساعات النهار ،كما تعد أشهر الربيع أكثر شهور السنة تلقياً للإشعاع الشمسي بسبب تعامد أشعة الشمس على سطح اليمن أثناء مسيرتها الظاهرية من خط الاستواء نحو مدار السرطان في النصف الثاني من هذا الفصل،بالإضافة إلى صفاء السماء وقلة السحب لهذا تصل كمية الإشعاع الشمسي الفصلي إلى ٤٢٤ كيلو /كالوري سم٢/يوم ويلاحظ انخفاض كمية الطاقة الشمسية في شهر " نيسان" إلى ٣٨٩ كيلو كالوري/مم٢/يوم بسبب " القمة المطرية الربيعية في هذا الشهر"وتغطية السماء بالسحب .

أما أشهر الصيف فعلى الرغم من أن الشمس تتعامد في منتصفه على محطات اليمن وترتفع زاوية الورود، إلا أن هذا الفصل يعد أقل كمية للإشعاع الشمسي مقارنة بفصل الربيع ومرد ذلك إلى زيادة تغطية السماء بالسحب التي تعمل بدورها على حجب كمية كبيرة من الأشعة الشمسية ، وتبدأ كمية الإشعاع الشمسي بالتراجع خلال أشهر الخريف عمًّا كانت عليه في أشهر الصيف لتصل إلى معدل فصلي ٤٠٦ كيلو/ كالوري /سم٢/يوم.

٢-٢- درجات الحرارة :

يعد اليمن بلداً دافئاً على مدار السنة ،ولولا التضاريس لأضحى بلداً شديد الحرارة في أغلب الشهور (آغا، ١٩٨٣،ص ٢٢٨)فمدينة صنعاء وعلى الرغم من وقوعها في النطاق المداري إلا أن للتضاريس أثراً في الحد من ارتفاع درجات الحرارة إذ يتميز مناخها باعتدال الحرارة طوال العام،حيث بلغ المعدل السنوي للحرارة ١٨.٤٥درجة مئوية ويتذبذب من ١٣.١ درجة مئوية في كانون الأول إلى ٢٢.٩درجة مئوية في شهر تموز بمدى حراري سنوي ٩.٨ درجة مئوية جدول رقم (٣).

جدول رقم (٣) معدلات درجات الحرارة (مْ) العظمى والصغرى والمعدل السنوي في مدينة صنعاء للمدة من١٩٨٥-٢٠٠٠م

الشهر / المعدل	العظمى	الصغرى	المعدل
كانون ثاني	٢٧.٢	١.٤	١٤.٣
شباط	٢٩.٢	٢.٣	١٥.٨
آذار	٣٠.٨	٥.٩	١٨.٤
نيسان	٣٠.٩	٨.٤	١٩.٧
أيار	٣٢.٢	٨.٧	٢٠.٥
حزيران	٣٣.٦	١١.٣	٢٢.٢
تموز	٣٣.٤	١٢.٣	٢٢.٩
آب	٢٣.٨	١٢.٣	٢٢.٦
أيلول	٣١.٣	٨.٤	١٩.٨
تشرين أول	٢٨.٤	٥.٣	١٦.٦
تشرين ثاني	٢٦.٨	٢.١	١٤.٥
كانون أول	٢٦.٣	٠.٣	١٣.١
المعدل السنوي	-	-	١٨.٤

الهيئة العامة للطيران المدني والأرصاد الجوية ، صنعاء ، بيانات غير منشورة .

وكما يوضح الجدول (٣) أن معدل درجة الحرارة الدنيا تراوح من ٠.٣ مئوية في شهر كانون أول إلى ١٢.٣ درجة مئوية في شهري تموز وآب ، بينما ارتفع المعدل الشهري لدرجة الحرارة العظمى ليصل أعلى قيمة له في شهر حزيران (٣٣.٦) درجة مئوية وأدناها في شهر كانون الأول ٢٦.٣ درجة مئوية وهذا يعني أن فصل الشتاء بارد والسبب تعرض المنطقة لهبوب كتل هوائية قطبية باردة تجلبها الرياح الشرقية من أواسط آسيا (الضغط المرتفع السيبيري)خلال هذا الفصل

٢-٣- الرطوبة النسبية والضباب :

يتميز هواء مدينة صنعاء بالدفء وارتفاع محتواها من بخار الماء خلال نصف السنة الصيفي لقربها من مصادر الرطوبة وتعرضها لهبوب كتل هوائية مدارية بحرية حارة ورطبة ، بينما يقل هذا المحتوى شتاءً لانخفاض درجة الحرارة وتعرضها لرياح مدارية قارية جافة ورياحاً قطبية باردة وجافة أيضاً وتعكس قيم

الرطوبة النسبية في مدينة صنعاء محتوى الهواء من بخار الماء ودرجة الحرارة التي تتأثر بدورها بالتضاريس (المناخ الجبلي) وهذا يلاحظ بوضوح في الجدول (٤).

جدول (٤) المعدل الشهري والسنوي للرطوبة النسبية ٪ في مدينة صنعاء للمدة من ١٩٨٥-٢٠٠٠م

الأشهر	كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين١	تشرين٢	كانون الأول	المعدل السنوي
المعدل الشهري	٥١.٢	٤٧.٧	٥٠.٧	٥٠.٧	٥٠.٦	٤٦.٨	٥٠.٧	٥٢.٣	٤٩.٣	٤٧.٩	٥١.٩	٤٩	٤٩.٩

المصدر : الهيئة العامة للطيران المدني والأرصاد الجوية ، صنعاء ، بيانات غير منشورة .

إن السمة المميزة للرطوبة النسبية في مدينة صنعاء تشابه قيم المعدلات الشهرية تراوحت بين ٤٧.٧ ٪ و ٥٢.٣٪ وهذا دليل على أن القيم الصيفية مرتبطة بكمية بخار والشتوية بانخفاض درجة الحرارة .وتتعرض مدينة صنعاء لتكون الضباب عدة أيام في السنة كما يوضحه الجدول (٥) .

جدول (٥) عدد أيام الضباب في مدينة صنعاء للمدة ١٩٨٤-١٩٩٠م .

الأشهر	كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين١	تشرين٢	كانون الأول
عدد الأيام	١٤٧	٩٧	١٢١	٦٩	٨٠	١٦٢	١٧٦	١٠٠	٦٥	٢٧	٢٠	٤٨

المصدر : الهيئة العامة للطيران المدني والأرصاد الجوية ، صنعاء، بيانات غير منشورة .

وعادة ما يتشكل الضباب في الليل وساعات الصباح الباكر نتيجة زيادة الرطوبة وتشبع الهواء ببخار الماء ، كما أن تكَوُّن الضباب في مدينة صنعاء يزداد في شهور الشتاء بسبب برودة الهواء وفي شهور الصيف بسبب ارتفاع محتوى الهواء من بخار الماء وارتفاع درجة حرارة نقطة الندى في ساعات الصباح الباكر عندما يصل التبريد الإشعاعي حده الأعظمي حيث يتشكل الضباب عند ١٥-٢٠ درجة مئوية .

٢-٤- الأمطار :

تسقط الأمطار على حوض صنعاء في موسمين جدول (٦) إذ يبدأ سقوطها في الموسم الأول خلال شهر آذار وينتهي في النصف الأول من أيار، حيث يتزامن سقوط المطر مع قدوم المنخفض السوداني وتحركه باتجاه الشرق ، أما أمطار الموسم الثاني فيبدأ سقوطها مع بداية شهر تموز حتى النصف الأول من أيلول تحت تأثير الموسميات الجنوبية الغربية .

جدول (٦) المعدلات الشهرية للأمطار (ملم) في مدينة صنعاء للمدة من ١٩٩٣-٢٠٠٠م

الشهر / المحطة	كانون ثاني	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين أول	تشرين ثاني	كانون أول	المجموع
محطة صنعاء	٥	٧	٢٦	٥٠	٣١	٥	٥٠	٧٧	٦	٦	٨	٤	٢٧٥
محطة المطار	٤	٤	٢٨	٣٧	٢٩	١	٣١	٤٣	٢	١٥	٥	١	٢٠٠

المصدر : الهيئة العامة للطيران المدني والأرصاد الجوية، صنعاء، بيانات غير منشورة .

٢-٥- الرياح والعواصف الغبارية :

يؤثر في اتجاه الرياح وسرعتها في اليمن الضغوط الجوية المؤثرة على المنطقة صيفاً وشتاءً، ونتيجة لموقع اليمن من المنظومات الضغطية خلال فصول السنة المختلفة فإنها تقع تحت تأثير مجموعتين من الرياح العامة خلال السنة (Aljibly.1993.plol) فتتعرض اليمن في فصل الشتاء للرياح الشمالية الشرقية إذ تهب على معظم شمال اليمن والرياح الجنوبية والجنوبية الشرقية على سواحل خليج عدن نظراً لوقوع اليمن تحت امتدادات المرتفع السيبيري شتاءً، كما تظهر امتدادات المرتفع شبه المداري ومنخفض البحر الأحمر السوداني (يوسف ، ٢٠٠٠م ، ص ٢١٣).

أما في فصل الصيف فتتعرض اليمن لهبوب رياح جنوبية غربية نتيجة لتزحزح منظومة الضغط العالي شبه المداري إلى شمال الجزيرة العربية فتخضع اليمن لامتدادات المنخفض الموسمي الهندي ، وتعبر الرياح خط الاستواء فتؤثر في كل أجزاء اليمن إذ يستمر توغلها ستة أشهر تقريباً تتمكن من الانتشار حتى خط ١٨° شمالاً مسببة تساقط أمطار صيفية على الأجزاء الجنوبية والجنوبية الغربية من اليمن (عساج محمد ، ١٩٩٨م،ص١١٦).

وفي مدينة صنعاء يكون اتجاه الرياح الشمالية الشرقية هي السائدة خلال السنة إذ تشكل نسبة ٦٦.٧ ٪ من مجموع اتجاهات الرياح العامة، على أن هذا الاتجاه يسود في الشتاء والربيع أكثر من الصيف، تليها الرياح الشمالية بنسبة ١٢.٥ ٪ من المجموع الكلي لاتجاهات الرياح والتي تتركز في الشتاء، في حين تسود الرياح الجنوبية الغربية صفياً، إذ تصل نسبتها إلى ٩.٧ ٪ من مجموع هبوب الرياح العامة السنوية ، أما نسبة ١١.١ ٪ من مجموع اتجاهات الرياح فتتقاسمها الرياح الغربية ٤.٢ ٪ والشرقية والجنوبية الشرقية لكل منها ٢.٨ ٪ والشمالية الغربية ١.٤ ٪ (يوسف، ٢٠٠٠م، ص٢١٤) أما سرعة الرياح في مدينة صنعاء فيوضحها الجدول(٧) .

جدول (٧) المعدلات الشهرية لمتوسط سرعة الرياح في مدينة صنعاء م/ثا.

الأشهر	كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين١	تشرين٢	كانون الأول	المعدل السنوي
المعدل الشهري	٢.٠	٢.٢	٢.٢	٢.٠	٢.٢	٢.٧	٢.٤	٢.٣	٢.٦	١.٩	١.٥	١.٨	٢.١

المصدر : الهيئة العامة للطيران المدني والأرصاد الجوية، صنعاء ، بيانات غير منشورة .

ويلاحظ من الجدول (٧) انخفاض متوسط سرعة الرياح عموماً في مدينة صنعاء، ويعزى هذا الانخفاض إلى خشونة سطح المنطقة الجبلية الواقعة فيها مدينة صنعاء ، فكلما زادت خشونة ووعورة سطح الأرض كلما قلت سرعة الرياح(شحادة، ١٩٩٢، ص ١٤٢) ومع ذلك فأشهر الصيف ذات سرعات ريحية أعلى بالموازنة مع بقية أشهر السنة ، أما عن تكرار عدد أيام العواصف الغبارية في مدينة صنعاء فيوضحه الجدول (٨).

جدول (٨) عدد أيام العواصف الغبارية في مدينة صنعاء للمدة من ١٩٨٤-١٩٩٠م

الشهر	ك ثاني	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين١	تشرين٢	ك أول
عدد الأيام	٠	١٢	١٠	٧	١٠	١٣	٨	٢٠	١٧	٤	٣	٧

المصدر : الهيئة العامة للطيران المدني والأرصاد الجوية ، صنعاء، بيانات غير منشورة .

ومن خلال الجدول يمكن ملاحظة أن شهور الربيع والصيف هي أكثر الأشهر التي تتعرض فيها مدينة صنعاء للعواصف الغبارية، بسبب ارتفاع درجة الحرارة نسبياً وعدم استقرار الحالة الجوية التي تسببها المنخفضات الحرارية المحلية ومنخفض البحر الأحمر ، وسيطرة منخفض الهند الموسمي صيفاً والذي يترافق بالرياح الموسمية الجنوبية الغربية والتي تتسبب بدورها في إثارة هذه العواصف .

٣- مصادر التلوث الهوائي في مدينة صنعاء :

تتمثل معظم مصادر التلوث الهوائي في مدينة صنعاء في المصادر البشرية كالسيارات ومحطات توليد الطاقة الكهربائية ومصانع الطوب ومناشير تكسير الحجارة والكسارات،بالإضافة إلى الزوابع والعواصف الترابية كمصدر طبيعي

وسيتم تناول أهم مصادر التلوث الهوائي في مدينة صنعاء كما يلي :

٣-١- السيارات :

أثبتت الدراسات أن السيارات مسؤولة عن أكثر من ٥٠ ٪ من تلوث الهواء في الدول النامية غير الصناعية

(الأعوج،١٩٩٩م ، ص١٥٣) ، وتتصدر السيارات المصادر الأخرى للتلوث الهوائي في مدينة صنعاء، ولا سيما فيما يتعلق بالغازات ، كون المدينة لا توجد بها مصانع كبيرة ، بالإضافة إلى أن السيارات تعمل على إثارة الأتربة في الطرق الترابية والتي تعد أحد عناصر التلوث الهوائي في المدينة ،تشير الدراسات إلى أن عدد السيارات في مدينة صنعاء في تزايد مستمر تبعاً لزيادة عدد السكان حيث قدر العدد الإجمالي للسيارات في المدينة عام ٢٠٠١ بحوالي ٢٠٠ألف سيارة منها ١٣٠.٠٠٠ ألف سيارة تابعة لمرور أمانة العاصمة وما تبقى تابع لمحافظة صنعاء (الإدارة العامة للمرور ، ٢٠٠٢م).

يضاف إلى هذا العدد الكبير من السيارات عدد من الدراجات النارية والتي يزداد استخدامها بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة ولم تتوفر بيانات عنها ، وهذا العدد من السيارات مسئول بشكل كبير عن تلوث الهواء في المدينة بمختلف العناصر ولا سيما غاز أول أكسيد الكربون وغاز النتروجين، فهناك علاقة طردية بين زيادة تركيز كلاً منها وعدد السيارات

(الجار لله ٩٥/١٩٩٦ ، ص ٤٧٠) إضافة إلى الجزيئات التي تثيرها السيارات أثناء حركتها على شوارع المدينة خاصة أن معظم شوراع المدينة ترابية وغير مرصوفة كما أن نوع الوقود المستخدم للسيارات يؤثر في كمية ونوعية الملوثات المنطلقة منها فتختلف كمية الملوثات المنطلقة نتيجة احتراق كل من البنزين و الديزل وفي مدينة صنعاء تجد أن السيارات التي تعمل بالبنزين هي الغالبية العظمى ،من المسح الذي تم لسيارات نقل الركاب(الجهاز المركزي للإحصاء ، ٢٠٠١م)كما يوضح الجدول (٩) .

جدول (٩) توزيع سيارات نقل الركاب في مدينة صنعاء حسب نوع الوقود المستخدم عام ٢٠٠١م .

نوع الوقود	عدد السيارات	النسب ٪	
بنزين	١٦٣٤٧	٪١٣.٤	
مازوت	٢١٦٩	٪ ١١.١	
غاز[١]	٧٣٤	٪ ٣.٧	
مختلط	٣٥٠	٪ ١.٨	
المجموع	١٩٦٠٠	١٠٠	

المصدر : الجهاز المركزي للإحصاء، صنعاء ، مسح النقل والمواصلات ٢٠٠١م ، بيانات غير منشورة .

وبناءً على ذلك يمكن القول إن السيارات التي تستعمل البنزين مسئولة عن تلوث الهواء بأول أكسيد الكربون وغاز النيتروجين والرصاص ، في حين أن السيارات التي تستخدم الديزل مسئولة عن تلوث الهواء بثنائي أوكسيد الكبريت والسناج(•) والروائح الكريهة .

٣-٢- محطات توليد الطاقة الكهربائية :

ينشأ عن محطات توليد الطاقة الكهربائية التي تعمل بالديزل العديد من الملوثات أهمها ثاني اوكسيد الكبريت وأكاسيد النتروجين وأول أكسيد الكربون والمواد الصلبة و الهيدروكاربون ، وتعتمد كمية انبعاث ثنائي اوكسيد الكبريت على نسبة الكبريت في الوقود (غرايبة والفرحان،١٩٩١م ، ص ٢٦٢)، وتوجد في مدينة صنعاء ثلاث محطات لتوليد الطاقة الكهربائية تعمل بالديزل هي : محطة القاع وهي أقدم المحطات ، وتتكون من ست وحدات توليد بقدرة ١٨.٥٥ ميجاوات غرب المدينة في منطقة القاع (مرشد ،٢٠٠٣م ، ص ٦٩)، ومحطة ذهبان (١) وذهبان (٢) وتتكون من ٩ وحدات للتوليد بقدرة ٥١ ميجاوات على طريق صعدة – حجة شمال غرب المدينة .

بلغ إجمالي ما استهلكته هذه المحطات من وقود الديزل خلال عام ٢٠٠٠م ٢٥٨٧٣م٣ في حين بلغ إجمالي الوقود المستهلك خلال الفترة من كانون ثاني إلى كانون أول ٢٠٠٢م ٣٦٩٥٨م٣ من الديزل (المؤسسة العامة للكهرباء ،٢٠٠٢) وتتولد كميات كبيرة من الغازات نتيجة حرق هذه الكمية من الديزل في المحطات داخل المدينة وتحيط بها المباني السكنية وتظهر آثارها البيئية على المنطقة المحيطة بها .

٣-٣- مصانع الطوب(••) والبلاط و مناشير الحجارة :

ينتشر في المدينة عدد كبير من معامل الطوب والبلاط و مناشر الحجارة والتي ينتج عنها الكثير من الملوثات أهمها الجزيئات الصلبة إضافة إلى الغازات الأخرى التي تنتج من معامل حرق الطوب والتي بلغ

عددها عام ١٩٩٦م حوالي ١٠٧ منشأة (الجهاز المركزي للإحصاء، ١٩٩٦م،ص٦٧) تتولى توفير المواد اللازمة للبناء والتشييد داخل المدينة، ويوجد في المدينة كذلك عدد كبير من معامل حرق الطوب الأحمر " الأجور" والذي يفضله السكان للبناء وزيادة عدد الأدوار في مبانيهم نتيجة انخفاض سعره ، وتتصاعد منها سحب كبيرة من الأدخنة والتي تحتوي على العديد من الغازات الضارة التي تنتشر في الهواء ، إضافة إلى الروائح الكريهة التي يعاني منها سكان الأحياء المحيطة بها ،كما يوجد في المدينة (١١٢) معملاً من مصانع الطوب الإسمنتي و(١١٨) ورشة لتكسير الحجارة (أمانة العاصمة ١٩٩٣م ، ص ٨٧) وكلها تسهم في تلويث هواء المدينة بالجزيئات الصلبة والعوالق التي تتساقط على المناطق السكنية المحيطة بها .

٣-٤- الكسارات والمحاجر:

تنتشر كسارات الحجارة بشكل عشوائي في الجبال المحيطة بمدينة صنعاء والتي تعمل على تكسير الحجارة عن طريق التفجير ثم تقوم بطحنها وتستخدم في مواد البناء ، وقد بلغ عدد هذه الكسارات حوالي ٢٣ كسارة، مجموعة منها تقوم بتكسير الصخور البازلتية لإنتاج الحصى " الزلط" ومجموعة تقوم بطحن الحجارة لإنتاج الرمل الناعم (النصارى، ٢٠٠١م) وقد تم قياس المواد العالقة أقل من ١٠ مايكرو جرام /م٣ في ثلاث مواقع حول هذه الكسارات فكانت النتيجة ١٥ ميكرو جرام /م٣ في منطقة ذهبان و ١٠٠ميكرو جرام /م٣ في منطقة جرف بني حشيش و ٧٥ ميكرو جرام/م٣ في منطقة ضلاع همدان (النصارى، ٢٠٠١م)ومن خلال هذه القياسات نلاحظ ارتفاع كمية الجزيئات العالقة في منطقة جرف بني حشيش ، وهذه المنطقة تقع شمال شرق المدينة والرياح السائدة هي الرياح الشمالية الشرقية والشمالية ومن ثم فإن هذه الجزيئات العالقة تنقلها الرياح إلى المدينة فتعمل على زيادة تلوث الهواء بالجزيئات كما سيأتي ذكره .

تعد الزوابع الترابية من مصادر التلوث الهوائي بالجزيئات الصلبة في مدينة صنعاء ، حيث تقوم بنقل الأتربة والغبار إلى الهواء سواء من الأراضي الواقعة خارجها أو من الشوارع الترابية والمساحات الفضاء داخل المدينة ، ولا سيما أن المدينة تعاني من قلة المساحات الخضراء وقلة الأشجار كما أن ٧٧٪ من شوارع المدينة ترابية غير مرصوفة فعند تولد الزوابع الترابية تقوم بإثارة الأتربة مما يؤدي إلى تلوث الهواء في المدينة بالجزيئات العالقة وتتعرض المدينة لحدوث مثل هذه الزوابع كما وضحها جدول (٨).

(•) هباب الفحم الأسود (soot).

(••) معامل صناعة الطوب الأحمر تطلق ثنائي أكسيد الكبريت والفورين ، بجانب الرائحة الكريهة خصوصا عند تسخين الطفل (المادة الأولية) لدرجة حرارة ١٠٠-٧٠٠ م

٣-٥- الزوابع والعواصف الترابية :

تعد الزوابع الترابية من مصادر التلوث الهوائي بالجزيئات الصلبة في مدينة صنعاء ، حيث تقوم بنقل الأتربة والغبار إلى الهواء سواء من الأراضي الواقعة خارجها أو من الشوارع الترابية والمساحات الفضاء داخل المدينة ، ولا سيما أن المدينة تعاني من قلة المساحات الخضراء وقلة الأشجار كما أن ٧٧٪ من شوارع المدينة ترابية غير مرصوفة فعند تولد الزوابع الترابية تقوم بإثارة الأتربة مما يؤدي إلى تلوث الهواء في المدينة بالجزيئات العالقة وتتعرض المدينة لحدوث مثل هذه الزوابع كما وضحها جدول (٨).

٤- عناصر التلوث الهوائي في مدينة صنعاء :

ينتج عن مصادر التلوث الهوائي عدداً من ملوثات هواء مدينة صنعاء ، ونتيجة لأن هذه الملوثات قد تنطلق إلى الهواء مباشرة من مصادرها الطبيعية والبشرية فتسمى ملوثات أولية أو قد تكون نتيجة التفاعل مع بعضها أو مع عناصر أخرى مع وجود أشعة الشمس فتسمى ملوثات ثانوية (Saxena .1999, p98) وأبسط تصنيف لها حسب طبيعتها إنها تصنف إلى ملوثات غازية وجزيئات (نصر الله ،٢٠٠١،ص١٣)، وسيتم الاعتماد على هذا التصنيف لدراسة ملوثات الهواء في مدينة صنعاء وذلك على النحو الآتي :

٤-١- الجزيئات والأترية :

يقصد بالجزيئات ما يحمله الهواء من مواد صلبة أو وسائله تنتقل مع الرياح ، ومن مصادر عديدة بأحجام وأشكال وألوان مختلفة ويتركب كيميائي مختلف (العقيلي، ١٩٩٠م ، ص ٢٤)، وأهم مصادر الجزيئات في مدينة صنعاء هي وسائل النقل والمصانع والكسارات والزوابع الترابية كما سبق الإشارة إليها من قبل ، وقد بلغ متوسط كمية الجزيئات العالقة في هواء مدينة صنعاء حوالي ٢٩١ ميكرو جرام/م٣ تقريباً (ugba,1994,p,40) ويختلف ذلك من منطقة لأخرى داخل المدينة ومن وقت لأخر كما يوضحه الجدول (١٠) .

جدول (١٠) مجموع الجزيئات العالقة (مايكرو جرام /م٣) في مدينة صنعاء.

المحطة	المرحلة الأولى ٢٨ ظهراً	المرحلة الأولى ٦١٢ مساء	المرحلة الثانية ٢٨ ظهراً	المتوسط
التحرير	٣١١و٣٢	١٧٥و٠١٢	٣٤٠و٣٠١	٢٧٥و٤٨
باب اليمن	٢٨١و٦٤	٢١٣و٩٠٣	٣١١و١٣٢	٢٦٨و٩٩٩
باب شعوب	٤٤٧و٢٥٣	٥١٥و٣١٣	٤٧٦و٤٢١	٤٧٩و٦٦٢
حده	٣١١و١٣٢	٤٣٧و٥٣٠	١٢٦و٣٩٧	٢٩١و٦٨٦
شارع مجاهد	١٦٥و٢٨٩	٧٧و٧٨٣	١٦٥و٢٨٩	١٣٦و١٢٠
شارع الستين	٣٥٩و٧٤٧	١٨٤و٧٣٥	٢٣٣و٣٤٩	٢٥٩و٢٧٧
شيراتون	١٧٥و١٢	١٢٦و٣٩٧	٧٧٧و٨٣١	٣٥٩و٧٤٦
طريق المطار	٢٥٢و٧٩٥	٤١٨و٠٨	٩٧و٢٢٨	٢٥٦و٣٥
المتوسط	٢٨٨	٢٦٨.٦	٣١٦	٢٩٠.٨٧

(ugba,1994,p,40)

٤-٢- الغازات:

تنتشر الغازات بهواء المدن والمناطق الصناعية وأهم مصدر لهذه الغازات هو حرق الوقود، وأهم الغازات الملوثة لهواء المدن هي أول أكسيد الكربون ، وثاني أكسيد الكبريت، وغاز النيتروجين والهيدروكربون، المنبعثة من حرق الوقود مباشرة ولم تتوفر قياسات دقيقة في مدينة صنعاء لمعرفة تراكيز هذه الغازات في الأوقات والمناطق المختلفة في المدينة ، لكننا سنعتمد على تقديرات هيئة حماية البيئة المعتمدة على كمية استهلاك الوقود (الديزل-بنزين)، وإذا أخذنا عام ٢٠٠٠م كنموذج لمعرفة كمية الغازات المنطلقة نتيجة حرق كل منها على حدة لا تضح لنا مدى التلوث الذي يتعرض له هواء مدينة صنعاء كما في الجدول رقم (١١).

جدول (١١) تقدير كمية الغازات المنطلقة (طن) إلى الهواء في مدينة صنعاء نتيجة حرق الوقود .

نوع الوقود	أول اوكسيد الكربون	النسبة ٪	ثنائي اوكسيد الكربون	النسبة ٪	غازات النيتروجين	النسبة ٪	الهيدرو كربون	النسبة ٪
بنزين	٧٥٠٤٩.٩١	٩٨.٥	٣٠٠.٢٠	٢٨.٥	٣٨٢٠٧.٢٣	٩٠	٦٥٤٩.٨١	٧٢
ديزل	١١٣٠.٦٢	١.٥	٧٥٣.٧٥	٧١.٥	٤١٧٧	١٠	٢٥٥٩.٦	٢٨

المصدر : الهيئة العامة لحماية البيئة ، صنعاء ، بيانات غير منشورة .

يوضح الجدول (١١) أن وقود البنزين هو المصدر الأول لكل من غاز أول أكسيد الكربون وغازات النيتروجين والهيدروكربون حيث بلغت نسبة هذه الغازات ٩٨.٥ ٪ و ٧٢ ٪ من مجموع كل منها على التوالي ، بينما يعد الديزل المصدر الأول لغاز ثنائي اوكسيد الكبريت حيث بلغ نسبة ما يتصاعد من هذا الغاز نتيجة حرق الديزل حوالي ٧١.٥ ٪

من مجموعه كما يمكن ملاحظة أن غاز أول اوكسيد الكربون وغاز النيتروجين هي الأكثر تلوثاً لهواء مدينة صنعاء ، حيث بلغت نسبتها ٥٩ ٪ و ٣٢.٩ ٪ على التوالي من مجموع الغازات المنطلقة , ثم تأتي الهيدروكربونات بنسبة ٧.١ ٪ ثم ثنائي اوكسيد الكبريت ٠٨ ٪ .

٥- التأثيرات المناخية على ملوثات الهواء في مدينة صنعاء :

تلعب الأحوال المناخية دوراً بارزاً في تحديد كثافة الملوثات الجوية ، وتعد درجة الحرارة واتجاه الرياح وسرعتها من أهم العوامل المؤثرة على شدة تركيز الملوثات في الجو، يضاف إلى ذلك التهطال لما يقوم به من

دور المنظف للجو من بعض ملوثاته(موسى ، ١٩٩٦ ، ص٧٥) ويمكن توضيح تأثير العناصر المناخية على ملوثات الهواء في مدينة صنعاء كما يأتي :

٥-١- درجة الحرارة :

تؤثر درجة الحرارة بصورة غير مباشرة في تلوث الهواء ، إذ تساعد على سرعة العديد من التفاعلات الكيميائية

والكيميا – ضوئية فهناك قاعدة تؤكد على أن ارتفاع درجة حرارة الهواء بمقدار عشر درجات مئوية تؤدي إلى مضاعفة معدلات التفاعل الكيميائي (غرايبة والفرحان ،١٩٩١م، ص ٩٩) وكثيراً ما تحدث تفاعلات كيميا ضوئية بين ملوثات الهواء الرئيسة وينتج عن ذلك ملوثات ثانوية تضاف إلى الهواء ،كما أن ارتفاع درجة الحرارة خلال ساعات النهار يعمل على تمدد الهواء، فتحدث حركات هوائية صاعدة تؤدي إلى بعثرة وانتشار

الملوثات ، ويحدث العكس عند انخفاض درجة الحرارة حيث ينكمش الهواء ، وتسود الحركات الهوائية الهابطة مما يؤدي إلى تراكم الملوثات بالقرب من سطح الأرض .

ويحدث الشيء نفسه في مدينة صنعاء حيث يعمل ارتفاع درجة الحرارة خلال ساعات النهار على تسخين الهواء، فيتمدد وتنشط الحركات الهوائية الصاعدة، مما يؤدي إلى انتشار الملوثات الموجودة في الهواء إلى الأعلى ، وهذا يظهر جلياً عند مشاهدة المدينة من أحد المرتفعات المحيطة بها ، ولا سيما فترة ما بعد الظهيرة التي تكون فيها درجة الحرارة عالية والأشعة الشمسية قوية حيث تظهر طبقة الغبار تحجب الرؤية تعلو سماء المدينة ، وهذا ما يؤكده كذلك بيانات الجدول (١٠) السابق حيث يلاحظ ارتفاع كمية الجزيئات العالقة المسجلة في الفترة من ٢٨ ظهراً في شهر حزيران وتشرين ثاني في معظم محطات المدينة .

في حين يعمل انخفاض درجات الحرارة في الليل إلى أرقام قريبة من الصفر المئوي في أشهر الشتاء على حدوث حركات هوائية هابطة، تعمل على تمركز الملوثات قريباً من سطح الأرض حيث يسود ضغط مرتفع تستقر فيه حالة الجو .

وبالعودة لبيانات الجدول (١٠) والذي يقيس تلوث الهواء في مدينة صنعاء بالجزيئات العالقة يمكن ملاحظة ارتفاع كمية الجزيئات العالقة المسجلة في الفترة الصباحية ٢٨ ظهراً سواء في المرحلة الأولى " تشرين الأول " أو المرحلة الثاني "حزيران" في معظم المناطق المدروسة وذلك لارتفاع درجة الحرارة خلال هذه الفترة والتي تعمل على تصاعد تيارات الحمل الحرارية التي تثير الأتربة وتنشط الرياح، كما يلاحظ ارتفاع كمية الجزيئات العالقة المسجلة خلال شهر حزيران عن الكمية المسجلة خلال شهر تشرين الثاني وقد يعود ذلك إلى أنه خلال شهور الصيف ولا سيما شهر حزيران تنشط الرياح والزوابع التي تثير الأتربة التي تنطلق إلى الهواء مع زيادة درجة الحرارة ولا سيما فترة التسجيل ٢٨ ظهراً .

وبالرجوع كذلك لبيانات الجدول (١١) السابق والخاص بتقدير كمية الغازات الملوثة والمنطلقة لهواء مدينة صنعاء نلاحظ حجم تلوث هواء مدينة صنعاء بالغازات الضارة ، إلا أنه لم تتوفر قياسات لمعرفة تراكيز هذه الغازات في الأوقات المختلفة حتى يتضح دور العناصر المناخية فيها لكن ما يجب أن نؤكده ونشير إليه أن تراكيز هذه الغازات يختلف من وقت إلى آخر ومن مكان إلى آخر داخل المدينة ويعتمد ذلك على طبيعة مصدر الملوثات وعلى عوامل عديدة من ضمنها تأثير العناصر المناخية ولا سيما درجة الحرارة والرياح حيث أنه من المتوقع انخفاض تراكيز هذه الغازات وقت الظهيرة نتيجة لارتفاع درجة الحرارة ونشاط الرياح اللذان يعملان على تشتيت الملوثات الجوية ،وارتفاع تراكيز هذه الغازات في ساعات الليل ولا سيما شهور الشتاء بسبب انخفاض درجة الحرارة ، وتمركز الملوثات في الجو القريب من سطح الأرض .

٥-٢- الرياح :

تعد الرياح من أهم العناصر المناخية التي تساهم في بعثرة وانتشار الملوثات في الجو ويُعدّ اتجاه الرياح وسرعتها أهم عاملين مؤثرين في ذلك ، وفي مدينة صنعاء تنخفض سرعة الرياح بصفة عامة ، حيث تعمل الجبال المحيطة كعوائق تؤدي إلى خفض سرعتها ، إضافة إلى دور المباني في ذلك ويصل معدل سرعتها إلى حوالي ٢.١م/ثا ويختلف ذلك من فصل لآخر ومن شهر إلى آخر إلا أن الرياح تكون أكثر نشاطاً وسرعة خلال شهور الصيف كما سبق الإشارة لذلك ، وبالتالي تكون هذه الشهور أقل تلوثاً بالغازات وأكثر تلوثاً بالجزيئات الصلبة التي تثيرها الرياح من شوارع المدينة ومن المصادر الأخرى والعكس يحدث في شهور الشتاء .

كما أن سرعة الرياح تختلف بين الليل والنهار فارتفاع درجة الحرارة نهاراً يؤدي إلى حدوث عدم استقرار للهواء ، حيث يسود ضغط منخفض على المدينة بسبب تيارات الهواء الصاعدة ، فعندما يرتفع الهواء إلى أعلى يكون معدل تناقص حرارته أكبر من معدل تناقص حرارة الوسط المحيط ، فتنشط الحركات الهوائية التي تعمل على نشر الملوثات الموجودة في الهواء ، ويحدث العكس ليلاً حين يكون الهواء في حالة استقرار في ساعات الليل حيث يهبط الهواء البارد من الجبال المحيطة بالمدينة فيكون ضغط مرتفع على المدينة مما يؤدي إلى تمركز الملوثات في جو المدينة نتيجة الركود الهوائي .

٥-٣- الرطوبة النسبية :

تلعب الرطوبة النسبية دوراً فعالاً فما يتعلق يتلوث الهواء . حيث أن وجود بخار الماء في الهواء يعيق انتشار الملوثات وتبعثرها في الجو فيزيد من تركيزها . إضافة إلى أنه يعيق عملية التنقية الذاتية للهواء كما أن وجود الرطوبة في الهواء يساعد على حدوث التفاعلات الكيميائية بين الملوثات الغازية حيث يؤدي زيادتها إلى سرعة إذابة الملوثات الغازية لتكون الأحماض المختلفة التي تسبب المطر الحمضي ، وعندما يقترن ارتفاع الرطوبة النسبية بارتفاع درجة حرارة الهواء تزيد سرعة التفاعلات الكيميا-ضوئية بين الملوثات الغازية ولا سيما في حالة ارتفاع تركيز الجزيئات الصلبة فينتج عن ذلك مزيد من الملوثات، ويؤدي اقتران الرطوبة بانخفاض درجة الحرارة إلى تكون السخام ، كما أن زيادة الرطوبة في الهواء مقترناً بانخفاض سرعة الرياح ووجود الجزيئات يؤدي إلى تكوين الضباب إذ أن الضباب يتشكل بسهولة في المناطق الملوثة وذلك لأن بخار الماء يتكاثف بيسر مع وجود الجزيئات العالقة في الهواء والتي تشكل نويات التكاثف ونظراً لأن الضباب يتشكل في الطبقة الدنيا للهواء فإنه يعمل على زيادة التكاثف للملوثات ليصبح بالتالي عاملاً مساعداً في حدوث التفاعلات الكيميائية في الجو (الصطوف ، ١٩٩٥م، ص ٣٥١) ، وتتعرض مدينة صنعاء لتكون الضباب عدة أيام في السنة جدول (٥) مما يزيد من تركز الملوثات خلال هذه الأيام ، وعادة ما يتشكل الضباب في الليل وساعات الصباح الباكر أي أن الهواء يكون أكثر تلوثاً في هذه الأوقات ، نتيجة زيادة الرطوبة وتشبع الهواء ببخار الماء ،

كما أن أيام تكون الضباب تزداد من كانون ثاني إلى آب بسبب برودة الهواء في شهور الشتاء وسقوط الأمطار في شهور الربيع والصيف .

٥-٤- الأمطار :

تقوم الأمطار بالعمل على تنقية الهواء مما يعلق فيه من ملوثات ، فالجزيئات الصلبة بعضها تشكل نويات تكاثف تسقط مع مياه الأمطار والبعض الآخر يأخذها المطر أثناء هطوله كما أن الأمطار الهاطلة تطهر الجو من جزء ملوثاته الكيميائية لتفاعله معه (موسى،١٩٩٦م،ص٨٥) .

وبناء على ذلك يمكن القول أن الشهور الممطرة يكون الهواء في مدينة صنعاء أكثر نقاءً من الشهور الجافة ، فشهور الربيع والصيف يكون فيها نقياً إلى حدٍ ما ، بعكس شهور الشتاء حيث يسود الجفاف ، كما أن تركز سقوط الأمطار في أيام قليلة من الشهر يجعل الهواء في هذه الأيام أكثر نقاءً من الأيام الأخرى التي لا يسقط فيها الأمطار .

٦- الخاتمة :

ما تزال الدراسة المناخية التطبيقية نادرة في المكتبة الجغرافية اليمنية بالرغم من ظهورها في الأقطار العربية الأخرى ومثل هذه الدراسة محاولة في هذا المجال.

هدف البحث إلى دراسة وتحليل دور العناصر المناخية في التأثير على ملوثات الهواء في مدينة صنعاء ويمكن أن نقدم عرض موجز لنتائج البحث فيما يلي :

- كشفت الدراسة عن تمتع مدينة صنعاء بإشعاع شمسي كبير يصل إلى ٢٧٨ك/ك/سم٢/يوم في شهر مايس ولا يقل عن ٣٣٤ ك/ك/سم٢ /يوم في شهر كانون أول ، ولا يقل المعدل السنوي للإشعاع الشمسي عن ٣٩٩ك/ك/سم٢/يوم ، وهذا يعود إلى طبيعة الموقع الفلكي لليمن وخصوصية مدينة صنعاء حيث تتعامد عليها الشمس مرتين في العام الأول في آيار والثانية في تموز .

- كان لعامل الارتفاع تأثير كبير في اعتدال درجة الحرارة على مدى أشهر السنة في مدينة صنعاء فلا يزيد المعدل السنوي لدرجات الحرارة عن ٢٢.٩° م في شهر تموز ،كما تسبب عامل الارتفاع والبعد عن المسطحات المائية في عدم ارتفاع المعدلات السنوية للرطوبة النسبية حيث لم يرتفع عن ٥٢.٣٪ في جميع شهور السنة أما بالنسبة للأمطار فقد أظهرت الدراسة وجود قمتين مطريتين في محطة صنعاء الأولى خلال فصل الصيف بمعدل ١٣٢ملم والثانية في فصل الربيع ١٠٧ملم.

- وتم التوصل فيما يخص الرياح إلى أن الرياح السائدة خلال شهور السنة في مدينة صنعاء هي الرياح الشمالية الشرقية تليها الرياح الشمالية ، وأن سرعة الرياح تؤثر فيها تضاريس المنطقة الجبلية الواقعة فيها مدينة صنعاء ولذلك فقد سجلت سرعة محدودة تراوحت بين ٢.٧١.٥ م/ثا .

- تؤثر العناصر المناخية لاسيما درجة الحرارة وسرعة الرياح بالإضافة إلى الرطوبة النسبية والأمطار في ملوثات الهواء وتركيزها أو تبعثرها في مدينة صنعاء .

- توصي الدراسة الجهات المسئولة عن حماية البيئة في اليمن الاهتمام بتقديم بيانات و قياسات دقيقة لملوثات الهواء في المدن اليمنية حتى تعالج مشاكل التلوث من جهة وتكون بين يدي الباحثين لتسهيل مهمة البحث والدراسة والوصول إلى نتائج صحيحة من جهة أخرى .

٧- مصادر البحث :

١- آغا ، شاهر جمال ، جغرافية اليمن الطبيعية ، الشطر الشمالي سابقاً ، مكتبة الأنوار ، دمشق ، ١٩٨٣م .

٢- أمانة العاصمة ،الدليل الإحصائي ، ١٩٩٣م .

٣- أمانة العاصمة ، الدليل الإحصائي ، ١٩٩٨م .

٤- الأعوج ، طلعت ، التلوث والبيئة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

٥- الإدارة العامة للمرور ، أمانة العاصمة – صنعاء ، ٢٠٠٢م ، بيانات غير منشورة .

٦- ترافس واجنر ، البيئة من حولنا دليل لفهم التلوث وآثاره ، ترجمة محمد صبار ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ،ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

٧- الجار لله ، أحمد جار الله ، تحليل كمي للعوامل المؤثرة في تباين ملوثات الهواء بمدن البترول بالمملكة العربية السعودية ، الإسكندرية، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد الرابع والأربعون ١٩٩٦٩٥ م .

٨- الجهاز المركزي للإحصاء ، مسح النقل والمواصلات ، ٢٠٠١م ، بيانات غير منشورة .

٩- الجهاز المركزي للإحصاء ، المسح الصناعي الأول ، ١٩٩٦م.

١٠- شحادة ، نعمان ، الجغرافيا المناخية ،دار المستقبل للنشر والتوزيع ، عمان ، ط٤ ، ١٩٩٢م .

١١- ألشاعر ، جهاد ، جغرافية المناخ ، دراسات في المناخ الإقليمي ، منشورات جامعة دمشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ٢٠٠٤م .

١٢- عبد الإله الحسين الصطوف ، التلوث البيئي ، منشورات جامعة سبها ، ط١ ، ليبيا ، ١٩٩٥م .

١٣- ألعقيلي ، سليمان محمد ، وآخرون ، تلوث الهواء ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ١٩٩٠م .

١٤- غرايبة ، سامح ، ويحيى الفرحان ، المدخل إلى العلوم البيئية ، دار الشروق ، عمان ، ط٣ ، ١٩٩١م .

١٥- محمد ، عبد القادر عساج ، مناخ اليمن ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، ١٩٩٨م .

١٦- موسى ، علي حسن ، التلوث الجوي ، دار الفكر – دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٦ م .

١٧- مرشد، زكي أحمد، منظومة الطاقة الكهربائية في اليمن، دراسة في جغرافية الطاقة رسالة ماجستير ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م.

١٨- المؤسسة العامة للكهرباء ، ٢٠٠٢م ، بيانات غير منشورة .

١٩- نصر الله، محمود محمد، أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجي ، سلسلة قضايا بيئية معاصرة ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

٢٠- ألنصاري ، مظهر سعيد ، التأثيرات البيئية الناتجة عن الكسارات والمحاجر حول العاصمة صنعاء ، هيئة المساحة الجيولوجية والثروات المعدنية ، الإدارة الجيو بيئية ، بحث غير منشور ٢٠٠١م .

٢١- ألهيئة العامة للطيران المدني والأرصاد الجوية ، إدارة المناخ ، صنعاء ، بيانات غير منشورة .

٢٢- ألهيئة العامة لحماية البيئة ، صنعاء ، بيانات غير منشورة.

٢٣- يوسف ، عبد الحكيم محمد ، بعض الظواهر الجوية المؤثرة في تشكيل مناخ اليمن ، أطروحة دكتوراه جامعة بغداد ، كلية الآداب ٢٠٠٠م .

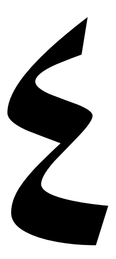
المصادر الإنجليزية :

(1)- Aljibly.A-A-T-studyin Human climatology of the republic of the yemen Athesis for the degree of doctor philosphy of atts univercity of Birmingham , England , 1993
(2)- Saxena ,H,M, Environmental Geogra phy , Rawat publication , New Delhi 1999
(3)- ugba ,M.A. Astudy of Air pollution of sana ,a city by Deter minati of some H eary Metals and Total suspended particulate MS-sana ,a univ , 1994

رؤية تربوية لتطوير دور الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد

أ.د/ يحيى منصور بشر علي

أستاذ مشارك كلية التربية – جامعة إب



الملخص

هدف إلى تقديم رؤية تربوية إجرائية وتنفيذية تساعد المسئولين في الإعداد والتحضير لتخطيط وتطوير دور الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد، في ضوء مفاهيم ومبادئ وتعاليم المنهج الإسلامي ،بحيث تكون قادرة على مواجهتها ومكافحتها في المجتمع ، والبدء بعملية تطوير شامل وجذري لدورها يتعدى الشكل إلى المضمون وجودة الأداء، وذلك بهدف إحداث تطوير نوعي في مدخلاتها وعملياتها ومخرجاتها والارتقاء بها إلى المستويات المنشودة التي تُكَون المجتمع المتعلم والمنتج والساعي إلى الرقي والتقدم بحيث يشترك في ذلك كافة منتسبيها واتبع البحث المناهج البحثية الآتية:

- المنهج الوصفي في وصف وتحليل واقع ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية ودور الجامعات بمختلف منتسبيها في مكافحتها وفق رؤية المنهج الإسلامي كما تحدده المراجع والمصادر والدراسات والقوانين واللوائح والتقارير الرسمية المحلية والأجنبية.
- المنهج التطويري وذلك في تطوير دور الجامعات اليمنية وفق رؤية تربوية علمية إسلامية تم بناءها في ضوء تحليل الأطر النظرية والاتجاهات والخبرات والتجارب العالمية وواقع ظاهرة الفساد في اليمن ونتائجها على أداء الجامعات والمؤسسات الاجتماعية الأخرى الحكومية والأهلية .

أولاً: الإطار المنهجي العام للبحث:

مقدمة

تعد الجامعات مؤسسات تربوية لصناعة قيادات المجتمع وقادة الفكر والمخططين والتربويين كما تعد بيئة لتنمية الإبداع والابتكار في مختلف قطاعاته ومن هنا احتلت الجامعات حيزا كبيرا من اهتمام الدول وأصبحت تؤدي أدوارها المتمثلة في نقل وتنمية المعرفة والقيام بالبحوث العلمية وخدمة المجتمع بكافة شرائحه ، وحل مشاكله الاجتماعية والاقتصادية وفق منهجية علمية مدروسة ، لذا فإنها تقوم بادوار عديدة منها خدمة المجتمع وذلك بسبب الضغوط الاجتماعية الداخلية والخارجية للجامعات مما فرض عليها تعدد أدوارها نتيجة تعدد حاجات ونشاطات ومشكلات المجتمع والذي يحتم عليها التعايش مع مجتمعها بحيث تصبح مركزا لإعداد المهنيين في شتى المجالات والتخصصات .(السنبل وعبد الجواد، ١٩٩٣، ١٧) وتعد ظاهرة الفساد إحدى مشاكل المجتمع الرئيسية قديما وحديثا يفرض على الجامعات ضرورة وضع رؤى تمكن كافة منتسبيها القيام بمكافحتها أو للحد منها أو إزالتها .(الأعرجي ،٢٠٠٦، ١٢٨) كونها تمثل سلوكا إنسانيا مناقضا للقيم والتعاليم الدينية وأهداف المجتمعات بكافة شرائحها، لذا نلاحظ اهتمام المنظمات المحلية والإقليمية والدولية والباحثين بموضوع ظاهرة الفساد بسبب الآثار السلبية الناجمة عنها كونها تمثل ظاهرة اجتماعية سلبية تهدد الإنسانية والحياة برمتها كما تمثل تهديدا خطيرا لجميع الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتستنزف موارده وتعطل قدراته وتعرقل الاستثمارات الوطنية والأجنبية وتفاقم أزمات الفقر والبطالة .(الشامي ، ٢٠٠٧، ٧٥٧) وأصبحت سلوك بشري وجدت مع وجود المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ ، وتحدث عنها القرآن الكريم في أكثر من سورة وجعلته بعض الدساتير خيانة عظمى تعادل خيانة الوطن ، وهذا يفرض على الجامعات إعادة هندسة أدوارها وأهدافها لمساندة المجتمع وتعديل سلوكياته كونها تعد من المؤسسات التربوية والاجتماعية والمسئول الرئيس عن ذلك وإعادة النظر في خططها وبرامجها وتنظيماتها وتصميم البرامج والنشاطات الخاصة بذلك .(Caiden,2001.20) والجامعات اليمنية كغيرها من الجامعات العالمية يتطلب منها إعادة استراتيجياتها بما يتوافق ووضع حلول و معالجات تربوية جذرية لظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية والتي أصبحت سلوك يمارسه الأفراد والجماعات والقيادات بمختلف مواقعها بشكل مخطط أو غير مخطط يتنافى كليا مع تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف الذي يؤمن به المجتمع ، وبالرغم من الإجراءات التي اتخذتها الدولة والحكومة لمكافحتها ومنها إنشاء هيئة خاصة بذلك ووضع الإستراتيجيات اللازمة لها وتفعيل الأجهزة الرقابية والقضائية إلا أنها لم تساهم في القضاء على الظاهرة كونها أصبحت ظاهرة تربوية سلبية يستعصى إزالتها أو الحد منها إلا من خلال الجامعات وإعادة دورها وتصميم برامجها كونها المسئولة عن إصلاح وتعديل قيم وسلوك أفراد المجتمع

وتزويد كافة مؤسساته بالكوادر البشرية المؤهلة والمؤمنة بقيم وتعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء ومستفيدة من خبرات وتجارب الجامعات العربية والعالمية ومتطلبات التغيرات والتطورات العلمية والمجتمعية التي أفرزتها ظاهرة العولمة وبشكل يتلاءم مع مجابهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الداخلية والخارجية (الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة،٢٠٠٦، ٨٨) لذا فإن البحث الحالي يعد محاولة علمية لتقديم الرؤى التربوية التي ينبغي على الجامعات القيام بها للمساهمة في القضاء على تفشي ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية اليمنية في ضوء مبادئ وتعاليم ديننا الحنيف .

مشكلة البحث وأسئلته :

تؤكد الدراسات والتقارير الصادرة عن الجهات الرسمية أن ظاهرة الفساد تفشت بصورة متنامية في المؤسسات الاجتماعية الحكومية والأهلية ومنها الجامعات حتى أصبحت ظاهرة سلوكية مستفحلة لدى كافة الأفراد والقيادات في هذه المؤسسات بحيث لا يمكن مواجهتها إلا من خلال قيام الجامعات اليمنية بالعديد من الأدوار الإدارية والأكاديمية التربوية عن طريق إعداد وتأهيل الكفاءات والقدرات التي ستتولى زمام أمور مؤسسات المجتمع وتعمل على تعميق القيم والسلوكيات الدينية والإدارية والأكاديمية الصحيحة الهادفة إلى تعميق خطورة ظاهرة الفساد والقيام بمكافحتها باعتبار ذلك واجبا دينيا ووطنيا وتربويا على كل فرد من أفراد المجتمع في مختلف مواقعهم ، وبصورة أدق تتحدد مشكلة البحث في السؤال الرئيس الأتي :

ما الرؤية التربوية لتطوير دور الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد في المجتمع في ضوء المنهج الإسلامي الحنيف؟

ويمكن معرفة ذلك من خلال معرفة الأسئلة الفرعية الآتية :

١- ما رؤية المنهج الإسلامي نحو ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية ؟

٢- ما الأطر النظرية لظاهرة الفساد وأثاره وأسبابه في المؤسسات الاجتماعية ؟

٣- ما الأطر النظرية لدور الجامعات في خدمة المجتمع ؟

٤- ما واقع ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية اليمنية كما تحدده الإستراتيجيات والدراسات والبحوث والتقارير الصادرة عن المنظمات والجهات الداخلية والخارجية ؟

٥- ما الجهود الرسمية التي بذلتها وتبذلها الحكومة اليمنية لمكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية ؟

٦- ما واقع دور الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية ؟

هدف البحث : يهدف البحث إلى تصميم رؤية تربوية لتطوير دور الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية من خلال معرفة :

١- رؤية المنهج الإسلامي نحو الفساد في المؤسسات الاجتماعية .
٢- الأطر النظرية لظاهرة الفساد وأسبابه وأثاره وقياسه في المؤسسات الاجتماعية .
٣- الأطر النظرية لدور الجامعات في خدمة المجتمع.
٤- واقع ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية اليمنية كما تحدده الإستراتيجيات والدراسات والبحوث والتقارير الصادرة عن المنظمات والجهات الداخلية والخارجية .
٥- الجهود الرسمية التي بذلتها وتبذلها الحكومة اليمنية لمكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعي
٦- دور الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في النقاط الآتية :

١) إن البحث يقدم رؤية تربوية علمية لمكافحة ظاهرة الفساد في مؤسسات المجتمع والتي أصبحت ظاهرة اجتماعية عالمية أفرزت أثار ضارة وخطيرة على كافة المجتمعات فقيرة كانت أم غنية وسببت مشكلات ومخاطر على استقرار وآمن تلك المجتمعات وأدت إلى تقويض سيادة القانون وانتهاكات حقوق الإنسان وانتشار الجريمة والفقر وإعاقة التنمية ، وذلك وفق رؤية مبادئ وتعاليم وضوابط ديننا الإسلامي الحنيف .

٢) إن النتائج التي سيتوصل إليها البحث سيستفيد منها كافة القيادات والمنتسبين في الجامعات والمؤسسات الاجتماعية الحكومية والأهلية وذلك من خلال وضع الخطط التنسيقية بينها وبين الجامعات اليمنية في مجالات التدريب والتأهيل أو إعادة التأهيل والقيام بدراسات العلمية حول المشكلات التي تواجهها هذه المؤسسات بسبب ظاهرة الفساد.

٣) إن النتائج التي سيتوصل إليها البحث تفيد صانعي القرار في الجامعات والمؤسسات الحكومية والأهلية وفق أسلوب علمي ووضع المعالجات الجذرية لظاهرة الفساد ، وإصدار التشريعات القانونية التي تفعل دور الجامعة وفق الرؤية المقترحة في هذا البحث.

٤) إن النتائج التي سيتوصل إليها البحث تفيد المخططين والمهتمين والباحثين في التعليم الجامعي والمنظمات المتخصصة الداخلية والخارجية بالمعلومات والإجراءات التربوية التي تحدد دور الجامعات في مكافحة ظاهرة الفساد باعتبارها الوسيلة الرئيسة في ذلك .

٥) يعد البحث الحالي محاولة علمية توضح دور الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية الحكومية والأهلية تجرى لأول مرة على مستوى الجامعات اليمنية بحسب علم الباحث.

حدود البحث :يتحدد البحث الحالي بتقديم رؤية تربوية إجرائية لتطوير دور الجامعات اليمنية الحكومية والأهلية إداريا وأكاديميا من خلال إعادة تأهيل ومساهمة و مشاركة كافة منتسبيها (قيادات ، أعضاء هيئة التدريس، الإداريين ، الطلبة) في مكافحة ظاهرة الفساد في كافة المؤسسات الاجتماعية الحكومية والأهلية ومنظمات المجتمع المدني وذلك من خلال إعادة الخطط والبرامج الدراسية والإجراءات الإدارية والأكاديمية بأسلوب يؤدي إلى مخرجات فاعلة وقادرة على تحقيق أهدافها وأدوارها بكفاءة وفاعلية عالية، وذلك خلال العام الجامعي ٢٠٠٩م/٢٠١٠م.

تعريف المصطلحات :

١) **الرؤية التربوية:**

ويقصد بها في البحث الحالي التصورات التربوية المستقبلية المقترحة لتطوير دور الجامعات اليمنية التي ينبغي أن تقوم بها بمكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية وبحيث تكون قابلة لاستيعاب المستجدات في العلوم الإسلامية والتربوية والموضوعات والأساليب والوسائل في عملية مكافحة ومحاربة ظاهرة الفساد.

٢) **دور الجامعات** : يقصد بها مجموعة السلوكيات والإجراءات والأعمال والبرامج التربوية إداريا وأكاديميا لإعداد وتأهيل كوادر بشرية ومخرجات ذات جودة عالية مؤمنة وقادرة على مكافحة ظاهرة الفساد في كافة المؤسسات الاجتماعية الحكومية والأهلية .(الدوري ، ٢٠٠١، ٩٧) والبحث الحالي يتبنى هذا التعريف .

٣) **ظاهرة الفساد :هناك العديد من التعاريف منها :**

- الفساد انحراف أخلاقي لبعض العاملين بمؤسسات المجتمع (حجازي ، ٢٠٠١، ٧٣)
- الفساد هو الخروج عن القوانين والأنظمة وعدم الالتزام بها أو استغلال غيابها أو الفجوات في مضمونها من أجل تحقيق مصالح سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية لصالح الفرد أو جماعة معينة .(الشامي ، ٢٠٠٧، ٧٣٧)

ويعرف إجرائيا : مجموعة السلوكيات غير الأخلاقية لبعض الأفراد والقيادات في المؤسسات الاجتماعية اليمنية والمتمثلة بالخروج عن القوانين واللوائح وعدم الالتزام بها وتكييفها وفق مصالح خاصة مستخدمين في ذلك وسائل عديدة منها الرشوة ، الوساطة ، المحسوبية والتي ينبغي مكافحتها تربويا من خلال قيام الجامعة بإعادة دورها وتخريج كوادر مؤهلة قادرة على مكافحتها .

٤) **المؤسسات الاجتماعية:** ويقصد بها في البحث الحالي جميع المؤسسات والأجهزة الحكومية (الوزارات ، الهيئات ، المصالح ، البنوك..الخ) والأهلية (المنظمات ، والجمعيات، والنقابات ، والاتحادات ، الأحزاب..الخ) في المجتمع والتي حددت بموجب القوانين الصادرة عن الجهات الرسمية في اليمن .

منهج البحث وإجراءاته:لتحقيق أهداف البحث تم القيام بالإجراءات الآتية :-

١- استخدام المناهج البحثية الآتية:

- المنهج الوصفي في وصف وتحليل واقع ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية ودور الجامعات بمختلف منتسبيها في مكافحتها وفق رؤية المنهج الإسلامي كما تحدده المراجع والمصادر والدراسات والقوانين واللوائح والتقارير الرسمية المحلية والأجنبية.
- المنهج التطويري وذلك في تطوير دور الجامعات اليمنية وفق رؤية تربوية علمية إسلامية تم بناءها في ضوء تحليل الأطر النظرية والاتجاهات والخبرات والتجارب العالمية وواقع ظاهرة الفساد في اليمن ونتائجها على أداء الجامعات والمؤسسات الاجتماعية الأخرى الحكومية والأهلية .

٢-جمع المعلومات من خلال المصادر والمراجع والدراسات والبحوث ذات العلاقة بموضوع البحث والقوانين واللوائح الخاصة التقارير المحلية والأجنبية بمكافحة الفساد بالمؤسسات الاجتماعية الحكومية والأهلية بالإضافة إلى تصفح مواقع الانترنت لمعرفة تجارب وخبرات دور الجامعات العربية والأجنبية ومن ثم تحليل المعلومات وتنظيمها .

٣- تصميم وبيان الآلية التربوية المقترحة في تطوير دور الجامعات اليمنية وفق خطوات بناء ألآليات العلمية الموضحة في هذا البحث.

٤- تم عرض الآلية المقترحة على عينة مقصودة من الخبراء المتخصصين في الإدارة الجامعية بلغت (٨) وذلك للحكم على واقعيتها ومصداقيتها ومدى ملاءمتها لخصوصية وإمكانية قيام الجامعات بها حيث أشارت نتائج ذلك إلى أهميتها وضرورة البدء باتخاذ الإجراءات القانونية لتنفيذها .

ثانياً : الخلفية النظرية والدراسات السابقة

أ) الخلفية النظرية :

١- رؤية المنهج الإسلامي للفساد في المجتمع :

الإسلام منهج متكامل ونظام شامل للحياة الإنسانية دينيا ودنيويا ، فهو دين الله سبحانه وتعالى الذي أوحى بتعاليمه السمحاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وكلفه بتبليغه للناس كافة ودعوتهم إليه من خلال القرآن الكريم فبلغه كما تلقاه وبين مجمله وطبق بالعمل نصوصه حتى تلقاه عنه الناس جيلا بعد جيل وزمانا عقب زمان إلى أن وصل إلينا كما نزل متواترا ولا شك فيه ولا اختلاف .(شلتوت ، ١٩٨٠، ٧)

وتمثلت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم تطبيقاً وسلوكا ومنهجا (تخطيطا ، وتنظيما، وتوجيها ، وتقويما) وبذلك أرسى قواعد ومبادئ وعمليات الإدارة العربية الإسلامية التي عملت على لم الشتات للأمة ومنحها هويتها المفتقدة بعد أن غدت مخترقة من قبل تيارات منهجية يشوبها الاغتراب والاضطراب واستمر هذا النهج حتى نهاية الدولة العباسية بعدها أصبحت الإدارة العربية الإسلامية تعيش مرحلة التناقضات السريعة حتى وقتنا الحاضر كما تواجه تحديات العالم الغربي في فرض أنماطه النظمية والإدارية والفلسفية عليها ، وبالرغم من ذلك فإن للإسلام الحنيف أسلوبه الخاص في الإدارة وفيه من النظم والممارسات والحلول الإدارية للمشكلات الاجتماعية والإدارية المعاصرة ما يمكن أن يفي ويغطي الأغراض والأهداف كما أنها قدمت وستبقى تقدم حلولا إلهية لمشكلاتها الإنسانية والتقنية التي تعجز عن تقديمها اليوم الإدارة الوضعية الغربية وفي هذا الصدد يؤكد أحد الكتاب أنه " حري بنا أن نلوذ بما نمتلك لا أن نلوذ بمن يمتلكنا ويملي علينا شروطا للتطوير والإصلاح الإداري" وهذا يعني أن الإدارة في الإسلام قدمت للبشرية الكثير من المبادئ والتوجهات الإدارية الخصبة والنقية وهي بحاجة إلى تكثيف الجهود البحثية لاستخراج المقومات السليمة للإدارة والسلوك الإداري من خلال تحليل المضامين الإسلامية لمواجهة المشكلات الاجتماعية والإدارية في مختلف مؤسساته (الفهداوي ، ٢٠٠١، ١٥ -١٦) ومن أهم هذه المشكلات تفشي ظاهرة الفساد التي أكدت على تحريمها الشريعة الإسلامية السمحاء فالآيات القرآنية الكريمة تناولتها تجاوزت (٥٠ آية) تنهى عنها وتحذر منها لأن الفساد مفسد للعقل والمال ولمقاصد الشريعة الإسلامية السمحاء كما أن هناك (١١آية) تبين عقاب المفسدين وهو العقاب الذي اقره الله سبحانه وتعالى لهم كقوله تعالى (" إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ") (المائدة الآية ، ٣٣). والمتأمل في هذه الآية الكريمة يلاحظ أن عقوبة المفسدين في المؤسسات الاجتماعية تراوحت بين القتل وتقطيع الأيدي والأرجل إلى النفي من أوطانهم تبعا لاختلاف الظروف المكانية والرمانية وتباين الآثار المترتبة عن الفعل الفاسد أما عقابهم في الآخرة فقد ورد في قوله تعالى ("ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدٌ الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذ قيل له أتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد") (البقرة ، الآيات ، ٢٠٤-٢٠٦)

كما أن للسنة النبوية المطهرة حكمها المتميز لظاهرة الفساد منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم} لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما{ وقوله صلى الله عليه وسلم }ما بال العامل نبعثه فيجيء ويقول هذا لكم وهذا أهدي إلي ألا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا{ .

(الكبيسي ، ١٩٩٤ ، ٢٣-٢٤)

يتضح مما سبق أن الإدارة الإسلامية تتعامل مع القضايا والمشاكل الإدارية في المؤسسات الاجتماعية ومنها ظاهرة الفساد وفق خصوصية تتمثل بالأتي:)الفهداوي ، ٢٠٠١ ، ٧٩ -٨٠).

١) تجمع بين أصولها المرجعية وأساليبها الإنسانية التطبيقية وتقوي حلولها بالأفكار والاجتهاد العقلي المستند إلى تلك الأصول المرجعية لغرض إدارتها لكل زمان ومكان وفق مضامين الدين والآخرة إلى جانب مضامين الواقع والدنيا والسمو الروحي والعمل العقلي بهدف التطور والارتقاء في تحقيق المصلحة الشرعية للمجتمع .

٢) تتعامل مع المشكلات الاجتماعية وفق رؤية تربوية إيمانية ملتزمة بأوامر الخالق سبحانه وتعالى ونواهيه وتدعو إلى إقرار التوازن بين المادة والروح وبين الحقوق والواجبات وتعميق العلاقة الإنسانية بين الرئيس والمرؤوس وتتفاعل مع الحاضر والانطلاق نحو المستقبل بإخلاص ونزاهة وتحقيق متطلبات القوة والأمانة في العمل .

٣) تعطي أهمية لمبدأ المسئولية لمواجهة الظواهر الاجتماعية ومنها الفساد ومراقبة أداءها والإشراف عليها والمحاسبة والإتقان في أداءها .

٤) وثقت العلاقة التلازمية بين القادة والمرؤوسين واعتبار عملهم لمواجهة الظواهر الاجتماعية عملا تكليفياً أساسه الدين وبنيانه الإصلاح والمصلحة ووسيلته التربية الصالحة .

٢الفساد (مفهومه ، أسبابه ، أشكاله ،قياس الفساد ، أثاره) .

أ) مفهوم الفساد: تشير كثير من الأدبيات والدراسات إلى العديد من التعريفات من أهمها تعريف المركز الألماني الكندي للتنمية الدولية إذ يرى أنه يقصد به إساءة استخدام المنصب العام من أجل تحقيق المكاسب الشخصية أو لمصلحة شخص أو جماعة ما .(محسن ، ٢٠٠٥ ، ١) كما قدم كلا من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمات الشفافية الدولية تعريفا للفساد وهو سؤ استخدام السلطة العامة (الوظيفة العامة) بغرض تحقيق مكاسب خاصة (أماني،٢٠٠٦، ٣٦٠).

ب) أسباب الفساد: هناك العديد من الأسباب التي تؤدي إلى انتشار ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية منها (عربية ، ٢٠٠، ١٥-٢٠):

- الأسباب الاقتصادية: ومنها التدخل الحكومي في الأنشطة الاقتصادية ، انخفاض مستوى الأجور ، زيادة الإنفاق العام ، غياب مبدأ الثواب والعقاب في الأداء ، انتشار الفقر والجهل .

- الأسباب السياسية: ومنها ضعف اختيار القيادات ، الغموض أو ضعف الشفافية في المعاملات ، مخالفة القوانين واللوائح والأنظمة ، ضعف الرقابة على أنشطة المؤسسات الاجتماعية ، غياب الإرادة السياسية .
- الأسباب الاجتماعية: ومنها ضعف الوازع الديني ، ضعف نمط العلاقات الاجتماعية ، تعقد القوانين وصعوبة فهما وغياب الرغبة في تنفيذها، غياب تطبيق القوانين في حق المفسدين .

ج) أشكال الفساد: تشير الدراسات إلى أن الفساد في المؤسسات الاجتماعية له أشكال يمكن تصنيفها في أربع مجموعات هي)الكبيسي ، ٢٠٠٠ ، ٨٥ – ٨٦) , (Collins,2004, 128)

١) المجموعة الأولى الفساد التنظيمي : ومنها عدم احترام وقت العمل ، الامتناع عن تنفيذ العمل ، التراخي في انجاز الأعمال ، عدم الالتزام بأوامر وتعليمات الرؤساء ، عدم الإيفاء بالالتزامات الموكلة ، إلا مبالاة في تطوير الأداء ، الهروب من المسئولية ، إفشاء أسرار العمل ، الانعزالية وعدم التعاون في انجاز العمل .

٢) المجموعة الثانية الانحرافات السلوكية : ومنها عدم المحافظة على كرامة العمل ، الجمع بين أكثر من عمل في أماكن مختلفة ، سؤ استعمال السلطة ، المحسوبية ، المناطقية ، الأسرية ، الوساطة.

٣) المجموعة الثالثة الانحرافات المالية : ومنها مخالفة القواعد والأحكام المنصوص عليها في القوانين المالية ، مخالفة القواعد والأحكام المالية في قوانين المزايدات والمناقصات والمشتريات ، مخالفة التعليمات الصادرة من الأجهزة الرقابية ، فرض الغرامات والرسوم بدون مستند قانوني ، الإسراف في استخدام المال العام.

٤) المجموعة الرابعة الانحرافات الجنائية : ومنها الرشوة ، الاختلاس ، التزوير.

د) قياس الفساد: أشارت الدراسات إلى أنه لا يوجد مقياس مباشر لقياس ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية بسبب تعدل سوره وأشكاله ولكن توجد عدة طرق غير مباشرة يمكن من خلالها استشراف حجمه ونوعه للحصول على المعلومات والبيانات من عدة مصادر منها الصحف ، والمجلات ، وشبكة الإنترنت ، دراسة الحالات في المؤسسات ، الاستبيانات العامة وتؤكد المقاييس الصادرة عن منظمات الشفافية الدولية أن الاستبيانات العامة تعد من أفضل مقاييس الفساد وحجمه هذا بالإضافة إلى الإحصائيات والمؤشرات الرقمية. (Demidov,2004,82) & (Chirkova,2004,91)

ه) آثار الفساد: توجد العديد من الآثار لظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية تؤثر عليها ومنها : (Doig,2006,81) ، (الصالح ، ٢٠٠٦، ٣٥)

١) تأثير الفساد على النواحي الاجتماعية: ومنها زعزعة القيم الأخلاقية القائمة على (الصدق ، الأمانة ، العدل ، المساواة ، تكافؤ الفرص ، وغيرها) ، انعدام المهنية في العمل ، غياب المسئولية ، والنوايا السلبية لدى الأفراد ، ضعف الوازع الديني ، تفشي الجريمة ، الشعور بالظلم ، الحقد بين الشرائح الاجتماعية ، زيادة حجم الشرائح المهمشة .

٢) تأثير الفساد على الاقتصاد : مثل ضعف الاستثمار في الوطن ، هروب الأموال واستثمارها في الخارج ، غياب الشفافية والنزاهة ، ضعف توفر فرص العمل ، ازدياد ظاهرة البطالة والفقر ، تبذير المال العام ، قلة المساعدات الدولية ، هجرة الكفاءات الاقتصادية للخارج بسبب تفشي المحسوبية والوساطة .

٣) تأثير الفساد على حقوق المواطن: ومنها ضعف النظام السياسي في توفير الخدمات العامة للمواطنين ، تحكم المصالح الشخصية للقرارات التي تعالج الحقوق والواجبات ، ضعف التعليم والولاء للمواطنين ، الانتماء إلى أحزاب دون قناعة للحصول على مكاسب ، غياب الدولة الحديثة وفق أسس علمية ، سيطرة المؤسسات التقليدية مثل القبيلة والعشيرة الذي نتج عنه إضعاف المؤسسات الاجتماعية ، الإساءة إلى علاقات الدولة الخارجية ، ضعف إقبال المواطنين على المشاركة السياسية نتيجة عدم اقتناعها بقيادة المؤسسات ، إضعاف مصداقية الدولة ، ضعف مستوى معيشة المواطنين .

٣-دور الجامعات في المؤسسات الاجتماعية:

تعرضت أهداف ووظائف الجامعة عبر العصور للنقد والتعديل والتغيير بسبب تعدد فلسفات المجتمع بالإضافة إلى النمو والاكتشافات العلمية والاختراعات والابتكارات الصناعية، ونتيجة لذلك أشار الفكر الإداري التربوي إلى أنه تم الإجماع على قيام الجامعة بثلاث وظائف رئيسية هي التدريس ، والبحث العلمي ، خدمة المجتمع وهي وظائف متكاملة لا يمكن النظر إليها منفصلة كونها مرتبطة يبعضها البعض.(ألعبادي وآخرون ، ٢٠٠٨، ٩٥) كما إن النظر إلى خدمة المجتمع على أنها وظيفة رئيسية من وظائف الجامعات تؤكد أن هذه الوظيفة بفلسفاتها الحالية وتنظيماتها الأكاديمية والإدارية وما يربطها من علاقات مع غيرها من وظائف الجامعة تعد وظيفة حديثة على العمل الجامعي وأنها نتاج لتطور الفكر وفلسفاته والعلم وتطبيقاته وتأثيرهما على المجتمع وثقافته ومؤسساته والنشاط الاقتصادي ومجالاته .(حسين ، ٢٠٠١، ٣٣) ومن هذا المنطلق يشير بعض الباحثين بأن دور الجامعات في حل مشكلات مجتمعاتها أصبح يحظى باهتمام متزايد في عدد من الجامعات العالمية وان على الجامعات بجميع منتسبيها (قيادات ، أعضاء هيئة تدريس ، إداريين، طلبة) فحص المشكلات الاجتماعية ودراساتها والعمل على تشخيصها والبحث عن حلول لها وأن تنخرط مع مؤسسات المجتمع باعتبارها مؤسسات تعليمية حيوية وفعالة واستخدام المهارات والتقنيات المتوفرة لديها في ذلك وبذل الجهود لتنسيق العلاقات مع غيرها من مؤسسات المجتمع في تطبيق المعرفة العلمية والتقنية.(Shattov,2001, 17) وكل ذلك يفرض على الجامعات أن تعدد الأدوار المطلوبة في مجال خدمة

المجتمع في ضوء تعدد حاجات ونشاطات المجتمع ذاته ومن هنا يتحدد الاهتمام بالجامعات وحاجاتها من خلال خدمة مجتمعاتها الذي يعد مبرراً رئيسيا في الإنفاق عليها بالإضافة لاحترام الرأي العام لجهودها وفي هذا الصدد يؤكد كلارك (Clerk) "إن على الجامعة أن تعبر الفجوة الفاصلة بين مجتمعها الأكاديمي وبين المجتمع المحيط بها وأنه إذا بقت هذه الفجوة أو اتسعت فإن الجامعة سوف تحرم من مساندة المجتمع لها " وهذا يعني أنه ينبغي على الجامعات إعادة النظر في خططها وبرامجها وتنظيماتها وتحدد بعض الدراسات أنه ينبغي على الجامعة القيام بوضع ثلاثة أنماط من البرامج التي تخدم وتساند المجتمع ومنها:

أ) برامج عامة : لخدمة أفراد المجتمع بكافة شرائحه وبغض النظر عن السن أو المستوى التعليمي أو التأهيل ومنها في مجال اللغات ، ورعاية الطفولة والأمومة ، التغذية ، الصحة العامة ، الخياطة ، المعارض العلمية......الخ

ب) برامج مهنية : وتقدم لأصحاب المهن المختلفة في المجتمع من أطباء ،ومهندسين ، ومعلمين ، ومحاسبين ....الخ وهذه البرامج قصيرة المدى لا تتجاوز الأسبوع .

ت) برامج ونشاطات خاصة : تصمم خصيصاً لخدمة مؤسسة أو رقابة أو اتحاد وذلك وفقاً لعقود رسمية وتأخذ شكل دورات تدريبية يشارك فيها الخبراء والمتخصصين من الجامعات أو بشكل استشارات فنية أو برامج بحثية مشتركة.

(Beattie,2001,10-13)

إن التطورات العلمية المتسارعة في المؤسسات الاجتماعية تفرض على الجامعات القيام بأدوار جديدة لكي تساهم بعملية البناء والتغيير بهدف إعداد الإنسان القادر على أداء مهامه على الصعيد الوطني والقومي والإنساني ومن هنا فإنه يتوجب على الجامعات القيام بالأتي: (النعيمي ، ٢٠٠١، ٢٥ - ٢٦)

١- إحداث تطور جوهري في كلياتها وأقسامها العلمية وبما يحقق تفوق كبير على المستوى الوطني والقومي والعالمي لتكون قادرة التنافس والإبداع .

٢- توظيف البحث العلمي الجامعي في خدمة قطاعات الإنتاج والتنمية وربط مؤسسات البحث العلمي بمؤسسات المجتمع من خلال برامج تتصف بمعايير الجودة .

٣- تطوير قواعد البيانات للأبحاث العلمية والباحثين في الجامعات .

٤- تطوير القدرات في رفد قطاعات المجتمع بالمتخرجين القادرين على التعامل مع المتغيرات الجديدة والمشكلات الخدمية بعقول مبدعة قادرة على التواصل العلمي والتفاعل مع المستجدات العلمية والتكنولوجية.

٥- استقدام كل المبتكرات والتقنيات الجديدة والحرص على المشاركة والمساهمة في صنع القرار العملي والتواصل معه .

٦- التغيير في مفاهيم التعليم والتدريب والتدريس التقليدية وفق مفاهيم الابتكار والإبداع والاكتشاف .

٧- التطوير في مناهج التعليم وفي العلوم وبما يتوافق مع حاجات المجتمع واندماجها وتعاملاتها مع طبيعته ومع رؤية المستقبل .

٨- التركيز على القيم والمعتقدات وتعميق الوعي الروحي والأخلاقي والإنساني لدى منتسبيها وبشكل خاص الطلبة منهم وبما يضمن لهم انطلاقه في مواجهة كافة الظواهر الاجتماعية السلبية والحفاظ على هويتهم وحضارتهم .

٤- واقع ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية في اليمن :

تعاني اليمن من تفشي ظاهرة الفساد بدرجة مهولة وغير طبيعية وتوسعت لتشمل جميع المؤسسات الاجتماعية الحكومية والأهلية وأصبحت ظاهرة سلوكية تمارس من قبل كافة القيادات والأفراد واتخذت أشكالا عديدة تختلف عما هو موجود في معظم دول العالم بسبب خصوصية المجتمع اليمني وسيطرة القبيلة والعشيرة على معظم مؤسساته وغياب القوانين والتشريعات التي تضبطها وتحمي المال العام بالإضافة إلى الاختلالات والإدارية والتنظيمية لهذه المؤسسات والانحرافات السلوكية غير الأخلاقية التي تفشت بين بعض قياداتها وأفرادها وغياب الخطط والبرامج التي تحدد مدى الاستفادة من الوسائل والأساليب التكنولوجية مما جعلها تهدد حياة الأفراد في مؤسسات المجتمع ، وقد أشارت إحدى الدراسات (محسن ، ٢٠٠٥ ، ٩) التي أجريت على المؤسسات الحكومية أن ظاهرة الفساد أصبحت تمثل خطورة كبيرة تهدد كيان المجتمع وزيادة عدد الفاسدين بصورة غير طبيعية تمارس من قبلهم تحت مسميات عديدة منها(مقابل جهد ، إكرامية ، أتعاب ، هدية للأولاد ، خذ وأعطي ..الخ) وهذا يؤكد أن ظاهرة الفساد أصبحت ظاهرة سلوكية يتطلب مواجهتها وفق آلية تربوية كونها تفشت حتى بين قيادات المؤسسات الاجتماعية والتربوية بشكل يتنافى مع مبادئ وتعاليم ديننا الإسلامي ، حيث يلاحظ أن الفاسدين يعانون من انفصام في شخصيتهم من خلال التناقض بين أقوالهم وأفعالهم . وقد برزت العديد من الأشكال لظاهرة الفساد في مؤسسات المجتمع اليمني منها اختلاس المال العام من معظم القيادات والأفراد،والرشوة ، العمولة ، الوساطة ، القرابة والمحسوبية ،الانتماء الحزبي،تقدير الوجاهة والقيادات التقليدية،الابتزاز والتهديد،التزوير، التلاعب بالمناقصات والمزايدات،تشكيل لجان غير ضرورية، التراخي والغياب عن العمل،سؤ استعمال السلطة) .(محمد ،٢٠٠٧، ٧٦١- ٧٦٣)

وقد أفرز هذا الواقع العديد من النتائج السلبية سواء على أداء المؤسسات الاجتماعية أو سلوك الأفراد والقيادات بها وانعكس ذلك على حياة وسلوك بقية شرائح المجتمع ومنها سؤ استغلال الموارد الطبيعية السيادية ، تفشي قيم غير أخلاقية في السلوك لدى أفراد المجتمع ، ضعف أداء وإنتاجية المؤسسات الاجتماعية ،

غياب المصداقية في تشجيع الاستثمار الداخلي ، حرمان الدولة من معظم الإيرادات والرسوم الفعلية التي يتم تحصيلها ، انخفاض مستوى المعيشة في المجتمع اليمني ، انخفاض مصداقية الدولة والحكومة والنظام السياسي ، تدني الاستثمارات الخارجية ، المبالغة في زيادة تكاليف المشروعات والبرامج المنفذة وضعف جودتها ، الإبقاء على قيادات المؤسسات الاجتماعية فترة طويلة مما يصعب التمييز بين ممتلكاته الشخصية وممتلكات المؤسسة ، تطويل الإجراءات وتأخر انجازها ، ارتفاع الأسعار وعجز الرواتب والأجور عن تلبية الحاجات الضرورية ، مزاولة قيادات المؤسسات أنشطة تجارية إلى جانب أعمالهم ، ضعف الخطط والبرامج التي تفعل دور الرقابة والأجهزة القضائية في تنفيذ القوانين .(العريقي ، ٢٠٠٧، ٦٧)

٥- جهود ومحاولات الدولة لمكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية:

نظرا لخطورة تفشي ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية فقد بذلة الدولة جهود ومحاولات للحد منها ومكافحتها ، وبالرغم من ذلك إلا أنها لم تجدي في الحد من الظاهرة بسبب غياب الرؤية الجادة في تفعيل هذه الجهود ومهما يكن من أمر ذلك يمكن إبراز الجهود والمحاولات التي تمت وهي)الشامي ، ٢٠٠٧، ٧٤٩ – ٧٥٠) .

١) إنشاء الهيئة العليا لمكافحة الفساد المالي والإداري ، وإصدار القوانين واللوائح المنظمة لها
٢) إنشاء اللجنة العليا للمشتريات الحكومية.
٣) إنشاء للجنة العليا للمناقصات والمزايدات .
٤) إنشاء نيا بات الأموال العامة .
٥) إنشاء محاكم الأموال العامة .
٦) التوجه نحو تطبيق اللامركزية المالية والإدارية والحكم المحلي.
٧) تشكيل لجنة لدراسة تبسيط إجراءات الخدمات العامة .
٨) إعادة هيكلة بعض وحدات الخدمة العامة .
٩) تحديث وتطوير بعض التشريعات واللوائح والأنظمة الإدارية والمالية.
١٠) إصدار الإستراتيجية العامة لنظام الأجور والمرتبات .
١١) تحديث وتطوير دور الأجهزة الرقابية الحكومية .

٦- واقع دور الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد :

تعد الجامعات اليمنية من أهم مؤسسات المجتمع اليمني كونها تعد الكوادر والكفاءات والقيادات لها ويعول عليها القيام بدور فاعل في وضع الرؤى والإستراتيجيات وتقديم الحلول للمشكلات الاجتماعية لأنها تضم في أروقتها شريحة تمتلك العلم والمعرفة وتنمي السلوكيات الإيجابية لدى منتسبيها خاصة الطلبة منهم كونهم من سيقودون مؤسسات المجتمع في المستقبل ، ومن هنا فقد حدد قانون تنظيم الجامعات

اليمنية رقم (١٧) لسنة ١٩٩٥م وتعديلاته ، واللائحة التفسيرية لقانون الجامعات اليمنية الصادرة بالقرار الجمهوري رقم (٣٢) لسنة ٢٠٠٧م أهداف الجامعات ووظائفها الرئيسية ، إلا أننا نلاحظ أن دور الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد في مؤسسات المجتمع يكاد يكون غائباً بسبب غياب الرؤى والإستراتيجيات وعدم تفعيل استقلالها ماليا وإداريا مما نتج عن ذلك غياب تفعيل دورها في حل مشكلات المجتمع وفي هذا الصدد أشار أحد الكتاب إلى أن الجامعات اليمنية تواجه العديد من المعوقات التنظيمية والاجتماعية والتي تعيقها في تحقيق أهدافها المرسومة (الحاج، ٢٠٠٥، ٨٧) ومن هذا المنطلق فإن الجامعات اليمنية تعد كأي مؤسسة اجتماعية أخرى تواجه أيضاً تفشي ظاهرة الفساد في أروقتها كون دورها في مكافحتها غير ملموس انطلاقاً من المؤشرات الآتية:

١. ضعف القوانين واللوائح التي تفعل دور الجامعة في خدمة المجتمع.

٢. غياب الرؤى والإستراتيجيات والخطط والبرامج التي تفعل دور الجامعة في تحقيق أهدافها المرسومة.

٣. خضوع قيادات الجامعات لمصادر الضغوط الاجتماعية في سير أداءها .

٤. غياب تفعيل مبدأ استقلالية الجامعات إداريا وماليا وارتباطها بوزارتي المالية والخدمة المدنية .

٥. تفشي أشكال ومظاهر الفساد في أروقة الجامعات ومنها المحسوبية ، والقرابة ، ارتفاع تكاليف المشتريات و تنفيذ المشروعات، الرشوة لدى الجهات المختصة بالجوانب المالية لاعتماد موازنتها .

٦. ضعف هيكل أجور الموظفين الإداريين والفنين واعتبارهم موظفين كأي موظف في مؤسسة اجتماعية أخرى .

٧. نظرة المجتمع السلبية نحو الجامعة ودورها الريادي في المجتمع .

٨. شعور القيادة وأعضاء هيئة التدريس والإداريين والطلبة بأن دورهم وانجازاتهم خارج أسوار جامعاتهم محدودة القيمة .

٩. سيطرة القرار السياسي والحزبي على القرار التربوي في الجامعات .

١٠. غياب المعايير العلمية في تعيين واختيار القيادات الإدارية والأكاديمية في الجامعات.

١١. غياب التنسيق بين الجامعات اليمنية ومؤسسات المجتمع المحلي .

ب) الدراسات السابقة :

من خلال إطلاع الباحث يلاحظ أن هناك ندرة في الدراسات التي تناولت ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية وخاصة الدراسات المتعلقة بدور الجامعات في مواجهتها ومكافحتها ويمكن استعراض بعض الدراسات التي تم الحصول عليها ومنها :

دراسة السنبل وعبد الجواد(١٩٩٣) هدفت إلى معرفة الأدوار المطلوبة من جامعات دول الخليج العربي في مجال خدمة المجتمع ومواجهة مشكلاته وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي كما اتبعت تطبق استبيان لاستقصاء أراء أفراد العينة البالغ عددهم (٨٨) شملوا مدراء جامعت ومديري مراكز خدمة المجتمع وعمداء كليات وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج منها عدم رضا أفراد العينة عما تقوم به جامعاتهم من دور في مجال الخدمة العامة للمجتمع ، ضعف الدراسات والبحوث والخطط المنظمة لذلك في معظم الجامعات الخليجية والخاصة بتنمية المجتمع ، ومحدودية الاستشارات العلمية التي تقدمها الجامعات لهذه المؤسسات ، ضعف التدريب والتوعية للعاملين في المؤسسات الاجتماعية وغير ذلك.

دراسة الأعرجي (٢٠٠٦) هدفت إلى معرفة دور الجامعة البحثي إزاء الفساد الإداري اللاخطي من خلال التحري عن مدى فاعلية المناهج المعتمدة في البحوث الجامعية العربية حيث قامت الدراسة بدراسة مقارنة فاعلية البحوث الجامعية العربية إزاء ظاهرة الفساد الإداري بالبحوث الجامعية ببعض الدول المتقدمة وأظهرت النتائج ميل ظواهر الفساد الإداري في الدول العربية إلى الحركية ألالاخطية في حين أن المناهج المعتمدة في البحوث الجامعية العربية ذات ميل إلى الحركية الخطية كما أشارت على محدودية الدقة في عمليات التشخيص والعلاج لظواهر الفساد الإداري و أوصت بضرورة إعادة النظر في مناهج التعامل مع ظواهر الفساد الإداري باتجاه الأخطي كما تتطلبه طبيعة التغيرات والتحولات الجارية .

دراسة الشامي (٢٠٠٧) وهي دراسة نظرية هدفت إلى التعريف بمفهوم الفساد الإداري وتحديد أسبابه والبيئة التي ينتشر فيها وإبراز مظاهر وأشكال الفساد في وحدات الخدمة العامة في اليمن وتحديد الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية الناتجة عنه وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي في وصف ظاهرة الفساد الإداري وجمع البيانات والمعلومات الخاصة بها ، والدراسة أخذت المنحى النظري التحليلي لوصف محتوياته وتوصلت إلى اقتراح الآليات والطرق المناسبة لمكافحتها وتجفيف منابعه ومنها الاعتراف بالمشكلة وخطورتها ، وتعزيز مبدأ الشفافية ، إتباع نظام المساءلة ، تعزيز سيادة القانون ، تعزيز وتحديث الأجهزة القضائية ، تفعيل دور أجهزة الرقابة ، تنمية دور الجماهير ، إصلاح الاختلالات في المالية العامة .

دراسة محمد(٢٠٠٧) هدفت إلى التعرف على طبيعة الفساد الإداري في المؤسسات الحكومية اليمنية واقتراح رؤية لتفعيل الدور الرقابي لمكافحته وتناولت الدراسة بأسلوب نظري وصفي تحليلي لمفهوم الفساد وأشكاله وأسبابه وأثاره وتوصل إلى تقديم رؤية مستقبلية ركزت على تفعيل دور الرقابة الداخلية والخارجية والأجهزة الحكومية كالجهاز المركزي لرقابة والمحاسبة والهيئة العليا لمكافحة الفساد والمجالس المحلية ووزارات ذات العلاقة والسلطة القضائية وأيضا تفعيل الرقابة الشعبية من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية والأحزاب السياسية ومؤسسات المجتمع المدني .

وقد استفاد الباحث من هذه الدراسات في تحديد الأطر النظرية لظاهرة الفساد ودور الجامعات في خدمة المجتمع وتحليل واقع ظاهرة الفساد ونتائجها في المجتمع اليمني والاسترشاد بذلك في تقديم الرؤية التربوية المقترحة لتطوير دور الجامعات في مكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية

ثالثاً الرؤية التربوية المقترحة :

١ـ المرتكزات والمنطلقات الأساسية لرؤية المقترحة:

تم وضع الآلية المقترحة استجابة للعديد من المرتكزات والمنطلقات العلمية والمجتمعية التي ينبغي على إدارة مؤسسات التعليم الجامعي والعالي (وزارة التعليم العالي + الجامعات اليمنية) مراعاتها عند وضع خطط تطوير دورها في مكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية ، ومن أهمها:

١- إن ديننا الإسلامي منهج شامل ومتكامل ونظام حياة نظر إليها برؤية عملية لتنظيم حياة الإنسان بحكمة يعمل من خلالها على ضبط نوازع الإنسان وتوجيهها الوجه الصحيحة لأنه فردا وجماعة ينسى في معظم الأحيان أن دائرة حريته محددة فيما يقدمه من أفعال وما يتخذه من مواقف ويلتزمه من أهداف وأنه فيما وراء ذلك محكوم بسنن ونواميس إلهية تفوق طاقاته وقدراته جميعا ودونها لا يمضي حق وعدل ولا يستقيم نظام كوني ولا وجود بشري ، وهذا يعني أن مصادر المنهج الإسلامي (القرآن الكريم + السنة النبوية الشريفة) قد أكدت على ضرورة تنظيم حياة الناس في مؤسسات المجتمع ودفعهم نحو الانتظام وتحقيق الأهداف وتحسين الأداء الخير والصالح للأمة ولن يتم القيام بذلك إلا وفق أصول ثابتة وأسس منهجية في كيفية تولي الإدارة مسئوليتها بين الناس لتكون المنطلق المرجعي في السلوك والفعل والتصرف وفي ضوء ذلك تأتي الرؤية التربوية لدور الجامعات في مكافحة ظاهرة الفساد تجسيدا وتنظيما لتفعيل رؤية المنهج الإسلامي في التربية الصالحة لفعل الخير و معالجة الظواهر السلوكية السلبية في المؤسسات الاجتماعية .

٢- تؤكد الدراسات العلمية أن ظاهرة الفساد في اليمن تعد الأكثر انتشارا وأشد خطرا و تأثيرا على المجتمع بدرجة تفوق مما هو عليه في المجتمعات الأخرى وإن مكافحتها اصبح أمر ملحا وضروريا بل وواجبا دينيا ووطنيا على كل فرد من أفراد المجتمع عبر مواقعهم المختلفة وأن العبء الأكبر في مكافحتها ينبغي ان تقوم به المؤسسات الاجتماعية الرسمية ، وتعد الجامعات إحدى هذه المؤسسات التي يتوجب عليها مكافحتها وفق أساليب وأدوار تربوية جديدة وتعد هذه الرؤية أحد الأساليب والرؤى العلمية التي يمكن أن تحقق ذلك.

٣- تؤكد التوجهات الفكرية والعلمية التي توصل إليها الباحثين والمهتمين والمسئولين عن التعليم الجامعي والعالي في اليمن على الآتي:

أ) للتعليم الجامعي ذي الجودة المرتفعة دور حاسم في التنمية المستدامة للمجتمع اليمني وتمكنه من الحفاظ على هويته وتراثه، والإسهام في الحضارة الإنسانية ومكافحة الظواهر الاجتماعية السلبية ومن أهمها ظاهرة الفساد.

ب) للجامعات بكافة منتسبيها(قيادتها ، وأعضاء هيئة التدريس ، والإداريين ، وا لطلبة) الحق الكامل في مكافحة ظاهرة الفساد في مؤسسات المجتمع كونهم الشريحة التي تعتمد عليه حركة البناء والتطوير في المجتمع .

ج) ضمان الجودة لدور الجامعات في مكافحة الظواهر السلبية في المجتمع لا يمكن أن يترك للنوايا الحسنة والرغبات للقائمين على مؤسساته، بل لابد من وضع رؤى تربوية إجرائية تحقق ذلك من خلال وجود نظام محدد وجدّي لتطبيقها على مستوى المؤسسات العلمية والتعليمية في اليمن.

د) إن الدور الحقيقي للتعليم الجامعي في مكافحة الظواهر الاجتماعية السلبية لن يأتي إلا من داخل الجامعات نفسها بإجراءات وجهود تربوية مخططة وواعية يشارك فيها جميع العاملين في الجامعات، وأما السبل الأخرى الخارجية فهي منبهة ومساعدة ومسارعة للتطوير النوعي المنشود.

ه) الجامعات بحكم أهدافها وانتماءاتها ومصالحها وإدراكها لأدوارها المجتمعية تكون حريصة على التصرف بمسؤولية تجاه وضع حلول علمية لمكافحة الظواهر السلبية في المجتمع ، من خلال التطوير المستمر لمستويات مخرجاتها، ولكنها مع ذلك تظل عرضة للانحراف أو التقصير أو الوقوع ضحية الممارسات السيئة والرؤى الخاطئة.

و) الدولة هي المسئولة الأولى عن التخطيط للتنمية الشاملة للوطن وعن تعزيز ودعم دور التعليم الجامعي، ولكن هذه الحقيقة لا تعني أن تكون الدولة هي المسئول الرئيس عن
وضع الخطط والرؤى التربوية لمواجهة المشكلات والظواهر الاجتماعية ونوعيتها والأفضل لهذه الغاية أن تقوم الدولة بدور تنسيقي وتدعيمي.

ز) ينبغي أن تكون مؤسسات التعليم الجامعي مستقلة مالياً وأكاديمياً وإدارياً تسود أرجاء كلا منها الحرية الأكاديمية، وتحترم في جنبات كلا منها القيم الإنسانية وعلى رأسها المساواة والعدل والتعاون وتكريم الإبداع والمبادرة.

٤- تواجه الجامعات اليمنية كغيرها من جامعات الدول النامية أزمة تربوية حادة، إذ يتعرض خريجوها لنقد ساخن من المجتمع ومؤسساته، بسبب غياب دورها في مكافحة الظواهر السلبية في المجتمع ويتطلب مواجهة ذلك الاهتمام بالرؤى التربوية لتطوير أدوار الجامعات وفق الأساليب الإدارية والأكاديمية الحديثة، وفي ضوء المعايير ، التي تقوم على المزج بين الوسائل الإدارية، والجهود الإبتكارية وبين المهارات الفنية المتخصصة، بهدف الارتقاء بمستوى الأداء، والتحسين والتطوير المستمرين لدورها في تنمية وتطوير المجتمع.

٥- تعمل الجامعات العالمية ومنها اليمنية، اليوم في بيئة عالمية وتنافسية، تتسم بالديناميكية، وسرعة وحدة التغيير، وإزاء هذه التغيرات تتجه معظم الجامعات نحو تبني فلسفة جديدة بشأن مجالات أعمالها أو عملياتها الرئيسية، لمواجهة الضغوط التي تنادي بالتغيير والتطوير ومنها مثلاً: التوجه نحو التكتلات

الاقتصادية، خصخصة الأعمال، وتقليص دور الحكومة، ظهور الشركات المتعددة الجنسيات، التوجه نحو الأسواق الدولية، زيادة حدة المنافسة، وغيرها. ولمواجهة هذه التغيرات أصبح من الصعوبة على الإدارة الجامعية تبني أساليب ومفاهيم إدارية قديمة قد تكون أثبتت نجاحاً في فترات ماضية، ذلك أن عوامل نجاح الأمس قد تصبح دواعي فشل الغد. وبذلك أصبح على الإدارة الجامعية أن تتعامل مع التغيير المستمر بالقدر المناسب من السرعة والمهارة، ولن تستطيع القيام بذلك إلا من خلال إعادة أدوارها بما يلبي حاجات ومتطلبات المجتمع التي أفرزتها هذه التغيرات وفق رؤية تربوية .

٦- هناك توجهات حكومية نحو تغيير دور الجامعات اليمنية، منطلقة من إدراكها أن الوظائف التقليدية التي تقوم بها لم تعد صالحة أو مجدية، وخصوصاً في عصر أصبحت فيه ثورة الاتصالات والمعلومات تشكل تحدياً خطيراً، مما يتطلب من الجامعة أن تبحث عن وظائف وأدوار تربوية جديدة تقوم من خلالها بتقديم خدماتها للمجتمع، فلا يتوقف دورها عند وظيفتي التدريس وإجراء البحوث، وإنما يمتد دورها إلى خارج مؤسساتها لتصل بخدماتها إلى مختلف القطاعات والفئات والأعمار، وذلك من خلال إجراء البحوث التطبيقية لحل مشكلات المجتمع، وتقديم الاستشارات الفنية والعلمية لمؤسسات وقطاعات المجتمع، وتنظيم برامج تدريبية وتأهيلية أثناء الخدمة للعاملين في مؤسسات المجتمع لرفع مستوى أدائهم، كما استحدثت العديد من المراكز هدفها الأساس خدمة المجتمع، الأمر الذي يتطلب تطوير جودة الأدوار التي تقوم بها تجاه خدمة المجتمع اليمني.

٢-هدف الرؤية التربوية:

تقديم رؤية تربوية إجرائية وتنفيذية تساعد المسئولين في الإعداد والتحضير لتخطيط وتطوير دور الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد في المجتمع في ضوء مفاهيم ومبادئ وتعاليم المنهج الإسلامي ،بحيث تكون قادرة على مواجهتها ومكافحتها، والبدء بعملية تطوير شامل وجذري لدور المؤسسات التعليمية الجامعية في المجتمع يتعدى الشكل إلى المضمون وجودة الأداء، وذلك بهدف إحداث تطوير نوعي في مدخلاتها وعملياتها ومخرجاتها والارتقاء بها إلى المستويات المنشودة التي تُكَون المجتمع المتعلم والمنتج والساعي إلى الرقي والتقدم بحيث يشترك في ذلك كافة منتسبيها.

٣– المبادئ والأسس والمقومات التي تقوم عليها الرؤية التربوية:

تستند الرؤية إلى مجموعة من الأسس والمبادئ والمقومات، منها:

١- مبادئ وأسس وتعاليم المنهج الإسلامي في مواجهة ظاهرة الفساد في المجتمع في المجتمع .

٢- توفر رؤية وإرادة سياسية عليا في الدولة والحكومة ومنظمات المجتمع المدني.

٣- التطوير المستمر لأنماط جديدة في منظومة التعليم الجامعي ودوره في حل مشكلات المجتمع اليمني.

٤- الانفتاح على العالم والتفاعل المستمر مع مؤسساته التعليمية والبحثية في تحديد أدواره تجاه المجتمع.

٥- تأكيد التوجه المستقبلي في خطط وبرامج التغيير لأدوار الجامعات اليمنية نحو المجتمع.

٦- إدراك كاف لرغبات وتوقعات مؤسسات المجتمع اليمني لدور الجامعات في مكافحة ظواهرها السلبية.

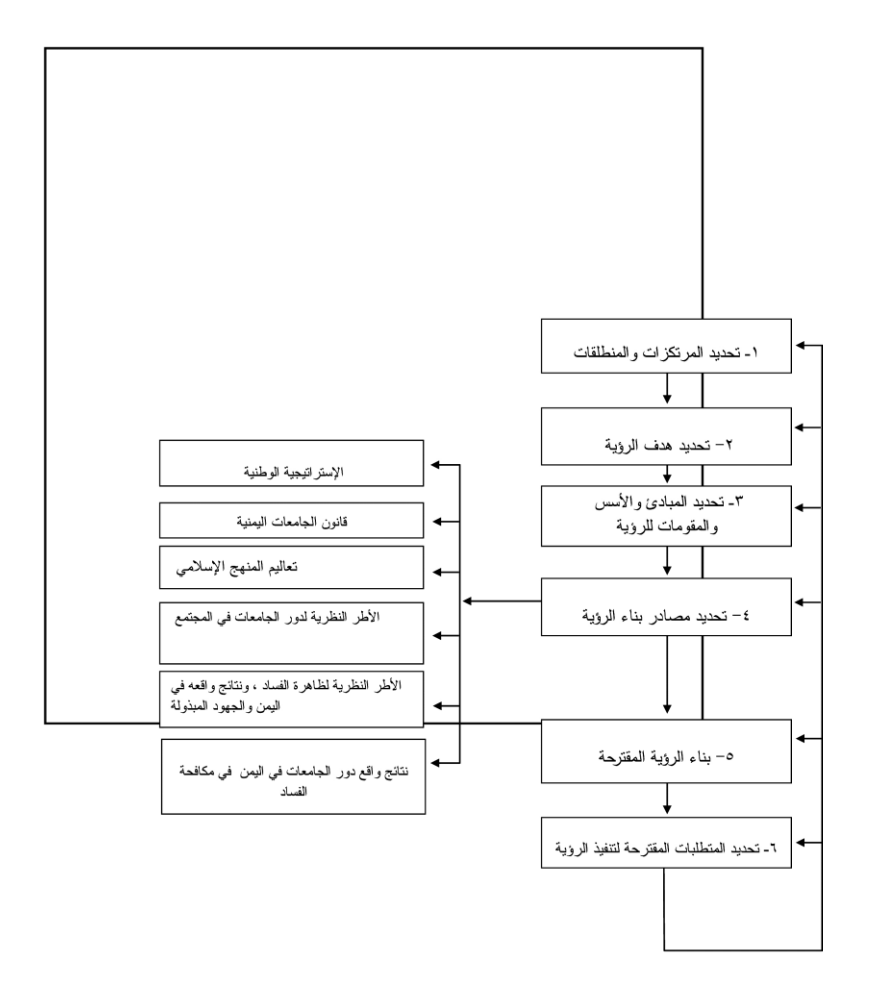
٧- إيمان الإدارة العليا بالجامعات بأهمية التغيير في أدوارها ووضع البرامج لتنمية كافة منتسبيها .

٨- صياغة جديدة واعية للسياسات والإجراءات الأدوار الجديدة للجامعات في مكافحة الظواهر السلبية في المجتمع.

٩- النظر لمعارضة البعض للتغيير كرد فعل طبيعي وفهم أسباب المعارضة كأساس للمعالجة.

١٠- التوجهات العالمية والمحلية نحو خطورة ظاهرة الفساد في المجتمع.

٤-خطوات بناء الرؤية التربوية المقترحة:



شكل (١)

خطوات بناء الرؤية المقترحة لتطوير دور الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية

٥-محتوى الرؤية التربوية:

مما لا شك فيه أن الجامعات اليمنية تعد من أهم المؤسسات التربوية التي تقوم بتربية وإعداد الكفاءات وترفد مؤسسات المجتمع الحكومية والأهلية بكوادر وقيادات مؤهلة ، كما أنها مسئولة عن قياس كفاءتها الخارجية من خلال متابعة أداءهم وسلوكهم في هذه المؤسسات ومعرفة مستوى رضا المجتمع عنهم بحيث تمكنها من إعادة أدوارها وتصميم برامجها وخططها وفقا لذلك وبما يواكب التطورات العلمية والتوجهات الاجتماعية المحلية والخارجية مع مراعاة الحفاظ على معتقدات وهوية المجتمع اليمني الدينية ومن هذا المنطلق أصبحت ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية الحكومية والأهلية ظاهرة سلوكية تمارس من قبل كافة الأفراد والشرائح وبشكل مخطط فشلت الخطوات والإجراءات الإدارية في القضاء عليها ، وبالتالي لا يمكن مواجهتها إلا من خلال تعديل السلوك التي تعد وظيفة تربوية أساسية للجامعات ومن هذا المنطلق يمكن تحديد الرؤى التربوية التي تقوم بها الجامعات لتنفيذ الأدوار والخطوات والإجراءات الإدارية والأكاديمية المطلوبة من مختلف منتسبي الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد في المجتمع اليمني وذلك على النحو الأتي:

أولاً : وضع الرؤى الإجرائية لإيمان وإرادة القيادات العليا لمكافحة ظاهرة الفساد:

مما لا شك فيه أن مواجهة أي ظاهرة سلبية أو سلوك غير مرغوب فيه في أي مؤسسة اجتماعية يراد تعديله يتطلب توفر إيمان وإرادة جادة من قبل قيادات هذه المؤسسات بصورة عامة والقيادات العليا بالدولة والحكومة بصفة خاصة تجسيداً لقوله صلى الله عليه وسلم } كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته { ومن هنا فإن دور الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد يتطلب ضرورة توفر إيمان صادق وإرادة سياسية جادة لكي تمكنها من إعادة دورها في تصميم برامجها الأكاديمية والإدارية ووضع الآليات الهادفة إلى تربية منتسبيها وإعدادهم بحيث يكونوا قادرين على مكافحة كافة الظواهر السلبية في المجتمع ومنها ظاهرة الفساد أثناء إعدادهم أو خدمتهم في مؤسسات المجتمع وتكون أنموذجاً يقتدي بها في بقية المؤسسات الأخرى ، والقيادات المستهدفة ودورها المطلوب تتحدد بالأتي:

١) إيمان وإرادة القيادات العليا في رئاسة الدولة والحكومة وهم المسئولين مسئولية مباشرة وكبيرة في تحديد معالم ومبادئ وأسس الإرادة السياسية في مكافحة ظاهرة الفساد والإيمان بها وإصدار التوجيهات والتعليمات الإجرائية للمؤسسات المعنية بذلك وتحيد الضوابط والعقوبات وآليات التنفيذ والتقويم والمتابعة بشكل جاد بالإضافة إلى تكليف السلطة التشريعية بإصدار التشريعات الكفيلة بضمان قيام الجامعات اليمنية بدورها في مكافحة ظاهرة الفساد والظواهر السلبية الأخرى في المجتمع بأسلوب تربوي مستندا إلى تعاليم الإسلام والمستجدات العلمية المحلية والدولية .

٢) إيمان وإرادة قيادات الوزارات والمؤسسات الاجتماعية الحكومية والأهلية بخطورة ظاهرة الفساد في المجتمع وإيمانها بدور الجامعات وإعادة تشريعاتها القانونية بما يواكب توجهات القيادات العليا في الدولة والحكومة والدور المطلوب من الجامعات بهذا الخصوص ووضع الآليات التنسيقية بينها وبين الجامعات في مكافحة ظاهرة الفساد والظواهر الاجتماعية الأخرى .

٣) إيمان وإرادة قيادات المجلس الأعلى للجامعات ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي وذلك من خلال ترجمة الإرادة السياسية العليا وفق ما ورد في (١، ٢) في ضوء إستراتيجيات و خطط إدارية وأكاديمية بالإضافة إلى إصدار إستراتيجيات لكل جامعة تراعى فيها خصوصيات وإمكانيات وقدرات كل جامعة .

٤) إيمان وإرادة قيادات المجالس المحلية بالمحافظات كونها الداعم الرئيس لتزويد الجامعات بكافة المعلومات عن الظواهر السلبية ومن أهما ظاهرة الفساد كما أنها الحاضن الرئيس لمخرجات الجامعات القادرة على إدارة وقيادة مؤسسات المجالس المحلية .

٥) إيمان وإرادة قيادات الجامعات ، والكليات ، والمعاهد ، والمراكز ، والأقسام العلمية ، وأمانات الجامعات ، وأعضاء هيئة التدريس ، ومدراء عموم الوحدات الإدارية ، والموظفين بالجامعات كونهم المعنيين الأساسين والرسميين والذين ستوكل إليهم ومن خلالهم إعداد وتأهيل الأفراد والقيادات وفق رؤى تربوية إسلامية من خلال تصميم الخطط والبرامج الدراسية وفق توجهات وإرادة القيادات السياسية العليا ودراستها دراسة علمية بالإضافة إلى وضع الخطط التنسيقية بينها وبين المؤسسات الاجتماعية وإعادة ثقة هذه المؤسسات بالجامعات حتى تكون قادرة على البناء الفكري للموارد البشرية بدرجة عالية تمكنها من مكافحة ظاهرة الفساد في كافة المرافق الزراعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية والصحية التعليمية ...الخ

ثانياً: إعادة التشريعات القانونية للجامعات والجهات ذات العلاقة :

من المعروف أن الإيمان والإرادة السياسية للقيادات العليا كما هو موضح أنفا لا بد أن يتم ترجمتها إلى إجراءات وآليات قانونية ولكي تقوم الجامعات بدورها في مكافحة ظاهرة الفساد فإنها بحاجة إلى دعم وإرادة كافة قيادات الدولة من خلال إصدار التشريعات القانونية التي تخولها الصفة القانونية وذلك من خلال :

. قيام السلطة التشريعية ممثلة بمجلسي النواب والشورى وأيضا السلطات العليا في المجلس الأعلى للجامعات ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي بإعادة النظر في قانون تنظيم الجامعات اليمنية بحيث يحدد وبصورة واضحة دور الجامعات في مكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية الحكومية والأهلية ويمنحها الصلاحيات المطلقة والاستقلال المالي والإداري بصورة فعلية ، كما تحدد المعايير العلمية التربوية في اختيار قيادات الجامعات وعمداء الكليات ورؤساء الأقسام العلمية وأعضاء هيئة التدريس والإداريين وتحديد المنطلقات الأساسية لسياسة القبول وذلك في ضوء معايير القدرة ، الكفاءة ، الكفاية ، النزاهة ،

الأمانة ....الخ ، كما تحدد الموارد المالية بما يتلاءم ودور الجامعات وخصوصيتها في المجتمع لجميع العاملين بها بحيث يكونوا أنموذجا في مكافحة ظاهرة الفساد.

. قيام قيادات الجامعات اليمنية والكليات والمعاهد والمراكز العلمية والأقسام العلمية بوضع اللوائح التفسيرية للقوانين المنظمة للجامعات وتصميم الأنظمة واللوائح والأدلة الأكاديمية والإدارية بحيث تتضمن الآليات والإجراءات التي تحدد دور الجامعات بكافة منتسبيها في مكافحة ظاهرة الفساد وإقرارها عبر المجالس العلمية في الجامعات ووزارة التعليم العالي ومجلس النواب .

ثالثاً: تنمية الثقافة التنظيمية لمكافحة ظاهرة الفساد:

إن ظاهرة الفساد في المجتمع اليمني أصبحت ظاهرة سلوكية تهدد كيان المجتمع مما يفرض على الجامعات القيام بوضع إجراءات توعوية تهدف إلى إيجاد ثقافة إيجابية لدى كافة منتسبيها أولا ثم الأفراد في المؤسسات الاجتماعية الحكومية والأهلية ثانيا، ومن هنا فإنه يتطلب القيام بالأتي:

١- قيام المجلس الأعلى للجامعات ووزارة التعليم العالي ورؤساء الجامعات اليمنية الحكومية والأهلية بالتنسيق مع الهيئة العليا لمكافحة الفساد والهيئة الوطنية العليا للتوعية بتصميم برامج تتضمن رؤية المنهج الإسلامي لمكافحة الفساد وأثاره في المجتمع ودور كافة المؤسسات الحكومية والأهلية في مكافحتها وإبراز إرادة القيادات السياسية العليا في مكافحة الفساد ، وآليات تنفيذ التشريعات الخاصة بذلك، بالإضافة إلى برامج خاصة توضح دور الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد ، وذلك بأسلوب تربوي إجرائي يشمل الأفراد والقيادات في هذه المؤسسات وبحيث لا تقل فترة تنفيذ البرنامج الواحد عن شهر تتبع فيه الجدية والإرادة ومبدأ الثواب والعقاب والابتعاد عن المظاهر الشكلية والدعائية .

٢- قيام قيادات الجامعات اليمنية وعمداء الكليات والمعاهد والمراكز العلمية ورؤساء الأقسام العلمية وأمناء عموم الجامعات والكليات ومدراء عموم الإدارات الجامعية والاتحادات والجمعيات الطلابية وذلك لتصميم البرامج الإدارية والأكاديمية التثقيفية حول آثار ومخاطر الفساد وإبراز رؤية الدين الإسلامي في معالجة ذلك في المؤسسات الاجتماعية وإبراز إيمان وإرادة القيادات السياسية العليا للدولة ، وآليات تنفيذ التشريعات والقوانين واللوائح التي نظمت دور الجامعات في مكافحة ظاهرة الفساد ودور كافة منتسبي (قيادات ، أعضاء هيئة تدريس ، إداريين ، طلبة) كما يجب على الجامعات اليمنية وضع الإجراءات والأساليب التقويمية لقياس آثار نتائج التدريب.

٣-تحديد يوم وطني في السنة يسمى اليوم الوطني لمكافحة الفساد يتم فيه عقد الندوات والحلقات العلمية الخاصة بذلك على مستوى كافة المؤسسات الحكومية والأهلية وتديرها وزارة التعليم العالي والجامعات اليمنية ، وتدشن رسميا من قبل القيادات السياسية العليا في الدولة.

رابعا :إعادة تصميم الرؤى لتطوير وظائف الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد:

بناء على إيمان وإرادة القيادات العليا في مكافحة الفساد والتشريعات القانونية الصادرة وآليات تنمية الثقافة حول مخاطرها ، ينبغي على الجامعات اليمنية إعادة دورها في تحقيق ظائفها بما يحقق بناء جيل قادر على إدارة المؤسسات الاجتماعية متسلحا بالإيمان والمعرفة العلمية التطبيقية في مكافحة هذه الظاهرة ، ويتم ذلك إلا من خلال الآتي:

١) البدء بوضع الخطط الإستراتيجية والبرامج التطويرية الخاصة بتحول الجامعات إلى ما يعرف بجامعات التعلم وقيادات التعلم وموظفي التعلم وطلبة التعلم ، وذلك عن طريق القيام بتعديلات في الثقافة النظمية القائمة لدى مختلف منتسبيها والمؤسسات الاجتماعية الأخرى بحيث تتجه اهتماماتها إلى تحري وتفحص كل ما له علاقة بظاهرة الفساد في الجامعة من خلال المعلومات والمعارف البيئية الخاصة بالمؤسسات الاجتماعية .

٢) وضع الرؤى والآليات التربوية الخاصة بتطوير العمليات الإدارية من (تخطيط وتنظيم وتوجيه وتقويم) وذك وفق الخطوات ألآتية:

. القيام بوضع معايير علمية لاختيار القيادات الإدارية والموظفين والفنيين وفق التوصيف الموضح بالهيكل التنظيمي بحيث تتضمن هذه المعايير الالتزام بتعاليم وأداب الدين الإسلامي ،ومراقبة الله والخوف منه ، الأمانة ، والأخلاق الحسنة ، إيمانه بدور الجامعات في المجتمع ، وغيرها من المعايير التي تحدد استقامته دينيا وتربويا، وبحيث يكون أنموذجا يحتذ به في المؤسسات الأخرى.

. القيام بتغير الهياكل التنظيمية السائدة إلى هياكل تنظيمية عضوية بحيث تضمن إعطاء صلاحيات لكافة القيادات الإدارية بمختلف المستويات تمكنهم من إجراء تغيرات هيكلية وإجرائية أنيا وموقفيا طبقا لضرورات الحد من أسباب وانعكاسات ظاهرة الفساد.

. تشكيل لجان متخصصة لوصف وتحليل الوظائف الإدارية بحيث تحدد فيه الحقوق والواجبات وتوضح دور كل وظيفة في مكافحة ظاهرة الفساد في المجتمع .

. إصدار الأنظمة والتعليمات والأدلة التي تحدد حقوق وواجبات الموظف وتحدد دوره في مكافحة الفساد داخل وخارج الجامعة .

. تصميم نظام لتنفيذ وتقويم ومتابعة دور كل موظف في مكافحة ظاهرة الفساد داخل وخارج الجامعة.

. تصميم خطة توضح فيه العلاقة بين العمل الأكاديمي والعمل الإداري ودور كلا منها في مكافحة الفساد.

. اعتماد جائزة للإداريين تسمى جائزة رئيس الجامعة تمنح لأفضل ثلاثة إداريين سنوياً وفق معاير علمية منها ، الأمانة ، دوره في مكافحة الفساد ، الجدية ...الخ ، وتقدر قيمتها بمبلغ (٥٠٠٠٠٠) خمسمائة آلف ريال وترقيته إلى درجة وظيفية أعلى من درجته المثبت بها.

. اعتماد جائزة لأعضاء هيئة التدريس تسمى جائزة رئيس الجامعة تمنح لأفضل ثلاثة من أعضاء هيئة التدريس سنوياً وفق معايير علمية منها ، الأمانة ، دوره في مكافحة الفساد ، الجدية ...الخ ، وتقدر قيمتها بمبلغ (١٠٠٠٠٠٠) مليون ريال.

. اعتماد جائزة للطلبة تسمى جائزة رئيس الجامعة تمنح لأفضل طالب على مستوى كل كلية سنوياً وفق معايير علمية منها ، الأمانة ، دوره في مكافحة الفساد ، الجدية ...الخ ، وتقدر قيمتها بمبلغ (٢٠٠٠٠٠) مائتي ألف ريال مع ضمان توظيفه في كليته بعد تخرجه.

. إصدار قرار لتخصيص أسبوع في الجامعة سنويا يسمى الأسبوع الجامعي لمكافحة الفساد يتم فيه عقد المؤتمرات والندوات والحلقات العلمية لاستعراض إنجازات الجامعة في مكافحة الفساد وتقويمها وإبراز الأعضاء الفاعلين من منتسبي الجامعة مع ضرورة وضع لائحة خاصة تنظم ذلك.

٣) وضع الآليات الخاصة بتطوير العمليات الأكاديمية من (تدريس وبحث علمي وخدمة مجتمع) وذلك من خلال قيام القيادات الأكاديمية في الجامعة والمجالس العلمية بعملية إعادة تصميم العمليات الأكاديمية بحيث تحدد دور كل عملية في مكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية وذلك كما يأتي:

أ) في مجال الأهداف العامة / الوظائف الأكاديمية:

الهدف/ الوظيفة المنفذون الدور المطلوب

التدريس رئيس الجامعة ونوابه

عمداء الكليات والمعاهد والمراكز ورؤساء الأقسام العلمية تصميم عمليتي التدريس والمناهج مع تضمينها مفردات وأساليب لمكافحة الفساد منها:

- وضع المعايير الخاصة بتصميم الخطط والبرامج الدراسية بجميع التخصصات .
- رسم السياسات الخاصة بتطوير العملية التدريسية .
- وضع المعايير العلمية لاختيار وتعيين أعضاء هيئة التدريس.
- إنشاء وحدة خاصة للكتاب الجامعي تزود الطالب بالكتب بدلا عن الملازم .
- تصميم نظام لتقيم دور القائمين بالعملية التعليمية بحيث تتضمن دوره في مكافحة الفساد
- وضع الخطط الخاصة بتطوير طرائق التدريس وإقرارها في المجالس العلمية

أعضاء هيئة التدريس بالإضافة إلى الدور الذي يقوم به في عملية التدريس ينبغي أن يمارس دوره في مكافحة الفساد من خلال :

- تصميم الخطط الدراسية للمقررات بحيث تضم في مفرداتها بعض المواضيع الخاصة بدور المقرر في مكافحة الفساد.
- تخصيص وقت في بداية كل محاضرة لا يزيد عن (١٥) دقيقة يوضح فيه دور الطالب في مكافحة الفساد.

- تكليف الطلبة بتنفيذ متطلبات المقررات بإجراء استطلاعات عن ظاهرة الفساد في مؤسسات المجتمع.
- يخصص بعض الأنشطة الخاصة بالمقررات حول دور الطالب في مكافحة الفساد.
- تحدد دور الطالب في مكافحة ظاهرة الفساد كمعيار من معايير تقويم أداء الطالب في المقرر الجامعي.
- إعادة تصميم المناهج الجامعية وطرائق التدريس بما يتناسب ودور الطالب في مكافحة الظواهر السلبية في المجتمع.

  غلبة الجانب العملي على النظري وربط ما يتعلمه الطالب في بيئته.
- اتباع طريقة الحوار وحل المشكلات الهادفة إلى تنمية التفكير الناقد والحر تجاه المشكلات الاجتماعية.

الطلبة

- قيامهم بإعداد مواضيع في كل مقرر جامعي عن دورهم في مكافحة الفساد ومناقشتهم له في القاعة الدراسية والخروج برؤية إجرائية عن هذا الدور تنمي تفكيرهم .
- وضع برامج تنمي في الطالب التركيز والانتباه والاستجابة والدافعية والتفاعل نحو دوره في مكافحة الفساد
- تدريب الطالب على وضع الحلول للمشكلات التي تواجهه بهدف تنمية دوره وتعويده لوضع الحلول التربوية في مكافحة الفساد.
- المشاركة الفاعلة في الحوار والنقد البناء مع أستاذه وزملاءه في حل المشكلات الناتجة عن ظاهرة الفساد داخل القاعة.

البحث العلمي رئيس الجامعة ونوابه

- عمداء الكليات والمعاهد والمراكز ورؤساء الأقسام العلمية
- تصميم خطة بحثية في جميع الكليات والتخصصات تتضمن دورها في معالجة ظاهرة الفساد
- تخصيص الموارد المالية الكافية لتنفيذ الخطة البحثية.
- تشكيل لجان بحثية على مستوى الجامعة والكليات .
- إصدار مجلة علمية بحثية محكمة لنشر البحوث الخاصة بمكافحة الفساد.
- تحديد جائزتين علميتين لأفضل البحوث التي تعالج ظاهرة الفساد لأعضاء هيئة التدريس:
- الأولى تسمى جائزة رئيس الجامعة وتمنح لأفضل بحث على مستوى الجامعة .وتبلغ قيمتها مليون ريال وجهاز حاسوب محمول.
- الثانية تسمى جائزة عميد الكلية وتمنح لأفضل بحث على مستوى الكلية.وتبلغ قيمتها خمسمائة الف ريال وجهاز حاسوب محمول.

  تحديد ثلاث جوائز علمية لأفضل البحوث التي تعالج ظاهرة الفساد من قبل الطلبة هي :

  الأولى تسمى جائزة رئيس الجامعة وتمنح لأفضل بحث على مستوى الجامعة وتبلغ قيمتها خمسمائة الف ريال وجهاز حاسوب محمول.
- الثانية تسمى جائزة عميد الكلية وتمنح لأفضل بحث على مستوى الكلية.وتبلغ قيمتها ثلاث مائة الف ريال وجهاز حاسوب محمول.

- الثالثة تسمى جائزة رئيس القسم وتمنح لأفضل بحث على مستوى القسم وتبلغ قيمتها مائة الف ريال وجهاز حاسوب محمول.

أعضاء هيئة التدريس

- تقديم خطة بحثية من قبل أعضاء هيئة التدريس تتناول مواضيع البحث ذات العلاقة بمكافحة ظاهرة الفساد
- تصميم الخطط الدراسية للمقررات بحيث تتضمن مواضيع بحثية يكلف بها الطلبة أثناء دراستهم للمقررات
- تنفيذ الخطة البحثية التي أقرت من قبل قيادات الجامعة والكليات والأقسام كلا بحسب تخصصه .
- ترجمة ونشر البحوث العلمية ذات العلاقة بظاهرة الفساد بالجامعات العربية والأجنبية.
- ربط بعض البحوث والدراسات الخاصة بالترقيات العلمية بموضوع ظاهرة الفساد.
- تأليف الكتب المتخصصة وتضمين موضوع دور التخصص العلمي في مكافحة ظاهرة الفساد.
- الطلبة القيام بتنفيذ البحوث عن ظاهرة الفساد في كل مقرر دراسي واعتبار ذلك جزء من التقويم النهائي للمقرر.
- إشراك الطلبة في تنفذ البحوث الخاصة بمكافحة الفساد التي تقوم بها الجامعة والكليات والأقسام وأعضاء هيئة التدريس بهدف تنمية قدراتهم البحثية.
- القيام بعمل قراءات وملخصات للكتب والدراسات التي تتناول موضوع ظاهرة الفساد بهدف تزويدهم بالمعلومات العلمية عن الظاهرة .

خدمة المجتمع رئيس الجامعة ونوابه

- عمداء الكليات والمعاهد والمراكز ورؤساء الأقسام العلمية
- تصميم خطة تتضمن دور الجامعة في مكافحة ظاهرة الفساد في المجتمع بحيث تشمل التدريب ، الاستشارات العلمية والمؤتمرات والندوات والحلقات العلمية ، ومجالات التوعية الاجتماعية، ودور منتسبي الجامعة في ذلك .
- إنشاء كليات ومراكز علمية لتنمية المجتمع تهتم بإعداد وتدريب قيادات المؤسسات الاجتماعية وطلبة الجامعات ، بحيث يتم التركيز على موضوع ظاهرة الفساد.
- تصميم الأنشطة الطلابية بحيث تكون فاعلة في جميع المؤسسات الاجتماعية .
- التنسيق مع المؤسسات الاجتماعية لتقديم المساعدات البحثية ذات العلاقة بموضوع ظاهرة الفساد وذلك في مجالات تحليل البيانات ، استخدام المختبرات العلمية ، المشاركة في تصميم البحوث العلمية ، التدريب على إجراء البحوث العلمية
- وضع الخطط التنسيقية مع المؤسسات الاجتماعية ذات العلاقة وإشراكها في المجالس العلمية في الجامعات والكليات والمعاهد والمراكز والأقسام العلمية.
- إصدار النشرات والصحف المتخصصة بدور الجامعة بمكافحة الفساد في المجتمع
- **أعضاء هيئة التدريس**
- المشاركة في اللجان والفرق البحثية والتدريبية التي تقوم بها المؤسسات الاجتماعية المتعلقة بظاهرة الفساد.
- المشاركة بالمحاضرات والندوات والمؤتمرات والحلقات ذات العلاقة بظاهرة الفساد بالمجتمع.

- ربط المقررات الدراسية التي يدرسونها بالأنشطة والفعاليات الاجتماعية ذات العلاقة بموضوع ظاهرة الفساد.
- المشاركة في النشرات التثقيفية الخاصة بأفراد المجتمع ذات العلاقة بموضوع ظاهرة الفساد.
- التعرف على الاتجاهات العالمية المعاصرة والاستراتيجيات والخبرات في مجال مكافحة ظاهرة الفساد وتزويد القيادات الجامعية والطلبة وأفراد المجتمع بها.
- تصميم خطة تربط موضوع التدريب الصيفي للطلبة بمكافحة ظاهرة الفساد.
- الطلبة وضع برامج للتدريب الصيفي وتوزيع جميع طلبة الجامعات من مختلف الكليات والتخصصات على المؤسسات الاجتماعية كلا بحسب تخصصه دراسة ظاهرة الفساد فيها.
- وضع آليات لمتابعة عملية التدريب الصفي للطلبة بحيث يقدم كل طالب تقريرا علميا عن ظواهر الفساد في المؤسسة التي تدرب بها عن الدور الذي ينبغي أن يقوم به هو وقيادة الجامعة.
- إشراك الطلبة في جميع الأنشطة والفعاليات الخاصة بظاهرة الفساد التي تمثلها المؤسسات الاجتماعية والأهلية .
- تعويد الطلبة على تقديم رؤى علمية في مكافحة ظواهر الفساد في المؤسسات الاجتماعية ومناقشتها من خلال ندوات علمية على مستوى الأقسام في كل الكليات.

ب) في مجال الأنشطة الطلابية :

ينبغي على الجامعات وضع الخطط والبرامج الخاصة بالأنشطة الطلابية على مستوى الجامعة والكليات بحيث تتضمن دور الجامعة (القيادات ، الإداريين ، أعضاء هيئة التدريس ، الطلبة) في مكافحة الفساد في المؤسسات الاجتماعية وذلك من خلال الإجراءات الآتية:

١) تشكيل الاتحادات والجمعيات العلمية الطلابية على مستوى كل الأقسام العلمية وتفعيل دورهم في مكافحة ظاهرة الفساد.
٢) تنظيم و إعادة التشريعات والقوانين واللوائح الخاصة بالأنشطة الطلابية .
٣) قيام مراكز الإرشاد والتوجيه بوضع البرامج التربوية لتنمية وعي الطلبة ودورهم في المجتمع وخاصة دورهم في مكافحة ظاهرة الفساد.
٤) وضع خطة تربوية للرحلات العلمية والترفيهية والتدريب الصيفي والزيارات بحيث يحتل موضوع ظاهرة الفساد حيزا كبيرا فيها.
٥) استثمار الأسابيع الطلابية والمؤتمرات العلمية في كل الكليات وتخصيص فعاليات تنمي دور منتسبي الجامعة في مكافحة ظاهرة الفساد
٦) وضع مشاريع لإصدار النشرات والصحف والمجلات الحائطية والمطويات ؛ تتناول دور الجامعات بكافة منتسبيها في مكافحة ظاهرة الفساد.
٧) تخصيص جدار حر في كل كلية يعبر عن دور منتسبي الجامعات في مكافحة ظاهرة الفساد
٨) بأسلوب ناقد ومفيد بهدف تعزيز تنمية دور الطالب .
٩) إقامة المراكز والمخيمات الصيفية في كل الجامعات وتناول دور الجامعات في مكافحة الفساد.
١٠) إصدار قرارات جامعية بتسمية مكافحة الفساد في المجتمع على كل فعالية طلابية ودفع يتم تخريجها من الجامعات كتسميتها مثلا(دفعة مكافحة الفساد لعام ٢٠١٠م) بالإضافة إلى تخصيص شعارات كل فعالية لمكافحة ظاهرة الفساد.

١١) إصدار أنواط تحمل شعار كل جامعة تتضمن شعار لمكافحة الفساد يحملها جميع منتسبي الجامعات.

١٢) إصدار صحيفة تحمل اسم الجامعة تخصص لرصد فعاليات الجامعات في مكافحة الفساد.

ت) إعادة تصميم النظام المالي في الجامعات :يتم إعادة تصميم النظام المالي للجامعات والكليات والأقسام والإدارات كون ذلك يعد العنصر الأساسي لإنجاح دور الجامعات في مكافحة ظاهرة الفساد؛ بحيث تشمل الآتي :

١- زيادة نسبة موازنات الجامعات في الموازنة العامة للدولة .

٢- زيادة نسبة موازنات الجامعات من القروض والهبات والمساعدات المحلية والدولية.

٣- التوسع في برامج التعليم على النفقة الخاصة والتعليم المسائي والتعليم عن بعد وغيره.

٤- تخفيض النفقات العامة للدولة وتخصيص نسبة منها للجامعات .

٥- تمكين الجامعات من البحث عن موارد ذاتية أخرى .

٦- وضع كادر خاص للأعضاء هيئة التدريس والموظفين ؛ بحيث يشمل الأجور والحوافز والمرتبات والمزايا المالية الأخرى التي يتقاضونها في الجامعات العربية والدولية ، وذلك كي يتمكنوا من القيام بالمهام والأدوار المطلوبة منهم وتضمن لهم حياة مستقرة وبيئة عمل يبدعوا من خلالها بوضع الحلول الجذرية لظاهرة الفساد في الجامعة والمجتمع .

خامساً: إعادة هيكلة الجامعات اليمنية أكاديميا وإدارياً:

مما لا شك فيه أن الجامعات اليمنية وفق هيكليتها الحالية غير قادرة على القيام بدورها في مكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية وفق هذه الرؤية التربوية مما يتطلب ضرورة إعادة هيكليتها كما يأتي:

١- على مستوى المجلس الأعلى للجامعات : يتم إعادة هيكلته ؛ بحيث يضم وزراء جميع الوزارات والخبراء في مجال التعليم العالي وممثلين عن القطاع الخاص وقيادات منظمات المجتمع المدني ، وذلك ضمانا لتفعيل دوره ومساعدات الجامعات على نجاح دورها في مكافحة ظاهرة الفساد والظواهر الاجتماعية الأخرى.

٢- على مستوى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي: ينبغي إعادة تشكيلها ؛ بحيث يتم استحداث قطاع مكافحة الفساد ، وإعادة دورها بما يمكنها من تقديم الرؤى الخاصة بظاهرة مكافحة الفساد ومتابعتها لجميع الجامعات .

٣- على مستوى الجامعات اليمنية: ينبغي إعادة هيكليتها أكاديميا وإداريا وذلك على النحو الآتي :

أ) في الجانب الأكاديمي: يتم إعادة هيكليتها على مستوى الجامعات والكليات والتخصصات بحيث تشمل التخصصات ذات علاقة مباشرة بحاجات المجتمع بكافة مجالاته وإنشاء كليات وتخصصات علمية ذات علاقة بتنمية المجتمع ، وتوزيع التخصصات جغرافياً على مستوى كل الجامعات بحيث لا يتكرر تخصص في أكثر من جامعة ، بهدف توفير الإمكانيات والجهود لدعم الجامعات بشرياً ومالياً ، والذي نلاحظه في واقع هيكليتها الحالية.

- التوسع في إنشاء مراكز البحوث والدراسات المتخصصة ، ومراكز الاستشارات العلمية والهيئات العلمية على مستوى كل الجامعات اليمنية ؛ بحيث تمكنها من المساهمة في مواجهة الظواهر السلبية ومنها ظاهرة الفساد.

- التوسع في إنشاء الجمعيات العلمية والأندية الثقافية لكل من أعضاء التدريس والإداريين والطلبة وتحديد المهام والأدوار المطلوبة بحيث يكون دورهم في مكافحة ظاهرة الفساد من الأهداف الرئيسة لها.
- الإعلان عن تشكيل فرق جماعات أصدقاء مكافحة الفساد من صفوف أعضاء هيئة التدريس والإداريين والطلبة في كل الجامعات اليمنية ؛ بحيث يكون الدور الأساسي لها نشر التوعية بخطورة الظاهرة في الجامعة والمجتمع.

ب) في الجانب الإداري: ينبغي إعادة هيكلة الإدارة الجامعية ، والمجالس العلمية الجامعية بحيث تشترك قيادات مؤسسات المجتمع في عضويتها وذلك على النحو الآتي:

- إعادة هيكلة مجلس الجامعة بحيث يضم في عضويته القيادات المؤثرة في المجتمع والمشهود لها بالنزاهة ، وأيضا القيادات البارزة في المجالس المحلية بالمحافظات والقيادات البارزة في القطاع العام والخاص ؛ وذلك بهدف ربط الجامعة بالمجتمع وتفعيل دورها في مكافحة الفساد وضمانا لتحقيق الأهداف المرسومة.
- إعادة تشكيل المجالس العلمية الأخرى في الجامعة و مجالس الكليات والمراكز والمعاهد والأقسام العلمية ؛ بحيث تضم في عضويتها قيادات المؤسسات الاجتماعية وفق المنطقة الواقع بها كلا بحسب دوره في المجتمع فمثلا مجلس كلية التربية يشترك في عضويته مدير مكتب التربية ومدير مكتب التعليم الفني ومكتب المالية ومكتب الخدمة المدنية وبعض الشخصيات الاجتماعية المؤثرة في المجتمع والمهتمة في مجال التربية والتعليم، ومجلس الأقسام ونوابهم أو من يمثلهم أعضاء في مجالس الأقسام العلمية.
- تشكيل مجلس يسمى مجلس الإدارة الجامعية برئاسة أمين عام الجامعة ومدراء العموم الإداريين وأمناء الكليات والجهات الإدارية الاجتماعية ذات العلاقة لمناقشة تفعيل الدور الإداري للجامعات في مكافحة ظاهرة الفساد ومتابعته بشكل مستمر ووضع الحلول والمعالجات الخاصة بذلك.
- إنشاء مجلس في الجامعات يسمى مجلس مكافحة الفساد يكون على مستوى الجامعة ومجالس فرعية على مستوى الكليات يهتم بوضع السياسات والاستراتيجيات الخاصة بتفعيل دور الجامعات والكليات بمكافحة الفساد ومتابعة تنفيذها وتقويمها وتصحيح الانحرافات التي قد تواجهها.

سادساً: تصميم برامج للإعداد والتدريب:

يتطلب تنفيذ الرؤية القيام بتصميم برامج تدريبية للعاملين بالجامعات اليمنية وقيادات المؤسسات الاجتماعية الأخرى وهذا يفرض على الجامعات اليمنية ضرورة القيام بتصميم البرامج الآتية:

١. برامج تدريبية خاصة بمنتسبي الجامعات اليمنية (قيادات عليا، عمداء الكليات والمراكز والمعاهد ، رؤساء الأقسام العلمية ، أعضاء هيئة التدريس ، الإداريين ، الطلبة) وذلك على تنفيذ الآليات والإجراءات والدور المطلوب من كل منهم لكي يتمكنوا من مواجهة ظاهرة الفساد بأسلوب فاعل والحد من الإخفاقات التي قد تواجههم.
٢. برامج تدريبية لقيادات المؤسسات الاجتماعية الحكومية والأهلية لتعريفهم بآليات الرؤية ودور الجامعات اليمنية بتقديم المعالجات للمشكلات الناتجة عن ظاهرة الفساد .

سابعاً: تصميم نظام معلومات أكاديمية وإدارية بالجامعة:

ينبغي على الجامعات اليمنية تصميم نظام معلومات خاص بالجوانب الإدارية والأكاديمية عن طريق تبني وسائل تكنولوجيا المعلومات المعاصرة (شبكات إنترنت ، أجهزة حاسوب) وأيضا عن طريق إعادة النظر في نظم الأرشفة والعلاقات العامة وتدعيم الشفافية والمشاركة في اتخاذ القرار لضمان تدفق أدق وأشمل وأحدث معلومات ممكنة إلى مراكز اتخاذ القرارات المعنية في وزارة التعليم العالي والجامعات مما يساهم في دقة التشخيص والعلاج لظاهرة الفساد في المؤسسة الاجتماعية .

ثامناً: تصميم نظام للتنفيذ والتقويم والمتابعة:

لضمان تفعيل دور الجامعات اليمنية لمكافحة الفساد وفق الرؤية الحالية ، ينبغي على الجامعات تصميم نظام لتنفيذ كل الخطوات والإجراءات والآليات الموضحة بهذه الرؤية ؛ والقيام بعملية تقويم ومتابعة دقيقة ومستمرة لها وفق معايير علمية ، وذلك لضمان الحصول على ردود الفعل من البيئة الداخلية والخارجية للجامعات عن تفاصيل وخطوات:عملية تشخيص أسباب وانعكاسات ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية ، عملية تحديد الإجراءات الوقائية والعلاجية ، عملية تنفيذ الخطوات والإجراءات ، وإدخال التعديلات المطلوبة على تلك الخطوات والعمليات الموضحة بهذه الرؤية وفق ما تتطلبه التغيرات البيئية الداخلية والخارجية للجامعة.

تاسعا: متطلبات تطبيق الرؤية التربوية(التوصيات).

لتطبيق الرؤية التربوية وتحقيق دور الجامعات في مكافحة ظاهرة الفساد في المؤسسات الاجتماعية فإن الباحث يوصي بتوفير المتطلبات الآتية:

١ .تشكيل مجلس أعلى يسمى المجلس الأعلى لتنمية دور الجامعات اليمنية لمكافحة الفساد مكون من ممثلا عن رئاسة الجمهورية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، الهيئة العليا لمكافحة الفساد ،الهيئة العليا للتوعية ، وزارة الخدمة المدنية والإصلاح الإداري , وزارة المالية ، وزارة التخطيط والتعاون الدولي ، ممثلا عن الأجهزة الرقابية ، ممثلا عن السلطة القضائية ، رؤساء الجامعات اليمنية الحكومية والأهلية ، ممثلا عن منظمات المجتمع المدني ، ممثلا عن القطاع الخاص ويمارس العديد من المهام ذات العلاقة بدور الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد ومنها:-

أ) .تحديد معالم الإرادة السياسية والاجتماعية حول مكافحة الفساد بالمجتمع.

ب) .إصدار التشريعات والقوانين واللوائح التي تنظم دور الجامعات في مكافحة الفساد وفق ما أشارت إله الرؤية المقترحة في هذا البحث.

ج) .اقتراح السياسات والاستراتيجيات الخاصة بتنمية دور الجامعات اليمنية في مكافحة الفساد.

د) .تحديد المنطلقات الرئيسية للتوعية والتثقيف لكافة قيادات المؤسسات الاجتماعية بأهمية دور الجامعات في مكافحة الفساد.

ه) .إقرار إعادة هيكلة الجامعات اليمنية أكاديميا وإداريا وفق ما أشارت إليه الرؤية التربوية في هذا البحث .

و) .اقتراح الآليات التنفيذية الخاصة بعملية التنسيق بين الجامعات والمؤسسات الاجتماعية الرامية لضمان نجاح دور الجامعات في مكافحة الفساد.

ز) .وضع هيكل خاص للأجور والمرتبات والمكفآت والحوافز للعاملين بالجامعات اليمنية (أعضاء هيئة تدريس + موظفين) وبما يمكنهم من تأدية مهامهم وتنفيذ متطلبات الرؤية في هذا البحث.

ح) .تقيم ومتابعة دور الجامعات بشكل مستمر في مكافحة ظاهرة الفساد ووضع المعالجات اللازمة للمعوقات التي تواجهها .

ط) .قيام الجامعات اليمنية بوضع الخطط التنفيذية لتطبيق آليات وإجراءات الرؤية التربوية المقترحة في هذا البحث ومنها:

- عقد الورش العلمية لتطوير البرامج والخطط الدراسية بجميع التخصصات العلمية في ضوء خطوات ومتطلبات الرؤية التربوية في هذا البحث.
- تصميم البرامج التوعوية والتدريبية لجميع منتسبيها حول آليات وإجراءات الرؤية التربوية في هذا البحث حتى يتمكنوا من تطبيقها وتنفيذها بدرجة عالية من الكفاءة.
- تخصيص مقرر كمتطلب جامعي يسمى التربية ومكافحة الفساد يدرس لجميع التخصصات العلمية بالجامعة.
- إعادة توصيف وتحليل الوظائف الإدارية والأكاديمية بما يتوافق مع آليات ومتطلبات هذه الرؤية.
- وضع المعايير العلمية في اختيار وتعين القيادات وأعضاء هيئة التدريس والموظفين في ضوء دراسة تقيميه للواقع والآلية المقترحة.
- تصميم المعايير العلمية الخاصة بتقويم ومتابعة الآيات والإجراءات والمتطلبات التي أشارت إليه الرؤية في هذا البحث.
- تصميم نظم المعلومات العلمية والأكاديمية
- قيام وزارة التعليم العالي والجامعات اليمنية بالتنسيق مع الهيئة العليا للتوعية ووسائل الإعلام المختلفة بوضع آلية لإبراز دور الجامعات في مكافحة ظاهرة الفساد والأنشطة المصاحبة لذلك.
- يقترح الباحث القيام بإجراء الدراسات والبحوث الميدانية لهذه الرؤية ومنها:

١. دراسة ميدانية لمعرفة اتجاهات قيادات المؤسسات الاجتماعية نحو فاعلية الرؤية التربوية لتطوير دور الجامعات اليمنية في مكافحة الفساد.

٢. دراسة ميدانية لتقويم كفاءة أداء الجامعات اليمنية في مكافحة ظاهرة الفساد في ضوء الرؤية المقترحة لهذا البحث.

المراجـــــــــع

١- القرآن الكريم

٢-الفهداوي ، فهمي خليفة (٢٠٠١):الإدارة في الإسلام _ المنهجية والتطبيق والقواعد، ط١ ، دار المسيلة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن.

٣-الكبيسي ، عامر(١٩٩٤): الإدارة العربية الإسلامية فكرا وتطبيقا، دار الكتب ، بغداد ، العراق.

٤-شلتوت ، محمد(١٩٨٠): الإسلام عقيدة وشريعة ، ط١٠ ، دار الشروق، القاهرة ، مصر.

٥-العبادي ، هاشم فوزي دباس وآخرون (٢٠٠٨): إدارة التعليم الجامعي –مفهوم حديث في الفكر الإداري المعاصر ، ط١ ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.

٦-الدوري ، حسين (٢٠٠١): التخطيط بالتطوير الإبداعي في الجامعات العربية ، مجلة المنتدى للفكر العربي ، الموصل ، العراق.

٧-النعيمي ، محمد عبد العال (٢٠٠١): الجامعات وتحديات العولمة ، ورقة عمل مقدمة إلى المنتدى الفكري للمواصفات العالمية للجامعات ، الموصل ، العراق.

٨- السنبل ، عبد العزيز بن عبدالله ونور الدين محمد عبد الجواد (١٩٩٣): الأدوار المطلوبة من جامعات دول الخليج العربي ، في مجال خدمة المجتمع ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، السعودية.

٩-الأعرجي ، عاصم وعامر الأعرجي (٢٠٠٦): دور الجامعة البحثي إزاء الفساد الإداري اللاخطي _ دروس من التجربة العربية ، مجلة اتحاد الجامعات العربية ، عدد ٤٧ ، عمان ، الأردن.

١٠-عربية ، زياد (٢٠٠٠): الفساد – أشكاله ، أسبابه وآثاره السلبية ، مجلة الرائد العربي ، السنة١٧ ، الربع الرابع .

١١-الكبيسي ، عامر (٢٠٠٠): الفساد الإداري –رؤية منهجية للتشخيص والتحليل والمعالجة ، المجلة العربية للإدارة ، مجلد ٢٠ ، عدد ١ .

١٢- الشامي ، احمد محمد(٢٠٠٧): الفساد الإداري في وحدات الخدمة العامة – مفهومه ، قياسه ، مظاهره ، تكلفته على المجتمع ، الطرق وأساليب مكافحته، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر السابع للقادة الإداريين ، المنعقد في صنعاء خلال الفترة ٢٨٢٦ نوفمبر ٢٠٠٧م المعهد الوطني للعلوم الإدارية ، صنعاء ، اليمن.

١٣-محمد، عبد اللطيف مصلح (٢٠٠٧): تفعيل الدور الرقابي لمكافحة الفساد الإداري ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر السابع للقادة الإداريين ، المنعقد في صنعاء خلال الفترة ٢٨٢٦ نوفمبر ٢٠٠٧م المعهد الوطني للعلوم الإدارية ، صنعاء ، اليمن .

١٤-حجازي ، المرسي السيد(٢٠٠١): التكاليف الاجتماعية للفساد ، المستقبل العربي ، بيروت ، لبنان.

١٥-العريقي ، منصور محمد اسماعيل (٢٠٠٧): السلوك التنظيمي ، ط١ ، مركز الأمين للنشر والتوزيع ، صنعاء ، اليمن.

١٦- الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة (٢٠٠٦): دور الجهاز في حماية الأموال العامة ومكافحة الفساد ، ورقة عمل مقدمة للورشة المنعقدة في إطار برنامج التعاون اليمني الألماني لمكافحة الفساد والمتعلقة بسبل تعزيز قدرات السلطات المختصة بالفحص والتحري والتحقيق والبت في قضايا المال العام ، خلال الفترة من ٩٥ إبريل ٢٠٠٦م صنعاء ، اليمن.

١٧-أماني ، غانم (١٩٩٩): الجهود الدولية لمكافحة الفساد ، مركز دراسات وبحوث الدول النامية ، القاهرة ، مصر.

١٨-الصالح ، صبحي (٢٠٠٦): الفساد الإداري من منظور العولمة – الآثار المالية والاقتصادية ، مركز أضواء للبحوث والدراسات الإستراتيجية ، بتصرف من موقع (www.adhwaa.org) .

١٩-محسن ، صالح يحيى(٢٠٠٥): خارطة الفساد في اليمن وأطرافه النافذة ، دراسة ميدانية أخذت من الإنترنت (www.al-tagheer.com) .

٢٠- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (٢٠٠٠): القرار الجمهوري رقم (١٧) لسنة ١٩٩٥م بشأن الجامعات اليمنية وتعديلاته بالقانون رقم (٣٠) لسنة ١٩٩٧م وتعديلاته بالقانون رقم (٣٢) لسنة ٢٠٠٠م ، صنعاء ، اليمن.

٢١-وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (٢٠٠٧): القرار الجمهوري رقم (٣٢) لسنة ٢٠٠٧م بشأن اللائحة التنفيذية لقانون الجامعات اليمنية، صنعاء ، اليمن .

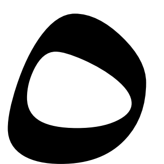
٢٢- الحاج، أحمد علي (٢٠٠٥): التعليم اليمني جذور تشكله واتجاهات تطوره، دار الشوكاني للطباعة والنشر، صنعاء – اليمن.

1. Caiden, Gerald E., et. Al.(2001):Where Corruvtion Lives, Kumarian Press, NY
2. Chirkova, Elena(2004):Transparency International Corruptiom Perception Indice 1995-2004, CPI1995-2004.,xis, 25Oct. 2004.
3. Collins. Gamie, et, al.(2004):Academy of Management Proceedings, PA. 1 , 6.P, 1 chart, Abstract.
4. Demidov, Boris(2004): Corruption Perception Index of Transparency nowundermines ref efforts in the developing world,http: www.tiri-org/documents/SPI-press-release,pdf, 20 Oct.
5. Doig, Alan, Mclvor, Stephanie, Teobald, Robin(2006):Numbers, Nuances, and Moving Targets: covering the use of corruption indicators or descriptors in assessing state development, International Review of Administrative Sciences, VOL 72.
6. Beattie(2001):Assessment in higher education. Journal of the Programmer, VOL.7 no.3.
7. Shattov, M.(2001):The university of The Future of the programmed on instit on management in higher Education, jul, vol. 7, no.2. http:www.bab.com

المدارس التعليمية في اليمن في عهد الدولتين النجاحية والصليحية

د/ محمد قائد حسن الوجيه

أستاذ مساعد- كلية التربية– المحويت - جامعة صنعاء



الملخص

هدفت الدراسة إلى البحث عن أهم جوانب الحياة التعليمية في اليمن في فترة الدولتين النجاحية والصليحية، ورغم أن الصراع كان ميزة لعلاقة الدولتين طوال النصف الأول من تاريخهما نتيجة للخلاف المذهبي ومحاولة كل طرف استغلال الظروف المتاحة للقضاء على الآخر، فإن كل منهما وصل إلى قناعة بصعوبة القضاء على خصمه نهائياً، الأمر الذي أدى إلى قناعة كل طرف بضرورة القيام بالحكم في منطقة نفوذه والاهتمام بالجانب التعليمي فيها بعيداً عن الحروب والصراعات، ومحاولة إيجاد كل ما يحتاجه التعليم من:كتاتيب لتعليم الصغار، أو اهتمام بالعلماء أو بالكتب وتدوينها، وغير ذلك.

كما اهتم البحث بتحديد مناطق انتشار الدولتين وبالتالي انتشار مذهب كل منهما، كذلك تصوير الحياة التعليمية في عهد الدولتين. وكان الاختيار لهذا الموضوع لعدة أسباب منها:

كون هذا البحث من أوائل البحوث التي تهتم بالجانب التعليمي في عهد الدولتين، فلم يكن هناك أبحاث حسب ما أعلم ركزت على الجانب التعليمي واهتمام كل من الدولتين بتعليم الصغار بإقامة الكتاتيب والمدارس، والاهتمام كذلك بالعلماء والنفقة على التعليم والتعلم.

التعرض لأبرز الجوانب التعليمية سواءً كانت بجهود فردية من قبل العلماء في مناطق كلا الدولتين، أو باهتمام من قبل حكام الدولتين بالجانب العلمي والحضاري عن طريق تعليم الصغار، أو تشجيع رجال العلم وأهل المذهب. توصل البحث إلى عدة نتائج منها:

-كان للجانب الاقتصادي دور في الصراع النجاحي الصليحي على تهامة التي كانت تدر دخلاً كبيرا على من يتولى شئونها، ودليل ذلك المبالغ الكبيرة التي وصلت إلى خزينة الصليحيين منها أثناء حكمهم لها.

اهتم الجانبان النجاحي والصليحي بالتعليم في تلك المرحلة وقدموا كثيرا من الدعم له خاصة في عواصم الدولتين، فاهتموا بالعلماء والمتعلمين وأماكن التعليم، وقدموا الدعم المختلف للعملية التعليمية في فترات حكم كل منهما واهتموا بنشر الجانب المذهبي في مناطق نفوذهما.

التمهيد:

هدفت الدراسة إلى البحث عن أهم جوانب الحياة التعليمية في اليمن في فترة الدولتين النجاحية والصليحية، ورغم أن الصراع كان ميزة لعلاقة الدولتين طوال النصف الأول من تاريخهما نتيجة للخلاف المذهبي ومحاولة كل طرف استغلال الظروف المتاحة للقضاء على الآخر، فإن كل منهما وصل إلى قناعة بصعوبة القضاء على خصمه نهائياً، الأمر الذي أدى إلى قناعة كل طرف بضرورة القيام بالحكم في منطقة نفوذه والاهتمام بالجانب التعليمي فيها بعيداً عن الحروب والصراعات، ومحاولة إيجاد كل ما يحتاجه التعليم من:كتاتيب لتعليم الصغار، أو اهتمام بالعلماء أو بالكتب وتدوينها، وغير ذلك.

كما اهتم البحث بتحديد مناطق انتشار الدولتين وبالتالي انتشار مذهب كل منهما، كذلك تصوير الحياة التعليمية في عهد الدولتين.

وكان الاختيار لهذا الموضوع لعدة أسباب:

- كون هذا البحث من أوائل البحوث التي تهتم بالجانب التعليمي في عهد الدولتين، فلم يكن هناك أبحاث -حسب ما أعلم-ركزت على الجانب التعليمي واهتمام كل من الدولتين بتعليم الصغار بإقامة الكتاتيب والمدارس، والاهتمام كذلك بالعلماء والنفقة على التعليم والتعلم.
- التعرض لأبرز الجوانب التعليمية سواءً كانت بجهود فردية من قبل العلماء في مناطق كلا الدولتين، أو باهتمام من قبل حكام الدولتين بالجانب العلمي والحضاري عن طريق تعليم الصغار، أو تشجيع رجال العلم وأهل المذهب.

حاول البحث التعرض لهذا الموضوع دون تحيز أو تعصب، معتمداً على المصادر الأصلية التي كانت قريبةً من فترة الدراسة، ومعتمداً على المنهج التاريخي، في محاولة لإظهار جوانب القوة والضعف عند كل من الدولتين النجاحية في تهامة وزبيد، أو الصليحية في عاصمتها صنعاء ثم ذي جبلة.(1)

سيتناول البحث محوران رئيسيان:

أولاً: التعريف بالدولتين النجاحية والصليحية جغرافياً ومذهبياً.

ثانياً: المدارس التعليمية في اليمن في عهد الدولتين.

أولاً: التعريف بالدولتين النجاحية والصليحية جغرافياً ومذهبياً:

١- وضع اليمن السياسي والمذهبي في فترة قيام الدولتين:

كانت اليمن فى بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشرالميلادي مفككة سياسياً ومجزأة إلى وحدات سياسية متعددة تحكمها زعامات قبلية مختلفة، فاليمن الأسفل( ) كان مقسماً بين قبائل حِمْيَر، وكانوا غالباً ما يخضعون لحكام تهامة، باعتبارهم ممثلين للخلافة العباسية، أما اليمن الأعلى فكان مقسماً بين قبائل همدان، والزيدية، وكانت قبائل همدان تطيع حكام تهامة أحياناً، وأحياناً أخرى يستقلون بالسلطة لأنفسهم، أو يطيعون الزيدية.[1]

أما الناحية المذهبية فى اليمن فى هذه الفترة، فإن وضع اليمن الجغرافي والبشري من بيئة جبلية، وبعد عن مركز الخلافة، وتركيبة قبلية متصارعة مع بعضها، جعل من هذا الإقليم محطة جذب لجميع الفرق الإسلامية، لذلك انتشرت فيه جميع المذاهب الإسلامية، فمذهب الإسماعيلية انتشر فى مغارب اليمن الأعلى، فضلاً عن نجران وعسير، ومذهب الأباضية انتشر فى غرب صنعاء، وفي شظب( ) وحضرموت[1]، أما الزيدية فقد انتشرت فى صعدة( ) وما حولها[1] بينما انتشرت مذاهب أهل السنة فى بقية اليمن.[1]

٢- الدولة النجاحية في تهامة اليمن:

في عهد آخر أمراء الدولة الزيادية( ) الأمير علي بن المظفر الذي اتسم بالضعف لصغره، مما نتج عنه تنافس الولاة الأحباش على الحكم ومنهم نُفَيس( ) الذي قام بالاستيلاء على زبيد، واستأثر بأمور الدولة دون بني زياد.[1]

غادر الأمير الزيادي علي بن المظفر زبيد( ) متوجها إلى المهجم( ) ليستعين بحاكمها نجاح الحبشي الذي كان متوليا لأعمال الكدراء( ) والواديين، ضد نُفيس، وقد حشد نجاح جميع القوى سواءً أهل تهامة أو أهل الجبال المناصرين للأمير الزيادي، وتوجه بهم لمحاربة نُفيس، وظل معه في حروب لمدة ثلاث سنوات، استطاع في نهاية الأمر قتل نُفيس، والسيطرة على زبيد، وعندها أُطلق على نجاح لقب المؤيد نصير الدين، ليصبح وزير آل زياد في تهامة، ولعل ذلك تم في سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م، ولم يلبث أن توفي الأمير الزيادي في المهجم أواخر سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م دون أن يكون له وريث يتولى السلطة، فاستقل نجاح بالسلطة في تهامة، وجعل المهجم عاصمة له، وضرب السكة باسمة، وكاتب الخليفة العباسي في بغداد معلنا ولاءه وطاعته باعتباره يمثل أهل السنة في العالم الإسلامي، وطالباً مَنْحَهُ تقليداً على السلطة في اليمن، وبالفعل قبلت الخلافة العباسية ذلك فأصدرت له تقليداً على اليمن.[1]

كان أقصى اتساع للدولة النجاحية في اليمن في منطقة تهامة الممتدة من باب المندب جنوبا حتى أطراف المخلاف السليماني شمالا، وشمل العديد من المدن في تهامة مثل زبيد والكدراء والمهجم والواديين.

لم يلبث أن قتل نجاح الحبشي بالسم على يد مؤسس الدولة الصليحية في اليمن علي بن محمد الصليحي(١)، وعلى الرغم من سقوط دولة بني نجاح في تهامة لما يقارب من ست سنوات، فقد استطاع أبناء نجاح سعيد وجياش إعادتها من جديد(١)، واستمر الصراع بينهم وبين الدولة الصليحية يتسم بالمد والجزر حتى استطاعوا تحقيق انتصاراً باهراً على الصليحين سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٧م في معركة الكظائم(١)، عندها لم تعد الدولة الصليحية تفكر في التدخل بشئون بني نجاح مرة أخرى، فحكم بني نجاح بنوع من الاستقلال في تهامة بمساندة كثير من القبائل السنية فيها، فقد كان النجاحيون يدعمون موقفهم بالتأييد الشعبى النشط من الطوائف السنية فى هذه المناطق، حيث يقول عمارة: "وإذا عاد جياش إلى زبيد نشرت المصاحف، وابتهلت له الرعايا بالدعاء، وظهرت الفقهاء، وتطاولت العلماء".(١)

٣- قيام الدولة الصليحية في اليمن واتخاذها لصنعاء ثم ذي جبلة عواصم لها:

رغم الضربات القاصمة التى تعرضت لها الحركة الإسماعيلية فى اليمن في أواخر عهد دعاتها ابن حوشب وابن الفضل (٣٠٧٣٠٣هـ/٩١٩٩١٥م)، إلا أن أنصارها ظلوا طوال الفترة (٤٢٩٣٠٣هـ/١٠٣٨٩١٥م)يعملون على نشر مذهبهم وأفكارهم فى سرية تامة(١)، بقيادة عدد من الدعاة.

دخلت الدعوة الإسماعيلية فى اليمن مرحلة الستر الثانية، والتى امتدت من ٣٠٣/٩١٥ حتى قبيل قيام الدولة الصليحية ٤٢٩هـ/١٠٣٨م، وتناقض ذلك مع ما كانت عليه الاسماعيلية خارج اليمن التي كانت قد أعلنت مرحلة الجهر بقيام الخلافة الفاطمية في المغرب بقيام خلافة عبيد الله المهدى فى المهدية(١) سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م.(١)

استطاع هؤلاء الدعاة السريين استقطاب علي بن محمد الصليحي إلى الدعوة الإسماعيلية والذي يعتبر المؤسس لها بإعلانه قيام الدولة الصليحية الاسماعيلية ، والتي كان أقصى اتساع لها في اليمن: من أطراف المناطق الجنوبية في حضرموت وعدن ولحج وأبين حتى أطراف صعدة شمالاً، بل استطاع فرض إشرافه على مكة المكرمة(١)، لكن بعد وفاته تقلص النفوذ الصليحي في عهد ابنه المكرم ثم في عهد السيدة بنت أحمد الصليحي التي استقرت في المناطق الوسطى وجعلت من جبلة عاصمة لحكمها لينفصل عنها بعد ذلك بني نجاح في زبيد بعد معركة الكظائم السابقة الذكرثم بني حاتم في صنعاء(١) ثم بني زريع في عدن.(١)

ثانيا: المدارس التعليمية في اليمن في عهد الدولتين:

ازدهر التعليم بمدارسه المختلفة في عهد الدولتين النجاحية والصليحية، حيث أن الاهتمام بالتعليم ومدارسه لم يكن محصوراً على الأمراء والسلاطين في الدولتين بل اهتم به عامة الناس وخاصة من يعرفون القراءة والكتابة ولذلك انخرط العديد من المعلمين في سلك التعليم من ذات أنفسهم دون مقابل، ومع هذا فقد كان للأمراء دور فاعل في انتشار التعليم والاهتمام بالطلاب والمعلمين والعملية التعليمية بشكل عام،

وسيتركز البحث حول ثلاث جوانب هامة في العملية التعليمية في عهد الدولتين: الجانب الأول:المعلم، الثاني:المتعلم، الثالث:الدعم المادي والمعنوي للتعليم.

الجانب الأول: المعلم:

١-: المعلمين في الدولتين في فترة البحث وأهم العلوم التي اشتهروا بها:

من أجل تعليم الطلاب العلوم المختلفة كان لابد من معلمين مهرة يجيدون هذه العلوم، ولابد من تقديم المرتبات لهم جزاء ما يقومون به من تعليم وحتى يحصلون على الرزق هم ومن يعولون، ولذلك قام المسلمون بتخصيص أماكن الدراسة والمدرسين(١)، ولا شك أن أول هذه العلوم هو القرآن الكريم تلاوة وحفظاً، وقد اشتهر العديد من القراء في اليمن مثل: مالك بن أبي صنعاء وتلميذه علي بن أحمد بن أبي رزين (ت بعد ٤٧٧هـ/١٠٨٤) وكان من أئمة القراءة والنحو في اليمن(١)، وكذلك العلامة يحي بن أبي الخير العمراني الذي برز في الفقه واللغة والحديث(١)، وكان في مناطق أهل السنة، كما برز العديد من العلماء في مناطق انتشار الإسماعيلية في حَرَاز(١) مثل: عبد الله بن زيد الحرازي(ت بعد ٥٠٠هـ/١١٠٦) كان عارفا خطاطا مجودا له تصانيف في علم القراءات مليحة.(١)

أما التفسير للقرآن الكريم فقد اهتم به أهل اليمن كثيرا كونه يفسر آيات القرآن الكريم،وإن اعتمد كل أصحاب مذهب على تفاسير معينه، فقد كان جلّ اعتماد الشافعية على تفسير التبيان لمحمد بن الحسن الطوسي (ت٤٤٩هـ/١٠٥٧)، أما الإسماعيلية الصليحية فكان لهم تفسيرهم الخاص الذي غلب عليه الطابع الفلسفي التصوري، والذي اعتمد على الجدل ومزج الفلسفة بالدين مثل: رسالة الخطاب بن الحسن بن أبي الحافظ الحجوري (ت٥٣٣هـ/١١٣٨)(١)، وكان من كبار علماء الإسماعيلية في اليمن في تلك الفترة، وكان عنوان هذه الرسالة: "رسالة في بيان إعجاز القرآن وأن الأعمال الشرعية نعمة بالحقيقة لا تكاليف مستقلة ومشاق مستحملة"(١)، وهناك أكثر من عشرة تفاسير كانت متداولة في اليمن في هذه الفترة سواء لعلماء الزيدية مثل: القاسم الرسي أو الهادي يحي بن الحسين الرسي، والمرتضى لدين الله بن الهادي، أو أبو الفتح الديلمي، أو لعلماء أهل السنة مثل: تفسير الكشف والبيان لأبي إسحاق النيسابوري، أو إسماعيلية مثل تفسير الخطاب الحجوري.(١)

أما علم الحديث فقد اشتهر فيه عدد من الأسر اليمنية السنية مثل: عبد الملك بن أبي ميسرة اليفاعي (ت٤٩٣هـ/١٠٩٩)(١)، أحد علماء الجَنَد(١)، وكان يعرف بالشيخ الحافظ(١)، كما كان للشيخ الإمام يحي بن أبي الخير العمراني كتاب في الحديث يسمى غرائب الوسيط.(١)

اعتمد أهل اليمن في مسائل الفقه على مصنفات أهل مكة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، فكانوا أهل سنة إما مالكية أو حنفية حتى لحقتهم فتنتا الإسماعيلية والزيدية(١)، وبذلك نشأت ثلاث مدارس فقهية في اليمن (السنية والزيدية والإسماعيلية)، والذي يهمنا هنا المدرسة السنية والإسماعيلية.

بالنسبة للمذهب السني فقد انتشر في اليمن بمذاهبه الأربعة، وكان الأقدم دخولاً إلى اليمن المذهب الحنفي، غير أنه تراجع في نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع ليحل محله المذهب الزيدي في المناطق الشمالية منه خصوصاً في المنطقة الممتدة من صنعاء حتى صعدة، واقتصر المذهب الحنفي على مناطق زبيد وما جاورها.(١)

مع نهاية القرن الرابع الهجري دخل المذهب الشافعي إلى اليمن(١)، وكان فقه اليمن في هذه الفترة يعتمد على كتاب الكافي لأبي إسحاق بن يوسف بن يعقوب الصردفي (ت٥٠٥هـ/١١١١م)(١)، والذي كان عالما بالأصول والمواريث والحساب والفرائض.(١)

تفقه أهل اليمن في هذه الفترة على كتب الشافعية مثل كتاب مختصر المزني، وبعض شروحه وكتاب الإفصاح لأبي علي الطبري (ت٣٥٠هـ/٩٦١م)، والرسالة للإمام الشافعي، وكتاب الشريعة للآجري (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)(١)، وكتاب المذهب في فروع الفقه لأبي حفص عمر بن إسحاق ابن المصوع(ت بعد ٤٦٠هـ/١٠٦٧م)(١)، وكتاب الجامع في الخلاف، وكتاب التقريب للفقيه جعفر بن عبد الرحيم المحابى(ت ٤٦٠هـ/١٠٦٧م)(١)، والبيان ليحي بن أبي الخير العمراني.(١)

أما إسماعيلية اليمن فقد كان تفقههم على كتب عدة منها: كتاب دعائم الإسلام و تأويل الدعائم للقاضي النعمان(١)، والتي يرى الإسماعيلية بأن الاجتهاد باطل وخروج عن الدين لأن ما لم يوجد فيه نص من كتاب وسنة فإن مرده إلى الإمام وحده.(١)

اهتم اليمنيون في هذه الفترة بعلم التاريخ فظهرت كتب الطبقات والتراجم، وكتابة تاريخ المدن وسير الملوك ومناقبهم، ومن ذلك كتاب تاريخ صنعاء لابن جرير الزهري الصنعاني (ت بعد ٤٤٣هـ/١٠٥١م)، ويعتبر أول كتاب يؤرخ لمدينة يمنية منذ فجر الإسلام، وكان متداولا بين أبناء اليمن في تلك الفترة(١)، وكتاب تاريخ صنعاء لأحمد بن عبد الله الرازي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، وقد تناول تاريخ صنعاء وملوكها وترجم لعلمائها وعمرانها.(١)

أما عن المصنفات التاريخية في منطقة تهامة حيث انتشرت الدولة النجاحية نجد كتاب مدينة زبيد المشهور باسم المفيد في أخبار زبيد للأمير جياش بن نجاح(ت٤٩٨هـ/١١٠٤م)(١)، والذي أخذ عنه عمارة اليمني (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م)في كتابه المفيد(١)،وتاريخ اليمن.(١)

أما عن المصنفات التاريخية التي كتبت للصليحيين نجد كتاب سيرة الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي لمؤلف مجهول، وقد تناول مؤلفه تفاصيل عن شخصية المكرم الصليحي وأسرته وصراعه مع بني نجاح(١)، ولعل

من الكتب ا لتي تناولت الإسماعيلية في اليمن بالقدح كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، لأبي عبد الله محمد بن مالك الحمادي اليمني (ت ق٥.هـ/ق١١.م).(١)

<u>علم الكلام</u>: اهتم الإسماعيلية بالفلسفة وعلم الكلام وظهرت العديد من الكتب الفلسفية في اليمن في فترة البحث منها: كتاب الابتداء والانتهاء وكتاب تسع وتسعون مسألة في الحقائق وكتاب الرسائل الشريفة في المعاني اللطيفة وكلها لإبراهيم بن الحسين الحامدي (ت٥٥٧هـ/١١٦١م)(١)، وعدة رسائل فلسفية منها رسالة النفس ورسالة معرفة الموجودات للذوئيب بن موسى الوادعي الهمداني (ت٥٣٦هـ/١١٤١م).(١)

٢- أقسام العلماء في مناطق نفوذ الدولتين:

انقسم العلماء في مناطق انتشار الدولتين النجاحية والصليحية إلى قسمين: الأول: من لم يتفرغ للتدريس، وإنما كان تدريسه عارضاً لانشغاله في إدارة الدولة، ويتمثل ذلك في أغلب الدعاة الإسماعيليين الذين شغلوا مناصب هامة في الدولة الصليحية مثل: علي بن محمد الصليحي وولده المكرم، والسيدة بنت أحمد الصليحي، والداعي سبأ بن أحمد الصليحي(١)، ومن القضاة مثل: أبي محمد الحسن بن محمد بن أبي عقامة الذي تولى القضاء لبني الصليحي(١)، غير أنه لم يلبث أن انتقل إلى زبيد وتولى القضاء لبني نجاح(١)،وهي من الحالات النادرة التي نرى فيها من يتولى القضاء للإسماعيلية ولأهل السنة، وممن تولى القضاء لبني نجاح القاضي محمد بن عبد الله بن أبي عقامة، حيث ولي قضاء زبيد.(١)

القسم الثاني: من تفرغ للتدريس بحيث أصبح له حلقة علمية وطلاباً يتتلمذون على يديه، ومن هؤلاء القاضي سعيد بن بريه(ت٤٦١هـ/١٠٦٨م) الذي اعتزل القضاء وتفرغ للتدريس والفتوى في زمن الصليحي.(١)

٣- طريقة الإشراف على التعليم عند الدولتين:

الإشراف على التعليم لم يكن للسلاطين أي تدخل فيه، فالمتعلم هو الذي يقرر ما إذا أراد التعلم، وهو الذي يقرر على يد من يتعلم من المعلمين الذين بدورهم سيحددون المادة التي سيدرسها على حسب مستواه التعليمي(١)، خاصة إذا علمنا أن فن التخصص لم يكن موجوداً وأن المتعلم لابد أن يجمع بين أكثر من فن من فنون العلم، بل أن بعض العلماء كان يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين مثل الفقيه الإمام يحي بن أبي الخير العمراني الذي يقول عنه عمارة: "...إذا درّس من يَعْلم فهمه فإنه بعد فراغ القارئ من الفصل يعيده هو بنفسه عليه حفظاً، مع التنبيه للقارئ على خلاف الإمام مالك وأبي حنيفة خاصة، وقد يذكر معهما غيرهما في بعض المسائل، ثم يذاكره باحتراز الأقيسة والوجوه في أصولها لِمَ خُصّت بجعلها أصولاً، وذلك إما من جهة النص في الكتاب والسنة، أو تسليم المخالف في حكم المسألة المقيسة".(١)

٤- العلماء الوافدين وتأثيرهم في التعليم:

تأثر علماء اليمن بالعلماء القادمين من خارج اليمن في فترة البحث-ونهلوا منهم ومن ذلك الفقيه المحدث خير بن يحي بن ملامس(ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) الذي تتلمذ على يد العديد من علماء مكة في الفقه والحديث(١)،

ولا شك أن العدد من التلاميذ قد تعلموا على يديه في الجند وذي أشرق(١) وعرشان(١)، كما أخذ الحافظ عبد الملك بن أبي ميسرة عن الشيخ العكي الرسالة الجديدة للإمام الشافعي في الفقه، ولما عاد إلى اليمن أخذ عنه العديد من التلاميذ في الجَنَد وعدن.(١)

أما على الجانب الإسماعيلي الصليحي فقد كانت بعثة قاضي قضاة الدولة الصليحية لمك بن مالك الحمادي (ت٥١٠هـ/١١١٦م)(١) إلى مصر، والتي استمر فيها خمس سنوات تلقى فيها كثير من علوم الإسماعيلية ثم عاد ليدرِّسَها في اليمن بعد سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م.(١)

وبالمقابل نجد العديد من العلماء الذين قدِموا إلى اليمن من خارجها لتعليم العلوم المختلفة، فقد أرسل الخليفة المستنصر بالله الفاطمي إلى اليمن الداعي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي(١) ليشرف على سير التعليم في مدرسة الدعوة الإسماعيلية فيها(١)، وممن قدم من مصر أبو المواهب عبد المحسن بن صدقة بن عبد الإله(ت٥٠٣هـ/١١٠٩م) وكان على درجة كبيرة من البلاغة والنظم، ومع أنه مدح بني الصليحي وأجزلوا له العطاء، فقد كانت نهايته على أيديهم لذمه لهم في شعره(١)، كما قدِم إلى زبيد المحدِّث أبو الحسن محمد بن عبد الله بن علي الأزدي (ت ٤٤٣هـ) قادما من مكة، وحَدَّث في زبيد حتى توفي فيها(١)، كما وفد إلى زبيد سهل بن محمد بن محمد بن إسماعيل البراني(ت٥٢٤هـ/١١٢٩م) من مصر، فامتدح حاكم زبيد الأمير مفلح الفاتكي (ت ٥١٤هـ/ ١١٢٠م) فأجازه بخمسمائة دينار.(١)

تطوَّر الأمر عند الإسماعيلية عندما أرسل الداعي الإسماعيلي هبة الله الشيرازي إلى اليمن لتعليم دعاتها أمور الدعوة وإليه تنسب مجالس التأويل والتي تسمى بالمجالس المؤيدية، وكان يعقد مجالسه في قصور وبيوت السلاطين الصليحيين المختلفة.(١)

الجانب الثاني: المتعلم:

١- مراحل التعليم عند الدولتين ومميزات كل مرحلة:

شهد التعليم في عهد الدولة النجاحية والصليحية تنوعاً في المقررات الدراسية، وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بالعلوم الدينية التي شهدت اهتماماً كبيراً من كل القوى والمذاهب الفكرية سواءً كانت سنية أو إسماعيلية، ولعل أهم ما كانت تهدف إليه التربية حينها معرفة الشريعة الإسلامية وأحكامها التعبدية، ثم جاءت اللغة العربية وعلومها من: نحو وأدب وشعر في المرتبة الثانية حيث كان الناس حريصين على تلقين أولادهم الفصاحة والبيان فقد كان ذلك من علامة السيادة والشرف في القبيلة العربية.(١)

تفاوتت درجة الاهتمام بالعملية التعليمية في المناطق التي سادت فيها الدولة النجاحية والصليحية وانقسم التعليم إلى مرحلتين: الأولى: مرحلة التعليم في الكتاتيب، الثانية: التعليم في المساجد وبيوت العلماء والسلاطين، والمكتبات، وغيرها، فما موقف الدولتين النجاحية والصليحية من التعليم في كلا المرحلتين؟.

المرحلة الأولي: التعليم في الكتاتيب:

الكتاتيب: المكان الذي كان يتعلم فيه الصبيان الصغار القرآن الكريم، والخط والحساب وبعض الأمور الفقهية، ويكون منفصلا عن المسجد لكنه قريب منه، تحرزا من عبث الصبيان بالمساجد.(١)

أما عن وقت الدراسة فنجد أنها تبدأ منذ الصباح الباكر حتى وقت الظهيرة، حيث يرجع الطلاب إلى المنازل لتناول الغداء ثم يرجعون للكتاتيب للدراسة حتى العصر، ومن ثم يعودون إلى منازلهم.(١)

أما عن المعلمين القائمين بالتدريس في الكتاتيب فنجد أن بعض الأسر قد اشتهرت بالقيام بهذه المهمة، مثل حلقات الفقيه يحي بن أبي الخير العمراني الذي أحبه طلابه كثيرا لدرجة أنهم كانوا يلازمونه أغلب الوقت(١)، كما اشتهر آل الربيعي بالعمل كمؤدبين لأولاد الملوك الصليحين ومنهم إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الربيعي(١)، كما كانت أسرة آل اليفاعي يعملون على التعليم في الكتاتيب، حيث بلغ عدد تلاميذ زيد بن عبد الله اليفاعي(١) أكثر من ثلاثمائة، حيث كان يتولى إعالتهم قوتاً وكسوة.(١)

ومن أهم صفات معلم الكتاتيب أن يكون حافظاً للقرآن، جيد الخط، على علم بأصول الحساب، لديه خبرة بالنحو والشعر ويحفظ بعض الأحاديث، على علم بفقه العبادات(١)، أما النفقات الوقفية على هذه الكتاتيب وطلابها ومعلميها فكان الأغنياء أو العلماء الميسورين أو السلاطين هم من يخصصون أوقافا لها لتقوم بدورها العلمي.(١)

تمثل دور الكتاتيب الأساسي في تحفيظ القرآن الكريم للصبية ومدارسته وفهمه وتصنيفه والعمل به، حيث نجد العديد من المصادر اليمنية تذكر العديد من التلاميذ الذين حفظوا القرآن عن ظهر قلب(١)، كما كان المعلمون في الكتاتيب يعلّمُون الصبية أمور الصلاة والتعود عليها إذا دخل وقتها وهم في الكتاتيب(١)، إلى جانب القراءة والكتابة والخط ومبادئ الحساب وقواعد اللغة العربية.

بدأ التعليم في الكتاتيب بحفظ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ثم تعداه إلى تعلم العلوم الأخرى، وقد كان حفظ القرآن الكريم شرطا للتعلم في المراحل العليا، إلا أن طريقة الحفظ والتلقين لم تقتصر على القرآن والسنة فقط، بل تعدته إلى غير ذلك من العلوم، فقد قام الداعي الإسماعيلي سليمان بن عبد الله الزواحي(١) بتلقين علي الصليحي علم الباطن حتى أجاده، ولهذا قام بتعينه خلفاً له لرئاسة الدعوة الإسماعيلية في اليمن(١)، وكان يأتي لتعليمه في منزل أبيه السني المذهب، والذي لم يكن يعلم بتلقين ابنه أصول وعلوم المذهب الإسماعيلي.(١)

لم يقتصر ذلك على الإسماعيلية فقد كان الآباء الميسورين بصفة عامة يعملون على الاهتمام بتعليم أبناءهم، فهاهو الأمير النجاحي جياش بن نجاح يجلب مؤدباً لابنه ويقول له: "...وإذا أراد الكتابة فَسُوْس قلمه، وصوّر له وضع الخط بمثال التصوير في مواضعه، وعلّمه الفرق بين الواوات والفاءات، ولا تقبل من دواته إلا الإصلاح، ولا من قلمه غير العُقد الصحاح...".(١)

استُخدم اللوح في المراحل الأولى من الكتاتيب، حيث كان المتعلم يقوم بالكتابة على اللوح ثم يعرضه على معلمه، فيصحح له الخطأ الذي يقوم بمحوه ثم كتابته مرة أخرى وهكذا على جهتي اللوح(¹)، أما الحبر فكان يعد من شجر الكلبلاب(¹)، كما كان يحضر الحبر المائل للحمرة من شجرة الصبّار.(¹)

اتسمت المراحل الأولى من التعليم في منطقة تهامة أو مناطق انتشار الدولة الصليحية بالبساطة، فاعتمدت على طريقة السماع من الطالب لشيخه ومعلمه، وتتمثل في قيام المعلم بإلقاء دروسه على طلبته في حين يستمع الطلاب أو يكتبون عنه أثناء السماع، كما استخدموا طريقة القراءة والعرض، فقد كان بعض المعلمين يقرأ من حفظه مثل الفقيه يحي بن أبي الخير العمراني الذي كان يحفظ المهذب عن ظهر قلب، والفقيه أبو بكر بن جعفر المحابى الذي كان يحفظ المجموع في الفقه للمحاملي(¹)، ومن الطرق التي استخدمها الإسماعيلية في اليمن في فترة البحث طريقة الحفظ والتلقين، والمقصود بها حفظ وتلقين مسائل الخلاف وأراء أهل الملل والنحل من الفرق الإسماعيلية وغيرها، واستيعاب آراء وأفكار المسائل الخلافية والغوص في علمي التنزيل والتأويل الباطني، ومن دعاة الإسماعيلية في هذه المرحلة لمك بن مالك الحمادي الذي ظل لعدة سنوات يأخذ علوم الدعوة الإسماعيلية ويتدارسها في مصر، ثم علمها للعديد من التلاميذ في اليمن مثل الذؤيب بن موسى الوادعي ويحي بن لمك الحمادي.(¹)

استخدم اليمنيون عدة أساليب للتعليم والتعلم في هذه الفترة ومنها أسلوب السؤال والجواب، فقد كان معلم الفقيه سليمان بن فتح بن مفتاح الصليحي (ت ٥٥٧هـ/١١٦١م) يسأله عدة أسئلة في غريب الحديث ومختصر العين فأجاب إجابات موفقة(¹)، كذلك أسلوب المجادلة والمناقشة والتي اتسم بها دعاة الإسماعيلية مع خصومهم، وخاصة من يحمل لقب مُكَاسِر(¹) في الدعوة الإسماعيلية الذي يشترط فيه عدة شروط تتسم بقدر كبير من الثقافة والمعرفة ليكون قادر على المجادلة والمناظرة(¹)، كما استخدم الإسماعيلية أسلوب المكاشفة وتكون عندما يصل المستجيب إلى درجة من الوثوق به يمكن أن يسمح له معها كشف بعض أسرار الدعوة الإسماعيلية(¹)، ولعل ما حصل لعلي الصليحي خير مثال عندما قام الداعي سليمان الزواحي بكشف مكنون سره إليه(¹)، ليصبح الصليحي بعدها رئيس لدعاة الإسماعيلية في اليمن.(¹)

المرحلة الثانية:

(التعليم في المساجد - بيوت العلماء والسلاطين - المكتبات الخاصة -القرى العلمية):

أ- التعليم في المساجد:

قام المسجد بمهماته العلمية على أكمل وجه فقد كانت تقوم فيه حلقات الذكر وحلقات التعليم وكان يقوم بمهام الكتاتيب في تعليم الصغار، وكان العلماء في منطقة نفوذ الدولتين يمارسون تعليم الصغار في المسجد أو غرف ملحقة به، ولعل من أشهر المساجد التي اشتهرت بالتعليم:

الجامع الكبير بصنعاء: اشتهر بالعلم المناهض للإسماعيلية في أيام الصليحيين، مما دفع علي الصليحي للقيام بإغلاقه وتسمير أبوابه بعدما وصلته الأخبار بأن الفقهاء من أهل صنعاء يتحدثون عن سيرته وأنه ربما أعاد مذهب علي بن الفضل القرمطي(١)، ومع هذا فقد تولى إمامة هذا المسجد عددا من أهل السنة والزيدية بعد علي الصليحي، وشترط فيمن يتولى إمامة هذا المسجد أن يكون من أهل العلم والتقوى(١)، مما كان له نتائجه الإيجابية على العلمية التعليمية حيث أصبح لأئمة المسجد حلقاتهم الخاصة التي يقومون بالتعليم فيها.

مسجد الجند ومكتبته: أسسه معاذ بن جبل رضي الله عنه وكان معلما وقاضيا(١)، واستمر المسجد يقوم بدوره التعليمي حتى عصر النجاحيين والصليحيين، حيث اشتهر بالتدريس فيه عدد من العلماء منهم: عبد الله بن عبد الرحيم المحابي الذي اشتهر بأنه "فقيها عارفا محققا مبرهنا للنصوص نقالا لها محققا مدققا"(١)، عُرض عليه القضاء من قبل علي الصليحي فرفض(١)، وقد يكون ذلك ما جعل ابنه أبو بكر الذي احتل مكانة أبيه العلمية يتجنب الصليحيين لِمَا كانوا عليه من السمعلة (الإسماعيلية) ويصحب بني نجاح خاصة الملك جياش بن نجاح كونهم من أهل السنة.(١)

كان بهذا المسجد خزانة للكتب والشروح والاختصارات والأمالي التي يتم الاطلاع عليها ونسخها، وكذا المصاحف التي لا غنى لأحد من الدارسين في المسجد عنها كذلك المصلين، كما أن هذه الفترة اشتهرت بكثرة الواقفين للكتب والمصاحف(١)، ودليل ذلك أن مهدي بن علي بن مهدي(ت٥٦٠هـ/١١٦٤م) قام بإحراق هذا المسجد وكثيرا من الكتب والمصاحف التي كانت فيه عند دخوله إلى الجند.(١)

مسجد ذي أشرق ومكتبته: اشتهر مسجد ذي أشرق لشهرت من كان يُدَرِّس فيه في فترة البحث، مثل الفقيه المشهور يحي بن أبي الخير العمراني وغيره، حيث كان قد انتقل للتدريس في مسجد ذي أشرق ومعه كتبه التي كان ينقلها معه أينما حل لخوفه عليها(١)، الأمر الذي دفع الكثير من الفقهاء للتوجه للإقامة في ذي أشرق رغبة في الكتب الموقوفة في مسجدها مثل الفقيه مقبل بن محمد بن زاهر بن خلف الهمداني(ت٥٧١هـ/١١٧٥م) الذي كان قليل الكتب فنزل ذي أشرق رغبة في الكتب الموقوفة بها(١)، وفي ذلك

دلالة على قيمة وعدد الكتب الموقوفة في هذا المسجد، حتى دفعت من ليس من أهل ذي أشرق ممن يحب العلم بالنزول والسكن فيها رغبة في العلم والاطلاع على الكتب القيمة في خزانة مكتبة مسجدها، لكن يبدو أن هذه المكتبة قد آلت إلى من لا يستحقها أو ضيق على الاطلاع عليها، حيث يذهب ابن سمرة للدعاء إلى الله أن يخلص هذه المكتبة من أيدي القائمين عليها حتى يتم الاستفادة منها لما لها من أهمية بالغة(١)، وفي ذلك إشارة أنها كانت في خزانة ملحقة بالمسجد، وقد يكون خروج المعلمين والمتعلمين منها خوفا من هجوم القائد الصليحي المفضل بن أبي البركات(١)، فعندما عاد زيد بن الحسن الفائشي إلى ذي أشرق ليزو زملائه في التحصيل وَعَلِمَ قبل دخوله إليها أنهم قد خرجوا منها قال:

يقولون لي دارُ الأحبة قد دنت وأنت كئيبٌ إن ذا لعجيبُ

فقلتُ وما نفعي بدار قريبةٍ إذا لم يكن بين القلوب قريبُ.(١)

مسجد الأشاعر بزبيد: يذهب البعض بأن موسى الأشعري هو من قام ببناء هذا الجامع في السنة الثامنة للهجرة، ومن ثم أعاد بناءه الحسين بن سلامة(ت٤٠٧هـ/١٠١٦م)(١)، وقد ضم مسجد الأشاعر بزبيد كثير من العلماء والطلاب، لدرجة أن أمراء بني نجاح كانوا يدفعون لهم كل عام اثنا عشر ألف دينار(١)، وقد استفاد من هذه المبالغ كثير من معلمي وطلاب جامع الأشاعر بزبيد بحكم قربهم من دار الإمارة بمدينة زبيد.(١)

كانت المساجد تقوم بمهامها في التعليم بشتى صوره في ذلك الوقت فإلى جانب تعليم حفظ القرآن الكريم والخط والحساب كانت تقوم بأنشطة علمية أخرى مثل التأليف ونسخ الكتب والمناظرات العلمية والقراءة، فقد برز بعض العلماء في التأليف في المساجد مثل الإمام أبو يعقوب إسحاق بن يوسف الصردفي الذي ألّف كتابه "الكافي" في علم الفرائض والحساب داخل مسجده بقرية سير.(١)

ب- بيوت العلماء والسلاطين:

مارس العلماء حلقات التعليم في بيوتهم إن لم تكن في المسجد، وفي أحيان أخرى كانوا يمارسون التعليم في بيوت السلطان خاصة إذا كانوا مؤدبين لأبناء الحكام والأمراء، غير أن قيامهم بالتدريس في منازلهم لطلابهم كان يتم دون أي مقابل، حيث كانوا ينفقون على أنفسهم ويرفضون أي أجر أو هبة مقابل هذا التعليم، سواءً كان من الطلاب أو من غيرهم، فعندما دُعِيَ العلامة عبد الملك بن محمد بن ميسرة (ت٤٩٣هـ/١٠٩٩م) لإلقاء الدروس في منزل أحد المشايخ بدلا عن منزله أجاب رافضا بقوله:

منزلي منزلٌ رحيبٌ أنيق فيه لي من فواكه الصيف سوقُ.(١)

كما كان الفقيه أسعد بن خير بن يحي بن ملامس(ت٥١٨هـ/١١٢٤م)(١) يعلّم الطلاب في منزله في مشيرق أحاظة(١) وممن تتلمذ على يديه الحافظ أبو الحسن علي بن أبي بكر العرشاني(١)، وقد قام بعد ذلك بالتدريس في منزله مثلما كان يعمل شيخه من قبل.(١)

كما كانت منازل دعاة الإسماعيلية تقوم بدورها في تعليم المستجيبين أمور وعقائد الإسماعيلية، ولذلك ذُكِر في كتب الدعوة الإسماعيلية إشارات كثيرة منها أن الداعي فلاناً قد تلقى تعليمه في مدارس الدعوة في اليمن، وأنه سمع وقرأ على دعاة اليمن، أو أرسل إلى جزيرة اليمن وقام بدور مهم في سبيل نشر الدعوة فيها(¹)، ولعل عدم ذكر أسماء دعاة بعينهم يعود لدور الستر الذي اتسمت به الإسماعيلية.(¹)

عمل الأمراء على تعليم أبنائهم في قصورهم بجلب المعلمين إليها، ولعل ما قام به سليمان الزواحي من تعليم علي الصليحي لفترة طويلة في منزل أبيه محمد دليل على ذلك، وقد كان تعليمه للصليحي أمور الدين والتاريخ والأدب وغيره من العلوم التي يظهرها أمام الناس، ولكن في الباطن علّمَه كل ما يخص المذهب الإسماعيلي حتى تضلّع فيه وتسلم زمام القيادة بعد موت معلمه.(¹)

عمل بعض العلماء على تعليم أبناء السلاطين في الدولتين الصليحية والنجاحية، مثل: إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الراعي(ت٤٨١هـ/١٠٨٨م) الذي كان مؤدباً لأولاد الصليحين(¹)، كما قام جياش بن نجاح بجلب مؤدب لإبنه(¹)، وقدم لمؤدب ابنه نصحية بالغة الأهمية(¹)، ولم يكن هذا شأن الأمير جياش بن نجاح وحده بل كان كثير من الأمراء يعمدون إلى حسن اختيار مؤدبي ومعلمي أبنائهم، فهذا الوزير منَّ الله الفاتكي (ت٥٢٤هـ/١١٢٩م) يختار الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله السهامي مؤدباً لأولاده(¹)، من ذلك نرى أن هؤلاء العلماء والمؤدبين لم يكن عملهم يقتصر على تعليم القرآن والأدب واللغة فقط، بل يُعَلِّموا هؤلاء الطلاب علوماً أخرى مثل قواعد الأخلاق والسلوك، واختيار المذهب، والفروسية، وأدب الحديث والخطابة(¹)، لذلك حظي بعض المؤدبين باهتمام كبير من الأمراء من حيث الرواتب والعطايا التي كانت تدفع لهم(¹)، لدرجة أن بعض الأمراء كانوا يخصصون أجنحة خاصة في قصورهم لمؤدبي أبنائهم للعيش فيها، بل ربما يشاركونهم الطعام والشراب والنوم لكي يضمنوا وقتاً أكبر مع أولادهم، الأمر الذي يساعد على تعميق الآداب في نفوسهم وممارستها عملياً كل يوم حتى يتقنوا تأديبهم وتعليمهم وقد يمتد ذلك لعدة سنوات(¹)، لهذا نَعِمَ بعض المؤدبين بالغنى والرخاء نتيجة اتصالهم بطبقة الأمراء والأثرياء وقيامهم بوظيفة تأديب أبنائهم، فتعيين شخص ما مؤدباً لأبناء هذه الطبقات يعد فاتحة خير عليه وعلى ذويه.(¹)

كما كان للفقيه أبي بكر بن جعفر بن عبد الرحيم المحابى في حلقته ما بين خمسين وستين طالبا، بينما وصل عددهم في مدرسة مجاورة إلى ثلاثمائة طالب ملئوا ما بين المنبر والباب(¹)، كما تكونت حلقات علم للفقيه يحي بن أبي الخير العمراني في كل من قرى سير، وذي أشرق، وذي سفال(¹)، حيث كان طلابه يتبعونه أينما نزل(¹)، كما اشتهرت حلقة لمك بن مالك الحمادي في الدولة الصليحية والذي عَلَّم الكثير من تلاميذ الإسماعيلية.(¹)

أما عندما لا يتسع المسجد للحاضرين من طلاب العلم فإن الأمر ينتقل إلى خارج المسجد، خاصة إذا كان الأمر يقتضي الردود وارتفاع الأصوات مثل مجالس الأدب والشعر والمناظرات، ومن ذلك المجلس الذي كان

يعقده الفقيه عبد الله بن أبي القاسم المعروف بابن الأبار في زبيد، والذي كان مزدحما بالطلاب لدرجة كبيرة حتى أن أحدهم عندما لم يجد مكاناً يجلس فيه قال:

مجلسك الرحب من تزاحمه لا يسعُ المرء فيه مقعده
كل على قدره ينال فذا يلقط منه وذاك يحصده.(١)

كما كان البعض يعقد حلقات التعليم في قصور الأمراء كما كان يصنع الفقيه ابن أبي عقامة الذي كان يعقدها في قصر الأمير جياش بن نجاح، بينما كان البعض الآخر يعقدها في منزله كالفقيه زيد اليفاعي الذي كان يُدَرِّس في دهليز بيته.(١)

أما الإسماعيلية الصليحية فمثلهم مثل الإسماعيلية خارج اليمن، فقد كانوا يعقدون مجالس يسمونها مجالس التأويل للإملاء على المستجيبين منهجهم العلمي والحركي، وما كتاب دعائم الإسلام(١) للقاضي النعمان إلا عبارة عن مجالساته مع تلامذته لتعليمهم أصول المذهب، وإلا فإن الاسم الحقيقي لهذا الكتاب هو "تربية المؤمنين بالتوفيق على حدود باطن علم الدين" وهو من الكتب الخمسة المقررة في علم التأويل(١)، ثم المجالس المؤيدية لداعي دعاة الإسماعيلية هبة الله الشيرازي، جمعت كلها في كتاب الجامع، والذي دَرَسَهُ غالبية الإسماعيلية ومنهم إسماعيلية اليمن في العهد الصليحي مثل يحي بن لمك، والذؤيب بن موسى الوادعي وغيرهم.(١)

غير أن هذه الحلقات لم تؤثر على العلماء في جانب التأليف والتصنيف، فقد كان البعض منهم يدرّس في النهار ويخص الليل للتصنيف(١)، كما كان البعض الآخر يترك بيته ويلجأ للمسجد لغرض التأليف والتصنيف.(١)

جـ- المكتبات الخاصة:

كان في اليمن العديد من المكتبات الخاصة سواء في منازل العلماء أو الأمراء أو السلاطين، وقد كان بعض أهل اليمن قد جلب العديد من الكتب من خارج اليمن سواء بالشراء أو بالإهداء من قبل المناصرين لفريق ومذهب على آخر في سبيل غلبته على غيره أو إفحامه عند مناظرته أو للنهل منها والتعلم، ومن ذلك ما قام به لمك بن مالك الحمادي عندما نقل أكبر مكتبة للفاطميين في مصر إلى اليمن، بعد أن ظل في القاهرة خمس سنوات(١)، خاصة إذا أخذنا بإشارة المقريزي الذي يجعل الكتب في خزانة الخليفة المستنصر الفاطمي تصل إلى أربعين خزانة، بكل خزانة ثمانية عشر ألف كتاب(١)، ومع ذلك فقد انتقلت الكتب التي جلبت إلى اليمن من قبل لمك بن مالك بعد سقوط الدولة الصليحية إلى الهند(١)، كذلك ما قام به جفعر بن عبد

السلام[1] القاضي الزيدي من جلب لكتب المعتزلة من العراق إلى اليمن في زمن الإمام عبد الله بن حمزة الزيدي.[1]

كما كان للعلماء في مكتباتهم الخاصة العديد من الكتب، فقد كان للإمام زيد بن الحسن بن محمد الفائشي (ت٥٢٨هـ/١١٣٣م)[1] في مكتبته أكثر من خمسمائة مجلد.[1]

د- القرى العلمية:

برزت بعض القرى في الجانب العلمي بوجود العلماء والمتعلمين فيها، وخاصة في المناطق السنية، أما عند الإسماعيلية فلا نجد قيام أي من ذلك ربما لاعتمادهم على السرية في التعليم ولأن مراتب التنظيم تستوجب مثل ذلك التي تبدأ من المستجيب حتى الحجة والإمام كما سبق[1]، ورغم أننا قد نجد العديد من الهجر العلمية عند الزيدية إلا أننا لن نتطرق لها لاقتصار البحث عن التعليم في عهد الدولتين النجاحية والصليحية، ولهذا فإن من أبرز تلك القرى:

قرية مشيرق أحاظة: اشتهرت بكثرة العلماء فيها منذ نهاية القرن الرابع الهجري، ومنهم: العالم الجليل أبو الفتح يحي بن عيسى بن ملامس[1] وإليه ترجع شهرة علماء أسرة بني ملامس، وكذلك العالم الفقيه أبو سعيد الهيثم بن محمد الكلاعي وإليه يرجع بروز أسرة بني الهيثم علمياً أيضا.[1]

قرية سهفنة[1]: لعل من أبرز من اشتهر من العلماء في هذه القرية الإمام الحافظ القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي (ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م)[1]، وقد أخذ عنه العديد من العلماء من صنعاء وعدن والجند وأحاظة ولحج والمعافر، وغيرها من المناطق اليمنية، وإليه يرجع الفضل في نشر المذهب الشافعي في تلك المناطق.[1]

ومن العلماء الذين أقاموا في سهفنة[1] ودرسوا بها العالم القاضي أبو بكر بن عبد الله الصعبي(ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م)[1]، وقد برز من تلامذته العديد لعل أبرزهم العالم المشهور يحي بن أبي الخير العمراني(ت٥٥٧هـ/١١٦١م) الذي روي عنه كتاب الحروف السبعة في الرد على المعتزلة[1]، كما قدم إلى هذه القرية للتدريس القاضي مسلم بن أبي بكر المراغي(ت٥٣٨هـ/١١٤٣م) من مكة المكرمة، وقد دَرَّس بها مختصر المزني، وعلم الكلام وشي من الفقه والحديث وعلم القراءات.[1]

٢- تعليم الإناث لدى الدولتين:

لم يحصر التعليم على الذكور فقط في مناطق نفوذ بني نجاح وبني الصليحي، فقد كانت زبيد عاصمة النجاحيين وجبلة عاصمة الصليحين من أكثر مناطق اليمن اهتماماً بتعليم البنات، ربما لانتشار الوعي الحضاري ولوجود القدرة المالية، حيث بلغت حرائر بني نجاح وبني الصليحي مرتبة متقدمة في العلم والسياسة[1]، ومن ذلك يظهر أن تعليم البنات ظل محصورا على الطبقة الميسورة في كلا الدولتين لأن الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لأهل اليمن حالت دون تعليم النساء[1]، ولعل تعليم بنات

الميسورين كانت تتم في منازل أبائهن عن طريق معلمين يتم استقدامهم لهذا الغرض وخاصة في مراحل الطفولة.(1)

برزت العديد من النساء النجاحيات في العلم والأدب ولعل أشهرهن الحرة علم النجاحية التي إلى جانب تعليمها كانت تمارس السياسة للدولة وتعيّن الوزراء وتحاسبهم، فقد كان الوزير سرور الفاتكي (٥٢٧-٥٣١هـ/١١٣٢-١١٣٦م) يعرض سياسته العامة للدولة ولا يقوم بها حتى تقره الحرة علم عليها(1)، ولما أعلنت العفو عن بني مهدي من الخراج لم يعارضها أي من رجال دولتها رغم عدم اقتناعهم بقرارها(1)، وذلك يدل على علو شأنها في الجانب العلمي والسياسي.

كما برزت العديد من النساء الصليحيات، منهن أسماء بنت شهاب زوجة علي الصليحي، والسيدة بنت أحمد الصليحي اللتان وصلتا إلى مراتب عليا في العلم والسياسة(1)، فقد قامت أسماء بنت شهاب بتعليم وتربية وتأديب السيدة بنت أحمد في قصر زوجها علي الصليحي(1)، ولما تولت السيدة بنت أحمد الصليحي الحكم في جبلة قامت بتعليم وتدريس الدعاة في قصرها (دار العز) الذي كان أشبه بمدرسة علمية ذات أهداف متعددة.(1)

الجانب الثالث: الدعم المادي والمعنوي للتعليم (معلمين ومتعلمين):

١- الدعم المادي للعملية التعليمية في عهد الدولتين:

لم يكن هؤلاء المعلمين ليأخذوا مالا من أحد مقابل ما يقومون به من تعليم، وإنما كانوا يقصدون بما يقومون به وجه الله تعالى، ومن أجل سد حاجاتهم المختلفة في الحياة المعيشية كانوا يقومون بالعمل إلى جانب التدريس في مجالات مختلفة لتوفير ما يكفيهم ومن يعولون، سواء في امتلاك الأراضي أو التجارة، أو العمل الحرفي، وبذلك استطاع البعض منهم ليس فقط الإنفاق على نفسه ومن يعول فحسب، بل أنفق على تلامذته ومساعدة المحتاجين منهم، أو نتيجة لما ورثه بعضهم من مال من أسرهم المشهورة بالغنى،فالفقيه أبي عبد الله محمد بن عمر المصوع(ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) كان ذا دنيا واسعة ومال ورثه عن أمه، فكان يمتلك الكثير من الذهب والفضة(1)، كما كان للفقيه إسحاق بن يعقوب الصردي كثير من المزارع التي جعل عليها شركاء يقومون بزراعتها لانشغاله بالتعليم(1)، كما كان الفقيه زيد بن عبد الله اليفاعي ينفق كثير من الأموال التي تعود عليه من أرباح غلاله على طلابه، ثم يتاجر بما بقي منها لدرجة أن أصبح له أربعة عشر عاملا يعملون فيها، فكان كل واحد منهم يتاجر بألف مثقال(1)، كما قام البعض الآخر بأعمال حرفية أخرى إلى جانب التعليم مثل تربية النحل وبيع العسل(1)،، بل تعداه إلى أبعد من ذلك فالإمام زيد بن عبد الله اليافعي كان يقدِّم لطلابه الذين بلغوا أكثر من ثلاثمائة كل ما يحتاجون إليه حتى القوت والكسوة(1)،كما كان بعض العلماء يقوم بكفالة بعض أطفال الفقراء ويتولى تعليمهم، فهذا العلامة إبراهيم بن أحمد الصبري الذي عاصر الصليحين يتولى تربية طفلين منذ صغرهما.(1)

أما من كان من العلماء محتاجاً أو أن الفقر كان ملازماً له فقد يسر الله له من أهل الغنى من سد فقره وهيئ له القيام بالعلم والتفرغ له، فالفقيه عبد الله بن يحي بن أبي الهيثم(ت٥٠٣هـ/١١٠٩م) لم يكن يملك من الدنيا شيئاً، غير أنه كان محبا للعلم والدراسة، فصحبه رجل من أهل المال يدعى علي بن زياد قضى كل حوائجه لأنه رجل اتصف بحب العلم والعلماء، فلم يحتج الفقيه معه إلى إنسان آخر(١)، بل أن الفقيه أبو عبد الله بن عبدويه المهروباني كان ينفق على تلامذته فإذا ما احتاج سعى لدى أصحابه التجار ومعاونيه فيأخذ منهم ما يسد جاجة طلابه ثم ينفقه عليهم(١)، ولما حصل هذه الفقيه على المال وتاجر به جعل بعض طلابه مثل الفقيه عمر بن علي السلالي(١) يمارسون التجارة به في البحار حيث بلغ ما يتاجر به هذا الفقيه نحو ستين ألف دينار(١)، ومع ذلك فقد كان الفقيه أبو عبد الله المهروباني شديد الإنفاق على أوجه الخير حتى أنه عندما توفي كان عليه ألف دينار لم يقضها عنه إلا ولده بعد موته.(١)

٢- سلاطين الدولتين وإسهامهم في الدعم المعنوي للعملية التعليمية:

قدَّمَت الدولتين النجاحية والصليحية كثيراً من الدعم للتعليم في مناطق انتشارهما، فوفرت كافة احتياجات التعليم في تلك المرحلة للمتعلمين من كتب وأموال وبعثات علمية من اليمن أو إليها، ومن ذلك إرسال لمك بن مالك إلى مصر، واستقدام هبة الله الشيرازي إلى اليمن، كما قامت السيدة بنت أحمد الصليحي باستقدام الداعي الفاطمي ابن نجيب الدولة(١)، كما أن الدولة الصليحية لم تضيق الخناق على أهل السنة بل أعطتهم نوعا من الحرية الفكرية والدينية، فقد سمحت لهم بإنشاء المساجد والتعليم فيها، وإنشاء بعض المدارس مثل مدرسة الصحيحين في عاصمة الصليحيين ذي جبلة، كما حرصت الدولة الصليحية على تقريب بعض العلماء من أجل تولي القضاء أحياناُ(١)، وقد حرص بعض العلماء على التشفع للفقراء لدى السلاطين لإعفائهم من الضرائب حتى يتمكنوا من التعليم، فهاهو الإمام يحي بن أبي الخير العمراني يدخل على الملكة السيدة بنت أحمد الصليحي يطلب منها إعفاء أرض مجموعة من الفقراء من الخراج كان يرعاهم(١)، ولا يستبعد أن يكونوا من طلابه.

أما علماء الدولة الصليحيية الإسماعيلية فلم يشير أي مصدر إلى حاجة أي منهم أو فقره الذي حال دون قيامه بتعليم أو تعلم، مما يدلل ذلك على أن الدولة الصليحية هي من كان يقوم بتقديم العون والمساعدة للمستجيبين والمعلمين داخل الدعوة الإسماعيلية خاصة إذا علمنا أن كبار ساسة الدولة الصليحية هم من الدعاة أيضاً هذا فيما يخص المدارس الإسماعيلية.

أما بالنسبة للمدارس السنية فقد حرص أمراء بني نجاح على الإشراف على التعليم بأنفسهم، فقد كانوا محبين للعلم والعلماء، امتداداً من جياش بن نجاح(ت٤٩٨هـ/١١٠٤م) حتى الوزير منَّ الله الفاتكي (ت٥٢٢هـ/١١٢٨م)، حيث كانوا ينفقون على أهل المدارس السنية ما يكفيهم للتعليم، حيث بلغ إجمالي ما

يدفعونه من مالية الدولة في كل عام اثنا عشر ألف دينار(١)، كما أوقف الوزير منَّ الله الفاتكي على مدارس زبيد ما يغنيهم من الأراضي والضياع.(١)

استفاد بعض العلماء من إعفاء أراضيهم من الخراج من قبل الحكَّام، فقد استطاع الشيخ أبو بكر اليافعي أن يقنع السلطان بأن يَعْفِي أراضي علماء الجند من الخراج(١)، ومما لا شك فيه أن السلطان قام بذلك لِمَا رآه من قيام هؤلاء العلماء بتقديم كثير من أموالهم في سبيل تعليم طلابهم وتوفير ما يحتاجونه من كتب ومصاحف.

وتظهر أهمية تهامة المالية من خلال ما كانت تدره من أموال باهظة للقائمين عليها، وذلك بدون شك ساعد في أسهام الحكام في العملية التعليمية، ومما يدلل على دور تهامة في حصول القائمين عليها على أموال كبيرة أن أسعد بن شهاب بعد أن تولى ولاية تهامة كان يرسل للصليحيى كل عام بعد أرزاق الجند الذين بها وغير ذلك من الأسباب، ألف ألف دينار[١]،لهذا بذل الصليحيون قصارى جهدهم للقضاء على بنى نجاح حتى يدعمون أنفسهم بما يحصلون عليه من أموال ضخمة من عائدات تهامة[١] خاصة إذا علمنا أن ولاية أسعد بن شهاب لم تكن على مدينة زبيد وحدها، وإنما كانت تشمل المنطقة الممتدة من وادى حَرْض(١) حتى عدن، وهى كما نرى تضم ما كان فى حوزة بنى نجاح تقريباً[١]، كما أن القوة التى كانت تسيطر على شواطئ البحر الأحمر الجنوبية، ومداخل هذا البحر كانت تجنى من وراء تجارة المرور فى تلك المنطقة مكاسب اقتصادية هائلة، وهذه المكاسب ولا شك كانت تدعم موقف هذه القوى في الجانب الاقتصادي والسياسي على أرض اليمن، وليس أدلّ على ذلك من اشتراط على الصليحى لمن يتولى زبيد وأعمالها أن يقدم للخزانة الصليحية مائة ألف دينار سنوياً[١]، وسواء كان العائد المادي لتهامة يعود للصليحين أثناء سيطرتهم على تهامة أو لبني نجاح أثناء انفرادهم بالحكم بها، فإن ذلك كان له دور إيجابي في إسهام الحكام في دعم المدارس التعليمية.

كل ما سبق يدلل على ما قُدِّم من دعم للتعليم سواء عند النجاحين أو الصليحيين من موقوفات عينية أو نقدية، الأمر الذي ساعد على الإنفاق على طلاب العلم والعلماء.(١)

٣- الأوقاف العامة ودورها في خدمة العملية التعليمية في مناطق نفوذ الدولتين:

لَمَّا لم تَكْفِ ما تقدمه الدولتان من أوقاف للتعليم اعتمد العلماء على موارد وقفية أخرى، وتمثل ذلك في الأوقاف العامة على أماكن العلم وأهله، والتي كانت العمود الفقري لأماكن التعليم في اليمن، حيث تعد مصادر دائمة ومستمرة مكّنتها من أداء رسالتها(١)، خاصة المساجد التي عمل بعض الميسورين من بناءها وتخصيص وقفيات تصرف على إصلاحها وعلى رعاية من يأتي إليها من طلاب العلم، مثل أبو الدر جوهر بن عبد الله (ت٥٧٠هـ/١١٧٤م)(١) الذي بنى مسجداً في عمقة(١)، ثم وقف عليه وقفا عظيما يكفي جميع الطلاب

فيه، وما يحتاجه من كتب ومصاحف[1]، وغيرها من الوقفيات التي خدمة العملية التعليمة سواء في الكتاتيب أو في بيوت السلاطين والعلماء أو في المكتبات والقرى العلمية المختلفة.

الخاتمة:

توصل البحث إلي عدة نتائج منها:

-دخلت الدولتان النجاحية السنية في تهامة والصليحية الاسماعيلية في صنعاء وذي جبلة وما جاورها فيما بعد في صراع مستمر استطاعت الدولة الصليحية إسقاط دولة بني نجاح لمرتين متتاليتين، لكن إصرار بني نجاح على إعادة دولتهم مكنهم من حكم تهامة بشكل منفرد حتى بعد سقوط الدولة الصليحية.

-وقف العامل المذهبي لسكان تهامة دون سيطرة بني الصليحي عليها، فقد ظلوا يوالون بني نجاح في حكمهم في مناطق الجبال والسهل التهامي بحكم أنهم من أهل السنة ومواليين للخلافة العباسية في بغداد.

-يجب عدم إغفال الجانب الاقتصادي في الصراع النجاحي الصليحي على تهامة حيث كانت تدر دخلاً كبيرا على من يتولى شئونها، ودليل ذلك المبالغ الكبيرة التي وصلت إلى خزينة الصليحيين منها أثناء حكمهم لها.

-اهتم الجانبان النجاحي والصليحي بالتعليم في تلك المرحلة وقدموا كثيرا من الدعم له خاصة في عواصم الدولتين، فاهتموا بالعلماء والمتعلمين وأماكن التعليم، وقدموا الدعم المختلف للعملية التعليمية في فترات حكم كل منهما واهتموا بنشر الجانب المذهبي في مناطق نفوذهما.

-كان المجتمع اليمني يهتم بالعلمية التعليمية خاصة في مناطق الحضر، فاهتم بتعلم القراءة والكتابة وقراءة القرآن وتعلم الخط واللغة العربية والشعر والأدب، ولذلك ظهر من العلماء من علم التلاميذ في الكتاتيب دون أي مقابل سوى ابتغاء الأجر من الله، بل ظهر منهم من دفع لطلابه ما يحتاجونه للتعليم، وساهم السلاطين في كلا الدولتين في النفقات المادية للتعليم من معلمين ومتعلمين.

الهوامش:

(١) - مدينة ذى جبلة: اختطها عبد الله بن محمد الصليحى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م، وهى مدينة بين نهرين جاريين فى الصيف والشتاء، يقال أنها تسمت باسم يهودياً كان يبيع الفخار. انظر: (ابن الديبع: قرة العيون في أخبار اليمن الميمون،المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٥٤م، ص٢٦١، عبد الملك الصنعانى: اتحاف ذوى الفطن بمختصر أنباء الزمن، ملحق كلية الآداب، جامعة صنعاء، العدد الثالث، مارس، ١٩٨١م ص ٢٣).

(١) - درجت الكتب المعاصره لفترة البحث على هذه التقسيمات وكان المقصود بها المناطق الوسطى والجنوبية من اليمن.

(١)- عصام الدين الفقي: اليمن في ظل الإسلام، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٨٢م، ١٤٥، حسن سليمان محمود:تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي،المجمع العراقي،ط١، ١٩٦٩م ص١٧٢، حسين الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، دار المختار،دمشق، ١٩٥٥م، ص٦٣ .

(١) - شطب: بالفتح، جبل واسع يطل على مركز السوده، وإليه ينتسب (سودة شظب). (المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، طبعة ١٩٨٥م، ص٢٣٣).

(١)- محمد عبده السروري: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة، من سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م إلى ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، مطابع الأهرام، القاهرة، ١٩٩٧م،ص٢٨ .

(١)- صَعْدَة: بالفتح ثم السكون، مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخاً(يحي بن الحسين: غاية وتقع ما بين ْ١٦شمالاً وْ٤٣ شرقاً.(أبي فراس ابن دعثم: السيرة الشريفة المنصورية،سيرة الإمام عبد الله بن حمزة، (٥٩٣-٦١٤هـ)، تحقيق: عبد الغني عبد العاطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، جـ٢،ص٣١،هامش٣،للمحقق).

(١)- محمد بن أحمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني،دار اليمامة، الرياض، ط٢، د.ت، ص١٥٠ .

(١)-العقيلي: المرجع السابق، ص١٥٠ .

(١)- هي الدولة التي حكمت في تهامة اليمن قبل الدولة النجاحية، وتنسب إلى مؤسسها محمد بن زياد، وقد حكمت في عهد الخليفة المأمون العباسي، خلال الفترة (٢٠٤-٤٤٤هـ)، واستمرت حتى ظهور نجاح الحبشي الذي ورثها هو ومن معه من الأحباش.

(١) - قفز موالى بنى زياد من الأحباش إلى قمة السلطة فى الدولة الضعيفة المتهالكة .. فظهر من هؤلاء الموالى رشيد الحبش ثم الحسين بن سلامة ثم أحد عبيده ويسمى مرجان، وبوفاة مرجان دخل نجاح ونفيس فى صراع مرير حيث جرت بينهما عدة وقائع منها يوم رمع وفشال، وكانا لصالح نفيس، ويوم العقدة والعرق، لصالح نجاح حيث قتل نفيس فى يوم العرق. ينظر: (محمد عيسى الحريري: دراسات وبحوث في تاريخ اليمن الإسلامي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٨م،ص ١٨٣-١٨٥).

(١) - محمد عبده السروري: تاريخ اليمن الإسلامي، مكتبة خالد بن الوليد، صنعاء، دار الكتب اليمنية، صنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص٢١٥، ٢١٦.

(١)- زبيد:بفتح أوله، وكسر ثانيه، ثم ياء مثناه من تحت، اسم وادى به مدينة يقال لها الحصيب، ثم غلب عليها اسم الوادى، فلا تعرف إلا به، (ياقوت الحموى، شهاب الدين أبو عبد الله الحموى: معجم البلدان، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٩٠٦م، جـ٤، ص٣٧٥، ٣٧٦، البكري الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٥م، جـ٢، ص٦٩٤، إسماعيل الأكوع: البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، الجيل الجديد، صنعاء، ط٢، ١٩٨٨م، ص١٣٨).

(١)- المَهْجَم:بفتح وسكون، أحد المدن التهامية، بينها وبين زبيد ثلاثة أيام، وهي مقابلة لساحل اللُحَيَّة، وهي اليوم مقفرة في وادي سردد غرب مدينة الزيدية.(البكري الأندلسي:معجم ما استعجم، جـ٤،ص١٢٧٤، ابن الديبع: قرة العيون ،ص١٩٨،هامش٢، د.محمد الحريري:الاتجاهات المذهبية في اليمن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٧م، ص٤٨، هامش١،دراسات وبحوث،ص١٨٤،هامش٣).

(١)- الكدراء:بفتح أوله وإسكان ثانيه،مدينة باليمن،على رأس وادي سهام في جنوب شرق الحديدة.(البكري:معجم ما استعجم،جـ٤،ص١١١٩،ابن الديبع:قرة العيون،ص١٨٩،هامش٣،د.محمد الحريري:دراسات وبحوث،ص١٨٤،هامش٣).

(١)- انظر: السروري:تاريخ اليمن الإسلامي،ص٢١٩.

(¹)- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتب العلمية،بيروت،الطبعة الأولى،١٩٩٢م ، جـ٤، ص٢٥٦، ابن الديبع: قرة العيون، ص٢٤٦، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق: يوسف شلحد، مرك الدراسات والبحوث، صنعاء، ط١، ١٩٧٩م، ص٥٦، يحيى بن لحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، جـ١، ص٢٥٣.

(¹)- استمر سقوط الدولة النجاحية من سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م بعد مقتل نجاح حتى استطاع أبنائه سعيد وجياش من قتل علي الصليحي وأخيه عبد الله الصليحي ومن كان معهما من بني الصليحي في ذي القعدة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م. (السروري:تاريخ اليمن الإسلامي،ص٢٢٢، ٢٢٣).

(¹) - استقل بني نجاح في زبيد بعد موقعة الكظائم التي كانت في الخامس من ذى الحجة سنة ٤٧٩هـ/مارس ١٠٨٧م، وكانت آخر المعارك بين الطرفين. ينظر: (ابن الديبع: قرة العيون، ص٢٦٧، هامش١).

(¹) - تاريخ اليمن المسمى المفيد من تاريخ صنعاء وزبيد، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، المكتبة اليمنية، صنعاء، ط٢، ١٩٨٥م، ص٥٠، الهمداني: الصليحيون، ص١٥١، حسن سليمان:اليمن السياسى، ص١٦٢.

(¹)- د.الحريرى: مقدمة الرسالة الوضية في معالم الدين وأصوله، لأحمد الكرماني، دار القلم الكويت،ط١، ١٩٨٧م، ص ٣٨.

(¹) - المهدية:مدينة على البحر المتوسط فى مركز معتمدية، بولاية سوسه، بناها عبيد الله المهدى وجعلها مقراً له. (المنجد فى الأعلام، ط ٢١، المشرق، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٥٥٢).

(¹) عادله علي الحمد: قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، دار المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٢١٢، محمد محمد زيتون: القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، ط١، دار المنار، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٣٨.

(¹) - عن ذلك ينظر: حسن سليمان: اليمن السياس، ص١٨٣، الهمدانى: الصليحيون، ص٩٢.

(¹)- عن ذلك ينظر:الكبسى: اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمنية، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٨٤م.

، ص٤١، ابن الديبع: قرة العيون، ص٢٦٨.

(¹)- عن انفصال بني زريع في عدن ينظر: إدريس: نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام باليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٢٩٢١٩)، عقائد تيمور، ميكروفيلم رقم (٤٥٨٩٩)، ، ورقة ٢٨، لوحة ب.

(¹) - مناع القطان: علوم القرآن،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٩٨٢م، ص٢١.

(¹) -مسلم اللحجي:تاريخ مسلم ويسمى أخبار الأئمة من آل البيت وشيعتهم باليمن،مخطوط مصور لدى الباحث ، ٦٣، ١١٢، يحي بن الحسين: طبقات الزيدية الصغرى،مخطوط مصور لدى الباحث عن مخطوط مصور لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع.،ص٤٩، ٩٨.

(¹)- يحي بن أبي الخير العمراني ترجم له ابن سمرة في طبقات فقهاء اليمن، فذكر أن مولده سنة ٤٨٩هـ وتوفي سنة ٥٥٨هـ، وذكر العديد من مشائخه، كما عدد كثيرا من تلامذته. ينظر: (ابن سمرة طبقات فقهاء اليمن، تحقيق:فؤاد سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م، ص(١٧٤-١٧٥).

(¹) - تقع بالغرب من صنعاء بمسافة ٨١ ك.م، كان وما يزال مركز الباطنية الاسماعيلية في اليمن، فيه كثير من الحصون. (المقحفي : معجم المدن،ص١١٤).

(¹) - ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن ،ص١١٢.

(¹)- حَجُوْر حي من همدان، وهم من ولد حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب ابن جشم ابن حاشد... وسليمان والخطاب من ولد حريث بن شراحبيل ،ثم من ولد حوله بن حجور، ثم من قدم من ولد عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد.(الهمداني: الصليحيون،ص١٩٤،هـامش١).

(¹) – حسين الهمداني: الصليحيون،ص١٨٥.

(¹)- عن ذلك ينظر: (حميد المحلي: الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، مخطوط مصور لدى الباحث عن مخطوط مصور لدى الدكتور/عبد الرحمن الشجاع، مخطوط مصور بالأوفست ،جـ٢،ص٦، ٤١، ١٢٧، ابن سمرة: طبقات،ص١٥٥، الدجيلي: الحياة الفكرية، ص١٢١، الهمداني:الصليحيون،ص٢٧٢)

([1])- ترجم له ابن سمرة في طبقاته وقال بأن مسكنه في جبل الصلو، وذكر عددا من مشائخه وتلاميذه، وانتقل إلى الجند في تعز، وظل يلقي العلم دون أن ينتقل إلى مكان آخر حتى وفاته في رجب سنة ٤٩٣هـ. ينظر: (ابن سمرة: طبقات،ص٩٨-٩٩).

([1]) - بفتحات، بلدة مشهورة بالشرق الشمالي من مدينة تعز بمسافة ٢٢ك.م، سميت بجند بن شهران أحد بطون المعافر، وهي مدينة قديمة بني فيها أول مسجد في اليمن من قبل الصحابي الجليل معاذ بن جبل. (المقحفي:معجم المدن،ص٩٥).

([1]) - ابن سمرة: المصدر السابق،ص٩٨-٩٩.

([1]) - ابن سمرة: المصدر السابق،ص١٠١.

([1]) - ابن سمرة: المصدر السابق،ص٧٥. أورد الزيدية باسم الهادوية نسبة إلى مؤسس الزيدية في اليمن الهادي يحي بن الحسين الرسي، واستبعد البعض أن تكون الزيدية من ضمن فِرَق الشيعة "من نسب هذه الفرقة إلى التشيع فقد ابتعد أيما بعد عن الواقع.."(على محمد حسن أل عصفور: شبهات حول التشيع،نشر جمعية دنيا الإسلام،ط٢،د.ت.ص٤٢)، لذلك اعتبر البعض الزيدية أقرب الفِرَق الشيعية إلى أهل السنة، كما أنها تخالف بقية فِرَق الشيعة في أمور منها: أنها لا تعتقد بالإمام المستور، ولا تمارس المتعة.(فليب حتى وآخرون: تاريخ العرب، دار الكشاف، بيروت، ط٣ ،١٩٨٥م، جـ١ ص٥٤٠).

([1]) – د. عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع: الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م ،ص٢٢٤، ٢٢٥.

([1]) - ابن سمرة: الطبقات،ص٧٩-٨٠.

([1]) - ترجم له ابن سمرة وذكر أن أصله من المعافر، وذكر العدد من مشائخه، والعديد من طلابه، وذكر العديد من الكرامات التي وقعت له، وأن وفاته كانت في سنة ٥٠٠هـ. ينظر: (ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن،ص١٠٦-١٠٩)

([1]) - ابن سمرة: المصدر السابقص١٠٧-١١٠، الجندي:السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٣م جـ٢، ص٨٢.

([1]) - ابن سمرة: المصدر السابق،ص١٠، ١١١، ١١٨.

([1]) - ترجم له ابن سمرة وأنه سكن وادي ضبا، وصنف العديد من الكتب وأنه كان فقيهاً ظريفاً ذا مال وجاه. ينظر: (ابن سمرة:طبقات فقهاء اليمن،ص٩٦).

([1])- ترجم له ابن سمرة وذكر عمن أخذ العلم من المشائخ وبين كيف كان يتعفف من العمل مع السلطان، وعندما انتقل من الظرافة إلى الجند للعمل بالفتوى اشترط اعفائه عن الحكم وعدم الأكل من مائدة الوالي وكذلك رفض الحكم لعلي بن محمد الصليحي. ينظر: (ابن سمرة:طبقات فقهاء اليمن،ص٩٤-٩٥).

([1]) - ابن سمرة: المصدر السابق،ص٩٦، ٢٤٠، الجندي: السلوك، جـ١، ص٢٣٦.

([1]) - القاضي النعمان: تأويل الدعائم، تحقيق: محمد حسن الأعظمي، مكتبة الفاو، صنعاء،د.ت جـ١، ص١٤، هو أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي، عاش في النصف الأول من القرن الرابع من الهجرة (القرن العاشر الميلاي)، ولا يعرف تاريخ ميلاده، وتوفي بالقاهرة سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م. انظر: مقدمة دعائم الإسلام، تحقيق: آصف على أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١م، ص١١، والكتابان لدى الباحث أغلب ما تناولته الجانب الفقهي حسب النظرة الإسماعيلة.

([1]) - القاضي النعمان: اختلاف أصول المذاهب، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ٢٠٠٠م،ص٣١٠.

([1]) - الجندي: السلوك، جـ١، ص٦٧.

([1]) - الجندي: المصدر السابق، جـ١، ص٢٨٧.

([1]) - جياش بن نجاح ترجم له ابن سمرة في الطبقات ص١٠٤-١٠٥، كما ترجم له محقق الطبقات الاستاذ فؤاد سيد بقوله: هو أبو طامي جياش بن نجاح صاحب تهامة اليمن الملقب بالملك المكين، هرب إلى الهند أثناء قتل المكرم لأخيه سعيد الأحول، ثم عاد إلي زبيد واستعاد تهامة من الصليحين وما زالت بيده حتى توفي سنة ٤٩٨هـ. (ابن سمرة:طبقات،ص١٠٤، هامش١ للمحقق).

(1) - انظر عمارة اليمني: تاريخ اليمن،ص٣٨.

(1) - الجندي: المصدر السابق، جـ١، ص٣٦١، ٣٦٢.

(1) - مجهول: سيرة المكرم أحمد بن علي الصليحي، مخطوط مصور لدى الباحث عن صورة لدى المكتبة المركزية بجامعة صنعاء، ورقة ٨-١٢.

(1) - محمد بن مالك الحمادي: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة،تحقيق : د. محمد زينهم محمد عزب ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٩٨٦م، ترجم له ابن سمرة بأنه أبو عبد الله بن مالك بن أبي القبائل الحمادي اليمني، من فقهاء السنة باليمن في أواسط المائة الخامسة. (ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن،ص٧٨، هامش٢).

(1) - مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٩٦٤م،ص٨٧.

(1) - مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية،ص٢٩٣.

(1)- عمارة: المصدر السابق،ص٥٨.

(1)- الجندي: السلوك،جـ١،ص١٥٤.

(1)- الأهدل: تحفة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٨٦م ص١٧٩-٢٠٠.

(1)- ابن سمرة: طبقات، ص٢٤٠.

(1)- مسلم اللحجي: تاريخ مسلم،ص١٢، ١٧٤.

(1)- الجندي: السلوك،جـ١، ص٣٤٥، بتصرف.

(1)- ابن سمرة: طبقات،ص١٤١.

(1)- ابن سمرة: طبقات،ص١٠١، من العلماء الذين تتلمذ الفقيه خير بن ملامس على أيديهم: أبي ذر بن أحمد الهروي، وأبي بكر بن محمد بن منصور السُهْرُوردي وغيرهم كثير ذكرهم ابن سمرة في طبقاته. ينظر: (ابن سمرة: طبقات، ص١٠١).

(1)- ذي أشرق:بلدة أثرية في سفح جبل التعكر بالجنوب الغربي من مدينة إب، أعلا وادي نخلان من ذي الكلاع. (المقحفي: معجم المدن،ص٢٤).

(1) - عرشان: بلد بالظهابي بناحية ذي جبلة من أعمال محافظة إب. ينظر: (ابن سمرة: طبقات، ص٣٢١، ملحق للمحقق)، وكان استنباط تدريسه في هذه المناطق من خلال إشارة ابن سمرة بأن من روى عن ابن أسعد بن خير بن ملامس صاحب عرشان الفقيه علي بن أبي بكر بن حمير بن فضل. (ابن سمرة: طبقات، ص٩٢).

(1)- ابن سمرة: المصدر السابقص٩٨، الجندي: السلوك،جـ١، ٢٤٠، ٢٤٣.

(1)- أرسل علي بن محمد الصليحي سفارة بقيادة لمك بن مالك مع جماعة من أنصاره إلى المستنصر الفاطمى فى سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م فأقام لمك فى القاهرة خمس سنوات. انظر: (مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية، ص٤٣٩.

Farhad Daftary Isma'ilis, p.207.

Moncelon. Lada'w Fatimid, www.univ-aix.1990.10.p.

(1)- إدريس عماد الدين: عيون الأخبار وفنون الآثار، جـ٧، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، معهد الدراسات الإسماعيلية، لندن، ٢٠٠٢م ،جـ٧،ص١٢٨، ١٢٩، عمارة: تاريخ اليمن،،هامش ص١٧٥ للمحقق.

(1)- هو أبو النصر بن عمران هبة الله بن موسى بن داؤد الشيرازى المعروف عند الإسماعيلية بالمؤيد فى الدين أو داعى دعاة الفاطمين، ولد فى شيراز سنة ٣٩٠هـ، وفرّ إلى مصر فى سنة ٤٣٨هـ، أشهر مؤلفاته المجالس المؤيدية (عارف تامر: (تحقيق) مقدمة رسالة الدوحة للشيرازى، ضمن كتاب ثلاث رسائل إسماعيلية، تحقيق: عارف تامر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، صفحات ٣٧، ٣٨، ٣٩).

(1)- مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية،ص٢٣١.

(1)- أجزل له العطاء الأمير المفضل بن أبي البركات،ولما ذم السيدة بنت أحمد الصليحي في شعره أوعزت له من قتله. انظر: (عمارة: تاريخ اليمن، ص٢٨٥).

(1)- محمد بن أحمد الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، جـ٢،ص١٥٠٨.

(1)- الخزرجي: العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم (٧٣٦) تاريخ. ، جـ١،ص١٢١، ١٢٢، ابن الديبع: الفضل المزيد، ،ص٩٦.

(1)- يرى مصطفى غالب أن الشيرازي أُرسل لليمن لإلقاء دروس في مدرسة الدعاة الإسماعيليين والإشراف على تنظيم بيت الدعوة الإسماعيلية. (مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية،ص٢٣٧).

(1) - حسن إبراهيم هنداوي: التعليم وإشكالية التنمية، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، العدد ٩٨، ديسمبر – يناير ٢٠٠٤م، ص٤٥.

(1)- الشجاع: الحياة العلمية في اليمن،ص٥١.

(1)- الجندي: السلوك،جـ١،ص٣٧٠-٣٧١.

(1)- ابن سمرة: طبقات،ص١٨٧.

(1)- مسلم اللحجي: تاريخ مسلم ،٢٥٠.

(1) - ترجم له ابن سمرة في طبقاته وقال بأنه تعلم الكثير من العلوم في اليمن ثم رحل إلى مكة وتعلم فيها الكثير من العلوم المختلفة ثم لما عاد لليمن تتلمذ على يديه الكثير من الطلاب، وكان ذلك في زمن الأمير المفضل بن أبي البركات الحميري، أما عن أصل ا لفقيه زيد فمن المعافر ثم سكن الجند وكان له فيها مدرسة وصل عدد طلابه فيها أكثر من مائتين، ونتيجة لمكيدة تعرض لها من الأمير المفضل ترك اليمن إلى مكة وظل بها أكثر من اثناعشر سنة. ينظر: (ابن سمرة: طبقات،ص١١٩-١٢٠).

(1)- الجندي:السلوك ،جـ١، ص٢٦٢، ٢٦٣.

(1)- الجندي: السلوك،جـ٢،ص٣.

(1)- مسلم اللحجي: تاريخ مسلم،ص١٧٩-١٨٠.

(1) - إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، ويسمى بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠١م، جـ٢، ص١١٢٢.

(1) - الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة: تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها، تحقيق:علي حسن الحلبي، دار الجيل، بيروت، دار عمار، عمان، ط٢، ١٩٨٧م، ص٤٦.

(1) - الزواحي: نسبة إلى قرية بحراز لا تزال حية إلى يومنا هذا فى قرى ربع متوح، من ناحية صعفان . (الأكوع: البلدان اليمانية، ص١٤١، هامش٢)، وبنو الزواحي من الأسر التى كان لها دور فى تأسيس دولة الصليحي، وينسبون إلى ذى حوال. (ابن الديبع: قرة العيون، ص ٢١٦، هامش٤).

(1)- إدريس عماد الدين القرشي: عيون الأخبار ،جـ٧، ص٦-٧.

(1)- الهمداني: الصليحيون،ص٦٨، ٦٩، حسن سليمان: اليمن السياسي،ص١٧٣، ١٧٤.

(1)- بامخرمة: ثغر عدن،ص٧٨.

(1)- انظر: المحلي: الحدائق الوردية، جـ٢، ص١٣٩.

(1)- شجرة سميت كلاّب لكثرت ما بها من شوك. انظر: (الجندي: السلوك، هامش ٢٤٠ للمحقق).

(1)- ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص١٩٣.

( )- عبد الرحيم الأسنوني: طبقات الشافعية،تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص١٠٤، الأهدل: تحفة،ص١٩١.

( )- إدريس عماد الدين: نزهة، ق٨٦.

( )- ابن سمرة: طبقات، ص١٩٤، ١٩٥، الجندي: السلوك، جـ١، ٧٣٢،العباس بن علي الرسولي: العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تحقيق: عبد الواحد الخامري، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٠م،ص٤٩٦.

( ) - مراتب الدعاة عند الإسماعيلية كالآتي: امام، حجة أو باب، داعى الدعاة، داعي البلاغ، داعي مطلق، داعي مأذون، داعي محصور، جناح أيمن، جناح أيسر، مكاسر، مكالب، مستجيب. (محمد السعيد جمال الدين: دولة الإسماعيلية فى إيران، الطبعة الأولى، الدار الثقافية، بيروت، ١٩٩٩م، ص٤٠)، وفى ذلك يقول الداعي إدريس: "يكون مستجيباً، ثم مؤمناً، ثم مكاسراً، مأذوناً نجيباً، ثم داعي إحرام، وداعي إطلاق، ثم داعي بلاغ، وحجة وباب بواجب الاستحقاق" (زهر المعاني، ص٢١٠).

( )- عن ذلك انظر: مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية، ص٢١، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٦٥م،ص١٤٠.

( )- انظر عن كيفية تلقين الداعيان ابن حوشب وابن الفضل لأسرار الدعوة الإسماعيلية (الحريري: الاتجاهات المذهبية،ص٤٦).

( )- إدريس: عيون الأخبار،جـ٧،ص٥-٦.

( )- السروري: الحياة السياسية،ص٣٣.

( )- (يحي بن الحسين: طبقات الزيدية الصغرى، جـ١، ص٢٥٤). هو: علي بن الفضل الخنفري الجيشاني.(الحمادي:كشف أسرار الباطنية، ص٤١، ابن سمرة:طبقات فقهاء اليمن، ص٧٥، هامش٢)، أصله من جيشان في اليمن. (C.L. Geddes, *The Aposta of``Ali b. al-Fadl,* Arabian and Islamic Studies, Longman London and New York,1983.PP.80-85.P.80-81.) ، تشرّب الميول الشيعية على المذهب الإثناعشري في بداية أمره.(الحمادي:كشف أسرار الباطنية ،ص٤١، الخزرجي:العسجد المسبوك،ورقة٤٥)،يتوجه إلى الكوفة سنة٢٦٧هـ/٨٨٠م.(إبراهيم بن الحسين الحامدي:كنز الولد،تحقيق:مصطفى غالب،دار الأندلس،بيروت،١٩٧٩م، مقدمة المحقق،ص١٩)، ويتعلم أصول المذهب الإسماعيلي وأسرار الدعوة إليه على يد الإمام الإسماعيلي، ثم يعود لنشره في اليمن.

( )- أحمد بن عبد الله الرازي: تاريخ مدينة صنعاء،، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وعبد الجبار زكار،دار الفكر، سوريا، ١٩٧٤م، ص٣٤٠-٣٤١.

( )- ابن سمرة: طبقات،ص١٧-١٨.

( )- الجندي: السلوك،جـ١،ص٢٣٤.

( )- الجندي: المصدر السابق،جـ١،ص٢٤٤.

( )- الجندي: السلوك،جـ١،ص٢٤٤-١٤٥.

( )- الجندي: المصدر السابق،جـ١،ص٣٨٥.

( )-الخزرجي: العسجد،ق١٣٧. هو مهدي بن علي بن مهدي تولى أمر دولة بني مهدي سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م وامتد حكمه حتى تعز والجند ولحج، ولم يلبث أن أصيب بمرض تفطر منه جسمه فنقل على الفور إلى زبيد واستمر بها فترة قصيرة حتى مات سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م. انظر: (السروري: تاريخ اليمن الإسلامي،ص٢٧٤).

( )- الجندي: المصدر السابق،جـ١،ص٢٩٧، ٢٩٨.

( )- ابن سمرة : طبقات،ص١١٥، الجندي: المصدر السابق،جـ١،ص٢٧٥.

( )- طبقات،ص٨١-٨٢.

(¹)- هو المفضل بن أبي البركات الحميري قائد قوات الملكة سيدة بنت أحمد الصليحي، عمل منذ توليه قيادة الجيش للصليحيين بعد وفاة القادرة الكبار في الدولة خاصة من سنة ٤٩٨هـ/١١٠٥م، وحتى ٥٠٥هـ/١١١٢م، ولكنه توجه لإخضاع زبيد في عهد المنصور بن الفاتك فخرج عليه الفقهاء في حصنه التعكر المطل على مدينة جبلة ولما عاد لم يستطع إخراجهم منه فمات كمدا. انظر: (عمارة: تاريخ اليمن، ص٨٥، ابن الديبع: قرة العيون، جـ١،ص٣٥٠)

(¹)- ابن سمرة: المصدر السابق،ص١٥٦.

(¹)- الجندي: المصدر السابق،جـ١،ص٢٥٩، والحسين بن سلامة هو من موالي الدولة الزيادية، وقد أحسن إدارتها قبل نهايتها، وكان له الفضل في استمرار قوتها، لكن بعد وفاته دخل الموالي الأحباش في صراع فيما بينهم حتى استطاع نجاح الحبشي التغلب وتأسيس الدولة النجاحية.

(¹)- عمارة: تاريخ اليمن،،ص١٦٤.

(¹)- عبد الله عبد السلام الحداد:الاستحكامات الحربية لمدينة زبيد منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية،(٢٠٤-٩٢٣هـ/٨١٩-١٥١٧م)، وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠٠٤م،ص٤٨٣.

(¹)- الجندي:السلوك،جـ١،ص٢٤٥-٢٤٦. سير: بلد من ناحية ذي السفال، محافظة إب في اليمن. (المقحفي: معجم المدن،ص٢١٩-٢٢٠).

(¹)- ابن سمرة: المصدر السابق،ص٩٩.

(¹)- ترجم له ابن سمرة في طبقاته، وقال بأنه تتلمذ على أبيه خير بن يحي، وروى عنه صحيح البخاري، وسنن أبي داود، مات سنة ٨١٨هـ. ينظر: (ابن سمرة: طبقات،ص١١٠-١١).

(¹)- تقع هذه القرية في مخلاف جعفر عزلة حبيش في محافظة إب حالياً،كما يسميها المؤرخون بالمشيرق اختصاراً.(المقحفي:معجم المدن، ٣٨٩).

(¹) - ترجم له ابن سمرة في طبقاته، وذكره بأنه الشيخ الحافظ سراج الدين شيخ المحدثين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن حمير بن تُبّع بن يوسف بن فضل الهمداني العرشاني، مات في ذي القعدة سنة ٥٥٧هـ، وهو ابن نيف وستين سنة. ينظر: (ابن سمرة: طبقات،ص١٧١).

(¹)- الجندي: السلوك،جـ١،ص٢٥٠، ٣٠٤.

(¹)- انظر عن توكيل الخليفة الفاطمي لعلي الصليحي بإرسال الدعاة للعديد من الجزر والأقاليم: (إدريس عماد الدين: نزهة الأفكار، ورقة ١٦).

(¹)- أحمد عبد الله عارف: الاتجاهات الفكرية فى اليمن فيما بين ق٣، وق٥ هـ، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص٩٥، جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧م،جـ١، ص ١٢٥.

(¹)- عمارة: تاريخ اليمن، ص٥٩-٦٠، إدريس عماد الدين: العيون،جـ٧،ص١٧، ابن ا لديبع: قرة العيون،٢٢٥-٢٢٦.

(¹)- مسلم اللحجي: تاريخ مسلم،ص٢٥.

(¹)- عمارة: المصدر السابق،ص٢٠١.

(¹)- انظر: بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، جـ٢،ص٤٦-٤٧.

(¹)- عمارة: المصدر السابق،ص٢١٠.

(¹)- علي بن الحسين الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، مطبعة الهلال،الفجالة، مصر، د.ت، جـ١،ص٢٢٣٤.

(¹)- بامخرمة: المصدر السابق، جـ٢، ص٤٧.

(¹)- محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، مطابع عيسى الحلبي وشركاه، مصر، ط٣، ١٩٧٥م، ص١٤٣.

(¹)- بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، جـ٢، ص٤٧.

(¹)- الجندي: السلوك،جـ١،ص٢٥٠.

( )- مدينة جنوب مدينة إب بمسافة ٤٣ك.م، بالسفح الجنوبي من جبل التعكر. (المقحفي: معجم المدن،ص٢٠٧).

( )- ابن سمرة: طبقات،ص١٨٧.

( )- إدريس عماد الدين: عيون الأخبار،جـ٧، ص١٢٨-١٣٠.

( )- الحندي: المصدر السابق،حـ١،ص٣٢٦-٣٢٧.

( )- الجندي: المصدر السابق، جـ١، ٢٦٧.

( ) - حقق هذا الكتاب آصف على أصغر فيضي على ، تحت اسم: دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، جزءان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١م.

( )- القاضي النعمان التميمي: تأويل الدعائم، ،جـ١، ص١٢-١٤.

( )- انظر: القاضي النعمان: المصدر السابق،ص١٠، ١٥، ٢٢.

( )- عبد الرحمن بن محمد الوصابي: تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق: محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٦م،ص١٦٩.

( )- الوصابي: المصدر السابق، ص١٦٩.

( )- مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية، ص٤٣٩.

Farhad Daftary The Isma'ilis, p.207. Moncelon. Lada'w Fatimid, www.univ-aix.1990.10.p.

( )- أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩١م، ص٥٩٥.

( )- الخليفة المستنصر الفاطمي:السجلات المستنصرية،سجلات وتوقيعات لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى دعاة اليمن وغيرهم،تحقيق:د.عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي،مصر،١٩٥٤م، ص١٧.

( )- توجه القاضي جعفر بن عبد السلام إلى العراق للأخذ عن علمائها من الزيدية والمعتزلة، وعند عودته جلب معه عدداً كبيراً من كتب الزيدية والمعتزلة، حتى قيل سار وهو أعلم أهل اليمن وعاد وهو أعلم أهل العراق، وكانت عودة القاضي جعفر نقطة تحول في تاريخ اليمن الثقافي بصفة عامة.. حيث تصدى للتدريس والوعظ والمناظرة بسناع.. فالتف حوله الكثير من العلماء الذين أخذوا العلم عنه, وصاروا يمثلون مدرسة قائمة بذاتها. (عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن بين الزيدية والمطرفية، دراسة ونصوص، عين للدراسات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م،ص٣٤).

( )-هو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.(الزحيف: اللواحق الندية بالحدائق الوردية، تحقيق:عبد السلام عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي، الأردن،٢٠٠٢م، ،جـ٢،ص٧٩٩-٨٠٠)، ولد سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م، وبويع له بالإمامة سنة٥٩٣ هـ/١١٩٦م، وتوفي سنة٦١٤ هـ/١٢١٦م.(العرشي: بلوغ المرام، تحقيق:الأب أنستاس الكرملي، مطبعة البرتيري، القاهرة، ١٩٣٩م.، ص٤٠٩).

( )- ترجم له ابن سمرة في طبقاته وذكر بأنه الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن ميمون بن عبد الله بن عبد الحميد بن أبي أيوب الفايشي، ولد في شوال سنة ٤٥٨هـ، ومات في رجب سنة ٥٢٨هـ. بنظر: (ابن سمرة: طبقات،ص١٥٥).

( )- ابن سمرة: طبقات،ص١٥٥، ١٥٧.

( ) - راجع هامش ٩٩، تعريف مرتبة مكاسر من هذا البحث.

( )- ترجم له ابن سمرة في طبقاته وذكر أبرز مشائخه، وذكر انتقاله إلى مكة لتلقي العلم لمدة تزيد عن أربع سنوات، وأنه كان ذا مال كثير التزوج بالنساء. (ابن سمرة: طبقات، ص٩١-٩٢).

( )- انظر: ابن سمرة: طبقات،ص٩١- ٩٣، الجندي: المصدر السابق،جـ١،ص٢٣٠-٢٣١.

( )- تقع هذه القرية قبل الجند على ثلث مرحلة منها،وكانت من القرى العلمية المقصودة لطلب العلم. (الجندي:السلوك،جـ١،ص٢٣٤).

(1) - ترجم له ابن سمرة في طبقاته بأن نسبه يصل إلى قريش، وأنه سكن في سهفنة، ومات فيها سنة ٤٣٧هـ، وأنه لم يدرك دولة علي الصليحي. ينظر: (ابن سمرة: طبقات، ص٨٧).

(1)- الجندي: المصدر السابق،جـ١،ص٢٢٩.

(1) - سهفنة: قرية عامرة تعرف اليوم بسفنة بحذف الهاء قبل الفاء، وتقع وسطاً بين ذي السفال شمالاً والقاعدة جنوباً في الشمال الشرقي من تعز. ينظر: (إسماعيل الأكوع: البلدان اليمانية،ص١٥٧، هامش٢).

(1) - ترجم له ابن سمرة في طبقاته وقال بأنه أخذ عن أبيه وأنه ولد في سهفنة. ينظر: (ابن سمرة: طبقات، ص١٠٠).

(1)- ابن سمرة: المصدر السابق،ص١٢٤.

(1)- ابن سمرة:المصدر السابق،ص٨٩-٩٠.

(1)- انظر: عمارة: المصدر السابق،ص٧٦، ٩٨.

(1)- فاروق أحمد حيدر: التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، مجلة جامعة صنعاء، ٢٠٠٤، رقم٣ ، ص١٤٤.

(1)- عبد الله الحبشي: معجم النساء اليمنيات، دارا لحكمة اليمانية، صنعاء، ط١، ١٩٨٨م،ص٢٢.

(1) - ينظر بتصرف: (عمارة: المصدر السابق، ص٢٢٦، الجندي: السلوك، جـ٢،ص٥١٣، ابن الديبع: قرة العيون،ص٣٥٧)

(1) - الجندي: السلوك، جـ٢،ص٥١٦، ابن الديبع: قرة العيون،ص٣٦٠-٣٦١.

(1)- مصطفى غالب: أعلام،ص٣٤٥، ٣٤٦.

(1)- إدريس: عيون، جـ٧،ص١٥٢.

(1)- عمارة: المصدر السابق،ص٧٦.

(1)- الجندي: السلوك،جـ١،ص٢٣٨.

(1)- ابن سمرة: طبقات،ص١٠٧، الجندي: السلوك،جـ١،ص٢٤٦.

(1)- ابن سمرة: المصدر السابق،ص١٢١، الجندي: المصدر السابق،جـ١،ص٢٦٦.

(1)- ابن سمرة: المصدر السابق،ص١١٧، الجندي: المصدر السابق،جـ١، ص٢٨٧.

(1)- الجندى: المصدر السابق،جـ١،ص٦٣، الأهدل: تحفة الزمن،ص٤٠٨.

(1)- مسلم اللحجي: تاريخ مسلم،ص٥٥، ٥٦.

(1)- ابن سمرة: طبقات،ص١٦٢، الجندي: السلوك،جـ١، ص٢٩٠.

(1)- الجندي: المصدر السابق،جـ١،ص٤٨٠، ترجم له ابن سمرة في طبقاته وقال بأنه كثير المال كثير النفقة على طلاب العلم ويكرمهم، لدرجة أن بعض طلابه كانوا يتجرون له بستين ألف دينار في البحار. (ابن سمرة:طبقات،ص١٤٤-١٤٥).

(1)- ترجم له ابن سمرة في طبقاته فذكر عددا من مشايخه، وأنه سكن في ضراس ودرّس بها، وأخذ عنه عدد من التلاميذ، مات في ذي القعدة سنة ٥٤٩هـ، وهو ابن ثلاث وستين سنة. ينظر: (ابن سمرة: طبقات،ص١٦٠).

(1)- ابن سمرة: المصدر السابق،ص١٤٤، ١٤٥.

(1)- ابن سمرة: المصدر السابق،ص١٤٧، ١٤٨، الجندي: المصدر السابق،جـ١،ص٢٨١، ٢٨٢.

(1)- إدريس: عيون الأخبار،جـ٧،ص٩.

(1)- عمارة: المصدر السابق،ص٦٤، ابن الديبع: قرة العيون،ص٢٢، الجندي: السلوك،جـ١،ص٢٣٤.

(1)- ابن سمرة: المصدر السابق،ص١٨٤.

(1)- عمارة: المصدر السابق،ص١٤٦.

(1)- عمارة: المصدر السابق،ص١٢٦-١٢٧.

([1])- ابن سمرة: المصدر السابق،ص١٦٦، ١٦٧.

(١)-عمارة: المصدر السابق، ص ٣٦، ابن الديبع: قرة العيون، ص ٢٤٨، يحيى بن الحسين : غاية، جـ١، ص ٢٥٥.

(١)-الحريري: دراسات، ص ٢٣٦.

([1]) - حَرْض: وادي مشهور بالشمال الغربي من حجة، ينسب إلى حرض بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير، تقوم على شطة مدينة حرض، وهي مدينة أثرية، ومنها شق طريق الحديدة- جيزان. (المقحفي:معجم المدن،ص١١٦).

(١)-الحريري:دراسات، ص ١٩٦.

(١)-الحريري: دراسات، ص٢٠٦.

([1])- ابن سمرة: المصدر السابق،ص١٤٥.

([1])- فاروق حيدر: التعليم،ص١٣٩.

([1]) - هو أستاذ حبشي من موالي الزريعيين، وكان تقياً عاقلا ذكياً عاملاً عالماً حافظاً فقيهاً مقرئاً يكنى أبا الدر، وينسب إلى سيده الداعي المعظم محمد بن سبأ بن أبي السعود الزريعي، له مصنفات كثيرة في القراءات والحديث والوعظ. ينظر: (ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص٢٢٦،هامش٦).

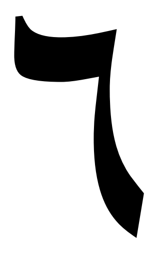
([1])- عمقة: عزلة من مخلاف عمّار وأعمال النادرة، محافظة إب. (المقحفي: معجم المدن،ص٢٩٨).

([1])- الجندي: السلوك،،جـ١،ص٣٨٣، ٣٨٦.

مذاهب العلماء في التفسير العلمي

د/ سلطان زايد ملاطف

أستاذ مساعد-كلية التربيةجامعة عمران



الملخص

لقد تناول المفسرون تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم منذ أن بدأت حركة التفسير وتنوعت مناهج المفسرين في تفسيرها سواء فسروها بالمأثور أو بالرأي بناء على معارف عصرهم أو التزاماً بدلائل النص، فإذا اعتمد المفسر في تفسيرها على المعارف الإنسانية كان هذا نوعاً من الاجتهاد وهو التفسير العلمي بغض النظر عن صواب هذا التفسير أو خطأه، ولكن هذا النوع من التفسير اشتهر في العصر الحديث كونه عصر العلم وانطلق المفسرون للاستفادة من مكتشفات العلم في تفسير القرآن الكريم وهنا نجد العلماء بين مجيز ومانع ولكل وجهة نظر وحجة يحتج بها، وفي هذا البحث أراد الباحث أن يتناول مذاهب العلماء في التفسير العلمي وحكم التفسير العلمي عندهم وحجج وأدلة كل فريق ومناقشة هذه الأدلة ليصل الباحث بعد ذلك إلى ترجيح القول في هذه المسألة؛ ولأن تعريف التفسير العلمي له دور في الحكم عليه فقد بدأ الباحث به في هذا البحث.

وقد توصل الباحث من خلال العرض العلمي لمباحث هذه المسألة ومطالبها إلى جواز التفسير العلمي بضوابط كغيره من أنواع التفسير بل إنه يحتوي على فوائد عظيمة سواء في تفسير النص، أو في توجيه الأمة للبحث العلمي بهدي من القرآن الكريم أو في الدعوة إلى الله كذلك، كما أن في هذا اللون من التفسير إظهار لإعجاز القرآن في عصر العلم والكشوف الحديثة وتجديد لمعجزة النبي الخاتم ﷺ، كما أن فيه حجة بالغة على أنه من عند الله الذي يعلم السر وأخفى، وفيه تصديق وتحقيق لوعد الله القائل : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)( ).

مقدمة:

(الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ)().

والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)() ، القائل : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ)() .

وبعد ...

فإنه من المعلوم أن الله ﷻ أنزل القرآن الكريم كتاب هداية وتشريع للناس، يهديهم إلى سواء السبيل، فيرسخ علاقة الإنسان بخالقه، ويرسي عقيدة الإيمان بوجوده، ويشرع لهم ما تستقيم به أمورهم، وتتحقق به مصالحهم، ويدرأ به الفساد عنهم، وتنتظم معه شؤونهم الخاصة والعامة في حياتهم على أكمل وجه.

كما تضمن القرآن الكريم أنواعاً مختلفة من العلوم، وأوجها متعددة من الإعجاز، يدل إلى أنه منزل من عند الله، نزل بعلمه وتضمن علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، وسواء أدرك الناس هذا العلم وقت نزوله، أو تكشف لهم على أزمنة متفرقة عبر العصور، فهو كتاب هداية كما أنه كتاب علم بما تضمن، لأنه أنزل بعلم الله، الذي يعلم السر في السموات والأرض المحيط بكل شيء علماً، ويكفي أن القرآن الكريم قد ضم من الآيات القرآنية الكونية ما يزيد عن سبعمائة وخمسين آية على ما أحصاها بعضهم، ومن خلال هذا يتبين لنا اهتمام القرآن بالعلم والعقل معا، وقصورنا في هذا الجانب مقارنة بالجهود والاهتمام بكتب الفقه، التي وصلت إلى مئات الكتب، في حين أن عدد آياته الصريحة في الفقه والأحكام لا تزيد على مائة وخمسين آية().

ومن أهم السبل التي سلكها لمعرفة علومه، وتأويل أنباءه، وتصديق أخباره، وكشف أسراره، والوقوف على ألوان إعجازه، دعوته العريضة للنظر في ملكوت السموات والأرض، واستكشاف أسرار الخلق، وتحسس آثار القدرة الإلهية، وإدراك بصماتها في كل حركة وكل سكنة في هذا الكون الفسيح، فمن أجل ذلك كله تعددت الآيات القرآنية الكونية، التي تدعوا للتفكر وتحث على التدبر وتحض على التأمل، فيما خلق الله في هذا الكون من أصغر شيء فيه إلى أكبر شيء فيه،

ثم ما في هذه المنهجية العلمية من اهتمام القرآن بالعقل، وإعلاءه من شأنه، حتى يتحرر من ربقة التقاليد البالية، والموروثات الخالية التي لا تمت للحق والعقل بصلة، فلهذا جعل القرآن الكريم التفكر عبادة، والعلم تسبيح، وهو واجب على كل مسلم وكل مستطيع في مجاله،

ولهذا كان لزاما على المسلمين، أن يسعوا في إظهار تحقيق وعد الله للناس عن تأويل أنباء كتابه في الآفاق وفي الأنفس، وكشف أسرارها في ملكوت الله، وتصديق تلك الأنباء وتأويلها بالعلم المتكشف للناس في كل عصر. فإن في هذا حجج ظاهره وبراهين ساطعة وأدلة قاطعة على أن خالق هذا الكون هو الله، وأنه عليم محيط بأسراره، وأن تلك الأنباء والعلوم التي تضمنها القرآن عن أسرار الخلق والملكوت صادقة، وأن هذا القرآن منزل من عند الله الخالق العليم بأسرار ما خلق، أنزله على آخر أنبياءه ورسله رحمة وهداية للعالمين.

ومن المعروف أن القرآن قد حظي بلونين من التفسير، التفسير النقلي أو المأثور وهو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة تبايناً لمراد الله من كتابه، أقوال التابعين على خلاف هل يعد من المأثور أو من التفسير بالرأي. والتفسير العقلي أو ما يسمى بالتفسير بالرأي، فأما التفسير الأول فمع كثرته واهتمام العلماء به، إلا أنه غير كاف في التأويل، من جهة أن القرآن تضمن أنباء وإشارات، حجب الله معرفة تأويلها على الناس وقت تنزل الوحي، بل أخبر أن معرفة تأويلها والإحاطة بعلمها لن يكون إلا بعد حين، وفي المستقبل، وفي أزمنة متفرقة، فاللفظ معروف لكن حقيقة المعنى وتصورها مجهولة. فتأويلها غير متعلق بالمأثور بل بالزمن وما سيتكشف خلاله من تأويل للنصوص، وبناء عليه فإنه لا بد من التفسير بالعقل والاستفادة من العلم والمعارف الإنسانية للكشف عن تأويل تلك الأنباء التي تضمنتها النصوص،

وأما التفسير الثاني: وهو التفسير بالرأي، فمع ما شابه من شطط وتطرف وتمحل وتأويل فاسد وباطل للنصوص في كثير من الأحيان، على يد أصحاب الفرق الإسلامية، فمنه ما هو مذموم مرفوض، ومنه ما هو جائز مقبول،فلا يمنع من قبوله بعد تمحيصه، والقول بمشروعيته إذا التزم بقواعد التفسير، وخلا من أي مانع صريح أو غالب، من دلالة شرعية أو لغوية أو توفيقية، فقد جعل الله القرآن كتاب الأمة كلها، وفيه هديها ودعاهم إلى تدبره، وبذل الجهد في كشف أسراره واستخراج معانيه في أكثر من آية.

وإذا كانت المعارف الإنسانية المعاصرة للمفسر، تتغير وتتطور ، وتتكشف من خلالها أسرار الخلق والتكوين، ثم تتحول بدورها إلى معارف جديدة تنكشف بواسطتها معارف أخرى وهكذا، فإن المعارف المعاصرة للمفسر تؤثر تأثيرا بالغا في تفسيره للقرآن الكريم، فهي تتحكم بعقله ومن ثم تفسيره، وعلى مستوى تلك المعارف ودرجات قوتها وصحتها يقترب المفسر من حقيقة التأويل لتلك النصوص أو يبتعد، وإذا كانت عجلة العلم والمعرفة قد دارت دورتها التاريخية، ودارت في عصرنا دورة كبيرة وسرَّعت من سيرها بشكل متسارع وغير مسبوق وبصورة تفوق الخيال. فإنها قد كشفت كثيرا من الأسرار المجهولة في كل مجالات العلوم. فلا ينبغي لنا أن نقف منها موقف المبهور المتبلد، بل يجب أن نستفيد منها في تأويل أنباء القرآن و السير خلالها لكشف أسراره المكنونة.

وإذا كان التفسير بالرأي جائز ومشروع، فإن التفسير العلمي لون من هذا التفسير، بل هو أوثق وأقوى وأدق وأثبت وأرقى من التفسير بالرأي المجرد، لأنه مدعم عند أصحاب هذا المنهج. أو كذا يجب أن يكون

. بالأدلة العلمية المبنية على منهج البحث العلمي السليم، سواء أكانت حقائق يقينية ثابتة، أو نظريات قوية راجحة، فليس هناك ثمة ما يمنع من الاستفادة بالنظريات العلمية في توضيح آية من كتاب الله ما دامت الآية القرآنية تحتملها وتدل عليها ولا تتعارض مع النصوص.

"وقد أثبت التفسير العلمي للآيات الكونية، في أغلب جوانبه إعجازا جديدا، أو وجها جديدا من وجوه الإعجاز، التي يتحدى الله بها البشر في كل زمان ومكان ليثبت صحة القرآن وصدق النبي الأمي المرسل به، ويظهر هذا الدليل الجديد بمجرد النظر إلى تلك التفاسير القديمة، على جلالة قدرها، وعلو شأنها، ولا يعني هذا مطلقا، أننا ننعى على القدماء قصورهم فيه، لأن ذلك هو مبلغهم من العلم"().

ولأن هذا اللون من التفسير بحاجة إلى مزيد دراسة للوقوف على مزاياه وخصائصه وأهميته ومجالاته، ومعرفة أدواته ومراتبه وشروطه وضوابطه، وأراء المجيزين له والمعارضين له، وقد شحت الدراسات التي تفي بهذا الغرض وتبحثه من جهة تأصيلية، فقد قصرت البحث على حكم التفسير العلمي ومذاهب العلماء فيه. وتناولته في مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التفسير العلمي

المبحث الثاني: مذاهب العلماء في التفسير العلمي

المبحث الثالث: حكم التفسير العلمي

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الباحث

المبحث الأول: مفهوم التفسير العلمي

المطلب الأول

تعريف التفسير العلمي

أ. مفهوم العلم:

يقول أحد الباحثين المعاصرين[7] : " لقد صارت كلمة العلم مع تطور الزمن ذات مدلولين، فقديما كان مدلولها العلم القائم على العلوم الدينية وما يتفرع عنها من علوم التوحيد وعلم الفقه وعلم التفسير وعلم اللغة والبلاغة وعلم الحديث إلى غير ذلك من العلوم المتصلة بالدعوة الإسلامية وتاريخها وقرآنها وأحاديثها النبوية، وكان الدارسون لهذه العلوم هم العلماء والفقهاء وأهل العلم وقتئذ، كانوا هم قادة الفكر والرأي والعلم قبل عصرنا هذا، ويقول الإمام الغزالي في هذا الموضوع: إن العلم المقصود هو العلم بالله وصفاته وملائكته ورسله وملكوت السماوات والأرض وعجائب النفوس الإنسانية والحيوانية من حيث أنها مرتبة بقدرة الله لا من حيث ذواتها لأن المقصود الأقصى هو العلم بالله، وأما العمل فمقصود به أساسا مجاهدة الهوى حتى تزول الحوائل التي ربما أعاقت الإنسان عن العلم بالله تعالى.

أما مدلول العلم حديثا فإنه يختلف عن المعنى القديم المشار إليه سابقا، إذ ظهر من وقت قريب جماعة تقول عن عصرنا الحاضر: إنه عصر العلم والعمل ويقصدون بذلك أن العلم بمفهوم عصرنا هو العلم الطبيعي القائم على دراسة ما في الكون من مواد وعناصر وكائنات لها خصائصها الذاتية ونواميسها التي تحكمها من كيمياء وطبيعة وميكانيكا وغير ذلك من علوم الطب والرياضة والفلك وما يتضمنه ذلك من حقائق كونية، وأن العمل في إطار هذا المفهوم للعلم فهو تطبيق العلم عمليا باستعمال الأجهزة والأدوات والوسائل الأخرى الحديثة من مختبرات ومراصد وتجارب واستنباطات منطقية وغير ذلك: وفى ضوء هذين المدلولين للعلم يرى المفسرون العصريون لآيات القرآن أنه من الضروري أن يشتمل تفسيرهم الناحيتين الدينية والعلمية ودون الاكتفاء بناحية واحدة منهما"؛ فإذاً المقصود بالعلم في هذا المقام العلم التجريبي.

ب. وتعريف العلم في الاصطلاح :

هو إدراك الأشياء على حقائقها[8] . أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً [9] .

ج. تعريف التفسير العلمي:

عرف التفسير العلمي بعدد من التعريفات منها:

١. هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن، يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان [10] .

٢. هو الكشف عن دلائل نصوص الوحي من خلال العلوم والمعارف العلمية الراجحة، الموافقة لها والتي لا تتعارض معها.

هذا التعريف يصلح أن يكون تعريفا للتفسير العلمي بشكل عام، لأنه يتناول أنواع التفسير العلمي وهو ما فسر بحقيقة علمية أو قانون علمي ثابت، وهو ما اصطلح عليه بالإعجاز العلمي، وما فسر بنظرية علمية أو دونها، والذي لا يرقى إلى الإعجاز العلمي وإنما يبقى في إطار التفسير العلمي غير المقطوع به؛ فهذا التعريف لا يفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي بهذا المعنى؛ لأنه لم يحدد نوع الاكتشاف العلمي عما إذا كان نظرية علمية أو حقيقة علمية.

٣. هو التفسير الذي يحاول أن يرد ما في القرآن من نظرات ولمحات إلى ما يفسرها ويوضحها في ضوء العلم الحديث ومكتشفات الاختراع لإظهار التوافق بين تلك الإشارات وبين العلوم الحديثة كالطب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم، وذلك تطبيقا لدعوة القرآن للنظر في ملكوت السموات والأرض وتأمل النفس الإنسانية التي أودع الله فيها أسرار قدرته ودلائل عظمته، ولنفي المعارضة الموهومة بين القرآن والعلم"([11]).

وهذا التعريف كالذي قبله.

٤. هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها([12]).

هذا التعريف أضعف مما قبله وهو تعريف المعترضين على التفسير العلمي مثل الدكتور محمد حسين الذهبي ممثل المنكرين للتفسير العلمي، ولا يصح هذا تعريفاً للتفسير العلمي الصحيح المنضبط، لأن هذا إذا صح، تمحل على القرآن الكريم وتحميله مالا يحتمل من المعاني والعلوم والآراء المختلفة التي لا تمت للنص القرآن بصلة، وليس بينها وبينه أي رابط، وإن كان هناك من المفسرين من حاول إقحام القرآن في كل العلوم والمعارف والآراء، حتى لو لم يكن بينها وبين النص أي توافق أو تطابق، أو ترابط أو تقارب، وعما إذا كانت تلك المعارف والعلوم والآراء حقائق ثابتة أو فرضيات متبدلة، وهذا اللون من التفسير غير جائز .

٥. هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية ([13]).وهذا التعريف يخرج الإعجاز العلمي الذي تعلق بالحقائق العلمية، مع أنه أعلى درجات التفسير العلمي.

٦. هو الكشف عن معاني ودلائل النصوص (قرآنا وسنة) بما يتوافق معها من المعارف والمكتشفات العلمية.

وهذا التعريف هو الأدق والأصوب باعتبار أن التفسير العلمي عام، يتناول تفسير النص بالنظرية وما دونها وهي الفرضية، وهو تفسير ظني، كما يتناول تفسيره بالحقيقة والقانون أو القاعدة العلمية الثابتة، وهي التفسير القطعي الذي يثبت إعجازاً للنص، وهو ما يصطلح عليه بعض العلماء والباحثين بـ(الإعجاز العلمي).

المطلب الثاني
درجات الاكتشافات العلمية ومراحلها

ولأن التفسير العلمي هو عبارة عن تفسير النص القرآني في ضوء المعارف والكشوف العلمية، ونعني بالمعارف تلك التي تقبل القياس وتدخل ضمن مناهج البحث العلمي لا تلك المعارف التي لا يمكن إخضاعها لمناهج البحث العلمي كالعلوم الفلسفية التي لا تستند إلى أي برهان علمي قابل للقياس أو التجريب، وهذه المعارف والعلوم العلمية التي أنتجتها الأبحاث العلمية ليست على درجة واحدة من القوة ولا بد من بيانها حتى نعرف بدرجتها ووثوقها من وجهة النظر العلمية في تفسير النص؛ فإن الاكتشاف العلمي يمر عبر مراحل، ويتنقل على درجات مختلفة بين الضعف والقوة والقبول الرفض والصحة والخطأ. فيبدأ بفرضية ثم إذا توافرت لها الأدلة والبراهين التي تدعمها على غيرها تحولت إلى نظرية فإذا ما ثبتت بالدليل القاطع والبرهان الساطع الذي لا يقبل الجدل، أو أصبحت مشاهدة أو من جنس المشاهدة أصبحت حقيقة علمية أو قانون علمي. وهو ما سنبينه في هذا المطلب.

أولاً الفرضية :

أ. الفرض لغة: التقدير، والفرض: الحز في الشيء[[14]] وأصل الفرض القطع، ومنه أخذ فرض النفقات، وهو بيان مقاديرها، وكذلك فرض المهر، قال الله تعالى : (أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً)[[15]]، ومثله فرض الجند، وهو ما يقطع لهم من العطاء، وقيل: الفَرْض هاهنا بمْعنى التقّدير: أي قَدَّر صَدَقة كلّ شيء وبَيَنَّه عن أمر الله تعالى. وإنما تأولناه على فرض التقدير دون فرض الإيجاب والإلزام "[[16]] .

ب. والفرضية في الاصطلاح: هو تخمين واستنتاج ذكي يصوغه ويتبناه الباحث مؤقتاً، لشرح بعض ما يلاحظه من الحقائق والظواهر[[17]] .

فالفرضية قد تكون مبدأ النظرية، فهي أوهى منها؛ لأنها احتمالٌ، في تفسير شيء معين، أو ظاهرة معينة. ومثالها ، فرضية الثقوب السوداء، وفرضية تلاشي الكون، ونظرية الارتداد العظيم وهي التي تسمى (النظرية الكمومية الحقلية). وهذه الثلاث الفرضيات هي المطروحة في نهاية الكون، في إطار نظرية الانفجار العظيم[[18]].

ثانيا: النظرية العلمية :

أ. النظرية لغة: مأخوذة من النَّظَر: ويقال : نَظَره يَنْظُره نَظَراً و مَنْظَراً ومَنْظَرة ونَظَر إِليه. و المَنْظَر: مصدر نَظَر. تقول العرب: نَظَر يَنْظُر نَظَراً، وتقول: نَظَرت إِلى كذا وكذا مِنْ نَظَر العين و نَظَر القلب، وهو: الإبصار والتأمل والتدبير والتقدير؛ ومن معانيه: التوقع؛ يقول القائل للمؤمَّل يرجوه: إِنما نَنْظُر إِلى اللَّه ثم إِليك أَي إِنما أَتَوَقَّع فضل اللَّه ثم فَضْلك.

ومن معانيه: الانتظار والإمهال والتأخير؛ تقول: انْظُرُونا، أي انْتَظِرُونا، وأَنْظِرُونا معناه أَخِّرُونا؛ وقال الزجاج: قيل معنى أَنْظِرُونا انْتَظِرُونا أيضاً؛ ومنه قول الشاعر([19]):

أَبـــا هِنْـــدٍ فـــلا تَعْجَـــلْ علينـــا ... وأَنْظِرْنـــا نُخَبِّـــرْكَ اليقِينـــا

وقال الفراء: تقول العرب أَنْظِرْني أَي انْتَظِرْني قليلاً، ويقول المتكلم لمن يُعْجِلُه: أَنْظِرْني أَبْتَلِع رِيقِي أَي أَمْهِلْنِي.

ومن معاني النظر: المجاورة والمقاربة؛ تقول العرب: دُور آل فلان تنظُر إِلى دُور آل فلان أَي هي بإِزائها ومقابِلَةٌ لها. وتَنَظَّر: كنَظَر. والعرب تقول: داري تنظُر إِلى دار فلان، ودُورُنا تُناظِرُ أَي تُقابِل، وقيل: إِذا كانت مُحاذِيَةً([20]).

ب. مفهوم النظرية العلمية:

النظرية العلمية هي عبارة عن بنايات علمية وليست مجرد أفكار خيالية، فهي ليست صورة حديثة للمناظرات القديمة اللاهوتية عن عدد زوايا رأس الدبوس، فالنظريات تثبت أو تسقط بالاختبارات العلمية.

كما أن هناك تبادل بين قسمين من علماء النظريات، هما: صاحب النظرية، والقائم بالتجربة العلمية. فصاحب النظرية يرتب الاكتشافات العلمية السابقة في صورة نظرية، قد تتنبأ أو تفترض وجود أو اكتشاف معلومات جديدة تقتضيها بنية النظرية. أما القائم بالتجارب العملية والدراسات الاستكشافية، فيحاول أن يكشف تلك المعلومات التي تنبأت النظرية بوجودها، ولكنه قد ينتهي باكتشاف شيء مختلف تماما لم يسبق التنبؤ به على الإطلاق، وفي هذه الحالة يجب على صاحب النظرية أن يشرح هذه الاكتشافات الجديدة إما في نظرية معدلة أو في نظرية جديدة تماما. وذلك كنظريات الجسيمات الدقيقة، وكاكتشاف إشعاع الخلفية الكونية التي تنبأت بها نظرية الانفجار العظيم التي تفسر نشأة الكون، والتي قوت النظرية بينما كانت المسمار الأخير في نظرية الحالة المستقرة.

ومما يدل على تقدم العلم، أنه في الزمن القديم جداً، كان العلماء يدعون أنهم مسيطرون، تماما على التجربة والنظرية معاً، أما الآن فالتخصص هو السائد، على الرغم من أن أصحاب النظريات والقائمين بالتجارب مازالوا يحتاجون أن يقدروا الدور الذي يقوم به كل منهم للآخر، حيث أن عمل كل منهم مكمل للآخر([21]).

ج. تعريف النظرية العلمية في الاصطلاح:

١. هي توضيح علاقة الأثر والسبب، بين المتغيرات؛ وذلك لشرح ظواهر معينة.
٢. أو هي تفسير راجح غير جازم لظاهرة غامضة، مبني على شواهد ودلائل علمية، قابل للتعديل أو النقض.

٣. أو هي تفسير موضوعي غير جازم لظاهرة معينة أو ظواهر مختلفة مبني على أدلة وبراهين علمية مترابطة، وتتنبأ بفرضيات جديدة.
٤. أو هي : تفسير لظاهرة أو عدد من الظواهر الغامضة، تؤيده الأدلة والبراهين والشواهد والقرائن العلمية، وتتضمن فرضيات جديدة تتنبأ بها.

وكل هذه التعريفات صحيحة ومتقاربة، والنظريات مراتب بحسب قربها وبعدها من الحقائق.

فبعد أن يقوم الباحث بجمع القرائن والشواهد والدلائل العلمية لظاهرة ما، ويقوم بتوصيفها وتصنيفها وتحليلها، ومن ثم يقوم بتفسيرها تفسيرا منطقيا منسجما ومتناسقا بينها ومعها، ويستنبط منها استنتاجا أو تعميما متماسكا، ويتنبأ بفرضيات جديدة قائمة على التفسير في ضوء الأفكار العامة للنظرية.

والنظرية العلمية تكون قابلة للتعديل أو التبديل، فهي ليست قوانين أو حقائق ثابتة، بل هي تعميمات تدعمها أفضل البراهين العلمية المتاحة، ومهما كانت النظرية تقوم على أساس جيد من الملاحظات الدقيقة للحقائق المعروفة التي استندت إليها ستظل متمشية مع ما يعرفه العلماء المختصون في زمانها. " وأقوى النظريات هي تلك التي تقدم شرحاً أكثر منطقية لتلك الملاحظات"[[22]] .

وقد سميت نظرية؛ لأنها مبنية على النظر والتأمل، في تفسير ظاهرة معينة، والانتظار والتمهل في القطع بذلك التفسير، حتى يثبت صحته، بالدلائل القطعية، فتصبح حقيقة علمية، أو يتبين خطؤها ويحل غيرها محلها.

وأحيانا تبدأ النظرية على الافتراض والتخمين لتفسير أمر ما، أو ظاهرة معينة، ثم تتطور هذه الفرضية بعدد من الشواهد والدلائل، إلى أن تصبح نظرية، ثم إما أن تتأكد هذه النظرية بالدلائل والشواهد العلمية القوية القطعية إلى أن تصبح حقيقة علمية؛ وإما أن يظهر خطؤها وتنهار بناء على شواهد ودلائل علمية قوية تأتي بنقيضها، أو تعديلها ؛ وعليه فالفرضية أوهى من النظرية، وأحياناً تكون مبدأ النظرية فرضية.

"ومن هنا فإن النظرية السليمة التي يتم الوصول إليها في دراسة علمية، لا يمكن اعتبارها حقيقة نهائية، وإنما تمثل أفضل إجابة يمكن الوصول إليها، وهي قابلة للتغيير وإحلال أخرى محلها، ولذا كان من ضوابط الإعجاز وجود الحقيقة العلمية الناصعة، وعدم ربط آي القرآن الكريم بالنظريات القابلة للتبديل والتغيير إلا ما ترجح منها وكان موافقاً للنص"[[23]] .

ثالثا: الحقيقة العلمية:

أ. الحقيقةُ في اللغة: تقول حق الأمر يحِق ويحُق حقاً وحقوقاً، إذا صار حقاً ثابتاً[[24]]، وتحقق عنده الخَبَرُ أَي صحَّ. وحققَ قوله وظنَّه تحقيقاً أَي صدَّقَ. وكلامٌ مُحَقَّقٌ أَي رَصِين؛ قال الراجز: دَعْ ذا وحَبِّرْ

مَنْطِقاً مُحَقَّقا؛ والشيء المتحقق وجوده[25]، وأصله المطابقة [26]. والحَقُّ: صِدْق الحديثِ. والحَقُّ: اليَقين بعد الشكّ وأَحقَّ الرجلُ: قال شيئاً أَو ادَّعَى شيئاً فوجب له؛ و استحقَّ الشيءَ: استوجبه؛ وفي التنزيل: (فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً)[27]، أَي استوجباه بالخِيانة، وأَحقَقْت الشيء أَي أَوجبته. وفي التنزيل:(ولكن حَقَّ القولُ مني)[28]. أَي وجَب ولَزِم، والحق نقيض الباطل، فالحقيقة مفردة وجمعها حقائق.

وعرفها الراغب الأصفهاني بقوله: الحقيقة تستعمل تارة في الشيء ثبات ووجود[29]، أو هو الشيء الثابت قطعاً ويقيناً[30] , والتاء فيها للتأنيث .

وأما العلمية : فهي صفة للحقيقة، والعلم نقيض الجهل[31] .

وقد سبق تعريف العلم في الاصطلاح: والمقصود به في هذا المقام العلم التجريبي، وعليه فتعرف الحقيقة العلمية بما يلي:

ب. تعريف الحقيقة العلمية في الاصطلاح:

هي تفسير جازم . لظاهرة معينة أو أكثر . ثبت صحته بالأدلة العلمية القاطعة[32] وأجمع عليها كافة العلماء المختصين. كاكتشاف إشعاع الخلفية الكونية، وإثبات تباعد المجرات وتوسع الكون، التي افترضتهما نظرية الانفجار العظيم مما عزز صحة هذه النظرية المفسرة لنشأة الكون. أو كحقائق الأطوار التي يمر بها الجنين في بطن أمة.

أو هي كما عرفها بعضهم: المفهوم الذي تجاوز المراحل الفرضية والدراسات النظرية حتى أصبح ثابتاً مجمعاً عليه من قبل كافة العلماء المختصين، كتمدد المعادن بالحرارة، وانكماشها بالبرودة، وتبخر الماء عند درجة مئوية تحت الضغط الجوي العادي، وتجمده عند درجة الصفر المئوي[33].

المبحث الثاني

مذاهب العلماء في التفسير العلمي

مقدمة:

للعلماء والمفسرين قديما وحديثا مذاهب على اشتمال القرآن للعلوم والمعارف الإنسانية والكونية، فقد تفاوتت آراؤهم في ذلك بين موسع جعل القرآن موسوعة معارف غير متناهية حتى كاد أن يخرجه عن مهمته الأساسية في الهداية والتشريع، وبين مضيق أنكر أي علاقة له بالعلوم والمعارف قاصرا دوره في الهداية والتشريع، وبين طرف وسط تقيد بما جاء في القرآن من كونه كتاب فيه علم الله الذي أراد أن يطلع العباد عليه تدليلا على صدقه وإثباتا لإعجازه وكشفا لأسرار آياته المخلوقة، حتى تقام به الحجة في الهداية والتشريع، فهو كتاب علم وهداية وإعجاز وتشريع. ويمكن حصر مذاهبهم في المسألة بين موسع ومضيق ومقيد، وهو ما سنستعرض بيانه في هذا المبحث مع مناقشة أدلة كل فريق ونقرر ما نراه راجحاً في المسألة في المطالب التالية:

المطلب الأول : الموسعون القائلون: باشتمال القرآن لكل العلوم.

المطلب الثاني: المضيقون القائلون : بأن القرآن لا علاقة له بالعلوم.

المطلب الثالث: المقيدون : القائلون باشتمال القرآن على علم الله

المطلب الرابع: مناقشة الأقوال

المطلب الخامس : القول الراجح وأدلته

المطلب الأول

الموسعون القائلون باشتمال القرآن على كل العلوم

من يرى اشتمال القرآن على كل العلوم والمعارف، وأن ما من شيء إلا وهو مذكور في القرآن ولو بوجه ما، وهؤلاء يستدلون بعموم النصوص مثل قوله تعالى: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ)[34] ، وقوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)[35] .

وممن اشتهر عنهم هذا القول الإمام الغزالي والسيوطي، ومن المعاصرين طنطاوي جوهري.

يقول الغزالي في الفصل الخامس تحت عنوان انشعاب سائر العلوم من القرآن:" ولعلك تقول: أن العلوم وراء هذه كثيرة كعلم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه وعلم السحر والطلسمات وغير ذلك. [إلى أن قال بعد أن عدد كثيراً من العلوم] .... ولو ذهبت أفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال ولا تمكن الإشارة إلا إلى مجامعها وقد أشرنا إليه حيث ذكرنا أن من جملة

معرفة الله تعالى معرفة أفعاله فتلك الجملة تشتمل على هذه التفاصيل وكذلك كل قسم أجملناه لو شعب لانشعب الى تفاصيل كثيرة فتفكر في القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين وجملة أوائله وإنما التفكر فيه للتوصل من جملته الى تفصيله وهو البحر الذي لا شاطئ له([36])

وقال السيوطي: " ذكر القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب قانون التأويل إن علوم القرآن خمسون علما وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة قال بعض السلف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وهذا مطلق دون اعتبار تراكيبه وما بينها من روابط وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله عز وجل([37])

وقال بعض العلماء: العلوم المستخرجة من القرآن ثمانون علما ودون فيها كتب. وعن الإمام الغزالي عن بعضهم : إن القرآن يحتوي سبعا وسبعين ألف علم ومئتي علم كذا ذكره في الباب الرابع من كتاب آداب التلاوة من أحياء العلوم وقد قيل: جميع العلم في القرآن لكن ... تقاصر عنه أفهام الرجال ([38])

المطلب الثاني
المضيقون

والفريق الثاني:

هم القائلون بأن القرآن الكريم هو كتاب هداية وتشريع فقط، ولا علاقة له بالعلوم المختلفة ، ومنهم الإمام الشاطبي الذي رد على أصحاب القول الأول في الموافقات في بيان قصد الشارع، في وضع الشريعة للإفهام حيث قال: " أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدَّ ؛ فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين ، أو المتأخرين ، من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون، من أهل الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح .

وفيما بعد: ادعى الشاطبي أن المعاني، التي لا عهد للعرب بها، غير معتبرة فقال: "وربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى: **(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)**(النحل:٨). وقوله**(مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)**(الأنعام:٣٨) .ونحو ذلك ....، فأما الآيات فالمراد بها ، عند المفسرين : ما يتعلق بحال التكليف والتعبد، أو المراد بالكتاب في قوله: **(مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)**(الأنعام:٣٨) اللوح المحفوظ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع تلك العلوم النقلية والعقلية "..." فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه ، كما أنه لا يصلح أن ينكر منه ما يقتضيه ، **ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه، على كل ما يضاف علمه، إلى العرب خاصة**، فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغير ما هو أداة له، ضل عن فهمه، وتقول على الله ورسوله فيه، والله أعلم وبه التوفيق"([39]) .

المطلب الثالث
المقيدون

لما كانت رسالة القرآن الرئيسية ومهمته الأولى هي هداية الناس إلى الله تعالى وإلى دينه الحق وإرشادهم إلى مصالحهم في الدنيا والآخرة بمنهجه القويم، كان لا بد وأن يتضمن . لإثبات هذا الحق .، على الدليل القاطع والبرهان الساطع والحجة البالغة، القائمة على العلم الحق ،قال تعالى: (أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ)[40] .

ومن هنا كان القرآن كتاب علم وإعجاز، فيما تضمنه من علم الله الذي أراد أن يطلع العباد عليه، والمتعلق بأسرار الخلق والتكوين في الأنفس والآفاق وحكم التشريع، وما في إظهار ذلك من البينات المعجزات والحجج الواضحات قال تعالى: (لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)[41] وقال تعالى: (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[42] ؛وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[43] .

- وهو العلم الذي كذب به المشركون لعدم إحاطتهم به وعدم تمكنهم من معرفة تأويله وكشف حقائقه وأسراره، التي ستتحقق وتنكشف في المستقبل، كما قال تعالى: (بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)[44]،
- وهو العلم الذي وعد الله بمجيء تأويله وتصديق أنباءه و ظهور حقائقها وانكشاف أسرارها في المستقبل، قال تعالى : (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)[45] . أي ولتعلمن أيها الناس صدق أنباء كتابنا وصدق دلائل آياته في الآفاق والأنفس وأنها حق[46] ؛
- بعد حين أي في المستقبل ولا حد للحين عند العرب، وإنما هو مطلق يصدق على كل وقت، وقد بين الله هذا الحين الذي يظهر فيه تصديق كتابه وانكشاف أسرار أنبائه ، بأن لكل نبأ حين معين خاص به ومستقر تنكشف فيه حقيقته . قال تعالى : (لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)[47] . أي: لكل خبر في القرآن حين وزمن ينكشف فيه ويستقر تأويله بانكشاف حقيقته ومعناه والمراد منه، أي وسوف تعلمون أيها المكذبون، صحة ما أخبر به. كما قال تعالى:(لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)[48]،

و عندما يتحقق تأويل آيات الله المنزلة التي تتضمن علمه بآياته الكونية، وتنكشف آياته الكونية مصدقة ومطابقة لأنباء آياته المنزلة، يتحقق وعد الله ويظهر إعجاز كتابه المتمثل في سبقه للعلوم البشرية في كشف حقائق الكون وأسرار الحياة، قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[49] . و قوله تعالى : (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا)[50] .

ففي الآية الأولى والثانية: وعدٌ من الله تعالى ، بأن يرينا آياته في الآفاق والأنفس، ويكشف لنا تأويلها ، فنعرف المقصود منها، فالحمد لله على هذا الوعد، وتلك الرؤية، وذلك الكشف.

- ولقد زخر القرآن الكريم في معرض حديثه عن السماء والأرض والحياة والأحياء، بأنباء وأسرار لم يكشف عنها وتتجلَّ حقائقها وكيفياتها إلا بعد تقدم العلوم وتطور الإمكانات في هذا العصر، تحقيقاً وتصديقاً لوعد الله القائل: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)([51])، فهذه الآيات التي وعدنا الله سبحانه بأن سيرينا إياها في الآفاق والأنفس، والتي أودع الله نبأها في كتابه، لم يتبين تأويلها، ويتضح تفسيرها وقت نزول القرآن، سيتبين تأويلها ولو بعد قرون.

وعلاوة على هذا فقد حمل القرآن بين ثناياه إشارات معجزة إلى حقائق علمية مبثوثة في الأنفس والآفاق، لتكون إشارات هادية ونبراساً منيراً يوجه من خلاله إلى البحث والاستقصاء لمزيد من التفاصيل والأسرار، ولا يمكن للقرآن أن يوجه بشيء يعود عليه بالتشكيك أو التكذيب، أو عندما يتحدث عنه تكون النتيجة مناقضة لما نطق به أو دل عليه، ولا ينتفي هذا التناقض إلا إذا كان الوصف القرآني لهذا الكون متفقاً مع ما هو عليه من حقيقة خلقه، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ([52]) ، وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ([53]) ، وقال تعالى:(لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ)([54]) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: " فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب، وهو القرآن العظيم؛ ولهذا قال:(أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ) أي أنزله وفيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل"([55]) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإن شهادته بما أنزل إليك هي شهادته بأن الله أنزله بعلمه، فما فيه من الخبر هو خبر عن علم الله، ليس خبراً عمن دونه، وهذا كقوله:(فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ)([56])، وليس معنى مجرد كونه أنه معلوم له، فإن جميع الأشياء معلومة له، وليس في ذلك ما يدل على أنه حق، لكن المعنى: أنزله فيه علمه، كما يقال: فلان يتكلم بعلم، فهو سبحانه أنزله بعلمه، كما قال: (قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)([57])،"([58]) .

ولهذا قال النبيﷺ:" ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"([59]) .

قال ابن حجر في شرح الحديث:" ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه، وفي بلاغته، وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصرٌ من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون، يدل على صحته دعواه ..... فعم به من حضر، ومن غاب، ومن وُجِد ومن سيوجد "([60]) .

يقول ابن عاشور في تفسيره:" وأنا أقول: إن علاقة العلوم بالقرآن على أربع مراتب:

الأولى : علوم تضمنها القرآن كأخبار الأنبياء والأمم، وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة.

الثانية : علوم تزيد المفسر علما كالحكمة والهيأة وخواص المخلوقات.

الثالثة : علوم أشار إليها أو جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الأرض والطب والمنطق.

الرابعة : علوم لا علاقة لها به إما لبطلانها كالزجر والعيافة والميثولوجيا، وإما لأنها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي"([61]).

ويقول في معرض تقسيمه لأنواع الإعجاز العلمي : " وأما النوع الثاني من إعجازه العلمي فهو ينقسم إلى قسمين: قسم يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم فينبلج للناس شيئا فشيئا انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهوم وتطورات العلوم، وكلا القسمين دليل على أنه من عند الله لأنه جاء به أمي في موضع لم يعالج أهله دقائق العلوم، والجائي به ثاو بينهم لم يفارقهم. وقد أشار القرآن إلى هذه الجهة من الإعجاز بقوله تعالى في سورة القصص (قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ)([62]) ، ثم إنه ما كان قصاراه مشاركة أهل العلوم في علومهم الحاضرة، حتى ارتقى إلى ما لم يألفوه وتجاوز ما درسوه وألفوه"([63]).

المطلب الرابع
مناقشة الأقوال

والذي يظهر لي في تحقيق المسألة ـ والله أعلم ـ : أن الذين ادعوا اشتمال القرآن لكل العلوم، لم يعنوا بذلك تفاصيل هذه العلوم، وإنما عنوا أن القرآن اشتمل على مجامع العلوم، أي تضمن أشارة لكل علم، وكما بين الغزالي والسيوطي ذلك باعتبار العلاقة والروابط بين العلوم ، ولم يزعموا أن تفاصيل العلوم المختلفة في القرآن الكريم وهذا حق، لكن لا يتعلق بهذا دعوى، ما عدا عدهم لعلوم القرآن فإنه رجماً بالغيب .

وفي المقابل فإن الذين أنكروا على هؤلاء، كان الاستنكار في موضع لا يدعونه أصلاً، فلا مبرر له، بمعنى أنهم نسبوا إليهم شيئاً لا يدعونه، وعليه فلا يوجد نزاع حقيقي في تضمن القرآن على العلوم بوجه ما دون تفاصيل هذه العلوم، وإنما يمكن أن يستنبط مما ذكر على ما لم يذكر منها ويتوصل به إليها ، بحكم الروابط بين العلوم، ولا يدل على الاشتمال ، وهذا سببه وحدة الخلق ووحدة السنن الإلهية في خلق الله.

من جهة أخرى دعوى الشاطبي أن القرآن لا يفهم إن عن طريق فهم العرب وما عهدوه، وكل فهم عن غير هذا الطريق فهو باطل لم يقصده القرآن، وتحميله ما لا يحتمل، وهذا غير صحيح فإن الله أخبر في كتابه بأنه كتاب علم وأن العرب لم تحط بعلم القرآن في أكثر من آية (بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ

وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)[[64]]، ولو صحت هذه الدعوى لأمكن القول: أنه لا بد أن يتوسل إلى فهمه القرآن بالأمية لأن العرب أمة أمية، وهذا يناقض العقل الصحيح والقرآن الذي يدعوا إلى العلم، وإنما المقصود بنزوله بالمعهود لديهم نزوله بلسانهم وتقريبه لخطابهم بلغتهم ، لا انحصار علمه بعلومهم، ولا نفي معرفة علومه التي لم يعرفونها، وقد يكون إنما قصد أن العلوم التي كانت عند العرب هي التي تضمنها القرآن بالإقرار أو التصحيح أو الإبطال.

المطلب الخامس :

القول الراجح

والراجح في المسألة : هو القول الثالث . لقوة أدلة القائلين به . وهو أن القرآن قد اشتمل على كثير من العلوم التي وردت فيه أو أشار إليها، وتضمنتها سوره وآياته، لا على وجه الاستقصاء والتفصيل كعلم متخصص وإنما على سبيل الإشارة والتمثيل، في سياق استدلال القرآن بآيات الله الكونية المبثوثة في الآفاق والأنفس وفي الحياة وتوجيه النظر إليها للتأمل والتفكر والتدبر، والغرض منها هداية الناس وإقامة الحجة على الإيمان بالله والدعوة إلى صراطه المستقيم، وهذا هو قول أكثر المفسرين الأقدمين والمعاصرين.

المبحث الثالث

حكم التفسير العلمي

هل يجوز تفسير الآيات القرآنية الكونية بمعارف وعلوم ومكتشفات العلم الحديث ؟

وهنا كذلك نجد العلماء لهم مذاهب وآراء، بين معترض ومؤيد، ووقع خلاف في هذا النوع من التفسير، بين العلماء من فترة طويلة، ولا زال الخلاف قائماً حتى هذه الساعة [[65]] .

وسأتناول هذه المسألة في أربعة مطالب:

المطلب الأول: المانعون

الفريق الأول: من لا يرى جواز تفسير الآيات الكونية في القرآن بمكتشفات ومعارف العصر الحديث، وينكر هذا النوع من التفسير ويشن الغارة على القائلين به ويشنع عليهم، بل وقد يتهمهم بتهم باطلة [[66]] " ويمثلهم في هذا العصر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت، والشنقيطي صاحب أضواء البيان[[67]]، ود . محمد حسين الذهبي .. وحجتهم في ذلك:

١. أن القرآن كتاب هداية، وإن الله لم ينزله ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون،وأنواع المعارف . وقد تحدثنا عن هذا في مبحث سابق فليرجع إليه.

٢. ثم يقولون: إن هناك دليلاً واضحاً من القرآن على أن القرآن ليس كتاباً يريد الله به شرح حقائق الكون ،وهذا الدليل هو ما روي عن معاذ أنه قال يا رسول الله إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن

الأهلة . فما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يستوي ويستدير، يم ينقص حتى يعود كما كان. فأنزل الله هذه الآية: (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...)[[68]]"[[69]] .

٣. أن التفسير العلمي للقرآن يعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان ،والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير.

٤. أن التفسير العلمي للقرآن يحمل أصحابه والمغرمين به على التأويل المتكلف الذي يتنافى مع الإعجاز ،ولا يسيغه الذوق السليم .

٥. أن السلف الصالح، من الصحابة، والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى، سوى ما تقدم، وما ثبت فيه من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا"[[70]] .

٦. أن المعاني والدلائل المعتبرة في الخطاب هي التي كانت معلومة لدى العرب وقت نزول القرآن، أما التي لم تكن معلومة لديهم فهي غير مقصودة ولا تدخل ضمن الخطاب القرآني فلا عبرة بها .

المطلب الثاني: المجيزون

الفريق الثاني: الذين يرون مشروعية هذا اللون من التفسير استجابة لدعوة القرآن للتفكر والتدبر والبحث والنظر، ولورود الأدلة الصريحة بجواز هذا النوع من التفسير لأنه تصديق وتحقيق لوعد الله في كتابه بتأويل آياته وأنبائه في أسرار الخلق والتكوين في الآفاق والأنفس، وكونه مثل التفسير المأثور، ولا يعدوا أن يكون من قبيل التفسير بالرأي، حتى ولو أخطأ المفسر في حمل آية ما، فإن القرآن ينزه عن الغلط، والغلط في التفسير وليس في النص، ولا يمكن أن يؤاخذ القرآن بتفسير خاطئ حمله به المُفسر، والقرآن منزه عنه. فهذه جملة أدلتهم.

يقول ابن عاشور في المسألة: " وإما على وجه التوفيق بين المعنى القرآني وبين المسائل الصحيحة من العلم حيث يمكن الجمع. وإما على وجه الاسترواح من الآية كما يؤخذ من قوله تعالى: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ)[[71]] أن فناء العالم يكون بالزلازل ومن قوله: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)[[72]]، الآية أن نظام الجاذبية يختل عند فناء العالم. وشرط كون ذلك مقبولا أن يسلك فيه مسلك الإيجاز فلا يجلب إلا الخلاصة من ذلك العلم ولا يصير الاستطراد كالغرض المقصود له لئلا يكون كقولهم: الشيء بالشيء يذكر.

وللعلماء في سلوك هذه الطريقة الثالثة على الإجمال آراء: فأما جماعة منهم فيرون من الحسن التوفيق بين العلوم غير الدينية وآلاتها وبين المعاني القرآنية، ويرون القرآن مشيرا إلى كثير منها. قال ابن رشد الحفيد في فصل المقال أجمع المسلمون على أن ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها، ولا أن

تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل، والسبب في ورود الشرع بظاهر وباطن هو اختلاف نظر الناس. وتباين قرائحهم في التصديق وتخلص إلى القول بأن بين العلوم الشرعية والفلسفية اتصالا. وإلى مثل ذلك ذهب قطب الدين الشيرازي في شرح حكمة الإشراق، وهذا الغزالي والإمام الرازي وأبو بكر ابن العربي وأمثالهم صنيعهم يقتضي التبسط وتوفيق المسائل العلمية، فقد ملأوا كتبهم من الاستدلال على المعاني القرآنية بقواعد العلوم الحكمية وغيرها وكذلك الفقهاء في كتب "أحكام القرآن"، وقد علمت ما قاله ابن العربي فيما أملاه على سورة نوح وقصة الخضر وكذلك ابن جني والزجاج وأبو حيان قد أشبعوا "تفاسيرهم" من الاستدلال على القواعد العربية، ولا شك أن الكلام الصادر عن علام الغيوب تعالى وتقدس لا تبنى معانيه على فهم طائفة واحدة ولكن معانيه تطابق الحقائق، وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم وكانت الآية لها اعتلاق بذلك فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار ما بلغت إليه أفهام البشر وبمقدار ما ستبلغ إليه. وذلك يختلف باختلاف المقامات ويبنى على توفر الفهم، وشرطه أن لا يخرج عما يصلح له اللفظ عربية، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل، ولا يكون تكلفا بينا ولا خروجا عن المعنى الأصلي حتى لا يكون في ذلك كتفاسير الباطنية"[73].

وهؤلاء المجيزون على رأيين:

الأول: المقتصرين في التفسير بالحقائق العلمية دون النظرية:

وهؤلاء يحددون نوع المعارف والعلوم والاكتشافات التي يجوز تفسير آيات القرآن بها، فيجوزون التفسير بالحقائق القطعية الثابتة، من المعارف والعلوم والاكتشافات، ولا يجوزون النظريات والفروض العلمية، لأنها مظنة التبديل والتعديل، زيادة في الاحتياط والحذر في تفسير النص من تبدل النظريات وتأرجحها، وهؤلاء هم أغلب من كتب عن التفسير العلمي.

يقول د. دياب في معرض مناقشته لمناهج المفسرين العلميين:

" إن المنهج الصحيح للتفسير يجب كما أشار إليه كثير من الدارسين والباحثين، أن يعتمد على الحقائق العلمية الثابتة في المقارنة والتفسير للآيات الكونية، وأن يتجنب الخوض في تأويل الآيات الكونية في ضوء النظريات التي لم تشب عن طوق الظن، ولم تثبت بعد والتي ما زالت محل نظر وتمحيص من العلماء، وهذا خطأ المقارنين ، ويجب ألا يحمل على القرآن سوء فهم طائفة من الباحثين ، وكيف نستطيع أن نفهم أن القرآن لا يصادم حقيقة علمية يكشف البحث أنها من نواميس الكون ونظم وجوده، ... دون صلة بها ، و إدراك لأبعادها، إن هذا لن يتم إلا في ضوء التفسير العلمي للآيات الكونية ، وهذا ما سلكه أولئك الباحثون وإن اختلفت مناهجهم كما رأينا[74].

الثاني: الموسعتن في التفسير بجميع المكتشفات والمعارف العلمية:

وهذا الفريق لا يرى بأسا من تفسير الآية في ضوء المعارف العصرية والاكتشافات العلمية الحديثة، سواء كانت حقائق علمية أو نظريات علمية أو حتى فرضيات علمية، ما دامت متوافقة مع دلائل النصوص القرآنية، ولا تتناقض معها وتحتمل معانيها وكيفياتها نصوص تلك الآيات ودلائلها العربية والشرعية. فإن القرآن نزل بلسان العرب، بدون تكلف أو تمحل أو زيغ. وإن كانت درجة المكتشفات العلمية أيضا لها أثر كبير وميزة متفاوتة في تفسير النص ، فالحقيقة أقوى من النظرية والنظرية الراجحة المقبولة أقوى من غيرها والفرضية التي لا تخالف عقلا ولا شرعا وتحتملها الآية ولا تتناقض مع نصوص القرآن، فهذه لا بأس في تفسير النص بها.

يقول سيد قطب: " ونحن في دراسة القرآن لا نلجأ إلى تلك التقديرات على أنها حقائق نهائية فهي في أصلها ليست كذلك، و إن هي إلا نظريات قابلة للتعديل ، لا نحمل القرآن عليها، إنما نجد أنها قد تكون صحيحة إذا رأينا بينها وبين النص القرآني تقاربا ووجدنا أنها تصلح تفسيرا للنص القرآني بغير تمحل، فنأخذ من هذه أن النظرية أو تلك أقرب إلى الصحة لأنها أقرب إلى مدلول النص القرآني"([75]) .

وهذا النص لسيد قطب الذي يوضح منهجه ومذهبه في التفسير العلمي على خلاف ما نقل بعض الناس عنه من معارضته للتفسير العلمي عموماً، وزيادة على هذا فإننا نجد تفسيره مليء بالتفسيرات العلمية وينقل كثيرا من المعلومات ذات العلاقة بمدلول الآيات أو ما يبينها ويدور حولها، ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ)([76])، : قال: (وهو تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسراً علىالالتفات إلى ما كشف حديثاً عن كروية الأرض، ومع أنني في هذه الظلال حريص على أن لا أحمل القرآن على النظريات التي يكشفها الإنسان) ... مع هذا الحرص ، فإن هذا التعبير يقسرني قسراً على النظر في موضوع كروية الأرض ... إلخ "([77]). وعند قوله تعالى (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ)([78]) ، تلكم عن عموم الزوجية بما فيها زوجية الذرة مؤلفة من زوج من الكهرباء موجب وسالب"([79]) .وعند قوله تعالى (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَاوَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ)([80]) ، تكلم الأستاذ عن تكون السموات والأرض وعن تكون القشرة الأرضية بالتفصيل ونقل أشياء عن الكتب العلمية الحديثة"([81]) .

ومن هؤلاء الدكتور زغلول النجار حيث يقول: " حرص كثير من علماء المسلمين على ألا يتم تأويل الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم إلا في ضوء الحقائق العلمية المؤكدة من القوانين والقواعد الثابتة أما الفروض والنظريات فلا يجوز تخديمها في فهم ذلك وحتى هذا الموقف نعتبره تحفظا مبالغا فيه فكما يختلف دارسو القرآن الكريم في فهم بعض الدلالات اللفظية والصور البيانية وغيرها من القضايا

اللغوية ولا يجدون حرجا في ذلك العمل الذي يقومون به في غيبة نص ثابت مأثور, فإننا نرى أنه لا حرج على الإطلاق في فهم الإشارات الكونية الواردة بالقرآن الكريم على ضوء المعارف العلمية المتاحة, حتى ولو لم تكن تلك المعارف قد ارتقت إلىى مستوى الحقائق الثابتة, وذلك لأن التفسير يبقى جهدا بشريا خالصا. بكل ما للبشر من صفات القصور والنقص وحدود القدرة, ثم إن العلماء التجريبيين قد يجمعون على نظرية ما. لها من الشواهد ما يؤيدها, وان لم ترق بعد إلى مرتبة القاعدة أو القانون, وقد لا يكون أمام العلماء من مخرج للوصول بها إلى ذلك المستوى أبدا, فمن أمور الكون العديدة مالا سبيل للعلماء التجريبيين من الوصول فيها إلى حقيقة أبدا, ولكن قد يتجمع لديهم من الشواهد ما يمكن أن يعين على بلورة نظرية من النظريات, ويبقي العلم التجريبي مسلما بأنه لا يستطيع أن يتعدي تلك المرحلة في ذلك المجال بعينه أبدا, والأمثلة علي ذلك كثيرة منها النظريات المفسرة لأصل الكون وأصل الحياة وأصل الإنسان, وقد مرت بمراحل متعددة من الفروض العلمية حتى وصلت اليوم إلى عدد محدود من النظريات المقبولة, ولا يتخيل العلماء أنهم سيصلون في يوم من الأيام إلى أكثر من تفضيل لنظرية على أخرى, أو تطوير لنظرية عن أخرى, أو وضع لنظرية جديدة, دون الإدعاء بالوصول إلى قانون قطعي, أو قاعدة ثابتة لذلك, فهذه مجالات إذا دخلها الإنسان بغير هداية ربانية فإنه يضل فيها ضلالا بعيدا, وصدق الله العظيم اذ يقول:(مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً)[82] . وذلك لأنه على الرغم من أن العلماء التجريبيين يستقرئون حقائق الكون بالمشاهدة والاستنتاج, أو بالتجربة والملاحظة والاستنتاج, في عمليات قابلة للتكرار والإعادة, إلا أن من أمور الكون مالا يمكن إخضاعه لذلك من مثل قضايا الخلق: خلق الكون, وخلق الحياة وخلق الإنسان. وهي قضايا لا يمكن للإنسان أن يصل فيها إلي تصور صحيح أبدا بغير هداية ربانية, ولولا الثبات في سنن الله التي تحكم الكون وما فيه ما تمكن الإنسان من اكتشافها,... ولا يظن عاقل أن البشر مطالبون بما هو فوق طاقاتهم. خاصة في فهم كتاب الله. الذي أنزل لهم, ويسر لتذكرهم لقول الحق تبارك وتعالي:(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)[83] .

ففي الوقت الذي يقرر القرآن الكريم فيه أن الله لم يشهد الناس خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم, نجده في آيات أخر يأمرهم بالنظر في كيفية بداية الخلق, وهي من أصعب قضايا العلوم الكونية البحتة منها والتطبيقية قاطبة إذ يقول عز من قائل:(أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[84] .

مما يشير إلى أن بالأرض سجلا حافلا بالحقائق التي يمكن أن يستدل منها علي كيفية الخلق الأول, وعلي إمكانية النشأة الآخرة, والأمر في الآية من الله تعالي إلى رسوله الكريم ليدع الناس كافة إلى

السير في الأرض, واستخلاص العبرة من فهم كيفية الخلق الأول, وهي قضية تقع من العلوم الكونية(البحتة والتطبيقية) في الصميم, إن لم تكن تشكل أصعب قضية علمية عالجها الإنسان.

وهذه القضايا: قضايا الخلق وإفنائه وإعادة خلقه لها في كتاب الله وفي سنة رسوله ـ ﷺ ـ من الإشارات اللطيفة ما يمكن الإنسان المسلم من تفضيل نظرية من النظريات أو فرض من الفروض والارتقاء بها أو به إلى مقام الحقيقة لمجرد ورود ذكر لها أو له في كتاب الله أو في سنة رسوله ـ ﷺ ـ ونكون بذلك قد انتصرنا بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للعلم وليس العكس.

وعلى ذلك فإني أرى جواز فهم الإشارات العلمية الواردة بالقرآن الكريم علي أساس من الحقائق العلمية الثابتة أولا, فان لم تتوافر فبالنظرية السائدة, فان لم تتوافر فبالفرض العلمي المنطقي المقبول, حتى لو أدى التطور العلمي في المستقبل إلى تغيير تلك النظرية, أو ذلك الفرض أو تطويرهما أو تعديلهما, لأن التفسير ـ كما سبق أن أشرت يبقي اجتهادا بشريا خالصا من أجل حسن فهم دلالة الآية القرآنية إن أصاب فيه المرء فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد, ويبقي هذا الاجتهاد, قابلا للزيادة والنقصان, وللنقد والتعديل والتبديل"[85] .

المطلب الثالث: مناقشة القولتن:

مناقشة القول الأول: الذي يظهر لي والله أعلم أن الحجج التي احتج بها الفريق الأول غير كافية للمنع من جواز التفسير العلمي، مع ملاحظة أن الأخطاء التي تقع ليس في التفسير وإنما من المفسر لمخالفته الشروط والضوابط ويمكن الإجابة على حججهم كما يلي:

- بالنسبة للحجة الأولى فإن كون القرآن كتاب هداية وتشريع لا يمنع أن يكون كتاب علم وإعجاز بل هو يقتضي ذلك وقد فصلنا هذا الأمر في مبحث سابق فليرجع إليه.
- أما الاستدلال بما ورد في سبب نزول الآية : (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ) فهو بحاجة إلى أن يثبت وإلا فهو معارض بما رواه الطبري في تفسيره عن قتادة في هذه الآية: قالوا سألوا النبي ﷺ لم جعلت هذه الأهلة ؟ فأنزل الله فيها ما تسمعون (هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...) فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم ولمناسكهم وحجهم ولعدة نسائهم ومحل دينهم في أشياء والله أعلم بما يصلح خلقه.

  وروى عن الربيع وابن جريج مثل ذلك . ففي هذه الروايات التي ساقها الطبري، إن السؤال هو : لم جعلت هذه الأهلة؟ وليس السؤال ما بال الهلال يبدوا دقيقاً ثم يزيد حتى يستوي ويستدير ثم ينقص . ولذلك فإنه لا دليل في الآية على إبعاد التفسير العلمي[86] .

وبالنسبة للقول الثاني: فصحيح أن العلم والمعارف تتغير وتتكشف لدى الإنسان، لكن هذا لا يعني أن ليس ثَمَّةَ ثابت في العلم، إذ أن الحقائق العلمية لا تعرف التغير والتبدل مهما مر الزمن وتقدمت العلوم، وإنما التغير في الظنيات التي لا تطابق الواقع والحقائق. ولهذا يشترط في جواز التفسير الالتزام بالشروط والضوابط التي ذكرت سابقاً.

- وأما الحجة الثالثة: فما ذكروه صحيحاً فهناك من يتناول هذا النوع من التفسير ولا يعرف الشروط والضوابط، بل يتمحل التوفيق ويتكلفه، وهذا خطأ راجع إلى المفسر لا إلى حقيقة التفسير، ولهذا يحرم التفسير على من ليس أهلاً له ولا يتقيد بشروطه وضوابطه سداً للذريعة وصوناً لكتاب الله فهو كالجاهل الذي يتصدر للفتوى مع مشروعية الفتوى لأهلها.
- والجواب على ما ذكره الشاطبي أن أصل المسألة موجود ومستفيض من تناول الصحابة والسلف الصالح، فقد تناولوا بالتفسير لما ذكره القرآن من علوم مختلفة لم تكن معهودة لدى العرب ولا معرفة لهم بها، وما فهموه من الرسولﷺ وما عندهم من العلم وما فهموه واستنبطوه من كتاب حسب ما تقتضيه دلائل اللغة العربية. من ذلك تفسير ابن عباس وابن مسعود وغيرهم.
- وأما الجواب على ما قيل: أن المعاني والدلائل التي لم يعرفها العرب غير مقصودة في الخطاب، فإنه يرد من وجوه كثيرة، وقد سبق ما يكفي من الرد على هذه الشبه، وتناقضه مع النصوص التي تثبت سعة علم الله الذي ضمنه في كتابة وعدم إحاطة المشركين له ووعده بمعرفتها بعد حين، وإعجاز القرآن وعدم انقضاء عجائبه.

وأما القائلين: بجواز التفسير العلمي بالحقائق دون النظريات فذلك هو الأحوط ولكن لا يمنع من التفسير بالنظريات لأنها إن وافقت دلالة النص أقوى من مجرد الرأي، لأنه مدعم بالشواهد والأدلة العلمية.

المطلب الرابع: القول الراجح

والذي أراه صواباً في هذه المسألة - والله أعلم - أن التفسير العلمي جائز سواء كان التفسير بحقائق علمية أو نظريات مقبولة ما دامت تتوفر فيها شروط التفسير العلمي، مع أن الأولى: تثمر إعجازاً للقرآن والثانية: تبقى في إطار التفسير بالرأي، والأدلة على جوازه ما يلي.

١. أن القرآن كتاب هداية وعلم وإعجاز ، فحتى يكون كتاب هداية لا بد أن يشتمل على العلم الإلهي بكل ما يتعلق بهداية الإنسان حجة وتشريعا، وتضمنه لهذا العلم دليل إعجازه، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً)[[87]]. وقد سبق الحديث عن هذا في مبحث سابق فليرجع إليه.

٢. الوعد الصريح من الله في كتابه ببيان تأويل أنباء القرآن المتعلقة بأسرار الخلق والتكوين في السموات والأرض والأنفس، وتحقق هذا التأويل بالعلم المتكشف عن حقائق وأسرار تلك الأنباء، وهذا هو التفسير العلمي.

وهذا الدليل هو أصرح الأدلة وأقواها وأخصها على هذا النوع من التأويل والتفسير وأدلته واضحة صريحة في كتاب الله منها.

(بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)[88]، فبين الله سبحانه حقيقة وصف كتابه الذي كذب به المشركون، بأنهم لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويل ما لم يحيطوا بعلمه بعد؛ فأخبر أن له تأويلاً لم يأت بعد، ولم يحن وقت بيانه، وأشار أن له حيناً يقع فيه تأويل ما لم يحيطوا بعلمه.

و قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[89].

و قوله تعالى : (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا)[90].

و قوله تعالى : (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)[91].

و قوله تعالى : (لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)[92].

ففي الآية الأولى والثانية: وعدٌ من الله تعالى ، بأن يرينا آياته في الآفاق والأنفس، ويكشف لنا تأويلها ، فنعرف المقصود منها، فالحمد لله على هذا الوعد، وتلك الرؤية، وذلك الكشف.

وفي الآية الثالثة: يخبر الله تعالى فيها: أن معرفتنا لأنباء القرآن ستكشف وتتجلى بعد حين، وعليه فإن لكل نبأ في القرآن حيناً خاصاً به، عندما يأتي أجل ذلك الحين، يقع فيه تأويل ذلك النبأ، ينكشف المعنى المراد من النبأ، ويستقر المعنى عند ذلك التأويل. كما قال تعالى:(لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)[93]، فيشرق معنى الآية، التي تحمل النبأ، ويظهر المراد بها، وهذا معنى قوله تعالى:(لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)[94]، أي وسوف تعلمون أيها المكذبون، صحة ما أخبر به.

٣. أن التفسير العلمي نوع من التفسير بالرأي، بل هو أرقاها وأوضحها دليلا وأقواها حجة، وما قيل من الحجج والأدلة على جواز التفسير بالرأي ومشروعيته، يقال في التفسير العلمي.

٤. التفسير العلمي فعله الرسول ﷺ كما في حديث تميم الداري عند مسلم، والصحابة كتفسير ابن عباس للمرسلات عرفا والعاصفات عصفا، بالرياح، ومن ذلك تفسير المراد بسائر الأوصاف، وتفسير الفتق والرتق ، ونحوها من الآيات، فهذا من قبيل التفسير العلمي، ولم ينفك المفسرون يفسرون آيات القرآن بما فتح الله عليه من العلوم ، لا سيما في الآيات التي لم يرد نص يكشف أو يعين المراد بها ، وإنما تركت لاجتهاد المفسرين حسب دلالتها ومقتضياتها في الشرع واللغة والعرف.

٥. أن التفسير العلمي هو تطبيق عملي وإجابة عملية تطبيقية لدعوة القرآن المتكررة بالنظر والتفكر والتأمل والتدبر وإعمال العقل، والبعد عن الظن والتخرص.

٦. وأخيراً لم يأت مانع يمنع من القول بمشروعيه من نص صحيح أو إجماع صريح أو حتى قول معتبر لأهل العلم، وأغلب ما جاء من نقد للتفسر العلمي إنما يتوجه للتفسير العلمي المتكلف والذي لا يلتزم بضوابط التفسير العلمي.

المراجع

١. القرآن الكريم

٢. أساس البلاغة، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار النشر: دار الفكر -١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

٣. أسرار التكرار في القرآن، تأليف: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دار النشر: دار الاعتصام -القاهرة -١٣٩٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد القادر احمد عطا

٤. أضواء البيان ، محمد الأمين الشنقيطي

٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي. ، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر. -بيروت. -١٤١٥هـ -١٩٩٥م. ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

٦. الإعجاز العلمي في الرياح والبحار . أ . د . عبد المجيد الزنداني وأخرون . جامعة الإيمان .

٧. الإعجاز العلمي للقرآن والسنة تاريخه وضوابطه ، للدكتور . عبد الله بن عبد العزيز المصلح ، من إصدارات هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، الطبعة الأولى .

٨. إعجاز القرآن للباقلاني مكتبة الإرشاد . صنعاء طبعة الثانية ١٩٩٦م

٩. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم . دار المعارف القاهرة ، ١٤٠٨هـ ،الأولى ، تحقيق : السيد أحمد صقر .

١٠. إعجاز القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، دار النشر: دار المعارف -مصر -١٩٩٧م، الطبعة: الخامسة، تحقيق: السيد أحمد صقر

١١. إعراب القرآن، تأليف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، دار النشر: عالم الكتب -بيروت -١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د.زهير غازي زاهد

١٢. الإكمال للحسيني ، محمد بن علي الحسن أبو المحاسن الحسيني ، دار النشر ، جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي ، ١٤٠٩هـ . ١٩٨٩م . اسم المحقق : د . عبد المعطي أمين قلعجي .

١٣. البدء والتاريخ، تأليف: وهو المطهر بن طاهر المقدسي، دار النشر: مكتبة الثقافة الدينية – بورسعيد

١٤. البداية والنهاية، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف – بيروت

١٥. البرهان في علوم القرآن ، لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، المولود ٧٤٥ هـ ، والمتوفي ٧٩٤) ، عدد الأجزاء (٤) ، دار النشر : دار المعرفة ، بيروت ، اسم المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

١٦. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار النشر: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين

١٧. تاريخ الطبري ، محمد بن جريرالطبري أبو جعفر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧هـ الطبعة الأولى .

١٨. تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن السنة للشيخ / عبد المجيد بن عزيز الزنداني ، وآخرون من إصدارات هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، وهو من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة المنعقد باسلام آباد باكستان في الفترة من ٢٥. ٢٨ صفر سنة ١٤٠٨هـ الموافق ١٨، ٢١ أكتوبر سنة ١٩٨٧م .

١٩. تأويل مختلف الحديث ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريد ، دار الجيل ، بيروت ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م ، تحقيق : محمد زهري النجار .

٢٠. التبيان في إعراب القرآن، تأليف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار النشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، تحقيق: علي محمد البجاوي

٢١. التبيان في تفسير غريب القرآن، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، دار النشر: دار الصحابة للتراث بطنطا -مصر -١٤١٢هـ-١٩٩٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي

٢٢. التحرير والتنوير لابن عاشور مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

٢٣. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت

٢٤. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تأليف: محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي أبو عبد الله، دار النشر: مؤسسة الرسالة -بيروت -١٤٠٥، الطبعة: الرابعة، تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني

٢٥. التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دمشق الأولى ١٤١٠هـ ، تحقيق : د .محمد رضوان الداية .

٢٦. التعريفات ، على بن محمد بن علي الجرجاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري .

٢٧. تفسير البحر المحيط، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية -لبنان/ بيروت -١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود -الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل

٢٨. تفسير البغوي، تأليف: البغوي، دار النشر: دار المعرفة -بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك

٢٩. تفسير البيضاوي، تأليف: البيضاوي، دار النشر: دار الفكر – بيروت

٣٠. تفسير الجلالين، تأليف: محمد بن أحمد + عبدالرحمن بن أبي بكر المحلي + السيوطي، دار النشر: دار الحديث -القاهرة، الطبعة: الأولى

٣١. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تأليف: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار النشر: دار الفكر -بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي

٣٢. تفسير القرآن العظيم ، للإمام / أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م ، دار المعرفة بيروت لبنان .

٣٣. تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر -بيروت – ١٤٠١

٣٤. تفسير القرآن، تأليف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار النشر: دار الوطن -الرياض -السعودية -١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم

٣٥. تفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، دار النشر: المكتبة العصرية -صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب

٣٦. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت -١٤٢١هـ -٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى

٣٧. تقريب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني : دار الرشيد سوريا ، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ط الأولى ، تحقيق : محمد عوامة .

٣٨. التمهيد لابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ١٣٨٧هـ تحقيق : مصطفي بن أحمد العلوي

٣٩. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، دار النشر: وزارة عموم الأوقاف

والشؤون الإسلامية -المغرب -١٣٨٧، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ,محمد عبد الكبير البكري
٤٠. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، تأليف: الفيروز آبادي، دار النشر: دار الكتب العلمية — لبنان
٤١. تهذيب اللغة ، تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت -٢٠٠١م، الطبعة: الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب
٤٢. التوقيت على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، المولود سنة ٩٥٢هـ والمتوفي سنة ١٠٣١هـ ، الناشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، سنة النشر ١٤١٠هـ ، الطبعة الأولى ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية .
٤٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر: مؤسسة الرسالة -بيروت -١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين
٤٤. التيسير في القراءات السبع، تأليف: الامام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني، دار النشر: دار الكتاب العربي -بيروت -١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، الطبعة: الثانية، تحقيق: اوتو تريزل
٤٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر -بيروت — ١٤٠٥
٤٦. الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير , اليمامة -بيروت - ١٤٠٧ -١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا
٤٧. الجامع الصغير للسيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن سابق الدين الخضيري ، دار طائر العلم ، مدينة جدة ، تحقيق : محمد عبد الرؤوف .
٤٨. الجامع لأحكام القرآن " لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ، المتوفي سنة ٦٧١ هـ ، عدد الأجزاء (٢٠) ، دار النشر : دار الشعب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، أسم المحقق : أحمد عبد العليم البردوني .
٤٩. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات — بيروت
٥٠. جواهر القرآن، تأليف: أبو حامد الغزالي، دار النشر: دار إحياء العلوم -لبنان -١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني
٥١. حجة القراءات، تأليف: ابن زنجلة
٥٢. الحجة في القراءات السبع، تأليف: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، دار النشر: دار الشروق -بيروت -١٤٠١، الطبعة: الرابعة، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم
٥٣. الدر المنثور، تأليف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر -بيروت -١٩٩٣
٥٤. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، بن تيمية الحراني أبو العباس ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، الثانية ١٤٠٤هـ ، تحقيق : محمد السيد الجليند .
٥٥. دلائل الإعجاز، تأليف: الإمام عبد القاهر الجرجاني، دار النشر: دار الكتاب العربي -بيروت -١٤١٥هـ ١٩٩٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د . التنجي
٥٦. دلائل النبوة للفريابي ، جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي ، دار حراء ، مكة المكرمة ، ١٤٠٦هـ الأولى ، تحيقيق : عامر حسن صبري .
٥٧. الديباج لعبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي . المولود ٨٤٩هـ والمتوفي ٩١١هـ ، دار بن عفان ، الخبر السعودية ، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأثري .
٥٨. رحلة ابن جبير، تأليف: أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبر الكناني الأندلسي، دار النشر: دار الكتاب اللبناني / دار الكتاب المصري -بيروت / القاهرة، تحقيق: تقديم / الدكتور محمد مصطفى زيادة
٥٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ

الثانية ، تحقيق : محمد السيد الجليند .

٦٠. روعة البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن ، محمد على الصابوني ، دار الإحياء والتراث العربي ، بيروت لبنان ، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

٦١. زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ الثالثة ، تحقيق : محمد السيد الجليند .

٦٢. سلسلة الأحاديث الضعيفة ن لمحمد ناصرالدين الألباني ، ط ١ ١٣٩٩هـ المكتب الإسلامي ، بيروت .

٦٣. سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر . مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

٦٤. السنن الكبرى، تأليف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر: دار الكتب العلمية -بيروت -١٤١١ -١٩٩١، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري , سيد كسروي حسن

٦٥. السنن الواردة في الفتن ، أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. تحقيق : ضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري .

٦٦. شرح ابن ماجه ، للإمام / أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي . تحقيق : الشيخ / خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ١٩٩٦م

٦٧. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار النشر: دار الكتب العلمية -بيروت - ١٤١١، الطبعة: الأولى

٦٨. شرح سنن بن ماجه ، السيوطي وعبد الغني ، وفخر الحسن الدهلوي ، قديمي كتب خانة ، كراتشي .

٦٩. شعب الإيمان ، للإمام / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، المولود ٣٨٤هـ المتوفي ٤٥٨هـ عدد الأجزاء (٨) ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٠هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول .

٧٠. صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي . موسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م ط الثانية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .

٧١. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، دار بن كثير ، اليمامة بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م الطبعة الثالثة ، تحقيق : مصطفى ديب البغا .

٧٢. صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي

٧٣. طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنروي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ١٩٩٧م الأولى ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي .

٧٤. ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم . د . خليل إبراهيم أبو ذياب . دار عمار ط الأولى ١٩٩٩م

٧٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٧٦. عون المعبود شرح سنن أبي داود، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار النشر: دار الكتب العلمية -بيروت -١٩٩٥م، الطبعة: الثانية

٧٧. الفائق في غريب الحديث ، محمد بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ، لبنان ، ١٩٩٧م الطبعة الثانية ، تحقيق : على محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم .

٧٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار المعرفة -بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب

٧٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت

٨٠. الفتن لنعيم بن حماد ، مكتبة التوحيد القاهرة ١٤١٢هـ الأولى ، تحقيق : سمير أمين الزهيري .

٨١. فهم القرآن ومعانية ، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي ، دار الكندي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ، تحقيق : حسين القوتلي .
٨٢. في ظلال القرآن . سيد قطب دار الشروق الطبعة : الثامنة ١٩٩٥
٨٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى -مصر -١٣٥٦هـ، الطبعة: الأولى
٨٤. القرآن وإعجازه العلمي موقع يعسوب
٨٥. القواعد الفقهية ، د . عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، دار البشير ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
٨٦. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي -لبنان -١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة
٨٧. لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، المولود سنة ٦٣٠هـ والمتوفى سنة ٧١١هـ وهو مكون من ١٥ جزءاً ، دار النشر : دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى .
٨٨. لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م بيروت ، الثالثة ، تحقيق : دائرة المعرف النظامية ، الهند .
٨٩. مباحث في علوم القرآن ، لمناع القطان ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة والعشرون .
٩٠. المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م
٩١. مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ، تحقيق : محمود خاطر .
٩٢. المسند ، للإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، المولود ١٦٤هـ ، المتوفى ٢٤١هـ ، دار النشر : مؤسسة قرطبة ، مصر ؛
٩٣. مصباح الزجاجة ، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني . دار العربية بيروت ١٤٠٣هـ الطبعة الثانية ، تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي .
٩٤. معالم التنزيل محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ] المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر -عثمان جمعة ضميرية -سليمان مسلم الحرش دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧ م
٩٥. معجزة القرآن مصدر الكتاب : موقع يعسوب
٩٦. المعجم الأوسط ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، دار الحرمين القاهرة ، ١٤١٥هـ ، تحقيق : طارق بن عوض الله .
٩٧. معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، أبو عبد الله . دار الفكر ، بيروت .
٩٨. مفردات الراغب الأصفهاني .
٩٩. مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، دار النشر : دار الفكر ، بيروت ١٩٩٦م ، الطبعة الأولى ، تحقيق : كتب البحوث والدراسات .
١٠٠. (من أسرار القرآن د/ زغلول النجار) الأهرام ٢٠٠٥/٢/٢٨

الهوامش:

([1]) سورة فصلت الآية (٥٢) .

([2]) سورة الأنعام الآية (١) .

([3]) سورة الصف الآية (٩) .

([4]) سورة الشورى الآية (٥٢ ،٥٣) .

([5]) انظر ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم (٢٣، ٢٣٤) د. خليل إبراهيم أبو ذياب، دار عمار ط١ ١٩٩٩.

([6]) انظر ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم (٨) د. خليل إبراهيم أبو ذياب .

([7]) محمد إسماعيل إبراهيم القرآن وإعجازه العلمي-ص (٤٤) مصدر الكتاب : موقع يعسوب .

([8]) المفردات في غريب القرآن،(٣٤٣) أبو القاسم الحسين بن محمد ، دار النشر: دار المعرفة -لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

([9])إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول(٥) لمحمد بن على الشوكاني، مكتبة محمد صبحي مصر.

([10]) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد الرومي (٢/ ٥٤٩) ، نقلاً من الإعجاز العلمي للقرآن والسنة تاريخه وضوابطه (٢٣) ، للدكتور . عبد الله بن عبد العزيز المصلح ، من إصدارات هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، الطبعة الأولى .

([11]) ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم (١٩) د. خليل إبراهيم أبو ذياب.

([12]) مناهج تجديد ، أمين الخولي (٢٨٧) ط/١ دار المعرفة ١٩٦١م .

([13]) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة للزنداني (٢٥) . وأنظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد الرومي(٢/٦٠٤.٥٦٤) .

([14]) مختار الصحاح (٢٠٩/١) .

([15]) سورة البقرة الآية (٢٣٦) .

([16]) أنظر النهاية في غريب الحديث (٤٣٢/٣) ، وانظر لسان العرب (٢٠٣/٧) .

([17]) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه (٢٦) .

([18]) انظر مجلة العلوم (م٢٧ع١١، ١٢).

([19])عمرو بن كلثوم أنظر لسان العرب لابن منظور (٥/ ٢١٥) .

([20]) أنظر لسان العرب لابن منظور (٥/ ٢١٥) .

([21]) الانفجار العددي للجسيمات الدقيقة . بتصرف يسير . (٣٠، ٣١) ترجمة د. صالح عبد الله جاسم، ورؤوف وصفي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

([22]) أصول البحث العلمي ومناهجه د. أحمد بدر (٧٤) ، نقلا من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه (٢٦) .

([23]) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه (٢٦) .

([24]) النهاية في غريب الحديث (٤١٥/١) ، وانظر لسان العرب (٥٢/١٠) .

([25]) المصدر السابق (٤٨/١٠) .

([26]) نفس المرجع (٥٠/١٠) .

([27]) سورة المائدة الآية (١٠٧) .

([28]) سورة السجدة الآية (١٣) .

([29]) المفردات للراغب الأصفهاني (١٢٦) .

([30]) لسان العرب (٤١٧/١٢) .

([31]) التعريفات للجرجاني (٩٠) .

([32])كالتجربة والكشف ونحوها من المناهج العلمية المفيدة للقطع .

([33]) مقدمات التاريخ الفكري العلمي في الإسلام (سلسلة عالم المعرفة صد١٣١، ط الكويت) نقلا من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه (٢٦) .

([34]) سورة الأنعام الآية (٣٨) .

([35]) سورة النحل الآية (٨٩) .

([36]) جواهر القرآن -(١ / ٤٥-٤٧) . لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار إحياء العلوم -بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٩٨٥، تحقيق : د.محمد رشيد رضا القباني.

([37]) البرهان في علوم القرآن لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، دار المعرفة -بيروت ، ١٣٩١ ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم

([38])أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، لصديق بن حسن القنوجي ، دار الكتب العلمية -بيروت ، ١٩٧٨، تحقيق : عبد الجبار زكار.

([39]) الموافقات. ط المعرفة -دراز -(٢ / ٨٢).

([40]) سورة الرعد الآية : (١٩)

([41]) سورة النساء الآية : (١٦٦)

([42]) سورة هود الآية : (١٤)

([43]) سورة الفرقان الآية : (٦)

([44]) سورة يونس الآية (٣٩) .

([45]) سورة ص الآية (٨٨) .

([46]) لأنها نزلت من لدن حكيم خبير المحيط علماً بكل شيء، كما قال الله تعالى: (﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾).

([47]) سورة الأنعام الآية (٦٧) ,

([48]) سورة الرعد الآية (٣٨) .

([49]) سورة فصلت الآية (٥٢) .

([50]) سورة النمل الآية (٩٣) .

([51]) سورة فصلت الآية (٥٢) .

([52]) سورة الملك الآية (١٤).

([53]) سورة الحج لآية (٧٠).

([54]) سورة النساء الآية (١٦٦) .

([55]) تفسير ابن كثير (١/ ٥ ٦٠) .

([56]) سورة هود الآية (١٤) .

([57]) سورة الفرقان الآية (٦) .

([58]) مجموع الفتاوى كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،(١٩٦/١٤) لشيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

([59]) أخرجه البخاري في كتاب / فضل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي ، وأول ما نزل ، (الحديث ٤٩٨) ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان / باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، الحديث (٣٨٣) .

([60]) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/٩) ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة بيروت .

([61])التحرير والتنوير -(١ / ٤٣)

([62]) سورة القصص الآية : (٥٠)

([63])التحرير والتنوير -(١ / ١٢٤).

([64]) سورة يونس الآية (٣٩) .

([65]) الإعجاز العلمي للقرآن والسنة تاريخه وضوابطه (٣٤) .

([66]) مثل كتابات فاطمة بنت الشاطئ .

([67]) أنظر تفسيره سورة نوح في أضواء البيان -(٢ / ٢٥٦. ٢٦٥).

([68]) سورة البقرة الآية (١٨٩) .

([69]) تأصيل الإعجاز العلمي (الشيخ محمد الأمين ولد الشيخ الشنقيطي (٨١) .

([70]) الموافقات. ط المعرفة -دراز -(٢ / ٨٢).

([71]) سورة الكهف الآية : (٤٧)

([72]) سورة التكوير الآية : (١)

([73]) التحرير والتنوير -(١ / ٤١،٤٢)

([74]) ظاهرة التفسير العلمي للقرآن د. دياب (٩٥).

([75]) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٢٤/٧) ، ط/٦.

([76]) سورة الزمر الآية: (٥).

([77]) في ظلال القرآن لسيد قطب (١٢/٢٤/٢٤ – ١٣) ، ط/٦.

([78]) سورة الذاريات الآية: (٤٩).

([79]) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٥/٢٧) ، ط/٦.

([80]) سورة فصلت الآية: (١٠).

([81]) في ظلال القرآن لسيد قطب (١١٩١١٤/٢٤) ، ط/٦.

([82]) سورة الكهف الآية (٥١).

([83]) سورة القمر الآية (٤٠،٣٢،٢٢،١٧).

([84]) سورة العنكبوتالآية: (٢٠،١٩).

([85]) قضايا و اراء: موقف المفسرين من الآيات الكـونية في القرآن الكريم٢ (٤١٧٩٠ السنة ١٢٥العدد ٢٠٠١ مايو ٧ ١٣ صفر ١٤٢٢ هـ الاثنين).

([86]) تأصيل الإعجاز العلمي (الشيخ محمد الأمين ولد الشيخ الشنقيطي (٨٢، ٨٣) .

([87]) سورة النساء الآية (١٧٤) .

([88]) سورة يونس الآية (٣٩) .

([89]) سورة فصلت الآية (٥٢) .

([90]) سورة النمل الآية (٩٣) .

([91]) سورة ص الآية (٨٨) .

([92]) سورة الأنعام الآية (٦٧) .

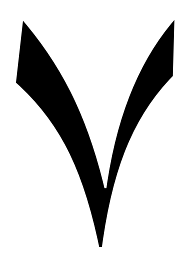
([93]) سورة الرعد الآية (٣٨) .

([94]) سورة الأنعام الآية (٩٣) .

تصور مقترح لتطوير الأداء البحثي للجامعات اليمنية

د/ محمد عبد الله حميد

أستاذ مساعد – كلية التربية – جامعة حجه



الملخص

هدف البحث إلى معرفة الواقع الراهن للأداء البحثي في الجامعات اليمنية, والتعرف على واقع تشخيص البيئة الداخلية والخارجية للجامعة بالجمهورية اليمنية, ووضع تصور مقترح لتطوير الأداء البحثي في الجامعات اليمنية, وتكونت عينة البحث من (٢٤٠) عضو هيئة تدريس من كليات الجامعات اليمنية. وقد تم استخدام المنهج الوصفي, بالإضافة إلى التحليل البيئي SWOT, وتم تصميم استبانة مكونة من (٨٦) فقرة , وكانت أهم نتائج البحث إلى أن معدل إنتاجية الكتب سواء العربي أو المترجمة للفرد الواحد ضعيفة جداً, و أن متوسط المعدل السنوي لإنتاجية الأبحاث والمقالات أيضاً ضئيلة جداً, كما اتضح أن الإشراف على الرسائل العلمية بصورة مشتركة أكثر من الإشراف بصورة فردية, وبينت النتائج أن الذكور يفوقوا على الإناث في جميع الأنشطة البحثية لأفراد العينة, وأن الذين لم يقوموا بنشر أي أبحاث علمية على مدار الخمس السنوات الماضية هم الأفراد الذين يقعون في الفئة العمرية (أكثر من ٥٠ سنة), وأن أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم ينشروا أي أبحاث خلال الخمس السنوات الماضية هم أعضاء هيئة التدريس في جامعة عدن, وتليها جامعة صنعاء, ثم جامعة ذمار, ثم جامعة إب, وجاءت أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لا يقوموا بأي أبحاث خلال الخمس السنوات الماضية,هم أعضاء هيئة التدريس الحاصلين على الأستاذية, ويليهم الأساتذة المساعدين, ثم الأساتذة المشاركون, وكذلك جاءت أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم ينشروا أي أبحاث خلال الخمس السنوات الماضية, هم أعضاء هيئة التدريس الذين خبرتهم (أكثر من ١٠ سنوات), ويليهم أصحاب الخبرة (من ٥-١٠ سنوات), ثم أصحاب الخبرة (أقل من ٥ سنوات) بنسبة, و أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم ينشروا أي أبحاث, هم الأفراد الذين حصلوا على درجة الدكتوراة من الدول الأجنبية, ويليهم الأفراد الذين حصلوا على درجة الدكتوراة من اليمن, ثم الأفراد الذين حصلوا على درجة الدكتوراة من الدول العربية, كما أظهرت النتائج التي توصل اليها البحث باستخدام تحليل البيئة الداخلية والخارجية إلى وجود عوامل قوة, وعوامل ضعف في البيئة الداخلية للجامعة يقابلها عوامل فرص وتهديدات في البيئة الخارجية للجامعات اليمنية, وتم التوصل إلى تصور مقترح لتطوير الأداء البحث للجامعات اليمنية.

مقدمة:

إن الجامعة هي المؤسسة الأقدر على بناء الشخصية، وغرس القيم والفضائل، والشعارات والنظريات، وتحويل هذه الشعارات والنظريات إلى واقع عملي، وهي الأقدر على الاتصال بالمجتمع الخارجي بكل مؤسساته، لكونها تقوم بوظيفة التدريس، والبحث العلمي، وخدمة المجتمع. وكما هو معروف فإن البحث العلمي المنظم هو الذي يوفر للأفراد والمؤسسات المعاصرة القاعدة الصلبة لاتخاذ القرارات المناسبة التي تساعدها في انجاز أهدافها المرجوة بحسب الأولويات المقررة.([1])

وعلى صعيد وظيفة البحث العلمي فإن الجامعات تسعى إلى توظيف البحث العلمي لخدمة المجتمع وإنتاج المعرفة بما يحقق التدريس الفعال وبذلك تصبح الجامعات قادرة على تحمل المسؤولية الاجتماعية التي فوضها المجتمع إياها. كما أن أحد معايير تميز الجامعة هو مدى مساهمتها الفاعلة في تطوير البحث العلمي، لذلك فإن تطوير الوظيفة البحثية للجامعات أضحى جزءاً من مشروع مستقبلي لتطوير الجامعات العربية وربطها بالمجتمع.

ويأتي ذلك من خلال وضوح رؤيتها ورسالتها وأهدافها المنوطة بها حتى تسهم في تحقيق التعاون المستمر والمثمر لجميع العاملين بها حتى يمكنها من تحسين وتطوير أدائها وعليها أن تسعى لإعداد الكوادر البشرية المؤهلة تأهيل علمي وإداري لرفع مستوى أدائها الجامعي في مختلف الجوانب باعتبارها من أهم المؤسسات المجتمعية التي تسهم في وضع وتقدم ورخاء الأمم، بما تمتلكه من إمكانيات علمية وبشرية تمكنها من قيادة حركة المجتمع وتوجيه عمليات التنمية.

و يعتبر موضوع "الأداء" من أهم الموضوعات التي شغل بال المسئولين في جميع الدول المتقدمة والنامية على السواء. وبقدر تلك الأهمية القصوى لموضوع "الأداء" وخطورة تأثيره في حياة الأفراد والمجتمعات بقدر ما حظ هذا الموضوع باهتمام كبير من جانب العديد من الباحثين والمنظرين، فتعددت الدراسات حول ماهية الأداء، ومحدداته، وكيفية قياسه، وأصبح الفكر الإداري متضخماً بالعديد من المفاهيم والمداخل التي كانت تبحث دائماً عن الأداء الفعال، ذلك الأداء الذي يعكس القدرة على تحقيق الأهداف المطلوبة.([2])

وتشير الأدبيات إلى أن الصيغة المعاصرة للأداء تتمثل في مصطلح الأداء المؤسسي الذي يشير إلى التفاعل بين كل من دافعية المنظمة، وقدرتها الداخلية وبيئتها الخارجية.([3])

ويتكون الأداء المؤسسي من ثلاثة أبعاد، هي: أداء الأفراد في إطار وحداتهم التنظيمية المتخصصة، و أداء الوحدات التنظيمية في إطار السياسات العامة للمنظمة، و أداء المنظمة في إطار البيئة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.([4])

ويمكن القول أن هذه الأبعاد تشير إلى أن هناك ثلاثة مجالات هي : مستوى العمل، ومستوى العمليات، ومستوى المنظمة فهذه الأبعاد تعمل على تحديد المتغيرات المؤثرة في أداء وإنجاز المنظمة.

وفي هذا السياق فإنه يمكن القول أن الأداء البحثي هو في جوهره أداء مؤسسي للبحث. بمعنى أنه يتضمن ثلاثة أبعاد, هي الأداء البحثي لأعضاء هيئة التدريس والأداء البحثي للأقسام العلمية والأداء البحثي للكلية أو الجامعة.

والأداء البحثي على هذا النحو يتطلب إدارة جديدة قادرة على القيادة والإبتكار والتجديد والتعامل مع التغيرات المتلاحقة, إدارة قادرة على قيادة التغيير بفعالية وتحقيق معدلات نمو مرتفعة, ولابد من إعادة صياغة التنظيمات الإدارية للمنظمات والتخلص من القوالب التنظيمية الجامدة والتقليدية واستحداث تنظيمات متطورة – والتطوير هنا ينبع من واقع خصوصيتها ومناسبتها للمنظمات التي تتبعها-تتصف بالابتكار والإبداع.([5])

ومن الضروري ذكر قضية تفعيل الأداء البحثي في الجامعة المعاصرة التي تشير إلى أهمية قضية المنظومة القيمية للبحث العلمي التي تلتزم بها الجامعة باعتبار أن هذه المنظومة مرشداً للبحث العلمي وموجهاً له. وعليه فإن الجامعة المعاصرة تهتم بالقيم, لأنها تشكل الجوهر الأساسي للثقافة التنظيمية على مستوى الجامعة.

ومن الملاحظ أن الجامعات اليمنية بدأت بالعمل بجدية من أجل تطوير جهازها المؤسسي لمواكبة التطور السريع للتقدم التكنولوجي في العالم, حيث أن السمة الرئيسية للعصر الحالي هوتطور المعرفة في جميع مجالات الحياة وبشكل أثر على مختلف الميادين الصناعية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية. حيث بدأت الجامعات اليمنية وفي مقدمتهن جامعة صنعاء بإنشاء مراكز للبحث العلمي والتي بلغ عدها(٢٣) مركزاً من حيث الإمكانيات والفاعلية وإن كان الكثير منها لا زالت في بدايتها الأولى إلا أن الرؤية الإستراتيجية لليمن ٢٠٢٥م تتطلع إلى زيادة أعداد المراكز البحثية وزيادة الإنفاق عليها ودعمها وتفعيل دورها وتعزيز التنسيق فيما بينها وربطها بقطاعات الإنتاج والخدمات المختلفة بالإضافة إلى تشجيع إجراء الدراسات والبحوث العلمية في الجامعات بما في ذلك الأبحاث التي تدخل ضمن متطلبات الدرجات العلمية الأولى وأبحاث الترقيات العلمية لأعضاء هيئة التدريس,كاستجابة لحاجة الجامعة في تطوير برامجها, وتنمية قدراتها وإمكانياتها المادية والبشرية, ومواكبة التطورات العالمية الراهنة في مجالات التعليم الجامعي, لتتمكن من الإرتقاء بمستوى أدائها لوظائفها وتحقيق رسالتها.([6]) كما تم تشكيل لجنة من قبل رئيس الوزراء بإعداد قائمة بالمعايير والضوابط التي تنظم أداء الجامعات اليمنية فيما يخص أعضاء هيئة التدريس والموظفين.([7])

ونظراً لما تبين فيما سبق من أهمية تطوير الأداء البحثي للجامعات, لذا فقد أصبح بإمكان القيم أن تسود في الجامعات وتصبح هي المرجع والرئيس الجديد في الجامعة, ومن خلالها سيتحقق النجاح الأكيد للجامعة, وباعتبار أن الهيئة التدريسية وقادة الجامعة هم أهم المكونات الأساسية لمنظومة القيم ومن خلالهم يمكن إبراز

العوامل التي تؤثر على مستوى الأداء سواء كانت العوامل متعلقة بالمؤسسة الجامعية أو بالأفراد فيها حتى يمكن
الوصول إلى تحقيق وظيفة الجامعة المرتبطة بالبحث العلمي باعتبارها أحد الأهداف الرئيسة لأية جامعة والتي تحتل المرتبة الثانية في الأهمية بعد التعليم الأكاديمي, ويقاس التقدم العلمي لأي دولة بما توليه من أهمية للبحث العلمي.

مشكلة البحث:

إن الجامعات اليمنية واحدة من المنظمات التي تعاني الكثير من جوانب الضعف والقصور الإداري التي تؤدي إلى عدم قدرة جهازها إلى تحقيق معدلات عالية من الأداء والإنتاجية. كما أن نظام التعليم العالي الحالي في أمس الحاجة إلى التحديث, والتطوير, والتحسين المستمر لاسيما أنه يعاني من نقاط ضعف عديدة.([8])

وهناك مؤشرات كثيرة توضح ذلك أثبتتها الدراسات والبحوث التي أجريت حول الجامعات منها مايلي:-

١- مخرجات الجامعات اليمنية تتسم بالكم وليس بالنوع بالإضافة إلى ضعف الأداء في جميع إنجازاتها سواء كان ذلك على مستوى الأداء الإداري أو التعليمي أو البحثي أو الإستشاري.([9])

٢- الأنظمة الإدارية الحالية للجامعات اليمنية يعتريها العديد من أوجه القصور والضعف التي أفرزت كثيراً من السلبيات على الأداء الكلي للجامعات والتي يأتي في مقدمتها المركزية على مستوى المؤسسات الجامعية, وضعف الإلتزام بالقوانين واللوائح والأنظمة, وضعف الإلتزام بالتقاليد والأعراف الأكاديمية.([10])

٣- تدني شديد لمستوى الأداء على مختلف المستويات الإدارية والتنظيمية بجامعة تعز وتداخل وازداوجية وتجاوزات لمبدأ السلطة والمسؤولية من مختلف الإتجاهات الرأسية والأفقية.([11])

٤- قلة الإلتزام بالمعايير الأخلاقية والقيم الجامعية وأهداف وسياسات الجامعات عند كثير من أعضاء هيئة التدريس وكذلك الإستثناءات والوساطات التي تؤثر على تنفيذ السياسة
التعليمية وسياسة القبول وغيرها من أعمال إدارية ومالية.([12])

٥- ضعف الدعم المعنوي والإداري المقدم لأبحاث أعضاء هيئة التدريس وتوزيعها.([13])

٦- عدم وجود استراتيجية للبحث العلمي, وعدم تناسب الخطط والبرامج البحثية على مستوى الأقسام العلمية والكليات والمراكز البحثية وفقاً لاحتياجات التنمية وتحقيق أهدافها, وعدم تهيئة المناخ العلمي الملاءم لتنمية النشاط البحثي لأعضاء هيئة التدريس في الجامعة.([14])

٧- غياب التنظيم البحثي وانعدام التنسيق والتعاون بين المراكز والمؤسسات البحثية على المستوى المحلي والعربي والدولي, وكذا التركيز على التدريس دون الاهتمام بالبحث العلمي.([15])

٨- ضعف ثقافة البحث، حيث تجرى أكثر البحوث للترقية العلمية وليس للأبحاث مما أثر في التنمية الاقتصادية للبلاد.([16])

مما سبق يتضح أن هناك خللاً في بعض الأجهزة الإدارية والتنظيمية يواجه الأداء البحثي للجامعات اليمنية ، ومن هنا يمكن بلورة مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي:-

ما واقع الأداء البحثي في الجامعات اليمنية ؟

ويتفرع من السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:-

١- كيف يمكن تطوير الأداء البحثي للجامعة في ضوء الأدبيات المعاصرة ؟

٢- ما الواقع الراهن للأداء البحثي للجامعات اليمنية؟

٣- ما واقع تشخيص البيئة الداخلية والخارجية للجامعة بالجمهورية اليمنية؟

٤- ما التصور المقترح لتطوير الأداء البحثي في الجامعات اليمنية؟

حدود البحث:

أولاً : الحدود المجالية:

يقتصر البحث على الحدود التالية:

١- فيما يتعلق بمتغير الأداء البحثي للجامعات، فإن الباحث سيتناوله من خلال الجوانب التالية:

- الأداء البحثي لأعضاء هيئة التدريس.
- الأداء البحثي للقسم.
- الأداء البحثي للكلية أو الجامعة.

ثانياً: الحدود البشرية: سيقتصر هذا البحث على:

- رؤساء الجامعات ونوابهم وعمداء ونواب الكليات ورؤساء الأقسام العلمية وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات اليمنية على اعتبار أنهم القائمون بالأداء البحثي ويعتبروا أصحاب القرار وأكثر اهتماماً بالبحث العلمي داخل الجامعة.

ثالثاً: الحدود المكانية والزمنية:

تم تطبيق الدراسة الميدانية خلال أكتوبر ونوفمبر وديسمبر من العام الدراسي ٢٠١٠-٢٠١١م، على أربع جامعات حكومية من جامعات الجمهورية اليمنية، جامعتين قديمة وهي جامعة صنعاء، وجامعة عدن، وجامعتين حديثة وهي جامعة ذمار، وجامعة إب حيث يبلغ عدد الجامعات اليمنية (٢١) جامعة منها (٨) جامعات حكومية، و(١٣) جامعة أهلية وخاصة، حسب الإحصاء السنوي الصادر من الجهاز المركزي للإحصاء.([17])

أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث فيما يلي:

١- الوقوف على مفهوم الأداء البحثي للجامعات .

٢- التعرف على الواقع الراهن للأداء البحثي للجامعات اليمنية.

٣- التعرف على واقع الجامعة في اليمن, باستخدام أسلوب التحليل البيئي (SWOT Analysis) .

٤- الوصول إلى تصور مقترح يمكن من خلاله تطوير الأداء البحثي للجامعات اليمنية.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث مما يلي:

- ندرة الأبحاث والدراسات في المكتبة العربية, التي اهتمت بتطوير الأداء البحثي للجامعات العربية بصفة عامة, والجامعات اليمنية بصفة خاصة (على حد علم الباحث).
- يهتم البحث بدراسة الجامعة باعتبارها مؤسسة تعليمية من أهم المؤسسات التعليمية في اليمن ونظراً لما تقوم به من أدوار وظيفية تتمثل في التدريس, والبحث العلمي, وخدمة المجتمع.
- يأتي هذا البحث متزامناً مع الجهود المبذولة والداعية إلى التطوير المستمر للتعليم العالي على المستوى المحلي والعالمي.
- قد يسهم هذا البحث في تطوير الأداء البحثي للجامعات اليمنية, ومن ثم يمكن أن تستفيد منه الجامعات الحكومية والأهلية على حد سواء وأجهزة التطوير والتخطيط في اليمن.

مصادر البحث وأدواته:

تتمثل مصادر البحث فيما يلي:

١- المعاجم والقواميس المتخصصة.

٢- التقارير والمؤتمرات والوثائق الرسمية المتعلقة بموضوع البحث.

٣- الكتب والدوريات العربية والأجنبية والمترجمة الخاصة بمجال البحث.

٤- الدراسات والرسائل العلمية ذات العلاقة بموضوع البحث.

٥- المواقع الإلكترونية المتاحة الحكومية والمعرفية.

٦- استبيان للكشف عن واقع الأداء البحثي في الجامعات اليمنية.

مصطلحات البحث:

يشتمل البحث الحالي على مصطلحات البحث الأساسية والتي سيتم عرضها, وذلك من خلال عدد من التعريفات المفاهيمية, ويلي ذلك التوصل إلى تعريف إجرائي لهذه المصطلحات يتبناه البحث.

١- الأداء: Performance

يعرف الأداء من الناحية الإدارية بأنه القيام بأعباء الوظيفة من مسئوليات وواجبات وفقاً للمعدل المفروض أداؤه من العامل الكفء المدرب. ويمكن معرفة هذا المعدل عن طريق تحليل الأداء performance analysis أي دراسة كمية العمل والوقت الذي يستغرقه وإنشاء علاقة بينهما. ولإمكان ترقية الموظف تجرى له اختبارات أداء ويعتمد في ذلك على تقارير أداء العامل لعمله ومسلكه فيه في فترة زمنية محددة.([18]) ويشير هذا التعريف إلى أنه يمكن معرفة معدل أداء الفرد وتقييمه عن طريق اختبارات الأداء المعتمدة على تقارير الأداء في فترة محددة وعلى ضوء ذلك يتم ترقيته.

ويعرف أيضاً بأنه الإنجاز الذي يتحقق نتيجة ما يبذله الفرد في عمله من مجهود بدني وذهني وبالتالي فهو انعكاس لمدى نجاح الفرد أو فشله في تحقيق الأهداف المتعلقة بوظيفته.([19])

يؤكد التعريف السابق على أن أداء الفرد يظهر من خلال الإنجاز الذي يؤديه من خلال عمله وما يقوم به من عمل في تحقيق أهداف العمل سواء بنجاح أو فشل.

ويعرفه آخرون بأنه "العمل الذي يؤديه الفرد والإنجازات التي يحققها وفقاً للمعايير الموضوعية (الكمية والنوعية والزمنية) وسلوكه في وظيفته وسلوكه مع زملائه ورؤسائه في العمل"([20]). أو قيام الفرد بإنجاز الأهداف التي تسعى إليها المنظمة باستخدام الموارد المتاحة بفاعلية وكفاءة.([21]) يختلف هذا التعريف عن سابقيه باهتمامه لما يحققه الفرد وفقاً للمعايير والسلوك الوظيفي بهدف إنجاز أهداف المنظمة بفاعلية وكفاءة.

٢- الأداء المؤسسي Institutional Performance:

يرى البعض أن الأداء المؤسسي هو نتيجة محصلة التفاعلات المتداخلة والمعقدة بين الناس وبين المواد والأجهزة التي يستخدموها, والبيئة والثقافة التي يعملون في سياقها.([22]) ويرى الباحث أن هذا التعريف اهتم بتفاعلات البيئة الداخلية والخارجية للأداء ولم يأخذ في الإعتبار أثر أداء المنظمة ككل.

ويعرف الأداء المؤسسي بأنه المنظومة المتكاملة لنتاج أعمال المنظمة في ضوء تفاعلها مع عناصر بيئتها الداخلية والخارجية. والأداء وفقاً لهذا المفهوم يشتمل على أبعاد ثلاثة هي([23]):

- أداء الأفراد في إطار وحداتهم التنظيمية المتخصصة.
- أداء الوحدات التنظيمية في إطار السياسات العامة للمنظمة.
- أداء المنظمة في إطار البيئة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

يشير هذا التعريف إلى أن مفهوم الأداء المؤسسي هو النظر إلى الأداء المؤسسي على أنه منظومة متكاملة تتكون من ثلاثة أبعاد هي: البعد الفردي والمقصود به في هذا البحث أداء القيادات الجامعية وأعضاء هيئة التدريس, والبعد التنظيمي وهو أداء الأقسام العلمية, والبعد البيئي وهو أداء الكلية أو الجامعة في البيئة

الخارجية وبناء على ذلك فلابد أن يعكس الأداء المؤسسي للجامعة بمستوياته الثلاثه على وظيفة البحث العلمي.

ويتحدد الأداء المؤسسي بأنه سلوك أو جهد مبذول لتحقيق الأهداف المطلوبة, ويؤدي إلى نتيجة في البيئة والمجتمع, أو بمعنى آخر ما يفعله "الفرد" أو أحد العاملين بالمؤسسة, استجابة لمهمة معينة فرضت عليه وفقاً لمجموعة القواعد والقوانين المنظمة أو من قبل الآخرين "الرؤساء"([24]). يشير هذا التعريف إلى أن سلوك الفرد يؤثر في البيئة والمجتمع نتيجة للقوانين والأنظمة التي يتبعها من قبل الإدارة العليا.

هذا بالإضافة إلى أن الأداء المؤسسي هو عملية تستهدف قياس كفاءة العمل الجامعي ومقدار ما تم إنجازه من الخطط التعليمية أو البحثية أو خدمة المجتمع ويستخدم في هذا القياس مجموعة من الإجراءات التي توزن بها كفاءة البرامج الجامعية ومدى نجاحها في تحقيق الأهداف المرسومة.([25]) وبفحص هذا التعريف يلاحظ أنه يهتم بتقويم الأداء الجامعي والمتمثل في وظيفة الجامعة الثلاث وقياس كفاءته من خلال ما تم إنجازه من خطط مما يؤدي إلى تحقيق أهداف الجامعة المرجوة.

٣- الأداء البحثي Research Performance:

يعرف الأداء البحثي بأنه الناتج البحثي أو منتج النشاط البحثي الذي يسهم في التقدم العلمي.([26]) ويرى كل من جوهن ولامباردي(John V. Lambardi 2003) بأن الأداء البحثي هو الإنتاجية البحثية.([27])

كما يعرفه كابلان (Kaplan, Norman. 1964) وأندروز(Andrews, Frank M,. ed.1979) بأنه أداء علمي.([28]) ويعتبره فولقان وأ ستن وهلين و باير وألين

(Folger, J, K,: Astin, Helen S,: and Bayer. Alan E. 1970.). بأنه إنتاجية علمية.([29])

يلاحظ من التعاريف السابقة أن الأداء البحثي مرادف لكل من الإنتاجية البحثية والعلمية والأداء العلمي وكذلك النشاط البحثي وكل ذلك يؤدي نفس المعنى.

وبناء على ماسبق يمكن تعريف الأداء البحثي للجامعة إجرائيا في هذا البحث بأنه: مجموع الأنشطة التي يمارسها كلُ من عضو هيئة التدريس أو القسم أو الكلية أو الجامعة من أجل الإسهام في التطوير والتقدم العلمي, والذي يمكن قياسه بعدة طرق منها كمية النشر أو الاقتباس أو تقدير الزملاء أوالكلية.

منهج البحث:

يعتمد البحث الحالي على المنهج الوصفي "الذي يقرب الباحث من الواقع، حيث يدرس الظاهرة كما هي على أرض الواقع ويصفها بشكل دقيق إما بتعبير كمي حول خصائص وسمات الواقعة أو بأسلوب كمي"[30]. وذلك من أجل الوقوف على واقع الأداء البحثي للجامعات اليمنية .

كما يستعين البحث بأسلوب التحليل الاستراتيجي Swot Analysis والذي يركز هذا الأسلوب على بعدين هما الوصف والتشخيص Descriptive وذلك لأجل إبراز جوانب القوة Strength والضعف Weakness في البيئة الداخلية، والوقوف على الفرص Opportunities المتاحة والتهديدات Threats في البيئة الخارجية.[31] بغرض تقييم البيئة الداخلية والخارجية للجامعة.

ويستفيد البحث أيضاً من التحليل المستقبلي Prospective Analysis.[32] بغرض الوصول إلى تخطيط استراتيجي للجامعة.

الدراسات السابقة:

سوف يتم ترتيب الدراسات السابقة وفقاً لإجرائها حسب الأحدث وذلك على النحو التالي:١-دراسة هيوي لانبو وتشنق كاو (2008) Hwei-Lan Pao &Chiang Kao.[33]

هدفت هذه الدراسة إلى وصف التقييم الشامل للأداء البحثي في الإدارة لـ ١٦٨ جامعة تايوانية. بالإضافة إلى المؤشرات الشعبية لمنشورات مجلة (فهرس الاستشهاد العلمي، وفهرس استشهاد العلوم الاجتماعية، وفهرس الاستشهاد العلمي(Science Citation Index) وفهرس إستشهاد العلوم الاجتماعية (Social Sciences Citation Index) واستخدمت الدراسة معامل ارتباط سبيرمان في إطار المنهج الوصفي كأداة للدراسة وذلك من خلال موقع شبكة المعرفة لمعهد المعلومات العلمية (Institute for Scientific Information Web of Knowledge "ISI website")، وتمثلت عينة الدراسة من (١٧٦٢) عضو هيئة تدريس ممن يحملون رتبة الأستاذية في أقسام الإدارة من ١٢٩ جامعة. والذي تم تقييم أدائهم البحثي من خلال مشاركة واحدة على الأقل لهم من عام ١٩٩٥-٢٠٠٤ في مشروع المجلس العلمي الوطني.

وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها مايلي:

- أن الجامعات الحكومية لديها أداء بحثي أفضل من الجامعات الخاصة ويرجع ذلك إلى الدعم المالي الكبير من الحكومة لتلك الجامعات. وأن الجامعات الخاصة التي لها رسائل مشابهه لرسائل الجامعات الحكومية كان أدائها البحثي مشابه لأداء الجامعات الحكومية. وبتحليل مجموعة الأوزان المستنتجة والمأخوذة من الخبراء تبين أن نتائج هذه الدراسة تؤيد بشدة المؤشرات والأوزان التي تم استخدامها في الدراسة.

٢- دراسة علي أسد وفيصل سعيد (Ali Azad,and Fazal Seyyed (2007.([34])

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة تأثير سلسلة من العوامل على الإنتاجية البحثية لأعضاء هيئة التدريس وما يقابلها من رضاء في دول الخليج، بالإضافة إلى محاولة لمعرفة الاختلافات الهامة التي وجدت بين تفضيل أعضاء هيئة التدريس وتوقعات الجامعات فيما يتعلق بتخصيص الوقت بين عمل أعضاء هيئة التدريس والنشاطات المرتبطة، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، واستخدم الباحث الاستبيان كأداة للدراسة الميدانية والذي اشتمل على أربعة أجزاء هي: البيانات الأساسية، المعرفة الذاتية والكفاءة الفردية، بيئة العمل، والحالات الاجتماعية، وتم توزيعه على عينة مكونة من (١١٥) عضو هيئة تدريس من مدارس الأعمال الجامعية بدول الخليج، حيث طبقت على كلية التجارة والاقتصاد بالإمارات العربية المتحدة، وكلية الإدارة الصناعية بجامعة فهد للبترول والمعادن بالمملكة العربية السعودية، وكلية إدارة الأعمال في جامعة الكويت.

وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها ما يلي:

- عدم وجود تكافؤ بين الإهتمام الملاحظ للعوامل التي تؤثر على الإنتاحية البحثية ومستوى الرضاء.
- تفضيل أعضاء هيئة التدريس لتخصيص وقت أكثر للبحث والنشاطات العلمية الأخرى من مدراء الجامعة.
- وجود اختلافات ذات دلالة احصائية بين تخصيصات الوقت لأعضاء هيئة التدريس للعمل المرتبط بالنشاطات مثل (التدريس، النمو المهني، البحث، الخدمة) و توقعات الجامعة.
- وجود اختلافات ذات دلالة احصائية بين المستوى الملاحظ لتأثير العوامل المرتبطة ببيئة العمل على الإنتاجية البحثية ومستوى رضا أعضاء هيئة التدريس.

٣- دراسة وارن سمارت (Warren Smart(2005.([35])

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الأداء البحثي لأعضاء هيئة التدريس في قطاع التعليم العالي النيوزيلاندي، ومعرفة المتغيرات المستقلة والتابعة التي تؤثر عليه، واستخدمت الدراسة لمعالجة البيانات تحليل الانحدار المتعدد، والمتوسطات الحسابية ضمن إطار المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة الدراسة من (٧٧٥٢) عضو هيئة تدريس.

ومن أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة فيما يلي:

- من ناحية العمر: وجود أثر بشكل عام لمتغير العمر على الأداء البحثي ، حيث تبين أن من هم في عمر مبكر في منتصف العشرينات كان لديهم مستوى منخفض من الأداء البحثي. وأن الأداء البحثي يزداد بسرعة مع العمر؛ فعند بلوغ الذروة لأعضاء هيئة التدريس في العمر؛ عند أواخر الثلاثينات

وأوائل الأربعينات يزداد الأداء البحثي عندهم ويبدأ في السقوط عند أواخر الأربعينات إلى أوائل الستينات.

- النوع: إن الأداء البحثي لأعضاء هيئة التدريس الذكور يفوق قليلاً مثيله لأعضاء هيئة التدريس الإناث.
- العرق: وجود أثر لمتغير المجموعة العرقية على الأداء البحثي في بعض المناطق.
- وجود أثر قوي لمتغير الرتبة الأكاديمية على الأداء البحثي لأعضاء هيئة التدريس، حيث حصل على المستوى العالي للأداء البحثي هم بالترتيب الأساتذة والأساتذة المشاركين يلي ذلك المحاضرين الأوائل ثم المحاضرين.
- حصول أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الحضرية المؤسسية والجامعات متعددة التقنيات على أعلى مستوى للأداء البحثي.

٤- دراسة جينز سمباي وسفير تراي Jens Smeby, and Sverre Try (2005).[36]

هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الخواص الإدارية والنشاط البحثي لأعضاء هيئة التدريس الجامعي، وطبقت الدراسة على أربع جامعات حكومية وثلاث جامعات خاصة بالنرويج، واتبعت المنهج الوصفي، واستخدمت الاستبيان كأداة لجمع البيانات، وتم توزيعه على عينة مكونة من (٢٩٦٦) منهم (١٦١١) عضو هيئة تدريس من هم أصغر من ٤٠ سنة و(١٣٥٥) من هم أصغر من ٤٥ سنة .ومن أهم نتائج هذه الدراسة ما يلي:

أ- مناخ القسم:

٥- أن الأساتذة المساعدين و المشاركين لديهم نشاط بحث أقل من الأساتذة.

٦- وجود علاقة بين الرتبة الأكاديمية لعضو هيئة التدريس والناتج البحثي.

٧- أن الأساتذة ينتجوا منشورات ومقالات علمية أكثر من الأساتذة المساعدين والمشاركين.

ب-وقت البحث:

٨- وجود أثر سلبي لمتغير التعاون مع الباحثين الآخرين في النرويج على وقت البحث وأثر إيجابي على المنشورات.

٩- وجود أثر لمتغير الوقت المخصص للبحث على الناتج البحثي.

١٠- وجود أثر من التمويل الدولي على وقت البحث وليس له أثر على الناتج البحثي.

ج- العمر:

١١- وجود أثر للناتج البحثي بواسطة مستوى العمر في القسم.

١٢- ليس للعمر أي تأثير على وقت البحث.

د- المنشورات والمقالات العلمية:

١٣- وجود أثر إيجابي للمصادر على كل المنشورات والمقالات.

هـ- النوع:

١٤- الناتج البحثي لأعضاء هيئة التدريس الذكور يفوق قليلاً من نظرائهم الإناث بسبب أن الإناث يقضين أقل وقت في البحث من نظرائهن الذكور.

١٥- لا يوجد أثر ذات دلالة إحصائية لمتوسط وحجم الإناث على النشاط البحثي.

و- حجم القسم:

١٦- وجود أثر إيجابي ذات دلالة إحصائية لحجم القسم على عدد المقالات.

١٧- وجود أثر إيجابي للأقسام التي تصف بالتعاون على إنتاج مقالات أعضاء هيئة التدريس.

٥- دراسة سيمون فيل وآخرون Simon Ville and Others(2005).[37]

هدفت الدراسة إلى اختبار توزيع أحد عشر مقياس للأداء البحثي عبر ثمانية وثلاثين جامعة استرالية عن طريق قاعدة البيانات هردك"HERDC"، و استخدمت الدراسة المنهج الوصفي، ومقياس التفاوت والذي يسمى بمعامل جيني"Gini" والذي يستخدم بواسطة الاقتصاديين لقياس التوزيع الداخلي للأفراد أوالعائلات..

ومن أهم نتائج الدراسة ما يلي:

- وجود أثر سلبي للمساهمات البحثية على النواتج البحثية في الجامعات الإسترالية، وذلك بسبب عدم الإنصاف في توزيع هذه المساهمات البحثية.
- وجود توزيع غير متساوي بين الجامعات الإسترالية للأداء البحثي.
- وجود هبوط في الإنتاج البحثي المرتبط بالصحف والمؤتمرات وكذلك درجة الدكتوراه بنسبة ١.٣٪.

وتتشابه الدراسة السابقة مع البحث الحالي في كونهما يبحثان في الأداء البحثي غير أنهما يختلفان في أمور عدة منها: بلد ومجتمع الدراسة، وأن الدراسة السابقة ركزت اهتمامها على توزيع الأداء البحثي للجامعات عن طريق قاعدة بيانات، في حين اهتم البحث الحالي للوصول إلى تصور مقترح لتطوير الأداء البحثي للجامعة.

ويمكن الاستفادة من هذه الدراسة في إلقاء الضوء على أهم المقاييس التي تم تطبيقها في هذه الدراسة.

٦- دراسة تريزا فينج (Teresa Vange, and Others(2005.[38]

هدفت الدراسة لمعرفة الإنتاجية البحثية لأعضاء هيئة التدريس والعوامل التي تؤثر فيها. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي, بالإضافة إلى استخدامها الاستبيان كأداة للدراسة الميدانية, وتم توزيعه على عينة مكونة من (١٦٢) من أساتذة الجامعة. ومن أهم ما أسفرت عنه الدراسة من نتائج ما يلي:

- وجود إختلافات في النوع من حيث الإنتاجية.
- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين النوع والإنتاجية.
- وجود إختلافات في عدد المنشورات بين الرجال والنساء في أقسام البحث الموجهة.
- وجود اختلافات بين إنتاجية النشر لأعضاء هيئة التدريس الرجال والنساء.
- الإنتاجية البحثية لأعضاء هيئة التدريس الذكور أكثر من أعضاء هيئة التدريس النساء.
- أن أعضاء هيئة التدريس الذكور المتزوجون والذين لديهم أطفال ينتجوا أقل من غيرهم.
- احتمالية انتساب النساء أكثر من الرجال في أقسام البحث الموجهة.

وتتشابه هذه الدراسة مع البحث الحالي في كون الإثنتين يهتمان بالإنتاجية البحثية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات. غير أنهما يختلفان في كون الدراسة السابقة قد اقتصرت على الإنتاجية البحثية لأعضاء هيئة التدريس والعوامل التي تؤثر عليها, في حين أن البحث الحالي يهتم بالأداء البحثي بأبعاده المختلفه, كما يختلف في بلد ومجتمع الدراسة.

اجراءات البحث:

أولاً: إعداد الاستبيان وتطبيقه:

اتساقاً مع طبيعة البحث وتحقيقاً لأهدافه, استعان الباحث بالاستبيان كأداة لأجراء الدراسة الميدانية وذلك بهدف التعرف على آراء عينة الدراسة لواقع الأداء البحثي للجامعات اليمنية, ومعرفة الاسهامات والأنشطة البحثية لهم, حيث يعد الاستبيان من أهم وأنسب الوسائل للحصول على معلومات والتعرف على آراء وخبرات واتجاهات مرتبطة بواقع معين.[39]

١- عينة البحث وخصائصها:

نظراً للصعوبة البالغة التي يواجهها الباحث عند إجراء البحث على المجتمع الأصلي بأكمله خاصة إذا كان هذا المجتمع – الكل-كبير نسبياً, لذا فإن الباحث يكتفي باختيار عدد قليل أو جزء بسيط من هذا الكل أو بعض من جميع وذلك في حدود الوقت والجهد والامكانيات المتاحة له, ويبدأ بدراسة هذا الجزء المختار وتعميم نتائجه على المجموع.[40]

وفي ضوء متطلبات الدراسة، وأهدافها تم تحديد المجتمع الأصلي والذي بلغ (٢٥٨٩) عضواً يتوزعون على (٧) جامعات حكومية في فئة أساتذة، أساتذة مشاركين، أساتذة مساعدين، وذلك بناء على مؤشرات التعليم في الجمهورية اليمنية الصادر عن المجلس الأعلى لتخطيط التعليم.([41])

ومن ثم قام الباحث بتحديد حجم العينة المطلوبة، ولما كان من الصعب دراسة المجتمع بأكمله نظراً للاتساع الجغرافي الكبير الذي تتوزع فيه الجامعات اليمنية من ناحية، ومن ناحية أخرى نظراً لصعوبة التطبيق على أكبر عدد من أعضاء هيئة التدريس، لذا تم الاقتصار على أربع جامعات هي (صنعاء، عدن، ذمار، إب) وتم اختيار عينة لهذا المجتمع بصورة عشوائية بلغ عددها (٣٢٥) عضو هيئة تدريس بنسبة (١٢.٥٥٪) من المجتمع الأصلي. مع الحرص على توافر تمثيل تقسيم مجتمع البحث إلى طبقات وهي: أستاذ، أستاذ مشارك، أستاذ مساعد.، وأن يكون الاختيار عشوائياً قدر المستطاع.

ويوضح الجدول رقم (١٠) و (١١) توزيع عينة الدراسة على الجامعات المختارة حسب متغيرات الدراسة والنسب المئوية لها:

جدول رقم(١): توزيع عينة الدراسة على الجامعات المختارة حسب متغيرات الدراسة وهي: النوع، العمر، الجامعة، الكلية.

متغير الدراسة		التكرار	النسبة المئوية
النوع	ذكور	٢٠١	٨٣.٨٪
	إناث	٣٩	١٦.٣٪
العمر	أقل من ٣٥ سنة	٣٣	١٣.٨٪
	مابين ٣٥-٥٠	١٦٨	٧٠٪
	أكثر ٥٠ سنة	٣٩	١٦.٣٪
الجامعة	صنعاء	٩٤	٣٩.٢٪
	عدن	٦٤	٦٢.٧٪
	ذمار	٤٤	١٨.٣٪
	إب	٣٨	١٥.٨٪
الكلية	عملية	٩٨	٤٠.٨٪
	إنسانية	١٤٢	٥٩.٢٪

جدول رقم (٢): توزيع أفراد العينة طبقاً لمتغير الدرجة العلمية، سنوات الخبرة، مكان الحصول على درجة الدكتوراه، الوظيفة.

متغير الدراسة		التكرار	النسبة المئوية
الدرجة العلمية الحالية	أستاذ	٢٨	٪١١.٧
	أستاذ مشارك	٥٨	٪٢٤.٢
	استاذ مساعد	١٥٤	٪٦٤.٢
سنوات الخبرة بعد الحصول على درجة الدكتوراة	أقل من خمس سنوات	٩١	٪٣٧.٩
	من ٥-١٠ سنوات	٩٧	٪٤٠.٤
	أكثر من ١٠ سنوات	٥٢	٪٢١.٧
مكان الحصول على درجة الدكتوراة	اليمن	٨	٪٣.٣
	دولة عربية	١٦٠	٪٦٦.٧
	دولة أجنبية	٧٢	٪٣٠
الوظيفة الحالية	الهيئة التدريسية	١٧٣	٪٧٢.١
	القيادات الجامعية	٦٧	٪٢٧.٩

يتضح من بيانات الجدول رقم(١) و(٢) توزيع أفراد عينة البحث في جامعات صنعاء وعدن وذمار وإب والتي بلغ إجمالي عددها (٢٤٠) من فئة الأساتذة، والأساتذة المشاركين، والأساتذة المساعدين موزعين على الكليات العملية والإنسانية بالجامعات.

ويوضح الجدولين السابقين رقم (١) و(٢) أن هناك اختلافاً في عينة البحث طبقاً للمتغيرات سالفة الذكر، حيث أن فئة الذكور أعلى نسبة من إجمالي فئة الإناث، وذلك لارتفاع عدد الذكور في المجتمع الأصلي، كما أن النسبة العالية للعمرهي ما بين ٣٥-٥٠، حيث يتركز أكثر عدد هيئة التدريس في هذه الفئة.

ويتضح أن جامعة صنعاء أعلى نسبة وذلك باعتبارها أقدم الجامعات وعددها مرتفع في المجتمع الأصلي، تليها جامعة عدن، ويتضح كذلك أن الكليات الإنسانية نسبتها أعلى من الكليات العملية، كما أن فئة الأساتذة المساعدين أعلى نسبة من إجمالي العينة وذلك لارتفاع عددهم في المجمتمع الأصلي، وبالنسبة لمتغير سنوات الخبرة في الجامعة فيظهر من أعمارهم أقل من ٥ سنوات أعلى نسبة، ويرجع السبب نفسه، فهم يحتلون أكبر عدد في المجتمع الأصلي، ويرجع ذلك إلى توجه الجامعات بما يسمى التوظيف بالإحلال لذا فنسبة الأساتذة منهم أقل من ٥ سنوات أكثر.

أما متغير مكان الحصول على درجة الدكتوراة، فالدول العربية تحتل النسبة العالية من إجمالي العينة، ويرجع السبب إلى أن أكثر المبتعثين للحصول على درجة الدكتوراة في الدول العربية، كذلك ارتفاع الهيئة

التدريسية من القيادات الجامعية، وهذا شئ بديهي بسبب قلة عدد المناصب الإدارية في الجامعات اليمنية مقابل عدد أعضاء هيئة التدريس.

صدق الاتساق الداخلي: Correlation Coefficients

بعد الانتهاء من إعداد الاستبيان في صورته النهائية، قام الباحث بحساب صدق الاتساق الداخلي للاستبيان، ويقصد بالصدق الداخلي Internal Validity أن نتائج الدراسة تعزى إلى المتغيرات موضع القياس أو المعالجة المرتبطة بأهداف الدراسة بمعنى ارتباط مفردات الدراسة بعضها ببعض([42])، وذلك بحساب معامل الارتباط بين كل محور من محاور الاستبيان وبين الدرجة الكلية للاستبيان وبين كل عبارة من عبارات المحور وبين المجموع الكلي للاستبيان، وذلك من خلال المعادلة التالية:

- ر = مج(ح س X ح ص) / ن ع س ع س

حيث ر = معامل الارتباط لبيرسون

ح س = انحراف الدرجة في المجموعة س عن المتوسط

ح ص = انحراف الدرجة في المجموعة ص عن المتوسط

ع س = الانحراف المعياري للمجموعة س

ع ص = الانحراف المعياري للمحموعة ص

ن = عدد الاحتمالات.

جدول رقم (٣): يوضح معاملات ارتباط كل محور والدرجة الكلية للاستبيان

المحور	معاملات الارتباط بالدرجة الكلية
الأول	٠.٦٧❖❖
الثاني	٠.٧٣ ❖❖
الثالث	٠.٧١ ❖❖

❖❖ دال عند ٠.٠١

يتضح من الجدول السابق رقم (٣) أن معاملات الارتباط بين المحاور الثلاثة والدرجة الكلية للاستبيان معاملات دالة عند مستوى(٠.٠١) وهي ارتباطات مرتفعة، حيث تتراوح بين (٠,٦٧- ٠.٧٣)، مما يؤكد على صدق الاستبيان وصلاحيته للتطبيق.

ن X ١ - مجـ ع٢ ف
ن-١ ع٢ ك

٦- ثبات الاستبيان: Reliability

ويقصد به أن يعطي الاختبار النتائج نفسها تقريباً إذا ما أعيد تطبيقه على نفس الأشخاص وفي نفس الظروف.[43] ويقصد به أيضاً دقة الاستبيان ومدى تناسق عباراته وتجانسها, وقد تم حساب معامل الثبات باستخدام اختبار ألفا كرونباخ Alpha , باعتباره أفضل طريقة لحساب ثبات الأوزان المستخدمة في البحوث المسحية مثل الاستبيانات واستمارات البحث.[44] وذلك وفقاً للمعادلة التالية:

معامل ثبات ألفا كرونباخ = ن X ١-مج ع٢ ف

ن-١ ع٢ ك

حيث: ن= عدد فقرات الاستبيان

ع٢ف = ثبات الفقرة الواحدة من الاستبيان.

ع٢ك = الثبات الكلي للاستبيان.

وقد تم حساب ثبات الاستبيان بطريقتين هما: طريقة ألفا كرونباخ وطريقة التجزئة النصفية لمحاور الاستبيان والاستبيان ككل والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم(٤): حساب معاملات الثبات لمحاور الاستبيان والاستبيان ككل

المحور	عدد العبارات	معامل ألفا كرونباخ	التجزئة النصفية (سبيرمان براون)
الرسالة-الأهداف-القيم	١٥	٠.٧٥	٠.٧٣
البيئة الداخلية	٥٧	٠.٨٩	٠.٨١
البيئة الخارجية	١٤	٠.٧٤	٠.٧٧
الاستبيان ككل	٨٦	٠.٨٧	٠.٧٤

يوضح الجدول السابق رقم(٤) أن قيمة معاملات الثبات مرتفعة إلى حد كبير, سواء بالنسبة للمحاور, أو بالنسبة للاستبيان ككل, مما يشير إلى تجانس عبارات الاستبيان, ويؤكد ثباته وصلاحيته للتطبيق, ويدل ذلك على أن الأداة تتمتع بدلالات صدق وثبات عالية تبرر استخدامها لأهداف البحث الحالي.

ثانياً: نتائج الدراسة الميدانية:

فيما يلي نتائج الدراسة الميداينة:

الاسهامات والأنشطة البحثية الكمية لأفراد عينة البحث:

- أن الإحصاء الكمي لإجمالي عدد الكتب العربية المنشورة لأفراد العينة (٢٤٠) خلال الخمس السنوات الماضية وصلت إلى (٢٤٩) كتاباً, ومعظم هذه الكتب كانت فردية, أي أن متوسط المعدل السنوي لانتاجية الكتب لأفراد العينة تساوي حوالي ٤٩.٨ كتاب, أي أن معدل إنتاجية الكتب للفرد الواحد تساوي حوالي ٠.٠٢٪ بمعنى أن الفرد ينتج كتاب واحد كل خمس سنوات, وهي نسبة ضعيفة جداً .
- أن الكتب الأجنبية وصلت إلى (٣٠) كتاب, ومتوسط المعدل السنوي لهذه الكتب لأفراد العينة تساوي ٦ كتب, ومعدل إنتاجيتها للفرد الواحد تساوي ٠.٠٠٢٪,ونفس الشئ بالنسبة للكتب المترجمة فقد وصلت إلى (٢٨) كتاب, بمعدل متوسط سنوي ٥.٦ كتب, أي أن معدل إنتاجية الفرد الواحد للكتب المترجمة تساوي ٠.٠٠٢٪ وهي نسبة ضعيفة جداً وتكاد لا تذكر.
- السابق أن عدد البحوث التي قام بها أفراد العينة خلال الخمس السنوات الماضية وصلت إلى(١٢٧٦) بحثاً, أي أن متوسط المعدل السنوي لإنتاجية الأبحاث لأفراد العينة تساوي حوالي ٢٥٥.٢ بحث, أي أن معدل إنتاجية البحوث للفرد الواحد تساوي حوالي ١.٠٦٪ وهي تعتبر نسبة أفضل نوعاً ما من إنتاجية الكتب.
- أن أفراد العينة الذين قاموا بتأليف كتب عربية فردية بلغت نسبتهم ٢٣.٧٥٪ أما عن الكتب المشتركة فبلغت نسبتهم ٨.٠٧٪, وبلغت نسبة الذين قاموا بتأليف كتب فردية مشتركة ٥.٨٣٪, في حين أن الغالبية العظمى ونسبتهم ٦٣.٣٣٪ من إجمالي أفراد العينة لم يقوموا بتأليف كتب عربية لا فردية ولا مشتركة.
- أما الكتب الأجنبية, فقد بلغت نسبة الذين قاموا بتأليف كتب فردية ٦.٦٧٪, ونسبة ٢.٠٨٪ قاموا بتأليف كتب مشتركة, ونسبة ٢.٥٪ قاموا بتأليف كتب فردية مشتركة, ونسبة الذين لم يقوموا بتأليف أي كتب أجنبية سواء فردية أو مشتركة ٨٨.٧٥٪ من إجمالي أفراد العينة وهي تمثل نسبة كبيرة جداً.

متغير النوع:

- أن غالبية الأنشطة البحثية للكتب العربية, والكتب الأجنبية, والمترجمة, وكذلك الأبحاث, والمشروعات تأتي من الذكور أكثر من الإناث.

متغير العمر:

- أن الذين يقعون في الفئة العمرية (أكثر من ٥٠ سنة) هم أكبر فئة غير منتجة للكتب العربية، إذ بلغت نسبتهم (٧٩.٤٩٪)، ويليهم أصحاب الفئة العمرية (أقل من٣٥ سنة) بنسبة (٦٣.٦٤٪)، ثم أصحاب الفئة العمرية (مابين ٣٥-٥٠ سنة) بنسبة (٥٩.٥٢٪).
- وبالنسبة للكتب الأجنبية فإن الذين لم يقوموا بكتابة أي كتب أجنبية هم الأفراد الذين يقعون في الفئة العمرية (مابين ٣٥-٥٠ سنة)، إذ بلغت نسبتهم (٩٤.٦٤٪)، ويليهم أصحاب الفئة العمرية (أقل من٣٥ سنة) بنسبة (٩٠.٩٠٪)، ثم أصحاب الفئة العمرية (أكثر من ٥٠ سنة) بنسبة (٦٦.٦٧٪).
- إن الذين لم يترجموا أي كتب هم الأفراد الذين يقعون في الفئة العمرية (أقل من٣٥ سنة)، إذ بلغت نسبتهم (٩٣.٩٤٪)، ويليهم أصحاب الفئة العمرية (أكثر من ٥٠ سنة) بنسبة (٨٧.١٨٪)، ثم أصحاب الفئة العمرية (مابين ٣٥-٥٠ سنة) بنسبة (٨٧.٥٪).
- أن الذين لم يقوموا بنشر أي أبحاث علمية على مدار الخمس السنوات الماضية هم الأفراد الذين يقعون في الفئة العمرية (أكثر من ٥٠ سنة)، إذ بلغت نسبتهم (٢٨.٢١٪)، ويليهم أصحاب الفئة العمرية (ما بين ٣٥-٥٠ سنة) بنسبة (٢٥٪)، ثم أصحاب الفئة العمرية (أقل من ٣٥ سنة) بنسبة (١٢.١٢٪).

متغير الجامعة:

- أن أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم ينشروا أي كتب عربية خلال الخمس السنوات الماضية هم أعضاء هيئة التدريس في جامعة عدن، إذ بلغت نسبتهم (٧٣.٤٤٪) وتليها جامعة ذمار، إذ بلغت نسبتهم (٦١.٣٥٪) ثم جامعة صنعاء (٥٩.٥٧٪)، ثم جامعة إب(٥٧.٨٩٪).
- إن أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم ينشروا أي كتب أجنبية خلال الخمس السنوات الماضية هم أعضاء هيئة التدريس في جامعة إب، إذ بلغت نسبتهم (١٠٠٪) وتليها جامعة ذمار، إذ بلغت نسبتهم (٩٧.٧٢٪) ثم جامعة عدن (٨٤.٣٧٪)، ثم جامعة صنعاء (٨٢.٩٧٪).
- أن أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم ينشروا أي أبحاث خلال الخمس السنوات الماضية هم أعضاء هيئة التدريس في جامعة عدن، إذ بلغت نسبتهم (٢٩.٦٩٪) وتليها جامعة صنعاء، إذ بلغت نسبتهم (٢٧.٦٦٪) ثم جامعة ذمار (١٥.٩١٪)، ثم جامعة إب(١٣.١٦٪).

متغير نوع الكلية:

- أن أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم ينشروا أي كتب عربية هم من الكليات الإنسانية، إذ بلغت نسبتهم (٦٧.٦١٪) وتليها الكليات العملية، بنسبة (٥٧.١٤٪)، وكذلك بالنسبة للكتب الأجنبية فإن أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم يقوموا بتأليف أي كتب أجنبية خلال الخمس السنوات الماضية هم أعضاء هيئة التدريس من الكليات العملية، إذ بلغت نسبتهم (٨٩.٧٩٪) وتليها الكليات الإنسانية، إذ بلغت نسبتهم (٨٨.٠٣٪).

متغير الدرجة العلمية:

- أن أكبر نسبة من أفراد العينة غير المنتجة للكتب العربية هم الأساتذة فقد بلغت نسبتهم (٧٥٪)، ثم الأساتذة المساعدون (٦٥.٦٨٪)، فالأساتذة المشاركين (٥١.٧٢٪).
- أن أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لا يقوموا بأي أبحاث خلال الخمس السنوات الماضية،هم أعضاء هيئة التدريس الحاصلين على الأستاذية (٢٥٪)، ويليهم الأساتذة المساعدين (٢٤.٠٣٪)، ثم الأساتذة المشاركون، فقد بلغت نسبتهم (٢٢.٤١٪).

متغير الخبرة:

- إن أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم ينشروا أي أبحاث خلال الخمس السنوات الماضية، هم أعضاء هيئة التدريس الذين خبرتهم (أكثر من ١٠ سنوات)، إذ بلغت نسبتهم (٢٨.٨٥٪)، ويليهم أصحاب الخبرة (من ٥-١٠ سنوات) بنسبة (٢٢.٦٨٪)، ثم أصحاب الخبرة (أقل من ٥ سنوات) بنسبة (٢١.٩٨٪).

متغير مكان الحصول على درجة الدكتوراة:

- أن أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم ينشروا كتب عربية، هم الأفراد الذين حصلوا على درجة الدكتوراة من الدول الأجنبية، إذ بلغت نسبتهم (٦٦.٦٧٪)، ويليهم الأفراد الذين حصلوا على درجة الدكتوراة من الدول العربية، بنسبة (٦٢.٥٠٪)، ويليهم الأفراد الذين حصلوا على درجة الدكتوراة من اليمن، بنسبة (٥٠٪)،. وجاءت أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم ينشروا أي كتب أجنبية، هم الأفراد الذين حصلوا على درجة الدكتوراة من اليمن، إذ بلغت نسبتهم (١٠٠٪)، ويليهم الأفراد الذين حصلوا على درجة الدكتوراة من الدول العربية، بنسبة (٩١.٢٥٪)، ويليهم الأفراد الذين حصلوا على درجة الدكتوراة من الدول الأجنبية، بنسبة (٨١.٩٤٪).

- بالنسبة للأبحاث فقد جاءت أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم ينشروا أي أبحاث, هم الأفراد الذين حصلوا على درجة الدكتوراة من من الدول الأجنبية, بنسبة (٣٠.٥٦٪), ويليهم الأفراد الذين حصلوا على درجة الدكتوراة من اليمن, بنسبة (٢٥٪), ثم الأفراد الذين حصلوا على درجة الدكتوراة من الدول العربية, إذ بلغت نسبتهم (٢٠.٦٣٪).

متغير الوظيفة الحالية:

- أن أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم ينشروا أي كتب عربية, هم الهيئة التدريسية, الذين لا يشغلون مناصب إدارية,إذ بلغت نسبتهم (٦٣.٥٨٪), ويليهم القيادات الجامعية أصحاب المناصب الإدارية, بنسبة (٦٢.٦٩٪). وجاءت أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم يقوموا بتأليف كتب أجنبية, هم الهيئة التدريسية, إذ بلغت نسبتهم (٨٩.٥٩٪), ويليهم القيادات الجامعية, بنسبة (٨٦.٥٦٪).
- وفيما يخص الأبحاث فقد جاءت أكبر نسبة من أفراد العينة الذين لم ينشروا أي أبحاث, هم الهيئة التدريسية, بنسبة (٢٤.٢٨٪), ويليهم القيادات الجامعية, إذ بلغت نسبتهم (٢٢.٣٩٪).

ثالثاً: نتائج الدراسة الميدانية الخاصة بتحليل Swot للبيئة الداخلية والخارجية للأداء البحثي في الجامعات اليمنية:

استقراء لنتائج الدراسة الميدانية, فإنه يمكن تلخيص جوانب القوة والضعف للأداء البحثي في البيئة الداخلية للجامعة, وكذلك الفرص التي يمكن للجامعة أن تغتنمها لتطوير الأداء البحثي والتهديدات التي تواجهها في بيئتها الخارجية على النحو التالي:

أ- جوانب القوة :Strengths

تمثلت أهم جوانب القوة لتي أسفرت عنها الدراسة الميدانية فيما يلي:

١- وجود وزارة للتعليم العالي والبحث العلمي أنشئت للقيام بالمهام التعليمية والبحثية.

٢- وجود رسالة وأهداف للتعليم العالي توضح وظيفتها وأهدافها ومناسبة للواقع الحالي لتعليم العالي.

٣- محاولة إنشاء هيئة للبحث العلمي تضم الجامعات والمؤسسات البحثية الأخرى.

٤- تركيز وزارة التعليم العالي بأهمية القيم البحثية كقيمة التعاون والمشاركة.

٥- وجود تعاون بين الجامعات والمؤسسات البحثية الأخرى سواء داخل أو حارج اليمن.

ب- نقاط الضعف: Weaknesses

فيما يلي أهم جوانب الضعف التي أسفرت عنها الدراسة الميدانية:

١-صعوبة تحقيق رسالة التعليم العالي والبحث العلمي.

٢- عدم وجود صندوق خاص لتمويل البحث العلمي يتبع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

٣- عدم تشجيع النشر العلمي على المستوى الوطني.

٤- ندرة وجود خطة استراتيجية واضحة للكلية أ والجامعة.

٥- ندرة وجود لائحة تنظم الأداء البحثي داخل الكلية/ الجامعة.

٦- القيام بالنشاط البحثي بصورة فردية.

٧- عدم وجود شبكة معلوماتية متكاملة للبحث العلمي على مستوى الجامعات.

٨- ضعف التعاون والتنسيق بين الأقسام والكليات والجامعات في مجال البحث العلمي.

٩- ضعف تبادل الزيارات العلمية بين الباحثين بالجامعات اليمنية والجامعات من خارج اليمن .

١٠- قصور في تهيئة المناخ العلمي المناسب لتنمية الأداء البحثي لأعضاء هيئة التدريس في الجامعة.

١١- غياب نظام يشجع المؤسسات الحكومية على إجراء البحوث داخل المراكز البحثية بالجامعات.

١٢- قصور نظام الحوافز(المادية /المعنوية) التي تشجع الباحثين على القيام بالبحوث العلمية المشتركة مع الزملاء.

١٣- غياب معيار الإلتزام الأكاديمي كأحد معايير تقييم الأداء البحثي.

١٤- قلة خضوع المعينيين للمساءلة القانونية من قبل جامعاتهم.

١٥- غموض تحديد المسؤولية النهائية في الجامعات.

١٦- خضوع تعيين قيادات الجامعات للقرار السياسي.

١٧- الافتقار إلى وجود ضوابط لشغل الترقيات الأكاديمية.

١٨- السلطة المركزية في الجامعات تعوق تطوير الأداء البحثي.

١٩- ضعف الالتزام بالأنظمة الجامعية.

٢٠- تعقيد الاجراءات في اتخاذ القرارات اللازمة للقيام بالأبحاث العلمية في الجامعات.

٢١- قلة أعضاء هيئة التدريس في بعض التخصصات العلمية.

٢٢- ضعف الروح المعنوية عند أعضاء هيئة التدريس بالجامعة نتيجة انخفاض الأجور والمرتبات.

٢٣- ضعف الإمكانات المتوفرة للبحوث العلمية (التجهيزات-المعامل-مساعدي الباحثين – مواد – قاعات بيانات).

٢٤- قلة المعلومات المالية المتبادلة بين مراكز البحوث العلمية بالجامعات وقطاعات المجتمع.

٢٥- ضعف اللوائح والأنظمة (الإدارية والمالية) فيما يخص تمويل البحث العلمي.

٢٦- ضعف ميزانيات الجامعات المخصصة للبحوث العلمية.

٢٧- افتقار الجامعات الحكومية إلى الاستقلال المالي.

٢٨- ضعف الدعم المالي الرسمي المخصص للبحث العلمي على مستوى الدولة.

٢٩- إعتماد الجامعات على الحكومة كممول رئيس للبحث العلمي.

٣٠- قلة المخصصات المالية لإجازات التفرغ العلمي لعضو هيئة التدريس في الجامعة.

٣١- ضعف مساهمة القطاع الخاص في تمويل البحث العلمي بالجامعات.

٣٢- قلة أجهزة البحث العلمي خصوصاً في الكليات العلمية.

٣٣- ضعف البنية التحتية لتقنية المعلومات والاتصالات في الجامعة.

٣٤- قلة توفر المراجع الأجنبية الحديثة.

٣٥- غياب دور مراكز الأبحاث في الارتقاء بمستوى أداء وإنتاجية ميدان العمل والإنتاج البحثي.

٣٦- غياب بعض المجالات العلمية في مراكز الأبحاث.

ج- الفرص:Opportunities

تمثلت أهم الفرص التي أسفرت عنها الدراسة الميدانية والتي يمكن أن تغتنمها الجامعة لتطوير أدائها البحثي فيما يلي:

١- استعانة الجامعات اليمنية بقيادات بحثية من جامعات عربية/ أجنبية.

٢- توظيف التقنيات المعلوماتية الحديثة في تطوير الأداء البحثي.

٣- اهتمام المجتمع بتطوير البحث العلمي.

٤- اهتمام القيادة السياسية بدعم ومساندة عملية تطوير البحث العلمي.

٥- تسويق البرامج التي تقدمها الجامعات إقليمياً ودولياً لاستقطاب عدد كبير من الطلاب.

د- التهديدات المحتملة:Threats

تمثلت أهم التهديدات التي أسفرت عنها الدراسة الميدانية، والتي قد تحد من تطوير الأداء البحثي فيما يلي:

١- قلة الموارد المالية والمادية.

٢- قلة الأجهزة الإلكترونية الحديثة.

٣- قلة الوعي بأهمية مساهمة المنظمات غير الحكومية في تمويل البحث العلمي.

٤- ضعف قدرة المجلس الأعلى للجامعات على الإشراف والتنسيق مع الجهات المختصة بالبحث العلمي.

٥- ضعف دور وزارة التعليم العالي والبحث العلمي تجاه الجامعات.

٦- ضعف الالتزام بالأعراف والتقاليد المجتمعية.

٧- مقاومة الجهود التي تسعى للتغيير والإصلاح والتطوير في مؤسسات التعليم العالي.

ومن خلال ما سبق، يتضح أن هناك جوانب قوة وجوانب ضعف تتسم بها البيئة الداخلية للجامعات اليمنية، بالإضافة إلى وجود فرص وتهديدات في البيئة الخارجية، وبذلك يصبح من الضروري عمل مخطط لتطوير الأداء البحثي بالجامعات اليمنية من خلال استكشاف آراء مجموعة من الخبراء بالجامعات في هذا المجال،

بما يساعد على الوقوف على فجوات الأداء المتعلقة بمدى قدرة الجامعة على توظيف الأداء البحثي, ومن ثم بناء التصور المقترح والذي يمكن من خلاله تحقيق وضع استراتيجي وتنافسي أفضل, وذلك في إطار رؤية ورسالة الجامعة وأهدافها الاستراتيجية التي يرتكز عليها وجودها التنظيمي داخل المجتمع. ويمكن معالجة ذلك من خلال التصور المقترح.

تصور مقترح لتطوير الأداء البحثي للجامعات اليمنية

تمهيد:

في ضوء ما تم عرضه في الإطار النظري من أدبيات عن الأداء البحثي للجامعات اليمنية, ودراسة نظرية وميدانية لواقع الأداء البحثي للجامعات اليمنية, وآراء السادة الخبراء محكمي مخطط تطوير الأداء البحثي للجامعات اليمنية, يمكن الوصول إلى التصور المقترح لتطوير الأداء البحثي للجامعات اليمنية. وفي ضوء ذلك يمكن تحديد محاور هذا الفصل فيما يلي:

- منطلقات التصور المقترح.
- عناصر التصور المقترح.
- متطلبات تنفيذ التصور المقترح.
- معوقات متوقعة لتنفيذ التصور المقترح.
- مقترحات التغلب على المعوقات المتوقعة.
- بحوث ودراسات مقترحة.

وفيما يلي عرض لهذه المحاور تفصيلاً:

أولاً: منطلقات التصور المقترح:

تم تصنيف منطلقات التصور المقترح إلى نوعيين أساسيين, يتعلق النوع الأول بتلك المنطلقات المستمدة من الإطار النظري للبحث وهي (المنطلقات النظرية) أما النوع الثاني فيتمثل في المنطلقات المستمدة من الدراسة النظرية لواقع اليمن وهي (المنطلقات المحلية), وفيما يلي عرض لكل نوع منها تفصيلاً:

١- المنطلقات النظرية:

تتحدد أهم المنطلقات النظرية التي تحكم بناء التصور المقترح فيما يلي:

أ- أن نجاح الجامعة في أداء رسالتها وتحقيق أهدافها يرتبط بدرجة كبيرة بوجود إدارة فعالة قادرة على مواجهة التطور التكنولوجي السريع.

ب- مراعات الاتجاهات الحديثة في الفكر الاداري فيما يتعلق بعناصر الرؤية والرسالة التي يجب أن تتوفق مع التغيرات المعرفية والتكنولوجية المتسارع, والمؤثرة على الأداء البحثي الفردي والمؤسسي معاً.

ج- أن الجامعة تصبح أفضل من خلال تطبيق لائحة إدارة البحث العلمي .

د- أن إدارة البحث العلمي تسهم في تطوير الجامعة من خلال ما يلي:

(١) أنها تعمل على إدخال تحسين وتطوير أداء الجامعة سواء التعليمي أو البحثي.

(٢) أنها نعزز القوة التنافسية للجامعة من خلال التحديث المستمر.

(٣) أنها تتضمن قضايا الجامعة من نظم ومكافآت وعلاقات بين الموظفين, وتؤثر على الموظفين وعلى الجامعة بجميع مستوياتها ويساعد على تطوير أدائها المؤسسي.

(٤) أنها تساعد الموظفين على اهتمام برؤية وأهداف الجامعة المعتمدة على مؤشر القيادة, وتحقيق أهداف الجامعة.

(٥) أنها تسهم في تطوير البناء الاجتماعي, والشخصية الفردية.

(٧) أنها تعمل على توجيه إعادة وتصميم ثقافة المنظمة.

(٨) أنها تساعد على المشاركة في اتخاذ القرار.

(٩) أنها تحقق فرصاً للتعاون والعمل الجماعي.

(١٠) أنها تعمل على توفير الشفافية وإزالة الغموض.

(١١) أنها تساعد على تنمية الابداع والابتكار عند أفراد المجتمع الجامعي.

(١٢) أنها تتيح ا لفرص أمام أعضاء هيئة التدريس للتعبير عن أفكارهم وتشجيعهم على طرح الأسئلة والنقد البناء.

(١٣) أنها تعمل على قدرة أعضاء هيئة التدريس على التخيل والحدس وتنمية ثقتهم بنفسهم.

(١٨) أنها تساعد في توجيه الجهود اليومية نحو تحقيق الرؤية الاستراتيجية للجامعة.

(١٩) أنها وسيلة للتغيير باتجاه الرؤية الاستراتيجية, وبالتالي مساعدة المديرين على تحقيق التغيير الاستراتيجي في المنظمة من أجل تكييفها مع البيئة الخارجية واحتوائها للصراعات الداخلية.

٢- المنطلقات المحلية:

في ضوء دراسة واقع الأداء البحثي للجامعات اليمنية نظرياً وميدانياً ومن خلال تشخيص هذا الواقع, تتحدد أهم المنطلقات التي تحكم بناء التصور المقترح لتطوير الأداء البحثي للجامعات اليمنية في النقاط التالية:

أ- الاهتمام بوضع خطة استراتيجية لتطوير الأداء البحثي على مستوى القسم/ الكلية والجامعة، باعتباره ركيزة أساسية في التطوير والنهوض بالمجتمع اليمني.

ب-اهتمام وزارة التعليم العالي بوضع رؤية ورسالة للتعليم العالي والبحث العلمي.

ج- الاتجاه نحو الأخذ بنظام الإعلان لشغل وظائف أعضاء هيئة التدريس وفق معايير الوظيفة الجامعية، بما يكفل الاختيار للنوعية المتميزة علمياً وتكنولوجياً.

د- الاهتمام بالتطوير الذاتي لعضو هيئة التدريس، والهياكل التنظيمية بصورة مستمرة، ونظم وإجراءات العمل الجامعي بما يحقق الجودة في الأداء البحثي للجامعة.

هـ- التوجه نحو اللامركزية، والاهتمام بتفويض الصلاحيات الإدارية والفنية للمستويات الإدارية المختلفة بالجامعات.

و-الاهتمام ببناء قاعدة معلوماتية وطنية على مستوى الجامعات اليمنية.

ز- اهتمام وزارة التعليم العالي بتنفيذ شبكة معلوماتية وربطها بشبكات عالمية.

ح- اتجاه وزارة التعليم العالي إلى دعم وتطوير ونظم آليات البحث العلمي، بما يضمن تحفيز التميز في الأداء البحثي لعضو هيئة التدريس.

ط- الاستفادة من قنوات الابتعاث العلمي والثقافي، بهدف توفير العناصر البشرية المؤهلة للتدريس ولإدارة الجامعة.

س- الاتجاه نحو إدخال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بهدف ربط الجامعات اليمنية بالجامعات الرائدة في مجال البحث العلمي.

ك- إدخال نظام المكتبة الإلكترونية، وتعميمها داخل الجامعات، بما يدعم الحصول على المعرفة لعضو هيئة التدريس ويسهم في تطويره.

ل- تفعيل دور المراكز البحثية الجامعية في خدمة المجتمع وتطوير الأداء الجامعي.

م- الاتجاه نحو تطوير صور التعاون في الجامعات والمؤسسات الانتاجية كأساس في تحقيق التميز والابداع لتطوير الأداء البحثي لعضو هيئة التدريس والجامعة ككل.

ن- الاهتمام بالتقويم الشامل لعضو هيئة التدريس كأساس لتحقيق الجودة في أدائه البحثي والتدريسي.

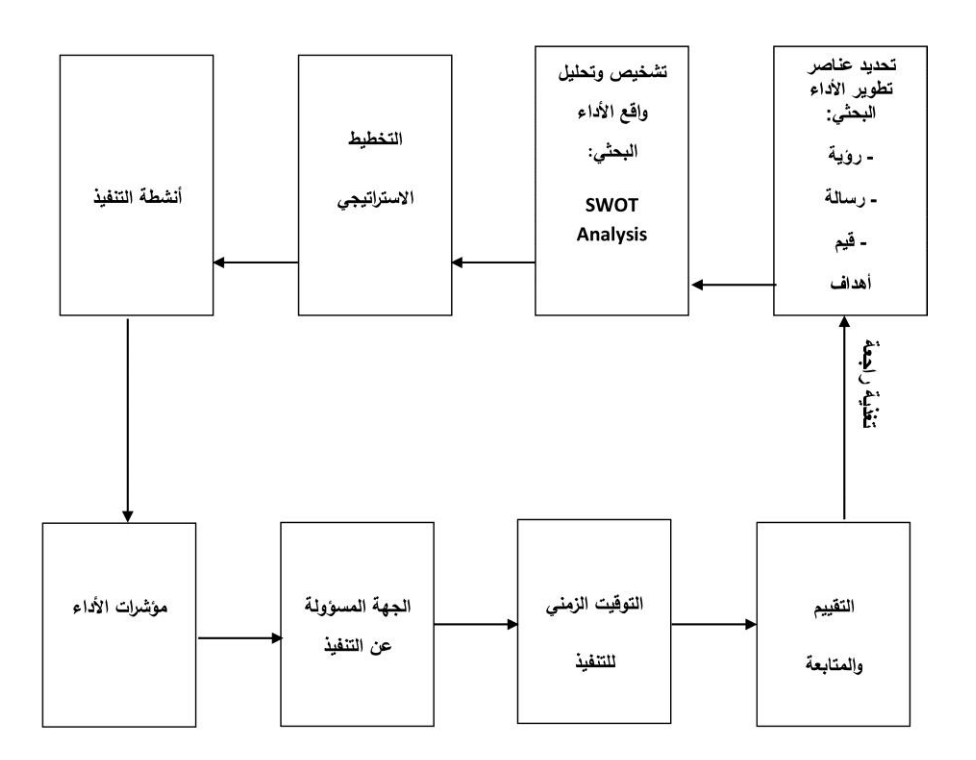
ثانياً: عناصر التصور المقترح:

من خلال الاستفادة من نتائج الدراسات السابقة، وفي ضوء الإطار النظري للبحث، ونتائج الدراسة النظرية والميدانية لواقع الأداء البحثي بالجامعات اليمنية، وتشخيص الأوضاع الراهنة له، وبناءً على مخطط تطوير الأداء البحثي، الذي تم التوصل إليه، وأيضاً استناداً إلى آراء السادة الخبراء بشأن هذا المخطط، ينطلق

التصور المقترح من اعتبار أن الأداء البحثي للجامعات اليمنية منظومة متكاملة تتضمن عناصر الخطة الاستراتيجية للجامعة، وتتحدد عناصر التصور المقترح لتطوير الأداء البحثي، وفقاً للشكل التالي:

شكل رقم (١)([45])

تصور مقترح لتطوير الأداء البحثي بالجامعات اليمنية



باستقراء الشكل رقم (٥) يتضح ما يلي:

أن تطوير الأداء البحثي للجامعات يعد أمراً مطلوباً، يهدف من خلاله تحسين وتطوير الجامعة والمجتمع بأكمله، وأن تطبيق فكر جديد في الجامعة يمكنها من مواكبة التطورات المجتمعية الحالية في عالم التكنولوجيا، على أن يتم هذا التطوير في كافة عناصر التخطيط الاستراتيجي للجامعة، وأن يتبع سلسلة من الخطوات لضمان تحقيق أهدافه.

ويتضح من الشكل ذاته أن تطوير شيء واحد بالخطة الاستراتيجية للجامعة يتوقع أن ينتج

عنه تطوير شامل لجميع عناصر الخطة, وذلك من أجل تحقيق مزيد من التطلع والنجاح والتفوق للجامعات, كما يتضح أن تفعيل عناصر الخطة الاستراتيجية للجامعة يسهم في تحقيق متطلبات تفعيل الأداء البحثي بالجامعات اليمنية.

وفيما يلي عرض لعناصر التصور المقترح التي تم التوصل إليها من خلال الاستفادة من الإطار النظري والدراسة النظرية والميدانية, وكذلك آراء السادة الخبراء التي تم الاتفاق عليها من خلال تحكيم مخطط لتطوير الأداء البحثي بالجامعات, وذلك بهدف تحقيق تطوير الأداء البحثي الفعال بالجامعات اليمنية, وفقاً للمحاور المحددة سلفاً, والتي تتبلور في النقاط التالية:

١- الرؤية: تتمثل رؤية الجامعة للبحث العلمي فيما يلي:

تسعى الجامعة بأن تكون رائدة ومميزة في إنتاجها البحثي العلمي والتكنولوجي محلياً وإقليمياً وعالمياً, وذلك من أجل تحقيق التميز البحثي وزيادة التفاعل مع المؤسسات والمراكز البحثية بداخل وخارج المجتمع اليمني.

٢- الرسالة:

تتمثل رسالة الجامعة في:

القيام بأبحاث علمية وتكنولوجية ذات جودة عالية في كافة المجالات العلمية والتكنولوجية الحديثة والمعاصرة, ونشر ثقافة وأخلاقيات البحث العلمي وتدعيم التعاون بين الجامعات اليمنية والجامعات الأخرى ومراكز البحث العلمي محلياً واقليمياً وعالمياً, مع محاولة ايجاد نوع من التحديث من خلال التخطيط للاستخدام الأمثل للموارد المتاحة لها سواء البشرية أو التكنولوجية, أو المادية والمالية, من أجل إثراء الأبحاث النظرية والتطبيقية وفقاً للمعايير الأخلاقية للبحث العلمي.

٣- القيم:

ولتحقيق رؤية الجامعة ورسالتها, لابد من التركيز على القيم البحثية, والتي يجب أن تكون متضمنة عند وضع الخطة الاستراتيجية للبحث العلمي وهذه القيم هي كما يلي:

١- الأمانة العلمية.
٢- المسؤولية.
٣- الجدية.
٤- التميز.
٥- النزاهة.
٦- الموضوعية
٧-حرية التعبير.
٨- التعاون.
٩- الاعتراف.
١٠- الابداع.
١١- الدقة
١٢- الابتكار.

٤- الأهداف والغايات الاستراتيجية:

وتتمثل الغاية الاستراتيجية للجامعة في تحسين النشاط البحثي العلمي للجامعات اليمنية بشكل أفضل في تطوير المراكز البحثية للجامعة بما يسهم في زيادة الانتاجية البحثية وتحسين التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع اليمني.

وفي سبيل تحقيق الغاية المنشودة يجب وضع مجموعة من الأهداف الاستراتيجية التي يجب أن تسعى لها الجامعة وفي مقدمتها المراكز البحثية التابعة لها لتحقيقها وهي:([46])

- العمل على وجود هيئة للبحث العلمي على المستوى الوطني لتنسيق الجهود البحثية في الجامعات اليمنية والمؤسسات البحثية الأخرى.
- تشجيع البحوث العلمية الاستراتيجية متداخلة التخصصات (بحوث بينية)، والبحوث الجماعية التي تتناول قضايا هامة في المجتمع اليمني.
- تطوير نظام المعلومات وأجهزة البحث العلمي بالجامعات والكليات وزيادة فاعليته وبرامجه حسب المعايير الدولية وبما يخدم المجتمع المحلي.
- إنشاء صندوق خاص لتمويل البحث العلمي.
- تبني سياسة حديثة لتسويق الأنشطة البحثية لتوفير مصادر للدعم والتمويل الذاتي للبحث العلمي بالجامعات المينية.
- تعزيز برامج الدراسات العليا وتطويرها وفق المعايير والمقاييس المتبعة في الجامعات الرائدة في هذا المجال وبما يلبي حاجات المجتمع.
- التركيز على نشر مبادئ وأخلاقيات البحث العلمي.

تحليل البيئة الداخلية والخارجية للجامعة باستخدام أسلوب تحليل SWOT

أ- عوامل القوة: Strengths

- أعضاء هيئة تدريس مؤهلين.
- بنية تحتية متكاملة.
- حرم جامعي واسع يسمح بأن تكون الجامعة منتجة.

ب- عوامل الضعف Weaknesses

- ضعف في النشاطات الترويجية والتسويقية.
- ضعف في التنسيق والتعاون مع القطاعين العام والخاص.
- معظم البرامج والمجالات الدراسية تشابه تلك الموجودة في الجامعات الأخرى داخل وخارج اليمن.

- ضعف الاتصال مع مراكز البحوث والمؤسسات الأكاديمية العالمية.
- انعزال الجامعات اليمنية عن الجامعات العربية والأجنبية.
- غياب نظام الحوافز المالية والمادية.
- الروتين والمركزية في الجامعات اليمنية.

ج- الفرص Opportunities

- تزايد النمو السكاني في اليمن.
- اقبال كبير على التعليم العالي.
- وجود برامج للتنمية المهنية.
- دعم وتطوير الخطة الاستراتيجية التعليم العالي والبحث العلمي.

د- التهديدات Threats

- تزايد في عدد الجامعات الخاصة داخل اليمن.
- تناقص الدعم المالي الحكومي للجامعات اليمنية.
- مغادرة أعداد كبيرة من الكوادر البحثية للعمل في الخارج.
- تدهور التعليم الجامعي.
- عدم الالتزام بلوائح وقوانين التعيين الجامعي لأعضاء هيئة التدريس.
- انشغال أعضاء هيئة التدريس بأعمال خاصة بالإضافة إلى التدريس في الجامعات الخاصة.
- الأنظمة الروتينية المعرقلة للبحث العلمي.

وبعد تحديد عناصر تطوير الأداء البحثي وتحليل بيئته الداخلية والخارجية يأتي التخطيط الاستراتيجي ليضع ملامح التصور والمشتمل على عناصر الخطة الاستراتيجية للجامعة، ثم يأتي دور أنشطة التنفيذ التي بدورها تساعد على تحديد وتنفيذ التطوير في كافة عناصر الخطة الاستراتيجية خاصة أنشطة الأهداف الاستراتيجية ومنها: نظام اتصال ومتابعة-موارد مالية-فرق عمل-متخصصون في مجال البحث العلمي-نظام متابعة وتقييم-معامل وأجهزة خاصة للبحث العلمي-نشرات – ندوات توعية...الخ، ومن خلال هذه الأنشطة يتوقع مؤشرات الأداء الذي يبين مدى نجاح الخطة الاستراتيجية التي وضعت لتطوير الأداء البحثي، فلابد أن يكون لكل هدف مؤشر أداء كما هو مبين في الفصل السادس لمخطط تطوير الأداء البحثي.

أما بالنسبة للجهة المسؤولة عن التنفيذ ممثلة في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والجامعات الحكومية، فيأتي دورها المهم في عملية التنفيذ، ويجب أن تكون هذه الجهة مسؤولة؛ مسؤولية تامة أمام الجميع عن أي تقصير أو تهاون يحدث في تنفيذ الخطة الاستراتيجة، ويجب أن يكون لديها متخصصون في مجال التخطيط

الاستراتيجي وأن يلتزموا بجدول زمني يتم تحديده مسبقاً، ويحدد في هذا الجدول التوقيت الزمني لكل خطوة من خطوات تنفيذ الخطة الاستراتيجية بداية من أول عنصر إلى آخر عنصر من عناصر التخطيط الاستراتيجي لتطوير الأداء البحثي بالجامعة، وبعد ذلك يأتي دور الخطوة الأخيرة وهي التقييم والمتابعة وهي أهم خطوة مع وجود تغذية راجعة لضمان التطوير والتحسين المستمر في عناصر الخطة الاستراتيجية لتطوير الأداء البحثي للجامعة، وبذلك تستطيع الجامعات اليمنية كل على حدة وضع خطة استراتيجية مستقلة بذاتها ومشتملة على جميع عناصرها المحددة سلفاً، وذلك من أجل الإسهام في تطوير الأداء البحثي لعضو هيئة التدريس، والقسم، والكلية، والجامعة.

ثالثاً متطلبات تنفيذ التصور المقترح:

فيما يلي بعض المتطلبات لتنفيذ التصور المقترح الذي يمكن من خلاله تحقيق تطوير الأداء البحثي للجامعات، وتتمثل هذه المتطلبات فيما يلي:

١- وجود قيادة واعية تعزز ثقافة نشر البحث العلمي، وتشجع عمليات مشاركتها بفاعلية بين أعضاء هيئة التدريس والعاملين في كافة المستويات التنظيمية.

٢- التخلص من القوالب التنظيمية الجامدة، والتوجيه نحو الهياكل التنظيمية المرنة لمواكبة التغييرات والمستجدات الحديثة.

٣- تزويد الجامعات بالإمكانات المادية والتكنولوجية الحديثة اللازمة لتطوير الأداء البحثي للجامعة.

٤- الاستفادة من خبرات الدول المتقدمة وتجاربها في مجال البحث العلمي بالجامعات.

٥- نظم متطورة للمكافآت والحوافز يصبح فيها التميز البحثي هو المعيار العلمي بالجامعات.

٦- إقامة ندوات ومؤتمرات سنوية.

٧- نظم فعالة لتقويم ومتابعة الأداء البحثي .

رابعاً: معوقات متوقعة أمام تنفيذ التصور المقترح:

وتتمثل أهم المعوقات التي تقف دون تحقيق تطوير الأداء البحثي للجامعات اليمنية فيما يلي:

١- صعوبة التخلص من اللوائح والقوانين التنظيمية التقليدية، وخاصة المرتبطة بتطوير الأداء البحثي لعضو هيئة التدريس.

٢- ضعف الموارد المالية والبشرية اللازمة لإجراء البحوث التطبيقية التي يشارك فيها أعضاء هيئة التدريس بهدف خدمة المجتمع.

٣- عدم توافر صور التعاون المحلي والإقليمي والعالمي بين الجامعات اليمنية بعضها وبعض، وبينها وبين الجامعات العربية والأجنبية، مما يعوق عملية تبادل الزيارات بين الباحثين بعضهم البعض.

٤- ضعف قنوات الاتصال بين الجامعات والقطاعات الإنتاجية ذات العلاقة مما يعوق معرفة أعضاء هيئة التدريس لما تحتاج إليه هذه القطاعات من بحوث تطبيقية لأجل تطويرها وحل مشاكلها.

٥- غياب نظام لإدارة الأداء البحثي وتقويمه بشكل مستمر.

٦- عدم وجود سياسة واضحة لتطوير الأداء البحثي بالجامعة.

خامساً: مقترحات التغلب على معوقات تنفيذ التصور المقترح:

يمكن التغلب على المعوقات التي قد تعترض تنفيذ التصورح المقترح في الواقع من خلال اتباع السبل التالية:

١- توفير القيادات الجامعية والكوادر الإدارية القادرة على الاستفادة من التطورات الحديثة والتوجهات المعاصرة في إدارة الجامعات.

٢- الاستعانة بخبراء من الجامعات العربية والأجنبية وتوظيف خبرتهم ومعرفتهم في تطوير الأداء البحثي بالجامعة.

٣- توفير مناخ صحي لتنمية العلاقات الجيدة بين أفراد المجتمع الجامعي من أكاديميين وإداريين من خلال تحديث وتطوير القوانين واللوائح المنظمة للعمل الجامعي, وبما يعزز ثقافة نشر البحث العلمي وتبادله بين أوساط المجتمع الجامعي.

٤- رصد ميزانيات مناسبة للأبحاث المشتركة, ولتبادل الزيارات العلمية بين أعضاء هيئة التدريس في الجامعات اليمنية والجامعات الأخرى.

٥- عقد لقاءات دورية بين أفراد المجتمع الجامعي وبين المستويات الإدارية المختلفة للتعريف بأهمية البحث العلمي ولتقييم ما تم إنجازه.

٦- دعم الأقسام العلمية بالكليات على اختلاف أنواعها بالأجهزة والوسائل التكنولوجية الحديثة لتسهيل عمل الأبحاث الفردية والجماعية لأعضاء هيئة التدريس.

٧- تفعيل دور المراكز البحثية التابعة للجامعة في تسويق وإنتاج الأبحاث التطبيقية التي تخدم المجتمع اليمني.

١٠- التطوير المستمر في نظم التقويم والمتابعة لكافة جوانب الأداء الخاص بعضو هيئة التدريس والجامعة.

سادساً: بحوث ودراسات مقترحة:

من خلال مراحل البحث من إطار نظري عن الأداء البحثي للجامعة, وما كشفه واقع هذا الأداء من جوانب قوة وضعف من خلال الدراسة النظرية والميدانية, توصل الباحث إلى مجموعة من النقاط البحثية ذات العلاقة بموضوع البحث, يمكن طرحها على النحو التالي:

١- إعادة الهندسة لتطوير الأداء البحثي الفعال بالجامعات اليمنية.

٢- تطوير القيادات الجامعية لتحقيق التطوير التنظيمي الفعال بالجامعات اليمنية.

٣- معوقات ومشكلات البحث العلمي بالجامعات اليمنية.

٤- الإنتاجية البحثية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات اليمنية (دراسة تقويمية).

٥- القيم التنظيمية وعلاقتها بالممارسات الإدارية لعمداء كليات التربية بالجامعات اليمنية.

المراجع:

المراجع العربية:

- أحمد محمد شمسان, "أثر المشكلات الإدارية على البحث العلمي في الجمهورية اليمنية:دراسة تطبيقية على جامعة صنعاء", القاهرة, رسالة دكتوراة غير منشورة. مقدمة إلى قسم العلوم الإدارية, المعهد القومي للإدارة العليا, أكاديمية السادات للعلوم الإدارية, ٢٠٠٣, ص ص, ٢٩٧-٣٠١ .
- أمل مصطفى عصفور, " تطوير الأداء الإداري" , من بحوث ندوة تطوير الأداء في مؤسسات القطاع العام , المنعقدة في الفترة من ٢-٩ يناير(كانون ثان) ٢٠٠٥ جمهورية مصر العربية, القاهرة, االمنظمة العربية للتنمية الإدارية, ٢٠٠٥, ص ١٠٩.
- الجهاز المركزي للإحصاء, كتاب الإحصاء السنوي أعداد مختلفة, صنعاء : الجهاز المركزي للإحصاء ٢٠٠٣/٢٠٠٤ , ص ١٦.
- ذوقان عبيدات وآخرون, البحث العلمي: مفهومه أدواته وأساليبه,(عمان : دار مجدلاوي, بد.ت),ص١١٧.
- سيلان جبران العبيدي, " تفعيل دور الجامعات اليمنية في تحقيق الأهداف النوعية" , صنعاء: المركز الوطني للمعلومات, ٢٠٠٣,ص١٦.
- عبد الرحمن صائغ "انحو منظور شمولي لتقويم أداء الجامعات العربية, المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم, المؤتمر السابع للوزراء والمسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي, الرياض ١٧- ٢١ ابريل, ١٩٩٩,ص١.
- عبد العزيز جميل مخيمر وآخرون, قياس الأداء المؤسسي للأجهزة الحكومية,(القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية,٢٠٠٠), ص٩.
- علي السلمي, " إدارة الموارد البشرية" , (القاهرة: مكتبة غريب, ١٩٩٢) , ص٧٥.
- علي محمد عبد الوهاب وعايدة سيد خطاب, إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية,(القاهرة: مكتبة عين شمس, ١٩٩٣),ص ٤٠.
- علي هود باعباد, "فلسفة التعليم العالي وسياسته في اليمن", الإدارة العامة للمجلس الأعلى لتخطيط التعليم , الجمهورية اليمنية, ٢٠٠٥,ص١٨.
- فريق من خبراء المنظمة العربية للتنمية الإدارية, معجم المصطلحات الإدارية,(القاهرة, منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية,٢٠٠٧), ص٥٤٣.
- المجلس الأعلى لتخطيط التعليم, مؤشرات التعليم في الجمهورية اليمنية: مراحله- أنواعه المختلفة للعام ٢٠٠٤-, ٢٠٠٥(صنعاء:تقرير عن المجلس الأعلى لتخطيط التعليم, ٢٠٠٥, ص٦٩).
- المجلس الأعلى لتخطيط التعليم, مؤشرات التعليم في الجمهورية اليمنية: مراحله- أنواعه المختلفة للعام ٢٠٠٤-٢٠٠٥, مرجع سابق, ص,٦٩.

- محمد الجنيد, حوار مع وزير التعليم العالي والبحث العلمي, صحيفة ٢٦ سبتمبر,العدد١٣١١ الجمعة ٨, يوليو,٢٠٠٥, ص٢ , موقع ٢٦ سبتمبر : متاح على: http://26sep.net/newsweekarticle.php?lng=arabic&sid=21692 , تاريخ الدخول ٢٢-٣-٢٠٠٧م
- محمد بن محمد مطهر. "التحديات التي تواجه التعليم العالي في الجمهورية اليمنية: الواقع والرؤية المستقبلية", رئاسة الجمهورية, المركز الوطني للمعلومات, الجمهورية اليمنية, ٢٠٠٥, ص٩ .
- محمد شفيق, الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الإجتماعية, (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث,٢٠٠٢),ص ١٨٤.
- محمد عبد الغني هلال, مهارات إدارة الأداء : مهارات تطوير الأداء ,الطبعة الثانية, (القاهرة: مركز تطوير الأداء والتنمية,١٩٩٦),ص١٣.
- محمد عبيدات وآخرون, منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات, الطبعة الثانية, (الأردن: دار وائل للنشر, ١٩٩٩), ص ٣.
- محمد علي قحطان, "واقع العمل الإداري والتنظيمي وسبل تطويره وتحديثه في جامعة تعز:نموذج كلية العلوم ا لإدارية", من أوراق ملتقى استجابة الإدارة العربية للتغيير مع بداية القرن الحادي والعشرين : ورشة عمل أدوار الحكومة المستجدة لمواجهة التغيرات والتحديات العالمية, المنعقد في الجمهورية العربية السورية, في الفترة من ٢٨-٢٩ إبريل ٢٠٠٤,حلب,ص٥٨.
- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي,"الاستراتيجية الوطنية للتعليم العالي في الجمهورية اليمنية وخطط العمل المستقبلية ٢٠٠٦-٢٠١٠" تقرير مشروع تطوير التعلم الجامعي, الجمهورية اليمنية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي,٢٠٠٧,ص ٥.
- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. "الإستراتيجية الوطنية للتعليم العالي في الجمهورية اليمنية وخطة العمل المستقبلية:٢٠٠٦-٢٠١٠ ,مرجع سابق, ص٣٦.
- يسري السيد جودة, " تقويم فعالية الأداء الإداري لدى المدير الحكومي المصري:دراسة تطبيقية على بعض القطاعات الحكومية بمحافظة الشرقية", مجلة البحوث التجارية-كلية التجارة,جامعة الزقازيق,العدد الثالث,الجزء الثاني, يوليو, ٢٠٠٠,ص ص١٥, ١٦.

المراجع الأجنبية:

- Ali N. Azad,and Fazal Seyyed," Factors Influencing Faculty Research Productivity: Evidence From AACSB accredited schools in the Gulf Region countries" *Journal of International Business Research*, ,Volume 6,Number 1,2007,pp.91-112.
- Charles Lusthaus et al., " Organizational Self- Evaluation: An Emerging Frontier For Organizational Improvement", Knowledge and Policy: Universalia Occasional paper.No.22, May, 1997, p.3.
- Chiang Kao. , and Hwei-Lan Pao, "An evaluation of research performance in management of 168 Taiwan universities", *Scientometric* Vol. 78, No.2, 2008.pp.1-17.

- Creswell, John W. "Faculty Research Performance: Lessons from the sciences and the social Sciences", Washington D.C. ASHE-Eric Higher Education Report No.4, 1985,p. 23.
- Daft, Richard., "Organization Theory and Design".,(South- western College publishing, Ohio ,2001),p.501.
- Jack R. Fraenkel, Normal F. Wallen, How to Design and Evaluate Research in Education, 6th Edition (Boston:Mc Graw Hill,2005) P.108.
- Jens Smeby, and Sverre Try, " Departmental Contexts and Faculty Research Activity in Norway, *Research in Higher Education*, Vol. 46, No. 6, September 2005.pp.593-619..
- John V. Lombard. " Competing for Quality: The Public Flagship Research University" Discussion paper, University of Massachusetts Amherst", Reilly Center Public Policy Fellow, February. 2003. 26-28.p.8.
- Mats Lindgren, Hans Bandhold, Scenario Planning: The Link Between Future and Strategy (New York: Palgrave Macmillan, 2003), P. 166.
- Milorad M. Novicevic & Others, "Dual perspective SWOT: a synthesis of marketing intelligence and planning", Marketing Intelligence And Planning, Vol. 22, No.1, 2004, Pp. 86-87.
- Robert G. Dyson, "Strategic development and SWOT analysis at the University of Warwick", European Journal of Operational Research 152, 2004, p.632
- Simon Ville and Others," The Distribution of Research Performance Across Australian Universities, 1992-2003, And It's Implications For Higher Education Funding Models" University of Wollongong, NSW 2522, November 2005.p.1-19. Australia. Available on this Website: www.uow.edu.au/~abbas.
- Teresa J. Vange, and Others," Research Productivity, Gender, Family, and Tenure in Organization Science Careers", *Sex Roles*, Vol. 53, No. 9/10, November 2005.pp.727-739.
- Warren Smart, "What determines the research performance of staff in New Zealand's tertiary education sector?" Ministry of Education, Crown Copyright, November 2005.pp. 1-66.
- William Scott, "Performance Improvement Interventions: Their Similarities & Differences", *The journal for Quality and Participation* .Vol ,26, No.1 , March, 2003, pp .26-30.

الهوامش:

[1] محمد عبيدات وآخرون, منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات, الطبعة الثانية, (الأردن: دار وائل للنشر, ١٩٩٩), ص ٣.

[2] يسري السيد جودة, " تقويم فعالية الأداء الإداري لدى المدير الحكومي المصري:دراسة تطبيقية على بعض القطاعات الحكومية بمحافظة الشرقية", مجلة البحوث التجارية-كلية التجارة,جامعة الزقازيق,العدد الثالث,الجزء الثاني, يوليو, ٢٠٠٠,ص ص١٥, ١٦.

[[3]] **Charles Lusthaus et al., " Organizational Self- Evaluation: An Emerging Frontier For Organizational Improvement", Knowledge and Policy: Universalia Occasional paper.No.22, May, 1997, p.3.**

[[4]] عبد العزيز جميل مخيمر وآخرون, قياس الأداء المؤسسي للأجهزة الحكومية,(القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية,٢٠٠٠), ص٩.

[[5]] أمل مصطفى عصفور, " تطوير الأداء الإداري" , من بحوث ندوة تطوير الأداء في مؤسسات القطاع العام , المنعقدة في الفترة من ٢-٩ يناير(كانون ثان) ٢٠٠٥ جمهورية مصر العربية, القاهرة, المنظمة العربية للتنمية الإدارية, ٢٠٠٥, ص ١٠٩.

[[6]] المجلس الأعلى لتخطيط التعليم, مؤشرات التعليم في الجمهورية اليمنية: مراحله- أنواعه المختلفة للعام ٢٠٠٤-, , ٢٠٠٥(صنعاء:تقرير عن المجلس الأعلى لتخطيط التعليم, ٢٠٠٥, ص٦٩).

[[7]] محمد الجنيد, حوار مع وزير التعليم العالي والبحث العلمي, صحيفة ٢٦ سبتمبر,العدد,١٣١١ الجمعة ٨, يوليو,٢٠٠٥, ص٢ , موقع ٢٦ سبتمبر : متاح على: http://26sep.net/newsweekarticle.php?lng=arabic&sid=21692 , تاريخ الدخول ٢٢-٣-٢٠٠٧م

[8] وزارة التعليم العالي والبحث العلمي,"الاستراتيجية الوطنية للتعليم العالي في الجمهورية اليمنية وخطط العمل المستقبلية ٢٠٢١٠-٢٠٠٦" تقرير مشروع تطوير التعلم الجامعي, الجمهورية اليمنية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي,٢٠٠٧,ص ٥.

[[9]] سيلان جبران العبيدي, " تفعيل دور الجامعات اليمنية في تحقيق الأهداف النوعية" , صنعاء: المركز الوطني للمعلومات, ٢٠٠٣,ص١٦.

[[10]] المرجع السابق ص ١٩.

[[11]] محمد علي قحطان, "واقع العمل الإداري والتنظيمي وسبل تطويره وتحديثه في جامعة تعز:نموذج كلية العلوم ا لإدارية", من أوراق ملتقى استجابة الإدارة العربية للتغيير مع بداية القرن الحادي والعشرين : ورشة عمل أدوار الحكومة المستجدة لمواجهة التغيرات والتحديات العالمية, المنعقد في الجمهورية العربية السورية, في الفترة من ٢٨-٢٩ إبريل ٢٠٠٤,حلب,ص٥٨.

[[12]] علي هود باعباد, "فلسفة التعليم العالي وسياسته في اليمن", الإدارة العامة للمجلس الأعلى لتخطيط التعليم , الجمهورية اليمنية, ٢٠٠٥,ص١٨.

[[13]] محمد بن محمد مطهر. "التحديات التي تواجه التعليم العالي في الجمهورية اليمنية: الواقع والرؤية المستقبلية", رئاسة الجمهورية, المركز الوطني للمعلومات, الجمهورية اليمنية, ٢٠٠٥, ص٩ .

[[14]] أحمد محمد شمسان, "أثر المشكلات الإدارية على البحث العلمي في الجمهورية اليمنية:دراسة تطبيقية على جامعة صنعاء", القاهرة, رسالة دكتوراة غير منشورة. مقدمة إلى قسم العلوم الإدارية, المعهد القومي للإدارة العليا, أكاديمية السادات للعلوم الإدارية, ٢٠٠٣, ص ص, ٢٩٧-٣٠١ .

[[15]] المجلس الأعلى لتخطيط التعليم, مؤشرات التعليم في الجمهورية اليمنية: مراحله- أنواعه المختلفة للعام ٢٠٠٤-٢٠٠٥, مرجع سابق, ص,٦٩.

[[16]] وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. "الإستراتيجية الوطنية للتعليم العالي في الجمهورية اليمنية وخطة العمل المستقبلية:٢٠٠٦-٢٠١٠ ,مرجع سابق, ص٣٦.

[[17]] الجهاز المركزي للإحصاء, كتاب الإحصاء السنوي أعداد مختلفة, صنعاء : الجهاز المركزي للإحصاء ٢٠٠٣/٢٠٠٤ , ص ١٦.

[18]() فريق من خبراء المنظمة العربية للتنمية الإدارية, معجم المصطلحات الإدارية,(القاهرة, منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية,٢٠٠٧), ص٥٤٣.

[19]() علي السلمي, " إدارة الموارد البشرية" , (القاهرة: مكتبة غريب, ١٩٩٢) , ص٧٥.

[20]() علي محمد عبد الوهاب وعايدة سيد خطاب, إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية,(القاهرة: مكتبة عين شمس, ١٩٩٣),ص ٤٠.

[21]() Daft, Richard., "Organization Theory and Design".,(South- western College publishing, Ohio ,2001),p.501.

[22]() William Scott, "Performance Improvement Interventions: Their Similarities & Differences", *The journal for Quality and Participation* .Vol ,26, No.1 , March, 2003, pp .26-30.

[23]() عبد العزيز جميل مخيمر وآخرون, مرجع سابق , ص٩.

[24]() محمد عبد الغني هلال,مهارات إدارة الأداء : مهارات تطوير الأداء,الطبعة الثانية, (القاهرة: مركز تطوير الأداء والتنمية,١٩٩٦),ص١٣.

[25]() عبد الرحمن صائغ "انحو منظور شمولي لتقويم أداء الجامعات العربية, المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم, المؤتمر السابع للوزراء والمسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي, الرياض ١٧- ٢١ ابريل, ١٩٩٩,ص١.

[26]() Ackerman, Eric George, Op.Cit. p17.

[27]() John V. Lombard. " Competing for Quality: The Public Flagship Research University" Discussion paper, University of Massachusetts Amherst", Reilly Center Public Policy Fellow, February. 2003. 26-28.p.8.

[28]() Ackerman, Eric George, Op.Cit,p.17. نقلاً عن

[29]() Creswell, John W. "Faculty Research Performance: Lessons from the sciences and the social Sciences", Washington D.C. ASHE-Eric Higher Education Report No.4, 1985,p. 23.

[30]() أحمد حسين الرفاعي,مرجع سابق,ص,١٢٢.

[31]() يرجى النظر في التالي:

- Milorad M. Novicevic & Others, "Dual perspective SWOT: a synthesis of marketing intelligence and planning", Marketing Intelligence And Planning, Vol. 22, No.1, 2004, Pp. 86-87.
- Robert G. Dyson, "Strategic development and SWOT analysis at the University of Warwick", European Journal of Operational Research 152, 2004, p.632.

[32]() Mats Lindgren, Hans Bandhold, Scenario Planning: The Link Between Future and Strategy (New York: Palgrave Macmillan, 2003), P. 166.

[33]() Chiang Kao. , and Hwei-Lan Pao, "An evaluation of research performance in management of 168 Taiwan universities", *Scientometric* Vol. 78, No.2, 2008.pp.1-17.

[34] Ali N. Azad,and Fazal Seyyed," Factors Influencing Faculty Research Productivity: Evidence From AACSB accredited schools in the Gulf Region countries" *Journal of International Business Research*, ,Volume 6,Number 1,2007,pp.91-112.

[35] Warren Smart, "What determines the research performance of staff in New Zealand's tertiary education sector?" Ministry of Education, Crown Copyright, November 2005.pp. 1-66.

[36] Jens Smeby, and Sverre Try, " Departmental Contexts and Faculty Research Activity in Norway, *Research in Higher Education*, Vol. 46, No. 6, September 2005.pp.593-619.

[37] Simon Ville and Others," The Distribution of Research Performance Across Australian Universities, 1992-2003, And It's Implications For Higher Education Funding Models" University of Wollongong, NSW 2522, November 2005.p.1-19. Australia. Available on this Website: www.uow.edu.au/~abbas.

[38] Teresa J. Vange, and Others," Research Productivity, Gender, Family, and Tenure in Organization Science Careers", *Sex Roles*, Vol. 53, No. 9/10, November 2005.pp.727-739.

[39] ذوقان عبيدات وآخرون, البحث العلمي: مفهومه أدواته وأساليبه,(عمان : دار مجدلاوي, بد.ت),ص١١٧.

[40] محمد شفيق, الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الإجتماعية, (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث,٢٠٠٢),ص ١٨٤.

[41] رئاسة الوزراء, مؤشرات التعليم في الجمهورية اليمنية, مراحله- أنواعه المختلفة, مرجع سابق, ص ٢٤٩.

[42] علي ماهر خطاب, مرجع سابق, ص ٢٥٣.

[43] الهلالي الشربيني الهلالي,دليل المصطلحات المستخدمة في الجودة والاعتماد الأكاديمي, (المنصورة: مركز تطوير الأداء الجامعي,٢٠٠٩), ص ٤١.

[44] رجاء محمود ابو علام, مناهج البحث فى العلوم النفسية والتربوية, (القاهرة: دار النشر للجامعات ١٩٩٨), ص ٤٢٨.

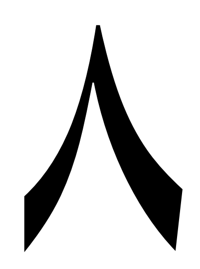
[45] الشكل رقم (٥) من تصميم الباحث.

[46] يرجى النظر بشكل تفصيلي للأهداف والغايات في الفصل السادس "مخطط تطوير الأداء البحثي".

حقوق الطفل وأحكامه في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني

د/ حمود أحمد محمد عبده الفقيه

رئيس قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية –
سقطرة - جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا



الملخص

لما كانت مرحلة الطفولة من المراحل المهمة والأساسية في بناء شخصيّة الفرد إيجابًا أو سلبًا، وفقًا لما يُلاقيه من اهتمام، جاء الإسلام ليُقَرِّرَ أن لهؤلاء الأطفال حقوقًا وواجبات، لا يمكن إغفالها أو التغاضي عنها، وذلك قبل أن تُوضَع حقوق ومواثيق الطفل بأربعة عشر قرنًا من الزمان .

الطفل في الإسلام هو من لم يبلغ الحلم حد البلوغ، ولا يتجاوز سنة الخامسة عشر. أما تحديد عمره بما لا يتجاوز الثامنة عشرة كما في وثيقة حقوق الطفل الدولية، فترى أن هذا التحديد غير صحيح، وربط الإسلام سنّ الطفولة بالبلوغ أحفظ للطفل والمجتمع والدولة .

تميزت حقوق الطفل في الإسلام على حقوقه في القانون الدولي والوضعي بالعديد من المميزات التي يجب علينا تعرُّفها وتعلُّمها وإدماجها في برامجنا التربوية والتعليمية والتدريبية حتى نفعلها في حياتنا تفعيلاً عقلياً شرعياً، وحتى ندافع عن ديننا في ظل التشويه العالمي والمحلي لهذا الدين وشريعته السمحة الغراء، ووسطيته العادلة الفريدة في عالم غابت فيه الوسطية ومعايير العدالة المطلقة.

حق الطفل في تربية حسنة: لقد حمل الإسلام الوالدين مسؤولية تربية الطفل وتعليمه وتهذيب أخلاقه وغرس القيم الدينية لديه، وتنمية قدراته العقلية والجسمية، يقول الرسول الكريم: «أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم» (رواه أحمد والترمذي)، ويقول أيضاً: «ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن» (رواه أحمد والترمذي)

الحضانة هي حفظ الطفل الذي لا يستقل بأمر نفسه وكل من لا يستقل بأمر نفسه عن الأشياء التي تؤثر عليه وتضره والقيام بكل مصالحه ، ورعايته والاهتمام بكل احتياجاته اللازمة كالطعام واللباس والنوم والتربية والتعليم والتأديب وغيرها وكذلك الإهتمام بجميع شؤون حياته الصحية والنفسية والاجتماعية بدنياً وأخلاقياً وهذا ما نص عليه القانون اليمني في المواد (رقم)٢٧ من قانون حقوق الطفل رقم(٤٥)لسنة ٢٠٠٢ م ورقم (١٣٨ ،١٣٩) من قانون الأحوال الشخصية رقم (٢٠) لسنة ١٩٩٢ م .

المقدمة

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

إن الطفولة في الإسلام هي المرحلة الأولى من مراحل عمر الإنسان ... حيث تبدأ منذ ميلاده وتنهي ببلوغه سن الرشد حيث يكمل نمو عقل الإنسان ويقوى جسمه ويكتمل تميزه ويصبح مخاطبا بالتكاليف الشرعية ". قال تعالى)" ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) (١(سورة الحج الآية رقم : ٥)

فواجب الوالدين ولا سيما الأم في هذه المرحلة من أكبر الواجبات الملقاة على عاتقها إذ لا بد وأن يهتما بطفلهما من جميع جوانبه ، حيث أن توجيه الوالدين في هذه المرحلة له أثره العظيم في حسن تقويم الطفل وصقل مواهبه واستعداده ، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال وعى الأب والأم في اختيار كل منهما الآخر . و لما كانت مرحلة الطفولة من المراحل المهمة والأساسية في بناء شخصيّة الفرد إيجابًا أو سلبًا، وفقًا لما يُلاقيه من اهتمام، جاء الإسلام ليُقَرِّرَ أن لهؤلاء الأطفال حقوقًا وواجبات، لا يمكن إغفالها أو التغاضي عنها، وذلك قبل أن تُوضَع حقوق ومواثيق الطفل بأربعة عشر قرنًا من الزمان.

والطفل في الإسلام هو من لم يبلغ الحلم حد البلوغ، ولا يتجاوز سنة الخامسة عشر. أما تحديد عمره بما لا يتجاوز الثامنة عشرة كما في وثيقة حقوق الطفل الدولية، فترى أن هذا التحديد غير صحيح، وربط الإسلام سنّ الطفولة بالبلوغ أحفظ للطفل والمجتمع والدولة

وقد تميزت حقوق الطفل في الإسلام على حقوقه في القانون الدولي والوضعي بالعديد من المميزات التي يجب علينا تعرُّفها وتعلُّمها وإدماجها في برامجنا التربوية والتعليمية والتدريبية حتى نفعلها في حياتنا تفعيلاً عقلياً شرعياً، وحتى ندافع عن ديننا في ظل التشويه العالمي والمحلي لهذا الدين وشريعته السمحة الغراء، ووسطيته العادلة الفريدة في عالم غابت فيه الوسطية ومعايير العدالة المطلقة.

لقد أقر الإسلام حقوقاَ واسعة للطفل تبدأ من قبل ولادته على وجه الأرض ، وهذه الحقوق منحة ربانية لبني أدم ، ويتضح ذلك في ضرورة اختيار أم ذات نسب فاضل شريف حتى لايعير بنسبه لأمه بعدا لولادة ، وضرورة رعاية الأم الحامل ، لأن مزاج الطفل ونموه يتأثران إلى حد كبير لظروف الحمل وصحة الأم ، وهناك أحكام الجنين وحقوقه تبدأ بعد الولادة ،أولها اختيار اسم حسن له حتى لا يكون مثالاَ للتنا بز بالألقاب ،ثم حقوقا لطفل من الرعاية والحماية والنفقة ثم تتابع الحقوق سواء كان رجلا أو امرأة .([1])

بل إن حقوق الإنسان تظل تصاحبه حتى في قبره ويتجلى ذلك في تحريم نبش القبور ، كما إن حرمة الميت كحرمة الحي فلا يجوز سبه ، بل المندوب ذكر محاسنه ، كما قال تعالى (ولقد كرمنا بني أدم) (الإسراء ٧٠) فهل يوجد هذا في شريعة أو ديانة أخرى ؟ ([2])

حق الحياة : يعتبر حق الحياة أول الحقوق وأهمها ، لأنه حق مقدس في نظر الإسلام يجب حمايته وعدم الاعتداء عليه ، حيث حرم الإسلام قتل النفس بغير حق ، قال تعالى : (ولاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق (الإسراء ورتب الجزاء علي ذلك عقوبة القصاص استقرارا لحياة الناس وإخماداً لموضوع أثارة الفتن ، قال تعالى : (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) (البقرة ١٧٠ ٩) ، ولم يكتفي الإسلام بعقوبة القاتل في الدنياء بل توعده الله بعقوبة الآخرة ، قال تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدً له عذاباً عظيماً) (النساء -٩٣)

كما وضح الإسلام أن الاعتداء على النفس الآمنة بغير حق كالاعتداء على الناس جميعاً ، قال تعالى (أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) (المائدة ٣٢

و من حقوق الأطفال على الإباء التربية الصالحة حيث تعتبر التربية اليوم أساساً في بناء الأفراد والمجتمعات، ولها أثرها في بناء الشعوب والمجتمعات ، ومن أجلهاء جعل المولى عز وجل مهمة رسالة الأنبياء والأمم التربية، التي تُكوّن هذه الأمم عقائدياً وسلوكياً وفكريا، لحمل الرسالة، والقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، ومواصلة الدعوة للناس . وتبدو أهمية التربية ؛ إذا أنها إصلاح وتعهد الهدف منها إصلاح الفرد ووقايته من الفساد في الدنيا الذي يترتب عليه عقوبة في الآخرة. حيث تعتبر الأسرة هي اللبنة الأولى من لبنات المجتمع والطفل هو اللبنة الأولى وخليته الحية التي تبني جسد الأمة الإسلامية وكيانها ، فإن لحقها ضرر ، وكثر العطب في تلك الخلايا أنتشر المرض وزاد ألم ذلك الجسد لذا أهتم الإسلام بتكوينها منذ الوهلة الأولى بالتحري في حسن اختيار الزوجة الصالحة وهذا حق من حقوق الطفل حسن اختيار أمة.وكذلك اهتم الإسلام بالإنسان منذ نشأته ووجوده جنينا في بطن أمه .

ومن حقوق الطفل الغير قادر على كفاية نفسه ذكراً كان أم أنثى والتي تقع على كاهل الأبوين في حال استمرار الحياة الزوجية والوفاق التام بينهما . أو كان في حال الطلاق والفرقة فكلاهما راعيان ومسؤلان عن رعايتهما ، قال عليه الصلاة والسلام : (كلكم راع ومسؤلُ عن رعيًته([3]) حيث اهتم الإسلام بتخصيص أحكاماً للأسرة المسلمة مثل حق الطفل في الحضانة ، والنفقة و غيرها من الحقوق التي ينبغي أن يتمتع بها الطفل منها أن يعيش عيشة هنيئة في بيت ومجتمع سليم يعترف بحقوقه ويعيش في أسرة متحابة ، ومترابطة ومتعاونة ومتفاهمة تحت حب وحنان والديه ، أو أحدهما نظراً لأن الطفل يحتاج في مراحله الأولى إلي العناية من والديه كونه يكتسب أحاسيسه ومشاعره من والديه وهذه الأحاسيس والمشاعر تلازم شخصيته خلال أيام الطفولة والمراهقة وسن الرشد وغيرها .

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

١- جهل كثير من الآباء والأمهات بحقيقة حق الطفل والتربية وكيفيتها.

٢- أهمية الموضوع، بالنسبة للفرد وللأسرة والمجتمع باعتبارها العامل الأساسي في تشكيل شخصية الفرد الذي يكوِّن الأسرة وبالأسرة يتكوَّن المجتمع.

٣- غياب استشعار المسؤولية التي تقع على عاتق الوالدين والأمانة التي يحملانها.

٤- تعامل الوالدين الخاطئ تجاه تقويم أخطاء الأولاد وتصرفاتهم.

٥- الجرائم والانحرافات التي تحدث في المجتمع يعتبر العامل الأساسي فيها هما الأب والأم إما بالإهمال أو التربية الخاطئة.

٦- الرغبة في البحث العلمي عموماً، وفي هذا البحث خصوصاً لما فيه من الفوائد والمنافع لي أولاً والمجتمع والباحثين ثانياً.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: مفهوم حق الطفل في اللغة و في الشريعة ا لإسلامية والقانون اليمني :

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : مفهوم حق الطفل في اللغة :

المبحث الثاني : مفهوم حق الطفل في الاصطلاح :

المبحث الثالث: مفهوم حق الطفل في القانون اليمني :

- الفصل الثاني: حقوق الطفل التربوية في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :
- وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية التربية. في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني.

وفيه مطلبان

المطلب الأول : أهمية التربية في الشريعة الإسلامية .

المطلب الثاني : أهمية التربية في القانون اليمني .

المبحث الثانث : حق الطفل في التربية الإيمانية و الأخلاقية.

الفصل الثالث : حق الطفل في التعليم والصحة في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :

وفيه مبحثان

المبحث الأول: حق الطفل في التعليم في الشريعة الإسلامية والفانون اليمني :

وفيه مطلبان

المطلب الأول : حق الطفل في التعليم في الشريعة الإسلامية :

المطلب الثاني : حق الطفل في التعليم في القانون اليمني :

المبحث الثاني: حق الطفل في الرعاية الصحية في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :

وفيه مطلبان

المطلب الأول: حق الطفل في الرعاية الصحية في الشريعة الإسلامية

المطلب الثاني : حق الطفل في الرعاية الصحية في القانون اليمني :

- الفصل الرابع: حق الطفل في الحضانة في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :
- وفية أربعة مباحث .

المبحث الأول: معنى الحضانة وحكمها ودليلها في اللغة و الشريعة والقانون

المبحث الثاني : شروط الحاضن والمحضون في الشريعة والقانون

المبحث الثالث : صاحب الحق في الحضانة ومدتها وانتقالها في الشريعة والقانون

المبحث الرابع : أجرة الحاضنة وتوابعها من السكنى والخدمة ومكان الحضانة والانتقال بالمحضون .

- الفصل الخامس : حق الطفل في الرضاعة والنفقة في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني .
- وفيه مبحثان .
- المبحث الأول: حق الطفل في الرضاعة في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :
- وفيه مطلبان

المطلب الأول : حق الطفل في الرضاعة في الشريعة الإسلامية :

المطلب الثاني : حق الطفل في الرضاعة في القانون اليمني :

- المبحث الثاني : حق الطفل في النفقة في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :
- وفيه مطلبان
- المطلب الأول : حق الطفل في النفقة في الشريعة الإسلامية
- المطلب الثاني : حق الطفل في النفقة في القانون اليمني :

الفصل الأول: مفهوم حق الطفل في اللغة و في الاصطلاح والقانون اليمني :

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : مفهوم حق الطفل في اللغة :

الحق لغة : قال الجوهري : (الحق خلاف الباطل ، والحق واحد الحقوق ([4]) وقال أبن منظور : (الحق نقيض الباطل وجمعه حقوق وحقاق) ([5])

إذاً الحقوق جمع حق ، والحق له أطلاقات عديدة في اللغة منها ما ذكره الفيروز أبادي حيث قال :(الحق من أسماء الله تعالى أو صفاته ، والحق ضد الباطل وواحد الحقوق ، والحَقَةُ ([6])أخص منه وحقيقة الأمر . ومن خلال ما تقدم من معاني لهذه المفردة (الحق) يمكن القول بأن المعنى اللغوي الأقرب لموضوع البحث من تلك الإطلاقات هو أن الحق معناه : الأمر الواجب والشيء الثابت . ويدل على صحة هذا الإطلاق اللغوي قول الجوهري : (وحق الشيء يحق بالكسر ، أي وجب ، وأحققت الشيء أي أوجبته ، واستحققته أي استوجبته) ([7]) ويؤيد قول ابن منظور (وحق الشيء يحق بالكسر ، حقاَ أي وجب ، ......واستحق الشيء أستوجبه) ([8]) وقال الفيومي : (الحق خلاف الباطل وهو مصدر حقا لشيء من باب ضرب وقتل إذا وجب وثبت ولهذا يقال لمرافق الدار حقوقها .. وفلان حقيق بكذا بمعنى خليق وهو مأخوذ من الحق الثابت ([9])

المبحث الثاني : مفهوم الحق اصطلاحا :

تطلق الحقوق اصطلاحا على معاني عدة ،وباعتبارات مختلفة ، وترجع تلك الإطلاقات إلى معنيين أساسيين :

المعنى الأول : باعتبار مادتها فتكون هي : مجموعة القواعد والنصوص التشريعية التي تنظم على سبيل الإلزام علائق الناس من حيث الأشخاص والأموال ([10])

وهي بهذا المعنى تقارب معنى الحكم في اصطلاح الأصوليين ومعنى القانون في اصطلاح القانونيين [11])

المعنى الثاني : باعتبار أثرها ومن تجب له ، فتكون هي المطلب الذي يجب لأحد على غيره ([12])وهي بهذا المعنى تقارب تعريف (الحكم) في اصطلاح الفقهاء)([13])

وقد عرف الحق بمعناه العام بأنه : اختصاص يقرر به الشرع سلطة ([14]) قال الجرجاني : (الحق في اللغة هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ، وفي اصطلاح أهل المعاني هو الحكم المطابق للواقع / يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على علي ذلك . ([15]

المبحث الرابع : مفهوم حق الطفل في القانون اليمني:

أولا : تعريف الطفل : لقد عرف القانون اليمني الطفل بقوله (الطفل هو كل إنسان لم يتجاوز ثمانية عشر سنة من عمره مالم يبلغ سن الرشد قبل ذلك) ([16])

ثانياَ : مفهوم حقوق الطفل يهدف قانون حقوق الطفل إلي(تحديد حقوقه الشرعية والقانونية والاجتماعية والاقتصادية والصحية والتربوية والرياضية والثقافية التي يجب أن يتمتع بها جنيناَ وطفلاَ منذ ولادته (([17]) (ويكفل القانون لكل طفل التمتع بجميع حقوقه الشرعية وعلى الأخص حقه في ثبوت نسبه والرضاعة والحضانة والنفقة ورؤية والديه وفقاَ لأحكام هذا القانون والقوانين النافذة) ([18]) وتكون لحماية الطفل ومصالحه الألوية في كافة القرارات والإجراءات المتعلقة بالطفولة والأمومة والأسرة أو البيئة أياَ كانت الجهة التي تصدرها أو تباشرها .)([19]) ولا تخل أحكام هذا القانون بحق الطفل في التمتع بكافة الحقوق والحريات العامة وأوجه الحماية التي تكفلها القوانين النافذة للإنسان عامة والطفل خاصة دون تمييز بسبب الجنس أو اللون أو المعتقد) ([20]) ولكل طفل الحق في تكوين الجمعيات والنوادي التي يمارس من خلالها نشاطاته الاجتماعية والثقافية بما يناسب وسنه ودرجة نضجه وفقاَ للقوانين النافذة)([21]) (وللطفل على الدولة الرعاية الصحية أثناء الحمل والولادة وما بعدها) وكذلك تكفل الدولة مجانية التعليم وفقاَ للقوانين النافذة) ([22]) وتكفل الدولة تلبية حاجات الطفل الثقافية في شتى مجالات الأدب والفنون والمعرفة والمعلومات بما يسهل عليهم الانطلاق من وحي التراث الإسلامي والعربي واليمني والاستفادة من التطورات العلمية والثقافية الحديثة وفي إطار احترام قيم المجتمع الدينية.)([23])

الفصل الثاني: حقوق الطفل التربوية على الوالدين في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : أهمية التربية في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :

وفيه مطلبان.

المطلب الأول : أهمية التربية في الشريعة الإسلامية :

إن من حقوق الأبناء على الإباء التربية الحسنة وهي واجبة على الإباء حيث تعتبر التربية اليوم أساساً في بناء الأفراد والمجتمعات، ولها أثرها في بناء الشعوب والمجتمعات ، ومن أجلهاء جعل المولى عز وجل مهمة رسالة الأنبياء والأمم التربية، التي تُكوّن هذه الأمم عقائدياً وسلوكياً وفكريا، لحمل الرسالة، والقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، ومواصلة الدعوة للناس . ويتبين لنا من خلال قوله تعالى:

((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦)) التحريم:٦]

أهمية التربية؛ إذا أن التربية إصلاح وتعهد الهدف منه إصلاح الفرد ووقايته من الفساد في الدنيا الذي يترتب عليه عقوبة في الآخرة. ولهذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل، يحمل للبشرية منهج الحياة، وقد تنزل عليه كتاب الله العزيز، فكانت أول آية:

((ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١)) العلق:١]،

وهي أمر بالتعلم والتعليم والتربية على هدى كتاب الله عز وجل، ثم كانت حياته صلى الله عليه وسلم من أول يوم أوحي له حتى وفاته ترجمة واقعية للقرآن الكريم، ونموذجاً مثالياً للتربية الإسلامية، والذي يقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ويقرأ عن تلك الاجتماعات التي كانت تعقد سراً ؛ ليدرك الأهمية الكبيرة للتربية فهي القاعدة الأولى التي بعدها سينطلق الفرد عاملاً في مجتمعه بل ويدرك أهمية الأسرة في تربية وتنشئة الأجيال، إذ أن هذه الدار التي كانت تُعقد فيها الاجتماعات السرية إنما كانت بمثابة الأسرة التي فيها يتلقّون التربية والتعليم([24]) . إذ كانت تمثل تعويضاً عن أسرهم التي لا زالت في براثن الكفر، ومن هُنا يتبين لنا أهمية التربية، إذ أن مجرد إسلامهم، ليس بالأمر الكافي ليجهروا بدعوة الإسلام، بل لا بد من التربية وغرس القيم والمبادئ وتقوية الروابط الأخوية. كل هذا لأجل الخروج بنتاج تلك السنوات الثلاث من التربية على طاعة الله ورسوله، وفعلاً يخرج جيل مؤمن قوي تربى على الأخلاق والمعالي، امتدحه الله في القرآن قال تعالى((كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ)) ([25])

إن رسالة جوهرها التربية، وطريقها الإصلاح لرسالة سامية، تضع على عاتق المربين مهمة عظيمة، ومسؤولية جسيمة، وتقع مسؤولية التربية بالدرجة الأولى على الوالدين ، فالوالدان في ثغرة عظيمة تحتاج إلى حشد الطاقات وبذل الجهود. بل إن هذه التربية هي التي تمنحهما النجاح والفلاح في الآخرة، كما في الدنيا، وتظل تُدِر عليهما الثواب والفضل حتى بعد الممات[26].

والتربية ليست بالأمر الهين أو الشيء المعتاد كما يظنه البعض من الآباء والأمهات، إنجاب ومأكل وملبس ومشرب وانتهى عندهم الأمر، بل هي أعظم من ذلك بكثير.

ولذا تبدأ هذه التربية من الأيام الأولى للمولود، لأن ما يُربى عليه الطفل في الصغر يظل معه، ويصعب التخلص منه عندما يكبُر. وينبه علماء النفس والمربون على أهمية السنوات الأولى من الطفولة، فالإنسان هو نتاج وحصاد تلك السنوات من التربية أو الإهمال. وقديماً قال الحكماء: ما أشد فطام الكبير، وأعسر رياضة الهرم[27]. فتكوين العادة في الصغر أيسر بكثير من الكبر، ذلك لأن الجهاز العصبي الغض للطفل أكثر قابلية للتشكيل وأيسر حفراً على مسطحه ، أما في الكبر فإن الجهاز العصبي يفقد كثيراً من مرونته فيصبح الحفر عليه أشق[28]. بل تؤثر السنوات الأولى للطفل على نفسيته في المستقبل سلباً وإيجاباً.

ولقد أثبتت الدراسات، وثبت لدى الباحثين تأثير السنوات الأولى من العمر، في حياة الإنسان، وقد وجد أنه إذا ما لبيت حاجات ورغبات الطفل في الأشهر الأولى من الطعام والراحة والمحبة، وغير ذلك أن يكون حظه في حياة مستقبلية سعيدة[29]. يقرر علماء النفس والمربون أن كثير من الإساءة للوا لدين من الأولاد هي أصلاً ناجمة عن التربية الغير صحيحة أو التراكمات التي كانت في فترة طفولة الوالد، فالأب والأم الذي عانيا من سوء معاملة والديهما قد يحملا نفس هذه الإساءة إلى أولادهما. فهناك من يرى أن دورة إساءة معاملة الطفل ترتبط بفرضية انتقال إساءة معاملة الطفل عبر الأجيال، والتي تشير إلى أن الأفراد الذين يُساء معاملتهم في الطفولة من المحتمل أن يكونوا مسيئين لأطفالهم في مرحلة الرشد ، وذلك مقارنة بالأفراد الغير مساء معاملتهم في الطفولة بمعنى أن المشكلات السلوكية والنفسية التي تنشا عن الإساءة في الطفولة تزيد من احتمالية أن يصبح هؤلاء الأطفال مسيئين في مرحلة الرشد مع أطفالهم وزوجاتهم[30]. فلا بد إذاَ من الاهتمام بالأولاد منذ سنواتهم الأولى؛ فالسنوات الأولى تعد عاملاً مهماً في تشكيل شخصية متوازنة، قوية ومؤثرة. والتربية اهتمام بكافة النواحي الإيمانية والصحية والعلمية والأخلاقية، فلا بد أن يراعي الوالدان كل هذه الجوانب، ليخرج الأولاد بشخصيات متوازنة وواعية كما ينبغي تجنب الإفراط والتفريط في هذه الجوانب. فالشخصية المتزنة ذات أثر فعال في حياة الأفراد والجماعات، ولا تتكامل إلا عندما تكون قد وجهت من كل جوانبها ورُبِّيت من كل أقطارها، وهذِّبت من كل أطرفها[31]. إن الاهتمام بتنشئة الأولاد منذ الصغر ليخرجوا إلى المجتمع نافعين مصلحين، خير من إهدار القوى والطاقات في معاجلة النتائج السلبية للإهمال والتفريط

وأيهما أولى بالاهتمام والتقديم: إعداد أجيال صحيحة النشأة، قويمة البنيان، أم بذل الجهود في إصلاح الراشدين؟ وإذا كان كلا الأمرين ضرورياً، فإن أولوية تربية الأطفال والناشئين تفرض نفسها[32]. إن التمزق الذي يصيب مجتمعاتنا، والضياع الذي تعيش فيه أجيالنا نتيجة لهذا التقصير، أو الغياب الكبير لمسؤولية التربية وتأثير الأسرة[33].

وعلى هذا فالتربية هي عملية بناء وإصلاح ورعاية حتى التمام، ولكي نضمن إخراج طفل سويٍّ لا بُدّ من تربيته وتنشئته على الإسلام، فالنظرة التربوية الإسلامية تهتم بكل مجالات الحياة الصحيّة والنفسيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة وما إلى ذلك والتربية فريضة في حقّ الآباء، وهي مسئولية وأمانة لا يجوز التخلّي عنها، قال تعالى :((إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً))(الأحزاب: ٧٢).

فلا بُدّ أن يشعر كِلا الأبوين أنهما مسئولان عن أطفالهما، وهما محاسبان على التقصير في تربيتهما، وعن هذه المسئولية يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ....)

وقد أمرنا الله أن نحمي أنفسنا وأبنائنا من النار يوم القيامة، فقال تعالى :((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ))التحريم: ٦.

المطلب الثاني : أهمية التربية في القانون اليمني :

نظراً لما للتربية الإيمانية من أهمية في نشأة الطفل فقد نصت المادة رقم (٧) من قانون حقوق الطفل رقم (٤٥) لسنة ٢٠٠٢ م على (ضمان تنشئة الطفل على الاعتزاز بعقيدته الإسلامية) كما نصت المادة رقم (١٠) من القانون السابق ذكره على (تنشئة الطفل على الأخلاق الفاضلة والعمل المثمر ، وتنمية الوعي لديه بضرورة احترام والديه ومحيطه العائلي والاجتماعي واحترام التكسب الكريم وروح الاعتماد علي النفس)

المبحث الثالث: حق الطفل في التربية الإيمانية و الأخلاق الفاضلة :

إن التربية الإيمانية واجبة على الأباء نحو أبنائهم كونها حق من حقوقهم يقوم بها الأ باء والمربون حيث أن السير على تعاليم الإسلام ومنهج القرآن لهو الطريق إلى الفلاح، وحياة الإنسان لا بد أن تسير كلها على منهج الله عز وجل قال تعالى:

((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾)) [34] وكذلك فإن تربية الأولاد التربية الإيمانية بالسير على نهج القرآن والسنة، مما يُعين على إخراج أفراد صالحين نافعين لمجتمعهم ، وتربية الأولاد على معاني الشريعة وأخلاقها يبدأ من أول يوم يولد فيه المولود بل من قبل ذلك، وهذا لينشأ الولد على الفطرة النقية، والمنبع الصافي،كما أننا في معركة والشيطان مترصدٌ متوعدٌ بالإغواء لكل إنسان من قبل أن يخرج إلى الدنيا. والله سبحانه وتعالى يبين لنا أن طريق الفوز في هذه المعركة بالعمل

بما أنزل من هدي والتمسك به وملازمته من أول يوم للمولود ،وما يحصل للأمة الإسلامية اليوم من تكالب الأعداء عليها، وتأخرها في كافة الميادين على الأمم إلا بسبب أنها فقدت مصداقيتها في التربية الإيمانية ، فالأمة لن تنهض إلا بأبنائها ومن خلال ماتحدثنا عن أهمية التربية الإيمانية يتضح أنها حق من حقوق الأبناء على أبائهم لما لها من قيمة عظيمة تعود على الطفل بالنفع في الدنيا والآخرة بل إن التربية الإيمانية للأطفال يستفيد منها وينتفع بها الآ باء في الدنيا والآخرة فإذا تربى الطفل تربية إيمانية أصبح طائعاَ وبارا لأبويه في الحياة الدنيا وبعد مماتهما بالدعاء لهما ، و ترتكز التربية الإيمانية على معاني قيمة دعة إليها الشرعية الإسلامية ومنها الأتي :

١- من حق الطفل على والديه التربية الإيمانية على العقيدة الصحيحة .

من حق الطفل على والديه تربيته على العقيدة الإسلامية الصحيحة حيث أن العقيدة الإسلامية أساس الدين الحنيف وأصله، ومرتكز الشريعة والأخلاق، فالعبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك، كل ذلك مرتبط بالعقيدة ومؤسس عليها وقائمٌ بها فمتى أختلت العقيدة اختل ما بُنيَّ عليها ([35]). فهي الحصن الحصين والأساس الصلب الذي تقوم عليه سائر العبادات. والإنسان بغير العقيدة الإسلامية لا معنى لوجوده، ولا هدف من حياته، يعيش كالسائمة لا هم له غير شهوة البطن والفرج، يعيش لنفسه وشهواته في غفلة عن ربه والدار الآخرة([36]).

٢- ومن حق الطفل على والديه الدعاء له بالهداية والصلاح:

ويتضح هذا المعنى من خلال دعاء الصالحين والأنبياء والمرسلين يقول تعالى عن عباد الرحمن((وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾)) ([37]) فصلاح الولد مما يتمناه ويرجوه كل أب وأم وتقربه أعينهم. يقول البيضاوي: بتوفيقهم للطاعة، وحيازة الفضائل، فإن المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله سُرَّبهم قلبه وقرَّت بهم عينه، لما رأى من مساعدتهم له في الدين، وتوقع لحاقهم به في الجنة([38]). وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: ((قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ))([39]) (وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ) أي اجعل الصلاح فيهم جارياً راسخاً مُتمكنين منه وقيل أنها نزلت في أبي بكر الصديق([40]). قيل: لم يبق له ولد ولا والد ولا والده إلا امنوا بالله وحده([41]). وهذه من ثمرات الدعاء المخلص للأولاد. ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته)) ([42]).

٣: ومن حق الطفل على والديه غرس محبة الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في الأمور كلها:

وهي الشطر الثاني في شهادة التوحيد لا إله الله وتستدعي من الأبوين تعريف الولد بمعناها وهو طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه[43] .والنفس البشرية تتطلع إلى قدوة تقتدي بها وتسير على نهجها وخير قدوة للبشرية هو محمد صلى الله عليه وسلم وما العذاب الذي تُصاب به النفس البشرية والضياع الذي يُعاني منه شباب الأمة الإسلامية إلا بسبب غياب القدوة. ومما يعاني منه المسلمون اليوم الغفلة في تربية أولادهم بالاقتداء برسولهم، وغابت عنهم أهم قضية. فلا بد أن تربط أفعالنا برسولنا الكريم، ولا بد أن يُنشأ الأولاد على الاقتداء به عليه الصلاة والسلام ولا يتم إلا بالجانب الآخر وهو غرس محبته في نفوس أولادنا من خلال تعريفهم به، وبصفاته وشمائله وأخلاقه، وفي هذا الجانب أيضاً تعريف أولادنا كيف كان تعامل رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم مع الكبير ومع الصغير مع المرأة ومع الرجل مع الحيوان – كيف كان رحمة مهداة إلى الناس جميعاَ

٤: من حق الطفل على والديه تعليمه القرآن الكريم:

إن مهمة الوالدين في تعليم أولادهما القرآن مهمةٌ عظيمة؛ لأن ربط الولد بالقرآن ربطاً صحيحاً يجعل العقيدة الإسلامية راسخة في نفسه، فالقرآن هو مصدر العقيدة الإسلامية[44] . ومهمة الوالد تحبيب القرآن إلى نفس الولد، من خلال ربط الولد بالقرآن من الصغر.واعلم أن تعليم الوالدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات[45] . ولأهمية تعليم القرآن الكريم فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يربون أولادهم على حب القرآن الكريم وتلاوته[46] . فينبغي السير على نفس النهج ليتربى الأولاد على القرآن، وكذلك على الوالدين عمل مسابقات تحفيزية بين الأخوة كلٌ على حسب سنه، ويُشجع الأولاد الصغار على حفظ القرآن من خلال تحفيظهم السور الصغيرة كالإخلاص والناس والفلق.. وهذه السور هي من قصار السور، فسورة الإخلاص تمثل الاعتقاد العقلي والكافرون تمثل الاعتقاد العملي، وهما من قصار السور التي تبحث في ميدان العقيدة، وهذا يعني أن الأطفال أكثر تأثراً وأسرع ثمراً من الكبار، لأن قلوبهم ما زالت نقية وصافية.

٥: ومن حقوق الطفل على أبويه تعليمه الأخلاق الحميدة :

إن مما يحتاج إليه الولد غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوِّد عليه في صغره من خير أو شر، فإذا ربى على الغضب واللجاجة والعجلة والطيش، والحدة والجشع، يصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق راسخة له، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولا بد يوماً ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة خلاقهم، وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها[47]، ونظرا لأهمية الأخلاق فقد أولاها القرآن الكريم اهتماماً كبيراً بل ومدح الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم.

فقال((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤))([48]) وإنما كان للأخلاق هذه الأهمية لما لها من تأثير في صفات الشخص وتعامله مع الآخرين، ولما أمر الله عز وجل بإقامة الصلاة بأركانها وخشوعها كان وراء ذلك معانٍ عظيمة منها النهي عن الأخلاق السيئة والتربية على الفضائل.، ومما أهتم به المربون قديماً وحديثاً الأخلاق فكانوا يبحثون لأولادهم عن معلمين ذوي أخلاق، ثم يأمرون أولادهم بأن يأخذوا الأخلاق والأدب عنهم قبل العلم.

الفصل الثالث : حق الطفل في التعليم والصحة في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :

وفيه مبحثان

المبحث الأول : حق الطفل في التعليم في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :

وفيه مطلبان

المطلب الأول :حق الطفل في التعليم في الشريعة الإسلامية :

يجب على الآباء الاهتمام بتعليم أبنائهم لكي ينتفع من تعليمهم في حياته وبعد مماته نظراً لما للعلم من قيمة من القيم العليا، التي جاء بها الإسلام، وأقام عليها حياة الإنسان المادية والمعنوية، الأخروية والدنيوية، وجعله الله طريقاً للإيمان وداعياً للعمل، وهو المرشح الأول للخلافة في الأرض، وبه فضّل آدم أبو البشر على الملائكة، الذين تطلعوا إلى منصب الخلافة([49]) . وفي القرآن آيات كثيرة تحث على طلب العلم ورفع الدرجات لأصحاب العلم قال تعالى: ((يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ)) [المجادلة: ١١]. ولأهمية العلم فإن الملائكة لما بشرت إبراهيم بالولد بشرته بولدٍ عليم قال تعالى: ((فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨)) [الذاريات:٢٨] وقال تعالى: ((قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ)) [الحجر:٥٣].

قيل: بشروه بغلام يكمل علمه إذا بلغ([50]) . وقيل: بشروه بغلام يولد له كثير العلم عند أن يبلغ مبالغ الرجال([51]) . فهذه البشارة حملت في طياتها بشارة الولد، وبشارة كونه في المستقبل صاحب علم.

ووصفه بالعلم لأنها الصفة التي يختص بها الإنسان الكامل لا الصورة الجميلة والقوة ونحوها([52]) . فتركوا سائر الأوصاف من الحسن والجمال، والقوة والسلامة، واختاروا العلم، إشارة إلى أن العلم رأس الأوصاف ورئيس النعوت([53]) .

فللعلم أهمية كبيرة؛ ولهذا كانت أول سورة تنزل على معلم البشرية هي قوله تعالى: ((ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١)) [[العلق:١]. بل ومن شرف العلم أن ذكرت الأداة الموصلة إليه وهي القلم. ولأن الله عز وجل يقول:

((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦)) [[التحريم: ٦]

فمن وقاية الأهل تعليمهم ما يُهمهم من أمور دينهم ودنياهم، حتى لا يقعوا فريسة الظلال والانحراف ويكون مصيرهم إلى النار بسبب إهمالهم تعليم أبناءهم. ولا شك أن هذه المسؤولية بالغة الخطورة والأهمية؛ لأن الإسلام حمل الآباء والمربين مسؤولية كبرى في تعليم الأولاد، وتنشئتهم على المعرفة والعلم والإدراك الناضج، لتتفتح المواهب، وتنضج العقول([54]) .ومن هنا كان اهتمام المربين جيلاً بعد جيل بتربية الأولاد والاعتناء بتعليمهم وتوجيههم وتقييم اعوجاجهم([55]) .

ومن الحقوق الواجبة على الآباء والأمهات تجاه أولادهم حق التعليم .

تعليم الأولاد ما يقيهم من الضياع في الدنيا والخسران في الآخرة؛ وذلك بتعليمهم أمور دينهم وهذا التعليم أمانة في أعناق الآباء والأمهات فإن قصر الآباء والأمهات فيه ووقع الأولاد في المعاصي فإن الآباء والأمهات يُعذبون يوم القيامة؛ ولذا كان عليهم تعليم أولادهم وتعريفهم بربهم وكتابهم ونبيهم واليوم الآخر

ويجب على الوالدين أن لا يؤخرا تعليم أولادهما فأفضل المراحل للتعليم مرحلة الطفولة.حيث يكون الولد أصغر ذهناً وأقوى ذاكرة، وأنشط تعليماً([56])

المطلب الثاني : حق الطفل في التعليم في القانون اليمني :

اهتم المشرع اليمني بحقوق الطفل في مجال التعليم اهتماما بالغا ويتضح ذلك الاهتمام من قوله :(تكفل الدولة مجانية التعليم وفقا للقوانين النافذة ، ويجب أن تهدف المناهج التعليمية إلي الطفل تكويناً علمياً وثقافياً وتنمية شخصيته ومواهبه ومهاراته وتعريفه بأمور دينه وتربيته على الاعتزاز بذاته وكرامته واحترامه للآخرين وكرامتهم والتشبع بقيم الخير والحق والإنسانية ، بما يضمن إعداده إعداداً متكاملاً يجعل منه إنساناً مؤهلا مؤمناً بربه ووطنه قادراً علي الإسهام بكفاءة في مجالات الإنتاج والخدمات أو مهيئاً لاستكمال التعليم العالي علي أساس تكافؤ الفرص بين الجنسين .)([57])

(تعمل الدولة علي إنشاء المدارس ومراكز محو أمية الأطفال في كل المحافظات ، ويجب أن تكون مستوفية الشروط التربوية لكل المراحل الدراسية وأن تستوعب الأطفال في سن القبول للدراسة وأن توفر لها المستلزمات

والوسائل المطلوبة ، وتعمل الدولة على تحقيق تكافؤ الفرص في التعليم ومساعدة الأسر التي تمنعها الظروف الاقتصادية والاجتماعية من إلحاق أطفالها بالتعليم الإلزامي)([58])

المبحث الثاني : حق الطفل في الرعاية الصحية في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :

وفيه مطلبان

المطلب الأول حق الطفل في الرعاية الصحية في الشريعة الإسلامية :

لو تأملنا في نصوص الشريعة الإسلامية لرأينا حرص الشريعة الإسلامية على بناء الجسد الصحي القوي قال تعالى :

(وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا)([59]) وإرضاع الطفل من الواجبات على الوالدين لرعايته والحافظ على حياته ، ففي هذه الفترة لا يستطيع الطفل تناول الطعام كالكبار، وتستمر هذه الرضاعة حتى يتمكن الطفل من تناول الأغذية، وهذا الإرضاع واجب، تأثم الأم بتركه إن تعينت. وقد قرر الأطباء أن إرضاع الأم اللبن لولدها يفيده إفادة كبيرة، كما قرروا أن الرضاعة الطبيعية من لبن الأم أفضل من الصناعية ومن الرضاعة من مرضعة أخرى، وذلك لتناسب التركيب الغذائي والعضوي بين الأم وولدها بالإضافة إلى أن عملية الإرضاع الطبيعي تنشط الجهاز الهضمي للمرأة، وتحمله على الحصول على المواد الغذائية اللازمة لنمو المولود([60]).وإذا ثبت أن لبن الأم أنفع له فإن نزعه من ثدي أمه في وقت مبكر حفاظاً على نضارة الأم واستغناء بغذاء مجلوب، تقصير في حقه، وعزل له عن مصدر قوته ومنعته، في وقت تنمو فيه أعضاؤه وتتشكل طباعه([61]).

وتقوم حالياً الدعوة الطبية العالمية، وتعقد المؤتمرات الصحية العلمية، والحلقات والندوات التي تهدف إلى ضرورة العمل على إيجاب الرضاعة من أمه رضاعة طبيعية وألا تلجأ الأم إلى المرضعات أو الرضا عات الصناعية إذ أن طبيعة لبن الأم تطابق طبيعة تكوين جسد طفلها ولا تتطابق مع غيره ولا تنسجم مع سواه ولذا يوصي العلماء بهذه الرضاعة بعد أن تأكد أن لبن الأم فيه الوقاية والعلاج لكثير من أمراض الأطفال بشرط أن يرضعه من أمه مباشرة وفي أيامنا الأخيرة؛ فلقد توصل العلم إلى تقرير أن حالات الذبحة والسكتة القلبية وأمراض تصلب الشرايين بين الشباب والتي راجت في عصرنا الحديث إنما سببها الرئيسي هو الرضاعة الصناعية([62]).

وقوله عليه الصلاة والسلام: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر

الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) ([63]) . أي أن كلاهما فيه خير، إلا أن المؤمن القوي أحب، فهو الأقدر على القيام بواجباته تجاه ربه ونفسه وأسرته والمجتمع، ومن هنا حرص الإسلام على التنشئة الصحية السليمة. واهتم الإسلام بالأولاد وحث الأبوين على الاهتمام بهم في كافة الجوانب ومنها الجانب الصحي ومن هذه النصوص يتبين لنا وجوب العناية بالصحة الجسدية للأولاد ووقايتهم من الأمراض بتوفير ما يلزمهم لذلك. والإسلام يحث على رعاية الأولاد رعاية طبية في حال مرضهم تستهدف وقايتهم من الأمراض وعلاجهم منها([64]) . وعلى الوالدين أيضاً الاهتمام برياضة الأولاد الرياضية البدنية وتعلم السباحة والرماية وركوب الخيل وهو ما حثنا على تعلمه رسولنا الكريم وصحابته الكرام رضي الله عنهم([65]) .

ومن واجبات الأب تبعاً لقوامته على من تحت ولايته من زوجة وبنين وبنات وغيرهم وأن يلبي حاجاتهم الصحية، فلا يصح إهمالهم حال المرض ولا التقتير في علاجهم بخلاً وشحا أو أنفة وبغضاً.

المطلب لثاني : حق الطفل في الرعاية الصحية في القانون اليمني :

أهتم المشرع اليمني بالرعاية الصحية للطفل اهتماما بالغاَ ويتضح ذلك من خلال الأتي :

نصت المادة رقم (٦٨) من قانون حقوق الطفل رقم (٤٥) لسنة ٢٠٠٢ م على أن (للطفل على الدولة حق الرعاية الصحية أثناء الحمل والولادة وما بعد الولادة من خلا ل:

١. توفير الخدمات الصحية الأساسية وتأهيل الكوادر الصحية المدربة لإدارة وتقديم الخدمات الصحية الأولية والعمل على تطوير البنية التحتية لهذه الخدمات .

٢ . مجانية المعالجة للأطفال غير القادرين وإلزام جميع المؤسسات الصحية ومرافق خدمات الرعاية الصحية الأولية ومرافق إعادة تأهيل الأطفال بتقديم الرعاية الصحية للأطفال كل في مجال تخصصه وضمن متابعة المعالجة للأمراض المزمنة .

٣. تعميم التوعية الصحية الشاملة المتخصصة بصحة الأم والطفل .

و نصت المادة رقم (٦٩) من القانون نفسه على أنه : (للطفل على الدولة حق اتخاذ كافة الإجراءات والتدابير الفعالة لإلغاء الممارسات الضارة بصحته .) وكما نصت المادة رقم (٧٠) من نفس القانون على أن : (تلتزم الدولة وتلزم القطاع الخاص عبر الأجهزة الصحية بإجراء الفحص الكامل للأطفال حديثي الولادة والرضع وإجراء ما يلزم من علاج أو تدخل جراحي مبكر لتلافي نشوء أي إعاقة أو إضرار بصحة الطفل مستقبلاَ .) ونصت المواد رقم (٧٤ ، ٧٥ ،٧٦) على أنه (يجب تطعيم الطفل وتحصينه مجاناَ في مكاتب الصحة والوحدات الصحية وفقا للنظم والمواعيد التي تحددها وزارة الصحة العامة وذلك لوقايته من الأمراض المعدية والشائعة .)(يقع واجب تقديم الطفل للتطعيم والتحصين علي عاتق والديه أو وصيه أو وليه أو الشخص الذي يكون الطفل في حضانته أو دُور الرعاية الاجتماعية المعنية برعاية الأيتام .) (يجب أن يباشر عملية التطعيم والتحصين كادر فني مؤهل مرخص له بمزاولة ذلك من وزارة الصحة)

– الفصل الرابع : حق الطفل في الحضانة في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :

– وفية أربعة مباحث .

المبحث الأول: معنى الحضانة في اللغة و الشريعة والقانون وحكمها .

معنى الحضانة في اللغة :

الحضانة لغة (بفتح الحاء وكسرها) معناها الحضن والجنب أو الصدر ،والعضدان وما بينهما ، يقال حضن الطائر بيضه إذا ضمه إلى نفسه تحت جناحه ، وحضنت الأم ولدها إذا ضمته إلى جنبها أو صدرها ، وقامت بتربيته ، وتسمى حينئذ حاضنته ([66]) وقيل حُضانة : جمع حاضن ، لأن المربي الكافل يضمُ الطفل إلى حِضنه وبه سميت الحاضنة ، وهى التي تربي الطفل بالفتح فعلها ([67]) وفي معجم لغة الفقهاء الحضانة بفتح الحاء مصدر(حضن الصبي) تحمل مئونته وتربيته ([68])

معنى الحضانة في الشريعة الإسلامية :

تربية الطفل ورعايته والقيام بجميع شؤونه لمن له حق الحضانة . أو هي تربية وحفظ من لا يستقل بأمر نفسه عما يؤذيه لعدم تميزه ، كطفل ومجنون وكبير ومعتوه والمعتوه وهو مختل العقل وذلك برعاية شؤونه وتدبير طعامه وملبسه ونومه ، وتنظيفه وغسله وغسل ثيابه في سن معينة ونحوها مما يلزم لراحته المعنوية والبدنية وذلك ممن له حق تربيته شرعاَ من الأقارب المحارم ([69])

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نخرج بتعريف جامع مانع للحضانة وهو حفظ الطفل الذي لا يستقل بأمر نفسه وكل من لا يستقل بأمر نفسه عن الأشياء التي تؤثر عليه وتضره والقيام بكل مصالحه ، ورعايته والاهتمام بكل احتياجاته اللازمة كالطعام واللباس والنوم والتربية والتعليم والتأديب وغيرها وكذلك الاهتمام بجميع شؤون حياته الصحية والنفسية والاجتماعية بدنياَ وأخلاقياَ .

معنى الحضانة في القانون اليمني :

عُرفت الحضانة في القانون اليمني كما نصت عليه المواد (رقم)٢٧ من قانون حقوق الطفل رقم(٤٥)لسنة ٢٠٠٢ م ورقم (١٣٨ ،١٣٩) من قانون الأحوال الشخصية رقم (٢٠) لسنة ١٩٩٢ م بأن (الحضانة : هي حفظ الصغير الذي لا يستقل بأمر نفسه وتربيته ووقايته مما يهلكه أو يضره ، وبما لا يتعارض مع حق وليه وهي حق للصغير ، فلا يجوز التنازل عنها وإنما تمتنع بموانعها ، وتعود بزوالها ،ومدة الحضانة تسع سنوات للذكر واثني عشر سنة للأنثى مالم تقدر المحكمة غير ذلك لمصلحة الطفل)

وبالمقارنة بين التعاريف السابقة في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني يتضح أن القانون اليمني حصر الحضانة في حفظ الصغير الذي لا يستقل بأمر نفسه فقط أما تعريفها في الشريعة الإسلامية فهي حفظ من لا يستقل بأمر نفسه عما يؤذيه لعدم تميزه ، كطفل ومجنون وكبير ومعتوه والمعتوه وهو مختل العقل

حكم الحضانة : أنها واجبة لأن الطفل المحضون ومن في حكمه يهلك بتركها فوجب حفظه من الهلاك كما يجب الإنفاق عليه وإنجاؤه من المهالك ([70])

المبحث الثاني : شروط الحاضن والمحضون في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :

وفيه مطلبان

المطلب الأول : شروط الحاضن والمحضون في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :

أولاً : شروط المحضون : المحضون هو الذي لا يستقل بأمور نفسه مما يؤذيه كونه لا يميز كالطفل والمجنون والمعتوه والكبير ، فلا تثبت الحضانة إلا على الطفل أ والمجنون والمعتوه والكبير .أما البالغ الرشيد فلا حضانة عليه ، وهو الذي يختار الإقامة عند من شاء من أبويه . فإن كان الشخص رجلا، فله الانفراد بنفسه لاستغنائه عن أبويه ويستحب الاً ينفرد عنهما ، ولا يقطع بره عنهما . وإن كان أنثى لم يكن لها الانفراد ، ولأبيها منعها منه ، لأنه لايؤ من أن يدخل عليها من يؤذيها ويلحق العار بها وبأهلها ، وإن لم يكن لها أب ، فلوليها وأهلها منعها من الإنفراد ([71])

ثانياً شروط الحاضن : يشترط فيمن يتولى تربية الطفل الشروط التالية :

١ . شروط عامة في الرجال والنساء .

٢ . شروط خاصة بالنساء فقط .

٣ . شروط خاصة بالرجال .

وهذه الشروط بعضها متفق عليه كالحرية والعقل والبلوغ والقدرة والأمانة وعدم كون الأنثى متزوجة بأجنبي عن الصغير ، وكون الحاضن ذات رحم من الصغير وبعضها مختلف فيه كالرشد والإسلام ([72])

أولاً الشروط العامة في الرجال والنساء :

يشترط في الحاضن من الرجال والنساء ما يلي :

١ / العقل : فلا حضانة لطفل ولا لمعتوه ولا لمجنون لأنهم لا يقدرون القيام بالحضانة كونهم في حاجة إلى من يرعى أمورهم ومصالحهم فهم لا يحسنون القيام بمصالحهم فمن باب أولى لا يستطيعون القيام بحضانة غيرهم . ([73])

٢ / البلوغ : فلا حضانة لغير بالغ ولو كان مميزا ،لأنه في حاجة إلى من يرعى شؤونه فمن الأولى لا يستطيع أن يرعى شؤون غير .

٣ / القدرة على تربية المحضون : وهي الاستطاعة على صون الصغير في خُلقه وصحته ، فلا حضانة للعاجز لكبر سن أومرض أوشغل لأن العاجز كالمسن الذي أقعده السن عن القيام بشأنه لا يستطيع القيام بشأن المحضون كذلك من به مرض ، إلا أن يكون عنده من يحضن فإذا كان المرض طارئا يرجى زواله لم يمنع من استحقاق الكفالة ، وإذا كان المرض ملازما للشخص ولا يرجى شفائه وله تأثير شديد مما يجعله يتشاغل

بشدة ألمه فلا حضانة له لقصوره في مراعاة حقوق الطفل وتربيته ولا حضانة لمن به مرض منفر كالجذام([74]) والبرص ([75]) فالمرأة المحترفة أو العاملة إن كان عملها يمنعها من تربية الصغير والعناية بأمره ،لا تكون أهلاً الحضانة . وإن كان عملها لا يحول دون رعاية الصغير وتدبير شؤونه ، لا يسقط حقها في الحضانة .([76])

٤ /العدالة والأخلاق الحميدة : فلا حضانة لفاسقة أو فاسق لأنه لا يوثق بفاسق بالقيام بحضانة الطفل، لأنه قد ينشأ على أخلاقه ويقتدي به في تصرفاته.

واشتراط العدالة هو مذهب الجمهور([77]) وقال بعض الفقهاء : لا تشترط العدالة في الحاضن لأن هذا الشرط يصعب تطبيقه ويؤدي إلى ضياع الأطفال وفيه حرج ولا سيما في الوقت الذي انتشر الفسق في الناس ولم ينجو منه إلا القليل ([78])

والظاهر أنه تشترط العدالة والأمانة عندما يكون للطفل حاضنان أحدهما أبعد والأخر أقرب وهو فا سق فيسقط حق الأقرب لفسقه وتنتقل إلى الأقرب إذا كان عدلاَ ، أما إذا لم يوجد للطفل إلا حاضن واحد فلا يشترط فيه العدالة لتعذر من يقوم مقامه في رعاية الطفل وحفظه .

موقف القانون اليمني: نصت المادة 28 من قانون حقوق الطفل رقم(٤٥)لسنة ٢٠٠٢ م ورقم (140) من قانون الأحوال الشخصية رقم (٢٠) لسنة ١٩٩٢ م على أنه (يشترط في الحاضن البلوغ والعقل والأمانة على الصغير والقدرة على تربيته وصيانته بدنياً وأخلاقياً) وكذلك نصت المادة (١٤٣) من قانون الأحوال الشخصية ، والمادة (٣١) من قانون حقوق الطفل .

على أنه من مسقطات الحق في الحضانة (الجنون ونحوه من المنفرات كالجذام , والبرص , وكذا العمى, والإهمال, والفسق وترك حفظ الصغير .)

5 / الإسلام :اختلف الفقهاء في حضانة الكافر للمسلم على قولين :

القول الأول : ذهب أصحاب القول الأول إلى أنه تثبت حضانة الكافر على المسلم وقال بذالك الحنفية والمالكية ([79]) فيصح عندهم كون الحاضنة كتابية أو غير كتابية ، سواء أكانت أماَ أم غيرها ، لأنه صلى الله عليه وسلم خير غلاماً بين أبيه المسلم وأمه المشركة ، فمال إلى الأم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((اللهم أهده فعدل إلى أبيه))([80]) و لأن مناط الحضانة الشفقة وهي لا تختلف با ختلا ف الدين . لكن اختلف هؤلاء في مدة بقاء المحضون عند الحاضنة غير المسلمة :

فقال الحنفية : إنه يبقى عندها إلى أن يعقل الأديان ، ببلوغه سن السابعة ، أو يتضح أن في بقائه معها خطرا على دينه ، بأن بدأت تعلمه أمور دينها أو تذهب به إلى معابدها ، أو تعوده على شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير

وقال المالكية : إنه يبقى مع الحاضنة إلى انتهاء مدة الحضانة شرعاَ ولكنها تمنع من تغذيته بالخمر ولحم الخنزير ، فإن خشينا أن تفعل الحرام أعطى حق الرقابة إلى أحد المسلمين ، ليحفظ الولد من الفساد ([81])

واختلفوا أيضاَ في إسلام الحاضن :

فرأى الحنفية : أنه يشترط إسلام الحاضن واتحاد الدين ، بخلاف الحاضنة ، لأن الحضانة نوع من الولاية على النفس ، ولا ولاية مع اختلاف الدين ولأن حق الحضانة عندهم مبنى على الميراث ، ولا ميراث بالتعصيب للرجال مع اختلاف الدين ، فلو كان الطفل مسيحيا أو يهودياَ وله أخوان أحدهما مسلم والأخر غير مسلم ، كان حق الحضانة لغير المسلم .

ورأى المالكية : أنه لا يشترط إسلام الحاضن أيضا كالحاضنة ، لأن حق الحضانة للرجل لا يثبت عندهم إلا إذا كان عنده من النساء من يصلح للحضانة كزوجة أو أم أو خالة أو عمة ، فالحضانة في الحقيقة حق للمرأة .([82])

الرأي الراجح : الراجح والله أعلم اشتراط إسلام الحاضن حفاظا على دين المحضون ؛ حتى لا يخرج عن الإسلام ، كما أن استدلال من لم يشترط الإسلام مردود عليه بعدم ثبوت نقله واضطرابه .

٦ / ألا يكون الحاضن أعمى كما أفتى به عبدا لملك بن إبراهيم المقدسي([83]) لأن الأعمى لا يستطيع أن يقوم بمصالحه فمن باب أولى لا يستطيع أن يقوم بمصالح المحضون .

موقف القانون اليمني: اشترط نفس الشرط بقوله (وكذا العمى, والإهمال , والفسق وترك حفظ الصغير . المادة (١٤٣) من قانون الأحوال الشخصية ، والمادة (٣١) من قانون حقوق الطفل . فالقانون اعتبر العمى من موانع الحضانة .

النوع الثاني . شروط خاصة بالنساء :

يشترط في المرأة الحاضنة أيضاَ بعض الشروط التالية :

١ / ألا تكون متزوجة بأجنبي عن الصبي أبو بقريب غير ذي محرمٍ منه باتفاق([84]) لقوله صلى الله عليه وسلم (أنتِ أحق به مالم تنكحي ([85]) ولأنه يعامل الصغير بقسوة وكراهية ، ولأنها مشغولة عنه بحق الزوج . فإن كانت متزوجة بقريب محرم للمحضون كعمه وابن عمه وابن أخيه فلا يسقط حقها في الحضانة ، لأن من تزوجته له حق في الحضانة ، وشفقته تحمله على رايته ، فيتعاونان على كفالته . ([86])

موقف القانون اليمني : نصت المادة رقم (٢٩) الفقرة (أ) من القانون اليمني رقم (٤٥) لسنة ٢٠٠٢م بشأن حقوق الطفل على أنه يسقط حق الأم في الحضانة إذا تزوجه بأجنبي (أن لا تكون متزوجة من زوج أجنبي بالنسبة للمحضون إلا إذا رأت المحكمة خلاف ذلك .

ولا يختلف قول الجمهور في ذلك إن تزوجت بذي رحم ؛لأن الحديث لم يُفصل ، أما الحنفية لم يبطلوا حق الأم في الحضانة إن تزوجت بذي محرم من الصبي كأن تزوجت بعمهِ؛ لأنه لا يلحقه الجفاء منهما لوجود المانع من ذلك وهو القرابة على الشفقة ([87])

الرأي الراجح حسب ما يبدو لي والله أعلم أنه يسقط حق الأم في الحضانة إذا تزوجت ؛ لأن الحديث لم يُفصل إن كان بذي رحم مُحرَّم أو غيره .

٢ / أن تكون الحاضنة ذات رحم مُحرَم من الصغير كأمه وأخته وجدته .

موقف القانون اليمني : نصت المادة رقم (٢٩) الفقرة (أ) من القانون اليمني رقم (٤٥) لسنة ٢٠٠٢م بشأن حقوق الطفل على أنه (يشترط في الحاضن زيادة على الشروط المذكورة في المادة (٢٨) من هذا القانون ما يلي (أ) إذا كانت امرأة أن تكون ذات رحم محرم للمحضون إن كان ذكراً).

٣ / ألا تكون قد امتنعت عن حضانته مجاناً والأب معسراً لا يستطع دفع أجرة الحضانة ، فإن كان الأب معسراً وقبلت قريبة أخرى تربيته مجاناً ، سقط حق الأولى في الحضانة وهذا شرط عند الحنفية . ([88])

٤ / ألا تقيم الحاضنة بالصغير في بيت يبغضه ويكرهه ، ولو كان قريباً له : لأن سكنها مع المبغض يعرضه للأذى والضياع .فلا حضانة للجدة إذا سكنت مع بنتها أم الطفل إذا تزوجت ، إلا إذا انفردت بالسكنى عنها . وهذا الشرط عند المالكية .

موقف القانون اليمني : نصت المادة (٢٨) من قانون حقوق الطفل على : (وأن لا تمسكه في بيت يبغضه)فهو مطابق لما جاء في الشريعة الإسلامية بأنه لا يجوز أن يبقى الطفل مع أمه في بيت يبغضه .

٥ / واشترط المالكية ألا يسافر ولى المحضون أو الحاضنة ستة برد ([89] فأكثر وهي مسافة القصر ، فإن أراد أحدهما السفر أخذ المحضون من حاضنته .([90]) وقال بعض الفقهاء : إن المقيم أولى بالحضانة مطلقاً، سوا كان قريباً أم بعيدا أو مخوفاً أم آمناً لأن السفر إضرار بالولد ([91])

النوع الثالث: شروط خاصة بالرجال:

يشترط في الرجال الذين يقومون بالحضانة ما يلي :

١ / أن يكون الحاضن مَحرماً لمحضون أنثى مشتهاة ــ وهى التي حدد الحنفية والحنابلة سنها بسبع سنوات ـ ؛ حذراً من الخلوة وانتفاء المحرمية بينهما ، إن لم تبلغ حد الشهوة أعطيت له بالاتفاق ؛ لأنه لا فتنة . فلا يكون لابن العم حضانة ابنة عمه المشتهاة .وأجازا لحنفية إذا لم يكن للبنت عصبة غير ابن عمها إبقاءها عنده بأمر القاضي إذا كان مأموناً عليها ولا يخشى عليها الفتنة منه .

وكذلك أجاز الحنابلة تسليمها لغير محرم ثقة إذا تعذر غيره وأجاز الشافعية لغير محرم إن رافقته بنته أو نحوها كأخته الثقة ، وتسلم لها لا له ، إن لم تكن في رحله ، كما لو كان في الحضر ، أما لوكانت بنته أو نحوها في رحله ، فإنها تسلم إليه ، فتؤمن الخلوة .

٢ / أن يكون عندا لحاضن من أب أو غيره من يصلح للحضانة من النساء كزوجة أو أم أو خالة أوعمة ؛ إذ لا قدرة ولا صبر للرجال على أحوال الأطفال كما للنساء . فإن لم يكن عند الرجل من يحضن من النساء فلاحق له في الحضانة . وهذا شرط عند المالكية .

واشترط المالكية أيضاً ألا يسافر ولى المحضون أوتسا فر الحاضنة نُقْلة ستة برد فأكثر ، فإن أراد الولي أو الحاضنة السفر المذكور ، كان له أخذ المحضون من حاضنته إلا أن تسافر معه ، بشرط كون السفر لموضع مأمون الطريق ، وهو شرط يقيد شروط الحضانة عند النساء ([92])

المبحث الثالث : صاحب الحق في الحضانة ومدتها ومكان الحضانة والانتقال بالمحضون في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :

أولاً : صاحب الحق في الحضانة .هناك اختلاف بين الفقهاء ([93]) فقيل : إن الحضانة حق للحاضن ولو بغير عوض ، وهو رأي المالكية والحنفية على المشهور وغيرهم ؛ لأن له أن حقه ولو بغير عوض ، ولو كانت الحضانة حقاً لغيره لما سقطت بإسقاطه . وقيل : إنها حق للمحضون ، فلو أسقطها هو سقطت .

والظاهر لدى العلماء المحققين أن الحضانة تتعلق بها ثلاثة حقوق معاً : حق الحاضنة ، وحق المحضون ، وحق الأب أو من يقوم مقامه ، فإن أمكن أمن التوفيق بين هذه الحقوق وجب المصير إليه ، وإن تعارضت قدم حق المحضون على غيره . وتفرع عن ذلك الأحكام الآتية ([94])

١ / تجبرا لحاضنة إذا تعينت عليها ، بأن لم يوجد غيرها .

٢ / لا تجبر الحاضنة على الحضانة إذا لم تتعين عليها ؛ لأن الحضانة حقها، ولاضرر على الصغير لوجود غيرها من المحارم .

٣ / إذا اختلعت المرأة من زوجها على أن تترك ولدها عند الزوج ، فالخلع عند الحنفية صحيح والشرط باطل : لأن هذا حق الولد ، إن يكون عند أمه مادام محتاجاً إليها .

٤ / لا يصح للأب أن يأخذ الطفل من صاحبة الحق في الحضانة ، ويعطيه لغيرها إلا لمسوغ شرعي .

٥ / إذا كانت المرضعة غير الحاضنة للولد ، فعليها إرضاعه عندها حتى لا يفوت حقها في الحضانة.([95])

ثانياً : مدتها . اختلف الفقهاء في مدة الحضانة إلى ثلاثة أرأى :

الرأي الأول: تنتهي حضانة الغلام حتى يستغني عن الخدمة والجارية حتى تحيض وبذلك قال الحنفية ([96]) لأن الصبي إذا استغنى يحتاج إلى التأديب بآداب الرجال ، والتخلق بأخلاقهم وتعليم القرآن والعلم والحرف ، والآداب يتميز بقوة الرأي مع الشفقة ، والتصرف يستدعي قوة الرأي ، أما الجارية فلأنها بعد الاستغناء تحتاج إلى التأدُّب بآداب النساء وتعلم أشغالهن ، والأم على ذلك أقدر ، فإذا بلغت كان

الأب أحق بها ؛ لأنها تحتاج إلى الحفظ والصيانة ، والمرأة تعجز عن حفظ نفسها وتحتاج إلى من يحفظها فكيف تقدر على حفظ غيرها ؟ ([97])

الرأي الثاني : تنتهي حضانة الغلام حتى يبلغ ، والجارية حتى تنكح ويدخل بها زوجها ، وبذلك قال المالكية ([98]) لأن الجارية تحتاج إلى الحفظ والمراعاة أكثر مما يحتاج إليها الابن ، وبلوغها لا يزيل ذلك ، لأنها معَّرضة للأزواج ، وبنفس بلوغها لا تعرف مصالح نفسها ، والأزواج لا يرغبون في المختلية بنفسها ، فكانت المصلحة لها في تبقية حق الحضانة عليها . ([99])

الرأي الثالث : إذا بلغ الغلام سبع سنين يُخير بين أبويه وبذلك قال الشافعية والحنابلة ([100]) وقُيد بالسبع ؛ لأنها أول حال أمر الشارع فيها بمخاطبته بالأمر بالصلاة ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : (مُرُوا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين) ([101]) رواه أبو داود كما أن الغلام إذا بلغ حداً يَرُب عن نفسه ويميز بين الإكراه وضده فمال إلى أحد الأبوين ، دل على أنه أرفق به أشفق عليه فقدِم بذلك ([102])، والأم قُدِمت في حال الصغر ؛ لحاجته إلى حمله ومباشرة خدمته ، ولأنها أعرف بذلك وأقوم به ، فإذا استغنى عن ذلك تساوى والداه لقربهما فرجح باختياره . ([103])

موقف القانون اليمني : تعد مدة الحضانة تسع سنوات للذكر ، واثنا عشر للأنثى مالم يقدر القاضي خلافه لمصلحة المحضون ،المادة (٣٩) من قانون الأحوال الشخصية ، و(٢٧) من قانون حقوق الطفل .

الرأي الراجح : الرأي ألراجح والله اعلم، البحث عن مصلحة الولد ، فإن كان الأ حظ للولد في تعليمه وتأديبه عند أحدهما حُكم له ؛ لأنه لغلبة هواه يميل إلى اللذة الحاضرة من الفراغ والكسل والهرب من الكتاب ، وتعلم آداب النفس ومعالم الدين فيختار الذي يهمله ولا يؤدبه ([104])

ثالثا مكان الحضانة :

هو المكان الذي تقيم فيه أم الطفل مع أبيه ، إذا كانت الزوجية قائمة بينهما وعلى هذا إذا كانت الحاضنة الأم والزوجية قائمة لا يجوز للأم أن تنقل من مكان الزوجية إلى غيره قبل أن يستغني عن أمه وتنتهي مدة الحضانة إلا إذا إذن لها الزوج في الانتقال سواء كان الصغير معها أو لم فإن الزوجة يلزمها أن تتبع زوجها وتقيم معه في المكان الذي يقيم فيه وللزوج أن يحول بينها وبين الانتقال . فإن لم تكن الزوجية قائمة وكانت مطلقة فإن كانت في العدة فمكان حضانة الصغير هو مكان قضاء العدة وهو المكان الذي وقعت فيه الفرقة ولا يجوز لها خروجها ولا إخراجها منه لقوله تعالى (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) (الطلاق) .

وبعد انقضاء عدتها من أبي الصغير يجوز لها أن تنتقل به إلى بلد هو مد ينة لا قرية بشرط أن يكون قريباَ من البلد الذي كانت تقيم فيه بحيث يستطيع الأب أن يذهب اليه لرؤيته ويعود إلى بلده يبيت فيه لأنه ليس في هذا ضرر أو مشقة على الأب اذ تعتبر هذه النقلة كأنها إنتقال من طرف إلى آخر في البلد

الكبير الواحد . أما إذا كانت الحاضنة امرأة أخرى غير الأم كجدة الصغير أو أخته أوخالته أو عمته فمكان الحضانة هو بلد أبي الطفل لا يجوز لها أن تنقل بالمحضون إلى غيره إلا برضاه ، وللأب أن يمنعها من الانتقال إلى بلد آخر بدون رضاه ولوكان هذا البلد وطناً للحاضنة لأن جواز الانتقال للأم إلى بلدها كان بسبب العقد أما غير الأم فلا يوجد عقد بينها وبين أبي الطفل .

المبحث الرابع : أجرة الحاضنة وتوابعها من السكنى والخدمة :

أولاً : ليس للحاضن أجرة على الحضانة في رأي الجمهور غير الحنفية ، سواء أكانت الحاضن أماً أم غيرها ؛ لأن الأم تستحق النفقة إن كانت زوجة ، وغير الأم نفقتها على غيرها وهو الأب . لكن إن احتاج المحضون إلى خدمة كطبخ طعامه وغسل ثيابه ، فللحاضن الأجرة .

وقال الحنفية : لاستحق الحاضنة أجرة على الحضانة إذا كانت زوجة أومعتدة لأبي المحضون في أثناء العدة ، سواء عدة الطلاق الرجعي أوالبائن في الأوجه ، كما لا تستحق أجراً على الإرضاع ، لوجوبها عليها ديانة ، ولأنها تستحق النفقة في أثناء الزوجية والعدة ، وتلك النفقة كافية للحضانة .أما بعد انقضاء العدة فتستحق أجرة الحضانة ؛ لأنها أجرة على عمل .

وتستحق الحاضنة غير الزوجة أجرة الحضانة ؛ مقابل قيا مها بعمل من ألأعمال ، وتلك الأجرة غير أجرة الإرضاع ، ونفقة الولد فهي ثلاثة واجبات .

موقف القانون اليمني : نصت المادة رقم (٣٣) من القانون اليمني رقم (٤٥) لسنة ٢٠٠٢م بشأن حقوق الطفل على أنه (يستحق الحاضن أجرة حضانة من مال الطفل إن كان له مال أو ممن تلزمه نفقته كما هو مبين في النفقات وتقدر أجرة الحاضن بقدر حال من تلزمه ، ولا تستحق الحاضن أجرة إذا كان في عصمة أب الصغير ، وإذا كان الأب معسراً تكون أجرة الحضانة من مال الأم ، ولا رجوع لها وإن كانت من مال غير الأم فبإذن المحكمة وله الرجوع بها) وكذلك نصت المادة رقم (١٤٦) من قانون الأحوال الشخصية رقم (٢٠) لسنة ١٩٩٢م على نفس ماذكر في المادة السابق من قانون حقوق الطفل .

ثانياً :أجرة مسكن الحاضنة وأجرة الخادم :

أتفق الحنفية على المختار والمالكية على المشهور ([105]) على وجوب أجرة مسكن الحضانة للحاضن والمحضون إذا لم يكن لهما مسكن ؛ لأن أجرة المسكن من النفقة الواجبة للصغير ، فتجب على من تجب عليه نفقته ، باجتهاد القاضي أو غيره حسب حال الأب .

وكذلك اتفقوا على وجوب أجرة للخادم إذا احتاج الصغير إلى خادم ؛ لأنه من لوازم المعيشة . والظاهر أ ن المذاهب الأخرى متفق مع هذا الرأي .

المكلف بنفقة الحضانة : اتفق الفقهاء أيضاً على أن مؤنه (نفقة) الحضانة تكون في مال المحضون ، فإن لم يكن له مال ، فعلى الأب نفقته ؛ لأنها من أسباب الكفاية و الحفظ والإنجاء من المهالك ([106]) وإذا وجبت أجرة الحضانة فتكون ديناً لا يسقط بمضي المدة ولا بموت المكلف بها ، أو بموت المحضون ، أو بموت الحاضنة .

موقف القانون اليمني نصت المادة (٣٣) من قانون حقوق الطفل) والمادة (١٤٦) من قانون الأحوال الشخصية على أنه (يستحق الحاضن (الأم) أجرة الحضانة من مال الطفل أن كان له مال ، أو ممن تلزمه نفقته (الأب) كما هو مبين في باب النفقات وتقدر أجرة الحاضنة بقدر حال من تلزمه (الأب وان على) .

الفصل الخامس: حق الطفل في الرضاعة والنفقة

وفيه مبحثان

– المبحث الأول: حق الطفل في الرضاعة في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :

- وفيه مطلبان

المطلب الأول : حق الطفل في الرضاعة في الشريعة الإسلامية :

عملية الرضاعة عملية جسمية ونفسية لها أثرها البعيد في التكوين الجسدي والانفعالي والاجتماعي في حياة الإنسان وليدا ثم طفلاً .

ولقد أدركت الشريعة الإسلامية ما لعملية الرضاعة من أهمية للطفل حيث يكون بمأمن من الأمراض الجسمية والجدب النفسي التي يتعرض لها الطفل الذي يتغذى بجرعات من الحليب الصناعي .

فقد فرض المولى سبحانه على الأم أن ترضع طفلها حولين كاملين ، وجعله حقاً من حقوق الطفل قال تعالى : (وَالوالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمّ الرّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنّ وَكِسْوَتُهُنّ المعروف)البقرة: ٢٣٣

ولقد أثبت البحوث الصحية والنفسية في الوقت الحاضر أن فترة عامين ضرورية لنمو الطفل نمواً سليماً من الوجهتين الصحية والنفسية ، بيد أن نعمة الله وكرمه على الأمة الإسلامية لم تنتظر نتائج البحوث والتجارب التي تجرى في معامل علم النفس وخلافها من قبل العلماء النفسيين والتربويين بل سبقت ذلك كله . ([107])

ونلاحظ مدى اهتمام الشريعة بالرضاعة وجعلها حقًّا من حقوق الطفل إلا أن ذلك الحق لم يكن مقتصرًا على الأمّ فقط، إذ إن هناك مسئولية تقع على كاهل الأب، وتتمثل هذه المسئولية في وجوب إمداد الأم بالغذاء والكساء حتى تتفرّغ لرعاية طفلها وتغذيته، وبذلك فكل منهما يؤدّي واجبه ضمن الإطار الذي رسمته له الشريعة السمحة، محافظًا على مصلحة الرضيع المسندة إليه رعايته وحمايته، على أن يتمّ ذلك في حدود

طاقتهما وإمكانيتهما، فالطفل في أيامه الأولى، وبعد خروجه من محضنه الدافئ الذي اعتاد عليه فترة طويلـة يحتاج إلى التغذية الجسمية والنفسية ليعوض ما اعتاده وألفه وهو في وعاء أمه .

لذلك نجد أن أول ما تبد به الأم بعد الوضع هو ممارسة عملية التغذية عن طريق الرضاعة ، أي إرضاع الطفل من ثديها ، تهديها فطرتها التي فطرها الباري عليها لما يتميز به لبنها من تكامل عناصره وخلوه من الميكروبات ، ومناعة ضد الأمراض، ولما يحتويه على نسبة من البروتينات المساعدة لعملية الهضم السريع وكمية المعادن والأملاح كالبوتاسيوم والصوديوم ونسبتها بعضها لبعض المساعدة على إراحة الكليتين ، بالإضافة إلى تواجد فيتامين ((ث ((وفيتامين ((أ))أما الفوائد النفسية والاجتماعية من هذه العملية فتنعكس على الوليد في شعوره بالدفء والحنان والأمان وهو ملتصق بوالدته يحس نبضات قلبها .

ولقد أكد علماء النفس أن الرضاعة " ليست مجرد إشباع حاجة عضوية إنما هو موقف نفسي اجتماعي شامل ، تشمل الرضيع والأم وهو أول فرصة للتفاعل الاجتماعي ."

"وللسائل أن يسأل لماذا حددت فترة الرضاعة بعامين ... ؟"

في الواقع أن العلم الإلهي في إدراك مدى حاجة الطفل إلى هذه الفترة والتي يتسم فيها نمو الطفل بالاستمرار ، فهي تعتبر مرحلة انطلاق القوى الكامنة ، حيث أنا نلاحظ على الطفل نموا جسميا سريعا وتزايداً حسيا وحركيا ملحوظا في السيطرة على الحركات ((حيث تبدو حركات القدمين ثم الجلوس فالحبو فالوقوف ثم المشي)) الإضافة إلى تعلم الطفل الكلام واكتساب اللغة ونمو الاستقلال والاعتماد النسبي على النفس والاحتكاك الاجتماعي بالعالم الخارجي .

ثم تنتهي هذه المرحلة بالفطام الذي يتطلب من الأم التدرج والصبر والحلم وعدم القيام بهذه العملية فجأة ، إذ أن ذلك يسبب للطفل صدمة نفسية قاسية لاسيما إذا لجأت الأم إلى استخدام الوسائل البدائية في عملية الفطام .

ومن الممكن أن تتم عملية الفطام بطريقة أكثر فعالية ، كأن تستبعد رضعة أو رضعتين خلال الأسبوع وتحل مكانها وجبة غذائية أو تقديم كوب من الحليب بدلا من الزجاجة .

ونلاحظ مدى اهتمام الشريعة بالرضاعة وجعلها حقاً من حقوق الطفل إلا أن ذلك الحق لم يكن مقتصراً على الأم فقط إذ أن هناك مسؤولية تقع على كاهل الأب ، وتتمثل هذه المسؤولية في وجوب إمداد الأم بالغذاء والكساء حتى تتفرغ لرعاية طفلها وتغذيته .

وبذلك فكل منهما يؤدي واجبه ضمن الإطار الذي رسمته له الشريعة السمحة . محافظاً على مصلحة الرضيع المسندة إليه رعايته وحمايته على أن يتم ذلك في حدود طاقتهما وإمكانيتهما

المطلب الثاني : المكلف بأجرة الرضاع ومقدار الأجرة :

الأب هو المكلف بأجرة الرضاع: لأنه هو الملزم بالنفقة عليه ، وتكون أجرة الرضاع على من تجب عليه النفقة ، لقوله تعالى(وَالوالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمّ الرّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنّ وَكِسْوَتُهُنّ المعروف)البقرة: ٢٣٣

وعلى الأب خمس نفقات للولد الصغير : أجرة الرضاع، وأجرة الحضانة ، ونفقة المعيشة ، وأجرة مسكن الحضانة الذي تحضنه فيه الأم ، وأجرة خادم له إن احتاج ليه .

وتلزم الأب نفقة الصغير وإن خالفه في دينه ، كما تجب نفقة الزوجة على الزوج ، وإن خالفته في دينه . لكن إلزام الأب بالنفقة بأنواعها إذا لم يكن للصغير مال فإن كان له مال ، فالأصل أن نفقة الإنسان في مال نفسه صغيراً كان أو كبيراً ([108]) .فإن كان الأب فقيراً ولم يكن للصغير مال أجبرت الأم في رأي الحنفية على إرضاعه ، وتكون الأجرة ديناً على الأب يطالب بها عند يساره وتجبر الأم على الرضاعة في رأي المالكية وليس لها الرجوع بالأجرة على الأب إذا أيسر

مقدار الأجرة :الأجرة التي تستحقها الأم هي أجرة المثل :وهي التي تقبل امرأة أخرى أن ترضع الولد في مقابلها . وتقديرها متروك للقاضي ، فلو طلبت الأم أكثر من أجر المثل لا تجاب إلي طلبها .([109])

المطلب الثالث : حق الطفل في الرضاعة في القانون اليمني :

نصت المواد (رقم) ٢٤ ــ ٢٦) من قانون حقوق الطفل على أن: (للطفل حق إرضاعه سنتين كاملتين ، وترضع الأم طفلها مالم يكن في إرضاعه ضر ربها أو بطفلها بناء على تقرير طبيب مختص فترضعه أخرى ممن يُقبل الرضاعة منها ولو بمقابل .) (إذا أرضعت الطفل امرأة أخرى يجب أن تكون ذلك بموافقة أبيه بإشهاد شخصين من أقاربهما ، وترضعه عند أمه رضاعة طبيعية ، مالم تسقط حقها في الحضانة .) (يتحمل الأب تكاليف إرضاع ولده إذا تعذر على الأم إرضاعه ويعتبر ذلك من قبيل النفقة ، ويكون ديناً لا يسقط إلا بالأداء أوبا لإبراء .)

– المبحث الثاني : حق الطفل في النفقة في الشريعة الإسلامية والقانون اليمني :

- وفيه مطلبان

– المطلب الأول : حق الطفل في النفقة في الشريعة الإسلامية:

معنى النفقة وأسبابها : النفقة من الإنفاق وهو : الإخراج ، ولا يستعمل إلا في الخير . وجمعها نفقات . وهي لغة : ماينفقها الإنسان على عياله . وهي في الأصل : الدراهم من الأموال . وشرعاً هي كفاية من يمونه من الطعام والكسوة والسكنى ([110]) وعرفاً هي الطعام . والطعام : يشمل الخبز والأديم والشرب .

والكسوة : السترة والغطاء . والسكنى : تشمل البيت ومتاعه ومرافقه من ثمن الماء ودهن المصباح وآلة التنظيف والخدمة ونحوها بحسب العرف .

والنفقة قسمان :([111]

١ / نفقة تجب للإنسان على نفسه إذا قدر عليها، وعليه أن يقدمها على نفقة غيره ، لقوله عليه الصلاة والسلام : (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ([112]

أي بمن تجب عليك نفقته .

٢/ ونفقة تجب على الإنسان لغيره . وأسباب وجوبها ثلاثة : الزوجية ، والقرابة ، والملك ([113]

مدى إلزام والد الطفل بالنفقة : ألزم النبي صلى الله عليه وسلم والد الطفل بالإنفاق عليه فقال عليه الصلاة والسلام:" اليد العليا خير من اليد السفلى، وابد أبمن تعول.."

وعن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" أفضل دينار ينفقه الرجل دينار على عياله ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله". قال أبو قلابة: بدأ بالعيال وأي رجل أعظم أجرا من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم أو ينفعهم الله به.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أذن للمرأة أن تأخذ من مال زوجها دون علمه لتنفق على نفسها وولدها، إذا كان الرجل مقصرا في ذلك

- المطلب الثاني : حق الطفل في النفقة في القانون اليمني :

موقف القانون اليمني من نفقة الطفل : نفقة الولد المعسر الصغير أو المجنون علي أبيه وان على الأقرب الموسر أو المعسر القادر على الكسب ، فان كان الأب وان علا معسرا غير قادر علي الكسب فعلى الأم الموسرة ثم على سائر الأقارب بالشروط المبينة في المادة (١٦٤) من قانون الأحوال الشخصية والتي نصها " تجب نفقة القريب المعسر العاجز عن الكسب على قريبه الموسر الوارث لو فرض موته ، وإذا تعدد الورثة الموسرون تكون النفقة عليهم جميعا كلاً بقدر حصته بالميراث والخدام للأقارب لا يجب إلا للعجز " المادة (٣٦) من قانون حقوق الطفل ، والمادة (١٦٤) من قانون الأحوال الشخصية .

الخاتمة

١ / لما كانت مرحلة الطفولة من المراحل المهمة والأساسية في بناء شخصيّة الفرد إيجابًا أو سلبًا، وفقًا لما يُلاقيه من اهتمام، جاء الإسلام ليُقَرِّرَ أن لهؤلاء الأطفال حقوقًا وواجبات، لا يمكن إغفالها أو التغاضي عنها، وذلك قبل أن تُوضَع حقوق ومواثيق الطفل بأربعة عشر قرنًا من الزمان .

٢ / الطفل في الإسلام هو من لم يبلغ الحلم حد البلوغ، ولا يتجاوز سنة الخامسة عشر. أما تحديد عمره بما لا يتجاوز الثامنة عشرة كما في وثيقة حقوق الطفل الدولية، فترى أن هذا التحديد غير صحيح، وربط الإسلام سنّ الطفولة بالبلوغ أحفظ للطفل والمجتمع والدولة .

٣ / تميزت حقوق الطفل في الإسلام على حقوقه في القانون الدولي والوضعي بالعديد من المميزات التي يجب علينا تعرُّفها وتعلُّمها وإدماجها في برامجنا التربوية والتعليمية والتدريبية حتى نفعلها في حياتنا تفعيلاً عقلياً شرعياً، وحتى ندافع عن ديننا في ظل التشويه العالمي والمحلي لهذا الدين وشريعته السمحة الغراء، ووسطيته العادلة الفريدة في عالم غابت فيه الوسطية ومعايير العدالة المطلقة.

٤ / حق الطفل في تربية حسنة: لقد حمل الإسلام الوالدين مسؤولية تربية الطفل وتعليمه وتهذيب أخلاقه وغرس القيم الدينية لديه، وتنمية قدراته العقلية والجسمية، يقول الرسول الكريم: «أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم) «رواه أحمد والترمذي)، ويقول أيضاً: «ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن» (رواه أحمد والترمذي

٥ / الحضانة هي حفظ الطفل الذي لا يستقل بأمر نفسه وكل من لا يستقل بأمر نفسه عن الأشياء التي تؤثر عليه وتضره والقيام بكل مصالحه ، ورعايته والاهتمام بكل احتياجاته اللازمة كالطعام واللباس والنوم والتربية والتعليم والتأديب وغيرها وكذلك الاهتمام بجميع شؤون حياته الصحية والنفسية والاجتماعية بدنياً وأخلاقياً وهذا ما نص عليه القانون اليمني في المواد (رقم)٢٧ من قانون حقوق الطفل رقم(٤٥)لسنة ٢٠٠٢ م ورقم (١٣٨ ،١٣٩) من قانون الأحوال الشخصية رقم (٢٠) لسنة ١٩٩٢ م .

٦ / اهتم المشرع اليمني بحقوق الطفل في مجال التعليم اهتماما بالغاً ويتضح ذلك الاهتمام من قوله :(تكفل الدولة مجانية التعليم وفقا للقوانين النافذة ، ويجب أن تهدف المناهج التعليمية إلي تكوين الطفل تكويناً علمياً وثقافياً وتنمية شخصيته ومواهبه ومهاراته وتعريفه بأمور دينه وتربيته على الاعتزاز بذاته وكرامته واحترامه للآخرين وكرامتهم والتشبع بقيم الخير والحق والإنسانية .

٧ / أهتم المشرع اليمني بالرعاية الصحية للطفل اهتماما بالغاً ويتضح ذلك من خلال نص المادة رقم (٦٨) من قانون حقوق الطفل رقم (٤٥) لسنة ٢٠٠٢ م على أنه (للطفل على الدولة حق الرعاية الصحية أثناء الحمل والولادة وما بعد الولادة.

٨ / إن من حقوق الأبناء على الآباء التربية الحسنة وهي واجبة على الآباء حيث تعتبر التربية اليوم أساساً في بناء الأفراد والمجتمعات، ولها أثرها في بناء الشعوب والمجتمعات .

٩ / نظراً لما للتربية الإيمانية من أهمية في نشأة الطفل فقد نصت المادة رقم (٧) من قانون حقوق الطفل رقم (٤٥) لسنة ٢٠٠٢ م على (ضمان تنشئة الطفل على الاعتزاز بعقيدته الإسلامية) كما نصت المادة رقم (١٠) من القانون السابق ذكره على (تنشئة الطفل على الأخلاق الفاضلة والعمل المثمر ، وتنمية الوعي لديه بضرورة احترام والديه ومحيطه العائلي والاجتماعي واحترام التكسب الكريم وروح الاعتماد علي النفس

١٠/ والتربية هي أساس رسالة الأنبياء التي بعثوا بها، وبالتربية يصلح الأجيال، والتربية تبدأ مع الأولاد من مراحلهم الأولى؛ فهي عامل مهم في تشكيل شخصية الفرد وسلوكه في المستقبل، وإهمال تربية الأولاد معناه جناية على فرد وأسرة ومجتمع.

١١/ حق الطفل في التربية و التأديب وهذا من أعظم حقوق الطفل على والديه، لأن إهمال هذا الحق يؤدي إلى فساد الأطفال وضياعهم عند الكبر، ولذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم قال:" ما نحل والدا ولدا من نحل أفضل من أدب

قائمة المراجع

١ / مبادئ الثقافة الإسلامية ، د. على أحمد القاعدي، ط ، ٢٠١٢ م ،صـ ١٣٢

٢ / تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ١٣٨/٨، ط: ١، دار الكتاب العلمية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، بيروت – لبنان، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود خرون.

٣ / التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ، ط: ١، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م : ٨/.١٨٤

٤ / شرح صحيح البخاري ، أحمد بن على ، ابن حجر العسقلاني ، (١٤١٠هـ - ١٩٩٨م) ، (الطبعة الأولى) ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٥/ ٤٧٤

٥ / مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، ط: بدون، مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: محمود خاطر.، ٤ / ١٤٦٠ ،

٦ / الرازي محمد ابن أبي بكر ، ١٩٩٥ م

٧ / لسان العرب ، ابن منظور ، ٢٠٠٨ م ، ط ، بيروت ، دار صادر ، ٣ / ٢٥٥

٨ / القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ٣ / ٢٢٨

٩ / المصباح المنير ، الفيومي ، أحمد بن محمد ، ، (د ، ط،) بيروت ، مكتبة لبنان صـ٥٥

١٠ / المدخل الفقهي العام ، الزرقاء مصطفى أحمدالقطان ط ٩ ، دار الفكر ، ٣، صـ١٠٩

١١ (التشريع والفقه الإسلامي) مناع خليل القطان، ١٤٠٧ هـ ط٢ م/ الرسالة بيروت ص١٣٩ ،

١٢ / كتاب التعريفات ، الجرجاني ، الشريف على بن محمد ، ١٤١٦ هـ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، صـ٨٩

١٣/د. نحو منهج تربوي أصيل، محمد حسين بريغش ، ، ط:١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، بيروت – لبنان.صـ١٠٣

١٤ / التربية ومستقبل الأمة ، د. محمد حسين بريغش ، ط: ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، بيروت – لبنان. ص: ٦٩

١٥ / العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ٢٧٩/٢، ط: ١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، بيروت – لبنان، تحقيق: عبد المجيد الترحيني.

١٦ / منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١/ ٣٨٣، ط: ١٦، دار الشروق، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م ، القاهرة.

١٧ /د. المشكلات النفسية وعلاجها، بطرس حافظ بطرس، ص: ١٣٧، ط:١، دار المسيرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، عمان – الأردن.

١٨ د. / سيكولوجيا العنف العائلي والمدرسي، طه عبد العظيم حسين، ص١٧٣، ١٧٤، ط: بدون، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٧م، الإسكندرية.

١٩ / ملامح السعادة في تربية الطفل على العبادة، د. عبد المجيد البيانوني، ص: ١٠، ط: ١، بدون دار ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، جده - السعودية.

٢٠ / مسؤولية الآباء تجاه الأولاد، د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، ط:١، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ص: ٦٥، ٦٦.

٢١/ باب فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه، رواه مسلم، كتاب الفضائل، ٢٥٧/١٦. رقم: ٦٣٢٢، برواية: أم سليم، والدعاء لأنس بن مالك.

٢٢ / الطفل في ضوء القرآن والسنة والأدب، د. أحمد خليل جمعه، دار اليمامة، دمشق – بيروت. ، ص: ١٠٩.

٢٣ / مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ص: ٤٩٣، ٤٩٤، ط: ٣، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، بيروت.

٢٤ / فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، ط: ٢، دار الفكر، بيروت ، ٥/٨٨.

٢٥ موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، د. عطيه صقر، / ط:١١، مكتبة وهبة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م. ، ١٢٣/٤، ١٢٤.

٢٦ / تربية الأولاد في الإسلام، من الكتاب والسنة، د. محمد محمود عمارة، ط: بدون، مكتبة الإيمان. ص: ١٠٦

٢٧ / رواه مسلم، كتب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ٤٣١/١٦، رقم: (٦٧١٦)، برواية أبي هريرة.

٢٨ / النهاية في غريب الحديث والأثر ، د. مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، د ، ط بيروت: المكتبة العلمية ،١/ ٤٠١

٢٩/ معجم لغة الفقهاء، د . محمد رواس قلعجي ، د. حامد صادق قنيبي (١٤٠٨) - ١٩٨٨م ط ٢ ، بيروت : دار النفاش ، صـ : ١٨١

٣٠/ مغني المحتاج الى معرفة معاني الألفاظ ، الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الشر بيني، ط ١ ،دار المعرفة بيروت ، جـ ٣ ،صـ ٥٩٢

٣١ / الفقه الإسلامي وأدلته ، د. وهبة الزحيلي ، ط ، ٣ ،١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م ، دار الفكر بدمشق ، جـــ٧، صـ ٧١٨ ،

٣٠/ المدونة الكبرى (١٤١٥هـ ١٩٩٤م ويليها مقدمة ابن رشد ، الإمام مالك بن أنس الأ صبحي ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢ / ٢٦٠

٣٢ / الأحوال الشخصية ، الأستاذ الشيخ عبد الرحمن تاج صـ ٤٥٧ وللأستاذ الشيخ زكي الدين شعبان : صـ ٦١٤

٣٣ / مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ، د. دامادافندي المولى الفقيه المحقق عبد الله بن الشيخ محمد بن سليمان ، (د.ت) ، (د.ط) بيروت : دار إحياء التراث العربي .

٣٤ / المعونة على مذهب عالم المدينة ، القاضي عبدا لوهاب البغدادي ، (١٤١٥هـ) ــ١٩٩٥ م) (الإمام مالك ابن أنس ، تحقيق ودراسة : حميش عبد الحق ، (د. ط) ، بيروت : دار الفكر ٢/ ٩٤١ .

٣٥ / كتاب الأم ، الإمام الشافعي ، أبي عبد الله محمد بن إدريس ، (١٤١٠ هـ ــ١٩٩٠ م) ، (د . ط) ،بيروت : دار الفكر ٣ / ٩٩

٣٦/ عون المعبود شح سنن أبي داود ، أبي الطيب ، محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية ، (١٤١٠ هـــ١٩٩٠م) ، (الطبعة الأولى) ، بيروت : دار الكتب العلمية . ٢ / ١١٤

٣٧ / المجموع شرح المهذب ، النووي ، الإمام أبو زكريا محي الدين بن شرف ، (د. ت) ، (ط٢) ، (د.م) : دار الفكر ١٨/ ٣٤٠

٣٨ / ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، د. يوسف القرضاوي، ص: ١٢٢، مؤسسة الرسالة، ط: بدون، ت: بدون، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت – دمشق – عمان.

٣٩ / الملخص الفقهي ، د.صالح بن فوزان بن عبد الله (١٤٢١هـ ـــ ٢٠٠١ م ط١، دار العاصمة ـ الرياض جـ٢ /صـ٤٣٩

[1] / مبادئ الثقافة الإسلامية ، د. على أحمد القاعدي، ط ، ٢٠١٢ م ،صـ ١٣٢

[2] / المرجع السابق ، صـ ١٣٢

[3] / شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن على ، (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٨م) (الطبعة الأولى) ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٥/ ٤٧٤

[4] / ، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، ط: بدون، مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: محمود خاطر.، ٤ / ١٤٦٠ ، الرازي محمد ابن أبي بكر ، ١٩٩٥ م

[5] / لسان العرب ، ابن منظور ، ٢٠٠٨ م ، ط ، بيروت ، دار صادر ، ٣ / ٢٥٥

[6] / القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ٣ / ٢٢٨

[7] / الرازي مصدر سابق ٤ / ١٤٦١

[8] / أبن منظور مصدر سابق ٣ / ٢٥٨

[9] / المصباح المنير ، الفيومي ، أحمد بن محمد ، ، (د ، ط،) بيروت ، مكتبة لبنان صـ٥٥

[10] / المدخل الفقهي العام ، الزرقاء مصطفى أحمد ، ط ٩ ، دار الفكر ، ٣، صـ١٠٩

[11] / (التشريع والفقه الإسلامي) ، القطان مناع خليل ، ١٤٠٧ هـ ط٢ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، صـ ١٣

[12] / الزرقاء مصدر سابق ، ٣/ ١٠٩

[13] / خلاف مصدر سابق ، صـ ١٠٠

[14] / الزرقاء مصدر سابق : ٣ / ١٠

[15] / كتاب التعريفات ، الجرجاني ، الشريف على بن محمد ، ١٤١٦ هـ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، صـــ٨٩

[16] المادة رقم (٢) من القانون رقم (٤٥) لسنة ٢٠٠٢م بشأن حقوق الطفل

[17] / المادة رقم (٢) من قانون حقوق الطفل مرجع سابق

[18] / المادة رقم(١٢) المرجع السابق

[19] /المادة رقم (٦) المرجع السابق

[20] / المادة رقم (٩) المرجع السابق

[21] / المادة رقم (٨) المرجع السابق

[22] / المادتين رقم (٦٨ ، ٨١) من قانون حقوق الطفل مرجع سابق

[23] / المادة رقم (٩٢) من قانون حقوق الطفل مرجع سابق

([24]) نحو منهج تربوي أصيل، محمد حسين بريغش، ط:١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، بيروت – لبنان.صـ١٠٣

([25]) [آل عمران: ١١٠].

([26]) التربية ومستقبل الأمة ، محمد حسين بريغش ، ط: ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، بيروت – لبنان. ص: ٦٩

([27]) العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ٢٧٩/٢، ط: ١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، بيروت – لبنان، تحقيق: عبد المجيد الترحيني.

([28]) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١/ ٣٨٣، ط: ١٦، دار الشروق، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، القاهرة.

([29]) المشكلات النفسية وعلاجها، بطرس حافظ بطرس، ص: ١٣٧، ط:١، دار المسيرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، عمان – الأردن.

([30]) سيكولوجيا العنف العائلي والمدرسي، طه عبد العظيم حسين، ص١٧٣، ١٧٤، ط: بدون، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٧م، الإسكندرية.

([31]) منهج التربية النبوية للطفل مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح، ص: ٧٩.

([32]) ملامح السعادة في تربية الطفل على العبادة، عبد المجيد البيانوني، ص: ١٠، ط: ١، بدون دار ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، جده - السعودية.

([33]) التربية ومستقبل الأمة، مرجع سابق ص: ٧١.

([34]) [الأنعام:١٦٢]

([35]) مسؤولية الآباء تجاه الأولاد، عبد الرب نواب الدين آل نواب، ط:١، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ص: ٦٥، ٦٦.

([36])المصدر السابق، ص: ٦٥، ٦٦.

([37]) [الفرقان:٧٤]

([38]) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص٤٨٤.

([39]) [الاحقاف: ١٥]

([40]) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص: ٦٦٧، ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، ط: ٢، دار الفكر، بيروت.٢٠/٥.

([41]) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ١٢٧/١٦.

([42]) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه، ٢٥٧/١٦. رقم: ٦٣٢٢، برواية: أم سليم، والدعاء لأنس بن مالك.

([43]) مسؤولية الآباء تجاه الأولاد، عبد الرب نواب الدين آل نواب، ط:١، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض. ص: ٨٣.

([44]) الطفل في ضوء القرآن والسنة والأدب، أحمد خليل جمعه، دار اليمامة، دمشق – بيروت. ، ص: ١٠٩.

([45]) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ص: ٤٩٣، ٤٩٤، ط: ٣، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، بيروت.

([46]) الطفل في ضوء القرآن والسنة والأدب : مرجع سابق ص: ١١٠.

([47]) تحفة المودود بأحكام المولود، ص: ١٦٨، ١٦٩.

([48]) سورة القلم: الآية رقم (٤)

([49]) ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، يوسف القرضاوي، ص: ١٢٢، مؤسسة الرسالة، ط: بدون، ت: بدون، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت – دمشق – عمان.

([50]) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص: ٦٩١.

([51]) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، ط: ٢، دار الفكر، بيروت ، ٨٨/٥.

([52]) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ١٣٨/٨، ط: ١، دار الكتاب العلمية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، بيروت – لبنان، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون.

([53])ا التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ط: ١، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م : ١٨٤/٨.

([54])تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ط:٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، ٢٥١/١.

([55])المصدر السابق، ص: ١٤٣.

([56]) تربية الأولاد في الإسلام مصدر سابق ٢٦٧/١.

([57]) المادتين ٨١ ، ٨٢ من قانون حقوق الطفل مرجع سابق

([58]) المادتين ر قم (٨٦ ، ٩١)من قانون حقوق الطفل المرجع السابق

([59]) البقرة: ٢٣٣.

([60])موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، عطيه صقر، ط:١١، مكتبة وهبة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م. ، ١٢٣/٤، ١٢٤.

([61]) تربية الأولاد في الإسلام، من الكتاب والسنة، محمد محمود عمارة، ، ط: بدون، مكتبة الإيمان. ص: ١٠٦

([62]) معجزة الأرقام والترقيم، عبد الرزاق نوفل، ط: بدون، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، بيروت. ص: ٤٢،

([63]) رواه مسلم، كتب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ٤٣١/١٦، رقم: (٦٧١٦)، برواية أبي هريرة.

([64]) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ، مرجع سابق ١٧١/٤.

([65]) تربية الأطفال في ضوء القرآن والسنة، مرجع سابق ٤٢١/١.

([66]) بن منضور، لسان العرب مادة (حضن)

([67]) ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري النهاية في غريب الحديث والأثر ،د ، ط بيروت: المكتبة العلمية ،١/ ٤٠١

([68]) د . محمد رواس قلعجي ، د. حامد صادق قنيبي (١٤٠٨) - ١٩٨٨م معجم لغة الفقهاء ط ٢ ، بيروت : دار النفاش ، صـ : ١٨١

([69]) مغني المحتاج الى معرفة معاني الألفاظ الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الشر بيني ، ، ط ١ ،دار المعرفة بيروت ، جـ ٣ ،صـ ٥٩٢ د. وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ط ، ٣ ،١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م ، دار الفكر بدمشق ، جــ٧، صـ ٧١٨ ، د.صالح بن فوزان بن عبد الله (١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١ م الملخص الفقهي ط١، دار العاصمة ــ الرياض جـ٢ /صـ٤٣٩

([70]) المرجع السابق ، صـ٥٩٢ ، ٧١٨

([71]) الفقه الإسلامي وأدلته د . وهبة الزحيلي ، مرجع سابق جـ٧ ،صـ٧٢٥

([72]) مغني المحتاج مرجع سابق ، ج٣ صـ ٥٩٤ - ٥٩٧ ، الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي ، جـ٧ ، صـ٧٢٥

([73]) المرجع السابق ، أحكام الأسرة د. علي أحمد القليصي ، ط ٧ ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤ م دار النشر للجامعات صنعاء جـ ١-٢ ،٢٤٧

([74]) الجذام : هو داء، تتساقط منه الأطراف ،ويتناثر اللحم من شدة التقيح .د.قلعجي ، د. قنيبي مرجع سابق صـ ١٦١

([75])البرص : مرض يُحدث في الجسم قشرا أبيض ويسبب للمريض حكاً .مؤلماً

([76]) الفقه الإسلامي وأدلته د . وهبة الزحيلي ، مرجع سابق جـ٧ ،صـ٧٢٦

([77]) مغني المحتاج مرجع سابق ، ج٣ صـ ٥٩٥ - ٥٩٧ ، الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي ، جـ٧ ، صـ٧٢٧ ، أحكام الأسرة د. علي أحمد القليصي ، مرجع سابق جـ ١-٢ ،٢٤٧

([78]) وهذا قول ابن القيم رحمة الله عليه وقال : أنه لم يرد هذا الشرط عن النبي صلى الله عليه وسلم والأصل في ذلك الجواز .انظر زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية مطبعة : مصطفى ألبابي الحلبي : ط ٢ سنة ١٣٦٩هـ ٤ / ١٣٢ ، وفي مذهب الحنفية أن الأم الفاسقة أحق بالولد مالم يعقل ذلك منها ، انظر: حاشية ابن عابدين المسماة برد المحتار في الدر المختار شرح تنوير الأبصار للفقيه العلامة محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الشهير بابن عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢هـ مطبعة : مصطفى ألبابي الحلبي : ط ٢ ١٣٨٦هـ ٣/ ٥٥٦

([79]) المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس الأ صبحي (١٤١٥هـ ١٩٩٤م ويليها مقدمة ابن رشد ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢ / ٢٦٠

([80]) رواه أبو داوود وغيره ، وأجيب عنه من قبل الفريق الأول بأنه منسوخ أو محمول على أنه صلى الله عليه وسلم عرف أنه يستجاب دعاؤه ، وأنه يختار الأب المسلم . وقصده بتخييره استمالة أمه .

([81]) الفقه الإسلامي وأدلته ، د . وهبه الزحيلي ،مرجع سابق ٧/ ٧٢٨ .

([82]) المرجع السابق صـ ٧٢٨

([83]) مغني المحتاج مرجع سابق ، ج٣ صـ ٥٩٧

([84]) مغني المحتاج ، ابن عابدين مرجع سابق ٣ / ٥٥٧ ، مرجع سابق ٣ / ٥٩٦

([85]) سنن أبي داود ، أبو داود ن الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني الأردي (د.ت) (د. ط) ، (د.م) : دار إحياء التراث العربي .مكة المكرمة : دار عباس أحمد ألباز ،٢/ ٢٨٣

([86]) الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبه الزحيلي مرجع سابق ٧ / ٧٢٨

([87]) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، الكاساني الحنفي الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود (د. ت) ، (د.ط) ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٤ / ٤٢

([88]) المرجع السابق ٤/ ٤٢

([89]) البريد العربي : ١٢ ميلاً أو أربعة فراسخ ، وتساوي ٢٢١٧٦م والميل ١٨٤٨م ، والستة برد١٣٣كم

([90]) الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبه الزحيلي مرجع سابق ٧ / ٧٢٩

([91]) مغني المحتاج لأبن قدامه ، وهذا مذهب الحنابلة ، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمود بن قدامه المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ ، المطبعة اليوسفية ، الناشر : مكتبة الجمهورية العربية ، ومكتبة الرياض ، المدينة ، ٧ / ٦١٨

([92]) الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبه الزحيلي مرجع سابق ٧ / ٧٣٠

([93]) الدر المختار ورد المحتار : ٢ / ٨٧١ ـ٨٧٥ ، الشرح الصغير : ٢ / ٧٦٣

([94]) الأحوال الشخصية للأستاذ الشيخ عبد الرحمن تاج صـ ٤٥٧ وللأستاذ الشيخ زكي الدين شعبان : صـ ٦١٤

([95]) الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبه الزحيلي مرجع سابق ٧ / ٧١٨

([96]) تعليقات : الشيخ محمود أبو دقيقة ، ابن مودود الحنفي ، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي ، (د . ت) ،الإختيار لتعليل المختار ، (د . ط) ، بيروت لبنان : دار الكتب العلمية ٤/ ١٥ ، دامادافندي المولى الفقيه المحقق عبد الله بن الشيخ محمد بن سليمان ، (د.ت) ،مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ، (د.ط) بيروت : دار إحياء التراث العبي. مرجع سابق ١/ ٤٨١ ـ ٤٨٢

([97]) ابن مودود المرجع السابق ٤ / ١٥، ابن نُجيم الحنفي ، العلامة زين الدين (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ، ١٨٥/٤ البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، (الطبعة الثانية) ، (د.م) : دار الفكر .

([98]) المدونة الكبرى الإمام مالك مرجع سابق ٢ / ٢٥٨

([99]) القاضي عبدا لوهاب البغدادي ، (١٤١٥هـ) ـ١٩٩٥ م) المعونة على مذهب عالم المدينة (الإمام مالك ابن أنس) ، تحقيق ودراسة : حميش عبد الحق ، (د. ط) ، بيروت : دار الفكر ٢/ ٩٤١ .

([100]) الإمام الشافعي ، أبي عبد الله محمد بن إدريس ، (١٤١٠ هـ ـ١٩٩٠ م) ، كتاب الأم ، (د . ط) ،بيروت : دار الفكر ٣ / ٩٩

([101]) أبي الطيب ، محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية ، (١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م) ، عون المعبود شح سنن أبي داود ، (الطبعة الأولى) ، بيروت : دار الكتب العلمية . ٢ / ١١٤

([102]) النووي ، الإمام أبو زكريا محي الدين بن شرف ، (د. ت) ، المجموع شرح المهذب ، (ط٢) ، (د.م) : دار الفكر ١٨/ ٣٤٠

([103]) المرجع السابق ١٨/ ٣٤١س

([104]) الكاساني مرجع سابق ٤ / ٤٤

([105])) الدر المختار ورد المحتار : ٢ / ٨٧٧ ، الشرح الصغير : ٢ / ٧٦٤، مغني المحتاج : ٣ /٤٥٢ ،كشاف القناع : ٥ / ٥٧٦ ، الشرح الكبير مع الدسوقي : ٢ / ٥٣٣

([106]) المراجع السابق

[107] / رأفت فريد سويلم: الإسلام وحقوق الطفل، رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة عام٢٠٠٢م

([108]) فتح القدير مرجع سابق : ٣/ ٢٤٦ ، حاشية ابن عابدين : ٢ / ٩٣١

([109]) الفقه الإسلامي وأدلته مرجع سابق ٧/٧٠٤

([110]) الدر المختار : ٢/ ٨٨٦

([111]) مغنى المحتاج : ٢/ ٤٢٥

([112]) هذا مركب من حديثين ، فالشق الأول رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن جابر بلفظ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل : (ابدأ بنفسك فتصدق عليها ...) والشق الثاني رواه أحمد والدار قطني بإسناد صحيح (نيل الأ وطار : ٦ / ٣٢١ ، ٣٢٤ ِ

([113]) الدر المختار ، ومغنى المحتاج مرجع سابق

نزهة الناظر في آصول الحوار وآداب المحاور

د/ فهد صالح قاسم المعمري – أستاذ مساعد – كلية
التربية – جامعة عمران

الملخص

يهدف البحث إلى التعريف بمفهوم الحوار ومبادئه وأصوله وضوابطه ومرجعيته وشروط نجاحه، ونشر ثقافة الحوار؛ وبيان موقف الإسلام من الحوار، واستقصاء المعوقات والصعوبات التي تعيق الحوار، وتقديم رؤية؛ قد تفيد المتحاورين عموما، والمشاركين بمؤتمر الحوار الوطني في اليمن، واستخدم الباحث منهجية البحث النظري المكتبي؛ بمسح مجموعة من الأدبيات السابقة، المتعلقة بالحوار

٩

المقدمة:

الحمد لله القائل: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} ، (النحل: ١٢٥). والصلاة والسلام على الرحمة المهداة للعالمين، محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، أما بعد: فالحوار ظاهرة صحية تتميز بها المجتمعات الحية، وركيزة فكرية وثقافية، ووسيلة يستطيع الأفراد والجماعات؛ من خلالها أن يصلوا إلى حلول لمشكلاتهم وتسوية خلافاتهم، والوصول إلى صيغة تنهي أو تخفف الفوارق في الرؤى ووجهات النظر، والاتفاق على ما هو مشترك بينهم، والسعي لتجسيده وتنفيذه وإيجاد الظروف والفرص التي تساعد على ذلك من أجل المصلحة العامة للجميع، كما أنه يعتبر الوسيلة الأسلم والأسمى في التواصل مع الآخرين والتي دعا إليها الإسلام من خلال الآيات المختلفة الواردة في القرآن الكريم، ومنها آية النحل-سالفة الذكر-ونظرا لاقتراب موعد الحوار الوطني في اليمن؛ المقرر أن يبدأ في (١٨/٠٣/٢٠١٣)، فاليمنيون عامة وكل الأطراف السياسية والحزبية مطالبون بالتهيؤ للجلوس على طاولة الحوار حتى يحل الوئام محل التنازع، والاتفاق محل الخصومات المناطقية، والنزاعات الطائفية، وتتغلب المصلحة الوطنية على المصالح الشخصية أو الحزبية الضيقة.

وإيمانا من الباحث بأهمية دور المثقفين وأساتذة الجامعات وواجبهم في التوعية، وحث المشاركين على إنجاح الحوار الوطني، فقد كانت فكرة هذا البحث؛ الذي آمل أن يسهم في تنوير المجتمع وجميع المتحاورين؛ في التعريف بقيمة وأهمية وقواعد وأصول وآداب وشروط نجاح الحوار؛ ومعوقات نجاحه؛ وآمل أن يتحقق الغرض منه، وأن يجد طريقه إلى أيدي وقلوب المتحاورين؛ وكنت أرغب في طباعته على شكل كتيب وتوزيعه مجاناً، ليستفيد منه المتحاورون، وكل من يطلع عليه؛ فيحكم من خلاله على مدى جدية المتحاورين؛ ومن ثم تشكيل ضغط مجتمعي للدفع بالحوار والمتحاورين نحو بناء غد مشرق لليمنيين جميعا؛ وسد المنافذ أمام المشاريع التآمرية ضد وطننا وثوابت شعبنا ومكتسباته.

أخيرا، يؤكد البحث أن أسلوب الحوار هو الأسلوب الأنجع والأمثل؛ الذي يجب أن يتبناه اليمنيون لحل المشاكل السياسية والمجتمعية، وغيرها من المشاكل التي كانت سببا في العنف والحروب المتتابعة على مدى عقود متتابعة، وخصوصا خلال السنوات (٢٠٠٣-٢٠١٢)، وهو تلبية لنداء الواجب الوطني إلى العمل على إنجاح الحوار، بما يحقق الأمن والاستقرار وتجاوز التحديات الصعبة وكافة المعوقات بإرادة وطنية قوية تنظر إلى اليمن الجديد بكل الآمال والتطلعات، وإذا كانت الأهمية التي يكتسبها الحوار لا تخفى، فإنه لا يمكن أن يحقق أهدافه ما لم تتوافر له مبادئ ومقومات وأسس وشروط النجاح. وهو ما سيتطرق له البحث الحالي.

الباحث/　　دكتور/ فهد صالح قاسم مغربة المعمري

إشكالية البحث

تنبع إشكالية البحث من حالة تردي الأوضاع الأمنية والسياسية والاقتصادية التي عاشها اليمن، خلال العقد الأول من الألفية الحالية، وكادت تصل معها إلى الهاوية مع مطلع العام (٢٠١١)، وما أعقبها من التوجه نحو الحوار الوطني في ظل أوضاع ما تزال بالغة الخطورة؛ تهدد كيان اليمن سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وهي نتيجة لسياسات وممارسات انتهجها النظام السابق؛ واتسمت بالعشوائية وبالمزاج الفردي المتقلب، وأدت إلى تدمير أسس البناء الوطني والاجتماعي والأخلاقي، وكادت البلاد أن تدخل في فوضى عارمة لولا أن هيأ الله لليمنيين دول الجوار(مجلس التعاون الخليجي)، والدول دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي؛ التي تقدمت ودعمت المبادرة الخليجية؛ حيث نصت على الدخول في حوار وطني شامل!، وبذلك ظهرت إشكالية البحث من واقع التجاذبات بين مختلف الأطراف السياسية والمكونات الاجتماعية، والتي تباينت وجهات نظرها حول رؤيتها للحوار، وعدد أو نسبة المشاركين لكل جهة، والمرجعية اللازمة للحوار، وموقف المتحاورين من مختلف القضايا الوطنية، والمشكلات المجتمعية، وبذلك فقد تأكد للباحث أن بقاءها بدون بحث ودراسة علمية؛ قد يعرقل مسيرة الحوار الوطني؛ فيصبح كما قيل حوار الطرشان وبالتالي العودة لمربع العنف والاحتكام للسلاح بدلا من الاحتكام لصوت العقل والمنطق والمصلحة المشتركة،، وبذلك يمكن تحديد الإشكالية في التساؤلات التالية :

أولاً: ما هو تعريف الحوار، وما أهميته وما هي مبادؤه، وما أهداف وغايات الحوار؟

ثانياً: ما هي مقومات المحاور المحترف، وما الأصول والقواعد الرئيسية للحوار وشروط نجاحه؟

ثالثاً: ما هي عناصر وضوابط وآداب الحوار، وهل ورد في القرآن والسنة نماذج حوارية؟.

رابعاً: ما هي صور الحوار، وما هي معوقاته، وما أبرز مواضيع ومعوقات الحوار الوطني اليمني؟.

خامساً: ما التوصيات والمقترحات التي يمكن تقديمها لضمان نجاح الحوار الوطني وتحقيق أهدافه؟

- **أهداف البحث: يهدف البحث للآتي:**

١- التعريف بمفهوم الحوار ومبادئه وأصوله ومرجعيته وشروط نجاحه، ونشر ثقافة الحوار؛ باستخلاص ما كتبه الباحثون في الموضوع.

٢- توضيح مقومات المحاور المحترف، والأصول والقواعد الرئيسية لضبط الحوار وشروط نجاحه ؟

٣- بيان عناصر وضوابط وآداب الحوار، وما ورد في القرآن والسنة من نماذج حوارية ؛ للأخذ بها والاستفادة منها في الحوار الوطني في اليمن، وفي كل الحوارات؛ سواء الفردية أو الجماعية.

٤- تحديد صور الحوار واستقصاء المعوقات التي قد تعيق الحوار؛ للتحذير منها، والتنزه عنها.

٥- تقديم رؤية تتضمن التوصيات والمقترحات التي تفيد المتحاورين في اليمن وفي كل زمان ومكان.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من الآتي:

١- أهمية الموضوع ذاته؛ والذي يعتبر موضوع الساعة؛ الشاغل لجميع اليمنيين، وذلك لما يعقدونه من آمال على نجاح الحوار في الخروج باليمن من واقع التشتت والخلاف إلى مستقبل أفضل.

٢- قد يفيد البحث في التخفيف من حدة العنف المجتمعي، وتعزيز ثقافة الحوار واستخدامه كوسيلة أساسية لحل الخلافات الفردية والجماعية.

٣- قد يساعد البحث على تقريب وجهات النظر وتجاوز حالة ضعف الثقة بين المتحاورين، والتعاون فيما بينهم لقبول كل منهم بالآخر، والتوصل إلى نقاط اتفاق مشتركة فيما بينهم.

٤- قد يزيد البحث من ثقة المجتمع بنفسه، وتقييم أداء ممثلي مختلف الأطراف في الحوار؛ من خلال متابعة أدائهم في ضوء مبادئ وآداب الحوار، وشروط نجاحه.

منهجية البحث:

وفقاً لطبيعة الموضوع وأهدافه؛ يعتمد البحث منهجية البحث النظري، بتقصي واستخلاص أهم ما كتبه الباحثون حول مختلف جوانب الحوار، لتعزيز الفهم بالموضوع نظرياً؛ بإضافة علمية معرفية؛ تمثل مرجعية للراغبين في التوصل للحقيقة، بوسيلة صحيحة وتطبيق عملي مقبول.

☐ **أولاً/ التعريف بمفهوم الحوار وأهميته ومبادئه وأهدافه وغاياته:**

١-١- مصطلحات البحث؛ يتضمن البحث مصطلحات؛ والتي يمكن توضيحها على النحو التالي:

١-١-١- الحوار لغة:( ): مأخوذ من (ح. و. ر): رجع، وبابه؛ قال، ودخل... وفي معجم مقاييس اللغة: " الحاء والواو والراء ثلاثة أصول، أحدها: لون، والآخر: الرجوع، والثالث: أن يدور الشيء دوراً.... أما الرجوع فيقال حار إذا رجع، قال تعالى: (إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ)( ). والمُحاورة؛ هي المُراجعة في الكلام. ويتحاورون: أي يتراجعون الكلام( ).

١-١-٢- اصطلاحاً( ): هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب.

إذاً فالحوار هو تراجع الكلام والتجاوب فيه وقد ورد في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع؛ الأول: في قصة أصحاب الجنة: }وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا{(الكهف: ٣٤). والثاني: في نفس القصة: }قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا {(الكهف: ٣٧). والثالث: }قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا{(المجادلة: ١).

١-١-٣- مفهوم الحوار: ويفهم منه( )؛ أن الحوار يتم بين قوى متكافئة أو على الأقل قوتين متكافئتين؛ وعليه، فإن الحوار فهم للذات من خلال الآخر، وفهم الآخر من خلال الذات، فالحوار حق مشاع للجميع، وهو عنصر حيوي لحياة الأشخاص فضلا عن الأفكار. الحوار يعني التحرر من طغيان السلطة، كما أنه اكتشاف للآخر داخل الذات، واكتشاف الذات في نظر الآخر... وهناك من اعتبر الحوار مطلبا إنسانيا تتوخاه كل المجتمعات؛ إلى درجة أن هناك من اعتبره من أعلى مراتب التفاهم بين الأمم والشعوب، لهذا فهو دعوى وقيمة أخلاقية (سياسية، إنسانية، وثقافية)؛ إنه صورة متقدمة من التعارف.

١-١-٤- مرادفات الحوار: ومن أهم الألفاظ والمصطلحات التي تأتي مرادفة للحوار( ):

١-١-٤-١- الجدل: من جَدَلَ الحبل إذا فَتَلَه؛ وهو مستعمل في الأصل لمن خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، ثم استعمل في مُقابَلَة الأدلة لظهور أرجحها. هو (شدة الخصومة. وفي الحديث: ما أوتي الجدل قوم إلا ضلُّوا، والجدل: مقابلة الحجة بالحجة)، والمجادلة هي (المناظرة والمخاصمة). وقد ورد لفظ الجدل في القرآن الكريم تسعة وعشرين مرة كلها في سياق الذم، إلا في ثلاثة مواضع هي( ): قوله تعالى:} ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ{ (النحل: ١٢٥)، وقوله تعالى: }وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ{(العنكبوت: ٤٦)، وقوله تعالى: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (المجادلة:١) وفي هذه الآية اجتمع اللفظان (الحوار والجدال) ولهما نفس الدلالة، كما يراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي.

١-١-٤-٢- المناظرة: هي (المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته).

١-١-٤-٣- المحاجّة: وقد جاء في القرآن لفظ الحجة أو التحاج عشرين مرة، أطلق بمعنى التخاصم والجدال في بعضها كما في قوله تعالى: {هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ{.

١-١-٤-٤- المُناقَشَةُ: وتأتي بمعنى (الاستقصاء في الحساب حتى لا يترك منه شيء). وهي: (نوع من التحاور بين شخصين أو طرفين، ولكنها تقوم على أساس استقصاء الحساب، وتعرية الأخطاء، وإحصائها(.

١-١-٤-٥- المناقشة: أيضاً هي (قيام مجموعة متعاونة فيما بينها على اختيار مشكلة معينة، وتحديد أبعادها، وتحليل جوانبها، واقتراح الحلول لها، ثم اختيار الحل الأنسب عن طريق الإجماع أو بالأغلبية(.

١-١-٥- الوطني: يعرف الوطن في اللغة: قال ابن منظور في لسان العرب: الوطن؛ المنزل الذي تقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحله، يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا؛ اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيه. وقال الزبيدي: الوطن منزل الإقامة من الإنسان ومحله وجمعها أوطان. مَنْسُوبٌ إِلَى الوَطن وَطَنِيٌّ( ).

١-١-٥-١- الوطن اصطلاحا( ):

١. عرف الجرجاني الوطن في الاصطلاح بقوله (الوطن الأصلي هو مولد الرجل , والبلد الذي هو فيه.

٢. عند الرجوع إلى كتب المعاجم والموسوعات, وخاصة السياسية نجد أنها لا تختلف عن المعنى اللغوي.

أ) ففي المعجم الفلسفي يقول: (الوطن بالمعنى العام منزل الإقامة , والوطن الأصلي: هو المكان الذي ولد فيه الإنسان أو نشأ فيه.

ب) في معجم المصطلحات السياسية الدولية: الوطن هو البلد الذي تسكنه أمة يشعر المرء بارتباطه بها, وانتمائه إليها.

١-١-٦- تعريف الحوار الوطني إجرائياً؛ هو" اللقاء أو المؤتمر العام للحوار الوطني؛ يبدأ يوم الاثنين (١٨/٠٣/٢٠١٣)، في العاصمة صنعاء، وسيحضره قرابة (٥٦٥) عضوا؛ يمثلون القوى والأحزاب والتنظيمات السياسية ومنظمات المجتمع وفئاته المختلفة؛ من جميع مناطق اليمن، وذلك للتحاور بغرض تحديد رؤية مشتركة لمستقبل اليمن ونظام الحكم؛ بما يضمن تحقيق الحرية والعدالة والعيش الآمن والحياة الكريمة لجميع اليمنيين".

# # #

١-٢- أهمية الحوار( ):

تبرز أهمية الحوار باعتباره الوسيلة الوحيدة للخروج بنتائج وفوائد لا يحققها غيره؛ وتزداد أهميته من خلال النظر إلى واقع المسلمين عموما واليمن – خصوصا-وتشتت مواقف أبنائه؛ فهم بأمس الحاجة إلى الحوار؛ كطريق للخلاص، وبوابة للوفاق والاتفاق بين الأخوة الفرقاء؛ بحيث يتعاون المتحاورون على معرفة الحقيقة، ويكشف كل طرف منهم ما خفي على صاحبه منها، والسير بطريق الاستدلال الصحيح؛ للوصول إلى الحق.

ومن يتتبع نماذج الحوار في القرآن الكريم يتأكد له؛ أن القرآن الكريم يعتمد اعتماداً كبيراً على أسلوب الحوار في توضيح المواقف، وجلاء الحقائق. وهداية العقل وتحريك الوجدان، واستجاشة الضمير، وفتح المسالك التي تؤدي إلى حسن التلقي والاستجابة، والتدرج بالحجة احتراماً لكرامة الإنسان وإعلاء لشأن عقله الذي ينبغي أن يقتنع على بينة ونور ( ).

وتعد الندوات واللقاءات والمؤتمرات إحدى وسائل ممارسة الحوار الفعال، الذي يعالج القضايا والمشكلات التي تواجه الإنسان المعاصر، ويمكن إبراز أهمية الحوار من أنه:

١. وسيلة الاتصال بين الناس؛ ليتعاونوا على معرفة الحقيقة والتوصل إليها ؛ويكشف كل طرف منهم ما خفي على صاحبه منها ؛ بهدف تصحيح كلامٍ، وإظهار حجّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردٍ الفاسد من القول والرأي.

٢. مطلب إنساني، فالحوار البناء يشبع حاجة الإنسان للاندماج والتواصل مع محيطه.

٣. التعرف على وجهات نظر الطرف أو الأطراف الأخرى في الحوار.

٤. الوصول إلى نتائج عن طريق البحث والتنقيب من أجل الاستقصاء والتنويع في الآراء.

٥. يتم من خلاله طرح موضوع فكري غير مسبوق لنصل به إلى النضج الفكري الحواري الحضاري.

٦. يهيئ لاحترام متبادل بين أطراف الحوار، وإعطاء كل ذي حق حقه، والاعتراف بمنزلته ومقامه، فيخاطب بالعبارات المنسقة، والألقاب المستحقة، والأساليب اللائقة.

٧. وأخيرا تبرز أهمية الحوار الوطني في اليمن باعتباره المخرج الوحيد؛ الممكن لخروج اليمن من حالة الانقسام والصراع السياسي والمذهبي والمناطقي؛ إلى يمن مستقر آمن ومزدهر.

# # #

١-٣- مبادئ الحوار:

وتعتبر المبادئ بمثابة الموجهات الرئيسية للحوار، ولعل أهمها؛ المبادئ العامة التالية ( ):

١- الإيمان بالحوار وسيلة للتواصل بين البشر.

٢- الإيمان بقيمة رأي الآخرين.

٣- الإيمان بحق الآخرين في التعبير عن رأيهم.

وفي الجمهورية اليمنية؛ فقد حددت المادة (٤) من مشروع النظام الداخلي لمؤتمر الحوار الوطني الشامل؛ المبادئ العامة لمؤتمر الحوار الوطني كما يلي( ):

١. إشراك كافة فئات المجتمع وشرائحه المختلفة في الحوار.

٢. الشفافية التي تتيح فرص المشاركة الفاعلة لأعضاء المؤتمر وغيرهم من أبناء المجتمع.

٣. حرية إبداء الآراء ومناقشتها بدون تمييز أو شروط.

٤. تحقيق أكبر قدر من التوافق في قضايا النقاش.

٥. تركيز النقاش على القضايا المعروضة وعدم الخروج عنها.

٦. الواقعية في بلورة وتقديم مخرجات قابلة للتنفيذ.

وهذه المبادئ رغم اعتمادها ضمن النظام الداخلي تبقى رهينة بالتنفيذ على أرض الواقع، وخصوصا المبدأ الأول؛ والذي حدث ولا يزال يحدث بسببه الكثير من الخلاف!، حيث توجد فئات كبيرة، وشرائح اجتماعية فاعلة، ومناطق تتظاهر بحجة استبعادها، أو على الأقل ضعف تمثيلها، مما يستوجب وجود معايير واضحة للحكم على تطبيق هذا المبدأ بشكل خاص.

# # #

١-٤- أهداف وغايات الحوار( ):

الغاية من الحوار هي؛ إقامةُ الحجة، ودفعُ الشبهة والفاسد من القول والرأي. فهو تعاون من المُتناظرين على معرفة الحقيقة والتَّوصُّل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق. يقول الحافظ الذهبي: (إنما وضعت المناظرة لكشف الحقِّ، وإفادةِ العالِمِ الأذكى العلمَ لمن دونه، وتنبيهِ الأغفلَ الأضعفَ). هذه هي الغاية الأصلية، وهي جليَّة بيِّنة.

١-٥- وثَمَّت غايات وأهداف فرعية أخرى للحوار؛ ويمكن حصرها في الآتي( ):

١. كسب رضى الآخرين والتوصل معهم إلى حلٍّ وسط يُرضي الأطراف بصورة سلمية.

٢. وسيلة الاتصال والتأثير في الآخرين والوصول للحق والصواب.

٣. الإصلاح بين الناس وإشاعة المحبة والمودة بينهم.

٤. تغيير اتجاهات وقناعات وميول الآخرين بما يخدم الجميع.

٥. إقناع الآخرين بالتي هي أحسن، ودون إثارة الأحقاد.

٦. التخلص من الأفكار الخاطئة؛ بتنشيط الذهن وإجلاء الحقائق.

٧. إرشاد الناس لمصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم.

٨. حفظ الحقوق والمصالح مع حفظ الوقت والجهد والمال والدماء.

٩. الارتقاء بالمستوى الحضاري من خلال التعامل بالحوار الراقي.

١٠. كسب رضى الخالق ومحبته بإظهار الحق والعدل وبيانه للناس.

١١. المعرفة والعلم والتعبير عن الذات والتواصل الجيد.

١٢. توحيد الجهود بإزالة اللبس أو سوء الفهم.

١٣. الانفتاح على الآخرين والتفاعل معهم لما فيه المصلحة العامة.

١٤. استخراج ثمرات عقول الآخرين وتنمية التفكير وصقل شخصية الفرد.

١٥. توضيح موضع الخلاف للفهم المتبادل.

١٦. يساعد على تبادل الأفكار بين الناس وتتفاعل فيه الخبرات.

١-٦- وهناك أهداف – عامة من أي حوار-وأهمها الآتي:

١- إقامة الحجة وإبراز الجوامع المشتركة في العقيدة والأخلاق والثقافة.

٢- تقريب وجهات النظر وتعميق المصالح المشتركة في الإنماء والاقتصاد والمصالح.

٣- توسيع مجالات التداخل في النشاطات الاجتماعية الأهلية (كالأندية الرياضية والجمعيات الكشفية والمؤسسات التعليمية والمستشفيات).

٤- كشف الشبهات والتأكيد على مصداقية قيم الاعتدال وتوسيع قاعدتها التربوية.

٥- إغناء الثقافة الحوارية التي تقوم على قبول الآخر، والانفتاح على وجهة نظره واحترامها، وعدم التمترس وراء اجتهادات فكرية صدئة من خلال التعامل معها -أي مع هذه الاجتهادات -وكأنها مقدسات ثابتة غير قابلة لإعادة النظر.

# # #

□ **ثانياً/ مقومات المحاور، والأصول والقواعد الرئيسية للحوار وشروط نجاحه:**

٢-١- المقومات الرئيسية للمحاور وأهمها( ):

١- **الإخلاص في الحوار.**

٢- **مطابقة القول للعمل.**

٣- **تجنب تصيد الأخطاء، مع الاعتراف بالخطأ.**

٤- **الإلمام بموضوع الحوار.**

٥- **الالتزام بآداب الحوار.**

٦- **توظيف الصوت، وتنويع الأساليب.**

٧- **جودة المعالجة.**　　٨- **الصدق والأمانة.**

٩- **البديهة وانبساط الوجه.**

١٠- **اختيار الكلمات المناسبة.**

١١- **احترام الطرف الآخر.**

١٢- **اللباقة وتوظيف لغة الجسد.**

١٣- **رباطة الجأش وهدوء البال.**

١٤- **حسن البيان وحسن الاستماع والإنصات.**

# # #

٢-٢- الأصول والقواعد الرئيسية التي تضبط مسار الحوار:

حدد بعض الباحثين الأصول والقواعد التي تضبط مسار الحوار في الأصول التالية( ):

٢-٢-١- إرادة الوصول إلى الحق؛ فلابد من التجرد في طلب الحق، والحذر من التعصب والهوى، وإظهار الغلبة والمجادلة بالباطل.

٢-٢-٢- تحديد الهدف والقضية؛ التي يدور حولها الحوار، فإن كثيراً من الحوارات تتحول إلى جدل عقيم سائب؛ ليس له نقطة محددة ينتهي إليها.

٢-٢-٣- الاتفاق على أصل يرجع إليه؛ والمرجعية العليا عند كل مسلم هي: الكتاب والسنة، والضوابط المنهجية في فهم الكتاب والسنة. وقد أمر الله بالرد إليهما فقال سبحانه:} فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) {النساء: ٥٩(.

٢-٢-٤- عدم مناقشة الفرع قبل الاتفاق على الأصل؛ فلا بد من البدء بالأهم من الأصول وضبطها والاتفاق عليها، ومن ثم الانطلاق منها لمناقشة الفروع والحوار حولها، وبذلك يسهل الوصول للحلول.

٢-٣- الأصول والقواعد الرئيسية التي تضبط مسار الحوار؛ بحسب (خالد خطاب)؛ هي كما يلي( ):

٢-٣-١- مادة الحوار:

١- أن تكون مادة الحوار معلومة الهدف واضحة الملامح.

٢- تحليل الموضوع إلى: • مقدمة منطقية (ما الذي تريد أن تطرحه ؟).

• نتيجة (ما هي النتيجة التي ستصل إليها؟).

٣- البعد عن الخوض في الباطل والمراد بالباطل كل معصية.. أن لا تكون فيما يغضب الله..مثل الغيبة و النميمة والحث على الفساد.

٤- أن يكون الحوار بلغة مفهومه بين الطرفين , ويقول ابن مسعود رضي الله عنه (ما أنت محدث القوم حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنةً لبعضهم)

٥- أن تكون في الموضع المناسب والوقت المناسب.

٦- أن يأخذ الحوار المدة التي يستحقها فلا يزيد ولا ينقص.

٧- ألبعد عن المماراة والجدل؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم، عن أبي أمامة الباهلي أنه قال: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً).

٢-٣-٢- صفات المحاور الناجح؛ حتى تكون محاورا ناجحاً يجب عليك الاتصاف والعمل بالوصايا التالية:

١.أخلص نيتك لله: أي إخلاص الحوار لله، ابتغاء مرضاته وطلبا لثوابه.

٢.لا تستطرد: لا تشعّب موضوع المناقشة، فإنه مضيعه للوقت ومباعدة بين القلوب.

٣.كن حنونا: لأن كسب القلوب أهم من كسب الموقف.

٤.جامل ولكن بصدق: جامل الناس تحز رقَّ الجميع ❖ ❖ ❖ رب قيد من جميل وصنيع.

٥.اربط آخر الحديث بأوله.

٦. حاور كل إنسان بما يناسبه شرعاً وعرفاً.

٧.التزم القول الحسن؛ وتجنب منهج التحدي والإفحام؛ فأهم ما يتوجه إليه المُحاور في الحوار، التزام الحُسنى في القول والمجادلة، فالله تعالى يقول: { وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (الإسراء:٥٣) { وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (النحل: ١٢٥). { وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً } (البقرة:٨٣).

٢-٣-٣- صفات المستمع (المنصت):

١.جهز نفسك لعملية الإنصات ولا تشغل نفسك بما يبدد انتباهك لكلام الطرف الآخر.

٢.لا تقاطع المحاور وأعطه فرصه كافيه للتعبير.

٣.حاول أن تفهم كل ما يقوله محدثك، واستفسر عن كل ما تفهمه ولكن في الأوقات المناسبة.

٤.لا تجعل مشاعرك تؤثر في آرائك.

٥.أصغ بهدف الفهم والاستيعاب، وليس بهدف المناقضة والرد.

٦.لا تصدر أحكاما مبكرة بينك وبين نفسك.

وهذه الخصائص والصفات؛ كفيلة بضمان النجاح للمتحاورين مهما اختلفت توجهاتهم وآرائهم.

٢-٤- أصول الحوار عند فضيلة الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد؛ وقد فصلها على النحو التالي( ):

٢-٤-١- سلوك الطرق العلمية والتزامها ومنها:

١. تقديم الأدلة المُثبِتة أو المرجِّحة للدعوى. ٢ . صحة تقديم النقل في الأمور المنقولة.

وفي هذين الطريقين جاءت القاعدة الحوارية المشهورة: (إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مدَّعيّاً فالدليل). وفي التنزيل جاء في أكثر من سورة قوله سبحانه: { قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة:١١١، والنمل: ٦٤). وقوله:{ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي} (الأنبياء: ٢٤)، وقوله تعالى { قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (آل عمران:٩٣).

٢-٤-٢- سلامة كلامِ المناظر ودليله من التناقض؛ فالمتناقض ساقط بداهة؛

ومن أمثلة ذلك ما ذكره بعض أهل التفسير من:

١.وصف فرعون لموسى عليه السلام بقوله: { سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ } (الذاريات: ٣٩).

وهذان الوصفان السحر والجنون لا يجتمعان، لأن الشأن في الساحر العقل والفطنة والذكاء، أما الجنون فلا عقل معه البتة؛ وهذا منهم تهافت وتناقض بيّن.

٢.نعت كفار قريش لآيات محمد صلى الله عليه وسلم بأنها سحر مستمر، كما في قوله تعالى: { وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ } (القمر:٢). وهو تناقض؛ فالسحر لا يكون مستمراً، والمستمر لا يكون سحراً.

٢-٤-٣- ألا يكون الدليل هو عين الدعوى؛ لأنه إذا كان كذلك فهو إعادة للدعوى بصيغ أخرى؛ وعند بعض المُحاورين من البراعة في تزويق الألفاظ وزخرفتها ما يوهم بأنه يُورد دليلاً؛ وواقع الحال أنه إعادة للدعوى بلفظ مُغاير، وهذا تحايل لإطالة النقاش من غير فائدة.

٢-٤-٤- الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مُسلَّمة؛ وهذه المُسَلَّمات والثوابت قد يكون مرجعها؛ أنها عقلية بحتة لا تقبل النقاش عند العقلاء المتجردين؛كحُسْنِ الصدق، وقُبحِ الكذب، وشُكر المُحسن، ومعاقبة المُذنب.أو تكون مُسَلَّمات دينية لا يختلف عليها المعتنقون لهذه الديانة أو تلك...وبالوقوف عند الثوابت والمُسَلَّمات،

والانطلاق منها يتحدد مُريد الحق ممن لا يريد إلا المراء والجدال والسفسطة... ومما يمكن أن يلحق به؛ في الحوار الوطني اليمني؛ هناك ثوابت – من وجهة نظر الباحث لا يجوز المساس بها وأهمها: تحكيم شرع الله، والنظام الجمهوري، والوحدة الوطنية، والديمقراطية (الشورى)... وهذه الثوابت لا يجوز أن تكون محل حوار أو نقاش في مؤتمر الحوار القادم لأنها محسومة، وينبني على هذا الأصل؛ أن الإصرار على إنكار المُسلَّمات والثوابت مكابرة قبيحة، وليس ذلك شأن طالبي الحق.

٢-٤-٥- التجرُّد، وقصد الحق، والبعد عن التعصب، والالتزام بآداب الحوار:

إن إتباع الحق، والسعي للوصول إليه، والحرص على الالتزام؛ وهو الذي يقود الحوار إلى طريق مستقيم لا عوج فيه ولا التواء، أو هوى الجمهور، أو الأتْباع.. والعاقل -فضلاً عن المسلم الصادق- طالبٌ حقٍّ، باحثٌ عن الحقيقة، ينشد الصواب ويتجنب الخطأ... يقول الغزاليّ: (التعاون على طلب الحق من الدّين، ولكن له شروط وعلامات؛ منها أن يكون في طلب الحق كناشد ضالّة، لا يفرق بين أن تظهر الضالّة على يده أو على يد معاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرَّفه الخطأ وأظهره له)(الإحياء ج١)، ومن مقولات الإمام الشافعي المحفوظة: (ما كلمت أحداً قطّ إلا أحببت أن يُوفّق ويُسدّد ويُعان، وتكون عليه رعاية الله وحفظه. وما ناظرني فبالَيْتُ! أَظَهَرَتِ الحجّةُ على لسانه أو لساني).والمقصود من كل ذلك أن يكون الحوار بريئاً من التعصّب خالصاً لطلب الحق، خالياً من العنف والانفعال، بعيداً عن المشاحنات الأنانية والمغالطات البيانيّة، مما يفسد القلوب، ويهيج النفوس، ويُولد النَّفرة، ويُوغر الصدور، وينتهي إلى القطيعة.

٢-٤-٦- أهلية المحاور: من الحق ألا يمنع صاحب الحق عن حقه، وألا يعطى هذا الحق لمن لا يستحقه، كما أن من الحكمة والعقل والأدب في الرجل ألا يعترض على ما ليس له أهلاً، ولا يدخل فيما ليس هو فيه كفؤاً، ومن الخطأ أن يدافع عن الحق:(من كان على الباطل، من لا يعرف الحق، من لا يجيد الدفاع عن الحق، من لا يدرك مسالك الباطل)، إذن، فليس كل أحد مؤهلاً للدخول في حوار صحيح يؤتي نتائج طيبة.

والذي يجمع ذلك: (العلم)؛ فلا بد من التأهيل العلمي للمُحاور، ومن لا يعلم لا يجوز أن يجادل من يعلم، وقد قرر هذه الحقيقة إبراهيم عليه السلام في محاجَّته لأبيه حين قال:{ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً} (مريم:٤٣). ومن البلاء؛ أن يقوم غير مختص ليعترض على مختص؛ فيُخَطِّئه ويُغَلِّطه، وكثير من الحوارات غير المنتجة مردُّها إلى عدم التكافؤ بين المتحاورين، ولقد قال الشافعي رحمه الله: (ما جادلت عالماً إلا وغلبته، وما جادلني جاهل إلا غلبني!).

٢-٤-٧- قطعية النتائج ونسبيَّتها: من المهم في هذا الأصل إدراك أن الرأي الفكري نسبيٌّ الدلالة على الصواب أو الخطأ، والذي لا يجوز عليهم الخطأ هم الأنبياء عليهم السلام فيما يبلغون عن ربهم سبحانه وتعالى. وما عدا ذلك فيندرج تحت المقولة المشهورة (رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي الآخر خطأ يحتمل الصواب)...وبناء عليه؛ فليس من شروط الحوار الناجح أن ينتهي أحد الطرفين إلى قول الطرف الآخر؛ فإن اتفقا على رأي

واحد فهو منتهى الغاية، وإن لم يكن فالحوار ناجح، إذا توصل المتحاوران بقناعة إلى قبول كلٍ من منهجيهما؛ يسوغ لكل واحد منهما التمسك به ما دام أنه في دائرة الخلاف السائغ، وفي تقرير ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: (وكان بعضهم يعذر كل من خالفه في المسائل الاجتهادية، ولا يكلفه أن يوافقه فهمه) ولكن يكون الحوار فاشلاً إذا انتهى إلى نزاع وقطيعة، وتدابر ومكايدة وتجهيل وتخطئة.

٢-٤-٨- الابتعاد عن الأجواء الانفعالية: من عوامل نجاح الحوار أن يتم في الأجواء الهادئة ؛ ليبتعد التفكير فيها عن الأجواء الانفعالية التي تبتعد بالإنسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمل وتفكير، فإنَّه قد يخضع للجو الاجتماعي، ويستسلم لا شعورياً مما يفقده استقلاله الفكري: { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ } ، [سبأ:٤٦]، فاعتبر القرآن اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون خاضعاً للجو الانفعالي العدائي لخصومه؛ لذلك دعاهم إلى الانفصال عن هذا الجو والتفكير بانفراد وهدوء.

٢-٤-٩- التسليم بإمكانية صواب الخصم: ولا بد لانطلاق الحوار من التسليم الجدلي بأنَّ الخصم قد يكون على حق، فبعد مناقشة طويلة في الأدلة على وحدانية الله تأتي هذه الآية من سورة سبأ: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاوَاتِ والأرض قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [سبأ: ٢٤]، فطرفا الحوار سواء في الهداية أو الضلال، ثم يضيف على الفور في تنازل كبير؛ بغية حمل الطرف الآخر على القبول بالحوار: { قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا ولا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ } ، [سبأ: ٢٥]. فيجعل اختياره هو بمرتبة الإجرام على الرغم من أنه هو الصواب، ولا يصف اختيار الخصم بغير مجرد العمل، ليقرر في النهاية أن الحكم النهائي لله: {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ} [سبأ: ٢٦].

٢-٤-١٠- التأكيد على استقلالية كل من المتحاورين ومسؤوليته عن فكره: يتم التأكيد على استقلالية كل ومسئوليته عن نفسه ومصيره: {إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ، قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} ، [الأنعام:١٣٥١٣٤]، وعلى لسان شعيب: {وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ} [هود:٩٣]، {وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ، وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُون } [هود:١٢٢١٢١]، {قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ} [سبأ:٥٠] ، {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ } [الزمر:٣٩-٤٠] ؛ إنها مسئولية فردية لا تداخل فيها: {وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ} [يونس:٤١]، { قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا ولا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ، قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ} .

٢-٤-١١- الرضا والقبول بالنتائج التي يتوصل إليها المتحاورون؛ والالتزام الجادّ بها، وبما يترتب عليها..وإذا لم يتحقق هذا الأصل كانت المناظرة ضرباً من العبث الذي يتنزه عنه العقلاء، يقول ابن عقيل: (وليقبل كل واحد منهما من صاحبه الحجة؛ فإنه أنبل لقدره، وأعون على إدراك الحق وسلوك سبيل الصدق)، ويقول الشافعي رضي الله عنه: ما ناظرت أحداً فقبل مني الحجَّة إلا عظم في عيني، ولا ردَّها إلا سقط في عيني).

٢-٤-١٢- ختم الحوار بهدوء مهما كانت النتائج: إذا سار الحوار جادًّاً وفق هذا المنهج من قبل جميع الأطراف؛ فلا بد أن يصلوا جميعاً إلى ما التزموا به في بداية الحوار من الرجوع إلى الحق وتأييد الصواب، فإذا رفض المحاور الحجج العقلية كأن لم يقتنع بها؛ فإنه بذلك يمارس حقاً أصيلاً كَفِلَه له رب العزة، وسيكون مسئولاً عن ذلك أمام الله تعالى،، وفي هذه الحالة ينتهي الحوار بهدوء كما بدأ دون حاجة إلى التوتر والانفعال:{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ} [هود:٣٥]،{ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} ، [القصص: ٥٥].

□□ #

٢-٥- شروط نجاح الحوار:

مما ينبغي التنبه له؛ أنه لكي ينجح الحوار. أي حوار. ينبغي أن تتوافر له شروط؛ أهمها ما يلي( ):

١- لابد فيه من طرفين أو أطراف متباينة؛ حتى لا يكون مجرد خطاب للذَّات.

٢- الانطلاق من اعتراف كل طرف بالآخر؛ ويبدأ بالاستعداد للانفتاح عليه بتسامح، أي بقبوله كما هو.

٣- أن يقترن الاعتراف بنظرة متكافئة وإرادة مشتركة، مع التقدير والرغبة في تبادل التأثر والتأثير.

٤- ضرورة التفتح والخروج من السكون والانعزال...والابتعاد عن أي توجه يقصد إلى الهيمنة والتسلط.

٥- الاتفاق على حد أدنى من المفاهيم والقيم في البدء.

٦- التوسل بالمعرفة الصحيحة والقدرة على تبادلها بهدوء نفس واتزان فكر، والسعي إلى الإقناع، دون مس بأي طرف أو برد فعله ووجهة نظره، وفي غير ظن بإلغاء الخصوصيات المميزة له.

٧- أن يتم الحوار في نطاق معطيات وآفاق لا تستفز الفكر والشعور، ولا تصدم القيم والمقومات، ولا تعادي الكيان في أبعاده المادية والروحية.

٨- إزالة الخلافات والفوارق، وتجاوز عوامل التناقض، وتقريب الهوة وتقوية الأواصر المشتركة.

٩- جعل جميع الأطراف تشعر بالمساواة، فلاّ يحس أحدها بالدونية أو العجز عن المسايرة والمواكبة. بدءاً من متابعة الحوار إلى القدرة على الأخذ والعطاء، إن لم نقل على التباري والتنافس.

١٠- تحديد الهدف من الحوار، وابتغاء تحقيقه بصدق وثقة وإنصاف، وبالتخطيط له ورسم شروطه وأهدافه ومن يقوم به.

١١- وبالإضافة لما سبق فهناك شروط فنية (منهجية)؛ قابلة للتطبيق على كل أنواع الحوار، ومنها:

١١-١- أن يكون الدافع الرئيسي لجميع أطراف الحوار إظهار الصواب والوصول إلى الحق.

١١-٢- البعد عن الغضب وأسبابه مع الحرص على الاعتدال حتى ينتهي الحوار.

١١-٣- يكون لدى كافّة المتحاورين قدرة على التعبير.

١١-٤- المرونة في الحوار وعدم التشنج. ومن فوائد هذه النقطة اكتساب صفة الحلم.

١١-٥- الإصغاء للطرف الآخر والاستفادة من طرحه وكبت جماح النفس عند الرغبة في الجدال، والعرب تقول: رأس الأدب كله الفهم والتفهم والإصغاء إلى المتكلم.

ويلخصها يحيى غوت، وفويتسيخ هامان في كتابهما احترام الصراع، في النقاط التالية( ):

١- التواصل مع الآخر بشكل فعال وبناء، لا بشكل جارح... وتجنب المواقف العدائية، ومواجهة الانتقادات الموجهة إلينا مواجهة صريحة ومباشرة، وفقا لقاعدة مواجهة المشكلات لا مواجهة الأشخاص؛ (كونوا رحماء على الناس أشداء على المشكلات).

٢- تحديد المصالح المشتركة والصعوبات المشتركة... والبحث عن المصالح المشتركة مهم جدا؛ لأن؛ (ما يلزم الجمع هو ما يشترك الجميع في تأسيسه والاتفاق عليه).

٣- مقاومة الضغط ومحاولات الهيمنة، وذلك عن طريق تجنب ردود الفعل الانفعالية؛ التي قد توظف ضدنا، ثم المواجهة الهادئة والحازمة لتقييمات الآخرين.

# # #

ثالثاً/ عناصر وضوابط وآداب الحوار؛ وما ورد في القرآن والسنة من نماذج حوارية:

٣-١- العناصر الرئيسية لعملية الحوار؛ وتتكون من العناصر الآتية( ):

١.شخصية المتحاورين. ٢. المناخ الحواري. ٣. العلم بموضوع الحوار. ٤. أسلوب الحوار.

٣-٢- الضوابط العلمية للحوار في الإسلام( ):

وهي لا تختلف عن أي ضوابط أخرى تحكم مسار الحوار، وحددها بعض الباحثين في الآتي( ):

١. رد الاختلاف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.
٢. اتباع المنهج الوسط.
٣. التفريق بين القطع والظن في الأدلة.
٤. تجنب القطع في المسائل الاجتهادية.
٥. الاطلاع على خلافات العلماء وأدلة كل منهم.

٦. تحديد المفاهيم والمصطلحات التي يدور حولها النقاش.

٧. النظرة الشمولية.

٨. النظر في المقاصد واعتبار المآلات.

٩. أعمال القلوب مقدمة على أعمال الجوارح.

١٠. الاهتمام بهموم المسلمين.

١١. التعاون في المتفق عليه.

# # #

٣-٣- آداب الحوار:

إن الأخذ بآداب الحوار يجعل للحوار قيمته العلمية، وانعدامها يقلل من الفائدة المرجوة منه للمتحاورين؛ حيث إن بعض الحوارات تنهار قبل أن تبدأ، وذلك لعدم التزام المتحاورين بآداب الحوار، والحوار الجيد لابد أن تكون له آداب عامة، تكون مؤشرا لإيجابية هذا الحوار أو سلبيته، وإن لم تتوافر فيه فلا داعي للدخول فيه، وعند الحوار ينبغي أن تكون هناك آداب لضمان استمراريته؛ ولكي لا ينحرف عن الهدف الذي من أجله كان الحوار، وحتى بعد انتهاء الحوار لابد من توافر آداب من أجل ضمان تنفيذ النتائج التي هي ثمرة الحوار، فكم من حوار كان ناجحا ولكن لعدم الالتزام بالآداب تكون النتائج سلبية على المتحاورين، وهذه الآداب هي من الأخلاق والأسس التي ينبغي أن تتوافر في كل مسلم وليس فقط في المتحاورين. ومن هذه الآداب:

٣-٣-١- إخلاص المحاور النية لله تعالى: فعلى المُحاور أن يوطِّن نفسه، ويُروِّضها على الإخلاص لله، ومن ذلك؛ أن يدفع عن نفسه حب الظهور والتميُّز على الأقران، وإظهار البراعة وعمق الثقافة، والتعالي على النظراء والأنداد. إن قَصْدَ انتزاع الإعجاب والثناء واستجلاب المديح، مُفسد للأمر صارف عن الغاية.

وسوف يكون فحص النفس دقيقاً وناجحاً لو أن المُحاور توجه لنفسه بهذه الأسئلة:

- هل ثمَّت مصلحة ظاهرة تُرجى من هذا النقاش وهذه المشاركة؟.
- هل يقصد تحقيق الشهوة أو إشباع الشهوة في الحديث والمشاركة؟.
- وهل يتوخَّى أن يتمخض هذا الحوار عن نزاع وفتنة؟... ومن الجميل، وغاية النبل، والصدق الصادق مع النفس، وقوة الإرادة، وعمق الإخلاص؛أن تُوقِفَ الحوار إذا وجدْت نفسك قد تغير مسارها ودخلتْ في مسارب اللجج والخصام، ومدخولات النوايا.

٣-٣-٢- توفر العلم في المحاور: قبل أن يدخل المحاور في الحوار لا بد أن يكون لديه العلم بموضوع المحاورة، حتى في الحوار التعليمي، فأحد الطرفين لديه العلم الكافي لدخوله في المحاورة، والطرف الآخر يعرف شيئا

على الأقل عن موضوع المحاورة، فهو لا يأتي للمحاورة وهو خالي الذهن منه. والمحاور لا يحاور في موضوع يجهله بل لابد من أن العلم إلا إذا كان سائلا يهدف الى معرفة الحقيقة والاستفادة منها.

٣-٣-٣- صدق المحاور: إن توافر هذا الأدب في المتحاورين له قيمته الكبيرة في نجاح المحاور فوجود ضد هذه الصفة وهي الكذب يفقد طريق المحاورة أمانتهم ويتطرق الشك في صدقهم، إن اعتماد المحاور الصدق في كلامه يكسبه قوة في محاورته، فكلما تمسك بهذه الصفة كان لهذا الأثر البليغ في إقناع محاوريه بصحة دعواه وسلامة قضيته... والمحاور الصادق يجعل لكل كلمة قيمة واضحة تؤثر فيمن يتحاور أو يستمع له فكل أقواله لها وزنها، وأما لو كان كاذبا في أقواله فإن أغلب كلامه وإن كان ظاهره الصحة فإنه لا يؤخذ به ولا تكون له قيمة عند محاوريه والمستمعين له؛ لأنه فقد المصداقية التي كان يتمتع بها.

٣-٣-٤- الصبر والحلم: إن البعض يضيق صدره بسرعة في المحاورة حتى وإن كان الطرف الآخر لا يخالفه في الرأي، وهذا أمر خطير لأنه لا يتمكن من شرح أو توضيح وجهة نظره، فضلا عن أنه لن يستطيع الدفاع عنها عند المخالفة، ولذا يجب أن يتصف المحاور بالصبر والحلم قبل دخوله في المحاورة.

والصبر في الحوار أنواع منها:

١. الصبر على الحوار ومواصلته. ٢. الصبر على الخصم سيئ الخلق.

٣-الصبر عند سخرية الخصم واستهزائه. ٤. الصبر على شهوة النفس في الانتصار على الخصم.

٣-٣-٥- الرحمة: وهي رقة القلب وعطفه، والرحمة في الحوار لها أهمية؛ فالمحاور حين يتصف بها تجد فيه إشفاقا على من يتحاور معه وميلا إلى إقناعه بالحسنى؛ فهو لا يعد على خصمه الأخطاء للتشفي منه، والرحمة في الحوار تدل على صدق نوايا وسلامة الصدر والمحاور المسلم لا تكون رحمته لمن يحب فقط بل هي شاملة لكل من يراه، والمتحاورون لو نظر كل منهم إلى من يحاوره نظرة رحمة، لتعاطف معه وسعى إلى إقناعه بكل الوسائل الممكنة

والرفق بالمحاور يجعله متقبلا لما يطرح عليه من أفكار، بل قد يرجع بسهولة عن رأيه إذا تبين الخطأ الذي وقع فيه. ولو عومل بشدة لما استجاب، بل سيكابر ويعاند ويصر على الخطأ والباطل الذي كان عليه، وسيلتمس لنفسه المبررات والأعذار في إصراره على ما هو عليه من الخطأ.

٣-٣-٦- تقدير الخصم واحترامه: ينبغي في مجلس الحوار التأكيد على الاحترام المتبادل من جميع الأطراف، وإعطاء كل ذي حق حقه، والاعتراف بمنزلته ومقامه، فيخاطب بالعبارات اللائقة، والألقاب المستحقة، والأساليب المهذبة..إن تبادل الاحترام يقود إلى قبول الحق، والبعد عن الهوى، والانتصار للنفس. أما انتقاص الآخرين وتجهيلهم فأمر مَعيب مُحرّم. ولا ينافي ذلك النصح، وتصحيح الأخطاء بأساليبه الرفيعة وطرقه الوقورة، فالتقدير والاحترام غير المَلَقِ الرخيص، والنفاق المرذول، والمدح الكاذب، والإقرار على الباطل. ومما يتعلق بهذه الخصلة الأدبية أن يتوجه النظر وينصرف الفكر إلى القضية المطروحة ليتم تناولها بالبحث

والتحليل والنقد والإثبات والنَّقص بعيداً عن صاحبها أو قائلها، كل ذلك حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية؛ طابعها الطعن والتجريح والعدول عن مناقشة القضايا والأفكار إلى مناقشات التصرفات، والأشخاص، والشهادات، والمؤهلات والسير الذاتية.

٣-٣-٧- التواضع: الإنصاف والعدل لهما معنى واحد في هذا الأدب، وأكثر المحاورات تفقد قيمتها عند انعدام هذا الأدب، فبعض المتحاورين يغفلون عن هذا الأمر؛ مما يجعلهم لا يصلون إلى ما يرجون من نتائج.

٣-٣-٨- التزام القول الحسن، وتجنب منهج التحدي والإفحام؛ ومن أهم ما يتوجب على المُحاور؛ التزام الحُسنى في القول والمجادلة، ففي محكم التنزيل: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (الإسراء:٥٣)، { وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (النحل: ١٢٥(،} وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً }(البقرة: ٨٣)، فحق العاقل اللبيب طالب الحق، أن ينأى بنفسه عن أسلوب الطعن والتجريح والسخرية، وألوان الاحتقار والاستفزاز، ومن لطائف التوجيهات الإلهية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الباب، الانصراف عن التعنيف في الردّ على أهل الباطل، حيث قال الله لنبيه: { وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (الحج ٦٩٦٨:)وقوله: { وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ{،(سبأ:٢٤). مع أن بطلانهم ظاهر، وحجتهم داحضة. على أن هناك بعض الحالات الاستثنائية التي يسوغ فيها اللجوء إلى الإفحام وإسكات الطرف الآخر؛ وذلك فيما إذا استطال وتجاوز الحد، وطغى وظلم وعادى الحق، وكابر مكابرة بيِّنة، وفي مثل هذا جاءت الآية الكريمة: } وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } (العنكبوت: ٤٦(،} لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِم){النساء: ١٤٨(، ففي حالات الظلم والبغي والتجاوز، قد يُسمح بالهجوم الحادّ المركز على الخصم وإحراجه، وتسفيه رأيه؛ لأنه يمثل الباطل، وحَسَنٌ أن يرى الناس الباطل مهزوماً مدحوراً.

٣-٣-٩- الالتزام بوقت محدد في الكلام؛ ينبغي أن يستقر في ذهن المُحاور ألا يستأثر بالكلام، ويستطيل في الحديث، ويسترسل بما يخرج به عن حدود اللباقة والأدب والذوق الرفيع.

يقول ابن عقيل في كتابه فن الجدل: (وليتناوبا الكلام مناوبة لا مناهبة، بحيث ينصت المعترض للمُستَدِلّ حتى يفرغ من تقريره للدليل، ثم المُستدِلُّ للمعترض حتى يُقرر اعتراضه، ولا يقطع أحد منهما على الآخر كلامه وإن فهم مقصوده من بعضه)، والطول والاعتدال في الحديث يختلف حسب الظروف والأحوال؛ فالندوات والمؤتمرات تُحدَّد فيها فرص الكلام؛ فينبغي الالتزام بذلك؛ والندوات واللقاءات في المعسكرات والمنتزهات قد تقبل الإطالة أكثر من غيرها، لتهيؤ المستمعين. وقد يختلف ظرف المسجد عن الجامعة أو دور التعليم الأخرى.

وقد ترجع أغلب أسباب الإطالة في الكلام ومقاطعة أحاديث الرجال إلى ما يلي:

١- إعجاب المرء بنفسه. ٢-حبّ الشهرة والثناء. ٣. ظنّ المتحدث أن ما يأتي به جديد على الناس ٤. قِلَّة المبالاة بالناس في علمهم ووقتهم وظرفهم...والذي يبدو أن واحداً منها إذا استقر في نفوس السامعين كافٍ في صرفهم، وصدودهم ومللهم، واستثقالهم لمحدِّثهم...ومما لفت نظر الباحث المناظرة بين مرشحي الرئاسة الأمريكية(أوباما& رومني)؛ حيث كان الوقت يتوزع على كل منهما بالثواني؛ ناهيك عن الأدب في الطرح – رغم حدة المنافسة بينهما-وهو ما ينقصنا في كثير من حواراتنا.

٣-٣-١٠- حسن الاستماع والإنصات وتجنب المقاطعة: فكما يطلب الالتزام بوقت محدد في الكلام، وتجنب الإطالة قدر الإمكان، فيطلب حُسن الاستماع، واللباقة في الإصغاء، وعدم قطع حديث المُحاور. ومن الخطأ أن تحصر همَّك في التفكير فيما ستقوله، ولا تُلقي بالاً لمُحدثك ومُحاورك، وقد قال الحسن بن علي لابنه، رضي الله عنهم أجمعين: (يا بنيّ إذا جالست العلماء؛ فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلَّم حُسْنَ الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على أحد حديثاً – وإن طال – حتى يُمسك). ويقول ابن المقفع: (تَعلَّمْ حُسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام؛ ومن حسن الاستماع: إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه، والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول). ولا بدّ في الحوار الجيِّد من سماع جيِّد؛ والحوار بلا حُسْن استماع هو (حوار طُرْشان) كما تقول العامة، كل من طرفيه منعزل عن الآخر.

٣-٣-١١- حصر المناظرات في مكان محدود: يذكر أهل العلم أن المُحاورات والجدل ينبغي أن يكون في خلوات محدودة الحضور؛ قالوا: وذلك أجمع للفكر والفهم، وأقرب لصفاء الذهن، وأسلم لحسن القصد، حيث إن في حضور الجمع الغفير ما يحرك دواعي الرياء، والحرص على الغلبة بالحق أو بالباطل.

ومما استدل به على ذلك قوله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا } (سبأ: ٤٦). قالوا: لأن الأجواء الجماهيرية والمجتمعات المتكاثرة تُغطي الحق، وتُشوِّش الفكر، والجماهير في الغالب فئات غير مختصة؛ فهي أقرب إلى الغوغائية والتقليد الأعمى، فَيَلْتَبِسُ الحق، أما حينما يكون الحديث مثنى وفرادى وأعداداً متقاربة يكون أدعى إلى استجماع الفكر والرأي، كما أنه أقرب إلى أن يرجع المخطئ إلى الحق، ويتنازل عما هو فيه من الباطل أو المشتبه.

٣-٤- نماذج من الحوارات القرآنية وفي عصر صدر الإسلام؛

٣-٤-١- حوار الله مع الملائكة: وقد حكى لنا القرآن الكريم صوراً مختلفة للحوار، كحوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة وهو الجبار المنتقم ذو القوة المتين القادر على إنهاء الخلاف كما يجب وكما يريد؛ ولكنه سبحانه وتعالى حاورهم وتقبل منهم ما حاوروه فيه، وإن كان فيه ما يشبه الإنكار والاعتراض أحياناً على الله في ظاهر اللفظ؛ كما في قول الملائكة لله سبحانه وتعالى: }أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ{ (البقرة: ٣٠)، وكان هذا رداً منهم على الله حينما قال لملائكته: } إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً{(البقرة: ٣٠).

٣-٤-٢- حوار الله مع الشيطان: وقد حاور الله جل جلاله الشيطان الرجيم؛ كما ورد في سورة الأعراف؛ (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (١٠) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨). وفي سورة الحجر يقول الله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦(وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤){ . وهنا يستطيع المسلم أن يستنبط عشرات الدروس العملية في الحوار مع المخالف، مهما بعدت أو تعددت الفوارق بين المتحاورين.

٣-٤-٣- حوار الله للأنبياء والبشر: وفي حوار الله مع الأنبياء تبرز حقيقة الإعجاز الإلهي في الآتي:

٣-٤-٣-١- حوار الله لإبراهيم عليه السلام؛ يذكر الله قصة إبراهيم عليه السلام؛ إذ سأل الله تعالى أن يريه كيفية إحياء الموتى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (البقرة: ٢٦٠).

٣-٤-٣-٢- حوار الله لموسى عليه السلام؛ وهو أقرب حوار في القرآن الكريم لما دار مع خليل الله. يقول الله تعالى {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا

أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) (الأعراف: ١٤٣-١٤٤).

٣-٤-٣-٣- حوار الله مع عباده؛ تبرز حقيقة العدل الإلهي، حيث ورد في الآية الكريمة: {قال ربِ لمَ حشرتني أعمى وقد كُنتُ بصيراً؟ قال كذلك أتتكَ آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى} (طه: ١٢٥).

٣-٤-٤- محاورة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعتبة بن ربيعة ( )؛ يروى ابن هشام في السيرة أن عتبة بن ربيعة جلس إلى رسول الله ، فقال له: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السِطَة -المكانة- في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها .فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قل يا أبا الوليد أسمع، فقال له عتبة ما قال حتى إذا فرغ قال له: أوقد فرغت يا أبا الوليد؟. قال نعم. قال: فاسمع مني، قال: أفعل. فأخذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتلو عليه من سورة فصلت، حتى انتهى إلى الآية موضع السجدة منها وهي الآية (٣٧) سجد، ثم قال لعتبة: قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذلك، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بوجه غير الوجه الذي ذهب به، وطلب عتبة إليهم أن يدعوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وشأنه، فأبوا وقالوا له: سحرك يا أبا الوليد بلسانه. والشاهد هنا هو أدب الحوار وسماع رسول الله لعتبة حتى فرغ من كلامه، ثم قرأ عليه وهو يسمع.

٣-٤-٥- مناظرة ابن عبّاس للخوارج ( ): عن عبد الله بن المبارك قال: حدّثنا عكرمة بن عمار، حدثنا سماك الحنفي قال: سمعت ابن عباس يقول: قال علي: لا تقاتلوهم (أي الخوارج) حتى يخرجوا فإنهم سيخرجون، قال: قلت: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة فإني أريد أن أدخل عليهم فأسمع من كلامهم وأكلمهم، فقال: أخشى عليك منهم، قال: (أي ابن عباس) وكنت رجلا حسن الخلق لا أوذي أحدا. قال: فلبست أحسن ما يكون من الثياب اليمنية، وترجلت ثم دخلت عليهم وهم قائلون: فقالوا لي: ما هذا اللباس؟ فتلوت عليهم القرآن: (قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) (الأعراف: ٣٢) وقلت: ولقد رأيت رسول الله يلبس أحسن ما يكون من اليمنية. فقالوا: لا بأس، فما جاء بك؟ فقلت: أتيتكم من عند صاحبي، وهو ابن عم رسول الله وصاحبه، وأصحاب رسول الله أعلم بالوحي منكم، وفيهم نزل القرآن، أبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم، فما الذي نقمتم؟ فقال بعضهم ناهيا: إياكم والكلام معه، إن قريشا قوم خصِمون، قال الله عز وجل: (بل هم قوم خصِمون) (الزخرف:٥٨). وقال بعضهم كلّموه، فانتحى لي منهم رجلان أو ثلاثة، فقالوا: إن شئت تكلمت وإن شئت تكلمنا. فقلت: بل تكلموا. فقالوا: ثلاث نقمناهن عليه: جعل الحكم إلى الرجال وقال الله: (إن الحكم إلا الله) (الأنعام: ٥٧)، فقلت: قد جعل الله الحكم من أمره إلى الرجال في ربع درهم؛ في الأرنب، وفي المرأة وزوجها (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) (النساء: ٣٥).فالحكم في رجل وامرأته والعبد أفضل، أم الحكم في الأمة يرجع بها ويحقن دماؤها، ويلم شعثها؟ قالوا: نعم.

قالوا: وأخرى؛ مجانفة أن يكون أمير المؤمنين، فأمير الكافرين هو؟. فقلت لهم: أرأيتم إن قرأت من كتاب الله عليكم، وجئتكم به من سنة رسول الله(ص) أترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: قد سمعتم أو أراه قد بلغكم أنه لما كان يوم الحديبية جاء سهيل بن عمرو إلى رسول الله فقال النبي لعلي: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » فقالوا: لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك. فقال رسول الله لعلي: «امح يا علي» أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قال: وأما قولكم: قتل ولم يسب، ولم يغنم (أي في معركة الجمل وصفين) أفتسبون أمكم، وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟! فإن قلتم: نعم، فقد كفرتم بكتاب الله، وخرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين...وكلما جئتهم بشيء من ذلك أقول: أفخرجت منها؟ فيقولون: نعم. قال: فرجع منهم ألفان وبقي ستة آلاف.

فهؤلاء قوم أشهروا سيوفهم للقتال، واستحلوا دماء مخالفيهم، لكنهم مع ذلك حين جودلوا بالحق استجاب كثير منهم، وحينما ذكّروا بالقرآن تذكروا، وحينما دعوا إلى الحوار استجابوا بقلوب منفتحة، فأين المسلمون اليوم؛ واليمنيون-على وجه الخصوص-لاستفادة الدروس العملية من هذه المواقف المؤثرة؟!

# # #

□ **رابعاً/ بعض صور الحوار ومعوقاته:**

٤-١- أهم صور وأنواع الحوار؛ يتنوع الحوار تبعاً لهدف ومقصد المتحاورين منه، ولعل من أهمها( ):

٤-١-١- العدمي التعجيزي: ويتسم فيه المحاور برؤية السلبيات والأخطاء والعقبات فقط.

٤-١-٢- المناورة (الكر والفر): ويكون هم المحاور وشغله هو التفوق اللفظي من أجل إثبات الذات.

٤-١-٣- المزدوج: وهذه الصورة تأخذ شكل حوار تورية ظاهر غير الباطن لإرباك المحاور.

٤-١-٤- الطريق المسدود: وفيه يتم إعلان المحاور تمسكه برأيه ولن يقتنع بغيره مطلقاً؛ فقناعته الداخلية (لا داعي للحوار فلن نتفق).

٤-١-٥- السلطوي (اسمع واستجب): ويقوم على إلغاء الطرف الآخر مطلقاً وعليه السمع والطاعة فقط.

٤-١-٦- السطحي: يعتمد على قاعدة(لا تقترب من الأعماق فتغرق) وغالبا يتم في أمورعمومية لا جوهرية.

٤-١-٧- الحوار الإلغائي/ التسفيهي: يعتمد على قاعدة ومبدأ أساسي (كل ما عداي خطأ)؛ فرأي المحاور هو الصحيح دائماً ورأي الآخر خطأ.

٤-١-٨- البرج العاجي: ويتم في أمور لا تمت لموضوع الحوار بل من أجل إبراز الحذاقة والتميز للمحاور.

٤-١-٩- = الموافق: يوافق أحدهما على كل ما يقال-دون تمحيص-فيلغي حقه في الحوار لحساب الآخر.

٤-١-١٠- = المعاكس؛ يلجأ المحاور إلى السير في اتجاه مضاد للمحاور الآخر(أنا ضدك دائماً).

٤-١-١١- = العدوان السلبي: وفيه يصمت المحاور صمتاً سلبياً عناداً وتجاهلاً لكيد الطرف المحاور.

٤-١-١٢- استطلاعي فضولي: ويهدف الحوار فيه إلى معرفة ما يملكه الطرف الآخر من معلومات وأفكار.

٤-١-١٣- جدلي عقيم؛ وفيه يهدف الحوار إلى إفحام المحاور فقط، والتغلب عليه ولو بالخروج عن الأدب.

٤-١-١٤- التناصح والتشاور: يهدف إلى تقديم النصح والتوجيه والإرشاد للآخر؛ مع مراعاة أدب الحوار.

٤-١-١٥- الإقناع: لإقناع الآخر بوجهة نظر أو بمنتج معين، وغالباً يأخذ طابعاً سياسياً أو تجارياً استهلاكياً.

٤-١-١٦- التفاوض: يكون في قضية مشتركة بين المتحاورين؛ فيتحاورون تحاوراً تفاوضياً فيما بينهما.

٤-١-١٧- التعارف: يهدف للتعارف-خصوصا في السفر-لقضاء الوقت حتى موعد المغادرة أو الوصول.

٤-١-١٨- حوار الملوك والرؤساء: يتم وفقاً لبرتوكولات رسمية، وبآداب تحاور الرؤساء والملوك أثناء لقاءاتهم.

٤-٢- أنواع الحوار تبعا لموضوعاته؛ وقد يتنوع الحوار حسب موضوعاته وأهمها؛ الحوار( ):

٤-٢-١- الوطني؛ ويجري بين كافة أبناء المجتمع لمناقشة قضايا تهم شرائح المجتمع.

٤-٢-٢- الديني؛ للتعرف على بعض تعاليم الدين أو دعوة آخرين للدخول فيه.

٤-٢-٣- الاقتصادي؛ ويعنى بالجوانب الاقتصادية أو المؤسسات الاقتصادية.

٤-٢-٤- التربوي؛ يهتم بالشأن والأفكار التربوية وتصحيح المفاهيم الخاطئة.

٤-٢-٥- الأمني؛ يهتم بالأمن ومواضيع الجريمة وتحقيق الخدمات الأمنية.

٤-٢-٦- السياسي؛ يناقش القضايا السياسية والاتفاقيات والمعاهدات بين الدول.

٤-٢-٧- الاجتماعي؛ لمناقشة القضايا الاجتماعية؛ الرسمية والأهلية.

٤-٢-٨- الرياضي؛ لنشر الأفكار والمعلومات والقوانين الجديدة وغيرها.

٤-٢-٩- التلقائي؛ قد يبدأ فجأة وتنقطع، وغالباً لا يركز على موضوع محدد ولا يتوصل إلى نتائج محددة.

٤-٣- معوقات الحوار عامة، والحوار الوطني بوجه خاص:

هناك معوقات عامة قد تحول دون نجاح أي حوار – مهما كان موضوعه-ويجب التنبه لها حرصا على نجاح الحوار، والتغلب عليها؛ ومنها( ):

٤-٣-١- كثرة المتطلبات والمشاغل الحياتية نتيجة ضغوط العمل وأعباء الحياة النفسية والاجتماعية.

٤-٣-٢- ضعف الالتزام بالأسلوب المهذب والآداب المطلوبة في الحوار.

٤-٣-٣- تأثر الفرد بالبيئة التي نشأ فيها؛ وعدم قدرته على التخلص من المواقف المسبقة.

٤-٣-٤- التمسك بالرأي والتعصب له وضيق الأفق، مع غياب التربية الحوارية في المؤسسات التربوية.

٤-٣-٥- التربية السلطوية والدكتاتورية للأفراد التي تؤدي غياب الشورى بين أفراد ومؤسسات المجتمع.

٤-٣-٦- قلة الوقت وقلة الحصيلة العلمية للأفراد.

٤-٣-٧- غياب ثقافة الحوار؛ كالاعتقاد بعدم جدوى الحوار وعدم الإحساس بقيمته.

٤-٣-٨- عدم الثقة في النفس، مع عدم تفهم كل طرف للطرف الآخر.

٤-٣-٩- غياب الخبرة في الموضوعات الحوارية.

٤-٣-١٠- الخوف والخجل من التحدث أمام الناس.

٤-٣-١١- قلة المعرفة بالأساليب الحوارية ونقص المهارات والآداب والفنيات الحوارية لدى الفرد.

٤-٣-١٢- محاورة الآخرين بثقة زائدة في النفس واعتداد بالرأي والتعصب له؛ وفي نفس الوقت نصمهم بالنقص والعيوب، ونحملهم وزر تصرفاتنا؛ مما يزيد عمق الخلاف بيننا وبينهم.

٤-٣-١٣- التركيز على اكتشاف الزلات والأخطاء وتكبيرها وتصيد الأخطاء الآخرين وتضخيمها.

٤-٣-١٤- جرح مشاعر وأحاسيس الآخرين والطعن في أفكارهم والتشكيك في مصداقيتها.

٤-٣-١٥- المراء، مع عدم القناعة بالتعددية والاختلاف.

٤-٣-١٦- عدم وجود قواسم مشتركة بين المتحاورين.

٤-٤- بعض معوقات الحوار الوطني في اليمن؛ وبالإضافة لما سبق وبخصوص الحوار الوطني في اليمن، والمقرر أن يبدأ بتاريخ (١٨/٠٣/٢٠١٣)، يظهر لمن يتابع مختلف الأطراف؛ تباين في وجهات النظر حول الجهات والعوامل الموضوعية التي قد تعيق الحوار الوطني القادم؛ يمكن حصرها في الآتي( ):

٤-٤-١- تداخله مع عملية نقل السلطة والتسوية السياسية.

٤-٤-٢- ضعف دور الأطراف الوطنية أمام دور الأطراف الإقليمية والدولية.

٤-٤-٣- التنظيم والإجراءات؛ ويتعلق بالجوانب الفنية وحداثة التجربة التي قد يعتريها بعض الاختلالات.

٤-٤-٤- ألشمول والتمثل؛ وذلك لوجود مناطق وفئات تشعر بغيابها أو ضعف تمثيلها في المؤتمر.

٤-٤-٥- ألتوافق؛ أي الخوف من عدم التوافق؛ نتيجة لغياب المرجعية، وتمسك بعض الأطراف بمواقفها.

وحسب الجهات التي قد تمثل عائقا – ألغاما مزروعة في طريق الحوار الوطني ؛تحول دون نجاح الحوار الوطني- واستنادا للمتابعات واستطلاعات الآراء التي تجريها وسائل الإعلام-يمكن حصرها في الآتي( ):

١- الحراك المسلح في الجنوب (خصوصا جناح البيض)، والذي يرفض الحوار؛ بدعم خارجي وخصوصا من إيران، إضافة إلى تعدد رؤوس الحراك، وتغليب الأهواء على العمل الموحد.

٢- جماعة الحوثي ومن يرتبط بها؛ ممن يطلقون على أنفسهم (أنصار الله)؛ والتي تؤكد أدبياتها الفكرية وممارساتها التوسعية على الأرض؛ أن الحوار لديها مجرد تكتيك وقتي؛ وليس استراتيجية تؤمن الجماعة بجدواها؛ حيث يرون أن لآل البيت وحدهم الحق الإلهي في الحكم دون غيرهم، وزاد من تأثيرها حالة التحالف بينها وبين الحراك المسلح في الجنوب، وارتباطها بالمشروع الإيراني في المنطقة، والتي تحرص على إشاعة الفوضى في الجزيرة العربية برمتها.

٣- الجماعات والأحزاب الليبرالية ومن يرتبط بها من القوى الغربية ومنظمات المجتمع المدني؛ التي تمولها هيئات ومنظمات دولية، تعمل على نشر قيم مبادئ تعارض الدين الإسلامي ومبادئ وقيم المجتمع اليمني.

٤- النظام السابق وأنصاره؛ والذي بدت ملامح تحالفات مشبوهة مع الحوثيين والحراك المسلح.

وبالإضافة لما سبق-فترى الجماعات السالفة الذكر-أن الخطر على الحوار الوطني يأتي من جهة الأطراف الأخرى وعلى رأسهم:

٥- الأحزاب الإسلامية والجماعات الدينية والقبلية المسلحة التي تتخوف القوى الأخرى من سيطرتها وفرض رؤيتها على الحوار مسبقاً.

٦- القاعدة ومن يقف وراءها من القوى التي تعمل على إشاعة الفوضى وإضعاف الاستقرار، وتتجلى في التفجيرات، والاعتداءات المتكررة على خطوط الكهرباء وأنابيب النفط.

ومن وجهة نظر الباحث-فإن الخطر الأكبر؛ الذي قد يعيق الحوار الوطني، يتمثل في؛

٧- غياب الثقة بين مختلف مكونات الحوار، وضعف هيبة الدولة المركزية وتشتت ولاءها، مع بقاء الجيش منقسما؛ حيث لا تزال معظم وحداته دون دمج كلي.

٨- غياب الجدية والعزم الأكيد على إنجاح الحوار، سواء من بعض المتحاورين أو من بين الدول الشقيقة-رعاة المبادرة-والذين يبدو أن بعضها لا تمتلك رؤية واضحة لمستقبل اليمن، رغم ما يقدمونه من دعم سخي لحكومة الوفاق، ومشاريع التنمية في اليمن.

٩- الهيمنة والتدخل الأمريكي في الشأن اليمني؛ بمنع تنظيم القاعدة ومن يرتبط بهم من أنصار الشريعة؛ إلا بشرط التخلي عن السلاح، إضافة إلى العلماء ومشايخ قبائل اليمن، من المشاركة في الحوار؛ وكل ذلك يمثل تحديات ستواجه مقررات الحوار الوطني مستقبلا.

???

٤-٥- مواضيع الحوار الوطني في اليمن: نشرت بعض المواقع الإلكترونية مشاريع مقترحة لمحاور وموضوعات الحوار؛ كما يلي( ):

٤-٥-١- القضية الجنوبية:(أ-جذورها، ب-محتواها، ج-سبل معالجتها، د-ضمان عدم تكرار ما حدث)

٤-٥-٢- قضية صعدة: أ-جذورها، ب-محتواها، ج-سبل المعالجة، د-ضمان عدم تكرار ما حدث).

٤-٥-٣- قضايا ذات بعد وطني: أ-قضايا النازحين وسبل معالجتها، ب-استرداد الأموال والأراضي المنهوبة في الداخل والخارج، ج-مكافحة الإرهاب.

٤-٥-٤- المصالحة الوطنية والعدالة الانتقالية: أ-الصراعات السياسية السابقة والانتهاكات الحقوقية المرتبطة بها. ب-قضايا وحقوق المخفيين قسراً، ج-انتهاكات حقوق الإنسان في العام ٢٠١١م.

٤-٥-٥- بناء الدولة: أ-هوية الدولة، ب-شكل الدولة، ج-نظام الحكم في الدولة، د-النظام الانتخابي، هـ-السلطة التشريعية، و-السلطة القضائية، ز-النظام الإداري.

٤-٥-٦- الحكم الرشيد: أ-سيادة القانون، ب-توازن السلطة والمسئولية، ج-تطبيق المسائلة والمحاسبة والشفافية. د-تحقيق العدل والمساواة، ة-محاربة ظاهرة الفساد، و-تكافؤ الفرص بين المواطنين، ز-توسيع المشاركة الشعبية، ح-كفاءة الإدارة العامة، ط-دور منظمات المجتمع المدني، ي-دور الأحزاب، ك-أسس السياسة الخارجية.

٤-٥-٧- أسس بناء الجيش والأمن: أ-أسس بناء الجيش وطنياً ومهنياً، ب-توافق إعادة هيكلة الجيش مع الأسس، ج-دور المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية، د-مؤسسة الأمن كهيئة مدنيةخدمية.

٤-٥-٨- استقلالية الهيئات ذات الخصوصية: أ-الخدمة المدنية، ب-الإعلام، ج-الأوقاف، د-الواجبات الزكوية، هـ- حقوق الإنسان(شبة رسمية)، و-دار الإفتاء، ز-الأجهزة الرقابية.

٤-٥-٩- الحقوق والحريات: أ-حقوق وحريات عامة (السياسية -المدنية-الاقتصادية-الاجتماعية-الثقافية — الفكرية)، ب-حقوق وحريات خاصة(المرأة-الشباب-الطفل-المهمشين-ذوي الاحتياجات الخاصة-المغتربين-الأقليات-النازحين واللاجئين).

٤-٥-١٠- التنمية الشاملة والمتكاملة والمستدامة: أ-التنمية الاقتصادية، ب-التنمية البشرية، ج-التنمية الثقافية، د-التنمية التعليمية، هـ-التنمية الصحية، و-الاجتماعية، ز-السياسية، ح-دور الدولة والقطاع الخاص ومنظمات المجتمع والأفراد بالتنمية، ط-ترشيد استخدام الموارد، ي-الدعم الخارجي للتنمية.

٤-٥-١١- قضايا اجتماعية وبيئية وخاصة: أ-الثأر، ب-السلاح، ج-الجماعات المسلحة خارج القانون، د-القات، هـ-زواج الصغيرات، و-التنوع والتسامح، ز-المياه والبيئة.

٤-٥-١٢- لجنة صياغة الدستور: أ-معايير العضوية والتمثيل، ب-طريقة الاختيار، ج-تحديد مهامها وعملها.

٤-٥-١٣- ضمانات تنفيذ مخرجات الحوار ونجاحها: أ-تشكيل لجنة من المؤتمر لمتابعة تنفيذ المخرجات، بسلطة مجلس النواب المنتخب في المتابعة والرقابة ومسئولية الحكومة الجديدة في التنفيذ، ج-الشراكة الوطنية طويلة الأمد، د-ميثاق شرف، هـ-ضمانات أمنية.

ورغم عدم الاتفاق بشكل نهائي على هذه الموضوعات؛ يرى آخرون؛ أنه قد تم تعمد إغفال موضوعات رئيسية مهمة لكل اليمنيين، وأهمها: "بسط نفوذ الدولة على كل جزء في اليمن، وسيادة القانون، وتوفير الأمن والاستقرار، ومحاربة الفاسدين، وإعادة هيكلة الجيش والأمن بمعايير وطنية بعيدا عن التدخل الأجنبي، وإصلاح المنظومة الانتخابية؛ بتصحيح سجلات الناخبين، وتشكيل لجنة عليا للانتخابات تمثل كل أبناء اليمن، وإعداد قانون انتخابي بأفضل المعايير، ومحاربة الفقر والبطالة، وتوفير فرص العمل، والسعي نحو التنمية وتحقيق الاكتفاء الذاتي واستقلال القضاء، وهذه الأولويات هي محل اتفاق أبناء الشعب اليمني، والذي قام بالثورة لأجلها"( ). وتجدر الإشارة إلى أن موضع هيكلة الجيش والأمن، قد تم الشروع في هيكلتهما، بتعاون خبراء دوليين.

# # #

خامساً/ خاتمة وخلاصة تحليلية مع توصيات ومقترحات البحث؛

٥-١- خاتمة؛ تبين لنا من استعراض مفردات نزهة الناظر في أصول الحوار وآداب المحاور؛ أن الحوار في المرحلة الراهنة أصبح ضرورة ووسيلة لغاية وطنية ومصيرية لكل اليمنيين، ويقتضي نسيان الفوارق الحزبية والمذهبية والمناطقية وتجاوز الممارسات الخاطئة والمواقف العدائية، التي عانى اليمنيون الكثير منها وما زالوا يعانون، وعلينا أن نتقدم بخطوات سريعة في طريق التقارب، متجاوزين هوات التباعد، ومبدين كامل الاستعداد لطي ملف ماضي الصراع والمعاداة، وفتح صحائف جديدة ننظر فيها إلى مستقبل واعد ومشرق للجميع، ولن تواجه المخاطر إلا بتكاتف جميع القوى؛ والبدء بالتوافق عبر الحوار تحت قيم الدين الحنيف، ومبادئ الديمقراطية والعدالة الاجتماعية التي من شأنها أن تحد من تفشي المظالم وتضع حدا للنزاعات المستشرية بين الأخوة؛ أبناء الشعب الواحد، أو تخفف منها على الأقل.

وحتى يحقق الحوار أهدافه، فإن على المتحاورين أن يتعلموا أصول وآداب وفنون الحوار، ويبتعدوا عن سلبيات ومعوقات الحوار، وأن يتعدى الحوار مجرد تبادل الأحاديث، وأن يتجسم في لقاءات يتأكد فيها الاحتكاك المباشر، ويتضح إلقاء مختلف وجهات النظر مهما تكن متعارضة، لتستخرج منها المبادىء والقيم الموحدة، وبهذا يصبح الحوار هو الوسيلة المثلى للوصول إلى الحق.

٥-٢- خلاصة تحليلية: من المفيد أن نلخص هذا البحث على شكل منهجية التحليل (SWOT)؛ لغايات التخطيط الاستراتيجي؛ ويمكن تفصيل مختلف المؤثرات في الحوار؛ (نقاط القوة والضعف، على مستوى البيئة الداخلية، والفرص والتهديدات على مستوى البيئة الخارجية؛ وعلاقة كل منهما بالآخر من خلال الشكل التوضيحي التالي( ):

يتبين من الشكل بعالية؛ أن التحليل شامل للبيئة الداخلية بما تتضمنه من نقاط قوة ونقاط ضعف، وتحليل البيئة الخارجية؛ بما تتضمنه من فرص متاحة يجب استغلالها، ومخاطر وتهديدات يلزم الحذر منها والحد من آثارها على الحوار، وجميعها تساعد على تكوين الرؤية المتوقعة(تصور مبدئي لمخرجات الحوار)، وتفرض الرؤية تحديد الرسالة؛ أي (المهام) والالتزامات الواجب القيام بها من مختلف الأطراف لتحقيق الرؤية، وفي ضوء ذلك يلزم تحديد أهداف على مختلف المستويات والأزمنة(قصيرة-متوسطة-طويلة الأجل)، وحشد كافة الموارد والإمكانات – المادية والبشرية والمالية- ووضع تصور مسبق لمختلف الاحتمالات المتوقعة، وفق سيناريوهات (تفاؤلي-عادي-تشاؤمي)، وبذلك نضمن استراتيجية مرنة قابلة للتنفيذ.

٥-٣- توصيات ومقترحات البحث: في ضوء ما سبق فمن التوصيات التي يوصى بها لإنجاح الحوار:

٥-٣-١- تعزيز ثقافة الحوار بين عموم الشعب اليمني؛ وبين المشاركين في الحوار على وجه خاص، عبر مختلف الوسائل الإعلامية، وخصوصا القنوات والصحف الكتيبات والنشرات.

٥-٣-٢- وضع معايير واضحة بخصوص آداب وقواعد وشروط وضوابط الحوار؛ يلتزم بها جميع المتحاورين، مع الاتفاق المسبق على قواعد عقابية متدرجة وصارمة بحق المخالفين لها.

٥-٣-٣- أعتماد القرآن الكريم وصحيح السنة مرجعية دائمة لفصل الخلاف بين المتحاورين.

٥-٣-٤- فتح قنوات تواصل مجتمعية (استطلاعات رأي، دراسات ميدانية، شبكة التواصل الاجتماعي، البريد الالكتروني، بريد عادي، قنوات تلفزيونية، لقاءات جماهيرية، محاضرات، ندوات...الخ)، وذلك للاستفادة من آراء جماهير الشعب وخصوصا المتخصصين والمثقفين والشباب؛ في الداخل والخارج؛ الذين يمكنهم إضافة وابتكار رؤى جديدة؛ من شأنها التوصل لحلول مرضية لجميع أطراف الحوار.

٥-٣-٥- التسريع بإعادة هيكلة الجيش والأمن، وبسط سلطة الدولة على كل الأرض اليمنية؛ وتوفير الخدمات الضرورية للمناطق الأكثر حرمانا من المشاريع الخدمية.

٥-٣-٦- الاستفادة من تجارب وخبرات الدول الأخرى في حل الخلافات السياسية والمجتمعية رغم الاختلافات الدينية واللغوية والتباين العرقي؛ إلا أنها تمكنت من بناء دول قوية وحديثة.

- كما يقترح الباحث: تفعيل دور القضاء للبت في الخصومات بين الأفراد والجماعات، ومحاكمة الفاسدين والعابثين بمقدرات البلد، وتفعيل دور أجهزة الرقابة الرسمية والشعبية؛ لتعطي انطباعا وتزيد ثقة الشعب بالمستقبل، وتعزيز قوات الأمن بالمحافظات والمديريات التي تعاني من غياب الأمن والاستقرار.

وأخيراً؛ آمل أن تفيد موضوعات البحث في جمع قلوب كل اليمنيين على كلمة سواء، مع رجاء التماس العذر عن أي قصور أو أخطاء قد تعتري أي جهد بشري، وإن أحسنت فبفضل الله وتوفيقه، وإن أسأت فمن نفسي والشيطان..والله ولي الهداية والتوفيق.

قائمة المراجع:

١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(د. ت) معجم المقاييس في اللغة. حققه شهاب الدين أبو عمرو. بيروت/ لبنان. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢. أبو خليف، محمد (٢٠١١): تعريف الحوار. الرابط بالنت: http://mawdoo3.com/.

٣. - البوليني، يحيى (١٤٣٢هـ): حوار النبي صلى الله عليه وسلم... خلق عال ودعوة رابحة. موقع المسلم نت. المشرف العام: ناصر بن سليمان العمر. الرابط: http://www.almoslim.net/node/153864.

٤. الجراري، عباس (د.ت): الحوار من منظور إسلامي. المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم. الرباط: المغرب. الرابط بالنت: http://www.google.com/search?q =1024&bih=545.

٥. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (٢٠٠٤): مختار الصحاح. طبعة جديدة محققة. بيروت. المكتبة العصرية.

٦. آل عطية، عبد الله (٢٠٠٩):مفهوم الوطنية والتأصيل الشرعي. موقع المعهد العلمي في محافظة جدة. الرابط بالنت: http://mahadj.net/inf/articles.php?action=show&id=46 / تاريخ/ ٠٣/٠٣/٢٠١٣.

٧. القاسم، عبد الله بن خالد (١٤٢٦هـ): الحوار في الإسلام. الرابط بالنت: http://www.google.com/search?hl=0 HsQ1QIoAQ&biw=1024&bih=5

٨. اللجنة الفنية للإعداد والتحضير لمؤتمر الحوار الوطني الشامل (٢٠١٢): مشروع النظام الداخلي لمؤتمر الحوار الوطني الشامل (ضوابط الحوار). موقع يمن تودي نت. الرابط بالنت: http://www.yementoday.net/12-24-00/7730-2012-11-05-23-48-44.html.

٩. الندوة العالمية للشباب الإسلامي (١٤١٦هـ): في أصول الحوار. ط (٤).

١٠. بن حميد، صالح بن عبد الله (د.ت): أصول الحوار وآدابه في الإسلام. موقع صيد الفوائد. الرابط بالنت: http://www.saaid.net/mktarat/m/13.htm.

١١. حسن، أحمد أبو زيد (٢٠١١): تعريف الحوار ومفرداته. الرابط بالنت: http://www.hrdiscussion.com/hr27167.html.

١٢. خطاب، خالد (د.ت): أدب الاختلاف في الإسلام. شرائح عرض باوربوينت الأرقام (٦٧, ٥٠,٥١,٥٢). الرابط http/ moodle.up.edu.ps/moodledata/174/week_1-_鬧.ppt.

١٣. عبد الباسط، حسين محمد أحمد (د.ت): مهارات الحوار/ دورة فن الحوار والنقاش. شرائح عرض باوربوينت. شريحة رقم (٣٣). العنوان: www.hussainbaset.com.

١٤. فرج، خليل إبراهيم (د.ت): الحوار في القرآن الكريم- آدابه وفضائله. الرابط بالنت: http://www.google.com/search?hl=ar&tbo= 1024&bih=545.

١٥. فوزية، شراد (٢٠٠٧): الحوار والتواصل عند يورغن هابرماس. مجلة عالم التربية. العولمة وحوار الحضارات والثقافات. العدد١٧. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

١٦. كامل، عمر بن عبد الله (د.ت):آداب الحوا ر وقواعد الاختلاف. بحث مقدم إلى:المؤتمر العالمي حول موقف الإسلام من الإرهاب.جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرابط بالنت: http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/di-06082011.pdf

١٧. مسرحي، فارس (٢٠٠٧): الإسلام والغرب في زمن العولمة. مجلة عالم التربية. العولمة وحوار الحضارات والثقافات. العدد١٧. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

١٨. مكتب التربية العربي لدول الخليج (٢٠٠٨): نشر ثقافة الحوار لدى العاملين في المؤسسات التعليمية " المادة العلمية معا لنتحاور". مكتب الآفاق المتحدة الاستشاري. الرابط بالنت:

.http://www.google.com/search?hl=ar&tbo=d&noj=1&biw=1024&bih=545&q.serp.D-Y1dAfupTc

١٩. هيئة علماء اليمن (٢٠١٣)؛ بيان هيئة علماء اليمن حول مؤتمر الحوار الوطني. صحيفة الوسط اليمنية. صنعاء: يوم الخميس: ٢٦/ ٠٣/ ١٤٣٤هـ الموافق: ٠٧/ ٠٢/ ٢٠١٣م. الرابط : -http://www.alwasat

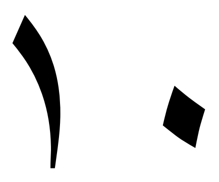
ye.net/?ac=3&no=35259&d_f=36&0&t=5&lang_in=Ar تاريخ /٢٠١٣/٠٢/.٢٦

٢٠. يحيى، ناصر (٢٠١٢): مؤتمر الحوار الوطني.. تحديات وصعوبات. موقع اللجنة التحضيرية للحوار الوطني. مقال موثق بتاريخ/ ٢٠١٢-١١-١٦ الرابط بالنت: http://www.hewar-ye.com/subject/view/438 تاريخ/ ٢٠١٣/٠٣/٠٣م.

فاعلية استخدام الموديولات التعليمية في تنمية مهارة تصنيف الأهداف السلوكية لدى طلاب السنة الثانية في كلية التربية صعدة في الجمهورية اليمنية

د/ حسين علي حسين الجلحوي -أستاذ المناهج وطرائق التدريس المساعد -كلية التربية صعدة – جامعة عمران

د/ فؤاد محمد سعد سيلان -أستاذ المناهج وطرائق التدريس المساعد -كلية التربية صعدة – جامعة عمران



الملخص

هدف البحث إلى التعرف على فاعلية استخدام الموديولات التعليمية في تنمية مهارة تصنيف الأهداف السلوكية لدى طلاب السنة الثانية في كلية التربية صعدة في جامعة عمران في الجمهورية اليمنية .

تكونت عينة البحث من (٤١) طالباً ، تم اختيارهم بصورة عشوائية من بين طلاب الأقسام الأدبية والعلمية في السنة الثانية في كلية التربية صعدة ، ثُم طُبِّق عليهم اختبارٌ تحصيليٌ بعديٌ بلغ عدد فقراته (٢٠) فقرة من نوع الاختيار من متعدد ، بعد عرضه على مجموعة من المحكمين للتأكد من صدقه الظاهري، واستُخرج ثباته بواسطة معاملة ارتباط (بيرسون) وصُحِّح من خلال معادلة (سبيرمان براون) وقد بلغ(٠,٩١).

وبعد إجراء المعالجات الإحصائية المناسبة، توصل البحث إلى نتيجة مفادها :

وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (∞ = ٠,٠٥) بين درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستخدام الموديولات التعليمية وطلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا باستخدام الطريقة التقليدية في التطبيق البعدي للاختبار التحصيلي في تنمية مهارة تصنيف الأهداف السلوكية، ولصالح المجموعة التجريبية .

١. مقدمة :

يتسم العصر الحالي بالانفجار المعرفي الكبير نتيجة للعولمة والتقدم العلمي والتكنولوجي في شتى مجالات الحياة وجوانبها المختلفة، وإتاحة المعلومات والمعارف والمهارات من خلال شبكة المعلومات الدولية (الانترنت). لذلك كان لزاماً على المؤسسات التربوية والتعليمية أن تواكب هذا التقدم وتستوعبه.

وقد أصبحت هناك اتجاهات علمية وتعليمية تنادي بضرورة تفريد التعليم والتأكيد على مبدأ التعليم الذاتي (غنيم وشحاته، ٢٠٠٨: ٤١) .

وتظهر أهمية التعليم الذاتي في أنَّه يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين، ويشجعهم على الإبداع والابتكار، ويساعد على حل مشكلة تزايد أعداد الطلاب على مقاعد الدراسة وتدني مستوى التحصيل الأكاديمي لدى الطلاب ومعالجة مشكلة نقص المعلمين ، وتطوير عملية التعليم والتعلم وإيصال المعرفة إلى كل فرد بالطريقة التي تتناسب وقدراته واحتياجاته . (غباين، ٢٠٠١: ٤٤٤٣) .

لذلك اتجه واضعوا المناهج المدرسية وبخاصة في الدول المتقدمة إلى بناء المناهج المختلفة في ضوء الموديولات التعليمية (غنيم وشحاته، ٢٠٠٨: ٤١)، وعن طريق هذه الموديولات (وحدات تعليمية صغيرة) يتم تنويع مصادر التعلم وأساليبه والمواقف التعليمية ، بحيث تؤدي إلى تهيئة مجالات الخبرة للمتعلم بالتفاعل مع عناصر الموقف التعليمي وبذلك يمكن أن يحقق أهدافاً تعليمية محددة ويصل إلى مستوى الأداء المطلوب لكل هدف من هذه الأهداف .

وتتيح الموديولات التعليمية الفرصة لكل طالب لكي يتعلم الجزء من المادة الدراسية التي تتناولها الموديولات حسب قدراته، وسرعته الخاصة في التعلم. ولا ينتقل الطالب إلى دراسة جزء تالٍ من المادة الدراسية إلا بعد أن يتقن تعلم الجزء السابق، وتوفر الموديولات المحتوى والخبرات التعليمية والأنشطة المتنوعة والبدائل التي يختار منها الطالب ما يناسبه لدراسة المحتوى وتعلمه بما يتلاءم مع ظروفه وقدراته (الشربيني والطناوي، ٢٠٠٦:" ٤٧) .

وقد أدت جهود التربويين الذين نادوا باستخدام الموديولات التعليمية إلى انتشار استخدامها في مدارس التعليم الثانوي، وفي الكليات الجامعية منذ بداية السبعينات بصورة كبيرة. وأشار هوكنز إلى أن ٧٥٪ من الكليات الجامعية في ((سان فرانسيسكو)) تستخدم الموديولات التعليمية في التدريس، كما أن استخدامها في المدارس والجامعات أصبح يشكل الركيزة الأساسية لبرامج التعليم فيها. (الشربيني والطناوي، ٢٠١١ : ٣٩).

ولأهمية الموديولات التعليمية فقد أجرى عدد من الباحثين دراسات حول أثرها في بعض جوانب العملية التربوية كدراسة (الشافعي ١٩٨٦) ودراسة (فراج ١٩٨٧) ودراسة (مجلي ٢٠٠٠) ودراسة (نوار ٢٠٠٦) ودراسة (العجماوي ٢٠٠٨) .

وجاء هذا البحث للكشف عن فاعلية الموديولات التعليمية في تنمية مهارات تصنيف الأهداف السلوكيةالتي تتميز بأنها تعمل على تنظيم الموقف التعليمي وتوجيهه، وتساعد على اختيار الخبرات وطرائق التدريس والوسائل التعليمية والأنشطة المصاحبة ووسائل التقويم – حيث تفتقر البيئة التعليمية اليمنية إلى مثل هذه البحوث .

٢. مشكلة البحث :

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على السؤال الآتي :

ما فاعلية استخدام الموديولات التعليمية في تنمية مهارة تصنيف الأهداف السلوكية لدى طلاب السنة الثانية في كلية التربية صعدة في جامعة عمران الجمهورية اليمنية ؟

٣. أهمية البحث :

تتجلى أهمية البحث من خلال الآتي :

٣-١- إبراز القيمة التربوية، والفائدة التعليمية للأهداف السلوكية وما يترتب عليها من أثر كبير في تنظيم المواقف الصفية وتوجيهها وتقويمها، وذلك للإسهام في الارتقاء بالعملية التعليمية وتحسينها .

٣-٢- الحاجة الملحة إلى تطوير طرائق التدريس وأساليبه في الجامعات اليمنية بصورة خاصة ومدارس التعليم الأساسي والثانوي بصورة عامة، لمواكبة التطورات العلمية والتربوية والتكنولوجية .

٣-٣- تأكيد ضرورة الاهتمام بالتعليم الفرديالذي يفسح المجال للطالب، لاكتساب الخبرات وتحصيل المعارف والمهارات بنفسه تحت إشراف المعلم وتوجيهه بدل الاعتماد على الطرائق التي تؤكد دور المعلم وفاعليته وسلبية الطالب وتلقيه .

٣-٤- دور الموديولات التعليمية في تنمية مهارة التعرف على الأهداف السلوكية وتصنيفها لدى طلاب كلية التربية .

٣-٥- التركيز على أهمية تأهيل المعلمين في كليات التربية وتدريبهم على مواقف تعليمية مناسبة وإطلاعهم على ما يستجد وذلك للاستفادة منه مستقبلاً .

٣-٦- يعد هذا البحث – في حدود معرفة الباحثين – أول بحث في الجمهورية اليمنية تناول معرفة أثر الموديولات التعليمية في تنمية مهارة تصنيف الأهداف السلوكية لدى طلاب كليات التربية في الجامعات اليمنية، التي تفتقر إلى مثل هذه البحوث .

٤. فرضية البحث :

انبثق عن مشكلة البحث الفرضية الآتية :

ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (∞ = ٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستخدام الموديولات التعليمية وطلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا باستخدام الطريقة التقليدية في التطبيق البعدي للاختبار التحصيلي في تنمية مهارة تصنيف الأهداف السلوكية .

٥. هدف البحث :

يهدف البحث إلى التعرف على فاعلية استخدام الموديولات التعليمية في تنمية مهارة تصنيف الأهداف السلوكية لدى طلاب السنة الثانية في كلية التربية صعدة في جامعة عمران الجمهورية اليمنية .

٦- حدود البحث :

اقتصر البحث الحالي على الحدود الآتية :

٦-١- الموديولات التعليمية .

٦-٢- طلاب السنة الثانية في الأقسام الأدبية والعلمية في كلية التربية صعدة -جامعة عمران للفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ٢٠١٢/٢٠١١م .

٦-٣- أداة البحث (اختبار تحصيلي) من إعداد الباحثَين .

٧- منهج البحث :

اعتمد الباحثان في الوصول إلى نتائج البحث على المنهج التجريبي، الذي يتلاءم مع طبيعة البحث وهدفه ويتناسب مع فرضيته، إذ يتميز البحث التجريبي بأن عملية جمع البيانات تجرى تحت ظروف ضبط مقننة تشمل التحكم الموجه بالظروف التي تؤدي إلى تغيرات أو وقائع ، وتقنين عمليات المشاهدة والتفسير لهذه التغيرات (الكيلاني والشريفين، ٢٠٠٧: ٣١) .

واتبع الباحثان تصميماً تجريبياً هو تصميم المجموعة الضابطة مع قياس بعدي، إذ يتضمن هذا التصميم اختيار مجموعتين عشوائياً بحيث تعد إحداهما تجريبية للمعالجة التجريبية، والمجموعة الأخرى ضابطة لا تخضع للمتغير التجريبي ، ثم يجرى قياس بعدي، ويتخذ هذا التصميم الشكل الآتي :

تصميم المقارنة باستخدام مجموعة ضابطة (الضمد، ٢٠٠٢: ١٥٣)

وتضمنت متغيرات البحث الآتي :

-المتغير المستقل : الموديولات التعليمية .

- المتغير التابع : الأهداف السلوكية .

٨- مصطلحات البحث :

٨-١- الموديولات التعليمية :

يُعرِّف أبو الحمائل الموديول التعليمي بأنه : « عبارة عن وحدة تعلم صغيرة، تقوم على مبدأ التعلم الذاتي وتفريد التعليم، وتتضمن هذه الوحدة أهدافاً محددة، وخبرات تعليم مقننة، يتم تنظيمها في تتابع منطقي لمساعدة المتعلم على تحقيق الأهداف وتنمية مهاراته وفقاً لمستويات الإتقان المحددة مسبقاً وبحسب سرعته الذاتية» (أبو الحمائل، ٢٠٠٥: ٧٨) .

وتعرف الموديلات التعليمية إجرائياً بأنها : وحدات دراسية مصغرة، يتم تصميمها، لتساعد طلاب السنة الثانية في كلية التربية على اكتساب معارف ومهارات التعرف على الأهداف السلوكية وتصنيفها، وفق قدراتهم واستعداداتهم وسرعتهم الخاصة ، وبما يؤدي إلى تحقيق الأهداف التربوية .

٨-٢- الأهداف السلوكية :

يعرف عبدالسلام طويلة الهدف السلوكي بأنه : « عبارة أو جملة تصف نوع السلوك الذي سيتخرج به الطلاب بعد انتهاء عملية التدريس » (طويلة، ١٩٩٧: ٢٥) .

ويعرفه إبراهيم والكلزة بأنه : « وصف للتغير المتوقع حدوثه في سلوك المتعلم نتيجة لتزويده بالخبرات التعليمية وتفاعله مع المواقف التعليمية المحددة » (إبراهيم والكلزة، ١٩٩٠: ٦٥) .

ويتبنى الباحثان التعريف الأخير كتعريف إجرائي للأهداف السلوكية.

٩- الإطار النظري :

٩-١- مفهوم الموديول التعليمي :

عرف المربون الموديول التعليمي بتعريفات متعددة من أهمها :

تعريف الكسباني بأنه : «وحدة تعليمية مصغرة محددة ضمن مجموعة متكاملة ومتتابعة من الوحدات التعليمية التي تكوّن في مجموعها برنامجاً تعليمياً يُعْرَفُ بالرزمة التعليمية، وهذه الوحدات تضم مجموعة من البدائل (أنشطة تعليمية) تساعد الطالب على تحقيق أهداف تعليمية محددة بجهده الذاتي وحسب قدرته وسرعته الخاصة وتحت إشراف المعلم وتوجيهه ، ويتفاوت الوقت اللازم لإتقان الوحدة وفقاً لأهدافها ومحتواها »(الكسباني، ٢٠٠٨ : ٨٤) .

٩-٢- خصائص الموديول التعليمي :

للموديول التعليمي خصائص متعددة من أهمها :

- يعد الموديول التعليمي وحدة تعليمية متكاملة ومترابطة ذاتياً .
- يراعي الموديول التعليمي الفروق الفردية بين المتعلمين، إذ يتعلم كل طالب وفقاً لقدرته وسرعته الخاصة في التعلم .
- يمتاز الموديول التعليمي بقدرته على الترابط الرأسي مع موديولات أخرى لمعالجة موضوعات معينة .
- تتسم الموديولات التعليمية بقدرتها على التطوير المستمر من خلال الإضافة أو الحذف كلما تطلب الأمر ذلك .
- تحقق الموديولات التعليمية التكامل الأفقي بين المواد الدراسية المختلفة .
- يمكن استخدام الموديولات لتدريب المعلمين أثناء الخدمة لتزويدهم بمهارات معينة مصممة في صورة موديولات .

- تسهم الموديولات في عملية التقويم الذاتي، إذ يتعرف الطالب على مستواه عن طريق مقارنة إجابته بالإجابة النموذجية في الموديول .
- يحقق الموديول مبدأ التعلم من أجل الإتقان إذ أن انتقال الطالب للموديول التالي مرهون بإتقانه للموديول السابق .
- تصلح الموديولات التعليمية لكل مراحل التعليم الجامعي والثانوي .
- يتيح المنهاج الموديولي الفرصة أمام الطلاب للتعلم الإلكتروني .
- تنظيم الموديول التعليمي يجعل منه برنامجاً متكاملاً ابتداءً من تعليمات دراسة الموديول،ومروراً بأهدافه وختاماً بالتقويم . (غنيم وشحاته، ٢٠٠٨: ٤٣٤٢) .

٩-٣- مكونات الموديول التعليمي :

يتكون الموديول التعليمي من المكونات الآتية :

- عنوان الموديول :

يعكس عنوان الموديول الفكرة الرئيسة للوحدة المراد تعلمها ويعالج كل موديول تعليمي عادة فكرة رئيسة واحدة . لذلك يجب أن يكون العنوان واضحاً ومحدداً .

- الأفكار الثانوية للموديول :

هي ناتجة عن تجزئة الفكرة الرئيسة للموديول إلى مجموعة من الأفكار الثانوية التي تدور حولها الأنشطة التعليمية المختلفة. وتعد الأفكار الثانوية نقاط انطلاق لدراسة الفكرة الرئيسة للموديول .

- إرشادات وتوجيهات للمتعلم :

يفضل أن يتم تقديم إرشادات وتوجيهات للمتعلم ، لكي تساعده على دراسة الموديول التعليمي وتتعلق هذه الإرشادات بكل مكون من مكونات الموديول، وتوضح للطالب هدف كل مكون وكيفية التعامل معه، لتحقيق أفضل النتائج المرجوة من عملية التعلم، وعدم اللجوء إلى المعلم إلا في أضيق الحدود .

- مقدمة الموديول :

تكتب بأسلوب جذاب وتوجه لكل من المعلم والمتعلم لتعطي فكرة عامة عن موضوع الموديول وتعرف بأهم مكوناته، بهدف إثارة اهتمام المتعلم لدراسة الموديول، لذلك يمكن تضمينها مجموعة من الأسئلة التي تثير دافعية المتعلم لتعلم الموديول، وتعمل على زيادة انتباهه له .

- الأهداف السلوكية :

يجب أن تكون هذه الأهداف واضحة ومختصرة، وتصف السلوك النهائي المتوقع من المتعلم، لذلك فإنه من الضروري أن تصاغ بصورة يفهمها المتعلم وتتناسب مع قدراته، وعادة ما تعكس هذه الأهداف مجالات التعلم المختلفة سواءً أكانت معرفية أو نفس حركية أو وجدانية .

- الاختبار القبلي :

الغرض الأساسي من الاختبار القبلي هو : تحديد ما إذا كان المتعلم يحتاج إلى تعلم الوحدة الجديدة أم لا، وذلك عن طريق قياس مدى إلمامه بموضوع الموديول. فوظيفة الاختبار القبلي تتمثل في قياس مستوى المتعلم قبل بدء التعلم .

- مفتاح تصحيح الاختبار القبلي :

هو عبارة عن ورقة إجابة الاختبار القبلي موضحاً عليها الإجابة الصحيحة لكل سؤال من أسئلة الاختبار ودرجته، ويمكن أن يستخدمه المتعلم في تصحيح إجاباته عن أسئلة الاختبار بنفسه وحساب الدرجات التي يحصل عليها .

- محتوى الموديول التعليمي :

يفضل عند عرض المحتوى تقسيمه إلى عناصر وأفكار ثانوية واضحة، تساعد المتعلم على استيعابها بسهولة ويسر، ويجب تقديم المحتوى في صور متنوعة وأشكال مختلفة بالاستعانة بأكثر من مرجع، حتى يتناسب مع قدرات المتعلمين واستعداداتهم وميولهم .

- الأنشطة التعليمية :

يشتمل الموديول على مجموعة من الأنشطة التي تتيح للمتعلم أن يختار من بينها ما يتناسب مع قدراته وإمكاناته واهتماماته بما يساعد على تحقيق الأهداف المرجوة .

- الوسائل التعليمية :

يتضمن الموديول وسائل تعليمية متنوعة حتى يتمكن المتعلم من اختيار ما يتناسب مع ميوله واتجاهاته ورغباته وقدراته .

- مصادر التعلم الأخرى :

يحتوي الموديول قائمة بالمراجع والمصادر التي يمكن للمتعلم الرجوع إليها، لتعميق وزيادة فهمه للموضوع .

- ألاختبار البعدي :

بعد دراسة الموديول يعطى للمتعلم اختباراً بعدياً يمكن من خلاله تقويم مدى تحقق الأهداف، ويكون هذا الاختبار هو الاختبار القبلي نفسه . (الشربيني والطناوي، ٢٠١١: ٨٣-٩٠) .

٩-٤- مميزات استخدام الموديول التعليمي :

تتمثل أهم مميزاته في الآتي :

- يساعد استخدام الموديول التعليمي في علاج مشكلة الانفجار المعرفي التي يتصف بها هذا العصر، بصورة أكثر فاعلية من غيره من أشكال تفريد التعليم الأخرى، لأنه يركز على التعلم الذاتي والدراسة المستقلة ويعمق لدى المتعلمين الاتجاه نحو التعلم المستمر مدى الحياة .
- يعمل الموديول التعليمي على زيادة نشاط الطالب وفاعليته، إذ يقوم الطالب بعدة أنشطة تعليمية مختلفة أثناء دراسته للموديول .

- يعد أسلوب الموديولات التعليمية من أساليب التعليم الفردية غير الشكلية التي لا تتطلب تفرغ المتعلم ، وبذلك فهو من أنسب الأساليب لإعداد المعلمين أثناء الخدمة (الشربيني، الطناوي، ٢٠٠٦: ٦١) .

١٠- الدراسات السابقة :

قام الباحثان بإجراء مسح للدراسات (بحوث، رسائل ماجستير ودكتوراه) فيما هو متوافر من مصادر –حاولا فيه التعرف على أثر أو فاعلية الموديولات التعليمية في التعليم أو التدريب. وكذلك الدراسات التي تم بناء برامجها وفق الموديولات. بغية الكشف عن أهدافها والتعرف على إجراءاتها والاستفادة من نتائجها، وهي كالآتي :

١٠-١- دراسة الشافعي (١٩٨٦) :

هدفت إلى التعرف على مدى فعالية الموديول في تدريس الكيمياء بهدف الإتقان وتنمية التفكير العلمي لتلاميذ الصف الثاني الثانوي .

وقد أسفرت هذه الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مستوى تلاميذ المجموعة التجريبية ومستوى تلاميذ المجموعة الضابطة في إتقان تحصيل الكيمياء وكذلك اختبار التفكير العلمي لصالح المجموعة التجريبية .

١٠-٢- دراسة فراج (١٩٨٧) :

هدفت إلى قياس مدى فعالية استخدام طريقة الموديولات التعليمية في تدريس العلوم كاتجاه معاصر في التعليم الفردي لدى تلاميذ الصف السابع من مرحلة التعليم الأساسي وقد بلغت عينة الدراسة (٣٣) طالباً للمجموعة التجريبية و(٣٠) طالباً للمجموعة الضابطة. وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي الدرجات التي حصل عليها أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة عند مستوى (∞= ٠,٠١) في القياس البعدي في اختبار التحصيل لصالح أفراد المجموعة التجريبية .

١٠-٣- دراسة عزب وآخرون (١٩٩٣) :

هدفت إلى تصميم موديولات لتعليم صياغة الأهداف التعليمية في تدريس الرياضيات من خلال مستويات بلوم الستة ومعرفة فعالية استخدام هذه الموديولات في تنمية مهارات صياغة الأهداف التعليمية لدى طلاب شعبة الرياضيات في كلية التربية .

وأظهرت الدراسة وجود فروق جوهرية دالة إحصائياً بين متوسطي مجموعتي الدراسة عند مستوى (∞=٠,٠١) لصالح المجموعة التجريبية وذلك في مهارات صياغة الأهداف في مستويات التذكر والفهم والتطبيق والتحليل والتركيب .

١٠-٤- دراسة مجلي (٢٠٠٠) :

هدفت إلى معرفة أثر استخدام الموديولات في تنمية التربية العملية لتلاميذ الحلقة الثانية من التعليم الأساسي لمواجهة بعض المشكلات الحياتية. وأسفرت الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى

(∞= ٠,٠١) بين المجموعتين التجريبية والضابطة في اختبار المواقف والاختبار التحصيلي، لصالح المجموعة التجريبية، وكذلك وجود اتجاهات إيجابية لتلاميذ المجموعة التجريبية نحو أسلوب التعلم بالموديولات .

١٠-٥- دراسة نوار (٢٠٠٦) :

استهدفت تقصي فعالية استراتيجية مقترحة قائمة على استخدام أسلوبي الموديولات والبرنامج الكمبيوتري في تنمية المهارات الفنية والأمنية لدى معلمي العلوم بمرحلة التعليم الأساسي داخل مختبرات العلوم .

وأسفرت الدراسة عن وجود تأثر دال إحصائياً عند مستوى (∞= ٠,٠٥) لأسلوب التعلم الذاتي (الاستراتيجية المقترحة القائمة على استخدام بعض أساليب التعلم الذاتي معاً) وهما: أسلوبي الموديولات والبرنامج الكمبيوتري في تنمية المهارات الفنية والأمنية لدى معلمي العلوم بداخل المختبر .

١٠-٦- دراسة العجماوي (٢٠٠٨) :

هدفت إلى التعرف على مدى فعالية برنامج مقترح لتنمية بعض مهارات استخدام الانترنت في تدريس الدراسات الاجتماعية لدى الطلاب المعلمين بكليات التربية، وقد تَكَوَّنَ هذا البرنامج من أربعة موديولات تعليمية تهدف إلى تنمية مهارات استخدام التصفح والبحث والبريد الإلكتروني وبرامج المحادثة في تدريس الدراسات الاجتماعية.

وخلصت الدراسة إلى نتائج من أهمها :

- إعادة النظر في مناهج وأساليب إعداد معلم الدراسات الاجتماعية في كليات التربية في ضوء المستحدثات التربوية .
- ضرورة تخطيط محتوى إعداد المعلم بكليات التربية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة ومتطلبات التعليم الإلكتروني .
- يجب تدريب المعلمين على استخدام أسلوب التعلم الذاتي .

١٠-٧- دراسة محمد وحسن (٢٠٠٩) :

هدفت إلى دراسة فاعلية الموديولات التعليمية المصممة في اكتساب بعض المفاهيم الفنية والمهارات الأدائية الخاصة بمكملات الملبس (حقيبة اليد) لدى طالبات المرحلة الجامعية .

وتوصلت الدراسة إلى فاعلية الموديولات التعليمية في اكتساب طالبات الفرقة الثانية بقسم الملابس والنسيج لبعض المفاهيم الفنية والمهارات الأدائية الخاصة بمكملات الملابس (حقيبة اليد)، لصالح التطبيق البعدي .

١٠-٨- التعليق على الدراسات السابقة :

يلاحظ من الدراسات السابقة اتفاقها حول :

- أهمية الموديولات التعليمية وجدواها في التعليم والتدريب .
- تأكيدها على قيمة التعليم الفردي وفائدته .

وهذا يتفق مع البحث الحالي ، بَيْدَ أنه يتميز عن هذه الدراسات بأنه حاول التعرف على أثر الموديولات التعليمية في تنمية مهارة تصنيف الأهداف السلوكية، وهو من البحوث والدراسات الجديدة في البيئة التربوية اليمنية – حسب علم الباحثَيْن .

١١- إجراءات البحث :

١١-١- مجتمع البحث :

اشتمل مجتمع البحث على جميع طلاب السنة الثانية في الأقسام الأدبية والعلمية في كلية التربية – صعدة – جامعة عمران ، للعام الدراسي ٢٠١١/٢٠١٢م ، البالغ عددهم (٣٢٣) طالباً .

١١-٢ عينة البحث :

تُعَرَّفُ العينة: بأنها أنموذج يشتمل جانباً أو جزءاً من وحدات المجتمع الأصلي المعني بالبحث-تكون ممثلة له – بحيث تحمل كل صفاته المشتركة، وهذا الأنموذج يغني الباحث عن دراسة كل وحدات المجتمع الأصلي ومفرداته، خاصة في حالة صعوبة أو استحالة دراسة كل تلك الوحدات، ويتم اختيار العينة عادة وفق أسس وأساليب علمية متعارف عليها (قنديلجي، ٢٠٠٨ : ١٧٩) .

وقد اختار الباحثان عينة بحثهما ، وقاما بتوزيعها عشوائياً إلى مجموعتين، إحداهما تجريبية (تدرس باستخدام الموديولات التعليمية) ، بلغ عدد أفرادها (٢١) طالباً ، والأخرى ضابطة (تدرس بالطريقة التقليدية) ، بلغ عدد أفرادها (٢٠) طالباً ، والجدول الآتي يوضح ذلك :

جدول رقم (١) يوضح عينة البحث

المجموعة	القسم		المجموع
	أدبي	علمي	
تجريبية	١٠	١١	٢١
ضابطة	٨	١٢	٢٠

١٢-٣- ضبط متغيرات البحث :

تعد عملية ضبط متغيرات البحث من القضايا المهمة والضرورية لا سيما في الأبحاث التجريبية، إذ أن العامل أو المتغير التابع يتأثر بعوامل متعددة غير العامل التجريبي، ولذلك لا بد من ضبط هذه العوامل وإتاحة المجال للمتغير التجريبي وحده بالتأثير على المتغير التابع، حتى لا تتأثر نتائج البحث سلبا أو إيجاباً (عبيدات وآخرون، ١٩٩٢: ٢٤٦-٢٤٧) .

ومن أجل ذلك حرص الباحثان على ضبط المتغيرات قبل البدء في إجراءات التجربة للحصول على نتائج صادقة ودقيقة، وذلك في الآتي :

١٢-٣-١/ متغير العمر والخبرة :

يلتحق بالسنة الجامعية الثانية الطلاب وهم في العمر الزمني ما بين (٢٠-٢٢) سنة ، وبما أن العمر والخبرة قد يؤثران على نتائج البحث فقد استبعد الباحثان الطلاب الراسبين في مقرر المناهج وكذلك الطلاب المعيدين في نفس المستوى الدراسي .

١٢-٣-٢/ متغير المستوى الاجتماعي والثقافي :

اختار الباحثان عينة البحث من طلاب في مستوى واحد وكلية واحدة وأحياء متقاربة لضمان التجانس بين أفراد العينة .

١٢-٤- متطلبات البحث :

قام الباحثان بإعداد مجموعة من الموديولات التعليمية بلغ عددها (٥) موديولات في مجال الأهداف السلوكية (مفهومها، أهميتها، خصائصها، شروطها، أنواعها ومستويات كل نوع) ، وقد روعي في ذلك المراحل والشروط الواجب اتباعها في بناء الموديولات ، وعرضت على مجموعة من الخبراء للحكم على صلاحيتها ومناسبتها، ثم أجريت التعديلات اللازمة عليها، وبذلك أصبحت صالحة للتطبيق .

١٢-٥- أداة البحث (بناءها، وصدقها) :

تمثلت أداة البحث في اختبار تحصيلي بعدي، أعده الباحثان من خلال تحليل محتوى وحدة الأهداف السلوكية في مقرر المناهج. التي تتضمن مفاهيم وحقائق ومهارات، ثم أعدا جدول مواصفات لذلك، وقد تكونت فقرات الاختبار التحصيلي في صورتها الأولية من (٢٣) فقرة، من نوع الاختبارات الموضوعية، نمط الاختيار من متعدد .

وتم التأكد من صدق الاختبار، بعرضه على مجموعة من الخبراء لبيان آرائهم ومقترحاتهم في مدى صدق فقرات الاختبار ومناسبتها ودقتها ووضوحها وسلامة بنائها وصياغتها، وفي ضوء ملاحظاتهم أعيدت صياغة بعض الفقرات وحذفت فقرات أخرى، واستخدمت النسبة المئوية معياراً لقياس صلاحية الفقرات وملائمتها لمستوى الطلاب ، وعدت الفقرة صادقة إذا حصلت على نسبة موافقة (٨٠٪) أو أكثر من آراء الخبراء والمحكمين، ثم أصبحت الفقرات بشكلها النهائي (٢٠) فقرة .

١٢-٦- التجربة الاستطلاعية :

قام الباحثان بتطبيق الاختبار التحصيلي على عينة استطلاعية مكونة من (٣٠) طالباً من طلاب السنة الثانية في الأقسام الأدبية والعلمية في كلية التربية – صعدة-جامعة عمران ، وقد تم اختيارهم بصورة عشوائية من بين (٣٢٣) طالباً ، وذلك من أجل :

- تحليل فقرات الاختبار بغرض تحسين نوعيته والكشف عن جودة فقراته وفعاليتها لمعرفة مستوى سهولتها وصعوبتها وقوة تمييزها، بقصد إعادة صياغتها أو استبعاد الفقرات غير الصالحة منها ، ولتحقيق ذلك اتبع الباحثان الإجراءات الآتية :

-تصحيح إجابات طلاب العينة الاستطلاعية .

-ترتيب الدرجات تنازلياً من أعلى درجة إلى أدنى درجة .

- اختيار مجموعتين من الدرجات ، تمثل إحداهما الأفراد الذين حصلوا على أعلى الدرجات في الاختبار (المجموعة العليا) ، وتمثل الأخرى الأفراد الذين حصلوا على أدنى الدرجات في الاختبار(المجموعة الدنيا)، بنسبة ٥٠٪ لكل من المجموعتين، وقد بلغ عدد أفراد كل مجموعة (١٥) طالباً . وبذلك يكون مجموعهم الكلي (٣٠) طالباً ، ثم بعد ذلك تَمَّ حساب الآتي :

١٢-٦-١- مستوى الصعوبة :

نعني به النسبة المئوية للطلاب الذين يجيبون عن السؤال إجابة صحيحة . (ملحم، ٢٠٠٩: ٢٣٧) .

والهدف من حساب صعوبة الفقرة هو اختيار الفقرات ذات الصعوبة المناسبة وحذف الفقرات السهلة جداً والصعبة جداً . (الزوبعي، ١٩٨١: ٧٧) .

وبعد حساب مستوى صعوبة فقرات الاختبار باستخدام معادلة الصعوبة تبين أنها تتراوح ما بين (٠,٢٧) و (٠,٨٠) وهذا المستوى من المستويات المقبولة .

١٢-٦-٢- قوة التمييز :

يقصد بقوة تمييز الفقرات الاختبارية مدى قدرتها على التمييز بين الطلاب ذوي المستويات العليا والدنيا في الصفة التي يقيسها الاختبار. (أبو صالح ٢٠٠٠:٢١٥).

وبعد حساب قوة تمييز كل فقرة من فقرات الاختبار، باستخدام معادلة تمييز الفقرات ، اتضح انها تتراوح ما بين (٠,٣٩) و (٠,٦٠) وهذه قوة تمييزية وجيدة للفقرات الاختبارية .

١٢-٦-٣- حساب معامل الثبات :

يتصف الاختبار الجيد بالثبات ، والاختبار الثابت هو الاختبار الذي يعطي نتائج متقاربة أو نفس النتائج إذا طبق أكثر من مرة في ظروف متماثلة. (عبيدات وآخرون ، ١٩٩٢:١٥٩).

وقد قام الباحثان بحساب معامل الثبات باستخدام طريقة التجزئة النصفية، وهي من الطرائق الجيدة في حساب الثبات، إذ تُعَبِّرُ عن ثبات التجانس الداخلي أي قوة الارتباط بين الفقرات في الاختبار (عودة وملكاوي ١٩٩٢:١٩٥) .

وتم استخراج معامل الارتباط بين نصفي الاختبار باستخدام معادلة (بيرسون) ثم صحح باستخدام معادلة (سبيرمان –براون) وقد بلغ (٠.٩١) وهذا معامل ثبات عال وجيد بالنسبة للاختبار غير المتقن، وهذا يدل على تناسق الفقرات وتجانسها .

وفي ضوء هذه الاجراءات اصبح الاختبار البعدي المعد لأغراض البحث جاهزاً للتطبيق على أفراد عينة البحث.

١٢-٧- إجراءات التطبيق :

تمثلت إجراءات تطبيق التجربة في قيام الباحثين بالآتي :

١٢-٧-١- اختيار عينة البحث بطريقة عشوائية ثم توزيعها إلى مجموعتين إحداهما تجريبية تدرس بالموديولات التعليمية، وأخرى ضابطة تدرس بالطريقة التقليدية .

١٢-٧-٢-ضبط متغيرات البحث .

١٢-٧-٣-تدريس مجموعتي البحث لمدة اربعة اسابيع من قبل احد الباحثين بواقع ساعتين في كل اسبوع لكل مجموعة، وذلك ابتداء من يوم الأحد الموافق ٢٠١٢/٦/٢م .

١٢-٧-٤- تطبيق الاختبار البعدي يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١٢/٧/٣م، باشراف الباحثين على سير الاختبار.

١٢-٨- المعالجة الاحصائية :

استخدم الباحثان في إجراءات بحثهما وتحليل نتائجه الوسائل الاحصائية الاتية :

- الاختبار التالي لعينتين مستقلتين لحساب دلالة الفروق بين مجموعتي البحث في الاختبار التحصيلي البعدي .
- معامل ارتباط بيرسون ، لحساب معامل ثبات الاختبار بطريقة التجزئة النصفية.
- معادلة سبيرمان –براون ، لتصحيح معامل الارتباط بين نصفي الاختبار (درجات الفقرات الفردية والزوجية) بعد استخراجه بواسطة معامل ارتباط بيرسون .
- معادلة الصعوبة ، لحساب صعوبة كل فقرة من فقرات الاختبار .
- معامل قوة التمييز ، لحساب قوة تمييز فقرات الاختبار التحصيلي .

١٣- نتائج البحث :

١٣-١- عرض النتائج وتفسيرها وتحليلها :

للإجابة على تساؤل البحث :

ما فاعلية استخدام الموديولات التعليمية في تنمية مهارة تصنيف الأهداف السلوكية لدى طلاب السنة الثانية في كلية التربية صعدة في جامعة عمران الجمهورية اليمنية ؟

فقدقام الباحثان باستخدام الاختبارالتائي T.Test لعينتينمستقلتين،إذ تم حساب المتوسط الحسابيوالانحراف المعياري والتباين لمجموعتي البحث(التجريبية والضابطة) وقيمة(ت) المحسوبة ، والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول رقم (٢)

يوضح المتوسط الحسابي والتباين والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة والجدولية ودلالتها الاحصائية لدرجات المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبار التحصيلي والبعدي

المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى دلالة ٠.٠٥
التجريبية	٢١	١٦،٤	١،٦٨	٢،٨٢				دالة إحصائياً
الضابطة	٢٠	١٣،٤	٣،٨٥	١٤،٨٤	٣٩	٨،٦٧	٢،٠٤٢	

يتبين من الجدول السابق أن متوسط درجات المجموعة التجريبية بلغ (١٦،٤) ، في حين بلغ متوسط درجات المجموعة الضابطة (١٣،٤) ، وباستخدام الاختبار التائي (T-Test) لعينتين مستقلتين للتعرف على دلالة الفرق بين هذين المتوسطين ، ظهر أن القيمة التائية المحسوبة (٨،٦٧) هي أكبر من القيمة الجدولية التي مقدارها (٢،٠٤٢) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) ودرجة حرية (٣٩) . وهذا يدل على تفوق طلاب المجموعة التجريبية على طلاب المجموعة الضابطة في تنمية مهارة تصنيف الأهداف السلوكية .

وفي ضوء هذه النتيجة ترفض الفرضية الصفرية التي نصت على أنه ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠،٠٥) بين درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستخدام الموديولات التعليمية، وطلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا باستخدام الطريقة التقليدية في التطبيق البعدي للاختبار التحصيلي في تنمية مهارة تصنيف الأهداف السلوكية .

ويمكن تفسير ذلك من خلال الآتي :

- أهمية الموديولات التعليمية وأثرها الفاعل في اكتساب المعرفة وتحصيل العلوم وإتقان المهارات .
- إسهام الموديولات التعليمية في تحقيق مبدأ التعلم الذاتي وهذا يتفق مع الاتجاه الإنساني الذي نادى به روجرز وزملاؤه، الذي يؤكد ضرورة تركيز العملية التربوية حول المتعلم باعتباره محورها وأساسها ، وإتاحة الفرصة له لتوجيه نفسه ذاتياً ، وحريته في تقرير ما يريد أن يتعلمه وتقويم نفسه بنفسه في مواقف تعليمية يشعر فيها بالاطمئنان وعدم الخوف أو الرهبة من الاختبارات . (الشربيني والطناوي، ٢٠٠٦: ٦٠-٦١).

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج الدراسات التي تفوقت فيها المجموعة التجريبية التي درست باستخدام الموديولات التعليمية على المجموعة الضابطة، كدراسة (الشافعي ١٩٨٦) ودراسة (فراج ١٩٨٧) ودراسة (عزب وآخرون ١٩٩٣) ودراسة (مجلي ٢٠٠٠) ودراسة (نوار ٢٠٠٦) ودراسة (العجماوي ٢٠٠٨).

١٣- ٢- الاستنتاجات :

في ضوء النتيجة السابقة التي توصل إليها البحث الحالي يمكن استنتاج ما يأتي :

- أسهمت الموديولات التعليمية مساهمة فاعلة في تنمية مهارات طلاب السنة الثانية في تصنيف الأهداف السلوكية (المعرفية، الوجدانية، النفس حركية) .
- الموديولات كأسلوب تعليمي أكثر أثراً من الطرائق التقليدية في تدريس مهارة تصنيف الأهداف السلوكية .
- ملائمة الموديولات التعليمية للمستوى العمري والعقلي لطلاب السنة الثانية في كلية التربية .
- زادت الموديولات من تفاعل الطلاب ونشاطهم من خلال ما يمارسونه من أنشطة تعليمية متنوعة أثناء دراستهم لكل موديول ، كما أدت إلى زيادة الدافعية لديهم .

١٣- ٣- التوصيات :

يوصي الباحثان بالآتي :

١٣-٣-١- بناء برامج تعليمية بطريقة الموديولات التعليمية تساعد في إكساب طلاب كليات التربية المعارف والمهارات والميول والاتجاهات الأساسية والضرورية لمهنة التعليم .

١٣-٣-٢- ضرورة الاهتمام بالموديولات التعليمية كأسلوب تعليمي فعال يؤكد على جهد الطالب ونشاطه وتفاعله مع المواقف التعليمية .

١٣-٣-٣- تدريب المعلمين في كليات التربية أثناء الإعداد والتأهيل على استخدام طريقة الموديولات التعليمية.

١٣-٣-٤- ضرورة التركيز على الأهداف السلوكية وأثرها وقيمتها في تنظيم وتوجيه المواقف التعليمية .

١٣-٣-٥- عقد أو عمل دورات تأهيلية للمعلمين أثناء الخدمة لتدريبهم على كيفية استخدام طريقة الموديولات التعليمية .

١٣- ٤- المقترحات :

يقترح الباحثان إجراء الآتي :

١٣-٤-١- دراسة مماثلة للبحث الحالي في مراحل دراسية أخرى وفي مواد تعليمية أخرى .

١٣-٤-٢- دراسة مماثلة للبحث الحالي لمعرفة تأثير الموديولات التعليمية حسب متغير الجنس .

١٣-٤-٣- دراسة مماثلة للبحث الحالي لمعرفة فاعلية الموديولات التعليمية في تنميةمهارةالتخطيط الدراسي.

١٣-٤-٤- دراسة مماثلة للبحث الحالي لمعرفة تأثير الموديولات التعليمية في تنمية مهارة اختيار واستخدام الوسائل التعليمية .

١٣-٤-٥- دراسة مماثلة للبحث الحالي لمعرفة تأثير الموديولات التعليمية في تنمية مهارة استخدام الأسئلة الصفية وتوجيهها .

١٣-٤-٦- دراسة مماثلة للبحث الحالي لمعرفة تأثير الموديولات التعليمية في تنمية مهارة إدارة الصف وضبطه.

المراجع :

- إبراهيم، فوزي طه والكلزة، رجب أحمد (١٩٩٠)«المناهج المعاصرة»منشأة المعارف ، الاسكندرية.
- أبو الحمائل، أحمد عبد المجيد علي أحمد(٢٠٠٥) «فعالية برنامج تدريبي مقترح لمعلمي الأحياء بالمملكة العربية السعودية في ضوء احتياجاتهم المهنية»رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس ، القاهرة .
- أبو صالح، محمد صبحي وآخرون (٢٠٠٠)« القياس والتقويم » وزارة التربية والتعليم، صنعاء .
- الزوبعي ، عبد الجليل وآخرون (١٩٨١) « الاختبارات والمقاييس النفسية، دار الكتب، جامعة الموصل، الموصل .
- الشافعي، سنية محمد عبد الرحمن (١٩٨٦) «فعالية الموديول في تدريس الكيمياء للإتقان لتلاميذ الصف الثاني الثانوي»، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفيوم، كلية التربية، الفيوم.
- الشربيني، فوزي والطناوي، عفت (٢٠٠٦)«الموديولات التعليمية مدخل للتعلم الذاتي في عصر المعلوماتية»مركز الكتاب ، القاهرة.
- الشربيني، فوزي والطناوي، عفت (٢٠١١) «التعلم الذاتي بالموديولات التعليمية»عالم الكتب، القاهرة .
- الضمد، عبدالستار جبار(٢٠٠٢) «البحث العلمي وتطبيقات الإحصاء الرياضي»دار شموع الثقافة، ليبيا .

- طويلة، عبد الوهاب عبد السلام (١٩٩٧) «التربية الإسلامية وفن التدريس»دار السلام ، القاهرة.
- عبيدات ، ذوقان وآخرون (١٩٩٢) «البحث العلمي مفهومه، أدواته، أساليبه»دار الفكر ، عمان.
- العجماوي، سماح محمود مصطفى حسن (٢٠٠٨) «فعالية برنامج مقترح لتنمية بعض مهارات استخدام الانترنت في تدريس الدراسات الاجتماعية لدى الطلاب المعلمين بكليات التربية»رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية بقنا ، جامعة جنوب الوادي،مصر.
- عزب، عبد الله السيد وآخرون (١٩٩٣)«فعاليات استخدام الموديولات التعليمية Modules في تنمية مهارات صياغة الأهداف التعليمية لدى طلاب شعبة الرياضيات بكلية التربية»مجلة التربية، جامعة المنوفية، نقلاً عن د/يسري مصطفى، موقع التربوي الإسلامي العربي .
- عودة، أحمد سليمان وملكاوي، فتحي حسن(١٩٩٢) «أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية»مكتبة الكتاني ، أربد، الاردن .
- غباين، عمر محمود (٢٠٠١) «التعلم الذاتي بالحقائب التعليمية»دار المسيرة ، عمان.
- غنيم، إبراهيم أحمد وشحاتة، الصافي يوسف (٢٠٠٨) «الكفاءات التدريبية في ضوء الموديولات التعليمية»مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.
- فراج، عبدالموجود علي حسن (١٩٨٧) «استخدام طريقة الموديولات التعليمية في تدريس العلوم للصف السابع من مرحلة التعليم الأساسي كاتجاه معاصر في التعليم الفردي»رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أسوان، جمهورية مصر العربية.
- قنديلجي، عامر (٢٠٠٨) «البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية»داراليازوري العلمية، عمان .
- الكسباني، محمد السيد علي (٢٠٠٨) «التدريس نماذج وتطبيقات في العلوم والرياضيات واللغة العربية والدراسات الاجتماعية»دار الفكر العربي، القاهرة.
- الكيلاني ، عبد الله زيد والشريفين، نضال كمال. (٢٠٠٧) «مدخل إلى البحث في العلوم التربوية والاجتماعية (أساسياته – مناهجه – تصاميمه – أساليبه الإحصائية)»، دار المسيرة ، عمان.
- مجلي، مدحت عزمي عياد (٢٠٠٠) «أثر استخدام الموديولات في تنمية التربية العملية لتلاميذ الحلقة الثانية من التعليم الأساسي»رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية،جامعة الفيوم .
- محمد، أمل محمد محمود وحسن ، لمياء حسن علي (٢٠٠٩) «فاعلية استخدام الموديولات التعليمية في اكتساب بعض المفاهيم الفنية والمهارات الأدائية الخاصة بمكملات الملابس " حقيبة اليد " لدى طالبات المرحلة الجامعية»مجلة بحوث التربية النوعية المجلد (١٤) .
- ملحم، سامي محمد (٢٠٠٩) «القياس والتقويم في التربية وعلم النفس»ط٤ ، دار المسيرة ، عمان.

- نوار، إبراهيم إبراهيم أحمد (٢٠٠٦) «فعالية استراتيجية مقترحة باستخدام الموديولات والبرنامج الكمبيوتري في تنمية المهارات الفنية والأمنية لدى معلمي العلوم بمرحلة التعليم الأساسي داخل مختبرات العلوم»رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية كفر الشيخ، جامعة طنطا .

الملاحق

أنموذج للموديولات التعليمية

الموديول الأول

الأهداف السلوكية

(مفهومها – خصائصها – أهميتها

شروط صحتها – مكوناتها)

يشتمل الموديول على :

- إرشادات وتوجيهات للطالب .
- عنوان الموديول .

١- مقدمة الموديول .

٢- الأهداف الخاصة .

٣- الاختبار القبلي .

٤- مفتاح تصحيح الاختبار .

٥- محتوى الموديول .

٦- الأنشطة التعليمية .

٧- الوسائل التعليمية .

٨- الاختبار البعدي .

٩- قائمة بالمراجع والمصادر .

إرشادات وتوجيهات للطالب عن دراسته للموديول الأول :

عزيزي الطالب :

عند دراستك للموديول التعليمي الأول بعنوان ((الأهداف السلوكية)) يمكنك اتباع الآتي :

أ) اقرأ بصورة جيدة الأهداف الخاصة بالموديول .

ب) الإجابة عن الاختبار القبلي للتأكد من معلوماتك عن هذا الموديول .

ج) صحح الاختبار القبلي بنفسك ، بالاسترشاد بدليل إجابات الموديول

د) اقرأ جيداً محتوى الموديول التعليمي قراءة متأنية .

هـ) حاول استخدام الوسائل التعليمية المحددة .

و) اقرأ الأنشطة جيداً .

ز) حاول الإجابة عن الاختبار البعدي بالاسترشاد بمفتاح تصحيح الاختبار .

ح) اقرأ بعض المصادر والمراجع ، إذ تمثل قراءة خارجية تثري المعارف وتساعد على تحقيق المستوى المطلوب من دراسة هذا الموديول .

. عنوان الموديول : الأهداف السلوكية :

الأفكار الثانوية للموديول :

أ) مفهوم الأهداف السلوكية .

ب) خصائص الأهداف السلوكية .

ج) أهمية الأهداف السلوكية .

د) شروط صحة الأهداف السلوكية .

هـ) مكونات الأهداف السلوكية .

أولاً : مقدمة الموديول التعليمي :

يتناول هذا الموديول التعليمي الأهداف السلوكية من حيث مكوناتها وأهميتها وخصائصها وشروط صحتها ، وتكمن أهمية هذا الموديول في أهمية الأهداف السلوكية وقيمتها في توجيه العملية التعليمية وتنظيمها، مما يساعد المعلم في القيام بمهامه وأدواره على الوجه المطلوب ، وهذا ما سنعرفه من خلال دراستنا لهذا الموديول .

ثانياً : الأهداف الخاصة :

بعد أن تقوم بدراسة هذا الموديول يتوقع منك أن تكون قادراً على أن :

١- تعرف الأهداف السلوكية لغة واصطلاحاً دون خطأ .

٢- تعدد خصائص الأهداف السلوكية بدقة .

٣- توضح أهمية الأهداف السلوكية في خمس دقائق .

٤- تذكر شروط صحة الأهداف السلوكية بشكل صحيح .

٥- تشرح مكونات الأهداف السلوكية مسترشداً بمثال تطبيقي .

ثالثاً : الاختبار القبلي :

أكمل الفراغات :

١- الأهداف السلوكية هي ....

٢- من خصائص الأهداف السلوكية : ١)................................. ٢)............................. .

٣- تمثل الأهداف السلوكية قدرات .... أو......................... أو.......................

يظهرها الفرد في الحياة الواقعية .

٤- يميل كافة التربويين إلى صياغة الأهداف على نحو سلوكي وذلك ....

....

٥- من شروط صحة الأهداف السلوكية: ١)..................... ٢)................... ٣)....................

٦- معيار الأداء هو ....

٧- الظروف هي ....

٨- للأهداف السلوكية أهمية كبيرة تكمن في ١)................... ٢)................... ٣)..................

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي :

٩- من مسميات الأهداف السلوكية الأهداف الظاهرية . ( )

١٠- تبنى الأهداف السلوكية في ضوء الأهداف العامة والمحتوى الدراسي . ( )

١١- من شروط الأهداف أن تحدد على أساس مستوى المعلم . ( )

١٢- يشير السلوك النهائي إلى أداء الطالب الذي يقبله المعلم . ( )

١٣- تتميز الأهداف السلوكية بالتجريد والعمومية . ( )

١٤- توضع الأهداف السلوكية من قبل خبراء التربية ومنظريها . ( )

رابعاً : مفتاح تصحيح الاختبار :

رقم السؤال درجة السؤال الإجابة الصحيحة

١ ١ الأهداف السلوكية : هي وصف لتغير سلوكي يتوقع حدوثه في شخصية الطالب نتيجة لمروره بخبرة تعليمية وثقافية ، مع موقف تدريسي .

٢ ١ من خصائص الأهداف السلوكية :

١- الصياغة الواضحة والمحددة لنوع السلوك المرغوب .

٢- إمكانية ملاحظتها وقياسها وتقويمها .

٣ ١ تمثل الأهداف السلوكية قدرات فكرية أو شعورية أو مهارات حركية ، يظهرها الفرد في الحياة الواقعية .

٤ ١ يميل كافة التربويين إلى صياغة الأهداف على نحو سلوكي ، وذلك لأنها تظهر ما إذا كان المتعلم قد بلغ النتاجات التعليمة المرغوبة من خلال إظهاره للسلوك المرغوب .

٥ ١ من شروط صحة الأهداف السلوكية :

١- أن تكون الأهداف واضحة ومحددة .

٢- أن تحتوي على أفعال سلوكية تشير إلى نوع من السلوك ومستوى معين يراد أن يحققه الطالب .

٦ ١ معيار الأداء هو القياس أو المستوى الذي يقدم في ضوء السلوك .

٧ ١ الظروف هي ما تسمى بالشروط الاختيارية التي سوف يؤدي في ظلها المتعلم السلوك.

٨ ١ للأهداف السلوكية أهمية كبيرة تكمن في : ١) تصف السلوك بدقة.

٢) توضع من قبل المتعلم . ٣) قابلة للقياس .

٩ ١ ⍰

١٠ ١ ⍰

١١ ١ ⍰

١٢ ١ ⍰

١٣ ١ ⍰

١٤ ١ ⍰

خامساً : محتوى الموديول :

أ) مفهوم الأهداف السلوكية :

الهدف لغة : كل شيء عظيم مرتفع ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا مر بهدف مائل أو صدف مائل أسرع المشي ، فالهدف كل بناءٍ مرتفع مشرف والصدف نحواً من الهدف. قال الجوهري : الهدف كل شيء مرتفع من بناء أو كثب رمل أو جبل ، ومنه سمي الغرض هدفاً ، وبه شبه الرجل العظيم .

أما في الاصطلاح التربوي فتعرف بأنها وصف لتغير سلوكي يتوقع حدوثه في شخصية الطالب نتيجة لمروره بخبرة تعليمية وثقافية ، مع موقف تدريسي .

وتعرف أيضاً بأنها القدرات والمهارات الشخصية التي يريد المربون أن يكتسبها الطلاب من خلال المواد الدراسية وطرائق التعليم المختلفة المستخدمة لتحقيقها ، وتمثل في العادة قدرات فكرية أو شعورية أو مهارات حركية ، يظهرها الفرد في الحياة الواقعية ، وتبنى على أساس أهداف المنهاج العامة ، بحيث يقود تحقيقها لدى المتعلم إلى تحقيق غير مباشر لأهداف المنهاج العامة ، ويطلق على الأهداف السلوكية مسميات متعددة كالأهداف الخاصة والتعليمية والظاهرية والإجرائية .

ب) خصائصها :

ما من شك في أن التربويين كانوا يميلون إلى صياغة الأهداف على نحو سلوكي ، وذلك لأنها تظهر ما إذا كان المتعلم قد بلغ النتاجات التعليمية المرغوبة من خلال إظهاره للسلوك المرغوب ، وتتميز الأهداف بالخصائص الآتية :

١- الصياغة الواضحة والمحددة لنوع السلوك المرغوب .

٢- إمكانية قياس الأهداف وملاحظتها وتقويمها .

٣- تقع مهمة صياغتها على المعلم .

ج) أهمية الأهداف السلوكية :

تكمن أهميتها في النقاط الآتية :

١- تنظم العمل التدريسي وتحكم مسالكه وتبرز أولوياته .

٢- تقدم دليلاً لما يُركَّزُ عليه في الدرس أو البرنامج التعليمي .

٣- تعد إحدى مكونات الموقف التعليمي .

٤- تساعد في اختيار الخبرات التعليمية وأوجه النشاط المناسبة وطرائق التدريس الملائمة والوسائل التعليمية المناسبة وأدوات التقويم النافعة .

ء) شروط صحة الأهداف السلوكية :

تتمثل شروط صحة الأهداف السلوكية بالآتي

١- تكون واضحة ومحددة .

٢- يكون ملاحظتها في ذاتها وفي نتائجها .

٣- يمكن قياس مدى تعلم الطالب ، بمعرفة ما طرأ على سلوكه من تعديل .

٤- تحدد على أساس مستوى الطالب .

٥- تحتوي على أفعال سلوكية تشير إلى نوع من السلوك ، ومستوى معين يراد أن يحققه الطالب .

هـ) مكونات الهدف السلوكي :

يتكون من الآتي :

١- السلوك النهائي (عمل يقوم به الطالب) .

٢- معيار الأداء : هو القياس أو المستوى الذي يقوم في ضوء السلوك أو هو أداء الطالب الذي يقبله المعلم .

٣- الظروف : هي ما تسمى بالشروط الاختيارية التي سوف يؤدي في ظلها المتعلم السلوك ، وتتمثل هذه الظروف في المعلومات والأدوات والمعدات والمواد التي تكون متاحة عند تنفيذ الهدف .

ويمكن إجمال هذه المكونات بالمثال الآتي :

أن + فعل سلوكي + الطالب + مصطلح من المادة + معيار الأداء +

شروط الأداء + (الظرف) = هدف سلوكي

أن + يرسم + الطالب + خارطة اليمن + في ١٠ دقائق + دون الاستعانة بالورق الشفاف = هدف جيد .

سادساً : الأنشطة التعليمية :

أ) جمع الحقائق والمفاهيم من المصادر والمراجع عن أهمية الأهداف السلوكية وفوائدها في العملية التعليمية.

ب) كتابة مقال حول أسباب إهمال بعض المدرسين للأهداف السلوكية .

سابعاً : الوسائل التعليمية :

أ) لوحة تعليمية . ب) بطاقات تعليمية .

ثامناً : الاختبار البعدي:

أ) بعد دراستك للموديول التعليمي ، أجب عن الاختبار القبلي الذي سبق لك الإجابة عنه قبل دراسة الموديول ، ووفقاً للتعليمات ، فإذا وفقت للدرجة المحددة للمستوى المطلوب وذلك بنسبة (٨٥٪ -٩٠٪) إجابة صحيحة ، يمكنك الانتقال للموديول التعليمي الثاني .

ب) إذا لم توفق في الإجابة ، أعد قراءة محتوى الموديول قراءة جيدة وإذا لزم الأمر ارجع إلى المصادر والمراجع في نهاية الموديول لجمع الحقائق والمفاهيم حول موضوع الموديول .

تاسعاً : قائمة بالمراجع والمصادر :

لمزيد من المعلومات حول هذا الموديول التعليمي ، يمكنك القيام بقراءات خارجية من المصادر والمراجع الآتية :

١- الجلحوي ، حسين علي (٢٠١٠) : المنهاج التربوي (مفهوم، عناصر، تقويم، أسس، أركان، تصميم، تطوير، تأصيل) .

٢- آل ياسين ، محمد حسين (١٩٧٤) : المبادئ الأساسية في طرق التدريس العامة، بيروت ، دار القلم.

٣- لبيب ، رشدي وآخرون ،(١٩٨٣) . الأسس العامة للتدريس ، بيروت ، دار النهضة العربية .


بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة
جامعة الناصر

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدرها جامعة الناصر
العدد الثاني: يوليو- ديسمبر 2013م

رقم الإيداع بدار الكتب (630)- 28 / 10 / 2013م

مجلة جامعة الناصر: مجلة علمية محكمة
تهدف إلى إتاحة الفرصة للباحثين والأكاديميين لنشر أبحاثهم وإنتاجاتهم العلمية باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف المجالات العلمية.

أولاً: قواعد النشر:

تقوم مجلة جامعة الناصر بنشر البحوث والدراسات باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف مجالات العلم والمعرفة وفقاً للشروط التالية:

١) أن يكون البحث المقدم أصيلاً ويعالج قضية معينة بذاتها، وتتوافر فيه الشروط العامة للبحث العلمي المعتمد على القواعد العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية، في مختلف المجالات الإنسانية والتطبيقية..

٢) أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة، ومطبوعاً ببنط (١٢) وبخط: (AL-Mohanad Bold) بالنسبة للبحوث للغة العربية ، وبخط (Times New Roman) بالنسبة للبحوث باللغة الإنجليزية، وأن لا تزيد صفحات البحث عن(٤٠) صفحة متضمنة المصادر والمراجع.

٣) أن يتم تحويل البحث إلى صيغة PDF .

٤) أن يرفق مع البحث ملخصاً باللغتين العربية والإنجليزية على أن لا يزيد عدد كلمات كل منها عن (٢٠٠) كلمة.

٥) أن لا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى.

٦) المجلة ترحب بنشر ما يصل إليها من ملخصات لرسائل الماجستير والدكتوراه، التي تم مناقشتها وإجازتها، في كافة المعارف الإنسانية والتطبيقية، على أن يكون الملخص من قبل صاحب الرسالة.

٧) أن تكون هوامش البحث في نهاية كل صفحة بالنسبة للبحوث النظرية.

ثانياً: إجراءات النشر والتحكيم :

١ – ترسل البحوث والمراسلات إلى مجلة جامعة الناصر على العنوان التالي :

الجمهورية اليمنية – صنعاء – جامعة الناصر (www.al-edu.com) مجلة جامعة الناصر.

هاتف: (٥٣٦٣٠٧) تليفاكس (٥٣٦٣١٠)البريد الإلكتروني أو بريد رئيس التحرير
m5sh5n55@gmail.com

٢- يسلم البحث المقدم للنشر من أصل وثلاث نسخ ورقية مطبوعة على ورق (A4) ويشترط أن تكون المادة مطبوعة بمسافات مضاعفة ومحفوظة بقرص مدمج (CD) وذلك إلى عنوان المجلة أعلاه ، بحيث يظهر في غلاف البحث إسم الباحث ولقبه العلمي، ومكان عمله، ومجال تخصصه.

٣- يرفق الباحث نسخة مختصرة عن سيرته الذاتية ، متضمنة إسم الباحث وعنوانه ، وأرقام هواتف المنزل والعمل والفاكس لكي يسهل التواصل معه عند الضرورة.

٤- في حالة قبول البحث مبدئياً، يتم إحالته إلى محكمين من ذوي الخبرة والاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يعرض عليهم إسم الباحث أو بياناته ، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث ، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمه.

٥- يخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمه خلال ثلاثة أشهر على الأكثر من تاريخ تسليمه للبحث.

٦- في حالة ورود الملاحظات من المحكمين ، ترسل تلك الملاحظات إلى الباحث بهدف إجراء التعديلات اللزمة، على أن تعاد للمجلة في مدة أقصاها شهر.

٧- يمنح صاحب البحث المنشور نسخة واحدة من عدد المجلة مع ثلاث مستلات من بحثه.

ثالثاً: رسوم التحكيم والنشر في المجلة :

تفرض المجلة مقابل نشر البحوث والتحكيم الرسوم التالية:

- البحوث المرسلة من داخل الجمهورية اليمنية (١٥٠٠٠) خمسة عشر ألف ريال
- البحوث المرسلة من خارج الجمهورية اليمنية (١٠٠ $) مائة دولار أمريكي
- هذه الرسوم غير قابلة للإرجاع سواء تم قبول البحث للنشر أم لم يتم النشر.
- أعضاء هيئة التدريس والباحثون بجامعة الناصر يعفون من تسديد الرسوم.

البحوث المنشورة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن توجه الجامعة وإنما تعبر عن أراء أصحابها

رقم الإيداع (٦٣٠) (٢٨ / ١٠ / ٢٠١٣ م) (الهيئة العامة للكتاب والنشر والتوزيع- دار الكتب)

المحتويات

الافتتاحية:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله النبي الأمي صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد:

فإنه مما يسرنا ويسعدنا أن نكتب سطور هذه الافتتاحية للعدد الثاني من مجلتكم مجلة جامعة الناصر ، مجلة علمية محكمة نصف سنوية، تصدرها جامعة الناصر العامرة، والتي تهتم بنشر البحوث والدراسات باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف مجالات العلم والمعرفة.

وإنه لمن الفأل الحسن أن يصدر هذا العدد في نهاية النصف الثاني من عام ٢٠١٣ م، واليمن الميمون على وشك إرساء مخرجات الحوار الوطني على أرض الواقع، لينعم أهل اليمن الحبيب بهذه المخرجات التي شارك فيها كل أبنائه امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم : (الإيمان يمان والحكمة يمانية).

وفي هذا العدد تواصل المجلة صدورها بخطوات ثابتة، وتسعى لتكون أفضل من مثيلاتها من حيث تنوع البحوث والمضمون والشكل والإخراج، مستفيدة من خبرات وتجارب االآخرين في هذا المجال.

وقد تضمن هذا العدد عشرة أبحاث علمية وفقهية وقانونية في مختلف التخصصات التطبيقية والنظرية، تقدم بها إلى المجلة ثلة من الأكاديميين المتميزين من مختلف الجامعات اليمنية الحكومية والأهلية.

أول هذه البحوث مقدم من الدكتور/ عبدالله عبده محمد ملهي الوراي -استاذ الصيدلة الاجتماعية المساعد بكلية طب الأسنان-جامعة إب، والموسوم بـ (تهريب الأدوية في اليمن – دراسة تحليلية) حيث هدف البحث إلى تشخيص ظاهرة تهريب وتزوير الدواء في المجتمع اليمني وتأثيرها على صحة الانسان وحياته. وتمثل هذه الظاهرة إحدى القضايا المقلقة والخطيرة على المستويين: الرسمي والشعبي على حد سواء بسبب غياب الدراسات البحثية وقلة قاعدة بيانات الخاصة بهذا الشأن. وهو ما يشكل عائقا أمام الوصول الى حلول مناسبة. يهدف هذا البحث إلى: التعرف على نوعية الأدوية التي يتم تهريبها. والأسباب الحقيقة لهذا التهريب واقتراح الحلول المناسبة لها وذلك من خلال تحليل :التشريعات القانونية ذات العلاقة والإحصائيات السنوية لوزارة الصحة العامة والسكان.

وثاني هذه البحوث مقدم من الأستاذ الدكتور/محمد فائز محمد عادل-أستاذ المناهج وطرق تدريس العلوم بكلية التربية النادرة – جامعة إب والموسوم بـ (تطوير أداة لقياس الكفايات التدريسية للأستاذ الجامعي) حيث تهدف الدراسة الحالية إلى تصميم أداة لقياس الكفايات التدريسية اللازمة للأستاذ الجامعي من وجهة نظر أساتذة جامعة إب، ولتحقيق هذا الهدف، تمَّ إعداد قائمة أولية بالكفايات التدريسية بعد الاطلاع على الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع – تضمنت أربعة أبعاد رئيسة للكفايات التدريسية، واختير مقياس ليكرت الثلاثي لذلك، وتمَّ التأكد من صدق الأداة وثباتها، كما تمّ تطبيقها على عينة عشوائية تكونت من (٩٨) أستاذاً من أساتذة جامعة إب اليمن، منهم (٤٦) عضواً من الكليات العلمية، و(٥٢) عضواً من الكليات الإنسانية. وتمَّ تحديد العدد النهائي لفقرات المقياس بناءً على التحليل العاملي لاستجابات أفراد العينة (٢٦) فقرة تقيس أربعة محاور رئيسة هي: التخطيط للتدريس، العلاقات الإنسانية، الممارسات التدريسية، والتقويم.

أما ثالث هذه البحوث فهو الموسوم بـ :(جناية الإصابة بالعين في الشريعة الإسلامية والتشريع اليمني)وكان من إسهام الدكتور/ محمد شوقي ناصر الأعور -رئيس قسم القرآن الكريم وعلومه-كلية التربيةجامعة حجة ، حيث سلط الضوء على أهم الجنايات المعنوية التي تصيب الأنسان في نفسه وماله وذكر الأدلة على حقيقة و مشروعية الاستشفاء من جناية الإصابة بالعين، وتناول البحث بيان علامات الإصابة بالعين، وبين البحث الوسائل الشرعية للوقاية من العين قبل وقوعها والتي من أهما الأذكار والتعويذات الشرعية والتبريك والتكبير، و بين البحث أهم الوسائل الشرعية للعلاج من العين بعد وقوعها والتي من أهما الرقية الشرعية والاغتسال والوضوء ، ثم تطرق البحث إلى بيان موقف التشريع اليمني منها، والعقوبة المقررة شرعاً وقانوناً لجناية الإصابة بالعين.

ونقرأ في هذا العدد إسهام الدكتور/ عبدالغني حيدر فارع -أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي المشارك – كلية التربية -جامعة صنعاء في دراسته الموسومة بـ (لغة القرآن والتواصل الحضاري في ضوء العقيدة الإسلامية -رؤية مستقبلية) والتي سلط الضوء فيها عن لغة القرآن كلغة للتواصل الحضاري في ضوء العقيدة الإسلامية في الحاضر والماضي والمستقبل.

أما الدكتور/ يحيى عبداللة الأسدي أستاذ الحديث المساعد -بكلية التربية جامعة حجة فقد تطرق إلى موضوعه الموسوم بـ (منهج المحدثين في عد الحديث وإحصائه) إذ يتعلق هذا البحث بعلم الرواية ، وله صلة وثيقة بمصطلح الحديث الشريف و يكشف البحث عن مكانة الحديث ، وعناية المسلمين بالسنة ، ومظاهر تلك العناية الفائقة ومنها حفظه في الصدور ، وكتابته في السطور ثم بين البحث إلى منهج المحدثين في عدّ الحديث وإحصائه ، وتفسير ما نقل عن حفاظ الحديث من حفظهم لعشرات الآلاف أو مئات الآلاف من

الحديث من الحديث مع مقارنة ذلك بما هو مدون في أمهات كتب الحديث والذي لا يصل إلى هذا العدد المذكور.

ونقرأ في هذا العدد(استخدام التقنية الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلمها ونشرها وأثره في التواصل الحضاري) للدكتور/ د. سمير عبد الرحمن الشميري -أستاذ الإعلام المساعد – ورئيس قسم العلوم الاجتماعية بكلية التعليم المفتوح – جامعة العلوم والتكنولوجيا – اليمن – صنعاء، الذي بين في بحثه أثر استخدام التقنية الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلمها ونشره.

وكان إسهام الأستاذ الدكتور/ عبده محمد يوسف عليأستاذ الفقه المشارك ورئيس قسم القرآن وعلومه -بكلية التربية – جامعة صنعاء بعنوان (مشكلة قطيعة الأرحام وعلاجها في الشريعة الإسلامية) حيث هدفت هذه الدراسة لمعالجة موضوع مشكلة قطيعة الأرحام . ولتحقيق أهداف البحث استخدم الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي ، وقسم البحث إلى مقدمة وسبعة مباحث مقسمة على فصلين وخاتمة ، شملت تعريف الرحم ومن هم الأرحام التي تجب صلتهم، والمراد بقطيعة الرحم وحكمها، ومظاهر قطيعة الرحم، وأسبابها، وآثار قطيعة الرحم وعواقبها، وعلاج قطيعة الأرحام في الشريعة الإسلام، وحكم صلة الأرحام وفضله، وآثاره، والأمور التي تكون بها الصلة والأمور المعينة على ذلك.

وتناول الدكتور/ عبدالرحمن أحمد المختار والدكتور/ عبدالرحمن المصنف موضوع (العمارة الإسلامية والبيئة في اليمن في القرنين السابع والثامن الهجريين (مدينة تعز وزبيد وإب نموذجاً) وهدف البحث إلى معرفة ارتباط العمارة الإسلامية بالبيئة في اليمن خلال القرنين السابع والثامن الهجريين في كلاً من مدينة تعز وزبيد وإب نموذجاً لأن هذه المدن كانت حين مدة الدراسة وما قبل ذلك عواصم لليمن وخاصة في عصر الدولة الرسولية ، أما أهمية البحث فتكمن في أنه سيساهم في إبراز الصورة المشرقة للحضارة الإسلامية في اليمن خصوصاً ودار الإسلام عموماً باعتبار أن اليمن كانت جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الإسلامي الواسع. ولهذا فإن البحث سيتحدث عن اهتمام الإسلام بالعمارة والتعمير – كمدخل أو مقدمة – وعلاقة ذلك بالبيئة الطبيعية ثم الاجتماعية التي هي من فعل الإنسان وأن بقاء ذلك مرهون بمدى محافظة الإنسان عليها من الفساد.

وتطرق الدكتور/ حمود ناصر نصار-أستاذ اللغة العربية المساعد وعميد كلية التربية – جامعة حجة في دراسته الموسومة بـ (أبنية صرفيَّة تحمل معنى النِّسبة-دراسة صرفية دلالية) حيث هدفت هذه الدراسة إلى بيان الأبنية الصرفية التي تحمل معنى النسبية ودلالاتها الصرفية مع بيان ما هو مشهور عند علماء العربية، نحو«فَعَّالٍ» و«فَاعِلٍ» وبيان ما هو محمول على النسبة في ضوء وجهٍ من الوجوه في السِّياقات المخصوصة، وثمَّة

فرقٌ دلاليَّ مهمٌ بين شواهد النِّسبة بياءي النسب، وهذه الأبنية، لأنَّ هذه الأبنية لا تدل على النسبة العامة، وإنَّما تدل على معنى نسبةٍ إضافيةٍ مخصوصةٍ.

أما القسم الإنجليزي فكان من حصة الدكتورة/ شفيقة عبدالقادر عثمان – رئيس قسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية -صبر بجامعة عدن بعنوان (تأثير المشاكل المعجمية الشائعة على ترجمة المصطلح الاقتصادي إلى العربية) حيث تركزت دراستها حول بيان المشاكل المعجمية الأكثر شيوعا التي توثر في فهم المعنى الحقيقي للمصطلح الاقتصادي أثناء ترجمته إلى العربية. كما تبين الدراسة أيضاً دور الثقافة الاقتصادية كعامل مهم وأساسي في فهم المعنى الحقيقي للمصطلح الاقتصادي.

وإذ تقدم أسرة التحرير هذه البحوث القيمة للقراء الأفاضل، تتقدم بالشكر والامتنان لكل من ساهم في هذا العدد، وتؤكد لهم بأن هذه المجلة هي ثمرة جهودهم ، وريعها عائد إليهم ،ونتمنى استمرار تواصلهم وإسهاماتهم المفيدة عبر صفحات هذه المجلة المتجددة بإسهاماتهم، وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساهم أو شارك في إخراج هذه المجلة إلى حيز الوجود، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رئيس التحرير

د / محمد شوقي ناصر عبدالله الأعور



جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY

تهريب الأدوية في اليمن – دراسة تحليلية

د/ عبدالله عبده محمد ملهي الوراڤي

استاذ الصيدلة الاجتماعية المساعد

كلية طب الأسنان جامعة إب

1

الملخص

على الرغم من أن الدواء يشكل دوراً حيوياً ڤي المحافظة على الصحة والحياة والوقاية من العديد من الأمراض ومنع انتشارها، فأن ظاهرة تهريب وتزوير الدواء تعد خطراً حقيقياً يهدد صحة الإنسان وحياته. وتمثل هذه الظاهرة إحدى القضايا المقلقة والخطيرة على المستويين: الرسمي والشعبي على حد سواء، بسبب غياب الدراسات البحثية وقلة قاعدة البيانات الخاصة بهذا الشأن. وهو ما يشكل عائقا أمام الوصول الى حلول مناسبة. ويهدف هذا البحث إلى: التعرف على نوعية الأدوية التي يتم تهريبها. والأسباب الحقيقة لهذا التهريب واقتراح الحلول المناسبة لها وذالك من خلال تحليل :التشريعات القانونية ذات العلاقة والإحصائيات السنوية لوزارة الصحة العامة والسكان.

وقد توصل الباحث إلى أن من أهم اسباب هذه الظاهرة هو ترك السوق الدوائية اليمنية ساحة مفتوحة أمام شركات الاستيراد، واحتكاره من قبل عدد محدود منها، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع سعر الدواء والذي يعد العامل الأساسي لتهريبها مقارنة بسعره ڤي الدول العربية الأخرى. لذا فان تطبيق القوانين النافذة واستكمال إجراءات إصدار القوانين الأخرى؛ ذات العلاقة ضرورة وطنية تتحملها الجهات المعنية مثل وزارة الصحة ونقابتي الصيادلة والأطباء ومجلس النواب.للحد من هذه الظاهره ضماناً لصحة المواطنين وحياتهم.

المقدمة:

"العقل السليم في الجسم السليم " هذه العبارة يعلمها معظم الناس في كل مكان حول العالم بإنها تتعلق بالصحة بصورة عامة . غير أن الصحة والوقاية لا تغنيان عن الصحة العلاجية, كما يتعذر الحفاظ على صحة الإنسان دون توفر الأدوية المناسبة التي تعد احد الأعمدة الأساسية للحفاظ على الصحة و يؤدي نقص الأدوية وانتشار الأدوية المزيّفة والمتدنية النوعية إلى معاناة المرضى وتعرّضهم لعواقب مباشرة في حياتهم، بل إلى وفاتهم في بعض الأحيان . وكانت منظمة الصحة العالمية قد دعت جهات مؤثرة في اجتماعات عالمية عام ٢٠٠٦ إلى إيجاد حلول لخطر تنامي ظاهرة تهريب الأدوية المغشوشة في العالم الثالث وإقبال الشبكات الإجرامية عليها،حيث تشير التقديرات إلى أ ن قيمة مبيعات الأدوية المزيفة قد تصل إلى ٧٥ مليار دولار أمريكي في عام ٢٠١٠ م مما يشكل ارتفاعًا بنسبة 92 % مقارنة بعان ٢٠٠٥[١] . وعلى الرغم مماى تمثله ظاهرة تزييف الأدوية من مشكلة مقلقة للعالم وخطورة ذلك على الصحة في دول العالم الثالث خصوصا فإننا نلاحظ نقصا في باب الدراسات التي تعنى بالموضوع, وغياب معطيات رقمية محلية تنكب على دراسة هذه الظاهرة .لهذا نجد من الضروري اليوم العمل على تشكيل قاعدة معطيات موثوقة تساعد المهنيين وأصحاب القرار على البحث في حلول ناجعة كفيلة للحد من تفاقم المشكل(٢) .وتطور علم الصيدلة مثله مثل بقية العلوم يأتي نتيجة لاحتياجات المجتمع وحل مشاكله ,حيث يسعى الباخثون جاهدين للوصول الى المعرفة اللازمة لمواجهة هذه المشاكل والتخلص منها ، وبالتالي فإن غياب المتخصصين في أي مجال يجعل من الصعوبة التوصل إلى حل مشاكل المجتمع وقلة المتخصصين في مجال الصيدلة أيضاَ مما يعيق تحسين المستوى الصحي. وما نجده في اليمن من انحصار مهنة الصيدلة على صرف الدواء والأعمال الإدارية وغياب المتخصصين في مجالات كثيرة مثل: الصيدلة السريرية، الصيدلة الصناعية والصيدلة الاجتماعية "التي تمثل تخصصات متعددة وذلك بهدف دمج الأدوية في منظور أوسع تشمل الجوانب القانونية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتواصلية، والنفسية و تقييمها من أجل المساهمة في الاستخدام الآمن والرشيد للأدوية" [٣]. وانطلاقاَ من خبرة الباحث العلمية والعملية في مجال الصيدلة كونه متخصصاَ في الصيدلة الاجتماعية وامتلاكه صيدلية منذ أكثر من ١٥ عاماَ

فقدلاحظ الباحث أن مشكلة تهريب الأدوية في اليمن إحدى القضايا المقلقة والخطيرة على المستويين الرسمي والشعبي على حد سواء يالأضافة الى قلة الدراسات البحثية وقلة قاعدة البيانات حول هذا الموضوع وكون اليمن إحدى دول العالم النامي وتعاني من صعوبات اقتصادية, ولديها إشراف دوائي ضعيف على السوق الدوائية المحلية, فقد ظهرت مشكلة تزوير الدواء وتهريبه بصورة جلية. حيث ارتبط تزوير الدواء بتهريبه, فهما وجهان لعملة واحدة وبناء على ماسبق فقد اخترت هذه الظاهره للبحث وتم تحديد مشكلة هذا البحث بالأسئلة الآتية:

١) ماهو واقع ظاهرة تهريب الأدوية ڤ اليمن؟

٢) ماهي اسباب التهريب؟

٣) وماهي الحلول المناسبة ؟

و ذالك بهدف التعرف على نوعية الأدوية التي يتم تهريبها, والأسباب الحقيقة لهذا التهريب واقتراح الحلول المناسبة لحل هذة المشكلة. وبالنسبة للمنهج الذي سار عليه هذا البحث فقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يركز على الوصف والتحليل للتشريعات القانونية ذات العلاقة و الإحصائيات السنوية لوزارة الصحة العامة والسكان ڤ الفترة بين {١٩٩١م، ١٩٩٥م، ٢٠٠٠م، ٢٠٠٤م، ٢٠٠٩م}، والبيانات الصادرة من قبل الهيئة العليا للأدوية والمستلزمات الطبية وتحليل اسعار بعض الأدوية المهربة ڤ السوق اليمنية

١) الدراسات السابقة :

لم يجد الباحث ڤ حدود علمه من الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة سوى رسالة ماجستير بعنوان: (دراسة ميدانية وتحليلية لبعض الأدوية المشتبه بتزويرها ڤ الجمهورية اليمنية) للباحثة : ياسمين عبد الله المتوكل,كلية الصيدلة , جامعة دمشق ,٢٠١٠. شملت هذه الدراسة ٦١ عينة دوائية مهربة مدروسة ونظائرها الأصلية ، وقد وجدت الدراسة مايقارب ٥٠٪ من الأدوية المهربة مزوراً حسب تعريف منظمة الصحة العالمية وهي نسبة تقترب من النسبة التي أوردتها التقديرات غير الرسمية (٦٠٪), و ٣٠٪ من هذه العينات هي عبارة عن (أدوية) مزورة خالية من أية مادة فعالة (٠٪) [٤]. ونظراَ لمحدودية الدراسات ڤ هذا المجال فقد أخذ الباحث على عاتقه القيام بإسهام علمي يلقي الضوء على بعض جوانب هذه الظاهرة

٢) التشريعات القانونية اليمنية وتهريب الأدوية :

حسب ما أوردته منظمة الصحة العالمية فإنا البلدان التي تنتهج حوكمة ضعيفة داخل سلسلة الإمداد بالأدوية أكثر عرضة للاستغلال بالفساد,حيث إن تلك البلدان تفتقر إلى الأمور الآتية:

- التشريعات المناسبة أو وسائل تنظيم الأدوية.
- آليات إنفاذ القوانين واللوائح والإجراءات الإدارية ذات الصلة.
- الوسائل اللازمة لإدارة تضارب المصالح [٥].

ويمكن تفصيل علاقة هذه الظاهرة بالتشريعات المعمول بها ڤ اليمن على النحو الآتي:-

١) قانون رقم (٦٠) لسنة ١٩٩٩م بشأن المنشآت الطبية والصحية الخاصة:

احتوى القانون على ٤٣ مادة ولكن لم ترد أية مادة قانونية تجرم بيع الأدوية المهربة والمزورة

٢) القرار الجمهوري رقم (٢٣١) لسنة ١٩٩٩م، بشأن إعادة تنظيم الهيئة العليا للأدوية والمستلزمات الطبية : احتوى القرار على ١٩ مادة ولكن لم ترد أية مادة قانونية لمراقبة بيع الأدوية المهربة والمزورة.

٣) القرار الجمهوري بالقانون رقم (٢٦) لسنة ٢٠٠٢م، بشأن مزاولة المهن الطبية والصيدلانية: احتوى القانون على ٤٣ مادة ولكن لم ترد أية مادة قانونية تجرم بيع الأدوية المهربة والمزورة

٤) قرار رئيس مجلس الوزراء رقم(١٣٢) لسنة ٢٠٠٤م، بشأن اللائحة التنفيذية للقانون رقم(٦٠) لسنة ١٩٩٩م بشأن المنشآت الطبية والصحية الخاصة: احتوت اللائحة على ٤٣ مادة ولكن لم ترد أية مادة قانونية تجرم بيع الأدوية المهربة والمزورة

٥) قرار رئيس مجلس الوزراء رقم(٣٣٣) لسنة ٢٠٠٤م بشأن لائحة تنظيم صناعة وتجارة الأدوية والمستلزمات الطبية وما في حكمها: وقد تضمنت

- المادة (٢٩) اشارة الى أنه يجب على موزعي الأدوية والمستلزمات الطبية بالجملة التقيد بعدم التعامل مع الأدوية والمستلزمات الطبية المهربة والمقلدة(المزورة)

- وفي المادة (٣١) تم تحديد المخالفات والعقوبات ولم ترد اية عقوبة لمن خالف المادة (٢٩).

- المادة(٤٩) : يحظر على أصحاب المؤسسات الصيدلانية ما يلي: الفقرة(٢) بيع الأدوية المهربة او الإعلان عن الأدوية عبر وسائل الأعلام المختلفة [٦]

٦) وفي قانون رقم(٤) لسنة ٢٠٠٩م بشأن الصحة العامة: تضمن مادتين :

- المادة(٨٥) :يحظر البيع أو الاتجار بالأدوية المهربة والمزورة والأدوية الحكومية، كما يحظر البيع او الاتجار بالعينات الطبية المجانية التي تكون معدة للدعاية والأعلان والنوزيع المجاني.
- المادة(٧١): مع مراعاة أي عقوبة أشد ورد النص عليها في القوانين النافدة يعاقب كل من قام بتهريب الأدوية بالحبس مدة لاتزيد على ثلاث سنوات او بغرامة لا تقل عن (٣٠٪) ولاتزيد عن (٥٠٪) من قيمة المادة مع مصادرة البضاعة المهربة وفي حالة التكرار تضاعف العقوبة، ويستثنى من ذالك الدواء المجلوب لغرض الاستخدام الشخصي للمريض [٧]

وما نلاحظه في التشريعات القانونية المعمول بها حالياً في اليمن أنها لم تشير لمشكلة تزوير الأدوية وتهريبها بصورة كافية على الرغم من امكانية تطبيق قوانين أخرى لمرتكبي مثل هذه الجرائم. ومع استعراض التشريعات الحالية نجد منها سته قوانين لم تتضمن جميعها عقوبة تزوير وتهريب الأدوية ولم يرد سوى في عام ٢٠٠٩ في قانون الصحة العامة وفية عقوبة ضعيفة وغير رادعة . فضلاً عن أنه حتى هذه اللحظة لم يصدر قانون الدواء.

٣) السوق الدوائية اليمنية :

تصدر الهيئة العلياء للأدوية والمستلزمات الطبية في وزارة الصحة العامة والسكان إحصائيات سنوية, توضح فيها المبالغ المالية لحجم الاستيراد وعدد الشركات المصدرة, وعدد وكالات الأدوية وقد تم تحليل هذه البيانات للأعوام الآتية؛ (١٩٩١,١٩٩٥,٢٠٠٠,٢٠٠٤,٢٠٠٩)

مع العلم أن حجم استيراد الأدوية المشار الية هو ما تم استيراده من قبل شركات الأدوية المستوردة (القطاع الخاص) حيث إن هناك استيراد مواد خام للمصانع المحلية وجهات حكومية وهيئات أجنبية ومؤسسات صحية ناهيك عن الأدوية التي تستورد بطريقة غير رسمية,ويتضح من الجدول السابق أن هناك زيادة في حجم استيراد الأدوية بنسبة ٣١٠٢٪ بين عامي ١٩٩١م ,٢٠٠٩م, أي خلال ثمانية عشر عاماً و بمتوسط زيادة سنوية قدرها ١٥٥٪، كما بلغت نسبة زيادة مستوردي الأدوية الى٦٣٠٪ خلال الفترة نفسها، وخلال عام ١٩٩٥م سيطرت عشر شركات فقط على ٦٩٪ من حجم استيراد الأدوية (القطاع الخاص), وخلال فترة اربعة عشر عاماً بين عامي ١٩٩٥- ٢٠٠٩م, ظلت عشر شركات فقط مسيطرة على نسبة ٤٧.٧٥٪ من حجم استيراد الأدوية (القطاع الخاص). واذا ما حللنا اسماء هذه الشركات ومراكزها في حجم الاستيراد خلال تلك الفترة نلاحظ بأن التنافس انحصر في عدد محدود من الشركات كما هو موضح في الجدول(٢)

جدول (٢) أسماء مستوردي الأدوية الحاصلين على العشرة المراكز الأولى في نسبة حجم استيراد الأدوية (القطاع الخاص) في اليمن خلال عام:(١٩٩٥،٢٠٠٠،٢٠٠٤،٢٠٠٩) (٩،١٠،١١،١٢)

م	اسم الشركة المستوردة	١٩٩٥م	٢٠٠٠م	٢٠٠٤م	٢٠٠٩م	*الترتيب متوسط الأعوام خلال
1	الشركة الوطنية (ناتكو)	1	1	3	3	36
2	شركة الفتح للأدوية	6	2	1	4	31
3	مؤسسة الرأفة للأدوية	0	3	2	2	26
4	شركة ارض الجنتين للأدوية	3	9	7	1	24
5	محلات الورافي التجارية	2	4	0	0	16
6	الجبل للأدوية والمستلزمات الطبية	8	0	4	5	16
7	مؤسسة الحارث للأدوية والمستلزمات الطبية	0	6	6	6	15
8	مؤسسة الميتمي للأدوية	4	5	0	0	13
9	مؤسسة المحضار للأدوية	7	8	0	0	7
10	الشركة العربية للأدوية	0	10	8	8	7
11	شركةالمحضار للأدوية	5	0	0	0	6
12	العابد للتوريدات الطبية	0	7	9	0	6
13	الشرق للتجارة والتوكيلات	0	0	5	0	6
14	شركة المفضل	0	0	0	7	4
15	مخازن بلقيس للأدوية	9	0	0	0	2
16	مؤسسة الغريب للأدوية	0	0	0	9	2
17	شركة الروضة للأدوية	10	0	0	0	1
18	مخازن المنصوب التجارية	0	0	10	0	1
19	الجراش للتجارة	0	0	0	10	1

* تم جمع المراكز الحاصل عليها المستورد (المركز الأول=١٠ درجات,المركز الثاني= ٩درجات المركز العاشر= ١درجه

المصدر: إحصائية الهيئة العليا للأدوية والمستلزمات الطبية للأعوام (١٩٩٥-٢٠٠٠-٢٠٠٤-٢٠٠٩)

يتضح من الجدول السابق إن عدد شركات الاستيراد المتنافسة على المراكز العشرة الأولى في حجم الاستيراد خلال أحدعشر عاما(١٩٩٥-٢٠٠٩) هي تسع عشر ة شركة فقط تمثل ما نسبته(٩.٦٪) من اجمالي عدد الشركات ١٩٧ خلال عام ٢٠٠٩,ولكنها تسيطر على ما نسبته (٤٧.٧٥٪) حسب ماهو موضح في الجدول(٢) مما يوكد احتكار السوق الدوائية من قبل عدد محدود من شركات الأستيراد

٤) **الأدوية المهربة في اليمن: الواقع يدل على ان تهريب الأدوية في اليمن قضية اكثر تعقيداً كون هذة الظاهرة تتضمن:**

١) تهريب للأدوية غير المسجلة في وزارة الصحة ٣) تهريب ادوية مسجلة في وزارة الصحة وهذه مشكلة تفتقر لمصدر معلومات حقيقية وبحسب نشرة البلسم(١٣) التي نشرت فيها الأصناف الدوائية المهربة والتي يتم الترويج لها في السوق وعددها ١٣٠ صنفاً تم إيضاح اسم الشركة المنتجة والمصدر(اسم الدولة)، ولم يتم إيضاح اسم الشركة المستوردة لهذه الأدوية في اليمن ولا أسعار هذه الأدوية في اليمن . وتم تحليل ١٠٥ أصناف منها لمعرفة أسماء شركات الاستيراد في اليمن فكانت جميعها تتبع شركات انتاج معروفة حسب الجدول رقم (٣) وتم ايضاح مصدر هذه الأدوية (اسم الدولة) حسب الجدول رقم (٤) وقد تم التنويه من قبل الهيئة العليا للأدوية والمستلزمات الطبية بأن هذه الأصناف تم ضبطها على مدى فترات متلاحقة خلال السنتين السابقتين، وليس من الضروري أن تكون جميعها متداولة موجودة في الوقت الحالي،وقام الباحث بمتابعة ما هو موجود منها في السوق فتم الحصول على ١٥ صنفاً، موضحة في الجدول (٥). ومن بين ١٠٥ أصناف، كانت هناك أربعة أصناف أشير إليها بأنها مزوره للصنف الأصلي، وتمثل نسبة ٣.٨٪ وصنفان لم يتم التعرف على شركة إنتاجهما، وتمثل نسبة ١.٩٪ وصنف واحد مقلد يمثل نسبة ٠.٩٪ (١٢)

جدول (٣) يوضح أسماء مستوردي الأدوية وعدد ونسبة الأصناف الدوائية التابعة لها المهربة والتي يتم الترويج لها في السوق اليمنية (١٠٥) خلال ٢٠٠٨م (١٣)

م	اسم الشركة المستوردة	عدد الأصناف المهربة	نسبة الأصناف المهربة
1	الشركة الوطنية(نابكو)	33	31.43
2	مؤسسة الرأفة	31	29.52
3	شركة الحضار للأدوية	9	8.57
4	الشرق للتجارة والتوكيلات	9	8.57
5	شركة ارض الجنتين للأدوية	7	6.67
6	شركة الفتح للأدوية	4	3.81
7	مؤسسة المثنى للأدوية	3	2.86
8	مؤسسة الحارث	3	2.86
9	الصباري	2	1.90
12	مؤسسة الغريب للأدوية	1	0.95
13	شركة الفضل	1	0.95
14	محلات الوراق التجارية	1	0.95
15	الجراش للأدوية	1	0.95
	الإجمالي	105	100

المصدر: الإدارة العلمية للبحوث والأعلام الدوائي الهيئة العليا للأدوية المستلزمات الطبية وزارة الصحة العامة والسكان (الأصناف الدوائية المهربة والتي يتم الترويج لها في السوق والتي نحذر من تداولها)، نشرة البلسم، الجمهورية اليمنية، العدد(٨)، ديسمبر ٢٠٠٨.(١٣)

وبمقارنة أسماء شركات مستوردي الأدوية في الجدول رقم (٢) والجدول رقم (٣) نلاحظ أن الأدوية المهربة تتبع في معظمها مستوردي الأدوية المتنافسين على المراكز المتقدمة في السوق الدوائية والتي تحتكر ما يقارب نصف السوق الدوائية في اليمن.

جدول(٤) يوضح مصادر الأصناف الدوائية المهربة

والتي يتم الترويج لها في السوق اليمنية

م	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	إجمالي عدد الأصناف
المصدر	مصر	السعودية	الصين	الهند	مجهول	فرنسا+الصين	العراق	باكستان	
عدد الأصناف	54	28	9	5	5	2	1	1	107

المصدر: الإدارة العلمية للبحوث والإعلام الدوائي الهيئة العليا للأدوية المستلزمات الطبية وزارة الصحة العامة والسكان (الأصناف الدوائية المهربة والتي يتم الترويج لها في السوق والتي نحذر من تداولها)، نشرة البلسم، الجمهورية اليمنية، العدد(٨)، ديسمبر ٢٠٠٨.(١٣).

يتضح من الجدول السابق أن ما نسبته ٨٠٪ من الأدوية المهربة مصدرها (المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية) التي تتوفر فيها هذه الأدوية بأسعار أقل مما هي عليه في اليمن.

جدول رقم (٥) يوضح يوضح أسماء بعض الأدوية المهربة والشركة المنتجة[١٣] والشركة المستوردة سعر الأدوية بالريال اليمني (في الصيدلية) وسعر الأدوية المهربة (بحسب السعر المطبوع على غلاف العلبة في المملكة العربية السعودية) وفارق السعر ونسبته (تم احتساب سعر الصرف الريال السعودي=٥٧ريال يمني)

م	اسم الصنف	الشركة المنتجة	الشركة المستوردة	العبوة	سعر الدواء في لصيدلية	سعر الدواء المهرب في لصيدلية السعودية	الفارق بالسعر	نسبة الفارق بالسعر
1	Yomesan Tab.	BAYER	الشركة الوطنية (ناتكو)	1*4	625	200	425	68%
2	Aspirin 100mg Tab.	BAYER	الشركة الوطنية (ناتكو)	2*10	420	140	280	67%
3	Zyloric 300mg Tab.	GLAXO/ WELLCOME	المحضار	2*10	540	192	348	64%
4	Methergin tab	NOVARTIS	الشركة الوطنية (ناتكو)	3*10	825	450	375	45%
5	Burinex Tab.	LEO	الشرق للتجارة والتوكيلات	2*10	475	290	185	39%
6	Motilium tab	JANSSEN CILAG	مؤسسة الرأفة للأدوية	1*30	1250	900	350	28%
7	Voltaren emulgel	NOVARTIS	الشركة الوطنية (ناتكو)	جل	1250	900	350	28%
8	Natrilix S. R.	SERVLER	مؤسسة الرأفة للأدوية	1*30	960	770	190	20%
9	Mosegor Tab.	NOVARTIS	الشركة الوطنية (ناتكو)	3*10	1100	900	200	18%
10	Depakien 500mg Corno Tab	SANOFI	مؤسسة الرأفة للأدوية	1*30	3000	2500	500	17%
11	Kenacort-A vial	Smithkline Beecham	الشركة الوطنية (ناتكو)	فيال	650	550	100	15%
12	Depakien 5mg Corno Tab	SANOFI	مؤسسة الرأفة للأدوية	1*30	3000	2600	400	13%
13	Tegretol 200 SR	NOVARTIS	الشركة الوطنية (ناتكو)	5*10	3000	2600	400	13%
14	Tegretol 400 SR	NOVARTIS	الشركة الوطنية (ناتكو)	3*10	3000	2600	400	13%
15	Primolut- N Tab.	SCHERING	الشركة الوطنية (ناتكو)	1*30	1000	900	100	10%

كما يتضح من الجدول السابق أن أكبر فارق هو ٦٨٪ لدواء يوميسانحبوب(Yomwsan.Tab) واقل فارق نسبته ١٠٪ لدواء بريمولاتن- حبوب (Primolut-n .Tab) وهذه الأدوية مسجلة في وزارة الصحة ومتوفرة من خلال شركات استيراد رسمية وتعد من الأدوية الأكثر استهلاكاً في السوق الدوائية.

ومن الملاحظ أن معظم هذه الأدوية لا تحتوي على لاصق(على علبة الدواء) يبين سعر كل دواء وبالتالي ترك المجال أمام شركات الاستيراد وملاك الصيدليات للتلاعب بهذه الأسعار مما يسبب أعباء على المريض ويهز ثقته بأمانة القائمين عليها,فضلاً عن كونه يمثل العامل الأساسي لتهريب الأدوية

٥) المناقشة:

يمثل تهريب الأدوية مشكلة عالمية ولكنها في اليمن تمثل مشكلة معقدة نظراً لغياب الدراسات البحثية وقلة قاعدة بيانات حول هذه المشكلة كون اليمن إحدى دول العالم النامي وتعاني من صعوبات اقتصادية عديدة وإشراف دوائي ضعيف على السوق الدوائية المحلية ناهيك عن ضعف العقوبات لجريمة تهريب الأدوية في التشريعات اليمنية فالتشريعات المتعلقة بالصحة,خاصة بالجانب الدوائي هي ستة تشريعات فقط أغفلت جوانب كثيرة وأساسية فيما يخص مهنة الصيدلة والدواء على الرغم من أن هناك دولاً كثيرة مثل جمهورية مصر العربية تمتلك تشريعات كثيرة متعلقة بمهنة الصيدلة والدواء ومن هذه التشريعات:

١) القانون رقم (٥) لسنة ١٩٤١,بشأن مزاولة مهنة الصيدلة والإتجار لمواد السامة, ومثل هذا القانون غير متوفر في اليمن

٢) القانون رقم (١٦٣) لسنة ١٩٥٠,الخاص بشئون التسعير الجبرى وتحديد الأرباح, ومثل هذا القانون غير متوفر في اليمن

٣) قانون الصيدلة والسموم لسنة ٢٠٠١,والذي تم تعديله عام ٢٠٠٩ إلى قانون الأدوية والسموم (١٥).

ومثل هذا القانون غير متوفر في اليمن, مع أنه يعد من اهم لتشريعات التي تعمل على حل عدد كبير من المشاكل التي تخص الأدوية وجوانب صحية كثيرة أما التشريعات الصحية اليمنية المتوفرة حالياً فلم ترد عقوبة تهريب الأدوية إلا في تشريع واحد وبصورة متأخره,أي في عام ٢٠٠٩م وبشكل ضعيف,ناهيك عن ضعف تطبيق مثل هذه التشريعات نفسها. وهو يدل على أن هناك عرقلة واضحة لصدور تشريعات أساسية وتطبيق ما وجد منها. ومن هنا كان لابد من تحليل السوق الدوائية لمعرفة حجمها والشركات المتنافسة فنلاحظ من الجدول رقم(١) تنافس شركات مستوردي الأدوية على المراكز الأولى في حجم الاستيراد الذي تضاعف بصورة كبيرة وعشوائية. وعلى الرغم من الزيادة الكبيرة في عدد مستوردي الأدوية فإن حوالي نصف السوق الدوائية ظل محتكراً من قبل حوالي عشر شركات هي التي عملت على زيادة الأرباح، من خلال زيادة حجم الاستيراد المستمر مقترناً بالاستخدام العشوائي دونما اكتراث لما ينتج من أضرار على صحة المجتمع. وعلى الرغم من زيادة عدد شركات الاستيراد خلال ١٨ عاماً (١٩٩١م-٢٠٠٩م)إالى ٦٣٠٪, أي بمعدل زيادة سنوية قدرها ٣٥٪ فقد ظلت عشر شركات فقط هي المسيطرة على حوالي نصف السوق الدوائية, حيث كانت ٦٩٪ خلال عام ١٩٩٥م وبعد مرور ١٤عام ظلت هذه النسبة ٤٧.٧٥٪ (٢٠٠٩م).

وبحسب نشرة البلسم(١٣) التي حُددت فيها الأصناف الدوائية المهربة والتي يتم الترويج لها ڨ السوق و هي ١٣٠ صنفاً تم تحليل ١٠٥ أصناف جميعها لشركات إنتاج معروفة عدا أربعة أصناف منها مزور للصنف الأصلي, وتمثل ٣.٨٪, وصنفين محهولي شركات الإنتاج وتمثل ١.٩٪, وصنف واحد مقلد يمثل ٠.٩٪ , أي بأجمالي ٦.٦٪ تعد أدوية غير مسجلة ڨ وزارة الصحة

والتي يمكن اعتبارها ادوية مزورة, وهذا يخالف ما أوردته الدراسات السابقة التي شملت ٦١ عينة دوائية مهربة مدروسة ونظائرها الأصلية وكان نسبة المزور منها ٥٠٪, ويعد هذا الاختلاف مؤشراً خطيراً يستدعي دراسة هذه الظاهرة.

وبحسب الجدول رقم(٣) نلاحظ أن جميع الأدوية المهربة تتبع شركات الاستيراد التي تتنافس على المراكز العشرة الأولى ڨ نسبة حجم استيراد الأدوية الموضحة ڨ الجدول رقم(٢), وهي الشركات نفسها الموضحة ڨ الجدول رقم(٥) الذي يوضح أسماء بعض الأدوية المهربة والشركة المستوردة وفارق الأسعار ڨ اليمن عن السعودية, حيث كان أكبر فارق هو ٦٥٪ لدواء يوميسانحب(Yomesan.Tab) وأقل فارق هو ١٠٪ لدواء بريمولاتنحب (Primolut-n.Tab)

وعدم تحديد الأسعار على علب الأدوية(مثل ماهو معمول به ڨ بقية الدول) يترك المجال لشركات الأدوية والصيدليات بالتلاعب بأسعار الأدوية الذي يمثل العامل الأساسي لتهريب النسبة الأكبر من الأدوية, وهذا يمثل تقصيراً من قبل وزارة الصحة العامة والسكان ممثلة بالهيئة العليا للأدوية والمستلزمات الطبية كون تحديد وإصدار التسعيرة الدوائية ومراقبة تطبيقها واتخاذ الاجراءات القانونية عند المخالفة من اهم اختصاصات الهيئة(٦).

تعد هذه الأدوية الأكثر استهلاكاً كون معظمها يستخدم للأمراض المستعصية التي يلتزم المريض بتناولها لفترات طويلة أو مدى الحياة وجميعها لشركات أوربية, والشركات المستوردة لها هي من أوائل الشركات المتنافسة على العشرة المراكز الأولى ڨ نسبة حجم استيراد الأدوية (القطاع الخاص)

الخلاصة:

إن عدم تطبيق القانون وغياب تشريعات قانونية أساسية من أسباب تهريب الأدوية ، ولكن العامل الأساسي لذالك هو ترك السوق الدوائية اليمنية ساحة لتنافس شركات الاستيراد تستخدم فيها كل الوسائل والطرق التسويقية القانونية وغير القانونية دونما رقيب بهدف زيادة الأرباح فكان العامل الأساسي لتهريب الأدوية هو غلاء أسعار الأدوية في اليمن عنها في الدول التي يهرب منها هذه الأدوية وأهمها السعودية ومصر, وعدم اعتماد أسعار محددة وموضحة على غلافات الأدوية مخالفة قانونية وتقصير واضح من قبل وزارة الصحة العامة والسكان ,وغياب الكود الوطني للأدوية الأوربية في السوق اليمنية يثير تساؤلات تستدعي بحوثآ للإجابة عنها.

كما أن تطبيق القوانين المتوفرة , واستكمال ما تبقى منها ضرورة وطنية تتحملها الجهات المعنية مثل: وزارة الصحة ونقابتي الصيادلة والأطباء ، ومجلس النواب للحد من هذة الظاهرة.

المراجع:

١. عارف محسن لفته ,بهاء نظام عيسى ,عبد الكريم منير عبد الرزاق , دراسة أستطلاعية لأراء بعض الصيادلة والأطباء حول جودة الدواء وآليات صرفه, مركز بحوث السوق وحماية المستهلك /جامعة بغداد, المجلة العراقية لبحوث السوق وحماية المستهلك مجلد ١ عدد ١ ايلول ٢٠٠٩م

٢. محمد الأغظيف غوتي,ظاهرة تزيف الأدوية من التشخيص الى العلاج,المؤتمر الصيدلاني الأول -عدن الجمهورية اليمنية, ٢٠١٠م.

٣. *Schaefer, Social pharmacy concept in pharmacy education. J Soc Admin Pharm 1992; 9(4):141-148).*

http://pharmabiz.com/ArticleDetails.aspx?aid=69533&sid=9

٤. ياسمين عبد الله المتوكل , دراسة ميدانية وتحليلية لبعض الأدوية المشتبه بتزويرها في الجمهورية اليمنية, , جامعة دمشق, كلية الصيدلة, قسم الكيمياء الصيدلية والكيمياء الدوائية, سوريا, ٢٠١٠م

٥. صحيفة وقائع الأدوية, الفساد والمستحضرات الصيدلانية, منظمة الصحة العالمية, رقم ٣٣٥, ٢٠٠٩م

٦. مجموعة التشريعات المتعلقة بالصحة العامة , وزارة الشئون القانونية (٢٠٠٥/١٢م)،الجمهورية اليمنية, (بدون رقم نشر),ص: ١-١٠, ١١-٢٢ , ٢٥-٧٣ ,١٦٠

٧. قانون رقم(٤) لسنة٢٠٠٩م بشأن الصحة العامة, الجريدة الرسمية العدد السادس, , وزارة الشئون القانونية,الجمهورية المنية, مارس ٢٠٠٩م..

٨. الهيئة العليا للأدوية المستلزمات الطبية١٩٩١م ، التقرير السنوي, وزارة الصحة العامة والسكان, الجمهورية اليمنية, ص: ١,٤.

٩. الهيئة العليا للأدوية المستلزمات الطبية١٩٩٥م ، التقرير السنوي, وزارة الصحة العامة والسكان, الجمهورية اليمنية, ص:٢,٣,٤,٥,١٧.

١٠. الهيئة العليا للأدوية المستلزمات الطبية ٢٠٠٠م ، التقرير السنوي ، وزارة الصحة العامة والسكان, الجمهورية اليمنية, ص:٧٦,٧٨,٨٠ .

١١. الهيئة العليا للأدوية المستلزمات الطبية ٢٠٠٤م ,التقرير السنوي ، وزارة الصحة العامة والسكان, الجمهورية اليمنية, ص:١٧,٢٢,٣٠,٤٣,٤٧,٤٨.

١٢. الهيئة العليا للأدوية المستلزمات الطبية ٢٠٠٩م , التقرير السنوي ، وزارة الصحة العامة والسكان, الجمهورية اليمنية, ص: ٦٣, ٨٦ ,٨٩, ١٢١.

١٣. الإدارة العلمية للبحوث والأعلام الدوائي الهيئة العليا للأدوية المستلزمات الطبية ٢٠٠٨م ,وزارة الصحة العامة والسكان (الأصناف الدوائية المهربة والتي يتم الترويج لها في السوق والتي نحذر من تداولها), نشرة البلسم, الجمهورية اليمنية، العدد(٨)، ديسمبر ٢٠٠٨.

١٤. قانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٥٥ فى شأن مزاولة مهنة الصيدلة,جمهورية مصر العربية, المتوفر على الرابطة: http://www.cps-arabia.com/index.php/index.php?option=com_content&view=article&id=108:pharmacy-law&catid=125:laws&Itemid=151)

١٥. قانون الأدوية والسموم عام ٢٠٠٩,جمهورية مصر العربية, متوفر على الرابطة http://www.justice-lawhome.com/vb/showthread.php?t=26502

تطوير أداة لقياس الكفايات التدريسية للأستاذ الجامعي

أ . د/ محمد فائز محمد عادل

أستاذ المناهج وطرق تدريس العلوم بكلية التربية
النادرة – جامعة إب

2

الملخص

تهدف الدراسة الحالية إلى تصميم أداة لقياس الكفايات التدريسية اللازمة للأستاذ الجامعي من وجهة نظر أساتذة جامعة إب، ولتحقيق هذا الهدف، تمَّ إعداد قائمة أولية بالكفايات التدريسية-بعد الاطلاع على الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع – تضمنت أربعة أبعاد رئيسة للكفايات التدريسية، واختير مقياس ليكرت الثلاثي لذلك، وتمَّ التأكد من صدق الأداة وثباتها، كما تمّ تطبيقها على عينة عشوائية تكونت من (٩٨) أستاذاً من أساتذة جامعة إب-اليمن، منهم (٤٦) عضواً من الكليات العلمية، و(٥٢) عضواً من الكليات الإنسانية. وتمَّ تحديد العدد النهائي لفقرات المقياس بناءً على التحليل العاملي لاستجابات أفراد العينة (٢٦) فقرة تقيس أربعة محاور رئيسة هي: التخطيط للتدريس، العلاقات الإنسانية، الممارسات التدريسية، والتقويم، وفي ضوء النتائج أوصى الباحث بما يلي.

أ- استخدام الأداة المصممة في ترقية الأستاذ الجامعي، وفي تحديد الأساتذة المتميزين في مجال التدريس.

ب- استخدام الأداة المصممة في التقويم الذاتي للأستاذ الجامعي في الجامعة.

ت- بناء أدوات مقننة أخرى في تقويم رؤساء الأقسام والعمداء.

مقدمة:

يعد التعليم الجامعي أحد الركائز الأساسية التي تعتمد عليها مختلف الدول العربية والأجنبية في تحقيق أهدافها وبلوغ غاياتها، والوصول من خلالها إلى المكانة العلمية المتميزة بين مختلف جامعات العالم، وذلك من خلال ما تقوم به من مهام وما تؤديه من وظائف بأعلى مستوى من الكفاءة والفاعلية معتمدة في ذلك على مجموعة من الركائز والدعائم، لعل من أهمها أعضاء هيئة التدريس لديها، ومدى تحملهم لمسؤولياتهم على أكمل وجه، واهتمامهم بتخريج أجيال متحلية بالعلم والمعرفة، لذا نجد هيئات عالمية عديدة تنشط في البحث عن أنجح الأساليب الممكنة لتطوير التعليم الجامعي باتجاه يواكب حاجات الأفراد والمجتمع، ويتماشى مع متطلبات العولمة في القرن الحادي والعشرين، ويساهم في تحقيق الأهداف الأساسية للجامعة،(الموسوي،٢٠٠٧،٦١)، كما يعد الأستاذ الجامعي اللبنة الأساسية التي تقوم عليها العملية التعليمية بالجامعة، ولهذا الغرض تركز أدبيات التعليم الجامعي على ضرورة إعداد الأستاذ الجامعي إعداداً مهنياً وتمكينه من امتلاك مهارات التدريس وفنونه وتدريبه على استثارة التفكير لدى الطالب عوضاَ عن تلقينه المعلومات الجاهزة ، ومن هنا تكمن أهمية التنمية المستمرة لعضو هيئة التدريس بأسلوب يتلاءم مع التطوير العالمي، ويؤدي إلى رفع كفاءته التدريسية ، والبحثية بصورة تساعده على تطوير معارفه، واطلاعاته مع الجديد في مجال تخصصه ، وتحفيزه على الابتكار والإبداع . لذا نجد أنَّ أغلب المؤسسات التعليمية على اختلاف فلسفاتها وأهدافها ونظمها اهتمت بتطوير الكفاءات التدريسية والبحثية لعضو هيئة التدريس لمواجهة الحاجات الجديدة للمجتمع، ولكي تتحقق الأهداف المنشود ة من العملية التدريسية التي يقوم بها عضو هيئة التدريس في الجامعة لابد من الأخذ بعين الاعتبار الكفاءات التدريسية لأدائه، والمتمثلة بالكفاءات الآتية :(التخطيط للتدريس، والعلاقات الإنسانية، والممارسات التعليمية واستثارة الدافعية، والتقويم) (عبود وعبد الحميد،٢٠٠١،١٥٣). ولقيت مسألة قياس الكفايات التدريسية للأستاذ الجامعي اهتماماً متزايداً في أوساط التربويين والمشتغلين في القياس والتقويم التربوي في البلدان العربية والأجنبية، ففي البلاد العربية اتجهت بعض الجامعات العربية في السنوات الأخيرة نحو بناء أدوات موضوعية ومقننة لقياس الكفايات التدريسية لأداء عضو هيئة التدريس فيها ضمن توجهاتها العامة نحو تطوير برامجها ومقرراتها وأنشطتها الأكاديمية ورفع كفاءة أعضاء هيئة التدريس العاملين فيها، كما هو الحال في جامعة البحرين وجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية) (الموسوي٢٠٠٧ ، ٦٣٦٢)، وكذلك جامعة إب في اليمن، وفي المقابل درجت الجامعات الأمريكية كجامعة كاليفورنيا ولويزيانا وتكساس على وضع أداء الأستاذ الجامعي تحت مجهر التقويم البنائي(Marsh,1987,253-(288) ، وبناءً على ما تقدم ولأهمية المقاييس تتضح الحاجة إلى تطوير أداة أكثر مناسبة لقياس الكفايات التدريسية للأستاذ الجامعي وعليه جاءت هذه الدراسة لتطوير أداة لقياس الكفايات التدريسية للأستاذ الجامعي في كليات جامعة إب.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة الحالية في الحاجة إلى تطوير أداة لقياس الكفايات التدريسية الأدائية التي يفترض أن يقوم بها عضو هيئة التدريس في جامعة إب أثناء أدائه للعملية التدريسية من وجهة نظر أساتذة جامعة إب، نتيجة لأهمية الدور الذي يقوم به عضو هيئة التدريس في تحسين العملية التعليمية، والذي يمثل البعد النوعي في رسالة أي جامعة لتحقيق أهدافها وبلوغ غاياتها، خصوصاً في ضوء المستجدات والمتغيرات والتقدم العلمي والتكنولوجي، ولهذا تم تحديد مشكلة الدراسة الحالية : في بناء أداة لقياس الكفايات التدريسية للأستاذ الجامعي من وجهة نظر أساتذة جامعة إب، والتأكد من صدقها وثباتها.

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية إلى بناء أداة موضوعية لقياس الكفايات التدريسية اللازمة لأداء الأستاذ الجامعي من وجهة نظر الأساتذة في كليات جامعة إب، والتحقق من صدقها وثباتها.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة الحالية من خلال عدد من الاعتبارات من أبرزها الآتي:

١- الأهمية الكبرى التي تحتلها الجامعات في التعليم العالي والبحث العلمي وخدمة المجتمع، وأهمية الدور الذي يقوم به عضو هيئة التدريس في تحقيق أهداف الجامعة ورسالتها.

٢- أهمية الدراسة في بناء أداة صادقة يمكن استخدامها لقياس الكفايات التدريسية اللازمة لأداء عضو هيئة التدريس في الجامعة.

٣- الاستفادة من الأداة في تخطيط برامج إعداد وتدريب أعضاء هيئة التدريس في الجامعة، وتطويرهم للارتقاء بأدائهم التدريسي، والوصول بهم إلى مستويات متقدمة في التعليم.

٤- يمكن أن تمهد هذه الدراسة لإجراء دراسات أخرى لبناء أدوات قياس جديدة تناسب الأستاذ الجامعي في جامعات أخرى.

أسئلة الدراسة:

١- ما أهم الكفايات التدريسية في بناء أداة القياس، واللازمة لأداء الأستاذ الجامعي في كليات جامعة إب.

٢- ما مدى التحقق من صدقها وثباتها .

مسلمات الدراسة:

١- مهما توافرت الإمكانيات للعملية التعليمية، فلابد من توافر الكفاءة في العنصر البشري.

٢- لا يمكن لأي نظام تعليمي أن يرتقي إلا بارتقاء مستوى العاملين فيه .

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على:

1. عينة عشوائية من أعضاء هيئة التدريس في جامعة إب بألقابهم العلمية (أستاذ، أستاذ مشارك، أستاذ مساعد، مدرس) ، والذين يمارسون عملية التدريس في كليات جامعة إب للعام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م.
2. الكفاءات التدريسية اللازمة لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة.
3. تصميم أداة قياس للكفايات التدريسية في ضوء الدراسات السابقة، والأدبيات المتعلقة بمجال الدراسة .

مصطلحات الدراسة:

الكفايات التدريسية :

هي " :مجموعة القدرات والمهارات والاتجاهات التي يمتلكها أعضاء هيئة التدريس، ويمارسونها في الموقف التعليمي لتمكينهم من القيام بمهماتهم التعليمية بفعالية وإتقان) " (الصباغ،١٩٩٤،١٢).

التعريف الإجرائي للكفايات التدريسية:

هي " :الممارسات التدريسية، وأنماط السلوك والأنشطة التي تتفق وطبيعة أهداف الدراسة الحالية التي يفترض أن يقوم بها عضو هيئة التدريس في المواقف التعليمية المنهجية واللامنهجية لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة بفعالية وإتقان، وهذه الكفايات هي :التخطيط للتدريس، والعلاقات الإنسانية، الممارسات التدريسية، والتقويم."

أداة القياس :

هي عبارة عن استبيان صمم على أساس تجريبي في إعداد أدوات قياس الكفايات التدريسية اللازمة لعضو هيئة التدريس في جامعة إب، ويقيس الكفايات التالية :التخطيط للتدريس (٧) فقرات، والعلاقات الإنسانية (١٠) فقرات، الممارسات التدريسية (٦) فقرات، والتقويم (٧) فقرات.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث منهج البحث الوصفي التحليلي، وهو المنهج الأكثر ملائمة للدراسة الحالية وذلك من خلال جمع المعلومات والاطلاع على الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث وبناء أداة قياس الكفايات التدريسية لأداء عضو هيئة التدريس في ضوء الكفايات التدريسية الواردة في الدراسات السابقة.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات السابقة بين دراسات تهدف لبناء أداة لقياس أداء الأستاذ الجامعي وبين دراسات تهدف إلى التعرف على الكفايات التدريسية اللازمة لأعضاء هيئة التدريس، وفيما يلي نعرض لأهم الدراسات في هذين المجالين :

أولا :الدراسات العربية:

1- دراسة (جميل وابراهيم،١٩٨٦م):

قام الباحثان بدراسة الكفاءات المهنية للقائمين بالتدريس في كليات جامعة بغداد حيث أجريت الدراسة في مراكز البحوث التربوية، وهدفت إلى تحديد الكفاءات المهنية التي يحتاج إليها عضو هيئة التدريس في الجامعة، وبلغت عينة البحث (٣٠٠) عضو هيئة تدريس وعميد ورئيس قسم :بنسبة (١٥٪) من مجموع المجتمع، كما قاما ببناء أداة الدراسة التي تكونت من قائمتين إحداهما للكليات العلمية والأخرى للكليات الإنسانية، واستخرجت الدرجة التائية للتعرف إذا ما كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الكليات العلمية والإنسانية .وتبين من التحليل الإحصائي ما يلي:

أ- وافق أعضاء الهيئة التدريسية في الكليات العلمية على (٥٧) كفاءة وصفت بأنها مهمة ومفيدة، في حين وافق أعضاء هيئة التدريس في الكليات الإنسانية على (٣٥) كفاءة باعتبارها مهمة ومفيدة.

ب-أحرزت بعض الكفاءات المهنية أعلى درجة في متوسطاتها الحسابية من بقية الكفاءات، ويعزى ذلك إلى أنها أكثر فائدة وأهمية لمهنة التدريس في التعليم العالي.

2- دراسة (الصباغ، ١٩٩٤م):

هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى إلمام أعضاء هيئة التدريس في كليات المجتمع الأردنية للكفاءات التعليمية ومدى ممارستهم لها، وتكونت عينة الدراسة من) (٣٠٧) مدرس ومدرسة في الكليات الحكومية والخاصة في الأردن، واعتمد الباحث على استبانة تكونت من (٤٨) كفاية موزعة على أربعة مجالات هي : شخصية الطالب، التخطيط للتعليم وتصميمه، والنشاطات، والتقويم . وبعد التأكد من صدق الأداة وثباتها تم توزيعها على عينة الدراسة، حيث بينت نتائج الدراسة أن هناك (٣٤) كفاية تعليمية يعرفها المدرسون بدرجة عالية من أصل (٨٤) كفاية، وأنه يوجد (١٧) كفاية تعليمية ضرورية جداً للمدرسين و (٢٩) كفاية متوسطة الضرورة، وأن المدرسين في كليات المجتمع يمارسون (٩) كفاية تعليمية بدرجة عالية و (٢٥) كفاية يمارسونها دون مستوى الإتقان أي بدرجة دون المتوسط، وأنه لا توجد فروق في درجة معرفة هذه الكفايات ودرجة ممارستها.

3- دراسة (طناش،١٩٩٩م):

صمم طناش استبانة لغرض التعرف على الأداء التعليمي الجامعي الفعال من منظور أساتذة الجامعات الأردنية، وتضمنت (١٠٦) فقرات تتدرج ضمن (٨) مجالات رئيسية، وهي: التخطيط المسبق للمساق (١٤)، فقرة اليوم الدراسي الأول(١٥)، السلوكيات الصفية (١٨)، التعامل مع محتويات المساق (٧)، ممارسات الامتحانات والعلامات(٢٠)، التفاعل الصفي بين الأستاذ والطالب(٩)، العلاقات مع الزملاء(١٢)، الممارسات

خارج قاعة المحاضرة. (١١)، وأبرز تطبيق الاستبانة على (٢٨٨) أستاذاً، وعن وجود (٧٩) سلوكية تعليمية، يرى أعضاء هيئة التدريس أنها تشير إلى الأداء الفعال، وأهمها :بدء المحاضرة وإنهاؤها في الموعد المحدد، ربط المادة العلمية بالمواد السابقة، منح الطلبة فرصة لطرح الأسئلة وإبداء الملاحظات، شرح متطلبات المساق، تقيد الأستاذ بخطة المساق .أما السلوكيات غير الفاعلة فقد تم ترتيبها على النحو الآتي :استخدام الدعابة لكسر الجمود في المحاضرة، إنهاء المحاضرة بتلخيص لأهم نقاطها، طلب الأستاذ من الطالب الإجابة عن الأسئلة في المحاضرة، السماح لطالب بإدارة النقاش فيها.

٤ دراسة (السيندي، ٢٠٠٠):

هدفت الدراسة إلى معرفة درجة توافر الكفايات التعليمية لدى أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة السلطان قابوس، ودرجة ممارستهم لها من وجهة نظرهم، تكونت عينة الدراسة من جميع أعضاء عينة التدريس بكلية التربية والبالغ عددهم (١٠١) عضو هيئة تدريس، ولتحقيق ذلك هدف الدراسة .أعد الباحث استبانة تكونت من (٧٠) كفاية تعليمية، موزعة على سبعة مجالات تضم الأساليب والأنشطة واختيار التقنيات التعليمية، ومن نتائج الدراسة:

أ-أن أهم الكفايات التي توافرت لدى أعضاء هيئة التدريس تمارس بدرجة عالية والتي تتناول العناصر الرئيسة لعملية التدريس من إعداد خطة وتحليل محتوى التعليم وتحديد الاستراتيجيات التعليمية واستخدام الطرق المتنوعة وتنفيذ النشاطات التعليمية.

ب-وجود ارتباط موجب دال إحصائياً بين درجة توافر الكفايات التعليمية لدى أعضاء هيئة التدريس ودرجة ممارستهم لها إذا بلغ معامل الارتباط (٠.٩٥)

٥ دراسة (المخلافي، ٢٠٠١م):

هدفت الدراسة إلى بناء أداة لتقييم الكفايات التدريسية اللازمة لعضو هيئة التدريس في جامعة صنعاء . ولتحقيق ذلك، وجه سؤالاً مفتوحاً لنحو (١٠٠٠) طالب في كلية التربية بالجامعة، ولمجموعة من الأساتذة، طلب فيه كتابة (٤) كفايات تدريسية هامة، وبعد تجريب الأداة، أصبحت تتألف من (٧٦) فقرة تقيس الأبعاد الآتية :العلاقات مع الطلبة (٩) فقرات، المعرفة العلمية (٦)، التخطيط للتدريس (٥)، التنظيم للتدريس (٨)، تنفيذ التدريس (١٩)، التقييم (١٠)، أحكام التدريس الجامعي الفعال(١٠)، ورغم شمولية الأداء /إلا أن كثرة فقراتها قد يعيق تطبيقها بفاعلية في الموقف التعليمي الصيفي.

٦ دراسة (حسن،٢٠٠١م):

وهي من الدراسات المرتبطة بموضوع الدراسة الحالية التي هدفت إلى تطوير نموذج لتقويم التدريس الجامعي الفعال أشتمل على المكونات الآتية :الالتزام المهني، التخطيط للتدريس، العلاقات مع الطلاب

والزملاء، التدريس الفعال، المادة العلمية، التقنيات الموظفة، تقويم الطلاب .وبعد أن طرح الباحث خمسة معايير لتقويم التدريس في المجالات السبعة المذكورة، أطر المعايير المستخرجة في قائمة عرضها على مجموعة مختارة من أساتذة جامعة البحرين، وأفاد من آرائهم في تعديل النموذج ليصبح عدد بنوده بنتيجة التحكيم(٣٤) بنداً .وعلى الرغم من أهمية هذا النموذج، إلا أنه يؤخذ عليه التداخل بين مجالات التدريس السبعة، وعدم انسجام بعض فقراته مع مكونات التدريس .كما أن النموذج المطَور يضم فقرات لا تمت بصلة للتدريس الجامعي، مثل ":يؤدي المهام الموكلة إليه على أحسن وجه ,"وثمة فقرات يشوبها الغموض ,ويصعب قياسها ,مثل ": يقدم آراء جديدة تضاف للعلم."

٧ دراسة (السيد، ٢٠٠٢م):

قام الباحث بصياغة أربعة محددات معرفية للكفاءة التدريسية للمعلم الجامعي، وهي :الخصائص الشخصية، المعرفة المهنية، المعرفة الأكاديمية، المعرفة الثقافية العامة، ومع أن هذا النموذج هام ومفيد في استيعاب المحددات المعرفية لأداء الأستاذ الجامعي، إلا أن الباحث لم يوضح كيفية توظيف نموذجه في قياس هذا الأداء وتقويمه.

٨ دراسة (الشريف، ٢٠٠٢م):

هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة امتلاك أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات السعودية للكفايات التعليمية ودرجة ممارستهم لها والصعوبات التي يواجهونها، وتكونت عينة الدراسة من(٥٩٨) عضو هيئة تدريس موزعين على جامعتي الملك سعود وأم القرى، ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة طور الباحث أدوات تقيس درجة الامتلاك ودرجة الممارسة ودرجة الصعوبة للكفايات لأعضاء هيئة التدريس، وتأكد من صدق الأدوات من خلال عرضها على مجموعة من المحكمين والأخذ بآرائهم، وتوصل الباحث إلى:

أ- أن درجة امتلاك أعضاء هيئة التدريس للكفايات كانت بدرجة كبيرة.
ب- أن درجة الممارسة للكفايات التعليمية كانت بدرجة متوسطة.
ج- أن الصعوبات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس كانت بدرجة متوسطة.
د- هناك علاقة ارتباطيه إيجابية كلية بين درجة الامتلاك ودرجة الممارسة ودرجة الصعوبة في الكفايات.
هـ- الاستفادة من القائمة المعدة من قبل الباحث في إعداد برامج تدريب أعضاء هيئة التدريس في الجامعات.

٩ دراسة (عليمات، ٢٠٠٦م):

تتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها تهدف إلى تحديد الكفايات التعليمية لأداء أعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك .وتمثل هدف البحث الحالي في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما ترتيب الكفايات التعليمية الأدائية من حيث أهميتها من وجهة نظر أفراد العينة وما حجم التباين الترتيبي وفقاً للتخصص والرتبة العلمية؟ وشملت عينة الدراسة (٣٠٩) عضوا من أعضاء هيئة التدريس في كليات جامعة اليرموك، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١-جاء ترتيب مجالات الكفايات بحسب أهميتها وفقاً لوجهة نظر أفراد عينة الدراسة في الكليات العلمية والإنسانية متوافقاً بشكل عام، وتشير إلى حصول مجال: كفاية الممارسات التعليمية على المرتبة الأولى، ومجال: كفاية استثارة الدافعية على المرتبة الأخيرة.

٢-توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أعضاء هيئة التدريس في الكليات العلمية والإنسانية في الفقرات المشتركة بينهم عند مقارنتها بحسب الألقاب العلمية في بعض الكفايات كما أظهر الاختبار التائي .وقد وضع الباحث عدداً من التوصيات والمقترحات بناءً على النتائج التي توصلت إليها الدراسة، والتي من أهمها :الاستفادة من الكفايات التدريسية في برامج إعداد أعضاء هيئة التدريس في الجامعة، وإصدار كراس يتضمن الكفايات التدريسية وفقا للترتيب الذي حصلت عليه من نتائج الدراسة.

١٠. دراسة (الموسوي، ٢٠٠٧م):

هدفت هذه الدراسة إلى تصميم أداة لقياس درجة فاعلية التدريس الجامعي، ولتحقيق هذا الغرض اطلع الباحث على الدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة، وأعد قائمة أولية بالكفايات التدريسية الهامة، ثم صنف تلك الكفايات ضمن أربعة أبعاد رئيسية للتدريس الجامعي الفعال، واختار سلم التقدير المناسب للمقياس، وبعد التأكد من الصدق الظاهري للأداة، وتطبيقها على عينة عشوائية تتألف من (٢٠٨) أستاذاً و(٢١٦) طالباً في جامعة البحرين، تم تحديد العدد النهائي لفقرات المقياس بناءً على التحليل العاملي لاستجابات أفراد العينة، وبنتيجة ذلك أصبحت الأداة تتألف من (24) فقرة، وتقيس أربعة محاور أساسية للتدريس الجامعي الفعال، وهي :تخطيط التدريس وتنفيذه، العلاقات الإنسانية، التقويم الصفي، إدارة بيئة التعلم .وتم التحقق من صدق الأداة وثباتها، حيث بلغ معامل ثبات ألفا (٠.٧٨) وهي قيمة تدل على الاتساق الداخلي للمقياس . وفي ضوء هذه النتائج، أوصى الباحث باستخدام الأداة في تقويم أداء المعلم الجامعي، وتوظيف نتائج التقويم في تحسين أدائه وتجويده.

ثانيا :الدراسات الأجنبية :

١- دراسة(Hoerigk,1981) :

هدفت الدراسة إلى تحديد القدرات العامة التي يتصف بها الأداء التدريسي الناجح القائم على أساس الكفايات التعليمية، وتحديد مدى العلاقة بين القدرات العامة والأداء التدريسي، واستخدمت الدراسة استبياناً مكوناً من (101) كفاية وفقاً لمقياس ليكرت الخماسي، وقسمت العينة إلى مجموعتين :إحداهما تستخدم التربية القائمة على الكفايات، والأخرى لا تستخدم التربية القائمة على الكفايات، واستخدم الاختبار التائي لإيجاد الفروق بين المجموعات، وتوصلت النتائج إلى أنَّ كلتا المجموعتين أظهرتا درجات عالية في القدرة المعرفية، وتحليل مهارات التخطيط، وتوفير المهارات كمتغيرات مهمة في التعليم الناجح، ووجدت فروق ذات دلالة بين المجموعتين في كفايتين :الكفاية المهنية، والمهارات الموجهة، وظهر أنَّ هناك عدة كفايات لها دلالة إحصائية في نجاح التدريس :هي القدرة المعرفية والمرونة والكفايات المهنية، والتخطيط للمهارات وتنظيمها .

٢- دراسة (Marsh, 1982):

أعد الباحث نموذجاً حياً للطريقة التجريبية في إعداد أدوات قياس التدريس الفعال .فعلى أثر المقابلات التي أجريت مع الطلبة وأعضاء هيئة التدريس، تم تطوير عدد هائل من الفقرات تراوح (50-75) فقرة، وجرى تطبيقها على عينات كبيرة من الطلبة في مختلف الأقسام الأكاديمية، وطلب من الطلبة والأساتذة إبداء رأيهم فيها .وحددت أربعة معايير لاختيار بنود الصيغة النهائية للأداة، وهي :تقديرات الطلبة لأهمية الفقرات، وتقديرات الأساتذة لمدى فائدة الفقرات، التحليل العاملي لاستجابات) تقديرات (الطلبة، ومعاملات ثبات الفقرات، وبناء على ما تقدم، صار المقياس يتألف في شكله النهائي من (41) فقرة .منها (31) فقرة تقيس الأبعاد الآتية لأداء الأستاذ :التعلم (4) فقرات، الحماس (4) فقرات، التنظيم (4) فقرات، التفاعل مع الطلبة (4) فقرات، الألفة مع الطلبة (4) فقرات، العمق (4) فقرات، الامتحانات (3) فقرات، الأنشطة فقرتين، التقييم العام فقرتين، ومدى فائدة المقرر (10) فقرات، وقد استفاد الأساتذة من تطبيق المقياس في تحسين أدائهم.

٣- دراسة (Yallin,1993):

هدفت الدراسة إلى تحديد أهم الكفايات التعليمية الواجب أن يتضمنها برنامج إعداد وتدريب أعضاء هيئة التدريس في كليات مقاطعة الجيني (Allegheny) بولاية بنسلفانيا (Pennsylvania) في كليات التربية في المقاطعة، وكانت العينة مكونة من (220) مدرساً .وتكونت الاستبانة من (49) كفاية تعليمية موزعة على أربعة مجالات هي :مبادئ تصميم التعليم، والمواد التعليمية، وتقنيات إنتاج المواد والوسائل التعليمية والاتصال مع الجمهور .وتوصلت الدراسة إلى إجماع أعضاء هيئة التدريس على الكفايات التي يحب

أن تتضمنها برامج إعداد أعضاء هيئة التدريس :مبادئ تصميم التعليم، وتقنيات الإنتاج للمواد والوسائل التعليمية والاتصال مع الجمهور، كما اقترح أعضاء هيئة التدريس أن يدرس مساق مقدمة في التقنيات التعليمية في الجامعات والكليات ليتم تطوير بعض الكفايات التعليمية لدى أعضاء هيئة التدريس.

٤- دراسة (Crumbley ,ورفاقه، 2001م):

هدفت الدراسة إلى معرفة بعض السمات الشخصية للأستاذ المؤثرة إيجابياً في تقويم الطلبة لأدائه، وهي :أسلوب التدريس، مهارات عرض الدرس، الحماس، التحضير والتنظيم، العدالة في وضع الدرجات .أما الصفات المؤثرة سلباً فهي :عدم تمكن الأستاذ من تغطية محتوى المادة، طرح أسئلة محرجة على الطلبة، عدم كفاءة الأستاذ، تطبيقه اختبارات قصيرة مفاجئة، التشدد في وضع العلامات، كثرة الواجبات المنزلية . وأسفرت النتائج عن الكفايات الآتية :الشرح الواضح للمادة، التجاوب مع أسئلة الطلبة، استخدام الأساليب الإبداعية في التدريس، امتلاك حس الفكاهة، الضبط العادل للصف .

إجراءات الدراسة:

تحددت إجراءات الدراسة الحالية على النحو التالي:

١-الاطلاع على الدراسات السابقة، والأدبيات المتعلقة بمجال الدراسة الحالية.

٢-تحديد عينة الدراسة.

٣-إعداد الاستبانة المستخدمة في الدراسة الحالية.

٤-تطبيق أداة الدراسة على العينة.

٥-التوصل إلى النتائج.

٦-تحديد التوصيات والمقترحات اللازمة.

مجتمع الدراسة:

بلغ عدد الكليات التابعة لجامعة إب للعام الدراسي ٢٠٠٩/٢٠١٠م، (٨) كليات، وبلغ عدد أعضاء هيئة التدريس فيها وبحسب اللقب العلمي (٢١٨) عضواَ . منهم (١٠٢) من الكليات العلمية، و (١١٦) عضواً من الكليات الأدبية، والجدول (١) يوضح ذلك.

جدول (١) يوضح

مجتمع الدراسة لأعضاء هيئة التدريس موزعين بحسب اللقب العلمي على كليات جامعة

الكلية	اللقـــــب العـــــــــــــلمي				المجموع
	أستاذ	أستاذ مشارك	أستاذ مساعد	مدرس	
طب الأسنان	-	٤	٤	٧	١٥
الهندسة	-	٤	١٠	٦	٢٠
الزراعة والطب البيطري	٢	٣	١٢	٨	٢٥
العلوم	٣	١٠	٢٣	٧	٤٣
التربية- إب	١	١١	١٣	٨	٣٣
التربية- النادرة	-	٣	١٣	٧	٢٣
الآداب	٦	١٠	٢٠	٨	٤٤
التجارة	١	٣	٧	٥	١٦
المجموع	١٣	٤٧	١٠٢	٥٦	٢١٨

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من (٩٨) عضواً من أعضاء هيئة التدريس تم اختيارهم جميعاً بطريقة العينة العشوائية الطبقية stratified sample من المجتمع الأصلي . منهم (٤٦) عضواً من الكليات العلمية، و (٥٢) عضواً من الكليات الأدبية، وبنسبة (٤٥٪)، وذلك بحسب إحصاءات الجامعة الخاصة بالعام الدراسي ٢٠٠٩/٢٠١٠م، والجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول(٢) يوضح

عينة الدراسة موزعة بحسب اللقب العلمي ونوع الكلية

م	الكلية	المجموع
1	طب الأسنان	٧
2	الهندسة	٩
3	الزراعة والطب البيطري	١١
4	العلوم	١٩
5	التربية- إب	١٥
6	التربية- النادرة	١٠
7	الآداب	٢٠
8	التجارة	٧
	المجموع	٩٨

أداة الدراسة:

مرت عملية بناء الاستبيان كأداة قياس للدراسة بخمس مراحل أساسية هي:

المرحلة الأولى :إعداد قائمة أولية بالكفايات التدريسية لعضو هيئة التدريس :

اتبع الباحث فيها الخطوات التالية في إعداد قائمة الكفايات التدريسية الأولية لأداة القياس:

أولا: أجرى الباحث مسحا شاملاً للدراسات السابقة:

التي تناولت موضوع بناء أدوات لقياس كفايات التدريس الجامعي، ونتيجة لذلك تم حصر (٣٠) كفاية بالاعتماد على الكفايات التي حددها (الموسوي، ٧٥،٢٠٠٧) من مجمل الكفايات المتطلبة للأستاذ الجامعي في ميدان التدريس الصفي.

ثانيا: تم حصر الكفايات التدريسية ضمن أربعة محاور أساسية كما يلي:

أ - التخطيط للتدريس : وتضمنت (٧) فقرات:

يعدد للمحاضرة إعداداً مسبقاً، يعرض للمقرر الدراسي بصورة منطقية، يربط المقرر بخبرات الطالب، يوجه الأسئلة المثيرة لتفكير الطلبة، يستخدم تقنيات التعليم في المحاضرة، ينوع طرائق التدريس في الموقف التعليمي يشجع الطالب على المشاركة الفاعلة.

ب- العلاقات الإنسانية :وتضمنت (١٠) فقرات:

يجيب عن استفسارات الطلبة، يتعامل بمرونة ولباقة مع الطلبة، يشيع أجواء الألفة مع الطلبة، يتقبل الآراء المخالفة لرأيه، يتجاوب مع مقترحات الطلبة الخاصة بالمقرر، يراعي ظروف الطلبة عند تحديد مهام المقرر، يأخذ ظروف الطلبة في الحسبان عند تعيين مواعيد الاختبارات، يحفز الطالب على رفع مستوى تحصيله في المقرر، يعين الطالب على حل مشكلاته الدراسية الأكاديمية، يبدي الاستعداد لقبول اعتذارات الطلبة عن الغياب والتأخير.

ج - المارسات التدريسية: وتضمنت (٦) فقرات:

يلتزم بخطة المقرر، يبدأ المحاضرة ويحرص على بدء المحاضرة وإنهائها في الموعد المحدد، يستغل وقت المحاضرة في تحقيق أهداف المحاضرة، يتواجد في المكتب أثناء الساعات المكتبية، يلتزم بإرجاع الأوراق المصححة في المواعيد المحددة، ينفذ لأنشطة في مواعدها المحددة.

د-التقويم: وتضمن: (٧) فقرات:

يصيغ أسئلة الاختبار بوضوح، يربط أسئلة اختباره بالمقرر الدراسي، ينوع بالأسئلة حسب طبيعة المقرر يتوخى الدقة والوضوح في التصحيح ووضع الدرجات، يشرح للطلبة أخطاءهم بعد الاختبار، يمنح تقديرا للطالب بناءً على مستوى تحصيله الفعلي في المقرر، ينوع وسائل التقويم الصفي .

ثالثا: اختيار سلم التقدير:

تم اعتماد المستويات الآتية لتقدير أداء عضو هيئة التدريس، (بدرجة كبيرة – بدرجة متوسطة- بدرجة ضعيفة) ، وأعطيت الدرجات حسب مقياس ليكرت الثلاثي بحيث تأخذ (بدرجة كبيرة) ثلاث درجات ويعبر هذا المستوى عن السلوك المناسب تماماً، (وبدرجة متوسطة) درجتان ويعبر هذا المستوى عن السلوك المناسب إلى حد ما، (وبدرجة ضعيفة) درجة واحدة ويعبر هذا المستوى عن السلوك غير المناسب.

رابعا: صياغة فقرات الأداة:

صيغت فقرات الأداة بحيث يتوافق مضمون الفقرة مع محتوى الكفاية التدريسية المراد قياسها، وروعي في صياغة الفقرة وضوح المعنى ودقة المطلب.

المرحلة الثانية :التأكد من الصدق الظاهري للأداة:

اعتمد الباحث على صدق المحكمين، إذ عرض الاستبيان بصيغته الأولية على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص في مجال التربية والإدارة و طرق التدريس وعلم النفس، وذلك لإبداء آرائهم عن مدى ارتباط كل فقرة وشموليتها في المقياس بالكفايات التدريسية لأداء عضو هيئة التدريس في الجامعة، وفي ضوء ملاحظات المحكمين وآرائهم، تم تعديل صياغة بعض الفقرات وإبدال البعض الآخر بفقرات لا تحتمل التأويل المزدوج وبذا أصبح عدد الفقرات بصيغتها النهائية (٣٠) فقرة تمثل الكفايات التدريسية المشتركة لأداء أعضاء هيئة التدريس في كليات جامعة إب.

المرحلة الثالثة :تطبيق الأداة:

تم تطبيق الأداة في صيغتها الأولية على جميع أفراد العينة، خلال الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي٢٠٠٨ /٢٠٠٩م وعولجت البيانات لتي تمَّ الحصول عليها باستخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية(SPSS)، واستخراج النسب المئوية لاستجابات أعضاء هيئة التدريس على فقرات المقياس، والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، وكذلك معاملات ارتباط فقرات المقياس بالدرجة الكلية، وسجلت النتائج في الجداول(3) و(4)

جدول (٣) يوضح

النسب المئوية لاستجابات أعضاء هيئة التدريس لعبارات مقياس الكفايات التدريسية لعضو هيئة التدريس.

الكفايـــات التدريســـــــــــية	مدى ممارسات الكفايات التدريسية		
	بدرجة كبيرة	بدرجة متوسطة	بدرجة ضعيفة
١- يستطيع الأستاذ ربط المقرر بالواقع العملي.	٥٧.٢	٢٨.٣	١٥.٥
	٥٨.٧	٢٩.١	١٣.٢
٢- يصيغ أسئلة اختباراته بوضوح ودقة.	٥٧.٤	٢٨.٥	١٣.١
	٥٥.٦	٢٧.٢	١٨.٢
٤١- يعرض المادة الدراسية بصورة منطقية.	٦٦.٣	٢٥.٣	٨.٤
	٦٢.٨	٢٩.١	٩.١
٤٢- ترتبط أسئلة اختباراته بالمادة الدراسية.	٥١.٤	٤١.٣	٦.٣
	٥٣.٤	٤٠.٣	٦.٣
٤٣- الإعداد المسبق للمحاضرة.	٦٢.٢	٢٧.٥	١٠.٣
	٥٩.٤	٣٠.٣	١٠.٣
٤٤- يقوم أداء الطلبة بالمقرر بوسائل متعددة.	٤٨.٥	٤٠.٢	١١.٣
	٥١.٣	٤٢.٣	٦.٤

٣٥ يوجه الأسئلة المثيرة لتفكير الطلبة في المحاضرة.	٤٤.٩	٤٢.١	١٣
	٤٥.٢	٤٠.٦	١٤.٢
٣٦ يلتزم بخطة المقرر المتفق عليها في بداية الفصل.	٣٩.٤	٥٢.٤	٨.٢
	٤٠.٧	٥٣.٢	٦.١
٣٧ يستخدم الأسئلة الموضوعية والمقالية في اختباراته.	٤٨.٢	٤٠.٦	١١.٢
	٤٧.٥	٤٢.٣	١٠.٢
٣٨ يشرح للطلبة أخطائهم ويوضحها لهم بعد الاختبار.	٤٧	٣٧	١٦
	٤٩.٤	٣٩.٣	١١.٣
٣٩ يبدي استعداداً لقبول اعتذار الطالب عن التأخير والغياب.	٥٢.٦	٤٣.١	٤.٣
	٥٠.٨	٤٢.١	٧.١
٤٠ يتوخى الدقة في التصحيح ووضع الدرجات.	٤٤.٥	٤٣.٣	١٢.٢
	٤٥.١	٤٢.٧	١٢.٢
٤١ يجيب بوضوح عن استفسارات الطلبة في المحاضرة.	٤٩.٤	٣٩.٤	١١.٢
	٥٠.٣	٤٠.٣	٩.٤
٤٢ يتواجد أثناء الساعات المكتبية المعلنة في مكتبه.	٥٠.٦	٤١.٣	٨.١
	٥١.٤	٤٣.٢	٥.٤
٤٣ يشيع جو من الألفة والمودة مع طلبته.	٥٣.١	٤١.٦	٥.٣
	٥٢.١	٤٣.٧	٤.٢
٤٤ يستخدم تقنيات التعليم في التدريس.	٦٧.٤	٢٢.٣	١٠.٣
	٦٥.٤	٢٤.٤	١٠.٢

٢٥	يعيد أوراق الاختبار المصححة لطلبته في الموعد المحدد.	٥٧.٩	٢٨	١٤.١
		٦٦.٥	٣٠.١	١٣.٤
٢٦	يتقبل برحابة صدر آراء الطلبة المخالفة لرأيه.	٤٢.١	٥٣.٤	٤.٥
		٤٤.٣	٤٣.٤	١٢.٣
٢٧	يحرص على بدء المحاضرة وانتهائها في موعدها.	٤٠.٢	٤٠.١	١٩.٧
		٤٣.٣	٣٩.٤	١٧.٣
٢٨	يمنح الطالب تقديراً يتوافق مع مستوى تحصيله الفعلي في المقرر.	٦١.٨	٣٤.١	4.1
		٥٩.٤	٣٦.٢	٤.٤
٢٩	يعين الطالب على حل مشكلاته الدراسية والأكاديمية.	٥٧.٧	٣٦.٢	٦.١
		٥٢.٦	٣٩.٣	٨.١
٣٠	يحفز الطالب على رفع مستوى تحصيله في المقرر.	٥١.٤	٤١.٣	٧.٣
		٥٣.٢	٤٣.١	٣.٧
٣١	ربط المقرر بخبرات الطالب.	٤٨.٥	٤٥.٣	٦.٢
		٤٧.٧	٤٤.٢	٧.١
٣٢	يتعامل بلباقة ومرونة مع طلبته داخل الصف وخارجه.	٥٢.٤	٤٣.٣	٤.٣
		٥١.٦	٤١.٢	٧.٢
٣٣	يستغل وقت المحاضرة في تحقيق أهداف الدرس.	٥٠.١	٤٤.٤	٥.٥
		٤٩.٤	٤٣.٥	٧.١

٣٤ تنويع طرائق التدريس في الموقف التعليمي.	٦٧.٧	٢١.١	١١.٢
	٦٦.١	٢٢.٦	١١.٣
٣٥ يشجع الطالب على المشاركة الفعلة في المحاضرة.	٥٨.٦	٢٩.٢	١٢.٢
	٥٩.٣	٢١.٦	١٩.١
٣٦ يحرص على استلام أنشطة الطلبة في مواعيدها المحددة.	٤٨.٤	٣٧.٤	١٤.٢
	٤٦.٦	٣٩.٢	١٤.٢
٣٧ يراعي ظروف طلبته عند تحديد مواعيد الاختبارات.	٦١.٣	٣٥.٤	٣.٣
	٦٠.٦	٣٤.١	٥.٣
٣٨ يتجاوب مع مقترحات الطلبة وأفكارهم الخاصة بالمقرر.	٥٢.٨	٤٣.١	٤.١
	٥١.٤	٤٤.٣	٤.٣

جدول (٤) يوضح

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ومعاملات ارتباط الفقرات بالدرجة الكلية في مقياس الكفايات التدريسية لعضو هيئة التدريس.

الكفايـــــات التدريســـــــــــــية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الارتباط
1 - يربط المقرر بالواقع العملي.	٢.٤٤	٠.٤٥	٠.٣٦
2 - يصيغ أسئلة اختباراته بوضوح ودقة.	٢.٤٤	٠.٤٥	٠.٣٦
3 - يعرض المادة بأسلوب يسهل على الطالب استيعابها.	٢.٦٠	٠.١٤	٠.٣٢
4 - ترتبط أسئلة اختباراته بالمادة الدراسية.	٢.٤٥	٠.٤٥	٠.٣٧
5 - يعد نفسه لتقديم المحاضرة إعداداً تاماً.	٢.٥٨	٠.١٤	٠.٣٣
6 - يقوم أداء الطلبة بالمقرر بوسائل متعددة.	٢.٣٨	٠.٠٦	٠.٣٥
7 - يطرح الأسئلة المثيرة للتفكير في المحاضرة.	٢.٣٣	٠.١٦	٠.٣٣

8 - يلتزم بخطة المقرر المتفق عليها في بداية الفصل.	٢.٣٠	٠,٢٥	٠,٣٦
9 - يستخدم الأسئلة الموضوعية والمقالية في اختباراته.	٢.٣٣	٠,١٣	٠,٣٣
١٠- يشرح للطلبة أخطائهم ويوضحها لهم بعد الاختبار.	٢.٣٥	٠,١١	٠,٣٤
11 - يبدي استعداداً لقبول اعتذار الطالب عن التأخير والغياب.	٢.٥٠	٠,٤٠	٠,٣٧
12 - يتوخى الدقة في تصحيح أوراق الاختبار ووضع الدرجات.	٢.٣٣	٠,١٣	٠,٣٣
13 - يجيب بوضوح عن استفسارات الطلبة في المحاضرة.	٢.٣٩	٠,٧١	٠,٣٥
14 - يتواجد أثناء الساعات المكتبية المعلنة في مكتبه.	٢.٤٣	٠,٣٠	٠,٣٦
15 - يحرص على إشاعة جو من الألفة والمودة مع طلبته.	٢.٥٢	٠,٦٠	٠,٣٦
16 - يستخدم تقنيات التعليم في التدريس.	٢.٥٩	٠,١٣	٠,٣٦
17 - يعيد أوراق الاختبار المصححة لطلبته في الموعد المحدد.	٢.٤٤	٠,١٣	٠,٣٦
18 - يتقبل برحابة صدر آراء الطلبة المخالفة لرأيه.	٢.٤١	٠,٥٠	٠,٣٦
19 - يحرص على بدء المحاضرة وانتهائها في موعدها.	٢.٢٢	٠,٢٤	٠,٢٤
20 - يمنح الطالب تقديراً يتوافق مع مستوى تحصيله الفعلي في المقرر.	٢.٦٢	٠,١٦	٠,٣١
21 - يعين الطالب على حل مشكلاته الدراسية والأكاديمية.	٢.٥٨	٠,١٤	٠,٣٣
22 - يمنح الطالب الفرصة كي يرفع مستوى تحصيله في المقرر.	٢.٤٥	٠,١٠	٠,٣٧
23 - يراعي ظروف طلبته عند تحديد متطلبات المقرر.	٢.٤٢	٠,٤٠	٠,٣٦
24 - يتعامل بلباقة ومرونة مع طلبته داخل الصف وخارجه.	٢.٥٢	٠,١٩	٠,٣٦
25 - يستغل وقت المحاضرة في تحقيق أهداف الدرس.	٢.٤٨	٠,٢٠	٠,٣٦
26 - يستخدم طرائق تدريس متنوعة في تدريس المقرر.	٢.٦٣	٠,١٧	٠,٣٠
27 - يشجع الطالب على المشاركة الفعلة في المحاضرة.	٢.٥٠	٠,١٠	٠,٣٧
28 - يحرص على استلام أنشطة الطلبة في مواعيدها المحددة.	٢.٣٥	٠,١٩	٠,٣٤
29 - يراعي ظروف طلبته عند تحديد مواعيد الاختبارات.	٢.٦٢	٠,٠١	٠,٣١
30 - يتجاوب مع مقترحات الطلبة وأفكارهم الخاصة بالمقرر.	٢.٨٢	٠,٠٣	٠,٨٢

المرحلة الرابعة :تحديد العدد النهائي لفقرات الأداة.

تمَّ اعتماد طريقة التحليل العاملي لاستجابات أفراد العينة، لتحديد العدد النهائي لفقرات المقياس حيث تمَّ إخضاع استجابات أعضاء هيئة التدريس للتحليل العاملي، وذلك بهدف التعرف على العوامل الرئيسة التي تشكل أبعاد الكفايات التدريسية، وتحديد الفقرات المرتبطة بها باستخدام طريقة تحليل (المكونات الأساسية)، وتدوير العوامل المستخلصة بأسلوب فاريماكس (Varimax)، ودونت نتائج التحليل في الجدول (٥)، ولفرز العوامل التي تشكل محاور محتملة للكفايات التدريسية تمَّ الأخذ بمحك جليفورد الذي يقضي بأن يقتصر اختيار البنود في العوامل على الفقرات التي لا تقل قيمة تشبع كل واحدة منها على العامل (٠.٣) ، ولا تتشبع أي فقرة بهذه القيمة أو بقيمة أعلى منها على أكثر من عامل واحد في نفس الوقت، وبناء على هذا المحك تمَّ حذف الفقرات التالية: (١،١٠، ١٦، ٢٦)، لأنَّ قيمة تشبع كل واحدة منها على العوامل المستخرجة أقل من (٠.٣) وبموجب تلك الاعتبارات أصبحت مصفوفة العوامل المستخرجة تضم26 بنداً، تحقق المحك، وتندرج ضمن أربعة عوامل رئيسة يزيد الجذر الكامن لكل منها من الواحد الصحيح، حيث تشكل هذه العوامل من التباين الكلي ما مقداره (٤٩.٤٪) وهي نسبة مرتفعة.

جدول (٥) يوضح

مصفوفة العوامل الناتجة بعد التدوير وقيم تشبع بنود المقياس على كل منها

البند	قيمة التشبع على العامل				البند	قيمة التشبع على العامل			
	الأول	الثاني	الثالث	الرابع		الأول	الثاني	الثالث	الرابع
•١	.٠٨	.٠٩	.١٠	.٠٧	•١٦	.٢٤	.٠٦	.١١	.٠٣
٢	.١١	.١٣	.١٤	.٣٢	١٧	.٤٤	.٣٧	.٢١	.١٦
٣	.٠٣	.١١	.١٢	.٢٢	١٨	.٢١	.٣٥	.٢٧	.٠٨
٤	.١٢	.١٤	.٢٤	.٥٣	١٩	.٦٢	.٠٨	.٠٨	.١٣
٥	.١١	.١٣	.٣١	.٦٢	٢٠	.١١	.١٦	.٠٧	.٤٧
٦	.١٥	.٠٦	.٥١	.٢٩	•٢١	.٠٦	.١٤	.٠٢	.٠٨
٧	.٢٤	.٠٤	.٤٦	.٣٣	٢٢	.٠٢	.٤٦	.١٥	.١٦
٨	.٢٨	.٠٦	.٥٦	.٠٧	٢٣	.٠٦	.٥١	.٣٥	.١٩
٩	.٤٧	.٢١	.١٦	.٢٨	٢٤	.٢٤	.٦٣	.٠٦	.٠٢
•١٠	.٠٤	.٠١	.١٨	.٠٥	٢٥	.٥٤	.٣٨	.٢٥	.٠٣
١١	.١٣	.٤٢	.٠٢	.١٩	٢٦	.٢١	.٠٤	.٢٦	.٠٩
١٢	.١٧	.٠٦	.٠٧	.٤٦	٢٧	.٢٤	.٠٧	.٤١	.٠٢
١٣	.١٩	.٠٤	.٢٨	.١٦	٢٨	.٤٨	.٠٤	.١٢	.٠٩
١٤	.٦١	.٠١٨	.٠٨	.٠٨	٢٩	.٠٤	.٥٢	.٠٨	.٣٤
١٥	.٣٢	.٢٥	١٩.	.١٣	٣٠	.٢٤	.٥٣	.١٤	.١٠
التباين	٢١.٣٦	٨.٥٧	٧.٠٣	٥.٩٢	الجذر الكامن	٧.٢١	٢.٣٥	.١٨.٠٤	١.٥٤

وبعد حذف الفقرات المذكورة أعلاه يتبين المحاور الرئيسة التي توضح الكفايات التدريسية لعضو هيئة التدريس في جامعة إب هي:

أ‌- المحور الأول : التخطيط للتدريس، وتعكسه الفقرات:٢ ، ٢٧،٢٦،٧،٥،٣.

ب‌- المحور الثاني: العلاقات الإنسانية، وتعكسه الفقرات: ١٣،٢٩،٢٤،٢٣،٢٢،١٨،،١٥،١١، ٣٠.

ت‌- المحور الثالث: الممارسات التدريسية، وتعكسه الفقرات: ٢٨،٢٥،١٩،١٧،١٤،٨.

ث **المحور الرابع:** التقويم، وتعكسه الفقرات: ٢٠،١٢،٩،٦،٤،٢.

وبناء على ما تقدم يصبح المقياس بصورته النهائية يضم (٢٦) فقرة تقيس أربعة محاور هي: التخطيط للتدريس، والعلاقات الإنسانية، والممارسات التدريسية، والتقويم.

المرحلة الخامسة : التحقق من صدق الأداة وثباتها:

أ **صدق الأداة البنائي:**

تمَّ حساب الصدق البنائي للأداة من خلال تطبيقها في صورتها النهائية على جميع أفراد العينة، وإيجاد معامل الارتباط بين الفقرة والمحور الذي تنتمي إليه، وكذلك بين المحور والدرجة الكلية للمقياس وبلغت بين (٥١ -٧٧%)، وهي دالة إحصائيا عند مستوى أقل من ٠.٠١ ٪ مما يدل على الاتساق الداخلي للمقياس، وسجلت النتائج في الجدولين على التوالي (٦) و (٧).

جدول (٦) يوضح

معاملات الارتباط (ر) بين فقرات المقياس والمحاور المقابلة لها

المحور	الفقرة	ر	المحور	الفقرة	ر
التخطيط للتدريس	٢	.٦٣	الممارسات التدريسية	٨	.٧١
	٥	.٥٥		١٤	.٥٩
	٧	.٦٦		١٧	.٦٩
	٢٦	.٦٨		١٩	.٥٧
	٢٧	.٧٤		٢٥	.٥٣
				٢٨	.٦٨
العلاقات الإنسانية	١١	.٦٢	التقويم	٢	.٦٥
	١٣	.٥٦		٤	.٧٢
	١٥	.٥٩		٦	.٦١
	١٨	.٥٧		٩	.٥٩
	٢٢	.٦٠		١٢	.٦٩
	٢٣	.٥٥		٢٠	.٦٤
	٢٤	.٦٦			
	٢٩	.٦١			
	٣٠	.٥٩			

يبين الجدول (٦) معاملات ارتباط المحاور بالدرجة الكلية لمقياس الكفايات التدريسية لعضو هيئة التدريس، والتي تتراوح بين ٥١. – ٧٨. وجميعها دالة إحصائيا عند مستوى أقل من ٠١.

جدول (٧) يوضح

معاملات الارتباط (ر) بين المحاور والدرجة الكلية ومعاملات ثباتها

المحور	عدد البنود	ر	معاملات الثبات	
			الإعادة	ألفا
التخطيط للتدريس	٥	.٦٤	.٦٦	.٦٥
العلاقات الإنسانية	٩	.٧٧	.٧٣	.٧٥
الممارسات التدريسية	٦	.٧١	.٧٣	.٧٤
التقويم	٦	.٧٤	.٧٢	.٧٣
المقياس ككل	٢٤		.٧١	٧٤.٧١

وقد حاز محور العلاقات الإنسانية أعلى ارتباط بالدرجة الكلية (.٧٧)، فيما نال محور التخطيط للتدريس أدنى ارتباط له بالدرجة الكلية (.٦٤). وهذه القيم مجتمعة تبين أنَّ المقياس يتمتع بمستوى عال من الصدق ويقيس الكفايات التدريسية لعضو هيئة التدريس بدقة.

ب - ثبات الأداة:

أعاد الباحث تطبيق الاستبيان على عينة مكونة من (٢٠) عضوا من أعضاء هيئة التدريس في جامعة إب بفارق أسبوعين بين التطبيق الأول، والثاني واستخدم فيه معامل ارتباط بيرسون حيث بلغ معامل الثبات الكلي (٠.٧٥، ٪) وهي درجة ثبات تؤكد الاتساق الداخلي للمقياس، ويمكن الاعتماد عليها.

نتائج الدراسة:

أ‌- تمّ حصر أداة القياس في (٢٦) بنداً-تحقق المحك (محك جليفورد)، باستخدام التحليل العاملي، وتدوير العوامل المستخلصة بأسلوب فاريماكس (Varimax)-موزعة على أربعة محاور رئيسة يزيد الجذر الكامن لكل منها عن الواحد الصحيح ، حيث تشكل هذه المحاورمن التباين الكلي ما مقداره (٤٩،٤٪) وهي نسبة مرتفعة. والبنود موزعة على المحاور كما يلي:

١-التخطيط للتدريس. ٦ فقرات.

٢- العلاقات الإنسانية. ٩ فقرات.

٣-الممارسات التدريسية. ٦ فقرات.

٥- التقويم. ٦ فقرات.

ب تمّ التأكد من الصدق البنائي للأداة للتدليل على الاتساق الداخلي للمقياس، باستخدام معامل الارتباط بين الفقرة والمحور، وكذلك بين المحور والدرجة الكلية للمقياس حيث بلغت بين (٥١ ٧٧٪)، وهي دالة احصائيا عند مستوى دلالة أقل من (٠,٠١٪).

ت تمّ التأكد من ثبات الأداة للتدليل كذلك على الاتساق الداخلي للمقياس باستخدام معامل ارتباط بيرسون، حيث بلغ معامل الثبات الكلي (٠,٧٥٪)، وهي درجة ثبات عالية يمكن الاعتماد عليها

التوصيات والمقترحات:

بناءً على ما تقدم:

أ يوصي الباحث باستخدام الأداة المصممة في تقويم أداء الأستاذ الجامعي في مؤسسات التعليم العالي.

ب يوصي باستخدام الأداة المصممة في ترقية الأستاذ الجامعي، وفي تحديد الأساتذة المتميزين في مجال التدريس.

ت يوصي باستخدام الأداة المصممة في التقويم الذاتي للأستاذ الجامعي في الجامعة.

ث يوصي بإصدار دفتر يتضمن الكفايات التدريسية ذات الأهمية وفقا للترتيب الذي حصلت عليه من نتائج هذه الدراسة، لكي يستفيد منها أعضاء هيئة التدريس في الجامعة.

ج يوصي ببناء أدوات مقننة أخرى في تقويم رؤساء الأقسام والعمداء.

أهم المراجـــــع:

١- أحمد السيد (٢٠٠٢). المحددات المعرفية للكفاءات التدريسية للمعلم الجامعي، مجلة كلية التربية (جامعة المنصورة)، ع (٤٩).

٢- بدري جميل، وإبراهيم إبراهيم (١٩٨٦). الكفاءات المهنية للقائمين بالتدريس في كليات جامعة بغداد، بغداد: مركز البحوث التربوية والنفسية.

٣- خالد الشريف(٢٠٠٢). (مدى امتلاك أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية الكفايات ومدى ممارستهم لها والصعوبات التي يواجهونها)، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن: جامعة اليرموك.

٤- سعيد السنيدي (٢٠٠٠). (الكفايات التقنية التعليمية لدى أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية في جامعة السلطان قابوس ومدى ممارستهم لها). رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن: جامعة اليرموك.

٥- سلامة طناش (١٩٩٩). الأداء التعليمي الجامعي الفعال من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية الحكومية. أبحاث اليرموك، ١٥ (٤).

٦- ناصر عليمات (٢٠٠٦). الكفايات التعليمية لأداء أعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك، المجلة التربوية (جامعة اليرموك)، ع (٧٨)، المجلد ٢٠.

٧- عبد علي حسن (٢٠٠١). تقويم التدريس الجامعي، مجلة العلوم الإنسانية، ع(٤).

٨- عبد الغني عبود، وعبد الحميد جابر(٢٠٠١). الإدارة الجامعية في الوطن العربي، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي.

٩- عبد المعطي الصباغ (١٩٩٤). (الكفايات التكنولوجية التعليمية لمدرسي كليات المجتمع الحكومية في الأردن). رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن: جامعة اليرموك.

١٠-محمد المخلافي (٢٠٠١ب). بناء أداة لتقييم كفايات الأداء التدريس لعضو هيئة التدريس في جامعة صنعاء، مجلة الدراسات الاجتماعية، ع(١٢).

11- Crumbly, l., Henry, B. K.; & Kratchman. S. H. (2001) Students Perception of the Evaluation of College Teaching. Quality Assurance for teaching. 9(4).

12- Hoerig, Ruth C. (1981). Identification of Generic Competencies under Lying Successful Instructional Performance in Competency –Base Program Of Higher Education. Dissertation Abstracts International, A, Vol.41, No 12, Jul.

13-March, H. W. (1982). SEEQ; AR reliable, valid, and Useful Instrument for Collecting Students, evaluations of University Teaching. British Journal of Educational Psychology, 52.

14- March, H. W. (1987). Students evaluations of University Teaching; Research Finding M ethodolologyical Issues, and Directions for Future research. International Journal of educational Research, 11(3).

15-Yallin, H. (1993). A "Study of Secondary School Teacher Competencies Necessary for the Use of Education technology Teacher Competencies. Dissertation Abstracts International", 54(3).

ملحق (١) يوضح

جدول يوضح مقياس الكفايات التدريسية (الصورة النهائية)

عبارات المقياس	مستوى الأداء		
	بدرجة كبيرة	بدرجة متوسطة	بدرجة ضعيفة
١- يصيغ أسئلة اختباراته بوضوح ودقة			
٢- يعرض المقرر بأسلوب يسهل على الطالب استيعابها.			
٣- ترتبط أسئلة اختباراته بالمقرر الدراسي.			
٤- يعد نفسه إعداداً تاماً للمحاضرة.			
٥- يقوم أداء طلبته في المقرر بوسائل متعددة .			
٦- يطرح الأسئلة المثيرة للتفكير في المحاضرة.			
٧- يلتزم بخطة المقرر المتفق عليها في بداية الفصل.			
٨- يستخدم الأسئلة الموضوعية والمقالية في اختباراته.			
٩- يبدي استعداداً لقبول اعتذار الطالب عن التأخير والغياب			
١٠- يتوخى الدقة في تصحيح اختباراته ووضع درجاته.			
١١- يجيب بوضوح عن استفسارات الطلبة في المحاضرة.			
١٢- يتواجد أثناء الساعات المكتبية المعلنة في مكتبه.			
١٣- يحرص على إشاعة جو من الألفة والمودة مع طلبته.			
١٤- يستخدم تقنيات التعليم في التدريس.			
١٥- يعيد أوراق الاختبار المصححة لطلبته في الموعد المحدد.			
١٦- يتقبل برحابة صدر آراء الطلبة المخالفة لرأيه			
١٧- يحرص على بدء المحاضرة وانتهائها في موعدها.			
١٨- يمنح الطالب فرصة كي يرفع مستوى تحصيله في المقرر.			
١٩- يحفز الطالب على رفع مستوى تحصيله في المقرر .			
٢٠- يراعي ظروف طلبته عند تحديد مواعيد الاختبارات.			
٢١- يتعامل مع طلبته بلباقة ومرونة داخل المحاضرة وخارجها.			

٢٢- .يستغل وقت المحاضرة في تحقيق أهداف الدرس.			
٢٣- يستخدم طرائق تدريس متنوعة في تدريس المقرر.			
٢٤- يشجع الطالب على المشاركة الفعلة في المحاضرة			
٢٥- يحرص على استلام أنشطة طلبته في موعدها المحدد.			
٢٦- يتجاوب مع مقترحات الطلبة وأفكارهم الخاصة بالمقرر.			

ملحق (٢)

يوضح محاور الكفايات التدريسية والفقرات المقابلة لها في المقياس

المحور	عدد الفقرات	أرقام الفقرات
• التخطيط للتدريس	٥	١،٥،٧،٢٦،٢٧
• العلاقات الإنسانية	٩	١١،١٣،١٥،١٨،٢٢،٢٣،٢٤،٢٩،٣٠
• الممارسات التدريسية	٦	٨،١٤،١٧،١٩،٢٥،٢٨
• التقويم الصفي	٥	٢،٤،٩،١٢،٢٠

ملحق(٣) يوضح الاستبانة

بسم الله الرحمن الرحيم

زميلي / زميلتي عضو هيئة التدريس المحترم.

تحية طيبة ....وبعد:

بين يديك استبانة تهدف إلى بناء أداة لقياس الكفايات التدريسية اللازمة لعضو هيئة التدريس بجامعة إب أثناء قيامه بمهامه التدريسية، وذلك من خلال الوقوف على آراء أعضاء هيئة التدريس العاملين بكليات جامعة إب .ونظراً لما لرأيكم من أهمية في مساعدتنا للوصول إلى الكفايات التدريسية اللازمة لعضو هيئة التدريس بالجامعة .فنرجو منكم الاطلاع على العبارات الواردة بهذا الاستبيان بتمعن، والإجابة عليها بوضع إشارة (√) أما الاختيار الذي تراه مناسباً لوجهة نظركم، وإضافة ما ترونه مناسباً من اقتراحات أو تعديلات .

شاكرين لكم تعونكم.

الباحث

أ.د محمد فائز محمد عادل

مقياس الكفايات التدريسية (الصورة النهائية)

عبارات المقياس	مستوى الأداء		
	بدرجة كبيرة	بدرجة متوسطة	بدرجة ضعيفة
• يعد الأستاذ نفسه إعداداً تاماً للمحاضرة.			
• يحرص على بدء المحاضرة وانتهائها في موعدها.			
• يلتزم بخطة المقرر المتفق عليها في بداية الفصل.			
• يعرض المادة بأسلوب يسهل على الطالب استيعابها.			
• يستغل وقت المحاضرة في تحقيق أهداف الدرس .			
• يراعي ظروف طلبته عند تحديد مهام المقرر.			
• يطرح الأسئلة المثيرة للتفكير في المحاضرة .			
• يشجع الطالب على المشاركة الفعالة في المحاضرة.			
• يتقبل برحابة صدر آراء الطلبة المخالفة لرأيه.			
• يتجاوب مع مقترحات الطلبة وأفكارهم الخاصة بالمقرر.			
• يتعامل مع طلبته بلباقة ومرونة داخل المحاضرة وخارجها.			
• يستخدم تقنيات التعليم في تدريس المقرر.			
• يعين الطالب على حل مشكلاته الدراسية والأكاديمية .			
• .يبدي استعداداً لقبول اعتذار الطالب عن التأخير والغياب.			
• يتواجد أثناء الساعات المكتبية المعلنة في مكتبه.			
• تتصف أسئلة اختباراته بالدقة والوضوح.			
• ترتبط أسئلة اختباراته بالمادة الدراسية.			
• يتوخى الدقة في تصحيح اختباراته ووضع درجاته.			
• يراعي ظروف طلبته عند تحديد مواعيد الاختبارات .			
• يعيد للطلبة أوراق الامتحان المصححة في الموعد المحدد.			
• يقوم أداء طلبته في المقرر بوسائل متعددة .			
• يمنح الطالب تقديراً يتوافق مع مستوى تحصيله الفعلي في المقرر..			
• يمنح الطالب فرصة كي يرفع مستوى تحصيله في المقرر.			
• يحرص على استلام أنشطة طلبته في موعدها المحدد.			

جناية الإصابة بالعين في الشريعة الإسلامية والتشريع اليمني

د/ محمد شوقي ناصر عبدالله الأعور

أستاذ الفقه المساعد ورئيس قسم القرآن الكريم

وعلومه-كلية التربية جامعة حجة

3

الملخص

يهدف هذا البحث الى بيان أهم الأحكام المتعلقة بجناية الإصابة بالعين في الشريعة الإسلامية والتشريع اليمني، وذكر الأدلة على حقيقة و مشروعية الاستشفاء من جناية الإصابة بالعين، ويتناول البحث بيان علامات الإصابة بالعين، وبين البحث الوسائل الشرعية للوقاية من العين قبل وقوعها والتي من أهما الأذكار والتعويذات الشرعية والتبريك والتكبير، و بين البحث أهم الوسائل الشرعية للعلاج من العين بعد وقوعها والتي من أهما الرقية الشرعية والاغتسال والوضوء ، ثم تطرق البحث إلى بيان موقف التشريع اليمني منها، والعقوبة المقررة شرعاً وقانوناً لجناية الإصابة بالعين ، ثم بين الباحث أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها هذا البحث.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده حمداً، والشكر لله نشكره شكرا نحمده ونشكره على نعمائه التي لا تحصى ولا تعد، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، الصادق الأمين، نبينا وقدوتنا محمد ﷺ الداعي الأول إلى دعوة الله، والإيمان به، وإتباع أوامره، واجتناب نواهيه، القائل بأن جل الخير في التفقه في الدين: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[1] وعلى آله وصحبه، ومن نهج نهجه، واستن بسنته، وسلك سبيله، وتقفى أثره إلى يوم الدين.

ثم أما بعد:

فالعين هي الدرة الثمينة التي لا تقدر بثمن، وقد سماها الله تعالى الحبيبة والكريمة، كما جاء في حديث رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول : إن الله قال :(إذا أبتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته عنهما الجنة) :[2]. وخلق العين من أعظم أسرار قدرة الخالق عز وجل، فهي برغم صغرها بالنسبة إلى كل المخلوقات من حولها، فإنها تتسع لرؤية كل هذا الكون الضخم بما فيه من سماوات و أراضين وبحار وكل المخلوقات. وحاسة البصر تأتي في المرتبة الثانية من الأهمية بعد السمع، قال تعالى: ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾[3]

والعين مرآةالجسم، وآلة التمييز، وهي النافذة التي يطل منها الإنسان على العالم الخارجي، ويكشف بها عن أسرار الأشكال والأحجام والألوان، وهي وسيلة الإنسان للإبصار والتفكر في خلق السماوات والأرض والكائنات بشكل عام قال تعالى: ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾[4]ولأن العين كما قلنا أغلى ما يمتلكه الإنسان، فإنه من الواجب علينا أن نعتني بها ونصونها وندرأ بها عن أي سوء قد يصيبها أو يصيب بها الغير.

ومن أهم الأمور التي تحفظ للعين صحتها وقوتها هو عدم استخدامها في معصية الله وهي النعمة التي أنعم علينا بها قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾[5]وقد خلق الله الإنسان ووضع له مقومات الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، وغيرها، ونظم علاقاته بربه

---

[1] - أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي : ٧ /٨٢١ ، حديث رقم (٦٨٣٢) كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة ، ط ٤ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩١ م، دار المعرفة.
[2] - أخرجه البخاري في صحيحه: ١٣٣/١٠ ، كتاب المرض، بتب فضل من ذهب بصره.
[3] - سورة الإنسان : الآية رقم (٣).
[4] - سورة العنكبوت : الآية رقم (٢٠) .
[5] - سورة الإسراء : الآية رقم (٣٦) .

وبنفسه وأسرته وجيرانه وغيره من الناس، ولم يترك شيئ إلا وبين حكمه قال تعالى:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[١].

إن الأمراض التي يصاب بها الإنسان منها ما هو متعلق بالأبدان والأجسام ومنها ما هو متعلق بالقلوب، وأمراض القلوب أشدُ خطراَ وأعظم ضرراً من أمراض الأبدان، وعلاجها عسير وشفاؤها مديد، وأمراض القلوب إما شهوة أو شبهة ومن هذه الأمراض الخبيثة والأدواء الفتاكة المقيتة نظرة العين الناتجة عن الحسد الذي يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

ومما لا شك فيه أن الإنسان قد يتعرض للجنايات المادية والمعنوية، ومن الجنايات المعنوية الإصابة بالعين فقد يصاب بالعين في نفسه أو ماله وأهله وأحبابه، ويشعر بأمراض كثيرة منها شحوب وجه، وتغيير لونه، ونحف جسمه والشعور بالصداع الدائم، والآلام الشديدة في الظهر والبطن الأطراف وغيرها، وهو لا يدري أنه مصاب بالعين، وعلامات العين كثيرة والغالب أنها تكون أمراض عضوية إلا أنها لا تستجيب إلى علاج الأطباء[٢].

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في النقاط التالية:

١- أن موضوع الإصابة بالعين من الأمور التي أختلف الناس في حقيقتها وحكمها، فمنهم من أنكرها ونفى تأثيراتها وحقيقتها، مدعياً أنها من الأوهام والخيالات وغيرها، ومنهم من أثبتها مدعماً قوله بالأدلة الشرعية.

٢- تنازع الناس في كيفية الوقاية والعلاج من العين حتى أن البعض منهم قد لجأ للعلاج بأشياء فيها محاذير شرعية ناسين أومتناسين خطورة الأمر وأنه لا دواء بما حرم الله.

٣- الحاجة الماسة إلى بيان أحكام العين وما يتعلق بها من مسائل هي بحاجة إلى التأصيل الشرعي المستمد من الكتاب والسنة، فكان هذا البحث تحقيقاً لهذه الأهداف وسعياً لتحصيلها، وإسهاما منا في تزويد وإثراء المكتبة العربية والإسلامية بالحوث التي تعالج قضايا واقعية ولسد ثغرة ولو بشيء يسير تجاه ذلك..

---

[١] - سورة النحل : الآية رقم (٨٩).
[٢] - مفردات القرآن : ١ / ٣٢٠ .

٤- معرفة وتحديد موقف المشرع اليمني من هذه الجناية ومدى موافقته لأراء فقهاء الشريعة الإسلامية من عدمه.

تساؤلات البحث:

خطر ببالي عدة تساؤلات أهمها: ما حقيقة جناية الإصابة بالعين ؟ وهل هي فعلاً جناية؟ وإذا كانت كذلك فهل هي جناية مادية أم معنوية ؟ وهل لها علامات معينة ؟ وهل لها أصل في الشريعة الإسلامية ؟ وإذا أعترف العائن على نفسه أنه أصاب فلان من الناس فلحقه الضرر، فما هي العقوبة المقررة له ؟ وما موقف فقهاء الشريعة الإسلامية والتشريع اليمني والعلم الحديث من جناية الإصابة بالعين ؟ وكيف نقي أنفسنا وأهلينا من هذه الجناية ؟ وإذا أصيب شخصاً بالعين ما هي الوسيلة الشرعية للعلاج منها ؟ كل هذه التساؤلات وغيرها كانت الدافع الرئيسي للغوص في موضوع جناية العين في الشريعة الإسلامية والتشريع اليمني.

المنهج المتبع في البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي والذي يقوم على الأسس التالية:

١- ذكر المسائل محل الاتفاق مدعما ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة وذكر المسائل محل الخلاف مع بيان منشأ الخلاف والتوثيق من مضانه المعتبرة.
٢- أذكرالأقوال في المسألة وبيان قائلها من أهل العلم مع الاقتصار على المذاهب الفقهيةالمعتبرة، وذكرما تيسر من أقوال السلف والخلف عند الحاجة الداعية لذلك.
٣- توثيق أقوال الفقهاء من مصادرها الأصلية، واستقصاء وتتبع الأدلة أحياناً مع بيان وجه الدلالة.
٤- الترجيح في بعض المسائل مع بيان وذكر الخلاف إن وجد.
٥- الاعتماد على أمهات المراجع والمصادر الأصلية.
٦- بيان مواضع الآيات بذكر الآية والسورة مضبوطة بالشكل.
٧- تخريج الأحاديث والأثار من مصادرها الأصلية، وإثبات ذلك بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة.

أسباب اختيار موضوع البحث:

هناك أسباب عدة دفعتني للكتابة في موضوع جناية الإصابة بالعين أذكر أهمها:

١- تفشي ظاهرة الإصابة بالعين في المجتمع اليمني بصورة ملفتة للنظر وظاهرة الخوف والهلع من العيان ، مما دعت الحاجة إلى بيان احكامها الفقيهة.

٢- لجوء أناس كثر من إخواننا وأبناء جلدتنا من أصيبوا بالعين إلى الكهنة والمشعوذين، مما أدى إلى وقوعهم في المحذور الشرعي وهم لا يعلمون، فأرتأ الباحث تأصيل هذه المسألة تأصيلاً شرعياً.

٣- أن أحكام العائن والمعيون متفرقة ومتناثرة في كتب الفقه المتكاثرة، مما أوجد الصعوبة في البحث عنها ومعرفة أحكامهما الفقيهة ولذا فإن جمعها في موضوع واحد يسهل على الدارسين والباحثين والمهتمين بالعلم الشرعي الرجوع إليها بسهولة ويسر.

هيكلة البحث:

لاعتبارات شكلية وأخرى موضوعية اقتضت الضرورة تقسيم البحث إلى ستة مباحث :

المبحث الأول : تعريف لأهم المصطلحات الواردة في البحث:

- مفهوم الجناية في الاصطلاح اللغوي والفقهي.
- مفهوم العين وعلاقتها بالحسد.
- مفهوم العائن والمعين .

المبحث الثاني: حقيقة العين و مشروعية الاستشفاء منها :

- الأدلة من القرآن الكريم.
- الأدلة من السنة النبوية المطهرة.

المبحث الثالث: علامات الإصابة بالعين .

المبحث الرابع : الوسائل الشرعية للوقاية والعلاج من الإصابة بالعين:

- أولاً : الوسائل الشرعية للوقاية من الإصابة بالعين .
- ثانياً: الوسائل الشرعية للعلاج من الإصابة بالعين.

المبحث الخامس: موقف التشريع اليمني من جناية الإصابة بالعين .

المبحث السادس: عقوبة جناية الإصابة بالعين .

المبحث الأول

تعريفات عامة لأهم المصطلحات الواردة في البحث

أولاً: تعريف الجناية في الاصطلاح اللغوي والفقهي:

مفهوم الجناية في الاصطلاح اللغوي: ورد لفظ الجناية في معاجم اللغة في مادة "جنى" بعدة معاني نذكر منها المعاني الآتية:

(١) جاءت مادة " جنى " بمعنى الجمع والالتقاط، فيقال: جنى الثمر من باب رمى، واجتناها، وتجناها، فهو جان، ومجتن، والجني مثل الحصى، ومثله الجناة وهو: كل ما يجتني من الثمر ما دام غضاً، يقال: أتانا بجناية طيبة، ورطب جنى على وزن فعيل، أي جنى لساعته[١] كما في قوله تعالى:﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[٢].

(٢) ووردت مادة " جنى " بمعنى فعل الذنب واكتساب الشر، فيقال: جنى عليه يجني جناية، وجنى الذنب عليه يجنيه، جرَّه إليه، كما يقال: جنى على قومه جناية، أي أذنب ذنباً يؤخذ به [٣] وغلبت الجناية في ألسنة الفقهاء على الجرح والقِطع، وجمعها جنايات وقليلاً ما تجمع على جنايا كعطايا[٤].

(٣) كما جاءت هذه المادة بمعنى الادعاء والاتهام ، فيقال: تجنى عليه، أي: أذنب عليه ذنباً لم يفعله، فالتجني مثل التجرم[٥]، والمتأمل في هذه المعاني التي وردت في مادة " جنى " يدرك أن الفعل منها دال على ما يفعله المرء في جانب الخير كجني الثمر وجمعه، وما يقترفه في جانب الإثم والمعصية، من جنى للذنب وفعل الخطيئة أما الاسم منها فيأتي موافقاً لما دل عليه الفعل، وهو في جانب الخير جني وجناة، وفي جانب الشر جناية، أي ذنب ومعصية، كما أن الجناية في الاصطلاح اللغوي هي اسم لما يجنيه المرء وما يكتسبه من الشر من باب التسمية بالمصدر، وهو لفظ عام في كل ما يجني إلا أنه خص بما يجرم دون غيره[٦].

---

[١] - القاموس المحيط: ٤ /٣١٥، المصباح المنير: ١٢٢/١، مختار الصحاح:١١٤.
[٢] - سورة مريم : الآية رقم (٢٥) .
[٣] - القاموس المحيط: ٤ /٣١٥، مختار الصحاح: ١١٤، المصباح المنير: ١١٢/١.
[٤] - المصباح المنير للفيومي: ١ /١١٢ .
[٥] - القاموس المحيط: ٤ /٣١٥، مختار الصحاح: ١١٤، المصباح المنير: ١٢٢/١.
[٦] - شرح العناية على الهداية للإمام أكمل الدين البابرتي، بهامش نتائج الأفكار تكملة فتح القدير: ٨ /٢٤٤، مطبعة مصطفى محمد، مصر بدون تاريخ

ثانياً: تعريف الجناية في الاصطلاح الفقهي: عرف الفقهاء ـ رحمهم الله تعالى ـ الجناية بانها: اسم لفعل محرم شرعاً سواء حل بنفس أو مال[1] لكن جرى العرف عند أكثر الفقهاء على إطلاق الجناية على الفعل في النفس والأطراف، وقسموها إلى ثلاثة أنواع: جناية على النفس، وجناية على ما دون النفس، وجناية على ما هو نفس من وجه دون وجه، أما الجناية على الأموال فيطلقون عليها اسم الغصب[2] بينما بعض الفقهاء يطلقون لفظ الجناية على جرائم الحدود بالإضافة إلى جرائم الاعتداء على النفس والأطراف[3]،والجناية قد تكون مادية مثل الضرب والرمي والجرح والقتل وغيرها، وقد تكون معنوية مثل العين و السحر، والتهديد بالقتل والتخويف وغيرها، والذي يهمنا هنا هو جناية الإصابة بالعين .

ثانياً: تعريف العين في الاصطلاح اللغوي وعلاقتها بالحسد: ورد لفظ العين في معاجم اللغة العربية في مادة " عين " بعدة معاني نذكر أهما:

١ العين الباصرة: وهي عين الإنسان وغيره من المخلوقات، وتجمع العين الباصرة على أعين وعيون، قال ابن السكيت و في جمعها أعيان، ويقال: عاينته معاينةً وعياناً[4].

٢ العين الجارية: وهي عين الماء.[5]

٣ العين الطليعة : وهي عين الشيء نفسه، ومنه يقال: أخذت مالي بعينه، والمعنى أخذت عين مالي، ويقال: عين المتاع أي خياره، وأعيان الناس أشرافهم[6].

٤ العين بمعنى النفس يقال: أصابت فلاناً نفس أي عين والنافس: العائن[7].

---

[1] ـ المبسوط للشيخ/ شمس الدين أبو بكر محمد السر خسي: ٢٧ /٨٤، ط ١،مطبعة السعادة ، بدون تاريخ، المغني شرح مختصر الخرقي لموفق الدين عبدالله بن قدامه المقدسي ٥/٧، ٦ ، مكتبة الكليات الأزهرية.

[2] ـ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للشيخ/ عثمان بن علي الزيلعي: ٦ /٩٧ ، المكتبة الكبرى ببولاق ،مصر ١٣١٥هـ ، شرح العناية على الهداية للإمام أكمل الدين البابرتي، على هامش نتائج الأفكار تكملة فتح القدير: ٨ /٢٤٤، مطبعة مصطفي محمد مصر بدون تاريخ.

[3] ـ تبصرة الحكام لابن فرحون : ٢ /٢٢٩، دار المعرفة ، بدون تاريخ ، إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية: ٥٥/٢، ط ٢، دار الفكر

[4] ـ المصباح المنير للفيومي : ٢ / ٤٤٠.

[5] ـ المصباح المنير للفيومي : ٢ / ٤٤٠.

[6] ـ نفس المرجع السابق.

[7] ـ زاد المعاد:٤ / ١٥٤ .

٥ والعين: مأخوذة من عانه يعينه عيناً أي أصابه بعينه فهو عائن، والمصاب معين، ويقال: رجل معيان أي شديد الإصابة بالعين[١]، والمتأمل في هذه التعريفات يدرك أن التعريف الأخير هو التعريف الأقرب إلى موضوع بحثنا.

تعريف العين في الاصطلاح الفقهي:

العين هي: سهام تخرج من الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطيه تارة[٢]،وعرفها البعض بأنها إصابة الأشياء وخاصة جسد الإنسان بعين الحاسد أو نظره، وهذا المفهوم شاع بين الناس باسم الحسد أيضاً إذ يغلب على صاحب القدرة على الإصابة بالعين أن يكون حاسداً[٣]، وعرفها ابن حجر العسقلاني بأنها نظرة باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر[٤].

العلاقة بين العين والحسد:

من التعاريف السابقة للعين نلاحظ أن هناك علاقة بينها وبين الحسد فالعائن والحاسد يشتركان في شيء ويفترقان في شيء، فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من يريد أذاه، فالعائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته، والحاسد يحصل له ذلك عند غيب المحسود وحضوره أيضاً، ويفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان أو زرع أو مال، وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه، وربما أصابت عينه نفسه فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر في العين[٥]،إن تأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية وهو أصل الإصابة بالعين فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة وتقابل المحسود فتؤثر فيه بتلك الخاصية، والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية كما يظنه من قل علمه ومعرفته بالطبيعة والشريعة بل يكون تارة بالاتصال، وتارة بالمقابلة، وتارة بالرؤية، وتارة بتوجه الروح نحو من يؤثر فيه ، وتارة بالأدعية والرقي والتعويذات، وتارة بالوهم والتخيل، ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية بل قد يكون أعمى فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره، وكثيراً من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية،وقد قال تعالى لنبيه:﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ

---

[١] - لسان العرب لابن منظور : ١٣ / ١٠٣ ، مادة عين .
[٢] - زاد المعاد : ٤ / ١٤٩ .
[٣] - الحسد بين الهدي النبوي والعلم الحديث للأستاذ الدكتور/ خمساوي أحمد الخمساوي نفلاً من موقع: http: www. 55a.net .
[٤] - فتح الباري شرح صحيح البخاري : ١٠ / ١٧٣ .
[٥] - بدائع الفوائد : ٢ / ٤٥٦ .

لَمَجْنُونٌ﴾[1] وقال:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[2].

فكل عائن حاسد وليس كل حاسد عائناً فلما كان الحاسد أعم من العائن كانت الاستعانة منه استعانة من العائن[3].

وفيما جدول يوضح الفروق بين العين والحسد[4].

م	العين	الحسد
١	هي شعور نفسي يتمنى فيها الناظر زوال النعمة من المنظور لاستكثارها عليه.	شعور نفسي يتمنى فيه الحاسد زوال النعمة من المحسود كراهية فيه.
٢	النظرة حالة توجد عند البعض ولا توجد عند الآخرين وعدد الذين توجد عندهم قلة.	الحسد شعور داخلي يمكن أن يوجد في جميع الأشخاص تبعاً للمواقف المختلفة
٣	العين حالة شبه حيوية يصعب مقاومتها بالإرادة ولكن لها أسلوب آخر في طريقة التقليل من أثرها.	الحسد شعور أخلاقي يمكن مقاومته بالإرادة وحسن الخلق.
٤	العين لا تتم إلا برؤية الناظر للشيء أو الشخص المنظور.	الحسد يتم بمجرد حدوث علم الحاسد بنعمة المحسود سواء بالرؤية أو السماع أو الحساب أو التفكير أو القراءة أو غيرها.
٥	العين تؤثر على المنظور تأثيراً سيئاً وتسبب له أضراراً.	الحسد لا يؤثر على المحسود بل هو يؤثر بالسوء على الحاسد إلا إذا ترتب على الحسد سعي الحاسد في إضرار المحسود منطلقاً من الكراهية المتولدة عن الحسد فيقع هنا الضرر من سعي الحاسد بالأسباب، كأن يحرق له بيته أو ينم عنه أو يشيع الإشاعات أو غير ذلك.
٦	تتفاوت قدرة الأشخاص في إحداث الإصابة بالعين، والشديد منهم شديد مع جميع المنظورين، والضعيف ضعيف مع الكل.	لا يتفاوت مقدار الحسد من شخص إلى شخص ولكن يتفاوت بمقدار علاقة الحاسد بالمحسود.

[1] - سورة القلم : الآية رقم (٥١) .
[2] - سورة الفلق : الآيات (١ – ٥) .
[3] - زاد المعاد : ٤ / ١٤٩ .
[4] - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الحسد بين الهدي النبوي والعلم الحديث للأستاذ الدكتور/ خمساوي أحمد الخمساوي نقلاً من موقع: http: www. 55a.net .

ثالثاً: تعريف العائن والمعين: العائن هو الشخص الذي المتسبب في الإصابة بالعين، يقال عانه يعينه عيناً أي أصابه بعينه فهو عائن[1]، أما المعين أو المعيون فهو الشخص الذي أصابته عين العائن، يقال رجل معيون أي مصاب بالعين[2].

المبحث الثاني

حقيقة العين و مشروعية الاستشفاء منها

إن الاستشفاء أو التداوي من العين له أصل في الشريعة الإسلامية فقد وردت أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تثب أن العين حقيقة وليست خيال، أما المنكرون لحقيقة العين ليس معهم دليل شرعي أو عقلي بل مجرد شك واستبعاد وكل ذلك ليس له مستند شرعي و سوف نورد أدلة المجيزون لإثبات حقيقة العين على النحو التالي:

أولاً: الأدلة على حقيقة العين و مشروعية الاستشفاء منها من القرآن الكريم:

(١)قال تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾[3]

وجه الاستدلال: قال المفسرون إنه الإصابة بالعين، فأراد الكفار أن يصيبوا بها رسول الله ﷺ فنظر إليه قوم من العائنين وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حجته، فالكفار كانوا ينظرون إليه نظر الحاسد شديد العداوة فهو نظر يكاد أن يزلقه لولا حفظ الله وعصمته، قال ابن كثير رحمه الله – في هذه الآية دليل على أن جناية الإصابة بالعين وتأثيرها حق بأمر الله عزوجل[4]، وهذه الآية شاملة للمسلم والكافر على حد سواء في إصابتهم بالعين، وأن الإصابة بالعين لا تختلف باختلاف الدين.

(٢) قال تعالى:﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً ﴾[5]
قال ابن العربي – رحمه الله – قال علماؤنا: هذا تأديب من الله لرسوله، أمره فيه أن يعلق كل شيء بمشيئة

---

[1] - لسان العرب لابن منظور : ١٣ / ١٠٣ ، مادة عين.
[2] - المرجع السابق : ١٣ / ١٠٣ ، مادة عين.
[3] - سورة القلم : الآية رقم (٥١) .
[4] - تفسير القرآن الكريم لابن كثير :٤ / ٤٣٦،ط ١١ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م دار المعرفة.
[5] - سورة الكهف : الآية رقم (٣٩)

الله، إذ من دين الأمة ومن نفيس اعتقادهم " ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن " ومن قال ما شاء الله لا قوة إلا بالله أَمِنَ من العين[1].

(٣) قال تعالى:﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[2]، قال المفسرون: هذا الخطاب من يعقوب لا بنائه : يا أبنائي إذا دخلتم أرض "مصر" فلا تدخلوا من باب واحد, ولكن ادخلوها من أبواب متفرقة, حتى لا تصيبكم العين, وهذا يدل على أنه حملهم على التفرق مخافة العين، وفي التفرقة تقاة العين، ولا خلاف بين الموحدين أن العين حق [3].

ثانيا: الأدلة على حقيقة العين و مشروعية الاستشفاء منها من السنة النبوية المطهرة :

وردت أحاديث كثيرة على تدل على أن الإصابة بالعين حق، وأنها جناية تصيب المعيون فتلحق الضرر به نذكر منها :

١-حديث أبي أمامه بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه: أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف، وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد فنطر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلبط[4] سهل، فأتي رسول الله ﷺ فقيل له يا رسول الله هل لك في سهل ؟ والله ما يرفع رأسه ولا يفيق، قال : هل تتهمون فيه من أحد ؟ قالوا نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامر فتغيظ[5] عليه وقال: علامَ يقتلْ أحدكم أخاهُ ؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت ؟ ثم قال : أغتسل له، فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القدح من وراءه، ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس[6].

---

[1] - أحكام القرآن لابن العربي: ٣/ ١٢٣٤ ، ١٢٤٠ ،طبعة جديدة ، تحقيق على محمد البجاوي، دار المعرفة.
[2] - سورة يوسف : الآية رقم (٦٧) .
[3] - أحكام القرآن لابن العربي: ١٠٩٢/٣ ،
[4] - لبط: أي مرض وصرع ، أنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٠/ ٣٠٤ .
[5] - فتغيظ: أي غضب وهو النبي ﷺ أنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٠/ ٣٠٤ .
[6] - أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٤٨٦/٣، ٤٨٧)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، وفي عمل اليوم والليلة، أنظر: تحفة الأشراف: (٦٦/١) و (٩٨/٤، ٧٧٧)، وأخرجه ابن ماجه : (١٦٠/٣) رقم (٣٥٠٩)، وهو في الموطأ : (٩٣٨/١٣) وهو في موارد الظمآن بزوائد ابن حبان: ٣٤٤ رقم (٣٤٣٤) وأخرجه البغوي في شرح السنة: (٩٣٨/١٣) وإسناده صحيح، وكلهم أخرجوه عن أبي أمامه سهل بن حنيف . .

٢-عن أبي ذر رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: (إن العين لَتُوْلَعُ في الرجل بإذن من الله تعالى حتى يصعد حالقاً ثم يتردى منه)[١].

٣-وعن عائشة رضي الله عنها قالت:(كان يؤمر العائن، فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين)[٢].

٤ - حديث أبي سعيد أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: اشتكيت يا محمد قال: نعم، قال:(بسم الله أُرقيكْ من كل شيءٍ يؤذيكْ، من شرِ كلِ نفسٍ وعينٍ تُشينك، والله يُشفيك، بسم الله أرقيك)[٣].

٥ - وعن أبي هريرة – رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (العين حق)[٤].

٦ - وعن ابن عباس – رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا اسُتغْسِلْتم فأغسلوا)[٥]ومعنى استغسلتم بصيغة المجهول: أي طلبتم الاغتسال للعين.

كل هذه الأحاديث تدل دلالة صريحة على مشروعية الاستشفاء من الإصابة بالعين، وأنها حق تصيب الإنسان والحيوان .

المبحث الثالث

علامات الإصابة بالعين

كثير من الناس يصابون بالعين وهم لا يعلمون، لأنهم يجهلون أو ينكرون تأثيرات العين عليهم، فإن علامات العين في الغالب تكون أمراض عضوية، وغالباَ لا تستجيب لعلاج الأطباء، مثل أمراض المفاصل والخمول، والأرق والحبوب والتقرحات التي تظهر على الجلد، والنفور من الأهل والأسرة والمدرسة والمجتمع المحيط، وقد تكون أمراض نفسية وعصبية، وسوف نتكلم عن أهم هذه العلامات بشيء من الإيجاز مدعمين ذلك بالأدلة:

١- تغير لون بشرة الشخص المعين:

من علامات الإصابة بالعين تغير لون البشرة وخاصة الوجه، والدليل على ذلك حديث أم سلمة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال لجارية : في بيت أم سلمة زوج النبيﷺ رأى في وجهها سعفة:(بها نظرة، استرقوا

---

[١] - أخرجه أحمد في مسنده : ٣ / ٣٥٨ ، والحديث صحيح صححه الألباني في الجامع الصغير : ١/ ٣٤٧ ، رقم ١٦٨١.
[٢] - أخرجه أبو داود في سننه : ٥٩٢، حديث رقم (٣٨٨٠).
[٣] - أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي :
[٤] - أخرجه مسلم في صحيحه : ٤/ ١٧١، كتاب السلام، باب المرض، رقم (٣١٨٧).
[٥] - أخرجه مسلم في صحيحه : ٤/ ١٧٣، كتاب السلام، باب المرض، رقم (٣١٨٨).

لها) يعني بوجهها صفرة [1]وقيل سواد ، وقال ابن قتيبة : هي لون يخالف لون الوجه [2] والنظرة هي الإصابة بالعين والسعفة علامة من الشيطان، وقيل ضربة واحدة منه وقيل السعفة تغير اللون إلى السواد[3].

٢- نحافة جسم المعين والنقص المفاجئ في وزنه:

من علامات الإصابة بالعين أيضاً نحافة الجسم ونقص الوزن، والدليل على ذلك حديث أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: رخص النبي ﷺ لآل حزم في رقية الحية، وقال لأسماء بنت عميس: (ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم الحاجة) قالت: لا ولكن العين تسرع إليهم، قال: (أرقيهم) قالت: فعرضت عليه فقال:(أرقيهم)[4].

قال النووي : والضارعة أي النحيفة، والمراد بأولاد أخي، أي أولاد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه[5].

٤- الإصابة بالصرع:

والصرع هو اضطرابات تصيب الإنسان في عقله، فلا يميز الشخص المصاب بالصرع ما يقول، بل قد يفقد ذاكرته، ولا يستطيع أن يتحكم في حركاته، وبالتالي يفقد توازنه ولا يستطيع الوقوف فيسقط مغشياً عليه، والدليل على ذلك حديث سهل بن حنيف السابق وفيه: (اغتسل سهل بن حنيف، وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلبط سهل) [6] والبط هو الصرع والسقوط على الأرض[7].

٥- كثرة الإغماء والحمى وعدم الحركة:

من علامات الإصابة بالعين ظهور آلام شديدة بالظهر أو البطن، والدليل على ذلك حديث سهل بن حنيف السابق وفيه: (وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلبط سهل، فأتي رسول الله ﷺ فقيل له يا رسول الله

---

[1] - أخرجه البخاري في صحيحه : ١٠ ٣٣٦، كتاب الطب، باب: رقية العين، رقم (٥٧٣٩) وأخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي: ١٤ / ٤٠٧ ، حديث رقم (٥٦٨٩) كتاب السلام باب الرقية من العين والنملة والنظرة، ط ٤ ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م ، دار المعرفة.

[2] - شرح صحيح مسلم للنووي : ١٤/ ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

[3] - النهاية في غريب الحديث للجزري : ٢/ ٣٧٥ ، دار الفكر.

[4] - أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي: ١٤ / ٤٠٧ ، حديث رقم (٥٦٩٠).

[5] - شرح صحيح مسلم لنووي : ١٤ / ٤٠٨ .

[6] - سبق تخريجه في هذا البحث .

[7] - النهاية في غريب الحديث للجزري : ٤/ ٢٢٦ .

هل لك في سهل ؟ والله ما يرفع رأسه ولا يفيق، قال : هل تتهمون فيه من أحد ؟ قالوا نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامر فتغيظ عليه وقال: علام يقتل أحدكم أخاه ؟) والوعك: مرض الحمى وآلامه[1].

هذه بعض علامات الإصابة بالعين ترى من الشخص المعين، فيعرف أنه مصاب بالعين، وقد أوردنا أدلة من السنة النبوية تؤكد كل علامة من العلامات السابقة.

المبحث الرابع

الوسائل الشرعية للوقاية والعلاج من الإصابة بالعين

أولاً: الوسائل الشرعية للوقاية من الإصابة بالعين:

حددت الشريعة الإسلامية الغراء وسائل شرعية للوقاية من الإصابة بالعين وهي بمثابة وسائل وقائية من العين قبل وقوعها، ويمكن إيجازها على النحو التالي:

١-الأذكار والأدعية والتعويذات الشرعية :

كل ذلك تقي الإنسان من العين والسحر والجن بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى، بالإضافة إلى المحافظة على الصلوات الخمس وكل الفرائض، والابتعاد عن كل المحرمات، والتوبة من كل السيئات، بالإضافة إلى المحافظة على أذكار الصباح والمساء، والأذكار بعد الصلوات، وأذكار النوم والاستيقاظ، وأذكار الدخول إلى المنزل والخروج منه، وأذكار الدخول إلى الخلاء والخروج منه، ومن التحصينات قراءة آية الكرسي، والمعوذتين، بعد دبر كل صلاة، وقبل النوم، وفي الصباح والمساء، وأن يكثر في الصباح والمساء من الأدعية التالية: (بسم الله الذي لا يضر مع أسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم)[2]، ودعاء: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)[3] ودعاء: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)[4] وغيرها من الأذكار التي تحصن المسلم من كل الشرور.

---

[1] - نفس المرجع السابق :٥/ ٢٠٦ .

[2] - أخرجه أبو داود في سننه: ٧٦٨ ، حديث رقم (٥٠٨٨)

[3] - أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي: ١٧ / ٣٣ ، حديث رقم (٦٨١٧) باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.

[4] - أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي:١٧ / ٤٥ ، حديث رقم (٦٨٤٧) .

٢-التبريك:

وهو الدعاء من العائن بالبركة عند نظره المعيون، فذلك الدعاء يبطل تأثير العين بمشيئة الله، والدليل على ذلك حديث سهل بن حنيف السابق ومنه: (اغتسل سهل بن حنيف، وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلبط سهل، فأتي رسول الله ﷺ فقيل له يا رسول الله هل لك في سهل ؟ والله ما يرفع رأسه ولا يفيق، قال : هل تتهمون فيه من أحد ؟ قالوا نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامر فتغيظ عليه وقال: علام يقتل أحدكم أخاه ؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت ؟) ومعنى بركت أو التبريك هو أن يقول العائن: اللهم بارك فيه ولا تضره، أو أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، أو يقول: تبارك الله أحسن الخالقين[١]وقد روى أن رسول الله ﷺ قال: (من رأى شيئاً فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره)[٢].

٣- قول ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله:

فيندب لمن رأى شيئاً من نفسه أو ماله أو ولده أو أي شيء ، فأعجبه أن يقول: (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) قال تعالى:{وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً }[٣]

٤- التكبير ثلاثاً:

ومما ينفع في الوقاية من العين قيام المعين بالتكبير ثلاثاً فإن ذلك يرد العين بإذن الله جاء في بعض الروايات (هلا كبرت) أي يقول الله أكبر ثلاثاً فإن ذلك يرد عين العائن، قال الشيخ محمد الأمين المختار الشنقيطي : (من اتهم أحداً بالعين فليكبر ثلاثاً فإن ذلك يرد العين بإذن الله)[٤].

وقال الشيخ عطية محمد سالم: ويقال أن الشخص الذي يخاف على نفسه أو ماله من عين إنسان أن يكبر على نفسه أو ماله قائلاً الله أكبر ثلاث مرات)[٥].

٥- الإستعاذة بالله من العين:

ويستحب لذلك الإستعاذة بالله من العين كما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت: قال رسول ﷺ : وعن أبي هريرة – رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (العين حق)[٦].

[١] - حاشية ابن عابدين : ٥ / ٢٣٣ ، مغني المحتاج للخطيب الشربيني: ٤ / ١٢٠ .
[٢] - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: ٥ / ١٠٩ .
[٣] - سورة الكهف : الآية رقم (٣٩).
[٤] - أضواء البيان : ١٧٠ .
[٥] - العين والرقية والاستشفاء من القرآن والسنة: ٤٥.
[٦] - أخرجه مسلم في صحيحه : ٤/ ١٧١، كتاب السلام، باب المرض، رقم (٣١٨٧).

٦- **الصدقة والإحسان إلى العائن:**

فإن لهما تأثيراً عجيباً في دفع البلاء والعين وشر الحاسد جاء في الحديث الصحيح (صنائع المعروف تقي مصارع السوء)[١].

٧- **الاحتراز من العائن واجتنابه والبعد عنه:**

وهذه من الأمور الهامة والنافعة لاتقاء شر العائن وهذا كله عملاً بالأسباب وقال تعالى ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[٢]وقوله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) [٣].

٥- **عدم التجمل وإظهار المحاسن عند من تخشى منه ذلك :**

قال تعالى عن يعقوب عليه السلام :{وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ } [٤] ووجه الدلالة من الآية : أن يعقوب- عليه السلام – حث أولاده علي عدم الدخول دفعة واحدة من باب واحد خوفاً من الإصابة بالعين ، وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، أنه رأى صبياً مليحاً دسموا نونته كي لا تصبه العين، ومعنى دسموا: أي سودوا، ونونته: الثقبة التي تكون في وسط الذقن.

ثانياُ: الوسائل الشرعية للعلاج من الإصابة بالعين:

بينت الشريعة الإسلامية وسائل شرعية للعلاج من الإصابة بالعين نذكر منها:

الوسيلة الأولى: الاغتسال في حالة معرفة الشخص العائن:

فإنه يؤمر بالاغتسال في قدح ثم يؤخذ الماء الذي اغتسل به ويصب صباً على الشخص المعين من خلفه، فإنه يشفا بمشيئة الله، وهو ما بينته سنة الرسول ﷺ القولية والفعلية، أما السنة القولية فقول عائشة رضي الله عنها أن رسول اللهﷺ :(كان يَؤْمَرُ العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين)[٥]وقد بينت السنة الفعلية صفة الغسل فقد جاء في حديث أبي أمامه سهل بن حنيف السابق: (أغتسل له، فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القدح من وراءه، ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس)، وقد بين البيهقي في سننه صفة

---

[١] - بدائع الفوائد: ٢ ٣٣٨.
[٢] - سورة البقرة : الآية (١٩٥)
[٣] - سورة النساء: الآية (٢٩)
[٤] - سورة يوسف : الآية رقم (٦٧) .
[٥] - سبق تخريجه في هذا البحث .

أخرى أكثر تفصيلاً للغسل وهي:(أن يؤتى للرجل العائن بقدح فيدخل فيه كفه فيتمضمض ثم يمجه في القدح، ثم يغسل وجهه في القدح، ثم يغسل يده اليسرى فيصب على كفه اليمنى في القدح، ثم يدخل يده اليمنى فيصب بها على كفه اليسرى صبة واحدة، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الأيمن، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الأيسر، ثم يدخل يده اليسرى فيصب بها على قدمه اليمنى، ثم يدخل يده اليمنى فيصب بها على قدمه الأيسر، ثم يدخل يده اليسرى فيصب بها على ركبته اليمنى، ثم يدخل يده اليمنى ويصب بها على ركبته اليسرى، كل ذلك في قدح ثم يدخل داخلة إزاره في القدح، ولا يوضع القدح في الأرض فيصب على رأس الرجل الذي أصيب بالعين من خلفه صبة واحدة[1].

نخلص في موضوع العين بعد استعراضا للنصوص النبوية الشريفة أنها أشارت إلى الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: أن العين (بمعناها الذي تفهمه العامة والخاصة) بتأثيرها الذي يشك فيه البعض ويؤيده الآخرون، حق أي إن لها هذا التأثير الملحوظ وليست وهماً كما هو الحال في الحسد والهامة والطيرة.

الحقيقة الثاني: أن الأذى الذي يصيب الشخص المضرور يتم بالمعاينة.

الحقيقية الثالثة: أنه لكي نخفف من أثارها بعد حدوثها فليغتسل العائن أو يتوضأ بالماء ثم يغتسل المعين بذلك الماء.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن ما هو موقف العلم الحديث من هذه الحقائق الشرعية الثلاث التي ثبتت بالحديث النبوي الشريف من قول سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ:(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) [2]

وقد كان ثبوتها بالسنة النبوية بأدلة قطعية، وقد وردت بطرق عديدة متساندة متصلة السند، مما يجعلها تصل إلى حد التواتر، وقبل أن نستطرد في حديثنا عن موقف العلم الحديث من الحقائق الشرعية نقف وقفة قصيرة نستعيد في أذهاننا نطاقات الوجود التي يعمل فيها العلم التجريبي الحديث لنخرج منها إلى موقفه من قضية(العين) كما اتفقت رؤية العلماء على تميز أربعة نطاقات للوجود متميزة تمام التميز، متداخلة تمام التداخل، هي الطاقة والمادة والحياة والنفس، وقد خصص الفكر الإنساني لكل منها علماً يقوم بفروعه المختلفة على البحث في كل نطاق، فكان علم الفيزياء للبحث في الطاقة وعلم الكيمياء للبحث في المادة وعلم

[1] - السنن الكبرى للبيهقي : ٩ / ٢٥٢ .
[2] - سورة النجم : الآيتين (٣ ، ٤).

الأحياء للبحث في الحياة، وعلم النفس للبحث في النفس: ثم أدرك العقل البشري ومن ثم العلم التجريبي أن هناك مناطق تداخل ومعابر دخول وخروج بين هذه النطاقات الأربعة خصص لكل معبر منها علماً يبحث فيها وجاء اكتشاف هذه المعابر بأزمنة متدرجة مع تدرج هذه النطاقات لتبدأ بالعلم المعني بمعبر الطاقة والمادة والمسمّى الكيمياء الفيزيقية(Physiochemistry) ثم المعنى بمعبر المادة والحياة والمسمى بالكيمياء الحيوية ثم المعنى بمعبر الحياة والنفس والمسمى علم النفس العصبي أو علم الأعصاب.

ولو تأملنا هذه النطاقات لوجدنا أنها تبدأ في نطاق الطاقة بسيطة غير متراكمة، دقيقة غير مجسمة، موحدة غير متشاكلة، ثم تتراكب وتتشاكل إلى أن تكاد تكون جسماً في الفوتون لتقرب من نطاق المادة التي تبدأ بسيطة غير متراكمة موحدة غير متشاكلة في الإلكترون، ثم تتراكب وتتشاكل فتكون الذرة، ثم تتراكب وتتشاكل فتكون الجزيء الذي يكبر ويتعقد إلى أن يصل إلى أقصى تعقيده في جزيء البروتين، فإذا به يقترب من نطاق الحياة، فالبروتوبلازم مادة الحياة التي تشاكل جزيئات البروتين، فإذا بدأت الحياة بدأت بخلية واحدة (بروتوبلازم)، بسيطة غير متراكبة ولا متشاكلة، ثم دب فيها التركيب والتشكيل لتصل إلى قمة تعقيدها في الخلية العصبية التي تشكل قمة تشكلها في المخ البشري، فإذا بنا نقترب من نطاق العقل والنفس، ونلاحظ هنا أن التدرج من التعقيد مطرد سواء في النطاق الواحد أو بين النطاقات، وفجأة وعلى قمة التعقيد المطر ينبع العقل والنفس بلا مادة مرة أخرى وكأنهما طاقة لا مادة لها، مما دعا العلماء في منتصف هذا القرن العشرين لأن يتصوروا أن نطاقات الوجود دائرية ليس لها بداية ولا نهاية. وأنه لا بد وأن يكون بين النفس والطاقة أول النطاقات وآخرها علاقة ومعابر على تصور أن هذه النطاقات متجاورة في شكل دائري وتكون النفس لصيقة بالطاقة كما هي لصيقة بالحياة، وبالفعل نشأ في الربع الأخير من هذا القرن علم جديد يبحث في المعبر بين الطاقة والنفس سمي سيكوترونكس(Psychotronics) وفي خلال ربع القرن الأخير ظهرت عدة بحوث وملاحظات غريبة وهامة بينت أن لجسم الإنسان طاقة وأن هذه الطاقة تتأثر سلباً ولإيجاباً بإمرار الماء وعلى جسم الإنسان نذكر منها :

١- **دراسة يوري خولودوف** : يقول يوري خولودوف[١] (وهو أخصائي وظائف الجهاز الفسيولوجي العصبي):تحيط بجسم الإنسان أنواع شتى من الإشعاع الكهرومغناطيسي إلا أن الأثر الذي قد تتركه تلك الموجات

---

[١] - بتصرف من موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، الإعجاز في جسم الإنسان ، الحسد بين الهدي النبوي والعلم الحديث ، الأستاذ الدكتور / خمساوي أحمد الخمساوي أستاذ بكلية الزراعة جامعة الأزهر.

النابضة على كيان الحيوانات ليس مفهوماً فهماً كافياً، وإلى جانب هذه التأثيرات الخارجية نجد أن الجسم يولّد مجالاته الكهرومغناطيسية الداخلية الخاصة به، ولا يصل علمنا إلا إلى القليل عن كيفية تفاعل هذه المجالات، بدأ العلماء يعيدون حساباتهم للتفهم الصحيح للعمليات الحيوية التي لم تكن الكيمياء وحدها كافية لتفسيرها، مثل انتقال النبضات العصبية بسرعة وتباين أشد بكثير من مجرد الانتقال من خلال الموصلات ومثل انقباض العضلات وانقسام الخلية، وأخيراً عملية التفكير، عند انقسام الخلية الحيوانية أمكن رصد انبعاث فوتونات من الضوء غير المرئي ومن الأشعة فوق البنفسجية وكذلك أمكن رصد موجات فوق صوتية ترددها ما بين مليون و١٠ مليون ذبذبة في الثانية، وكذلك أمكن رصد موجات فوق صوتية تصدر وعندها تتغير الجزيئات البروتينية الكبيرة من شكلها بالضغط أو المط، كما لو كنت تطبق علبة من الصفيح، ثبت أن وجود الإنسان في ظل الجاذبية الأرضية يجعل له تفكيره المتزن مع هذه الجاذبية، وعندما وضعوا رواد الفضاء في ظروف انعدام الجاذبية أمكن إحداث انتظام في أجهزتهم الحيوية، ولكن حدث خلل ملحوظ في طريقة ونشاط تفكيرهم، أمكن الوصول إلى فك شفرة لتتابع الطاقة الصادرة من المخ لأجزاء من الجهاز العصبي تحركه بناء على معلومة لدى الشخص المختبر، يتحرك على أساسها، ثم تم قطع هذا الجزء تماماً وفصله عن منطقة أخذ المعلومات من المخ، وعرض هذا الجزء من الجهاز العصبي لنفس الشفرة من الطاقة التي تم التوصل إليها (والتي أمكن إحداثها بطريقة غير حيوية) فأعطت نفس الاستجابة وكأنها صادرت عن نفس المخ من ذات مركز المعلومات.

٢- **دراسة أرثركوسلر:**[١] أثبت أرثركوسلر أنه يمكن نقل المعلومات والصور عن طريق الجلد لو أمكن تحويلها إلى شفرة طاقة تنتقل في أطراف الأعصاب وتصل إلى المخ، حتى قال بيتركابتسا: إنني أقسم الظواهر إلى ممكنة ومستحيلة، بل إلى مكتشفة وغير مكتشفة. ويقول: يجب ألا نقع في خطأ الاعتقاد القديم بأنه لن تكون هناك مكتشفات جديدة مستقبلاً، وكانت هذه الظواهر وغيرها الكثير إرهاصة دعت بعض مراكز البحوث في العالم إلى تبني هذا الموضوع وتكثيف البحث حوله، وكان من رواد هذا المجال الدكتور هيروشي موتوياما (وهو عالم ياباني حصل على (ph.d.) في علم وظائف الأعضاء وعلى (ph.d.) في علم النفس وهو مدير معهد علم النفس الديني بطوكيو)، الذي أجرى العديد من التجارب العلمية حول هذا الموضوع نشرت خلال

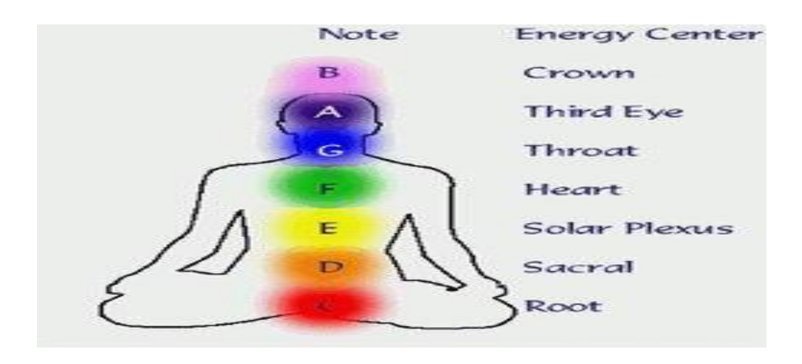
[١] - بتصرف موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، الإعجاز في جسم الإنسان ، الحسد بين الهدي النبوي والعلم الحديث ، الأستاذ الدكتور / خمساوي أحمد الخمساوي أستاذ بكلية الزراعة جامعة الأزهر.

السبعينات من هذا القرن نلخصها فيما يلي: ميز هيروشي موتوياما بين الشخص العادي وشخص غير عادي سماه (Psi-ability) شخص له قدرة طاقية نفسية داخلية، ونستسمحه أن نسميه مؤقتاً (الشخص النفسي)، فوجد أن (الشخص النفسي) يمكنه التحكم في بعض وظائف لا إرادية للجهاز العصبي، مثل سرعة ضربات القلب وسرعة التنفس، وبعضهم استطاع أن يوقف ضربات قلبه خمس ثوان، ولاحظ أن هؤلاء الأشخاص النفسيون هم من ذوي الطبائع التأملية والرياضات العقلية النفسية وأنهم منطوون على أنفسهم، وأنهم قليلو الاختلاط بالناس، قليلو الحركة الحياتية، منهمكون في التأمل العقلي النفسي وليس التأمل العقلي الرياضي أو العلمي أو الفني، وتمكن هذا العالم من رصد وتسجيل بعض مؤشرات عن وظائف أعضاء هؤلاء الأشخاص، مقارنة بالأشخاص العاديين حيث ظهر اختلاف في معدل تدفق البلازما وسرعة التنفس والمقاومة الجهدية الكهربية للجلد بين شخص عادي وشخص نفسي، ثم تمكن هذا العالم من ملاحظة ما يمكن أن ينتاب الشخص العادي من تأثير التركيز العقلي من الشخص النفسي عليه فوجد أن التركيز العقلي من الشخص النفسي على شخص عادي يسبب له خللاً في المقاييس الثلاثة التي قاسها، وهي معدل تدفق البلازما وسرعة التنفس والمقاومة الجهدية الكهربية للجلد، وقد استطاع أن يصمم أجهزة دقيقة لقياس الطاقة فأثبت أن هناك انبعاث للطاقة من جسد الشخص النفسي، وهي التي تسبب التأثير على الشخص العادي وأنها تنبعث من بؤرات سماها (شاكراً)(CHAKRA)توجد على امتداد الحبل الشوكي مع المحور الطولي للإنسان، وإن أشدها نشاطاً هي البؤرة الموجودة بين العينين والتي تقابل تماماً الغدة النخامية فيه.



صورة حقيقة تبين انبعاث الطاقة من جسم الإنسان صورت بواسطة أحد أجهزة قياس الطاقة

ولخص هيروشي موتوياما معلوماته على النحو التالي: الأشخاص العاديون غير قادرين على بعث هذه الطاقة، الأشخاص المميزون يمكنهم إيقاظ الانبعاث عن طريق التركيز أو أثناء ما تنتابهم من حالات نفسية غير مستقرة أقوى النقاط المؤثرة في (الشاكرا) هي البؤرة التي على الجبهة بين العينين، التأثير على الأشخاص يظهر واضحاً، ولا يبقى إلا أن نضع المسميات المناسبة على مسميات هيروشي موتوياما، إن هناك أفراداً قلائل يتميزون بوجود بؤرات نشطة لانبعاث الطاقة فإذا صحب ذلك أن كان هؤلاء الأشخاص منطويين على أنفسهم كثيري التأمل فيما عند غيرهم من النعم، كثيري التألم النفسي على عدم وجود مثل هذه النعم لديهم، نشطت عندهم هذه البؤرات، وخاصة بؤرة ما بين العينين وأصبح الشخص من هؤلاء شخصاً نفسياً على حد تعبير هيروشي أو شخصاً عائناً على حد تعبير الحديث النبوي الشريف فإذا ما تحركت نفس هذا الشخص العائن تجاه شخص ذو نعمة واستكثرها عليه صدرت انبعاثات من الطاقة ذات شفرة خاصة من البؤرة بين العينين وأثرت على الشخص المعين فأفسدت رتم سيال الطاقة في جهازه العصبي أو غيره فيصاحب ذلك خلل يؤدي إلى مرض أو ألم أو فساد أو ضعف أو غير ذلك وهذا هو مفهوم العين تماماً كما صورها الحديث النبوي الشريف.



يظهر في الصورة مراكز الطاقة على امتداد الحبل الشوكي والتي أشدها نشاطاً هي البؤرة الموجودة بين العينين

فهل يكون العلاج بالماء؟ روى الإمام مالك في الموطأ عن محمد بن أبي أمامه بن سهل بن حنيف أنه سمع أباه يقول: اغتسل أبي سهل بن حنيف بالخرار فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر إليه، وكان سهل شديد البياض حسن الجلد، فقال عامر: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة عذراء، فوعك سهل مكانه، واشتد وعكه، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوعكه، فقيل له: ما يرفع رأسه، وكان قد اكتتب في جيش،

فقالوا له: هو غير رائح معك يا رسول الله، والله ما يرفع رأسه فقال: هل تتهمون له أحداً قالوا: عامر بن ربيعة، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ عليه وقال: علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا بركت؟ اغتسل له فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخله إزاره، في قدح، ثم صب عليه من ورائه، فبرأ سهل من ساعته، وفي رواية أخرى نحو ذلك: إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا بركت؟ إن العين حق، توضأ له، فتوضأ له عامر[1]، و الماء كما هو معروف يتكون من ذرة من الأكسجين وذرتين من الهيدروجين، ويتكون جزيء الماء على شكل يشبه القضيب المغناطيسي يكون له قطب سالب وقطب موجب، ويدور جزيء الماء حول نفسه بسرعة كبيرة كما أنه يدور حول الجزيئات الأخرى على مسافات ثابتة عند درجات الحرارة الواحدة، وينشأ عن ذلك أنه في أي لحظة نرى مثلاً كوباً من الماء مليء بجزيئات الماء في مواضع مختلفة من حيث اتجاه الأقطاب السالبة والموجبة، وهذه الحالة تجعل للماء مقاومة ما للدخول إلى الخلايا والانسياب مع السيتوبلازم، وقد أمكن في العصر الحديث إثبات أنه لو عولج الماء بطاقة تُبعث من مجال مغناطيسي مثلاً لأمكن انتظام جزئياته في اتجاه واحد بالنسبة للقطبين السالب والموجب وفي هذه الحالة أبدى الماء ظواهر غاية في الغرابة بالمقارنة به قبل التعديل، فقد أمكن استخدام هذه المياه في علاج العديد من الأمراض في الإنسان والحيوانات كما أدت إلى استخدام هذه المياه في علاج العديد من الأمراض في الإنسان والحيوانات كما أدت إلى زيادة نمو الدجاج وزيادة إنتاجه من البيض وأدت إلى تقصير مدة إنبات عدد كبير من بذور الخضروات والفاكهة والمحاصيل، كما زاد معدل النمو في النباتات وكذلك المجموع الخضري لها، وأيّاً كانت التفسيرات التي سيقت في هذا المجال فإن وجود الطاقة لإعادة تنظيم جزيئات الماء في وضع معين يجعل هذا الماء ذو قوة انسيابية خاصة للمرور في بروتوبلازم الخلايا الحية، مما يحسن من طاقة الحياة بها ويصلح سلوكها الحيوي،كما جاء التوجيه النبوي الشريف باستخدام الماء وإمراره على البؤرات النشطة في الشخص العائن بعد أن يعرف بما أحدثه في المعين وبعد أن ينصح ويذكر بما سببه له فتعود الطاقة المنبعثة منه إلى وضع مفيد تؤثر على الماء الملامس له عند الغسل أو الوضوء، وخاصة غسل الوجه لإمرار الماء على بؤرة بين العينين، وعندما يستخدم هذا فيصب على جسد المعين ربما نقل هذه الطاقة إلى البروتوبلازم فأصلح ما كان قد فسد ونظّم ما كان قد انفرط ،وما هذا إلا تصور مبدئي يحتاج إلى دراسة التفاصيل، لكن ما نخرج به في نهاية محاضرتنا هو أن العلم قد أثبت أن العين حق وأن الماء الذي يغتسل أو يتوضأ به العائن يفيد في إصلاح

[1] ـ سبق تخريجه في هذا البحث .

المعين وشفاء وعكته بإذن الله، وإن تركت التفاصيل والتفسيرات لبحوث علمية أخرى قد يأتي بها الزمن المستقبل[1].

الوسيلة الثانية: الرقية الشرعية:

وهي ما يقرأه الراقي من أذكار ومعوذات من أجل الشفاء من الإصابة بالعين أو لدفع أذي يخشاه من أنسي أو جني أو غيرهما، والتداوي بالرقي من العين أو غيرها مشروع، والدليل على مشروعيته من السنة وهو حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت :(أن رسول الله ﷺ كان يأمرها أن تسترقي من العين)[2] وروت أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ رأى جارية في وجهها سفعة فقال: (استرقوا لها فإن بها نظرة)[3].

والرقية والأدعية التي ذكرناها إنما هي وسائل شرعية تجلب الخير للإنسان أو تدفع عنه الشر، بمشيئة الله سبحانه وتعالى، لذلك يجب على الإنسان المسلم أن يعتمد على الله ﷻ أولاً ثم يأخذ بالأسباب التي شرعها لعباده ،وقد أشترط العلماء شروطاً معينة لجواز العمل بالرقية نذكر منها:

الشرط الأول: أن تكون الرقية بآيات من القرآن الكريم أو بكلام الرسول الله ﷺ .

الشرط الثاني: أن تكون الرقية باللغة العربية أو بما يعرف معناه من اللغات الأخرى، فلو كانت بلغة أعجمية لا يعرف معناها لا تجوز، لاحتمال أن يصاحبها سحر أو كفر.

الشرط الثالث: أن يعلم المريض أن الله هو النافع والضار وأن الرقية ما هي إلا سبب من أسباب الاستشفاء.

الشرط الرابع: ألا يصاحب الرقية كلام فيه شرك أو ذكر لمردة الشياطين،والدليل على ذلك حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال:(كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى ذلك ؟ فقال : أعرضوا علي

---

[1] - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، الإعجاز في جسم الإنسان ، الحسد بين الهدي النبوي والعلم الحديث ، الأستاذ الدكتور / خمساوي أحمد الخمساوي أستاذ بكلية الزراعة جامعة الأزهر.

[2] - أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي : ١٣/ ٤٠٥ ، حديث رقم (٥٦٨٤) باب استحباب الرقي من العين والنملة والحمة والنظرة..

[3] - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني : ١٠/ ٢٠٣ .

رقاكم، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك)[1]ويجب أن ننوه هنا إلى أنه لا يجوز اللجوء إلى السحرة والمشعوذين والكهان والدجالين والعرافين، والذين يدعون تسخير الجن وإمكانياتهم في العلاج من العين والسحر، ويجب اللجوء إلى الله أولاً وإلى منْ يعرفونَ بالعلمِ والصلاح والتقوى من أجل الرقية، لأنها الرقية في حقيقة الأمر ما هي إلا دعاء ، والدعاء يكون مستجاباً من المسلم التقي الصالح ، إن الرقية الشرعية شفاء تام وعلاج نافع من الإصابة بالعين بإذن الله تعالى، وقد ذكر الله تعالى أن في القرآن الكريم شفاء للناس قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً﴾[2]

٤ **الوضوء:** فيسن لعلاج العين أن يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين لما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت(كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين) [3]وقد سبق بيان كيفية الغسل.

[1] - أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي : ١٣ / ٤٠٨ ، حديث رقم (٥٦٩٦) باب: لابأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك .
[2] - سورة الإسراء : الآية رقم (٨٢).
[3] - سبق تخريجه في هذا البحث .

المبحث الخامس
موقف التشريع اليمني من جناية الإصابة بالعين

قلنا فيما سبق أن الفقه الإسلامي قد عرف جناية الإصابة بالعين واعتبر أنها من الجنايات المعنوية التي تصيب الإنسان، بخلاف القوانين الوضعية التي لم تتطرق للجنايات المعنوية، وأهتمت بالجنايات المادية، ومن ضمن هذه التشريعات قانون العقوبات والجرائم اليمني، وقد ذهب بعض شراح القانون إلى عدم التفرقة بين الجنايات المادية أو المعنوية، طالما أنها جمعياً تصيب الإنسان في نفسه أو بدنه، سواء كانت الجناية بطريقة عمدية أم بطرق أخرى، وهو المسلك الذي سلكه القانون اليمني حيث لم يخصص أي جناية معينة سواء أكانت مادية أم معنوية (المادة ٢٤٣ ، ق.ع . ي).

حيث نصت المادة (٢٤٣) من قانون الجرائم والعقوبات اليمني على الأحكام الخاصة بالاعتداء سلامة جسم الإنسان بقولها:(يعاقب بالقصاص بمثل ما فعل كل من اعتدى على غيره <u>بأي وسيلة</u> وألحق بجسمه عمداً عاهة مستديمة بأن قصم له مفصلاً أو قلع له عيناً أو صلم له أذناً أو أحدث به جرحاً يمكن ضبط مقداره، فإذا اقتصر فعل الجاني على إذهاب معنى طرف أو حاسة مع بقاء الصورة أو إذا امتنع القصاص أو سقط لغير العفو بالمجان، عوقب بالدية أو الأرش والحبس مدة لا تزيد على سبع سنوات، <u>أما إذا أفضى الاعتداء إلى عاهة مستديمة دون أن يقصد الجاني إحداثها</u> فإنه يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ثلاث سنوات فضلاً عن الدية والأرش على حسب الأحوال) .

وهذه النصوص عامة ومطلقة يدخل فيها الجنايات المادية والمعنوية، وهو ما ذهب إليه شراح القانون اليمني حيث قالوا:(ونعتقد بأن هذا الإطلاق أولى، لكونه يستوعب كافة الحالات الممكنة في هذا الشأن)[1].

وجناية الإصابة بالعين تعتبر من التصرفات المعنوية وهي التي لا تكون قولاً ولا فعلاً بالمعنى المعتاد، وإنما هي استخدام للوسائل ذات الصلة بالجانب النفسي أو الذهني، ويدخل في ذلك حالات السحر والشعوذة والتنويم المغناطيسي وغيرها من الأساليب ذات التأثير الروحي [2]

[1] - شرح قانون الجرائم والعقوبات – القسم الخاص – جرائم الإعتداء على الأشخاص لأستاذنا الدكتور/ علي حسن الشرفي : ١٧٩ ، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، دار المنار مصر.
[2] - نفي المرجع السابق : ١٨١.

ومن خلال نص هذه المادة يتضح لنا جلياً أن القانون اليمني لم يتطرق لجناية الإصابة بالعين صراحة وإنما قال(فعل كل من اعتدى على غيره بأي وسيلة) فتدخل الوسائل المادية والمعنوية والإصابة بالعين من الوسائل المعنوية، وبما أنه لم يتطرق القانون صراحة إلى جناية الإصابة بالعين فإن موقفه سيكون نفس موقف الشريعة الإسلامية بموجب نص المادة (٣) من قانون العقوبات اليمني التي تقول :(أن الشريعة الإسلامية مصدر جميع التشريعات).

وبناء على ذلك: يمكن أن نقول أن القانون اليمني يشوبه قصور تشريعي يجب عليه أن يتلافاه في تعديلات قادمة وأن ينص صراحةً على تجريم الأفعال المعنوية كجناية الإصابة بالعين وجناية السحر، وأن يضع لهما جزاء رادع، نظراً لتفشي هذه الجنايات في المجتمع اليمني بشكل ملفت لنظر، وخاصة في المناطق الريفية النائية، كذلك نستنتج من نص المادة أن جناية الإصابة بالعين تحدث بقصد من العائن ووقد تحدث بدون قصد وغالباً تحدث بدون قصد العائن وهو ما أشار إليه نص المادة بقولها: (أما إذا أفضى الاعتداء إلى عاهة مستديمة دون أن يقصد الجاني إحداثها فإنه يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ثلاث سنوات فضلاً عن الدية والأرش على حسب الأحوال).

وبناء على ما سبق فعقوبة جناية الإصابة بالعين عقوبة تعزيرية وهو الحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات فضلاً عن الدية والأرش بحسب مقتضى حال الجاني جسامة الجريمة.

المبحث السادس

عقوبة جناية الإصابة بالعين

أولاً: عقوبة جناية الإصابة بالعين في الفقه الإسلامي:

أختلف الفقهاء في عقوبة جناية الإصابة بالعين وهل هي عقوبة حدية أم عقوبة تعزيرية ؟ وما حكم من أصاب غيره بالعين واعترف بقتله ؟ وسوف نبين أقوال الفقهاء في ذلك على النحو التالي:

القول الأول: يرى أنه إذا اعترف العائن بقتل الشخص المعين فعقوبته عقوبة حدية وهي القصاص أو الدية إذا أندرئ القصاص بأي سبب من الأسباب أو إذا تكرر منه إصابته للآخرين بالعين بحيث يصير ذلك عادة له، وان حكم العائن كحكم الساحر وهو قول بعض المالكية [1].

القول الثاني: يرى أن عقوبة العائن الدية إذا كانت إصابته لغيره قد وقعت بغير اختياره ، أما إذا تعمد العائن إصابة المعين بالعين وقتله فإنه يجوز لولي الدم أن يقتل العائن بالعين لا بالسف إن قدر على ذلك، وأن الفرق بين القتل بالعين والقتل بالسحر أن القتل بالسحر يقتل غالباً بخلاف القتل بالعين فإنها لا تقتل غالباً وهو قول بعض الحنابلة[2].

القول الثالث: يرى أنه ليس على العائن قصاص ولا دية ولا كفارة حتى لو اعترف بأنه قتل الشخص المعين بالعين، لأن الإصابة بالعين لا تؤدي إلى القتل غالباً ولا تعد مهلكة ، وأن الحكم بالقصاص أو الدية إنما يترتب على منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس في بعض الاحوال مما لا انضباط له قال النووي: " لا قصاص ولا دية ولا كفارة، لأن الحكم إنما يترتب على منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس في بعض الأحوال فيما لا انضباط له، كيف ولم يقع منه فعل أصلاً، وإنما غاية ما فيه حسد وتمن زوال النعمة، وأيضاً فالذي

[1] - فتح الباري يشرح صحيح البخاري : ١٠/ ٢٥٢ رقم ٥٧٤٠

[2] - مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى : ٢٢٥/٦.

ينشأ عن الإصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص، ولا يتعين ذلك المكروه في زوال الحياة" وهو قول الشافعية[1] .

الترجيح وتوجيهه:

من خلال النظر في أقوال أهل العلم والتأمل في أدلتهم وتعليلاتهم تبين لنا من الأقوال التي تطمئن اليها النفس ويستريح اليها الضمير القول بعدم القصاص والدية والكفارة، لأن مسألة العين مسألة غيبية في طريقة صدورها وفي إصابتها للمعيون، ولا تصلح فيها بينة ولا إقرار، أما الإقرار فلان حدوث العين غبر مشاهدة كالقتل بالمثقل والمحدد ونحوهما، وأما عدم ثبوتها بالبينة فلأن ما لم يصح فيه الإقرار لم يثبت حكمه ببينة من باب أولى، وليس معنى ذلك أن يترك العائن بدون جزاء، بل يعاقب بعقوبة تعزيرية، فينبغي للإمام منعه ويأمره بملازمة بيته، ويعطيه من بيت مال المسلمين إن كان فقيراً، لأن إيقاع الضرر بالناس محرم، وإيذاؤهم أمر عظيم عند الله تعالى قال جل ثناؤه (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ..)[2].

وقال ﷺ :(لا ضرر ولا ضرار)[3] كما أن هناك فرقاً كبيراً بين جناية الإصابة بالعين وجناية الإصابة بالسحر فالسحر أمر خارج عن ذات الساحر، وهو يتعلم السحر، ثم أن الساحر عند قيامه بعملية السحر يمارس أفعالاً معينة لا يمارسها إلا الساحر ويترتب على هذه الممارسة تأثير في المسحور إذا ما أذن الله قال تعالى: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)[4] أما العائن فإنه عند ما ينظر إلى المعين ويصيبه فإنه إنما يمارس جارحة من جوارحه وهي العين، فإذا أصيب المعين من هذه النظرة وتصادف التأثير منها، لشخص من الأشخاص فإن ذلك سبب ربطه الله بالمسبب منه لا يتوقف على التعلم أو المهارة أو التدريب أو الذكاء، ثم أن العائن ليس هو في كل أحواله ذنباً كما هو الحال بالنسبة للساحر، والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ عندما

[1] - روضة الطالبين للنووي:٣٤٨/٩ ،فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني:٢٥٢/١ رقم ٥٧٤٠.
[2] - سورة الأحزاب : ٥٨.
[3] - أخرجه ابن ماجه عن عبادة الصامت برقم (٣٣٤٠) وعن ابن عباس برقم (٣٣٤١) وهو عند أحمد في المسند:٣١٣/١ رقم (٣٨٦٧) ورواه البيهقي في السنن عن عبادة بن الصامت:١٥٦/٦، برقم (١١٦٥٧) وقد روي هذا الحديث من طرق عديدة منها: طريق أبي سعيد الخدري عند الحاكم :٣٣٤٥، برقم (٣٣٤٥) والدار قطني :٧٧/٣، برقم ٣٨٨، والبيهقي في السنن : ٦/ ٦٩ برقم ٣٠٧، وطريق عائشة عند الدار قطني: ٤/ ٣٣٤ برقم (٨٣ ، والطبراني في الأوسط برقم ٣٠٧، قال ابن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدار قطني من وجوه، ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه، وقد تقبله جماهير أهل العم واحتجوا به، أنظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، مؤسسة المكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، حديث رقم (٧٥١٧)، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثالثة عام ٢٠٠٠م .
[4] - سورة البقرة : الآية رقم :١٠٢

ذكر العين بأنها حق لم يعتبر العائن مجرماً وإنما يعتبر في عداد الفساق أو العصاة، بل إن العين قد تقع من الشخص على نفسه أو أهله أو ماله قال ﷺ :(إذا رأى أحدكم ما يعجبه في نفسه أو ماله فليبرك عليه، فإن العين حق)[1].

لذلك فإن الباحث يرجح القول الثالث القائل بأنه ليس على العائن قصاص ولا دية ولا كفارة، ويعاقب بعقوبة تعزيرية إذا عرف بالإصابة بالعين، وحتى لا يترك بدون عقاب، ويجب على ولي أمر المسلمين منعه من مخالطة الناس وإلزامه بلزوم بيته، وإذا كان فقيراً قرر له مرتباً يكفيه، لأن الضرر الذي يحصل من مداخلته للناس واختلاطه بهم أشد من ضرر المجذوم الذي أمر عمر رضي الله عنه بمنعه من مخالطة الناس، وأشد من الثوم والبصل الذي منع الشارع أكله من حضور الجماعة[2] ولا يخفى على عاقل ما للعين من خطر عظيم وضرر جسيم على الأفراد والجماعات فالذي ينبغي على ولاة الأمر منع من عرف بالعين من مخالطة الناس، وإجباره على البقاء في بيته، لئلا يؤذي الناس بعينه، والوقائع والشواهد على ضرر العين أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، فمن الناس من يصيب بعينه فيوقف سيارة أو حيوان عن السير، أو يصيب إنساناً بالمرض أو الحوادث وغير ذلك كثير، أم عن كيفية إثبات جناية الإصابة فإنها تثبت بأحد أمرين : الأول: الإقرار من العائن وهو كما يقول الفقهاء سيد الأدلة، والثاني : البينة ومن أهمها الشهود، كما في حديث سهل بن حنيف السابق .

ثانيا: عقوبة جناية الإصابة بالعين في القانون اليمني:

قلنا فيما سبق أن القانون اليمني لم يتطرق صراحة إلى عقوبة جناية الإصابة بالعين وإنما ذكرها ضمناً في نص المادة (٢٣٤ ق.ع . ي) والتي جاء فيها (فعل كل من اعتدى على غيره بأي وسيلة) فتدخل الوسائل المادية والمعنوية والإصابة بالعين من الوسائل المعنوية، كذلك نستنتج من نص المادة أن جناية الإصابة بالعين تحدث بقصد من العائن ووقد تحدث بدون قصد وغالباً تحدث بدون قصد العائن وهو ما أشار إليه نص المادة بقولها: (أما إذا أفضى الاعتداء إلى عاهة مستديمة دون أن يقصد الجاني إحداثها فإنه يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ثلاث سنوات فضلاً عن الدية والأرش على حسب الأحوال)، وبناء على ما سبق فعقوبة جناية

[1] ـ كتاب الأذكار للنووي :٢٧٣ ،هامش رقم ٣، تحقيق وتخريج الأستاذ عبدالقادر الأرناؤوط.
[2] ـ صحيح مسلم بشرح النووي:١٤ /١٧٣.

الإصابة بالعين في القانون اليمن عقوبة تعزيرية وهو الحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات فضلاً عن الدية والأرش بحسب مقتضى حال الجاني و جسامة الجريمة، وكان من الأحرى على المشرع اليمني أن يحذو حذو فقهاء الشريعة الإسلامية وأن لا يقيد العقوبة بثلاث سنوات لأن خطر العائن مستمر وفيه ضرر بالمصلحة العامة وأن يكون عزل العائن عن أعين الناس بصورة دائمة.

الخاتمة:

وفيها خلاصة بأهم التوصيات والمقترحات التي توصل إليها الباحث:

تبين لنا من استعراض مفردات جناية الإصابة بالعين، أن العين حق، ولا شك أنها في بعض الناس دون بعض، وأن العائن قد يتعمد الإصابة بالعين فيحصل الضرر، وقد لا يتعمد الإصابة فتقع منه بغير قصد فيحصل الضرر، وهناك من يحاول الإصابة بالعين ولا يقدر عليها، ومعلوم أنه لا يقع شيئاً إلا بإذن الله سبحانه وتعالى ولكن الشارع الحكيم أمرنا وأرشدنا إلى الأخذ بالأسباب لا الاعتقاد بها، لأن الله هو النافع والضار.

ومن خلال هذا البحث سردنا حقيقة جناية الإصابة بالعين ووسائل الوقاية منها ووسائل العلاج، مع ذكر الدليل الشرعي لكل وسيلة، كما بينا موقف العلم الحديث من جناية الإصابة بالعين وموقف فقهاء الشريعة الإسلامية والتشريع اليمني من هذه الجانية وعقوباتها.

وفي ضوء ما سبق توصل البحث إلى النتائج والتوصيات التالية:

أولاً: النتائج :

توصل البحث إلى نتائج عدة نذكر أهما:

١- توصل البحث من خلال الأدلة من الكتاب والسنة التي دلت على إثبات حقيقة الإصابة بالعين وأنها تصيب الإنسان والحيوان وليست من جملة الأوهام والخيالات..

٢- أظهر البحث أن المنكرون لحقيقة الإصابة بالعين ليس معهم دليل شرعي أو عقلي وإنما مجرد شك واستبعاد فقط.

٣- اثبت البحث أن الإصابة بالعين قد تكون من المسلم والكافر على حد سواء ولا تختلف باختلاف الدين.

٤- أكد أن العائن لا يعتبر مجرماً و إنما يعتبر شخص جان وعاص ويكون من تعداد الفساق والعصاة.

٥- توصل إلى أن هناك وسائل شرعية للوقاية من العين، وأخرى للعلاج منها، ويجب على المسلم الأخذ بها دون غيرها.

٦- أتضح من البحث أن هناك وسائل غير شرعية يلجأ إليها بعض المسلمين ضعاف الإيمان للوقاية من العين وعلاجها، ويجب على المسلم عدم الأخذ بها والابتعاد عنها.

٧- أكد البحث أن العائن يعد من عداد الفساق والعصاة ولا يعد مجرماً، بل جانٍ وعاصٍ.

٨- أثبت البحث أنه لا يجوز البتة الذهاب إلى الكهنة والعرافين والسحرة والمشعوذين من أجل العلاج أو الوقاية من العين.

٩- اتضح من البحث جواز حبس العائن تعزيراً لا حداً، وأنه ليس عليه قصاص ولا كفارة ولا دية في أرجح الأقوال، ولكن إذا عرف العائن بإصابته بالعين وتكرر منه ذلك فعلى ولي المسلمين حبسه من باب التعزير والتأديب، وإعطائه راتب يكفيه من بيت مال المسلمين، لأن حبسه عن عامة المسلمين فيه دفع الضرر عنهم، ودفع الضرر عن المسلمين مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية .

ثانيا: التوصيات :

١- يوصي الباحث كل مسلم ومسلمة الإلتزام بتعالين الإسلام الحنيف، وخاصة فيما يخص العين، من أذكار الصباح والماء، والأخذ بالرقية الشرعية، فإنها حصانة للشخص من كافة المصائب والشرور.

٢- تحذير المرضى المصابين بالعين بخطورة الذهاب إلى الكهنة والسحرة، لأن في ذلك فساد عقائدهم، مع بيان النصوص الواردة بالتحذير في ذلك.

٣- إرشاد الناس وتذكيرهم بأهمية الذكر والأوراد الشرعية ففيها حفظ النفس والمال من الشرور والآفات كلها.

٤- **يوصي الباحث المشرع اليمني بأن يحذوا حذوا فقهاء الشريعة الإسلامية وينص صراحة على تعزير العائن إذا عرف واشتهر أنه يصيب الآخرين، لأن دفع المضار عن المسلمين مقصد من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية.**

أهم المرجع والمصادر:

١- القرآن الكريم.
٢- تفسير ابن كثير: للإمام أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي المتوفي ٧٧٤ هـ ، نسخة جديدة بإشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر ، الطبعة الأولي.
٣- الجامع للأحكام القرآن للقرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفي ٦٧١ هـ تحقيق سالم مصطفى البدوي، الطبعة الأولي، دار الكتب العلمية.
٤- أحكام القرآن لأبن العربي: محمد عبدالله المعروف بابن العربي المتوفي ٦٧ هـ تحقيق علي محمد البخاري ، دار المعرفة.
٥- صحيح البخاري للإمام أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري المتوفي ٢٥٦هـ خرجه/ د.مصطفي ديب البغا، الطبعة الثانية.
٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفي ٨٥٢ هـ ، الطبعة الثالثة، دار السلام ودار الفيحا.
٧- صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩١م، دار المعرفة.
٨- سنن أبي داوود: أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المتوفي ٢٧٥ هـ، الطبعة الأولى، دار ابن حزم.
٩- سنن النسائي:لأحمد بن علي بن شعيب أبي عبدالرحمن النسائي المتوفي ٣٠٣هـ مخرج على الكتب التسعة الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني ترقيم الشيخ/ عبدالفتاح أبو غدة، ط ١، ٢٠١١م ، دار ابن الجوزي .
١٠- صحيح سنن ابن ماجه للشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني، بتكلبف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الناشر، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م ، والطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، أشرف على الطبع والتصحيح المكتب الإسلامي بيروت لبنان.
١١- الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي، الطبة الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، مكتبة الصفا.
١٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: للعلامة علاء الدين حسام الدين الهندي المتوفي ٩٧٥ هـ ، طبعة ١٤١٣هـ ، وطبعة ١ .
١٣- كتاب الأذكار للنووي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م ، دار البشائر.
١٤- النهاية في غريب الحديث للجزري ، دار الفكر.
١٥- السنن الكبرى للبيهقي ، أحمد بن الحسن البيهقي المتوفي ٤٥٨ هـ ، الطبعة الأولى ١٣٥٤ هـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد، وكذا الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ الموافق ١٩٨٦ م، دار المعرفة.
١٦- زاد المعاد لابن قيم الجوزية، مطبعة مصطفى الباجي ، الطبعة الثانية، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .
١٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية، الطبعة الثانية، ١٩٧٧ م ،دار الفكر.

١٨- شرح العناية على الهداية للإمام أكمل الدينا البابرتي بهامش نتائج الأفكار تكملة فتح القدير، مطبعة مصطفى محمد، مصر، بدون تاريخ.
١٩- المبسوط للشيخ/ شمس الدين أبو بكر محمد السرخسي ، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، بدون تاريخ.
٢٠- المغني للشيخ/موفق الدين أبي محمد عبدالله بن قدامه المتوفي ٦٢٠ هـ ويليه الشرح الكبير للشيخ/ شمس الدين أبي الفرج بن قدامه المتوفي٦٨٢ هـ، دار الكتب العلمية.
٢١- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للشيخ/ عثمان بن علي الزيلعي، المطبعة الكبري، ببولاق ، مصر ، ١٣١٥هـ
٢٢- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام بهامش فتح العلي المالك للقاضي برهان الدين إبراهيم بن علي أبي القاسم بن محمد بن فرحون المالكي المدني المتوفي ٧٩٩ هـ ، دار المعرفة ز
٢٣- حاشية ابن عابدين لمحمد بن أمين بن عمربن عبدالعزيز عابدين الدمشقي المتوفي ١٢٥٢ هـ الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي.
٢٤- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للشيخ/ شمس بن محمد بن الخطيب الشربيني على متن منهاج الطالبين للأمام النووي، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، دار المعرفة.
٢٥- القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفي ٨١٧ هـ تحقيق/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، مؤسسة الرسالة.
٢٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي للعلامة أحمد محمد الفيومي المتوفي ٧٧٠ هـ ، دار الفكر.
٢٧- لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري المتوفي ٧١١ هـ ،الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م ، دار صادر.
٢٨- مختار الصحاح للشيخ/ محمد بن أبي بكر الرازي، دار الفكر بيروت.
٢٩- شرح قانون الجرائم والعقوبات – القسم الخاص – جرائم الإعتداء على الأشخاص لأستاذنا الدكتور/ علي حسن الشرفي ، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، دار المنار مصر.
قانون الجرائم والعقوبات اليمني ، منشورات وزارة الشئون القانونية.



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

لغة القرآن والتواصل الحضاري في ضوء العقيدة الإسلامية – رؤية مستقبلية

أ.د/ عبدالغني حيدر فارع

أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي المشارك

-كلية التربية – جامعة صنعاء

4

الملخص

تنبع أهمية البحث المقدم من موضوعه العلمي (لغة القرآن) ، وتعزيزاً لدورها الذي أدَّته وتؤديه في نقل العلوم والمعارف عبر الأمم والحضارات ، وهو ما هدف البحث إليه ، وقد خص الله تعالى اللغة العربية أن جعلها لغة كتابه القرآن الكريم مصدر عقيدة الإسلام الأول، " وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ "الشعراء (١٩٢-١٩٥)وليس من تفسير لسرِّ بقاء اللغة العربية إلاَّ هذه الخصيصة " القوة الذاتية كونها لغة الوحي " الإسلام " : قرآن وسنة" والتي أكسبتها القوة والقدسيَّة معاً ،ولقد كانت اللغة العربية " لغة العقيدة " هي لغة الحضارة منذ نزول القرآن وحتى آخر العصر العباسي الأول واتضح ذلك من خلال : ١- حركة التعلم للغة العربية حتى لغير المسلمين .٢- حركة الترجمة لنقل التراث والحضارة الإسلامية إلى أوروبا فكان الاتصال وثيقاً بين اللغة العربية والحضارة فترجمت كتب في الفلك والطب والكيمياء... الخ والقول – في الماضي الحضاري للغة القرآن- :إن اللغة العربية أثَّرت وتأثَّرت بالحضارة الإسلامية فكان التأثير منها وإليها في واقع الحضارة الإسلامية ،فعامل العقيدة – علماً وعملاً – مع عامل اللغة – لساناً وبياناً شيَّدا حضارة الماضي للغة القرآن ، فكان ذلك الماضي الحضاري العظيم للعقيدة واللغة معاً ،وأمّا حاضر اللغة العربية فإنّه يشهدُ انحساراً وضعفاً وترجع الأسباب في ذلك إلى : أسباب داخلية . ب أسباب خارجية ، وخلص الباحث إلى أنّه وفي ضوء معطيات مادية ودينية نؤكد أن مستقبل لغتنا العربية (لغة القرآن – لغة عقيدتنا الإسلامية) سيكون مستقبل الصدارة والازدهار بين سائر لغات العالم وهو في نفس الوقت مستقبل الإسلام : (عقيدة وشريعة)بعز عزيز أو بذل ذليل .

مقدمة :

الحمد الله القائل : " وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ " سورة الشعراء (١٩٢-١٩٥)، ونصلي ونسلم على نبي الرحمة والبيان ، القائل – عليه الصلاة والسلام : جواباً عن الأعرابي وقد قال له : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَفْصَحَكَ ، أَوْ مَا رَأَيْنَا مَنْ هُوَ أَعْرَبُ مِنْكَ ؟ قَالَ : " حَقَّ لِي ، وَإِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِي بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ[1] "

وبعد / فإنّ أهمية البحث تنبع من موضوعه العلمي (لغة القرآن) اللغة الأم عند أكثر من مائتى مليون من أبناء الدول العربية، وأكثر من مليار مسلم ينتشرون في العالم أجمع ، وهي قبل هذا كله لغة عقيدة الإسلام ووسيلة أداء الواجبات الدينية للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، الأمر الذي يدفع أهلها وغير أهلها بالوقوف عندها تعلُّماً وتعليماً وبحثاً ودراسة وأن تعقد لها المؤتمرات والندوات العلمية تعريفاً بها ونشراً وتعزيزاً لدورها الذي أدَّته وتؤديه في نقل العلوم والمعارف عبر الأمم والحضارات ، وهو ما هدف البحث إليه :

- بيان أهمية اللغة في التواصل الحضاري .
- إظهار علاقة اللغة بالحضارة : الماضي الحضاري والحاضر.
- التعريف بـ البعد الحضاري للغة القرآن .
- الإسهام في رسم رؤية مستقبلية للغة القرآن – لغة عقيدة الإسلام . وقد جاءت خطة البحث على النحو التالي :

مدخل الدراسة : تعريف الاصطلاحات :

المطلب الأول : تعريف اللغة لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : تعريف القرآن لغة واصطلاحا .

المطلب الثالث : تعريف التواصل لغة واصطلاحا .

المطلب الرابع : تعريف الحضارة لغة واصطلاحا .

المطلب الحامس : تعريف العقيدة الاسلامية لغة واصطلاحا .

---

[1] ـ موسوعة الحديث ، رقم الحديث (٦٢٠) حديث مرفوع .

المبحث الأول : أهمية اللغة في التواصل الحضاري :

المطلب الأول: علاقة اللغة بالحضارة .

ا لمطلب الثاني: أبعاد اللغة في التواصل الحضاري .

المطلب الثالث : خصائص " لغة القرآن " التواصل الحضاري .

المطلبالرابع : النص اللغوي والنص القرآني .

المبحث الثاني : البعد الحضاري للغة القرآن :

المطلب الأول : لغة القرآن بين الماضي الحضاري والحاضر ❖

أولاً : الماضي الحضاري للغة القرآن .

ثانياً : الحاضر الحضاري للغة القرآن .

المطلب الثاني : رؤية مستقبلية للغة القرآن .

أولاً : عوامل النهوض .

ثانياً : استشراف المستقبل .

وفي الختام الفضل لله تعالى صاحب الهبات والعطايا- سبحانه- الذي وفق لإخراج البحث وإتمامه سائلاً إياه تعالى أن يجعل في هذا الجهد النفع الكبير لأمتنا وديننا ولغتنا وعقيدتنا والنفع لنا جميعاً في الأولى والأخرى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل– وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم –

مدخل الدراسة : تعريف الاصطلاحات :

المطلب الأول : تعريف اللغة لغة واصطلاحا

جاء في المعجم أنَّها[١] : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، والجمع : لغًي ، ولغات . ويقال : سمعتُ لُغاتِهم : اختلاف كلامهم واصطلاحاً : قال ابن حزم [٢]، إن اللغة: «ألفاظ يعبر بها عن المسميات، وعن المعانى المراد إفهامها، ولكل أمة لغتهم» ومما تقدم يمكن أن نستخلص أن اللغة أداة يعبر بها الإنسان عن فكره وشخصه حتى إذا لغا (تكلم) عرف شخصه واتجاهه .....الخ .

المطلب الثاني : تعريف القرآن لغة واصطلاحا

تعريف القرآن في اللغة [٣]: لفظ القرآن مصدر مشتق من (قرأ) يقال قرأ ، يقرأ ،قراءة ، وقرآناً ومنه قوله تعالى" إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه "

اصطلاحاً [٤]: كلام الله المنزل علي نبيه محمد المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلي آخر الناس.

وفي ضوء تعريف القرآن في اللغة والاصطلاح يتضح أنَّ الله أنزل القرآن على نبيه باللفظ العربي وتعبدنا بذلك كمؤمنين به سواء أكنا عرب أم غير عرب فجاء حفظه في الصدور والسطور بالعربية من قبل أهل الحضارة والعقيدة الإسلامية على مر القرون ولا يصح بغير ذلك إلاَّ إذا كان لمعانيه فحسب .

المطلب الثالث : تعريف التواصل لغة واصطلاحا

يفيد التواصل في اللغة العربية الاقتران والاتصال والصلة والترابط والالتئام والجمع والإبلاغ والانتهاء والإعلام التواصل اصطلاحا: يدل التواصل في الاصطلاح على عملية نقل الأفكار والتجارب وتبادل المعارف

---

١ - المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات،حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية٢/٨٣.

٢ - الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث – القاهرة،ط١ ، ١٤٠٤ه، ١/ ٤٦ .

٣ - لسان العرب ، ابن منظور ، د/ ط.ت ، ١/ ١٢٨ .

٤ - الآثار المترتبة على تعلم القرآن د/ ط.ت،–المكتبة الشاملة – صـ ٢.

والمشاعر بين الذوات والأفراد والجماعات، وقد يكون هذا التواصل ذاتيا شخصيا أو تواصلا غيريا، وقد ينبني على الموافقة أو على المعارضة والاختلاف والتواصل وظيفة اللغة الأساسية باعتبارها وسيلة لاتصال الناس بعضهم ببعض[1] وعليه يتضح أنَّ اللغة هي أداة تواصل الأمم والشعوب ونقل الحضارات فيما بينها أو بين الأمة الواحدة جيل بعد جيل .

المطلب الرابع : تعريف الحضارة لغة واصطلاحا

فالحَضَرُ خلاف البَدْو[2]. وسكون الحَضَر الحِضارة. قال فمن تكن الحَضارةُ أعجبَتْهُ ❖ فأيَّ رجالِ باديةٍ ترانَا أما اصطلاحا فتعرف الحضارة بأنَّها[3] : مرحلة سامية من مراحل التطوّر الإنساني، علمياً وفنيّا وأدبياً واجتماعياً في الحضر،وهكذا يلحظ القارئ أنَّ الحضارة تتضمن شقين : مادي ومعنوي يعبر عنهما ويوصفا بلغة تلك الحضارة .

المطلب الخامس : تعريف العقيدة الاسلامية لغة واصطلاحا

كلمة عقيدة مشتقة من (عقد) بمعنى ربط وشد وعزم, والتي منها عقدة الحبل، وعقد البيع واليمين والعهد، ويبدو أن الكلمة استخدمت – شأنها شأن معظم الكلمات العربية- في مدلولات حسية كعقدة الحبل، وعقد البناء، ثم نقلت إلى مدلولات معنوية، كعقد النكاح والبيع وعقد اليمين والعهد . يقول الراغب الأصفهاني في "عقد": "العقد الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عقد البيع والعهد وغيرهما، قال: عاقدته وعقدته وتعاقدنا وعقدت يمينه... ومنه قيل: لفلان عقيدة"[4] فالعقيدة إذن ما انعقد عليه القلب، وصدق به واطمأن إليه وأصبح يقيناً عنده لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك .

أما العقيدة في المصطلح الإسلامي فهي جملة الأصول والحقائق الإيمانية أو العقدية التي جاء بها الشرع ودعا الإنسان إلى الإيمان بها, و انعقد عليها قلب الإنسان وجزم بصحتها وقطع بثبوتها وآمن بها- سواء كان منشؤ ذلك الإيمان العقل أو السمع أو الفطرة, أو هذه جميعاً-إيماناً لا يرقى إليه شك ولا تزعزعه

---

١ - بحوث في اللغة ، اتحاد كتاب العرب ،المكتبة الشاملة ، قسم اللغة والمعاجم ،صـ ٣٢٥.

٢ - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر، د/ط،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، تحقيق: عبد السلام هارون،٧٦/٢.

٣ - الثقافة الإسلامية، غالب عبد الكافي القرشي وآخرون، إصدار جامعة العلوم والتكنولوجيا،ط١٤٣٣،١هـ، ٢٠١٢م، صـ ١٠٧.

٤ - (مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني)، ص:٥٧٦-٥٧٧).

الشبهات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ الحجرات:١٥ . لذلك ارتبط هذا الإيمان بالعلم وانبنى عليه:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾، سورة محمد :١٩ . وقد دعا القرآن الكريم في كثير من آياته، إلى إعمال الفكر والعقل والنظر وصولا للاعتقاد ونعى على المقلدين الذين يسلمون بالعقائد عن طريق التقليد للآخرين لا عن طريق التفكر والنظر .

وفي ضوء ما تقدم يتبين أنّ المراد من البحث هو بيان علاقة اللغة بالحضارة والعقيدة وأنّها علاقة مطردة فالشهود الحضاري والعقدي لأيِ أمة من الأمم يعني شهوداً للغة تلك الأمة وعقيدتها على المستوى الأممي والإنساني ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ، الأمر الذي سيتبين من خلال البحث .

المبحث الأول : أهمية اللغة في التواصل الحضاري والعقدي

المطلب الأول: علاقة اللغة بالحضارة

علاقة اللغة بالحضارة لكل أمة من الأمم علاقة أصيلة وهي علاقة مطردة فالشهود الحضاري لأيِ أمة من الأمم يعني شهوداً للغة تلك الأمة على المستوى الأممي وكذا عقيدتها التي تؤمن بها، وكما أنَّ الأمم وحضاراتها تعيش حالات بين الصعود والهبوط ضمن سنة " وتلك الأيام نداولها بين الناس " فكذلك اللغات والعقائد تبعاً لتلك الحضارات ففي حالة حضارة أمة من الأمم تجد حركة للغة تلك الحضارة وعقيدتها تتمثل في الأمور الآتية :

١- التعلم لتلك اللغة والعقيدة .
٢- الهجرة إلى تلك الأمة واعتناق عقيدتها .
٣- حركة الترجمة ونقل التراث .

والناظر للغة العربية فإنّه سيجد أنّ : " عقيدة الإسلام هي العمق الحضاري للغة العربية (١)" كيف لا ، وهي لغة القرآن – لغة رسالة الإسلام إلى الناس كافة – وبناءً على ذلك فهي تصاب بما يصاب به من انتشار وامتداد في زمن الفتوحات ، أو انحسار في زمن بعد المسلمين عن دينهم ، فصلة اللغة بالحضارة صلة نسب وسبب إذا افتك السبب فإنّ النسب لا يقبل الانفكاك وأعني بالسبب : الشهود الحضاري للغة بسبب حضارة

[1] - انظر : اللغة العربية لسان الحضارة الإسلامية ، د. عبدالرحمن بودرع .

تلك الأمة ، وأعني بالنسب الصلة اللازمة بين اللغة والحضارة ، تلك الصلة التي لا يمكن معها تصور شهود حضاري للغة أمة ليس لها شهود حضاري في الواقع الحضاري .

المطلب الثاني: أبعاد اللغة والعقيدة في التواصل الحضاري

للغة والعقيدة أبعاد في نواحٍ مختلفة في التواصل الحضاري ويمكن تلخيص هذه الأبعاد في الأبعاد التالية:

١- البعد السياسي .
٢- البعد الديني .
٣- البعد الثقافي .
٤- البعد الاقتصادي .
٥- البعد الإنساني والاجتماعي .

المطلب الثالث : خصائص ((لغة القرآن)) والعقيدة في التواصل الحضاري

أولاً : خصائص " لغة القرآن " في التواصل الحضاري .

١- إبراز المعنى الكامل بكلمات أقل من اللغات الأخرى .
٢- الثبات البينوي للفظ اللغوي :ويعني عدم تغير البنية للفظ اللغوي بمرور العقود والقرون كحال اللغات الأخرى لغة القرآن سبيل التنمية المستدامة العلمية .
٣- القوة الذاتية : ونعني بها أنّ لغة القرآن " اللغة العربية " قوية بذاتها ولا تكتسب قوتها من الشهود الحضاري لأمة الإسلام وإنّما يزيدها قوة إضافية والمقصود بالقوة الإضافية هي : قوة الانتشار بعكس اللغات الأخرى فإنّها لا تكتسب قوتها ابتداء إلاّ من الشهود الحضاري لأمتهم " التفوق المادي أو العسكري " فإذا انتهى ذلك الشهود انتهت معه لغته ولا يحتاج إلى شيء آخر لانتهاء الشهود الحضاري لتلك اللغة .

أما لغة القرآن " اللغة العربية " فلم تنته على الرغم من الأسباب الآتية :-

أولاً : التخلف الحضاري الذي تعيشه أمة هذه اللغة في حياتنا المعاصرة .

ثانياً : الحرب المسلطة على اللغة العربية والتي أخذت صوراً مختلفة والتي لو سلط ٥٠٪ من هذه الحرب التي سلطت على اللغة العربية على عشرات اللغات مجتمعة لانتهت خلال فترة زمنية محدودة وليس من تفسير

لسرِّ بقاء اللغة العربية " لغة القرآن" إلاَّ هذه الخصيصة " القوة الذاتية " والتي كسبتها من كونها " لغة القرآن والعقيدة " فأكسبتها القوة والقدسيَّة معاً .

ثانياً : خصائص العقيدة الإسلامية : اختصت العقيدة الإسلامية عن غيرها من العقائد بخصائص عدة جعلت منها عقيدة أممية من أهمها ما يأتي:

١. الربانية : أي أنّ العقيدة تستمد أصولها ومبادئها من مصدر ثابت لاشك فيه ولا ريب, وهو القرآن الكريم، وما صح من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فما تضمنته العقيدة عن الله سبحانه وتعالى، وأسمائه وصفاته، وعن عالم الغيب وما فيه من أنواع الجزاء, وعن مصير الحياة الإنسانية ومستقبلها, مصدره كله الوحي.وليس لأحد من البشر, أياً كان, دور في صياغة العقيدة أو جزء من أجزائها, وحتى الرسول عليه السلام لا يعدو أن يكون مبلغاً عن ربه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ الشورى: ٥٢-٥٣.

٢.الثبات : إنَّ حقائق العقيدة الإسلامية حقائق إلهية المصدر, ومن ثم لا تخضع لزيادة أو نقص أو تحريف أو تبديل أو تعديل. ولا يملك أحدٌ، فرداً كان أو جماعة، أياً كانت صفته وإمكاناته، أن يغير من هذه العقيدة، فيضيف إليها أو ينقص منها. وهذه القضايا العقدية، كلها حقائق ثابتة غير قابلة للتغير ولا للتطور. وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّ كل تحريف في هذه المجالات مردود على صاحبه: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد"[١] . كما استنكر القرآن الكريم على المشركين تحريفهم العقيدة وابتداعهم فيها: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ الشورى: (٢١).

٣. الشمول : يراد بشمول العقيدة الإسلامية ما يأتي :

أ- أنها عقيدة تفسر كل القضايا الكبرى في الوجود: قضية الأُلوهية، وقضية الكون، والإنسان، والنبوة، والمصير, والكون والقوانين التي تحكمه إلخ...

١ - (صحيح البخاري،كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم:٢٦٩٧).

ب- أنها لا تعتمد في ثبوتها على الوجدان أو الشعور وحده كما هو شأن الفلسفات الإشراقية وبعض المذاهب الصوفية, وكما هو شأن المسيحية التي ترفض تدخل العقل في العقيدة رفضاً باتاً: "اعتقد وأنت أعمي", وهي كذلك لا تعتمد على العقل وحده, كما هو الشأن في جل الفلسفات البشرية التي تتخذ من العقل وسيلة لمعرفة وحل ألغاز الوجود, وإنما تعتمد على الفكر والشعور معاً والقلب والعقل جميعاً.

ج-أنها عقيدة لا تقبل التجزئة, بل لابد أن تؤخذ كلها بكل محتوياتها بدون إنكار أو شك في أي جزء منها, فمن آمن بمعظم مضمون العقيدة وكفر ببعضها لم يعد بذلك مسلماً. فالإسلام يقتضي أن يسلم الإنسان قياده كله لله, ويؤمن بكل ما جاء من عنده, لذلك وصف بالكفر من فعل غير ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً، أُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾النساء: ١٥٠-١٥١.

٤. الوسطية : العقيدة الإسلامية عقيدة وسطية لا إفراط فيها ولا تفريط, ويلاحظ هذا المنهج في كل أصول العقيدة وأركانها، في الأُلوهية والنبوة والقضاء والقدر والإيمان بالغيب ،الأُلوهية: العقيدة الإسلامية عقيدة وسطية في قضية الألوهية، بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بالله، وبين الذين يعددون الآلهة حتى عبدوا الأغنام والبقر وألهوا الأوثان والأحجار،فخلافا للملاحدة والمشركين،دعت العقيدة الإسلامية، إلى عبادة إله واحد لا شريك له، هو مالك الملك وهو على كل شئ قدير، الإيمان بالغيب: العقيدة الإسلامية وسطية في مسألة الإيمان بالغيب, بين الذين يصدقون بكل شيء, ويؤمنون بغير برهان، ويسرفون في الحديث عن الأرواح واستحضارها والتعامل معها، وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس. فهي تدعو إلى الإيمان بالغيب، وتقيم هذا الإيمان على الأدلة القطعية، والبراهين اليقينية: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: (١١١).

-النبوة: العقيدة الإسلامية وسطية في أمر النبوة, إذ إنها لم ترفع الأنبياء إلى مقام الآلهة فيتجه الناس إليهم بالعبادة أو الاستعانة مع الله كما اعتقد النصارى وغيرهم, كما لم تنزل بهم إلى مستوى السفلة من الناس فتنسب إليهم ارتكاب الموبقات وفعل المنكرات كما افترى اليهود في توراتهم المحرفة, بل الأنبياء كما تقرر العقيدة الإسلامية، بشر اصطفاهم الله تعالى من خيرة خلقه لحمل رسالته: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ الحج:(٧٥), واختصهم بوحيه وكلفهم تبليغ رسالته وجعلهم قدوة وأسوة

حسنة لإتباعهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ الأحزاب:(٢١) الوسطية في النظرة إلى الإنسان: العقيدة الإسلامية وسط في نظرتها إلى الإنسان، بين من ألهوا الإنسان وأضفوا عليه خصائص الربوبية واعتبروه إله نفسه وسيد مصيره, وبين من جعلوه أسير جبرية اقتصادية أو اجتماعية أو دينية, فهو كريشة في مهب الرياح أو كدمية يحرك خيوطها المجتمع والاقتصاد أو القدر. فالإنسان، في العقيدة الإسلامية، مخلوق مكلف مسئول, سيد في الكون ولكنه عبد لله, له مشيئة محدودة ودور في الكون, وقدرة على تغيير حاله بقدر ما يغير بنفسه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ الرعد: (١١).

٥. الواقعية: يراد بالواقعية: أن القضايا التي تتضمنها العقيدة الإسلامية, ليست أوهاماً أو خرافات، بل هي حقائق يقبلها العقل وتستريح إليها النفس وتستجيب إليها الفطر السليمة, فهي تدعو إلى الإيمان بإله واحد، تدل عليه البراهين، والأدلة والآيات في الأنفس والآفاق, موصوف بالصفات التي تدل على آثاره في الكون وصلته بالخلق, كما تدعو إلى الإيمان برسول بعثه الله متمماً به سلسلة الرسالات الإلهية, وهو رسول من البشر اصطفاه الله وميزه عنهم باختصاصه بالوحي الإلهي: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ الكهف: (١١٠).

٦.الوضوح : تتميز العقيدة الإسلامية شأنها شأن أصول الإسلام ودعائمه بالوضوح ،ويتمثل هذا الوضوح في سائر قضاياها:

- فالتوحيد الذي هو جوهر العقيدة قضية واضحة لدى كل مسلم. كما أنَّ دليلها أيضاً واضح في فكره، وأثرها واضح في حياته, فهي عقيدة تستند إلى العقل وتعتمد على البرهان،يقول تعالى:: ﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ النمل:٦٤

- كما تميزت العقيدة الإسلامية بالوضوح في عرض قضاياها, واستخدمت وسائل عديدة وطرقاً شتى فخاطبت الفطرة, والعقل, ولفتت نظر الإنسان إلى مظاهر الطبيعة الكونية, والنفس الإنسانية: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت: (٥٣).

٧. الإيجابية العقيدة الإسلامية ليست معارف باردة, ولا فكرة فلسفية مجردة, بل هي حقائق تتحول، حين يتلقاها العقل فهماً وإدراكاً، والفطرة تجاوباً وانسجاماً, إلى واقع حسي تظهر آثاره في سلوك الإنسان وأعماله, في درك أنه لم يخلق عبثاً وإنما يحمل بين جنبيه رسالة تتطلب العمل والتضحية والجهاد والاندفاع في سبيل الخير: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ الحج: ٧٧ -٧٨.

المطلب الرابع : النص اللغوي والنص القرآني

يعد النص القرآني نصاً لغوياً منسوجاً من جنس لسان العرب مؤلفاً من الجمل المترابطة التي تشكل عناصر ذات دلالات خاصة بها وتتظافر هذه العناصر لتؤلف كلاماً يفيد قصداً دلالياً معيناً [1] وسنتكلم فيما يلي عن كلٍّ من النص اللّغوي والنص القرآني:-

أولاً : النص اللغوي : المقصود بالنص اللغوي جميع النصوص " الشعرية والنثرية " للغة العربية ، والقرآن نزل باللغة العربية فمعرفة النص اللغوي – أي المعنى اللغوي لذلك النص – هو أساس فهم النص القرآني ، فلذلك نجد من شروط المفسر " معرفته اللغة العربية [2]" والمقصود بها اللغة التي كانت متداولة في عصر التنزيل للقرآن دون الالتفات إلى الدوارج والحوادث التي درجت على اللغة أو حدثت وأحدثت تغييراً نسبياً أو تطوراً في دلالات الألفاظ[3] وينبغي التنبيه علي أنَّ النص اللغوي له دلالتان يتضح من خلالهما المعنى :

[1] - انظر : منهج السياق ، د. عبد الرحمن بودرع ، سلسلة الأمة ، العدد (١١١) .
[2] - انظر : مباحث في علوم القرآن ، الشيخ مناع القطان ، مكتبة المعارف، ط٣ ،١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ،صـ٣٤٠.
[3] - انظر : محاسن التأويل ، للقاسمي ، د/ ط . ت ، ١/ ٢٣٦ .

١- دلالة الكلمة المفردة .
٢- دلالة التركيب .

فيجب جمع الدلالتين معاً من أجل معرفة المعنى ولا يقتصر على دلالة الكلمة المفردة فهي لا تؤدي إلى إستبانة المعنى تماماً إلاَّ بإضافة دلالة التركيب .

ثانياً : النص القرآني : جاء النص القرآني مبنياً على النَّص اللغوي إلاَّ أنَّه تميز بميزات أضفت عليه " الإعجاز اللغوي " حيث أنه من لغة العرب ولم يستطيعوا معارضته وتحداهم وهو من جنس لسانهم ولهذا الإعجاز للنص القرآني صور كثيرة تعرض لها الباحثون عند كتابهم في الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم [1].

والنص القرآني يتبين معناه بـ :

١- نص قرآني آخر في موضع آخر .
٢- نص نبوي .
٣- بتفسير الصحابة .
٤- تفسير التابعين .
٥- باللغة العربية [2].

وإذا نظرنا إلى النص القرآني-المصدر الأول للعقيدة الإسلامية- سنجد أنّ العقيدة بنصها القرآني كان بحق صمام أمان اللغة العربية من أي تغيير الذي يحدث للغات الأخرى والذي يحدث في إحدى هذه الصور :

١- نقص في الأصوات .
٢- التغيير الصرفي نسبياً .
٣- التغيير التركيبي نسبياً .
٤- ازدياد أو نقص المفردات .

وهذا يؤدي إلى تغيير اللغة رأساً على عقب بعد عشرات العقود ، فالنص القرآني حافظ على اللغة العربية من مثل هذا التغيير الذي يحدث للغات الأخرى [3].

[1] - انظر على سبيل المثال : كتاب إعجاز القرآن الكريم ، للباحث نفسه ،د. عبدالغني حيدر فارع ، إصدار جامعة العلوم والتكنولوجيا .
[2] -مباحث في علوم القرآن ،صـ ٣٤٠ فما بعدها .
[3] - مستفاد من مقابلة –غير مباشرة- مع أ.د. سلال المقطري في ١-١- ٢٠١٣م .

المبحث الثاني : البعد الحضاري للغة القرآن

المطلب الأول : لغة القرآن بين الماضي الحضاري والحاضر

أولاً : الماضي الحضاري للغة القرآن : إنَّ لسان العرب ولغتهم من أبين وأفصح الألسنة دلالة وأوسعها معجماً[1]، وما ذلك إلاَّ لما حوته من صنوف البيان والفصاحة ، فلذلك أختار الله هذه اللغة لتكون لغة العقيدة الخاتمة والكتاب الخاتم المهيمن على الكتب كلها ، قال تعالى: " وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه "[2] فكانت اللغة العربية بالتالي هي اللغة المهيمنة على سائر اللغات يجد فيها أصحاب سائر اللغات بغيتهم كاملة فيها ولا يجد أصحاب اللغة العربية بغيتهم الكاملة فيما سواها .

ولقد كانت اللغة العربية " لغة القرآن وعقيدتنا الإسلامية " هي لغة الحضارة منذ نزول القرآن وحتى آخر العصر العباسي الأول واتضح ذلك من خلال :

١- حركة التعلم للغة العربية حتى لغير المسلمين .
٢- حركة الترجمة لنقل التراث والحضارة الإسلامية إلى أوروبا فكان الاتصال وثيقاً بين اللغة العربية والحضارة فترجمت كتب في الفلك والطب والكيمياء [3].

ومن المهم جداً أن يتساءل البعض : كيف كان ذلك الماضي الحضاري لهذه اللغة وهي عاشت في بيئة بدوية صحراوية بعيدة عن اللغات والحضارات الأخرى ؟!

فلا يمكن القول للإجابة عن هذا التساؤل : أنَّها اكتسبت قوتها من النقل لحضاري السابق لها من اللغات الأخرى ، فبعدها عن اللغات والحضارات الأخرى يفنِّد ذلك .

ولا يمكن القول – أيضاً – إنها اكتسبت زخمها من القوة المادية والعسكرية،فبيئتها الصحراوية البدوية يفنِّد ذلك مرة أخرى ولم يبق إلاَّ القول : لأنَّها تفوقت في التعبير وترجع أسباب هذا التفوق في التعبير إلى سعتها وتنوع أساليب البيان ، وتهذيب صيغها بالإعلال والإدغام والحذف والقلب والإبدال أضف إلى ذلك قانون الاشتقاق والقياس الذي استطاع معه العلماء في عصر التدوين وما بعده أن يستخلصوا قواعد النحو

---
[1] - انظر : اللغة العربية لسان الحضارة الإسلامية ، مرجع سابق ، صـ ١ .
[2] - سورة المائدة : آية : ٤٨ .
[3] - انظر : اللغة العربية لسان الحضارة ، مرجع سابق ، صـ٢ .

والصرف وضوابط العروض والقوافي [1] وخلاصة القول – في الماضي الحضاري للغة القرآن ، لغة عقيدتنا الإسلامية - : إن اللغة العربية أثَّرت وتأثَّرت بالحضارة الإسلامية فكان التأثير منها وإليها في واقع الحضارة الإسلامية السالف والمعادلة مطردة منعكسة – تأثر وتأثير – فعامل الدين – علماً وعملاً – مع عامل اللغة – لساناً وبياناً شيَّدا حضارة الماضي للغة القرآن ، فكان ذلك الماضي الحضاري العظيم للدين واللغة معاً .

ثانياً : الحاضر الحضاري للغة القرآن : لا ننكر ابتداءً تقلب الحضارات واللغات بين الصعود والهبوط ضمن سنتين من سنن الله تبارك وتعالى في هذه الحياة :

السُّنة الأولى : سنة التدافع بين الحضارات واللغات .

السُّنة الثانية : سنة التداول ، قال تعالى :" وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ سورة عمران : جزء من آية (١٤٠)" "فالإسلام هو العمق الحضاري للغة العربية ، تُصاب بما يُصاب به الدين من انتشار أو انحسار ، وبما يعتريه من غربة أو ازدهار [2]" فكان انتشار اللغة العربية " بانتشار الإسلام وامتداد فتوحاته في أفريقيا وآسيا وكان لها من القوة والنفوذ ما مكنها من التغلب على لغات الأمصار القديمة [3]" إنَّ حاضر اللغة العربية يشهدُ انحساراً وضعفاً وترجع الأسباب في ذلك إلى :

أ- أسباب داخلية . ب- أسباب خارجية [4].

أ – الأسباب الداخلية : والمقصود بها تلكم الأسباب التي ترجع إلينا – نحن المسلمين – بجناياتنا المختلفة على لغتنا العربية ومن هذه الأسباب :

١- ضعف الاهتمام بلغة القرآن " اللغة العربية" : يقابله قوة الاهتمام باللغات الأخرى وفتح مراكز ومعاهد لها ، والتطوير المستمر للمناهج التعليمية لتلك اللغات في حين نشهد ضعفاً وهزالة لمناهج التعليم للغة العربية .
٢- ضعف دور المؤسسات اللغوية في هذا المجال .
٣- فشو اللهجات العامية ، والتأصيل لها من قبل بعض الكتاب والاهتمام بها عن الأصل الفصيح .

---

[1] - المرجع نفسه ، صـ٣ .
[2] - اللغة العربية لسان الحضارة الإسلامية ، مرجع سابق ، صـ٢.
[3] - المرجع نفسه ونفس الصفحة .
[4] - مستفادة بعضها من مقابلة –غير مباشرة- مع أ.د. سلال المقطري في ١-١-٢٠١٣م .

٤- ضعف الاهتمام بالتواصل الحضاري عن طريق لغتنا العربية وغياب الإستراتيجية اللغوية لهذا البعد الحضاري والثقافي للغة .

٥- ضعف حركة الترجمة والتعريب للعلوم ، ضعفاً كبيراً يكاد يصل إلى غيابه وانعدامه .

٦- عدم الحوسبة الآلية للغة العربية .

٧- ربط التوظيف الداخلي – فضلاً عن الخارجي – باللغة الأجنبية .

٨- ربط الاعتماد الأكاديمي باللغة الأجنبية .

ب- الأسباب الخارجية :

١- الاستعمار بكل أشكاله .

٢- عولمة اللغات الأجنبية للعلوم الإنسانية والاجتماعية والتكنولوجية .

٣- الغزو الثقافي .

٤- تكريس التبعية الغربية : فاللغة تتبع الثقافات والثقافات تتبع السياسات .

٥- المساعدات الخارجية المشروطة .

المطلب الثاني : رؤية مستقبلية للغة القرآن في ضوء العقيدة الإسلامية

أولاً : عوامل النهوض .

١- تحمل المسئولية التعليمية للغة العربية : فمن الضروري للأمة إذا أرادت أن تساير الحضارة أن يكون التعليم فيها بلغتها الفصحى أولاً – ولا يمنع ذلك من تعلم اللغات الأخرى – مما يكسبها حصانة علمية [1] ومن أجل تحمل المسئولية التعليمية للغة العربية للنهوض الحضاري لا بد من توفر الأمور التالية [2] :

أ- مراجعة المقررات لغوياً لضمان سلامتها اللغوية والتقريب بين مستوياتها .

ب- يراعى في تأليف الكتاب المدرسي العناية بالجانبين : التربوي ، واللغوي إلى جانب العناية بمادته العلمية .

ج- توجيه مراكز البحث والمجامع اللغوية وغيرها من المؤسسات اللغوية إلى مزيد من العناية بدراسة المشكلات دراسة مستمرة ووضع الحلول لها .

د- توجيه الجهود إلى توفير أدوات القياس التي تساعد في تحقيق أهداف الدراسة اللغوية للغة العربية

٢- تكامل الأجهزة المعنية باللغة العربية مع بعضها " التعليمية الإعلامية الثقافية " .

٣- كثرة التأليف باللغة العربية في الفنون العلمية والمعرفية والتطبيقية المختلفة .

٤- النهوض بحركة التعريب والترجمة العلمية للعلوم المختلفة .

٥- فتح مراكز لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الداخل والخارج .

٦- إعداد وسائل تعليمية للمجال اللغوي سمعية وبصرية للانتفاع بها في تعليم اللغة العربية : فذلك يجعل استيعابها سهلا وييسر قراءتها .

٧- الإفادة من التقنيات المتقدمة في إنتاج البرامج التعليمية الجادة بلغة عربية سليمة، وليس من خلال عامية محلية ثانياً : استشراف المستقبل : نقصد باستشراف المستقبل هنا المآل الذي ستؤول إليه لغة القرآن (اللغة العربية) (لغة العقيدة الإسلامية) بعد حالنا الحاضر المعاش ، وذلك وفق معطيات لا يختلف بشأنها أهل العلم والبحث :

---

[1] - انظر ، اللغة العربية بين الماضي والحاضر – دعوة الحق- العدد : ٤٤ .

[2] - مستخلص من مقررات المؤتمر الثالث عشر : التجديد في الفكر الإسلامي " اللغة العربية في التعليم والإعلام " د. محمود حجازي . مايو ٢٠٠١م .

❖ معطيات مادية يأتي على رأسها تحقيق عوامل النهوض التي سبق الحديث عنها في المفردة السابقة (أولاً) من ١- ٧ .

- الجهود المبذولة من أبناء اللغة العربية في العلم والحضارة والإنتاج ، فقيمة اللغة تستمد في المقام الأول من قيمة أبنائها وقيمة ما يخرجوه للنَّاس .

- المستقبل السياسي والعمراني للمتكلمين بها ، الأمر الذي كان عليه حال اللغات وشأنها على مرّ التأريخ : فاليونانية في عصر أبطال الإغريق ، واللاتينية في عهد قيصر ، والعربية في زمن بني العباس، والفرنسية في عصر لويس الرابع عشر ، والإنجليزية في أيامنا هذه .

❖معطيات عقدية دينية : أيْ النصوص الدالة على مستقبل هذا الدين (الإسلام : عقيدة وشريعة) والذي لغته هي العربية مما جاء في القرآن السنة ، ومنها : قول الله تعالى : " وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ " سورة : يوسف آية :٢١، وقوله – صلى الله علي وسلم – (لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخل عليهم كلمة الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل [1])

وفي ضوء ما تقدم من معطيات مادية ودينية نؤكد أن مستقبل لغتنا العربية (لغة العقيدة الإسلامية) سيكون مستقبل الصدارة والازدهار بين سائر لغات العالم بعز عزيز أو بذل ذليل ، وذلك ولا شك هو مستقبل الإسلام : عقيدة وشريعة ، ورضي القوم أم أبُ ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

[1] - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤-١٩٩٣م ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ١٥/ ٩٣ ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الصحيح .

الخاتمة:

وفي ختام بحثنا الذي أعاننا الله على إتمامه وإكماله يمكن استخلاص عدد من النتائج أهمها :

١- اللغة أداة يعبر بها الإنسان عن عقيدته وفكره وشخصه حتى إذا لغا (تكلم) عرف شخصه وعقيدته واتجاهه...الخ .

٢- أنزل الله القرآن على نبيه باللفظ العربي وتعبدنا بذلك كمؤمنين به سواء أكنا عرب أم غير عرب وجاء حفظه في الصدور والسطور بالعربية من قبل أهل الحضارة الإسلامية على مر القرون ولا يصح بغير ذلك إلاَّ إذا كان لمعانيه فحسب .

٣- اللغة هي أداة تواصل الأمم والشعوب ونقل الحضارات فيما بينها أو بين الأمة الواحدة جيل بعد جيل .

٤- علاقة اللغة بالحضارة وعقيدة تلك الحضارة لكل أمة من الأمم علاقة أصيلة وهي علاقة مطردة فالشهود الحضاري والعقدي لأيِ أمة من الأمم يعني شهوداً للغة تلك الأمة وعقيدتها على المستوى الأممي .

٥- تعرف العقيدة في اللغة بأنّها ما أنطوى وانعقد عليها القلب وصدق بها ،وتعرف في المصطلح الإسلامي بأنّها : جملة الأصول والحقائق الإيمانية أو العقدية التي جاء بها الشرع ودعا الإنسان إلى الإيمان بها .

٦- اختصت العقيدة الإسلامية بعدد من الخصائص والمميزات جعلت منها عقدية أممية ، من أهم تلك الخصائص : الربانية ، والوضوح ، والثبات ، والوسطية ، والإنسانية ...الخ

٧- ليس من تفسير لسرِّ بقاء اللغة العربية " لغة القرآن والعقيدة الإسلامية " إلاَّ خاصيَّة " القوة الذاتية " والتي كسبتها من كونها " لغة القرآن " فأكسبتها القوة والقدسيَّة معاً .

٨- يعد النص القرآني نصاً لغوياً منسوجاً من جنس لسان العرب مؤلفاً من الجمل المترابطة التي تشكل عناصر ذات دلالات خاصة بها وتتظافر هذه العناصر لتؤلف كلاماً يفيد قصداً دلالياً معيناً .

٩- النص القرآني كان بحق صمام أمان للغة العربية من أي تغيير ا يحدث للغات الأخرى .

١٠- اللغة العربية هي اللغة المهيمنة على سائر اللغات يجد فيها أصحاب سائر اللغات بغيتهم كاملة فيها ولا يجد أصحاب اللغة العربية بغيتهم الكاملة فيما سواها .

١١- لقد كانت اللغة العربية " لغة القرآن " هي لغة الحضارة منذ نزول القرآن وحتى آخر العصر العباسي الأول .

١٢- إنَّ حاضر اللغة العربية يشهدُ انحساراً وضعفاً يرجع إلى أسباب ذكرت في ثنايا البحث .

١٣- في ضوء معطيات مادية ودينية نؤكد أن مستقبل لغتنا العربية (لغة القرآن) سيكون مستقبل الصدارة والازدهار بين سائر لغات العالم وذلك هو مستقبل الإسلام : عقيدة وشريعة بعز عزيز أو بذل ذليل .

قائمة المصادر والمراجع:

١) الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد ، دار الحديث – القاهرة،ط١ ، ١٤٠٤ه
٢) الآثار المترتبة على تعلم القرآن د/ ط.ت،–المكتبة الشاملة – .
٣) بحوث في اللغة ، اتحاد كتاب العرب ،المكتبة الشاملة ، قسم اللغة والمعاجم .
٤) الثقافة الإسلامية ، غالب عبد الكافي القرشي وآخرون ، إصدار جامعة العلوم والتكنولوجيا اليمنية ،د/ط، تـ .
٥) اللغة العربية لسان الحضارة الإسلامية ، د. عبدالرحمن بودرع .
٦) منهج السياق ، د. عبد الرحمن بودرع ، سلسلة الأمة ، العدد (١١١) .
٧) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤-١٩٩٣م ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .
٨) اللغة العربية بين الماضي والحاضر – دعوة الحق- العدد : (٤٤).
٩) كتاب إعجاز القرآن الكريم ، للباحث نفسه ،د. عبدالغني حيدر فارع ، إصدار جامعة العلوم والتكنولوجيا ، د/ط،ت.
١٠) لسان العرب ، ابن منظور ، د/ ط.ت .
١١) مباحث في علوم القرآن ، الشيخ مناع القطان ، مكتبة المعارف، ط٣ ،١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٢) مستخلص من مقررات المؤتمر الثالث عشر : التجديد في الفكر الإسلامي " اللغة العربية في التعليم والإعلام " د. محمود حجازي . مايو ٢٠٠١م.
١٣) محاسن التأويل ، للقاسمي ، د/ ط، ت .
١٤) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، مكتبة العلوم والحكم – الموصل ،ط٢ ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي .
١٥) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار الدعوة ، تحقيق / مجمع اللغة العربية .
١٦) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار الفكر ، د/ط ،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، تحقيق : عبد السلام هارون .
١٧) مقابلة – غير مباشرة- مع أ.د. سلال المقطري – أستاذ اللغة – كلية الآداب – جامعة صنعاء - في ١-١-٢٠١٣م.



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

منهج المحدثين في عدّ الحديث وإحصائه

د/ يحيى عبدالله الأسدي

أستاذ الحديث المساعد - كلية التربية - جامعة حجة

5

الملخص

هذا البحث يتعلق بعلم الرواية، وله صلة وثيقة بمصطلح الحديث الشريف.

يكشف البحث عن مكانة الحديث، وعناية المسلمين بالسنة، ومظاهر تلك العناية الفائقة ومنها حفظه في الصدور، وكتابته في السطور .

ثم يتطرق البحث إلى منهج المحدثين في عدّ الحديث وإحصائه، وتفسير ما نقل عن حفاظ الحديث من حفظهم لعشرات الآلاف أو مئات الآلاف من الحديث من الحديث مع مقارنة ذلك بما هو مدون في أمهات كتب الحديث والذي لا يصل إلى هذا العدد المذكور.

ونتوصل بعد هذا البحث والتقرير إلى الاطمئنان إلى حفظ السنة (الحديث) وعدم تعرضها للضياع أو النسيان كما قد يظن أو يفهم بعض الناس.

مقدمة:

هدفت الدراسة إلى البحث عن أهم جوانب الحياة التعليمية في اليمن في فترة الدولتين النجاحية والصليحية، ورغم أن الصراع كان ميزة لعلاقة الدولتين طوال النصف الأول من تاريخهما نتيجة للخلاف المذهبي ومحاولة كل طرف استغلال الظروف المتاحة للقضاء على الآخر، فإن كل منهما وصل إلى قناعة بصعوبة القضاء على خصمه نهائياً، الأمر الذي أدى إلى قناعة كل طرف بضرورة القيام بالحكم في منطقة نفوذه والاهتمام بالجانب التعليمي فيها بعيداً عن الحروب والصراعات، ومحاولة إيجاد كل ما يحتاجه التعليم من:كتاتيب لتعليم الصغار، أو اهتمام بالعلماء أو بالكتب وتدوينها، وغير ذلك.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى آله الطيبين وصحابته الغر الميامين.

أما بعد في علم الحديث علم جليل القدر، عظيم المنفعة، وفيه من العلوم والفنون ما يبهر الألباب ويأخذ بالأفئدة، وهو العلم الذي برع فيه المسلمون وتميزوا به عن غيرهم من الأمم السابقة واللاحقة.

ومن أهم علومه ومباحثه المنيفة علم مصطلح الحديث الشريف، وعلم الرجال، اللذان تم بهما حفظ الرواية من التبديل والتحريف.

وقد تنوعت المصنفات في علم الحديث دراية، فصار فيها المنظوم والمنثور، والمطول البسيط، والمختصر الوجيز، وحوت كثيراً من غرر الفوائد ودرر القلائد.

هذا وإن من نظر في بعض كتب الحديث السابقة، وما ينقل عن عدد الأحاديث والروايات المحفوظة في الصدور، أو المنقولة في السطور في كتب الرواية المشهورة يرى تفاوتا كبيراً يشكل على بعض المتعلمين، وقد يكون ذريعة لبعض المشككين في حفظ السنة وبقائها، فأحببت أن أميط اللثام عن وجه هذه المسألة بعينها، وأحلّ ما أشكل منها، وأبين ما أجمل فيها، وأجمع بين تلك النقول، سائلا من المولى الإعانة والتوفيق والقبول.

وقد جعلت البحث في مبحثين وخاتمة، وهي كالتالي:

المبحث الأول : عناية المسلمين بالسنة النبوية

المطلب الأول: مكانة الحديث النبوي، ومنزلته في الإسلام.

المطلب الثاني: اهتمام السلف بحفظ الحديث ، وبذلهم الجهد في سبيل ذلك.

المطلب الثالث : نماذج لحفاظ الحديث وجهابذته

المطلب الرابع: ثناء العلماء على أهل الحديث، واعترافهم بفضلهم على الأمة

المبحث الثاني: مناهج المحدثين في عدِّ الحديثِ وإحصائه، وتفسير ما نقل عنهم مما يوهم التعارض.

المطلب الأول: في مفهوم (الحديث) عند المحدثين

المطلب الثاني: تعدد الطرق

المطلب الثالث: اختصار الحديث وتقطيعه

المطلب الرابع: رواية الحديث بالمعنى أو بمعاني متقاربة

المطلب الخامس: الاختلاف في الوقف والرفع

المطلب السادس : اختلاف روايات الكتب المصنفة

المطلب السابع : تغير اجتهاد المصنفين وتنقيح كتبهم بالزيادة والنقصان

المطلب الثامن : زيادات رواة الكتب الحديثية

المطلب التاسع : عدم الفهم والمعرفة

المطلب العاشر: التقليد والمتابعة

المطلب الحادي عشر: الوهم والخطأ

الخاتمة : وفيها أهم النتائج

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المبحث الأول : عناية المسلمين بالسنة النبوية

المطلب الأول: مكانة الحديث النبوي، ومنزلته في الإسلام.

الحديث النبوي هو أحد قسمي الوحي الإلهي، والمصدر الثاني من مصادر الشريعة.

وقد جاءت النصوص من القرآن والسنة المصرحة بذلك:

قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى)(١) .

وقال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(٢).

ومن السنة:

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم « أَلاَ هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّى وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلاَلاً اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ »(٣) قال الأوزاعي رحمه الله: (إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وحدثنا بالقرآن فاعلم أنه ضال مضل) (٤) وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (٥).

قال الشافعي: (كل ما سن رسول الله مما ليس فيه كتاب وفيما كتبنا في كتابنا من ذكر ما من الله به على العباد من تعلم الكتاب والحكمة دليل على ان الحكمة سنة رسول الله)(٦).

وقال: (ذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٧).

وقال محمد بن سيرين: (إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ) (٨).

والنصوص الواردة في بيان هذا الأمر وتأكيده أكثر من أن تحصر .

ولهذا كانت السنة عند السلف معظمة مقدسة، محفوفة بالتبجيل والإكرام.

قال عبد الرحمن بن مهدى: (الرجل الى الحديث أحوج منه الى الأكل والشرب، وقال: الحديث تفسير القرآن)(٩).

وعلم الحديث هو الميراث العظيم الذي ورّثه العلماء من النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن الوزير رحمه الله:

العلم ميراث النبي كذا أتى　　في النصِّ والعلماء هم ورّاثهُ
فإذا أردت حقيقة تدرى لمن　　وراثه فكّرت ما ميراثهُ
ما ورث المختار غير حديثه　　فينا، وذاك متاعه وأثاثهُ

فلنـــــا الحـــــــديثُ وراثـــــةً نبويـــــةً ولكــــل محـــــدث بـــــدعةٍ إحداثُـــهُ

وطلب الحديث والانشغال به من أفضل القرب والعبادات والأعمال الصالحات.

قال سفيان الثوري: (ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النية)(١٠).

والمراد بالعلم هنا وفي خطاب السلف من المحدثين غالبا: علم الحديث، ويؤيده قول ابن المبارك: (ما أعلم شيئاً أفضل من طلب الحديث لمن أراد به الله)(١١).

قال الإمام الشافعي: (من حفظ الفقه عظمت قيمته، ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم الشعر والعربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه)(١٢).

وهذا الحب والتعظيم والتبجيل هو دفع السلف للعناية بها، والمسابقة على حفظها، كما سيأتي الإشارة إليه في المبحث التالي.

المطلب الثاني: اهتمام السلف بحفظ الحديث ، وبذلهم الجهد في سبيل ذلك.

اهتم السلف رضوان الله عليهم بالحديث النبوي اهتماماً بالغاً لإدراكهم لمكانته في الدين وأهميته العظيمة، كما مر في المبحث السابق بيانه، وقد تمثل ذلك الاهتمام في مظاهر شتى منها:

١ - **الحرص على سماعة وحفظه وتبليغه**. كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماع القرآن والحكمة من فمه الطاهر مباشرة، ويتنافسون في نيل شرف مناجاته وكلامه، وذلك يضفي عليهم سعادة غامرة، وغبطة، وشرف لا يدانيه شرف. فإذا جلسوا مجلسه فكلهم آذان واعيه، وعين خاشعة، وأفئدة حاضرة متدبرة لما يرشد إليه ويأمر به.

وقد وردت نصوص كثيرة تحث على حفظ الحديث وسماعه وتليغه منها:

قوله صلى الله عليه وسلم :(بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)(١٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ)(١٤).

وكان لحرصهم على الحديث يتناوبون على حضور مجالسه . لانشغالهم بالكسب لعيالهم .:

فعن عمر رضي الله عنه قال: (إِنِّي كُنْتُ وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهْيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الأَمْرِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ)(١٥).

وهذا أبو هريرة وهو من أهل الصفة يحدث عن نفسه فيقول:

(يَقُولُونَ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ وَيَقُولُونَ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ لاَ يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ وَكُنْتُ امْرَءًا مِسْكِينًا أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى مِلْءِ بَطْنِي فَأَحْضُرُ حِينَ يَغِيبُونَ وَأَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ. وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا: **لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ ثُمَّ يَجْمَعَهُ إِلَى صَدْرِهِ فَيَنْسَى مِنْ مَقَالَتِي شَيْئًا أَبَدًا**، فَبَسَطْتُ نَمِرَةً لَيْسَ عَلَيَّ ثَوْبٌ غَيْرَهَا حَتَّى قَضَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَقَالَتَهُ ثمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَتِهِ تِلْكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَاللَّهِ لَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا أَبَدًا (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) إِلَى قَوْلِهِ (الرَّحِيمُ)[١٦].

دلّ هذا الحديث على فضيلة أبي هريرة، وتكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم له بتلك المنحة العظيمة.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن قال: (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ: لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ) [١٧].

بوب البخاري على هذا الحديث فقال: (باب الحرص على الحديث).

لذلك صار أحفظ الصحابة على الإطلاق، بل لُقِّبَ (بحافظ الإسلام)[١٨].

قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره[١٩].

ومن مشاهير رواة الصحابة وحفاظهم أيضاً:

أنس بن مالك، أبو سعيد الخدري، وعبدالله بن عمرو، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، ومن النساء عائشة رضي الله عنها.

ثم جاء من بعدهم التابعون، فسلكوا سبيلهم، واقتفوا سننهم في تحمل الحديث وأدائه، وبرز منهم أئمة أعلام منهم:

١ - سعيد بن المسيب.
٢ - عروة بن الزبير بن العوام.
٣ - سعيد بن جبير.
٤ - محمد بن سيرين .
٥ - عامر بن شراحيل الشعبي.
٦ - محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

وغيرهم كثير[٢٠].

٢ - تطبيقه والعمل به.

إن العمل هو المقصود والغاية من تعلم العلم، وقد ورد الوعيد الشديد لمن لا يعمل بعلمه قال تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[٢١] وقال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [٢٢].

وأول من تسعر بهم النار ثلاثة، منهم: (رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟)[٢٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَلْبَسُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَنَبَذَهُ فَقَالَ: لاَ أَلْبَسُهُ أَبَدًا. فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُم)[٢٤].

وهكذا نجد التابعين رحمهم الله سلكوا سبيل الصحابة في حفظ الحديث، والعمل به، ونشره وتبليغه[٢٥].

٣ - الرحلة في طلبه

كان الصحابة رضي الله عنهم أول بدأ الرحلة في طلب الحديث ،ثم صار من بعدهم سنة لأهل الحديث وسمة من سماتهم، فهذا جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أعد الزاد والراحلة ثم رحل إلى عبدالله بن أنيس في الشام، واستغرقت الرحلة شهراً كاملاً ليسأله عن حديث واحدٍ لم يبق من يحفظه ممن سمعه غيره[٢٦].

ورحل أبو أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر بمصر[٢٧].

ثم استمرت الرحلة في زمن التابعين ، وزادت عما كانت عليه .

قال سعيد بن المسيب : (إني كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والأيام) [٢٨].

وعن أبي العالية الرياحي قال : (كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة ، فسمعناها من أفواههم) [٢٩].

وسئل الإمام أحمد عن طالب العلم : هل يلزم رجلاً فيكتب عنه أو يرحل إلى المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم؟ قال : يرحل ويكتب عن الكوفيين ، والبصريين ، وأهل المدينة ، ومكة ويشام الناس ، يسمع منهم[٣٠] وقد رحل الإمام أحمد ويحيى بن معين إلى صنعاء للقاء محدث اليمن عبدالرزاق بن همام الصنعاني ، وهي مشهورة وفيها طرافة[٣١] لقد كان لتلك الرحلات الأثر الكبير في حفظ السنة وجمعها ، وتبليغها وانتشارها ، ومعرفة رواتها وحفاظها ، وإفادة بعضهم من بعض[٣٢].

وهذا ابن أبي حاتم يحدثنا عن بعض رحلاته فيقول : أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ[٣٣]: لم أزل احصى حتى لما زاد على ألف فرسخ تركته، ما كنت سرت انا من الكوفة إلى بغداد فما لا احصى كم مرة ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة وخرجت من البحرين من قرب مدينة صلا إلى مصر ماشيا ومن مصر إلى الرملة ماشيا ومن الرملة إلى بيت المقدس ، ومن

الرملة إلى عسقلان ومن الرملة إلى طبرية ومن طبرية إلى دمشق ومن دمشق إلى حمص ومن حمص إلى انطاكية ومن انطاكية إلى طرسوس ثم رجعت من طرسوس إلى حمص وكان بقى على شئ من حديث ابي اليمان فسمعت ثم خرجت من حمص إلى بيسان ومن بيسان إلى الرقة ومن الرقة ركبت الفرات إلى بغداد ، وخرجت قبل خروجي إلى الشام من واسط إلى النيل ومن النيل إلى الكوفة ، كل ذلك ماشيا كل هذا في سفري الاول وانا ابن عشرين سنة اجول سبع سنين(٣٤) .

٤ - **كتابته وتدوينه :** لم يكن الصحابة يكتبون حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بصورة عامة،بل اعتمد الصحابة على حفظ الصدر، ساعدهم في سهولة حفظها والمحافظة عليها ما جبلهم الله عليه من قوة الحافظة التي اشتهر بها ، ولورود النهي عن الحديث خشية اختلاطه بالقرآن أو لغير ذلك من الأسباب، وكذلك كان العمل في أول عصر التابعين وفي آخر عصر التابعين وجدت الحاجة لحفظ العلم وكتابة السنة خوف ضياع بعضها بموت أهلها، وممن تنبه على ذلك الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز رحمه الله (ت ١٠١) فبدأ تدوين السنة في القرن الثاني الهجري وما بعده .

ويمكن القول إن القرن الثاني والثالث هو أبهى وأزهى عصور السنة بالنسبة لما بعدها؛ فقد دونت المصنفات الحديثية، وانتشرت الرحلة في طلب الحديث، وكثرالإقبال والاعتناء بالحديث عناية فائقة.

وفي هذين القرنين وما بعدهما دونت أمهات الكتب الحديثية ومنها:

١ - كتب الصحاح.

٢ - المستخرجات على الصحيحين أو أحدهما.

٣ - كتب السنن .

٤ - كتب السنة.

٥ - المصنفات والجوامع.

٦ - كتب المسانيد.

٧ - المعاجم .

٨ - كتب التفسير.

٩ - كتب المصاحف والقراءات .

١٠- كتب الناسخ والمنسوخ من القرآن والحديث.

١١ - الكتب المفردة في مواضيع مخصوصة من الفقه، والآداب، والأخلاق، والترغيب والترهيب.

١٢ - كتب المراسيل.

١٣- الأجزاء الحديثية .

١٤ - الفوائد الحديثية.

١٥ - كتب الشمائل النبوية، والسير والمغازي.

١٦ - كتب في جمع أحاديث شيوخ مخصوصين من المكثرين.

١٧ - كتب الغرائب والأفراد.

١٨ - كتب (الوحدانيات) و(الثنائيات) و (الثلاثيات) ونحوها.

المطلب الثالث : نماذج لحفاظ الحديث وجهابذته

ولم تكن السنة محفوظة في السطور فحسب، بل حفظت في الصدور، فقد هيأ الله لهذا الدين هؤلاء الرجل الذين قضوا أعمارهم في حفظها، وبلغوا في ذلك الغاية، ومن يقف على أخبارهم في ذلك يقضى من حفظهم العجب :قَالَ الشَّعْبي: مَا كتبتُ سَوْدَاء فِي بَيْضَاء إلا وَأنا أحفظها، وَلا حدَّثني رجلٌ بحديثٍ فأحببتُ أن يُعِيْدَه عليّ[٣٥].

وَقَالَ الزُّهْرِيّ: مَا استعدت حَدِيثا، وَلا شَككت فِي حديثٍ، إلا حَدِيثا وَاحِدًا، فَسَأَلت صَاحِبي، فَإِذا هُوَ كَمَا حفظت[٣٦] وَحفظ الإِمَام الشَّافِعِي (الْمُوَطَّأ) فِي ثَلاثة أَيَّام، وَالْقُرْآن فِي سَبْعَةَأَيَّام[٣٧] قَالَ أَبُو زرْعَة : حُزِرَتْ كُتُبُ الإِمام أَحْمد يَوْم مَاتَ، فبلغت اثْنَي عشر حِملا وعدلا، كل ذَلِكَ كَانَ يحفظه عَن ظهر قلب، قَالَ: كَانَ يحفظُ ألفَ ألفَ حَدِيث. فَقيل لَهُ: وَمَا يدْريك ؟ قَالَ: ذَاكَرْتُه فأخذتُ عَلَيْهِ الأَبْوَاب[٣٨] وَقَالَ عبد الله بن أَحْمد بن حَنْبَل: قَالَ لي أبي: خُذ أَي كتاب شِئْت من كتب وَكِيع، من الْمُصَنّف، فَإِن شِئْت تَسْأَلنِي عَن الْكَلَام حتَّى أخْبر ك بِالإِسْنَادِ، وَإِن شِئْت تَسْأَلنِي عَن الإِسناد حتَّى أخْبر ك بالكلام[٣٩].

وعن يحيى بن معين قال: كتبت بيدي ألف ألف حديث[٤٠] وَكَانَ إِسْحَاق بن رَاهَوَيْه يملي سبعينَ ألف حديثٍ حفظاً، وأملى مرّة أحد عشر ألف حديثٍ من حفظه، ثمَّ قَرَأَهَا مرّة أُخْرَى، فَمَا زَاد حرفا وَلا نقص حرفا[٤١] وَقَالَ مرّة: أحفظ مَكَان مائَة ألف حَدِيث كَأَنِّي أنظر إِلَيْهَا، وأحفظ مِنْهَا سبعين ألف حَدِيث من ظهر قلبي صَحِيحَة، وأحفظ أَرْبَعَة آلَاف حَدِيث مزوَّرة فَقيل لَهُ فِي ذَلِكَ ؟ قَالَ: لأجل إِذا مرَّ بي مِنْهَا حَدِيث فِي الأَحَادِيث الصَّحِيحَة، فَلَيْتُهُ مِنْهَا فَلْيًا[٤٢] وَكَانَ أَبُو زرْعَة يحفظ سِتّمائَة ألف حَدِيث، كَمَا شهد لَهُ بذلك الإِمام أَحْمد، وَقَالَ فِي حَقه: مَا جَاوز الجسرَ أفضل مِنْهُ[٤٣].

وَحلف رجلٌ بِالطلاق أنَّ أَبَا زرْعَة يحفظ مِائَتي ألف حَدِيث، فَقَالَ أَبُو زرْعَة: لا يَحْنَث.

وَقَالَ مرّة: أحفظ مِائَتي ألف حَدِيث كَمَا يحفظ الْإِنْسَان (قل هُوَ الله أحد)، وَفِي المذاكرة ثَلَاثمِائَة ألف حَدِيث[٤٤].

وَقَالَ أَبُو أَحْمد بن عدي: سَمِعت عدَّة مَشَايخ يحكون: أَن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل البُخَارِيّ قدم بَغْدَاد، فَسمع بِهِ أَصْحَاب الحَدِيث، واجتمعوا وعمدوا إِلَى مائَة حَدِيث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وَجعلُوا متن هَذَا الْإِسْنَاد لإِسناد آخر، وَإِسْنَاد هَذَا الْمَتْن لمتن آخر، ودفعوها إِلَى عشرَة أنفس، فابْتَدَرَ رجل من الْعشْرَة، فَسَأَلَهُ عَن حَدِيث

من تِلْكَ الْأَحَادِيث، فقَالَ: لَا أعرفهُ. فَسَأَلَهُ عَن آخر، فَقَالَ: لا أعرفهُ. فَمَا زَالَ يلقِي عَلَيْهِ وَاحِدًا بعد واحدٍ حتَّى فرغ، وَالْبُخَارِيّ يَقُول: لا أعرفهُ. وَكَانَ بعض الْفُقَهَاء يَقُول: الرجل فهم. وَبَعْضهمْ يقْضِي عَلَيْهِ بِالْعَجز. ثمَّ انْتُدِبَ رجل آخر، فَسَأَلَهُ عَن الأحَادِيث وَهُوَ يَقُول فِي كل حَدِيث: لا أعرفهُ. حتَّى فرغ من عشرته، ثمَّ الثَّالِث، ثمَّ الرَّابِع إِلَى تَمام الْعشْرَة، وَالْبُخَارِيّ لَا يزيدهم عَلَى: لا أعرفهُ. فَلَمَّا فرغوا الْتفت البُخَارِيّ إِلَى الأول فَقَالَ: أما حَدِيثك الأول فَهُوَ كَذَا، وحَدِيثك الثَّانِي كَذَا، وَالثَّالِث كَذَا، وَالرَّابِع كَذَا، حتَّى أَتَى عَلَى تَمام الْعشْرَة، فَرد كل متنٍ إِلَى إسنادٍ، وكل إِسْنَاد إِلَى متنٍ، وَفعل بِالْآخرِ مثل ذَلِك، فَأَقرَّ النَّاس لَهُ بِالْحِفْظِ، وأذعنوا لَهُ بِالْفَضْلِ[٤٥].

قال الحافظ ابن حجر: سمعتُ شيخنا- يعني الحافظَ العراقيَّ- غير مرة يقول: ما العجبُ من معرفة البخاري بالخطأ من الصواب في الأحاديث لاتِّساع معرفته، وإنما يُتعجب منه في هذا لكونه حَفِظَ موالاة الأحاديث على الخطأ من مرَّةٍ واحدة[٤٦].

وَكَانَ البُخَارِيُّ يخْتَلف إِلَى مَشَايخ الْبَصْرَة وَلَا يكْتب، فَسَأَلُوهُ: لِمَ لا تكْتب ؟ فَقَرَأَ عَلَيْهِم جَمِيع مَا سمع من حفظه، وَكَانَ يزِيد عَلَى خَمْسَة عشر ألف حَدِيث[٤٧].

وَأخرج مُسلم الصَّحِيح من ثَلَاثمِائَة ألف حَدِيث مسموعة، كَمَا أقرَّ بِهِ هُوَ فِيمَا نَقله ابْن نقطة عَنهُ بِإِسْنَادِهِ[٤٨].

وَقَالَ أَبُو دَاوُد السجسْتانِي: كتبت عَن رَسُول الله- صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم-خَمْسمِائَة ألف حَدِيث، انتخبت مِنْهَا مَا تضمنته السّنَن، جمعت فِيهِ أَرْبَعَة آلَاف وَثَمَانمائَة حَدِيث[٤٩].

وَقَالَ الْخَطِيب الْبَغْدَادِيّ: قَالَ لي الأزْهَري: كنت أحضر عِنْد أبي عبد الله الْحُسَيْن بن أَحْمد بن بكير، وَبَين يَدَيْهِ أَجزَاء كبار، فَأنْظر بَعْضهَا، فَيَقُول لي: أَيّمَا أحبّ إِلَيْك، تذكر لي متن مَا تُرِيدُ من هَذِه الأَحَادِيث حتَّى أخْبرك بِإِسْنَادِهِ ؟ أَو تذكر لي إِسْنَاده حتَّى أخْبرك بمتنه ؟ فَكنت أذكر لَهُ الْمُتُون فيخبرني بِالأَسَانِيدِ من حفظه، وَفعلت هَذَا مرَارًا كَثِيرَة[٥٠].

وَقَالَ الْخَطِيب الْبَغْدَادِيّ: أَنا بشرى بن عبد الله الرُّومِي، قَالَ: سَمِعت أَبَا بكر أَحْمد بن جَعْفَر بن سَلْم يَقُول: لَمَّا قَدِم علينا أَبُو مُسلم الكَجِّي أَمْلَى الحَدِيث فِي رحبة غَسَّان، وَكَانَ فِي مَجْلِسه سَبْعَة مستملين، يُبَلِّغ كل وَاحِد مِنْهُم صَاحبه الَّذِي يَلِيهِ، وَكتب النَّاس عَنهُ قِيَامًا بِأَيْدِيهِم المحابر، ثمَّ مُسِحَت الرَّحْبَة، وَحسب من حضر بمحبرة، فَبلغ ذَلِك نَيِّفًا وَأَرْبَعِين ألف محبرة، سُوَى النَّظَّارة .

المطلب الرابع: ثناء العلماء على أهل الحديث، واعترافهم بفضلهم على الأمة

إن مما تقدم ليبين لنا بجلاء فضيلة علماء الحديث، وعظيم ما بذلوا في سبيل الحفاظ على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك الثناءعليهم والتنويه بقدرهم عليهم في ثنايا كتب أهل العلم فمن ذلك:

قال الخطيب البغدادي في الثناء على أهل الحديث وبيان شرفهم وفضلهم: (وقد جعل الله تعالى أهله أركان الشريعة، وهدم بهم كل بدعة شنيعة فهم أمناء الله من خليقته، والواسطة بين النبي ﷺ وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته، وأنوارهم زاهرة، وفضائلهم سائرة، وآياتهم باهرة، ومذاهبهم ظاهرة، وحججهم قاهرة، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه، أو تستحسن رأيا تعكف عليه سوى أصحاب الحديث، فإن الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول فئتهم، والله نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يقبل منهم ما رووا عن الرسول، وهم المأمونون عليه، والعدول حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم وحملته، إذا اختلف في حديث كان إليهم الرجوع، فما حكموا به فهو المقبول المسموع، ومنهم كل عالم وفقيه، وحام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن..)[٥١].

وقال الكتاني في الثناء على أهل الحديث:(وأهله حفاظ الشريعة من الأعداء، وحارسها ممن يريد التمرد والشقاء, ولولاهم لاضمحل الدين، وكان عرضة لتلاعب المتمردين، وهم عدول هذه الأمة، والكاشفون عنها كل غمة، وخلفاء النبي – عليه السلام- وأهله الخاصون به من الأنام، وكفاهم شرفا أنهم أكثر الناس صلاة على حبيبه المصطفى، وقد اشتهروا بطول الأعمار، والتجربة مصدقة لذلك في سائر الأعصار، ودعا لهم النبي بالرحمة والنضارة، وبشرهم بالجنة بأجل معاني البشارة)[٥٢].

المبحث الثاني: مناهج المحدثين في عدِّ الحديثِ وإحصائه وتفسير ما نقل عنهم مما يوهم التعارض.

عند النظر في الكتب المدونة السابقة، وعدة ما فيها من الأحاديث، ثم مقارنة ذلك بما نقل عن الأئمة الحافظ في مقدار ما يحفظونه من الروايات التي تبلغ مئات الألوف قد يورد بعض الناظرين في كتب المصطلح من المتعلمين أو غير المتخصصين العارفين بمصطلحات المحدثين إشكالات أهمها:

الإشكال الأول: إذا كان حفاظ الحديث يحفظون ذلك القدر الهائل من الروايات فأين هي الآن، فإنا لا نرى إلا القليل من الروايات في أمهات الكتب الحديثية مقارنة بما ذكروا.

فهل ضاع شيءٌ من السنة، أم طرأ عليها الزيادة والتحريف؟

الإشكال الثاني: ما سبب اختلاف العلماء في تقدير عدة ما في الكتب المدونة، مع تلك الكتاب محفوظة ومعروفة مثل كالموطأ والبخاري ومسلم وغيرها ؟

والإجابة على الإشكالين السابقين يكون من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول: في مفهوم (الحديث) عند المحدثين

الحديث لغة : يطلق في اللغة على الجديد ضد القديم ، كما يطلق على الخبر والقصص.

قال في القاموس المحيط: (والحديث: الجديد والخبر)[٥٣] .

واصطلاحا: الذي اشتهر بين المحدثين : ما صدر عن النبي من قوله وفعله وتقرير.

قال الحافظ في النخبة: (ثُمَّ الإِسْنَادُ إمَّا أَنْ يَنْتَهِيَ: إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَصْرِيحاً أَوْ حُكْماً ؛ مِنْ قَوْلِهِ ، أَوْ فِعْلِهِ ، أَوْ تَقْرِيرِهِ، أَوْ إلى الصَّحَابِيِّ كَذَلِكَ...أَوْ إِلَى التَّابِعِيِّ ، وَهُوَ مَنْ لَقِيَ الصَّحَابِيَّ كَذَلِكَ فالأَوَّلُ : المَرْفُوعُ . والثَّانِي : المَوْقُوفُ . والثَّالِثُ : المَقْطُوعُ ، وَمَنْ دُونَ التَّابِعِيِّ فِيْهِ مِثْلُهُ . وَيُقَالُ لِلأخِيرَيْنِ : الأَثَرُ).

وعرّف ابن الصلاح الحديث بأنه: (مَا أُضِيفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَاصَّةً ، وَلَا يَقَعُ مُطْلَقُهُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، نَحْوَ الْمَوْقُوفِ عَلَى الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ .

وَيَدْخُلُ فِي الْمَرْفُوعِ الْمُتَّصِلُ ، وَالْمُنْقَطِعُ ، وَالْمُرْسَلُ ، وَنَحْوُهَا).

وعرّف (الموقوف) بأنه : (مَا يُرْوَى عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ أَقْوَالِهِمْ أَوْ أَفْعَالِهِمْ وَنَحْوِهَا ، فَيُوقَفُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا يُتَجَاوَزُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

وعرّف (المقطوع) بأنه : (مَا جَاءَ عَنِ التَّابِعِينَ مَوْقُوفًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْوَالِهِمْ أَوْ أَفْعَالِهِمْ)[٥٤] ويتكون الحديث عادةً من إسناد ومتن : فالإسناد : هو سلسلة الرجال الموصلة إلى المتن[٥٥] .

والمتن : هو ما انتهى إليه السند من الكلام[٥٦] .

وقد أورد الذهبي قول أبي زُرْعة بأنَّ الإمام أحمد يحفظ ألفَ ألفِ حديث، ثم عقَّب عليه قائلاً: ((فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبدالله، وكانوا يَعُدُّون في ذلك: المُكَرَّر، والأَثَر، وفتوى التابعي، وما فُسِّر، ونحو ذلك. وإلاَّ فالمتونُ المرفوعة لا تبلغ عشر معشار ذلك))[٥٧] .

المطلب الثاني: تعدد الطرق

وأمثلته كثيرة جداً ، منها ما أخرجه البخاري في صحيحه قال:(حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الأَنْصَارِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)[٥٨].

قال ابن دقيق العيد : وهذا حديث مشهور بالنسبة إلى آخره، غريب بالنسبة إلى أوله[٥٩] ؛ لأنه لم يروه عن النبي صلى الله عليه و سلم إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يروه عن عمر إلا علقمة بن أبي وقاص ،

ولم يروه عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم التيمي ، ولم يروه عن محمد بن إبراهيم إلا يحيى بن سعيد الأنصاري ، ثم اشتهر بعد ذلك فرواه عنه أكثر من مائتي إنسان أكثرهم أئمة[٦٠] .

قال ابن رجب: رواهُ عنِ الأنصاريِّ الخلقُ الكثيرُ والجمُّ الغفيرُ ، فقيل : رواهُ عنهُ أكثرُ مِن مئتي راوٍ ، وقيل : رواه عنه سبعُ مئة راوٍ ، ومِنْ أعيانهم : مالكٌ ، والثوريُّ ، والأوزاعيُّ ، وابنُ المبارك ، واللَّيثُ بنُ سعدٍ ، وحمَّادُ بنُ زيدٍ ، وشعبةُ، وابنُ عُيينةَ ، وغيرهم[٦١] فهذه الطرق كل واحدٍ منها يعتبر حديثاً غير الحديث الآخر باعتبار الإسناد ، وهي كلها لحديث واحد بالنظر للمتن، قال الزركشي: والأقدمون يطلقون العدد من الأحاديث على الحديث الواحد المروي بعدة أسانيد، فرب حديث له مائة طريق وأكثر[٦٢].

وقد كان العلماء يحرصون على جمع طرق كل حديث ما صح منها وما لم يصح لعدة مقاصد.

قال ابن المديني : (الباب إذا لم تجمع طرقه، لم يتبين خطؤه من صوابه)[٦٣].

وقال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: لو لم نكتب الحديث خمسين مرة ما عرفناه[٦٤]، وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري : (كل حديث لا يكون عندي منه مئة وجه؛ فأنا فيه يتيم) [٦٥]، وقال أبو حاتم الرازي : (لو لم يُكتب الحديث من ستين وجهاً، ما عقلناه)[٦٦].

وقد ذكر الحافظ عن الجوزقي أنه استخرج في كتابه (المتفق) على جميع ما في الصحيحين حديثاً حديثاً فكان مجموع ذلك خمسة وعشرين ألف طريق وأربعمائة وثمانين طريقا.

قال الحافظ: (فإذا كان الشيخان مع ضيق شرطهما بلغ جملة ما في كتابيهما بالمكرر هذا القدر فما لم يخرجا من الطرق للمتون التي أخرجاها لعله يبلغ هذا القدر- أيضا- ويزيد[٦٧]، وما لم يخرجاه من المتون من الصحيح الذي لم يبلغ شرطهما لعله يبلغ هذا القدر أو يقرب منه، فإذا انضاف إلى ذلك ما جاء عن الصحابة والتابعين تمت العدة التي ذكر البخاري أنه يحفظها، بل ربما زادت على ذلك) [٦٨].

المطلب الثالث: اختصار الحديث وتقطيعه

وذلك أن الحديث قد يروى مطولاً ، وقد يروى مختصراً ، أو أن يقتصر الراوي على جزء معين منه لتكون شاهدة على موضوع معين ، فيصبح الحديث المطول بذلك عدة أحاديث، وتقطيع الحديث واختصاره جائز إذا لم يغير المعنى.

وممن كان يقطع الحديث حسب المناسبات الإمام البخاري في صحيحه كما هو معروف.

مثاله : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : (قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ . قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ)فهذا الحديث ذكره البخاري مختصراً هكذا في (كتاب الإيمان . باب كفر دون كفر).

ثم أخرجه بطوله في (كتاب الصلاة. باب صلاة الكسوف جماعة) ، ولفظه:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : (خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَالنَّاسُ مَعَهُ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلاً نَحْوًا مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلاً وَهْوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهْوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ قَامَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلاً وَهْوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهْوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلاً وَهْوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهْوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ ثمَّ سَجَدَ ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَقَالَ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ ، وَلاَ لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ ، أَوْ أُرِيتُ الْجَنَّةَ- فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ قَالُوا لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ بِكُفْرِهِنَّ قِيلَ يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ وَلَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطّ)[٦٩].

قال الحافظ : حديث ابن عباس المذكور أي في (كتاب الإيمان) طرفٌ من حديث طويل أورده المصنف . أي البخاري . في باب صلاة الكسوف بهذا الإسناد تاماً. ثم قال :

وننبه هنا على فائدتين إحداهما: أن البخاري يذهب إلى جواز تقطيع الحديث إذا كان ما يفصله منه لايتعلق بما قبله ولا بما بعده تعلقا يفضي إلى فساد المعنى فصنيعه كذلك يوهم من لا يحفظ الحديث أن المختصر غير التام، لا سيما إذا كان ابتداء المختصر من اثناء التام كما وقع في هذا الحديث؛ فإن أوله هنا قوله صلى الله عليه و سلم: أريت النار إلى آخر ما ذكر منه وأول التام: عن ابن عباس قال خسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم.. فذكر قصة صلاة الخسوف ثم خطبة النبي صلى الله عليه و سلم وفيها القدر المذكور هنا.

فمن أراد عد الأحاديث التي اشتمل عليها الكتاب يظن أن هذا الحديث حديثان أو أكثر لاختلاف الابتداء ، وقد وقع في ذلك من حكى أن عدته بغير تكرار أربعة آلاف أو نحوها كابن الصلاح، والشيخ محيي الدين ومن بعدهما، وليس الأمر كذلك، بل عدته على التحرير ألفا حديث وخمسمائة حديث وثلاثة عشر حديثا، كما بينت ذلك مفصلا في المقدمة[٧٠].

المطلب الرابع: رواية الحديث بالمعنى أو بمعاني متقاربة

رواية الحديث بالمعنى جائزة عند المحدثين بشروطٍ.

قال النووي : (اذا أراد رواية الحديث بالمعنى. فان لم يكن خبيرا بالالفاظ ومقاصدها عالما بما يحيل معانيها لم يجز له الرواية بالمعنى بلا خلاف بين أهل العلم، بل يتعين اللفظ، وان كان عالما بذلك : فقالت طائفة من أصحاب الحديث والفقه والأصول : لا يجوز مطلقاً، وجوزه بعضهم فى غير حديث النبى صلى الله عليه و سلم ولم يجوزه فيه.

وقال جمهور السلف والخلف من الطوائف المذكورة : يجوز فى الجميع اذا جزم بأنه أدى المعنى وهذا هو الصواب الذى تقتضيه أحوال الصحابة فمن بعدهم رضى الله عنهم فى روايتهم القضية الواحدة بألفاظ مختلفة) [٧١].

قد يروي الراوي الحديث بمعناه الذي فهمه فيحيل معنى الحديث إلى غير ما ورد به ، وتؤدي الرواية بالمعنى إلى اختلاف ألفاظ الناقلين لذلك الحديث، فيعتقد الناظر أنهما حديثين مختلفين بينما هما في الأصل حديث واحد، فيعمد الناظر فيهما إلى الجمع أو الترجيح بين رواتها ظناً منه أن ذلك اختلاف بين رواة الحديث [٧٢].

من أمثلة ذلك:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يلبي المعتمر حتى يستلم الحجر) [٧٣].

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أنه كان يمسك عن التلبية في العمرة إذا استلم الحجر) [٧٤].

فهل هما حديث واحد روي بالمعنى أم حديثان؟

قال المباركفوري في مرعاة المفاتيح: هما حديثان، قوليٌّ عند أبي داود ، وفعليٌّ عند الترمذي، ولهذا الاختلاف جعلهما المجد في المنتقى حديثين [٧٥].

قال الزيلعي في نصب الراية [٧٦] : ولم ينصف المنذري في عزوه هذا الحديث للترمذي، فإن لفظ الترمذي من فعل النبي صلى الله عليه وسلم، ولفظ أبي داود من قوله؛ فهما حديثان ، ولكنه قلد أصحاب الأطراف إذ جعلوهما حديثًا واحدًا ، وهذا مما لا ينكر عليهم [٧٧].

المطلب الخامس: الاختلاف في الوقف والرفع

يقع الاختلاف كثيراً بين الرواة في رواية الحديث ، فبعضهم يرويه مرفوعاً ، وبعضهم يرويه بالوقف ، وإن كان متن الحديث واحداً ، وقد يصح مرفوعاً وموقوفاً!

وفي كلا الحالين تعد هذه الرواية حديثين، لا حديثاً واحداً ، ومن جعلها حديثاً واحداً فقد خالف اصطلاح المحدثين.

مثال ذلك:

الاول : حديث أم سلمه رضي الله عنها : أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم أتصلي المرأة في درع وخمار بغير إزار؟ قال : (إذا كان الدرع سابغا يغطي ظهور قدميها) [٧٨].

وروي من وجه آخر موقوفاً على أم سلمه رضي الله عنها: رواه مالك عن محمد بن زيد بن قنفذ عن أمه أنها سألت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم :ماذا تصلي المرأة من الثياب ؟ فقالت : تصلي في الخمار والدرع السابغ إذا غيّب ظهور قدميها) [٧٩].

قال ابن حجر: أخرجه أبو داود وصحح الأئمة وقفه[٨٠].

مثال آخر :

– حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كسر عظم الميت ككسره حياً) [٨١].

فهذه رواية الرفع .

أما رواية الوقف فعن محمد بن عبدالرحمن الأنصاري قال قالت لي عمرة : (أعطني قطعة من أرضك ادفن فيها ، فإني سمعت عائشة تقول : كسر عظم الميت مثل كسر عظم الحي) [٨٢].

المطلب السادس : اختلاف روايات الكتب المصنفة

من أمثلة ذلك كتاب السنن لأبي داود السيجستاني ، فقد رواه عنه تلاميذه، وحصل اختلاف وتفاوت في أشياء منها عدد الأحاديث ، وأشهر أولئك الرواة :

١) محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي (ت٣٣٣هـ).

فقد روى السنن عن أبي داود وهي آخر ما أملاه أبو داود يقول ابن رشيد في رحلته (ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة): (ورواية اللؤلؤي أصحُّ الروايات؛ لأن آخر ما أملى أبو داود وعليها مات)[٨٣].

قال ولي الدين ابو زرعة العراقي ت (٨٢٦هـ) :(وقد سمع اللؤلؤي من أبي داود سنة وفاته وهي سنة خمس وسبعين ومائتين ،فيبغي أن يكون العمل على روايته) [٨٤].

٢) رواية محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق بن داسة البصري[٨٥] .

قال ابن خير الاشبيلي (انها أكمل الروايات)[٨٦] . فهرسة ماورواة عن شيوخه للحافظ ابي بكر الاشبيلي . ص ١٠٦.

وقال السيوطي: (إنها أتم الروايات)[٨٧] ونجد الفرق واضحاً أن رواية ابن داسة وإن كان فيها زيادات إلا أن أبا داود حذفها مؤخراً، قال أبو عمر الهاشمي – وهو الراوي عن اللؤلؤي ـ (إن الزيادات في رواية ابن داسة حذفها أبو داود آخراً)[٨٨] .

ورواية اللؤلؤي وابن داسة متقاربتان، مع وجود الفرق بينهما في العدد .

٣) رواية علي بن الحسن بن العبد ت (٣٢٨هـ) يقول ابن حجر (فيها من الكلام على جماعة من الرواة والأسانيد ما ليس في رواية اللؤلؤي، وإن كانت روايته أشهر)[٨٩]

٤) رواية ابن الاعرابي ت (٣٤٠ هـ)(ليس في روايته كتاب الفتن والملاحم والحروف والخاتم، ونحو النصف من كتاب اللباس، وفاته أيضاً من كتاب الوضوء والصلاة والنكاح أوراق كثيرة)[٩٠] .

ومن خلال هذا العرض المختصر لروايات السنن يتضح الاختلاف بين الروايات، ومن ذلك الاختلاف في العدد، فرواية ابن داسة يوجد فيها زيادات لا توجد في رواية اللؤلؤي، ورواية ابن العبد يوجد فيها زيادات لا توجد في النسخ الأخرى ، أما رواية ابن الأعرابي فنجد النقص فيها واضحاً فلذلك ظهر الاختلاف في مقدار عدد الأحاديث في سنن أبي داوود .

قال ابن العبد : (كتاب أبي داود ستة آلاف حديث منها أربعة آلاف أصل، وألفان مكرر، والبصري يزيد على البغدادي ستمائة حديث ونيفاً وستين حديثاً وألف كلمة ونيف)[٩١] .

يقول ابن داسة :(سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة حديث انتخبت منها ماضمنته هذا الكتاب ـ يعني كتاب السنن ـ جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث)[٩٢].

وهذا الفرق في اختلاف العدد واضح بسبب اختلاف الروايات.

المطلب السابع : تغير اجتهاد المصنفين وتنقيح كتبهم بالزيادة والنقصان

من أوضح الأمثلة على ذلك : (الموطأ) لمالك بن أنس الأصبحي رحمه الله.

قال الكتاني: (روايات الموطأ كثيرة، أشهرها, وأحسنها رواية يحيى بن يحيى بن كثير الليثي الأندلسي ، وإذا أطلق في هذه الاعتصار (موطأ مالك) فإنما ينصرف لها. وأكبرها رواية عبد الله بن مسلمة القعنبي، ومن أكبرها وأكثرها زيادات رواية أبي مصعب أحمد بن أبي بكر القرشي الزهري، قاضي المدينة . ومن جملتها رواية محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة, وفي (موطئه) أحاديث يسيرة يرويها عن غير مالك، وأخرى زائدة على الروايات المشهورة، وهي أيضا خالية عن عدة أحاديث ثابتة في سائر الروايات. ولأبي

الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي القابسي)[٩٣] .

وقد أوصل الحافظ محمد بن عبد الله الدمشقي المعروف بابن ناصر الدين رواة الموطأ إلى ثلاثة وثمانين راويا في كتابه " إتحاف السالك برواة الموطأ عن مالك ". وأشهر رواياته في هذا العصر رواية محمد بن الحسن بين المشارقة، ورواية يحيى الليثي بين المغاربة .

فالأولى : تمتاز ببيان ما أخذ به أهل العراق من أحاديث أهل الحجاز المدونة في الموطأ وما لم يأخذوا به لأدلة أخرى ساقها محمد في موطئه وهي نافعة جدا لمن يريد المقارنة بين آراء أهل المدينة وآراء أهل العراق وبين أدلة الفريقين.

والثانية : تمتاز عن نسخ الموطأ كلها باحتوائها على آراء مالك البالغة نحو ثلاثة آلاف مسألة في أبواب الفقه .

وهاتان الروايتان نسخهما في غاية الكثرة في خزانات العالم شرقا وغربا[٩٤] .

فهذه الموطآت تتفاوت في عدد الأحاديث والآثار ، لذلك لا يمكن القول بأن الموطأ يحوي على عدد معين من الأحاديث دون تقييد ذلك بإحدى هذه الرويات.

المطلب الثامن : زيادات رواة الكتب الحديثية

الزيادات : إضافة راوي الكتاب فيه أشياءَ من مروياته، أو مرويات صاحب الكتاب من كتاب.

مثال ذلك مسند الإمام أحمد- رحمه الله وقد كان بداية تصنيف الإمام أحمد لمسنده عند عودته من رحلته إلى الامام عبد الرزاق من صنعاء[٩٥] .

قال الحسيني: (وجملة أحاديثه أربعون ألفا بالمكرر مما رواه عنه ابنه الحافظ أبو عبد الرحمن: عبد الله، وفيه من زياداته) [٩٦].

وزيادات عبدالله بن أحمد قد أفردها الدكتورعامر حسن صبري بكتاب سماه: "زوائد عبد الله ابن أحمد بن حنبل في المسند"، وعددها عنده: "٢٣٣ " حديثاً.

وأما زيادات القطيعي فهي أربعة أحاديث فقط ، منها حديث صحيح والبقية لا تصح[٩٧] .

قال الساعاتي (أحاديث المسند تنقسم إلى ستة أقسام.... وقسم رواه الحافظ أبو بكر القطيعي، عن غير عبد الله وأبيه-رحمهم الله تعالى-، وهو أقل الجميع)[٩٨] .

وبهذه الزيادات يصبح عدد الأحاديث الواردة في المسند أكثر من الأحاديث التي أوردها الامام أحمد رحمه الله فيظهر بذالك سبب الاختلاف في تقدير أحاديث المسند.

المطلب التاسع : عدم الفهم والمعرفة

قد يقوم شخص ما بإحصاء عدد الأحاديث في كتاب ما من الكتب الحديثية ، ولا يكون عنده إلمام باصطلاحات المحدثين وقوانينهم في ذلك ، فيتطرق الخطأ إلى عمله وحسابه .

وقد أشار الحافظ لهذا الأمر بقوله : (تأولته على أنه يحتمل أن يكون العادّ الأول الذي قلدوه في ذلك كان إذا رأى الحديث مطولاً في موضعٍ، ومختصراً في موضع آخر يظن أن المختصر غير المطول، إما لبعد العهد به أو لقلة المعرفة بالصناعة، ففي الكتاب من هذا النمط شيء كثير) .

المطلب العاشر: التقليد والمتابعة

إن بعض النقولات التي تتكلم عن عدة الأحاديث وإحصائها، ولا سيما في الكتب الحديثية المصنفة تكون مبنية على تقليد بعض المتأخرين لمن سبقهم في ذلك .

مثال ذلك اختلاف العلماء في عدة ما في الصحيحين.

فقد اختلف العلماء في عدة ما في صحيح البخاري ومسلم من الأحاديث، مع أنهما من أجل كتب الحديث وأكثرها شهرة.

وقد ذكر ابن الصلاح أن جملة ما في البخاري من الحديث سبعة آلاف ومئتان وخمسة وسبعون حديثاً بالأحاديث المكررة، قال: وقد قيل إنها بإسقاط المكررة أربعة آلاف حديث. قال: إلا أن هذه العبارة قد يندرج تحتها عندهم آثار الصحابة والتابعين، وربما عُدّ الحديث الواحد المروي بإسنادين حديثين[٩٩] .

وتابع النووي ابن الصلاح على هذا العدّ والتقدير في مختصر علوم الحديث[١٠٠] .

قال العراقي في بيان عدة أحاديث صحيح البخاري: (والمراد بهذا العدد رواية محمد بن يوسف الفربري، فأما رواية حماد بن شاكر فهي دونها بمائتي حديث، وأنقص الروايات رواية إبراهيم بن معقل النسفي، فإنها تنقص عن رواية الفربري ثلاثمائة حديث)[١٠١] .

وقد تعقب الحافظ في هدي الساري ، وكتاب (النكت على ابن الصلاح)[١٠٢] على هؤلاء جميعاً ونعى على النووي وغيره تقليدهم لمن تقدمهم في هذه المسألة ، وذكر (أن كثيراً من المحدثين وغيرهم يستروحون بنقل كلام من تقدمهم مقلدين له، ويكون الأول ما أتقن ولا حرّر، بل يتبعونه تحسيناً للظن به والإتقان بخلاف (كذا) فلا شيء أظهر من غلطه في هذا الباب[١٠٣] .

وقد رد الحافظ على شيخه العراقي في النكت فقال :

(وظاهر هذا أن النقص في هاتين الروايتين وقع من أصل التصنيف أو مفرقاً من أثنائه، لأنه اعترض على ابن الصلاح في إطلاقه هذه العدة من غير تمييز وليس كذلك؛ بل كتاب البخاري في جميع الروايات الثلاثة في

العدد سواء.

وإنما حصل الاشتباه من جهة أن حماد بن شاكر وإبراهيم بن معقل لما سمعا الصحيح على البخاري فاتهما من أواخر الكتاب شيء، فروياه بالإجازة عنه، وقد نبه على ذلك الحافظ أبو الفضل ابن الطاهر وكذا نبه الحافظ أبو علي الجياني في كتاب (تقييد المهمل)ثم قال : فتبين أن النقص في رواية حماد بن شاكر وإبراهيم بن معقل إنما حصل من طريان الفوت لا من أصل التصنيف، فظهر أن العدة في الروايات كلها سواء).

ثم ذكر الحافظ في هدي الساري مقدمة فتح الباري عدد الأحاديث في جميع كتب صحيح البخاري بدون تقليد لم تقدمه بل بتحريره لنفسه فقال: ((فجميع أحاديثه بالمكرر. سوى المعلقات والمتابعات. على ما حررته وأتقنته سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثاً))[١٠٤] .

ثم ذكر المعلقات والمتابعات وقال: ((فجملة ما في الكتاب من التعاليق ألفٌ وثلاثمائة وأحد وأربعون حديثاً وأكثرها مكررٌ مخرّجٌ في الكتاب أصول متونه، وليس فيه من المتون التي لم تخرّج في الكتاب، ولو من طريق أخرى إلا مائة وستون حديثاً قد أفردتها في كتاب مفرد لطيف[١٠٥] متصلة الأسانيد إلى من علق عنه، وجملة ما فيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ثلاثمائة وأحد وأربعون حديثاً.

فجميع ما في الكتاب على هذا بالمكرر تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثاً .

وهذه العدة خارج عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات عن التابعين فمن بعدهم.

وهذا الذي حررته من عدة ما في صحيح البخاري تحرير بالغٌ فتح الله به لا أعلم من تقدمني إليه، وأنا مقرٌّ بعدم العصمة من السهو والخطأ والله المستعان))[١٠٦] .

وذكر الحافظ في هدي الساري أيضاً (عدة ما لكل صحابي في صحيح البخاري موصولاً ومعلقاً)، وقال في خاتمته :((فجميع ما في صحيح البخاري من المتون الموصولة بلا تكرير على التحرير ألفا حديث وستمائة حديث وحديثان، ومن المتون المعلقة المرفوعة التي لم يوصلها في مكان آخر من الجامع المذكور مائة وتسعة وخمسون حديثاً[١٠٧]، وبين هذا العدد الذي حررته والعدد الذي ذكره ابن الصلاح وغيره تفاوت كثير، وما عرفت من أين أتى الوهم في ذلك، ثم تأولته على أنه يحتمل أن يكون العادّ الأول الذي قلدوه في ذلك كان إذا رأى الحديث مطولاً في موضعٍ، ومختصراً في موضع آخر يظن أن المختصر غير المطول، إما لبعد العهد به أو لقلة المعرفة بالصناعة، ففي الكتاب من هذا النمط شيء كثير، وحينئذ يتبين السبب في تفاوت ما بين العددين، والله الموفق))[١٠٨]

وقد أشار محقق الكتاب إلى أن في نسخة أخرى من مخطوط هدي الساري غير هذا العدد وهو ((ألفا حديث

وأربعمائة وأربعة وستون)) ثم قال: ((فجميع ذلك ألفا حديث وستمائة وثلاثة وعشرون)) وحاصل الجمع صحيح، وفي الفتح آخر كتاب التوحيد: ((وجميع ما فيه موصولاً ومعلقاً بغير تكرار ألفا حديث وخمسمائة وثلاثة عشر حديثاً))[١٠٩] .

وقال الحافظ في الفتح[١١٠] : ((إن عدته على التحرير: ألفا حديث وخمسمائة حديث وثلاثة عشر حديثاً كما بينت ذلك مفصلاً في المقدمة)) .

وهذا يوافق ما حكاه محقق هدي الساري عن بعض النسخ وعن آخر الفتح، فيبدو أنه الذي استقر عليه رأي الحافظ أخيراً ويبقى سؤال عن سبب تفاوت الكبير بين قولي الحافظ! وهذا يحتاج لمزيد بحث ونظر.

خاتمة:

الحمد لله أولا وآخراً وظاهراً وباطناً ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

في ختام هذه البحث نتوصل إلى النتائج التالية :

١ . الاطلاع على جهود المحدثين في حفظ السنة ، وفضلهم على الأمة .

٢ . مقدر عناية السلف بحفظ الحديث وطرق الرواية المتعددة وبلوغهم الغاية في حفظها وإتقانها .

٣ . تفسير الروايات المنقولة عن المحدثين في بيان مقدار حفظهم من الحديث ودرء التعارض المتوهم ، والإشكال الوارد على تلك النقول .

٤ . سبب اختلاف العادين لما في كتب الحديث المصنفة .

٥ . ضرورة الرجوع إلى مصطلحات المحدثين في تفسير كلامهم.

٦ . حاجتنا إلى مشروع شامل وكامل تجمع فيه الروايات المرفوعة ، والآثار الموقوفة عن الصحابة والتابعين والاستعانة في ذلك بالتقنية الحديثية والبرمجة المناسبة لتيسير الاستفادة والرجوع إليها .

الهوامش :

([١]) سورة النجم آية ٤.
([٢]) سورة النحل آية ٤٤.
([٣]) رواه أبو داود (٣٢٨/٤) والترمذي(٣٨/٥) واللفظ له. وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير رقم ٤٤٢٢).
([٤]) أخرجه الخطيب في الكفاية ص (١٦).
([٥]) الجمعة (آية ٢) .
([٦]) الرسالة ص ٣٢ .
([٧]) الرسالة ص (٧٨) .
([٨]) مسلم (١١/١). .
([٩]) الكفاية ص (١٦) .

(١٠) جامع بيان العلم وفضله ص(٢٥) .
(١١) المدخل للسنن الكبرى (٣٧٢/١).
(١٢) مناقب الشافعي (١٥٠/٢) ، جامع بيان العلم (٢٥١/١).
(١٣) رواه البخاري (٢٠٧/٤) من حديث عبدالله بن عمرو.
(١٤)رواه أبوداود (٣٦٠/٣) من حديث زيد بن ثابت .
(١٥) رواه البخاري (١٧٤/٣) .
(١٦) رواه البخاري (١٤٣/٣) ومسلم (١٦٦/٧) .
(١٧) البخاري (٣٦/١) (١٤٦/٨) .
(١٨) أطلق هذا اللقب على أبي هريرة، ابن القيم في الفروسية ص ٢١٢.
(١٩) تذكرة الحفاظ ٣٦/١، الإصابة ٢٠٥/٤ نقلا عن (أبو هريرة صاحب رسول الله وخادمه) للدكتور حارث الضاري ص(٢٠).
(٢٠) للوقوف على هؤلاء الحفاظ ومعرفة سيرهم ومكانتهم في العلم انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي رحمه الله .
(٢١) سورة البقرة آية (٤٤).
(٢٢) سورة الجمعة آية (٥).
(٢٣) رواه الترمذي (٢٠٤/٩) .
(٢٤) البخاري (٢١١/٧) .
(٢٥) ينظر: السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب، بحوث في تاريخ السنة د/ أكرم ضياء العمري، تدوين السنة د/ محمد بن مطر الزهراني.
(٢٦) ذكره البخاري معلقا في كتاب العلم ، وأخرجه مسندا الخطيب في الرحلة في طلب الحديث ص (١٠٩).
(٢٧) الرحلة في طلب العلم للخطيب البغدادي ص (١٨٨) .
(٢٨) جامع بيان العلم (٩٤/١) .
(٢٩) سنن الدارمي (١٤٤/١) .
(٣٠) الرحلة في طلب الحديث ص (٨٨) .
(٣١) انظر : تهذيب التهذيب (٢٤٨/٨) .
(٣٢) انظر : السنة قبل التدوين (١٧٦ ـ ١٨٣) .
(٣٣) الفرسخ : أربعة أميل ، والميل حوالي كيلو متر ونصف .
(٣٤) والقصة فيها طول وقد اقتصرت على أولها فراجعها في تقدمة الجرح والتعديل (٣١٨).
(٣٥) الجرح والتعديل (٣٢٣/٦).
(٣٦) علل الحديث للإمام أحمد (١ / ٣٠).
(٣٧) تذكرة الحفاظ (٢٥١/١).
(٣٨) قال الذهبي: فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبى عبد الله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر والأثر وفتوى التابعي، وما فسر ونحو ذلك. سير أعلام النبلاء ١٨٧/١١ .
(٣٩) العلل ومعرفة الرجال ـ برواية عبد الله ٣٦٣/٢/رقم ٢٦٠٨، سير أعلام النبلاء (٢٢٣/٢١).
(٤٠) تذكرة الحفاظ (١٥/٢) .
(٤١) الجامع لأخلاق الراوي (٢٥٤/٢)، تاريخ بغداد (٣٥٢/٦) .
(٤٢) تهذيب الكمال (٣٨٥/٢).
(٤٣)البدر المنير(٢٦٠/١).

(٤٤) المصدر السابق (٢٦٠/١).
(٤٥) تاريخ بغداد (٢١/٢).
(٤٦) النكت على كتاب ابن الصلاح (٨٦٩/٢).
(٤٧) مقدمة الفتح (٤٧٩/١).
(٤٨) شرح النووي (١٥/١).
(٤٩) معالم السنن (٣٦٦/٤) .
(٥٠) تاريخ بغداد (١٣/٨).
(٥١) شرف أصحاب الحديث ص(٨).
(٥٢) الرسالة المستطرفة ص(٢) .
(٥٣) القاموس المحيط (٢١٤/١) .
(٥٤) علوم الحديث لابن الصلاح ص (٢٨).
(٥٥) اليواقيت والدرر شرح نخبة الفكر (٣٦/١) .
(٥٦) المقنع (١١١/١) ..
(٥٧) سير أعلام النبلاء (١٨٧/١١) .
(٥٨) صحيح البخاري (١/ ٢) وهو أول حديث في كتابه .
(٥٩) الغريب عند المحدثين هو الذي رواه راو واحد فقط ، وقد يكون صحيحا أو ضعيفاً .
(٦٠) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد. ص (٣)
(٦١) جامع العلوم والحكم ص (٨) .
(٦٢) النكت للزركشي (١٧٩/١) .
(٦٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢٩٥/٢) ، ميزان الاعتدال للذهبي (٣٥/١) .
(٦٤) تذكرة الحفاظ (١٥/٢) .
(٦٥) تاريخ بغداد (٩٤/٦) .
(٦٦) فتح المغيث للسخاوي (٢/ ٣٢٧) .
(٦٧) من المؤكد أنه يزيد زيادة كبيرة بهذه الاعتبارات كلها التي ذكرها الحافظ.
(٦٨) كتاب النكت على ابن الصلاح للحافظ ابن حجر ١٣٦/١ . والعدة التي يقصدها الحافظ ونيقلها عن البخاري هي قوله :(أحفظ مائة ألف حديث) انظر : مقدمة الفتح ٤٨٨/١ .
(٦٩) البخاري رقم (٥١٩٧) ..
(٧٠) فتح الباري (٨٤/١) .
(٧١) شرح النووي لصحيح مسلم (٣٦/١) .
(٧٢) انظر : الأحاديث المرفوعة المعلة في حلية الأولياء: سعيد بن صالح الغامدي (٢٧/١) .
(٧٣) رواه أبو داود ٢(/١٠٠) .
(٧٤) الترمذي (٢٦١/٣) قال الشيخ الألباني : ضعيف ، والصحيح موقوف على ابن عباس ضعيف سنن الترمذي (١٠٧/١).
(٧٥) انظر : نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني (٤٥/٥).
(٧٦) نصب الراية (١١٥/٣).
(٧٧) انظر : مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٥٥/٩) لعبيدالله المباركفوري.
(٧٨) أخرجه ابو داود (٦٤٠)والحاكم (٢٥٠/١) والبيهقي (٢٣٣/٢) .

([٧٩]) الموطأ (١٢٣/١) ومن طريق مالك أخرجه أبو داود (٦٣٩) والبيهقي. وانظر:(إرواء الغليل للألباني (٣٠٣/١، ٣٠٤).
([٨٠]) بلوغ المرام (٦٧/١) .
([٨١]) رواه أحمد (١٥٩/٦)، و أبو داود برقم (٢٠٤/٣)، وابن ماجه (٥٤١/٢) .
([٨٢]) أخرجها أحمد (١٠٥/٦) والخطيب (١٢/١٠٦) ، وانظر : إرواء الغليل (٢١٤/٣).
([٨٣]) ملء العيبة (٢٤١/٥).
([٨٤]) ختم سنن أبي داود لعبدالله بن سالم البصري ص ٧٧ .
([٨٥])السير (٥٣٨/١٥).
([٨٦]) ملء العيبة (٢٤١/٥).
([٨٧]) تدريب الراوي ١٧٠/١.
([٨٨]) التقييد لا بن نقطة ١٣/١ .
([٨٩]) النكت (٤٤١/١).
([٩٠]) برنامج التجيبي ص ٩٥ .
([٩١]) مقدمة رسالة أبي داود ص ١٧.
([٩٢]) تاريخ بغداد ٥٧/٩ .
([٩٣]) الرسالة المستطرفة ص (١٠).
([٩٤]) مقدمة موطأ محمد بن الحسن ص (١٣/١) .
([٩٥]) خصائص المسند لأبي موسى المديني ص ٥٢ .
([٩٦])التذكرة ٢/٣ .
([٩٧]) زيادات القَطِيعي على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله للدكتور/ دخيل بن صالح اللحيدان ص ٢٣ ، ٤٧.
([٩٨]) الفتح الرباني ٢١/١ .
([٩٩]) علوم الحديث ص (١٦)، وانظر: هدي الساري ص (٤٦٥) .
([١٠٠]) إرشاد طلاب الحقائق (١٢١/١) .
([١٠١]) التقييد والإيضاح ص (٢٧) .
([١٠٢]) النكت على ابن الصلاح (٢٩٤/١) .
([١٠٣]) هدي الساري ص (٤٦٥) .
([١٠٤]) هدي الساري ص (٤٦٨) .
([١٠٥]) سماه مؤلفه ((التوفيق)). انظر: تغليق التعليق (٢٨٥/١) .
([١٠٦]) هدي الساري ص (٤٦٩) .
([١٠٧]) ذكر في موضع سابق أنها (١٦٠) حديثاً. هدي الساري ص (٤٦٩) .
([١٠٨]) هدي الساري ص (٤٧٧) .
([١٠٩]) هدي الساري ص (٤٧٧) الحاشية، ولم أجد ما ذكره المحقق آخر الفتح، فلعله سقط من المطبوع، إذ من عادة الحافظ أن يذكر في ختام كل كتاب عدد ما فيه من الأحاديث المكررة وغير المكررة والمعلقات وغير ذلك، وليس ذلك في المطبوع آخر كتاب التوحيد .
([١١٠]) الفتح (٨٤/١) .

استخدام التقنية الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلمها ونشرها وأثره في التواصل الحضاري

د/ سمير عبد الرحمن الشميري
أستاذ الإعلام المساعد ورئيس قسم العلوم الاجتماعية
كلية التعليم المفتوح- جامعة العلوم والتكنولوجيا
صنعاء

6

الملخص

تعد اللغة العربية أقدم اللغات الحية على وجه الأرض، و على اختلاف بين الباحثين حول عمر هذه اللغة؛ لا نجد شكاً في أن العربية التي نستخدمها اليوم أمضت ما يزيد على ألف وستمائة سنة، وقد تكفّل الله – سبحانه وتعالى بحفظها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر:٩) ومنذ عصور الإسلام الأولى انتشرت العربية في معظم أرجاء المعمورة وبلغت ما بلغه الإسلام وارتبطت بحياة المسلمين فأصبحت لغة العلم والأدب والسياسة والحضارة فضلاً عن كونها لغة الدين والعبادة. لقد استطاعت اللغة العربية أن تستوعب الحضارات المختلفة؛ العربية، والفارسية، واليونانية، والهندية، المعاصرة لها في ذلك الوقت، و أن تجعل منها حضارة واحدة، عالمية المنزع، إنسانية الرؤية، وذلك لأول مرّة في التاريخ، ففي ظل القرآن الكريم أصبحت اللغة العربية لغة عالمية، واللغة الأم لبلاد كثيرة. ومع تغير الظروف المحيطة بها من آن لآخر لم تفقد ضرورتها. (المناعي،٢٠٠٩) إن اللغة ليست وعاء للمعارف فحسب ولكنها القدر الاجتماعي للإنسان تحمل هويته ونشأته وعقليته وقدراته وميوله (نبيل، ٢٠٠١، عدد ٢٧٦)، ولما كانت اللغة من هذا المنطلق محور المنظومة الفكرية والثقافية فقد أضحى دورها متعاظماً في عصر التقنيات الحديثة، ولذلك وجبت العناية بها وبتطويرها، حتى يكون لها موطئ قدم في العالم المعاصر لبناء حضارة الإسلام المرتقبة، ويجد القارئ العربي بغيته بلغته. وحتى يتقلص طغيان اللغات الغربية على الخصوص- إنجليزية وفرنسية – في البلاد العربية والإسلامية ، من المأمول أن تؤدي العناية باللغة العربية على هذا النحو إلى تشجيع الترجمة والتعريب وتطوير برمجيات الترجمة الآلية، مع ما يوازي ذلك من وضع المصطلحات وتأليف المعاجم المتخصصة والتأليف في اللغة لتيسيرها وتبسيط قواعدها اللغوية والاجتهاد في إخضاعها للتحليل الحاسوبي (نبيل، ٢٠٠١، ٢٣٨-٢٨٨) لتبقى اللغة العربية قوية كما كانت، قادرة دائماً على استيعاب المعطيات العلمية والتقنية الحديثة، إذ هي من «ثراء المبنى وغنى الإمكانات بحيث تقدم هي ذاتها فرصة نادرة لولوج عصر المعلوماتية وكثافة المعرفة باقتدار (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ٢٠٠٢، ١٧٣).

مقدمة:

تعتبر اللغة مفتاح الانفتاح على الآخر وحلقة التواصل معه حيث أصبح تعلّمها حاجة ملحة في الحياة المعاصرة التي تشهد ثورة معلوماتية كبيرة نتيجة التقدم في الاتصالات ، ويلزم لهذه اللغة برامج تعليمية متميزة يتم تدريسها باستخدام التكنولوجيا الحديثة المتطورة ، أما تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بغيرها فيشهد لها الكثير بأنها ناجحة إلى حد كبير فإسهاماتها في نشر اللغة العربية في العالم محط احترام وتقدير الكثير من المهتمين بهذا المجال، من خلال تأليف مناهج حديثة ومدروسة بدقة تتلاءم مع الثقافة العربية الإسلامية (المناعي،٢٠٠٩) وتعد اللغة العربية أقدم اللغات الحية على وجه الأرض، و على اختلاف بين الباحثين حول عمر هذه اللغة؛ لا نجد شكاً في أن العربية التي نستخدمها اليوم أمضت ما يزيد على ألف وستمائة سنة، وقد تكفّل الله – سبحانه وتعالى- بحفظها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر:٩).

ومنذ عصور الإسلام الأولى انتشرت العربية في معظم أرجاء المعمورة وبلغت ما بلغه الإسلام وارتبطت بحياة المسلمين فأصبحت لغة العلم والأدب والسياسة والحضارة فضلاً عن كونها لغة الدين والعبادة. لقد استطاعت اللغة العربية أن تستوعب الحضارات المختلفة؛ العربية، والفارسية، واليونانية، والهندية، المعاصرة لها في ذلك الوقت، و أن تجعل منها حضارة واحدة، عالمية المنزع، إنسانية الرؤية، وذلك لأول مرّة في التاريخ، ففي ظل ا لقرآن الكريم أصبحت اللغة العربية لغة عالمية، واللغة الأم لبلاد كثيرة. ومع تغير الظروف المحيطة بها من آن لآخر لم تفقد ضرورتها. (المناعي،٢٠٠٩).

إن اللغة ليست وعاء للمعارف فحسب ولكنها القدر الاجتماعي للإنسان تحمل هويته ونشأته وعقليته وقدراته وميوله (نبيل، ٢٠٠١، عدد ٢٧٦)، ولما كانت اللغة من هذا المنطلق محور المنظومة الفكرية والثقافية فقد أضحى دورها متعاظماً في عصر التقنيات الحديثة، ولذلك وجبت العناية بها وبتطويرها، حتى يكون لها موطئ قدم في العالم المعاصر لبناء حضارة الإسلام المرتقبة، ويجد القارئ العربي بغيته بلغته. وحتى يتقلص طغيان اللغات الغربية على الخصوص- إنجليزية وفرنسية – في البلاد العربية والإسلامية ، من المأمول أن تؤدي العناية باللغة العربية على هذا النحو إلى تشجيع الترجمة والتعريب وتطوير برمجيات الترجمة الآلية، مع ما يوازي ذلك من وضع المصطلحات وتأليف المعاجم المتخصصة والتأليف في اللغة لتيسيرها وتبسيط قواعدها اللغوية والاجتهاد في إخضاعها للتحليل الحاسوبي (نبيل، ٢٠٠١، ٢٣٨-٢٨٨) لتبقى اللغة العربية قوية كما كانت، قادرة دائماً على استيعاب المعطيات العلمية والتقنية الحديثة، إذ هي من «ثراء المبنى وغنى الإمكانات بحيث تقدم هي ذاتها فرصة نادرة لولوج عصر المعلوماتية وكثافة المعرفة باقتدار (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ٢٠٠٢، ١٧٣). ولكنها تحتاج لاستثمار إمكانياتها الهائلة من جميع النواحي النحوية والصرفية والصوتية والدلالية والتعبيرية(أبو العزم،٢٠٠٠، ٥٩) ولتحقيق هذا الدور كانت هذه الورقة العلمية

والتي تتناول استخدام التقنية الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلمها ونشرها وأثره في التواصل الحضاري؛ من خلال استخدام تقنية التعليم المبرمج والتعلم الذاتي، واستخدام تقنية الحاسوب، واستخدام تقنية الاتصال الجماهيري، واستخدام تقنية الإعلام الرقمي.

ولهذا موضوع عظيم الأثر على اللغة العربية وإتقانها وانتشارها وتعليمها للعرب وغير العرب وغير الناطقين بها، وهو موضوع تقني إعلامي في آن واحد ، إذ من الممكن أن تقوم التقنيات بشكل أكبر وأفضل لتحقيق العديد من الخدمات والفوائد للغة العربية. وتمكين عامة المشاهدين والمتصفحين للتقنيات الحديثة من الاطلاع عليها، وبذلك تمكن هذه التقنيات من تقديم صورة واضحة عن الثقافة العربية الإسلامية وعن إسهاماتها الحقيقية في الفكر الإنساني، وفي تحقيق التواصل الحضاري ونشر اللغة العربية.

من هنا وجب على القائمين على تعليم اللغة العربية وتعلمها في العالم العربي والإسلامي اللحاق بركب التقدم والتطور في ميدان تعلم اللغات وتعليمها ، حيث شهد قفزات هائلة وواسعة في هذا السبيل بدأت بتفعيل مختبر اللغات ، ثم التعلم الذاتي أو المبرمج ، فالبرامج السمعية والبصرية المتكاملة ، واستخدام الحاسوب في تعليم اللغات وتعلمها (العربي ، ١٩٨١م ، ١٣٠). ثم كان الدور لشبكات الانترنت وما تقدمه من خدمات هائلة في تعلم اللغة ونشرها وتحقيق التواصل الحضاري.

إن صعود حضارة ثم انحطاطها قصة تتكرر عند كل الشعوب والأمم، وهو مرتبط عادة بعوامل القوة، سواء كانت فكرية أو علمية أو عسكرية أو تنظيمية، وغيرها كثير.

وإن نهضة العربية لن تتأتى إلا بنهضة حضارية علمية قوية تعيدها لسابق عهدها، كما حدثَ عندما أعادت نهضة إسرائيل العلمية الحديثة اللغة العبرية للمحافل العلمية (سلوى حمادة، ٢٠٠٩) ومن هذه العوامل التفوق في تقنية الاتصال فتقنية الإعلام والاتصال، منذ القدم، لم تأت من فراغ ، وإنما نتيجة جهود الإنسان الدؤوب لتطوير مهارات الاتصال لديه منذ أن ظهر أول تجمع بشري سعى أفراده إلى البحث عن أفضل السبل وأسهلها في تبادل المعلومات وحفظها، وقد قسم علماء الاتصال تاريخ الإنسان الاتصالي المعلوماتي إلى أربعة عصور، انتهى كل واحد منها بثورة افتتحت العصر الذي تلاه، وأغدقت على القائمين بتلك الثورة قوة مضافة مكنتهم من السيطرة «السياسية والفكرية» إلى حين ظهور قوة اتصالية منافسة.

ولقد أكدت الدراسات والأبحاث الحديثة أن الثورة التكنولوجية في شقيها التقني والمعلوماتي تعد فرصة حقيقية للأمة العربية للنهضة واستدراك ما فاتها في اللحاق بالركب الحضاري الحديث، فقد صارت المعلومات وتقنياتها المتطورة بسرعة مذهلة أساس المجتمعات المتقدمة وأنشطتها المتنوعة سواء في الاقتصاد أو السياسة أو الأمن أو غيرها (نبيل، ١٩٩٤، ٤٢٧).

مشكلة البحث:

مدى استخدام التقنية الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلمها ونشرها وأثره في التواصل الحضاري.

تساؤلات البحث:

ما أثر استخدام تقنية الحاسوب في تعليم اللغة العربية المبرمج والتعلم الذاتي في التواصل الحضاري؟

ما أثر استخدام تقنية الحاسوب في الترجمة والتعريب في التواصل الحضاري؟

ما أثر استخدام تقنية وسائل الاتصال الجماهيرية في الارتقاء باللغة العربية الفصحى في التواصل الحضاري؟

ما أثر استخدام تقنية شبكة الانترنت والإعلام الرقمي في نشر علوم اللغة العربية والتواصل الحضاري؟

أهداف البحث:بيان أنواع التقنيات الحديثة التي ساهمت في تعليم اللغة العربية وتعلمها ونشرها توضيح دور التقنية الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلمها ونشرها ومدى أثر ذلك في التواصل الحضاري.

المفهوم التقنية: كلمة التقنية أو التقانة تقابل كلمة التكنولوجيا التي يمكن أن نعرفها بإيجاز بأنها علم التطبيق، وتحمل الآن معنى آخر وهو أنه: أسلوب علمي محدد يستخدم لغرض معين، مثل تقنية الحاسوب، وتقنية الطباعة وتقنية الاتصالات، إلخ.(الصواف، ١٩٨٧، ٥-٢٩)أما التقنيات التعليمية فقد عرفت بأنها: منحنى نظامي لتصميم العملية التعليمية، وتنفيذها وتقويمها، تبعاً لأهداف محددة نابعة من نتائج الأبحاث في مجال التعليم والاتصال البشري مستخدمة الموارد البشرية وغير البشرية من أجل إكساب التعليم مزيداً من الفاعلية (الحيلة ، ١٤٢٢هـ ، ١٩) بينما تعرّف تقنية المعلومات بأنها : معالجة المعلومات إلكترونياً ، أو بواسطة رسائل إلكترونية وتشمل المعالجة نقل وتخزين وتصنيف والحصول على المعلومات ، وتقنية المعلومات تركز بصفة خاصة على استخدام الأجهزة والبرمجيات لتنفيذ المهام السابقة ليستفيد منها الفرد والمجتمع.

كما تعرّف بأنها : استخدام الحاسوب وشبكاته المحلية (LAN) والشبكات الواسعة (WAN) والانترنت ، وشبكة النسيج العالمية (WEB) وطرق المعلومات السريعة من أجل جمع المعلومات ونشرها ، ومعالجتها ، وتخزينها واسترجاعها (شحاتة ، والنجار ، ١٤٢٤هـ ، ١٣٠) .

وفي ضوء ذلك يمكن تعريف تقنية تعلم اللغة العربية بأنها : إدارة تعليم اللغة العربية وتعلمها في ضوء برمجيات تعليمية ومقررات إلكترونية نشطة من أجل إكساب المتعلمين مهارات اللغة العربية ؛لتحقيق التواصل اللغوي البناء ، والتعامل مع العصر ومتغيراته، وتحقيق التواصل الحضاري ونشر اللغة العربية (الزهراني ، ٢٠٠٧م) .

ومن ثم فإن التقنية تعني أكثر من مجرد استخدام الأجهزة والآلات ، فهي طريقة في التفكير ، فضلاً عن أنها منهج في العمل ، وأسلوب في حل المشكلات يعتمد في ذلك على اتباع مخطط منهجي ، وأسلوب علمي منظم، يتكون من عناصر كثيرة متداخلة ومتفاعلة بقصد تحقيق أهداف محددة .

استخدام تقنية الحاسوب في تعليم اللغة العربية المبرمج والتعلم الذاتي وأثره في التواصل الحضاري.

تتميز معارف العصر بتضخمها الكبير، مكنت إنسان هذا العصر من تنمية مهارات و قدرات، ومواقف، و طرائق للتفكير ، ومن التكيف المستمر مع محيطه. وأمام تضخم المعارف العلمية اليوم، أصبح المهتمون بشأن اللغة العربية وتعليمها ونشرها يدعون إلى ضرورة تنمية قدرات التعلم و التقويم الذاتيين، والعمل على توفير ظروف البيئة التعليمية التي تتناسب مع التكنولوجيا الحديثة ، حتى يجعلوا نشاطهم التعليمي يسير في هذا الاتجاه ، فالتعلم الفعال في عالم اليوم هو أن يتعلم المتعلم كيف يتعلم، إن التعلم الذاتي هو أحد أساليب التعلم التي يقوم فيها المتعلم بالدور الأكبر في الحصول على المعارف و المفاهيم، و يصبح هو المحور بدلها، و هو يفيد المتعلم و يصبح جزءا من شخصيته، لكونه بات أمرا مرتبطا بجميع حواسه (الشربيني. ١٩٩٧) والبدايات النظرية الحقيقية لهذا النوع من التعليم يرجعها بعض الدارسين إلى عهد سقراط اليوناني من خلال حواره الذي عرف باسمه (الحوار السقراطي) والذي كان يقود محدثه فيه خطوة خطوة نحو تحقيق الهدف المرتجى. بل ويرجعه آخرون إلى ما قبل سقراط اليوناني ولا شك أن التعليم المبرمج مدين بالدرجة الأولى إلى علماء النفس والتجريب خصوصا' العالم الأميركي سكنر. والذي نشر رسالته عن التعلم والتعليم مبتدئا عهدا جديدا في التعليم المبرمج والذي يفيد بالدرجة الأولى من الاشتراط الإجرائي في علم النفس حيث يعنى بنشاط المتعلم ويهيئ له الظروف لكي يعمل وبعد أن يعمل يُكافأ وتعزز إجابته. ويستمر بهذه السلسة من الخطوات حتى يحقق أغراض التعلم المطلوبة. وبالتالي يعد العالم الأمريكي (سكنر) الأب الروحي (للتعليم المبرمج) لا بسبب آلياته فحسب بل بسبب نظرية التعزيز في التعليم المبرمج التي نقلها من ميدان علم النفس والمخابر إلى ميدان التعليم (ابوردان، عدد١.٢) وفي بداية العشرينات من القرن ١٩ صممت أول آلة تعليمية استخدمت للتّعليم وقياس درجة التّحصيل على يد عالم النّفس الأمريكي" سيدني بريسي"Perssy ويُعد هذا الاكتشاف نقطة تحوّل لبداية الاهتمام بالتّعليم المبرمج (زيتون،٢٠٠٢، ٨٧) والتّعليم المبرمج هو طريقة حديثة في التّعليم والتّدريب تؤكِّد على التّعلم الذّاتي للطّالب وتعتمد على مبدأ الاستجابة والتّعزيز وتكون المواد والمواضيع الدّراسية فيها مقسّمة إلى سلسلة خطوات صغيرة متتابعة تتدرج بالطّالب من الأمور السّهلة إلى الصّعبة ومن البسيط إلى الأكثر تعقيدًا (عاقل،١٩٥٨. ٣١٤) . أو هو أحد المجالات الرّئيسية لتطبيق مبادئ التّعلم، وهو أسلوب يعتمد على استخدام أسلوب التّعليم الفردي، والتّغذية المرتدّة الفورية من مصدر آخر غير المعلّم بغرض تحسين كفاءة عملية التعلّم الفردي (ارنوفويتيج، ٢٠٠٥. ٣٤٦).

وعرفه معجم علم النفس بأنه: (تعلم مهارة لفظية أو أعمال حركية وفقاً لبرنامج معد سلفاً وبشكل دقيق بواسطة الآلة أو بدونها، ويتميز هذا النوع من التعلم بمعرفة النتائج وبالتالي التعزيز فوراً) (عاقل، ١٩٧٧، ٨٨)، وفي قاموس التربية الحديث عرفه كود (Good) بأنه: (تعلم يستخدم في كتاب أو آلة تعليمية لمساعدة المتعلم على بلوغ مستوى من الأداء، ويشتمل على خطوات صغيرة وأجوبة جاهزة تخبر المتعلم بالإجابة وييسر المتعلم بالبرنامج حسب قدرته الخاصة) (حسين ٢٠٠٦، العدد ٢٦) وجاء في تعريف اليونسكو للتعليم المبرمج بأنه: (طريقة للتعلم وجدت كنظام تعليمي رئيسي أو ثانوي تختص ببناء مادة التعلم بصورة مسبقة، و تعتمد على تحديد الأهداف التعليمية بصورة دقيقة) (حسين، ٢٠٠٦، العدد٢٦) فالتعليم المبرمج ذا طريقة من التعليم الفردي بحيث يعمل فيه كل متعلم بمفرده لذا فهو تعليم ذاتي تصاغ فيه المادة التعليمية في خطوات صغيرة ومتسلسلة تنتهي كل خطوة بسؤال يُطلب من المتعلمين الإجابة عنه.

يرتكز النّشاط في التّعلم حول المتعلّم الذي يتحمل كل المسؤولية، حيث يوجه البرنامج المتعلم عندما يخطئ في إحدى إجاباته قبل انتقاله إلى الإطار الذي يليه (زيتون،،٢٠٠٢، ص٧٦) ويُعد الكتاب المبرمج من أبسط الوسائل المستعملة في تقديم البرامج ،ويتم تصميم المادة العلمية بشكل وحدات صغيرة كل منها بإطار، ويُعد الإطار الوحدة الأساسية الصغرى للبرنامج ، وكل وحدة هي فقرة تعليمية تعتمد على الفقرات السابقة (زيتون،٢٠٠٢، ٨٧) ويقوم التّعليم المبرمج على عدة مبادئ هي ما يلي:(فرج، ٢٠٠٥،ص ١٦٨-١٧٠- السليشي، ٢٠٠٨، ٣١- محمد،٢٠٠٤، ٢١٨)

١- تحديد السّلوك النهائي ،وتحليل المهمة التّعليمية إلى مكوناتها الفرعية.
٢- تقوية التّغذية الرّاجعة الفورية وتعزيزها.
٣- السّرعة الذّاتية في التّعلم.
٤- الاستجابة الفاعلة والمشاركة الإيجابية.
٥- تجريب المواد المبرمجة وتطويرها (تقنين البرامج).
٦- التّقويم الذّاتي للمتعلّم.
٧- الأهداف السّلوكية الخاصّة.
٨- إثارة رغبة المتعلم وتحديدها وجلب انتباهه بشكل دائم.
٩- تُكيَّف المادّة مع قدرات المتعلّم .
١٠- استخدام مواد تعليمية مبرمجة.

ويقسم التعليم المبرمج إلى أربع أنواع رئيسية من البرمجة هي ما يلي : (فرج، ٢٠٠٥،١٧١، السليشي،سلامة،١٤٥،٢٠٠٨).

أ - البرمجة الماتيكية : وتستخدم في مجال التعليم المهني الذي يعتمد على الآلات والتجهيزات المحاكية مثل: برمجة مهارة قيادة السيارة ،ثم تدريسها باستعمال السيارة الحقيقية أو آلة قيادة محاكيه لها.

ب – البرمجة الآلية: ينحصر استعمالها في مجال الصناعة ويتم التعليم فيه بمساعدة الحاسوب.

ج،د – البرمجة الخطية والبرمجة المتشعبة: ويمثلان أهم الأساليب استعمالاً في التعليم؛ فأما البرمجة الخطية فيتم ترتيب المادة فيها من السهل إلى الصعب و من البسيط إلى المركب وفي هذا النوع من التّعليم المبرمج لا يسمح للمتعلم إلا باستجابة واحدة وغالباً ما يستخدم في تعلم المهارات أوالمعاني للمقررات. وأما البرمجة المتشعبة فيتم فيها تقديم فقرة أو فقرتين ، ثم يطرح سؤال له علاقة بالفقرة المعطاة ، تليه عدة اقتراحات و على المتعلم اختيار الإجابة الصحيحة، فإذا كانت الإجابة صحيحة ينتقل إلى إطار آخر وإن كانت خطأ يوجه إلى إطار فرعي يسمى الإطار العلاجي ويتم تطبيق التعليم المبرمج في عدة مجالات منها المجال الدراسي على مختلف المستويات التعليمية بداية من التعليم الابتدائي مرورًا بالمتوسط والثانوي وصولاً إلى التعليم الجامعي.

و المجال المجاور للمجال الدراسي التعليم عن بعد وهو لا يختلف التعليم عن بعد عن النظام المألوف في مضمون العلم والمعرفة، أو مضمون المهارات ومقاصد التربية، وإنما يختلف في خصائصه التي هي وليدة بعد المتعلم عن المؤسسة التعليمية، والحاجة إلى توظيف التكنولوجيا الحديثة بمساعدة طالب العلم في التعليم الذاتي. (زيتون،٢٠٠٢، ص٧٦)

ومفهوم التعلم الذاتي هو: أسلوب يعتمد على نشاط المتعلم ، حيث يمر من خلاله ببعض المواقف التعليمية، ويكتسب معارف و مهارات و ميولا مما يتوافق مع سرعته و إيقاعه، و قدراته الخاصة . ويستهدف التعلم الذاتي: إقصاء مصادر الفشل و الإحباط المختلفة عند المتعلمين، و اعتماد طرقهم الخاصة في التعلم، و تبني تعليم تقوم فيه المردودية اعتمادا على منجزات المتعلم و مجهوداته الخاصة. (الشربيني، ١٩٩٧)

ويتميز التعليم المبرمج بالمميزات الآتية:

١. الواقعية بمعنى: أن ينسجم مع مقتضيات المواد الدراسية و المحيط و البيت و الشخص.
٢. التوازن بمعنى: أن يطال مختلف الأنشطة من دون إفراط و لا تفريط.
٣. المرونة بمعنى: وضع البرمجة مع ترك هامش للطوارئ (الشربيني، ١٩٩٧).

وقد ورد في توصيات كثير من المؤتمرات والجهات المعنية بشأن التعليم بتطبيق نظام التعليم المبرمج، ذلك توصيات لجنة ادجارفور (اليونسكو) في تقريرها "تعلم لتكون" على ضرورة القيام باستخدام التقنيات الجديدة أثناء تخطيط الأنظمة التربوية من أجل أن تتكامل جيمعاً في عملية موحدة وصولاً إلى استخدام أفضل طريقة للوسائل والمصادر (القلا، ١٩٧٥).

ويعد استخدام التعليم المبرمج وفي مقدمة ذلك تعليم اللغة العربية للناطقين بها وغير الناطقين، وعلى مختلف شرائح وفئات المجتمع يعد من الواجبات الأساسية على المهتمين بشأن تعليم ونشر اللغة العربية سواء كانوا أفرادا أو مؤسسات. ليتحقق التعليم والنشر في حده الأدنى على الأقل في مراحله الأولى وبذلك يمكن أن يكون للتعليم المبرمج دور لا يستهان به في تعليم ونشر اللغة العربية لتحقيق التواصل الحضاري. وقد أكدت المؤتمرات والندوات والدراسات الكثيرة على ذلك.

استخدام تقنية الحاسوب في الترجمة والتعريب وأثره في التواصل الحضاري.

الأصل في تسمية الحاسوب ترجمة لكلمة كمبيوتر وهي لفظة إنجليزية مشتقة من الفعل ومنها اسم فاعل لمعنى حاسب أو عدّاد (الفتلاوي، ص١٤٦).

ويحمل ظهور الحاسوب في ميدان التعليم بارقة أمل جديدة نحو تحسين تعليم اللغة ،وقد ظهر ذلك على يد" أتكنسون وهو برنامج في مجال التعليم كافة يمكن من خلاله تقديم المعلومات وتخزينها .مما يتيح الفرص أمام المتعلم ليكشف بنفسه حلول مسالة من المسائل ،أو التوصُّل لنتيجة من النتائج (زيتون،٢٠٠٢، ص٨٧).

وقد خدم الحاسوب اللغة عن طريق تقديمه للمتعلم صورة جذابة وأسلوب مشوق ،كما يمكن للغة أيضًا أن تخدمه فتهيئ المتعلمين لاستخدامه بتضمين مناهج اللغة العربية بما نسميه الثقافة الحاسوبية ،أي عرض بعض المعلومات عن الحاسوب وتطوره واستخداماته ، بوصفه إحدى التقنيات التي كان لها دور كبير في تطوير كافة قطاعات المجتمع في دروس التعبير والقراءة والإملاء وغيرها (عبد الإله، ص ٧٣).

والمتتبع لاستخدامات الحاسوب يلحظ مدى العلاقة الوثيقة بين اللغة العربية واستخدامات الحاسوب، وليس أدل على ذلك من اهتمام علماء اللغة بمحاولة تسخير اللغة العربية لخدمة هذه التقنية الحديثة، فهي تمتاز بخصائص فريدة تساعد على برمجتها آلياً، وبشكل يندر وجوده في لغات أخرى، فالانتظام الصوتي في اللغة العربية والعلاقة الدقيقة بين طريقة كتابتها ونطقها يدل على قابلية اللغة العربية للمعالجة الآلية بشكل عام، وتوليد الكلام وتمييزه آلياً بصورة خاصة. (الهرش، ١٩٩٩م ، ص٢٢١).

ومن الأدوار الرئيسة للحاسوب في نشر اللغة العربية وتحقيق التواصل الحضاري تطبيقات الحاسوب في التعليم المنتظم والتعليم المبرمج كما أشرنا آنفا، وكذلك ما يعرف بالترجمة والتعريب وهو ما سنتحدث عن دور الحاسوب فيهما هنا.

الترجمة تعني باختصار: نقل معاني نص من لغة إلى لغة أخرى مع مراعاة الدقة والأسلوب.

والتعريب يعني: صوغ الكلمة بصيغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية.

فدور الحاسوب في تعريب العلوم يتمثل أهمها في الآتي:

١. الجهود الكبيرة لبناء صرح لغة علمية عربية تكون ركيزة لمجتمع علمي حضاري مشرق، يدعمه لسان عربي قويم.
٢. إنشاء "مجامع اللغة العربية" في العديد من العواصم العربية، لتتولى تحقيق أهداف وخدمات عديدة للغة العربية وأتباعها .وما أنجزته هذه المجامع من: معاجم علمية ومترجمات ومؤلفات مع أنها لم تخلُ من عقبات وأخطاء وسلبيات.
٣. "الترجمة الآلية" من العربية وإليها حيث أصبحت في متناول اليد، وإن استمرار النجاحات بها، ومحاولة توفر الدقة والمصداقية، لكن ذلك ما يزال يستلزم المزيد من الجهد. (مختار، ١٩٨٦ ٧-١٨)وأما دور الحاسوب في الترجمة فيتمثل أهمها في الآتي:
   ١. المساهمة في ميدان إحصاء المفردات الواردة في النصوص أو المدونات .
   ٢. إضافة استخدامات دراسة الصيغ والبنى وكثير من الجوانب الصورية للغة، بسبب ما امتازت به من سرعة وقدرة تخزينية.
   ٣. إضافة إمكانية بناء البنوك اللغوية أو بنوك المعطيات اللغوية أو الاصطلاحية.
   ٤. إنجاز مشروع "الذخيرة اللغوية العربية"، أي "بنك للمعلومات اللغوية" أو "القاموس الجامع للألفاظ العربية المستعملة قديماً أو حديثاً "(الحاج صالح، ١٩٨٤، ٩٥-١٣١) وعملية الترجمة يمكن أن نلخصها في عمليتين أساسيتين : الأول: فهم النص الأصلي . والثاني: التعبير عن المحتوى والأسلوب بلغة أخرى.

وهناك ثلاثة أساليب مختلفة في الترجمة الآلية هي :

أ-الترجمة الآلية مع تحرير لاحق ، أي مراجعة بشرية بعد الترجمة الآلية.

ب-الترجمة مع التحرير السابق، بمعنى أن الإنسان يحرر النص المراد ترجمته أي أننا نعدل النص بحيث يستطيع أن "يفهمه" الحاسوب .

جـ- الترجمة التحاورية وهي مثال للتعاون بين الحاسوب وبين المترجم البشري ويعرف أحيانا بالترجمة الآلية بمعاونة الإنسان. فإذا أشكل على الحاسوب شيء أو لاحظ المترجم الذي يتابع عملية الترجمة على شاشة المرقاب مشكلة ما تدخل بصور مختلفة، حسب نوع الإشكال الوارد في العملية وهنا يأتي أيضا دور بنوك المصطلحات الآلية، وكذلك ما يعرف بمنسق النصوص أو معالج الكلمات، حيث نجد أن عددا من برامج تنسيق النصوص توفر إمكانات أخرى مفيدة للكاتب والمترجم، من أهما ما يلي :

١- التدقيق الإملائي: فحينما ينتهي المترجم يأتي بالبرنامج المذكور ويراجع آليا إذا ما كانت هناك أخطاء إملائية فيصححها . بل إن بعضها يقوم بالتنبيه إلى الأخطاء الإملائية أثناء الكتابة وتقدم المقترحات للتصويب إذا طلبنا منها ذلك.

٢- معجم المترادفات: يتوفر مع كثير من برامج تنسيق النصوص المكنز الآلي حيث يقدم للكاتب والمترجم المرادفات ليختار الأصح أو الأنسب منها.

٣- التدقيق النحوي والأسلوبي: تتوفر حاليا لبعض اللغات برامج حاسوبية للمراجعة أو التصحيح النحوي والأسلوبي ، حيث ينبه البرنامج المترجم أو الكاتب إلى الأخطاء النحوية والأسلوبية، بل وقد يقترح بعض التصويبات الممكنة.

وفي ظل الانفتاح الثقافي ، والتقدم التقني أصبحت اللغة العربية أمام تحديات كثيرة منها : قضية الذوبان بين اللغات من خلال الانترنت ووسائل الاتصال الأخرى، ومحاولات التغريب المستمرة، هذا بالإضافة إلى ضعف الأداء الغوي لدى المتعلمين الذي ينذر بأزمة خطيرة تواجه تعليم اللغة العربية وتعلمها.

وأمام تلك التحديات برزت الحاجة إلى إعادة النظر في تعليم اللغة العربية وتعلمها ونشرها، والتفكير في استخدام مداخل تعليمية حديثة تتناسب وروح العصر، وتقضي على المشكلات التي يعاني منها تعليم اللغة العربية، حيث بما يتسق مع طبيعة اللغة العربية، وطبيعة عمليتي تعلمها وتعليمها، ومع نتائج البحوث والدراسات في مجال العلوم المتداخلة، وما يناسبها من طرائق التدريس التي تتيح للمتعلم ممارسة اللغة واستخدامها.

ومن المداخل المهمة في هذا الخصوص :المدخل الوظيفي، والمدخل التكاملي، والمدخل الاتصالي، والمدخل الانتقائي ، والمدخل المهاري ، وقد حظيت تلك المداخل بدراسات معمقة أجريت في عدد من البلدان العربية أكدت فاعليتها في تعليم اللغة العربية وتعلمها ،ودعت إلى الإفادة من تلك المداخل تصميماً وتنفيذاً. وحديثاً فقد ظهر المدخل التقني في تعليم اللغات بوصفه اتجاها فرض نفسه بقوة تناسباً مع روح العصر ومتطلباته ، وهو ما تشير إليه هذه الورقة كتقنية من التقنيات الحديثة المستخدمة في تعلم وتعليم ونسر اللغة العربية لتحقيق التواصل الحضاري.(الزهراني، ٢٠٠٧م)

استخدام تقنية وسائل الاتصال الجماهيرية في الارتقاء باللغة العربية الفصحى وأثره في التواصل الحضاري: هناك عدة تعريفات للاتصال ومنها التعريف الآتي: الاتصال عملية يقوم بها الشخص في ظرف ما، بنقل رسالة ما، تحمل المعلومات، أو الآراء، أو الاتجاهات، أو المشاعر، إلى الآخرين، عن طريق الرموز، لتحقيق أهداف معينة.

وللاتصال عدة مستويات لعملية الاتصال هي :

الاتصال الذاتي : بين الشخص ونفسه .

الاتصال الشخصي : بين شخص وآخر.

الاتصال الجمعي : بين مجموعة من الأفراد .

الاتصال العام : بين فرد ومجموعة كبيرة من الأفراد .

الاتصال الوسطي : وهو اتصال يجمع بعض خصائص الاتصال الجماهيري والاتصال الشخصي مثل الدائرة التلفزيونية المغلقة .

الاتصال الجماهيري : وهو الذي يتم باستخدام وسائل الإعلام الجماهيرية(الصحيفة،المجلة، الإذاعة، التلفزيون،...) ويصل إلى جمهور عريض، متباين الاتجاهات والمستويات، والأفراد غير معروفين للقائم بالاتصال، تصلهم الرسالة في نفس اللحظة، وبسرعة فائقة، مع مقدرة على خلق رأي عام، وعلى تنمية اتجاهات وأنماط من السلوك غير موجودة أصلاً، والمقدرة على نقل الأفكار والمعارف والترفيه، والاتصال الجماهيري هو التسمية العلمية للإعلام.

لقد كانت كثير من وسائل الإعلام تعتقد واهمة أن الجمهور يفهم رسائلها، في حين أن العكس هو الصحيح. وعليه فمهما اختلفت لغة وسائل الإعلام فإنها تخضع لحقيقة بسيطة وهي:الوضوح ، والدقة، والمباشرة (العياضي،١٩٩١ ، ص١٥٩).

وللإعلام العربي تاريخياً في جانب اللغة، حقق فوائد جمة للمواطن العربي، نذكر منه: تطوير ما اصطلح على تسميته اللغة الثالثة، اللغة الصحافية والإذاعية التي صارت لغة مشتركة للتفاهم بين العرب. كما أنه مكّن، رغم سلطويته ورغم التنافر في المواقف السياسية بين الأنظمة التي وظفت وسائل الإعلام في معاركها البينية، من زيادة التعارف والتقارب بين الشعوب وبالتأكيد، فإن الإعلام الرقمي الحالي عمق أكثر من فرص الإطلاع بصورة أفضل على الواقع العربي، وقرب بين الشعوب العربية بصورة كبيرة وزاد من التفاعل بين أفرادها عبر الانترنت. وقد يكون لذلك آثار بعيدة المدى لا نستطيع أن نشير إليها بمعزل عن الثورة الرقمية التي أطاحت أشياء تقليدية كانت مسلمات في الماضي وقد أظهرت الدراسات والبحوث الميدانية التي أجريت في مجال أهمية وسائل الاتصال الجماهيري ومدى تأثيرها في عملية التثقيف والتربية والتعليم أن الإنسان يتعلم ٨٣ ٪ من خلال حاسة البصر و١١ ٪ من خلال حاسة السمع ويتذكر ٢٠ ٪ مما يسمع و٥٠ ٪ مما يسمع ويراه .. من خلال هذه الإحصائية نجد أن التلفزيون هو الوسيلة الأقوى والأكثر تأثيراً على المشاهد لذلك لابد من النهوض بوسائل الاتصال الجماهيري جميعها وخاصة في نشر لغة عربية فصحى موحد ة تعمل على تقوية الروابط القومية بين البلاد العربية (بلغيث،٢٠٠٦)

وإلى جانب الحديث عن اللغة العربية في وسائل الاتصال بشكل عام فهناك ما يختص بمجال التعليم ومنه تعليم اللغة العربية، حيث يوجد هناك نوعان هما:

١- التلفزيون ذو الدائرة المغلقة: ويتم الإرسال فيه عنه طريق شبكة خاصة بالجامعة والمؤسسة التربوية (يحي، ٢٠٠٥، ٢١٣).

٢- التلفزيون ذو الدائرة المفتوحة: وهو عبارة عن محطات إرسال تلفزيونية موجودة في البلد الواحد كالتلفزيون العربي مثلا، تنقل أجهزة الاستقبال الموجودة في المنازل من المحطات ما تبثه من برامج تلفزيونية إلى المشاهدين (الطلوب، ١٩٨٦ ٦٤-٦٥).

والمهم هنا هو التأكيد على إمكانية قيام وسائل الاتصال الجماهيري دورها في نشر اللغة وتعليمها وتحقيق التواصل الحضاري من خلال الرسالة الإعلامية، فالرسالة هي الوسيلة في عملية الاتصال أو بالأحرى هي اللغة وبدونها لا يمكن تحقيق الاتصال الجماهيري، وبما أن الكلمات ليست مصطلحات جامدة وإنما هي بالتركيب اللغوي والاستخدام تصبح نابضة بالحياة، وتحمل معاني ودلالات لذلك تقع على عاتق الإعلامي أو رجل الإعلام مسؤولية أن يعي بدقة أهمية أسلوب الاتصال اللغوي. وأن يضع في الحسبان قضية فهم الجمهور العام من هنا تظهر أهمية اللغة كأهم وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري .

إن وسائل الاتصال الجماهيرية أنشأت لغة جديدة تختلف عن لغة الأدب والعلم. وتعبر عن الحياة اليومية ببساطتها ووضوحها لذلك اختلفت الآراء حولها فهي عند البعض حدثاً لغوياً جديداً يتناسب مع متطلبات الشارع اليومي. وعند البعض الآخر تشكل خطراً على اللغة... ومهما يكن من أمر فإن وسائل الاتصال الجماهيري استطاعت أن تطوع اللغة وتجعلها أكثر مرونة حيث استولدت ألفاظاً ومصطلحات جديدة صاحبت النهضة القائمة. (بلغيث، ٢٠٠٦) لقد أصبح واضحاً أن الإعلام فن حضاري له أسسه ومرتكزاته، وأن لغته لغة جديدة تأتي في مقدمة حلقات وسائل الإعلام التكنولوجية؛ لأنها الأداة الأساسية في عملية التوصيل الإعلامي، لذلك فإن اللغة عامل مهم في فاعلية وسائل الإعلام الجماهيرية، فإذا كان هدف الإعلام الجماهيري هو الوصول إلى جميع قطاعات المجتمع. والتواصل معها والتأثير فيها والى توحيد مشاعرها، فإن اللغة هي السبيل الأول للوصول إلى الهدف؛ لأنها تشكل حلقة أساسية من حلقات وسائل الاتصال. وبقدر ما تكون هذه اللغة مفهومة من قبل الجميع فإن الرابطة بين الإعلام والمجتمع تتحقق على نحو يخدم عمليات التنمية بأشكالها كافة أما على الصعيد القومي فإن لغة الإعلام الفصحى المبسطة والمشتركة هي اللغة الوسط التي لا بد لها؛ لتعميم الإعلام وتأثيره لكي يقوم بدوره على أكمل وجه في عملية التواصل بين الجماهير العربية.

إن وجود لغة إعلامية بعيدة عن العامية هي التي تشكل الجماهيرية التي ينشدها الإعلام العربي لأنها الوسيلة نحو توحيد المشاعر ومن خلالها يمكن أن نتجاوز حدود القطر الواحد وصولا إلى القومية للتعبير عن متطلبات الجماهير وآمالهم وآلامهم من مشرق الوطن العربي إلى مغربه لذلك من واجب الإعلام العربي أن يسعى إلى تأسيس وترسيخ لغة إعلامية لها تأثيرها الكبير على الناس وتحقق تواصلاً حقيقياً ينبض بروح

الشعب هي فصحى ومعبرة إذا أحسن استخدامها وهي اللغة الإعلامية الأوسع انتشاراً لأنها مفهومة من قبل الناطقين بهذه اللغة القومية التي يجب أن تبقى لغة حضارية وعصرية وتتماشى مع التطور التقني الحاصل في مختلف المجالات.

إن واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام على الرغم من أن العربية تعد اللغة الأولى في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، غير أن واقعها على مستوى الممارسة الفعلية(من خلال الحوار والإنتاج الفكري)، يتقهقر إلى آخر السلم لتأتي بعد اللغة اليونانية التي لا يتكلمها إلا حوالي ١٠مليون! ومع تنامي وسائل الاتصال وسعة انتشارها،وكثرة الإقبال عليها، ولاسيما منها وسائل الإعلام المرئية، ازداد التوجس من مغبة تحول هذه الوسائل –بما تملكه من نفوذ جماهيري إلى معاول تنسف اللغة،وتفسد استقامة اللسان، وتهوي بالذوق اللغوي إلى الحضيظ. لاسيما إذا كان الجمهور يقبعون أمام جهاز التلفزيون أكثر مما يجلسون في أماكن العمل والأسواق ومقاعد الدراسة، فعلى سبيل المثال فإن التلاميذ مرحلة الدراسة الثانوية يكون التلاميذ قد قضوا ٢٠٠٠٠ساعة مشاهدة في مقابل ١٥٠٠٠ساعة في المدرسة ،ومع إغراءات الوسيلة الإعلامية تقيم جسرا منينا مع هؤلاء تتسلل من خلاله قيم معرفية عديدة،قد تؤدي إلى إزاحة ما تقدمه المدرسة أو على الأقل مزاحمته.

فاللغة في التلفزيون تتعرض يوميا لموجات من التشويه والتحريف،والواقع أن لغة التلفزيون في شتى البرامج والأفلام تخترق حرمة اللغة الخاصة التي يكونها كل إنسان لنفسه وتتكون فيه من خلال عائلته وبيئته ووطنه (العياضي ،١٩٩١، ١٥٩).

وقد أشارت إحدى الدراسات التي حاولت رصد دور بعض البرامج التي تبثها بعض الإذاعات والتلفزيونات العربية في تلبية احتياجات الأطفال إلى أن:اللهجة العامية هي الغالبة على البرامج الموجهة للطفل، يليها استخدام لهجة تجمع بين الفصحى والعامية،مما يشير إلى أن برامج الأطفال لا تسهم بدورها المفروض في الارتقاء بالمستوى اللغوي للأطفال(اقليني، عبد العظيم،٢٠٠٢، ١١١) وفي دراسة أجريت على عينة من الشباب الجامعي حول دور الفضائيات العربية في نشر الثقافة العربية، ذكر نسبة (٤٥ ٪) من المبحوثين أن القنوات الفضائية العربية أدت إلى تخريب الذوق اللغوي العربي من خلال استعمال العامية الفجة،ومسلسل الأخطاء اللغوية الشائعة والمتكررة، والتوظيف السيئ لأسماء البرامج،إضافة إلى ضعف مستوى مقدميها.

وفي ذلك بيان كاف على أن وضع اللغة العربية على شاشات الفضائيات العربية غير مريح ولا يبعث على الأمل إلا ما ندر حيث نجد بين الحين والآخر محاولات تثلج الصدور لكنها تتسم بالظرفية وتفتقد عامل الاستمرار ومن أمثلة البرامج التي ساهمت في التعريف بالكثير من قضايا اللغة والأدب العربيين نذكر برنامج افتح يا سمسم ،مدينة القواعد ،لغتنا الجميلة ،كلمات ودلالات ،فرسان الشعر...الخ من البرامج التي صالت بالمشاهد وجالت في بحر اللغة العربية وشواطئها الجميلة،ولعل هذه المبادرات الخلاقة تستدعي الإشادة

والتنويه وتستنهض هممنا للمطالبة بمزيد من المشاريع الإنتاجية بغرض سد الثغرات وتجاوز النقائص وهو أمر يتطلب تظافر الجهود الغيورة على اللغة العربية رسمية كانت أو شعبية إضافة إلى التنسيق المحكم بين الفضائيات العربية وتوحيد جهودها الإعلامية خدمة للهدف المشترك، وهو النهوض بالثقافة العربية وجعلها مواكبة للتحولات ومواجهة للتحديات التي يفرضها عصر العولمة.

فعلى الرغم من أن عدد القنوات الفضائية العربية يزيد عن١٩٢قناة, حكومية وخاصة ,عامة ومتخصصة, فإن البرامج التي تُقدم بالفصحى قليلة, وأغلبها سيء التنفيذ والإخراج ويغيب فيه الاهتمام بجماليات اللغة العربية, ويفتقد عنصر التشويق الإعلامي, أما معظم البرامج والمحتويات الأخرى, فإنها أكثر ميلا إلى توظيف العاميات المحلية واللهجات المزوجة بالألفاظ الأجنبية, فيما عدا بعض المسلسلات التاريخية, والأخبار, وبعض الحصص الخاصة, نجد أن العامية تسرح وتمرح وتقدم إلى الجمهور على أنها لغة العصر, والغريب أن هذه العدوى تسللت إلى بعض البرامج الثقافية التي بدأت تنزع إلى تطعيم نفسها بالعامية نزولا عن رغبة الجمهور الذي كان من المفروض أن يرتقي هو بنفسه إلى مستوى فهم هذا الخطاب.ولذلك لا نبالغ إذا قلنا إن تفصيح لغة وسائل الإعلام أضحت فكرة غير مستساغة لدى الكثير من القائمين على الإعلام في الوطن العربي.

ومن الطبيعي أن يؤدي هجر اللغة إلى هجر الثقافة والقيم المرتبطة بها، وبذلك يتأسس فراغ لغوي وثقافي تتدفق اللغات والثقافات الأجنبية إلى ملئه (ليلة، ٢٠٠٣،٥٤).

ولمواجهة عصر الكوكبية والتفجر المعرفي المتنامي لثورة الاتصالات والمواصلات، والسماء المفتوحة، كان لابد من الرجوع إلى اللغة العربية بوصفها بوتقة الانصهار العربي والوجداني والفكري لأمة عربية واحدة.اللغة العربية هي التي تصنع وحدة الفكر والعقل(عيد،٢٠٠٢،٦٤).

واستعمال الفصحى لغة للإعلام ليس مطلبا عسير المنال، فلغة الإعلام هي الفصحى السهلة المبسطة في مستواها العملي...والمرونة والعمق، وهي الخصائص التي تجعلها تنبض بالحياة والترجمة الأمينة للمعاني والأفكار، والاتساع للألفاظ والتعبيرات الجديدة، التي يحكم بصلاحيتها الاستعمال والذوق والشيوع(شرف، ١٩٩٨،ص١٠٧-١٠٨)

وتتسم لغة وسائل الاتصال بما يلي: (الشيخ، ٢٠٠٨ شرف، ١٩٩٨،ص١٠٧-٢٤٥،١٠٨-٢٥٠)

١- لغة الإعلام هي اللغة التي تخاطب جمهوراً مشتركاً لا يجمع منه أقوى من هذه اللغة الواحدة المشتركة العامة للبلاد العربية.

٢- لا تعدو اللهجات أن تكون أدوات ووسائل للتعبير البيئي الضيق.

٣- لغة الإعلام هي الفصحى السهلة الميسرة في مستواها العملي عن المستويين: العلمي التجريدي، والتذوق الجمالي، وهذا المستوى العملي الفصيح في اللغة يعين الرجل العادي على التزود بالثقافة

في مفهومها العام، ويأخذ بيده إلى مجال من الفكر أوسع وأرحب على حد تعبير الدكتور بشير، ولا يسد على المثقف أو العالم طريقه إلى ما ينشده من معرفة أجود وخبرة أعمق.

٤- اللغة المذاعة مسموعة كانت أم مرئية تتميز بسمات يمكن أن تكون اللغة العربية خير معين لها أكثر من اللغات واللهجات الأخرى وذلك لما تتمتع به من رصيد معرفي زاخر. ومن الصعب التنبؤ بمستقبل اللغة العربية في وسائل الإعلام المرئية حيث لابد أن يتم إعداد الدراسات اللازمة حول الصيغ الإعلامية التي ينبغي على وسائل إعلامنا القيام بها والتي يمكن أن تدفع بتطور اللغة العربية في هذه الوسائل ولا يكفي أن نطلق لفظ العربية على وسائلنا الإعلامية بحكم الجغرافيا فقط وما يدل على ذلك ما يلي:(الشيخ،٢٠٠٨)

- أشارت إحدى الدراسات التي حاولت رصد بعض البرامج التي تبثها بعض الإذاعات والتلفزيونات العربية إلى أن: اللهجة العامية هي الغالبة على البرامج الموجهة للطفل ، يليها استخدام لهجة تجمع بين الفصحى والعامية، مما يشير أن برامج الأطفال لا تهتم بدورها المفروض في الارتقاء بالمستوى اللغوي للأطفال.

- في دراسة أجريت على عينة من الشباب الجامعيين حول دور الفضائيات في نشر الثقافة العربية، ذكر نسبة ٤٥٪ من المبحوثين أن القنوات الفضائية أدت إلي تخريب الذوق اللغوي العربي من خلال استعمال العامية الفجة ومسلسل الأخطاء اللغوية الشائعة والمتكررة والتوظيف السيئ لأسماء البرامج، إضافة إلى ضعف مستوى مقدميها.

ولكي نبني مستقبلا مشرقا لابد من التعامل مع العامية بجدية وخصوصاً ما يسمى بضبط التعامل مع العامية خصوصاً في وسائل الإعلام المرئية المحلية وذلك من خلال الآتي:(بليبل،٢٠٠١م، ص ١١٣-١١٤)

-إن العامية في حياة الأمم واقع لا يمكن نكرانه أو القفز عليه، فهي في جميع الحالات تمثل جزءاً من شخصيتها، بسلبياتها وايجابياتها، مع ذلك ينبغي لنا أن نؤكد حقيقة هامة، وهي أن العامية لا يمكن اعتبارها رافداً يغذي العربية، بل قد تشوه حقيقتها، وتقوض أعمدتها وأصولها.

-العامية من الناحية الاتصالية قد تؤدي دوراً محدوداً جداً، فقد تؤدي وظيفتها الخاصة بالفهم في حدود الملاحظة التي تلهج بها، بيد أنه يتقلص دورها كلما ابتعدنا عن موطن اللهجة ، وحتى محاولات فهمها يظل صعب المنال، في حين إذا تعلق الأمر بالعربية الفصحى، فالقواميس التي وجدت لهذا الغرض يمكن أن تقدم خدمات جليلة لمن يريد فهمها أو التعمق فيها، ويجب التنبيه أيضاً إلى أن تهذيب وصقل العامية أو ترقيتها لا ينبغي أن يتم إلا من لدن خبير بأسرار اللهجة واللغة الفصحى، كما يجب في كل مسعى.

-إذا كانت العامية تستمد ألفاظها من ينابيع لا حصر لها، وإذا كانت وسائل الإعلام السمعية والبصرية تشكل المصدر الأساسي لتداول الألفاظ والمفردات ، فمن الأنفع استغلال هذه الوسائل كل واحدة حسب

طبيعتها، من أجل تزويد الناس برصيد لغوي جديد يسهم في ترقية لهجاتهم أو يصحح نطقهم للألفاظ العامية ذات الأصول العربية.

ولا ننسى كما ينسى الكثيرون أن استخدام اللغة العربية في وسائل الإعلام يقتصر في القضايا النحوية والأسلوبية وينسون اللغة العربية ذاخرة كثيراً بالشعر والنثر والأدب. وكلها معارف ثقافية يمكن أن تعين المقدم التلفزيوني في تقديم البرامج فضلاً عن أهميتها في القصص الإخبارية حيث يمكن الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي عند بناء تقرير أو قصة إخبارية ذات طابع درامي تشويقي.

وبالتالي يمكن أن نقول: إن هناك العديد من المهارات التي تصلح لبعض البرامج التلفزيونية، كالبرامج الحوارية ذات الطابع الثقافي والفني وبالتالي قد لا نحتاج إلى العامية، ويمكن أن يكون رداً عملياً على الذين يقولون: إن اللغة العربية الفصحى في المجال النحوي فقط وفي نشرات الأخبار. إذ أن بمقدار التراث المعرفي الذي تحظى به اللغة العربية أن نفرد مهارات اللغة العربية وآدابها حسب طبيعة البرنامج. ومن تلك المهارات التي ينبغي أن يقوم بها الإعلامي خصوصاً في وسائل الإعلام المرئية، ومن هنا يمكن للإعلامي أن يقوم من خلال اللغة العربية ومهاراتها بالوظيفة التربوية على أكمل وجه. (الهاشمي، ٢٠٠٦م، ٢٥٤٣)

ولكي نبني مستقبلاً زاخراً للغة العربية لابد أن يكون هماً إسلامياً قبل أن يكون هماً عربياً ، كما أننا نحتاج لإجراء العديد من الدراسات في إمكانية توظيف اللغة العربية من جميع جوانبها وأن نوظف البرامج التلفزيونية في وسائل إعلامنا بما يقتضي طبيعة هذه البرامج واللغة التي يمكن أن توظف بها، فضلاً عن التدريب العملي المنتظم للإعلاميين وهذا من شأنه أن يسهم في التنمية اللغوية وتأخذ وسائل إعلامنا المرئية الريادة في الاتصال الدولي عبر التمسك باللغة العربية ثقافياً ومنهجياً وسلوكياً وحضارياً. (الشيخ،٢٠٠٨)

استخدام تقنية شبكة الانترنت والإعلام الرقمي في نشر علوم اللغة العربية وأثره في التواصل الحضاري:

أولت الحضارة العربية على مدى تاريخها عناية فائقة للكتاب باعتباره مفتاحاً للمعرفة ووسيلة للتعليم، فتأسست في مختلف بقاع البلاد العربية شرقاً وغرباً مكتبات عامرة وتنافس أصحاب الفكر والعلم وأهل الرياسة والسلطة في جمع الكتب وإنشاء المكتبات وفتحها أمام طلاب العلم، وقد بلغت الأمة العربية في العناية بالكتب ما لم تشهد البشرية له مثيلاً، فكان الاحتفاء بالكتابة والتأليف والإبداع أساس تقدم الأمة وتطورها وبناء حضارتها العظيمة. وقد سجل ذلك المؤرخون ووثقوه وشهد به الدارسون والمستشرقون، ونوهوا به. (ألكسندر سيبتفيتش، ١٩٣٣،٢٢٢). واعتبروه أساساً بنيت عليه الحضارة الحديثة والثورات العلمية المعاصرة (توبي،١٩٩٧،٩٠)وإذا كان هذا ماضي الأمة العربية الإسلامية، فإنها أضحت اليوم في حال من التخلف عن الركب الحضاري العالمي والتأخر عن مواكبة التطورات العلمية والتقنية المذهلة، فصار من الملح العمل على استدراك ما فاتها لتسترد مكانتها وتواكب عصرها وتستغل الفرصة التي تتيحها المبتكرات التقنية، خاصة الثورة الرقمية، في تدارك الخلل وتقليص الهوة التي تفصلها عن الأمم الرائدة.

شهد العصر الحديث اطراد المخترعات وتواتر الاكتشافات العلمية المرتبطة بتطور مصادر الثقافة منذ اختراع المطبعة التي مكنت من تجاوز عائق نشر المعارف والعلوم وإتاحتها لقاعدة عريضة من الناس، إلى الثورة المذهلة التي تفوق في قوتها وتأثيرها ظهور الطباعة، وهي الثورة الرقمية: ثورة المعلومات والاتصالات والنشر الإلكتروني والشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنيت) وأثر كل ذلك في المفهوم التقليدي للمكتبات، وبرزت تصورات جديدة وطرق حديثة متطورة للاستفادة من أوعية المعرفة تمثلت في استغلال تقنيات الحاسوب والاتصالات في تخطي حواجز الزمن والمكان وحدود القدرة البشرية في البحث والاستقصاء والتحليل.

ومن هذه المخترعات شبكة الإنترنت وهي شبكة كبيرة من الحواسيب متصلاً بعضها ببعض بواسطة برتوكولات وأنواع ربط متعددة، (الهرش، ٢٠٠٠، ص ١٧٦).

وكلمة إنترنيت Interent ،ذات أصل إنجليزي تتكون من مفردتين International وتعني عالمية وشبكة وبهذا يكون معنى تسمية إنترنيت الشبكة الدولية (عبود، ٢٠٠٧، ص١٤٥)

وتمنح اليوم شبكة الانترنت فرصة الاتصال المباشر وتمكن من الوصول إلى قواعد البيانات ونصوص ومقالات المجلات، وتقارير البحوث ، والمراجع المختلفة وغير ذلك من الوثائق والمطبوعات المتنوعة التي تقدمها المكتبات على كافة أنواعها المنتشرة في معظم أنحاء العالم (محمد وآخرون، ٢٠٠٤ ، ١٣٥)

فالاستفادة منها تعليميًا تكمن في التمرين والممارسة، والحصول على برامج تعليمية بحتة، وحل المشكلات العلمية ومعرفة ما توصل إليه العلم في المجالات الحياتية (سعادة وآخرون، ٢٠٠٣، ١٢٥)ومما ينبغي على المهتمين استخدام الشبكة التي توفر العديد من الفرص بطريقة ممتعة (فرج، ٢٠٠٧،٣٧٠-٣٧١)

ومن القضايا الأساسية التي تقدمها شبكة الانترنت في نشر اللغة العربية وتحقيق التواصل الحضاري المكتبات الرقمية مما يوجب إيجاد هذه المكتبات لما لها من دور كبير في الإشعاع الحضاري للأمة، حيث يمكن لكل راغب في أي منطقة من العالم وباللغات العالمية المتاحة أن يحصل بسهولة ويسر المعلومات والمعارف والنصوص والوثائق، كما ستمكن هذه المكتبة من تمتين التواصل بين الباحثين العرب والمسلمين والمهتمين بالتراث والفكر العربي الإسلامي، من الأقطار المختلفة في مختلف التخصصات، وبين المثقفين والقراء على وجه العموم، وبذلك ستسهم المكتبة الرقمية في إيجاد روابط ثقافية متينة بين البلاد العربية والإسلامية، وبناء فضاء عربي إسلامي فكري وعلمي على الشبكة العالمية للمعلومات ثم على الطريق السريع للمعلومات الذي سيخلفها مستقبلاً- عندما تتجاوز العوائق التقنية والفكرية التي تحول دون انطلاقها حالياً (جيتس ، ١٩٨٨م،١٤٩).

وستمكن المكتبة الرقمية أخيراً من التعريف بالحضارة والفكر والثقافة العربية في العالم بأسره بتوجهها لزائريها بلغاتهم وعملها على إبراز الصورة الحقيقية للفكر العربي الإسلامي النير الخلاق في مختلف

تجلياته، كما ستحفظ للثقافة العربية مكانتها بين نظيراتها في العالم في هذا العصر الذي تؤول فيه الثقافات واللغات المهملة إلى الاضمحلال والانقراض.

وتشهد الساحة العالمية حالياً منافسة حادة ومحمومة بين الثقافات والحضارات واللغات لاستغلال هذه التقنيات وشغل الحيز الأوفر من المجال الرقمي الذي تتيحه المعلوماتية، ولعل أجلى مثال على ذلك دراسة إحصائية أجرتها منظمة اليونسكو وشاركت فيها ٣٩ مكتبة وخزانة وطنية وجامعية من مختلف أنحاء العالم، وتبرز هذه الدراسة أن٤٨ % من المكتبات المشاركة في الإحصاء (منها ثلاث بلدان إسلامية ليس بينها أي دولة عربية وهي إيران وأندونيسيا وماليزيا) تعمل في مشاريع رقمنة محتوياتها التراثية مقابل ٥٢ % لا زالت أغلبيتها في طور الإعداد والتفكير في وضع مخططات من هذا النوع، كما أن ٤٢ % من هذه المشاريع وضعت في سنة ١٩٩٥-١٩٩٦ (فارمالوف، الرقمنة والصيانة) إضافة إلى ذلك تسعى الدول المختلفة لدعم ثقافتها وفكرها وحضارتها على الشبكة العالمية، بإحداث مواقع إلكترونية تضم تراثها وخلاصة فكرها وثقافتها؛ من مصادر ووثائق ومراجع وموسوعات ومعاجم... ومواد سمعية بصرية من صور وأفلام وتسجيلات صوتية وموسيقية(برنامج الأمم المتحدة الإنمائي،٧١، ٢٠٠٢).

ويكمن أهمية المكتبة الرقمية في التواصل الحضاري ونشر اللغة العربية بنشر دراسات عن تاريخ الأمة وحضارتها وفكرها وإسهامها في الحضارة العالمية وإبراز خلاصة أعمال المفكرين العرب والباحثين المسلمين في المجالات العلمية والاجتماعية والأدبية في الماضي والحاضر، وتمكين عامة متصفحي الشبكة العالمية للمعلومات من الاطلاع عليها بلغات مختلفة على أساس اختيار لغات الفئات الأكثر استعمالاً للشبكة العالمية للمعلومات وعلى رأسها الإنجليزية والصينية والإسبانية والروسية والفرنسية... وبذلك تمكن هذه المكتبة الرقمية العربية- مباشرة ودون وسائط- من تقديم صورة واضحة عن الثقافة العربية الإسلامية وعن إسهاماتها الحقيقية في الفكر الإنساني.

ولعل العناية بالمعرفة وتداول المعلومات أحد أهم مداخل هذه النهضة المرتقبة، وتعد المكتبة في طليعة الوسائل المعتمدة لتحقيق هذا الهدف، إذ هي وعاء المعارف بما يتوفر فيها من كتب ووثائق ونصوص... كما أنها ركيزة أساسية في اكتساب المعرفة، حاضرة في جميع مراحلها من النفاذ إلى المعلومات إلى تنظيمها ثم استخلاصها وتطبيقها وانتهاء بتوليد المعارف الجديدة (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي،٧١، ٢٠٠٢) .

ولعل هذه الأسباب التي ذكرناها وغيرها هي التي دفعت الدول العربية إلى اعتبار إنشاء مكتبة رقمية عربية ضمن المشروعات الأساسية للتنمية البشرية لذلك أضحى ضرورياً التفكير بجدية والعمل بسرعة لإخراج مشروع هذه المكتبة (أو المكتبات) العربية الرقمية إلى الوجود لتعمل على النهوض بكفاءة واقتدار بالثقافة والفكر العربيين (مجلس الوزراء العرب، ٢٠٠٢).

فاللسان واللغة التي هي أداة التفاهم والتواصل، وهي وعاء الفكر وقالبه الحي، وما نراه اليوم هو طغيان الثقافة الغربية؛ حيث تشكل اللغة نسبة عالية من الإسهام في نقلها، ولا أدل على ذلك من أن (٨٨٪) من معطيات الإنترنت باللغة الإنجليزية، و(٩٪) بالألمانية، و(٢٪) بالفرنسية، و(١٪) يوزع على باقي اللغات (الشحود،٢٠١٠)

ولم تعد المنافسة متعلقة بمجرد النشر على الشبكة العالمية للمعلومات وإنشاء المواقع الكثيرة العامة والمتخصصة التي تهدف إلى نشر المعرفة العامة، بل تجاوز الأمر ذلك إلى إنشاء مكتبات رقمية (افتراضية) (نبيل علي، ٢٠٠١، ١٠٣) وهي مواقع علمية موثقة القصد منها تجميع النصوص والوثائق على اختلاف أشكالها وترتيبها وفق نظم معينة لتوفيرها للمتصفحين المهتمين، متنوعة ومتخصصة ومتكاملة ومرتبطة فيما بينها بروابط تشعبية. ومن المكتبات العالمية الرائدة في هذا المجال التفكير في هذا المشروع بمشاركة سبع مؤسسات هي المكتبة الوطنية الفرنسية ووزارة الثقافة والاتصال الفرنسية والمكتبة الوطنية لمجلس النظام باليابان، ومكتبة الكونغرس الأمريكية والمكتبة الوطنية الكندية، والمكتبة الألمانية والمكتبة البريطانية ودار المحفوظات السمعية بإيطاليا. وانضمت إليها لاحقاً المكتبات الوطنية بكل من سويسرا والبرتغال وإسبانيا وجمهورية التشيك والمكتبة الملكية لألبير الأول ببلجيكا ومنظمة اليونسكو بصفة مراقب. ويمكن الاطلاع على معطيات المشروع في الموقع التالي: www.konobid.nl/gabriel.

دون أن نغفل الإشارة إلى مشروع المكتبة الكونية الذي وضع أساسه قادة الدول السبع الأكثر تصنيعاً في العالم ضمن مشروع المجتمع المعلوماتي سنة ١٩٩٥ والذي يقدم فكر هذه الدول- أي الفكر الغربي- على أساس كونه فكراً كونياً (السعيدي، المؤتمر العلمي الأول اللغة العربية جسر التواصل الحضاري)

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل عملت مراكز البحث والتخطيط في الدول المتقدمة على وضع مشاريع مكتبات رقمية حول الوطن العربي شرقه وغربه لتضم الكتب والمجلات والجرائد خاصة النادر منها، وتبرز خطورة هذه المكتبات في كونها تقدم تراث الأمة وفكرها حسب تصورات الغرب التي تجانب في الغالب الأعم الدقة والإنصاف. ومن نماذج هذه المكتبات مشروع " المكتبة الرقمية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا الذي تنجزه جامعة هالي الألمانية منذ أكتوبر ٢٠٠٠، والذي يستهدف إنشاء قاعدة بيانات حول شمال إفريقيا والشرق الأوسط. هكذا صارت الشبكة العالمية للمعلومات كما قال أحد الباحثين كتاباً عالمياً بلغات متعددة يكتبه الجميع ويقرؤونه وتبحث فيه كل أمة عن مكان تنشر فيها فكرها شخصيتها وهويتها (دولاني،٢٠٠٢، العدد٣)وتبعاً لهذه المعطيات فإن التفكير في تأسيس مكتبة عربية رقمية أو مكتبات عامة ومتخصصة أضحى أمراً ملحاً وضرورياً انطلاقاً من ثلاثة أمور: أولها: تطور تقنيات المعلومات عقب اختراع ورواج وسائل التخزين خاصة الأقراص الليزرية بسعتها الهائلة وظهور الأوعية المقروءة آلياً كالكتاب الإلكتروني، وتطور شبكات المعلومات (الإنترنيت)، وما يتيحه كل ذلك من قدرة هائلة على حفظ المعلومات وسرعة تداولها في أشكالها

المختلفة من نصوص وصور جامدة وصور متحركة وأصوات... لذلك سارعت الدول والحكومات والمؤسسات لإنشاء مراكز ومجمعات ومكتبات رقمية تعمل على رقمنة المواد المعرفية (نصوص، وصور، ووثائق، وأصوات، وصور متحركة).

ثانيها: إتاحة المكتبة الرقمية- بفضل تقنيات النشر الرقمي- اقتصاد التكاليف الكثيرة في بناء المكتبات التقليدية وتأثيثها وصيانة محتوياتها، والتقليل من الحاجة للخبراء المكتبيين، وقاعات المطالعة الكبيرة وتقديم الخدمات المعلوماتية للجميع مما سيؤدي إلى تخفيض التكاليف وتحسين آلية التداول وسهولة التحديث والتوجه بالتكاليف للتجهيزات الإلكترونية والحواسب، إضافة إلى تلبية رغبات ذوي الحاجات الخاصة كالمكفوفين والصم والبكم والمعاقين، حيث تمكن الوسائط الإلكترونية من توفير طرق الإطلاع على البيانات المناسبة لهم. ولا يعني هذا التطور التقني اختفاء المكتبات التقليدية في المدى المتوسط- بالنسبة للبلاد العربية على وجه الخصوص- بل اتساعاً في خدمات المكتبات الرقمية واهتماماً أكثر بها، وتحولاً في وظائف المكتبات من مجرد توفير خدمة الإطلاع على الكتب والمحفوظات بشكل عام إلى أن تصبح دور طبع ونشر إلكتروني

ثالثها: حال الثقافة العربية في الوقت الحاضر على الشبكة العالمية للمعلومات واتسامها بالضعف والقصور وانطلاقها من مبادرات متفرقة لأفراد أو مؤسسات محدودة، وعمل كل طرف في عزلة عن الآخر من دون تنسيق أو وضع استراتيجية موحدة أو منظور شمولي. ومن ناحية المضامين الثقافية والفكرية يلاحظ ضعف الرصيد المعرفي الموثق بطريقة علمية، وغلبة الموضوعات العامة سواء التراثية أو الإخبارية التحليلية للأحداث وقلة ا لمضامين العلمية والتقنية، فضلاً عن تدني القيمة العلمية. فهناك كم هائل من الكتب التأليفات والمتون الشعرية التراثية في مواقع عديدة حافلة بالأخطاء المطبعية والعلمية مما يجعلها موجهة للقراء الهواة دون الدارسين وطلبة العلم والمتخصصين، ولما كان غالب مستعملي الشبكة العالمية للمعلومات في الوقت الحاضر بالوطن العربي من الطلبة والتلاميذ والأكاديميين ذوي الحاجات الماسة للمضامين الموثقة بطريقة علمية والمتميزة بالأصالة، فإن أعمال النشر الرائجة الآن على الشبكة تصبح غير ذات معنى أو فائدة.(السعيدي، 2003، عدد 90، 146) .

وعليه فإن شبكة الانترنت تعد تقنية رقمية ليست بالهينة تتطلب بذل كل الجهود الممكنة في تعليم اللغة العربية ونشرها وتحقيق التواصل الحضاري.

النتائج والتوصيات

نتائج البحث:

١. أهمية استخدام التقنية الحديثة في التعليم المبرمج والتعلم الذاتي لتعليم اللغة العربية ونشرها لتحقيق التواصل الحضاري
٢. ضرورة استخدام تقنية الحاسوب في الترجمة والتعريب لتعليم اللغة العربية ونشرها لتحقيق التواصل الحضاري.
٣. استخدام تقنية وسائل الإعلام الجماهيرية في الارتقاء باللغة العربية الفصحى في لغة الإعلام لتعليم اللغة العربية ونشرها لتحقيق التواصل الحضاري.
٤. استخدام تقنية شبكة الانترنت في تعليم اللغة العربية ونشرها لتحقيق التواصل الحضاري.
٥. للغة العربية قدرة على مواكبة التطور المعرفي والتقني للحضارة المعاصرة.
٦. أهمية مجامع اللغة العربية في الإسهام بالبحوث العلمية في وسائل إعلامنا المحلية.
٧. فاعلية الرسالة الإعلامية للفضائيات العربية بما يخدم اللغة العربية ويسهم في الارتقاء بها .
٨. دور إنتاج المصطلحات العربية وترويجها إعلاميا والمتابعة المستمرة لأنشطة المجامع اللغوية ومراكز التعريب.
٩. إمكانية نقل الوعي باللغة من مستوى النخبة إلى مستوى الجماهير.
١٠. دور مؤتمرات مناهج اللغة العربية لمواكبة التطورات التقنية والاستفادة منها .

توصيات البحث:

١. العناية باستخدام التقنية الحديثة في التعليم المبرمج والتعلم الذاتي وتيسير تعلم اللغة العربية ونشرها ولاسيما غير الناطقين بها .
٢. الاستفادة من تقنية الحاسوب وإيجاد برامج ذات جودة عالية في الترجمة والتعريب.
٣. الحرص على استخدام اللغة العربية البسيطة والارتقاء المستمر المتدرج في استخدام الفصحى في وسائل الإعلام الجماهيري.
٤. توظيف شبكة الانترنت والإعلام الرقمي في تعليم اللغة العربية ونشرها .
٥. تشجيع مجامع اللغة العربية في الإسهام بالبحوث العلمية في وسائل إعلامنا المحلية.
٦. استغلال الرسالة الإعلامية للفضائيات العربية بما يخدم اللغة العربية ويسهم في الارتقاء بها .

٧. إنتاج المصطلحات العربية وترويجها إعلاميا والمتابعة المستمرة لأنشطة المجامع اللغوية ومراكز التعريب.
٨. ضرورة التنسيق بين المهتمين في دفع اللغة العربية بالقيام بدورها في التواصل الحضاري.
٩. ضرورة عمل استراتيجية عربية إسلامية لمواجهة كل ما يشوه ويحارب اللغة العربية.
١٠. ضرورة إيجاد ميثاق شرف مهني يتوافق عليه أهل اللغة والإعلام بضرورة الحفاظ على العربية.

خاتمة البحث:

تناولنا في هذه الورقة موضوع استخدام التقنية الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلمها ونشرها وأثره في التواصل الحضاري، من خلال استخدام تقنية الحاسوب في تعليم اللغة العربية المبرمج والتعلم الذاتي ، واستخدام تقنية الحاسوب في الترجمة والتعريب ، واستخدام تقنية وسائل الاتصال الجماهيرية في الارتقاء باللغة العربية الفصحى، واستخدام تقنية شبكة الانترنت والإعلام الرقمي في نشر علوم اللغة العربية وأثر ذلك كله في التواصل الحضاري.

ومع التناول غير المتعمق لمفرداته نتيجة تعددها فيكتفي منه بأنه أوقف على ملامح عامة حول أهمية استثمار التقنية الحديثة في خدمة اللغة العربية من حيث التعليم والتعلم والنشر، وما يحققه هذا الأمر في تحقيق التواصل الحضاري بين الأمة العربية وغيرها من الأمم.

كما أكد الدور المطلوب من المهتمين بهذا الشأن سواء كانوا أفرادا أو مؤسسات أو دول في القيام بدورهم في خدمة لغة القرآن ولغة حضارة الإسلام ولغة الحضارة القادمة للبشرية. والنهوض بهذا الدور مسؤولية الجميع وبقدر ما يبذل من جهد في هذا المضمار تكون الثمار يانعة بإذن الله.

المراجع

١. أسامة ابوردان، أصول التدريس – جامعة دمشق - منشورات جامعة دمشق، مجلة المعلم العربي: عدد٢,١
٢. ألكسندر سيبتفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة محمد الأرناؤوط، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٦٩، يناير ١٩٩٣، ص ٢٢٢.
٣. أيمن محمد عبد القادر الشيخ، اللغة العربية في وسائل الإعلام المرئية، المؤتمر الدولي في تطوير تعليم اللغة العربية، اللغة العربية والعولمة وجهاً لوجه ٢٣-٢٥ نوفمبر،٢٠٠٨م، جامعة مالانج الحكومية، كلية الآداب – قسم الأدب العربي.
٤. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، المكتب الإقليمي للدول العربية، تقرير التنمية الإنسانية العربية، نحو مجتمع للمعرفة، عمان الأردن، ٢٠٠٢.
٥. بشير عبد الرحيم الطلوب، الوسائل التعليمية إعدادها وطرق استخدامها، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٩٨٦، ص ٦٤-٦٥ .
٦. بول دولاني، الحاسوب والنقد الأدبي»، ترجمة نجيب غزاوي، مجلة ثقافات، عدد ٣، صيف ٢٠٠٢، تصدر عن كلية الآداب، جامعة البحرين.
٧. بيل جيتس، المعلوماتية، طريق المستقبل، ترجمة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢١٣، ذو القعدة م، ص١٤٩. ١٤١٨. هـ/ مارس ١٩٩٨
٨. توبي أ .هف، فجر العلم الحديث، ترجمة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرف، عدد ٢١٩، غشت ١٩٩٧، ص ٩٠.
٩. جودة سعادة وآخرون، استخدام الإنترنيت والحاسوب في ميدان التربية والتعليم، الشروق عمان(الأردن)،ط1، ٢٠٠٣، ص ١٢٥ .
١٠. الحيلة ، محمد محمود (١٤٢٢هـ) تكنولوجيا التعليم من أجل تنمية التفكير بين القول والممارسة .
١١. دور الحاسوب في تعريب العلوم، أ.د. محمود مختار، ١٩٨٦، ص ٧-١٨.
١٢. رياض حسين، استخدام طريقة التعليم المبرمج بدلا من الطرائق التقليدية في مراحل التعليم، المختلفة مجلة الفتح، العدد السادس والعشرون،٢٠٠٦، جامعة ديالى/كلية التربية الأساسية.
١٣. زكريا يحي ، مقدمة في الاتصال وتكنولوجيا التعليم، مكتبة العبيكان، ط٢ ،٢٠٠٥، ص ٢١٣ .
١٤. سلطان بلغيث، وسائل الإعلام واللغة العربية، الواقع والمأمول، ٢٨ أيار (مايو) ٢٠٠٦ http://www.diwanalarab.com/spip.php?article4568
١٥. سلوى حمادة ، كتاب بعنوان " المعالجة الآلية للغة العربية : المشاكل والحلول "، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٩م.
١٦. سوزان اقليني وعزة عبد العظيم،الأنماط الثقافية والتربوية والسلوكية(البرامج التنشيطية والدرامية مثالا)،الإذاعات العربية،ع١٠اتحاد إذاعات الدول العربية،تونس ٢٠٠٢،ص١١١.
١٧. شحاتة ، حسن ، والنجار ، زينب (١٤٢٤هـ) معجم المصطلحات التربوية والنفسية ، ط١ ، القاهرة ، الدار المصرية للطباعة.

١٨. عابد توفيق الهاشمي، طرائق تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها للمراحل الدراسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٢٣،ص٢٥.
١٩. عابد حمدان الهرش وآخرون، تصميم البرمجيات التعليمية وإنتاجها وتطبيقاتها التربوية، دار المسيرة، ط1، ٢٠٠٠، ص ١٧٦.
٢٠. حارث عبود ، الحاسوب في التعليم، دار وائل، عمان(الأردن) ط١, ٢٠٠٧، ص١٤٥.
٢١. عبد الحافظ محمد سلامة، وسائل الاتصال والتكنلوجيا في التعليم، دار الفكر الأردن، ط٢، ١٩٩٨، ص ٤٥
٢٢. عبد العاطي بكري حسين علي المناعي، الاتصالات عبر الحواسيب في تعليم العربية لغير الناطقين بها (دوة استخدام التقنيات الحديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها) الخرطوم ١١-١٣ محرم ١٤٣١هـ الموافق ٢٧-٢٩ ديسمبر ٢٠٠٩م جلسات العمل اليوم الأول:الأحد ١١ محرم ١٤٣١هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٩م.
٢٣. عبد الرحمن الحاج صالح، تكنولوجيا اللغة والتراث العربي اللغوي الأصيل، ١٩٨٤، ص: ٩٥-١٣١.
٢٤. عبد العزيز شرف، اللغة الإعلامية، ط١، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩١م، ص٢٤٥-٢٥٠.
٢٥. عبد العزيز شرف، لغة الحضارة وتحديات المستقبل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٧٠-١٧١.
٢٦. مجلس الوزراء العرب للاتصالات والمعلومات في اجتماع دورته الثانية عشرة بدمشق في ٢٢-٢٣ ديسمبر ٢٠٠٢.
٢٧. عبد العزيز شرف،الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال،دار قباء القاهرة ،١٩٩٨،ص١٠٧-١٠٨.
٢٨. عبد الغني أبو العزم، «اللغة العربية والمعالجة الآلية»، مجلة فكر ونقد، عدد 31، السنة 4، شتنبير ٢٠٠٠، ص ٥٩.
٢٩. عبد اللطيف حسين فرج ، تنفيذ التعلم، دار الحامد، عمان ، ط1،٢٠٠٧، ص ٣٧٠-٣٧١.
٣٠. العربي ، صلاح عبد الحميد (١٩٨١م) تعلم اللغات الحية وتعليمها بين النظرية والتطبيق ، لبنان ، مكتبة لبنان.
٣١. عصام سليمان الموسى، الثورة الرقمية تضع الإعلام العربي على مفترق طرق، عمان ــ الأردن.
٣٢. علي بن نايف الشحود، "المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية"،٢٠١٠، http://www.4shared.com/file/vv8XN2-K/_.htm
٣٣. علي ليلة ،الثقافة العربية والشباب،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،ط١ ٢٠٠٣،ص٥٤
٣٤. فاخر عاقل, علم النفس التربوي, دار العلم للملايين, ط١, ١٩٥٨,ص٣١٤.
٣٥. ارنو فويتيج , سيكولوجية التعلم, الدار الدولية للاستثمارات الثقافية, مصر, ط٣, ٢٠٠٥, ص٣٤٦.
٣٦. عبد اللطيف بن حسين فرج، طرق التدريس في القرن الواحد والعشرين، دار المسيرة، عمان (الأردن)، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٦٨-١٧٠.

٣٧. فراس السليشي، استراتيجيات التعلم والتعليم النظرية والتطبيق عالم الكتب الحديثة، ط١، ٢٠٠٥، ص٣١
٣٨. فوزي الشربيني. الموديولات التعليمية بين النظرية والتطبيق، مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة، ١٩٩٧، ص١٠.
٣٩. كمال عبد الحميد زيتون تكنولوجيا التعليم في عصر المعلومات والاتصال، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٨٧.
٤٠. كمال عبد الحميد زيتون، تكنولوجيا التعليم في عصر المعلومات والاتصال، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٨٧.
٤١. ماري تيريز فارمالوف، تحقيق حول الرقمنة والصيانة، الاتحاد العالمي لجمعيات المكتبيين ومنظمة اليونسكو،http://www.unesco.org/webworld/mdm/survey
٤٢. محمد إبراهيم عيد،الهوية والقلق والإبداع،دار القاهرة ،القاهرة،ط١ ٢٠٠٢،ص٦٤.
٤٣. محمد جاسم محمد ، تفريد التعلم والتعليم المستمر ، دار الثقافة ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، ص٢١٨.
٤٤. محمد ظافر الصواف، التقنيات الحديثة واللغة العربية، ١٩٨٧، ص٥-٢٩.
٤٥. مرضي بن غرم الله حسن الزهراني، إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية, الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ١٨-٢٠/ ذو القعدة/١٤٢٨هـ الموافق ٢٨-٣٠/ نوفمبر ٢٠٠٧م.
٤٦. مصطفى عبد السميع محمد وآخرون، تكنولوجيا التعليم مفاهيم وتطبيقات، دار الفكر، عمان(الأردن)، ط1،٢٠٠٤ ، ص ١٣٥ .
٤٧. المهدي بن محمد السعيدي، التراث والتقنيات الحديثة للمعلومات، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق - سوريا عدد ٩٠، ربيع الآخر ١٤٢٤ هـ /حزيران/ يونيو ٢٠٣، ص . ١٤٦.
٤٨. المهدي بن محمد السعيدي، الدور الحضاري للمكتبة العربية في العصر الرقمي، المؤتمر العربي الأول اللغة العربية جسر التواصل الحضاري كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أگادير.
٤٩. نبيل علي ، العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، عدد ١٨٤، شوال ١٤١٤، أبريل ١٩٩٤، ص ٤٢٧.
٥٠. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية مستقبلة للخطاب الثقافي العربي، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٧٦، ديسمبر، ٢٠٠١.
٥١. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، ضمن سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٧٦، دجنبر ٢٠٠١، ، ص .١٠٣.
٥٢. نصر الدين العياضي،مساءلة الإعلام،المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر،١٩٩١ ، ص١٥٩.
٥٣. نور الدين بليبل، الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام، كتاب الأمة، السنة الحادية والعشرون، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، أكتوبر ٢٠٠١م، ص١١٣-١١٤.
٥٤. الهرش ، عايد حمدان (١٩٩٩م) الحاسوب وتعلم اللغة العربية ، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٢ ، الجزائر ، جامعة منتوري.



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

مشكلة قطيعة الأرحام وعلاجها في الشريعة الإسلامية

أ .د/ عبده محمد يوسف علي

أستاذ الفقه المشارك ورئيس قسم القرآن الكريم وعلومه

كلية التربية – جامعة صنعاء

7

الملخص

هدفت هذه الدراسة لمعالجة موضوع مشكلة قطيعة الأرحام . ولتحقيق أهداف البحث استخدم الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي ، وقسم البحث إلى مقدمة وسبعة مباحث مقسمة على فصلين وخاتمة ، شملت الحديث تعريف الرحم ومن هم الأرحام التي تجب صلتهم، والمراد بقطيعة الرحم وحكمها، ومظاهر قطيعة الرحم، وأسبابها، وآثار قطيعة الرحم وعواقبها، وعلاج قطيعة الأرحام في الشريعة الإسلام، وحكم صلة الأرحام،وفضله، وآثاره، والأمور التي تكون بها الصلة والأمور المعينة على ذلك. وقد خلصت الدراسة للنتائج التالية :

١- مشكلة قطيعة الأرحام من الأمور التي تفشت في مجتمعات المسلمين، خصوصا في هذه الأعصار المتأخرة التي طغت فيها المادة، وقل فيه التواصي والتزاور.

٢- لمشكة قطيعة الأرحام أسباب وعوامل عديدة تدفع الانسان إلى قطع رحمه، بسطتُ ذلك من خلال البحث.

٣- ينتج عن قطيعة الرحم آثار ضارة، وعواقب وخيمة دنيوية وأخروية يعود أثرها على الفرد والمجتمع ذكرت ذلك من خلال البحث .

٤- قطيعة الأرحام كبيرة من كبائر الذنوب التي توعد الله مرتكبها بألوان من الوعيد والعقوبات العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة.

٥- نُقل الاتفاق على وجوب صلة الرحم وتحريم القطيعة .

٦- يجب على كل مسلم صلة أرحامه كلها الأقرب فالأقرب، بحسب قدرته واستطاعته.

٧- صلة الرحم عمل صالح مبارك يجلب لصاحبه الخير في الدنيا والآخرة ويجعله الله به مباركاً أينما كان ويبارك الله له في كل أحواله وأعماله عاجلاً وآجلاً وقد دلت على ذلك الأدلة صحيحة.

٨- صلة الرحم أنواع على حسب الحاجة، فتكون بالنفقة لمن يحتاج ذلك، وتكون بالهدية، وبالتودد إليهم، وبالعون والإعانة على الحاجات، وبالنصيحة، وبدفع الضرر، وبالإنصاف معهم، وطلاقة الوجه، وبالعدل والقيام بالحقوق الواجبة، وبالدعاء.

٩- هناك أموراً تعين المرء على صلة الرحم؛ وتجنب قطيعتها ، وينبغي لكل عاقل اتباعها وتمثلها في حياته قدر استطاعته، حتى يتمكن من صلة رحمه على ما يرضى الله ورسوله.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. أما بعد:

لقد كثرت في عصرنا الأمراض الأخلاقية والمشاكل الاجتماعية التي يعاني منها بعض الأفراد والمجتمعات؛ ومن هذه المشاكل آفات قطيعة الأرحام فحريّ بنا أن نتوقف عندها لنبين حكمها؛ ونحذر من آثارها وأضرارها على الأفراد والمجتمعات؛ ونبين كيف وضع الإسلام علاجاً له..

إن الإسلام يركز على توطيد الصلة وتقوية الأواصر بين أفراده، ففي نطاق الأسرة نجد أن الإسلام يدعو إلى ترابطها بشكل يحقق الوئام والمودة ويمنع الإفساد ويقضي على القطيعة، ولذلك نراه يدعو إلى حفظ حقوق الأقربين، وإيتائهم حقهم من الصلة والبر، والزيارة والتكريم، خاصة الأصول والفروع وما يلحق بهما من الحواشي قال تعالى: ((وَآتِي ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ)) [الإسراء: ٢٧]. ومن السنة قوله ﷺ في حديث أنس بن مالك في الصحيحين في جزاء صلة الأرحام التي هي سبب في توسعة الرزق وحصول البركة "من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه"[١] وحديث جبير بن مطعم فيهما أيضاً عن أبيه "لا يدخل الجنة قاطع" [١]يعني قاطع رحم. ولفظ أبي داود: (لا يدخل الجنة قاطع رحم)[١].

إنَّ قطيعة الرحم ذنبٌ عظيمٌ وجرمٌ جسيم ، يفصم الروابط ، ويقطع الشواجر ، ويشيع العداوة والبغضاء، ويفكك الأسر .

وقطيعة الرحم أمرٌ مزيل للألفة والمودة ، ومجلبٌ لمزيد من الهم والحزن والغم .

وهي من الأمور التي تفشت في مجتمعات المسلمين لا سيما في هذه الأزمان التي طغت فيها المادة، وقل فيها التواصل والتزاور، فكثير من الناس مقصرون في هذا الواجب وواقعون في معصية قطيعة الرحم ، وقد حذّرنا اللهُ من ذلك أشد التحذير بقوله : { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ } [محمد : ٢٢] ، والسبب في إهمال كثير من الناس لصلة أرحامهم هو الجهل بالدين ، وابتعاد الناس عن الهدي النبوي ، فكلما كان الشخص عارفاً بالله كان أخشى لله ، وصلة الرحم من خشية الله ، وقطيعته من معصية الله.

فإن صلة الرحم حاجة فطرية؛ وضرورة اجتماعية؛ تقتضيها الفطرة الصحيحة، وتميل إليها الطباع السليمة، فإنه يتم بها الأنس، وتنتشر بواسطتها المحبة وتسود المودة، وهي دليل الكرم وعلامة المروءة، تكسب الشخص والعشيرة عزة وهيبة وقوة ومنعة، وفوق ذلك فإنها من أنفس القرب وأجل الطاعات، وأعلاها منزلة، وأعظمها بركة، وأعمها نفعاً في الدنيا والآخرة. ولذلك يتنافس فيها الكرام أولوا الأحلام، ويتظاهر

بقطيعتها اللئام سفهاء الأحلام، مع أن قطيعتها من أفضع أنواع المعاصي قبحاً، وأخطرها شؤماً، وأسرعها عقوبة، وأسوءها عاقبة في العاجل والآجل.

ومع ذلك فإن كثيراً من الناس في هذا الزمن قد قصروا في صلتها وتظاهروا بقطيعتها جهلاً بحكمها، أو نسياناً لحقها وتهاوناً بخطر قطيعتها. لذا رأ الباحث أنه من الضروري التحذير من هذه الآفة (قطيعة الرحم) وبيان مظاهرها وآسبابها وآثارها الخطيرة في الدنيا والآخرة. والتوضيح كيف عالجها الإسلام وذلك من خلال ما يلي:

الفصل الأول: مفهوم قطيعة الرحم وحكمها ومظاهرقطيعة الرحم وأسبابها ووأضرارها وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الرحم ومن هم الأرحام

المبحث الثاني: تعريف قطيعة الرحم وحكمها

المبحث الثالث: مظاهر قطيعة الرحم.

المبحث الرابع: أسباب قطيعة الرحم.

المبحث الخامس: آثار قطيعة الرحم وعواقبها :

الفصل الثاني: علاج قطيعة الرحم في الشريعة الإسلام، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الإسلام يأمر بصلة الرحم.

المبحث الثاني : فضل صلة الرحم وآثارها.

المبحث الثالث: الأمور التي تكون بها الصلةوالأمور المعينة على ذلك

الفصل الأول: مفهوم قطيعة الرحم وحكمها ومظاهرقطيعة الرحم وأسبابها وأضرارها

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الرحم ومن هم الأرحام التي تجب صلتهم.

قبل الشروع في تعريف قطيعة الرحم وحكمها في الإسلام، لابد أن نمهد لذلك بتعريف الرحم ومن هم الأرحام الذين أوجب الإسلام صلتهم وحرم قطيعتهم، على النحو الآتيك

أولاً: تعريف الرحم لغة: الرحم في اللغة من (رحم) والرَّحِمُ رَحِمُ الأُنثى. والرِّحْمُ: بيت مَنْبِتِ الولد ووعاؤه في البطن. وقيل: موضع تكوين الجنين، ووعاؤه في البطن. وهي مؤنثة. والجمع أَرْحامٌ لا يكسّر على غير ذلك. والرَّحِمُ أَسبابُ القرابة وأَصلُها الرَّحِمُ التي هي مَنْبِتُ الولد والرِّحْمُ بالكسر والرَّحِمُ بالفتح القرابة. يذكر ويؤنث، وفي القرآن المجيد: (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر)[1]: القرابة، وأسبابها. وفي الحديث: (من مَلَكَ ذا رَحِمٍ مَحْرَمٍ فهو حُرٌّ)[2] [3]

ثانياً: تعريف الرحم اصطلاحاً: والمراد بالرحم في الإصطلاح :الاقارب، وهم من بينه وبين الآخر نسب، سواء كان يرثه أم لا، وسواء كان ذا محرم أم لا. [4]قال ابن الأَثير: ذَوو الرَّحِمِ هم الأَقارب ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسَب. [5] فلفظ الأرحام عام في كل ما يشمله الرحم, فكل قريب لك هم من الأرحام, وهم من بينك وبينه نسب سواء كان يرثه أم لا، وسواء كان ذا محْرَم أم لا. كالآباء والأمهات والإخوة والأخوات والأجداد والجدات وإن علوا ، والأولاد وأولادهم وإن سفلوا ، والأعمام والعمات ، والأخوال والخالات, أولاد الأعمام، وأولاد العمات، وأولاد الأخوال، وأولاد الخالات، وأولادهم. [6]

ثالثاً: من هم ذوي الأرحام الذين تجب صلتهم:

اختلف العلماء في منهم الأرحام الذين تجب صلتهم, إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه يجب صلة الرحم المحْرَم فقط ، وأما غير المحْرَم ، فتستحب صلتها ولا تجب، وضابط الرحم المحْرَم: كل شخصين لو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى لم يجز لهما أن يتناكحا ، كالآباء والأمهات والإخوة والأخوات والأجداد والجدات وإن علوا ، والأولاد وأولادهم وإن سفلوا ، والأعمام والعمات ، والأخوال والخالات. ويخرج على هذا القول أولاد الأعمام، وأولاد العمات، وأولاد الأخوال، وأولاد الخالات، فليسوا من

---

(١) البقرة: آية: (٢٢٨)
(٢) سنن ابن ماجه (٨٤٤/٢) برقم: (٢٥٢٥) وقال الألباني: الحديث: (صحيح)
(٣)انظر لسان العرب، لابن منظور (١٢ / ٢٣٠)ومختار الصحاح، الرازي (١ / ١١٧)
(٤) القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب (١ / ١٤٥)
(٥) النهاية في غريب الحديث، لابن الجزري (١٩١/٥ – ١٩٢).
(٦) المغني,ابن قدامة (٥٢٩/٨) وشرح النووي على مسلم (١١٣/١٦) والفروق, للقرافي (١٤٧/١) الجامع لأحكام القرآن,القرطبي (٢٤٨/١٦) فتح الباري، ابن حجر(٤١٤/١٤) وغذاء الألباب, للسفاريني (٣٥٤/١) ، وبريقة محمودية،أبوسعيدالخادمي (١٥٣/٤) وسبل السلام، للصنعاني (٦٢٨/٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (٨٣/٣) القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب(١ / ١٤٥)

الأرحام. لأنهم ليسوا من الرحم المحْرَم ، لجواز التناكح بينهم وهذا قول للحنفية ، وغير المشهور عند المالكية ، وقول أبي الخطاب من الحنابلة ، وحجتهم أنها لو وجبت لجميع الأقارب لوجب صلة جميع بني آدم ، وذلك متعذر ، فلم يكن بد من ضبط ذلك بقرابة تجب صلتها وإكرامها ويحرم قطعها . وتلك قرابة الرحم المحرم[١] واستدلوا كذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : (لَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا) [٢] وفي رواية : (فإنكم إذا فعلتم ذلك فقد قطعتم أرحامكم)[٣] وحديث (نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنكح المرأة على قرابتها مخافة القطيعة)[٤] ووجه الاستدلال بهذا الحديث: إنما تجب صلة الرحم إذا كان هناك محرمية، وهي أن كل شخصين لو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى لم يتناكحا كالآباء والأمهات والإخوة والأخوات والأجداد والجدات وإن علوا ، والأولاد وأولادهم وإن سفلوا ، والأعمام والعمات والأخوال والخالات ، فأما أولاد هؤلاء فليست الصلة بينهم واجبة لجواز المناكحة بينهم، ويدل على صحة هذا القول تحريم الجمع بين الأختين، والمرأة وعمتها وخالتها، لما فيه من قطيعة الرحم، وترك الحرام واجب، وبرهما وترك إذايتهما واجبة ، ويجوز الجمع بين بنتي العم وبنتي الخال وإن كن يتغايرن ويتقاطعن ، وما ذاك إلا أن صلة الرحم بينهما ليست واجبة. ولو كانت بنت العم أو العمة أو بنت الخال أو الخالة لو كان هؤلاء من الأرحام ما وافق الشرع على الجمع بين المرأة وابنة عمتها أو ابنة خالها أو ابنة خالتها .[٥]

القول الثاني : يجب صلة الرحم كلها ، لا فرق بين المحْرَم وغيره، أي أن لفظ الأرحام عام في كل ما يشمله الرحم. فكل قريب لك هم من الأرحام. وهم من بينه وبين الآخر نسب، سواء كان يرثه أم لا، وسواء كان ذا محْرَم أم لا. وهو قول للحنفية . والمشهور عند المالكية . وهو نص أحمد . وهو ما يفهم من إطلاق الشافعية . فلم يخصصها أحد منهم بالرحم المحرم. وعلى هذا القول فأولاد العم وأولاد العمة وأولاد الخال وأولاد الخالة وأولادهم كل هؤلاء يدخلون تحت مسمى الأرحام. [٦]

ودليل هذا القول حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رجل: يا رسول الله! من أحق بحسن الصحبة؟

قال: ((أمك، ثم أمك، ثم أبوك، ثم أدناك، أدناك))[٧]

وقوله صلى الله عليه و سلم: ((يد المعطي العليا، وابدأ بمن تعول، أمك وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك، إنها لا تجني نفس على أخرى)).[٧]

---

(١) الدراية في تخريج أحاديث الهداية، لابن حجر (٥٦/٢) الفروق، للقرافي(١٤٧/١) والجامع لأحكام القرآن, القرطبي (٢٤٨/١٦).
(٢) صحيح مسلم برقم: (١٤٠٨) واللفظ له(٤٥٢و٤٥٣/ ١) وصحيح البخاري " باب لا تنكح المرأة على عمتها (٧٦٦ / ٢)

(٣) نصب الراية، للزيلعي(١٧٠/٣) الدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر, رقم: (٥٣٤) (٢ / ٥٦)

(٤) المراسيل، لأبي داود - (١ / ١٨٢)

(٥)ينظر : الفروق, للقرافي (١٤٧/١) الجامع لأحكام القرآن,القرطبي (٢٤٨/١٦) "غذاء الألباب" للسفاريني (٣٥٤/١) ، وبريقة محمودية،أبو سعيد الخادمي(١٥٣/٤) وسبل السلام، للصنعاني (٦٢٨/٢) :شرح النووي على صحيح مسلم (١١٣/١٦) الموسوعة الفقهية الكويتية (٨٣/٣)
(٦) المغني,ابن قدامة (٥٢٩/٨) وشرح النووي على مسلم (١١٣/١٦) والفروق, للقرافي (١٤٧/١) الجامع لأحكام القرآن,القرطبي (٢٤٨/١٦) فتح الباري، ابن حجر(٤١٤/١٤) وغذاء الألباب, للسفاريني (٣٥٤/١) ، وبريقة محمودية،أبوسعيدالخادمي (١٥٣/٤) وسبل السلام، للصنعاني (٦٢٨/٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (٨٣/٣) القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب(١ / ١٤٥)
(٧) السنن الكبرى، البيهقي(٨ / ٣٤٥) ح رقم: (١٧٤٧٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع ح رقم : (٨٠٦٧)

ومما يدل عليهأيضاً الحديث الوارد في أهل مصر أن لهم ذمة ورحماً عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً"وفي رواية: "فإذا افتتحتموها، فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحماً" أو قال: "ذمة وصهراً" [١].وحديث: ابن عمر رضي الله عنهما قال إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي[٢]"[٣].أي يبر صديقه مع أنه لا محرمية بينهم.[٤]

القول الثالث : انه يجب صلة الأرحام الوارثون وهم القرابة الذين يتوارثون, وعلى هذا يخرج الأخوال والخالات, أي أن الأخوال والخالات على هذا القول لا تجب صلتهم ولا يحرم قطعهم.[٥] وهذا القول غير صحيح وكيف يكون صحيحاً والنبي بين أن الخالة بمنزلة الأم، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "الخالة بمنزلة الأم" [٦].

والراجح والله أعلم هو القول الثاني أنه يجب صلة الرحم كلها الأقرب فالأقرب وهو ما رجحه القرطبي وابن حجر والمناوي وابن باز. [٧]

قال القرطبي: والصواب أن كل ما يشمله ويعمه الرحم تجب صلته على كل حال قربة وديانة على ما ذكرناه أولا والله أعلم[٨]

وقال المناوي: الأرحام: جمع رحم عام في كل رحم محرماً وارثاً وضدهما على الأصح والمراد الإحسان إليهم قولاً وفعلاً وكف الأذى عنهم .[٩] وقال عبد العزيز بن باز الأرحام هم الأقارب من النسب من جهة أمك وأبيك، وهم المعنيون بقول الله- سبحانه وتعالى (وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ)[١٠] وأقربهم الآباء والأمهات والأجداد والأولاد وأولادهم ما تناسلوا، ثم الأقرب فالأقرب من الإخوة وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم، وقد صحّ عن النبي أنه قال لما سأله سائل قائلاً: من

---

(١) صحيح مسلم برقم: (٢٥٤٣) (٢٢٦) و(٢٢٧). قال العلماء: الرحم التي لهم كون هاجر أم إسماعيل ﷺ منهم "والصهر" كون مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم.
(٢) أي: بعد أن يموت.
(٣) صحيح مسلم (٢٥٥٢) و(١٢) و(١٣)، سنن الترمذي (١٩٠٤)، وسنن داود (٥١٤٣).
(٤) المغني,ابن قدامة (٥٢٩/٨) وشرح النووي على مسلم (١١٣/١٦) والفروق, للقرافي (١٤٧/١) الجامع لأحكام القرآن,القرطبي (٢٤٨/١٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري،ابن حجر(٤١٤/١٤) وغذاء الألباب،للسفاريني (٣٥٤/١) ،وبريقة محمودية، أبو سعيد الخادمي (١٥٣/٤) وسبل السلام، للصنعاني (٦٢٨/٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (٨٣/٣) القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب (١ / ١٤٥)
(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن,القرطبي (٢٤٨/١٦) وسبل السلام، للصنعاني(٦٢٨/٢)
(٦) خرجه البخاري (٣٨٥،٣٩١/٧) ضمن حديث طويل. وسنن الترمذي برقم: (١٩٠٥) وقال:حديث حسن ، وأخرجه أبو داود برقم: (٢٢٨٠) من حديث علي.
(٧) الجامع لأحكام القرآن,القرطبي (٢٤٨/١٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري،ابن حجر(٤١٤/١٤)، فيض القدير، المناوي (١٦٩/١) فتاوى إسلامية، لابن باز وآخرون (١٩٥/٤)
(٨) الجامع لأحكام القرآن,القرطبي (٢٤٨/١٦)
(٩) فيض القدير، المناوي، (١٦٩/١)
(١٠) الأنفال: (٧٥)

أبر يا رسول الله؟ قال: (أمك قال: ثم من؟ قال: أمك قال :ثم من؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أباك، ثم الأقرب فالأقرب) [١] أما أقارب الزوجة فليسوا أرحاماً لزوجها إذا لم يكونوا من قرابته، ولكنهم أرحام لأولاده منها.[٢] فأقارب كل واحد من الزوجين ليسوا أرحاماً للأخر , ومع ذلك فينبغي الإحسان إليهم , لأن ذلك من حسن العشرة بين الزوجين , ومن أسباب زيادة الألفة والمحبة.

رابعاً: ذوو الارحام في المواريث:

ذوو الارحام في المواريث اصطلاحاً: هم كل قريب ليس بذي فرض، ولا عصبة.

وهم: أولاد البنات، وأولاد الاخوات، وبنات الاخوة، وأولاد الاخوة من الام، والعمات من جميع الجهات، والعم من الام، والاخوال، والخالات، وبنات الاعمام، والجد أبو الام، وكل جدة أدلت بأب بين أمين، أو بأب أعلى من الجد. فهؤلاء، ومن أدلى بهم يسمون ذوي الارحام في الميراث.[٣]

المبحث الثاني

تعريف قطيعة الرحم وحكمها

أولاً: مفهوم قطيعة الأرحام لغة واصطلاحا:

أ-**مفهوم القطيعة لغــــة:** لقد جاء مفهوم القطيعة في اللغة على عدة معاني منها:

١- بمعنى الفصل والإبانة والصرم فالقطيعة هي الاسم من قولهم: قطع فلان كذا يقطعه، وهو مأخوذ من مادّة (ق ط ع) الّتي تدلّ على صرم وإبانة شيء من شيء، يقال: تقاطع الرّجلان، إذا تصارما. وقطعتُ الثمرة: جَدَدْتُها. القوم: تصارموا، وتقاطعت أرحامهم: تحاصّت أي انقطعت وذهبت. قطع الشيء قطعاً: فصل بعضه، وأبانه، وقطع الثمر: جزَّه [٤].

٢-بمعنى الترك والهجر والمنع: القطع والقطيعة: الهجران ضدّ الوصل، وقطعت الصديق قطيعة: هجرته، وقطعته عن حقه: منعته. قطع الصدق: تركه، وهجره، وقطع رحمه: هجرها، ولم يصلها. ورجل قطوع لإخوانه ومقاطع: لا يثبت على مؤاخاة.[٥] وفي الحديث (هذا مقام العائذ بك من القَطِيعَةِ) [٦]

٤- بمعنى العقوق: قطع رحمه قطعا وقطيعة وقطّعها: عقّها ولم يصلها. والاسم القَطِيعةُ ورجل قُطَعَةٌ وقُطَعٌ

---

(١) صحيح مسلم - (٤ / ١٩٧٤) رقم: (٢٥٤٨)
(٢) فتاوى إسلامية، لابن باز وآخرون (١٩٥/٤)
(٣) المغني, ابن قدامة (٨٣/٧) روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي(٢ / ٣٠٢) والقاموس الفقهي، سعدي أبوجيب (١/ ١٤٥)
(٤) انظر المصباح المنير، الفيومي (٥٠٩/٢). والمعجم الوسيط, لابراهيم مصطفى وآخرون(٧٤٥/٢ ٧٤٦)،والصحاح في اللغة والعلوم ص ٩٣٥.
(٥) لسان العرب، ابن منظور (٨ / ٢٧٦) المصباح المنير، الفيومي (٥٠٩/٢). والمعجم الوسيط, لابراهيم مصطفى وآخرون (٣٣٥/١)، الصحاح في اللغة والعلوم ص ٣٧٣ ,ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ابن حميد وآخرون (١١ / ٥٣٢٩)
(٦) صحيح البخاري، باب من وصل وصله الله (٩٦/٧)، برقم: (٥٩٨٧)، ومسلم بلفظه، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٩٨٠/٤) برقم: (٢٥٥٤) (٢٢و ٢٣).

ومِقْطَعٌ وقَطَّاعٌ يَقْطَعُ رَحِمَه. أي يعقها [١]

ب- تعريف قطيعة الرحم اصطلاحاً:

قطيعة الرحم اصطلاحا: الهجر وعدم الاتصال مع منع الخير. أي هو هجر القريب، وترك وصله والإحسان إليه.[٢].

وقطع الرحم هي كناية عن قطع الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار وعدم التعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم[٣]

قال ابن الأثير رحمه الله: القطيعة: الهجران والصّدُّ, وهي فعلية, من القطع, ويُرِيدُ به ترك البرِّ والإحسان إلى الأهل والأقارب، وهي ضدُّ صلة الرحم [٤].

وقيل قطيعة الرحم : تعني عدم الإحسان إلى الأقارب, وقيل بل هي الإساءة إليهم . وهناك فرق بين المعنيين :

فالمعنى الأول: يرى أنه يلزم من نفي الصلة ثبوت القطيعة .

والمعنى الثاني: يرى أن هناك ثلاث درجات:

١- واصل وهو من يحسن إلى الأقارب.
٢- قاطع وهو من يسيء إليهم.
٣- لا واصل ولا قاطع، وهو من لا يحسن ولا يسيء, وربما يسمى المكافئ وهو الذي لا يحسن إلى أقاربه إلا إذا أحسنوا إليه, ولكنه لايصل إلى درجة الإساءة إليهم.

ومما سبق ذكره يمكن تلخيص مفهوم قطيعة الرحم : هي أن يعقّ الإنسان أولى رحمه وذوي قرابته فلا يصلهم ببرّه ولا يمدّهم بإحسانه، ولايكف عنهم إساءته.

ثانيا: حكم قطيعة الرحم:

لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية من كبائر الذنوب، وقد نقل الاتفاق على وجوب صلة الرحم وتحريم قطيعتها القرطبي وابن العربي والقاضي عياض وغيرهم.

قال القرطبي: اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبة وأن قطيعتها محرمة.[٥] وقال ابن العربي: وَقَدْ اتَّفَقَتْ الْمِلَّةُ أَنَّ صِلَةَ ذَوِي الْأَرْحَامِ وَاجِبَةٌ وَأَنَّ قَطِيعَتَهَا مُحَرَّمَةٌ. [٦] وقال القاضي عياض: ولا خلاف في أنّ صلة الرّحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبرى والأحاديث تشهد بذلك.[٧].

(١) لسان العرب، ابن منظور (٨ / ٢٧٦)
(٢) معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي (ص ٣٣٥).
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، للعيني (٣٢ / ١٣٦)
(٤) النهاية في غريب الحديث، ابن الجزري (٨٢/٤). نضرة النعيم ، ابن حميد وآخرون (١١ / ٥٣٢٩)
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٥ / ٥)
(٦) أحكام القرآن، لابن العربي(٢ / ٩٥)
(٧) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١١٢- ١١٣) .

وعدها ابن حجر الهيتمي والذهبي من الكبائر. [١]

وقد وردت أدلة من الكتاب والسنة تدل على تحريم قطيعة الرحم والوعيد الشديد لمن فعل ذلك نذكر منها الآتي :

١قوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[٢] وأما قوله والأرحام ففيه تعظيم لحق الرحم وتأكيد للنهي عن قطعها . [٣] والْمَعْنَى : اتَّقُوا اللَّهَ أَنْ تَعْصُوهُ ، وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا، وَثَبَتَ أَنَّ أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: (قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ[٤]، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت علي أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: "نعم صلي أمك" [٥].وقولها: "راغبة"، أي: طامعة فيما عندي تسألني شيئاً. فَلِتَأْكِيدِهَا دَخَلَ الْفَضْلُ فِي صِلَةِ الرَّحِمِ الْكَافِرَةِ . [٦] وفيه أنه يحرم قطع الرحم بل هو من الكبائر. [٧]

أي اتقوا اللَّه الذي خلقكم ، واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام فلا تقطعوها أو واتقوا اللَّه الذي تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم. قد آذن عز وجل إذ قرن الأرحام باسمه أن صلتها منه بمكان [٨]

٢ –وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ❖ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢،٢٣].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

ففي الآيات المذكورة قرن الله تعالى قطع الأرحام بالفساد في الأرض الذي هو من أكبر الكبائر، فقال: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) [محمد: ٢٢.[ولا شك أن لهذا الجمع مغزى ألا وهو تبكيت وتوبيخ قطيعة الرحم والتحذير منها، فمجرد الجمع بين القطيعة والإفساد في الأرض تحذير ووعيد.

قال الجصاص: فقرن قطع الرحم إلى الفساد في الأرض وقال تعالى: (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) قيل في الآل أنه القربى وقال تعالى وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى وقد روي عن النبي ص- في تعظيم حرمة الرحم ما يواطئ ما ورد به التنزيل. [٩]

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي(٥ / ٥) والكبائر، للذهبي (١ / ٤٧)
(٢) النساء: آية (١)
(٣) أحكام القرآن، الجصاص (٢ / ٣٣٦)
(٤) أي: معاهدته مع المشركين في الحديبية.
(٥) صحيح البخاري (٥/١٧٠، ١٧٢) وصحيح مسلم (١٠٠٣)، وأخرجه أبو داود برقم: (١٦٦٨).
(٦) أحكام القرآن، لابن العربي(٢ / ٩٥)
(٧) فيض القدير ، المناوي (١٦٩/١)
(٨) الكشاف، الزمخشري (١ / ٤٦٢)
(٩) أحكام القرآن، الجصاص (٢ / ٣٣٦)

قال الشوكاني: هذا خطاب للذين في قلوبهم مرض بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتقريع قال قتادة : إن توليتم عن طاعة كتاب الله عزّ وجلّ أن تفسدوا في الأرض بسفك الدماء ، وتقطعوا أرحامكم . [1]

واعتبر ابن كثير قطيعة الأرحام من أعمال الجاهلية، فقال ابن كثير في معنى الآية:أي تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء، تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام؛ ولهذا قال: { أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ } وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموما، وعن قطع الأرحام خصوصا.[2]

- ثم إنه سبحانه قد رتب في هذه الآية اللعنة على من يقطع رحمه، وأنه سبحانه قد أصم أذن هذا الشخص عن سماع الحق وأعمى بصره عن رؤية الطريق المستقيم طريق أوليائه الصالحين، واللعن معناه الطرد من رحمة الله، والله عزوجل لا يطرد من رحمته إلا إنسان قد ارتكب أمر محرم وكبيرة من الكبائر ، فقال سبحانه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ} [محمد:٢٣] أُولئِكَ إشارة إلى المذكورين لَعَنَهُمُ اللَّهُ لإفسادهم وقطعهم الأرحام ، فمنعهم ألطافه وخذلهم ، حتى صموا عن استماع الموعظة ، وعموا عن إبصار طريق الهدى. [3]

-وفي هذه الآيات دليل وجوب صلة الأرحام وتحريم قطيعتها؛ إذ إن الله سبحانه قد توعد من يقطع ما أمره الله بوصله من رحم وغيره باللعن وهو الطرد من رحمة الله، كما توعده بأن له سوء الدار والمراد بذلك جهنم أعاذنا الله وإياكم منها. فقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [الرعد:٢٥]، وهذا مادل عليه الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها في الله ائتلف وما تناكر منها في الله اختلف، إذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الألسنة وتباغضت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) [4]

٤- ومما يدل على حرمة قطيعة الرحم أن قاطعه يُحرم من دخول الجنة، وأي حرمان أعظم من أن يحرم من الجنة ، عن أبي محمد جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا يدخل الجنة قاطع" قال سفيان في روايته: يعني: قاطع رحم. [5].

فمن قطع أقاربه الضعفاء و هجرهم و تكبر عليهم و لم يصلهم ببره و إحسانه و كان غنيا و هم فقراء فهو داخل في هذا الوعيد محروم عن دخول الجنة إلا أن يتوب إلى الله عز و جل و يحسن إليهم. [6]

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/٥٥)
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(٧ / ٣١٨)
(٣) الكشاف، للزمخشري (٤/٣٢٥)
(٤) المعجم الكبير، الطبري (٦/٢٦٣) (صدر الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب الأرواح جنود مجندة رقم (٢٦٣٨) وآخر فقرة من الحديث هي آية من القرآن سورة محمد الآية رقم (٢٣)
(٥) صحيح البخاري (٣٤٧/١٠)، وصحيح مسلم برقم: (٢٥٥٦).
(٦) الكبائر، للذهبي (١ / ٤٧)

قال النووي:

وهذا الحديث يتأول تأويلين: **أحدهما:** حمله على من يستحل القطيعة بلا سبب ولا شبهة مع علمه بتحريمها فهذا كافر يخلد في النار ولا يدخل الجنة أبداً. **والثاني:** معناه ولا يدخلها في أول الأمر مع السابقين بل يعاقب بتأخره القدر الذي يريده الله تعالى.[١] ومما يدل على عظم وجرم قطيعة الرحم أن الله يعاقب قاطع رحمه بقطع صلته به، ومن انقطعت صلته بالله فقد خسر دنياه وآخرته. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذِ بك من القطيعة)). قال: ((نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟)) قالت: بلى يا رب، قال: ((فهو لك))، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اقرؤوا إن شئتم: ((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ)) [٢].القطع هو كناية عن حرمان الإحسان. والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها وعظيم اثم قاطعيها بعقوقهم لهذا سمي العقوق قطعاً. [٣]

أقوال السلف والعلماء في قطيعة الرحم:

١- قال عمر بن عبد العزيز وهو يوصي ميمون بن مهران: إنّي أوصيك بثلاث فاحفظهن. قلت: يا أمير المؤمنين ما هنّ؟ قال: لا تخل بامرأة ليس بينك وبينها محرم وإن قرأت عليها القرآن، و لا تصاف قاطع رحم فإنّ اللّه عزّ وجلّ لعنه في آيتين من كتاب اللّه تبارك وتعالى آية في الرّعد، قوله تبارك وتعالى:((وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ)) [٤] وفي سورة محمّد :((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ)) [٥] .[٦].

٢- قال عمرو بن ميمون : «لمّا تعجّل موسى عليه السّلام ربّه عزّ وجلّ رأى في ظلّ العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال: إنّ هذا لكريم على ربّه عزّ وجلّ. فسأل ربّه أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال: أحدّثك من عمله بثلاث، كان لا يحسد النّاس على ما آتاهم اللّه من فضله، وكان لا يعقّ والديه، ولا يمشي بالنّميمة) .[٧]

٢- قال يونس بن عبيد: (كانوا يرجون للرّهق بالبرّ الجنّة، ويخافون على المتألّه بالعقوق النّار) [٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٦/١٤٠)
(٢) صحيح البخاري، باب من وصل وصله الله (٧/٩٦)، برقم: (٥٩٨٧)، ومسلم بلفظه، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٤/١٩٨٠) برقم: (٢٥٥٤)، والآيات من سورة محمد (٢٢و ٢٣).
(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٦/١٢٠)
(٤) (الرعد/ ٢٥)
(٥) سورة محمد (٢٢)
(٦) مساوئ الأخلاق ومذمومها، للخرائطي (١١٠)
(٧) مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا (٦٥).
(٨) المرجع السابق (٥١).

٥- (قال جعفر الصّادق رحمه اللّه تعالى «مودّة يوم صلة، ومودّة سنة رحم ماسّة، من قطعها قطعه اللّه عزّوجلّ») [١]

٦- قال الطّيبيّ رحمه اللّه تعالى: «إنّ اللّه يبقي أثر واصل الرّحم طويلا فلا يضمحلّ سريعا كما يضمحلّ أثر قاطع الرّحم»). [٢]

٧- وعن الأعمش قال: كان ابن مسعود جالساً بعد الصبح في حلقة، فقال: { أُنشد الله قاطع رحم لما قام عنا، فإنا نريد أن ندعو ربنا وإن أبواب السماء مرتجة (مغلقة) دون قاطع رحم} . [٣]

هذا بعض ماجاء في القرآن الكريم والسنة النبوية واقوال السلف في ما يدل على حرمة قطيعة الرحم وسوف نبين ذلك بصورة أوسع في موضوع (الآثار المترتبة من قطيعة الرحم وعواقب ذلك).

المبحث الثالث : مظاهر قطيعة الرحم.

من الناس من لا يعرف قرابته بصلة ؛ لا بمال ،ولا بجاه ، ولا بخُلُق، فتجده تمضي الشهور وربما الأعوام، وما قام بزيارتهم ، ولا تواصال معهم، ولا تودد إليهم بصلة أو هدية ، ولا دفع عنهم حاجة أو ضرر أو أذية بل ربما أساء إليهم بالقول أو بفعل ، أو بهما جميعاً.

ومن الناس من لا يشارك أقاربه أفراحهم ، ولا يواسيهم في احزانهم ، ولا يتصدق على فقيرهم، بل تجده يقدم غيرهم عليهم في الصلات الخاصة ، التي هم أحق بها من غيره. وفي هذا المطلب نذكر بعض مظاهر وعلامات مشكلة **قطيعة الرحم على النحو الآتي:**

١-عدم الصدقة على المحتاج من الأرحام. فبعض الأسر فيها أغنياء ومع ذلك تجد أن فيها فقراء محتاجين ربما تصلهم المساعدات من الأباعد، ولا يصل إليهم شيء من الأقارب.

٢- عدم الإهداء للأرحام إما بخلاً وإما اعتقاداً بأن الموصول ليس بحاجة، وأنه ربما يفهمها خطأ بأن هذا ما أعطاه إلا لأنه رأى عليه آثار الحاجة. ومعلوم أن الهدية تجلب المودة وفي الحديث: ((تهادوا تحابوا))[٤]

٣- عدم التزاور بين الأرحام فربما مضت الأيام والشهور والسنون ولم ير الأرحام بعضهم بعضاً.

٤- عدم مشاركة الأرحام أفراحهم ومواساتهم في أحزانهم.

٥-عدم حضور اجتماعات الأرحام إن كان لهم اجتماع.

٦-عدم وصل الأقارب إلا إذا وصلوه. ومن الناس من يصل أقاربه إن وصلوه ، ويقطعهم إن قطعوه، وهذا في الحقيقة ليس بواصل، وانما هو مكافئ للمعروف بمثله ، والواصل حقيقة. هو : الذي يصل قرابته لله، سواء

---

(١) آداب العشرة، للغزي (٤٤).
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١٠/ ٤٣٠).
(٣) المعجم الكبير، للطبراني (٩ / ١٥٨)برقم: (٨٧٩٣) ورجاله رجال الصحيح.
(٤) الأدب المفرد، للبخاري (١ / ٢٠٨) قال الشيخ الألباني : حسن

وصلوه أم قطعوه ولهذا قال: النبي صلى الله عليه وسلم : (ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)[1]

٧-عدم دعوة الأقارب إلى الهدى وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. فمن الناس ممن اتاه الله علماً ودعوة يحرص على دعوة الأبعدين ، ويغفل أو يتغافل عن دعوة الأقربين ، وهذا لا ينبغي ؛ فالأقربون اولى بالمعروف . ولقد قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام ((وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ))[2]

٨- الإساءة إلى الأرحام بالقول أو الفعل وعدم الإحسان إليهم.

٩- الإيذاء باللسان من: الغيبة، والنميمة، والإشاعات، وإفساد ذات البين، والسب، والشتم، واللمز، والتنابز بالألقاب، ونحوها.

١٠- الإيذاء باليد من: الضرب، والحرمان من العون المادي، والمعنوي.

١١- رفض العفو عن أخطاء ذوي الأرحام، ومسامحتهم، فبعض الناس قد يصدر خطأ ضده من بعض أقاربه فيأتي المخطأ ليعتدر عن ما صدر منه، فيرفض ذلك ولا يقبل الاعتذار.

١٢- المنع والحرمان من حقوقهم المادية كالميراث وغيرها.

١٣- حجب المعروف عنهم من: السؤال، والمواساة وقت الشدة، والتهنئة بالنعمة، والزيارة، وإبراز فضلهم، ومكانتهم والابتسام في وجوههم، والإفساح في المجس لهم .

١٤- السخرية والاستهزاء من بعض الأقارب وخاصة للصالحين منهم، فتجد بعض الأسر الكبيرة قد نبغ فيها طالب علم أو مصلح ، أو داعية، فتراه يلقى القبول والتقدير من سائر الناس، ولا يلقى من اسرته إلا كل جحود مما يوهن عظمه ويوهي قواه ، ويقلل اثرة في المجتمع.

المبحث الرابع: أسباب قطيعة الرحم.

إن لأي مشكلة من المشاكل الإجتماعية أسباب وعوامل تكون سبباً لظهور وبروز هذه المشكلة في المجتمع، ولذا فإن لمشكة قطيعة الرحم أسباباً وعوامل عديدة تدفع الانسان إلى قطع رحمه وفي هذا المطلب نبين بعض هذ الأسباب على النحو الآتي:

١- **ضعف الدين وتقوى الله** : فإذا ضعفت التقوى، ورق الدين لم يبال المرء بقطع ما أمر الله به أن يوصل، ولم يطمع بأجر الصلة، ولم يخش عاقبة القطيعة، لأن صلة الرحم من التقوى قال تعالى: { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ}[3] فالله سبحانه وتعالى قد قرن فيها بين تقواه سبحانه وبين صلة الأرحام، قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ عند تفسير هذه الآية: "اتقوا الله أن تعصوه واتقوا الأرحام أن تقطعوها).[4]

(١) صحيح البخاري (٥ / ٢٢٣٣) رقم (٥٦٤٥).
(٢) الشعراء (٢١٤)
(٣) سورة النساء، الآية: (١)
(٤) الجامع لأحكام تفسير القرطبي (٥ / ٥)

٢- **الجهل أوالغفلة عن قيمة وفضائل صلة الرحم العاجلة والآجلة:** ذلك أن للرحم قيمة كبيرة، وفضلاً عظيماً عند الله، حسبنا أنها:سبب في صلة الله للواصل، وقطيعته للقاطع.وسبب في سعة الرزق وبركة العمر، وعمران الديار. وسبب في قبول العمل، ودخول الجنة.وسبب في الظفر بأعلى الدرجات في الجنة، وغير ذلك من الفضائل.ومن غفل عن هذه الفضائل، وتلك القيمة، فإنه يتورط لا محالة في قطيعة الرحم، لأن من جهل شيئاً عاداه، كما قال الله- عز وجل-: (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) [1].

٣- **الجهل أو الغفلة عن العواقب والآثار العاجلة والآجلة المترتبة على قطيعة الأرحام** :لأن لقطيعة الأرحام آثاراً ضارة، وعواقب وخيمة على العاملين، وعلى العمل الإسلامي، ومن غفل عن هذه العواقب وتلك الآثار سيتورط لا محالة في قطيعة الأرحام، ويتمادى فيها تمادياً لا يردعه خوف عاقبة، أو تقدير أثر.

٥- **الكبر:** فبعض الناس إذا نال منصبا رفيعاً، أو حاز مكانة عالية، أو كان تاجراً كبيراً تكبر على أقاربه، فيستنكف أن يبادر هو بصلة رحمه، ويأنف من زيارتهم والتودد إليهم؛ بحيث يرى أنه صاحب الحق، وأنه أولى بأن يُزار ويُؤتى إليه.

٦- **الانقطاع الطويل:** فهناك من ينقطع عن أقاربه فترة طويلة، فيصيبه من جراء ذلك وحشة منهم، فيبدأ بالتسويف وبالزيارة، فيتمادى به الأمر إلى أن ينقطع عنهم بالكلية، فيعتاد القطيعة، ويألف البعد.

٧- **سوء التربية والقدوة السيئة:** قد يُربَّى المرء تربية سيئة قوامها نسيان ذوي الأرحام، بل إيذاؤهم بكل ما تتضمنه كلمة إيذاء، فلا تتولى الأسرة التعريف بذوي الأرحام، وفضلهم، ومكانتهم، كما لا تحرص على صلتهم بأيٍّ من صور الوصل، وينشأ المرء حينئذ وليس في ذهنه شيء اسمه الأرحام، وضرورة صلة هذه الأرحام. إذ ربما لم ير من أبيه أنه يصل أقاربه فيصعب على الابن وصل قرابة أبيه. وكذلك بالنسبة للأم.

٧- **العتاب الشديد:** فبعض الناس إذا زاره أحد من أقاربه بعد طول انقطاع أمطر عليه وابلاً من اللوم، والعتاب، والتقريع، على تقصيره في حقه، وإبطائه في المجيء إليه. ومن هنا تحصل النفرة من ذلك الشخص، والهيبة من المجيء إليه؛ خوفا من لومه، وتقريعه، وشدة عتابه.

٨- **التكلف الزائد:** فهناك من إذا زاره أحد من أقاربه تكلف لهم أكثر من اللازم، وخسر الأموال الطائلة، وأجهد نفسه في إكرامهم، وقد يكون قليل ذات اليد ، ومن هنا تجد أن أقاربه يقصرون عن المجيء إليه؛ خوفا من إيقاعه في الحرج.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٣٩).

٩- **قلة الاهتمام بالزائرين من الأقارب:** فمن الناس من إذا زاره أقاربه لم يبد لهم الاهتمام، ولم يصغ لحديثهم، بل تجده معرضاً مشيحاً بوجهه عنهم إذا تحدثوا، لا يفرح بمقدمهم، ولا يشكرهم على مجيئهم، ولا يستقبلهم إلا بكل تثاقل وبرود؛ مما يقلل رغبتهم في زيارته.

١٠- **الشح والبخل:** فمن الناس من إذا رزقه الله مالاً أو جاهاً تجده يتهرب من أقاربه، لا كبراً عليهم، وإنما خوفا من أن يفتح الباب عليه من أقاربه، فيبدؤون بالاستدانة منه، ويكثرون الطلبات عليه، أو غير ذلك!. وبدلا من أن يفتح الباب لهم، ويستضيفهم، ويوسع عليهم ويقوم على خدمتهم بما يستطيع، أو يعتذر لهم عما لا يستطيع إذا به يعرض عنهم، ويصدهم، ويهجرهم، حتى لا يرهقوه بكثرة مطالبهم كما يزعم! [1] وما فائدة المال أو الجاه إذا حرم منه الأقارب؟

قال زهير بن أبي سلمى- وما أجمل ما قال-:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله　　على قومه يستغن عنه ويذمم [2]

وما أجمل قول البارودي:

فلا تحسبن المال ينفع ربه　　إذا هو لم تحمد قراه العشائر [3]

ومما قيل في ذلك:

ومن ذا الذي ترجو الأباعد نفعه　　إذا كان لم يصلح عليه الأقارب [4]

١١- **منع الأقارب من الميراث أوتأخير قسمة الميراث وبخاصة ميراث النساء:** فقد يكون بين الأقارب ميراث لم يقسم؛ إما تكاسلا منهم، أو لأن بعضهم عنده شيء من الجهل بأن الميراث للرجال دون النساء، متناسيا أن الميراث فريضة مقدرة من الله لجميع الورثة الذين يستحقونها، كباراً وصغاراً، ذكوراً واناثاً، ومنعهم من هذه الفريضة محرم شرعاً فيه مخالفة لأمر الله ورسوله.

وكلما تأخر قسم الميراث، وتقادم العهد عليه شاعت العداوة والبغضاء بين الأقارب؛ فهذا يريد حقه من الميراث ليتوسع به، وهذا آخر يموت ويتعب من بعده في حصر الورثة وجمع الوكالات حتى يأخذوا نصيبهم من

---

(١) بر الوالدين للأمام الطرطوشي (ص١٧١).
(٢) ديوان زهير (ص٣١).
(٣) ديوان البارودي(٢ ٩٧).
(٤) بر الوالدين للأمام الطرطوشي(ص١٧١).

مورثهم، وذاك يسيء الظن بهذا، وهكذا تشتبك الأمور، وتتأزم الأوضاع، وتكثر المشكلات فتحل الفرقة، وتسود القطيعة.

١٢- الشراكة بين الأقارب: فكثيرا ما يشترك بعض الأخوة أو الأقارب في مشروع أو شركة ما دون أن يتفقوا على أسس ثابتة، ودون أن تقوم الشركة على الوضوح والصراحة، بل تقوم على المجاملة وإحسان الظن، فإذا ما زاد الإنتاج واتسعت دائرة العمل دب الخلاف، وساد البغي، وحدث سوء الظن، خصوصاً إذا كانوا من قليلي التقوى والإيثار، أو كان بعضهم مستبدا برأيه، أو كان أحد الأطراف أكثر جدية من الآخر. ومن هنا تسوء العلاقة، وتحل الفرقة، وربما وصلت الحال بهم إلى الخصومات في المحاكم، فيصبحون بذلك سبة لغيرهم، قال الله تعالى: { قَالَ لَقَد ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرا مِّنَ ٱلخُلَطَاءِ لَيَبغِي بَعضُهُم عَلَىٰ بَعضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَقَلِيل مَّا هُم وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱستَغفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعا وَأَنَابَ } [(١)].

١٣- الاشتغال بالدنيا: واللهث وراء حطامها، فلا يجد هذا اللاهث وقتا يصل به قرابته، ويتودد إليهم.فيكون همه جمع المال فتأتي أيام المناسبات كالأعياد وغيرها وهو مهموم منشغل بالدنيا وحطامه التي تلهيه عن زيارة وصلة الأقارب والأرحام.

١٤- الطلاق بين الأقارب: فقد يحدث طلاق بين الأقارب، فتكثر المشكلات بين أهل الزوجين، إما بسبب الأولاد، أو بسبب بعض الأمور المتعلقة بالطلاق، أو غير ذلك، فيكون ذلك سبباً لقطع التواصل بين الأرحام.

١٥- التكاسل عن الزيارة: إما بسبب بعد المسافة أو لغيرها، فمن الناس من تنأى به الديار، ويشط به المزار، فيبتعد عن أقاربه وأرحامه، فإذا ما أراد المجيء إليهم بعدت عليه الشقة، فتثبط عن المجيء والزيارة. [(٢)]

١٦- التقارب في المساكن بين الأقارب: فربما أورث ذلك نفرة وقطيعة بين الأقارب، وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: "مروا ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا" قال الغزالي معلقا على مقولة عمر: " وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق، وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم" [(٣)] وقال أكثم بن صيفي: " تباعدوا في الديار تقاربوا في المودة " [(٤)]

---

(١) سورة ص: آية (٢٤)
(٢) بر الوالدين، الطرطوشي ص١٧١، وانظر: عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري،ص ٣٨٨،وإحياء علوم الدين، للغزالي (٢/٢١٦).
(٣) إحياء علوم الدين، للغزالي (٢/٢١٦).
(٤) عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، ص(٣٨٨).

ثم إن القرب في المسافة قد يسبب بعض المشكلات، التي تحدث بسبب ما يكون بين الأولاد من تنافس، أو مشادة، أو غير ذلك، وقد ينتقل ذلك إلى الوالدين، فيحاول كل من الوالدين أن يبرئ ساحة أولاده، فتنشأ العداوة، وتحل القطيعة.

١٧- **قلة تحمل الأقارب والصبر عليهم:** فبعض الناس لا يتحمل أدنى شيء من أقاربه، فبمجرد أي هفوة، أو زلة، أو عتاب من أحد من أرحامه بادر إلى القطيعة والهجر .

١٨- **الظن السيء وعدم التحري من الأخبار والأقوال التي قد يسمعها الشخص عن بعض أقاربه**، فقد يكون عند أحد أفراد الأسرة وليمة أو مناسبة ما، فيقوم بدعوة أقاربه إما مشافهة، أو عبر دعوة ورقية، أو عبر الهاتف، وربما نسي واحدا من أقاربه، وربما كان هذا المنسي ضعيف النفس، أو ممن يُغلِّب سوء الظن، فيفسر هذا النسيان بأنه تجاهل له، واحتقار لشخصه، فيقوده ذلك الظن إلى الصرم والهجر.

ومن سوء الظن الذي يفرق بين الأقارب أن بعض الأقارب قد يطلب من قريبه قضاء حاجة له فلا يستطيع على ذلك، فيعتذر منه، فيسيء هذا الطالب الظن بقريبه ويتهمه أنه يستطيع ومع ذلك لم يفعل، وله مقاصد في رفضه، وهذا يولد نفرة وتباغضاً. وربما ظن بعض الأقارب بقريبهم أنه غني وعنده مال ومع ذلك لا يعطيهم، وقد يكون هذا الشخص محملاً بالديون وإن أظهر للناس الغنى.

١٩- **الحسد:** فهناك من يرزقه الله علما، أو جاها، أو مالا، أو محبة في قلوب الآخرين، فتجده يخدم أقاربه، ويفتح لهم صدره، ومن هنا قد يحسده بعض أقاربه، ويناصبه العداء، ويثير البلبلة حوله، ويشكك في إخلاصه.

٢٠- **كثرة المزاح:** فإن لكثرة المزاح آثارا سيئة؛ فلربما خرجت كلمة جارحة من شخص لا يراعي مشاعر الآخرين فأصابت مقتلاً من شخص شديد التأثر، فأورثت لديه بغضاً لهذا القائل. ويحصل هذا كثيرا بين الأقارب والأرحام؛ لكثرة اجتماعاتهم.

قال ابن عبد البر : " وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح؛ لما فيه من ذميم العاقبة، ومن التوصل إلى الأعراض، واستجلاب الضغائن، وإفساد الإخاء ". [١]

٢١- **الوشاية والنميمة والإصغاء إليها:** فمن الناس من دأبه وديدنه إفساد ذات البين، فتجده يسعى بين الأحبة لتفريق صفهم، وتكدير صفوهم، فكم تحاصت بسبب الوشاية من رحم، وكم تقطعت من أواصر، وكم تفرق من شمل. وأعظم جرما من الوشاية: أن يصغي الإنسان إليها، ويصيخ السمع لها. وما أجمل قول الأعشى:

(١) بهجة المجالس وأنر المجالص لابن عبد ابر (٣٥٦٩).

ومن يطع الواشين لا يتركوا له صديقا وإن كان الحبيب المقربا[1]

٢٢- **سوء الخلق من بعض الزوجات:** فبعض الناس يبتلى بزوجة سيئة الخلق، ضيقة العطن، لا تحتمل أحدا من الناس، ولا تريد أن يشاركها في زوجها أحد من أقاربه أو غيرهم، فلا تزال به تنفره من أقاربه، وتثنيه عن زيارتهم وصلتهم، وتقعد في سبيله إذا أراد استضافتهم، فإذا استضافهم أو زاروه لم تظهر الفرح والبشر بهم، فهذا مما يسبب القطيعة بين الأرحام. وبعض الأزواج يسلم قياده لزوجته فإذا رضيت عن أقاربه وصلهم، وإن لم ترض قطعهم، بل ربما أطاعها في عقوق والديه مع شدة حاجتهم إليه.

٢٣- **رغبة البعض في عدم إطلاع أرحامه على حاله:** فبعض الأغنياء يخرج زكاته إلى الأباعد ويترك الأرحام ويقول إذا أعطيت الأرحام عرفوا مقدار ما عندي.

٢٤- **عدم قيام المجتمع بواجبه نحو قاطعي الرحم:** قد لا يقوم المجتمع بواجبه نحو قاطعي الرحم من: النصح، والوعظ، والإرشاد ومحاولة الإصلاح، والإنكار القلبي المتمثل في المقاطعة والحصار، بحيث شعر كل قاطع رحم بأن مصالحه في خطر. قد لا يقوم المجتمع بهذا الواجب، وحينئذ يتجرأ من يريد قطيعة رحمه، لأنه لا يرى أمامه من يقاومه، ويرده عن غيه وباطله .

٢٥- قد يكون من أسباب قطيعة الرحم المعاملات المالية بين الأقارب إذ يكون هذا اشترى من هذا شيئاً فتبين له أنه غشه أو انتقص هذا من الثمن. أو أقرضه وماطل في السداد ونحو ذلك من المعاملات المالية.

٢٦- عدم الاطلاع على أحوال القاطعين أرحامهم في الماضي والحاضر: ذلك أن السعيد من وعظ بغيره، وذلك يقتضي معرفة النتائج التي جناها غيره في الماضي، والحاضر من وراء قطيعته لرحمه، ومن لم يحرص على معرفة هذه النتائج، وتلك الأحوال، فإنه يتورط في قطيعة الرحم والتمادي فيها إلى حد الخسارة والبوار.

المبحث الخامس

آثار قطيعة الرحم وعواقبها

لقطيعة الرحم آثار ضارة، وعواقب وخيمة دنيوية وأخروية يعود أثرها على الفرد والمجتمع تتمثل في الآتي:

---

(١) ديوان الأعشى(ص٩).

١- **قاطع الرحم ملعون في كتاب الله** واللعن معناه الطرد من رحمة الله، فالله لا يثني على قاطع الرحم، ولا يدنيه منه، ولا يصيبه برحمته بحال قال تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣)) [١]

٢- **قاطع الرحم من الفاسقين الخاسرين،المفسدين في الأرض :**

قال الله تعالى: (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون)[٢]

٣- **قاطع الرحم لا يدخل الجنة** : عن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لا يدخل الجنة قاطع" [٣] يعني قاطع رحم. ولفظ أبي داود: (لا يدخل الجنة قاطع رحم) [٤] .

٤- **تعجيل العقوبة في الدنيا** : ذلك أن كل ذنب يقتضي حلول العقوبة، إن عاجلاً، أو آجلاً، إلا ذنب البغي، وقطيعة الرحم، فإن الله يعجل عقوبتهما في الدنيا شفاء لصدور ذوي الأرحام من ناحية، وتحذيراً للآخرين من التورط في قطيعة الرحم من ناحية أخرى، هذا إلى جانب ما يدخره لهما من العذاب في الآخرة، عن أبي بكرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: «ما من ذنب أجدر أن يعجّل اللّه لصاحبه العقوبة في الدّنيا مع ما يدّخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرّحم»[٣]

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أنّه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: ((ليس شيء أطيع اللّه فيه أعجل ثوابا من صلة الرّحم، وليس شيء أعجل عقابا من البغي وقطيعة الرّحم، واليمين الفاجرة تدع الدّيار بلاقع)) [٤]

٦— **قطيعة الرحم سبب لسخط الرّبّ بل هي من أبغض الأعمال إلى الله:**

عن رجل من خثعم قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه, فقلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: ((**نعم**)) قال: قلت: يا رسول الله! أيّ الأعمال أحب إلى الله؟ قال: ((**الإيمان بالله**)) قال: قلت: يا

---

(١) سورة محمد الآية: (٢٢ ، ٢٣)
(٢) البقرة الآية: (٢٦،٢٧)
(٣) سنن الترمذي (٢٥١١) واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح وقال محقق جامع الأصول (١١/ ٧١٦) إسناده صحيح، أبو داود (٤٩٠٢) وابن ماجة (٤٢١١)، والحاكم (٢/ ٣٥٦) وقال: صحيح الإسناد. البخاري في الأدب المفرد حديث (٢٩) وذكره الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٩٤) حديث (٩١٨).
(٤) السنن الكبرى،البيهقي (١٠/ ٦٢). وذكره الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٥٠) حديث (٥٣٩١) ومعنى (تدع الديار) أي تركه دار صاحبها (بلاقع) القفر ، أي صحراء ، وهو كناية عن خراب حاله ، وسوء مآله. (انظرشرح مسند أبي حنيفة، للقاري (١ / ٥٣٥)

رسول الله! ثم مه؟ قال: ((**ثم صلة الرحم**)) قال: قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: ((**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**))، قال: قلت: يا رسول الله! أي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: ((**الإشراك بالله**)) قال: قلت: يا رسول الله! ثم مه؟ قال: ((**ثم قطيعة الرحم**)) قال: قلت: يا رسول الله! ثم مه؟ قال: ((**ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف**)).[1]

وعن ابن عبّاس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: (إنّ اللّه ليعمّر بالقوم الدّيار، ويثمر لهم الأموال وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم. قيل: وكيف ذلك يا رسول اللّه؟ قال: لتضييعهم أرحامهم) [2]

٧- **قطع الرحم قطع للصّلة باللّه، والبعد عن رضاه، فمن قطع رحمه قطعه الله** أي حرمه من العون والتأييد الإلهي؛ ذلك أن الله- سبحانه- أمضى سنته بوصل من وصل رحمه، وقطع من قطع هذه الرحم، ولا معنى لقطيعة الله للعبد سوى الحرمان من العون، والتأييد: وقد وردت النصوص تدل على ذلك منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ { إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؛ قالت: بلى، قال: فذلك لك. } [3]

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله يقول: (قال الله عز وجل: أنا الرحمن، وأنا خلقت الرحم، وشققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بَتَتُّهُ)[4].أي قطعته

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الرحم شجنة، من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلتُه، ومن قطعك قطعتُهُ).

٨- **قطيعة الرحم سبب لعدم استجابة الدعاء**:عن عبادة بن الصّامت رضي اللّه عنه أنّه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: « ما على الأرض مسلم يدعو اللّه بدعوة إلّا آتاه اللّه إيّاها، أو صرف عنه من السّوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» فقال رجل من القوم: إذا نكثر. قال: «اللّه أكثر»[5]

---

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب، وعزاه لأبي يعلي وقال: إسناده جيد (٣/ ٢٢٨) ح رقم: (٣٧٩٦).وقال الألباني الحديث صحيح (انظر صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٣٣٦) (٢٥٢٢)

(٢) مجمع الزوائد، لابن الهيثم (٨/ ١٥٢) وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٣) متفق عليه: البخاري،كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله (٩٦/٧)، برقم ٥٩٨٧، ومسلم بلفظه، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٩٨٠/٤) برقم ٢٥٥٤، والآيات من سورة محمد ٢٢ – ٢٤.

(٤) البخاري في الأدب المفرد، باب فضل صلة الرحم (ص ٣٣)، برقم ٥٣، بلفظه, وأبو داود, في كتاب الزكاة, باب في صلة الرحم (١٣٣/٢) برقم ١٦٩٤، والترمذي، وصححه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم (٣١٥/٤)، برقم ١٩٠٧، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٥٢٠، وصحيح الأدب المفرد (ص ٤٩).

(٥) سنن الترمذي (٣٥٧٣) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب وقال محقق جامع الأصول (٩/ ٥١٢) رواه أحمد في المسند وهو صحيح.

٨- كراهة ذوي الأرحام للقاطع ودعاؤهم عليه:

ذلك أن حَجْب البر والمعروف عن ذوي الأرحام، بل أذاهم، والإساءة إليهم يحملهم على كراهية القاطع، ودعائهم عليه، ودعوتهم مجابة، للحديث:

- عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله)

عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الرحم شجنة من الرحمن، تقول: يا رب! إني ظلمت، يا رب! إني قطعت. يا رب! إني إني. يا رب! يا رب! فيجيبها: ألا ترضين أن أقطع من قطعك، وأصل من وصلك؟"[١].

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : إن الرحم شجنة متمسكة بالعرش تكلم بلسان ذلق: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني . فيقول الله تبارك وتعالى : أنا الرحمن الرحيم وإني شققت للرحم من اسمي فمن وصلها وصلته ومن بتكها بتكته) [٢] أي من قطعها قطعته

وعن ابن عبّاس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: « احفظوا أنسابكم تصلوا أرحامكم، فإنّه لا بعد بالرّحم إذا قربت، وإن كانت بعيدة، ولا قرب بها إذا بعدت، وإن كانت قريبة، وكلّ رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها، تشهد له بصلة إن كان وصلها، وعليه بقطيعة إن كان قطعها »)[٣]

١٠- يسلط الله على قاطع الرحم يوم القيامة حيّة يقال لها شجاع فيطوّق به في جهنم :

عن جرير بن عبد اللّه البجليّ- رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: (ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله .

فضلا أعطاه اللّه إيّاه فيبخل عليه، إلّا أخرج اللّه له يوم القيامة من جهنّم حيّة يقال لها شجاع فيطوّق به)[٤]

١١- ينزع الله البركة من الرزق، والعمر بسبب قطع الرحم:

ذلك أننا موعودون من ربنا حين نصل رحمنا بالبركة في الرزق، والبركة في العمر، فإذا ما كانت قطيعة كان العقاب بنزع البركة منهما معاً.

---

(١) الأدب المفرد، للبخاري(١/ ٣٥) ح رقم: (٦٨) قال الشيخ الألباني الحديث حسن (٢٧/١) .
(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - (٨ / ٢٧٥) رقم: (١٣٤٤٨) رواه البزار وإسناده حسن
(٣) الأدب المفرد، للبخاري(١/ ٣٩) ح رقم: (٧٣) قال الشيخ الألباني حسن الإسناد (٣٣/١) .
(٤) مجمع الزوائد (٨/ ١٥٤) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وإسناده جيد.

إذيقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ في أثره،[١] فليصل رحمه)).[٢]

١٢- يفقد القاطع ثقة الناس، واحترامهم له، والتخلي عن نصرته: ذلك أن الناس يثقون بمن يعطف على أهله، ويحترمونه، فإذا قطع رحمه سحب الناس ثقتهم به، واحترامهم له من باب: أنه إذا لم يكن فيه خير لقراباته، فلا خير فيه لأحد أبداً. بل إنهم ليتخلون عن نصرته، ومؤازرته، فينال الناس منه. والواقع يصدق ذلك، إذ رأينا قاطع الرحم يتنكر له أرحامه ويتركونه وحده في العراء، فيعتدي عليه الآخرون، وقد يسلبونه ماله، فيعيش في ضيق، وفقر، كما يعيش مكدود البال والخاطر فيضيع عمره بدداً بلا طائل، ولا فائدة.

١٣- القلق والاضطراب النفسي: ذلك أن قاطع الرحم مرتكب كبيرة من الكبائر، ومثل هذا يسودُّ قلبه على مدار الأيام، وسواد القلب مرضه، وقلقه واضطرابه، وصدق الحق- سبحانه- إذ يقول: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)[٣] ، وإذ يقول: (ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا)[٤]

١٤- وأما آثار قطيعة الرحم على الأمة الإسلامية فتتمثل في: تمزيق وحدة المجتمع والأمة؛ ذلك أنه إذا تقطعت الأرحام، فقد تمزَّقت وحدة المجتمع والأمة وإذا تمزَّقت وحدة المجتمع، والأمة، صار من السهل على الأعداء النيل من كرامة المجتمع، والأمة بالسيطرة على الأرض، وأخذ الثروات، والعمل على تغيير الهوية، والثقافة.

(١) ينسأ له في أثره: أي يؤخر له في أجله، وبسط الرزق: توسيعه وكثرته، وقيل: البركة فيه. وأما التأخير في الأجل، فقيل: هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك، ورجحه النووي. وقيل: إن التأجيل في العمر بالنسبة لما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ, ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة، إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله عز وجل ما سيقع من ذلك وهو من معنى قوله تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد : ٣٩) فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره، ولا زيادة بل هي مستحيلة، وبالنسبة لما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة، وهو مراد الحديث. وقيل: إن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت، حكاه القاضي، وهو ضعيف أو باطل والله أعلم. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٣٥٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم (٧/٩٦) برقم: (٥٩٨٦) وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٤/١٩٨٢) برقم: (٢٥٥٧). وسنن أبي داود (١٦٩٣)،ومسند أحمد (٣/٢٢٩).

(٣) سورة طه: (١٢٤)

(٤) سورة الجن: (١٧).

الفصل الثاني

علاج قطيعة الرحم في الشريعة الإسلام.

تمهيد: لقد وضع الإسلام لمشكلة قطيعة الرحم علاجاً ناجعاً من شأنه أن يساعد من التخفيف من هذه المشكلة وتجنب الوقوع فيها ، وقد اتخد الإسلام في معالجته لهذه المشكة أسلوبين:

الأول: اسلوب الترهيب المتمثل في تحريم قطيعة الأرحام وضرره وأثره السلبي على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة وهو ماسبق بيانه في الفصل الأول.

الثاني: اسلوب الترغيب المتمثل في الدعوة إلى وجوب صلة الأرحام وبيان فضله وأثره الإيجابي على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة. وهذا ما نريد معرفته في هذا الفصل وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول : الإسلام يأمر بصلة الرحم.

المبحث الثاني : فضل صلة الرحم ,آثارها.

المبحث الثالث: الأمور التي تكون بها الصلة والأمور المعينة على ذلك.

المبحث الأول

الإسلام يأمر بصلة الرحم.

قبل الشروع في بيان حكم صلة الأرحام في الإسلام لا بد لنا من بيان مفهوم **صلة الأرحام لغة واصطلاحاً.**

جملة (صلة الأرحام) مركبة من كلمتين (صلة)، و (الأرحام) ، وقد سبق بيان المراد بالأرحام لغة واصطلاحاً في بداية البحث وفي هذا الفصل نبين مفهوم الصلة لغة **والمراد بصلة الأرحام :**

أ- **مفهوم الصلة: لغة** مصدر وصل الشيء بالشيء: ضمّه إليه وجمعه معه [1] . يقال: وصلتُ الشيء بغيره وصلاً، فاتصل به، وَوَصَلْتُهُ وصلاً، وصلةً، ضد: هجرته، وواصلته مواصلةً ووصالاً [2].

قال ابن منظور: " وصلت الشيء وصلا وصلة، والوصل ضد الهجران " .ويقال: وصل فلان رحمه يصلها صلة وبينهما وصلة: أي اتصال وذريعة " (١). والتواصل ضد التصارم (٢).

ب- مفهوم صلة الأرحام اصطلاحاً:

عرف بعض العلماء صلة الرحم بأنها: كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب، والأصهار، والتعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بَعُدُوا أو أساءوا. (٣).

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١١ / ٧٢٧).
(٢) انظر المصدر السابق (٧٢٨/١١،) ومختار الصحاح، الرازي (ص ٧٤٠)
(٣) النهاية في غريب الحديث، ابن الجزري (١٩١/٥ – ١٩٢). عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (٣٢ / ١٣٦)

وعرفها البعض: بأنها الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول: فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة، وتارة بالسلام[١]

وقيل المراد بصلة الأرحام: الإحسان إليهم قولاً وفعلاً وكف الأذى عنهم .[٢]

وعرف ابن كثير صلة الأرحام بأنها: الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال. [٣]

ومن هذه التعاريف نخلص إلى أن صلة الأرحام بالجملة تعني الإحسان إلى الأقربين، وإيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم.

ثانياً: حكم صلة الرحم:

لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة, وقطيعتها معصية من كبائر الذنوب ,وقد نقل الاتفاق على وجوب صلة الرحم وتحريم قطيعتها القرطبي وابن العربي والقاضي عياض وغيرهم [٤] وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على ذلك.

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم على وجوب صلة الرحم:

١- أمر الله بالإحسان إلى ذوي القربى وهم الأرحام الذين يجب وصلهم في كثير من الآيات القرآنية منها: قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ) [٥]

وقوله تعالى : ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً)) [٦]

وقوله : ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)) [٧]

قال ابن كثير: قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال. وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من طرق عديدة، ووجوه كثيرة. [٨]

---

(١) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، لسعدي أبو جيب، (ص ١٤٥)، وانظر: معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي (ص ٤٧٥).
(٢) شرح فيض القدير، المناوي (١/١٦٩)
(٣)تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(٧ / ٣١٨)
(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٥ / ٥) و أحكام القرآن، لابن العربي(٢ / ٩٥) و شرح النووي على مسلم (١٦/ ١١٢- ١١٣) . وقد سبق ذكر أقوالهم في هذا البحث ص٩.
(5) البقرة: (٨٣)
(٦) النساء: (٣٦)
(٧) الإسراء: (٢٧)
(٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧ / ٣١٨)

٢- وفي آيات أخرى أمر الله سبحانه وتعالى بصلة الأرحام بالمال والنفقة وغيرها واعتبر ذلك من أعمال البر فقال تعالى : ((إِنّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ)) [١]

-وقاله تعالى:((لَيْسَ الْبِرّ أَنْ تُوَلّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنّ الْبِرّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنّبِيّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السّبِيلِ))[٦]

- وقوله تعالى : ((يَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ)) [٢]

٣- ومما يدل على وجوب صلة الأرحام أن الله سبحانه وتعالى جعل أولوا الأرحام بعضهم اولى ببعض فقال تعالى :((وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) [٣] قال ابن كثير: أي في حكم الله، وأنها ليست خاصة بالأرحام الذين يذكرهم علماء الفرائض الذين ليس لهم فرض، وليسوا من العصبة، بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القرابات، كما نص عليه ابن عباس ومجاهد وعكرمه رضي الله عنهم[٤].

٤- كما أنه سبحانه عظم قدر الأرحام فقرن بين تقواه سبحانه وبين صلة الأرحام، فقال تعالى : ((وَاتّقُوا اللّهَ الّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)) [٥] والمعنى: أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فلا تقطعوها فإنها مما أمر الله به ان يوصل.[٦]

قال القرطبي "اتقوا الله أن تعصوه واتقوا الأرحام أن تقطعوها).[٧]

والجمع بين تقوى الله والحث على صلة الرحم والتحذير من قطعها دليل على تأكيد الإسلام على صلة الأرحام، وإلا لما جعله الله قرينًا للتقوى فلما جمع معه تأكد الحث عليه والعناية به .

٥- ومما يدل على وجوب صلة الرحم أن وصلها طاعة لله عزوجل؛ فهي وصل لما أمر الله به أن يوصل.

قال تعالى مثنيا على الواصلين: (وَالّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) [٨]

---

(١) النحل: (٩٠)
(٢) البقرة: (٢١٥)
(٣) الأنفال: (٧٥)
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤ / ١٠٠)
(٥) النساء آية: (١)
(٦) فتح القدير، للشوكاني (١ /٦٢٦)
(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٥ / ٥)
(٨) سورة الرعد آية: ٢١.

ثانياً: السنة النبوية تحث على صلة الرحم:

ووردت أحاديث كثيرة فيها الأمر بصلة الرحم وبيان الثواب والأجر للواصل . قال ابن كثير: قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال. وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من طرق عديدة، ووجوه كثيرة. [1] نذكر منها ما يلي:

١- **صلة الأرحام من أول الأمور المهمة التي** دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم في أول بعثته، ففي **حديث سفيان** ابن حرب: أن هرقل عظيم الروم قال له حينما سأله عن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ((ماذا يأمركم؟ قال: أبو سفيان: قلت: يقول: ((اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة)) [٣]

٢- **صلة الأرحام من أعظم أسباب دخول الجنة، والبعد عن النار:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا أيها الناس أفشوا السلام ،وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام،تدخلوا الجنة بسلام)) [٢] ففي الحديث أمر من النبي صلى الله عليه وسلم للناس بصلة الأرحام وأن صلة الرحم من أعظم أسباب دخول الجنة، والبعد عن النار، ويؤيد ذلك مارواه أبو أيوب الأنصاري ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله، { أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، فقال النبي ﷺ تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم } [٣]

٣- **صلة الأرحام دليل على الإيمان بالله واليوم الآخر.**عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)) [٤]

٤- **ومما يدل على أهمية صلة الأرحام، أنها من الأمور التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي بها أصحابه،** عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : ((أوصاني خليلي أن لا تأخذني في الله لومةُ لائم ، وأوصاني بصلة الرحم وإن أدبرت))[٥]

٥- **ومما يؤكد وجوب صلة الأرحام أنها تجلب صلة الله للواصلين ولطفه بهم ورحمته إياهم وعطفه بإحسانه ونعمه عليهم:** قال رسول الله ﷺ { إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧ / ٣١٨)
(٢) سنن الترمذي(٢٤٨٥).وسنن ابن ماجه (٣٢٥١) . واللفظ له . وأحمد (٤٥١/٥) . وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٤٥٦)
(٣) صحيح البخاري الزكاة (١٣٣٢)،وصحيح مسلم الإيمان (١٣)،وسنن النسائي الصلاة (٤٦٨)،ومسند أحمد (٤١٧/٥).
(٤) صحيح البخاري مع الفتح (٦١٣٨/١٠) واللفظ له ، وصحيح مسلم برقم: (٤٧).
(٥) ذكره في المجمع وقال : رواه الطبراني في الصغير(٤٨/٢(ح رقم (٧٥٨) والكبير (٢٦٥/٢) ورجال الطبراني رجال الصحيح غير سلام بن المنذر وهو ثقه (١٥٤/٨)

بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؛ قالت: بلى، قال: فذلك لك. }[1] . فمقصود هذا الكلام الإخبار بتأكد أمر صلة الرحم وأنه تعالى أنزلها منزلة من استجار به فأجاره فأدخله في حمايته وإذا كان كذلك فجار الله غير مخذول. [2]

وحقيقة الصلة: العطف والرحمة، فصلة الله سبحانه وتعالى عبارة عن لطفه بهم ورحمته إياهم وعطفه بإحسانه ونعمه أوصلتهم بأهل ملكوته الأعلى وشرح صدورهم لمعرفته وطاعته.[3]

المبحث الثاني

فضل صلة الرحم وآثارها

ذكرنا في المبحث السابق أن من علاج الإسلام لمشكلة قطيعة الرحم أنه أمر بصلتها واعتبر وصلها من الواجبات ، فإنه إلى جانب ذلك استخدم أسلوب ترغيب الناس إلى صلة أرحامهم، وذلك بأن رتب على صلة الرحم آثار وفوائد وفضائل كثيرة، يعود أثرها على الفرد والجماعة منها ماهو عاجل في الدنيا وومنها ما هو آجل في الآخرة.

أولاً: فضل صلة الرحم.

لصلة الرحم-بأي نوع من أنواع الصلة فضل وثواب وأجر عظيم عندالله أعده الله للواصل نذكر منها الآتي:

١-صلة الرحم من أحب الأعمال وأفضلها إلى الله تعالى بعد الإيمان بالله؛ **عن رجل** من خثعم قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه. فقلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: ((**نعم**)) قال: قلت: يا رسول الله! أيّ الأعمال أحب إلى الله؟ قال: ((**الإيمان بالله**)) قال: قلت: يا رسول الله! ثم مه؟ قال: ((**ثم صلة الرحم**)) قال: قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: ((**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**))، قال: قلت: يا رسول الله! أي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: ((**الإشراك بالله**)) قال: قلت: يا رسول الله! ثم مه؟ قال: ((**ثم قطيعة الرحم**)) قال: قلت: يا رسول الله! ثم مه؟ قال: ((**ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف**)).[4]

٢-واصل الرحم يعمل بو صية الرسول الله صلى الله عليه وسلم: لحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: ((أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير: أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقي، وأن أنظر إلى من هو دوني، وأوصاني بحب المساكين. والدنوِّ منهم، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت، وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرًّا، وأوصاني أن أكثر من: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنها كنز

(١) صحيح البخاري الأدب (٥٦٤١)،وصحيح مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٥٤)،أحمد (٣٣٠/٢).
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤١٨/١٦)
(٣) شرح النووي صحيح على مسلم(١١/١٥)
(٤) الترغيب والترهيب، وللمنذري، وعزاه لأبي يعلي وقال: إسناده جيد (٣/ ٢٢٨) ح رقم: (٣٧٩٦).وقال الألباني الحديث صحيح (انظر صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٣٣٦) (٢٥٢٢)

من كنوز الجنة))[١].

٣-**صلة الرحم دليل على الإيمان بالله** واليوم الآخر؛ **لحديث أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)) [٤].

٤-صلة الرحم دليل على صحة عقل الإنسان وسلامته من الأمراض العقلية السقيمة،لأن أصحاب العقول السليمة يجمع الله بينهم وبين أحبابهم في جنات عدن، قال الله تعالى: ((أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ؛ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ)) [٢].

قوله: { إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ } أي: إنما يتعظ ويعتبر ويعقل أولو العقول السليمة الصحيحة .

يقول تعالى مخبرًا عمن اتصف بهذه الصفات الحميدة، بأن لهم { عُقْبَى الدَّارِ } وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.{ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ } من صلة الأرحام، والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمحاويج، وبذل المعروف،) [٣]

٥-الصدقة على الأرحام؛ من أفضل الصدقات لأن الصدقة على ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة، وأفضل النفقات النفقة على العيال والأهل والأقربين: قال الله سبحانه: ((يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)) [٤].

وفي حديث سلمان بن عامر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **((إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة))**. (٥) **ولحديث زينب** رضي الله عنها. أنها أرسلت بلالاً يسأل النبي صلى الله عليه وسلم: أيجزئ عني أن أنفق على زوجي، وأيتام في حجري؟ فسأله فقال: **((نعم، ولها أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة))**. وفي لفظ مسلم: **((لهما أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة))**؛ لأنها كان معها امرأة من الأنصار حاجتها حاجتها[٦].

الحديث فيه دلالة على الحث على الصدقة على الأقارب وصلة الأرحام، وأن فيها أجرين. [٧]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخلٍ، وكان أحب

---

(١) صحيح ابن حبان (١٩٤/٢)، برقم ٤٤٩، والطبراني في المعجم الكبير (١٥٦/٢) برقم ١٦٤٨، وفي الأوسط والصغير (٢٣٦/٧) وصححه شعيب الأرنؤوط في تخريجه لصحيح ابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٦٦٩/٢).
(٢) سورة الرعد، الآيات: (١٩– ٢١).
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤ / ٤٥٠)
(٤) سورة البقرة, الآية: ٢١٥.
(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١٧/٢، ١٨، ٢١٤)، والترمذي وحسنه،(٣٨/٣) برقم (٦٥٨)، والنسائي، برقم (٢٥٨٢)، وابن ماجه، برقم (١٨٤٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي [٢٠٢/١].
(٦) صحيح البخاري، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر، برقم (١٤٦٦)، وصحيح مسلم، برقم (١٠٠٠).
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم (٩٢/٧).

أمواله إليه بَيْرُحاء, وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية ((لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ))[١] قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: ((لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ))وإن أحبَّ أموالي إليَّ بَيرُحا[٢]، وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**بَخ[٣]، ذلك مال رابح[٤]، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**)) فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه)). وفي لفظ: ((فجعلها في حسان بن ثابت وأبي بن كعب)) [٩].

وفي هذا الحديث من الفوائد أن الصدقة على الأقارب أفضل من الأجانب إذا كانوا محتاجين، وفيه أن القرابة يرعى حقها في صلة الأرحام, وإن لم يجتمعوا إلا في أبٍ بعيد؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أبا طلحة أن يجعل صدقته في الأقربين, فجعلها في أبي بن كعب وحسان ابن ثابت، وإنما يجتمعان معه في الجد السابع.[٥]

٦-ومما يدل على فضل صلة الرحم أن الصدقة على الأرحام أفضل من العتق :

عن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أنها أعتقت وليدة في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((لو أعطيتيها أخوالك كان أعظم لأجرك))[٦].

ومفهومه إن الهبة لذوي الرحم أفضل من العتق، وفي الحديث فضيلة صلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب .وفيه الإعتناء بالأقارب الأم إكراماً بحقها، وهو زيادة في برها.[٧]

٧- الصدقة على ذي الرحم الذي يضمر العداوة في باطنه من أفضل الصدقات.

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقات أيُّها أفضل؟ قال: ((**على ذي الرحم الكاشح** [٨]))[٩]. **وعن أم كلثوم** بنت عقبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**أفضل** الصدقة على ذي الرحم الكاشح))[١٠].

---

(١) سورة آل عمران, الآية: ٩٢.
(٢) بيرحاء: حائط يسمى بهذا الاسم، وليس اسم بئر [شرح النووي ٨٩/٧].
(٣) بَخ: معناه تعظيم الأمر وتفخيمه، وهي كلمة تقال عند الإعجاب، [شرح النووي على صحيح مسلم ٩٠/٧].
(٤) مال رابح: ومعناه بهذا اللفظ ظاهر، وأما لفظ: (رايح) في بعض الأوجه: فمعناه رايح عليك أجره ونفعه في الآخرة [شرح النووي ٩١/٧].
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (٩١/٧).
(٦) صحيح البخاري، كتاب الهبة، برقم (٢٥٩٤)، وصحيح مسلم، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، برقم (٩٩٩).
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم (٩١/٧). ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦ / ٣٧٢)
(٨) الكاشِحُ: هو الذي يضمر عداوته في كشحه: وهو خصره، يعني أن أفضل الصدقة على ذي الرحم القاطع المضمر العداوة في باطنه، [المنذري في الترغيب والترهيب (٦٨٢/١)]، وقيل: (الكاشح): العدو الذي يضمر عداوته ويطوي عليها كَشْحَهُ: أي باطنه، والكشح: الخصر، أو الذي يطوي عنك كشحه ولا يألفك. (النهاية، لابن الجزري (١٧٦/٤).
(٩) مسند أحمد (٤٠٢/٣)، والنسخة المحققة برقم (١٥٣٢٠)، (٣٦/٢٤)، وله شواهد، وطرق، ولهذا قال محققو المسند: حديث صحيح. وقال الألباني في إرواء الغليل (٤٠٤/٣) برقم (٨٩٢) الحديث: صحيح.
(١٠) المستدرك، للحاكم (٤٠٦/١)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في إرواء الغليل (٤٠٥/٣): وهو كما قال.

ثانيا: آثار صلة الرحم.

صلة الرحم هي ككل الواجبات التي تتعرض للعلاقات الإنسانية والاجتماعية، تؤدي إلى آثار إيجابية على الشخص القائم بها والمجتمع الذي يعيش فيه، وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة، وكذلك أقوال العلماء والحكماء، على ذلك نذكر منها الآتي:

١-صلة الرحم من الأعمال التي يعجل الله أجرها وثوابها في الحياة الدنيا، فالله يعجل لواصل الرحم الثواب في الدنيا مع ما يدخر له من الجزاء الحسن في الآخرة:

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أنّه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: ((ليس شيء أطيع اللّه فيه أعجل ثوابا من صلة الرّحم، وليس شيء أعجل عقابا من البغي وقطيعة الرّحم، واليمين الفاجرة تدع الدّيار بلا قع)) [١]

عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون" [٢]

وعن أبي سلمة ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم ، حتى إن أهل البيت ليكونون فجارا تنمى أموالهم ، ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم)) .[٣]

٢-صلة الأرحام يزيد الله بها في العمر، وتنمي الأموال: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه)) [٤] . وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: ((إنه من أُعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق وحسن الجوار، يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار)) [٤] .

عن ابن عمر قال: "من اتقى ربه، ووصل رحمه، نُسّىءَ في أجله، (وفي لفظ: أُنسيء له في عُمُرِهِ) وثرى ماله، وأحبه أهله"(٤).

٣-صلة الأرحام من أسباب شيوع المحبة بين الأهل والأقارب: فالإنسان إذا وصل أرحامه، وحرص على إعزازهم أكرمه أرحامه، وأعزوه، وأجلوه، وسودوه، وكانوا عونا له.فبسببها تشيع المحبة، وتسود الألفة، ويصبح الأقارب لحمة واحدة، وبهذا يصفو عيشهم، وتكثر مسراتهم.

---

(١)البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٦٢). وذكره الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٥٠) حديث (٥٣٩١)

(٢) صحيح ابن حبان (٢ / ١٨٢-١٨٣)

(٣)مجمع الفوائد، الهيثمي(١٥١/٨، ١٥٢)، وأخرجه الخرائطي في "مكارم الأخلاق" (١ / ٢٦٣) وقال: رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن موسى بن أبي عثمان الأنطاكي، ولم أعرفه، وباقي رجال الإسناد ثقات. وأخرجه عبد الرزاق "٢٠٢٣١" عن معمر، عن يحيى بن أبي كثير - قال: لا أعلمه إلا رفعه - قال: ثلاث من كن فيه راى وبالهن قبل موته: من قطع رحماً أمر الله بها أن توصل، ومن حلف على يمين فاجرة ليقطع بها مال امرئ مسلم، ومن دعا دعوة يتكثر بها فإنه لا يزداد إلا قلة، وما من طاعة الله شيء أعجل ثواباً من صلة الرحم، ومن معصية الله شيء أعجل عقوبة من قطيعة الرحم، وإن القوم ليتواصلون وهم فجرة، فتكثر أموالهم، ويكثر عددهم، وإنهم ليتقاطعون، فتقل أموالهم، ويقل عددهم، واليمين الفاجرة تدع الدار بَلاقِع.

(٤) الأدب المفرد، البخاري (١ / ١٩٤) وقال الألباني الحديث حسن(صحيح الأدب المفرد) (٢٥/١)

ولم أر عزّاً لامرىءٍ كعشيره ... ولم أر ذلاًّ مثل نأي عن الأهل[1]

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراةٌ(٢) في المال، مَنْسَأةٌ في الأثر**[4]))[5].

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر: ((تعلموا أنسابكم، ثم صلوا أرحامكم، والله إنه ليكون بين الرجل وبين أخيه الشيء، ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخلة الرحم[4]؛ لأوزعه ذلك عن انتهاكه))[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم؛ فإنه لا قرب لرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة، ولا بعد لها إذا وصلت وإن كانت بعيدة))[3]. وزاد البخاري في الأدب المفرد موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما: ((... وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها، وعليه بقطيعة إن كان قطعها))[3]. ولا شك أن الإحسان إلى الأهل والأقارب يجعل للإنسان المحسن ذكرى وحياة في الدنيا، فيبقى ذكره، وإحسانه خالداً في حال حياته، وبعد مماته يذكر بخير، وهو خير أيضًا له في الآخرة؛ لأن له أجرًا مخصوصًا يثاب عليه، ودرجات مخصوصة أيضًا يفوز بها يوم التفاخر بالأعمال، فأحسنُ ذكري تبقى للإنسان من وصل رحمه، وأحسن إليه، واستفقده في السراء والضراء، وأعانه بما يقدر عليه، وكل إنسان بحسبه وطاقته، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. والحديث.

٤-**صلة الرحم تدفع عن الإنسان ميتة السوء:** عَنْ عَاصِمٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمُدَّ اللَّهُ فِي عُمْرِهِ وَيُوَسِّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيَدْفَعَ عَنْهُ مَيْتَةَ السُّوءِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) [3]

٥-**واصل رحمه لا يخزيه الله تعالى، وتكون قوة** إيمانه وخشيته لله على حسب صلته برحمه؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أوصل الناس لرحمه كما **قالت أم المؤمنين** خديجة رضي الله عنها له: ((... كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقريء الضيف، وتعين على نوائب الحق...))[4].

٦-**صلة الأرحام من أسباب دخول الجنة، فعن أبي أيوب** الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: ((تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم))[1].

---

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة (٣١١

(٢) مثراة : مسببة للغنى وزيادة المال

(٣) المستدرك على الصحيحين، للحاكم (٤/ ١٧٧) ح رقم: (٧٢٨٠) المعجم الأوسط،الطبري (٣/ ٢٣٣) ح (٣٠١٤)

وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام, تدخلوا الجنة بسلام))[1] .

٧-**صلة الرحم من أسباب النجاة من تعجيل العقوبة في الدنيا،والعذاب في الآخرة،** لأن قطيعة الرحم سبب لتعجيل العقوبة على المرء في الدنيا، ومنعه من دخول الجنة يو القيامة. فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من ذنبٍ أجدرُ أن يعجّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مَعَ ما يَدَّخرُ له في الآخرة: من البغي, وقطيعة الرحم))[3] . وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يدخل الجنة قاطع))[ ] ، يعني قاطع رحم، ولفظ أبي داود: ((لا يدخل الجنة قاطع رحم))[4]

٨**صلة الرحم من أسباب قبول العمل؛ لحديث** أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن أعمال بني آدم تُعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبلُ عمل قاطعِ رَحِمٍ))[4] .

٩-**صلة الرحم من أسباب السلامة من اللعنة، والنجاة من النار،** قال الله تعالى: ((وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ))[2]. ففي الآيةدليل على استحقاق قاطع الرحم اللعنة وهو الطرد من رحمة الله وسوء الدار يوم القيامة وهي النار، ومفهوم المخالفة أن واصل الرحم يسلم من كل ذلك.

١٠- **صلة الرحم سبب لصلة الله لعبده،أي احسان الله لعبده، فمن وصل رحمه وصله الله بإحسانه،** عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله))[3].

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((قال الله عز وجل: أنا الرحمن، وأنا خلقت الرحم، وشققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بَتَتُّهُ(٤)))[5]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الرحم شجنة, من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلتُه، ومن قطعك قطعتُهُ))[6].

والوصل من الله كناية عن عظيم إحسانه وإنما خاطب الناس بما يفهمون ولما كان أعظم ما يعطيه المحبوب

(١) صحيح البخاري،باب إثم القاطع (٩٥/٧)، برقم (٥٩٨٤(ومسلم، بلفظه، (١٩٨١/٤) برقم (٢٥٥٦).
(٢) سورة الرعد، الآية: (٢٥).
(٣) صحيح مسلم، (١٩٨١/٤) برقم ٢٥٥٦.
(٤) بَتَتُّهُ: أي قطعته من رحمتي الخاصة من البت وهو القطع. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي - (٦ / ٢٩) وعون المعبود شرح سنن أبي داود (٥ / ٧٧)
(٥) الأدب المفرد، البخاري (ص ٣٣)، برقم: (٥٣)، بلفظه, وسنن أبي داود, (١٣٣/٢) برقم: (١٦٩٤)، وسنن الترمذي، وصححه (٣١٥/٤)، برقم: (١٩٠٧)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (٥٢٠).
(٦) الأدب المفرد، البخاري، برقم: (٥٩٨٨). وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصباح، للتبريزي : برقم: (٤٩٢٠)

لمحبه الوصال وهو القرب منه وإسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه وكانت حقيقة ذلك مستحيلة في حق الله تعالى عرف أن ذلك كناية عن عظيم إحسانه لعبده [١]

١١- **ومن آثار صلة الرحم أنها سبب لاستجابة الدعاء لأن قطيعة الرحم سبب لعدم قبول الله الدعاء:** عن عبادة بن الصّامت رضي اللّه عنه أنّه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: «ما على الأرض مسلم يدعو اللّه بدعوة إلّا آتاه اللّه إيّاها، أو صرف عنه من السّوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» فقال رجل من القوم: إذا نكثر. قال: «اللّه أكثر») [٢]

١٢-**صلة الرحم مدعاة للذكر الجميل:** فهي مكسبة للحمد، مجلبة للثناء الحسن، حتى إن أهل الجاهلية ليتمدحون بها، ويثنون على أصحابها؛ فهذا الأعشى يمدح الأسود بن المنذر بن يزيد اللخمي، فيقول:

عنده الحزم والتقى وأسى الصرع ... وحمل لمضلع الأثقال

وصلات الأرحام قد علم الناس ... وفك الأسرى من الأغلال [٣]

١٣-**أنها تدل على الرسوخ في الفضيلة:** فهي دليل كرم النفس، وسعة الأفق، وطيب المنبت، وحسن الوفاء، وصدق المعشرولهذا قيل:"من لم يصلح لأهله لم يصلح لك، ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك " [٤]

١٤-**صلة الرحم عزة للمتواصلين:** فالأرحام المتواصلون، المتوادون المتآلفون يعلو قدرهم، ويرتفع ذكرهم، فيكون لهم شأن، ويحسب لهم ألف حساب، فلا يتجرأ أحد أن يسومهم خطة ضيق، أو أن يمسهم بلفحة من ظلم؛ فيظلون بأعز جوار، وأمنع ذمار. بخلاف ما إذا تقاطعوا، وتدابروا؛ فإنهم يذلون ويسترذلون، فيلقون هوانا بعد عز، وضعة بعد رفعة، ونزولا بعد شمم.

١٥-**الله تعالى ينصر ويعين ويأيد ويدافع عن من يصل أرحامه المقاطعين له،** وهذا مابينه النبي صلى الله عليه وسلم للذي يصل قرابته ويقطعونه: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: ((لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَّ(٥)، ولايزال معك من الله ظهير عليهم[٦] ما دمت على ذلك))[٧].

ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار. والظهير: المعين والدافع لأذاهم،وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (١٠ / ٤١٨)

(٢) صحيح الترمذي (٣٥٧٣) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب وقال محقق جامع الأصول (٩/ ٥١٢) قال الألباني الحديث(حسن صحيح) انظر صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/٧٣) برقم :(٣٥٧٣)

(٣) ديوان الأعشى ص ١٦٦.

(٤) أدب الدنيا والدين، للماوردي ص١٥٣.

(٥) الملَّ: هو الرماد الحار، شرح النووي على صحيح مسلم (١١٥/١٦)

(٦) الظهير: المعين الدافع لأذاهم. انظر: المرجع السابق (١١٥/١٦)

(٧) صحيح مسلم،كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٩٨٢/٤) برقم (٢٥٥٨).

الأذى عليه، وقيل معناه إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف المل، وقيل ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم .(١)

ومما سبق يتبين لنا أن لصلة الرحم فضل وأجر عظيم عندالله، ولها فوائد وآثار تعود على الواصل رحمه، في الدنيا والآخرة وخلاصتها أن من وصل رحمه فهو موصول بالرحمة والعطف من الله، ومحمود بالشكر والثناء الحسن من الناس

المبحث الثالث: الأمور التي تكون بها صلة الرحم والأمور المعينة على ذلك.

أولاً: الأمور التي تكون بها صلة الرحم.

صلة الرحم تكون بأمور عديدة؛ فتكون بزيارتهم، وتفقد أحوالهم، والسؤال عنهم، والإهداء إليهم، وإنزالهم منازلهم، والتصدق على فقيرهم، والتلطف مع غنيهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم وضعيفهم، وتعاهدهم بكثرة السؤال عن احوالهم .

وتكون باستضافتهم، وحسن استقبالهم، وإعزازهم، وإعلاء شأنهم، وصلة القاطع منهم.

وتكون أيضا بمشاركتهم في أفراحهم، ومواساتهم في أتراحهم، وتكون بالدعاء لهم، وسلامة الصدر نحوهم، وإصلاح ذات البين إذا فسدت بينهم، والحرص على تقوية العلاقة وتثبيت دعائمها معهم. وتكون بعيادة مرضاهم، وإجابة دعوتهم. وأعظم ما تكون به الصلة، أن يحرص المرء على دعوتهم إلى الهدى، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. فإذا سارت الأسر على هذا النحو كان حريا بهم أن يرتقوا في مدارج الكمال، ومراتب الفضيلة.

قال **بعض العلماء:** صلة الرحم أنواع على حسب الحاجة، فتكون بالنفقة لمن يحتاج ذلك، وتكون بالهدية، وبالتودد إليهم، وبالعون والإعانة على الحاجات، وبالنصيحة، وبدفع الضرر، وبالإنصاف معهم، وطلاقة الوجه، وبالعدل والقيام بالحقوق الواجبة، وبالدعاء، وبتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم، والزيارة, وبالشفاعة الحسنة, والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الضرر(١) .

قال ابن حجر: وتصل الرحم أي تواسى ذوي القرابة في الخيرات. وقال النووي معناه أن تحسن إلى أقاربك ذوي رحمك، بما تيسر على حسب حالك وحالهم، من إنفاق، أو سلام، أو زيارة، أو طاعة أو غير ذلك.(٢)

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١١٥/١٦)
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري(٢٦٥/٣) وشرح صحيح مسلم, للنووي(١٧٣/١)

قال القاضي عياض: الصّلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسّلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب ومنها مستحبّ، ولو وصل بعض الشّيء ولم يصل غايتها لا يسمّى قاطعا، ولو قصّر عمّا يقدر عليه وينبغي له لا يسمّى واصلا [1].

قال القرطبي : وأما الرحم الخاصة وهي رحم القرابة من طريق الرجل أبيه وأمه فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة كالنفقة وتفقد أحوالهم وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة حتى إذا تزاحمت الحقوق بدئ بالأقرب فالأقرب.[2]

- فأولى الناس بالإنفاق من الخير وأحقهم بالتقديم أعظمهم حقًّا عليك، وهم الوالدان الواجب برهما، والمحرم عقوقهما، ومن أعظم برهما النفقة عليهما، ومن أعظم العقوق ترك الإنفاق عليهما؛ ولهذا كانت النفقة عليهما واجبة على الولد الموسر، ومن بعد الوالدين: الأقربون على اختلاف طبقاتهم: الأقرب، فالأقرب، على حسب القرب والحاجة، فالإنفاق عليهم صدقة وصلة[3].

-وصلة الرحم الكاملة, التي تحصل بها الإعانة, هي أن المسلم يصل من قطعه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: ((لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَّ[4]، ولايزال معك من الله ظهير عليهم[5] ما دمت على ذلك))[6].

وعن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وصلها))[7]. والمراد بالواصل في هذا الحديث: الكامل؛ فإن المكافأة نوع صلة، ولا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع، فهم ثلاث درجات: واصل، ومكافئ، وقاطع، فالواصل من يعطي ويتفضل ولا يُتفضل عليه، والمكافئ الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يأخذ ولا يعطي، ويتُفضل عليه ولا يَتَفَضَّل. وكما تقع المكافأة بالصلة من الجانبين كذلك تقع بالمقاطعة من الجانبين. فمن بدأ بالوصل فحينئذٍ هو الواصل[8].

ويجمع أنواع الصلة قول الله عز وجل: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))[9].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١١٢- ١١٣) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٦ / ٢٠٩)
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص ٩٦).
(٤) الملَّ: هو الرماد الحار، شرح النووي على صحيح مسلم (٣٥٠/١٦).
(٥) الظهير: المعين الدافع لأذاهم. انظر: المرجع السابق (٣٥٠/١٦).
(٦) صحيح مسلم،كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٩٨٢/٤) برقم ٢٥٥٨.
(٧) صحيح البخاري، كتاب الأدب، بابٌ: ليس الواصل بالمكافئ, (٩٧/٧)، برقم ٥٩٩١
(٨) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٤٢٤/١٠).
(٩) سورة النحل، الآية (٩٠).

ثانياً: الأمور المعينة على الصلة

هناك أمور تعين على المرء على صلة الرحم؛ وتجنب قطيعتها ، وينبغي لكل عاقل اتباعها وتمثلها في حياته قدر استطاعته، حتى يتمكن من صلة رحمه على ما يرضى الله ورسوله، نذكر منها الآتي:

١ -**الاستعانة بالله:** وذلك بسؤال العبد ربه التوفيق، والإعانة على صلة الأرحام.

٢ -**تذكُّر المرء قيمة صلة الرحم والآثار الإيجابية المترتبة على ذلك:** فإن معرفة ثمرات الأشياء واستحضار حسن عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها، وتمثلها، والسعي إليها .

قال تعالى: "(وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)[١]، ودوام التذكير قد يكون سبباً في الإقلاع عن القطيعة، والتحلي بالصلة.

٣-**النظر في العواقب والآثار السلبية المترتبة على القطيعة:** وذلك بتأمل ما تجلبه القطيعة من هم، وغم، وحسرة، وندامة، ونحو ذلك، وليعلم أن معاداة الأقارب شر وبلاء. فالرابح فيها خاسر، والمنتصر مهزوم، فهذا مما يعين على اجتنابها والبعد عنها .

٤ -**مقابلة إساءة ذوي الأرحام بالإحسان:** لقد علمنا الله في كتابه أن مقابلة الإساءة بالإحسان تحول الأعداء إلى أصدقاء، والمتنافرين إلى متآلفين ومتحابين، فقال: ((ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم))[٢] . وعليه فإن المرء إذا لقي من ذوي رحمه إساءة، وأراد العلاج بل الوقاية، فليحرص على مقابلة هذه الإساءة بالإحسان المتمثل في صلة هؤلاء الأرحام. فهذا مما يبقي على الود ويحفظ ما بين الأقارب من العهد، ويهون على الإنسان ما يلقاه من شراسة أقاربه وإساءتهم. وقد نبَّه النبي صلى الله عليه وسلم لهذا. ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال النبي ﷺ: ((لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَّ(٣)، ولايزال معك من الله ظهير عليهم[٤] ما دمت على ذلك))[٥] .

وعن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وصلها))[٦] فهذا الحديث مواساة لكثير من الناس ممن ابتلوا بأرحام لأمراء يقابلون الإحسان بالإساءة، وفيه تشجيع للمحسنين على أن يستمروا على طريقتهم المثلى؛ فإن الله معهم، وهو مؤيدهم، وناصرهم، ومثيبهم.

(١) سورة الذاريات (٥٥)
(٢) سورة فصلت (٣٤-٣٥)
(٣) الملَّ: هو الرماد الحار، شرح النووي على صحيح مسلم (٣٥٠/١٦).
(٤) الظهير: المعين الدافع لأذاهم. انظر: المرجع السابق (٣٥٠/١٦).
(٥) مسلم،كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٩٨٢/٤) برقم ٢٥٥٨.
(٦) البخاري، كتاب الأدب، بابٌ: ليس الواصل بالمكافئ، (٩٧/٧)، برقم ٥٩٩١.

٥-**قبول أعذار ذوي الأرحام إذا أخطأوا واعتذروا:** ومن جميل ما يذكر في ذلك ما جرى بين يوسف- عليه السلام وإخوته، فلقد فعلوا به ما فعلوا، وعندما اعتذروا- قبل عذرهم، وصفح عنهم الصفح الجميل؛ فلم يقرّعهم، ولم يوبّخهم، بل دعا لهم، وسأل الله لهم المغفرة. قال تعالى: ((قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)) (١)

٦-**الصفح عنهم ونسيان معايبهم، والتغاضي والتغافل عن ذلك حتى ولو لم يعتذروا:** فلا يتوقف عند كل زلة أو عند كل موقف، ويبحث لهم عن المعاذير ويحسن الظن فيهم. فهذا مما يدل على كرم النفس، وعلو الهمة؛ فالعاقل اللبيب، يعفو عن أقاربه وينسى عيوبهم، ولا يذكرهم بها. فالتغاضي والتغافل من أخلاق الأكابر والعظماء، وهو مما يعين على استبقاء المودة، واستجلابها، وعلى وأد العداوة وإخلاد المباغضة. كما أنه دليل على سمو النفس، وشفافيتها، وهو مما يرفع المنزلة، ويعلي المكانة. والتغاضي والتغافل أمر حسن مع جميع الناس، وهو مع الأقارب أولى، وأحرى وأجمل.

قال ابن حبان (٢): " من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء؛ أقرب منه أن ينال منهم الوداد وترك الشحناء "

٧-**التواضع ولين الجانب:** فهذا مما يحبب القرابة بالشخص، ويدنيهم منه، وصدق من قال:

من كان يحلم أن يسود عشيرة	**فعليه بالتقوى ولين الجانب**
ويغض طرفا عن مساوي من أسا	**منهم ويحلم عند جهل الصاحب** (٣)

٨-**بذل المستطاع لهم:** من الخدمة بالنفس، أو الجاه، أو المال.

٩- **ترك المنة عليهم، والبعد عن مطالبتهم بالمثل:** وقد مر بنا أن الواصل ليس بالمكافئ، فمما يعين على بقاء المودة أن يحرص الإنسان على أن يعطي أقاربه ولا يطالبهم بالمثل، وألا يمن عليهم بعطائه، أو زياراته، أو غير ذلك.

١٠-**توطين النفس على الرضا بالقليل من الأقارب:** فالعاقل الكريم لا يستوفي حقه كاملا، بل يرضى بالقليل وبالعفو الذي يأتي من أقاربه، حتى يستميل بذلك قلوبهم، ويبقي على مودته لهم كما قيل:

إذا أنت لم تستبق ود صحابة	**على دخن أكثرت بث المعايب** (٤)

(١) سورة يوسف، الآية: (٩)٠

(٢) روضة العقلاء، (ص٧٢).

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح ٥٥٥/٣.

(٤) عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، ص (٣٩١).

١١-**مراعاة أحوالهم، وفهم نفسايتهم، وإنزالهم منازلهم:** فمن الأقارب من يرضى بالقليل، فتكفيه الزيارة السنوية، وتكفيه المكالمة الهاتفية، ومنهم من يرضى بطلاقة الوجه والصلة بالقول فحسب، ومنهم من يعفو عن حقه كاملا، ومنهم من لا يرضى إلا بالزيارة المستمرة، وبالملاحظة الدائمة؛ فمعاملتهم بمقتضى أحوالهم يعين على الصلة، واستبقاء المودة.

١٢-**ترك التكلف مع الأقارب ورفع الحرج عنهم:** وهذا مما يغري بالصلة؛ فإذا علم الأقارب عن ذلك الشخص أنه قليل التكلف، وأنه يتسم بالسماحة، حرصوا على زيارته وصلته.

١٣-**تجنب الشدة في العتاب:** حتى يألف الأقارب المجيء، ويفرحوا به؛ فالكريم هو الذي يعطي الناس حقوقهم، ويتغاضى عن حقه إذا قصر فيه أحد. ثم إن كان هناك من خطأ يستوجب العتاب فليكن عتابا لطيفا رقيقا.

١٤-**تحمل عتاب الأقارب وحمله على أحسن المحامل:** وهذا أدب الفضلاء، ودأب النبلاء؛ ممن تمت مروءتهم، وكملت أخلاقهم، وتناهى سؤددهم، ممن وسعوا الناس بحلمهم، وحسن تربيتهم، وسعة أفقهم.

فإذا ما عاتبهم أحد من الأقارب، وأغلظ عليهم لتقصيرهم في حقه حملوا ذلك على أحسن المحامل؛ فيرون أن هذا المعاتب محب لهم، مشفق عليهم، حريص على مجيئهم، ويشعرونه بذلك، بل يعتذرون له من تقصيرهم؛ حتى تخف حدته وتهدأ ثورته فبعض الناس يقدر ويحب ويشفق، ولكنه لا يستطيع التعبير عن ذلك إلا بكثرة اللوم والعتاب.

والكرام يحسنون التعامل مع هؤلاء، ويحملون كلامهم على أحسن المحامل، ولسان حالهم يقول: لو أخطأت في حسن أسلوبك لما أخطأت في حسن نيتك.

١٥-**الاعتدال في المزاح مع الأقارب:** مع مراعاة أحوالهم، وتجنب المزاح مع من لا يتحمله.

١٦-**تجنب الخصام والجدال العقيم مع الأقارب:** فإن كثرة الخصام والملاحاة والجدال تورث البغضاء، والانتصار للنفس، والتشفي من الطرف الآخر، بل يحسن بالمرء مداراة أقاربه، والبعد عن كل ما من شأنه أن يكدر صفو الوداد معهم.

١٧-**المبادرة بالهدية إن حصل خلاف مع الأقارب:** فالهدية تجلب المودة، وتكذب سوء الظن، وتستل سخائم القلوب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تهادوا تحابوا) [١]

١٨-**أن يستحضر الإنسان أن أقاربه لحمة منه:** فلا بد له منهم، ولا فكاك له عنهم، فعزهم عز له، وذلهم ذل له، والعرب تقول: " أنفك منك وإن ذن [٢] وعيصك [٣] منك لان كان أشبا [٤] " [٥] ١٩-**الحرص التام على تذكر**

(١) الأدب المفرد، للبخاري (١ / ٢٠٨) قال الشيخ الألباني : حسن

(٢) ذن: سال مخاطه.

(٣) عيصك: العيص: الشجر الكثير الملتف.

(٤) أشبا: الأشب شدة التفاف الشجر.

(٥) عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، ص (٣٨٩).

الأقارب في المناسبات والولائم: ومن الطرق المجدية في ذلك أن يسجل الإنسان أسماء أقاربه، وأرقام هواتفهم في ورقة، ثم يحفظها عنده، وإذا أراد دعوتهم فتح الورقة حتى يستحضرهم جميعا، ويتصل بهم إما بالذهاب إليهم، أو عبر الهاتف أو غير ذلك. ثم إن نسي واحدا منهم فليذهب إليه، وليعتذر منه، وليسع في رضاه ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

٢٠-**الحرص على إصلاح ذات البين:** فمما ينبغي على الأقارب وعلى الأخص من وهبهم الله محبة في النفوس- أن يبادروا إلى إصلاح ذات البين إذا فسدت، وألا يتوانوا في ذلك؛ لأنها إذا لم تصلح ويبادر في رأب صدعها فإن شرها سيستطير، وبلاءها سيكتوي بناره الجميع.

٢١-**تعجيل قسمة الميراث:** حتى يأخذ كل واحد نصيبه، ولئلا تكثر الخصومات والمطالبات، ولأجل أن تكون العلاقة بين الأقارب خالصة صافية من المكدرات.

٢٢-اصطحاب الأولاد عند زيارة الأقارب لتعويدهم على الصلة ولتعريفهم بأقاربهم.

٢٣-حفظ الأنساب والتعرف على الأقارب: فحفظ النسب وتعرف الإنسان على أرحامه وأقاربه يعينه ذلك على صلة الرحم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله : ((تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم))[٦]

٢٤-**الحرص على الوئام والاتفاق حال الشراكة:** فإذا اشترك الأقارب في شراكة ما فليحرصوا كل الحرص على الوئام التام، والاتفاق في كل الأمور، وأن تسود بينهم روح الإيثار والمودة، والشورى والرحمة، والصدق والأمانة، وأن يحب كل واحد منهم لأخيه ما يحبه لنفسه، وأن يعرف كل طرف ماله وما عليه.

كما يحسن بهم أن يناقشوا المشكلات بمنتهى الوضوح والصراحة، وأن يحرصوا على التفاني، والإخلاص في العمل، وأن يتغاضى كل منهم عن صاحبه، ويجمل بهم أيضا أن يكتبوا ما يتفقون عليه.

فإذا ساروا على تلك الطريقة حلت فيهم الرحمة، وسادت بينهم المودة، ونزلت عليهم بركات الشركة.

٢٥-**الحذر من إحراج الأقارب:** وذلك بالبعد عن كل سبب يوصل إلى ذلك، فيبتعد الإنسان عن الإثقال عليهم، وينأى عن تحميلهم ما لا يطيقون، ومما يدخل في هذا أن يراعي القرابة أحوال الوجهاء، وذوي اليسار في الأسرة فلا يكلفوهم ما يوقعهم في الحرج، ولا يلوموهم إذا قصروا في بعض الأمور مما لا طاقة لهم بها؛ فبعض الأسر تكلف وجهاءها وأكابرها ما لا يطيقون، ولا تعذرهم عند أي تقصير.

وأخيرا: يراعى في ذلك كله أن تكون الصلة قربة لله: خالصة لوجهه وحده لا شريك له، وأن تكون تعاونا على البر والتقوى، لا يقصد بها حمية الجاهلية ولا عيبتها.

ومما سبق يتبين لنا أن الإسلام دين الصلة، ودين البر والرحمة، فهو يأمر بالصلة، وينهى عن القطيعة، مما يجعل جماعة المسلمين مترابطة، متآلفة، متراحمة، بخلاف الأنظمة الأرضية التي لا ترعى ذلك الحق، ولا توليه اهتمامها.

الخلاصة ونتائج البحث:

لقد خلص الباحث من خلال بحثه هذا عدة نتائج نذكر منها الآتي:

١-مشكلة قطيعة الأرحام من الأمور التي تفشت في مجتمعات المسلمين، خصوصا في هذه الأعصار المتأخرة التي طغت فيها المادة، وقل فيه التواصي والتزاور.

٢-مفهوم قطيعة الأرحام : هي أن يعقّ الإنسان أولى رحمه وذوي قرابته فلا يصلهم ببرّه ولا يمدّهم بإحسانه، ولايكف عنهم إساءته.

٣-لمشكلة قطيعة الأرحام أسباب وعوامل عديدة تدفع الانسان إلى قطع رحمه.

٤- ينتج عن قطيعة الرحم آثار ضارة، وعواقب وخيمة دنيوية وأخروية يعود أثرها على الفرد والمجتمع

٥-قطيعة الأرحام كبيرة من كبائر الذنوب التي توعد الله مرتكبها بألوان من الوعيد والعقوبات العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة.

٦- نُقل الاتفاق على وجوب صلة الرحم وتحريم القطيعة .

٦-يجب على كل مسلم صلة أرحامه كلها الأقرب فالأقرب، بحسب قدرته واستطاعته.

٧-صلة الرحم عمل صالح مبارك يجلب لصاحبه الخير في الدنيا والآخرة ويجعله الله به مباركاً أينما كان ويبارك الله له في كل أحواله وأعماله عاجلاً وآجلاً وقد دلت على ذلك الأدلة صحيحة.

٨-صلة الرحم أنواع على حسب الحاجة، فتكون بالنفقة لمن يحتاج ذلك، وتكون بالهدية، وبالتودد إليهم، وبالعون والإعانة على الحاجات، وبالنصيحة، وبدفع الضرر، وبالإنصاف معهم، وطلاقة الوجه، وبالعدل والقيام بالحقوق الواجبة، وبالدعاء، وبتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم، والزيارة. وبالشفاعة الحسنة. والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الضرر.

٩- ذكر البحث أموراً تعين على المرء على صلة الرحم؛ وتجنب قطيعتها ، وينبغي لكل عاقل اتباعها وتمثلها في حياته قدر استطاعته، حتى يتمكن من صلة رحمه على ما يرضى الله ورسوله.

التوصيات والمقترحات:

نظراً لما تتضمنه مشكلة قطيعة الأرحام من أضرار عاجلة وآجلة يعود آثارها على الفرد والمجتمع، وتهدد المجتمع بالخراب والدمار بما تجره من مشاكل مختلفة بين الأقارب.

لذلك كله فإننا نضع بعض المقترحات والتوصيات والحلول التي نرى أن الأخذ بها جدير للمساهمة في حل هذه المشكلة :

١-استشعار الواصل الأجر العظيم من الله تعالى في صلته لرحمه، والإطلاع على احوال السلف الصالح في ذلك.

٢-التذكير الدائم من قبل العلماء والمصلحين والمرشدين والمربين باهمية صلة الأرحام والترغيب في ذلك، والترهيب من القطيعة، فالمرء بطبيعته ينسى، وعلاج النسيان التذكير، والمعايشة، والأخذ بالأيدي للتنفيذ، والتطبيق، وعليه فإن قاطع الرحم في مسيس الحاجة إلى من يعايشه، ويأخذ بيده نحو صلة الأرحام، بل إن الواصل لا غنى له عن هذه المعايشة حتى لا يتغير، ويبتلي بالقطيعة.

٣-قيام ولي الأمر(كبير الأسرة) بواجبه نحو قاطعي الأرحام فلوليِّ الأمر دور كبير في إصلاح قاطعي الأرحام، وعلى هذا الوليِّ أن يقوم بهذا الواجب: نصحاً، وإرشاداً، ووعظاً، وإصلاحاً، وترغيباً، وزجراً، وتخويفاً، قبل أن يلقى ربه، ويعرض نفسه للسؤال، والمحاسبة، إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع، ومسؤول عن رعيته))[1]

٤-قيام المجتمع بواجبه في علاج قطيعة الأرحام، فالمجتمع له دور كبير في علاج قطيعة الأرحام، فعلى أفراد المجتمع أن يقوموا بدورهم نصيحة، ووعظاً، وإرشاداً، وإصلاحاً للقاطع، إلى أن يقلع عن هذه القطيعة، ويتحلى بصلة الأرحام. وليس هذا من المجتمع تدخلاً في شؤون الغير، بل هو جزء من وظيفته ومهمته، إذ يقول - سبحانه وتعالى: ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)) (التوبة :٧١)

٥- وأخيراً لا يخفى عليك أيها الأخ الكريم ما جاء في صلة الرحم من عظيم الثواب ، وما جاء في قطيعتها من أليم العقاب ، وهذا يدعو إلى تحري صلة الرحم ، والحذر من قطيعتها، فبادر بصلة أقاربك، وأحسن إليهم قدر استطاعتك، فإن أجر ذلك لا يضيع عند الله.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٤/١) ح رقم: (٨٥٣)

فهرس المصادر والمراجع:

١- أحكام القرآن ، لابن العربي، محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي)، دار الكتب العلمية -موقع الإسلام.
٢- أحكام القرآن، للجصاص أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي -دار إحياء التراث العربي - بيروت ، (١٤٠٥ه)
٣- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد- دار االمعرفة – بيروت.
٤- الآداب الشرعية،عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عمر القيام ، مؤسسة الرسالة (١٤١٩ه – ١٩٩٩م)
٥- آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة . أبو البركات الغزي مصدر الكتاب : موقع الوراق.
٦- أدب الدنيا والدين. المؤلف : على بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي.
٧- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت- الطبعة الثالثة (١٤٠٩ – ١٩٨٩م)
٨- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ،محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ)، زهير الشاويش،-المكتب الإسلامي – بيروت-ط الثانية (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م)
٩- بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية موقع الإسلام أبو سعيد الخادمي http://www.alis lam.co
١٠- بهجة المجالس وأنس المجالس: ابن عبد البر . مصدر الكتاب : موقع الوراق.
١١- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا- دار الكتب العلمية – بيروت.
١٢- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، تحقيق : إبراهيم شمس الدين -دار الكتب العلمية – بيروت-الطبعة الأولى ، (١٤١٧ه)
١٣- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ] المحقق : سامي بن محمد سلامة- دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م)
١٤- توضيح الأحكام من بلوغ المرام، لعبدالله عبدالرحمن البسام،مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة- ط الثانية (١٤١٤ه-١٩٩٤م)
١٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع-الطبعة الأولى (١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م)
١٦- الجامع لأحكام القرآن ، (تفسير القرطبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)- تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- دار الكتب المصرية – القاهرة-ط الثانية ، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م)
١٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني- دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة الرابعة ،(١٤٠٥هـ)
١٨- الدراية في تخريج أحاديث الهداية، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ) المحقق : السيد عبد الله هاشم اليماني المدني-دار المعرفة – بيروت.
١٩- ديوان الاعشى. مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة
٢٠- ديوان زهير بن أبي سلمى: زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث بن إلياس بن نصر بن نزار، المزني، من مضر المتوفى سنة (١٣ ق . هـ ٦٠٩م).
٢١- ديوان محمود سامي البارودي،محمود سامي باشا بن حسن حسين بن عبد الله البارودي المصري.
٢٢- روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى : ٦٧٦هـ)- المكتب الإسلامي (١٤٠٥ه) – بيروت.

٢٣-روضة العقلاء و نزهة الفضلاءالمؤلف : ابن حبان البستي- مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com
٢٤- الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن حجر المكي الهيتمي، موقع الإسلام.
٢٥- سبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني من جمع ادلة الأحكام،محمد بن اسماعيل الصتعاني- دار المعرفة - بيروت- لبنان- ط الثالثة (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)
٢٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، دارالمعارف-الرياض - المملكة العربية السعودية.
٢٧- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي- دار الفكر – بيروت.
٢٨- سنن ابي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد-دار الفكر .
٢٩- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق : محمد عبد القادر عطا،مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، (١٤١٤ – ١٩٩٤م)
٣٠- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (٢٠٩ ، ٢٧٩ هـ) المحقق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت-(١٩٩٨ م)
٣١- سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق : فواز أحمد زمرلي , خالد السبع العلمي دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة الأولى ، (١٤٠٧هـ)
٣٢- سنن النسائي المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة-مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب-الطبعة الثانية ، (١٤٠٦ – ١٩٨٦م)
٣٣- شرح السنة - للإمام البغ الحسين بن مسعود البغوي-المكتب الإسلامي – دمشق.
٣٤- شرح مسند أبي حنيفة، ملا علي القاري- موقع يعسوب- [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] ط: الثانية-تحقيق : شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش.
٣٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين – بيروت، ط الرابعة- (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)
٣٦- صحيح ابن حبان صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى : ٣٥٤هـ).
٣٧- صحيح ابن ماجة، أبو عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض- الطبعة : الخامسة.
٣٨- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ)- دار الصدّيق- ط١(١٤٢١هـ)
٣٩- صحيح البخاري الجامع الصحيح محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : ٢٥٦هـ) دار الشعب – القاهرة،ط الأولى ، (١٤٠٧ – ١٩٨٧م)
٤٠- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني،مكتبة المعارف – الرياض- ط٥.
٤١- صحيح الترمذي . أبو عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني. ط ١ (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) .
٤٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي – بيروت-الطبعة الأولى- برنامج المحدث المجاني.
٤٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ،للعيني،بدر الدين العيني الحنفي، ملتقى أهل الحديث-ط عام (١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م)
٤٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة الثانية ،(١٤١٥هـ)
٤٥- عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، مصدر الكتاب : موقع الوراق.

٤٦- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ)، مؤسسة قرطبة – مصر - ط الثانية ، (١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م)
٤٧- فتاوى إسلامية لأصحاب الفضيلة العلماء، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين وفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين-إضافة إلى اللجنة الدائمة- وقرارات المجمع الفقهي- المحقق : محمد بن عبدالعزيز المسند. موقع ملتقى أهل الحديث. المكتبة الشاملة.
٤٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري،أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت ،(١٣٧٩هـ)
٤٩- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني- دار ابن كثير - ودار الكلم الطيب- دمشق وبيروت- ط١- (١٩٩٤م)
٥٠- الفروق, للقرافي الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش)، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي (ت٦٨٤هـ)- تحقيق : خليل المنصور- دار الكتب العلمية-بيروت (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)
٥١- فيض القدير شرح الجامع الصغير،زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى : ١٠٣١هـ)- دار الكتب العلمية-بيروت - لبنان الطبعة الأولى (١٤١٥ ه - ١٩٩٤ م)
٥٢- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب،دار الفكر-دمشق – سورية الطبعة الثانية (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)
٥٣- الكبائر ، محمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة – بيروت.
٥٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل،جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت – (١٤٠٧ ه)
٥٥- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي،مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م
٥٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت.
٥٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي-دار الفكر، بيروت (١٤١٢ هـ) المحقق : شعيب الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة – بيروت -ط: الأولى ، (١٤٠٨هـ)
٥٨- مختار الصحاح ،محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي- مكتبة لبنان ناشرون - بيروت،(١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) تحقيق : محمود خاطر.
٥٩- المراسيل، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى : ٢٧٥هـ)
٦٠- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى : ١٤١٤هـ) إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند،ط الثالثة - ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م
٦١- المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠. تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .
٦٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى : ٢٤١هـ) المحقق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد ، وآخرون, - مؤسسة الرسالة-الأولى ، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)
٦٣- مشكاة المصابيح ،محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي – بيروت - ط الثالثة – (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)
٦٤- المصباح المنير، الفيومي المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي- المكتبة العلمية – بيروت.

٦٥- المعجم الأوسط،أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ,عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. دار الحرمين - القاهرة ، (١٤١٥ه)
٦٦- المعجم الصغير للطبري، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق : محمد شكور محمود الحاج أمرير-المكتب الإسلامي -دار عمار - بيروت – عمان-الطبعة : الأولى ، (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥ م)
٦٧- المعجم الكبير،سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل-الطبعة الثانية ، (١٤٠٤ه – ١٩٨٣م)
٦٨- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار- دار الدعوة- تحقيق: مجمع اللغة العربية.
٦٩- معجم لغة الفقهاء محمد قلعجي موقع يعسوب [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع
٧٠- المغنـي، لموفق الدين أبي محمد بن قدامـه - دار الكتب العلمية - بيـروت - لبنان.
٧١- مكارم الأخلاق للخرائطي موقع جامع الحديث –المكتبة الشاملة.
٧٢- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت-الطبعة الثانية ، (١٣٩٢ه)
٧٣- الموسوعة الفقهية الكويتية الموسوعة الفقهية الكويتية،وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت - ط الثانية ، دارالسلاسل - الكويت(من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ)
٧٤- نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي, جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى : ٧٦٢هـ)،المحقق : محمد عوامة-مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت -لبنان/ دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة – السعودية ط الأولى، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)
٧٥- نضرة النعم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة.
٧٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري- تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي-المكتبة العلمية - بيروت (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

العمارة الإسلامية والبيئة في اليمن في القرنين السابع والثامن الهجريين

(مدينة تعز وزبيد وإب نموذجا)

د . عبد الرحمن أحمد المختار

الأستاذ المساعد للتاريخ الإسلامي وحضارته بكلية التربية-جامعة عمران

د. عبدالرحمن أحمد حفظ الدين المصنف

الأستاذ المساعد للتاريخ الإسلامي وحضارته بكلية التربية صنعاء

8

الملخص

يهدف البحث إلى معرفة ارتباط العمارة الإسلامية بالبيئة في اليمن خلال القرنين السابع والثامن الهجريين في كلاً من مدينة تعز وزبيد وإب نموذجاً لأن هذه المدن كانت حين مدة الدراسة وما قبل ذلك عواصم لليمن وخاصة في عصر الدولة الرسولية ، أما أهمية البحث فتكمن في أنه سيساهم في إبراز الصورة المشرقة للحضارة الإسلامية في اليمن خصوصاً ودار الإسلام عموماً باعتبار أن اليمن كانت جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الإسلامي الواسع. ولهذا فإن البحث سيتحدث عن اهتمام الإسلام بالعمارة والتعمير – كمدخل أو مقدمة – وعلاقة ذلك بالبيئة الطبيعية ثم الاجتماعية التي هي من فعل الإنسان وأن بقاء ذلك مرهون بمدى محافظة الإنسان عليها من الفساد ، ولتوضيح ذلك سيتكون البحث من المباحث أو المحاور التالية :

- الاهتمام بالجوانب البيئية عند اختيار المدن.
- التوسع العمراني باعتبار ذلك جانب حضري وبيئي.
- النماذج العمرانية في مدينة تعز(ثلاثة نماذج) .
- النماذج العمرانية في مدينة إب(نموذج واحد).
- النماذج العمرانية في مدينة زبيد(نموذج واحد).

ومن خلال حديثنا عن هذه النماذج العمرانية الثلاثة سنحاول أن نوضح الجوانب البيئية المتعلقة بها مثل استخدام المواد الاولية المتاحة من البيئة في البناء والاهتمام باتجاه المبنى وموقعه وشكله ثم الإضاءة والتهوية والتدفئة وكذلك الاهتمام بالعناصر الجمالية كالحدائق والبساتين ثم توصيل المياه إلى المباني أو المدارس أو القصور.

المقدمة:

إن العلاقة بين الإنسان والبيئة علاقة قديمة قدم الإنسان نفسه منذ وجوده على ظهر هذه الأرض, فعلاقته قائمة مع هذه البيئة من عدة أوجه من حيث إن غذائه وشرابه منها ومسكنه وأثاثه وجميع ما يحتاج إليه...الخ , ومن أوجه هذه العلاقة" العمارة" سوءاً أكانت بدائية أم حضرية , فالإنسان أستخلفه الله تعالى في هذه الأرض من أجل عبادته أولاً ثم من أجل تعمير هذه الأرض .قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [1] وقال تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ } [2] فمعنى أنشأكم من الأرض أي " ابتدأ خلقكم من الأرض وذلك أن آدم خلق من الأرض" [3] . ومعنى استعمركم فيها أي "أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن وغرس أشجار" [4] وقال بعض علماء الشافعية: " الاستعمار طلب العمارة والطلب المطلق من الله تعالى على وجه الوجوب " [5] . وقال الشوكاني: " أي جعلكم عمّارها وسكانها من قولهم أعمر فلان فلانا داره فهي له عمرى " [6] . ولهذا كان من نعمة الله تعالى على عباده أن يسر لهم سبل العيش في هذه الأرض بأن ذللها لهم كي تكون صالحة لمعاشهم وأرزاقهم قال تعالى: {وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ } [7] وقال تعالى {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا } [8] وقال تعالى {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } [9]

ومن جانب آخر نجد السنة النبوية الشريفة قد اهتمت هي الأخرى بهذا الجانب فالنبي صلى الله عليه وسلم قد حث على عمارة الأرض وغرسها في أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم " من بنى بنايناً من غير ظلم أو غرس غرساً في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجر جارٍ ما انتفع به من خلق الله تبارك وتعالى" [10] وروى أبو هريرة

---

(1) سورة البقرة : الآية ٣٠ .
(2) سورة هود : الآية ٦١ .
(3) القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن جـ ٤ ص ٣٢٨٤ , دار الشعب , القاهرة , بدون (ط . ت) .
(4) المصدر نفسه , الصفحة نفسها .
(5) المصدر نفسه , الصفحة نفسها .
(6) الشوكاني : محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠ هـ) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- جـ ٢ ص ت ٦٢٩ , المكتبة العصرية , بيروت لبنان ١٩٩٧ .
(7) سورة النحل : الآية ١٥ .
(8) سورة النازعات : الآية ٣٠ , ٣١ .
(9) سورة الملك : الآية ١٥ .
(١٠) احمد بن حنبل : (الأمام)أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) مسند الأمام أحمد , جـ٣ , ص٤٣٨ , المكتب الإسلامي ، بيروت لبنان , ط (الأولى) بدون (ت)

رضي الله عنه" عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " إن ما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علم علمه وولد صالح تركه أو مصحف ورّثه أو مسجد بناه أو بيت سبيل بناه أو نهر أجراه أو صدقة أخرجها في صحته وحياته تلحقه من بعد موته " [١]وعن أنس بن مالك قال : قال صلى الله عليه وسلم" إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيله (غرسه) فليغرسها [٢] .

ولقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك فلم يغيروا ولم يبدلوا ولم يحرموا شيئاً أحله الله تعالى وكذلك التابعين ومن بعدهم قال تعالى {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ}[٣] والمباني الجميلة من الزينة , فهم الصحابة والتابعون ذلك فكانوا يبنون ما يحتاجون إليه لسكناهم ولزينة بيوتهم ، ويكفي هنا- لكي لا نطيل- مثال واحد من عصر الصحابة ومثال آخر من حياة التابعين , فهذا الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص(ت ٥٥ هـ) وهو من العشرة المبشرين بالجنة- كان له قصراً قد بناه خارج المدينة في حمراء الأسد وذلك على بعد ثلاثة أميال من المدينة [٤] , وفي رواية أخرى أن سعد بن أبي وقاص توفي في قصره بالعقيق خارج المدينة على بعد سبعه أميال منها [٥] , ولا نعلم أن كان هذا هو القصر الأول أم لا , لكن المرجح أنه قصر ثان , كون الأول في حمراء الأسد والثاني في العقيق.

وهذا الإمام مالك بن أنس رحمه الله (ت ١٧٩ هـ) صاحب الموطأ وإمام المذهب المالكي- كان له دار فاخره واسعة وجميلة نظيفة يسكن فيها ولكنها لم تكن ملكاً له وإنما سكنها إيجاراً وكان فيها من الأثاث والوسائد الشيء الكثير [٦] وكان رحمه الله إذ دخل الدار يقرأ قوله تعالى " {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ } [٧] .

نستنتج مما سبق أهمية تعمير الأرض وأن ذلك أصل من أصول الإسلام , على هذا الأصل أعتمد الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم , ومع ذلك فإن الشارع الحكيم جلَّ في علاه لم يبح البناء لغير حاجة كالبناء العبثي الذي هدفه التفاخر والإسراف والتطاول قال تعالى:" {أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ } [٨] وقال تعالى: {وَلَوْلَا أَن يَكُونَ

---

(١) ابن حنبل : المسند جـ ٣ ص ٤٣٨ .
(٢) أبن ماجه : الحافظ أبو عبد الله (ت ٢٧٥هـ) سنن ابن ماجه , حديث رقم ٢٤٢ جـ ١ ص ٨٨ دار إحياء الكتاب العربي، بيروت لبنان , بدون (ط . ت)
(٣) سورة الأعراف : الآية ٣٢ذ
(٤) الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام , جـ ، حوادث ووفيات من ٤٠هـ - ٦١هـ ص ٢٢٠ تحقيق / د . عمر عبد السلام تدمري ط (الأولى) ١٩٨٥م , دار الكتاب العربي , بيروت لبنان .
(٥) المصدر نفسه : جـ ، حوادث ووفيات ٤٠هـ ٦١ هـ ص ٢٢١ .
(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٨ ص ١٣٢ , ١٣٣، تحقيق / محمد نعيم العرقسوسي , اشرف على التحقيق / شعيب الأرنؤوط الأرنؤوط , ط (الثانية) ١٩٨٢م , مؤسسة الرسالة , بيروت لبنان , ابن فرحون : إبراهيم بن علي بن محمد (تـ ٧٩٩هـ) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص ١٩ , دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان , بدون(ط . ت) .
(٧) سورة الكهف : الآية ٣٩ .
(٨) سورة الشعراء : الآية ١٢٨ , ١٢٩ .

النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ❖ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ ❖ وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ } [١] .

فهذه من المحاذير التي نهى عنها الشارع الحكيم والهدف من هذا النهي أن البناء العبثي ولغير حاجه هوا إسراف وترف والإسراف والترف يقود إلى الفساد والفسوق المؤديان إلى هلاك العمران والإنسان . ولهذا فإن هناك قاعدة مهمة ترتبط بصلاح البيئة والعمران واستمراريتهما ألا وهي عدم الجحود والكفر والإعراض عن المنهج الإلهي الذي رسمه لنا الشارع الحكيم والذي تمت الإشارة إليه في أكثر من آية في القرآن الكريم قال تعالى:{ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ❖ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ} [٢] فهؤلاء سكان مأرب من أرض سبأ لما أعرضوا عن منهج الله أهلكهم الله ومزقهم شر ممزق . وقال تعالى: { وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً } [٣] وهذا الجحود والإعراض هو الذي يقود إلى الإفساد في الأرض سواء كان مادياً أو معنوياً ويقود إلى الظلم مما يؤدي إلى الهلاك والدمار قال تعالى: {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً } [٤] وقال تعالى :{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [٥] لهذا كله نهى الله سبحانه وتعالى عن الفساد في الأرض بشقيه المادي والمعنوي قال تعالى: {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } [٦]وقال تعالى: {وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ } [٧] .

وهكذا نجد أن أي فساد يحصل في الأرض إنما هو نتيجة لما يرتكبه الإنسان من ظلم أو عبث او انحراف ، ولذلك فأن الدعوة من الله تعالى –خالق الإنسان والأرض بعدم الفساد في الأرض يقابلها الدعوة إلى شكره جلَّ في علاه على نعمه الكبيرة التي انعم بها على الإنسان واعطاه إياها في الملبس والمسكن والأثاث والوقاية من الآفات والحر والبرد، كل هذه النعم تتعلق بالبيئة والعمران ويجب على الإنسان شكر ربه عليها قال تعالى: {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ❖وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ

---

(١) سورة الزخرف : الآيات من ٣٣ - ٣٥.
(٢) سورة سبأ : الآية١٥ ، ١٦ .
(٣) سورة الإسراء : آية ١٦ .
(٤) سورة الكهف : آية ٥٩ .
(٥) سورة الأعراف : آية ٣٢ .
(٦) سورة الروم : آية ٤١ .
(٧) سورة الأعراف : آية٥٦ .

تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ❁فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ❁يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ } [1]

هذه الآيات البينات وغيرها كثير فيها بيان واضح وعظة وتحذير وكلها تدعو الإنسان إلى الالتزام بالمنهج الإلهي وعدم الإفساد في الأرض حتى لا يحل الدمار والخراب قال ابن الأزرق[2]: " إذا أنحرف الحضري عن استقامة دينه ودنياه بما ينطبع في نفسه من صبغة العوائد الموجبة لذلك فظاهر أن ذلك مستلزم لفساد المصر وخرابه , أما من جهة فساد الدين فمن وجهين أحدهما : ما يظهر فيه من الفساد المخل بنظامه المحفوظ برعاية الدين كالكذب والغش والحرابة والسرقة , والمقامرة والفجور في الإيمان والمجاهرة بالفسوق واطراح الحشمة حتى من الأقارب وذوي المحارم والثاني : ما تعود به عليه شهوة الزنى واللواط من فساد النوع الذي به عمرانه ذاك جملة ما يسترسل فيه مطيع هواه في اتباع الشهوات , وأما من جهة فساد الدنيا فمن وجهين أحدهما : المترفون إذا كثروا في المصر وفسدت أحوالهم واحداً واحداً تأذن الله في خراب نظامه والأخر أن الحضري لا يقدر على مباشرة حاجته ولا دفع مضارة وذلك لعجزه بما حصل له من الدعة أو ترفعه لما ربى عليه من الترف"

من خلال ما ذكرناه نؤكد على أن الإسلام قد عنى بالعمارة والتعمير ووضح ما يجب على الإنسان المسلم إذا أراد أن يستمر العمران وتستمر البيئة الأرضية والعمرانية على ما هي عليه وعلى ما خلقها الله تعالى بصفائها ونقائها دون أن يشوبها أي شائبة , لهذا كله نجد أن الحضارة الإسلامية في معظم دار الإسلام عموماً وفي اليمن خصوصاً قد استمرت لمدة زمنية طويلة , وعليه فإننا سنتحدث عن العمارة الإسلامية والبيئة في اليمن في القرنين السابع والثامن الهجريين في مدينة تعز وزبيد وإب فقط لنرى كيف أن الحضارة الإسلامية التي هي بمثابة ترجمة عملية لتعاليم الإسلام النظرية قد أهتمت بجوانب البيئة في العمارة ، ومن ثم فإن حديثنا عن العمارة والبيئة سيركز على جانبين أو أمرين , الجانب الأول عمارة المدن من حيث تخطيطها أو اختيار مواقعها ومن حيث التوسع في المظاهر العمرانية فيها بشكل عام , وأما الجانب الثاني فسيكون عن عمارة البنيان (القصور والدور والمدارس والمنازل أو البيوت) , وما يتبع ذلك من الحدائق والبساتين والزراعة والمياه , وسنحاول ان نوضح جميع ذلك من خلال المحاور التالية :

- العناية بالجوانب البيئية عند اختيار مواقع المدن .
- التوسع في المظاهر العمرانية في كل من زبيد وتعز وإب بوصفها جانب حضري وبيئي .
- النماذج العمرانية في مدينة تعز .
- النماذج العمرانية في مدينة إب .

([1]) سورة النحل : الآيات من ٨٠ -٨٣ .

([2]) ابن الأزرق : أبي عبد الله محمد بن الأزرق الأندلسي (ت ٨٩٦هـ) بدائع السلك في طبائع الملك جـ ٢ ص٦٣١،٦٣٢ ط (الثانية) مكتبة الاسرة ، القاهرة ، بدون (ت)

- النماذج العمرانية في مدينة زبيد .

ومن خلال حديثنا عن هذه النماذج العمرانية للمدن الثلاث سنحاول وبحسب ما يتوفر لنا من معلومات ان نوضح الجوانب البيئية المتعلقة بها مثل : الحرص على استخدام المواد الأولية المتاحة من البيئة في البناء , والاهتمام باتجاه المبنى وموقعه وشكله , ثم الاهتمام بالإضاءة والتهوية والتدفئة , وكذلك الاهتمام بالعناصر الجمالية للمبنى , وكذا الاهتمام بالحدائق والبساتين (الحوايط) التي تحيط بالمبنى , وأخيراً الاهتمام بتوصيل المياه إلى المباني أو المدارس والقصور .

أولاً : الاهتمام بالنواحي البيئية عند اختيار المدن :

كانت اليمن عموماً تسمى ببلاد العرب السعيدة ومن خصائصها "أنها تسمى الخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها وأشجارها وأثمارها ورعيها

هي الخضراء فا سأل عن رباع ❖❖ يخبرك اليقين المخبرونا" (١) .

فاذا كانت هذه هي اليمن بشكل عام فان المدن التي تم اختيارها للدراسة تعد من أفضل وأهم المدن ، فمدينة زبيد " من أحسن مدائن اليمن المعدودات وفيها إقامة الملوك ومن واديها ونخلها وثمراتها وأعمالها نستخرج الألاف والّكوك وفيها من العلم والعلماء ما يروي العطشان من شدة الظمأ .. ومدينة تعزَ أيضاً فهي مدينة حسنة وفيها من الخيرات المستحسنة ما تقرّ به عين الناظر ويطيب به القلب والخاطر فكم فيها من المطعومات الطيبات والأشجار المثمرات والفواكه اللذيذات والمشمومات الناظرات وفيها يحاذيها من المشرق مدينة إب وجبلة وما قرب منها يميناً وقبله .. وفيها منافع لا تحصى وخيرات لا تستقصى" (٢)

فهذه هي اليمن بشكل عام والمدن المختارة لبحثنا بشكل خاص وفي هذا المجال سنحاول أن نتتبع تاريخياً كيف تم اختيار هذه المدن واختطاطها موضعاً وموقعاً وكيف أن هذه المدن- وهذا من جميل المصادفات- كانت حين اختيارها عواصم لليمن، وهل هذا الاختيار كان متوافق مع البيئة بمعنى هل كانت هذه المدن حين اختيارها وحتى فيما بعد صالحة للسكن ومريحة وغير ضارة بأهلها أم لا ؟

مدينة ذي جبلة (إب) :

لم تكن تشتهر إب فيما مضى بهذه التسمية وإنما التي اشتهرت وكانت عاصمة اليمن في القرن الخامس الهجري هي جبلة أو ما يعرف بذي جبلة وأما إب فكانت قرية من قرى ذي جبلة (٣) وهي لا تبعد عنها كثيراً , وبالتالي فإن طبيعية ذي جبلة وإب متساوية , وعليه فكيف تم اختيار ذي جبلة لتكون عاصمة لليمن أيام حكم المكرم

---

(١) ابن الديبع : وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٤٤ هـ) نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية ص ٨٥ تحقيق / أحمد راتب حموش , ط (الأولى) , ١٩٩٢م ، دار الفكر المعاصر، بيروت .

(٢) المصدر نفسه : ص٩٥ , ٩٦ .

(٣) ياقوت : ياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦هـ) معجم البلدان جـ ١ ص ٦٤, بيروت لبنان, بدون (ط , ت).

محمد بن علي الصليحي ثم في أيام زوجته السيدة بنت أحمد الصليحي , وهل هذا الاختيار كان موفقاً مع البيئة أم لا . يذكر لنا عمارة اليمني [1] أن الذي اختط المدينة هو عبد الله بن محمد الصليحي أخو السلطان علي بن محمد الصليحي وأن ذلك كان حين ولاّه أخوه حصن التعكر المطل على ذي جبلة والتي هي في سفحه (أي سفح الحصن) وأن ذلك كان في سنة ٤٥٨هـ , ويخبرنا عمارة – أيضاً بأن المدينة تقع بين نهرين جاريين في الصيف والشتاء . ثم لما توفي السلطان علي بن محمد الصليحي مَلَكَ اليمن بعده ولده محمد المكرم , واستمرت صنعاء هي العاصمة كما كانت في عهد أبيه , ثم بعد ذلك لما توفيت والدة المكرم تخلى المكرم عن الملك (الحكم) وفوض زوجته السيدة بنت أحمد والتي قامت بعد ذلك بالارتحال بجيشها إلى ذي جبلة وارتادتها وبنت فيها دار العز الأولى, ثم رجعت إلى صنعاء وقالت للمكرم : " أرسل يا مولانا إلى أهل صنعاء فليحتشدوا في غد وليحضروا إلى هذا الميدان فلما حضروا قالت له اشرف عليهم وانظر ماذا ترى فلم يقع طرفه إلا على برق السيوف ولمح البيض والأسنة . ثم لما توجهت إلى ذي جبلة قالت له : احشد أهل ذي جبلة ومن حولها , فلما اجتمعوا صبيحة اليوم الثاني قالت : " اشرف عليهم يا مولانا .. فلم يقع بصره إلا على رجل يجر كبشاً أو عاملاً يحمل ظرفاً مملوّاً بالسمن أو العسل . فقالت له : العيش بين هؤلاء أصلح واتنقل المكرم إلى ذي جبلة واختط بها دار العز الثانية في (ذي بور) وكان حائطاً فيه بستان وأشجار كثيرة وهو مطل على النهرين وعلى الدار الأولى وأمرت الملكة ببناء الدار الأولى مسجداً جامعاً " [2] .

ومن خلال مما سبق نلاحظ كيف أنه تم الاهتمام بالنواحي البيئية سواء البيئة السياسية أو الطبيعية أو الاجتماعية , نلاحظ أولاً كيف تم الاهتمام بالجانب البيئي المتمثل في المدينة الصغيرة المرتفعة التي يحيط بها نهران جاريان- أي الواديان اللذان يحفا المدينة من جانبيها – واللذانِ يجريان في الصيف والشتاء أي معظم السنه , وكيف أن هذا المكان تحيط به الأشجار الكثيفة والفواكه اللذيذة . كذلك البيئة الاجتماعية والسياسية المتمثلة في مسالمة أهل المنطقة وما حولها وعنايتهم بالزراعة والرعي فقط وهذا بخلاف أهل صنعاء وما حولها المشغولين بالقتل والاقتتال دائماً فالعيش بين هؤلاء وفي ظل هذه الطبيعة الخلابة أفضل ولذلك قام الملك بنقل عاصمة دولتهم من صنعاء إلى هذه المدينة الجميلة ثم انصرف بعد ذلك إلى بناء القصور والدور والمساجد وهذا هو العمران المرتبط بالبيئة الطبيعية النظيفة والجميلة التي توفر أفضل الظروف المناسبة للعيش الهني والكريم.

٢ – مدينة تعز :

وكما هو الحال في اختيار مدينة ذي جبلة إب فإننا نلاحظ –أيضاً أن المصمم المسلم سواء كان حاكماً مسئولاً أو رجلاً عادياً كان يراعي الجوانب البيئية الصحية والمناخية وهذا ما حصل عند اختيار مدينة تعز ثم

---

(1) عمارة : نجم الدين عمارة بن أبي الحسن الحكمي اليمني (ت ٥٦٩هـ) تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ص ٧٧ تحقيق / كاي سنة ١٨٩٢م , ترجمة د. حسن سليمان محمود , ط (الأولى) ٢٠٠٤م ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء .

(2) المصدر نفسه صـ ٩٥ , ٩٦ ، الهمذاني : حسين بن فضل الله (الدكتور) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١٣٦ , دار المختار، دمشق , بدون (ط . ت) .

اختطاطها . وفي هذا المجال يتفرد المؤرخ ابن خلدون عن المؤرخين اليمنيين أو غيرهم من المؤرخين بذكره للكيفية التي تم بها اختيار مدينة تعز عاصمة للدولة الأيوبية والتي جاءت على اعقابها الدولة الرسولية فيذكر بأن شمس الدولة توران شاه الأيوبي أخو السلطان صلاح الدين بن أيوب لما استولى على الدولة التي كانت باليمن وهي دولة بني مهدي وذلك في سنة ٥٦٩ هـ " نزل زبيد واتخذها سبباً لملكه ثم استوخمها وسار في الجبال ومعه الأطباء يتخيروا مكاناً صحيح الهواء والماء ليتخذ منه سكناً فوقع اختيارهم على مكان تعز فاختط به المدينة ونزلها وبقيت كرسياً لملكه وملك بنيه ومواليهم من بني رسول كما نذكر في اخبارهم " [١] .

ولا مزيد من التعليق على هذا النص فمدينة تعز فعلاً طيبة الهواء والماء , وهي كثيرة الفواكه والثمار والأشجار وهذا ما ترتاح له النفس ويبتهج به الناظرون .

٣ – مدينة زبيد :

وأما زبيد فلم يرد عند إختطاط المدينة ما يفيد عن إرتباط ذلك بالجوانب البيئية – كمثل تعز واب – وكل ما ورد أن الذي اختط المدينة هو محمد بن عبدالله بن زياد وذلك بعد حروب شديدة حصلت بينه وبين أهل تهامة [٢] ومع ذلك فإن عدم ذكر المؤرخين للجانب البيئي عند اختيار موقع المدينة واختطاطها لا يعني بأنها كانت غير صالحة للعيش ، لأننا إذا ما بحثنا في صفة المدينة وطبيعتها فسنجد بأنها تتوافق مع المواصفات البيئية المريحة للإنسان فهي "على النصف فيما بين البحر والجبل ... ومن جنوبها الوادي المبارك المسمى وادي زبيد الذي دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بالبركة فليس في اليمن واد أبرك منه ومن شماله وادي رمع وقد دعى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بالبركة فهي مدينة مباركة بين واديين مباركين , ومن شرقيها الجبال الشامخة والحصون الباذخة .. ومن غربيها البحر الزاخر والسفن والمواخر والنخيل الباسقة والحدائق الفائقة " [٣] وقيل أنها " اختطت في موضع طيب أصلاً ومحلاً وأن هواها يزيد في ذكاء أهلها " [٤] ولأن كان هذا الخبر مبالغ فيه على ما يبدو إلا أن ما ورد في وصفها من قبل المؤرخ بن الديبع [٥] في عصرة (عاش في نهاية القرن الثامن الهجري والنصف الأول من القرن التاسع الهجري) قد يؤيد ذلك حيث وصفها بأنها مدينة " واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه فيها العنب والرمان والتين والبلس وشجر النرجيل والقف والعنباء وشيء يسمى الباذان والنخيل المبسوطة على كل لون أصفر وأحمر وأخضر وأجهر وفيها الموز الكثير والليمون والنارنج الحلو الحامض والفل الأبيض والياسمين

---

(١) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ص ٦٣٢ , ٦٤٧ , دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان , بدون (ط . ت) .

(٢) الشجاع : عبدالرحمن عبدالواحد (الدكتور) تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الاربعة الهجرية الاولى ص ١٨٨،١٩١ ط (الرابعة) ٢٠٠٢ ، مكتبة الاحسان صنعاء .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون في اخبار اليمن الميمون ص ٢٣٠ تحقيق / محمد بن علي الأكوع ط (الثانية)١٩٩٨م .

(٤) ابن الديبع : الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ص ٤٨ . تحقيق / د . يوسف شلحد , مركز الدراسات والبحوث اليمن ، صنعاء ١٩٨٣م .

(٥) المصدر نفسه ص ٤٨ .

وزهرا الكاذي والريحان والوزاب والسنبر والأترج الأصفر , وبها عين جارية غزيرة الماء تأتي من شرقيها في سرب تحت الأرض حتى تقترب من المدينة ثم تظهر وتسقي جميع البساتين التي خارج المدينة والتي من داخلها وليس أهل المدينة محتاجين إلى مائها بل في كل بيت بئر في أي وقت أحبوا نزعوا منها الماء ويفضلونه على ماء العين المذكورة " ومن خلال هذا الوصف يتضح لنا فعلاً أن زبيد كانت مؤهلة بيئياً لتكون صالحة ومريحة لسكن أهلها , وهي وإن كانت حارة صيفاً معتدلة شتائاً إلا أن تلك الأشجار الخضراء من النخيل مع التين والرمان والعنب مع أشجار الزينة المختلفة المشمومة وغير المشمومة لا شك وأن ذلك كله مع توفر المياه يعمل على تعديل الجو الحار ليجعله بعد ذلك مريحاً ومعتدلاً .

ثانيا التوسع في المظاهر العمرانية :

شهد اليمن خلال القرنين السابع والثامن الهجريين نهضة معمارية كبيرة وخاصة في مدينة تعز عاصمة الدولة الرسولية التي كانت تحكم اليمن في هذين القرنين , فمدينة تعز كانت العاصمة الأولى وأما زبيد فكانت العاصمة الثانية , لأن تعز كانت مصيف بني رسول يصيفون بها وزبيد كانت مشتاهم , وأما مدينة إب فكانت من المدن المهمة بالنسبة لبنى رسول , لذلك فإن هذه المدن الثلاث وغيرها قد انتشر فيها العمران وتوسع ليشمل مختلف أنواع العمران حيث كان التوسع في بناء القصور والدور وما يحيط بها من البساتين والحوائط وغير ذلك من بناء السبل والسقايات ثم الحمامات والفنادق والأسواق وما يحيط بها من الدكاكين والمجازر والمعاصر...إلخ . وحتى لا يطول بناء الحديث فسنحاول أن نعطي لمحة سريعة عن هذا التوسع في هذين القرنين . ونظراً لأن المؤرخين كانوا يركزون على تسجيل بناء المنشآت العامة التابعة للدولة أو ملوكها وسلاطينها وأمراؤها وحاشيتهم من القادة والنساء أو العلماء والمشايخ فسيكون الحديث مركزاً عن هذه المنشآت العامة أكثر من غيرة .

ففي مدينة تعز كثر بناء المساجد في العصر الرسولي بحيث بلغت أكثر من عشرين مسجداً في المدينة دون ضواحيها مثل مسجد المغربة والمظفر ومسجد المحاريب وجامع ثعبات ومسجد كافور والسرح والمعلم والأمير يوسف بن منصور وغيرها[1] , وأما المدارس فقد بلغ عددها سبعاً وثلاثين مدرسة في مدينة تعز فقط[2] منها المدرسة الوزيرية والغرابية اللتان بناهما السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول , والمدرسة المؤيدية التي بناها السلطان المؤيد , والمدرسة النجاحية التي بناها الأمير محمد بن

([1]) كتاب تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور ، مؤتمر تعز على مر العصور جـ ٢ بحث خطط مدينة تعز في العصر الرسولي ص ٤٩٢ , ٤٩٣ , ٤٩٦ , ٤٩٧ ، مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة , ٢٠١٠م
([2]) المرجع نفسه ص ٤٩٣ , ٤٩٤ , ٤٩٥ , ٤٩٦ .

نجاح والمدرسة الشمسية التي بنتها الدار شمسي ابنة السلطان المنصور عمر بن علي رسول [١] و غيرها من المدارس .

وأما القصور والدور والفنادق فهي كثيرة في تعز فقد وصل عددها إلى تسع وعشرين داراً وقصراً نذكر منها – منعاً للإطالة- قصر المعقلي بثعبات وقصر المنتخب ودار الشجرة ودار العدل [٢] . تحيط بها كثير من البساتين [٣] .وأما الأسواق فهناك سوق المغربة وسوق الخميس وكلها في حي المغربة وسوق عدينة في حي عدينة وسوق الوعد [٤]وغيرها وتذكر الوقفيات بأن تعز كان بها خمسه فنادق إضافة إلى بعض الحمامات العامة[٥]

وأما الدور العامة فهي كثيرة وكانت مبثوثة في جميع أحياء تعز في كل من حي عدينة والمغربة والمجلية والمحاريب وناحية الحبيل وحي الظاهرية وغيرها من الأحياء فالمصادر تذكر لنا هذه الدور بشكل عام ، فعندما انتقل الحكم من السلطان الأشرف إلى المؤيد في سنة ٦٩٦هـ يُذكر بأن: " دور المغربة وعدينة كادت أن تصيح من الفرح " [٦].

وأما في زبيد فيكفي أن نشير إلى أن السلطان الأشرف بن الأفضل , قد أمر في عهده بعمارة المساجد والمدارس في زبيد المندثرة وما أشرف منها على الهلاك فكانت المندثرة عشرة مساجد ومدارس وأما التي أشرفت على الهلال فكانت تسعة عشر مسجداً ومدرسة [٧] فهذه فقط التي كانت بحاجة إلى ترميم أو إعادة بناء وأما الصالحة فيذكر أن السلطان الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس الأفضل قد أمر بأن تعد المساجد والمدارس في زبيد وذلك في سنة ٧٩٥هـ فبلغ عددها مائتين وبضعا وثلاثين مسجداً ومدرسة , وعدت المعاصر فكانت سبعاً وثلاثين معصرة [٨] (أي معاصر الزيت) وهذا العدد يدل على كثرة عمارة المساجد والمدارس في زبيد في العصر الرسولي , ومن المحتمل جداً أن تعز كانت بها مثل هذا العدد وأكثر كونها كانت العاصمة الأولى إلا أن المؤرخين لم يذكروا لنا ذلك , وما تم ذكره عن تعز هو عبارة عن المدارس والمساجد التي ذكرت بالاسم والموضع .

---

(١) الخزرجي : أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر(ت ٨١٢هـ) العسجد المسبوك فمن ولي اليمن من الملوك ورقة ٢٠٨ , ٢٠٩ , ٣٠١ , صورة مخطوطه من مكتبة د . عبد الرحمن الشجاع ،. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية جـ ١ ص ١٩٦ , ٢٤٦ , ٢٨٥ . تصحيح / محمد بن علي الأكوع , مركز الدراسات والبحوث ا ليمني صنعاء ط (ا لثانية) ١٩٨٣م .

(٢) تعز عاصمة اليمن الثقافية . بحث خطط مدينة تعز حـ ٢ ص ٥٠٠ , ٥٠١ , ٥٠٢ , ٥٠٣ .

(٣) المرجع نفسه ص ٥٠٦ , ٥٠٧ .

(٤) الوقفية الغسانية : وقفية المدرسة الإشرفية والمعتبية ورقة ١٢ , ٥٥ ،. مخطوط من مكتبة د . عبد الرحمن الشجاع.

(٥) بلغ عدد الحمامات حوالي ستة حمامات (تعز عاصمة الثقافة : بحث خطط مدينة تعز جـ ٢ ص ٥٠٨ , ٥٠٩) .

(٦) ابن عبد الباقي : تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣هـ) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ص ١٧٧ تحقيق / عبد الله محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني , دار الحكمة اليمانية , صنعاء , ط (الأولى) ١٩٨٨م .

(٧) أبن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٣ .

(٨) المصدر نفسه ص ١٠٤ .

أما في مدينة جبلة وإب فالمعلومات شحيحة مقارنةً بتعز وزبيد ، فيما يخص الدور والفنادق والمعاصر ، وأما المدارس والمساجد فقد كانت كثيرة في هذين القرنين ويكفي أن نشير إلى ذلك بالأرقام حيث كان بها سبع عشرة مدرسة [١] . إضافة إلى المدارس التي بناها بنو فيروز في مدينة إب ولا نعرف عددها ووقفوا عليها ما يليق بها وذلك في القرن الثامن الهجري [٢].

ومن خلال ماسبق نتوصل إلى أن التوسع المعماري في هذه المدن الثلاث كان كثيراً , وبالتالي فالسؤال المطروح هل كانت هذه العمارة تتوافق والنواحي البيئية هذا ما يمكن أن نعرفه في الصفحات التالية, ولكن لا بد من التوضيح هنا بأن المصادر التاريخية لم تكن تفصل لنا أوتصف شكل هذه المباني والمواد التي بنيت بها ولا الغرف أو الطوابق التي احتوت عليها وغير ذلك من التفاصيل المهمة إلا في القليل النادر ولذلك فإننا سنقتصر على نماذج معينة لكل مدينة بحسب ورودها في المصادر ثم بعد ذلك نتتبع النواحي البيئية التي تضمنتها , وسنكتفي بنموذج واحد أو أثنين لكل مدينة .

ثالثا: النماذج العمرانية في مدينة تعز:

لم تحدد لنا المصادر وصفاً معمارياً إلا للقليل من المباني وملحقاتها فهناك أول نموذج وهو قصر المعقلي في بستان ثعبات وهناك دار الضيافة بذي عدينة , والبيت التابع لمدرسة سلامة المؤيديه ونبدأ الحديث بقصر المعقلي : في بستان ثعبات:

قام ببنائه السلطان المؤيد , واستمر البناء فيه لمدة سبع سنوات وتم الإنتهاء منه في سنة ٧٠٨هـ وشكل بنيانه " مجلس طوله خمس وعشرون ذراع في عرض عشرين ذراع بسقفين مذهبين بغير أعمدة مثل هذا الطول بأربع رواشن[٣] وبين يديه بركة طولها مئة ذراع وعرضها خمسون ذراع على حافتها الأوز الصفر- تقريباً النحاس الأصفر- ترمي الماء من أفواهها وشاذروان قبالة المجلس بعيد المدى ينصب ماؤه إلى البركة .. وفي المجلس المذكور طشتان من الرخام حلزونيان الشكل ترى الماء يدور في جداولهما وفي صدر المجلس شبابيك تفتح على بستان عجيب المنظر وحسن المخبر وكذا الروشن الذي به حدث عن جماله ولا حرج" [٤] وقد حضر الأعيان والأمراء والعلماء والشعراء افتتاح القصر, وكان

---

[١] السنيدي : عبد العزيز بن راشد (الدكتور) المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية ص ٤٠٦ , ٤٠٧ , ط (الأولى) ٢٠٠٣م .

[٢] الجندي : بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت ٧٣٢هـ) السلوك في طبقات العلماء والملوك ص ١٦٤تحقيق / محمد بن علي الأكوع , مكتبة الإرشاد ، صنعاء ط (الأولى) ١٩٩٣م .

[٣] خشب يخرج من حائط الدار إلى الطريق ولا يصل إلى جدار أخر يقابله فإن وضعت به إعمدة لحمله فهو الجناح وإلا فهو الروشن ، كما يعرف بأنه شُرفة تطل على خارج البيت وتحتل مكاناً بارزاً على سطحه [غالب : عبدالرحيم غالب (الدكتور) موسوعة العمارة الإسلامية ص ٢٠٧ ، ط (الأولى) ١٩٨٨م ، مكتبة جروس برس ، بيروت] .

[٤] ابن عبد الباقي : بهجة الزمن ص ٢٥١ , ٢٥٢ .

السلطان ينظر إليهم من الطبقة الثانية [1] .ومما يذكر أيضاً" أنه كان يطلع إليه _ أي إلى القصر أثناء عمارته _ في كل يوم نحو من سبعين بغلة من الصناع الغرباء ما بين نجار ودهان ونحاس وصانع ومكندج [2] ومرخم ومزخرف ومصور خارجاً عمن يركب الحمير ومن لا يركب من اتباعهم وهذا عدا صناع البلاد وهم أضعاف أضعافهم" .[3]

وإذا ما جئنا لنُسقط النواحي البيئية على هذا القصر فسنجد

أولاً : أن المصمم قد تنبه إلى اشياء كثيرة تتعلق بالبيئة مما يجعل هذا القصر أكثر راحة عن غيره من المباني فهو قد بُنيَ في بستان ثعبات الذي وصف بأنه" نزهة الدنيا " [4] وقد ذكر أن السلطان المجاهد جعل في هذا البستان " المخترعات الفائقة والبساتين الرائعة" [5] وكان السلطان المؤيد يعمل في هذا البستان دعوة الورد حيث يدعوا الأمراء والوزراء إلى البستان ليتنزهوا وتقدم لهم الأطعمة والفواكه المختلفة مما هو موجود في هذا البستان [6] وفي هذا البستان يوجد قصر أخر اسمه الديباج بناه السلطان الأفضل وكان يغرس فيه من أشجار الزينة المتنوعة المشمومة مثل الفل الأحمر والأخضر والأزرق والأبيض وورود وغير ذلك [7]

وثانياً لا شك وان المصمم قد راعى بأن يكون موقع هذا القصر – المعقلي- في وسط هذا البستان المليء بالأشجار, ومن ثم سيكون اتجاه هذا القصر إلى مختلف الاتجاهات الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية , وأما تخطيط القصر- كما رأينا فقد كان مناسباً ليكون سكناً للسلطان من حيث طول وعرض المجلس وما يحيط به من بركة طويلة . لعلها مسبح . وكذلك الشذروان يصب الماء إلى أعلى ويرجع إلى أسفل إلى البركة وهذا بحد ذاته يعطي مزيداً من تلطيف الجو أيام الصيف كما يعطي منظراً رائعاً وجميلاً تقربه النفوس.

وثالثاً إذا ما نظرنا إلى تهوية القصر وإضاءته وتدفئته أيام الشتاء فنجد أن المصمم لم يغفل عن ذلك فهناك الرواشين وهي أربعة , وهي الشرفات الي تطل على خارج البيت أو تكون بارزة إلى الخارج

---

(1) المصدر نفسه ص ٢٥٢.

(2) المكندج من كندوج و الكندوج بالفتح (شبهُ المَخْزَن) وفي المصباح وضّمت الكافُ لأنه قياس الأبنية العربية وهي الخزانة الصغيرة (معرب كندو) (وكَنْدَجَةُ الباني في الجدران والطيقان مَولّدَة) لأن الكاف والجيم لا يجتمعان في كلمة عربية إلا قولهم رجل جكر كذا في المصباح [الزبيدي : السيد محمد مرتضى الحسيني (ت٨١٦هـ) تاج العروس من جواهر القاموس ج٥ ص١١٨٨، تحقيق / عبدالستار أحمد فراج ، بدون(ط) ، ١٩٦٥م ، لجنة التراث العربي ، دار الهداية]

(3) الخزرجي : العقود اللؤلوية جـ ١ ص ٣١١ .

(4) بامخرمة : أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ) النسبة إلى المواضع والبلدان , القسم الأول ص ٣٧٣ . تحقيق / محمد عبد الله المعلمي , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب جامعة صنعاء ٢٠٠٥م

(5) الخزرجي : العقد الفاخر ص ٣٧٩ .

(6) ابن عبد الباقي : بهجة الزمن ص ٢٣٨ , ٢٣٩ .

(7) الخزرجي : العقود اللؤلؤية حـ٢ ص ١٨٨ , ١٢٠ .

وهي تسمح بمرور الهواء الذي يلطف جو المجلس , وهناك أيضاً الشبابيك الأخرى في الجهة الثانية من المجلس والتي تفتح على البستان الذي به من الأشجار والثمار الكثير وهذا بدوره يعطي المزيد من الإضاءة والمنظر الحسن للجالسين في الجهة الثانية من المجلس وعليه فإن الإضاءة والتهوية في هذا القصر متكاملة , أما العناصر الجمالية فحدث عنها ولا حرج فهناك السقفان المذهبان بدون أعمده , ولعل السقف رفع على عقود مخفية ثم سقفت بعد ذلك بالخشب ثم عمل لها الديكور المذهب , وهناك الأوز الأصفر الذي يرمى بالماء من على حافة البركة , وهناك الطشتان من الرخام اللذان في وسط المجلس على شكل حلزوني يدور الماء في جداولهما , ثم هناك الزخارف والرسوم والرخام والمكندجات وغيرها من مظاهر الزينة والجمال سواء داخل القصر أو خارجه ، وبما أن بنائه قد استغرق سبع سنوات فلا شك بأنه كان غاية في الجمال حتى قال عنه بعض الواصفون بأنه يتكون من " رخام ومن نضار , وبهتت عند رؤيته الأبصار , سما فليس له في شكله نظير وعلا فلا شبيه بالخورنق ولا السدير اجمع أرباب اختراق الأفاق أن لا نظير له في مصرهم وشامهم والعراق" [١] وأما البستان المحيط بالقصر وثماره وأشجاره مع الماء المحيط به في البركة فلقد اهتم بها أيضاً المصمم غاية الاهتمام . لذلك كله نجد أن هذا القصر قد استكمل تقريباً كل عناصر البيئة الجمالية والطبيعية الممتازة .

ولعل القائل يقول إن هذا البناء من الإسراف أو العبث , إلا أن الآخر قد يجيب عليه فيقول بأن الزينة غير محرمه قال تعالى : " قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق "[٢] وبغض النظر عن هذا الرأي أو ذاك فالمرجح هو أن (سلاطين بني رسول) كانوا يعطون كل ذي حق حقه مما جعل هذه الدولة تستمر لمدة قرنين من الزمان وزيادة وما ذاك إلا لعدلهم واهتمامهم بالعلم والعلماء الأمر الذي يعكس روعة الحضارة الإسلامية وديمومتها .

وحتى عندما ننظر إلى مسميات قصورهم ودورهم نجد أن لها دلالات تدل على أحوالهم المحمودة والقيم السامية التي كانوا يتحلون بها فمثلاً دار العدل ودار الوعد ودار السلام ودار الأمان ودار الشكر والشريف والقصطال والنصر[٣] كل هذه المسميات لهذه الدور والقصور ألا تدل على العدل والوفاء بالوعد وشيوع السلام في حياتهم وكذا أهمية الشرف فيما بينهم , وفي الجانب الأخر دار الديباج والأخضري والشجرة والسرور والنعيم والفردوس والسعيدة [٤] هذه المسميات ألا تعكس الجانب الآخر

([١]) ابن عبد الباقي : بهجة الزمن ص ٢٥١ .
([٢]) سورة الأعراف : الآية ٣٢
([٣]) الخزرجي: العقود اللؤلؤية حـ ٢ ص ١٨١ , ١٩٦ , ٢١٨ , ٢٢٦ , ٢٥٩ , العسجد المسبوك ورقة ٤٨١ ، أبن الديبع : بغية المستفيد ص ١١٩ .
([٤]) مجهول: تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ص ١١٤ , ٢٠٣ , ٢٠٤, ٢٠٥, ٢٠٦ . تحقيق / عبد الله محمد الحبشي , دار الجيل صنعاء , ١٩٨٤م , ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٩ , ١١٥ .

من حياتهم والذي لا بد للنفس من أن تستروح خاصة في ظل وجود المال بوفرة وهيبة السلطان ، كل هذا يدل على أنهم كانوا في سرور ، ونعيم ولكن وبحسب ظننا بما لا يؤدي إلى الخروج عن الحلال والوقوع في دائرة الحرام وهذا يعكس الجانب الصحيح من البيئة الاجتماعية والسياسية .

دار الضيافة بحي ذي عدينة :

أما هذه الدار فقد بناها السلطان المظفر يوسف عمر بن علي بن رسول(ت ٦٩٤هـ) وما يهمنا فيه هو الاستدلال على استخدام المواد الأولية المتاحة في البيئة من أجل البناء فقد خرج المظفر يوماً إلى الشعبانية وهي منطقة خارج تعز فوجد بها داراً كبيرة قد صارت متهدمة ، فسأل عن أهلها حتى دُل عليهم وعرفهم ثم اشتراها منهم ثم قام بنقل أحجار هذه الدار على الجمال إلى موضوع الدار وبنى بها دار الضيافة [١] ، كذلك ادخل في بناء الدار الآجر [٢] . ولم يشر المصدر من أين تم أخذها ، وعليه فلعل معظم مباني تعز كانت من الأحجار وربما أدخل مع الأحجار الآجر. ومن الأمور الإيجابية هنا أن السلطان المظفر قد استخدم أحجار جاهزة لدار متهدمة فهو يقوم بعملين الأول : إزالة المخلفات التي قد تعطي منظراً غير حضارياً لبيت أو دار متهدمة لا فائدة منها والثاني : الاستفادة من تلك الاحجار في بناء دار جديدة وهي دار الضيافة وهذا بدورة يمثل جانباً مهماً من جوانب البيئة.

بيت المدرسة المؤيدية :

هذا البيت تابع للمدرسة المؤيدية أو مدرسة سلامة المؤيد ، والذي قام ببناء المدرسة والبيت –تقريباً- هو السلطان المؤيد بتوكيل من كريمته سلامة ، والوقفية التي من خلالها حصلنا على المعلومات عن هذه المدرسة تشير إلى شكل وتفاصيل بنيان هذا البيت من بابه – مدخله- وحتى سطوحه ففي الوقفية أن " صورة بنيانها حينئذٍ باب شرقي يدخل منه إلى دهليز ثم إلى قاعة أرضية فيها محراب ومطبخ وبيت راحة وباب غربي يخرج منه إلى بركة الحائط والإيوان الموقوف على المدرسة المذكورة والإيوان يماني البركة المذكورة ، ثم يصعد من القاعة الأرضية بدرجةٍ إلى الحافة العليا في وسط الدرجة خلوة صغيرة ثم يصعد منه إلى شربخانة [٣] ثم يدخل إلى قاعة فيها إيوان يماني ومجلس شرقي وشباكين

---

(١) الخزرجي : العقد الفاخر ص ٢٢٩ .

(٢) الآجر : طبيخ الطين فارسي معرب ، وواحدته (آجرّه) وهو من أهم المواد الي استعملت في البناء وما زالت في كل البلدان الاسلامية خاصة في الاماكن التي يعز فيها الحجر ، والآجر من اولى المواد التي استعملها المسلمون في ابنيتهم [ابن سيدة : ابو الحسين علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي ت ٤٨٨هـ المخصص جـ ١ ص٥٥٠ تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بدون (ط ، ت) ، غالب : موسوعة العمارة ص ٢٧ ، ٢٨]

(٣) الشربخانة : بيت الشراب وفيه شتى انواع الاشربة التي يحتاجها السلطان فضلاً عن الاواني النفيسة المصنوعة من الصين الفاخر [دهمان : محمد احمد ، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ص ٩٧،ط ١٩٩٠ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان] .

وطيرمة [1] فوق الإيوان الوقف المذكور فيها شباك يماني يشرف على الطريق وحائط الوقف الأعلى وروشن يشرف منه على البركة بحايط الوقف الأسفل ثم يخرج من القاعة إلى بيت راحة ثم يصعد بدرجة إلى قاعة أخرى فيها منظرة تشرف إلى الحايط أيضاً فيها شباكان قبلي وغربي ثم يصعد بدرجة أخرى إلى سطوح الأبنية المذكورة " [2] ومن خلال هذا النص التوثيقي الرائع نلاحظ بأن المصمم المعماري لهذا المبنى قد استطاع أن يراعي عدة أمور فالمنزل أولاً متعدد الأدوار لتعدد الاستخدامات فهو يقع في حوالي ثلاثة أدوار فالدور الأرضي به بابان شرقي وغربي الغربي يخرج منه إلى الحايط . البستان . الذي فيه البركة وفي الدور الأرضي دهليز التي هي الصالة أو مدخل الغرف ثم قاعة منفصلة لعلها فسيحة وفي هذه القاعة محراب تقريباً للصلاة وهناك مطبخ وبيت راحة (الحمام للأستخدام الشخصي مثل قضاء الحاجة أو الوضوء وغيره) ثم الدور الثاني يبتدأ بالدرج وفيه خلوة صغيرة- تستخدم مخزن تقريباً أو غرفة صغيرة- ثم إلى الشربخانة في الدرجة نفسها وهي المشربية أو النافذة الخشبية البارزة خارج جدار المبنى والتي يبرد فيها الماء ثم إلى قاعة فيها إيوان ومجلس شرقي فيه شباكين من أجل الإضاءة , ثم هناك الطيرمة فوق هذا الإيوان والتي تشرف على جميع الاتجاهات والطيرمانة هذه تمثل جانب حضري في هذه المدة الزمنية من القرن الثامن الهجري ولعل الرسوليين هم أول من أوجد هذا الفن المعماري في اليمن , وفي هذه الطيرمة شباك يماني يطل على الطريق وفيها- أيضاً- روشن وهي الشرفة البارزة التي تطل على خارج البيت ولعلها تسمح بدخول الهواء البارد في فصل الصيف وهذا الروشن أيضا يطل على البركة , ثم في هذا الدور ومن قاعته يخرج إلى بيت راحة وهذا أيضاً في الدور الثاني ثم هناك قاعة أخرى مرتفعة يتم الصعود إليها بدرجة وفيها المنظرة والمنظرة بلغة أهل اليمن معروفة وهي أعلى مكان في المنزل ينظر منها إلى ما حوله من المناظر وأحياناً يسميها أهل اليمن مفرج وفي هذه المنظرة التي تشرف على الحايط . مما يعطي منظراً جميلاً . شباكان قبلي وغربي .

إذن هذه التصميمات المتعددة الأوجه والأستخدامات في هذا البيت تعطي الساكنين الكثير من الخصوصية والإطمئنان والراحة إذ أن المصمم لم يغفل الحمام في الدورين إضافة إلى المطبخ وهو في الدور الأول مما يجعل الروائح أو الدخان لا ينتقل إلى الطابق الثاني وهناك الطيرمة ثم المنظرة بحيث تتعدد الإتجاهات وتتعدد النوافذ إضافة إلى ذلك فهناك الحايط الأعلى والحايط الاسفل وفيهما

([1]) لم نجد لهذا المصطلح وجود في المعاجم اللغوية أو المعمارية أو الأثرية التاريخية التي بين أيدينا ، إلا أنه في مدينة صنعاء القديمة يطلق عليه الطيرمانه أو المنظرة وهي الغرفة التي تبنى في أعلى البيت بحيث تُبنى اولا غرفة بنفس حجم الطيرمة من تحت ثم تُبنى الطيرمانة من فوق بحيث أنها تطل على خارج الدار من جميع الاتجاهات ، وبحيث تُشاهد من خارج الدار ، وغالباً ما تُبنى في الدُور التي تتكون من أربعة ادوار وما فوق .

([2]) الوقفية الغسانية : وقفية المدرسة المؤيدية ورقة ٧٤ .

بركة الماء مما يعني وجود حديقتين في هذا البيت مع وجود الماء و كل هذا فيه تعدد للجوانب البيئية المختلفة.

رابعا: النماذج العمرانية في مدينة إب:

لم نجد في المصادر التي بين أيدينا تفاصيل معمارية للمباني في مدينة إب سوى ما ذكرته الوقفية الغسانية عن المدرسة الياقوتية في ذي السفال التابعة لإب والتي تعد مدينة مصغرة للآثار الإسلامية . ولذلك فلقد أكتفينا بهذا النموذج وهو :

المدرسة الياقوتية في ذي السفال :

تقع (ذي السفال) في السفح الجنوبي من جبل التعكر في أعلى وادي ضباء المشهور بخصوبته والقرى المتناثرة الزاهية فيه . وذي السفال مدينة نزهة جميلة تقع جنوب مدينة إب بمسافة ثلاثة كيلو متر [١] .

والمدرسة الياقوتية في ذي السفال لازالت باقية إلى اليوم وهي جوار رباط البريهي ولكنها مهملة ولم ترمم بعد[٢] وأما عن الذي قام ببناء هذه المدرسة فهي السيدة جهة الطواشي الأجل جمال الدين ياقوت الظاهري زوجة السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل الأشرف في القرن الثامن الهجري [٣] وعن إتجاه مبنى المدرسة وشكله وتفاصيله فهو كالتالي كما فصلت ذلك الوقفية حيث جاء فيها : "وصورة بنائها بوابة يمانية يدخل منها إلى مجاز يكون عن يمين الداخل يسلك فيه إلى عقد محمول عليه ساقية الماء إلى البركة المبارك فيها ثم إلى مجاز المطاهير [٤] والمغتسل هنالك ثم يكون عن يسار الداخل من الباب الخارجي مجاز –أيضاً ينفذ فيه إلى باب الدرجة التي يصعد فيها إلى أعلى المقصورة هنالك ثم يسلك-أيضاً من الباب الخارجي إلى شمسة مرتفعة البنيان وغربي الشمسة المذكورة إيوان ويدخل من الشمسة إلى مقدم المدرسة المذكورة المباركة وهو مجلس مستطيل شرقاً وغرباً فيه ثلاثة عقود وفي المجلس ثلاثة أبواب أحداها شرقي يمر فيه إلى مصلى والثاني يماني يخرج منه إلى قاعة المدرسة المذكورة والثالث غربي يستطرق منه إلى مقصورة ذات محراب وفي المقدم المذكور أربعة شبابيك حديد أحدهما شرقي والثاني والثالث قبليان عن يمين المحراب ويساره والرابع غربي وبتمام

---

(١) عبد الرحمن حسن جار الله (الدكتور) ذي السفال مدينة الآثار الإسلامية ص ٥ ، إصدار وزارة الثقافة ٢٠٠٤م

(٢) المرجع نفسه ص ٨٨ .

(٣) الوقفية الغسانية : وقفية المدرسة الياقوتية ورقة ١٦٣ .

(٤) المطاهير : هي المياضئ وهي التي يُتوضئ منها أو فيها وأصل الكلمة من الوضاءة وهي الحسن ولفظ المطاهير هو السائد في كل من صنعاء وصعدة وظفير حجة [الفراهيدي : الخليل بن احمد (ت١٧٤هـ) كتاب العين جـ ٢ ص ٧٦ تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، مكتبة الهلال ، القاهرة بدون (ط ، ت) ، العبالي : يحيى لطف ، العمائر الدينية في مدينة ظفير حجة ، ص١١٠ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة صنعاء ، كلية الاداب ، قسم الأثار ، ٢٠٠٨] .

هذه الصفات تمت صفت البنيان , ويليها من أرجائها . أي المدرسة . وجوانبها الرحاب الواسعة الممتدة الفضاء من الجهات الأربع المحيطة بها "" [١] أنتهى ومن خلال هذا النص التوثيقي الهام نلاحظ التالي :

أولاً : أن المدرسة اشتملت على المرافق المهمة وهي ساقية الماء الموصلة للماء إلى البركة وإلى المطاهير . للإستنجاء وقضاء الحاجة . وإلى المغتسل.

ثانياً : الشمسية المرتفعة البنيان والتي تعطي أضواء وهواء لرحاب المدرسة من الداخل , وهذا الشمسي طوله ٦.٢٦ متر في عرض ٤.١٥ متر [٢] .

ثالثاً : الاهتمام باتجاه المبنى وشكله وموقعه . فالاتجاهات متعددة الشرقي والغربي والجنوبي والقبلي ثم هناك وهذا هو المهم ما يلي المدرسة من جوانبها وهي كما أشارت الوثيقة الرحاب الواسعة الممتدة الفضاء ومن الجهات الأربع وهذا يعطي مزيداً من التهوية والإضاءة وحرية التحرك لمن يسكنون هذا المبنى المدرسي ولمزيد من التوضيح فإن المبنى المدرسي جميعه يقع في ١٧ متر طولاً في عرض ١٢ متر [٣] .

وإذا ماجئنا لنقارن هذا المبنى بعدد الدارسين والمدرسين فيه فإنه يمنحهم خصوصيات وحريات كبيرة لأن عدد المدرسين والطلاب قليل وهم معلم يعلم القرآن ثم أربعة أيتام يتعلمون القرآن وإمام ومؤذن وقيم وناظر [٤] وهذا بخلاف من يأتون للصلاة في أوقاتها .

رابعاً : الأهتمام با لعناصر الجمالية للمبنى حيث تم البناء بأحجار ذات ألوان متعددة الأسود والرمادي واللون الأحمر [٥] إضافة إلى العقود الجميلة والشمسي وغير ذلك .

خامساً : العناية بالإضاءة والتهوية والتدفئة وهذا واضح –جداً- من خلال الشمسي ومن خلال الشبابيك المتعددة الاتجاهات التي تتبع المجلس الواسع والذي يعد مكان الدراسة وهذا يعطي كثيراً من التهوية في الصيف الحار , إضافة إلى أن مواد البناء تعطي تدفئة في الشتاء كونها لا تفقد الحرارة بسرعة .

سادساً : استخدام المواد الأولية المتاحة من البيئة في البناء وهي الأحجار[٦] وبأنواعها الثلاثة التي ذكرناها

---

(١) الوقفية الغسانية : وقفية المدرسة الياقوتية ورقة ١٦٣
(٢) عبد الرحمن جار الله : ذي السفال مدينة الآثار ص ٩٤ .
(٣) المرجع نفسه : ص ٩٤ .
(٤) الوقفية الغسانية : وقفية المدرسة الياقوتية ورقة ١٦٥ , ١٦٦ .
(٥) عبد الرحمن جار الله : ذي السفال مدينة الآثار ص ٩٠ .
(٦) المرجع نفسه ص ٩٠ .

سابعاً : الاهتمام أيضاً بالجوانب الاجتماعية البيئية حيث نلاحظ أن المدرسة في معظمها خصصت لتدريس الأيتام الذي حدد الواقف عددهم بأربعة أيتام وخصص لهم ثلث سهم أوقاف المدرسة والثلث الثاني للموظفين والثالث للطعام داخل المدرسة للمقيمين فيها ومنهم الطلبة والمدرسين وغيرهم من الواصلين إلى المدرسة [1] ومن خلال ذلك كله نلحظ أن هذا المبنى اشتمل على الكثير من العناصر البيئية والتي تعطي تصوراً ونموذجاً رائعاً للعمارة الإسلامية في هذه القرون .

خامسا: النماذج العمرانية في مدينة زبيد:

الدار الناصري الكبير:

اخترنا في زبيد وبحسب ما توفر لنا من المصادر والمراجع الدار الناصري الكبير الذي تسمى اليوم القلعة وهذه الدار تعود إلى القرن الثامن الهجري حيث قام ببنائه السلطان الرسولي الملك الناصر أحمد بن الأشرف (ت ٨٢٧هـ)[2] وهذه الدار تُعدُّ من الدور الكبيرة ومن أهم المآثر في المدينة التي لا زالت باقية إلى اليوم لأنه كان الدار السلطانية . الحكومية . وهو بني على مساحة كبيرة تشمل عدة مرافق , ففيه باب النصر والسجن والثكنات العسكرية (الأبراج) ومخازن السلاح ومخازن الحبوب ودار الإمارة والمالية ومقر الحاكم الشرعي [3] وكما يشمل الدار الأسطبل للخيول ودار الضيافة وبئرين البئر الغربي والبئر التابع للحمام وكذلك المدخل الرئيسي للقصر والمنظرة والمدرسة الإسكندرية ثم أخيراً الفناء أو الرحبة الذي يتوسط الدار وهو الشمسي الكبير حيث يطل عليها الدار من جميع الجوانب وهذه الرحبه أو الشمسي عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل تمتد من الشرق إلى الغرب بطول ١٣٧ متراً ومن الشمال إلى الجنوب بعرض ٩٠ متر وفي هذه الساحة . الرحبة . أشجار متنوعة وعيون ماء مجلوبة من شرقي زبيد كما تحتوي على أحواض مياه ونوافير وشذروانات ما زالت إحداها موجودة بجوار الواجهة الشرقية لدار المالية [4] أما خارج المبنى فهو ذو أربع اتجاهات أو واجهات , وعليه فإن هذا الدار عبارة عن مجمع معماري حكومي مدني وحربي كبير، غير أن الطابع المدني هو الغالب عليه لما يشتمل عليه بداخله من أشجار وعيون ماء وسواقي إضافة إلى الزخارف المنتشرة في أرجاءه , ومن خلال ما سبق يتضح لنا بأن هناك عناية كبيرة بالجوانب المعمارية البيئية في هذه الدار والمتمثلة في التالي :

---

(1) الوقفية الغسانية : وقفية المدرسة الياقوتية ورقة ١٦٦ .
(2) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٨ .
(3) عبد الرحمن عبد الله الحضرمي : زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ ص ٢٥, المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء , ١٩٩٣م .
(4) الحداد :عبد الله عبد السلام (الدكتور) الإستحكامات الحربية لمدينة زبيد منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية دراسة أثرية أثرية معمارية ص ١٩١ , وزارة الثقافة صنعاء , ٢٠٠٤م .

أولاً : أن تهامة تختلف طبيعتها عن الطبيعة الجبلية ولذلك فإن مواد البناء التي استخدمت في الدار هي المواد المتاحة الموجودة في البيئة التي تتوافق مع البيئة وهي الّلبن والطين والآجر والنورة (١) والقضاض (٢) أما الحجارة غالباً فهي لا تتوفر في تهامة (٣) .

ثانياً : استخدمت في المبنى الأخشاب التي هي من نوع الطنب والسدر والعرعر للأبواب والشبابيك والسقوف وهذه أيضاً من المواد الأولية الموجودة والمنتشرة في وديان زبيد وتهامة وغيرها (٤) .

ثالثاً : المعالجات للحرارة أو ما يسمى بملاقف الهواء حيث عالج المصمم ذلك بالشبابيك الخارجية والمنتشرة عند الأبواب وفي القاعات والمناظر حيث بعضها خشبية وبعضها قصبية من القص حيث تعد ستائر تلقف الهواء وهي مخرمة ومتقاطعة على شكل دوائر تسمح بدخول ضوء خافت للمبنى ودخول تيارات من الهواء مما يقلل من الهواء الحار المندفع نتيجة لحرارة الشمس الشديدة في الصيف (٥) .

رابعاً : رحبة الدار التي تشكل الحديقة والبساتين وعيون الماء وهي بمساحتها الواسعة تعطي منظراً جمالياً رائعاً للمبنى من الداخل وتعطي أيضاً ظلالاً وهواءً منعشاً خاصة في فصل الصيف .

خامساً : الأهتمام بتوصيل المياه للمبنى وذلك واضح من وجود الآبار وعيون الماء المجلوبة من شرقي المدينة .

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن زبيد في هذه المدة كمدينة تمثل العاصمة الثانية للدولة الرسولية فإن السلاطين قد اهتموا بها كثيراً، فقد اهتموا بنظافتها ورصف شوارعها مما يعطي منظراً بيئياً نظيفاً وجميلاً فقد ذكر أنه في عهد السلطان المجاهد أمر" بتجديد أبواب مدينة زبيد الثمانية وزخرفة شوارعها حتى كانت كالنجم الزاهر " (٦) مما يعطينا اشارات هامه عن روعة الحضارة الإسلامية في عهد الدولة الرسولية التي اهتمت بنظافة شوارع المدن وتحسينها مثل اهتمامها بالإنسان وتعليمة

وختاماً فهذا جهد المقل فإن كنا قد أحسنا فمن الله تعالى وإن قصرنا فمن أنفسنا والحمد الله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) النورة : جير مُطفئ والجير يُعد المادة الرئيسية في تركيب القضاض وكانت النورة تستخدم أصلاً في تبييض الأسطح والجدران الداخلية والخارجية للمباني وأكثر ما كانت تستخدم لتبييض غرف المباني وصالاتها من الداخل [سلام : سلطان حسن، الحرف التقليدية الاسلامية في العمارة اليمنية ص ١٢٨ رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة حلوان ، كلية الفنون الجميلة قسم الديكور ، ١٩٨٩ م] .

(٢) القضاض : هو عبارة عن مادة مركبة من الجير (النورة) والرمل والحصى ويخلط مع الماء بنسب محددة ، ويتميز بصلابته ومقاومته للرطوبة والماء ، كما ان صلابته تزداد مع مرور الزمن ، وكان يستخدم كمادة لتكسية أسقف الأبنية وخاصةً المساجد وكذلك تكسية برك الماء وقنواته من الداخل [العبالي : العمائر الدينية ص٣٥] .

(٣) الحداد : الاستحكامات الحربية ص٣٦٦

(٤) المرجع نفسه ص ٣٦٧ .

(٥) المرجع نفسه ص – ٣٩٦ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٦٤ .

المصادر والمراجع :

- ابن الأزرق : أبي عبد الله محمد بن الأزرق الأندلسي (ت ٨٩٦هـ) بدائع السلك في طبائع الملك , بدون (ط . ت)
- با مخرمة : أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ) النسبة إلى المواضع والبلدان . تحقيق / محمد عبد الله المعلمي , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب جامعة صنعاء ٢٠٠٥م .
- جار الله : عبد الرحمن حسن (الدكتور) ذي السفال مدينة الآثار الإسلامية , إصدار وزارة الثقافة والسياحة٢٠٠٤ م.
- الجندي : بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت ٧٣٢هـ)السلوك في طبقات العلماء والملوك . تحقيق / محمد بن علي الأكوع , مكتبة الإرشاد صنعاء ط (الأولى) ١٩٩٣م.
- الحداد : عبد الله عبد السلام (الدكتور)الإستحكامات الحربية لمدينة زبيد منذنشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية دراسة أثرية معمارية , إصدار وزارة الثقافة والسياحة ٢٠٠٤م .
- ابن حنبل : الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ه)مسند الإمام أحمد , المكتب الإسلامي بيروت لبنان ط (الأولى) بدون(ت) .
- الحضرمي : عبد الرحمن بن عبد الله ,زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ ,نشر المركز الفرنسي للدراسات اليمنية صنعاء , ١٩٩٣م .
- الخزرجي : أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر (ت ٨١٢هـ)
  - العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك , مخطوط مصور من مكتبة د . عبد الرحمن الشجاع
  - العقد الفاخر الحسن في طبقات أعيان أهل اليمن . دراسة وتحقيق / علي عبد الله صالح عبد الله , رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة صنعاء ٢٠٠٦م .
  - العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية . تصحيح / محمد بن علي الأكوع , مركز الدراسات والبحوث اليمنية صنعاء ط (الثانية) ١٩٨٣م.
- ابن خلدون:عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر , دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان , بدون (ط . ت) .
- دهمان : محمد أحمد ، معجم لألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط١٩٩٠، دار الفكر المعاصر ، بيروت ،لبنان.
- ابن الديبع : وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٤٤هـ)
  - الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد , تحقيق / د . يوسف شلحد , مركز الدراسات والبحوث اليمنية صنعاء , ١٩٨٣م .
  - قرة العيون في أخبار اليمن الميمون , تحقيق / محمد بن علي الأكوع ط (الثانية) ١٩٨٨م .
  - نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية , تحقيق / أحمد راتب حموش , دار الفكر المعاصر بيروت ط (الأولى) ١٩٩٢م .
- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)
  - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام , تحقيق / عمر عبد السلام تدمري , دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط (الأولى)١٩٨٥م
  - سير أعلام النبلاء , تحقيق / محمد نعيم العرقسوسي , مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط (الثانية)١٩٨٢م .

-الزبيدي: السيد محمد مرتضى الحسيني(ت ٨١٦هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق/ عبدالستار أحمد فراج ، لجنة التراث العربي، دار الهداية، ١٩٦٥م، بدون(ط).

- سلام: سلطان محسن، الحرف التقليدية الإسلامية في العمارة اليمنية ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلوان، كلية الفنون الجميلة، قسم الديكور، ١٩٨٨م.

- السنيدي : عبد العزيز بن راشد (الدكتور) المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية ط (الأولى) ٢٠٠٣م .

ابن سيدة: ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي (ت ٤٨٨ هـ) المخصص ، تحقيق/لجنة التراث العربي، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، بدون (ط . ت) .

- الشوكاني : محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير , المكتبة العصرية بيروت لبنان , ١٩٩٧م

- ابن عبد الباقي : تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣هـ) بهجة اليمن في تأريخ اليمن , تحقيق / عبد الله محمد الحبشي و محمد أحمد السنباني , دار الحكمة اليمنية صنعاء ط (الأولى) ١٩٨٨م .

- تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور (مؤتمر تعز على مر العصور) جامعة تعز , إصدار مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة تعز , ٢٠١٠م

- عمارة : نجم الدين عمارة ابن أبي الحسن الحمي اليمني (ت٥٦٩هـ) تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد , تحقيق / كاي سنة ١٨٩٢م , ترجمة د. حسن سليمان محمود , مكتبة الإرشاد صنعاء ط (الأولى) ٢٠٠٤م .

-العبالي: يحيى لطف، العمائر الدينية في مدينة طفير حجة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٨م.

-غالب: عبد الرحيم غالب (الدكتور) موسوعة العمارة الإسلامية، ط (أولى)، ١٩٨٨م، مكتبة جروس برس، بيروت، لبنان.

- ابن فرحون : إبراهيم بن علي بن محمد (ت ٧٩٩هـ) الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب , دار الكتاب العلمية بيروت لبنان , بدون (ط . ت)

-الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت: ١٧٤هـ)، كتاب العين، تحقيق/ د. مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، القاهرة، بيروت (ط.ت).

- القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري , تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن , دار الشعب القاهرة , بدون (ط . ت)

- ابن ماجه : الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) سنن ابن ماجه دار إحياء الكتاب العربي بيروت لبنان , بدون (ط. ت)

- مجهول : مؤلف عاش في القرن التاسع الهجري , تاريخ الدولة الرسولية في اليمن , تحقيق / عبد الله محمد الحبشي , دار الجيل صنعاء ١٩٨٤م .

- الوقفية الغسانية : مخطوطة مصورة من مكتبة د . عبد الرحمن الشجاع

- الهمذاني : حسين بن فيض الله (الدكتور) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن , دار المختار دمشق , بدون (ط . ت)

- ياقوت : ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٦٢هـ) معجم البلدان، دار صادر بيروت لبنان، بدون (ط . ت).



جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY

أبنية صرفيّة تحمل معنى النّسبة – دراسة صرفية دلالية

د/ حمود ناصر نصار

أستاذ اللغة العربية المساعد وعميد كلية التربية

جامعة حجة

9

الملخص

النِّسبة تعني: الانتماء إلى الآباء، أو البلدان، أو الصناعات أو المهن، وهي طريقةٌ من طرائق الإضافة، إذ تتَّصل بآخر الاسم لاحقة الياء المشدَّدة، مع كسر ما قبلها، والتَّشديد يجعل النِّسْبة مُلازمةً للمنسوب، ومحقِّقًا دلالةً بلاغية، فيصير المنسوب من آل المنسوب إليه من دون حاجةٍ إلى ذكر الصِّفة.

والقصد إلى النِّسبة ليس مقصورًا على لاحقة الياء، وما تحدثه من أثرٍ في بنية الكلمة، فهناك أبنيةٌ صرفية نقلت من أبوابها لتحقيق معنى النِّسبة، إلاَّ أنَّها لا تؤدي المعنى نفسه الذي تحدثه اليَّاء، فما طبيعتها إذن؟ وما حقيقتها؟ وهل هناك تناوبٌ أو تعاقبٌ بينها وياء النسب؟ وما علاقتها بظاهرة الاستغناء، التي عرض لها بعض العلماء، إبَّان تناولهم لتلك الأبنية؟

الظَّاهر أنَّ من تلك الأبنية ما هو مشهور عند علماء العربية، نحو«فَعَّالٍ» و«فَاعِلٍ» ، ومنها ما هو محمول على النسبة في ضوء وجهٍ من الوجوه في السِّياقات المخصوصة، وثمَّة فرقٌ دلاليٌّ مهمٌ بين شواهد النِّسبة بياءي النسب، وهذه الأبنية، لأنَّ هذه الأبنية لا تدل على النسبة العامة، وإنَّما تدل على معنى نسبةٍ إضافيةٍ مخصوصةٍ.

المقدمة:

الشائع عند علماء اللغة العربية أنَّ النسبة طريقة من طرائق الإضافة، وتعني الانتماء إلى الآباء أو البلدان، أو الصناعات أو المهن، وهي تفيد التوضيح والتخصيص، ولا يتأتّى ذلك إلا عن طريق إلحاق ياء مشددة بآخر الاسم، تحدث أثرها في بنية الكلمة وفي دلالاتها المعنوية والبلاغية.

أهمية البحث:

ويشير الواقع اللغوي إلى طرائق أخرى قد يقصد بها تحقيق معنى النِّسبة، تتمثل في تلك الأبنية الصرفية التي نقلت من أبوابها لتحقيق ذلك المعنى. فما علاقتها بياءي النسبة؟ وهل تحقق المعنى نفسه الذي تحققه ياءي النسبة؟ وما طبيعة تحويل تلك الأبنية من أبوابها إلى باب النسبة؟ وهل يعدُّ ذلك التحويل نيابة أم استغناء أم غير ذلك؟ وما حقيقة الدلالة الجديدة لتلك الأبنية؟ وهل هي دلالات متساوية أم متفاوتة؟

من خلال تلك التساؤلات انبثقت أهمية هذه الدراسة، ولاسيما أنَّ من تلك الأبنية ما هو مشهورٌ عند علماء العربية، ومنها ما هو محمولٌ على معنى النسبة في ضوء وجه من الوجوه التي عرضوا لها في مظانهم اللغوية. ولعلّ الإجابة عن تلك التساؤلات تكون أكثر وضوحًا من خلال دراسة تلك الأبنية، سواء أكانت مشهورة أم محمولة على معنى النسبة، وكذا من خلال الوقوف على دلالات تلك الأبنية بغرض الوصول إلى معرفة وظيفتها اللفظية والمعنوية والحكمية التي تحققها.

منهجيه البحث:

تم الاعتماد في هذا البحث على المنهج الوصفي التعليلي معتمداً على المصادر النحوية والصرفية الأصلية وعلى بعض المراجع والبحوث.

المبحث الأول – أبنية مشهورة تحمل معنى النِّسبة

النِّسبة هي طريقة من طرائق الإضافة وفيها تلحق آخر الاسم ياء مشدَّدة مكسورٌ ما قبلها، وذلك لكي يكون المنسوب من آل المنسوب إليه، أو من أهل تلك البلدة، أو القبيلة، قال سيبويه:(اعلم أنك إذا أضفت رجلاً إلى رجلٍ فجعلته من آل ذلك الرَّجل ألحقت ياءي الإضافة، فإن أضفته إلى بلدٍ فجعلته من أهله ألحقت ياءي الإضافة، وكذلك إنْ أضفت سائر الأسماء إلى البلاد، أو حيٍّ أو قبيلةٍ)[1].

هذا هو الأصل في النِّسبة كقولك: «يمانيٌّ، وتميميٌّ، وشاميٌّ»، ونحو ذلك، ويترتب على ذلك تأثيرٌ لفظيٌّ، ومعنويٌّ، وحكميٌّ، وهو ما أوضحته كتب النحو، والصرف[2]، ويبدو أنَّ القصد إلى النسبة لم يقف عند

(1) كتاب سيبويه:٣/٣٣٥.

(2) ينظر: المقتضب:٣/١٣٤، وعلل النحو:٥٢٩، والتكملة:٥٠، وشرح جمل الزجاجي:٢/٣٠٩، والفصول في اللغة:٨٠، وشرح شافية ابن الحاجب:٢/٤، ومباحث في علم الصرف:٢٠٩.

حدٍّ إضافة الياء المشدَّدة، إلى آخر الكلمة المراد النِّسبة إليها، وما تحدثه لاحقة الياء من تأثير في بنية الكلمة، بل هناك أبنيةٌ صرفيةٌ تم تحويلها من أبوابها إلى باب النِّسبة للدلالة على معنى النِّسبة.

والشائع عند علماء اللغة العربية أنَّ هناك بناءين صرفيين ينقلان من بابيهما، لأداء معنى النِّسبة، هما:

أولاً- فَعَّالٌ:

الأصل في هذه البنية أنها للمبالغة، وهي أكثر الصيغ شيوعًا، لأنَّها تدلُّ على المبالغة والكثرة، والحرفة، والصناعة، وتقتضي الاستمرار والإعادة، والتجدُّد، والمعاناة والملازمة[1].

وقد تأتي الشواهد ويراد منها معنى النسبة على زنة«فَعَّالٍ» للدلالة على ما كان صنعةً، ومعالجةً، لتكثير الفعل إذا ما صاحبُ الصنعةِ مداومٌ لصنعته، فَجُعِلَ له هذا البناء الدَّال على التكثير، بدلالة تضعيف العين، لأنَّ التَّضعيف للتَّكثير[2]، فيكون في ذلك دلالة على اللزوم، لا الانتقال، لأنَّ المداوم على صنعةٍ ملازمٌ لها[3]، نحو«ثوَّابٍ، وعوَّاجٍ، وجمَّالٍ، وصَرَّافٍ، وبزَّازٍ، ولبَّانٍ، وتمَّارٍ...» ونحو ذلك من الشواهد التي وصفها سيبويه بأنَّها أكثر من أنْ تحصى[4].

وقد اختلف الصرفيون في أصل هذه البنية، أهي محوَّلةٌ عن صيغة المبالغة أم العكس؟ والغالب على أقوالهم أنَّ«فَعَّالاً»- بهذا المعنى منقولةٌ من المبالغة، إذ المبالغة أصلٌ فيها[5]، وهذا هو الرَّاجح في تقديري.

ولا تأتي هذه البنية بمعنى النسبة إلاَّ في صاحب شيءٍ، يزاول ذلك الشيء ويعالجه، ويلازمه بوجهٍ من الوجوه، إمَّا من جهة البيع، نحو«بقَّالٍ، ولبَّانٍ، وتمَّارٍ»، أو من جهة القيام بحاله، نحو«جمَّالٍ، وبغَّالٍ، وحمَّارٍ» أو من جهة استعماله، نحو «سيَّافٍ» بمعنى: ذي السيف[6].

وقد تتم النسبة في بعض الشواهد بطريقتين: طريقة النسبة المشهورة، بإضافة ياء مشدَّدة إلى آخر الاسم، وطريقة صوغه على زنة«فَعَّال» فقالوا: «بَتَّاتٌ، وبَتِّيٌّ»[7]، وذكر اللغويون أنَّ البتَّ كساءٌ غليظٌ مهلهلٌ، مربَّعٌ، وقيل: هو من وبرٍ وصوف، بدليل ما ورد في قول الرَّاجز:

مَنْ كانَ ذا بَتٍّ فَهَذا بتِّي

مُقَيِّظٌ، مُصَيِّفٌ، مُشَتِّي

---

(1) ينظر: المقتضب: ١١٣/٢ن والمخصص: ٦٩/١٥، وشرح شافية ابن الحاجب:٨٤/٢-٨٥.

(2) ينظر: شرح المفصل:١٣/٦.

(3) ينظر: شرح عمدة الحافظ:٨٩٨-٨٩٩.

(4) ينظر: كتاب سيبويه:٣٨١/٣، وشرح شافية ابن الحاجب:٨٤/٢-٨٥،وارتشاف الضرب:٦٣٣/٢، والمنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي:١٦٦

(5) ينظر المقتضب:١٦١/٣، وشرح شافية ابن الحاجب:٨٤/٢-٨٥.

(6) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب:٨٥/٢.

(7) ينظر: كتاب سيبويه ٣٨١/٣، وشرح عمدة الحافظ:٨٩٩.

تَخِذْتُهُ من نَعْجَاتٍ ستٌّ[1]

ثانياً فَاعِلٌ:

القياس عند الصرفيين أنَّ هذه البنية من أبنية اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المجرَّد؛ إلا أنها قد تنقل لتحمل معنى النسبة؛ لذا فالنسبة بهذه الصيغة هي نسبةٌ إضافية، بمعنى«ذي الشيء»[2]، على ألاَّ يكون هذا الشيء صنعةً تُعَالَجُ، وليس في هذه الصِّيغة معنى تكثير الفعل، الذي عرفناه في «فَعَّالٍ» وذلك لأنَّ«فَاعِلاً» هو الأصل، وإنَّما يُعْدَلُ منه إلى«فَعَّالٍ» للمبالغة، فإذا لم تُقْصَدْ المبالغة، جيء به على الأصل؛ لأنه ليس فيه تكثير[3].

وشواهد هذه البنية في الواقع اللغوي كثيرة، نحو«دَارِعٍ، ونَابِلٍ، ونَاشِبٍ، ولاَبِن»، فهي بمعنى: « ذي الدِّرع، وذي النَّبْلِ، وذي النّشاب، وذي اللَّبَن» ومثله«تَامِرٌ» في قول الشاعر:

فَغَرَرْتَنِــــــــي وَزَعَمْــــــــتَ أنَّ ... كَ لابِـــنٌ في الصَّــــيْفِ تَــــامِرْ[4]

ومنه«آهل» في قول الشاعر:

إِلى مَاجِـــدِ الآبَـــاء قَـــرْمٍ عَثَمْـــثَمٍ ... لَـــهُ عَطَـــنٌ يَـــوْمَ التَّفَاضُـــلِ آهِـــلُ[5]

ومنه أيضًا«طاعمٌ، وكاسٍ» في قول الشاعر:

دَعِ المَكَـــارِمَ لا تَرْحَـــلْ لِبُغْيَتِهَـــا ... واقْعُـدْ فإنَّـكَ أَنْـتَ الطَّـاعِمُ الْكَاسِـي[6]

فالطاعم، والكاسي محمولان على معنى النسبة، أي «ذو طَعَامٍ، وذو كِسْوَةٍ»[7]، وحملها الفرَّاء وغيره من المفسِّرين على معنى اسم المفعول، أي: «مُطْعَمٌ، ومَكْسُوٌّ»[8].

وحملوا «نَاصِبًا» على معنى النسبة، وذلك في قول الشاعر:

كِلِيْنِـــيْ لِهَـــمٍّ يَـــا أُمَيْمَـــةَ نَاصِـــبِ ... وَلَيْـــلٍ أُقَاسِيْـــهِ بَطِـــيءِ الكَوَاكِـــبِ(٩)

وحملوا«الحائضَ، والطَّالقَ، والطامثَ» على معنى: ذاتَ حيضٍ، وذاتَ طلاقٍ، وذاتَ طمثٍ[10].

---

(1) ينظر: لسان العرب: ٣٠٨/١«بَتَتَ».
(2) ينظر: المصباح المنير: ٢٦٤«الخاتمة».
(3) ينظر: المخصص: ٦٩/١٥، وشرح المفصل: ١٣/٦.
(4) البيت للحطيئة في ديوانه: ٥٦، ومن شواهد كتاب سيبويه: ٣٨١/٣.
(5) البيت في ملحق ديوان ذي الرِّمة: ٦٧٢، وفي ديوان الحطيئة: ٢٣٦.
(6) البيت للحطيئة في ديوانه: ٥٠، ومن شواهد النكت، للأعلم: ٢٧٨٨، وشرح المفصل: ١٥/٦.
(7) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٨٨/٢.
(8) ينظر: معاني القرآن للفرَّاء: ١٦/٢.
(9) البيت للنابغة في ديوانه: ٤٠، ومن شواهد كتاب سيبويه: ٣٨٢/٣.
(10) ينظر: كتاب سيبويه: ٣٨٣/٣، وشرح المفصل: ١٥/٦.

وذهب بعضهم إلى حمل بعض أبنية اسم الفاعل التي تنوب عن اسم المفعول، على معنى النسبة الإضافية، بمعنى: «ذي الشَّيء» نحو«راضية» في قوله تعالى: (**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ** الحاقة٢١)، فذكروا أنَّ «فَاعِلةً» بمعنى«مَفْعُوْلَةٍ» أو أنها بمعنى: «ذات رضىً» كما قيل: إنَّها«فَاعِلةٌ» على بابها[١]، ونحو«دَافِقٍ» في قوله تعالى: (**خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ** الطارق ٦) إذ حملوا اللفظ على معنى«مَفْعُولٍ»، أو هو بمعنى النسبة، أي: « ذو دفقٍ»[٢].

ومنه أيضًا«عَاصِمٌ» في قوله تعالى: (**لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** هود ٤٣) فحملوه على معنى «مَفْعُولٍ» أو هو بمعنى النسبة، أي: ذو عصمةٍ، أو أن يكون «فَاعِلاً» على بابه[٣].

والذي يبدو أنَّ«فَاعِلاً» و«فَعَّالاً» بنيتان صرفيتان، منقولتان من أبنية اسم الفاعل وأبنية المبالغة للدَّلالة على النسبة إلى الشيء نسبةً مخصوصة، فتكون«فاعِلٌ» لذي الشَّيء، و«فَعَّالٌ» لمن يزاول الشَّيء، ويلازمه، صنعةً، ومعاشًا فقولهم:«لاَبِنٌ، وتَامِرٌ» تدُّلان على ذي الشَّيء، فإن كان ذلك الشَّيء صنعةً، ومعاشًا، يداومه صاحبه، قيل: «لبَّانٍ، وتَمَّارٍ»[٤]، والصوغ على وفق هذين البناءين كثير، وهو مع كثرته لا ينقاس عند سيبويه، سيبويه، وغيره من النحويين[٥]، وربَّما حملوا «فعَّالاً» على«فَاعِلٍ» فأُطْلِقَ على ذي الشَّيء من غير أن يكون فيه دلالة على الصنعة، والمزاولة[٦]، ومنه «نبَّالٌ»في قول الشاعر:

وَلَيْسَ بِذِي رُمْحٍ فَيَطْعَنَنِي بِهِ وِلَيس بِذِي سَيْفٍ وَلَيسَ بنَبَّالِ[٧]

وربَّما حملوا«فَاعِلاً»على«فَعَّالٍ»في الدَّلالة على الصنعة، والمزاولة، نحو«حائِكٍ» بمعنى«حَوَّاك»[٨].

والظاهر أنَّ نقل هذين البناءين من بابيهما الصرفيين، لأداء معنى النسبة، يجعلهما غير جاريين على الفعل، فلا يكونان في سياقهما بمعنى اسم الفاعل، ولا بمعنى المبالغة ويُسْتَدَلُّ على معنى النسبة فيهما، بإحدى طريقتين:

١- ألاَّ يكون لهما في السياق المحمول فيه على معنى النسبة فِعْلٌ، ولا مصدرٌ، فلا يقال في «دارِعٍ، ولابنٍ» «دَرَعَ يَدْرَعُ» ولا «لَبَنَ يَلْبَنُ» وكذا بقية الشواهد.

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس:٢٢٢/٥، والتبيان في إعراب القرآن:٤٢٤/٢.
(٢) ينظر: معاني القرآن للفرَّاء:١٥/٢-١٦، والخصائص:١٥٢/١-١٥٣، والبحر المحيط ٤٤٩/٨.
(٣) ينظر: المفردات:٣٣٦-٣٣٧«عصم»، وشرح شافية ابن الحاجب:٨٩/٢.
(٤) ينظر: شرح المفصل:١٤/٦، وشرح شافية ابن الحاجب:٨٥/٢
(٥) ينظر: كتاب سيبويه ٣٨١/٣، وشرح المفصل:١٥/٦، وشرح شافية ابن الحاجب ٨٥/٢، وارتشاف الضرب:٦٣٤/٢.
(٦) ينظر: كتاب سيبويه:٣٨٢/٣، وارتشاف الضرب:٦٣٤/٢.
(٧) البيت لامرئ القيس، في ديوانه:٣٣.
(٨) ينظر: ارتشاف الضرب:٦٣٤/٢.

٢- أن يكون للشاهد فِعْلٌ، ومَصْدَرٌ، لكنَّه، إمَّا بمعنى المفعول، نحو«ماءٍ دافقٍ»و«عيشةٍ راضيةٍ»، وإمَّا مؤنَّث مجرَّدٌ من التاء، نحو«حائضٍ، وطالقٍ»[١].

المبحث الثاني – ابنيه صرفية أخرى تحمل معنى النسبة ودلالتها

ويشير الواقع اللغوي إلى وجود شواهد حملت معنى النسبة المخصوصة بمعنى: ذي الشَّيء، وردت على وفق أبنية صرفية أخرى:

أولاً فَعِلٌ:

المشهور عند الصرفيين أنَّ الأوصاف تأتي على وفق هذه البنية، وذلك حينما تدل على الأدواء الباطنة، أو الهيجانات، أو الخفة، نحو«قَلِقٍ، وأَشِرٍ، وفَرِحٍ.. إلخ»[٢]، وجاءت على وفقها المصادر الثلاثية، نحو « كَذِبٍ، ولَعِبٍ»، غير أنَّ ذلك قليلٌ في الاستعمال اللغوي[٣]، وربما وردت بعض الشواهد لتحمل معنى النسبة المخصوصة، قال سيبويه:(وقالوا: نَهِرٌ، وإنَّما يريدون«نَهَاريٌّ» فيجعلونه بمنزلة«عمِلٍ» وفيه ذلك المعنى)[٤]، ومنه ما ورد في قول الشاعر:

لَسْتُ بلَيْلِيٍّ ولكنِّي نَهِرْ لا أُدْلِجُ اللَّيلَ، ولكن أَبْتَكِرْ[٥]

فقدَّره سيبويه بمعنى«نَهَاريٍّ» على طريقة النسبة الشَّائعة، وقدَّره آخرون على معنى النِّسبة الإضافية المخصوصة، وهذا هو الرَّاجح في تقديري، لأنَّه بمعنى«صاحب عَمَلٍ بالنهار»أو «صاحب نهارٍ»[٦].

وممَّا جاء عن العرب على معنى النِّسبة المخصوصة، قولهم:«رَجُلٌ طَعِمٌ، وطَعِنٌ،ولَسِنٌ ،و عَمِلٌ»، وقيل: على معنى دوام الصِّفة باتِّخاذها صنعةً، وملازمةً، نحو«فَعَّالٍ»، والأمر موقوف على السَّماع عند أغلب علماء العربية[٧].

---

(١) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب:٢/٨٥-٨٧.
(٢) ينظر: كتاب سيبويه:٤/٢٠، وشرح شافية ابن الحاجب:١/١٤٣-١٤٤.
(٣) ينظر: ديوان الأدب:٢/١٤٢.
(٤) كتاب سيبويه:٣/٣٨٤.
(٥) البيت من شواهد كتاب سيبويه:٣/٣٨٤، ونوادر أبي زيد:٢٤٩.
(٦) ينظر: النوادر:٢٤٩، والنكت:٢/٩٠٦، وشرح شافية ابن الحاجب:٢/٨٨.
(٧) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب:٢/٨٨، وارتشاف الضرب:٢/٦٤٣.

ثانياً مَفْعُولٌ:

المعلوم أنَّ هذه البنية من الأبنية التي يصاغ على وفقها اسم المفعول من الفعل الثلاثي المجرَّد، وحمل بعض الصَّرفيين بعض الشواهد التي تأتي على وفق هذه البنية، على معنى النِّسبة، أي أنَّها بمعنى: ذي الشَّيء، نحو«مَسْتُوْرٍ» في قوله تعالى: (**وإِذَا قَرَأْتَ القُرءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً – الإسراء ٤٥**)، فقيل؛ إنَّ«مَسْتُوْرًا» بمعنى«فَاعِلٍ» ، وقيل: إنَّه بمعنى النِّسبة، أي: ذو سترٍ، وعلى هذا الوجه عدَّت صيغة مفعول دالَّة على النِّسبة الإضافية المخصوصة، وقيل: هو مفعولٌ على بابه[١].

ثالثاً فَعِيْلٌ:

وتصاغ الأوصاف على وفق هذه البنية لتدل على المبالغة والمعاناة في الأمر وتكراره حتى يصبح الوصفُ كأنه خِلْقَةٌ في صاحبه، وقد تأتي الأوصاف لتدل على الثبوت، وربما حُمِلت بنية«فَعِيْلٍ» على معنى النِّسبة المخصوصة، في نحو«قريب» في قوله تعالى: (**إِنَّ رَحمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الُمحسِنِينَ الأعراف ٥٦**)، إذ قيل: أنَّها بمعنى النِّسبة، أي: ذات قُرْبٍ[٢]، وقد ذكرت في هذه الآية أقوال كثيرة، وسُلِك في تفسيرها وتخريج خلوَّها من تاء التأنيث مسالك متعدِّدة، جمعها ابن القيم في اثني عشر مسْلَكًا[٣].

رابعاً فَعُولٌ مِفْعَالٌ مِفْعَلٌ:

وذهبوا إلى أنَّ الصيغ الثلاث تكون في تكثير الشَّيء وتشدِّيده والمبالغة فيه، نحو«قَؤُوْلٍ» و«مِقْوَالٍ» و«مِطْعَنٍ» و«مِدْعَسٍ»، قال سيبويه:(وزعم الخليل أنَّ «فَعُوْلاً، ومِفْعَالاً، ومِفْعَلاً»، نحو «قؤول، ومِقْوَالٍ» إنما يكون في تكثير الشيء وتشديده والمبالغة فيه، وإنما وقع في كلامهم على أنه مذكر، وزعم الخليل أنهم في هذه الأشياء كأنهم يقولون: « قَوْليٌّ، وضَرْبيٌّ» ويستدل على ذلك بقولهم: «رجلٌ عَمِلٌ، وطَعِمٌ، ولَبِسٌ» ومعنى ذلك كمعنى «قؤولٍ، ومِقْوَالٍ» في المبالغة، إلا أن الهاء تدخله)[٤].

خامساً مِفْعِيْلٌ:

نحو قولهم: «ناقةٌ مِحْضِيرٌ» أي: «ذاتَ حُضْرٍ»[٥]، والْحُضْرُ: هو الْعَدْوُ، إذ يقال: هذه فرسٌ محضيرٌ من غير غير تاء إذا كانت شديدة العَدْوِ[٦].

---

[١] ينظر: معاني القرآن للأخفش:٦١٣/٢، وإعراب القرآن للنحاس:٤٢٦/٢.
[٢] ينظر: مشكل إعراب القرآن:٢٩٤/١، والبيان في غريب إعراب القرآن:٣٠٩/١.
[٣] ينظر: بدائع الفوائد:١٧/٣-٣٥.
[٤] كتاب سيبويه:٣٨٤/٣.
[٥] ينظر: ارتشاف الضرب:٦٣٤/٢، وحاشية الصيان:١٩٦٠/٤.
[٦] ينظر: لسان العرب:٢١٨/٣«حضر».

سادساً مُفْعِلٌ مُنْفَعِلٌ:

نحو«مُرْضِعٍ»إذا كان بمعنى: ذات رضاع،ولم تجرِ على«أَرْضَعَتْ»ولا على«تُرضِعُ» فإذا قُصِدَ ذلك قالوا:«مُرْضِعةٌ»[1]،ونحو«مُنْفَطِرٌ» في قوله تعالى: (**السَّمَاءُ مُنفَطِرٌم بِهِ** المزَّمل ١٨) قال العكبري:(مُنْفَطِرٌ بغير تاء على النَّسب أي: ذات انفطار، وقيل: ذُكِّر حملاً على معنى السَّقف، وقيل: السماء تُذكَّر وتؤنَّث)[2].

سابعاً فَعْلٌ:

ذهب البصريون إلى القول بدلالة المصدر على النِّسبة، في تأويل وقوعه موقع الخبر، أو النعت، نحو «إنَّما أنت عَدْلٌ» و«هذا رجلٌ عَدْلٌ»مع تقدير مضاف محذوف والأصل عندهم«ذو عَدْلٍ»، وهو ما أنكره الكوفيون[3]، ووصفه أهل المعاني بأنه فاسدٌ يؤدِّي إلى شيءٍ مغسولٍ، وإلى كلام عاميٍّ مرذول[4].

المبحث الثالث – حقيقة دلالتها

من الواضح أنَّ نقل «فَاعِلٍ، وفعَّال» إلى معنى النّسبة مشهورٌ ومسموعٌ عند العرب، والخلاف إنما هو في دلالتهما على النسبة أهي دلالة النسبة بياءي النسب نفسها أم أنها دلالة مخصوصة؟ أما الأبنية الصرفيَّة الأخرى فحملها على معنى النسبة يعدُّ وجهاً من الوجوه التي حُمِلَتْ عليها في السِّياقات المخصوصة، وقد ذكروا في معرض أحاديثهم عن هذه المسألة بعض الألفاظ التي تُمثِّلُ، في تقديري عنوانات لظواهر نحوية وصرفية أخرى:

١- شاع عند كثير منهم التَّصريح بالاستغناء، أو الإغناء في هذه المسألة، قال ابن الدهان:(وقد تستغني العرب عن ياءي النَّسب بحرف غيرهما، فيقولون في النّسب إلى الثِّياب: ثَوَّابٌ، وإلى العاج: عَوَّاجٌ، وقالوا في ذي الدِّرع، وذي النَّبل: دَارِعٌ، ونَابلٌ)[5].

٢- ذكر بعضهم أنَّ الصيغة قامت مقام النِّسبة، ويقصدون بالنِّسبة ياءي النَّسب[6]، وقيام الشِّيءِ مقام شيءٍ آخر من العبارات الدَّالة على مفهوم النِّيابة.

---

(1) ينظر: كتاب سيبويه:٣/٣٨٤، وشرح شافية ابن الحاجب:٢/٨٦-٨٨.
(2) التبيان في إعراب القرآن:٢/٤٣٣.
(3) ينظر: الإيضاح في شرح المفصل:١/٤٤٣.
(4) ينظر: دلائل الإعجاز:٣٠٢.
(5) الفصول في العربية:٨٤.
(6) ينظر: دقائق التصريف:٨٦.

وفي تقديري أنَّ الاستغناء والنيابة في هذا الموضع بعيدان عن حقيقتهما فإذا ما عُرضت تلك الشواهد على ظاهرة الاستغناء، وجدت بعيدةً كلَّ البعد عن تلك الظاهرة، أمَّا القول بالنيابة في مثل تلك الشَّواهد، فلا يقرُّه الواقع اللغوي، بدليل ما يأتي:

١- الأساس في النائب أن يحُلَّ محلَّ المنوب عنه، وقيام«فَاعِلٍ، وفَعَّالٍ» مقام ياء النِّسبة، لا يجري على مفهوم النيابة؛ إذ لا يمكن تصوُّر نيابة صيغة صرفية ممثلة في مثال عن لاحقةٍ تضاف إلى آخر الاسم، لأنَّ جوهر النيابة أنْ يحلَّ النائب موقع المنوب عنه المسقط من الأصل، وحَمْلُ النائب شيئًا من خصائص المنوب عنه، فأين هذا من ذاك؟!

٢- هناك اختلافٌ بَيِّنٌ في طبيعة تأويل الشَّواهد التي جاءت على وفق تلك الأبنية، فإذا قلت: «مَرَرْتُ برجلٍ تميميٍّ» فمعناه:مَرَرْت برجلٍ منسوب إلى تميم، وإذا قلت: هذا رجلٌ دارِعٌ، فمعناه: هذا رجلٌ ذو درعٍ، و«ذو» مؤوَّلة بـ«صاحب»، إذا قلت: هذا رجلٌ بقّال، فلا يمكن تقدير أصلٍ تركيبيٍّ محدَّد لذلك، وإنَّما يمكن تفسيره على المعنى، إذ يقال: هذا رجلٌ متَّخذٌ بيع البقل صنعةً، فلا نيابة للصيغة عن غيرها.

٣- الدَّلالة المؤدَّاة بهذه الأبنية تختلف عن دلالة شواهد النسبة الشَّائعة فإن قيل: إنَّ«دَارِعًا» بمعنى«درعيٍّ»و«نَهِرًا» بمعنى«نَهَاريٍّ» فعلى التسامح؛ لأنَّ هناك فرقًا دلاليًا مهمًّا بين شواهد النسبة بياءي النسب، وهذه الأبنية المحمولة على معنى النِّسبة، فشواهد النِّسبة الشَّائعة تدلُّ على معنى النِّسبة العامة، غير المخصوصة، لذا تؤوَّل تأويلاً واحدًا عامًا، هو«مَنْسُوبٌ»أو «مَعْزُوٌّ» ونحو ذلك.

أمَّا الأبنية الأخرى، نحو«فَعَّالٍ، وفَاعِلٍ»، وما حُمِلَ على فَاعِلٍ فتدلُّ على معنى نسبة إضافية مخصوصة، وهي نسبة تختلف باختلاف البنية، فدلالة«فَاعِلٍ» غير دلالة«فَعَّالٍ»، ولعلَّ ابن يعيش كان أكثر وضوحًا في هذا الجانب، إذ يقول:(اعلم أنَّهم قد نسبوا على غير المنهاج المذكور، وذلك لأنَّهم لم يأتوا بياء النِّسبة، لكنهم يبنون بناءً يدلُّ على نحو ما دل عليه ياء النِّسبة)[1]،وذلك يعني أنَّ تلك الأبنية لا تدلُّ على معنى النِّسبة نفسها، وإنَّما تدلُّ على معنىً نحوها، وثمة فرق بين أن يدلَّ الشَّيء على معنى الشَّيء، وأن يدلَّ الشَّيء على نحو ما دلَّ عليه الشَّيء الآخر؛ لذلك ندرك أنَّ التعبير عن النَّسبة يكون بطريقتين:

([1]) شرح المفصل:١٣/٦.

١- إضافة ياءٍ مشدَّدةٍ«لاحقةٍ» إلى آخر الاسم الذي يراد النِّسبة إليه، وهذه الإضافة تدلُّ على معنى النِّسبة العامة غير المخصوصة، المؤوَّلة بـ«مَنْسوبٍ» أو«مَعْزُوٍّ»، أو «مُنْتَسِبٍ»[1].

٢- صوغ الاسم المراد النِّسبة إليه على بنيةٍ، وهيأةٍ مخصوصة، للدلالة على النِّسبة إليه نسبةً مخصوصة، وهي على قسمين:

أ- النِّسبة إليه على أنَّه بمعنى«ذي الشَّيء» ؛ لأنَّ ذا الشَّيء منسوب إلى ذلك الشّيء[2]،من غير دلالةٍ على تكثيرٍ، ولا مزاولةٍ، ويُستَدلُّ على هذا المعنى، ببنية «فَاعِلٍ» وما جرى مجراها في أداء المعنى.

ب- النِّسبة إليه على أنَّه بمعنى ذي الشَّيء الذي يزاول ذلك الشَّيء، ويلازمه، ويتخذه صنعةً، ومعاشًا، وهذا المعنى مؤوَّل بـ«فَعَّالٍ».

وذلك يعني أنَّه لا نيابة لتلك الأبنية الصرفيَّة عن ياءي النسب، ولا تعاقب بينهما على الموقع الواحد، فهذه الأبنية منقولةٌ من أبوابها الصرفية، للدَّلالة على معنى النِّسبة المخصوصة.

(١) ينظر: الأصول في النحو:٢/٢٦، والمقتصد في شرح الإيضاح:٢/٩٠٥-٩٠٦.
(٢) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب:٢/٨٥.

الخاتمة:

في ضوء ما سبق ندرك أنَّ النسبة من الظواهر اللغوية التي نالت حيزًا عريضًا من اهتمامات القدماء؛ إذ كان اهتمامهم منصبًّا على ما تحدثه ياءي النسب من دلالات معنوية وتغييرات لفظية وحكمية، أما اهتمامهم بالأبنية المنقولة لمعنى النسبة فقد اقتصر على إشارات سريعة لما هو مشهورٌ منه، وحملوا دلالة النسبة في بعضها على وجهٍ من الوجوه؛ لذا سعت هذه الدراسة إلى الوقوف على دلالة النسبة في تلك الأبنية، سواء أكانت مشهورة أم محمولة على وجه من الوجوه، وخلصت إلى ما يأتي:

١- نقل بناءي «فَعَّال، فَاعِل» من بابيهما لأداء معنى النسبة مسموعٌ عن العرب؛ إذ لا يجوز القياس عليهما في كل الأحوال، فلا يمكن القول لصاحب البُرِّ: بَرَّار، ولا لصاحب الدقيق: دَقَّاق، ولا لصاحب الفاكهة: فَكَّاه، ونقلهما إلى باب النسبة يجعلهما غير جاريين على معنى اسم الفاعل أو معنى المبالغة.

٢- الأبنية الأخرى لا تنقل إلى باب النسبة إلا على حملها على وجهٍ من الوجوه المحتملة التي عرضوا لها في سياقاتهم؛ إذ أنها قد تحتمل دلالات أخرى.

٣- هناك فرقٌ دلاليٌّ مهمٌ بين النسبة بياءي النسب والنسبة بنقل هذه الأبنية إلى معنى النسبة، فالأول أصل يحمل معنى النسبة العامة، والثاني محمول على معنى نسبةٍ إضافية مخصوصة.

٤- لا نيابة لتلك الأبنية عن ياءي النسب، ولا تعاقب بينهما على الموقع الواحد.

٥- إنَّ النسبة بشكلٍ عام والنسبة بنقل هذه الأبنية من أبوابها تكتسب أهميةً بارزة في عصرنا الحاضر لحاجتنا إليها في توليد معانٍ خاصة تجاري نوع العلوم، والفنون والآداب ومناهج التفكير والسياسة والاجتماع، وغير ذلك مما تدعو إليه الحاجة وألفته اللغة بعد أن شاع وكثر.

قائمة المصادر والمراجع:

١- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)تحقيق رجب عثمان محمد- مكتبة الخانجي- القاهرة ط١-١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢- الأصول في النّحو، لابن السراج(أبي بكر محمد بن سهل ٣١٦هـ). تحقيق: عبد الحسين الفتلي- مؤسسة الرسالة- ط٣- بيروت- ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣- إعراب القرآن، للنحاس(أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل-ت ٣٣٨هـ). تحقيق: زهير غازي زاهد- عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية- ط٢-١٤٠٥- ١٩٨٥م.

٤- الإيضاح في شرح المفصل، لابن الحاجب(ت٦٤٦هـ)تحقيق: موسى بناي العليلي- بغداد- مطبعة العاني-١٩٨٣م.

٥- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (أثير الدين عبد الله بن محمد بن يوسف- ت٧٤٥هـ)، مراجعة: صدقي محمد جميل- درا الفكر- ط١- ١٤١٢هـ-١٩٩٢م

٦- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ)- الرياض- مكتبة الرياض الحديثة- بلا تاريخ.

٧- البيان في غريب إعراب القرآن، للأنباري(أبي البركات عبد الرحمن-ت٥٧٧هـ) ضبطه وعلَّق على حواشيه- بركات يوسف هبود- دار الأرقم بن الأرقم-ط١- بلا تاريخ.

٨- التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (أبي البقاء عبد الله بن الحسين - ت٦١٦هـ) - تحقيق: محمد حسين شمس الدين - دار الكتب العلمية- بيروت- ط١-١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٩- التكملة للفارسي(أبي علي الحسن بن أحمد- ت٣٧٧هـ)تحقيق: حسن شاذلي فرهود- ط١- عمادة شؤون المكتبات- جامعة الرياض-١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٠- الخصائص، لابن جني(أبي الفتح عثمان بن جني- ت٣٩٢هـ)- تحقيق:محمد علي النجَّار -دار الهدى-ط١- بيروت- بدون تاريخ.

١١- دقائق التصريف، للمؤدب(القاسم بن محمد بن سعيد – من علماء القرن الرابع الهجري)تحقيق: أحمد ناجي القيسي، وحاتم الضامن-بغداد- مطبوعات المجمع العلمي-١٩٨٧م.

١٢- دلائل الإعجاز، للجرجاني(عبد القاهر-ت٤٧١هـ)تحقيق: محمود محمد شاكر- القاهرة- مكتبة الخانجي-ط٢-١٩٨٩م.

١٣- ديوان الحطيئة،- بشرح ابن السكيت، والسُّكري، والسجستاني- تحقيق: نعمان أمين طه- القاهرة- مكتبة مصطفى الباي الحلبيي-ط١-١٩٥٨م.

١٤- ديوان النابغة الذبياني- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- القاهرة- دار المعارف- ط٣-١٩٩٠م.

١٥- ديوان امرئ القيس، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف- القاهرة-ط٣-١٩٦٩م.

١٦- ديوان شعر ذي الرِّمة- عني بتصحيحه وتنقيحه- كاريل هزي- لندن- مطبعة جامعة كامبريدج-١٩١٩م.

١٧- شرح المفصل، لابن يعيش(موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش-ت٦٤٣هـ)- مكتبة المتنبي القاهرة- بلا تاريخ.

١٨- شرح شافية ابن الحاجب،للرضي (رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي -٦٨٦ هـ) تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفّزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد- دار الكتب العلمية- بيروت ط١ -١٣٩٥ هـ -١٩٧٥م.

١٩- شرح عمدة الحافظ وعدَّة اللافظ، لابن مالك(جما الدين-ت٦٧٢هـ) تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري- بغداد- وزارة الأوقاف والشؤون الدينية-١٩٧٧م.

٢٠- علل النحو، للورَّاق(أبي الحسن محمد بن عبد الله-ت٣٢٥هـ)- تحقيق محمود جاسم الدَّرويش- مكتبة الرُّشد- الرياض - ط-١٤٢٠-١٩٩٩م.

٢١- الفصول في اللغة العربية، لابن الدَّهان(أبي محمد سعيد بن مبارك-٥٦٩ت هـ)تحقيق: فائز فارس-ط١- دار الأمل- الأردن- ومؤسسة الرسالة- بيروت- ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
٢٢- كتاب سيبويه لـ (أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر- ت١٨٠هـ).تحقيق:عبد السلام هارون ط٣ عالم الكتب- بيروت- ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٢٣- لسان العرب، لابن منظور(ت٧١١هـ).اعتنى بتصحيحه:أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي- ومؤسسة التاريخ العربي- بيروت- بيروت-ط١-١٧١٦هـ-١٩٩٦م.
٢٤- مباحث في علم الصرف- إبراهيم محمد عبد الله- دار سعد الدين-ط١-١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
٢٥- المخصص، لابن سيده(أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي-ت٤٥٨هـ)دار الفكر- بيروت-١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
٢٦- مشكل إعراب القرآن، للقيسي(أبي محمد مكي بن أبي طالب- ت٤٣٧هـ).تحقيق:ياسين محمد السَّوَّاس -ط٢- دار اليمامة-١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٢٧- المصباح المنير، للفيُّومي(أحمد بن محمد بن علي-ت٧٠٧هـ)بيروت-مكتبة لبنان -١٩٨٧م
٢٨- معاني القرآن للفرَّاء(يحي بن زياد-٢٠٧هـ).تحقيق:محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي-ط٣-١٩٨٣م.
٢٩- المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني(أبي القاسم الحسين بن محمد-ت٥٠٢هـ). ضبط: هيثم طعيمي- دار إحياء التراث العربي- بيروت-ط١-مصر-١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م
٣٠- المقتصد في شرح الإيضاح، للجرجاني(عبد القاهر-ت٤٧١هـ)تحقيق: كاظم بحر المرجان- دار الرَّشيد- بغداد-١٩٨٢م.
٣١- المقتضب، للمبرِّد(أبي العباس محمد بن يزيد -ت٢٨٥هـ). تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة- عالم الكتب-ط١- بلا تاريخ.
٣٢- المنهج الصوتي للبنية العربية- رؤية جديدة في الصرف العربي- عبد الصبور شاهين- مؤسسة الرسالة-بيروت-ط١-١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٣٣- النكت في تفسير كتاب سيبويه، للأعلم الشنتمري(أبي الحاج يوسف بن سليمان بن عيسى-ت٤٤٦هـ)تحقيق: زهير عبد الحسن سلطان- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- ط١- الكويت-١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٣٤- النوادر في اللغة، لأبي زيد(سعيد بن أوس بن ثابت- ت٢١٥هـ)- دار الكتاب العربي – بيروت- ط٢-١٣٧٨هـ-١٩٦٧م.



جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY

Abstract Impact of the Lexical Problems upon Translating of the Economic Terminology

Dr. Shafika abdulkader Othman

University of Aden College of Education / Saber

Abstract

10

Summary of the Research

The present study intends to discuss the lexical problems and their impact upon translation of the economic terminology. The study aims at finding out the factors that may help the translator to reach the stage of appropriate translation for the economic terms. The hypotheses focuses on three points. First, some translators lack sufficient qualification and experience in translating the related economic items. Second, translators are not fully aware of the differences in the system of the source and target languages. Third, lack of economic culture may make translation of economic terms so hard and ambiguous. In order to test these hypotheses, focusing on the problematic areas of translating the economic terms, the study depends on the quantitative and qualitative approaches to collect information from people who are interested in translating this specific type of language. In this connection a questionnaire (appendix 1) has been distributed to thirty four participants. Eleven of them are currently work at Faculty of Economic / University of Aden while twenty three work at National Institute of Administrative Sciences / Aden. The data have been analyzed and summarized in digits and percentages. An interview (appendix 2) has been conducted in the same field with five participants . During the discussion, the researcher focuses on ten questions. Their responses support the same notion for each question. The responses have been analyzed in a composition form. The final findings of the study assert that the lexical problems affect the translated meaning of the economic terms. It also reveal that the translators difficulties to understand the meaning of the economic term occur because of their insufficient experience in dealing with the cultural aspects of the source and the target language as well as poor qualification in this specific area . On this basis, the researcher put some recommendations to overcome the problem of this study.

Introduction

It is a fact that ESP has a notable place in the areas of using English since it emerged in the 1960s. Translation of economic terminology from English into Arabic is one of these areas. Translator of this type of language needs to acquire specific skills and knowledge in order to be able to produce well-formed and appropriate translation. In this regard, it was observed that some common vocabulary create ambiguity for the translator when they come to deal with in an economic context. For example, the term 'hot money' is not easy to be translated by looking at the sequence of its words. In the language of economics, it can be translated into Arabic as ' رأس مال المضاربة ' [R'as māl almuḍārba]. The system of collocation also plays a crucial role in changing the use and meaning of economic terms. For example, when the word 'stock' comes with 'company' as 'stock company', can be translated into Arabic as ' شركة مساهمة ' [Širka musāhama] while "Stock partnership" is translated into Arabic as ' شركة تضامنية ' [Širka taḍāmuniya].So, in order to specify the problem, two instruments were used. The first is a questionnaire distributed to thirty four Yemeni translators. The other one is an interview with five Ph.D holders in the field of translation. The choice of the participants depends mainly on the fact of having a fairly good knowledge in the economic terminology and economic culture which in turn will help us to specify the problem and draw lines to overcome it.

1. Statement of the Problem

Common lexical items that are used in general contexts may appear easy and understandable. The same items may be used in specific contexts in translating of the economic terminology but it may create a problem of ambiguity that affect the specialized meaning in the economic language. This language has a specific nature and system of economic terms that the learner in EFL setting, especially those who have short experience and insufficient qualification, may lack it which in turn results with inappropriate translation. The major issue here is how to grasp the real meaning of the economic terms in order to be used correctly. Therefore, this study attempts to discuss the impact of the lexical problems upon translation of the economic terminology.

2.Objectives of the Study

The study is intended to achieve the following objectives:

(i) to shed light on the problem of translating the lexical items in the economic field with consideration of the role of economic culture in the source and target language.

(ii) identify the reasons of this problem to reach the stage of proposing remedies in form of recommendations.

3. Hypotheses

The overall hypotheses of this study can be summarized in the following points:

(i) some translators in the field of economic lack the sufficient qualification and experience in translating the related items.

(ii) translators are not fully aware of the differences in the systems of the source and target language.

(iii) lack of the economic culture may make translation of the economic terms so hard and ambiguous.

4.Significance of the Study

Many economic terminologies in the source language contain different meanings. This issue means that the translator could experience difficulties in deciding, how the translation context will move towards the target reader. One of the biggest challenges for the translator is the whole cultural elements in every terminology inside the text.Therefore, this research provides solutions to overcome such that obstacles and will lead the translator and the reader to get a clear meaning of the economic terminology. This issue could be beneficial for interested people in Yemen and could be generalized in all Arab countries.

5.Limitations of the Study

The study was conducted in the academic year 2011- 2012 in Faculty of Economics / Aden University and in the National Institute of Administrative Sciences /Ministry of Civil Service. It tends to show the influence of using some lexical items on the meaning of the economical terms with regards to the specific nature of the language of economy.

6. Topic Background

This section reviews the related background to the topic of the research. It looks at 'terminology' as a main axis in this study to be connected with its role in translation of economic terms. It also reviews the lexical problems that may occur due to the different systems of terminology and culture of the source and target languages. This issue is tightly connected to the absence of the applicable equivalence in the target language. Ignorance of these main issues results in producing inappropriate translation.

6.1. Terminology

The Main axis in this study is 'terminology' as a proper use for the economics terms. Sager (1990: 65) points out that "terminology is the study and the field of activity, concerned with creation, collection, description, processing and presentation of terms belonging to a specialized area of usage of one or more languages". Sager (1990) provided information related to the formation of terminology by saying that terminology is formed by a collection of terms within a particular domain. In this regard, terminology formation is concerned with systematic collection, description, processing and presentation of concepts, which have specific designation. Cabre (1999) defines 'terminology' as the principal and conceptual base that governs the study of terms, the

guidelines used in terminological work or its methodology as well as the set of terms of special study and a specific topic. According to *Webster's New World College Dictionary* (2004), 'terminology' is defined as "the terms or system of terms used in a specific science, art, etc.; nomenclature lexicographer's terminology and it has been defined as the systematic study of terms". In addition, *Cambridge Advanced Learner's Dictionary* (2004) defines terminology as "special words or expressions used in relation to a particular subject or activity". From the definition of 'terminology', we can realize clearly that this word is connected with specific subject field, and it can be described as a structured set of concepts that clarify and put bases for a particular subject field or as an infrastructure of specialized knowledge.

The features of specialty and systematicity of terminology leads us to look at its role in translation of economic terms.

6.2. Role of Terminology in Translation of Economic context

It is undeniable that terminology has an important role in any type of translation, and it gives the text a crucial and specific feature. Byrne (2006: 03) states that "terminology is, perhaps, the most immediately noticeable aspect of a technical text and indeed it gives the text the "fuel" it needs to convey the information". In connection to translation of economic texts, translators may come across two main types of economic terminology; cross-cultural terms and cultural specific terms. In this sense, during translating of the economic terminology, the translators may confront a cross-cultural terms, which are known as universal. These terms do not belong to a specific culture and they have a scientific or a technical nature as it can be observed with the terminology that is used in the name of national organizations. These terms are not restricted to a specific- culture or language and they do not impose serious translation problems for the translator because it will become easy, to find out the equivalence in the target language. It only requires from the translator in the economic sector to master a good culture in the source language as the target equivalence is easy to find out. For example, "AMF" is the abbreviation for "Arab Monetary Fund" 'صندوق النقد' العربي' [Ṣnduwq annaqd al'ɛrabiy] as well as "IMF" is the abbreviation for 'International Monetary Fund' ' صندوق النقد الدولي ' [Ṣnduwq annaqd addwliy]. On the other hand, there are other terms, which are called cultural specific terms. These terms belong to one language. Thus, it is not easy for the translator to find their equivalence in the target language. For examples:

1. 'Off shore' is a description for the purchases of U.S.A from its alliances, who suffer financial shortage in the budget. These purchases act as a helpful policy, which aims at helping these countries. This economic term can be translated into Arabic as ' افشور - مشتريات الولايات المتحدة من حلفائها ضمن نطاق سياسة المساعدة الدولية ' [Uffšūr].

2. 'Pool' is an agreement between a group of countries, which have a mutual interests in a certain field of economy. This economic term can be translated into Arabic as ' بول - إنفاق بين مجموعة دول لها مصلحة مشتركة في ميدان معين من ميادين الاقتصاد ' [Pūl].

3. 'Bottleneck' is a kind of inflation that occurs when the demand for goods is increased whereas, the supply is decreased. This economic term can be translated into Arabic as ' إختناق إقتصادي ' [Eḵtināq eqtṣādiy].
4. ' Cartel' is a group of firms, which act together to coordinate the decisions in the markets and control prices as they were a single monopoly. This economic term can be translated into Arabic as ' كارتل - إتحاد شركات - إتحاد احتكاري ' [Kārtil - Etiḥād širkāt - Etiḥād eḥtikriy].

6.3 The Most Common Lexical Problems

Lexical problems usually occur when the meaning of the word or the expression in the language is not understood, or totally were unknown terms to the translator. Synonymy, polysemy and monosemy, collocations, metaphors and idioms are the most common lexical problems (Ghazala, 1995: 24). These problems can affect the meaning of the economic term as we can see in the following discussion:

- Synonymy

The term 'synonyms' refers to the words, which have either the same or near meaning. Synonyms occurs in the economic language with wide range. For examples:
"production exchange - stock exchange" ' البورصة ' [Albūrṣa].
"Firm- partnership- company" ' شركة ' [Širka].
"Slump - black Friday" ' تدهور مالي ' [Tadhūr māliy].
"Conditions - conjuncture" ' أوضاع - ظروف ' [Uḍā'ɛ - Dhirūf].
Synonyms may differ from each other according to, regional variations, style, emotive meaning. Furthermore, synonyms may have different collocation restrictions which in turn give different meanings. For example, 'compensation, indemnity and allowance' are synonyms that can be translated into Arabic as ' تعويض ' [Tέwiyḍ].'Company and partnership' are other synonymous words that can be translated into Arabic as ' شركة ' [Širka]. If these synonyms are connected with other words in an economic context, they will give different meanings as follows:
"Insurance indemnity" ' تعويض تامين ' [Tέwiyḍ tāmiyn].
"Travelling allowance" ' تعويض تكاليف نقل ' [Tέwiyḍ takāliyf naql].
"Compensation for damage" ' تعويض عن الضرر ' [Tέwyiḍ έn aḍḍrarr].
"Stock company" ' شركة مساهمة ' [Širka musāhama].
"Stock partnership" ' شركة تضامنية ' [Širka taḍāmuniya].

Generally, the translators should pay attention to the culture of the target as well as the source language systems in dealing with synonymous words.

- Polysemy and Monosemy

Polysemy indicates the availability of more than one meaning for the same word. So, this word has a number of cognitive meanings. One is called primary meaning while the

other is considered as a secondary meaning. The secondary meaning has metaphorical extensions of its primary meaning. Therefore, these words may cause problems in translation of the economic terms. There are many ploysemous words that provide a primary meaning as well as a secondary one, when it is used in the economic language. For examples, we can look at the words 'asset' and 'bank':

- 'Asset' is a useful things ' شيء نافع ' [Šiya'a nāfέa].
- 'Asset' is a part of the capital like car, land, building and so forth ' أصل '[Aṣl].
- 'Bank' is a land along the side of the river ' ضفة ' [D.ifa].
- 'Bank' is a place in which money is kept and paid out ' مصرف ' [Maṣrf].

Monosemy is the opposite term for Polysemy. It means that the word has only one meaning, for example, the economic term "money", which can be translated into Arabic as ' نقود ' [Niqūd]. This type of words may not create problems for the translator as it has a unique meaning.

- Collocations

Collocation is defined as "the habitual co-occurrence of individual lexical items" (Crystal 1981, cited in Newmark 1988: 212). This indicates that 'collocation' is a combination of two or more words occur together. For examples:

"Bank transfer" ' تحويل مصرفي ' [Taḫwiyl maṣrifiy].
"Net weight" ' الوزن الصافي ' [Alwazn aṣṣāfiy].
"Run a company" ' يدير شركة ' [Yudiyr širka].
"Second - hand dealer" ' تاجر الأشياء المستعملة ' [Tājir alašiya'a almustέmla].
"Balance sheet" ' موازنة- ميزان المراجعة ' [Mūāzana - miyzān almurajέaa].
"Limited partnership" ' شركة توصية بسيطة ' [Širka tūṣiya basiyṭa].
"Petty cash fund" ' صندوق المصروفات النثرية ' [Ṣnduwq almaṣrūfat alnaṯriya].

Collocations may cause problems for the translators due to the nature of source language and the choice of the close equivalence in the target language. For examples:

"Flea- market" ' سوق الأشياء المستعملة ' [Suwq alašiya'a almustέamla].
"Domestic market" ' سوق داخلية ' [Suwq dāḵiliya].
"Home market" ' سوق داخلية ' [Suwq dāḵiliya].
"Production exchange" ' سوق التجارة - بورصة ' [Suwq attijāra - Būrṣa].
"Spot market" ' سوق السلع الجاهزة ' [Suwq assilaέa aljāhiza].

- Metaphors

Ghazala (1995: 146) states "A metaphor is an expression of language, which is meant to be used and understood in an indirect, non-literal way". Many theoreticians classify the metaphor into several types according to the use of the language, as indirect language. These metaphorical expressions may occur in economic texts. For example, "dribbling offers" ' عروض شحيحة ' [Urūḍ šaḫiyḫa] and "fat income" ' دخل كبير ' [Daḵl kabiyr] as well as "a window of opportunities" ' فرص سانحة ' [Furaṣ saniḫa] are expressions, that can be used metaphorically, in the economic sector. Therefore,

translators should be aware of dealing with figurative language because the incorrect choice for the closest equivalence in the target language may distort the meaning.

- Idioms

According to Langacher (1968: 79), an idiom is "a kind of complex lexical item. It is a phrase, whose meaning cannot be predicted from the meanings of the morphemes it comprises". In this regard, *The Longman Pocket Dictionary* (2002) defines the idiom as "a group of words which has, as a whole, a different meaning from the meaning of its constituents".
The idiom is classified into many different types according to the meaning, which it aims to convey. This meaning usually relates to a particular culture. So, it cannot be understood if it is taken literally. Therefore, the idioms and the metaphors can be considered as a specific- culture aspect of a particular language. Different types of idioms may occur in the economic language and affect the translated meaning negatively if they are not paid the required attention. For example, 'market-led' is an idiomatic expression, which can be translated into Arabic as ' متأثر بالسوق ' [Muta'aṯir bāssuwq], also, 'back off budget' that can be translated into Arabic as ' تراجع في الميزانية ' [Trājuέ fiy almyzāniya]. Furthermore, 'pass the parcel' is an idiomatic expression that can be translated into Arabic as
'يحدث تغيير دون جدوى' [Yuḩdiaṯ taḡiyyr dūn Jidwaa] and so forth.

7. Methodology of the Study

The study is particularly inclined to adapt a qualitative and quantitative approaches focusing on the lexical problems that affect translation of the economic terms. Two instruments are employed to investigate the problem of the current study. These are a questionnaire and an interview. These instruments covers number of people, who are interested in translation of the economic term.

7.1. Instruments

The study tends to examine and investigate the problem of this study depending on two main instruments questionnaire and interviews.
(i) Questionnaire
The questionnaire (appendix 1) was distributed to thirty four participants, who are interested in the area of economics. It consists of two parts. The first part asks for personal information about the participant. The second part consists of thirteen statements. The main goal is to get information about the problematic areas of translating the economic terms. The analysis has been done in digits and percentage and systematically arranged in tables.
(ii) Interview

An interview (appendix 2) has been conducted with some translators, who are interested in the area of translation. Within the discussion, they were required to answer

ten questions, which are related to the topic. The analysis appears in a form of composition.

7.2. Participants

The respondents to the questionnaire are 34 Yemeni translators. They work in the National Institute of Administrative Sciences\Ministry of Civil Service and Faculty of Economics/ Aden University. The choice of the participants depends mainly, on the fact of having a fairly good knowledge in the economic terminology as well as some knowledge of the economic culture. This issue helps them to deal with the questionnaire appropriately. All the participants have either master degree or bachelor degree. The different range of experience in their work makes us assume that some of them actually face problems in translating economic terms from English into Arabic. we aim at specifying and sorting their problems to find out the appropriate solutions**.**

The study, also, includes five PhD holders, who work in the field of translation at University of Aden. We assume that their responses will accomplish the others, which are obtained from the questionnaire.

8. Data Analysis

The collected data from the two parts of the questionnaire are analyzed clearly, in tables. Furthermore, the researcher uses a statistic SPSS program in order to get the frequency and the percentage for all variables. The participants responses in the second part of the questionnaire are analyzed according to the two variables in the first part, which are experience and qualification. Finally it analyzed and compared with the five responses obtained from the second tool of the study (interview) in order to get the findings. The five interviewees' responses are used to support the findings obtained from the questionnaire .

8.1.Summary of the Questionnaire analysis

The tables below summarize the analysis of participants' responses are in the questionnaire.

Table 1: Summary of the total responses to the questionnaire.

St. No.	The variables				
	Agree	**So much agree**	**Sometimes agree**	**Sometimes not agree**	**Not agree**
1	23 67.6%	11 32.4%	0	0	0
2	17 50%	17 50%	0	0	0
3	14 41.2%	15 44.1%	0	5 14.7%	0
4	24 70.6%	3 8.8%	0	4 11.8%	3 8.8%
5	10 29.4%	17 50%	0	0	7 20.6%
6	8 23.5%	20 58.8%	0	0	6 17.6%
7	2 5.9%	24 70.6%	0	0	8 23.5%
8	9 26.5%	17 50%	0	3 8.8%	5 14.7%
9	6 17.6%	21 61.8%	0	0	7 20.6%
10	8 23.5%	18 52.9%	3 8.3%	5 14.7%	0
11	5 14.7%	21 61.8%	2 2.9%	1 2.9%	5 14.7%
12	6 17.6%	18 52.9%	0	0	10 29.4%
13	5 14.7%	24 70.6%	0	0	5 14.7%

Table 2 : Summary of the participants' responses (10), who have 1- 4 years experience.

St. No.	The variables				
	Agree	**So much agree**	**Sometimes agree**	**Sometimes not agree**	**Not agree**
1	10 29.4%	0	0	0	0
2	9 26.5%	1 2.9%	0	0	0
3	7 20.6%	0	0	3 8.8%	0
4	5 14.7%	0	0	3 8.8%	2 5.9%
5	3 8.8%	0	0	0	7 20.6%
6	4 11.8%	0	0	0	6 17.6%
7	1 2.9%	1 2.9%	0	0	8 23.5%
8	1 2.9%	1 2.9%	0	3 8.8%	5 14.5%
9	0	3 8.8%	0	0	7 20.6%
10	2 5.9%	2 5.9%	2 5.9%	4 11.8%	0
11	1 2.9%	4 11.8%	2 5.9%	1 5.9%	2 5.9%
12	1 2.9%	0	0	0	9 26.5%
13	3 8.8%	2 5.9%	0	0	5 14.7%

Table 3: Summary of the participants' responses (17), who have 5- 8 years experience.

St. No.	The variables				
	Agree	**So much agree**	**Sometimes agree**	**Sometimes not agree**	**Not agree**
1	11 23.4%	6 17.6%	0	0	0
2	8 25.5%	9 26.5%	0	0	0
3	7 20.6%	8 25.5%	0	2 5.9%	0
4	14 41.2%	1 2.9%	0	1 2.9%	1 2.9%
5	7 20.6%	10 29.4%	0	0	0
6	4 11.8%	13 29.4%	0	0	0
7	0	17 50%	0	0	0
8	6 17.6%	11 32.4%	0	0	0
9	6 17.6%	11 32.4%	0	0	0
10	5 14.7%	10 29.4%	1 2.9%	1 2.9%	0
11	4 11.8%	10 29.4%	0	0	3 8.8%
12	5 14.7%	11 32.4%	0	0	1 2.9%
13	2 5.9%	15 44.1%	0	0	0

Table 4: Summary of the participants' responses (7), who have 9- 12 years experience.

St. No.	The variables				
	Agree	**So much agree**	**Sometimes agree**	**Sometimes not agree**	**Not agree**
1	2 5.9%	5 14.7%	0	0	0
2	0	7 20.6%	0	0	0
3	0	7 20.6%	0	0	0
4	5 14.7%	2 5.9%	0	0	0
5	0	7 20.6%	0	0	0
6	0	7 20.6%	0	0	0
7	1 2.9%	6 17.6%	0	0	0
8	2 5.9%	5 14.7%	0	0	0
9	0	7 20.6%	0	0	0
10	1 2.9%	6 17.6%	0	0	0
11	0	7 20.6%	0	0	0
12	0	7 20.6%	0	0	0
13	0	7 20.6%	0	0	0

Table 5: Summary of the participants' responses (15), who are master degree holders.

St. No.	The variables				
	Agree	**So much agree**	**Sometimes agree**	**Sometimes not agree**	**Not agree**
1	8 23.5%	7 20.5%	0	0	0
2	4 11.8%	11 32.4%	0	0	0
3	4 11.8%	10 29.4%	0	0	0
4	15 44.1%	0	0	0	0
5	3 8.8%	12 35.3	0	0	0
6	1 2.9%	14 41.2%	0	0	0
7	1 2.9%	14 41.2%	0	0	0
8	4 11.8%	11 32.4%	0	0	0
9	5 14.7%	10 29.4%	0	0	0
10	3 8.8%	11 32.4%	1 2.9%	0	0
11	3 8.8%	11 32.4%	0	0	1 2.9%
12	3 8.8%	12 35.3%	0	0	0
13	1 2.9%	14 11.8%	0	0	0

Table 6 : Summary of the participants' responses (19), who are bachelor degree holders.

St. No.	The variables				
	Agree	**So much agree**	**Sometimes agree**	**Sometimes not agree**	**Not agree**
1	15 44.1%	4 11.8%	0	0	0
2	13 38.2%	6 17.6%	0	0	0
3	10 29.4%	5 14.7%	0	4 11.8%	0
4	9 26.5%	3 8.8%	0	4 11.8%	3 8.8%
5	7 20.6%	5 14.7%	0	0	7 20.6%
6	7 20.6%	6 17.6%	0	0	6 17.6%
7	1 2.9%	10 29.4%	0	0	8 23.5%
8	5 14.7%	6 17.6%	0	3 8.8%	5 14.7%
9	1 2.9%	11 32.4%	0	0	7 20.6%
10	5 14.7%	7 20.6%	2 5.9%	5 14.7%	0
11	2 5.9%	10 29.4%	2 5.9%	1 2.9%	4 11.8%
12	3 8.8%	6 17.6%	0	0	10 29.4%
13	4 11.8%	10 29.4%	5 14.7%	0	0

8.2.Interview General analysis

The study, also, involves five of the participants an interview, during the discussion, ten questions that closely related to the problem of this research were highlighted. The participants are PhD holders and work as lecturers of English language in Aden University. The interview was conducted in Faculty of Economics as well as Faculty of Education/ Aden University. All the respondents answered the questions and their responses were closer and carried out the same notion for each question. For that reason, the researcher writes the basic idea, which is extracted from their answers. The questions of the interview and the obtained results are analyzed as follows:

1. What are the common problems in translation of the economic terminology?

All the five interviewees agreed that lexical problems are the common problems in translation of the economic term.

2. Do you agree that the economic term needs specific attention as it falls in the range of English for Specific Purposes (ESP)?

All the five interviewees asserted that the economic term needs specific attention as it falls in the range of English for Specific Purposes (ESP).

3. What do you need in order to achieve the best understanding for the economic terminology?

All the five interviewees, also, asserted that good knowledge with the nature of the economic language and economic culture lead to the best understanding for the economic term.

4. Can we deal with synonyms in the economics as terms that have multiple meaning depending on context and culture?

All the five interviewees asserted the notion, which says that we can deal with synonyms in the economy as terms that have multiple meaning depending on context and culture of the source and target language.

5. Does the economic culture help you to overcome the propositional meaning problems in translation of the economic terminology?

All the five interviewees agreed that the economic culture helps them to overcome the propositional meaning problems in translation of the economic term.

6. Does the system of collocation affect translation of the economic terms?

The five interviewees asserted that collocations affect the meaning of the economic terms.

7. Do you see that the economic terms have little meaning outside the context in the economic language?

All the five interviewees, also, agreed that the economic terms have little meaning outside the context in the economic language.

8. Do you agree with the statement, which says that terminology has no direct equivalence in the target language due to the nature of the economic language?

All the interviewees' responses indicated that in most cases, the economic term has no direct equivalence in the target language due to the nature of the economic language.

9. Can you understand the meaning of terminology apart from the economic culture?

All the five interviewee considered the economic culture as one of the most important factors that cannot be isolated in translation of the economic terminology.

10. What is your strategy in dealing with the economic terms that have non-equivalence in the target language?

This question aims at discovering the appropriate translation strategy in dealing with non equivalence terms in the target language. All the interviewees' responses asserted that there is no strategy, which can be fixed in translation of the non-equivalence terms in the target language. For that reason, as they said, various strategies are used during the process of translating this type of language such as using the loan word, loan word plus explanation, transcription, superordinate, paraphrasing, etc... The words, which connect with the term in one context besides the type of the economic terms, force the translator to adopt the closest strategy that clarifies the meaning of the term in the target language.

9.Major Findings of the Study

The findings of this study are discussed in relation to the analysis of the data collected from the research tools . The major findings are summarized as follows:

1. The findings indicate that translation of the economic terminology is considered as a problem that most translators face in their work. Therefore, the interviewees and the majority of the participants, who have the experience that ranges between either 9 -12 years or 5- 8 years, asserted that the economic terms are difficult to translate and need specific training and attention.

2. The findings reveal that the majority of the participants, who have experience ranges between 1-4 years as well as some of the participants whom their experience ranges between 5-8 years, face difficulties to understand the meaning of the economic term. The majority of the participants in this category are bachelor degree holders. Therefore, synonyms, polysemy and monosemy, collocations, metaphors and idioms according to them, contribute negatively in their translation of the economic terminology.

3. The findings indicate that the nature of the economic language has a vast recipients and it involves a special attention. Therefore, translator should assume that the reader have good knowledge in economy.

4. The results show that good knowledge in source language and the economic culture are the most important factors in translation of the economic terminology. These factors help the translator to achieve the best understanding for the economic terms as well as they help the translator to overcome the propositional meaning difficulties which cause the problems of the equivalence in the target language.

5. The findings, also, show that the economic terms often have not fixed meaning, especially when they connect with other words in the text. Therefore, synonyms in the economic language can be considered as the terms with multiple meanings depending on the context and they create difficulty in translation of the economic terminology.

6. The findings indicate that many strategies can be used while dealing with the economic terms as well as the terms which have no equivalence in Arabic language.

In short, the findings have revealed that good knowledge for the nature of the economic language can be considered as a mirror, which reflects the quality of production of the translated context. In addition, it minimizes the impact of the lexical problems, upon translation of the economic terms and then the equivalence in the target language. This issue, in turn, leads the translator to reach the real meaning of such these terms. In this regard, the researcher will provide the reader with some recommendations.

10. Recommendations

On the basis of data analysis as well as the major findings of the study, the researcher suggests some recommendations as follows:

1. The translator must be equipped with the elements that affect the meaning of the economic term as an essential element in the process of translation. It is a fact that the meaning is the main leading reason to failure or success of achieving the appropriate understanding of any particular term. These elements are related to the specific nature of the economic language as well as the economic culture.

2. The translators must be equipped with the specific features of the economic terms by providing them with specific training courses in translating economic in order to meet the need of translating such this type of language and prepare them to activate their relevant background knowledge in this field.

3. The translator should enhance his ability and his cultural scopes in dealing with the economic terms through many ways as reading the topics in this field, getting involved in training programs or courses and so forth.

4. The translator should be familiarized with source and target language economic terms to be able to recognize the concept, which does not have equivalence in the target language to be able to deal with it appropriately.

12. Conclusion

This study focuses on exposing the impact of the lexical problems upon translation of the economic terminology. Furthermore, it aims at clarifying the role of the economic culture as an essential factor that helps the translator to achieve the best understanding of the economic terms. The study employed two tools. The first was a questionnaire, which was distributed to thirty four participants, selected randomly from Aden University as well as from the National Institute of Administrative Sciences. They are classified into three groups according to their work experience. The first group included ten participants, who have experience ranges between 1-4 years. Whereas, the second group consisted of seventeen participants, who have experience extends from 5-8 years. The third group, also, included seven respondents, who have experience ranges between 9-12 years. The majority of the participants have bachelor degree, while the others have master degree and they work at Faculty of Economic, Aden University or the National Institute of Administrative Sciences, Ministry of Civil Service. The second tool of the study was an interview, which was conducted with five PhD holders, who are interested in translation field and they work at Aden University.

The participants' responses to the first tool are analyzed and compared with the five responses in the second tool of the study. The results, which obtained from the tools were applicable in some areas whereas, not applicable in other areas. The results can be summarized as follows:

1- The responses obtained from the interview were applicable with the majority of the participants' responses, who have either experience ranges between 9-12 years or 5-8 years as well as the majority of the participants' responses, who have M.A degree.

2- The responses obtained from the interview were inapplicable with the majority of the participants' responses, who have experience ranges between 1-4 years and some of the participants' responses, who have experience ranges between 5-8 years as well as the majority of the participants' responses who have B.A degree.

Finally, the study have provided recommendations that may help in raising translators ability in dealing with the economic terms. they may reach a good level in translating this type of technical English if they are involved in training and in service refreshing courses in the area of the economic translation as it have been stated in the recommendation section of this study.

Appendix 1

Dear Respondents

This questionnaire aims at finding out the impact of the common lexical problems upon translation of the economic terminology. Your responses will be confidential and will be only used for research purposes.

- Dr. Shafika Abdulkader Othman.
Assistant professor
College of Education – Saber/ Aden University.

Questionnaire

Part 1

Personal information

Gender--

College/Center ---

Qualification --

Occupation --

Experience--

Part 2

Tick ☐ the alternative.

1. Lexical problems are the most common problems that face you in translation of the economic terminology.

A- Agree ☐ **B-** So much agree ☐
C- Sometimes agree ☐ **D-** Sometimes not agree ☐
E- Not agree ☐

2. The economic language assumes that both writer and reader have sufficient knowledge in the economic field.

A- Agree ☐ **B-** So much agree ☐
C- Sometimes agree ☐ **D-** Sometimes not agree ☐
E- Not agree ☐

3. Good knowledge and culture in source language system help the translator to achieve the best understanding for the economic terminology.

A- Agree ☐ **B-** So much agree ☐
C- Sometimes agree ☐ **D-** Sometimes not agree ☐
E- Not agree ☐

4. The most common lexical problems, which are synonymy, Polysemy and monosemy, collocations, metaphors and idioms affect the meaning of the economic terminology.

A- Agree ☐ **B-** So much agree ☐
C- Sometimes agree ☐ **D-** Sometimes not agree ☐
E- Not agree ☐

5. Terms in the economic translation involve lesser expressive meaning than other types of translation as the literary translation.

A- Agree ☐ **B-** So much agree ☐
C- Sometimes agree ☐ **D-** Sometimes not agree ☐
E- Not agree ☐

6. Some of the propositional meaning difficulties in translation of the economic term occur as a result of the nature of the source language and the economic culture absence.

A- Agree ☐ **B-** So much agree ☐
C- Sometimes agree ☐ **D-** Sometimes not agree ☐
E- Not agree ☐

7. The economic terminology may include new features that change the meaning when it connects with other words in the text.

A- Agree ☐ **B-** So much agree ☐
C- Sometimes agree ☐ **D-** Sometimes not agree ☐
E- Not agree ☐

8. The terms in the economic language often do not have fixed meanings, especially when they connect with other words in the text.

A- Agree ☐ **B-** So much agree ☐
C- Sometimes agree ☐ **D-** Sometimes not agree ☐
E-Not agree ☐

9. The absence of Arabic equivalence in the target language exists because the economic terms come within the range of English for Specific Purpose (ESP).

A- Agree
C- Sometimes agree
B- So much agree
D- Sometimes not agree
E- Not agree

10. The economic culture is an important factor in translation of the economic terms and it provides the translator with the necessary information to understand the meaning.

A- Agree
C- Sometimes agree
B- So much agree
D- Sometimes not agree
E- Not agree

11. The common lexical problems in the economic translation occur as a result of equivalence absence in the target language.

A- Agree
C- Sometimes agree
B- So much agree
D- Sometimes not agree
E- Not agree

12. Knowledge in the source language nature and the economic culture are the most important factors in translation of the economic terms.

A- Agree
C- Sometimes agree
B- So much agree
D- Sometimes not agree
E- Not agree

13. The type of the term in the economic language determines the type of strategy that should be used to translate it.

A- Agree
C- Sometimes agree
B- So much agree
D- Sometimes not agree
E- Not agree

Appendix 2

Interview

This interview aims at pointing out how the lexical problems affect the meaning of the economic terminology. Moreover, the interview comprises ten questions for five translators, who are interested in the economic translation.

1. What are the common problems in translation of the economic terminology?
2. Do you agree that the economic term needs specific attention as it falls in the range of English for Specific Purposes (ESP)?
3. What do you need in order to achieve the best understanding for the economic terminology ?
4. Can we deal with synonyms in the economics as terms that have multiple meaning depending on context and culture?
5. Does the economic culture help you to overcome the propositional meaning problems, in translation of the economic terminology?
6. Does the system of collocation affect translation of the economic terms?
7. Do you see that the economic terms have little meaning outside the context in the economic language?
8. Do you agree with the statement, which says that terminology has no direct equivalence in the target language due to the nature of the economic language?
9. Can you understand the meaning of terminology apart from the economic culture?
10. What is your strategy in dealing with the economic terms that have non-equivalence in the target language?

Bibliography

Byrne, J. (2006). *Technical Translation*: *Usability Strategies for Translating Technical Documents.* Dordrecht: Springer.
- Cabre, T. (1999). *Terminology: Theory, Methods and Applications.* (edited by Juan C. Sager and translated by Anne De Cesaris). Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.
- Cambridge Advanced Learner's Dictionary, (2004). Cambridge University Press.

- Ghazala, H. (1995). *Translation as Problems and Solutions: course-book for university students and trainee translators*. Valetta Malta: Elga Publication.

- Langasher, R. (1968). *Language and Its Structure: Some Fundamental Linguistic Concepts*. New York: Harcourt, Brace and World Inc.
-Longman, P. 2002. *Longman Pocket English Dictionary*. Harlow: Pearson Education Limited.

- Newmark, P. (1988). *Textbook of Translation*. Oxford: Pergamon Press.

- Sager, J. C. (1990). *A Practical Course in Terminology Processing*. Amesterdam: John Benjamins.
- *Webster's New World College Dictionary*. 2001.4th ed. Cleveland: Webster's New World.